الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل

خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق

والدين أبي عبدالله محمّد بن علي المعروف بابن عربي

الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث و السبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة و الانحراف و على كم ينحرف من المقابلة)

ملائكة الإله أتت إلينا لتوقفنا على النبإ اليقين
فقالت قول معصوم عليم بريء من ملابسة الظنون
ثمانية و عشر قد أتتنا جهارا ثم عشر في كمين
ثمانية أشداء غلاظ و خمستهم أشداء بلين
بأربعة و عشرين افتتحنا و ما يعلو بسبعتهم قريني
و خامس عشرة في لين عيش و أربعة لتطبيق الجفون
و في إحدى و عشرين انسفلنا عن التقويم بالبلد الأمين
مددنا ظلنا لحجاب غصن على الأقوام في عطف و لين
صلاة المشركين بها مكاء مثلثة تحليني بديني
و واحد استطال فصال قهرا و منحرف توحد في الوتين
إذا انفش الوحيد يصير جمعا و يهوى مثله يهواه دوني
تفرقت الهموم غداة ثبت و يعرفها المتيم بعد حين
بشفع من بناتكم غنينا فكرر واحد الصبح المبين
و إن زوائد الأفلاك عشر و للبدلاء أبراج الشئون
و من عقد المئين لنا ثلاث على قلب لآدم عن يقين
و إن الأربعين لقلب نوح على بيضاء بالنور المبين
على قلب الخليل لنا رجال سباعية كآساد العرين
و خمسة أنفس لهم ثبات بقلب الطاهر الروح الأمين

و ميكائيل يتلوه ثلاث تمسكهن بالحبل المتين

و إسرافيل يتبعه وحيد بقلب قد تفنن بالفنون

تقلقلهم عن التثبيت خمس و لولاهن كانوا في سكون

و ينصرني على الإشراك و ترى تلقى نصر ذلك باليمين

نجيب من ثمانية كرام و ثنتا عشرة نقباء دين

أقاليم البلاد لها رجال على التمثيل في رأى العيون

و تحرسنا بأربعة رجال من الأوتاد في الحصن الحصين

إماما العالمين هما وزيرا مليك العالم القطب المكين

و ستة أنفس لجهات ست أئمتهن من نور و طين

فهذا الرمز إن فكرت فيه ترى سر الظهور مع الكمون

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن هذا الباب يتضمن أصناف الرجال الذين يحصرهم العدد و الذين لا توقيت لهم و يتضمن المسائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة و هي النبوة العامة فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخا لشرعه صلى الله عليه و سلم و لا يزيد في حكمه شرعا آخر و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي أي لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي و لا رسول أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه فهذا هو الذي انقطع و سد بابه لا مقام النبوة فإنه لا خلاف إن عيسى عليه السلام نبي و رسول و أنه لا خلاف أنه ينزل في آخر الزمان حكما مقسطا عدلا بشرعنا لا بشرع آخر و لا شرعه الذي تعبد الله به بنى إسرائيل من حيث ما نزل هو به بل ما ظهر من ذلك هو ما قرره شرع محمد صلى الله عليه و سلم و نبوة عيسى عليه السلام ثابتة له محققة فهذا نبي و رسول قد ظهر بعده صلى الله عليه و سلم و هو الصادق في قوله إنه لا نبي بعده فعلمنا قطعا أنه يريد التشريع خاصة و هو المعبر عنه عند أهل النظر بالاختصاص و هو المراد بقولهم إن النبوة غير مكتسبة و أما القائلون باكتساب النبوة فإنهم يريدون بذلك حصول المنزلة عند الله المختصة من غير تشريع لا في حق أنفسهم و لا في حق غيرهم فمن لم يعقل النبوة سوى عين الشرع و نصب الأحكام قال بالاختصاص و منع الكسب فإذا وقفتم على كلام أحد من

أهل الله أصحاب الكشف يشير بكلامه إلى الاكتساب كأبي حامد الغزالي و غيره فليس مرادهم سوى ما ذكرناه و قد بينا هذا في فصل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم في آخر باب الصلاة من هذا الكتاب و هؤلاء هم المقربون الذين قال الله فيهم عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ و به وصف الله نبيه عيسى عليه السلام فقال وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِن الْمُقَرَّبِينَ و به وصف الملائكة فقال وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ و معلوم قطعا أن جبريل كان ينزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يطلق عليه في الشرع اسم نبي مع أنه بهذه المثابة فالنبوة مقام عند الله يناله البشر و هو مختص بالأكابر من البشر يعطي للنبي المشرع و يعطي للتابع لهذا النبي المشرع الجاري على سنته قال تعالى وَوَهَبْنا لَهُ (من رَحْمَتِنا) أَخاهُ ها رُونَ نَبِيًّا فإذا نظر إلى هذا المقام بالنسبة إلى التابع و أنه باتباعه حصل له هذا المقام سمي مكتسبا و التعمل بهذا الاتباع اكتسابا و لم يأته شرع من ربه يختص به و لا شرع يوصله إلى غيره و كذلك كان ها رون فسددنا باب إطلاق لفظ النبوة على هذا المقام مع تحققه لئلا يتخيل متخيل أن المطلق لهذا اللفظ يريد نبوة التشريع فيغلط كما اعتقده بعض الناس في الإمام أبي حامد فقال عنه إنه يقول باكتساب النبوة في كيمياء السعادة و غيره معاذ الله أن يريد أبو حامد غير ما ذكرناه و سأذكر إن شاء الله ما يختص به صاحب هذا المقام من الأسرار الخاصة به التي لا يعلمها إلا من حصله فإذا سمعتني أقول في هذا الباب و مما يختص بهذا المقام كذا فاعلم أن ذلك الذي أذكره هو من علوم أهل هذا المقام فلنذكر أولا شرح ما بوبنا عليه من المقابلة و الانحراف (وصل) اعلم أن للحق سبحانه في مشاهدة عباده إياه نسبتين نسبة تنزيه و نسبة تنزل إلى الخيال بضرب من التشبيه فنسبة التنزيه تجليه فِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و النسبة الأخرى تجليه في قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه و قوله إن الله في قبلة المصلي و قوله تعالى فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله و ثم ظرف و وجه الله ذاته و حقيقته و الأحاديث و الآيات الواردة بالألفاظ التي تطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها و لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها إذ لم يرد عن الله شرح ما أراد بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الإلهي قال تعالى وَ ما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ يعني بلغتهم ليعلموا ما هو الأمر عليه و لم يشرح الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فننسب تلك المعاني المفهومة من تلك الألفاظ الواردة إلى الله تعالى كما نسبها لنفسه و لا يتحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذي نزلت هذه الألفاظ بلغتهم فنكون من الذين يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ و من الذين يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ بمخالفتهم و نقر بالجهل بكيفية هذه النسب و هذا هو اعتقاد السلف قاطبة من غير مخالف في ذلك فإذا تقرر عندك ما ذكرناه من ها تين النسبتين للحق المشروعتين و أنت المطلوب بالتوجه بقلبك و بعبادتك إلى ها تين النسبتين فلا تعدل عنهما إن كنت كاملا أو إلى إحداهما إن كنت نازلا

عن هذه المرتبة الكمالية إما لما يقوله أهل الكلام في الله من حيث عقولهم و إما لما توهمه القاصرة عقولهم من تشبيه الحق بخلقه فهؤلاء جهلوا و هؤلاء جهلوا و الحق في الجمع بينهما و قد ورد الخبر في النشأة الآدمية أن الله خلق آدم على صورته ورد في القرآن أن الله خلقه بيديه على جهة التشريف لقرينة الحال حين عرف بذلك إبليس لما ادعى الشرف على آدم بنشأته فقال ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية و لا على أن تكون الواحدة يد النعمة و الأخرى يد القدرة فإن ذلك سائغ في كل موجود فلا شرف لآدم بهذا التأويل فلا بد أن يكون لقوله بيدي خلاف ما ذكرناه مما يصح به التشريف فتوجهت على خلق الإنسان هاتان النسبتان نسبة التنزيه و نسبة التشبيه فخرج بنو آدم لهذا على ثلاث مراتب كامل و هو الجامع بين هاتين النسبتين أو واقف مع دليل عقله و نظر فكره خاصة أو مشبه بما أعطاه اللفظ الموارد و لا رابع لهم من المؤمنين فالمقابلة أو الانحراف لا تكون إلا من جهة نسبة التنزل الإلهي الخيالي في قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه في هذا هي المقابلة للمعبود و الانحراف عن هذه المقابلة إما بتنزيه و هو انحراف المتكلمين و إما بتشبيه محدود و هو انحراف المجسمين و الكمل هم أهل القول بالأمرين و هذه الحضرة التي ذكرناها تحوي على ستين و ثلاثمائة مقام منها ستة و ثلاثون أمهات و ما بقي فهي نازلة عن هذه الستة و الثلاثين تحصل كلها لأهل الشهود من الاسم الدهر فإن الله هو الدهر و لا يتوهم من هذا القول الزمان المعروف الذي تعده حركات الأفلاك و تتخيل من ذلك درجات للفلك التي تقطعها الكواكب ذلك هو الزمان و كلامنا إنما هو في الاسم الدهر و مقاماته التي ظهر عنها الزمان و الزمان على التحقيق قد عرفناك أنه نسبة لا أمر وجودي و أنه للمحدث بمنزلة الأزل للقديم فهذه المقامات تحصل لأهل الشهود إذا قابلوها بذواتهم من حيث خلقهم على الصورة كذلك يقابل الزمان الدهر و الأبد يقابله الأزل و لا يكون منهم عند المقابلة نظر إلى كون أصلا يميزونه عن ذواتهم و ذوات ما قابلوه فإن وقع لمن هذا مقامه تميز لكون من الأكوان أو للذي قابلوه يميز لهم عما قابلوه من ذواتهم فقد حدوه و انحرفوا عن المقابلة و انحطوا بذلك إلى ثمانية عشر مقاما و هو النصف فأما أن يكون انحرافهم إليه أو إليهم فإن كان إليه تعالى فقد غابوا عنهم و المطلوب منهم حضورهم بهم له و إن كان الانحراف إليهم فقد غابوا عنه و المطلوب حضورهم معه فإن زاد الانحراف انحطوا إلى نصف ذلك و هو تسعة مقامات فغاب عنهم من الذي انحطوا عنه النصف فإن زاد الانحراف انحطوا إلى ستة مقامات و هو غاية الانحطاط و هو الثلث من الثمانية عشر و السدس من المجموع الذي هو ستة و ثلاثون فمنزل العبد الكامل يكون بين هاتين النسبتين يقابل كل نسبة منهما بذاته فإنه لا ينقسم في ذاته و ما لا ينقسم لا يوصف بأنه يقابل كل نسبة بغير الذي يقابل بها الأخرى و ما ثم إلا ذاته كالجوهر الفرد بين الجوهرين أو الجسمين يقابل كل واحد مما هو بينهما بذاته لأن ما لا ينقسم لا يكون له جهتان مختلفتان في حكم العقل و إن كان الوهم يتخيل ذلك كذلك الإنسان

من حيث حقيقته و لطيفته يقابل بذاته الحق من حيث نسبه التنزيه و بذلك الوجه عينه يقابل الحق من حيث صفة النزول الإلهي إلى الاتصاف بالصفات التي توهم التشبيه و هي النسبة الأخرى و كما أن الحق الذي هو الموصوف بهاتين النسبتين واحد في نفسه و أحديته و لم تحكم عليه هاتان النسبتان بالتعداد و الانقسام في ذاته كذلك العبد الكامل في مقابلة الحق في هاتين النسبتين لا يكون له وجهان متغايران فهذه هي المقابلة للحق من جميع النسب على كثرتها فإنها و إن كثرت فهي راجعة إلى هاتين النسبتين و ليستا بأمر زائد على عين الموصوف بها فالكل عين واحدة و ما ثم كل وجودي و إنما جئنا به من حيث النسب و هي لا أعيان لها فالعين من الحق واحدة و العين من العبد واحدة لكن عين العبد ثبوتية ما برحت من أصلها و لا خرجت من معدنها و لكن كساها الحق حلة وجوده فعينها باطن وجوده و وجودها عين موجدها فما ظهر إلا الحق لا غيره و عين العبد باق على أصله لكنه استفاد ما لم يكن عنده من العلم بذاته و بمن كساه حلة وجوده و بمعرفة أمثاله و رأى العالم بعضه بعضا بعين وجود ربه فمن نظر إلى ذاته بعين ربه و لم يميز فقد انحرف عما ينبغي له فهو العبد الموصوف بالجهل في عين الحق و حكمه في هذا الوصف و الحال حكم من لم يتصف بالوجود لأن الجهل عدم فمن قال في رؤيته ما رأى الله إلا الله فهو العبد الكامل و هكذا في كل نسبة و هذه أسنى درجات المعارف و تليها المعرفة الثانية التي يقول فيها صاحبها كنت مغمض العينين ففتحتهما فما وقعت على شيء إلا كان هو الله فما رأيت إلا الله و الأعيان على أصولها لا أثر لها في رؤيتي إياها و المعرفة الثالثة هي التي يقول فيها صاحبها ما رأيت شيئا و المعرفة الرابعة أن يقول ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله و هذه رؤية تحديد و كذلك فيما نزل عن هذه المعرفة من فيه و بعده و عنده و غير ذلك و هي هذه المعارف التي تعطي التحديد من النسبة النزولية التي توهم التشبيه و المعارف الأول التي ذكرناها من مقام كون العبد بين النسبتين لا غير و أما المعارف التي تحصل من نسبة التنزيه فلا تنقال و لا تأخذها عبارة و لا تصح فيها الإشارة فانحصر لك الأمر في ثلاث معارف أمهات معرفة نسبة التنزيه و معرفة نسبة التحديد و التشبيه و معرفة أعطاها مقامك بين هاتين النسبتين و هو عينك لا وجود عينك لكون وجود عينك هو وجود الحق فلا ينسب إليك فمن لا علم له بهذه الأمهات فهو المنحرف و اعلم أن لله في كل نوع من المخلوقات خصائص و قد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب و هذا النوع الإنساني هو من جملة الأنواع و لله فيه خصائص وصفوه و أعلى الخواص فيه من العباد الرسل عليهم السلام و لهم مقام النبوة و الولاية و الايمان فهم أركان بيت هذا النوع و الرسول أفضلهم مقاما و أعلاهم حالا أي المقام الذي يرسل منه أعلى منزلة عند الله من سائر المقامات و هم الأقطاب و الأئمة و الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم كما يحفظ البيت بأركانه فلو زال ركن منها زال كون البيت بيتا ألا إن البيت هو الدين ألا إن أركانه هي الرسالة و النبوة و الولاية و الايمان إلا أن الرسالة هي الركن الجامع للبيت و أركانه إلا إنها هي

المقصودة من هذا النوع فلا يخلو هذا النوع أن يكون فيه رسول من رسل الله كما لا يزال الشرع الذي هو دين الله فيه ألا إن ذلك الرسول هو القطب المشار إليه الذي ينظر الحق إليه فيبقى به هذا النوع في هذه الدار و لو كفر الجميع إلا أن الإنسان لا يصح عليه هذا الاسم إلا أن يكون ذا جسم طبيعي و روح و يكون موجودا في هذه الدار الدنيا بجسده و حقيقته فلا بد أن يكون الرسول الذي يحفظ الله به هذا النوع الإنساني موجودا في هذا النوع في هذه الدار بجسده و روحه يتغذى و هو مجلى الحق من آدم إلى يوم القيامة و لما كان الأمر على ما ذكرناه و مات رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ و الشرع الذي لا يبدل و دخلت الرسل كلهم في هذه الشريعة يقومون بها و الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه فإنه قطب العالم الإنساني و لو كانوا ألف رسول لا بد أن يكون الواحد من هؤلاء هو الإمام المقصود فأبقى الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة و هم إدريس عليه السلام بقي حيا بجسده و أسكنه الله السماء الرابعة و السموات السبع هن من عالم الدنيا و تبقي ببقائها و تفني صورتها بفنائها فهي جزء من الدار الدنيا فإن الدار الأخرى تبدل فيها السموات و الأرض بغيرهما كما تبدل هذه النشأة الترابية منا نشئات أخر غير هذه كما وردت الأخبار في السعداء من الصفاء و الرقة و اللطافة فهي نشأت طبيعية جسمية لا تقبل الأثقال فلا يغوطون و لا يبولون و لا يتمخطون كما كانت هذه النشأة الدنياوية و كذلك أهل الشقاء و أبقى في الأرض أيضا الياس و عيسى و كلاهما من المرسلين و هما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع عليهم إنهم رسل و أما الخضر و هو الرابع فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا فكلهم الأوتاد و اثنان منهم الإمامان و واحد منهم القطب الذي هو موضع نظر الحق من العالم فما زال المرسلون و لا يزالون في هذه الدار إلى يوم القيامة و إن لم يبعثوا بشرع ناسخ و لا هم على غير شرع محمد صلى الله عليه و سلم وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و الواحد من هؤلاء الأربعة الذين هم عيسى و الياس و إدريس و خضر هو القطب و هو أحد أركان بيت الدين و هو ركن الحجر الأسود و اثنان منهم هما الإمامان و أربعتهم هم الأوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان و بالثاني يحفظ الله الولاية و بالثالث يحفظ الله النبوة و بالرابع يحفظ الله الرسالة و بالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء لا يموت أبدا أي لا يصعق و هذه المعرفة التي أبرزنا عينها للناظرين لا يعرفها من أهل طريقنا إلا الأفراد الأمناء و لكل واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة في كل زمان شخص على قلوبهم مع وجودهم هم نوابهم فأكثر الأولياء من عامة أصحابنا لا يعرفون القطب و الإمامين و الوتد إلا النواب لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم و لهذا يتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات فإذا حصلوا أو خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب و نائب الإمام يعرف أن الإمام غيره و أنه

نائب عنه و كذلك الوتد فمن كرامة رسول الله صلى الله عليه و سلم محمد أن جعل من أمته و أتباعه رسلا و إن لم يرسلوا فهم من أهل المقام الذي منه يرسلون و قد كانوا أرسلوا فاعلم ذلك و لهذا صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة إسرائه بالأنبياء عليهم السلام في السموات لتصح له الإمامة على الجميع حسا بجسمانيته و جسمه فلما انتقل صلى الله عليه و سلم بقي الأمر محفوظا بهؤلاء الرسل فثبت الدين قائما بحمد الله ما انهدم منه ركن إذ كان له حافظ يحفظه و إن ظهر الفساد في العالم إلى أن يرث الله الْأَرْضَ وَ مَن عَلَيْها و هذه نكتة فاعرف قدرها فإنك لست تراها في كلام أحد منقول عنه أسرار هذه الطريقة غير كلامنا و لو لا ما ألقى عندي في إظهارها ما أظهرتها لسر يعلمه الله ما أعلمنا به و لا يعرف ما ذكرناه إلا نوابهم خاصة لا غيرهم من الأولياء فاحمدوا الله يا إخواننا حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرار الله المخبوة في خلقه التي اختص الله بها من شاء من عباده فكونوا لها قابلين مؤمنين بها و لا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها قال أبو يزيد البسطامي و هو أحد النواب لأبي موسى الدبيلي يا أبا موسى إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة و سمعت شيخنا أبا عمران موسى بن عمران الميرتلي بمنزله بمسجد الرضي بإشبيلية و هو يقول للخطيب أبي القاسم بن عفير و قد أنكر أبو القاسم ما يذكر أهل هذه الطريقة يا أبا القاسم لا تفعل فإنك إن فعلت هذا جمعنا بين حرمانين لا نرى ذلك من نفوسنا و لا نؤمن به من غيرنا و ما ثم دليل يرده و لا قادح يقدح فيه شرعا و عقلا ثم استشهدني على ما ذكره و كان أبو القاسم يعتقد فينا فقررت عنده ما قاله بدليل يسلمه من مذهبه فإنه كان محدثا فشرح الله صدره للقبول و شكرني الشيخ و دعا لي و اعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس و هو اسم يعم جميعهم و هم على طبقات كثيرة و أحوال مختلفة فمنهم من تجمع له الحالات كلها و الطبقات و منهم من يحصل من ذلك ما شاء الله و ما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال و المقامات التي يظهرون عليها في قوله وَ مَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ كل طائفة في جنسها و منهم من يحصره عدد في كل زمان و منهم من لا عدد له لازم فيقلون و يكثرون و لنذكر منهم أهل الأعداد و من لا عدد لهم بألقابهم إن شاء الله تعالى فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب و هم الجامعون للأحوال و المقامات بالأصالة أو بالنيابة كما ذكرنا و قد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطبا كل من دار عليه مقام ما من المقامات و انفرد به في زمانه على أبناء جنسه و قد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد و شيخ الجماعة قطب تلك الجماعة و لكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقا من غير إضافة لا يكون منهم في الزمان إلا واحد و هو الغوث أيضا و هو من المقربين و هو سيد الجماعة في زمانه و منهم من يكون ظاهر الحكم و يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر و عمر و عثمان و علي و الحسن و معاوية بن يزيد و عمر بن عبد العزيز و المتوكل و منهم من له الخلافة الباطنة خاصة و لا حكم له

في الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد السبتي و كأبي يزيد البسطامي و أكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر و منهم رضي الله عنهم الأئمة و لا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما الواحد عبد الرب و الآخر عبد الملك و القطب عبد الله قال تعالى وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يعني محمدا صلى الله عليه و سلم فلكل رجل اسم إلهي يخصه به يدعى عبد الله و لو كان اسمه ما كان فالأقطاب كلهم عبد الله و الأئمة في كل زمان عبد الملك و عبد الرب و هما اللذان يخلفان القطب إذا مات و هما للقطب بمنزلة الوزيرين الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت و الآخر مع عالم الملك و منهم رضي الله عنهم الأوتاد و هم أربعة في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون رأينا منهم شخصا بمدينة فاس يقال له ابن جعدون كان ينخل الحناء بالأجرة الواحد منهم يحفظ الله به المشرق و ولايته فيه و الآخر المغرب و الآخر الجنوب و الآخر الشمال و التقسيم من الكعبة و هؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال لقوله تعالى أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً فإنه بالجبال سكن ميد الأرض كذلك حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض و إلى مقامهم الإشارة بقوله تعالى عن إبليس ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ من خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ فيحفظ الله بالأوتاد هذه الجهات و هم محفوظون من هذه الجهات فليس للشيطان عليهم سلطان إذ لا دخول له على بنى آدم إلا من هذه الجهات و أما الفوق و التحت فربما يكون للستة التي نذكر أمرهم بعد هذا إن شاء الله و كل ما نذكره من هؤلاء الرجال باسم الرجال فقد يكون منهم النساء و لكن يغلب ذكر الرجال قيل لبعضهم كم الأبدال فقال أربعون نفسا فقيل له لما تقول أربعون رجلا فقال قد يكون فيهم النساء ألقابهم عبد الحي و عبد العليم و عبد القادر و عبد المريد و منهم رضي الله عنهم الأبدال و هم سبعة لا يزيدون و لا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم فيه ولايته الواحد منهم على قدم الخليل عليه السلام و له الإقليم الأول و أسوقهم على الترتيب إلى صاحب الإقليم السابع و الثاني على قدم الكليم عليه السلام و الثالث على قدم هارون و الرابع على قدم إدريس و الخامس على قدم يوسف و السادس على قدم عيسى و السابع على قدم آدم على الكل السلام و هم عارفون بما أودع الله سبحانه في الكواكب السيارة من الأمور و الأسرار في حركاتها و نزولها في المنازل المقدرة و لهم من الأسماء أسماء الصفات فمنهم عبد الحي و عبد العليم و عبد الودود و عبد القادر و هذه الأربعة هي أربعة أسماء الأوتاد و منهم عبد الشكور و عبد السميع و عبد البصير لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الأبدال بها ينظر الحق إليهم و هي الغالبة عليه و ما من شخص إلا و له نسبة إلى اسم إلهي منه يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير و هم بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول و الإحاطة فعلى تلك الموازنة يكون علم هذا الرجل و سموا هؤلاء أبدا لا لكونهم إذا فارقوا موضعا و يريدون أن يخلفوا بدلا منهم في ذلك الموضع لأمر يرونه مصلحة و قربة يتركوا به شخصا على صورته لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك

الشخص أنه عين ذلك الرجل و ليس هو بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منه فكل من له هذه القوة فهو البدل و من يقيم الله عنه بدلا في موضع ما و لا علم له بذلك فليس من الأبدال المذكورين و قد يتفق ذلك كثيرا عايناه و رأيناه و رأينا هؤلاء السبعة الأبدال بمكة لقيناهم خلف حطيم الحنابلة و هنالك اجتمعنا بهم فما رأيت أحسن سمتا منهم و كنا قد رأينا منهم موسى السدراني بإشبيلية سنة ست و ثمانين و خمسمائة وصل إلينا بالقصد و اجتمع بنا و رأينا منهم شيخ الجبال محمد بن أشرف الرندي و لقي منهم صاحبنا عبد المجيد بن سلمة شخصا اسمه معاذ بن أشرس كان من كبارهم و بلغني سلامه علينا سأله عبد المجيد هذا عن الأبدال بما ذا كانت لهم هذه المنزلة فقال بالأربعة التي ذكرها أبو طالب المكي يعني الجوع و السهر و الصمت و العزلة و قد يسمون الرجبيين أبدالا و هم أربعون و قد يسمون الاثني عشر أيضا أبدالا و سيأتي ذكر هؤلاء في الرجال المعدودين فمن رأى الرجبيين قال إن الأبدال أربعون نفسا فإنهم أربعون و منهم رضي الله عنهم النقباء و هم اثنا عشر نقيبا في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجا كل نقيب عالم بخاصية كل برج و بما أودع الله في مقامه من الأسرار و التأثيرات و ما يعطي للنزلاء فيه من الكواكب السيارة و الثوابت فإن للثوابت حركات و قطعا في البروج لا يشعر به في الحس لأنه لا يظهر ذلك إلا في آلاف من السنين و أعمار أهل الرصد تقصر عن مشاهدة ذلك و اعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة و لهم استخراج خبايا النفوس و غوائلها و معرفة مكرها و خداعها و أما إبليس فمكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه و هم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل العلماء بالآثار و القيافة و بالديار المصرية منهم كثير يخرجون الأثر في الصخور و إذا رأوا شخصا يقولون هذا الشخص هو صاحب ذلك الأثر و يكون كذلك و ليسوا بأولياء الله فما ظنك بما يعطيه الله هؤلاء النقباء من علوم الآثار و منهم رضي الله عنهم النجباء و هم ثمانية في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و هم الذين تبدو منهم و عليهم إعلام القبول من أحوالهم و إن لم يكن لهم في ذلك اختيار لكن الحال يغلب عليهم و لا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم و هم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة و الإدراك الثامن و مقامهم الكرسي لا يتعدوه ما داموا نجباء و لهم القدم الراسخة في علم تسيير الكواكب من جهة الكشف و الاطلاع لا من جهة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشأن و النقباء هم الذين حازوا علم الفلك التاسع و النجباء حازوا علم الثمانية الأفلاك التي دونه و هي كل فلك فيه كوكب و منهم رضي الله عنهم الحواريون و هو واحد في كل زمان لا يكون فيه اثنان فإذا مات ذلك الواحد أقيم غيره و كان في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم الزبير بن العوام هو كان صاحب هذا المقام مع كثرة أنصار الدين بالسيف فالحواري من جمع في نصرة الدين بين السيف و الحجة فأعطى العلم و العبارة و الحجة

و أعطى السيف و الشجاعة و الإقدام و مقاومة التحدي في إقامة الحجة على صحة الدين المشروع كالمعجزة التي للنبي فلا يقوم بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم بدليله الذي يقيمه على صدقه فيما ادعاه إلا حواريه فهو يرث المعجزة و لا يقيمها الأعلى صدق نبيه صلى الله عليه و سلم هذا مقام الحواري و يبقى عليها اسم المعجزة أعني على تلك الدلالة فإنه يقترن بها مع الحواري ما يقترن بها مع النبي صلى الله عليه و سلم و يضيفها إلى النبي كما يضيفها النبي إلى نفسه و لا يسمى مثل هذا كرامة لولي لأنه ما كان معجزة النبي على حدها و شمول لوازمها لا يكون ذلك أبدا كرامة لولي و إلى هذا ذهب الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني و لكن على غير هذا الوجه الذي أومأنا إليه فإن أبا إسحاق يحيل وقوع عين الفعل المعجز و أكثر المتكلمين لا يحيله أن يكون كرامة لا على طريق الإعجاز فإذا وقع من الشخص على حد ما وقع من النبي بطريق الإعجاز لصدق ذلك النبي من هذا التابع فإنه يقع و لا بد و هذا لا يكون إلا من الحواري خاصة فمن ظهر منه مثل هذا على حد ما رسمناه فهو حواري ذلك العصر و قد رأيناه في زماننا سنة ست و ثمانين و خمسمائة فهذا هو المسمى بالحواري و منهم رضي الله عنهم الرجبيون و هم أربعون نفسا في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و هم رجال حالهم القيام بعظمة الله و هم من الأفراد و هم أرباب القول الثقيل من قوله تعالى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و سموا رجبيون لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أول استهلال هلاله إلى انفصاله ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجدونه إلى دخول رجب من السنة الآتية و قليل من يعرفهم من أهل هذا الطريق و هم متفرقون في البلاد و يعرف بعضهم بعضا منهم من يكون باليمن و بالشام و بديار بكر لقيت واحدا منهم بدنيسير من ديار بكر ما رأيت منهم غيره و كنت بالأشواق إلى رؤيتهم و منهم من يبقى عليه في سائر السنة أمر ما مما كان يكاشف به في حاله في رجب و منهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك و كان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة فكان يراهم خنازير فيأتي الرجل المستور الذي لا يعرف منه هذا المذهب قط و هو في نفسه مؤمن به يدين به ربه فإذا مر عليه يراه في صورة خنزير فيستدعيه و يقول له تب إلى الله فإنك شيعي رافضي فيبقى الآخر متعجبا من ذلك فإن تاب و صدق في توبته رآه إنسانا و إن قال له بلسانه تبت و هو يضمر مذهبه لا يزال يراه خنزيرا فيقول له كذبت في قولك تبت و إذا صدق يقول له صدقت فيعرف ذلك الرجل صدقه في كشفه فيرجع عن مذهبه ذلك الرافضي و لقد جرى لهذا مثل هذا مع رجلين عاقلين من أهل العدالة من الشافعية ما عرف منهما قط التشيع و لم يكونوا من بيت التشيع أداهما إليه نظرهما و كانا متمكنين من عقولهما فلم يظهرا ذلك و أصرا عليه بينهما و بين الله فكانا يعتقدان السوء في أبي بكر و عمر و يتغالون في علي فلما مرا به و دخلا عليه أمر بإخراجهما من عنده فإن الله كشف له عن بواطنهما في صورة خنازير و هي العلامة التي جعل الله له في أهل هذا المذهب و كانا قد علما من نفوسهما

أن أحدا من أهل الأرض ما اطلع على حالهما و كانا شاهدين عدلين مشهورين بالسنة فقالا له في ذلك فقال أراكما خنزيرين و هي علامة بيني و بين الله فيمن كان مذهبه هذا فأضمرا التوبة في نفوسهما فقال لهما إنكما الساعة قد رجعتما عن ذلك المذهب فإني أراكما إنسانين فتعجبا من ذلك و تابا إلى الله و هؤلاء الرجبيون أول يوم يكون في رجب يجدون كأنما أطبقت عليهم السماء فيجدون من الثقل بحيث لا يقدرون على أن يطرفوا و لا يتحرك فيهم جارحة و يضطجعون فلا يقدرون على حركة أصلا و لا قيام و لا قعود و لا حركة يد و لا رجل و لا جفن عين يبقى ذلك عليهم أول يوم ثم يخف في ثاني يوم قليلا و في ثالث يوم أقل و تقع لهم الكشوفات و التجليات و الاطلاع على المغيبات و لا يزال مضطجعا مسجى يتكلم بعد الثلاث أو اليومين و يتكلم معه و يقال له إلى أن يكمل الشهر فإذا فرغ الشهر و دخل شعبان قام كأنما نشط من عقال فإن كان صاحب صناعة أو تجارة اشتغل بشغله و سلب عنه جميع حاله كله إلا من شاء الله أن يبقى عليه من ذلك شيء أبقاه الله عليه هذا حالهم و هو حال غريب مجهول السبب و الذي اجتمعت به منهم كان في شهر رجب و كان في هذه الحال و منهم رضي الله عنهم الختم و هو واحد لا في كل زمان بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه و ثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي و هو عيسى عليه السلام هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر في أمة محمد صلى الله عليه و سلم و يحشر رسولا مع الرسل عليهم السلام و منهم رضي الله عنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون فاعلم إن معنى قول النبي عليه السلام في حق هؤلاء الثلاثمائة إنهم على قلب آدم و كذلك قوله عليه السلام في غير هؤلاء ممن هو على قلب شخص من أكابر البشر أو الملائكة إنما معناه إنهم يتقلبون في المعارف الإلهية تقلب ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول فإنه يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه و ربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان و هو بهذا المعنى نفسه و قد أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هؤلاء الثلاثمائة أنهم على قلب آدم و ما ذكر صلى الله عليه و سلم أنهم ثلاثمائة في أمته فقط أو هم في كل زمان و ما علمنا أنهم في كل زمان إلا من طريق الكشف و أن الزمان لا يخلو عن هذا العدد و لكل واحد من هؤلاء الثلاثمائة من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق إلهي من تخلق بواحد منها صحت له السعادة و هؤلاء هم المجتبون المصطفون و يستحبون من الدعاء ما ذكره الحق سبحانه في كتابه رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ و قال تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا من عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ و هو آدم و من كان بهذه المثابة و لهذه الطائفة من الزمان الثلاثمائة من السنين التي ذكر الله أنها لبثها أهل الكهف و كانت شمسية و لهذا قال وَازْدادُوا تِسْعاً فإن الثلاثمائة سنة الشمسية تكون

من سنى القمر ثلاثمائة و تسع سنين على التقريب و كل سنة تمام الزمان بفصوله و هذه الجملة قريبة من ثلث يوم واحد من أيام الرب وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فإذا أخذ العارف في مشهد من مشاهد الربوبية حصل في مقدار يومها في تلك اللحظة من العلوم الإلهية ما يحصل غيره في عالم الحس مع الاجتهاد و التهيؤ من العلوم الإلهية في ألف سنة من هذه السنين المعلومة و على هذا المجرى يكون ما يحصله واحد من هؤلاء الثلاثمائة من العلوم الإلهية إذا اختطف عن نفسه و حصره يوم من أيام الرب و لا يعرف قدر ما ذكرناه و شرفه إلا من ذاقه و انطوى الزمان في حقه في تلك اللحظة كما تنطوي المسافة و المقادير في حق البصر إذا فتحه فوقع نظره على فلك الكواكب الثابتة في زمان فتح عينه اتصلت أشعته بأجرام تلك الكواكب فانظر إلى هذا البعد و انظر إلى هذه السرعة و كذلك تعلق إدراك السمع في الزمان الذي يكون فيه الصوت فيه يكون إدراك السمع له مع البعد العظيم فإن تفطنت لهذا الذي أشرنا إليه علمت معنى رؤيتك ربك مع نفي التحيز و الجهات و علمت الرائي منك و المرئي و الرؤية و كذلك السامع و السمع و المسموع و هذه الطبقة هي التي علمت الأسماء الإلهية التي توجهت على الأشياء المشار إليها في قوله تعالى أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إذ كان الإنباء بالأسماء عين الثناء على المسمى و الناس يأخذون هذه الآية على أن الأسماء هي أسماء المشار إليهم من حيث دلالتها عليهم كدلالة زيد في علميته على شخص زيد و عمر و على شخص عمرو و أي فخر في ذلك على الموصوفين بالعلم و هم الملائكة و ما تفطن الناس لقولهم نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ و قد فاتهم من أسماء الله تعالى ما توجهت على هؤلاء المشار إليهم انتهى الجزء الخامس و السبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

و منهم رضي الله عنهم أربعون شخصا على قلب نوح عليه السلام في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون هكذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذه الطبقة أن في أمته أربعين على قلب نوح عليه السلام و هو أول الرسل و الرجال الذين هم على قلبه صفتهم القبض و دعاؤهم دعاء نوح رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً و مقام هؤلاء الرجال مقام الغيرة الدينية و هو مقام صعب المرتقى فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال إن الله غيور و من غيرته حرم الفواحش فثبت من هذا الخبر أن الفاحشة هي فاحشة لعينها و لهذا حرمها قيل لمحمد عليه السلام قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ أي ما علم و ما لم يعلم إلا بالتوقيف لغموض إدراك الفحش فكل محرم حرمه الله على عباده فهو فحش و ما هو عين ما أحله في زمان آخر و لا في شرع آخر فهذا هو الذي بطن علمه فإن الخمر التي أحلت له ما هي التي حرمت عليه و منع من شربها فعلل الأحكام قد تكون أعيان الأشياء و مذاهب أهل الكلام في ذلك مختلفة و الذي يعطيه الكشف تقرير المذهبين فإن المكاشف

يحكم بحسب الحضرة التي منها يكاشف فإنها تعطيه بذاتها ما هي عليه و من هنا كان مقام الغيرة مقام حيرة صعب المرتقى و لا سيما و الحق وصف بها نفسه على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم و هي من صفات القلوب و الباطن و هي تستدعي إثبات المغاير و لا غير على الحقيقة إلا أعيان الممكنات من حيث ثبوتها لا من حيث وجودها فالغيرة تظهر من ثبوت أعيان الممكنات و عدم الغيرة من وجود أعيان الممكنات فالله غيور من حيث قبول الممكنات للوجود فمن هناك حرم الفواحش ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ و ما ثم إلا ظاهر أو باطن و الغيرة قد انسحبت على الجميع ثم إنها في جبلة الحيوانات و لا يشعر لحكمها فمن غار عقلا كان مشهده ثبوت الأعيان و من غار شرعا كان مشهوده وجود الأعيان و هؤلاء الأربعون هم رجال هذا المقام و حقيقة مقام ميقات موسى أربعون ليلة لهؤلاء الأربعين فالليل منها لما بطن و النهار منها لما ظهر فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فأضاف الميقات إلى الرب فعلمنا إن قوله صلى الله عليه و سلم و الله أغير مني أن الاسم الله هنا يريد به الاسم الرب لأنه لا يصح أن يطلق الاسم الله من غير تقييد من طريق المعنى فإن الأحوال تقيد هذا الإطلاق باسم خاص يطلبه الحال فالغيرة للاسم الرب و إن وصف بها الاسم الله و لما كانت المكالمة و التجلي عقيب تمامها لذلك ظهر بتمام هؤلاء الأربعين رجل في العالم مقامه مقام أبيه نوح فإنه الأب الثاني على ما ذكر و كل ما تفرق في هؤلاء الأربعين اجتمع في نوح كما أنه كلما تفرق في الثلاثمائة اجتمع في آدم و على معارج هؤلاء الأربعين عملت الطائفة الأربعينيات في خلواتهم لم يزيدوا على ذلك شيئا و هي خلوات الفتح عندهم و يحتجون على ذلك بالخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه كما كانت المكالمة في التجلي عن مقدمة الميقات الأربعيني الرباني و منهم رضي الله عنهم سبعة على قلب الخليل إبراهيم عليه السلام لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان ورد به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعاؤهم دعاء الخليل رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ و مقامهم السلامة من جميع الريب و الشكوك و قد نزع الله الغل من صدورهم في هذه الدنيا و سلم الناس من سوء ظنهم إذ ليس لهم سوء ظن بل ما لهم ظن فإنهم أهل علم صحيح فإن الظن أنما يقع ممن لا علم له فيما لا علم له به بضرب من الترجيح فلا يعلمون من الناس إلا ما هم عليه الناس من الخير و قد أرسل الله بينهم و بين الشرور التي هم عليها الناس حجابا و أطلعهم على النسب التي بين الله و بين عباده و نظر الحق إلى عباده بالرحمة التي أوجدهم بها فكل خير في الخلق من تلك الرحمة فذلك هو المشهود لهم من عباد الله و لقد لقيتهم يوما و ما رأيت أحسن سمتا منهم علما و حلما إخوان صدق عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ قد عجلت لهم جناتهم المعنوية الروحانية في قلوبهم مشهودهم من الخلق تصريف الحق من حيث هو وجود لا من حيث تعلق حكم به و منهم رضي الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان ورد بذلك

الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم هم ملوك أهل هذه الطريقة لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوي المعبر عنها بالأجنحة التي بها يصعد و ينزل لا يتجاوز علم هؤلاء الخمسة مقام جبريل و هو الممد لهم من الغيب و معه يقفون يوم القيامة في الحشر و منهم رضي الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام لهم الخير المحض و الرحمة و الحنان و العطف و الغالب على هؤلاء الثلاثة البسط و التبسم و لين الجانب و الشفقة المفرطة و مشاهدة ما يوجب الشفقة و لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان و لهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من القوي و منهم رضي الله عنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام في كل زمان و له الأمر و نقيضه جامع للطرفين ورد بذلك خبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم له علم إسرافيل و كان أبو يزيد البسطامي منهم ممن كان على قلب إسرافيل و له من الأنبياء عيسى عليه السلام فمن كان على قلب عيسى عليه السلام فهو على قلب إسرافيل و من كان على قلب إسرافيل قد لا يكون على قلب عيسى و كان بعض شيوخنا على قلب عيسى و كان من الأكابر (وصل) و أما رجال علم الأنفاس رضي الله عنهم فإنا أذكرهم و هم على قلب داود عليه السلام و لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان و إنما نسبناهم إلى قلب داود و قد كانوا موجودين قبل ذلك بهذه الصفة فالمراد بذلك أنه ما تفرق فيهم من الأحوال و العلوم و المراتب اجتمع في داود و لقيت هؤلاء العالم كلهم و لازمتهم و انتفعت بهم و هم على مراتب لا يتعدونها بعدد مخصوص لا يزيد و لا ينقص و أنا ذاكرهم إن شاء الله تعالى فمنهم رضي الله عنهم رجال الغيب و هم عشرة لا يزيدون و لا ينقصون هم أهل خشوع فلا يتكلمون إلا همسا لغلبة تجلى الرحمن عليهم دائما في أحوالهم قال تعالى وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً و هؤلاء هم المستورون الذين لا يعرفون خبأهم الحق في أرضه و سمائه فلا يناجون سواه و لا يشهدون غيره يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً دأبهم الحياء إذا سمعوا أحدا يرفع صوته في كلامه ترعد فرائصهم و يتعجبون و ذلك أنهم لغلبة الحال عليهم يتخيلون أن التجلي الذي أورث عندهم الخشوع و الحياء يراه كل أحد و رأوا أن الله قد أمر عباده أن يغضوا أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ و إذا كنا نهينا و تحبط أعمالنا برفع أصواتنا على صوت رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا تكلم و هو المبلغ عن الله فغض أصواتنا عند ما نسمع تلاوة القرآن آكد و الله يقول وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ و هذا هو مقام رجال الغيب و حالهم الذي ذكرناه فيمتاز الحديث النبوي من القرآن بهذا القدر و يمتاز كلامنا من الحديث النبوي بهذا القدر و أما أهل الورع إذا اتفقت بينهم مناظرة في مسألة دينية فيذكر أحد الخصمين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم خفض الخصم صوته عند سرد الحديث هذا هو الأدب عندهم إذا كانوا أهل

حضور مع الله و طلبوا العلم لوجه الله فأما علماء زماننا اليوم فما عندهم خير و لا حياء لا من الله و لا من رسول الله إذا سمعوا الآية أو الحديث النبوي من الخصم لم يحسنوا الإصغاء إليه و لا أنصتوا و داخلوا الخصم في تلاوته أو حديثه و ذلك لجهلهم و قلة ورعهم عصمنا الله من أفعالهم و اعلم أن رجال الغيب في اصطلاح أهل الله يطلقونه و يريدون به هؤلاء الذين ذكرناهم و هي هذه الطبقة و قد يطلقونه و يريدون به من يحتجب عن الأبصار من الإنس و قد يطلقونه أيضا و يريدون به رجالا من الجن من صالحي مؤمنيهم و قد يطلقونه على القوم الذين لا يأخذون شيئا من العلوم و الرزق المحسوس من الحس و لكن يأخذونه من الغيب و منهم رضي الله عنهم ثمانية عشر نفسا أيضا هم الظاهرون بأمر الله عن أمر الله لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان ظهورهم بالله قائمون بحقوق الله مثبتون الأسباب خرق العوائد عندهم عادة آيتهم قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ و أيضا إِيتِي دَعْوَتُهُمْ جِهارًا كان منهم شيخنا أبو مدين رحمه الله كان يقول لأصحابه أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة و أظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة يعني خرق العوائد و الباطنة يعني المعارف فإن الله يقول وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و قال عليه السلام التحدث بالنعم شكر و كان يقول بلسان أهل هذا المقام أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ هم على مدارج الأنبياء و الرسل لا يعرفون إلا الله ظاهرا و باطنا و هذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم ظهروا في عالم الشهادة و من ظهر في عالم الشهادة فقد ظهر بجميع العالم فكانوا أولى بهذا اللقب من غيرهم كان سهل بن عبد الله يقول في رجال الغيب الأول الرجل من يكون في فلاة من الأرض فيصلي فينصرف من صلاته فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة على مشاهدة منه إياهم فقلت لحاكي هذه الحكاية عن سهل الرجل من يكون وحده في الفلاة فيصلي فينصرف من صلاته بالحال الذي هو في صلاته فلا ينصرف معه أحد من الملائكة فإنهم لا يعرفون أين يذهب فهؤلاء هم عندنا رجال الغيب على الحقيقة لأنهم غابوا عنده فإن رجال الغيب قسمان في الظهور منهم رجال غيب عن الأرواح العلى ظاهرون لله لا لمخلوق رأسا و رجال غيب عن عالم الشهادة ظاهرون في العالم الأعلى فرجال الغيب أيضا أهل ظهور و لكن لا في عالم الشهادة فاعلم إن الظاهرين بأمر الله لا يرون سوى الله في الأكوان و أن الأكوان عندهم مظاهر الحق فهم أهل علانية و جهر و كل طبقة فعاشقة بمقامها تذب عنه و لهذا لا تعرف منزلة مقامها من المقامات حتى تفارقه فإذا نظرت إليه نظر الأجنبي المفارق حينئذ تعرفه فقبل أن تحصل فيه يكون معلوما لها من حيث الجملة و ترى علو منصبه فإذا دخلت فيه كان ذوقا لها و شربا فيحجبها كونها فيه عن التمييز فإذا ارتقت عنه نظرت إليه بعد ذوق فكانت عارفة بقدره بين المقامات و مرتبته فيقبل كلام هذا الشخص فيه لأنه تكلم عن ذوق و كان شهوده إياه عن صحو فتقبل شهادته لذلك المقام و عليه كما قبلنا شهادة الشبلي و قوله في الحلاج و لم نقبل قول الحلاج في نفسه و لا في الشبلي لأن الحلاج سكران و الشبلي

صاح و منهم رضي الله عنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الإلهية آيتهم من كتاب الله أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ لهم من الأسماء الإلهية ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ جمعوا ما بين علم ما ينبغي أن تعلم به الذات الواجبة الوجود لنفسها من حيث هي و بين علم ما ينبغي أن يعلم به من حيث ما هي إله فقدمها عزيز في المعارف لا تأخذهم في الله لومة لائم و قد يسمون رجال القهر لهم همم فعالة في النفوس و بهذا يعرفون كان بمدينة فاس منهم رجل واحد يقال له أبو عبد الله الدقاق كان يقول ما اغتبت أحدا قط و لا اغتيب بحضرتي أحد قط و لقيت أنا منهم ببلاد الأندلس جماعة لهم أثر عجيب و كل معنى غريب و كان بعض شيوخي منهم و من نمط هؤلاء رضي الله عنهم خمسة رجال في كل زمان أيضا لا يزيدون و لا ينقصون هم على قدم هؤلاء الثمانية في القوة غير أن فيهم لينا ليس للثمانية و هم على قدم الرسل في هذا المقام قال تعالى فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً و قال تعالى فَبِما رَحْمَةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُمْ فهم مع قوتهم لهم لين في بعض المواطن و أما في العزائم فهم في قوة الثمانية على السواء و يزيدون عليهم بما ذكرناه مما ليس للثمانية و قد لقينا منهم رضي الله عنهم و انتفعنا بهم و منهم رضي الله عنهم خمسة عشر نفسا هم رجال الحنان و العطف الإلهي آيتهم من كتاب الله آية الريح السليمانية تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ لهم شفقة على عباد الله مؤمنهم و كافرهم ينظرون الخلق بعين الجود و الوجود لا بعين الحكم و القضاء لا يولي الله منهم قط أحدا ولاية ظاهرة من قضاء أو ملك لأن ذوقهم و مقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق فهم مع الحق في الرحمة المطلقة التي قال الله فيها وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لقيت منهم جماعة و ما شيتهم على هذا القدم و انتقلت منهم إلى الخمسة التي ذكرناهم آنفا فإن مقام هؤلاء الخمسة بين رجال القوة و رجال الحنان فجمعت بين الطرفين فكانت واسطة العقد و هي الطائفة التي تصلح لهم ولاية الأحكام في الظاهر و هاتان الطائفتان رجال القوة و رجال الحنان لا يكون منهم وال أبدا أمور العباد و لا يستخلف منهم أحد جملة واحدة و منهم رضي الله عنهم أربعة أنفس في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون آيتهم من كتاب الله تعالى اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ و آيتهم أيضا في سورة تبارك الملك الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ هم رجال الهيبة و الجلال

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم و لكن خوف إجلال

و هم الذين يمدون الأوتاد الغالب على أحوالهم الروحانية قلوبهم سماوية مجهولون في الأرض معروفون في السماء الواحد من هؤلاء الأربعة هو ممن استثنى الله تعالى في قوله وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا من شاءَ الله و الثاني له العلم بما لا يتناهى و هو مقام عزيز يعلم التفصيل في المجمل و عندنا ليس في علمه مجمل و الثالث له الهمة الفعالة في الإيجاد و لكن لا يوجد عنه شيء و الرابع توجد عنه الأشياء و ليس له إرادة فيها و لا همة متعلقة بها أطبق العالم الأعلى على علو مراتبهم أحدهم على قلب محمد صلى

الله عليه و سلم و الآخر على قلب شعيب عليه السلام و الثالث على قلب صالح عليه السلام و الرابع على قلب هود عليه السلام ينظر إلى أحدهم من الملإ الأعلى عزرائيل و إلى الآخر جبريل و إلى الآخر ميكائيل و إلى الآخر إسرافيل أحدهم بعبد الله من حيث نسبة العماء إليه و الثاني يعبد الله من حيث نسبة العرش إليه و الثالث يعبد الله من حيث نسبة السماء إليه و الرابع يعبد الله من حيث نسبة الأرض إليه فقد اجتمع في هؤلاء الأربعة عبادة العالم كله شأنهم عجيب و أمرهم غريب ما لقيت فيمن لقيت مثلهم لقيتهم بدمشق فعرفت أنهم هم و قد كنت رأيتهم ببلاد الأندلس و اجتمعوا بي و لكن لم أكن أعلم أن لهم هذا المقام بل كانوا عندي من جملة عباد الله فشكرت الله على أن عرفني بمقامهم و أطلعني على حالهم و منهم رضي الله عنهم أربعة و عشرون نفسا في كل زمان يسمون رجال الفتح لا يزيدون و لا ينقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف و الأسرار و جعلهم الله على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم فكل من يفتح عليه في شيء من العلوم و المعارف في أي ساعة كانت من ليل أو نهار فهو لرجل تلك الساعة و هم متفرقون في الأرض لا يجتمعون أبدا كل شخص منهم لازم مكانه لا يبرح أبدا فمنهم باليمن اثنان و منهم ببلاد الشرق أربعة و منهم بالمغرب ستة و الباقي بسائر الجهات آيتهم من كتاب الله تعالى ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ من رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها و آية الأربعة الذين ذكرناهم قبل هؤلاء باقي الآية و هو قوله تعالى وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ من بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مع أن قدم أولئك في قوله خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً الآية و منهم رضي الله عنهم سبعة أنفس يقال لهم رجال العلى في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون هم رجال المعارج العلى لهم في كل نفس معراج و هم أعلى عالم الأنفاس آيتهم من كتاب الله تعالى وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَالله مَعَكُمْ يتخيل بعض الناس من أهل الطريق أنهم الأبدال لما يرى أنهم سبعة كما يتخيل بعض الناس في الرجبيين أنهم الأبدال لكونهم أربعين عند من يقول إن الأبدال أربعون نفسا و منهم من يقول سبعة أنفس و سبب ذلك أنهم لم يقع لهم التعريف من الله بذلك و لا بعدد ما لله في العالم في كل زمان من العباد المصطفين الذين يحفظ الله بهم العالم فيسمعون إن ثم رجالا عددهم كذا كما إن ثم أيضا مراتب محفوظة لا عدد لأصحابها معين في كل زمان بل يزيدون و ينقصون كالأفراد و رجال الماء و الأمناء و الأحباء و الأخلاء و أهل الله و المحدثين و السمراء و الأصفياء و هم المصطفون فكل مرتبة من هذه المراتب محفوظة برجال في كل زمان غير أنهم لا يتقيدون بعدد مخصوص مثل من ذكرناهم و سأذكر إذا فرغنا من رجال العدد هذه المراتب و صفة رجالها فإنا لقينا منهم جماعة و رأينا أحوالهم فهؤلاء السبعة أهل العروج لهم كما قلنا في كل نفس معراج إلى الله لتحصيل علم خاص من الله فهم مع النفس الصاعد خاصة و لله رجال هم مع النفس الرحماني النازل الذي به حياتهم و غذاؤهم و هم أحد و عشرون نفسا و منهم رضي الله عنهم أحد و عشرون نفسا و هم رجال التحت الأسفل و هم أهل النفس الذي يتلقونه من الله

لا معرفة لهم بالنفس الخارج عنهم و هم على هذا العدد في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون آيتهم من كتاب الله تعالى ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ يريد عالم الطبيعة إذ لا أسفل منه رده إليه ليحيا به فإن الطبع ميت بالأصالة فأحياه بهذا النفس الرحماني الذي رده إليه لتكون الحياة سارية في جميع الكون لأن المراد من كل ما سوى الله أن يعبد الله فلا بد أن يكون حيا وجودا ميتا حكما فيجمع بين الحياة و الموت و لهذا قال له أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ من قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً فيريد منك في شيئيتك أن تكون معه كما كنت و أنت لا هذه الشيئية فلهذا قلنا حيا وجودا و ميتا حكما و هؤلاء الرجال لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند الله مع الأنفاس فهم أهل حضور مع الدوام و منهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس و هم رجال الإمداد الإلهي و الكوني في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون فهم يستمدون من الحق و يمدون الخلق و لكن بلطف و لين و رحمة لا بعنف و لا شدة و لا قهر يقبلون على الله بالاستفادة و يقبلون على الخلق بالإفادة فيهم رجال و نساء قد أهلهم الله للسعي في حوائج الناس و قضائها عند الله لا عند غيره و هم ثلاثة لقيت واحدا منهم بإشبيلية و هو من أكبر من لقيته يقال له موسى بن عمران سيد وقته كان أحد الثلاثة لم يسأل أحدا حاجة من خلق الله ورد في الخبر أن النبي صلى اللهعليه و سلم قال من تقبل لي بواحدة تقبلت له بالجنة أن لا يسأل أحدا شيئا فأخذها أبان مولى عثمان بن عفان فعمل عليها فربما وقع له السوط من يده و هو راكب فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه فينيخ راحلته فتبرك فيأخذ السوط من الأرض بيده و صفة هؤلاء إذا أفادوا الخلق ترى فيهم من اللطف و حسن التأني حتى يظن أنهم هم الذين يستفيدون من الخلق و أن الخلق هم الذين لهم اليد عليهم ما رأيت أحسن منهم في معاملة الناس الواحد من هؤلاء الثلاثة فتحه دائم لا ينقطع على قدم واحدة لا يتنوع في المقامات و هو مع الله واقف و بالله في خلقه قائم هجيره الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و الثاني له عالم الملكوت جليس للملائكة تتنوع عليه المقامات و الأحوال و يظهر في كل صورة من صور العالم له التروحن إذا شاء كقضيب البان و الثالث له عالم الملك جليس للناس لين المعاطف تتنوع أيضا عليه المقامات إمداده من البشر أي من النفوس الحيوانية و إمداد الثاني من الملائكة شأنهم عجيب و معناهم لطيف و منهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون يشبهون الأبدال في بعض الأحوال و ليسوا بأبدال آيتهم من كتاب الله وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً لهم اعتقاد عجيب في كلام الله بين الاعتقادين هم أهل وحي إلهي لا يسمعونه أبدا إلا كسلسلة على صفوان لا غير ذلك و مثل صلصلة الجرس هذا مقام هؤلاء القوم و ما عندي خبر بفهمهم في ذلك لأنه ما حصل عندي من شأنهم هل هم بأنفسهم يعطيهم الله الفهم في تلك الصلصلة إذا تكلم الله بالوحي أو هل يفتقرون في فهم ما جاء في تلك الصلصلة إلى غيرهم كما قيل عن غيرهم حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ فاستفهموا بعد صعقهم فإن الله إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان تصعق الملائكة

فإذا أفاقت و هو قوله حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ فلا أدري شأن هؤلاء الثلاثة هل هم بهذه المثابة في سماع كلام الحق أو يعطون الفهم كما أعطيه النبي صلى الله عليه و سلم فقال و أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس و هو أشده علي فيفصم عني و قد وعيت ما قال فالله أعلم كيف شأنهم في ذلك و ما أخبرني أحد عنهم و سألتهم في ذلك فما أخبرني واحد منهم بشيء لا اطلعت عليه من جانب الحق و منهم رضي الله عنهم رجل واحد و قد تكون امرأة في كل زمان آيته وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ له الاستطالة على كل شيء سوى الله شهم شجاع مقدام كبير الدعوى بحق يقول حقا و يحكم عدلا كان صاحب هذا المقام شيخنا عبد القادر الجيلي ببغداد كانت له الصولة و الاستطالة بحق على الخلق كان كبير الشأن أخباره مشهورة لم ألقه و لكن لقيت صاحب زماننا في هذا المقام و لكن كان عبد القادر أتم في أمور أخر من هذا الشخص الذي لقيته و قد درج الآخر و لا علم لي بمن ولي بعده هذا المقام إلى الآن و منهم رضي الله عنهم رجل واحد مركب ممتزج في كل زمان لا يوجد غيره في مقامه و هو يشبه عيسى عليه السلام متولد بين الروح و البشر لا يعلم له أب بشري كما يحكى عن بلقيس أنها تولدت بين الجن و الإنس فهو مركب من جنسين مختلفين و هو رجل البرزخ به يحفظ الله عالم البرزخ دائما فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل يكون مولده على هذه الصفة فهو مخلوق من ماء أمه خلافا لما ذكر عن أهل علم الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد بل الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و منهم رضي الله عنهم رجل واحد و قد يكون امرأة له رقائق ممتدة إلى جميع العالم و هو شخص غريب المقام لا يوجد منه في كل زمان إلا واحد يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب فيتخيل أنه القطب و ليس بالقطب و منهم رضي الله عنهم رجل واحد يسمى بمقامه سقيط الرفرف بن ساقط العرش رأيته بقونية آيته من كتاب الله وَ النَّجْمِ إِذا هَوى حاله لا يتعداه شغله بنفسه و بربه كبير الشأن عظيم الحال رؤيته مؤثرة في حال من يراه فيه انكسار هكذا شاهدته صاحب انكسار و ذل أعجبتني صفته له لسان في المعارف شديد الحياء و منهم رضي الله عنهم رجلان يقال لهما رجال الغني بالله في كل زمان من عالم الأنفاس آيتهم فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ يحفظ الله بهم هذا المقام الواحد منهم أكمل من الآخر يضاف الواحد منهم إلى نفسه و هو الأدنى و يضاف الآخر إلى الله تعالى قال النبي صلى الله عليه و سلم في صاحب هذا ليس الغني عن كثرة العرض لكن الغني غنى النفس و لهذا المقام هذان الرجلان و إن كان في العالم أغنياء النفوس و لكن في غناهم شوب و لا يخلص في الزمان إلا لرجلين تكون نهايتهما في بدايتهما و بدايتهما في نهايتهما للواحد منهما إمداد عالم الشهادة فكل غنى في عالم الشهادة فمن هذا الرجل و للآخر منهما له إمداد عالم الملكوت فكل غنى بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل و الذي يستمدان منه هذان الرجلان روح علوي متحقق بالحق غناه الله ما هو غناه بالله فإن أضفته إليهما فرجال الغني ثلاثة و إن نظرت إلى بشريتهما فرجال الغني

اثنان و قد يكون منهم النساء فغني بالنفس و غني بالله و غني غناه الله و لنا جزء عجيب في معرفة هؤلاء الرجال الثلاثة و منهم رضي الله عنهم شخص واحد يتكرر تقلبه في كل نفس لا يفتر بين علمه بربه و بين علمه بذات ربه ما تكاد تراه في إحدى المنزلتين إلا رأيته في الأخرى لا ترى في الرجال أعجب منه حالا و ليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من صاحب هذا المقام يخشى الله و يتقيه تحققت به و رأيته و أفادني آيته من كتاب الله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و قوله ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ لا تزال ترعد فرائصه من خشية الله هكذا شهدناه و منهم رجال عين التحكيم و الزوائد رضي الله عنهم و هم عشرة أنفس في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء و حالهم زيادات الايمان بالغيب و اليقين في تحصيل ذلك الغيب فلا يكون لهم غيبا

إذ كل غيب لهم شهادة وكل حال لهم عبادة

فلا يصير لهم غيب شهادة إلا و يزيدون إيمانا بغيب آخر و يقينا في تحصيله آيتهم من كتاب الله تعالى وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً وَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بالزيادة و قوله تعالى وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ و منهم رضي الله عنهم اثنا عشر نفسا و هم البدلاء ما هم الأبدال و هم في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و سموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقون ناب منابهم و قام بما يقوم به جميعهم فكل واحد منهم في عين الجميع

و ما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

و يلتبس على الناس أمرهم مع الأبدال من جهة الاسم و يشبهون النقباء من جهة العدد آيتهم من كتاب الله تعالى قول بلقيس كَأَنَّهُ هُوَ تعني عرشها و هو هو فما شبهته إلا بنفسه و عينه لا بغيره و إنما شوش عليها بعد المسافة المعتاد و بالعادات صل جماعة من الناس في هذا الطريق و منهم رضي الله عنهم رجال الاشتياق و هم خمسة أنفس و هم أصحاب لقلق و فيهم يقول القائل يصف حالهم

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

فالأشواق تقلقهم في عين المشاهدة و هم من ملوك أهل طريق الله و هم رجال الصلوات الخمس كل رجل منهم مختص بحقيقة صلاة من الفرائض و إلى هذا المقام يؤول قوله عليه السلام و جعلت قرة عيني في الصلاة بهم يحفظ الله وجود العالم آيتهم من كتاب الله حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى لا يفترون عن صلاة في ليل و لا نهار كان صالح البربري منهم لقيته و صحبته إلى أن مات و انتفعت به و كذلك أبو عبد الله المهدوي بمدينة فاس صحبته كان من هؤلاء أيضا حتى أن بعض أهل الكشف يتخيلون أن كل صلاة تجسدت لهم ما

هي أعيان و ليس الأمر كذلك و منهم رضي الله عنهم ستة أنفس في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون كان منهم ابن هارون الرشيد السبتي لقيته بالطواف يوم الجمعة بعد الصلاة سنة تسع و تسعين و خمسمائة و هو يطوف بالكعبة و سألته و أجابني و نحن بالطواف و كان روحه تجسد لي في الطواف حسا تجسد جبريل في صورة أعرابي و هؤلاء الرجال الستة لما اطلعت عليهم لم أكن قبل ذلك عرفت أن ثم ستة رجال و لما عرفت بهم في هذا الزمان القريب لم أدر ما مقامهم ثم بعد هذا عرفت أنهم رجال الأيام الستة التي خلق الله فيها العالم و ما علمت ذلك إلا من هجيرهم فإن هجيرهم وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا من لُغُوبٍ و لهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت بوجود الإنسان و أخبرت أن واحدا منهم بوكأ من جملة العوانية من أهل أرزن الروم أعرف ذلك الشخص بعينه و صحبته و كان يعظمني و يراني كثيرا و اجتمعت به في دمشق و في سيواس و في ملطية و في قيصرية و خدمني مدة و كانت له والدة كان برا بها اجتمعت به في حران في خدمة والدته فما رأيت فيمن رأيت من بر أمه مثله و كان ذا مال و لي سنون فقدته من دمشق فما أدري هل عاش أو مات و بالجملة فما من أمر محصور في العالم في عدد ما إلا و لله رجال بعدده في كل زمان يحفظ الله بهم ذلك الأمر و قد ذكرنا من الرجال المحصورين في كل زمان في عدد ما الذين لا يخلو الزمان عنهم ما ذكرناه في هذا الباب فلنذكر من رجال الله الذين لا يختصون بعدد خاص يثبت لهم في كل زمان بل يزيدون و ينقصون و لنذكر الأسرار و العلوم التي يختصون بها و هي علوم تقسم عليهم بحسب كثرتهم و قلتهم حتى أنه لو لم يوجد إلا واحد منهم في الزمان اجتمع في ذلك الواحد ذلك الأمر كله فلنذكر الآن بعض ما تيسر من المقامات المعروفة التي ذكرها أهل الطريق و عينها أيضا الشرع أو عين أكثرها و سماها ثم بعد ذلك أذكر من المسائل التي تختص بهذا الباب و بالأولياء التي لا يعرفها بالمجموع إلا الولي الكامل فإن الإمام محمد بن علي الترمذي الحكيم هو الذي نبه على هذه المسائل و سأل عنها اختبار الأهل الدعوى لما رأى من الدعاوي العريضة و الضعف الظاهر فجعل هذه المسائل كالمحك و المعيار لدعواهم و لم يتعرض لخرق العوائد في ظاهر الكون التي اتخذتها العامة دلائل على الولاية و ليست بدلائل عند أهل الله و إنما القوم يختبر بعضهم بعضا فيما يدعونه من العلوم الإلهية و الأسرار فإن خرق العوائد عند الصادقين إنما ذلك في بواطنهم و قلوبهم بما يهبهم الله من الفهم عنه مما لا يشاركهم فيه ذوقا من ليس من جنسهم و ها أنا ذاكر ألقاب الرجال الذين لا يحصرهم عدد و لا يقيدهم أمد و الله المستعان انتهى الجزء السادس و السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

فمنهم رضي الله عنهم الملامية و قد يقولون الملامتية و هي لغة ضعيفة و هم سادات أهل طريق الله و أئمتهم و سيد العالم فيهم و منهم و هو محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها و أحكموها و أقروا الأسباب في أماكنها و نفوها في المواضع التي ينبغي أن تنفى عنها و لا أخلوا بشيء مما رتبه الله في خلقه على حسب ما رتبوه فما تقتضيه الدار الأولى تركوه للدار الأولى و ما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار لآخرة فنظروا في الأشياء بالعين التي نظر الله إليها لم يخلطوا بين الحقائق فإنه من رفع السبب في الموضع الذي وضعه فيه واضعه و هو الحق فقد سفه واضعه و جهل قدره و من اعتمد عليه فقد أشرك و ألحد و إلى أرض الطبيعة أخلد فالملامتية قررت الأسباب و لم تعتمد عليها فتلامذة الملامتية الصادقون يتقلبون في أطوار الرجولية و تلامذة غيرهم يتقلبون في أطوار الرعونات النفسية فالملامية مجهولة أقدارهم لا يعرفهم إلا سيدهم الذي حاباهم و خصهم بهذا المقام و لا عدد يحصرهم بل يزيدون و ينقصون و منهم رضي الله عنهم الفقراء و لا عدد يحصرهم أيضا بل يكثرون و يقلون قال تعالى تشريفا لجميع الموجودات و شهادة لهم يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ فالفقراء هم الذين يفتقرون إلى كل شيء من حيث إن ذلك الشيء هو مسمى الله فإن الحقيقة تأبى أن يفتقر إلى غير الله و قد أخبر الله أن الناس فقراء إلى الله على الإطلاق و الفقر حاصل منهم فعلمنا إن الحق قد ظهر في صورة كل ما يفتقر إليه فيه فلا يفتقر إلى الفقراء إلى الله بهذه الآية شيء و هم يفتقرون إلى كل شيء فالناس محجوبون بالأشياء عن الله و هؤلاء السادة ينظرون الأشياء مظاهر الحق تجلى فيها لعباده حتى في أعيانهم فيفتقر الإنسان إلى سمعه و بصره و جميع ما يفتقر إليه من جوارحه و إدراكاته ظاهرا و باطنا و قد أخبر الحق في الحديث الصحيح أن الله سمع العبد و بصره و يده فما افتقر هذا الفقير إلا إلى الله في افتقاره إلى سمعه و بصره فسمعه و بصره إذا مظهر الحق و مجلاه و كذلك جميع الأشياء بهذه المثابة فما ألطف سريان الحق في الموجودات و سريان بعضها في بعض و هو قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ فالآيات هنا دلالات إنها مظاهر للحق فهذا حال الفقراء إلى الله لا ما يتوهمه من لا علم له بطريق القوم فالفقير من يفتقر إلى كل شيء و إلى نفسه و لا يفتقر إليه شيء فهذه أسنى الحالات قال أبو يزيد يا رب بما ذا أتقرب إليك قال بما ليس لي الذلة و الافتقار قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أي ليتذللوا لي و لا يتذللوا لي حتى يعرفوني في الأشياء فيذلوا لي لا لمن ظهرت فيهم أو ظهرت أعيانهم بكونهم مظاهر لي فوجودهم أنا و ما يشهدون من أعيانهم سوى وجودهم فاعلم ذلك و الله المرشد منور البصائر و منهم رضي الله عنهم الصوفية و لا عدد لهم يحصرهم بل يكثرون و يقلون و هم أهل مكارم الأخلاق يقال من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف مقامهم الاجتماع على قلب واحد أسقطوا الياءات الثلاثة فلا يقولون لي و لا عندي و لا متاعي أي لا يضيفون إلى أنفسهم شيئا أي لا ملك لهم دون خلق الله فهم فيما في أيديهم على

السواء مع جميع ما سوى الله مع تقرير ما بأيدي الخلق للخلق لا يطلبونهم بهذا المقام و هذه الطبقة هي التي يظهر عليهم خرق العوائد عن اختيار منهم ليقيموا الدلالة على التصديق بالدين و صحته في مواضع الضرورة و قد عاينا مثل هذا من هذه الطائفة في مناظرة فيلسوف و منهم من يفعل ذلك لكونه صار عادة لهم كسائر الأمور المعتادة عند أهلها فما هي في حقهم خرق عادة و هي في المعتاد العام خرق عادة فيمشون على الماء و في الهواء كما نمشي نحن و كل دابة على الأرض لا يحتاج في ذلك في العموم إلى نية و حضور إلا الملامية و الفقراء فإنهم لا يمشون و لا يخطو أحد منهم خطوة و لا يجلس إلا بنية و حضور لأنه لا يدري من أين يكون أخذ الله لعباده و قد كان صلى الله عليه و سلم كثيرا ما يقول في دعائه أعوذ بالله أن اغتال من تحتي و إن كانوا على أفعال تقتضي لهم الأمان كما هي أفعال الأنبياء من الطاعات لله و الحضور مع الله و لكن لا يأمنون أن يصيب الله عامة عباده بشيء فيعم الصالح و الطالح لأنها دار بلاء و يحشر كل شخص على نيته و مقامه و قد أخبر الله بقتل الأمم أنبياءها و رسلها و أهل القسط من الناس و ما عصمهم الله من بلاء الدنيا فالصوفية هم الذين حازوا مكارم الأخلاق ثم إنهم رضي الله عنهم علموا إن الأمر يقتضي أن لا يقدر أحد على إن يرضي عباد الله بخلق و إنه مهما أرضى زيدا ربما أسخط عمرا فلما رأوا أن حصول مقام عموم مكارم الأخلاق مع الجميع محال نظروا من أولى أن يعامل بمكارم الأخلاق و لا يلتفت إلى من يسخطه ذلك لم يجدوا إلا الله و أحباءه من الملائكة و البشر المطهر من الرسل و الأنبياء و أكابر الأولياء من الثقلين فالتزموا مكارم الأخلاق معهم ثم أرسلوها عامة في سائر الحيوانات و النباتات و ما عدا أشرار الثقلين و الذي يقدرون عليه من مكارم الأخلاق مما أبيح لهم أن يصرفوه مع أشرار الثقلين فعلوه و بادروا إليه و هو على الحقيقة ذلك الخلق مع الله إلا في إقامة الحدود إذا كانوا حكاما و أداء الشهادات إذا تفرضت عليهم فاعلم ذلك و منهم رضي الله عنهم العباد و هم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مثنيا عليهم وَكانُوا لَنا عابِدِينَ و لم يكونوا يؤدون سوى الفرائض و من هؤلاء المنقطعون بالجبال و الشعاب و السواحل و بطون الأودية و يسمون السياح و منهم من يلازم بيته و صلاة الجماعات و يشتغل بنفسه و منهم صاحب سبب و منهم تارك السبب و هم صلحاء الظاهر و الباطن قد عصموا من الغل و الحسد و الحرص و الشرة المذموم و صرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة و لا رائحة عندهم من المعارف الإلهية و الأسرار و مطالعة الملكوت و الفهم عن الله في آياته حين تتلى غير أن الثواب لهم مشهود و القيامة و أهوالها و الجنة و النار مشهودتان دموعهم في محاريبهم تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً شغلهم هول المعاد عن الرقاد ضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً ليسوا من الإثم و الباطل في شيء عمال و أي

عمال عاملوا الحق بالتعظيم و الإجلال سمعت بعضهم رضي الله عنهم و عنه و هو أبو عبد الله الطبخي و إلى وجدة يتأوه و ينشد ما قاله عمر بن عبد العزيز

حتى متى لا ترعوي و إلى متى و إلى متى

ما بعد أن سميت كهلا و استلبت اسم الفتى

لا ترعوي لنصيحة فإلى متى و إلى متى

و كان منهم خليفة من بنى العباس هرب من الخلافة من العراق و أقام بقرطبة من بلاد الأندلس إلى أن درج و دفن بباب عباس منها يقال له أبو وهب الفاضل خرج فضائله شيخنا أبو القاسم خلف بن بشكوال رحمه الله فذكر فيها عنه إنه كان كثيرا ما ينشد لنفسه

برئت من المنازل و القباب فلم يعسر على أحد حجابي

فمنزلي الفضاء و سقف بيتي سماء الله أو قطع السحاب

فأنت إذا أردت دخلت بيتي على مسلما من غير باب

لأني لم أجد مصراع باب يكون من السماء إلى التراب

و لا انشق الثرى عن عود تخت أؤمل أن أشد به ثيابي

و لا خفت الإباق على عبيدي و لا خفت الرهاص على دوابي

و لا حاسبت يوما قهرمانا فأخشى أن أغلت في الحساب

ففي ذا راحة و بلاغ عيش فدأب الدهر ذا أبدا و دأبي

كان خالنا أبو مسلم الخولاني رحمه الله من أكابرهم كان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده و يقول لرجليه أنتما أحق بالضرب من دابتي أ يظن أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم أن يفوزوا بمحمد صلى الله عليه و سلم دوننا و الله لازاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا لقينا منهم جماعة كثيرة ذكرناهم في كتبنا و رأينا من أحوالهم ما تضيق الكتب عنها و منهم رضي الله عنهم الزهاد و هم الذين تركوا الدنيا عن قدرة و اختلف أصحابنا فيمن ليس عنده بيده من الدنيا شيء و هو قادر على طلبها و جمعها غير أنه لم يفعل و ترك الطلب فهل يلحق بالزهاد أم لا فمن قائل من أصحابنا إنه يلحق بالزهاد و من قائل لا زهد إلا في حاصل فإنه ربما لو حصل له شيء منها ما زهد فمن رؤسائهم إبراهيم بن أدهم و حديثه مشهور و كان بعض أخوالي منهم

كان قد ملك مدينة تلمسان يقال له يحيى بن يغان لو كان في زمنه رجل فقيه عابد منقطع من أهل تونس يقال له أبو عبد الله التونسي كان بموضع خارج تلمسان يقال له للعباد كان قد انقطع بمسجد يعبد الله فيه و قبره مشهور بها يزار فبينا هذا الصالح يمشي بمدينة تلمسان بين المدينتين أقادير و المدينة الوسطى إذ لقيه خالنا يحيى بن يغان ملك المدينة في خوله و حشمه فقيل له هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته فمسك لجام فرسه و سلم على الشيخ فرد عليه السلام و كان على الملك ثياب فاخرة فقال له يا شيخ هذه الثياب التي أنا لابسها تجوز لي الصلاة فيها فضحك الشيخ فقال له الملك مم تضحك قال من سخف عقلك و جهلك بنفسك و حالك ما لك تشبيه عندي إلا بالكلب يتمرغ في دم الجيفة و أكلها و قذارتها فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول و أنت وعاء مليء حراما و تسأل عن الثياب و مظالم العباد في عنقك قال فبكى الملك و نزل عن دابته و خرج عن ملكه من حينه و لزم خدمة الشيخ فمسكه الشيخ ثلاثة أيام ثم جاءه بحبل فقال له أيها الملك قد فرغت أيام الضيافة قم فاحتطب فكان يأتي بالحطب على رأسه و يدخل به السوق و الناس ينظرون إليه و يبكون فيبيع و يأخذ قوته و يتصدق بالباقي و لم يزل في بلده ذلك حتى درج و دفن خارج تربة الشيخ و قبره اليوم بها يزار فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو لهم يقول لهم التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان فإنه ملك فزهد و لو ابتليت بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهد قال بعض الملوك في حال نفسه و قد تزهد و انقطع إلى الله تعالى

أنا في الحال الذي قد تراه ... إن تأملت أحسن الناس حالا

منزلي حيث شئت من مستقر الأرض ... أسقى من المياه الزلالا

ليس لي والد و لا لي مولود ... أراه و لا أرى إلى عيالا

أجعل الساعد اليمين وسادي ... فإذا ما انقلبت كان الشمالا

قد تلذذت حقبة بأمور ... لو تدبرتها لكانت خيالا

فهؤلاء الزهاد هم الذين آثروا الحق على الخلق و على نفوسهم فكل أمر لله فيه رضي و إيثار قاموا به و أقبلوا عليه و ما كان للحق عنه إعراض أعرضوا عنه تركوا القليل رغبة في الكثير ليس للزهاد خروج عن هذا المقام في الزهد فإن خرجوا فلم يخرجوا من كونهم زهادا بل من مقام آخر و قد ينطلق اسم الزهد في اصطلاح القوم على ترك كل ما سوى الله من دنيا و آخرة كأبي يزيد سئل عن الزهد فقال ليس بشيء لا قدر له عندي ما كنت زاهدا سوى ثلاثة أيام أول يوم زهدت في الدنيا و الثاني زهدت في الآخرة و ثالث يوم زهدت في كل ما سوى الله فنوديت ما ذا تريد فقلت أريد أن لا أريد لأني أنا المراد و أنت المريد فجعل ترك كل ما سوى الله زهدا و منهم رضي الله

عنهم رجال الماء و هم قوم يعدون الله في قعور البحار و الأنهار لا يعلم بهم كل أحد أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي و كان صدوقا ثقة عارفا بما ينقل ضابطا حافظا لما ينقل عن الشيخ أبي السعود بن الشبلي إمام وقته في الطريق قال كنت بشاطئ دجلة بغداد فخطر في نفسي هل لله عباد يعبدونه في الماء قال فما استتممت الخاطر إلا و إذا بالنهر قد انفلق عن رجل فسلم علي و قال نعم يا أبا السعود لله رجال يعبدون الله في الماء و أنا منهم أنا رجل من تكريت و قد خرجت منها لأنه بعد كذا و كذا يوما يقع فيها كذا و كذا و يذكر أمرا يحدث فيها ثم غاب في الماء فلما انقضت خمسة عشر يوما وقع ذلك الأمر على صورة ما ذكره ذلك الرجل لأبي السعود و أعلمني بالأمر ما كان و منهم رضي الله عنهم الأفراد و لا عدد يحصرهم و هم المقربون بلسان الشرع كان منهم محمد الأواني يعرف بابن قائد لوانة من أعمال بغداد من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلي و كان هذا ابن قائد يقول فيه عبد القادر معربد الحضرة كان يشهد له عبد القادر الحاكم في هذه الطريقة المرجوع إلى قوله في الرجال أن محمد بن قائد الأواني من المفردين و هم رجال خارجون عن دائرة القطب و خضر منهم و نظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله و هم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه و لا يشهدون سوى ما عرفوا منه ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم و هم على الحقيقة ما عرفوا سواهم و لا وقفوا إلا معهم هم و كل ما سوى الله بهذه المثابة مقامهم بين الصديقية و النبوة الشرعية و هو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا كأبي حامد و أمثاله لأن ذوقه عزيز هو مقام النبوة المطلقة و قد ينال اختصاصا و قد ينال بالعمل المشروع و قد ينال بتوحيد الحق و الذلة له و ما ينبغي من تعظيم جلال المنعم بالإيجاد و التوحيد كل ذلك من جهة العلم و له كشف خاص لا يناله سواهم كالخضر فإنه كما قلنا من الأفراد و محمد صلى الله عليه و سلم كان قبل أن يرسل و ينبأ من الأفراد الذين نالوا الأمر بتوحيد الحق و تعظيم جلاله و الانقطاع إليه و ذلك أنه يحصل في نفوسهم أعني في نفوس من هذا طريقهم إن الله كما أنعم عليه بالإيجاد و أسباب الخير هو قادر على أن يبقى له و عليه نعمة البقاء في الخير الدائم و السعادة حيث أراد و إن لم يعلم أن ثم آخرة و لا أن الدنيا لها نهاية أم لا و لا إيمان عنده بشيء من هذا لأنه ما كشف له عن ذلك فإذا أطلعه الحق على الأمور حينئذ التحق بالمؤمنين بما هو الأمر عليه مما لا يدرك بالنظر الفكري فلو كان في زمان جواز نبوة الشرائع لكان صاحب هذا المقام منهم كالخضر في زمانه و عيسى و الياس و إدريس و أما اليوم فليس إلا المقام الذي ذكرناه و الرسالة و نبوة الشرائع قد انقطعت و لو كانت الأنبياء و الرسل في قيد الحياة في هذا الزمان لكانوا بأجمعهم داخلين تحت حكم الشرع المحمدي و أما الرسالة و نبوة الشرائع العامة أعني المتعدية إلى الأمم و الخاصة بكل نبي فاختصاص إلهي في الأنبياء و الرسل لا ينال بالاكتساب و لا بالتعمل فخطاب الحق قد ينال بالتعمل و الذي يخاطب به إن كان شرعا يبلغه أو يخصه ذلك هو الذي نقول فيه لا ينال بالتعمل و لا

بالكسب و هو الاختصاص الإلهي المعلوم و كل شرع ينال به عامله هذه المرتبة فإن نبي ذلك الشرع من أهل هذا المقام و هو زيادة على شريعة نبوته له فضلا من الله و نعمة و هو لمحمد صلى الله عليه و سلم بالقطع و كل شرع لا ينال العامل به هذا المقام فإن نبي ذلك الشرع لم يحصل له هذا المقام الذي حصل لغيره من أنبياء الشرائع قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و قال جل جلاله تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ في وجوه منها هذا قال الخضر لموسى في هذا المقام وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً فإن موسى في ذلك الوقت لم يكن له هذا المقام الذي نفاه عنه العدل بقوله و تعديل الله إياه بما شهد له به من العلم و ما رد عليه موسى في ذلك و لا أنكر عليه بل قال له سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ الله صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً فإنه قال له قبل ذلك هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً قال له الخضر إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ثم أنصفه في العلم و قال له يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلم يكن للخضر نبوة التشريع التي للأنبياء المرسلين و لا أدري بعد هذا الاجتماع هل حصل لموسى من جانب الحق ذلك المقام الذي كان لخضر أم لا لا علم لي بذلك فرحم الله عبدا أطلعه الحق على أن موسى قد أحاط بالعلم الذي ناله الخضر بعد ذلك و حصل له هذا المقام خبرا فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا و نسبه إلى نفسه لا إلي و منهم رضي الله عنهم الأمناء قال النبي صلى الله عليه و سلم إن لله أمناء و قال في أبي عبيدة ابن الجراح إنه أمين هذه الأمة

و مستخبر عن سر ليلي رددته ... بعمياء من ليلي بغير يقين

يقولون خبرنا فأنت أمينها ... و ما أنا إن أخبرتهم بأمين

هم طائفة من الملامية لا تكون الأمناء من غيرهم و هم أكابر الملامتية و خواصهم فلا يعرف ما عندهم من أحوالهم لجريهم مع الخلق بحكم العوائد المعلومة التي يطلبها الايمان بما هو إيمان و هو الوقوف عند ما أمر الله به و نهى على جهة الفرضية فإذا كان يوم القيامة و ظهرت مقاماتهم للخلق و كانوا في الدنيا مجهولين بين الناس قال النبي صلى الله عليه و سلم إن لله أمناء و كان الذي أمنوا عليه ما ذكرناه و لو لا إن الخضر أمره الله أن يظهر لموسى عليه السلام بما ظهر ما ظهر له بشيء من ذلك فإنه من الأمناء و لما عرض الله الأمانة على الإنسان و قبلها كان بحكم الأصل ظلوما جهولا فإنه خوطب بحملها عرضا لا أمرا فإن حملها جبرا أعين عليها مثل هؤلاء فالأمناء حملوها جبرا لا عرضا فإنه جاءهم الكشف فلا يقدرون أن يجهلوا ما علموا و لم يريدوا أن يتميزوا عن الخلق لأنه ما قيل لهم في ذلك أظهروا شيئا منه و لا لا تظهروه فوقفوا على هذا الحد فسموا أمناء و يزيدون على سائر الطبقات أنهم لا يعرف بعضهم بعضا بما عنده فكل واحد يتخيل في صاحبه أنه من عامة المؤمنين و هذا ليس إلا لهذه الطائفة خاصة لا يكون ذلك لغيرهم و منهم رضي الله عنهم

القراء أهل الله و خاصته و لا عدد يحصرهم قال النبي صلى الله عليه و سلم أهل القرآن هم أهل الله و خاصته و أهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل به و حفظوا حروفه فاستظهروه حفظا و عملا كان أبو يزيد البسطامي منهم حدث أبو موسى الديبلي عنه بذلك أنه ما مات حتى استظهر القرآن فمن كان خلقه القرآن كان من أهله و من كان من أهل القرآن كان من أهل الله لأن القرآن كلام الله و كلامه علمه و علمه ذاته وبال هذا المقام سهل بن عبد الله التستري و هو ابن ست سنين و لهذا كان بدؤه في هذا الطريق سجود القلب و كم من ولي لله كبير الشأن طويل العمر مات و ما حصل له سجود القلب و لا علم إن للقلب سجودا أصلا مع تحققه بالولاية و رسوخ قدمه فيها فإن سجود القلب إذا حصل لا يرفع أبدا رأسه من سجدته فهو ثباته على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة و هو ثابت عليها فأكثر الأولياء يرون تقليب القلب من حال إلى حال و لهذا سمي قلبا و حب هذا المقام و إن تقلبت أحواله فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب و لهذا لما دخل سهل بن عبد الله عبادان على الشيخ قال له أ يسجد القلب قال الشيخ إلى الأبد فلزم سهل خدمته فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من شاء من عباده كما قال يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ فكل أمر منه إلى خلقه سبحانه من مقامات القربة في ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و سعادة بمجرد توحيد و من يبعث أمة وحده إنما هو من عناية الله به و منته عليه فإن توفيق الله للعبد في اكتساب ما قد قضى باكتسابه منة الله بذلك على عبده و اختصاص و كم من ولي قد تعرض لنيل أمر من ذلك و لم تسبق له عناية من الله في تحصيله فحيل بينه و بين حصوله مع التعمل فأهل القرآن هم أهل الله فلم يجعل لهم صفة سوى عينه سبحانه و لا مقام أشرف ممن كان عين الحق صفته على علم منه و منهم رضي الله عنهم الأحباب و لا عدد لهم بحصرهم بل يكثرون و يقلون قال تعالى فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فمن كونهم محبين ابتلاهم و من كونهم محبوبين اجتباهم و اصطفاهم أعني في هذه الدار و في القيامة و أما في الجنة فليس يعاملهم الحق إلا من كونهم محبوبين خاصة و لا يتجلى لهم إلا في ذلك المقام و هذه الطائفة على قسمين قسم أحبهم ابتداء و قسم استعملهم في طاعة رسوله طاعة لله فأثمرت لهم تلك محبة الله إياهم قال تعالى من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و قال لمحمد صلى الله عليه و سلم قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فهذه محبة قد نتجت لم تكن ابتداء و إن كانوا أحبابا كلهم

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

فلا خفاء فيما بينهم من المنازل و ما من مقام من المقامات و إلا و أهله فيه بين فاضل و مفضول و هؤلاء الأحباب علامتهم الصفاء فلا يشوب ودهم كدر أصلا و لهم الثبات على هذه القدم مع الله و هم مع الكون بحسب ما يقام فيه ذلك الكون من محمود و مذموم شرعا

فيعاملونه بما يقتضيه الأدب فهم يوالون في الله و يعادون في الله تعالى فالموالاة من حيث وجود المكون و المعاداة و الذم من حيث عين المتكون لا من حيث ما اتصف به من الكون لأن الكون كون الله فهم يحكمون و لا يحكمون قد مكنهم الله من أنفسهم و أقامهم في حضرة الأدب فهم الأدباء الجامعون للخيرات يقول الله تعالى فيمن ادعى هذا المقام يا عبدي هل عملت لي عملا قط فيقول العبد يا رب صليت و جاهدت و فعلت و فعلت و يصف من أحوال الخير فيقول الله له ذلك لك فيقول العبد يا رب فما هو العمل الذي هو لك فيقول هل واليت في وليا أو عاديت في عدوا و هذا هو إيثار المحبوب قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و قال لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ من حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ (أَبْناءَهُمْ أَوْ) إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ فهم أهل التأييد و القوة ورد في الخبر الصحيح وجبت محبتي للمتحابين في و المتجالسين في و المتباذلين في و المتزاورين في و منهم رضي الله عنهم المحدثون و عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم و كان في زماننا منهم أبو العباس الخشاب و أبو زكرياء البجاى بالمعرة بزاوية عمر بن عبد العزيز بدير النقيرة و هم صنفان صنف يحدثه الحق من خلف حجاب الحديث قال تعالى وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ و هذا الصنف على طبقات كثيرة و الصنف الآخر تحدثهم الأرواح الملكية في قلوبهم و أحيانا على آذانهم و قد يكتب لهم و هم كلهم أهل حديث فالصنف الذي تحدثه الأرواح الطريق إليه بالرياضات النفسية و المجاهدات البدنية بأي وجه كان و من كان فإن النفوس إذا صفت من كدر الوقوف مع الطبع التحقت بعالمها المناسب لها فأدركت ما أدركت الأرواح العلى من علوم الملكوت و الأسرار و انتقش فيها جميع ما في العالم من المعاني و حصلت من الغيوب بحسب الصنف الروحاني المناسب لها فإن الأرواح و إن جمعهم أمر واحد فلكل روح مقام معلوم فهم على درجات و طبقات فمنهم الكبير و الأكبر كجبريل و إن كان من أكابرهم فميكائيل أكبر منه و منصبه فوق منصبه و إسرافيل أكبر من ميكائيل و جبريل أكبر من إسماعيل فالذي على قلب إسرافيل منه يأتي الإمداد إليه و هو أعلى من الذين هم على قلب ميكائيل فكل محدث من هؤلاء يحدثهم الروح المناسب لهم و كم من محدث لا يعلم من يحدثه فهذا من آثار صفاء النفوس و تخليصها من الوقوف مع الطبع و ارتفاعها عن تأثير العناصر و الأركان فيها فهي نفس فوق مزاج بدنها وقع قوم بهذا القدر من الحديث و لكن ما هو شرط في السعادة الإيمانية في الدار الآخرة لأنه تخليص نفسي فإن كان هذا المحدث أتى جميع هذه الصفات التي أوجبت له التخليص من الطبع بالطريقة المشروعة و الاتباع النبوي و الايمان الجزم اقترنت بالحديث السعادة فإن انضاف إلى ذلك الحديث الحديث مع الرب من الرب تعالى إليهم كان من الصنف الأول الذي ذكرنا أنه على طبقات في الحديث قال بعضهم

يا مؤنسي بالليل إن هجع الورى ومحدثي من بينهم بنهار

فذكر هذا القائل أن حديثه مع الله و حديث الله معه إنه من بينيتهم لا أنه كلمه على ألسنتهم قال تعالى نُودِيَ من شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ من الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا الله و قال تعالى وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً فأكده بالمصدر لرفع الإشكال هذا هو المطلوب بالحديث في هذه الطريقة و أما قوله تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فذلك لأهل السماع من الحق في الأشياء لا من بين الأشياء لأن بينية الأشياء عبارة عن النسب و هي أمور عدمية لا وجودية فإذا كان الحديث منها كان بلا واسطة و إذا كان من الأشياء فذلك قوة الفهم عن الله ورد في الخبر الصحيح أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا عين قوله فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و الذي نطلبه في هذا الطريق كلام الله من بين الأشياء لا في الأشياء و لا من الأشياء و إن كان هو عين وجود الأشياء فإنه ليس عين الأشياء فالأعيان في الموجودات هيولى لها أو أرواح لها و الوجود ظاهر تلك الأرواح و صور تلك الأعيان الهيولائية فالوجود كله حق ظاهر و باطنه الأشياء فالحديث الإلهي من بين الأشياء أوضح عند السامع في الدلالة إنه هو المكلم من أن يكلمنا في الأشياء فافهم و الله تعالى الملهم و منهم رضي الله عنهم الأخلاء و لا عدد يحصرهم بل يكثرون و يقلون قال الله تعالى وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا و قال النبي صلى الله عليه و سلم لو كنت متخذا خليلا لا لاتخذت أبا بكر خليلا و لكن صاحبكم خليل الله و المخاللة لا تصح إلا بين الله و بين عبده و هو مقام الاتحاد و لا تصح المخاللة بين المخلوقين و أعني من المخلوقين من المؤمنين و لكن قد انطلق اسم الأخلاء على الناس مؤمنيهم و كافريهم قال تعالى الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ فالخلة هنا للعاشرة و قد ورد أن المرء على دين خليله و قيل في مقام الخلة

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

و إنما قلنا لا تصح الخلة إلا بين الله و بين عبده لأن أعيان الأشياء متميزة و كون الأعيان وجود الحق لا غير و وجود الشيء لا يمتاز عن عينه فلهذا لا تصح الخلة إلا بين الله و عبيده خاصة إذ هذا الحال لا يكون بين المخلوقين لأنه لا يستفاد من مخلوق وجود عين فاعلم ذلك و اعلم أن شروط الخلة لا تصح بين المؤمنين و لا بين النبي و تابعيه فإذا لم تصح شروطها لا تصح هي في نفسها و لكن في دار التكليف فإن النبي و المؤمن بحكم الله لا بحكم خليله و لا بحكم نفسه و من شروط الخلة أن يكون الخليل بحكم خليله و هذا لا يتصور مطلقا بين المؤمنين و لا بين الرسل و أتباعهم في الدار الدنيا و المؤمن تصح الخلة بينه و بين الله و لا تصح بينه و بين الناس لكن تسمى المعاشرة التي بين الناس إذا تأكدت في غالب الأحوال خلة فالنبي ليس له خليل و لا هو صاحب لاحد سوى نبوته و كذلك المؤمن ليس له خليل و لا صاحب سوى إيمانه كما إن الملك ليس هو صاحب أحد سوى ملكه فمن كان بحكم ما يلقى إليه و لا يتصرف إلا عن أمر إلهي فلا

يكون خليلا لا حد و لا صاحبا أبدا فمن اتخذ من المؤمنين خليلا غير الله فقد جهل مقام الخلة و إن كان عالما بالخلة و الصحبة و وفاها حقها مع خليله و هو حاكم فقد قدح في إيمانه لما يؤدي ذلك إليه من إبطال حقوق الله فلا خليل إلا الله فالمقام عظيم و شأنه خطير و الله الموفق لا رب غيره و منهم رضي الله عنهم السمراء و لا عدد يحصرهم و هم صنف خاص من أهل الحديث قال تعالى وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ و هذا الصنف لا حديث لهم مع الأرواح فحديثهم مع الله من قوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ فجليسهم من الأسماء الإلهية المدبر المفصل و هم من أهل الغيب في هذا المقام لا من أهل الشهادة و منهم رضي الله عنهم الورثة و هم ثلاثة أصناف ظالم لنفسه و مقتصد و سابق بالخيرات قال تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا من عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ الله ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ و قال صلى الله عليه و سلم العلماء ورثة الأنبياء و كان شيخنا أبو مدين يقول في هذا المقام من علامات صدق المريد في إرادته فراره عن الخلق و من علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق و من علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق و هذا هو حال الوارث للنبي صلى الله عليه و سلم فإنه كان يخلو بغار حراء ينقطع إلى الله فيه و يترك بيته و أهله و يفر إلى ربه حتى فجئه الحق ثم بعثه الله رسولا مرشدا إلى عباده فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته و مثل هذا يسمى وارثا فالوارث الكامل من ورثه علما و عملا و حالا فأما قوله تعالى في الوارث للمصطفى إنه ظالِمٌ لِنَفْسِهِ يريد حال أبي الدرداء و أمثاله من الرجال الذين ظلموا أنفسهم لأنفسهم أي من أجل أنفسهم حتى يسعدوها في الآخرة و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا فإذا صام الإنسان دائما و سهر ليله و لم ينم فقد ظلم نفسه في حقها و عينه في حقها و ذلك الظلم لها من أجلها و لهذا قال ظالم لنفسه فإنه أراد بها العزائم و ارتكاب الأشد لما عرف منها و من جنوحها إلى الرخص و البطالة و جاءت السنة بالأمرين لأجل الضعفاء فلم يرد الله تعالى بقوله ظالِمٌ لِنَفْسِهِ الظلم المذموم في الشرع فإن ذلك ليس بمصطفى و أما الصنف الثاني من ورثة الكتاب فهو المقتصد و هو الذي يعطي نفسه حقها من راحة الدنيا ليستعين بذلك على ما يحملها عليه من خدمة ربها في قيامه بين الراحة و أعمال البر و هو حال بين حالين بين العزيمة و الرخصة ففي قيام الليل يسمى المقتصد متهجدا لأنه يقوم و ينام و على مثل هذا تجري أفعاله و أما السابق بالخيرات و هو المبادر إلى الأمر قبل دخول وقته ليكون على أهبة و استعداد و إذا دخل الوقت كان متهيئا لأداء فرض الوقت لا يمنعه من ذلك مانع كالمتوضئ قبل دخول الوقت و الجالس في المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإذا دخل الوقت كان على طهارة و في المسجد فيسابق إلى أداء فرضه و هي الصلاة و كذلك إن كان له مال أخرج زكاته و عينها ليلة فراغ الحول و دفعها لربها في أول ساعة من الحول الثاني للعامل الذي يكون عليها و كذلك في جميع أفعال البر كلها يبادر إليها كما قال النبي

صلى الله عليه و سلم لبلال بم سبقتني إلى الجنة فقال بلال ما أحدثت قط إلا توضأت و لا توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بهما فهذا و أمثاله من السابق بالخيرات و هو كان حال رسول الله صلى الله عليه و سلم بين المشركين في شبابه و حداثة سنه و لم يكن مكلفا بشرع فانقطع إلى ربه و تحنث و سابق إلى الخيرات و مكارم الأخلاق حتى أعطاه الله الرسالة (وصل) و اعلم أن الله تعالى قد وصف أقواما من النساء و الرجال بصفات أذكرها إن شاء الله إذ كان الزمان لا يخلو أبدا عن رجال و نساء قائمين بهذا الوصف مثل قوله إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ ثم قال أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً فأعد الله لهم المغفرة قبل وقوع الذنب المقدر عليهم عناية منه فدل ذلك على أنهم من العباد الذين لا تضرهم الذنوب و قد ورد في الصحيح من الخبر الإلهي اعمل ما شئت فقد غفرت لك فما وقعت من مثل هؤلاء الذنوب إلا بالقدر المحتوم لا انتهاكا للحرمة الإلهية قيل لأبي يزيد أ يعصي العارف قال وَ كانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً فتقع المعصية من العارفين أهل العناية بحكم التقدير لنفوذ القضاء السابق فلا بد من ذكر هؤلاء الأصناف ليتبين من هو المسلم و المسلمة و المؤمن و المؤمنة و من وصف الله منهم الذين لهم هذه المرتبة من أعداد المغفرة لهم و الأجر العظيم قبل وقوع الذنب منهم و قبل حصول العمل و أمر قد عظمه الله لا يكون إلا عظيما و كذلك قوله فَأُولئِكَ (مَعَ) الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ من النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ و كذلك قوله تعالى التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ و قد ذكرنا العباد ثم قال الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ و السياحة في هذه الأمة الجهاد و قد قال تعالى في خليله إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ فلا بد من ذكر الأواهين و الحلماء و قال فيه لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ فأثنى عليه بالإنابة و قال فيه إِنَّهُ أَوَّابٌ! فذكره بالأوبة فهؤلاء الأصناف لا بد من ذكرهم في هذا الباب ليقع عند السامع تعيين هذه الصفة و منزلة هذا الموصوف بها و كذلك أولو النهى و أولو الأحلام و أولو الألباب و أولو الأبصار فما نعتهم الله بهذه النعوت سدى و المتصفون بهذه الأوصاف قد طالبهم الحق بما تقتضيه هذه الصفات و ما تثمر لهم من المنازل عند الله فإن هذا الباب باب شريف من أشرف أبواب هذا الكتاب يتضمن ذكر الرجال و علوم الأولياء و نحن نستوفيها إن شاء الله أو نقارب استيفاء ذلك على القدر الذي رسم لنا و عينه الحق تعالى في واقعتنا فإن المبشرات هي التي أبقى الله لنا من آثار النبوة التي سد بابها و قطع أسبابها فقذف به في قلوبنا و نفث به الروح المؤيد القدسي في نفوسنا و هو الإلهام الإلهي و العلم اللدني نتيجة الرحمة التي أعطاها الله من عنده من شاء من عباده فمنهم رضي الله عنهم الأولياء قال تعالى أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ مطلقا و لم يقل في الآخرة فالولي من كان على بينة من ربه في حاله فعرف ما له بأخبار الحق

إياه على الوجه الذي يقع به التصديق عنده و بشارته حق و قوله صدق و حكمه فصل فالقطع حاصل فالمراد بالولي من حصلت له البشرى من الله كما قال تعالى لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و أي خوف و حزن يبقى مع البشرى بالخير الذي لا يدخله تأويل فهذا هو الذي أريد بالولي في هذه الآية ثم إن أهل الولاية على أقسام كثيرة فإنها أعم فلك إحاطي فنذكر أهلها من البشر إن شاء الله و هم الأصناف الذين نذكرهم مضافا إلى ما تقدم في هذا الباب من ذكرهم ممن حصرتهم الأعداد و من لا يحصرهم عدد انتهى الجزء السابع و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

فمن الأولياء رضي الله عنهم الأنبياء صلوات الله عليهم تولاهم الله بالنبوة و هم رجال اصطنعهم لنفسه و اختارهم لخدمته و اختصهم من سائر العباد لحضرته شرع لهم ما تعبدهم به في ذواتهم و لم يأمر بعضهم بأن يعدي تلك العبادات إلى غيرهم بطريق الوجوب فمقام النبوة مقام خاص في الولاية فهم على شرع من الله أحل لهم أمور أو حرم عليهم أمورا قصرها عليهم دون غيرهم إذ كانت الدار الدنيا تقتضي ذلك لأنها دار الموت و الحياة و قد قال تعالى الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ و التكليف هو الابتلاء فالولاية نبوة عامة و النبوة التي بها التشريع نبوة خاصة تعم من هو بهذه المثابة من هذا الصنف و هي مقام الرفعة في الخطاب الإلهي إذا لم يؤمر لا غير لا في المشاهدة فمقام النبوة علو في الخطاب و من الأولياء رضوان الله عليهم الرسل صلوات الله و سلامه عليهم تولاهم الله بالرسالة فهم النبيون المرسلون إلى طائفة من الناس أو يكون إرسالا عاما إلى الناس و لم يحصل ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه و سلم فبلغ عن الله ما أمره الله بتبليغه في قوله يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ و ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ فمقام التبليغ هو المعبر عنه بالرسالة لا غير و ما توقفنا عن الكلام في مقام الرسول و النبي صاحب الشرع إلا إن شرط أهل الطريق فيما يخبرون عنه من المقامات و الأحوال أن يكون عن ذوق و لا ذوق لنا و لا لغيرنا و لا لمن ليس بنبي صاحب شريعة في نبوة التشريع و لا في الرسالة فكيف نتكلم في مقام لم نصل إليه و على حال لم نذقه لا أنا و لا غيري ممن ليس بنبي ذي شريعة من الله و لا رسول حرام علينا الكلام فيه فما نتكلم إلا فيما لنا فيه ذوق فما عدا هذين المقامين فلنا الكلام فيه عن ذوق لأن الله ما حجره و من الأولياء أيضا الصديقون رضي الله عن الجميع تولاهم الله بالصديقية قال تعالى في الذين آمنوا بالله و رسوله أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ فالصديق من آمن بالله و رسوله عن قول المخبر لا عن دليل سوى النور الإيماني الذي يجده في قلبه المانع له من تردد أو شك يدخله في قول المخبر الرسول و متعلقة على الحقيقة الايمان بالرسول و يكون الايمان بالله على جهة القربة لا على إثباته إذ كان بعض الصديقين قد ثبت عندهم وجود الحق ضرورة أو نظرا و لكن ما ثبت كونه قربة و هذه الآية تدل

على شرف إثبات الوجود ثم إن الرسول إذا آمن به الصديق آمن بما جاء به ومما جاء به توحيد الإله و هو قوله قولوا لا إله إلا الله أو فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الله فعلم أنه واحد في ألوهيته من حيث قوله فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الله فذلك يسمى إيمانا و يسمى المؤمن به على هذا الحد صديقا فإن نظر في دليل يدل على صدق قوله فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الله و عثر على توحيده بعد نظره فصدق الرسول في قوله و صدق الله في قوله له لا إله إلا الله فليس بصديق و هو مؤمن عن دليل فهو عالم فقد بان لك منزل الصديقية و أن الصديق هو صاحب النور الإيماني الذي يجده ضرورة في عين قلبه كنور البصر الذي جعله الله في البصر فلم يكن للعبد فيه كسب كذلك نور الصديق في بصيرته و لهذا قال أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ من حيث الشهادة وَنُورُهُمْ من حيث الصديقية فجعل النور للصديقية و الأجر للشهادة و هي بنية مبالغة في التصديق و الصديق كشريب و خمير و سكير فليس بين النبوة التي هي نبوة التشريع و الصديقية مقام و لا منزلة فمن تخطي رقاب الصديقين وقع في النبوة الرسالية و من ادعى نبوة التشريع بعد محمد صلى الله عليه و سلم فقد كذب بل كذب و كفر بما جاء به الصادق رسول الله صلى الله عليه و سلم غير أن ثم مقام القربة و هي النبوة العامة لا نبوة التشريع فيثبتها نبي التشريع فيثبتها الصديق لإثبات النبي المشرع إياها لا من حيث نفسه و حينئذ يكون صديقا كمسألة موسى و الخضر و فتى موسى الذي هو صديقه و لكل رسول صديقون إما من عالم الإنس و الجان أو من أحدهما فكل من آمن عن نور في قلبه ليس له دليل من خارج سوى قول الرسول قل و لا يجد توقفا و بادر فذلك الصديق فإن آمن عن نظر و دليل من خارج أو توقف عند القول حتى أوجد الله ذلك النور في قلبه فآمن فهو مؤمن لا صديق فنور الصديق معد قبل وجود المصدق به و نور المؤمن غير الصديق يوجد بعد قول الرسول قل لا إله إلا الله و نور المؤمن يكونه قربة بعد النظر في الدليل الذي أعطاه العلم بالتوحيد فهو في علمه بالتوحيد صاحب نور علم لا نور إيمان و هو في كون ذلك العلم و النظر قربة إلى الله صاحب نور إيمان فإن نور العلم بتوحيد الله قد شهدوا الله بتوحيده قبل ذلك و الرسل منهم قد وحدوه قبل أن يكونوا أنبياء و رسلا فإن الرسول ما أشرك قط قال تعالى شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ و لم يقل و أولو الايمان فرتبة العلم فوق رتبة الايمان بلا شك و هي صفة الملائكة و الرسل و قد يكون حصول ذلك العلم عن نظر أو ضرورة كيفما كان فيسمى علما إذ لا قائل و لا مخبر يلزم التصديق بقوله و هذا المقام الذي أثبتناه بين الصديقية و نبوة التشريع الذي هو مقام القربة و هو للافراد هو دون نبوة التشريع في المنزلة عند الله و فوق الصديقية في المنزلة عند الله و هو المشار إليه بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر ففضل به الصديقين إذ حصل له ما ليس من شرط الصديقية و لا من لوازمها فليس بين أبي بكر و رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل لأنه صاحب صديقية و صاحب سر فهو من كونه صاحب سر بين الصديقية و نبوة التشريع و يشارك فيه فلا يفضل عليه من يشاركه

فيه بل هو مساو له في حقيقته فافهم ذلك و من الأولياء أيضا الشهداء رضي الله عن جميعهم تولاهم الله بالشهادة و هم من المقربين و هم أهل الحضور مع الله على بساط العلم به قال تعالى شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ فجمعهم مع الملائكة في بساط الشهادة فهم موحدون عن حضور إلهي و عناية أزلية فهم الموحدون و شأنهم عجيب و أمرهم غريب و الايمان فرع عن هذه الشهادة فإن بعث رسول و آمنوا به أعني هؤلاء الشهداء فهم المؤمنون العلماء و لهم الأجر التام يوم القيامة و إن لم يؤمنوا فليس هم الشهداء الذين أنعم الله عليهم في قوله فَأُولئِكَ (مَعَ) الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ من النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً و لو لا قوله وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ألحقنا هؤلاء الشهداء بحصول النعمة التي لأصحاب هذه الآية فإنهم و إن كانوا موحدين غير مؤمنين مع وجود الرسول إليهم لم تحسن مرافقتهم للمؤمنين فإنهم يشوشون على المؤمنين إيمانهم و هؤلاء الشهداء الذين تعمهم هذه الآية هم العلماء بالله المؤمنون بعد العلم بما قال سبحانه إذ ذلك قربة إليه من حيث قاله الله أو قاله الرسول الذي جاء من عند الله فقدم الصديق على الشهيد و جعله بإزاء النبي فإنه لا واسطة بينهما لاتصال نور الايمان بنور الرسالة و الشهداء لهم نور العلم مساوق لنور الرسول من حيث ما هو

شاهد لله بتوحيده لا من حيث هو رسول فلا يصح أن يكون بعده مع المساوقة فكانت المساوقة تبطل و لا يصح أن يكون معه لكونه رسولا و الشاهد ليس برسول فلا بد أن يتأخر فلم يبق إلا أن يكون في الرتبة التي تلي الصديقية فإن الصديق أتم نورا من الشهيد في الصديقية لأنه صديق من وجهين من وجه التوحيد و من وجه القربة و الشهيد من وجه القربة خاصة لا من وجه التوحيد فإن توحيده عن علم لا عن إيمان فنزل عن الصديق في مرتبة الايمان و هو فوق الصديق في مرتبة العلم فهو المتقدم في رتبة العلم المتأخر برتبة الايمان و التصديق فإنه لا يصح من العالم أن يكون صديقا و قد تقدم العلم مرتبة الخبر فهو يعلم أنه صادق في توحيد الله إذا بلغ رسالة الله و الصديق لم يعلم ذلك إلا بنور الايمان المعد في قلبه فعند ما جاءه الرسول اتبعه من غير دليل ظاهر فقد عرفت منازل الشهداء عند الله و من الأولياء رضي الله عنهم الصالحون تولاهم الله بالصلاح و جعل رتبتهم بعد الشهداء في المرتبة الرابعة لكن الشكل دائرة كما رسمناه في الهامش فالنبوة ابتدأ بها حتى انتهى إلى الصلاح و نهاية الشكل المستدير إذا كان مجعولا ترتبط بالبداية حتى تصح الدائرة و ما من نبي إلا و قد ذكر أنه صالح أو أنه دعا أن يكون من الصالحين مع كونه نبيا فدل على أن رتبة الصلاح خصوص في النبوة فقد تحصل لمن ليس بنبي و لا صديق و لا شهيد فصلاح الأنبياء هو مما يلي بدايتهم و هو عطف الصلاح عليهم فهم صالحون للنبوة فكانوا أنبياء و أعطاهم الدلالة فكانوا شهداء و أخبرهم بالغيب فكانوا صديقين فالأنبياء صلحت لجميع هذه المقامات فكانوا صالحين

فجمعت الرسل جميع المقامات كما صلح الصديقون للصديقية و صلح الشهداء للشهادة و كل موجود فهو صالح لما وجد له غير أن هؤلاء الصالحين الذين أثنى الله عليهم بأنه أنعم عليهم هم المطلوبون في هذا المقام و هم المنخرطون في سلك هذا النمط فهم رابعوا أربعة و أراد بالنبيين هنا الرسل أهل الشرع سواء بعثوا أو لم يبعثوا أعني بطريق الوجوب عليهم فالصالحون هم الذين لا يدخل علمهم بالله و لا إيمانهم بالله و بما جاء من عند الله خلل فإن دخله خلل بطل كونه صالحا فهذا هو الصلاح الذي رغبت فيه الأنبياء صلوات الله عليهم فكل من لم يدخله خلل في صديقيته فهو صالح و لا في شهادته فهو صالح و لا في نبوته فهو صالح و الإنسان حقيقته الإمكان فله إن يدعو بتحصيل الصلاح له في المقام الذي يكون فيه لجواز دخول الخلل عليه في مقامه لأن النبي لو كان نبيا لنفسه أو لإنسانيته لكان كل إنسان بتلك المثابة إذ العلة في كونه نبيا كونه إنسانا فلما كان الأمر اختصاصا إلهيا جاز دخول الخلل فيه و جاز رفعه فصح إن يدعو الصالح بأن يجعل من الصالحين أي الذين لا يدخل صلاحهم خلل في زمان ما فهذا نعني بالصالحين في هذا الباب و الله الموفق و من الأولياء أيضا رضي الله عنهم المسلمون و المسلمات و هكذا كل طائفة ذكرناهم منهم الرجال و النساء تولاهم الله بالإسلام و هو انقياد خاص لما جاء من عند الله لا غير فإذا و في العبد الإسلام بجميع لوازمه و شروطه و قواعده فهو مسلم و إن انتقص شيئا من ذلك فليس بمسلم فيما أخل به من الشروط قال رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و اليد هنا بمعنى القدرة أي سلم المسلمون مما هو قادر على أن يفعل بهم مما لا يقتضيه الإسلام من التعدي لحدود الله فيهم فأتى بالأعم و ذكر اللسان لأنه قد يؤذي بالذكر من لا يقدر على إيصال الأذى إليه بالفعل و هو البهتان هنا خاصة لا الغيبة فإنه قال المسلمون فلو قال الناس لدخلت الغيبة و غير ذلك من سوء القول فلم يثبت الشارع الإسلام إلا لمن سلم المسلمون و هم أمثاله في السلامة فالمسلمون هم المعتبر في هذا الحديث و هم المقصود فإن المسلمين لا يسلمون من لسان من يقع فيهم إلا حتى يكونوا أبرياء مما نسب إليهم و لذلك فسرناه بالبهتان فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال إذا قلت في أخيك ما ليس فيه فذلك البهتان و في رواية فقد نبهته فخاب سهمك الذي رميته به فإنه ما وجد منفذا فإنك نسبت إليه ما ليس هو عليه فسماهم الله مسلمين فمن وقع فيمن هذه صفته فليس بمسلم لأن ذلك الوصف الذي وصفه المسلم به و رماه به و لم يكن المسلم محلا له عاد على قائله فلم يكن الرامي له بمسلم فإنه ما سلم مما قال إذ صار عليه سهم كلامه الذي رماه به قال صلى الله عليه و سلم من قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما و قال تعالى في حق قوم قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ قال الله فيهم أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَلكِنْ لا يَعْلَمُونَ فأعاد الصفة عليهم لما لم يكن المسلمون المؤمنون أهل سفه أي ضعف رأى في إيمانهم فعاد ما نسبوه من ضعف الرأي الذي هو السفه إليهم فليس المسلم إلا من سلم من جميع العيوب الأصلية و الطارئة فلا يقول في

أحد شرا و لا يؤثر فيه إذا قدر عليه شرا أصلا و ليس إقامة الحدود بشر فإنه خير إذ جعل الله إقامة الحدود كشرب الدواء للمريض لأجل العافية و زوال المرض فهو و إن كان كريها في الوقت فإن عاقبته محمودة فما قصد الطبيب بشرب الدواء شرا للمريض و إنما أعطاه سبب حصول العافية فيتحمل ما فيه من الكراهة في الوقت كذلك إقامة الحدود و أما القصاص في مثل قوله وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فلا يخرجه ذلك عن الإسلام فإن النبي صلى الله عليه و سلم اشترط سلامة المسلمين و من آذاك ابتداء عن قصد منه فليس بمسلم فإنك ما سلمت منه و النبي صلى الله عليه و سلم يقول من سلم المسلمون فلا يقدح القصاص في الإسلام فإنك ما آذيت مسلما من حيث آذاك فإن المسلم لا يؤذي المسلم بل أسقط عنه القصاص في الدنيا القصاص في الآخرة فقد أنعم عليه بضرب من النعم فإن عَفا وَأَصْلَحَ و لم يؤاخذه و تجاوز عن سيئته فذلك المقام العالي و أجره على الله بشرط ترك المطالبة في الآخرة و حق الله ثابت قبله لأنه تعدى حده فقدح في إسلامه قدر ما تعدى فيه فإن عصى المسلم ربه في غير المسلم هل يكون مسلما بذلك أم لا قلنا لا يكون مسلما فإن الله يقول إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ و المسلم لا يكون ملعونا فلقائل أن يقول هنا بالمجموع كانت اللعنة و نحن إنما قلنا من آذى الله وحده قلنا كل من آذى الله وحده في زعمه فقد آذى المسلمين فإن المسلم يتأذى إذا سمع في الله من القول ما لا يليق به فهو مؤاخذ من جهة ما تأذى به المسلمون من قولهم في الله ما لا يليق به فإن قيل فإن لم يعرف ذلك المسلمون منه حتى يتأذوا من ذلك قلنا حكم ذلك حكم الغيبة فإنه لو عرف من اغتيب تأذى و هو مؤاخذ بالغيبة فهو مؤاخذ بإيذائه الله و إن لم يعرف بذلك مسلم قال صلى الله عليه و سلم لا أحد أصبر على أذى من الله المسلم من كان بهذه المثابة و هو السعيد المطلق وَقَلِيلٌ ما هُمْ و من الأولياء أيضا رضي الله عنهم المؤمنون و المؤمنات تولاهم الله بالإيمان الذي هو القول و العمل و الاعتقاد و حقيقته الاعتقاد شرعا و لغة و هو في القول و العمل شرعا لا لغة فالمؤمن من كان قوله و فعله مطابقا لما يعتقده في ذلك الفعل و لهذا قال في المؤمنين نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يريد ما قدموه من الأعمال الصالحة عند الله فأولئك من الذين أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً قال صلى الله عليه و سلم المؤمن من أمنه الناس على أموالهم و أنفسهم و قال صلى الله عليه و سلم المؤمن من أمن جاره بوائقه و لم يخص مؤمنا و لا مسلما بل قال الناس و الجار من غير تقييد فإن المسلم قيده بسلامة المسلمين ففرق بين المسلم و المؤمن بما قيده به و بما أطلقه فعلمنا إن للإيمان خصوص وصف و هو التصديق تقليدا من غير دليل ليفرق بين الايمان و العلم و اعلم أن المؤمن المصطلح عليه في طريق الله عند أهله الذي اعتبره الشرع له علامتان في نفسه إذا وجدهما كان من المؤمنين العلامة الواحدة أن يصير الغيب له كالشهادة في عدم الريب فيما يظهر على المشاهد لذلك الأمر الذي وقع به الايمان من الإيثار في نفس المؤمن كما يقع في نفس المشاهد له فيعلم أنه مؤمن بالغيب و العلامة الثانية أن يسرى الأمان منه في

نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أموالهم و أنفسهم و أهليهم من غير أن تتخلل ذلك الأمان تهمة في أنفسهم من هذا الشخص و انفعلت لأمانة النفوس فذلك هو المشهود له بأنه من المؤمنين و مهما لم يجد هاتين العلامتين فلا يغالط نفسه و لا يدخلها في المؤمنين فليس إلا ما ذكرناه و من الأولياء أيضا القانتون لله و القانتات رضي الله عنهم تولاهم الله بالقنوت و هو الطاعة لله في كل ما أمر به و نهى عنه و هذا لا يكون إلا بعد نزول الشرائع و ما كان منه قبل نزول الشرائع فلا يسمى قنوتا و لا طاعة و لكن يسمى خيرا و مكارم خلق و فعل ما ينبغي قال الله تعالى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ أي طائعين فأمر بطاعته و قال تعالى وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ و قال تعالى أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ و ليس يرث الصالح من الأرض إلا إتيانها لله طائعة مع السماء حين قال لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فورث العباد منها الطاعة لله و هي المعبر عنها بالقنوت إذ الساجدون لله على قسمين منهم من يسجد طوعا و منهم من يسجد كرها فالقانت يسجد طوعا و تصحيح طاعتهم لله و قنوتهم أن يكون الحق لهم بهذه المثابة للموازنة كما قال فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا فالحق مع العبد على قدر ما هو العبد مع الحق وقفت يوما أنا و عبد صالح معي يقال له الحاج مدور يوسف الإستجي كان من الأمين المنقطعين إلى الله المنورة بصائرهم على سائل يقول من يعطي شيئا لوجه الله ففتح رجل صرة دراهم كانت عنده و جعل ينتقي له من بين الدراهم قطعة صغيرة يدفعها للسائل فوجد ثمن درهم فأعطاه إياه و هذا العبد الصالح ينظر إليه فقال لي يا فلان تدري على ما يفتش هذا المعطي قلت لا قال على قدره عند الله لأنه أعطى السائل لوجه الله فعلى قدر ما أعطى لوجهه ذلك قيمته عند ربه و لكن من شرط القانت عندنا أنه يطيع الله من حيث ما هو عبد الله لا من حيث ما وعده الله به من الأجر و الثواب لمن أطاعه و أما الأجر الذي يحصل للقانت فذلك من حيث العمل الذي يطلبه لا من حيث الحال الذي أوجب له القنوت قال الله تعالى في القانتات من نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ فالأجر هنا للعمل الصالح الذي عملته و كان مضاعفا في مقابلة قوله تعالى في حقهن يا نِساءَ النَّبِيِّ من يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ لمكانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لفعل الفاحشة كذلك ضوعف الأجر للعمل الصالح و مكانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و بقي القنوت معرى عن الأجر فإنه أعظم من الأجر فإنه ليس بتكليف و إنما الحقيقة تطلبه و هو حال يستصحب العبد في الدنيا و الآخرة و لهذا قال إِنْ كُلُّ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً يعني يوم القيامة فالقنوت مع العبودية في دار التكليف لا مع الأجر ذلك هو القنوت المطلوب و الحق إنما ينظر للعبد في طاعته بعين باعثه على تلك الطاعة و لهذا قال تعالى آمرا وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ و لم يسم أجرا و لا جعل القنوت إلا من أجله لا من أجل أمر آخر فهؤلاء هم القانتون و القانتات و من الأولياء أيضا الصادقون و الصادقات

رضي الله عنهم تولاهم الله بالصدق في أقوالهم و أحوالهم فقال تعالى رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فهذا من صدق أحوالهم و الصدق في القول معلوم و هو ما يخبر به و صدق الحال ما يفي به في المستأنف و هو أقصى الغاية في الوفاء لأنه شديد على النفس فلا يقع الوفاء به في الحال و القول إلا من الأشداء الأقوياء و لا سيما في القول فإنك لو حكيت كلاما عن أحد كان بالفاء فجعلت بدله واوا لم تكن من هذه الطائفة فانظر أغمض هذا المقام و ما أقواه فإن نقلت الخبر على المعنى تعرف السامع إنك نقلت على المعنى فتكون صادقا من حيث إخبارك عن المعنى عند السامع و لا تسمى صادقا من حيث نقلك لما نقلته فإنك ما نقلت عين لفظ من نقلت عنه و لا تسمى كاذبا فإنك قد عرفت السامع أنك نقلت المعنى فأنت مخبر للسامع عن فهمك لا عمن تحكي عنه فأنت صادق عنده في نقلك عن فهمك لا عن الرسول أو من تخبر عنه إن ذلك مراده بما قال فالصدق في المقال عسير جدا قليل من الناس من يفي به إلا من أخبر السامع أنه ينقل على المعنى فيخرج عن العهدة فالصدق في الحال أهون منه إلا أنه شديد على النفوس فإنه يراعي جانب الوفاء لما عاهد من عاهد عليه و قد قرن الله الجزاء بالصدق و السؤال عنه فقال لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ و لكن بعد أن يسأل الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ فإذا ثبت لهم جازاهم به و جزاؤهم به هو صدق الله فيما وعدهم به فجزاء الصدق الصدق الإلهي و جزاء ما صدق فيه من العمل و القول بحسب ما يعطيه ذلك العمل أو القول فهذا معنى الجزاء و أما السؤال عنه فمن حيث إضافة الصدق إليهم لأنه قال تعالى عَنْ صِدْقِهِمْ و ما قال عن الصدق فإن أضاف الصادق إذا سأل صدقه إلى ربه لا إلى نفسه و كان صادقا في هذه الإضافة إنها وجدت منه في حين صدقه في ذلك الأمر في الدار الدنيا ارتفع عنه الاعتراض فإن الصادق هو الله و هو قوله المشروع لا حول و لا قوة إلا بالله فإذا كانت القوة به و هي الصدق فإضافتها إلى العبد إنما هو من حيث إيجادها فيه و قيامها به و إن قال عند سؤال الحق إياه عن صدقه إنه لما صدق في فعله أو قوله في الدنيا لم يحضر في صدقه إن ذلك بالله كان منه كان صادقا في الجواب عند السؤال و نفعه ذلك عند الله في ذلك الموطن و حشر مع الصادقين و صدق في صدقه و هذا من أغمض ما يحتوي عليه هذا المقام و يطرأ فيه غلط كبير في هذا الطريق و هو أن يقول المريد أو العارف كلاما ما يترجم به عن معنى في نفسه قد وقع له و يكون في قوة دلالة تلك العبارة أن تدل على ذلك المعنى و على غيره من المعاني التي هي أعلى مما وقع له في الوقت ثم يأتي هذا الشخص في الزمان الآخر فيلوح له من مطلق ذلك اللفظ معنى غامض هو أعلى و أدق و أحسن من المعنى الذي عبر عنه بذلك اللفظ أولا فإذا سأل عن شرح قوله ذلك شرحه بما ظهر له في ثاني الحال لا بأول الوضع فيكون كاذبا في أصل الوضع صادقا في دلالة اللفظ فالصادق يقول كان قد ظهر لي معنى ما و هو كذا فأخرجته أو كسوته هذه العبارة ثم إنه لاح لي معنى هو أعلى منه لما نظرت في مدلول هذه العبارة فتركت هذه العبارة عليه أيضا في

الزمان الثاني و لا يقول خلاف هذا و هذا من خفي رياسة النفوس و طلبها للعلو في الدنيا و قد ذم الله من طلب علوا في الأرض فإذا أراد العارف أن يسلم من هذا الخطر و يكون صادقا إذا أراد أن يترجم عن معنى قام له فليحضر في نفسه عند الترجمة أنه يترجم عن الله عن كل ما يحويه ذلك اللفظ من المعاني في علم الله و من جملتها المعنى الذي وقع له فإذا أحضر هذا و لاح له ما شاء الله أن يمنحه من المعاني التي يدل عليها ذلك اللفظ كان صادقا في الشرح أنه قصد ذلك المعنى على الإجمال و الإبهام لأنه لم يكن يعلم على التعيين ما في علم الله مما يدل عليه ذلك اللفظ إحضار مثل هذا عند كل إخبار وقت الإخبار عزيز لسلطان الغفلة و الذهول الغالب على الإنسان فليعود الإنسان نفسه مثل هذا الاستحضار فإنه نافع في استدامة المراقبة و الحضور مع الحق و هذا التنبيه الذي نبهت الصادقين عليه ما يشعر به أكثر أهل طريقنا فإنهم لا يحققون معناه و ربما يتخيلون فيه أنه شبهة فيفرون منه و ليس كذلك بل ذلك هو غاية الأدب البشري مع الله حيث يعبر عما في علم الله فهذا من الأدوية النافعة لهذا المرض لمن استعمله وفقنا الله و السامعين لاستعماله و استعمال أمثاله و من الأولياء أيضا الصابرون و الصابرات رضي الله عنهم تولاهم الله بالصبر و هم الذين حبسوا أنفسهم مع الله على طاعته من غير توقيت فجعل الله جزاءهم على ذلك من غير توقيت فقال تعالى إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ فما وقت لهم فإنهم لم يوقتوا فعم صبرهم جميع المواطن التي يطلبها الصبر فكما حبسوا نفوسهم على الفعل بما أمروا به حبسوها أيضا على ترك ما نهوا عن فعله فلم يوقتوا فلم يوقت لهم الأجر و هم الذين أيضا حبسوا نفوسهم عند وقوع البلايا و الرزايا بهم عن سؤال ما سوى الله في رفعها عنهم بدعاء الغير أو شفاعة أو طب إن كان من البلاء الموقوف إزالته على الطب و لا يقدح في صبرهم شكواهم إلى الله في رفع ذلك البلاء عنهم ألا ترى أيوب سأل ربه رفع البلاء عنه بقوله مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أي أصاب مني فشكا ذلك إلى ربه عز و جل و قال له وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ففي هذه الكلمة إثبات وضع الأسباب و عرض فيها لربه برفع البلاء عنه فاستجاب له ربه و كشف ما به من الضر فأثبت بقوله تعالى فَاسْتَجَبْنا لَهُ أن دعاءه كان في رفع البلاء فكشف ما به من ضُرٍّ و مع هذا أثنى عليه بالصبر و شهد له به فقال إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ أي رجاع إلينا فيما ابتليناه به و أثنى عليه بالعبودية فلو كان الدعاء إلى الله في رفع الضر و رفع البلاء يناقض الصبر المشروع المطلوب في هذا الطريق لم يثن الله على أيوب بالصبر و قد أثنى عليه به بل عندنا من سوء الأدب مع الله أن لا يسأل العبد رفع البلاء عنه لأن فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي بما يجده من الصبر و قوته قال العارف إنما جوعني لأبكي فالعارف و إن وجد القوة الصبرية فليفر إلى موطن الضعف و العبودية و حسن الأدب فإن القوة لله جميعا فيسأل ربه رفع البلاء عنه أو عصمته منه أن توهم وقوعه و هذا لا يناقض الرضاء بالقضاء فإن البلاء إنما هو عين المقضي لا القضاء فيرضى بالقضاء و يسأل الله في

رفع المقضي عنه فيكون راضيا صابرا فهؤلاء أيضا هم الصابرون الذين أثنى الله عليهم و من الأولياء أيضا الخاشعون و الخاشعات رضي الله عنهم تولاهم الله بالخشوع من ذل العبودية القائم بهم لتجلى سلطان الربوبية على قلوبهم في الدار الدنيا فينظرون إلى الحق سبحانه من طَرْفٍ خَفِيٍّ يوجده الله لهم في قلوبهم في هذه الحالة خفي عن إدراك كل مدرك إياه بل لا يشهد ذلك النظر منهم إلا الله فمن كانت حالته هذه في الدار الدنيا من رجل و امرأة فهو الخاشع و هي الخاشعة فيشبه القنوت من وجه إلا أن القنوت يشترط فيه الأمر الإلهي و الخشوع لا يشترط فيه إلا التجلي الذاتي و كلتا الصفتين تطلبهما العبودية فلا يتحقق بهما إلا عبد خالص العبودية و العبودة و له حال ظاهر في الجوارح التي لها الحركات و حال باطن في القلوب فيورث في الظاهر سكونا و يؤثر في الباطن ثبوتا و القنوت يورث في الظاهر بحسب ما ترد به الأوامر من حركة و سكون فإن كان القانت خاشعا فحركته في سكون و لا بد إن ورد الأمر بالتحرك فيورث القنوت في الباطن انتقالات أدق من الأنفاس متوالية مع الأوامر الإلهية الواردة عليه في عالم باطنه فالخاشع في قنوته في الباطن ثبوته على قبول تلك الأوامر الواردة عليه من غير أن يتخللها ما يخرجها عن أن تكون مشهودة لهذا الخاشع فالخاشع و القانت خشوعه و قنوته إخوان متفقان في الموفقين من عباد الله و من الأولياء أيضا المتصدقون و المتصدقات رضي الله عنهم تولاهم الله بجوده ليجودوا بما استخلفهم الله فيه مما افتقر إليه خلق الله فأحوج الله الخلق إليهم لغناهم بالله فالكلمة الطيبة صدقة و لما كان حالهم التعمل في الإعطاء لا العمل دل على أنهم متكسبون في ذلك لنظرهم أن ذلك ليس لهم و إنما هو لله فلا يدعون فيما ليس لهم فلا منة لهم في الذي يوصلونه إلى الناس أو إلى خلق الله من جميع الحيوانات و كل متغذ عليهم لكونهم مؤدين أمانة كانت بأيديهم أوصلوها إلى مستحقيها فلا يرون أن لهم فضلا عليهم فيما أخرجوه و هذه الحالة لا يمدحون بها إلا مع الدوام و الدءوب عليها في كل حال و العارفون هنا في هذه الصفة على طبقتين منهم من يكون عين ما يعطيه مشهودا له أنه حق لمن يعطيه لأن الله ما خلق الأشياء التي يقع بها الانتفاع لنفسه و إنما خلق الخلق للخلق فهذا معنى الاستحقاق و طبقة أخرى يكون مشهودا لهم كون خالق النعمة مختارا فيبطل عندهم الاستحقاق بأنهم يرون أن الله ما خلق الخلق أجمعه إلا لعبادته و لهذا قال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و يسجد له و كان إيصال بعض الخلق للخلق بحكم لتبعية لا بالقصد الأول و إن لم يكن هناك ما يقال فيه قصد أول و لا ثان و لكن العبارات من أجل إبراز الحقائق تعطي ذلك و لله عباد من المتصدقين أقامهم الحق بين هاتين الطبقتين فهم ينظرون في حين كونهم متصدقين الاستحقاق لبقاء عين من تصدق عليه ليصح منه ما خلق له من التسبيح لربه و الثناء عليه و لكن لا من حيث إنه آكل مثلا و لا شارب في حق من يكون بقاؤه بالأكل و الشرب فذلك لا يكون باستحقاق و إنما الاستحقاق ما به بقاؤه و أسبابه كثيرة ثم تنظر هذه الطبقة الثالثة المتولدة بينهما من عين آخر معا و هو أن تنظر إلى

الحق من حيث ما تقتضيه ذاته فيرتفع عندها الاختيار و ترى أن المظاهر الإلهية هي المسبحة فلا يسبح الله إلا الله و لا يحمده إلاهو فهو ثناء ذاتي لا ثناء افتقار لاكتساب ثناء فهؤلاء أحق باسم المتصدقين من غيرهم حيث أثبتوا أعيانهم و نفوا أحكامهم و الله الهادي و من الأولياء أيضا الصائمون و الصائمات رضي الله عنهم تولاهم الله بالإمساك الذي يورثهم الرفعة عند الله تعالى عن كل شيء أمرهم الحق أن يمسكوا عنه أنفسهم و جوارحهم فمنه ما هو واجب و مندوب و أما قوله تعالى لهذه الطائفة ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ تنبيها على غاية توقيت الإمساك في عالم الشهادة و هو النهار و الليل ضرب مثال محقق للغيب فإذا وصلوا إلى رتبة مصاحبة عالم الغيب المعبر عنه بالليل لم يصح هنالك الإمساك فإن إمساك النفس و الجوارح إنما هو في المنهيات و هي في عالم الشهادة فإن عالم الغيب أمر بلا نهي و لهذا سموا عالم الأمر و ذلك لأن عالم الغيب عقل مجرد لا شهوة لهم فلا نهي عندهم في مقام التكليف فهم كما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و لم يذكر لهم نهي عن شيء لأن حقائقهم لا تقتضيه فإذا صام الإنسان و انتقل من بشريته إلى عقله فقد كمل نهاره و فارقه الإمساك لمفارقة النهي و التحق بعالم الأمر بعقله فهو عقل محض لا شهوة عندهم ألا ترى إلى ظقوله صلى الله عليه و سلم في حقه إذا أقبل الليل من هاهنا و أدبر النهار من هاهنا و غربت الشمس فقد أفطر الصائم يقول و غربت الشمس عن عالم الشهادة و طلعت على عالم عقله فقد أفطر الصائم أي لم يمتنع فارتفع عنه التحجير لأن عقله لا يتغذى بما أمره الحق بالإمساك عنه و هو حظ طبعه فاعلم ذلك و إذا كان الأمر على هذا الحد و حصلت له الرفعة الإلهية عن حكم طبعه و رفعه التجلي عن حكم فكره إذ كان الفكر من حكم الطبع العنصري و لهذا لا يفكر الملك و يفكر الإنسان لأنه مركب من طبيعة عنصرية و عقل فالعقل من حيث نفسه له التجلي فيرتفع عن حضيض الفكر الطبيعي المصاحب للخيال الآخذ عن الحس و المحسوس قال الشاعر إذا صام النهار و هجرا أي ارتفع النهار فمن ليست له هذه الرفعة عن هذا الإمساك فما هو الصائم المطلوب المسمى عندنا فهذا هو صوم العارفين بالله و هم أهل الله انتهى الجزء الثامن و السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

و من الأولياء الحافظون لحدود الله و الحافظات رضي الله عنهم تولاهم الله بالحفظ الإلهي فحفظوا به ما تعين عليهم إن يحفظوه و هم على طبقتين ذكرهم الله و هم الحافظون فروجهم فعين و خصص و الحافظون لحدود الله فعمم و قال في الحافظين لحدود الله وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ على ذلك و هم الذين حبسوا نفوسهم عند الحدود و لم يتعدوها مطلقا و قال في الحافظين فروجهم أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً أي سترا لأن الفرج عورة تطلب الستر فهو إنباء عن حقيقة قال تعالى قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ فيسترها غيرة و فيها قال وَلِباسُ

التَّقْوى و الوقاية ستر لأنه يتقي بها ما ينبغي أن يتقى منه فجعل التقوى لباسا ينبه أن ذلك ستر و الستر الغفر و العورة هي المائلة يريد المائلة إلى الحق عن نفسه و رؤية شهود وجودها فأمر بستر ذلك من أجل الأدب الإلهي لما نسب إليها من المذام و جعلها من الأسرار المكتومة المستورة ألا ترى النكاح يسمى سرا قال الله تعالى لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا و هذا كله يؤذن بالستر فمن صبر على حفظ الحدود و سترها فإن الله يستره بما تطلبه هذه الحقيقة و اعلم أن الحفظ حفظان و أهله طبقتان و قد يجتمع الحفظان في شخص واحد و قد تنفرد طبقة واحدة بحفظ واحد فلهذا فصل الله بينهما فأطلق في حق طائفة و قيد في حق أخرى ثم إن الذين أطلق في حقهم الحفظ لحدود الله هم على طبقتين فمنهم من عرف الحدود الذاتية فوقف عندها و ذلك العالم الحكيم المشاهد المكاشف صاحب العين السليمة و صاحب هذا المقام قد لا يكون صاحب طريقة معينة لأن الإنسانية تطلبها و منهم من عرف الحدود الرسمية و لم يعلم الحدود الذاتية و هم أرباب الايمان و منهم من عرف الحدود الرسمية و الذاتية و هم الأنبياء و الرسل و من دعا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ من أتباع الرسول صلى الله عليه و سلم فهؤلاء هم الأولى بأن يطلق عليهم الحافظون لحدود الله الذاتية و الرسمية معا و أما الحافظون فروجهم فهم على طبقتين منهم من يحفظ فرجه عما أمر بحفظه منه و لا يحفظه مما رغب في استعماله لأمور إلهية و حكم ربانية أظهرها إبقاء النوع على طريق القربة و منهم من يحفظ فرجه إبقاء على نفسه لغلبة عقله على طبعه و غيبته عما سنه أهل السنن من الترغيب في ذلك فإن انفتح له عين و انفرج له طريق إلى ما تعطيه حقيقة الوضع المرغب في النكاح فذلك صاحب فرج فلم يحفظه الحفظ الذي أشرنا إليه و أما صاحب الشرع الحافظ به فلا بد له من الفتح و لكن إذا اقترنت مع الحفظ الهمة فإن لم تقترن معه الهمة فقد يصل إلى هذا المقام و قد لا يصل جعلنا الله من الحافظين لحدود الله الذاتية و الرسمية فإن الله بكل شيء حفيظ و من الأولياء الذاكرون الله كثيرا و الذاكرات رضي الله عنهم تولاهم الله بإلهام الذكر ليذكروه فيذكرهم و هذا يتعلق بالاسم الآخر و هو صلاة الحق على العبد فالعبد هنا سابق و الحق مصل لأن المقام يقتضيه فإنه قال تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ فأخر ذكره إياهم عن ذكرهم إياه و قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم و قال من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و قال فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فكل مقام إلهي يتأخر عن مقام كوني فهو من الاسم الآخر و من باب قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فالأمر يتردد بين الاسمين الإلهيين الأول و الآخر و عين العبد مظهر لحكم هذين الاسمين و هذا هو الفصل الذي تسميه الكوفيون العماد مثل قوله أنت من قوله كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ فلو لا الاعتماد على عين العبد ما ظهر سلطان هذين الاسمين إذ العين هنالك واحدة لا متحدة و في العبد متحدة لا واحدة فالأحدية لله و الاتحاد للعبد لا الأحدية فإنه لا يعقل العبد إلا بغيره لا بنفسه فلا رائحة له في الأحدية أبدا و الحق قد تعقل له الأحدية و قد تعقل بالإضافة لأن الكل له

بل هو عين الكل لا كلية جمع بل حقيقة أحدية تكون عنها الكثرة و لا يصح هذا إلا في جناب الحق خاصة فلا يصدر عن الواحد أبدا في قضية العقل إلا واحد إلا أحدية الحق فإن الكثرة تصدر عنها لأن أحديته خارجة عن حكم العقل و طوره فأحدية حكم العقل هي التي لا يصدر عنها إلا واحد و أحدية الحق لا تدخل تحت الحكم كيف يدخل تحت الحكم من خلق الحكم و الحاكم لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالذكر أعلى المقامات كلها و الذاكر هو الرجل الذي له الدرجة على غيره من أهل المقامات كما قال تعالى وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ و من الذكر سمي الذكر الذي هو نقيض الأنثى فهو الفاعل و الأنثى منفعلة كحواء من آدم فقد نبهتك بذكر الحق بمن ذكرك من كونه مصليا فحواء عن ذكر بشري صوري إلهي و عيسى عن ذكر روحي ملكي في صورة بشر فذكر حواء أتم بسبب الصورة و ذكر عيسى أتم بالملكية المتجلية في الصورة البشرية المخلوقة على الحضرة الإلهية فجمع بين الصورة و الروح فكان نشأة تمامية ظاهره بشر و باطنه ملك فهو روح الله و كلمته ف لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ أي من أجل الله لمن ظهر من المخلوقين بالعزة فذلوا لهم تحت العزة الإلهية إذ لا يصح ذلة إلا بظهورها فالأعزاء من الخلائق هم مظاهر العزة الإلهية فالمتواضع من تواضع تحت جبروت المخلوقين و الفقير على الحقيقة من افتقر إلى الأغنياء من المخلوقين لأن غنى المخلوق هو مظهر لصفة الحق فالفقير من افتقر إليها و لم يحجبه المظهر عنها و هكذا كل صفة علوية إلهية لا تنبغي إلا لله يكون مظهرها في المخلوقين فإن العلماء بالله يذلون تحت سلطانها و لا يعرف ذلك إلا العلماء بالله فإذا رأيت عارفا بزعم أنه عارف و تراه يتعزز على أبناء الدنيا لما يرى فيهم من العزة و الجبروت فاعلم أنه غير عارف و لا صاحب ذوق و هذا لا يصح إلا للذاكرين الله كثيرا و الذاكرات أي في كل حال هذا معنى الكثير فإنه من الناس من يكون له هذه الحالة في أوقات ما ثم تنحجب فدل انحجابه على أنها لم تكن هذه المعرفة عنده عن ذوق و إنما كانت عن تخيل و توهم و تمثل لا عن تحقق و من الأولياء أيضا التائبون و التائبات و التوابون رضي الله عنهم تولاهم الله بالتوبة إليه في كل حال أو في حال واحد سار في كل مقام و اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه بالتواب لا بالتائب و ذكر محبته للتوابين فقال إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ و هم الراجعون منه إليه و أما من رجع إليه من غيره فهو تائب خاصة فإنه لا يرجع إليه من غيره من هذه صفته إلا إلى عين واحدة و من يرجع منه إليه فإنه يرجع إلى أسماء متعددة في عين واحدة و ذلك هو المحبوب و من أحبه الله كان سمعه و بصره و يده و رجله و لسانه و جميع قواه و محال قواه أي هو عين قواه بل محال قواه فما أحب إلا نفسه و هو أشد الحب من حب الغير فإن حب الغير من حب النفس و ليس حب النفس من حب الغير فالحب الأصلي هو حب الشيء نفسه ف إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ و هو التواب و التوابون مجلى صورة التواب فرأى نفسه فأحبها لأنه الجميل فهو يحب الجمال و الكون مظاهره فما تعلقت محبته إلا به فإن الصور منه و عين العبد في العناية الإلهية غرق فالتائب

راجع إليه من عين المخالفة و لو رجع ألف مرة في كل يوم فما يرجع إلا من المخالفة لي عين واحدة و هو القابل التوب خاصة و التواب ينتقل في الآنات مع الأنفاس من الله إلى الله بالموافقات بل لا يكون إلا كذلك و إن ظهرت في الظاهر ممن هذه صفته عند الله مخالفة فلجهل الناظر بالصورة التي أدخلت عليه الشبهة فإنه يتخيل أنه قد اجتمع معه في الحكم و ما عنده خبر أنه ممن قيل له اعمل ما شئت و أبيح له ما حجر على غيره ثم بين له فقال فقد غفرت لك أي سترتك عن خطاب التحجير فالتواب هو المجهول في الخلق لأنه محبوب و المحب غيور على محبوبه فستره عن عيون الخلق فإنه لو كشفه لعباده و نظروا إلى حسن المعنى في باطنه لأحبوه و لو أحبوه لصرفوا همتهم إليه فآثروا فيه الإقبال عليهم تخلقا حقيقيا من قوله فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فكان سبب إقبال الحق على العبد إقبال العبد على أمر الحق فما ظنك بالمخلوق فهو أسرع في الإقبال عليهم لأنه محل يقبل الأثر فلهذا القبول الصادر منهم لو أحبهم الخلق سترهم فلم يعرفوا فهم العرائس المخدرات خلف حجاب الغيرة فيقال فيهم مذنبون و ليسوا و الله بمذنبين بل مصانين محفوظين و هذا المقام هو مقام التوبة من التوبة أي من التوبة التي يقال في صاحبها تائب بالتوبة التي يقال في صاحبها تواب قال بعضهم في ذلك

يا ربة العود خذي في الغنا و حركي من صوته ما ونى
فإن مسود قميص الدجى لونه الصبح بما لونا
قد تاب أقوام كثير و ما تاب من التوبة إلا أنا

و لنا في هذا المقام على أتم إشارة من قول الأول

ما فاز بالتوبة إلا الذي قد تاب منها و الورى نوم
فمن يتب أدرك مطلوبه من توبة الناس و لا يعلموا

فالتوابون أحباب الله بنص كتابه الناطق بالحق الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ و من الأولياء أيضا المتطهرون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله القدوس بتطهيره فتطهيرهم تطهير ذاتي لا فعلي و هي صفة تنزيه و هو تعمل في الطهارة ظاهرا و في الحقيقة ليس كذلك و لهذا أحبهم الله فإنها صفة ذاتية له يدل عليها اسمه الْقُدُّوسُ السَّلامُ فأحب نفسه و الصورة فيهم مثل الصورة في التوابين و لهذا قرن بينهما في آية واحدة فقال إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فعين محبته لهم ليعلم أن صفة التوبة ما هي صفة التطهير و جاور بينهما لاحدية المعاملة من الله في حقهما من كونه ما أحب سوى نفسه و اعلم أن المتطهر في هذا الطريق من عباد الله الأولياء هو الذي تطهر من كل صفة تحول بينه و بين دخوله على ربه و لهذا شرع في الصلاة الطهارة لأن الصلاة

دخول على الرب لمناجاته و الصفات التي تحول بين العبد و بين دخوله على ربه هي كل صفة ربانية لا تكون إلا لله و كل صفة تدخله على ربه و يقع بها لهذا العبد التطهير فهي صفاته التي لا يستحقها إلا العبد و لا ينبغي أن تكون إلا له و لو خلع الحق عليه جميع الصفات التي لا تنبغي إلا له و لا بد من خلعها عليه لا تبرح ذاته من حيث تجلى الرب له موصوفة بصفاته التي له فإن كان التجلي ظاهرا كان حكم صفاته عليه ظاهرا مثل الخشوع و الخضوع و خمود الجوارح و سكون الأعضاء و الارتعاش الضروري و عدم الالتفات و إن كان التجلي باطنا لقلبه كان أيضا حكم صفاته في باطنه قائما و سواء كان موصوفا في ظاهره في ذلك الحال بصفة ربانية أي حكمها ظاهر عليه من قهره استيلاء أو قبض أو عطاء أو عطف أو حنان فالتجلي في الباطن بصفات العبودة لازم لا ينفك عنه باطن المتطهر أبدا فإن طهارة القلب مثل سجوده إذا تطهر و صح تطهيره لا تنتقض طهارته أبدا و كل من قال في هذا بتجديد طهارة القلب و أن طهارته يدخل عليها في القلب ما ينقضها فهو حديث نفس أعني طهره ما تطهر قط فإن طهارة القلب مؤبدة و هؤلاء هم المتطهرون الذين أحبهم الله و هي حالة مكتسبة يتعمل لها الإنسان فإن التفعل تعمل الفعل ثم الكلام في التعمل في ذلك على صورة ما ذكرناه في التواب سواء آنفا و بالله التوفيق و هو الهادي إلى الصراط المستقيم و من الأولياء أيضا الحامدون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بعواقب ما تعطيه صفات الحمد فهم أهل عاقبة الأمور قال الله تعالى وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ فالحامد من عباد الله من يرى في الحمد المطلق على ألسنة العالم كله سواء كان الحامدون من أهل الله أو لم يكونوا و سواء كان المحمود الله أو كان مما يحمد الناس به بعضهم بعضا فإنه في نفس الأمر يرجع عواقب الثناء كله إلى الله لا إلى غيره فالحمد إنما هو لله خاصة بأي وجه كان فالحامدون الذين أثنى الله عليهم في القرآن هم الذين طالعوا نهايات الأمور في ابتدائها و هم أهل السوابق فشرعوا في حمده ابتداء بما يرجع إليه سبحانه و تعالى جل جلاله من حمد المحجوبين انتهاء فهؤلاء هم الحامدون على الشهود بلسان الحق و من الأولياء أيضا السائحون و هم المجاهدون في سبيل الله من رجال و نساء قال صلى الله عليه و سلم سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال تعالى التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ و السياحة المشي في الأرض للاعتبار برؤية آثار القرون الماضية و من هلك من الأمم السالفة و ذلك أن العارفين بالله لما علموا أن الأرض تزهو و تفخر بذكر الله عليها و هم رضي الله عنهم أهل إيثار و سعى في حق الغير و رأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر لله فيه من عامة الناس و أن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر لزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيداء التي لا يطرقها إلا أمثالهم و سواحل البحار و بطون الأودية و قنن الجبال و الشعاب و الجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها و يعبد فيها غير الله و لذلك جعل النبي صلى الله عليه و سلم سياحة هذه الأمة الجهاد فإن الأرض و إن لم يكفر عليها و لا ذكر الله فيها أحد من

البشر فهي أقل حزنا و هما من الأرض التي عبد غير الله فيها و كفر عليها و هي أرض المشركين و الكفار فكان السياحة بالجهاد أفضل من السياحة في غير الجهاد و لكن بشرط أن يذكر الله عليها و لا بد فإن ذكر الله في الجهاد أفضل من لقاء العدو فيضرب المؤمنون رقابهم و يضرب الكفار رقاب المؤمنين و المقصود إعلاء كلمة الله في الأماكن التي يعلو فيها ذكر غير الله ممن يعبد من دون الله فهؤلاء هم السائحون لقيت من أكابرهم يوسف المغاور الجلاء ساح مجاهدا في أرض العدو عشرين سنة و ممن رابط بثغر الأعداء شاب بجلمانية نشأ في عبادة الله تعالى يقال له أحمد بن همام الشقاق بالأندلس و كان من كبار الرجال مع صغر سنة انقطع إلى الله تعالى على هذه الطريق و هو دون البلوغ و استمر حاله على ذلك إلى أن مات و من الأولياء أيضا الراكعون من رجال و نساء رضي الله عنهم وصفهم الله في كتابه بالراكعين و هو الخضوع و التواضع لله تعالى من حيث هويته سبحانه و لعزته و كبريائه حيث ظهر من العالم إذ كان العارف لا ينظر العالم من حيث عينه و إنما ينظره من حيث هو مظهر لصفات الحق قال الله تعالى كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلٰى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ و قال ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و قال الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحدا منهما قصمته فالعين هالكة و الصفة قائمة فالراكعون ركعوا للصفة لا للعين لأنهم سمعوا الحق يقول من نازعني واحدا منهما قصمته فعلموا أنها صفة الحق لا صفتهم و لهذا أوقع التنازع فيهما فعرفوا من العالم ما لم يعرف العالم من نفسه فلو كان الكبرياء و الجبروت و العزة و العظمة التي يدعيها العزيز الجبار العظيم المتكبر من العباد صفة لهم حقيقة لما ذمهم و لا أخذهم أَخْذَةً رابِيَةً كما أنه لم يأخذهم بكونهم أذلاء خاشعين حقراء محقرين فإن الحقارة و الذلة و الصغار صفتهم فمن ظهر بصفته لم يؤاخذه الله لأنه كيف يؤاخذه إذا ظهر بما هو حق له و لما لم يكن لهم الجبروت و ما في معناه و ظهروا به أهلكهم الله فتحقق عند العارفين أنها صفة الحق تعالى ظهرت فيمن أراد الله أن يشقيه فتواضع العارفون للجبابرة و المتكبرين من العالم للصفة لا لعينهم إذ كان الحق هو مشهودهم في كل شيء حتى الانحناء في السلام عند الملاقاة ربما انحنى العارفون لإخوانهم عند ما يلقونهم في سلامهم فيسر بذلك الشخص الذي ينحني من أجله و سروره إنما هو من جهله بنفسه حيث تخيل أن ذلك الانحناء و الركوع له ممن لقيه إنما هو لما يستحقه من الرفعة فيفعله عامة الأعاجم مقابلة جهل بجهل و عادة و عرفا و هم لا يشعرون و يفعله العارفون مشاهدة جبروت إلهي يجب الانحناء له إذ لا يرون إلا الله قال لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل و الباطل هو العدم بلا شك و الوجود كله حق فما ركع الراكع إلا لحق وجودي باطنه عدم و هو عين المخلوق فإن قلت فالراكع أيضا وجود قلنا صدقت فإن الأسماء الإلهية التي تنسب إلى الحق على مراتب في النسبة بعضها يتوقف على بعض و بعضها لها المهيمنية على بعض و بعضها أعم تعلقا و أكثر أثرا في العالم من بعض و العالم كله مظاهر هذه الأسماء الإلهية فيركع

الاسم الذي هو تحت حيطة غيره من الأسماء للاسم الذي له المهيمنية عليه فيظهر ذلك في الشخص الراكع فكان انحناء حق لحق أ لا ترى الأحاديث الواردة الصحيحة بالفرح الإلهي و التبشبش و النزول و التعجب و الضحك أين هذه الصفات من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و من هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ و أمثال ذلك من صفات العظمة فمن ركع فبهذه الصفة فهي الراكعة و من تعاظم فبتلك الصفة أيضا الإلهية فهي العظيمة و الراكعون من الأولياء على هذا الحد هو ركوعهم و من الأولياء أيضا الساجدون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بسجود القلوب فهم لا يرفعون رءوسهم لا في الدنيا و لا في الآخرة و هو حال القربة و صفة المقربين و لا يكون السجود إلا عن تجل و شهود و لهذا قال له وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ يعني اقتراب كرامة و بر و تحف كما يقول الملك للرجل إذا دخل عليه فحياه بالسجود له بين يديه فيقول له الملك ادنه ادنه حتى ينتهي منه حيث يريد من القربة فهذا معنى قوله وَاقْتَرِبْ في حال السجود أعلاما بأنه قد شاهد من سجد له و أنه بين يديه و هو يقول له اقترب ليضاعف له القربة كما قال من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا إذا كان اقتراب العبد عن أمر إلهي كان أعظم و أتم في بره و إكرامه لأنه ممتثل أمر سيده على الكشف فهذا هو سجود العارفين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يطهر بيته لهم و لأمثالهم فقال عز من قائل أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ و قال لنبيه عليه الصلاة و السلام فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ من السَّاجِدِينَ يريد الذين لا يرفعون رءوسهم أبدا و لا يكون ذلك إلا في سجود القلب و لهذا قال له عقيب قوله وَكُنْ من السَّاجِدِينَ تمم فقال وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فتعرف باليقين من سجد منك و لمن سجدت فتعلم أنك آلة مسخرة بيد حق قادر اصطفاك و طهرك و حلاك بصفاته فصفاته سبحانه طلبته بالسجود لذاته لنسبتها إليه فانظر يا أخي سر ما أشرنا إليه في هذه المسألة إذ كانت النسب أو الصفات أو الأسماء لا تقوم بأنفسها لذاتها فهي طالبة بطلب ذاتي لعين تقوم بها فيظهر حكمها بأن توصف تلك العين بها أو تسمى بها أو تنسب إليها كيف ما شئت من هذا كله فقل وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و كذلك انظر في قوله و تنبه الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ فأشار إلى تنوع الحالات عليه في حال سجوده من غير رفع يتخلل ذلك و لقد رفع و قام و ركع و ثنى السجود و لم يثن حالة من حالات صلاته إلا السجود لشرفه في حق العبد فأكده بتثنيته في كل ركعة فرضا واجبا و ركنا لا ينجبر إلا بالإتيان به و من الأولياء الآمرون بالمعروف من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالأمر بالله إذ كان هو المعروف فلا فرق أن تقول الآمرون بالله أو الآمرون بالمعروف لأنه سبحانه هو المعروف الذي لا ينكر وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ من خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله مع كونهم مشركين و قالوا ما نَعْبُدُهُمْ يعني الآلهة إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى الله زُلْفى فهو المعروف عندهم بلا خلاف في ذلك في جميع النحل و الملل و العقول قال صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه فهو المعروف فمن أمر به فقد أمر بالمعروف و من نهى به فقد نهى عن المنكر

بالمعروف فالآمرون بالمعروف هم الآمرون على الحقيقة بالله فإنه سبحانه إذا أحب عبده كان لسانه الذي يتكلم به و الأمر من أقسام الكلام فهم الآمرون به لأنه لسانهم فهؤلاء هم الطبقة العليا في الأمر بالمعروف و كل أمر بمعروف فهو تحت حيطة هذا الأمر فاعلم ذلك و من الأولياء أيضا الناهون عن المنكر من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالنهي عن المنكر بالمعروف و المنكر الشريك الذي أثبته المشركون بجعلهم فلم يقبله التوحيد العرفاني الإلهي و أنكره فصار مُنْكَراً من الْقَوْلِ وَ زُوراً فلم يكن ثم شريك له عين أصلا بل هو لفظ ظهر تحته العدم المحض فأنكرته المعرفة بتوحيد الله الوجودي فسمي مُنْكَراً من الْقَوْلِ إذ القول موجود و ليس بمنكر عيني فإنه لا عين للشريك إذ لا شريك في العالم عينا و إن وجد قولا و نطقا فهم الناهون عن المنكر و هو عين القول خاصة فليس لمنكر من المنكرات عين موجودة فلهذا وصفهم الله بأنهم الناهون عن المنكر و لكن نهيهم بالمعروف في ذلك و من الأولياء أيضا الحلماء من رجال و نساء رضي الله عنهم و ما من صفة للرجال إلا و للنساء فيها مشرب تولاهم الله بالحلم و هو ترك الأخذ بالجريمة في الحال مع القدرة على ذلك فلم يعجل فإن العجلة بالأخذ عقيب الجريمة دليل على الضجر و حكمه في المستأنف في المشيئة فالحليم هو الذي لا يعجل مع القدرة و ارتفاع المانع و العلم السابق مانع و هو محجوب عن العبد قبل الاتصاف بصفة الحلم فالعبيد على الحقيقة إذا لم يعجلوا بالأخذ عقيب الجريمة مع القدوة هم الحلماء فإنهم لا علم لهم سابق يمنع من وقوع الأخذ لا في نفس الأمر فإن حلم العبد من العلم الإلهي السابق و لا يشعر به العبد حتى تقوم به صفة الحلم فحينئذ يعلم ما أعطاه حكم علم الله في حكمه و لهذا أن تقدمه العلم بذلك لا يسمى حليما على جهة التشريف فالحق يوصف بالحلم لعدم الأخذ لا على طريق التشريف و العبد ينعت بالحليم لعدم الأخذ أيضا و لكن على طريق التشريف لجهله بما في علم الله من ذلك قبل اتصافه بعدم المؤاخذة و الإمهال من غير إهمال فشرف الحق بالعلم لا بالحلم و شرف العبد بالحلم لا بالعلم لجهله بذلك فإن علم قبل قيام صفة الحلم به لم يكن له الحلم تشريفا فالأمر فيه بمنزلة من هو مجبور في اختياره فلا يثني عليه بالاختيار إلا مع رفع العلم عنه بالجبر في ذلك الاختيار سواء لأن الاختيار يناقض الجبر فيعلم الإنسان عند ذلك ما هو المراد بالاختيار و يرى أنه ما ثم في الوجودين إلا الجبر من غير إكراه فهو مجبور غير مكره و هذه المسألة من أعظم المسائل في المعارف و كم هلك فيها من الخلق قديما و حديثا و من الأولياء أيضا الأواهون من رجال و نساء رضي الله عنهم لقيت منهم امرأة بمرشانة لزيتون من بلاد الأندلس تدعى بشمس مسنة تولى الله هذا الصنف بالتأوه مما يجدونه في صدورهم من ردهم لقصورهم من عين الكمال و النفوذ و يكون عن وجود أو عن وجود وجد على مفقود أثنى الله تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام بذلك إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ وَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ فتأوه لما رأى من عبادة قومه ما نحتوه و حلم فلم يعجل بأخذهم على ذلك مع قدرته عليهم بالدعاء عليهم و لهذا سمي حليما فلو لم يقدر و لا

مكنه الله من أخذهم ما سماه سبحانه حليما و لكنه عليه السلام علم أنه في دار الامتزاج و التحول من حال إلى حال فكان يرجو لهم الايمان فيما بعد فهذا سبب حلمه وجود الموطن الذي يقتضي التحول من العبد و القبول من الله فلو علم من قومه ما علم نوح عليه السلام حيث قال وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً ما حلم عنهم فالأواه هو الذي يكثر التأوه لبلواه و لما يقاسيه و يعانيه مما يشاهده و يراه و هو من باب الغيرة و الحيرة و التأوه أمر طبيعي لا مدخل له في الأرواح من حيث عروها عن الامتزاج بالطبع و من الأولياء الأجناد الإلهيون الذين لهم الغلبة على الأعداء من رجال و نساء رضي الله عنهم قال تعالى وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فأضافهم إليه سبحانه من اسمه الملك فهم عبيد الملك و هنا سر فإن العالم أجناده سلط بعضهم على بعض وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ أي ما يحصيهم عددا تولى الله طائفة منهم بالعناية الإلهية فأضافهم إلى نفسه بضمير الكناية عن ذاته و لم يصرح باسم إلهي معين منصوص عليه اكتفاء بتسميتهم جندا و الأجناد لا تكون إلا للملك فبين أنهم أهل عدة إذ كانت العدة من خصائص الأجناد التي تقع بها الغلبة على الأعداء و الأعداء الذين في مقابلة هؤلاء الأجناد الشياطين و الأهواء و المصارف المذمومة كلها و سلطانهم الهوى و عدة هؤلاء الجند التقوى و المراقبة و الحياء و الخشية و الصبر و الافتقار و الميدان الذي يكون فيه المصاف و المقابلة إذا ترا آي الجمعان بينهم و بين الأعداء هو العلم في حق بعض الأجناد و الايمان في حق بعضهم و العلم و الايمان معا في حق الطبقة الثالثة من الجند فإن أجناد الإنابة الذين لهم الغلبة على ثلاث طبقات الطبقة الخاصة العلية أهل علم بتوحيد الله و أهل علم برسول الله عن دليل عقلي برهاني و أهل إيمان مبناه على هذا العلم و الطبقة الثانية أهل علم بتوحيد الله عن دليل قطعي من جهة النظر لا عن علم ضروري يجدونه في نفوسهم فإنه من الجند فلا بد له من آلة يدفع بها العدو المنازع و لا يقدر يدفعه صاحب العلم الضروري لكونه عالما من هذا الوجه من غير دليل فإن العدو ما يندفع إلا بالدليل و ترتيبه و أصحاب العلم بالله من جهة الضرورة طائفة أخرى لا يتميزون في الأجناد و لا يتعرضون لدفع عدو بشبهة قادحة و الطبقة الثالثة أهل إيمان لا أهل علم فهم أهل إيمان يكون عنه خرق عوائد يقوم لهم ذلك مقام الأدلة للعالم فيدفعون بخرق العوائد أعداء الله و أعداءهم كما يدفعه صاحب الدليل فمثل هذه الطبقة هم المسمون جندا و أما المؤمنون الذين ليس عندهم خرق عادة لدفع عدو فليسوا بأجناد و إن كانوا مؤمنين و الجامع لمعرفة هذه الطبقة أن كل شخص يقدر على دفع عدو بآلة تكون عنده فهو من جنده سبحانه و تعالى الذين لهم الغلبة و القهر و هو التأييد الإلهي الذي به يقع ظهورهم على الأعداء قال تعالى فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ و من الأولياء أيضا الأخيار من رجال و نساء رضي الله عنهم قال الله تعالى وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ تولاهم الله بالخيرة قال تعالى أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ جمع خيرة و هي الفاضلة من كل شيء و منه فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ و الفضل يقتضي الزيادة على ما يقع فيه

الاشتراك مما لا يشترك فيه من ليس من ذلك الجنس فالأخيار كل من زاد على جميع الأجناس بأمر لا يوجد في غير جنسه من العلم بالله على طريق خاص لا يحصل إلا لأهل ذلك الجنس ثم في هذا الجنس العالم بهذا العلم الخاص الذي به سموا أخيارا منهم من أعطى الإفصاح عما علمه و منهم من لم يعط الإفصاح عما علمه في نفسه فالذي أعطى الإفصاح أخير ممن هو دونه و هو المستحق بهذا الاسم فإن الخير بالكسر الكلام يقال في فلان كرم و خير أي كرم و فصاحة فإذا أعطى الفصاحة عما عنده اهتدى به من سمع منه فكانت المنفعة به أتم فكان أفضل من غيره فإنه أقرب إلى التشبه بالاسم النافع فاعلم ذلك فقد بينت لك مرتبة الأخيار و لهذا ورد في أوصاف المرسلين لأن الرسول لا بد أن يكون مؤيدا بالنطق ليبين لمن أرسل إليه ما أرسل به إليه فهم الأخيار أي أصحاب هذه الفضيلة و من الأولياء أيضا الأوابون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالأوبة في أحوالهم قال تعالى فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً يقال آبت الشمس لغة في غابت فالرجال الغائبون عند الله فلم يشهد حالهم مع الله أحد من خلق الله فإن الله وصف نفسه بأنه غفور لهم أي ساتر أي يستر مقامهم عن كل أحد سواه لأنهم طلبوا الغيبة عنده حتى لا يكون لهم مشهود سواه سبحانه و الآئب أيضا الذي يأتي القوم ليلا كالطارق و الليل ستر و هم الراجعون إلى الله في كل حال من كل ناحية يقال جاءوا من كل أوبة أي ناحية فالأواب الراجع إلى الله من كل ناحية من الأربع التي يأتي منها إبليس إلى الإنسان من ناحية أيديهم و من خلفهم وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ فهم يرجعون في ذلك كله إلى الله أولا و آخرا فيما ذم و حمد من ذلك و لما اقتضى الأدب أن لا يرجعوا في حصول ما ذم إلى الله و اقتضى لهؤلاء هذا الحال أن يرجعوا فيه إلى الله سمى نفسه غفورا للأوابين أي يغفر لهم هذا القدر الذي يصحبه من مقام آخر من سوء الأدب فالرجال الذين هم بهذه المثابة و هذه الصفة هم الأوابون و من الأولياء أيضا المخبتون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإخبات و هو الطمأنينة قال إبراهيم عليه السلام وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي أي يسكن و الخبت المطمئن من الأرض فالذين اطمأنوا بالله من عباده و سكنت قلوبهم لما اطمأنوا إليه سبحانه فيه و تواضعوا تحت اسمه رفيع الدرجات و ذلوا لعزته و أولئك هم المخبتون الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم في كتابه أن يبشرهم فقال له وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ فإن قيل و من المخبتون فقل الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فهذه صفات المخبتين أي كانوا ساكنين فحركهم ذكر الله بحسب ما وقع به الذكر و صبروا أي حبسوا نفوسهم على ما أصابهم من ذلك و لم يمنعهم ذلك الوجل و لا غلبة الحال عن إقامة الصلاة إذا حضر وقتها على أتم نشأتها لما أعطاهم الله من القوة على ذلك ثم مع ما هم فيه من الصبر على ما نابهم من الشدة فسألهم سائل و هم بتلك المثابة في رزق علمي أو حسي من سد جوعة أو ستر عورة أعطوه مما سألهم منه فلم يشغلهم شأن عن شأن فهذا نعت المخبتين الذي نعتهم الله به و

هم ساكنون تحت مجاري الأقدار عليهم راضون بذلك من خبت النار إذا سكن لهبها و من الأولياء أيضا المنيبون إلى الله من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإنابة إليه سبحانه قال تعالى إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ و الرجال المنيبون هم الذين رجعوا إلى الله من كل شيء أمرهم الله بالرجوع عنه مع شهودهم في حالهم أنهم نواب عن الله في رجوعهم إذ الرجوع عن الكشف إنما هو لله إذ كانت نواصي الخلق بيده يصرفهم كيف يشاء فمن شاهد نفسه في إنابته إلى ربه نائبا عن الله كما ينوب المصلي عن الله في قوله سمع الله لمن حمده و في تلاوته كذلك رجوعه إلى الله في كل حال يسمى منيبا فلهم خصوص هذا الوصف و من الأولياء أيضا المبصرون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالأبصار و هو من صفات خصائص المتقين قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ من الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ فهم علماء أهل تقوى طرأ عليهم خاطر حسن أصله شيطاني فوجدوا له ذوقا خاصا لا يجدونه إلا إذا كان من الشيطان فيذكرهم ذلك الذوق بأن ذلك الخاطر من الشيطان فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ أي مشاهدون له بالذوق فإن اقتضى العلم أخذه و قلب عينه ليحزن بذلك الشيطان أخذه و لم يلتفت منه و كان من المبصرين فعلم كيف يأخذ ما يجب أخذه من ذلك ففرق بينه و بين ما يجب تركه كما قال عيسى عليه السلام لما قال له إبليس حين تصور له على أنه لا يعرفه فقال له يا روح الله قل لا إله إلا الله رجاء منه أن يقول ذلك لقوله فيكون قد أطاعه بوجه ما و ذلك هو الايمان فقال له عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فجمع بين القول و مخالفة غرض الشيطان لا امتثالا لأمر الشيطان فمن عرف كيف يأخذ الأشياء لا يبالي على يدي من جاء الله بها إليه و إن اقتضى العلم رد ذلك في وجهه رده فهذا معنى قوله تَذَكَّرُوا و لا يكون التذكر إلا لمعلوم قد نسي فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ أي رجع إليهم نظرهم الذي غاب عنهم رجع بالتذكر و من الأولياء أيضا المهاجرون و المهاجرات رضي الله عنهم تولاهم الله بالهجرة بأن ألهمهم إليها و وفقهم لها قال تعالى وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فالمهاجر من ترك ما أمره الله و رسوله بتركه و بالغ في ترك ذلك لله خالصا من كل شبهة عن كرم نفس و طواعية لا عن كره و إكراه و لا رغبة في جزاء بل كرم نفس بمقاساة شدائد يلقاها من المنازعين له في ذلك و يسمعونه ما يكره من الكلام طبعا فيتغير عند سماعه و يكون ذلك كله عن اتساع في العلم و الدءوب على مثل هذه الصفة و تقيده في ذلك كله بالوجوه المشروعة لا بأغراض نفسه و يكون به كمال مقامه فإذا اجتمعت هذه الصفات في الرجل فهو مهاجر فإن فاته شيء من هذه الفصول و النعوت فاته من المقام بحسب ما فاته من الحال و إنما قلنا هذا كله و اشترطناه لما سماه الله مهاجرا وَ اللهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فكل ما يدخل تحت هذا اللفظ مما ينبغي أن يكون وصفا حسنا للعبد فيسمى به صاحب هجرة اشترطناه في المهاجر لانسحاب هذه الحقيقة اللفظية في نفس الوضع على ذلك المعنى الذي اشتق من لفظه هذا الاسم و من

الأولياء أيضا المشفقون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإشفاق من خشية ربهم قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ هُمْ من خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ يقال أشفقت منه فإنا مشفق إذ حذرته قال تعالى من عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ أي حذرون من عذاب ربهم غير آمنين يعني وقوعه بهم و لا يقال أشفقت منه إلا في الحذر و يقال أشفقت عليه إشفاقا من الشفقة و الأصل واحد أي حذرت عليه فالمشفقون من الأولياء من خاف على نفسه من التبديل و التحويل فإن أمنه الله بالبشرى مع إشفاقه على خلق الله مثل إشفاق المرسلين على أممهم و من بشر من المؤمنين و هم قوم ذوو كبد رطبة لهم حنان و عطف إذا أبصروا مخالفة الأمر الإلهي من أحد ارتعدت فرائصهم إشفاقا عليه إن ينزل به أمر من السماء و من كان بهذه المثابة فالغالب على أمره إنه محفوظ في أفعاله فلا يتصور منه مخالفة لما تحقق به من صفة الإشفاق فلما كانت ثمرة الإشفاق الاستقامة على طاعة الله أثنى الله عليهم بأنهم مشفقون للتغيير الذي يقوم بنفوسهم عند رؤية الموجب لذلك مأخوذ من الشفق الذي هو حمرة بقية ضوء الشمس إذا غربت أو إذا أرادت الطلوع و من الأولياء الموفون بعهد الله من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالوفاء قال تعالى وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا و قال الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ و هم الذين لا يغدرون إذا عهدوا و من جملة ما سأل قيصر ملك الروم عنه أبا سفيان بن حرب حين سأله عن صفة النبي صلى الله عليه و سلم هل يغدر فالوفاء من شيم خاصة الله فمن أتى في أموره التي كلفه الله أن يأتي بها على التمام و كثر ذلك في حالاته كلها فهو وفي و قد وفى قال تعالى وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى و قال تعالى وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً يقال وفى الشيء وفيا على فعول بضم فاء الفعل إذا تم و كثروهم على أشراف على الأسرار الإلهية المخزونة و لهذا يقال أوفى على الشيء إذا أشرف فمن كان بهذه المثابة من الوفاء بما كلفه الله و أشرف على ما اختزنه الله من المعارف عن أكثر عباده فذلك هو الوفي و من توفاه الله في حياته في دار الدنيا أي آتاه من الكشف ما يأتي للميت عند الاحتضار إذ كانت الوفاة عبارة عن إتيان الموت فإذا طولع العبد على هذه المرتبة أوجبت له الوفاء بعهود الله التي أخذها عليه فقد يكون الوفاء لأهل هذه الصفة سبب الكشف و قد يكون الكشف في حق طائفة منهم سبب الوفاء و من الأولياء أيضا الواصلون ما أمر الله به أن يوصل من رجال و نساء رضي الله عن جميعهم تولاهم الله بالتوفيق بالصلة لمن أمر الله به أن يوصل قال تعالى وَ (الَّذِينَ) يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يعني من صلة الأرحام و أن يصلوا من قطعهم من المؤمنين بما أمكنهم من السلام عليهم فما فوقه من الإحسان و لا يؤاخذ بالجريمة التي له الصفح عنها و التغافل و لا يقطعون أحدا من خلق الله إلا من أمرهم الحق بقطعه فيقطعونه معتقدين قطع الصفة لا قطع ذواتهم فإن الصفة دائمة القطع في حق هؤلاء اتصف بها من اتصف فهم ينتظرون به رحمة الله أن تشمله و الوصل ضد القطع و لما كان الوجود مبنيا على الوصل و لهذا دل العالم على الله و

اتصف بالوجود الذي هو الله فالوصل أصل في الباب و القطع عارض يعرض و لهذا جعل الله بينه و بين عباده حبلا منه إليهم يعتصمون به و يتمسكون ليصح الوصلة بينهم و بين الله سبحانه قال النبي صلى الله عليه و سلم الرحم شجنة من الرحمن أي هذه اللفظة أخذت من الاسم الرحمن عينا و غيبا فمن وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله و قطعه إياها هو قطع الله لا أمر زائد فلما علموا أن الحق تعالى ما دعاهم إليه و لا شرع لهم الطريق الموصل إليه إلا ليسعدوا بالاتصال به فهم الواصلون أهل الأنس و الوصال

فهم الذين همو همو أهل المودة في القديم

و قد ورد في الخبر لا تحاسدوا و لا تدابروا و لا تقاطعوا و كونوا عباد الله إخوانا فنهوا عن التقاطع ألا ترى اتصال الأنفاس داخلها بخارجها يؤذن بالبقاء و الحياة فإذا انقطعت الوصلة بين النفسين فخرج الداخل يطلب دخول الخارج فلم يجده مات الإنسان لانقطاع تلك الوصلة التي كانت بين النفسين فالواصلون ما أمر الله به أن يوصل ذلك هو عين وصلتهم بالله تعالى فأثنى عليهم و من الأولياء أيضا الخائفون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالخوف منه أو مما خوفهم منه امتثالا لأمره فقال وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و أثنى عليهم بأنهم يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ و يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ فإذا خافوه التحقوا بالملإ الأعلى في هذه الصفة فإنه قال فيهم يَخافُونَ رَبَّهُمْ من فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ فمن كان بهذه المثابة تميز مع الملإ الأعلى فمن أدبهم مع الله أنهم خافوا اليوم لما يقع فيه لكون الله خوفهم و منه و لما تحققوا بهذا الأدب أثنى الله عليهم بأنهم يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ فهذا خوف الزمان و أما خوف الحال فهو قوله وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ فهم أهل أدب مع الله وفقوا له حيث وفقهم فإن كثيرا من أهل الله لا يتفطنون لهذا الأدب و لا يعرجون على ما خوفوا به من الأكوان و علقوا أمرهم بالله فهؤلاء لهم لقب آخر غير اسم الخائف و إنما الخائفون الذين استحقوا هذا الاسم فهم الأدباء أوحى الله إلى رسوله موسى عليه السلام يا موسى خفني و خف نفسك يعني هواك و خف من لا يخافني و هم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره فامتثل الأدباء أمر الله فخافوهم في هذا الموطن كما شكروا غير الله من المحسنين إليهم بأمر الله لا من حيث إيصال النعم إليهم على أيديهم فهم في عبادة إلهية في شكرهم و في خوفهم و هذا صراط دقيق خفي على العارفين فما ظنك بالعامة و أما المتوسطون أصحاب الأحوال فلا يعرفونه لأنهم تحت سلطان أحوالهم أو من الأولياء أيضا المعرضون عمن أمرهم الله بالإعراض عنه من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإعراض عنهم قال تعالى وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ و قال فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا و قد علمت هذه الطبقة أنه ما ثم إلا الله فأعرضوا بأمره عن فعله فكانوا أدباء زمانهم و لم يعرضوا بأنفسهم إذ المؤمن لا نفس له ف إِنَّ اللهَ اشْتَرى من الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ فمن ادعى الايمان و زعم أن له نفسا يملكها فليس بمؤمن فقال الحق لمن هذه صفته فأعرض

بها يعني بالنفس التي اشتريتها منك أعرض بها عن من تولى عن ذكرنا ممن لم نشتر منه نفسه لكونه غير مؤمن فقوله الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ أي عن الذي أسقطه الله عن أن يعتبر معرضون لكون الحق أسقط يقال لما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل لغو أي ساقط و منه لغو اليمين لإسقاط الكفارة و المؤاخذة بها فأثنى الله عليهم بالإعراض و إن تحققوا أنه ما ثم إلا الله و من الأولياء أيضا الكرماء من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بكرم النفوس فقال تعالى وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً أي لم ينظروا لما أسقط الله النظر إليه فلم يتدنسوا بشيء منه فمروا به غير ملتفين إليه كراما فما أثر فيهم فإنه مقام تستحليه النفوس و تقبل عليه للمخالفة التي جبلها الله عليها و هذه هي النفوس الآبية أي تأبى الرذائل فهي نفوس الكرام من عباد الله و التحق بهذه الصفة بالملإ الأعلى الذين قال الله فيهم إن صحفه بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ فنعتهم بأنهم كرام فكل وصف يلحقك بالملإ الأعلى فهو شرف في حقك فإن العارفين من عباد الله يجعلون بينهم و بين نعوت الحق عند التخلق بأسمائه ما وصف الله به الملأ الأعلى من تلك الصفة فيأخذونها من حيث هي صفة لعبيد من عباد الله مطهرين لا من حيث هي صفة للحق تعالى فإن شرفهم أن لا يبرحوا من مقام العبودية و هذا الذوق في العارفين عزيز فإن أكثر العارفين إنما يتخلقون بالأسماء الحسنى من حيث ما هي أسماء الله تعالى لا من حيث ما ذكرناه من كون الملإ الأعلى قد اتصف بها على ما يليق به فلا يتخلق العارف بها إلا بعد أن اكتسبت من اتصاف الملإ الأعلى روائح العبودة فمثل هؤلاء لا يجدون في التخلق بها طعما للربوبية التي تستحقها هذه الأسماء فمن عرف ما ذكرناه و عمل عليه ذاق من علم التجلي ما لم يذقه أحد ممن وجد طعم الربوبية في تخلقه و صفات أولياء الله في كتاب الله المودع كلام الله كثيرة و من أعلى الثناء و أكمله ما أوقع الاشتراك فيه بما يدل على المفاضلة و أكثر من هذا التنزل الإلهي ما يكون و لو لا إن الكيان مظاهر الحق فكان نزوله منه إليه لما أطاق العارفون حمل كلام الحق و لا سماعه فجعل نفسه أرحم الراحمين بعباده و أحكم الحاكمين بفصل قضائه و أحسن الخالقين بتقديره و خير الغافرين بستر جلاله و خير الفاتحين لمغالق غيوبه و خير الفاصلين بأحكام حكمته ف هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ بكلايته و بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ بين يديه في بساط جلاله و داعون إليه على بينة منه و بصيرة بما يطلبه حسن بلائه و هم العاملون بأوامره وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بشهادة توحيده بلسان إيمانه و أولو الأبصار بالاعتبار في مخلوقاته و أولو النهى بما زجرهم به في خطابه و أولو الألباب بما حفظهم من الاستمداد لبقاء نوره و هم العارفون عن الناس لما حجبهم به عن الاطلاع إلى سابق علمه و الكاظمون الغيظ لتعدي حدوده و المنفقون مما استخلفهم فيه أداء أمانة لمن شاء من عبيده و المستغفرون بالأسحار عند تجليه من سمائه و الشاكرون لما أسداه من آلائه و الفائزون بما وهبهم من معرفته و السابقون على نجب الأعمال إلى مرضاته و الأبرار بما غمرهم به من إحسانه و المحسنون بما أشهدهم من كبريائه و المصطفون من بين الخلائق باجتبائه

و الأعلون بإعلاء كلمته على كلمة أعدائه و المقربون بين أسمائه و أنبيائه و المتفكرون فيما أخفاه من غامض حكمته في أحكامه و المذكرون من نسي إقراره بربوبيته عند أخذ ميثاقه و الناصرون أهل دينه على من ناواهم فيه ابتغاء منازعته و إن كان بقضائه أولئك عباد الله الذين ليس لأحد عليهم سلطان لكونهم من أهل الحجة البالغة لما تكلموا بالنيابة عنه في كلامه فهو لسانهم و سمعهم و بصرهم و يدهم في نوره و ظلماته و لو تقصينا ما ذكر الله في كتابه من صفات أولياءه و شرحنا ما خصوا به لم يف بذلك الوقت فإذ و لا بد من الاقتصاد في الاقتصار فليكف هذا القدر الذي ذكرناه من ذلك إجمالا و تفصيلا و موقتا و غير موقت و اعلم أنه من شم رائحة من العلم بالله لم يقل لم فعل كذا و ما فعل كذا و كيف يقول العالم بالله لم فعل كذا و هو يعلم أنه السبب الذي اقتضى كل ما ظهر و ما يظهر و ما قدم و ما أخر و ما رتب لذاته فهو عين السبب فلا يوجد لعلة سواه و لا يعدم سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فمشيئته عرش ذاته كذا قال أبو طالب المكي إن عقلت فإن فتح لك في علم نسب الأسماء الإلهية التي ظهرت بظهور المظاهر الإلهية في أعيان الممكنات فتنوعت و تجنست و تشخصت قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ و كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ فسبب ظهور كل حكم في عينه اسمه الإلهي و ليست أسماؤه سوى نسب ذاتية فاعقل وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء التاسع و السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل من هذا الباب)

اعلم أن الدعاوي لما استطال لسانها في هذا الطريق من غير المحققين قديما و حديثا جرد الإمام صاحب الذوق التام محمد ابن علي الترمذي الحكيم مسائل تمحيص و اختبار و عددها مائة و خمسة و خمسون سؤالا لا يعرف الجواب عنها إلا من علمها ذوقا و شربا فإنها لا تنال بالنظر الفكري و لا بضرورات العقول فلم يبق إلا أن يكون حصولها عن تجل إلهي في حضرة غيبة بمظهر من المظاهر فوقتا يكون المظهر جسميا و وقتا يكون جسمانيا و وقتا جسديا و وقتا يكون المظهر روحيا و وقتا روحانيا و هذا الباب من هذا الكتاب مما يطلب إيضاح تلك المسائل و شرحها فجعلت هذا الباب مجلاها إن شاء الله تعالى فمن ذلك

(السؤال الأول) كم عدد منازل الأولياء الجواب اعلم أن منازل الأولياء على نوعين حسية و معنوية فمنازلهم الحسية في الجنان و إن كانت الجنة مائة درجة و منازلهم الحسية في الدنيا أحوالهم التي تنتج لهم خرق العوائد فمنهم من يتبرز فيها كالإبدال و أشباههم و منهم من تحصل له و لا يظهر عليه شيء منها و هم الملامتية و أكابر العارفين و هي تزيد على مائة منزل و بضعة عشر منزلا و كل منزل يتضمن منازل كثيرة فهذه منازلهم الحسية في الدارين و أما منازلهم المعنوية في المعارف فهي مائتا ألف منزل و ثمانية و أربعون ألف منزل محققة

لم ينلها أحد من الأمم قبل هذه الأمة و هي من خصائص هذه الأمة و لها أذواق مختلفة لكل ذوق وصف خاص يعرفه من ذاقه و هذا العدد منحصر في أربعة مقامات مقام العلم اللدني و علم النور و علم الجمع و التفرقة و علم الكتابة الإلهية ثم بين هذه المقامات مقامات من جنسها تنتهي إلى بضع و مائة مقام كلها منازل للأولياء و يتفرع من كل مقام منازل كثيرة معلومة العدد يطول الكتاب بإيرادها و إذا ذكرت الأمهات عرف ذوق صاحبها فأما العلم اللدني فمتعلقه الإلهيات و ما يؤدي إلى تحصيلها من الرحمة الخاصة و أما علم النور فظهر سلطانه في الملإ الأعلى قبل وجود آدم بآلاف من السنين من أيام الرب و أما علم الجمع و التفرقة فهو البحر المحيط الذي اللوح المحفوظ جزء منه و منه يستفيد العقل الأول و جميع الملإ الأعلى منه يستمدون و ما ناله أحد من الأمم سوى أولياء هذه الأمة و تتنوع تجلياته في صدورهم على ستة آلاف نوع و مئين فمن الأولياء من حصل جميع هذه الأنواع كأبي يزيد البسطامي و سهل بن عبد الله و منهم من حصل بعضها و قد كان للأولياء في سائر الأمم من هذه العلوم نفثات روح في روع و ما كمل إلا لهذه الأمة تشريفا لهم و عناية بهم لمكانة نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و فيه من خفايا العلوم التي هي بمنزلة الأصول ثلاثة علوم علم يتعلق بالإلهيات و علم يتعلق بالأرواح العلوية و علم يتعلق بالمولدات الطبيعية فما يتعلق منه بالإلهيات على قدم واحدة لا يتغير و إن تغيرت تعلقاته و الذي يتعلق منه بالأرواح العلوية فيتنوع من غير استحالة و الذي يتعلق بالمولدات الطبيعية يتنوع و يستحيل باستحالاتها و هو المعبر عنه بأرذل العمر لِكَيْلا يَعْلَمَ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً فإن المواد التي حصل له منها هذا العلم استحالت فالتحق العلم بها بحكم التبعية و كما هي أصولها ثلاث علوم فالأولياء فيها على ثلاث طبقات الطبقة الوسطى منهم لهم مائة ألف منزل و ثلاثة و عشرون ألف منزل و ستمائة منزل و سبعة و ثمانون منزلا أمهات يحتوي كل منزل منها على منازل لا يتسع الوقت لحصرها لتداخل بعضها في بعضها و لا ينفع فيها إلا الذوق خاصة و ما بقي من الأعداد فمقسم بين الطبقتين و هما اللذان ظهرا برداء الكبرياء و إزار العظمة غير أن لهما من إزار العظمة مما يزيد على هذا الذي ذكرناه ألف منزل و بضعة و عشرون منزلا لهذه المنازل خصوص وصف لا يوجد في منازل رداء الكبرياء و ذلك أن رداء الكبرياء مظهره من الاسم الظاهر و الإزار مظهره من الاسم الباطن و الظاهر هو الأصل و الباطن نسبة حادثة و لحدوثها كانت لها هذه المنازل فإن الفروع محل الثمر فيوجد في الفرع ما لا يظهر في الأصل و هو الثمرة و إن كان مددهما من الأصل و هو الاسم الظاهر لكن الحكم يختلف فمعرفتنا بالرب تحدث عن معرفة بالنفس لأنها الدليل من عرف نفسه عرف ربه و إن كان وجود النفس فرعا عن وجود الرب فوجود الرب هو الأصل و وجود العبد فرع ففي مرتبة يتقدم فيكون له الاسم الأول و في مرتبة يتأخر فيكون له الاسم الآخر فيحكم له بالأصل من نسبة خاصة و يحكم له بالفرع من نسبة أخرى هذا يعطيه النظر العقلي و أما ما تعطيه المعرفة الذوقية فهو أنه

ظاهر من حيث ما هو باطن و باطن من عين ما هو ظاهر و أول من عين ما هو آخر و كذلك القول في الآخر و إزار من نفس ما هو رداء و رداء من نفس ما هو إزار لا يتصف أبدا بنسبتين مختلفتين كما يقرره و يعقله العقل من حيث ما هو ذو فكر و لهذا قال أبو سعيد الخراز و قد قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ فلو كان عنده هذا العلم من نسبتين مختلفتين ما صدق قوله بجمعه بين الضدين و لو كانت معقولية الأولية و الآخرية و الظاهرية و الباطنية في نسبتها إلى الحق معقولية نسبتها إلى الخلق لما كان ذلك مدحا في الجناب الإلهي و لا استعظم العارفون بحقائق الأسماء ورود هذه النسب بل يصل العبد إذا تحقق بالحق أن تنسب إليه الأضداد و غيرها من عين واحدة لا تختلف و إذا كان العبد يتصور في حقه وقوع هذا فالحق أجدر و أولى إذ هو المجهول الذات فمثل هذه المعرفة الإلهية لا تنال إلا من هذه المنازل التي وقع السؤال عنها و أما عدد الأولياء الذين لهم عدد المنازل فهم ثلاثمائة و ستة و خمسون نفسا و هم الذين على قلب آدم و نوح و إبراهيم و جبريل و ميكائيل و إسرافيل و هم ثلاثمائة و أربعون و سبعة و خمسة و ثلاثة و واحد فيكون المجموع ستة و خمسين و ثلاثمائة هذا هو عند أكثر الناس من أصحابنا و ذلك للحديث الوارد في ذلك و أما طريقتنا و ما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه فهو المجموع من الأولياء الذين ذكرنا أعدادهم في أول هذا الباب و مبلغ ذلك خمسمائة نفس و تسعة و ثمانون نفسا منهم واحد لا يكون في كل زمان و هو الختم المحمدي و ما بقي فهم في كل زمان لا ينقصون و لا يزيدون و أما الختم فهذا زمانه و قد رأيناه و عرفناه تمم الله سعادته علمته بفأس سنة خمس و تسعين و خمسمائة و المجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات أقطاب و أئمة و أوتاد و أبدال و نقباء و نجباء و أما الذين زادوا على هؤلاء في الكشف فطبقات الرجال عندهم الذي يحصرهم العدد و لا يخلو عنهم زمان خمس و ثلاثون طبقة لا غير و مرتبة الختمين و لكن لا يكونان في كل زمان فلهذا لم نلحقهما بالطبقات الثابتة في كل زمان

(السؤال الثاني) أين منازل أهل القربة الجواب بين الصديقية و نبوة الشرائع فلم تبلغ منزلة بنى التشريع من النبوة العامة و لا هو من الصديقين الذين هم أتباع الرسل لقول الرسل و هو مقام المقربين و تقريب الحق لهم على وجهين وجه اختصاص من غير تعمل كالقائم في آخر الزمان و أمثاله و وجه آخر من طريق التعمل كالخضر و أمثاله و المقام واحد و لكن الحصول فيه على ما ذكرناه و من ثم يتبين الرسول من النبي و يعم الجميع هذا المقام و هو مقام المقربين و الأفراد و في هذا المقام يلتحق البشر بالملإ الأعلى و يقع الاختصاص الإلهي فيما يكون من الحق لهؤلاء و أما المقام فداخل تحت الكسب و قد يحصل اختصاصا و لهذا يقال في الرسالة إنها اختصاص و هو الصحيح فإن العبد لا يكتسب ما يكون من الحق سبحانه فله التعمل في الوصول و ما له تعمل فيما يكون من الحق له عند الوصول و من هناك منبع

العلم اللدني الذي قال الله فيه في حق عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً المعنى آتيناه رحمة علما من عندنا و علمناه من لدنا و هو من الأربعة المقامات الذي هو علم الكتابة الإلهية و علم الجمع و التفرقة و علم النور و العلم اللدني و اعلم أن منزل أهل القربة يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق الذي يدرك الأرواح بل هم ممن استثنى الله تعالى في قوله وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ من في السَّماواتِ وَمن في الْأَرْضِ إِلَّا من شاءَ الله و هذا المنزل هو أخص المنازل عند الله و أعلاها و الناس فيه على طبقات ثلاث فمنهم من يحصله برمته و هم الرسل صلوات الله عليهم و هم فيه على درجات يفضل بعضهم بعضا و منهم من يحصل منه الدرجة الثانية و هم الأنبياء صلوات الله عليهم الذين لم يبعثوا بل تعبدوا بشريعة موقوفة عليهم فمن اتبعهم كان و من لم يتبعهم لم يوجب الله على أحد أتباعهم و هم فيها على درجات يفضل بعضهم بعضا و الطبقة الثالثة هي دونهما درج النبوة المطلقة التي لا يتخلل وحيها ملك و دون هؤلاء الطبقات هم الصديقون الذين يتبعون المرسلين و دون هؤلاء الصديقين الصديقون الذين يتبعون الأنبياء من غير أن يجب ذلك عليهم و دون هؤلاء الصديقين الذين يتبعون أهل الطبقة الثالثة و هم الذين انطلق عليهم اسم المقربين أعني أهل الطبقة الثالثة و لكل طبقة ذوق لا تعلمه الطبقة الأخرى و لهذا قال الخضر لموسى عليه السلام وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً و الخبر الذوق و هو علم حال و قال الخضر لموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا (السؤال الثالث) فإن قيل إن الذين حازوا العساكر بأي شيء حازوا فلنقل في الجواب نذكر أولا ما معنى العساكر و ما معنى حيازتهم لهم ثم نبين بأي شيء حازوا فإن هذا السائل إذا أرسل سؤاله من غير تقييد لفظي أو قرينة حال ينبغي للمجيب أن يجيب بالمعاني التي تدل عليها تلك الكلمة في اصطلاحهم فمهما أخل بشيء منها فما و في الكلمة حقها فاعلم إن العساكر قد يطلقونها و يريدون بها شدائد الأعمال و العزائم و المجاهدات كما قال القائل ظل في عسكرة من حبها أي في شدة و اعلم أن مبني هذا الطريق على التخلق بأسماء الله فحاز هؤلاء العساكر بالتخلق باسمه الملك فإن الملك هو الذي يوصف بأنه يجوز العساكر و الملك معناه أيضا الشديد فلا تحاز الشدائد و العزائم إلا بما هو أشد منها يقال ملكت العجين إذا شددت عجنه قال قيس بن الحطيم يصف طعنة ملكت بها كفي فأنهرت فتقها أي شددت بها كفي حين طعنته فحازوا العساكر بالطريقين باسمه الملك فأما الشدائد التي حازوها في هذا الباب فهي البرازخ التي أوقفهم الحق في حضرة الأفعال من نسبتها إلى الله و نسبتها إلى أنفسهم فيلوح لهم ما لا يتمكن لهم معه أن ينسبوها إلى أنفسهم و يلوح لهم ما لا يتمكن لهم معه أن ينسبوها إلى الله فهم هالكون بين حقيقة و أدب و التخليص من هذا البرزخ من أشد ما يقاسيه العارفون فإن الذي ينزل عن هذا المقام يشاهد أحد الطرفين فيكون مستريحا لعدم المعارض و اعلم أن صاحب هذا المقام هو الذي أعلمه الله بجنوده

الذي لا يعلمها إلا هو قال تعالى وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و قال وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فصاحب هذا المقام يعرفه جنود الله الذين لا حاكم عليهم في شغلهم إلا الله و لهذا نسبهم إليه فهم الغالبون الذين لا يغلبون فمنهم الريح العقيم و منهم الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل و كل جند ليس لمخلوق فيه تصريف هم العساكر التي حازها صاحب هذا المقام علما و قال صلى الله عليه و سلم فيهم نصرت بالصبا قال نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر فإذا منح الله صاحب هذا المقام علم هؤلاء العساكر رمى بالحصى في وجوه الأعداء فانهزموا كما رمى رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة حنين فله الرمي و هم لا يكون منهم غلبة إلا بأمر الله و لهذا قال وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فكل منصور بجند الله فهو دليل على عناية الله به و لا يكون منصورا بهم على الاختصاص إلا بتعريف إلهي فإن نصره الله من غير تعريف إلهي فليس هو من هذه الطبقة التي حازت العساكر فلا بد من اشتراط النصر حقا في ذلك القصد و صاحب هذا المقام يعين لأصحابه مصارع القوم كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة بدر فإنه ما من شخص من أجناد الله إلا و هو يعرف عين من سلط عليه و متى يسلط عليه و أين يسلط عليه فتتشخص الأجناد لصاحب هذا المقام في الأماكن التي هي مصارع القوم كل شخص على صورة المقتول و باسمه فيراه صاحب هذا المقام فيقول هذا هو مصرع فلان و هذا هو مقام الإمام الواحد من الإمامين و أقرب شيء ينال به هذا المقام البغض في الله و الحب في الله فتكون همم هذه الطبقة و أنفاسهم من جملة العساكر التي حازوها بما ذكرناه و هو الموالاة في الله و العداوة في الله عن عزم و صدق مع كونهم لا يرون إلا الله فيجدون من الانضغاط و كظم الغيظ ما لا يعلمه إلا الله و العين تحرسهم في باطنهم هل ينظرون في ذلك أنه غير الله فإذا تحققوا ذلك حازوا عساكر الحق التي هي أسماؤه سبحانه إذ أسماؤه تعالى عساكره و هي التي يسلطها على من يشاء و يرحم بها من يشاء فمن حاز أسماء الله فقد حاز العساكر الإلهية و رئيس هؤلاء الأجناد الأسمائية كما قلنا الاسم الملك هو المهيمن عليها و من عداه فأمثال السدنة له و يكفي هذا القدر في الجواب عن هذا السؤال (السؤال الرابع) فإن قال إلى أين منتهاهم قلنا في الجواب لا شك و لا خفاء أن هذه الطبقة هم أصحاب عقد و عهد و هو قوله رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ من قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ من يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا فإذا حصلت هذه الطبقة فيما قلنا في غزوهم و سلكوا سبيل جهادهم كان منتهاهم إلى حل ما عقدوا عليه و نقض ما عسكروا إليه و ذلك أن الأعيان التي عسكروا لها و عقدوا مع الله أن يبيدوها فلما توجهوا بعساكرهم التي أوردناها إليها كانت آثار تلك العساكر فيها إيجاد أعيانها و هو خلاف مقصود العارف بهذه العساكر إذ كان المقصود إذهاب أعيانها و إلحاقها بمن لا عين له و ما علم أن الحقائق لا تتبدل و أن آثار العساكر فيها الوجود إذ كان سبق العدم لها لعينها فلا تؤثر فيها هذه العساكر العدم لأن العدم لها من نفسها فلم يبق إلا الوجود فوقع غير مقصود

العارف و علم عند ذلك العارف أن تلك الأعيان مظاهر الحق فكان منتهاهم إليه و بدأهم منه و ليس وراء الله مرمى فإن قلت فالذات الغنية عن العالمينوراء الله قلنا ليس الأمر كما زعمت بل الله وراء الذات و ليس وراء الله مرمى فإن الذات متقدمة على المرتبة في كل شيء بما هي مرتبة لها فليس وراء الله مرمى فحصلوا من العلم بالله ما لم يكن عندهم بالقصد الأول حين حازوا العساكر و كان الذي حجبهم ابتداء عن هذه المعرفة غيرتهم أن يشترك الحق مع كون من الأكوان في حال أو عين أو نسبة فلهذا كان مقصودهم أن يلحقوا الأعيان بمطلق العدم و هو المقام الذي تشير إليه الباطنية بقولها في جواب من يقول لها الله موجود فنقول ليس بمعدوم فإذا قلت لهم الله حي تقول ليس بميت فإن قيل لهم فالله قادر قالت ليس بعاجز فلا تجيب قط بلفظة تعطي الاشتراك في الثبوت فتجيب بالسلب و هذا كله من باب الغيرة و لا تقدر تنفي الأعيان فتستعين بهؤلاء العساكر على إعدام هذه الأعيان و زوال حكم الثبوت منها فتجد العساكر توجدها و تكسوها حلة الوجود فإذا رأت أنها مظاهر الحق رضيت بأن تبقيها أعيانا ثابتة و لا تراها موجودة و يكون عين شهودها ناظرة فيها إلى وجود الحق و أنه لا وجود اكتسبته من الحق بل حكمها مع الوجود حكمها و لا وجود و إن الذي ظهر ما هو غير هذا غايتها و هو قوله إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها فكان منتهاها ربها فأما من كانت عساكره العزائم فمنتهاه إلى الرخص من طريقين الطريق الواحدة أحدية المحبة فيهما فيكون منتهاهم إلى شهودها و هو الذي أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه فينحل عقد الأخذ بالعزائم بهذه المشاهدة لكونه يفوته من العلم بالله على قدر ما فاته من الأخذ بالرخصة و الطريقة الأخرى تنتهي بهم إلى شهود كونه في العزائم هو عين كونه في الرخص و هم لا نسبة لهم في واحدة منهما فينحل ما عقدوا عليه انحلالا ذاتيا لا تعمل لهم فيه و من هذا المقام يقول بعضهم بتفضيل الرسل بعضهم على بعض على أنه في نفس الأمر كما ورد في الخطاب من قوله تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فينتهي بهم هذا الأمر إلى حل عقد التفضيل بقوله لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِهِ و من فضل فقد فرق فلو لا وحدانية الأمر ما كان عين الجمع عين الفرق كما أن السالك يمشي حنبليا أو حنفيا مقتصرا على مذهب بعينه يدين الله به لا يرى مخالفته فينتهي به هذا المشهد إلى أن يصبح يتعبد نفسه بجميع المذاهب من غير فرقان و من هنا يبطل النسخ عنده الذي هو رفع الحكم بعد ثبوته لا انقضاء مدته فإلى ما ذكرناه منتهاهم على حسب ما أعطته عساكرهم فإن العساكر تختلف فإن جند الرياح ما هي جند الطير و جند الطير ما هو جند المعاني الحاصلة في نفوس الأعداء كالروع و الجبن فمنتهى كل عسكر إلى فعله الذي وجه إليه من حصار قلعة و ضرب مصاف أو غارة أو كبسة كل عسكر له خاصية في نفس الأمر لا يتعداه قال تعالى في الطير تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ و قال في الريح ما تَذَرُ من شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ و قال في الرعب وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ فانظر منتهى كل عسكر

إلى ما أثر في نفس من عسكر إليه فالحق لا يتقيد إذ كان هو عين كل قيد فالناس بين محجوب و غير محجوب جعلنا الله ممن أشهد الحق في عين حجابه و في رفع حجابه و فيما كان له من راء حجابه

(السؤال الخامس) فإن قيل قد عرفنا أينية منازل أهل القربة و أينية منتهى العساكر و منتهى من حازها فأين مقام أهل المجالس و الحديث قلنا في الجواب أما أهل المجالس المحدثون فمجالسهم خلف الحجاب الأنزل الأقدس في النزول و لهم ست حضرات لهم في الحضرة الأولى ثمانية مجالس المجلس الثاني و السادس يسمى مجالس الراحات و هي من باب وفق الله بالعباد الذين لهم هذه الأحوال و مجلسان الأول الذي هو الرابع و الثامن فهما مجلسا الجمع بين العبد و الرب و مجلس الفصل بين العبد و الرب على مراتب أبينها و أما الأربعة مجالس التي بقيت فالحديث فيها على مراتب متعددة و كذلك الحضرة الثانية و الحضرة الرابعة فيها ثمانية مجالس على ما ذكرناه و أما في الحضرة السادسة فمجلسان و أما في الحضرة الثالثة فستة مجالس و أما في الحضرة الخامسة فاربعة مجالس و انتهت أمهات مجالس أهل الحديث مع الله من حيث هم محدثون لا من حيث لهم مجالس و أما أهل المجالس لا من كونهم محدثين فهم أهل الشهود و هم على أربع مراتب في مجالسهم فالمحدثون جلوسهم من حيث هم من خلف ذلك الحجاب و أهل المجالس فمن حيث المراتب التي أعد لهم الحق فمنهم من أعد لهم منابر و منهم من أعد لهم أرائك و منهم من أعد لهم كراسي و منهم من أعد لهم درانك و الكل يشهدون جليسهم من غير حديث من الطرفين فلنذكر مجالس أهل الحديث و هي ثمانية و أربعون مجلسا و عند الترمذي الحكيم ستة و خمسون مجلسا لأن الترمذي يراعي من الإنسان حظ طبعه فيزيد اثني عشر مجلسا و هو الصحيح و من يقتصر منا في الإنسان على روحانيته من غير طبيعته فهي ستة و ثلاثون مجلسا فلهذا وقع الخلاف بيننا و بين العلماء من أهل هذه المجالس فمنا من اعتبر ذلك و منا من لم يعتبر و الأولى اعتبارها فأما مجالس الجمع بين العبد و الرب فاربعة مجالس يعلم فيما يحادثه به الحق فيها كيف يخاطب الخلق من أجل الله و كيف يثني على الحق تبارك و تعالى و يعلم معنى قوله بُورِكَ من في النَّارِ وَمن حَوْلَها و يحادثه فيها بمثل قوله كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ الله حَلالاً طَيِّباً فيعرف من أين طيب له و بما طيب له و بما طاب له و يعلم الاسم الآخر ما نسبته إلى الحق و ما حظ العبد منه و يعلم ما يقول كلما ورد على ملأ أعلى من روح و بشر في السموات و الأرض و يعلم شهادة التوحيد بالنسبة إلى الله و بالنسبة إلى الملائكة و بالنسبة إلى العلماء من البشر الحاصلة لهم من باب الشهود لا من باب الفكر و يعلم منازل الرسل و من أين خصوا بما خصوا به و بما ذا يفضل بعضهم بعضا و بما ذا لا يفضل و من أي نسبة ينسبون إلى الله و أشياء غير هذا محصورة و أما مجالس الفصل فيحصل فيها ما يحصل في هذه المجالس من طريق أخرى و ذوق آخر غير أنه يختلف عليه الحال عند انتهاء المجالسة بمشاهدة أسماء إلهية لم يكن يعرفها قبل ذلك أو

بمشاهدة أسماء إلهية من حيث أعيان أكوان خاصة أو بمشاهدة أعيان أكوان خاصة من غير ارتباط بأسماء إلهية و إن كانت في نفس الأمر مرتبطة بها و لكن يكون بينها و بين هذا العبد حجاب رقيق و أما المجالس الأربعة التي بقيت ذات المراتب فسأذكر ما يكون فيها و في هذه الست الحضرات من الحديث في الفصل الثامن في سؤاله ما حديثهم و نجواهم و هذه المجالس أيضا توجد في الحضرة الثانية و الرابعة و أما الحضرة الثالثة فمجالسها ستة مجالس و أما الحضرة الخامسة ففيها أربعة مجالس و أما الحضرة السادسة ففيها مجلسان و هذه كلها مجالس أهل الحديث لا مجالس الشهود إلا عند بعض العارفين فإنه قد تكون مجالس شهود متخيل من خلف حجاب الخيال و أما الاثنا عشر مجلسا الذي لهم على مذهب الترمذي كما قررنا و هي تمام الثمانية و الأربعين مجلسا فحديثهم فيها نذكره عند ذكر الستة و الثلاثين مجلسا في الفصل الثامن إن شاء الله فإن ذلك الفصل سورته

(السؤال السادس) فإن قلت كم عددهم قلنا في الجواب عدد أهل بدر أهل الحديث منهم أربعون نفسا و ما بقي فلهم مجالس الشهود من غير حديث فإن الحديث للحضور مع المعنى الذي يعطيه الكلام لا مع المتكلم إلا أن يكون المتكلم بحيث يتخيله السامع فيجمع بين الحديث و الشهود و لكن ما هو الشهود المطلوب لأهل الأذواق فلا بد أن تكون أنت من حيث أنت للاستفادة عند الحديث و لكن يسمعه لا بعينك بل بظهوره فيك فمن كونك مظهر تسمع و من كونك عينا تكون مظهرا فافهم و قد أشار لسان الخبر الصدق إلى هذا العدد بقوله من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أي كان من الحديث بالله عن الله و الصباح ظهور عين العبد مظهرا لا عينا و بطون عينه في مظهره كبطون الليل عند وجود الصباح و الأربعون إشارة إلى أعيان هؤلاء الأشخاص فهو عين ما قلنا إن أهل الحديث منهم أربعون نفسا فبقي أهل المجالس من غير حديث مائتين و ثلاثة و سبعين نفسا و هم تمام الثلاثمائة و الثلاثة عشر فجلوسهم جلوس مشاهدة للاستفادة من حيث إن أعيانهم مظهر لبصر الحق فيرونه به و هم غيب في ذلك المظهر و تكون استفادتهم من ذلك التجلي استفادة أصحاب الرصد فتعطيهم الأرصاد العلوم من غير حديث لكنه حديث معنوي بدلالات ظاهرة تقوم تلك الدلالات مقام الخطاب بالحروف و الإشارات في عالم الحروف و الإشارات فالغرض الحاصل من هذه المجالس سواء كانت مجالس شهود أو حديث حصول علو ينقش في عين هذا المظهر من نظر أو سماع و هؤلاء هم المعتنى بهم من أهل الله

(السؤال السابع) فإن قلت بأي شيء استوجبوا هذا على ربهم تبارك و تعالى قلنا في الجواب الأدب الإلهي إنه لا يجب على الله شيء بإيجاب موجب غير نفسه فإن أوجب هو على نفسه أمرا ما فهو الموجب و الوجوب و الموجب عليه لا غيره و لكن إيجابه على نفسه لمن أوجب عليه مثل قوله فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ يعني الرحمة الواسعة فأدخلها تحت التقييد بعد الإطلاق من أجل الوجوب و مثل قوله

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنه الآية فهل هذا كله من حيث مظاهره أو هو وجوب ذاتي لمظاهره من حيث هي مظاهر لا من حيث الأعيان فإن كان للمظاهر فما أوجب على نفسه إلا لنفسه فلا يدخل تحت حد الواجب ما هو وجوب على هذه الصفة فإن الشيء لا يذم نفسه و إن كان للاعيان القابلة أن تكون مظاهر كان وجوبه لغيره إذ الأعيان غيره و المظاهر هويته فقل بعد هذا البيان ما شئت في الجواب و يكون الجواب بحسب ما قيده الموجب فاستوجبوا ذلك على ربهم في موطن بكونهم يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ على مفهوم الزكاة لغة و شرعا وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فهؤلاء طائفة مخصوصة و هم أهل الكتاب فخرج من ليس بأهل الكتاب من هذا التقييد الوجوبي و بقي الحق عنده من كونه رحمانا على الإطلاق و استوجبت طائفة أخرى ذلك على ربها أَنَّهُ من عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ من بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فقيد بالجهالة فإن لم يجهل لم يدخل في هذا التقييد و بقيت الرحمة في حقه مطلقة ينتظرها من عين المنة التي منها كان وجوده أي منها كان مظهرا للحق لتتميز عينه في حال اتصافها بالعدم عن العدم المطلق الذي لا عين فيه أ لا ترى إبليس كيف قال لسهل في هذا الفصل يا سهل التقييد صفتك لا صفته فلم ينحجب بتقييد الجهالة و التقوى عما يستحقه من الإطلاق فلا وجوب عليه مطلقا أصلا فمهما رأيت الوجوب فاعلم إن التقييد يصحبه و أما من رأى أنهم استوجبوا ذلك على ربهم من غير ما ذكره تعالى عن نفسه فقالوا ببذلهم مراكبهم في زمان الزيادة طلبا للمواصلة و إيثا ر الجناب الحق في زعمهم و إن كان في ذلك نقص فهو عين الكمال التام بهذه المراعاة فهذا عندي مثل ما قال الشاعر لعمر بن الخطاب حين حبسه

ما ذا تقول لأفراخ بذي مرح حمر الحواصل لا ماء و لا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر هداك مليك الناس يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

فإن كانوا بذلوا مراكبهم عن طلب إلهي يقتضي ذلك وجوبا إلهيا كان مثل الأول فإنه لو لم يرد عنه تعالى الوجوب على نفسه لم نقل به فإنه سوء أدب من العبد أن يوجب على سيده غير إن هنا لطيفة دقيقة لا يشعر بها كثير من العارفين بهذه المجالس و ذلك أنه كما نطلبه لوجود أعياننا يطلبنا لظهور مظاهره فلا مظهر له إلا نحن و لا ظهور لنا إلا به فيه عرفنا أنفسنا و عرفناه و بنا تحقق عين ما يستحقه الإله

فلولاه لما كنا و لو لا نحن ما كانا
فإن قلنا بأنا هو يكون الحق إيانا
فأبدانا و أخفاه و أبداه و أخفانا

فكان الحق أكوانا و كنا نحن أعيانا

فيظهرنا لنظهره سرارا ثم إعلانا

فلما وقفوا على هذه الحقائق من نفوسهم و نفوس الأعيان سواهم تميزوا على من سواهم بأن علموا منهم ما لم يعلموا من أنفسهم و اطلع الحق على قلوبهم فرأى ما تجلت به مما أعطتها العناية الإلهية و سابقة القدم الرباني استوجبوا على ربهم ما استوجبوه من أن يكونوا أهلا لهذه المجالس الثمانية و الأربعين

(السؤال الثامن) فإن قلت عن أهل هذه المجالس ما حديثهم و نجواهم قلنا في الجواب بحسب الاسم الذي يقيمهم فلا يتعين علينا تعيينه و لكن الأصول الإلهية محفوظة و ذلك أن حديث أهل الحضرة الأولى في مجالستهم فيها و المجلس الأول الذي بين المثلين من اسمه الظاهر و المبدئ و الباعث و كل اسم يعطي البروز و وجود الأعيان تحادث الحق فيه بلسان حياة الأرواح و حياة إلهيا كل السفلية في البرازخ و عالم الحس و المحسوس و العقل و المعقول و بلسان من ضاع عن الطريق و انجبر إليه بعد ما انكسر خاطره و خاف الفوت و بلسان أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أي بين أنه أعطى كل شيء خلقه ففرق بين قوله وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ و قوله له بعينه فَبِما رَحْمَةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا من حَوْلِكَ و قال لموسى و هارون فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً ليقابل به غلاظة فرعون فينكسر لعدم المقاوم إذ لم يجد قوة تصادم غلاظته فعاد أثرها عليه فأهلكته بالغرق فبالين هلك فرعون ف أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ في وقته فيحدث نشأة الإنسان مع الأنفاس و لا يشعر و هو قوله تعالى وَنُنْشِئَكُمْ في ما لا تَعْلَمُونَ يعني مع الأنفاس و في كل نفس له فينا إنشاء جديد بنشأة جديدة و من لا علم له بهذا فهو في لَبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ لأن الحس يحجبه بالصورة التي لم يحس بتغييرها مع ثبوت عين القابل للتغيير مع الأنفاس و بلسان طلب الاستقامة في المزاج ليصح نظر العقل في فكره و مزاج الحواس فيما تنقل إليه و مزاج القوي الباطنة فيما تؤديه من الأمور للعقل فإنه إذا اختل المزاج ضعفت الإدراكات عن صحة النقل فنقلت بحسب ما له انتقلت فكانت الشبه و المغالط فعقل العقل للجهل علما فيصير العدم وجود أو بلسان إزاحة الأمور التي توجب عدم المواصلة و المراسلة ففي الحضرة الأولى أربعة مجالس مما تشاكل ما ذكرناه و مثلها في الثانية و الرابعة و أما في الحضرة الثالثة من هذه المجالس فثلاثة و في الخامسة اثنان و في السادسة واحدة على هذه المشاكلة لكن في كل حضرة فنون مختلفة و لكن لا تخرج عن هذا الأسلوب و أما مجالس الراحات في الحضرة الأولى و الثانية و الرابعة هي ستة مجالس فيها أحاديث معنوية عن مشاهدة كما قيل

تكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت و الهوى يتكلم

وكما قلنا في هذا الشكل

والهوى بيننا يسوق حديثا طيبا مطربا بغير لسان

وهي المجالس التي بين الضدين يحصل منها علم للاعتماد والكشف عن الساق والبرزخ الذي بين الضدين كالفاتر بين الحار والبارد و كالإسماع بين المخافتة والجهر وكالتبسم بين الضحك والبكاء وكل ضدين بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فهو مجلس راحة وليس بين النفي والإثبات برزخ وجودي فصاحبه ينقطع في الحال لأحد الطرفين لأنه لا يجد حيث يستريح فالبرازخ مواطن الراحات ألا ترى أن الله جعل النوم سباتا أي راحة لأنه بين الضدين الموت والحياة فالنائم لا حي ولا ميت فأمثال هذه العلوم هي التي يقع بها الحديث لهم ونجواهم وفي الحضرة الثالثة والخامسة مجلس واحد في كل حضرة والحضرة السادسة لا مجلس فيها من مجالس الراحة وأما مجالس الفصل بين العبد والرب فقد ذكرنا من حديثه طرفا آنفا في السؤال الرابع من هذه السؤالات وأما لحضرة السادسة والخامسة فليس فيهما من هذه المجالس مجلس البتة وأما مجالس الفصل الثاني بين العبد والرب فهي ستة مجالس لا سابع لها في كل حضرة من الست مجالس واحد يفصل به بين العبد والرب من حيث ما هو العبد عبد ومن حيث ما هو الرب رب ومجالس الفصل الأول بين العبد والرب من حيث ما هو عبد لهذا الرب ومن حيث ما هو رب لهذا العبد فهو فصل في عين وصل وهذه المجالس الأخر فصل في فصول لا وصل فيها فيحصل له ما يشاء كل هذا الفن من العلم الإلهي إذ كنت لا تعلمه إلا من نفسك ولا تعلم نفسك إلا منه فهو يشبه الدور ولا دور بل هو علم محقق وأما الاثنا عشر مجلسا التي يراها الترمذي الحكيم صاحب هذه السؤالات وبها تكمل الثمانية و الأربعون من المجالس فإن الأرواح العلوية لا تعلمها وليس لها فيها قدم مع الله وهي مخصوصة بنا من أجل الدعوى فإذا تجسدت الأرواح العلوية تبعت الدعوى جسديتها فربما تدعى فإن ادعت ابتليت وفي قصة آدم والملائكة تحقيق ما ذكرناه فابتليت بالسجود جبرا لما أخذت من طها رتها الدعوى فكان ذلك للملائكة كالسهو في الصلاة للمصلي فأمر المصلي أن يسجد لسهوه كذلك أمرت الملائكة أن تسجد لدعواها فإن الدعوى سهو في حقها فكان ذلك ترغيما للدعوى لا لهم كما كان سجود السهو منا ترغيما للشيطان لا لنا فاعلم ذلك فأما هذه المجالس الاثنا عشر فستة منها تلتحق بالمجلس الذي بين المثلين والستة الباقية تلتحق بمجالس الفصل الثاني بين العبد من حيث ما هو عبد وبين الرب من حيث ما هو رب لكن تختلف الأذواق في ذلك آيات هذا السؤال من القرآن لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وقوله وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ وقوله فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ وقوله وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ إلى آخرها والمدار على القطب انتهى الجزء الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال التاسع) فإن قلت فبأي شيء يفتتحون المناجاة قلنا في الجواب بحسب الباعث و الداعي لها و ذلك أن الحق إذا أجلسهم هذه المجالس التي ذكرناها فإنما يجلسهم الحق فيها بعد قرع و فتح و استفتاح و ذلك إنهم سمعوا الحق يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ثم قال أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ و قال في إنزال الرسول منزلة الحق نفسه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ و قال من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ لأنه به يدعو إليه سبحانه و قال صلى الله عليه و سلم الكلمة الطيبة صدقة و قال يصبح على كل سلامي من ابن آدم صدقة و أفضل الصدقات تصدق الإنسان بنفسه و أفضل ما يخرجها عليه من يخرجها على نفسه فإذا إذا أراد العبد نجوى ربه فليقدم بين يدي نجواه نفسه لنفسه فإن النجوى سامع و متكلم و العبد إن لم يكن الحق سمعه فمن المحال أن يطيق فهم كلام الله و إن لم يكن الحق لسان العبد عند النجوى فمن المحال أن تكون نجواه صادقة الصدق الذي ينبغي أن يخاطب به الله فاذن الحق ناجى نفسه بنفسه و العبد محل الاستفادة لأنها أمور وجودية و الوجود كله هو عينه و العبد يصدق بنفسه على نفسه لأنها أفضل الصدقات استفتاحا لنجوى ربه فكانت المناسبة بين النجوى و ما افتتحت به كون الصدقة رجعت إليه و كون الحق كانت نجواه بينه و بينه فما سمع الحق إلا الحق و لا تصدق العبد إلا على العبد فصحت الأهلية فمن كان استفتاحه هكذا كان من أهل المجالس و الحديث و أما مذهب الترمذي فإن الذي يفتتحون به المناجاة إنما هو تلبسهم بالكبرياء ثم يتعرون من بعضه بوجه خاص و يبقون عليهم ما يليق أن يسمع به كلام الحق و يكلم به الحق لتصح النجوى فيكون الابتداء من العبد فيكون له الأولية في هذا الموطن و هو وجه صحيح و هذا هو الباعث الوضعي و الذي ذكرناه أولا هو الباعث الذاتي فإن نجوى هذه الطائفة في هذا الحال بمنزلة الصلاة في العامة فإنه من هذه الحضرة التي ذكرناها خرج التكليف بها على السنة الرسل للعباد و شرع فيها التكبير لما ذكرناه و الصلاة مناجاة و من أهل الله من يجعل عاقبة الأمور استفتاحا فيردها أولا إذ كان المطلوب عين العواقب كمن يطلب الاستظلال فأول ما يقع عنده وجود السقف و هو آخر ما يقع به الفعل لأن وجوده موقوف على وجود أشياء فإذا كان من الأمور التي لا توقف لوجودها على شيء كان عين العاقبة عين السابقة فيكون استفتاح العمل بالعاقبة و هي طريقة عجيبة عملنا عليها و ناجينا بها في هذا المقام و لكن لا بد أن تكون النجوى كما قررنا بسمع الحق و كلام الحق لأن الحقيقة تأبى أن يكلمه غير نفسه أو يسمعه غير نفسه فقد أعلمتك بما ذا يفتتحون المناجاة أهل المجالس و الحديث

(السؤال العاشر) فإن قلت بأي شيء يختمونها فلنقل في الجواب بالمنزلة التي تعطيهم ذلك الاستفتاح و الافتتاح مختلف فالختام مختلف أيضا فلا يتقيد غير أنه ثم أمر جامع و هو الوقفة بين الاسمين بين الاسم الذي ينفصل عنه و بين الاسم الذي يأخذ منه فإن بينهما اسما إلهيا خفيا به يقع الختم و لا يشعر به إلا أهل المجالس و الحديث و هو وجود سار في جميع الموجودات لكن لا يشعر به لدقته كالخط الفاصل بين الظل و الشمس يعقل و لا يدرك بالحس و هي الحدود بين الأشياء لها لكل من هي بينهما وجه خاص مع كونها لا تنقسم فهي بذاتها مع كل محدود و لهذا يعز العثور على الحدود الذاتية بخلاف الحدود الرسمية و اللفظية التي بأيدي العلماء فقد يكون ذلك الذي يختم به دليل كون و قد يكون دليل عين و قد يكون دليل ذات لا تقبل المظاهر و هذا أعلى ما تختم به النجوى عندهم و دونه دليل كون و هو ما يعطي مظهرا ما و دونه دليل عين و هو الذي لا يقبل التغيير و هو المعبر عنه بباطن المظهر و اعلم أن الأمر في النجوى دائرة تنعطف بطلب أولها فيكون عين الختم هو عين الافتتاح فتنقسم بين أول و آخر و ظاهر و باطن فإذا ابتدأ فهو الظاهر فإذا انتهى صار الظاهر باطنا و عاد الباطن ظاهرا فإن الحكم له فيبطن الختم في الافتتاح عند البدء و يبطن الافتتاح في الختام عند النهاية قيل في رسول الله صلى الله عليه و سلم إنه خاتم النبيين فبطن بظهور ختمه كونه نبيا و آدم بين الماء و الطين و لما ظهر كونه نبيا و آدم بين الماء و الطين و استفتح به مراتب البشر كان كونه خاتم النبيين باطنا في ذلك الظهور و أما الإلهية فالوجود منه وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ بينهما وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فيهما وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ حيث أنتم مظاهر أسمائه الحسنى و بها تسعدون و تشقون وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ فسلم الأمر إليه و استسلم تكن موافقا لما هو الأمر عليه في نفسه فتستريح من تعب الدعوى بين الافتتاح و الختم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الحادي عشر) بما ذا يجابون الجواب بحسب حالهم و وقتهم و حالهم و وقتهم بحسب الاسم الذي هو الحاكم فيهم بين الافتتاح و الختم فإنه بين الختم و الافتتاح تكون أسماء كثيرة إلهية هي الناطقة في تلك الأعيان من أهل المجالس و الحديث فيكون الجواب بحسب ما وقع به حكم الاسم و لكن ما يجابون إلا باسم و لا بد فإن كان الحديث معنويا عن شهود فقد يقع الجواب بالذات معراة من الأسماء و هو بمنزلة المجاز من الحقيقة و يجتمع هذا مع الحديث في الإفادة و الاستفادة فمن راعى الاستفادة و الإفادة ألحق هذا المقام بأهل المجالس و الحديث و هو الذي قصده الترمذي لكونه قال أهل المجالس و الحديث و لم يقل أهل الحديث خاصة و من الناس من لا يراعي سوى الحديث فلا يجعل في هذه الحضرة حكما لحديث معنوي حالي فإنه يقول مطلبي الحقائق و لكنه صاحب هذا القول كأنه غير محقق و ما أوقعه في ذلك إلا تقيد الحديث بالألفاظ و أما نحن فعلى مذهب الترمذي في ذلك فإنا ذقناه في المجالسة حديثا معنويا في غاية الإفهام معرى عن الاحتمال و الإجمال بل هو تفصيل محقق في عين واحدة و هو الذي يعول عليه في هذا الفصل

(السؤال الثاني عشر) كيف يكون صفة سيرهم يعني إلى هذه المجالس و الحديث ابتدأ قلنا في الجواب بالهمم المجردة عن السوي و بسط ذلك ما نقول و هو أن الأمور المعنوية التي لا تقبل المواد و لا تحددها لا يصح السير إلى تحصيلها أو تحصيل ما يكون منها بقطع المسافات و تذريع المساحات لكن قد يقترن بالهمة حركات مادية مبناها على علم أو إيمان بشرط التوحيد فيهما فأما سيرهم من حيث ما هم علماء فبتصفية النفوس من كدورات الطبيعة و اتخاذ الخلوات لتفريغ القلوب عن الخواطر المتعلقة بأجزاء الكون الحاصلة من إرسال الحواس في المحسوسات فتمتلئ خزانة الخيال فتصور القوة المصور منها بحسب ما تعشقت به من ذلك فتكون هذه الصور حائلة بينه و بين حصول هذه المرتبة الإلهية فيجنحون إلى الخلوات و الأذكار على جهة المدح لمن بيده الملكوت فإذا صفت النفس و ارتفع الحجاب الطبيعي الذي بينها و بين عالم الملكوت انطبع في مرآتها جميع ما في صور عالم الملكوت من العلوم المنقوشة فيطلع الملأ الأعلى على هذه النفس التي هي بهذه المثابة فيرى فيها ما عنده فيتخذها مجلى ظهور ما فيه فيكون الملأ الأعلى معينا له أيضا على استدامة ذلك الصفاء و يحول بينه و بين ما يقتضيه حجاب الطبع فتتلقى هذه النفس من العالم العلوي بقدر مناسبتها منهم من العلم بالله فيؤديهم ذلك العلم إلى التلقي من الفيض الإلهي و لكن بوساطة الأرواح النورية لا بد من ذلك فيسمون ذلك سيرا و لا بد من تجريد الهمم في الطلب لذلك و لو لا تعلق الهمة بتحصيل ما تقرر عندها مجملا ما صح له توجه إلى الملإ الأعلى فإن اتفق أن يكون هذا الرجل في سيره مع علمه مؤمنا أو يكون صاحب إيمان من غير علم فإن همته لا تتعلق إلا بالله فإن الايمان لا يدله إلا على الله و العلم إنما يدله على الوسائط و ترتيب الحكمة المعتادة في العالم فصفة سير أصحاب الايمان ما لهم طريق إلى ذلك إلا بعزائم الأمور المشروعة من حيث ما هي مشروعة و هم على قسمين طائفة منهم قد ربطت همتها على أن الرسول إنما جاء منبها و معلما بالطريق الموصلة إلى جناب الحق تعالى فإذا أعطى العلم بذلك زال من الطريق و خلى بينهم و بين الله فهؤلاء إذا سارعوا أو سابقوا إلى الخيرات و في الخيرات لم يروا إمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم و انفردوا إلى الحق كرابعة العدوية فهؤلاء إذا حصلوا في المجالس و الحديث خاطبهم الحق بالكلام الإلهي من غير وساطة لسان معين و أما الطائفة الأخرى فهم قوم جعلوا في نفوسهم أنهم لا سبيل لهم إليه تعالى إلا و الرسول هو الحاجب فلا يشهدون منه أمرا إلا و يرون في سيرهم قدم الرسول بين أيديهم و لا يخاطبهم إلا بلسانه و لغته كمحمد الأواني قال تركت الكل ورائي و جئت إليه فرأيت أمامي قدما فغرت و قلت لمن هذا اعتمادا مني إنه ما سبقني أحد و إني من أهل الرعيل الأول فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن روعي و الحالة الأولى هي حالة عبد القادر و أبي السعود بن الشبل و رابعة العدوية و من جرى مجراهم و أصحاب الايمان إذا كانوا علماء جمع لهم بين الأمرين فهم أكمل الرجال بشرط أنهم إذا سارروا إليه و أخذوا مجالسهم عنده بالحديث

المعنوي كما تقدم و حديث السمع رأوا سريان سره تعالى في الموجودات من قوله من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا و من كونه ينزل إلى السماء الدنيا التي لا أقرب منها فإنها أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ فالتحق عنده عالم الطبع بالعالم الروحاني و عاد الوجود عنده كله ملأ أعلى و مكانة زلفى فلم يحجبه كون و لا شغله عين و استوى عنده الأين و عدم الأين و كان و ما كان فرآه في الحجاب و العسس و سمع كلامه و حديثه في الغث و الجرس هذا صفة سيرهم على طبقاتهم و منهم من كان سيره فيه بأسمائه فهو صاحب سير منه و إليه و فيه و به فهو سائر في وقوفه و واقف في سيره و الخضر و الأفراد من أهل هذا المقام و من هنا كانت قرة عينه صلى الله عليه و سلم في الصلاة لأنه مناج مع اختلاف الحالات المحصورة من قيام و ركوع و سجود و جلوس ما ثم أكثر من هذه الأركان و هي حالات تربيع روحاني فأشبهت العناصر في التربيع فحدثت صور المعاني من امتزاج هذه الحالات الأربعة كما حدثت صور المولدات الجسمية الطبيعية من امتزاج هذه العناصر

(السؤال الثالث عشر) فإن قلت و من الذي يستحق خاتم الأولياء كما يستحق محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبوة فلنقل في الجواب الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية و ختم يختم الله به الولاية المحمدية فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة و قد حيل بينه و بين نبوة التشريع و الرسالة فينزل في آخر الزمان وارثا خاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما أن محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده و إن كان بعده مثل عيسى من أولي العزم من الرسل و خواص الأنبياء و لكن زال حكمه من هذا المقام لحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فينزل وليا ذا نبوة مطلقة يشركه فيها الأولياء المحمديون فهو منا و هو سيدنا فكان أول هذا الأمر نبي و هو آدم و آخره نبي و هو عيسى أعني نبوة الاختصاص فيكون له يوم القيامة حشران حشر معنا و حشر مع الرسل و حشر مع الأنبياء و أما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلا و يدا و هو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس و تسعين و خمسمائة و رأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده و كشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه و هو خاتم النبوة المطلقة لا يعلمها كثير من الناس و قد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به و كما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه و سلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم و موسى و عيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي و بعده فلا يوجد ولي على قلب محمد صلى الله عليه و سلم هذا معنى خاتم الولاية المحمدية و أما ختم الولاية العامة الذي لا يوجد بعده

ولي فهو عيسى عليه السلام و لقينا جماعة ممن هو على قلب عيسى عليه السلام و غيره من الرسل عليهم السلام و قد جمعت بين صاحبي عبد الله و إسماعيل بن سودكين و بين هذا الختم و دعا لهما و انتفعا به و الحمد لله

(السؤال الرابع عشر) بأي صفة يكون ذلك المستحق لذلك الجواب بصفة الأمانة و بيده مفاتيح الأنفاس و حالة التجريد و الحركة و هذا هو نعت عيسى عليه السلام كان يحيى بالنفخ و كان من زهاد الرسل و كانت له السياحة و كان حافظا للامانة مؤديا لها و لهذا عادته اليهود و لم تأخذه في الله لومة لائم كنت كثير الاجتماع به في الوقائع و على يده تبت و دعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا و في الآخرة و دعاني بالحبيب و أمرني بالزهد و التجريد و أما الصفة التي استحق بها خاتم الولاية المحمدية أن يكون خاتما فبتمام مكارم الأخلاق مع الله و جميع ما حصل للناس من جهته من الأخلاق فمن كون ذلك الخلق موافقا لتصريف الأخلاق مع الله و إنما كان ذلك كذلك لأن الأغراض مختلفة و مكارم الأخلاق عند من يتخلق بها معه عبارة عن موافقة غرضه سواء حمد ذلك عند غيره أو ذم فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل الذي هو عنده جميل نظر في ذلك نظر الحكيم الذي يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي فنظر في الموجودات فلم يجد صاحبا مثل الحق و لا صحبة أحسن من صحبته و رأى أن السعادة في معاملته و موافقة إرادته فنظر فيما حده و شرعه فوقف عنده و اتبعه و كان من جملة ما شرعه أن علمه كيف يعاشر ما سوى الله من ملك مطهر و رسول مكرم و إمام جعل الله أمور الخلق بيده من خليفة إلى عريف و صاحب و صاحبة و قرابة و ولد و خادم و داية و حيوان و نبات و جماد في ذات و عرض و ملك إذا كان ممن يملك فراعى جميع من ذكرناه بمراعاة الصاحب الحق فما صرف الأخلاق إلا مع سيده فلما كان بهذه المثابة قيل فيه مثل ما قيل في رسوله وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ قالت عائشة كان القرآن خلقه يحمد ما حمد الله و يذم ما ذم الله بلسان حق في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فلما طابت أعراقه و عم العالم أخلاقه و وصلت إلى جميع الآفاق أرفاقه استحق أن يختم بمن هذه صفته الولاية المحمدية من قوله وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ جعلنا الله ممن مهد له سبيل هداه و وفقه للمشي عليه و هداه

(السؤال الخامس عشر) فإن قلت ما سبب الخاتم و معناه فلنقل في الجواب كمال المقام سببه و المنع و الحجر معناه و ذلك أن الدنيا لما كان لها بدء و نهاية و هو ختمها قضى الله سبحانه أن يكون جميع ما فيها بحسب نعتها له بدء و ختام و كان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع فختم الله هذا التنزيل بشرع محمد صلى الله عليه و سلم فكان خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً و كان من جملة ما فيها الولاية العامة و لها بدء من آدم فختمها الله بعيسى فكان الختم يضاهي البدء إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ فختم بمثل ما به بدأ فكان البدء لهذا الأمر بنبي مطلق و ختم به أيضا و لما كانت أحكام محمد صلى الله عليه و سلم عند الله تخالف أحكام سائر الأنبياء و

الرسل في البعث العام و تحليل الغنائم و طهارة الأرض و تصحب الوجود و كيف تصحبه و الوجوب لهذا الوجود ذاتي و لا ذوق للعين الممكنة في الوجوب الذاتي فهو يقتضيها فيصح إن يكون معها و هي لا تقتضيه فلا يصح اتخاذها مسجدا و أوتي جوامع الكلم و نصر بالمعنى و هو الرعب و أوتي مفاتيح خزائن الأرض و ختمت به النبوة عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي فأنزل في الدنيا من مقام اختصاصه و استحق أن يكون لولايته الخاصة ختم يواطئ اسمه اسمه صلى الله عليه و سلم و يحوز خلقه و ما هو بالمهدي المسمى المعروف المنتظر فإن ذلك من سلالته و عترته و الختم ليس من سلالته الحسية و لكنه من سلالة أعراقه و أخلاقه صلى الله عليه و سلم أما سمعت الله يقول فيما أشرنا إليه وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ و جميع أنواع المخلوقات في الدنيا أمم و قال كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى في أثر قوله يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فجعل لها ختاما و هو انتهاء مدة الأجل وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فما من نوع إلا و هو أمة فافهم ما بيناه لك فإنه من أسرار العالم المخزونة التي لا تعرف إلا من طريق الكشف و الله يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(السؤال السادس عشر) كم مجالس ملك الملك الجواب على عدد الحقائق الملكية و النارية و الإنسانية و استحقاقاتها الداعية لإجابة الحق فيما سألته منه بسط ذلك اعلم أولا أنه لا بد من معرفة ملك الملك ما أرادوا به ثم بعد هذا تعرف كمية مجالسه إن كان لها كمية محصورة فالملك هو الذي يقضي فيه مالكه و مليكه بما شاء و لا يمتنع عنه جبرا فيسمى كرها أو اختيارا فيسمى طوعا قال تعالى وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً و المأمور هو الملك و الآمر هو المالك و لا بد من أخذ الإرادة في حد الأمر لأنه اقتضاء و طلب من الآمر بالمأمور سواء كان المأمور دونه أو مثله أو أعلى و فرق الناس بين أمر الدون و بين أمر الأعلى فسموا أمر الدون إذا أمر الأعلى طلبا و سؤالا مثل قوله تعالى اهْدِنَا فلا يشك إنه أمر من العبد لله فسمي دعاء و إذا فهمت هذا و علمت أن المأمور هو بالنسبة إلى الآمر ملكا و الآمر مليك ثم رأيت المأمور و قد امتثل أمر آمره و أجابه فيما سأل منه أو اعترف بأنه يجيبه إذا دعاه لما يدعوه إليه إن كان المدعو أعلى منه فقد صير نفسه هذا الأعلى ملكا لهذا الدون و هذا الدون هو تحت حكم هذا الأعلى و حيطته و قهره و قدرته و أمره فهو ملكه بلا شك و قد قررنا أن الدون الذي هو بهذه المثابة قد يأمر سيده فيجيبه السيد لأمره فيصير بتلك الإجابة ملكا له و إن كان عن اختيار منه فيصح أن يقال في السيد إنه ملك الملك لأنه أجاب أمر عبده و عبده ملك له و من أمر فأجاب فقد صح عليه اسم المأمور و هو معنى الملك فإذا أجاب السيد أمر عبده و هو ملك فبإجابته صير نفسه ملك ملكه و هذا غاية النزول الإلهي لعبده إذ قال له ادعوني أستجب لك فيقول له العبد اغفر لي ارحمني انصرني أجبرني فيفعل و يقول

الله له ادعني أقم الصلاة ائت الزكاة اصْبِرُوا رابِطُوا جاهِدُوا فيطيع و يعصي و أما الحق سبحانه فيجيب عبده لما دعاه إليه بشرط تفرغه لدعائه و قد يكون أثر المؤثر فعلا من غير أمر كالعبد يعصي فيثير كونه عاصيا غضبا في نفس السيد فيوقع به العقوبة فقد جعل العبد سيده يعاقبه بمعصيته و لو لم يعصه ما ظهر من السيد ما ظهر أو يغفر له و كذلك في الطاعة يثيبه فيكون من هذه النسبة أيضا ملك الملك أي ملكا لمن هو ملكه و بهذا وردت الشرائع كلها و أما قوله كم مجالسه فإنها لا تنحصر عقلا فإنها حالة دوام من سيد لعبد و من عبد إلى سيد فسؤاله لا يخلو إما أن يريد ما قلنا من أنها لا تنحصر عقلا فإن أجاب بانحصار في كمية معلومة علم أنه لا علم عنده أو يريد مجالسه من حيث ما شرع فهي مجالس في الدنيا محصورة و في الآخرة غير محصورة لأن الآثار الواقعة في الآخرة كلها أصلها من الشرائع فلا ينفك حكم الشرع في الدنيا و الآخرة فإن الخلود في الدارين من حكم الشرع و ما يكون من الحق فيهم من حكم الشرع فإذا مجالس ملك الملك من جهة الشرع لا تنحصر فإن أراد السائل عن هذا حالة الدنيا خاصة فعددها عدد أنفاس الخلائق عقلا و إن أراد ما اقترن به الأمر من العبد خاصة فعلى قدر ما دعا العبد ربه من حيث ما أمره أن يدعوه به و هي من كل داع بحسب ما سبق في علم الله من تكليفه لكل عين عبد أن يدعوه و خلق الله الذين هم بهذه المثابة يفوتون التلفظ باسم العدد الذي يحصرهم فإنه يدخل في ذلك الملائكة و الجن و الإنس فحصر كمياتها ما دام زمان الدنيا إلى أن ينقضي في حق الملك و الجن و الإنس محصور الكمية غير متصور التلفظ به لأنه قال وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و هم من الملك الذي يدعو ربه فيصيره بدعائه ملكا له فكمياتها و إن كانت محصورة فهي غير معلومة و إن علمت فهي غير مقدورة للتلفظ بها لما في ذلك من المشقة و لكن من وقف على ما رقم في اللوح المحفوظ عرف كمياتها بلا شك و إن تعذر النطق بها فمن كل وجه لا يتصور الجواب عنها بأكثر من هذا و إنما جعله الترمذي على سبيل الامتحان فإنه جاء بمسائل لا يصح الجواب عنها ليعلم أن المسئول إذا أجاب عنها أنه مبطل في دعواه علم ذلك إذ لو علم ذلك لكان من علمه به أنه مما لا يجاب عنه فيعلم صدق دعواه و سيأتي من ذلك ما نقف عليه في هذه السؤالات إن شاء الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال السابع عشر) بأي شيء حظ كل رسول من ربه الجواب عن هذا لا يتصور لأن كلام أهل طريق الله عن ذوق و لا ذوق لأحد في نصيب كل رسول من الله لأن أذواق الرسل مخصوصة بالرسل و أذواق الأنبياء مخصوصة بالأنبياء و أذواق الأولياء مخصوصة بالأولياء فبعض الرسل عنده الأذواق الثلاثة لأنه ولي و نبي و رسول قال الخضر لموسى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً و الخبر الذوق و قال له أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا هذا هو الذوق حضرت في مجلس فيه جماعة من العارفين فسأل بعضهم بعضا من أي مقام سأل موسى الرؤية فقال له الآخر من مقام الشوق فقلت له لا تفعل أصل الطريق أن نهايات الأولياء

بدايات الأنبياء فلا ذوق للولي في حال من أحوال أنبياء الشرائع فلا ذوق لهم فيه و من أصولنا إنا لا نتكلم إلا عن ذوق و نحن لسنا برسل و لا أنبياء شريعة فبأي شيء نعرف من أي مقام سأل موسى الرؤية ربه نعم لو سألها ولي أمكنك الجواب فإن في الإمكان أن يكون لك ذلك الذوق و قد علمنا من باب الذوق أن ذوق مقام الرسل لغير الرسل ممنوع فالتحق وجوده بالمحال العقلي لأن الذات لا تقتضي إلا هذا الترتيب الخاص أو سبق العلم كيف شئت فقل فإن أراد السؤال عن السبب الذي اقتضى لذلك الرسول هذا الحظ الذي انفرد به فقد قال صاحب المحاسن ليس بينه و بين عباده نسب إلا العناية و لا سبب إلا الحكم و لا وقت غير الأزل و ما بقي فعمى و تلبيس و اعلم أن السبب العام الذي عين المراتب العلية لأربابها إنما هو العناية الإلهية و هو قوله تعالى وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ و أما السبب الخاص لهذا الرسول للحظ الخاص الذي له من ربه فيحتاج ذكره إلى ذكر كل رسول باسمه و حينئذ نذكر سببه و رسل الله في البشر محصورون و في الملائكة غير محصورين عندنا لكن من شرط أهل هذه الطريقة إذا ادعوا هذه المعرفة فلا بد أن يعرفوا السبب عند تعين الرسول بالذكر و لكن هو من الأسباب التي لا نذاع لئلا يتعب الخلق أو يتخيل الضعيف الرأي أن الرسالة تكتسب بذلك السبب إذا علم فيؤدي ذكر ذلك إلى فساد في العالم فيحفظ عليه الأمناء و أيضا فلا فائدة في إظهاره فإنه بكونه رسولا خص به لأنه كان رسولا بل هو رسول بأمر عام يجتمع فيه المرسلون قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ فكل واحد منهم فاضل مفضول و هو مذهب الجماعة و قد بين هذا أبو القاسم ابن قسي في خلع النعلين و هو قوله وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ فخص آدم بعلم الأسماء الإلهية التي طوى علمها عن الملائكة فلم تسبح الله بها حتى استفادتها من آدم و خص موسى بالكلام و التوراة من حيث إن الله كتبها بيده قبل أن يخلق آدم بأربع آلاف سنة و خص رسول الله صلى الله عليه و سلم بما ذكر عن نفسه من أنه أوتي جوامع الكلم و خص عيسى بكونه روحا و أضاف النفخ إليه فيما خلقه من الطين و لم يضف نفخا في إعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى إما بالنون أو بالتاء التي هي ضمير المتكلم عن نفسه و هذا و إن كانت كلها منصوصا عليها إنها حصلت لهم فليس بمنصوص الاختصاص بها و لكنه معلوم من جهة الكشف و الاطلاع

(السؤال الثامن عشر) أين مقام الرسل من مقام الأنبياء الجواب هو بالإزاء إلا أنه في المقام الرابع من المراتب فإن المراتب أربع التي تعطي السعادة للإنسان و هي الايمان و الولاية و النبوة و الرسالة و أما من مقام الأنبياء فهم من أنبياء التشريع في الرتبة الثانية و من مقام الأنبياء في الرتبة الثالثة و العلم من شرائط الولاية و ليس من شرطها الايمان فإن الايمان مستنده الخبر فلا يحتاج إليه مع الخبر إما بالمحال كالأبنية لله أو بالإمكان و هو الإخبار ببعض المغيبات التي يمكن أن ينسب إليها المخبر ما نسب فأول مرتبة العلماء بتوحيد الله الأولياء فإن الله ما

اتخذ وليا جاهلا و هذه مسألة عظيمة أغفلها علماء الرسوم فإنه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان و هو المقام الأول ثم النبوة ثم الرسالة ثم الايمان فهي فينا أعني مرتبة الولاية على ما رتبناه و هي هناك ولاية ثم إيمان ثم نبوة ثم رسالة و عند علماء الرسوم و عامة الناس الخارجين عن الطريق الخاص المرتبة الأولى إيمان ثم ولاية ثم نبوة ثم رسالة فأجبنا فيها على ما تعرفه العامة و علماء الرسوم و بينا المراتب كيف هي بالنظر إلى جهات مختلفة فالموحدون بأي وجه كان أولياء الله تعالى فإنهم حازوا أشرف المراتب التي شرك الله أصحابها من أجلها مع الله فيها فقال شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ ففصل لتمييز شهادة الحق لنفسه من شهادة من سواه له بما شهد به لنفسه فقال و عطف بالواو وَالْمَلائِكَةُ فقدم للمجاورة في النسبة من كونه إلها و الجار الأقرب في الشرع و في العرف عند أرباب الكرم و العلم مقدم على الجار إلا بعد بكل وجه إذا اتحدا في ذلك الوجه و في هذا من رحمة الله بخلقه ما لا يقدر قدره إلا العارفون به في قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ فنحن أقرب جار و للجار حق مشروع يعرفه أهل الشريعة و كذلك قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فينبغي للإنسان أن يحضر هذا الجوار الإلهي عند الموت حتى يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع و هو قوله لنبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ أي الحق الذي شرعته لنا فعاملنا به حتى لا ننكر شيئا منه مما يقتضيه الكرم فلو علم الناس ما في هاتين الآيتين من العناية بالعباد لكانوا على أحوال لا يمكن أن تذاع يقول تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ و قال صلى الله عليه و سلم في مثل هذا المقام أ فلا أكون عبدا شكورا ثم قال تعالى وَأُولُوا الْعِلْمِ يعني من الجن و الإنس و من شاركهم من الأمهات و المولدات العلماء بالله فجعلهم جيران الملائكة لتصح الشفاعة من الملائكة فينا لحق الجوار أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الضمير في أنه يعود على الله من شهد الله فشهادتهم بتوحيده على قدر مراتبهم في ذلك فلذلك فصل بين شهادته لنفسه و شهادة العلماء له ثم قال قائِماً بِالْقِسْطِ أي بالعدل فيما فصل به بين الشهادتين ثم قال بنفسه لا إِلهَ إِلَّا هُوَ نظير الشهادة الأولى التي له فحصلت شهادة العالم له بالتوحيد بين شهادتين إلهيتين أحاطتا بها حتى لا يكون للشقاء سبيل إلى القائل بها ثم تمم بقوله الْعَزِيزُ ليعلم أن الشهادة الثالثة له مثل الأولى لاقتران العزة بها أي لا ينالها إلا هو لأنها منيعة الحمى بالعزة و لو كانت هذه الشهادة من الخلق لم تكن منيعة الحمى عن الله فدل إضافة العزة لها على أنها شهادة الله لنفسه و قوله الْحَكِيمُ لوجود هذا الترتيب في إعطاء السعادة لصاحب هذه الشهادة حيث جعلها بين شهادتين منسوبتين إلى الله من حيث الاسم الأول و الآخر و شهادة الخلق بينهما فسبحان من قدر الأشياء مقاديرها و عجز العالم أن يقدروها حق قدرها فكيف أن يقدروا حق قدر من خلقها و هذا الكشف من مقام وراثة الرسول صلى الله عليه و سلم من حيث

رسالته من قوله أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي و هم العلماء بالله من أهل الله الذين أقامهم الحق مقام الرسل في الدعوة إلى الله بلسان حق عن نبوة مطلقة اعتنى بهم في أن وصفهم بها لا نبوة الشرائع بل نبوة حفظ لأمر مشروع على بصيرة من الحافظ لا عن تقليد

(السؤال التاسع عشر) أين مقام الأنبياء من الأولياء الجواب هو خصوص فيه و هو بالإزاء أيضا إلا أنه في المقام الثالث على ما تقدم من المراتب و كان ينبغي أن يكون السؤال عن هذا بتفصيل بين نبوة الشرائع و النبوة المطلقة فهم من الأولياء إذا كانوا أنبياء شريعة في الدرجة الثالثة و إن كانوا في النبوة اللغوية فهم في الدرجة الثانية و اعلم أن الأولياء هم الذين تولاهم الله بنصرته في مقام مجاهدتهم الأعداء الأربعة الهوى و النفس و الدنيا و الشيطان و المعرفة بهؤلاء أركان المعرفة عند المحاسبي و إن كان سؤله عن مقام الأنبياء من الأولياء أي أنبياء الأولياء و هي النبوة التي قلنا إنها لم تنقطع فإنها ليست نبوة الشرائع و كذلك في السؤال عن مقام الرسل الذين هم أنبياء فلنقل في جوابه إن أنبياء الأولياء مقامهم من الحضرات الإلهية الفردانية و الاسم الإلهي الذي تعبدهم الفرد و هم المسمون الأفراد فهذا هو مقام نبوة الولاية لا نبوة الشرائع و أما مقام الرسل الذين هم أنبياء فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به أتباعهم كمحمد صلى الله عليه و سلم فيما قيل له خَالِصَةً لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ في النكاح بالهبة فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم و منهم من لا يختصه الله بشيء دون أمته و كذلك الأولياء فيهم أنبياء أي خصوا بعلم لا يحصل إلا لنبي من العلم الإلهي و يكون حكمهم من الله فيما أخبرهم به حكم الملائكة و لهذا قال في نبي الشرائع ما لم تحط به خبرا أي ما هو ذوقك يا موسى مع كونه كليم الله فخرق السفينة و قتل الغلام حكما و أقام الجدار مكارم خلق عن حكم أمر إلهي كخسف البلاد على يدي جبريل و من كان من الملائكة و لهذا كان الأفراد من البشر بمنزلة المهيمين من الملائكة و أنبياؤهم منهم بمنزلة الرسل من الأنبياء

(السؤال العشرون) و أي اسم منحه من أسمائه الجواب سؤالك هذا يحتمل أربعة أمور الواحد أن يكون الضمير المرفوع في منحه يعود على الله الثاني أن يعود على المقام الثالث على الاسم الإلهي الرابع أن يكون الضمير في أسمائه يعود على العبد فيكون الاسم اسم العبد لا اسم الله و كذلك الضمير المنصوب في منحه الذي هو المفعول الثاني هل هو ضمير اسم إلهي أو هل هو المقام فإن كان الضمير المرفوع الله أو المقام فيكون الممنوح الاسم بلا شك و إن كان الضمير المرفوع الله أو الاسم الإلهي أو اسم العبد فيكون المقام هو الممنوح فليكن الضمير المرفوع الله فالممنوح الاسم الإلهي الذي يسمى به العبد في تخلقه أو اسم العبد و هو الأصل في القربة الإلهية فإن العبد لا يتصف بالقرب من الله إلا باسمه قال الله لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي قال يا رب و ما ليس لك قال الذلة و الافتقار و السبب في ذلك أن أصل العبد أن يكون معلولا و لا بد و المعلولية له لذاته و كل معلول فقير ذليل بلا شك لا شفاء يرجى له من هذه العلة فيكون القرب من الله قربا

ذاتيا أصليا و إن كان الممنوح اسما إلهيا ليتخلق به العبد كالاسم الرحيم في موطنه و الاسم الملك المتكبر في موطنه فذلك قرب يعرض له من الشارع الذي عينه له فإن للعبد أسماء يستحقها و أسماء تعرض له مثل الأسماء الإلهية إذا تخلق بها العبد و لله أسماء يستحقها و أسماء عرضت له من تنزله لعقول عباده و هي الأسماء التي هي للعبد بحكم الاستحقاق فهل اتصاف الحق بها يكون تخلقا من الله بأسماء عبده أو تلك الصفات لله حقيقة جهلنا معناها بالنسبة إليه و عرفنا معناها بالنسبة إلينا فيكون العبد متخلقا بها و إن كان يستحقها من وجه معرفته بمعناها إذا نسبت إليه و من كون الباري اتصف بها على طريقة مجهولة عندنا فلا نعرف كيف ننسبها إليه لجهلنا بذاته فتكون أصلا فيه عارضة فينا فلا نستحق شيئا لا من أسمائه و لا مما نعتقد فيها أنها أسماؤنا و هذا موضع حيرة و مزلة قدم إلا لمن كشف الله عن بصيرته و نحن بحمد الله و إن كنا قد علمناها فهي من العلوم التي لا تذاع أصلا و رأسا و بمعرفته بها دعا من دعا إلى الله على بصيرة و هو الشخص الذي هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ يشهد له بصدق البينة التي هو عليها فالفطن يعلم ما سترناه بإعلام الله في قوله وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ هل تلك الأسماء إذا نسبت إلى الله هل تنسب إليه تخلقا أو استحقاقا و إذا نسبت إلى العبد هل تنسب إليه تخلقا كسائر الأسماء الإلهية التي لا خلاف فيها عند العام و الخاص أو تنسب إليه بطريق الاستحقاق فالشاهد المطلوب هنا أن عين العبد لا تستحق شيئا من حيث عينه لأنه ليس بحق أصلا و الحق هو الذي يستحق ما يستحق فجميع الأسماء التي في العالم و يتخيل أنها حق للعبد حق لله فإذا أضيفت إليه و سمي بها على غير وجه الاستحقاق كانت كفرا و كان صاحبها كافرا قال الله تعالى لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ فكفروا بالمجموع هذا إذا كان الكفر شرعا فإن كان لغة و لسانا فهو إشارة إلى الأمناء من عباد الله الذين علموا أن الاستحقاق بجميع الأسماء الواقعة في الكون الظاهرة الحكم إنما يستحقها الحق و العبد يتخلق بها و أنه ليس للعبد سوى عينه و لا يقال في الشيء إنه يستحق عينه فإن عينه هويته فلا حق و لا استحقاق و كل ما عرض أو وقع عليه اسم من الأسماء إنما وقع على الأعيان من كونها مظاهر فما وقع اسم الأعلى وجود الحق في الأعيان و الأعيان على أصلها لا استحقاق لها فهذا شرح قوله وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ يشهد له بصدق النسبة أنه عين بلا حكم و كونه مظهرا حكما لا عينا فالوجود لله و ما يوصف به من أية صفة كانت إنما المسمى بها هو مسمى الله فافهم إنه ما ثم مسمى وجودي إلا الله فهو المسمى بكل اسم و الموصوف بكل صفة و المنعوت بكل نعت و أما قوله سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ من أن يكون له شريك في الأسماء كلها فالكل أسماء الله أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته فما في الوجود إلا الله و الأعيان معدومة في عين ما ظهر فيها و قد اندرج في هذا الفصل إن فهمت جميع ما ذكرناه في تقسيم الضميرين المنصوب و المرفوع فالوجود له و العدم لك فهو لا يزال موجودا و أنت لا تزال معدوما و وجوده إن كان لنفسه

فهو ما جهلت منه و إن كان لك فهو ما علمت منه فهو العالم و المعلوم و الذي يقصده أكثر الناس بقولهم أي اسم منح الله الرسول من أسمائه هو الاسم الذي يستدعيه تأييد دعوته و هو المعبر عنه بالسلطان و الإعجاز أثره و إن منحه النبي فهو الاسم الذي يتأيد به في حصول الرتبة النبوية و صحتها و قد يكون لكل شخص اسم يمنحه بحسب ما تقتضيه رتبته من مقام نبوته أو رسالته غير أن الاسم الواهب هو الذي يعطي ذلك إلا إذا كان المقام مكتسبا فقد يعطيه الاسم الكريم أو الجواد أو السخي انتهى الجزء الحادي و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الحادي و العشرون) أي شيء حظوظ الأولياء من أسمائه الجواب هنا تفصيل هل يريد بالاسم الذي أوجب لهم هذه الحظوظ أو الاسم الذي يتولاهم فيها أو الاسم الذي تنتجه هذه الحظوظ فإن أراد الاسم أو الأسماء التي أوجبت لهم هذه الحظوظ فالحظوظ على قسمين حظوظ مكتسبة و حظوظ غير مكتسبة و لكل واحد من القسمين اسم يخصه من حيث ما يوجبها و من حيث ما يتولاها و من حيث ما تنتجه فما كان من الحظوظ المكتسبة فالأسماء التي توجبها هي الأسماء التي تعطيهم الأعمال التي اكتسبوها بها و هي مختلفة كل عمل بحسب اسمه فكل عامل إذا كان عارفا يعلم الاسم الذي يخص تلك الحركة العلمية من الأسماء الإلهية و يطول التفصيل فيها و الأسماء التي تتولاهم في حال وجودها لهم فهي بحسب ما هو ذلك الحظ فالحظ يطلب بذاته من يتولاه من الأسماء و الحظوظ مختلفة و كذلك الأسماء التي توجبها الحظوظ و تنتجها فهي بحسب الحظوظ أيضا فتختلف الأسماء باختلاف الحظوظ و على هذا النسق الكلام في الحظوظ التي هي غير مكتسبة من التفصيل

(السؤال الثاني و العشرون) و أي شيء علم المبدأ الجواب سأل بلفظ في العامة يعطي البدء و في الخاصة يعطي موجب النسخ في مذهب من يراه فلنتكلم على الأمرين معا ليقع الشرح باللسانين فيعم الجواب اعلم أن علم البدء علم عزيز و أنه غير مقيد و أقرب ما تكون العبارة عنه أن يقال البدء افتتاح وجود الممكنات على التالي و التابع لكون الذات الموجدة له اقتضت ذلك من غير تقييد بزمان إذ الزمان من جملة الممكنات الجسمانية فلا يعقل إلا ارتباط ممكن بواجب لذاته فكان في مقابلة وجود الحق أعيان ثابتة موصوفة بالعدم أزلا و هو الكون الذي لا شيء مع الله فيه إلا أن وجوده أفاض على هذه الأعيان على حسب ما اقتضته استعداداتها فتكونت لأعيانها لا له من غير بينة تعقل أو توهم وقعت في تصورها الحيرة من الطريقين من طريق الكشف و من طريق الدليل الفكري و النطق عما يشهده الكشف بإيضاح معناه يتعذر فإن الأمر غير متخيل فلا يقال و لا يدخل في قوالب الألفاظ بأوضح مما ذكرناه و سبب عزة ذلك الجهل بالسبب الأول و هو ذات الحق و لما كانت سببا كانت إلها لمألوه لها حيث لا يعلم المألوه أنه مألوه فمن أصحابنا من قال إن

البدء كان عن نسبة القهر و قال بعض أصحابنا بل كان عن نسبة القدرة و الشرع يقول عن نسبة أمر و التخصيص في عين ممكن دون غيره من الممكنات المميزة عنده و الذي وصل إليه علمنا من ذلك و وافقنا الأنبياء عليه أن البدء عن نسبة أمر فيه رائحة جبر إذ الخطاب لا يقع إلا على عين ثابتة معدومة عاقلة سميعة عالمة بما تسمع بسمع ما هو سمع وجود و لا عقل وجود و لا علم وجود فالتبست عند هذا الخطاب بوجوده فكانت مظهرا له من اسمه الأول الظاهر و انسحبت هذه الحقيقة على هذه الطريقة على كل عين عين إلى ما لا يتناهى فالبدء حالة مستصحبة قائمة لا تنقطع بهذا الاعتبار فإن معطي الوجود لا يقيده ترتيب الممكنات فالنسبة منه واحدة فالبدء ما زال و لا يزال فكل شيء من الممكنات له عين الأولية في البدء ثم إذا نسبت الممكنات بعضها إلى بعض تعين التقدم و التأخر لا بالنسبة إليه سبحانه فوقف علماء النظر مع ترتيب الممكنات حين وقفنا نحن مع نسبتها إليه و العالم كله عندنا ليس له تقييد إلا بالله خاصة و الله يتعالى عن الحد و التقييد فالمقيد به تابع له في هذا التنزيه فأولية الحق هي أوليته إذ لا أولية للحق بغير العالم لا يصح نسبتها و لا نعته بها بل هكذا جميع النسب الأسمائية كلها

فالعبد ملك إذ قد تسمى ... في عين حال بما تسمى
و الملك عبد في عين حال ... إذا تسمى بما أسمي
فإنه بي و لست أعني ... عني لكونى أصم أعمى
عن كل عين سوى عياني ... لكونه أظهرته الأسماء

هذه طريقة البدء و أما إذا أراد البدا و هو أن يظهر له ما لم يكن ظهر هو مثل قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و هو قوله وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ فيكون الحكم الإلهي بحسب ما يعطيه الحال و قد كان قرر الأمر بحال معين بشرط الدوام لذلك الحال في توهمنا فلما ارتفع الدوام الحالي الذي لو دام أوجب دوام ذلك الأمر بدا من جانب الحق حكم آخر اقتضاه الحال الذي بدا من الكون فقابل البدا بالبداء فهذا معنى علم البدا له على الطريقة الأخرى قال تعالى وَبَدا لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ يقول صلى الله عليه و سلم اتركوني ما تركتكم و كانت الشرائع تنزل بقدر السؤال فلو تركوا السؤال لم ينزل هذا القدر الذي شرع و معقول ما يفهم من هذا علم البدا و بعد أن علمت هذا فقد علمت علم الظهور و علم الابتداء فكأنك علمت علم ظهور الابتداء أو ابتداء الظهور فإن كل نسبة منهما مرتبطة بالأخرى فإن كان ظهور الابتداء فما حضرة الإخفاء التي منها ظهر هذا الابتداء فلا شك أنه لم يكن يصح هذا الوصف إلا له ففيه خفي و به ظهر فحالة ظهوره عن ذلك الخفاء هو المعبر عنه بالابتداء و إن كان ابتداء الظهور و فهل له نسبة لي القدم إذ لم يكن له حالة الظهور فما نسبة القدم

إليه قلنا عينه الثابتة حال عدمه هي له نسبة أزلية لا أول لها و ابتداء الظهور عبارة عما اتصفت به من الوجود الإلهي إذ كانت مظهر الحق فهو المعبر عنه بابتداء الظهور فإن تعدد الأحكام على المحكوم عليه مع أحدية العين إنما ذلك راجع إلى نسب و اعتبارات فعين الممكن لم تزل و لا تزال على حالها من الإمكان فلم يخرجها كونها مظهرا حتى انطلق عليها الاتصاف بالوجود عن حكم الإمكان فيها فإنه وصف ذاتي لها و الأمور لا تتغير عن حقائقها باختلاف الحكم عليها لاختلاف النسب ألا ترى قوله وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً و قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فنفى الشيئية عنه و أثبتها له و العين هي العين لا غيرها

(السؤال الثالث و العشرون) ما معنى قوله عليه السلام كان الله و لا شيء معه الجواب لا تصحبه الشيئية و لا تنطلق عليه و كذلك هو و لا شيء معه فإنه وصف ذاتي له سلب الشيئية عنه و سلب معية الشيئية لكنه مع الأشياء و ليست الأشياء معه لأن المعية تابعة للعلم فهو يعلمنا فهو معنا و نحن لا نعلمه فلسنا معه فاعلم إن لفظة كان تعطي التقييد الزماني و ليس المراد هنا به ذلك التقييد و إنما المراد به الكون الذي هو الوجود فتحقيق كان إنه حرف وجودي لا فعل يطلب الزمان و لهذا لم يرد ما يقوله علماء الرسوم من المتكلمين و هو قولهم و هو الآن على ما عليه كان فهذه زيادة مدرجة في الحديث ممن لا علم له بعلم كان و لا سيما في هذا الموضع و منه كانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُوراً و غير ذلك مما اقترنت به لفظة كان و لهذا سماها بعض النحاة هي و أخواتها حروفا تعمل عمل الأفعال و هي عند سيبويه حرف وجودي و هذا هو الذي تعقله العرب و إن تصرفت تصرف الأفعال فليس من أشبه شيئا من وجه ما يشبهه من جميع الوجوه بخلاف الزيادة بقولهم و هو الآن فإن الآن ندل على الزمان و أصل وضعه لفظة تدل على الزمان الفاصل بين الزمانين الماضي و المستقبل و لهذا قالوا في الآن إنه حد الزمانين فلما كان مدلولها الزمان الوجودي لم يطلقه الشارع في وجود الحق و أطلق كان لأنه حرف وجودي و تخيل فيه الزمان لوجود التصرف من كان و يكون فهو كائن و مكون كمقتل يقتل فهو قاتل و مقتول و كذلك كن بمنزلة اخرج فلما رأوا في الكون هذا التصرف الذي يلحق الأفعال الزمانية تخيلوا أن حكمها حكم الزمان فأدرجوا الآن تتمة للخبر و ليس منه فالمحقق لا يقول قط و هو الآن على ما عليه كان فإنه لم يرد و يقول على الله ما لم يطلقه على نفسه لما فيه من الإخلال بالمعنى الذي يطلبه حقيقة وجود الحق خالق الزمان فمعنى ذلك الله موجود و لا شيء معه أي ما ثم من وجوده واجب لذاته غير الحق و الممكن واجب الوجود به لأنه مظهره و هو ظاهر به و العين الممكنة مستورة بهذا الظاهر فيها فاتصف هذا الظهور و الظاهر بالإمكان حكم عليه به عين الظهر الذي هو الممكن فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عينا و اندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكما فتدبر ما قلناه و اعلم أن كلامنا في شرح ما ورد إنما هو على قول الولي إذا قال مثل هذا اللفظ أو نطق به من مقام ولايته لا من مقام الرتبة التي منها بعث رسولا فإن

الرسول إذا قال مثل هذا اللفظ في المعرفة بالله من مقامه الاختصاصي فلا كلام لنا فيه و لا ينبغي لنا أن نشرح ما ليس بذوق لنا و إنما كلامنا فيه من لسان الولاية فنحن نترجم عنها بأعلى وجه يقتضيه حالها هذا غاية الولي في ذلك و لا شك أن المعية في هذا الخبر ثابتة و الشيئية منفية و المعية تقتضي الكثرة و الموجود الحق هو عين وجوده في نسبته إلى نفسه و هويته و هو عين المنعوت به مظهره فالعين واحدة في النسبتين فهذه المعية كيف تصح و العين واحدة فالشيئية هنا عين المظهر لا عينه و هو معها لأن الوجود يصحبها و ليست معه لأنها لا أن تكون معه فلهذا نفى الشيء أن يكون مع هوية الحق لأن المعية نعت تمجيد و لا مجد لمن هو عديم الوجوب الوجودي لذاته فإن الشيء لا يكون مع الشيء إلا بحكم الوعيد أو الوعد بالخير و هذا لا يتصور من الدون للأعلى فالعالم لا يكون مع الله أبدا سواء اتصف بالوجود أو العدم و الواجب الوجود الحق لذاته يصح له نعت المعية مع العالم عدما و وجودا

(السؤال الرابع و العشرون) ما بدء الأسماء الجواب إطلاق هذا اللفظ في الطريق يقتضي أمرين الواحد سؤال عن أول الأسماء و الثاني سؤال عما تبتدئ به الأسماء من الآثار و هذان الأمران فرعان عن مدلول لفظ الأسماء ما هو هل هو موجود أو عدم أو لا وجود و لا عدم و هي النسب فلا تقبل معنى الحدوث و لا القدم فإنه لا يقبل هذا الوصف إلا الوجود أو العدم فاعلم إن هذه الأسماء الإلهية التي بأيدينا هي أسماء الإلهية التي سمى بها نفسه من كونه متكلما فنضع الشرح الذي كنا نوضح به مدلول تلك الأسماء على هذه الأسماء التي بأيدينا و هو المسمى بها من حيث الظاهر و من حيث كلامه و كلامه علمه و علمه ذاته فهو مسمى بها من حيث ذاته و النسب لا تعقل للموصوف بالأحدية من جميع الوجوه إذا فلا تعقل الأسماء إلا بأن تعقل النسب و لا تعقل النسب إلا بأن تعقل المظاهر المعبر عنها بالعالم فالنسب على هذا تحدث بحدوث المظاهر لأن المظاهر من حيث هي أعيان لا تحدث و من حيث هي مظاهر هي حادثة فالنسب حادثة فالأسماء تابعة لها و لا وجود لها مع كونها معقولة الحكم فإذا ثبت هذا فالقائل ما بدء الأسماء هو القائل ما بدء النسب و النسبة أمر معقول غير موجود بين اثنين فأما إن نتكلم فيها من حيث نسبتها إلى الأول أو من حيث ما دل الأثر عليها فإن نظرنا فيها من حيث المسمى بها لا من حيث دلالة أثرها كان قوله ما بدء الأسماء معناه ما أول الأسماء فلنقل أول الأسماء الواحد الأحد و هو اسم واحد مركب تركيب بعلبك و رامهرمز و الرحمن الرحيم لا نريد بذلك اسمين و إنما كان الواحد الأحد أول الأسماء لأن الاسم موضوع للدلالة و هي العلمية الدالة على عين الذات لا من حيث نسبة ما يوصف بها كالاسماء الجوامد للأشياء و ليس أخص في العلمية من الواحد الأحد لأنه اسم ذاتي له يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة فإن قلت فالله أولى بالأولية من الواحد الأحد لأن الله ينعت بالواحد الواحد و لا ينعت بالله قلنا مدلول الله يطلب العالم بجميع ما فيه فهو له كاسم الملك أو السلطان فهو اسم للمرتبة لا للذات و الأحد اسم ذاتي لا

يتوهم معه دلالة على غير العين فلهذا لم يصح أن يكون الله أول الأسماء فلم يبق إلا الواحد حيث لا يعقل منه إلا العين من غير تركيب و لو تسمى بالشيء لسميناه الشيء و كان أول الأسماء لكنه لم يرد في الأسماء الإلهية يا شيء و لا فرق بين مدلول الواحد و الشيء فإنه دليل على ذات غير مركبة إذ لو كانت مركبة لم يصح اسم الواحد و لا الشيء عليه حقيقة فلا مثل له و لا شبه يتميز عنه شخصيته فهو الواحد الأحد في ذاته لذاته و مع هذا فقد قررنا إن الأسماء عبارة عن نسب فما نسبة هذا الاسم الأول و لا أثر له منه يطلبه قلنا أما النسبة التي أوجبت له هذا الاسم فمعلومة و ذلك أن في مقابلة وجوده أعيانا ثابتة لا وجود لها إلا بطريق الاستفادة من وجود الحق فتكون مظاهره في ذلك الاتصاف بالوجود و هي أعيان لذاتها ما هي أعيان لموجب و لا لعلة كما إن وجود الحق لذاته لا لعلة و كما هو الغني لله تعالى على الإطلاق فالفقر لهذه الأعيان على الإطلاق إلى هذا الغني الواجب الغني بذاته لذاته و هذه الأعيان و إن كانت بهذه المثابة فمنها أمثال و غير أمثال متميزة بأمر و غير متميزة بأمر يقع فيه الاشتراك فلا يصح على كل عين منها اسم الواحد الأحد لوجود الاشتراك و المثلية فلهذا سمينا هذه الذات الغنية على الإطلاق بالواحد الأحد لأنه لا موجود إلا هي فهي عين الوجود في نفسها و في مظاهرها و هذه نسبة لا عن أثر إذ لا أثر لها في كون الأعيان الممكنات أعيانا و لا في إمكانها و أما إذا كان قوله ما بدء الأسماء بمعنى ما تبتدئ به الأسماء من الآثار في هذه الأعيان فيطلب هذا السؤال أمرين الأمر الواحد ما يبتدئ به في كل عين عين و الأمر الآخر ما يبتدئ به على الإطلاق في الجملة و معناه ما أول اسم يطلب أن يظهر أثره في هذه الأعيان فاعلم إن ذلك الاسم هو الوهاب خاصة في الجملة و في عين عين لا فرق و هو اسم أحدثته الهبات لهذه الأعيان من حيث فقرها فلما انطلق عليها اسم مظهر و قد كانت عرية عن هذا الاسم و لم يجب على الغني أن يجعلها مظاهر له طلبت هذه النسبة الاسم الوهاب و لهذا لا نجعله تعالى علة لشيء لأن العلة تطلب معلولها كما يطلب المعلول علته و الغني لا يتصف بالطلب إذا فلا يصح أن يكون علة و الوهب ليس كذلك فإنه امتنان على الموهوب له و إن كان الوهب له ذاتيا فإنه لا يقدح في غناه عن كل شيء و الذي يبتدئ به من الوهب إعطاء الوجود لكل عين حتى وصفها بما لا تقضيه عينها فأول ما يبتدئ به من الأعيان ما هو أقرب مناسبة للأسماء التي تطلب التنزيه ثم بعد ذلك يظهر سلطان الأسماء التي تطلب التشبيه فالأسماء التي تطلب التنزيه هي الأسماء التي تطلب الذات لذاتها و الأسماء التي تطلب التشبيه هي الأسماء التي تطلب الذات لكونها إلها فأسماء التنزيه كالغني و الأحد و ما يصح أن ينفرد به و أسماء التشبيه كالرحيم و الغفور و كل ما يمكن أن يتصف به العبد حقيقة من حيث ما هو مظهر لا من حيث عينه لأنه لو اتصف به من حيث عينه لكان له الغني و لا غنى له أصلا فإذا اتصفت هذه الأعيان التي هي المظاهر بمثل الغني و تسمت بالغنى فيكون معنى ذلك الغني بالله عن غيرها من الأعيان لا إن العين غني بذاته و كذا كل

اسم تنزيه فلها هذه الأسماء من حيث ما هي مظاهر فإن كان المسمى لسان الظاهر فيها فهو كونه إلها فهو أقرب نسبة إلى الذات من لسان المظهر إذا تسمى بالغني فالمظهر لا يزول عنه اسم الفقر مع وجود اسم الغني المقيد له و الظاهر فيه إذا تسمى بالغنى يصح له لأنه يعطي جودا و منة و هو الوهاب الذي يعطي لينعم و قد يعطي ليعبد فلا يكون هذا عطاء تنزيه بل هو عطاء عوض ففيه طلب قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فإعطاء هذا الخلق إعطاء طلب لا إعطاء هبة و منة و إعطاء الوهب إعطاء إنعام لا لطلب شكر و لا عوض يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً و هو الخنثى ثم وصف نفسه في ذلك بأنه عَلِيمٌ قَدِيرٌ و هو وصف يرجع إليه ما طلب منهم في ذلك عوضا كما طلب في قوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فمنزلة خلقهم له ما هو منزلة خلقهم لهم فخلقهم لهم من أسماء التنزيه و خلقهم له من أسماء التشبيه و هذا القدر كاف في الغرض

(السؤال الخامس و العشرون) ما بدء الوحي الجواب إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال في نوم كان أو يقظة و هو من مدركات الحس في حضرة المحسوس مثل قوله فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا و في حضرة الخيال كما أدرك رسول الله صلى الله عليه و سلم العلم في صورة اللبن و كذا أول رؤياه قالت عائشة أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح و هي التي أبقى الله على المسلمين و هي من أجزاء النبوة فما ارتفعت النبوة بالكلية و لهذا قلنا إنما ارتفعت نبوة التشريع فهذا معنى لا نبي بعده و كذلك من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت به النبوة بلا شك فعلمنا إن قوله لا نبي بعده أي لا مشرع خاصة لا أنه لا يكون بعده نبي فهذا مثل قوله إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده و إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده و لم يكن كسرى و قيصر إلا ملك الروم و الفرس و ما زال الملك من الروم و لكن ارتفع هذا الاسم مع وجود الملك فيهم و تسمى ملكهم باسم آخر بعد هلاك قيصر و كسرى كذلك اسم النبي زال بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه زال التشريع المنزل من عند الله بالوحي بعده صلى الله عليه و سلم فلا يشرع أحد بعده شرعا إلا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام فإنه بتقرير رسول الله صلى الله عليه و سلم صح فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه صلى الله عليه و سلم الذي يعطي المجتهد دليله و هو الذي أذن الله به فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله فإن ذلك كفر و افتراء على الله فإن قلت هذا الذي بديء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من أين نقول إنه بدء الوحي قلنا لا شك و لا خفاء عند المؤمنين و الأولياء أن محمدا صلى الله عليه و سلم خصه الله بالكمال في كل فضيلة فمن ذلك أن خصه بكمال الوحي و هو استيفاء أنواعه و ضروبه و هو قوله عليه السلام أوتيت جوامع الكلم و بعث عامة فما بقي ضرب من الوحي إلا و قد نزل عليه به فلما كان بهذه المثابة و بديء صلى الله عليه و سلم بالرؤيا في وحيه ستة

أشهر علمنا إن بدء الوحي الرؤيا و إنها جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة لكونها ستة أشهر و كانت نبوته ثلاثا و عشرين سنة فستة أشهر جزء من ستة و أربعين و لا يلزم أن يكون لكل نبي فقد يوحى لنبي لا من بدء الوحي الذي هو الرؤيا بل بضرب آخر من الوحي فلما بديء بالرؤيا صلى الله عليه و سلم قلنا الرؤيا بدء الوحي بلا شك لأن الكمال الذي وصف به نفسه صلى الله عليه و سلم في المقام أعطى أن يكون بدء الوحي ما بديء به رسول الله صلى الله عليه و سلم و كذا ينبغي أن يكون فإن البدء عندنا هو ما يناسب الحس أولا ثم يرتقي إلى الأمور المجردة الخارجة عن الحس فلم تكن إلا الرؤيا نوما كان أو يقظة و الوحي هنا تشريع الشرائع من كونه نبيا أو رسولا كيف ما كان و هذا كله إذا كان سؤاله عن الوحي المنزل على البشر فإن كان سؤاله عن بدء الوحي من حيث الوحي أو عن بدء الوحي في حق كل صنف ممن يوحى إليه كالملائكة و غير البشر من الجنس الحيواني مثل قوله وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ و غير الجنس الحيواني مثل عرض الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فإنه كان بوحي و مثل قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و مثل قوله وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها و هي نفس كل مكلف و ما ثم إلا مكلف لقوله فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها فدخل الملك بالتقوى في هذه الآية إذ لا نصيب له في الفجور و كذلك سائر نفوس ما عدا الإنس و الجان فالإنس و الجن ألهموا الفجور و التقوى كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ من عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً فإن أراد بدء الوحي في كل صنف صنف و شخص شخص فهو الإلهام فإنه لا يخلو عنه موجود و هو الوحي و هذا جواب عن بدء الوحي من حيث الوحي و من حيث شخص شخص

(السؤال السادس و العشرون) ما بدء الروح الجواب أهل الطريق يطلقون لفظ الروح على معان مختلفة فيقولون فلان فيه روح أي أمر رباني يحيي به من قام به يعني قلبه و يطلقون الروح على الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم و يطلقون الروح و يريدون به الروح الذي ينفخ فيه عند كمال تسوية الخلق و الذي مدار الطريق عليه هو الروح الذي يجده أهل الله عند الانقطاع إليه بالهمم و العبادة فأكثر ما يقع عنه السؤال منهم غالبا فيكون قوله ما بدء الروح أي ما ابتداء حصوله في قلب العارف فتقول إن بدء الروح في نفوس أهله الذين أهلهم الله لتحصيله إن نفس الرحمن إذا تحكمت في نفوسهم المجاهدات التي تعطيهم رؤية الأغيار عرية عن رؤية الله فيها و أنها حائلة و قاطعة بين الله و بين هذا العبد فيكون صاحب هذه المجاهدة صاحب قبض و هم و غم و حجب يريد رفعها فتهب عليه من نفس الرحمن في باطنه ما يؤديه إلى رؤية وجه الحق في هذه القواطع على زعمه و في هذه الحجب و الأشياء التي يجاهد نفسه في قطع ما يتعرض إليه منها في طريقه فيريه ذلك النفس وجه الحق في كل شيء و هو العين و الحافظ عليه وجودها فلم ير شيئا خارجا عن الحق فزال تعبه من حيث ما يريد قطعها و يتألم عند ذلك ألما شديدا حيث يتوهم عدم تلك المعرفة ثم يعقب ذلك سرور عظيم لوجود هذا

النفس فيحيي به معناه و يصير به روحا و هو قوله أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا ما هو تحت كسبك و لا تعلق لك خاطر بتحصيله ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي به من نَشاءُ من عِبادِنا فهذا العارف ممن شاء من عباده فيقال فيه عند ذلك إنه ذو روح و يقال فيه إنه حي و قد التحق بالأحياء و هو قوله أَ وَمن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي به في النَّاسِ و من لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً و هو هذا الروح فَما لَهُ من نُورٍ فكان بجعل الله و لم يضفه إلى الاكتساب فإنه مجهول العين لعدم الذوق فهذا معنى بدء الروح الذي يجده العارفون في الطريق و هو مقصود السائلين و هو نور من حضرة الربوبية لا من غيرها و أصله من الروح الذي هو من أَمْرِ رَبِّي أي من الروح الذي لم يوجد عن خلق فإن عالم الأمر كل موجود لا يكون عند سبب كوني يتقدمه و لكل موجود منه شرب و هو الوجه الخاص الذي لكل موجود عن سبب و عن غير سبب فعن هذا الروح يكون هذا الروح المسئول عنه الذي يجده أهل هذا الطريق

(السؤال السابع و العشرون) ما بدء السكينة الجواب مطالعة الأمر بطريق الإحاطة من كل وجه و ما لم يكن ذلك فالسكينة لا تصح قال إبراهيم عليه السلام أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي فجعل الطمأنينة بدء السكينة لما اختلفت عليه وجوه الأحياء فكانت تجاذبه من كل ناحية فلما أشهده الله الكيفية سكن عما كان يجده من القلق لتلك الجذبات التي للوجوه المختلفة قال بعضهم

إنما أجزع مما اتقى فإذا حل فما لي و الجزع
و كذا أطمع فيما أبتغي فإذا فات فما لي و الطمع

فحصول المطلوب أو اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب و كذلك على ما يليق به يكون ما يخاف منه فاعلم ذلك

فإذا أكمل الإنسان شرائط الايمان و أحكمها حصل من الحق تجل لقلب هذا المؤمن الذي هو بهذه الصفة يسمى ذلك التجلي ذوقا هو بدء جعل السكينة في قلبه لتكون تلك السكينة له بابا أو سلما إلى حصول أمر مغيب يقع له الايمان به فيكون معه وجود السكون لما أعطاه الأمر الأول لكونه يصير أمرا معتادا مثل سكون من تعود الأسباب إلى الأسباب و لا يكون ذلك عن غيب أصلا بل عن ذوق و هو المعاينة فإن الإنسان إذا كان عنده قوت يومه سكنت نفسه لما يعطيه قلق يومه لمعاينة ما عنده بحصوله تحت ملكه فإن حصل الايمان عنده بهذه المثابة تحت حكمه فهو صاحب سكينة و إن كان الإنسان تحت حكم الايمان نازعه العيان فلم تحصل سكينة و اعلم أن المعاني التي تتصف بها القلوب قد يجعل الله علامة على حصولها في نفوس من شاء من عباده أن يحصلها فيه علامات من خارج تسمى تلك العلامة باسم ذلك المعنى الذي يحصل في نفسه من الله و إنما يسميه به ليعلم أن تلك العلامة لحصول هذا المعنى نصبت مثل قوله

تعالى في تابوت بنى إسرائيل إن الله قد جعل فيه سكينة و هي صورة على شكل حيوان من الحيوانات اختلف الناس في أي صورة حيوان كانت و لا فائدة لنا في ذكر ما ذكروه في صورتها فكانت تلك الصورة إذا هفت أو ظهرت منها حركة خاصة بصروا فسكن قلبهم عند رؤية تلك العلامة من تلك الصورة التي سماها سكينة و إن السكينة المعلومة إنما محلها القلوب فلم يجعل لهذه الأمة علامة خارجة عنهم على حصولها فليس لهم علامة في قلوبهم سوى حصولها فهي الدليل على نفسها ما تحتاج إلى دليل من خارج كما كان في بنى إسرائيل فبدء السكينة قد بيناه و أما السكينة فهي الأمر الذي تسكن له النفس لما وعدت به أو لما حصل في نفسه من طلب أمر ما و سميت سكينة لأنها إذا حصلت قطعت عنه وجود الهبوب إلى غير ما سكنت إليه النفس و منه سمي السكين سكينا لكون صاحبه يقطع به ما يمكن قطعه به و هذا اللفظ مشتق من السكون و هو الثبوت و هو ضد الحركة فإن الحركة نقلة فالسكينة تعطي الثبوت على ما سكنت إليه النفس و لو سكنت إلى الحركة هذا حقيقتها و لا يكون ذلك إلا عن مطالعة أو مشاهدة فتنزل عليهم و هم مؤمنون فتنقلهم بنزولها عن رتبة ما كانوا به مؤمنين إلى مقام معاينة ذلك و هو تضاعف إيمانهم بالعيان لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ ألا ترى إلى قوله تعالى إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ إلا أن الأمنة هي السكينة لا غيرها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الثامن و العشرون) ما العدل الجواب العدل هو الحق المخلوق به السموات و الأرض فسهل ابن عبد الله و غيره يسميه العدل و أبو الحكم عبد السلام بن برجان يسميه الحق المخلوق به لأنه سمع الله يقول ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ أي بما يجب لذلك المخلوق مما تقتضيه حالة خاصة بقوله تعالى ثُمَّ هَدى أي بين أنه أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ أي ما خلقه إلا بالحق و هو ما يجب له فالعالم على الحقيقة هو الله الذي علم ما تستحقه الأعيان في حال عدمها و ميز بعضها عن بعض بهذه النسبة الإحاطية و لو لا ذلك لكانت نسبة الممكنات في قضية العقل فيما يجب لها من الوجود نسبة واحدة و ليس الأمر كذلك و لا وقع كذلك بل علم سبحانه ما يتقيد من الممكنات في وجوده بأمس لا يمكن عنده أن يوجده اليوم و لا في غد فإنه من تمام خلقه تعيين زمانه و هو القدر و هي الأقدار أي مواقيت الإيجاد فهو سبحانه يخلق من غير حكم قدر عليه في خلقه و المخلوقات تطلب الأقدار بذاتها ف أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ من زمانه فيمن يتقيد وجوده بالزمان و من حاله فيمن يتقيد وجوده بالحال و من صفته فيمن يتقيد وجوده بالصفة فإن قلت فيه مختار صدقت و إن قلت حكيم صدقت و إن قلت لم يوجد هذه الأمور على هذا الترتيب إلا بحسب ما أعطاه العلم صدقت و إن قلت ذاته اقتضت أن يكون خلق كل شيء على ما هو عليه ذلك الشيء في ذاته و لوازمه و أعراضه لا تتبدل و لا تتحول و لا في الإمكان أن يكون ذلك اللازم أو العارض لغير ذلك الممكن صدقت فبعد أن أعلمتك صورة الأمر على ما هو

عليه فقل ما تشاء فإن قولك من جملة من أعطى خلقه في ظهوره منك فهو من جملة الأعراض في حقك و له صفة ذاتية و لازمة و عرضية من حيث نفسه فاعلم ذلك و أما تحقيق هذا الاسم لهذه النسبة فاعلم أن العدل هو الميل يقال عدل عن الطريق إذا مال عنه و عدل إليه إذا مال إليه و سمي الميل إلى الحق عدلا كما سمي الميل عن الحق جورا بمعنى إن الله خلق الخلق بالعدل أي أن الذات لها استحقاق من حيث هويتها و لها استحقاق من حيث مرتبتها و هي الألوهية فلما كان الميل مما تستحقه الذات لما تستحقه الألوهية التي تطلب المظاهر لذاتها سمي ذلك عدلا أي ميلا من استحقاق ذاتي إلى استحقاق إلهي لطلب المألوه ذلك الذي يستحقه و من أعطى المستحق ما يستحقه سمي عادلا و عطاؤه عدلا و هو الحق فما خلق الله الخلق إلا بالحق و هو إعطاؤه خلقه ما يستحقونه و ليس وراء هذا البيان و بسط العبارة ما يزيد عليها في الوضوح

(السؤال التاسع و العشرون) ما فضل النبيين بعضهم على بعض و كذلك الأولياء الجواب قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً و قال في حق الناس وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ هذا عموم في الناس فدخل الأولياء في عموم هذه الآية و قال في حق المؤمنين و العلماء يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ فاختلف أصحابنا في مثل هذا فذهب ابن قسي إلى أن كل واحد منهم فاضل مفضول ففضل هذا هذا بأمر ما و فضله المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر فهو فاضل بوجه و مفضول بوجه لمن فضل عليه فادى إلى التساوي في الفضلية فصاحب هذا القول ما حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحق فيه و ذلك أن تنظر المراتب فإن كانت تقتضي الفضيلة فتنظر أية مرتبة هي أعم من الأخرى و أعظم فالمتصف بها أفضل ففضل أرباب المراتب بفضل المراتب فقد يزيد و يفضل بعض الناس غيره بشيء ما فيه ذلك الفضل فإن الفضل في هذا الوجه لا ينظر من حيث إنه زيادة و لكن ينظر من حيث اعتبار زيادات لها شرف في العرف و العقل كالعلم و النجارة و الخياطة و العلم بالأحكام الشرعية و العلم بما ينبغي لجلال الله و كل واحد منهم لا يعلم علم الآخر فيقال قد فضل النجار على الموحد بالدليل بالنجارة هذا لا يقال على جهة الفخر و المدح بل على جهة الزيادة و يقال فضل العالم بالله النجار على طريق الشرف و الفخر فمثل هذه المفاضلة هي التي تعتبر و هي أن يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي المجد و الشرف فهذا معنى قوله فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ بما يقتضيه الشرف و نحن نجمع إلى ذلك الزيادة فنقول في قوله فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ أي جعلنا عند كل واحد من صفات المجد و الشرف ما لم نجعل عند الآخر فقد زاد بعضهم على بعض في صفات الشرف و المراتب التي فضلوا بها بعضهم على بعض ما فيها مفاضلة عندنا لارتباطها بالأسماء الإلهية و الحقائق الربانية و لا تصح مفاضلة بين الأسماء الإلهية لوجهين الواحد أن الأسماء نسبتها إلى الذات نسبة واحدة فلا مفاضلة فيها فلو فضلت المراتب بعضها

بعضا بحسب ما استندت إليه من الحقائق الإلهية لوقع الفضل في أسماء الله فيكون بعض الأسماء الإلهية أفضل من بعض و هذا لا قائل به عقلا و لا شرعا و لا يدل عموم الاسم على فضله لأن الفضلية إنما تقع فيما من شأنه أن يقبل فلا يتعمل في القبول أو فيما يجوز أن يوصف به فلا يتصف به و الوجه الآخر أن الأسماء الإلهية راجعة إلى ذاته و الذات واحدة و المفاضلة تطلب الكثرة و الشيء لا يفضل نفسه فإذا المفاضلة لا تصح فمعقول فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا ما لم نعط هذا و أعطينا هذا أيضا ما لم نعط من فضله و لكن من مراتب الشرف ف مِنْهُمْ من كَلَّمَ اللهُ و آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ فمنهم من فضل بأن خلقه بيديه و أسجد له الملائكة و منهم من فضل بالكلام القديم الإلهي با رتفاع الوسائط و منهم من فضل بالخلة و منهم من فضل بالصفوة و هو إسرائيل يعقوب فهذه كلها صفات شرف و مجد لا يقال إن خلته أشرف من كلامه و لا إن كلامه أفضل من خلقه بيديه بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة لا تقبل الكثرة و لا العدد فهي بالنسبة إلى كذا خالقة و بالنسبة إلى كذا مالكة و بالنسبة إلى كذا عالمة إلى ما نسبت من صفات الشرف و العين واحدة و أما المسألة الطفولية التي بين الناس و اختلافهم في فضل الملائكة على البشر فإني سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم في الواقعة فقال لي إن الملائكة أفضل فقلت له يا رسول الله فإن سألت ما الدليل على ذلك فما أقول فأشا ر إلى أن قد علمتم أني أفضل الناس و قد صح عندكم و ثبت و هو صحيح إني قلت عن الله تعالى أنه قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم و كم ذاكر لله تعالى ذكره في ملأ أنا فيهم فذكره الله في ملأ خير من ذلك الملإ الذي أنا فيهم فما سررت بشيء سروري بهذه المسألة فإنه كان على قلبي منها كثير و إن تدبرت قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ و هذا كله بلسان التفصيل و أما جهة الحقائق فلا مفاضلة و لا أفضل لا رتباط الأشخاص بالمراتب و ا رتباط المراتب بالأسماء الإلهية و إن كان لها الابتهاج بذاتها و كمالها فابتهاجها بظهور آثا رها في أعيان المظاهر أتم ابتهاجا لظهور سلطانها كما تعطي الإشا رة في قول القائل المترجم عنها حيث نطق بلسانها من كناية نحن المنزل عن الله في كلامه و هي كناية تقتضي الكثرة

نحن في مجلس السرور و لكن ليس إلا بكم يتم السرور

فمجلس السرور لها حضرة الذات و تمام السرور لها ما تعطيه حقائقها في المظاهر و هو قوله بكم و ذلك لكمال الوجود و المعرفة لا لكمال الذات إن عقلت

(السؤال الثلاثون) خلق الله الخلق في ظلمة الجواب هذا مثل قوله وَ اللهُ أَخْرَجَكُمْ من بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصا رَ وَ الْأَفْئِدَةَ فهذه أنوا ر فيك تد رك بها الأشياء فما أد ركت إلا بما جعل فيك و ما جعل فيك سوى أنت فله تعالى مما أنت الوجود و

أنت من ذلك الوجود المدرك به المعدوم الموجود و ما لا يتصف بالعدم و لا بالوجود و هو إدراك الأفئدة مما ذكر فالممكنات على عدم تناهيها في ظلمة من ذاتها و عينها لا نعلم شيئا ما لم تكن مظهرا لوجوده و هو ما يستفيده الممكن منه و هو قوله تعالى عَلى نُورٍ من رَبِّهِ فخلق هنا بمعنى قدر قال تعالى وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً فقدرهم و لم يكونوا مظهرا لكن كانوا قابلين لتقديره فأول أثر إلهي في الخلق التقدير قبل وجودهم و أن يتصفوا بكونهم مظاهر للحق فالتقدير الإلهي في حقهم كإحضار المهندس ما يريد إبرازه مما يخترعه في ذهنه من الأمور فأول أثر في تلك الصورة إنما هو ما تصوره المهندس على غير مثال و آية هذا المقام قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ أي انتقالكم من وجود الدنيا إلى وجود الآخرة أقرب في العلم إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ من انتقالكم من حال عدم إلى حال وجود فأنتم في الظلمة فيكم و أنتم في الوجود فيه غير أن لكم انتقالات في وجوده و ظلمتكم تستصحبكم لا تفارقكم أبدا وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ و لم يقل نجعلهم في ظلمة بل زوال عين النور الذي هو الوجود هو عين كونكم مظلمين أي تبقي أعيانكم لا نور لها أي لا وجود لها و لو لم تكن الظلمة نسبة عدمية و هي كون ذواتكم العينية معدومة لكانت الظلمة من جملة الخلق فكانت الظلمة تستدعي أن تكون في ظلمة و الكلام في تلك الظلمة كالكلام في الأولى و يتسلسل فإن قوله خلق الله الخلق في ظلمة قد يريد بالخلق هنا المخلوقات و الظلمة إذا كانت أمرا وجوديا فهي مخلوقة فتكون أيضا في ظلمة و إذا كان الخلق هنا مصدرا كأنه قال قدر الله التقدير في ظلمة أي في غير موجودين يعني تلك الأعيان و انظر في قوله تعالى يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً من بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ثم إن الله تعالى في الوجود الأخروي إذا أراد الله بتبديل الأرض كان الخلق في الظلمة دون الجسر فالظلمة تصحيهم بين كل مقامين إذا أراد الله أن يوجدهم في عالم آخر أي ينشئهم نشأة أخرى لم تكن في أعيانهم فيعلمون بتغير الأحوال عليهم أنهم تحت حكم قهار فيكونون في حال وجودهم مثل حالهم في العدم و لهذا نبه الحق سبحانه عقولنا بقوله تعالى أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ من قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً أي قدرناه في حال شيئيته المتوجه عليها أمره إلى شيئية أخرى لقوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ يعني في حال عدمه أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ كلمة وجودية من التكوين فسماه شيئا في حال لم تكن فيه الشيئية المنفية بقوله وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً فلا بد أن يعقل العارف ما الشيئية الثابتة له في حال عدمه في قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ و ما الشيئية المنفية عنه في حال عدمه في قوله وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً فالظلمة التي خلق الله فيها الخلق نفي هذه الشيئية عنهم و النفي عدم محض لا وجود فيه و قد ذكر المفسرون معنى قوله في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ و ليس المقصود إلا ما ذكره صاحب السؤال و أما الآية فمعلوم أمرها عند العلماء بالله في خلق مخصوص و هو الخلق في الرحم لا غير انتهى الجزء الثاني و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الحادي و العشرون) فما قصتهم هناك يعني قصة المخلوقين الجواب قصتهم هناك الانتظار لما يكسوهم الحق من حلل نور الوجود لكل مخلوق نور على قدره ينفق منه و هو النور الذي يمشون فيه يوم القيامة فإن يوم القيامة ليس له ضوء جملة واحدة و الناس لا يسعون فيه إلا في أنوارهم و لا يمشي مع أحد منهم غيره في نوره كما قال عليه السلام بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة و هو الجمع بين النورين بين نورهم المبطون في أعيانهم الظاهر هناك و بين النور المبطون في ظلمة الليل الذي ينوب عنه السراج في نفي تلك الظلمة عن طريق الماشي و المسجد بيت الله يسعى إليه لمناجاته كذلك هذا النور لا يكون لهم إلا في الوقت الذي يدعون فيه إلى رؤية ربهم الذي ناجوه هنا فيمشون في ذلك الوقت في النور الذي كان مبطونا في الظلمة التي سعوا فيها في صلاة الصبح و العشاء إلى المساجد و انتظارهم هو انتظار حال فإنهم غير موصوفين في تلك الظلمة بالعلم لأن الاتصاف بالعلم تابع للوجود و هم غير موجودين بل هم في شيئيتهم القابلة لقول التكوين و لما جعل الظلمة ظرفا للخلق كذلك قال هناك فأتى بما يدل على الظرف فهم قابلون للتقدير و إن كان قوله في ظلمة في موضع الحال من الخالق فيكون المراد به العماء الذي ما فوقه هواء و ما تحته هواء الذي أثبته رسول الله صلى الله عليه و سلم بهذه الصفة للحق تعالى حين قيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال صلى الله عليه و سلم كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فنزه أن يكون تصريفه للأشياء على الأهواء فإنه لما كنى عن ذلك الوجود بما هو اسم للسحاب محل تصريف الأهواء نفى أن يكون فوق ذلك العماء هواء أو تحته هواء فله الثبوت الدائم لا على هواء و لا في هواء فإن السؤال وقع بالاسم الرب و معناه الثابت يقال رب بالمكان إذا أقام فيه و ثبت فطابق الجواب و لم يصف الحق نفسه في مخلوقاته إلا بقوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ و قال كَذَلِكَ يُصَرِّفُ الْآيَاتِ فتخيل من لا فهم له تغير الأحوال عليه و هو يتعالى و يتقدس عن التغيير بل الحالات هي متغيرة ما هو يتغير بها فإنه الحاكم و لا حكم عليه فجاء الشارع بصفة الثبوت الذي لا تقبل التغيير فلا تصرف آياته يد الأهواء لأن عماءه لا يقبل الأهواء و ذلك العماء هو الأمر الذي ذكرنا أنه يكون في القديم قديما و في المحدث محدثا و هو مثل قولك أو عين قولك في الوجود إذا نسبته إلى الحق قلت قديم و إذا نسبته إلى الخلق قلت محدث فالعماء من حيث هو وصف للحق هو وصف إلهي و من حيث هو وصف للعالم هو وصف كياني فتختلف عليه الأوصاف لاختلاف أعيان الموصوفين قال تعالى في كلامه القديم الأزلي ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فنعته بالحدوث لأنه نزل على محدث لأنه حدث عنده ما لم يكن يعلمه فهو محدث عنده بلا شك و لا ريب و هذا الحادث هل هو محدث في نفسه أو ليس بمحدث فإذا قلنا فيه إنه صفة الحق التي يستحقها جلاله قلنا بقدمها بلا شك فإنه يتعالى أن تقوم الصفات الحادثات به فكلام الحق قديم في نفسه قديم بالنسبة إليه محدث أيضا كما قال عند من أنزل عليه كما أنه أيضا من وجوه قدمه نسبته إلى الحدوث

بالنظر إلى من أنزل عليه فهو الذي أيضا أوجب له صفة القدم إذ لو ارتفع الحدوث من المخلوق لم يصح نسبة القدم و لم تعقل فلا تعقل النسب التي لها أضداد إلا بأضدادها فقصة الخلق في الظلمة التهيؤ و القبول في الأعيان لظهور الحق في صور الوجود لهذه الأعيان (السؤال الثاني و الثلاثون) و كيف صفة المقادير الجواب المقادير هي الصفات الذاتية للأشياء فلا صفة لها فهي الحدود المانعة من هو متصف بها أن تكون صفة لغيره و عندي في حد الحد نظر سفإن أراد بقوله صفة المقادير المنع و يجعله صفة من حيث إنك تعبر عنها بأمر هو عينها بعد علمك بهذا فقل إن هذا صفة المقدار و إن أردت الحقيقة فلا صفة للمقادير لأن الشيء لا يكون صفة لنفسه فإن قلت فالصفات النفسية ما هي بأمر زائد على الذات قلنا صدقت قال فإذا قد وصفت الشيء بنفسه قلت إن كان غير مركب فالوصف فيه عين إطلاق لفظ يكون شرحا للفظ آخر عند السامع يقع به الإفهام عنده و إن كان الشيء مركبا فذلك الوصف للمجموع و حكم الشيء من كونه مجموعا غير حكمه من كونه غير مجموع فأنت إنما ذكرت آحاد ذلك المجموع المعقول من هذه الجمعية أمرا ما هو عين كل مفرد من هذا المجموع فهذا الشيء الموصوف بصفاته النفسية إنما تلك أسماء آحاده ألا ترى الذات لا توصف رأسا فإنها لذاتها هي ذات و لذاتها لا تقبل الوصف ثم لما قلت الله من حيث المرتبة استحق أن يوصف من حيث هذا الاسم بما يطلبه هذا الاسم من الحقائق التي تعينها المحدثات المعبر عنها بالأسماء فما ثم شيء يوصف بنفسه إلا من حيث شرح لفظ بلفظ آخر و لذا قسمنا الحدود إلى ثلاث مراتب ذاتية و رسمية و لفظية فالمقادير جمع مقدار و الأقدار جمع قدر فلا يلتبس عليك المقادير بالأقدار فبعض المقادير محل تأثير الأقدار فاعلم فحدود الأمور الذاتية عين مقاديرها فالوزن القدر و الموازين المقادير و بها توزن الأشياء فالأمور لا تعلم إلا بحدودها و من لا حد له فذلك حده فقد علم

(السؤال الثالث و الثلاثون) فما سبب علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم الجواب في السؤال حذف و هو أن يقول ما سبب طي علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم فإن كان هذا الرجل يقول بفضل أفضل البشر على أفضل الملائكة فكأنه قال الذي طوى عن كل ما سوى الله و إن كان يرى أن أفضل الملائكة أفضل من أفضل البشر فقوله فمن دونهم لا يلزم أن من هو أفضل من الرسل طوى عنه علم القدر فقد يمكن عنده أن يكون من هو أعلى يعلم ذلك فبقي الجواب عما يقتضيه الأمر في نفسه هل ثم من يعلم علم القدر أم لا قلنا لا و لكن قد يعلم سره و تحكمه في الخلائق و قد أعلمنا به فعلمناه بحمد الله و أن مظاهر الحق في أعيان الممكنات المعبر عنها بالعالم هي آثار القدر و هي علامة على وجود الحق و لا دليل أدل على الشيء من نفسه فلم يعلم الحق بغيره بل علم بنفسه و نسبة الوجود إلى هذه الأعيان قد قلنا إن ذلك أثر القدر فنعلم القدر بأثره و نعلم الحق بوجوده و ذلك لأن القدر نسبة مجهولة خاصة و الحق

وجود فيصح تعلق العلم بالحق و لا يصح تعلق العلم بالقدر فإن علمنا بظهور المظهر في العين هو عين علمنا بالحق و القدر مرتبة بين الذات و بين الحق من حيث ظهوره لا يعلم أصلا و حكمه في المظاهر حكم الزمان في عالم الأجسام فلهذا يطلقه أكثر المحققين على الأوقات المعقولة و قد أعلمناك أن الزمان نسبة معقولة غير موجودة و لا معدومة و هو في الكائنات فالوقت أعز مقاما في امتناع العلم به أو تصوره فلا ينال أبدا و قد كان العزيز رسول الله عليه السلام كثير السؤال عن القدر إلى أن قال له الحق تعالى يا عزيز لئن سألت عنه لأمحون اسمك من ديوان النبوة و يقرب منه السؤال عن علل الأشياء في تكوينا تها فأفعال الحق لا ينبغي أن تعلل فإنه ما ثم علة موجبة لتكوين شيء إلا عين وجود الذات و قبول عين الممكن لظهور الوجود فالأزل لا يقبل السؤال عن العلل و إن ذلك لا يصدر إلا من جاهل بالله فالسبب الذي لأجله طوى علم القدر هو أن له نسبة إلى ذات الحق و نسبة إلى المقادير فعز أن يعلم عز الذات و عز أن يجهل لنسبة المقادير فهو المعلوم المجهول فأعطى التكليف في العالم فاشتغل العالم بما كلفوا و نهوا عن طلب العلم بالقدر و لا يعلم إلا بتقريب الحق و شهوده شهودا خاصا لعلم هذا المسمى قدرا فأولياء الله و عباده لا يطلبون علمه للنهي الوارد عن طلبه فمن عصى الله و طلبه من الله و هو لا يعلم بالنظر الفكري فلم يبق إلا أن يعلم بطريق الكشف الإلهي و الحق لا يقرب من عصاه بمعصيته و طالب هذا العلم قد عصاه في طلبه فلا ينال من طريق الكشف و ما ثم طريق آخر يعلم به علم القدر فلهذا كان مطويا عن الرسل فمن دونهم و إن نزع أحد إلى أن السائل اعتبر بسؤاله معنى الرسالة فمن حيث إنهم رسل طوى عنهم في هذه المرتبة و من دونهم من أرسل إليهم و ذلك هو التكليف فسد الله باب العلم بالقدر في حال الرسالة فإن علموه فما علموه من كونهم رسلا بل من كونهم من الراسخين في العلم فقد ينال على هذا لو لا ما بيناه من أن مرتبته بين الذات و المظاهر فمن علم الله علم القدر و من جهل الله جهل القدر و الله سبحانه مجهول فالقدر مجهول فمن المحال أن يعرف المألوه الله لأنه لا ذوق له في الألوهة فإنه مألوه و لله ذوق في المألوهية لكونه يطلبها في المألوه كما يطلبه المألوه فمن هناك وصف الحق نفسه بما وصف به مظاهره من التعجب و الضحك و النسيان و جميع الأوصاف التي لا تليق إلا بالممكنات فسر القدر عين تحكمه في المقادير كما إن الوزن متحكم في الموزون و الميزان نسبة رابطة بين الموزون و الوزن بها يتعين مقدار الموزون و مقادير الموزونات على اختلافها فالحق وضع الميزان و قال وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و يستحقه من أنزل إليه فكل شيء بقضائه أي بحكمه و قدره أي وزنه و هو تعيين وقت حالا كان وقته أو زمانا أو صفة أو ما كان فظهر إن سبب طي علم القدر سبب ذاتي و الأشياء إذا اقتضت الأمور لذواتها لا للوازمها أو أعراضها لم يصح أن تتبدل ما دامت ذواتها و الذوات لها الدوام في نفسها لا لنفسها فوجود العلم بها محال

(السؤال الرابع و الثلاثون) لأي شيء طوى الجواب هذا سؤال اختبار إن كان السائل عالما فإنه من المعلومات ما يعلل و منها ما لا يعلل هذا في المعلومات فكيف ما لا يعلم كيف يصح أن يعلل الجهل به و أما من يرى أن القدر معلوم لمن فوق مرتبة الرسل من الملائكة أو من شاء الله من خلقه الذي لا علم لنا بأجناس خلقه فيكون طيه حتى لا يشارك الحق في علم حقائق الأشياء من طريق الإحاطة بها إذ لو علم أي معلوم كان بطريق الإحاطة من جميع وجوهه كما يعلمه الحق لما تميز علم الحق عن علم العبد بذلك الشيء و لا يلزمنا على هذا الاستواء فيما علم منه فإن الكلام فيما علم منه على ذلك فإن العبد جاهل بكيفية تعلق العلم مطلقا بمعلومه فلا يصح أن يقع الاشتراك مع الحق في العلم بمعلوم ما و من المعلومات العلم بالعلم و ما من وجه من المعلومات إلا و للقدر فيه حكم لا يعلمه إلا الله فلو علم القدر علمت أحكامه و لو علمت أحكامه لاستقل العبد في العلم بكل شيء و ما احتاج إلى الحق في شيء و كان الغني له على الإطلاق فلما كان الأمر بعلم القدر يؤدي إلى هذا طواه الله عن عباده فلا يعلم فكل شخص في العالم على جهل من نفسه و علم فمن حيث جهله يفتقر و يسأل و يخضع و يتضرع و يعلمه بجهله يقع منه هذا الوصف هذا إذا اتفق أن يكون ممكنا العلم به و قد قررنا أنه محال لذاته كما يعلم أنه ليس للحق من الصفات النفسية سوى واحدة لأحديته و هي عين ذاته فليس له فصل مقوم يتميز به عما وقع له من الاشتراك فيه مع غيره بل له الأحدية الذاتية التي لا تعلل و لا تكون علة فهي الوجود و ما هي و من الأسباب التي لأجلها طوى علم ذلك عن الإنسان لكون ذات الإنسان تقتضي البوح به لأنه أسنى ما يمدح به الإنسان و لا سيما الرسل فحاجتهم إليه آكد من جميع الناس لأن مقام الرسالة يقتضي ذلك و ما ثم علم و لا آية أقرب دلالة على صدقهم من مثل هذا العلم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما وصف ربه به مما أوحى إليه به أنه لا شيء أحب إلى الله تعالى من أن يمدح و لا مدحة فوق المدحة بمثل هذا ثم إن الله خلق آدم على صورته فلا شيء أحب إلى العبد من أن يمدح و يثنى عليه و أسنى ما يمدح به العبد العلم بالله و علمه بالقدر علمه بالله فلو فتح للعبد الإنساني العلم بالقدر و قد أمر بالغيرة فيه و طيه عمن لا ينبغي أن يظهر عليه و كان الإنسان و هو مجبول على حب المدح و الرسالة تعطي الرغبة في هداية الخلق أجمعين و لا طريق للهداية أوضح من هذا الفن فالذي كانوا يلقونه من الكتم من الألم و العذاب في أنفسهم لا يقدره فخفف الله عن الرسل مثل هذا الألم فطواه عنهم فإن جميع العالم ممن له قوة على إيصال ما في نفسه من الأمور إلى الخلق يكتمون علم مثل هذا و غيره إذا كان عندهم إلا الجن و الإنس فإن النشأة من هذه القوي العنصرية تقتضي لهم ذلك فمن كتم منهم فإنما يكتم على كره مما ينبغي أن يمدح به إذا بثه و لو لا إن البهائم لم تعط لها قوة التوصيل لأعلمت بما تشاهده من الأمور الغيبية التي أمر الله من يعلمها بسترها مثل خوار الميت على نعشه و عذاب القبر و حياة الشهداء فكل دابة تسمعه و تصغي يوم الجمعة شفقا من الساعة و لكن لما كوشفت على مثل هذا

أعطيت الخرس عن التوصيل فكتمها الأشياء اضطراري لا اختياري فطواه الله عن الثقلين لذلك فإنه من الأسرار المكتومة فهذا من الأسباب التي طوى لها علم القدر

(السؤال الخامس و الثلاثون) متى ينكشف لهم سر القدر الجواب سر القدر غير القدر و سره عين تحكمه في الخلائق و إنه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون الحق بصرهم فإذا كان بصرهم بصر الحق و نظروا للأشياء ببصر الحق حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه إذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شيء قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ لكونها مظلمة تمدح بإدراك الأشياء فيها كيف يشاء من أنواع الصور و التصوير لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ أي المنيع الذي نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير و لا تصور الحكيم بما تعطيه الاستعدادات المسواة لقبول الصور فيعين لها من الصور ما شاء مما قد علم أنها مناسبة له قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه تعالى أنه قال ما تقرب أحد بأحب إلي من أداء ما افترضته عليه لأنها عبودية اضطرار و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل و هي عبودية اختيار حتى أحبه إذ جعلها نوافل فاقتضت البعد من الله فلما ألزم عبودية الاختيار نفسه لزوم عبودية الاضطرار أحبه فهو معنى قوله تعالى حتى أحبه ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به الحديث فإذا كان الحق لهذه الحالة بصر العبد كيف يخفى عليه ما ليس يخفى فأعطته النوافل و اللزوم عليها أحكام صفات الحق و أعطته الفرائض أن يكون كله نورا فينظر بذاته لا بصفته فذاته عين سمعه و بصره فذلك وجود الحق لا وجوده وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال السادس و السابع و الثلاثون) أين ينكشف لهم و لمن ينكشف منهم الجواب في حال الانفعال عنهم و الاتحاد بهم و ذلك أن من المظاهر من يعلم أنه مظهر و من المظاهر من لا يعلم أنه مظهر فيتخيل أنه عن الحق أجنبي و علامة من يعلم أنه مظهر أن تكون له مظاهر حيث شاء من الكون كقضيب البان فإنه كان له مظاهر فيما شاء من الكون لا حيث ما شاء من الكون و إن من الرجال من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء و من كان له الظهور حيث شاء من الكون كان له الظهور فيما شاء من الكون فتكون الصورة الواحدة تظهر في أماكن مختلفة و تكون الصور الكثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة في عين المدرك لها فإذا حصل الإنسان في المكان الذي يعرف فيه تجلى الحق في الصور المختلفة للشخص الواحد أو الأشخاص الكثيرين فمعرفته بتلك الحيثية لا تكون إلا ذوقا و من عرف مثل هذا ذوقا كان متمكنا من الاتصاف بمثل هذه الصفة و هذا هو علم سر القدر الذي ينكشف لهم إذا كانوا في هذا المنزل و بهذه القوة

(السؤال الثامن و الثلاثون) ما الإذن في الطاعة و المعصية من ربنا الجواب قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ فالإذن الذي تشترك فيه الطاعة و المعصية هو الأذن الإلهي في كون المأذون فيه فعلا لا من طريق الحكم لأن حكمه في الأشياء بالطاعة و المعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة فلا يكون مرادا فلا يكون الحكم مأمورا به و المحكوم به و عليه هو المراد و المأمور به فلا يصح الأذن في الطاعة و المعصية من حيث إنها طاعة و معصية قال تعالى وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ من عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ من عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ من حيث إنها فعل فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً فأنكر عليهم أن تكون السيئة من عند محمد صلى الله عليه و سلم كما قال في موسى يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ من مَعَهُ فقال لهم وَما أَصابَكَ من سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ لا من محمد صلى الله عليه و سلم فاحتجاجنا في مسألتنا إنما هو بقوله قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ فأضاف الكل إلى الله و الكل خير و هو بيده و الشر ليس إليه فأوهم السائل المسئول بلفظ الطاعة و المعصية ليرى ما عنده من العلم فإنه سؤال ابتلاء منه لمدعي علم الحقائق من طريق الكشف و قد قررنا هذا الفصل في كتاب المعرفة لنا

(السؤال التاسع و الثلاثون) و ما العقل الأكثر الذي قسمت العقول منه لجميع خلقه الجواب لما كان في نفس الأمر يقتضي أن يكون مراتب المعلومات من الممكنات ثلاثا مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول بطريق الأدلة و البداية و مرتبة من شأنها أن تدرك بالحواس و هي المحسوسات و مرتبة من شأنها أن تدرك بالعقل أو الحواس و هي المتخيلات و هي تشكل المعاني في الصور المحسوسة تصورها القوة المصورة الخادمة للعقل يقتضي ذلك أمر يسمى الطبيعة فيما ينشأ منها من الأجسام الإنسانية و الجنية فلما إن شاء الله أن يوضح للمكلفين من عباده أسباب سعادتهم على ألسنة رسله من البشر إليهم بوساطة الروح العلوي المنزل بذلك على قلوب بعض البشر المسمين رسلا و أنبياء أجرى المعاني في المخاطبات مجرى المحسوسات في الصور التي تقبل التجزي و الانقسام و القلة و الكثرة و جعل محل ذلك حضرة الخيال فحصروا المعاني في الخطاب فتلقتها بالتشبيه العقول كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني التي ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها أن تكون متحيزة أو منقسمة أو قليلة أو كثيرة أو ذات حد و مقدار و كيف و كم و جعل لنا الدليل على قبول ما أتى به من هذا القبيل في هذه الصور ما يراه النائم في نومه من العلم في صورة اللبن فيشربه حتى يرى الري يخرج من أظفاره فقيل له ما أولته يا رسول الله يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت فقال العلم و معلوم أن العلم ليس بجسم يسمى لبنا و لا هو لبن و إنما هو معنى مجرد عن الصور التي من شأنها أن تدركها الحواس فكان منها ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب فمن الناس من حصل له من العقل الممثل في الصور التي من شأنها أن تكال القفيز و القفيزين و الأكثر و الأقل و المد و المدين و الأكثر من

ذلك و الأقل ليبين بهذا تفاضل الناس في العقول لأنه المشهود عندنا لأنا نرى أشخاصا كلهم يتصفون بأنهم عقلاء ذوو أحلام فمنهم من يدرك عقله غوامض الأسرار و المعاني و يحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكيم على خمسين وجها و مائة و أكثر و أقل من المعاني الغامضة و العلوم العالية المتعلقة بالجناب الإلهي أو الروحاني أو الطبائع أو العلم الرياضي أو الميزان المنطقي و عقل شخص ينزل عن هذه الدرجة إلى ما هو أقل و آخر ينزل دون هذا الأقل و عقل آخر يعلو فوق هذا الأكبر فلما شاهدنا تفاوت العقول احتجنا أن نقسمها على الأشخاص تقسيم الذوات التي تقبل الكثرة و القلة و يسمى المعنى القابل لهذه القسمة المعنوية الممثلة العقل الأكثر أي الذي قسمت منه هذي العقول التي في العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت و صورة تكوين العقول من هذا العقل الأكبر في تحقيق الأمر بطريق التمثيل و التشبيه الأقرب إلى المناسب بالسراج الأول فتوقد منه جميع الفتائل فتتعدد السرج بعدد الفتائل و تقبل الفتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها ففتيلة طبيعية في غاية النظافة صافية الدهن وافرة الجسم يكون قبولها أعظم في اتساع النور و في كمية جسم النور و أكبر من فتيلة نزلت عن هذه في الصفة من النظافة و الصفاء فكان التفاوت بين الأنوار بحسب استعدادات الفتائل و مع هذا فلم ينقص من السراج الأول شيء بل هو على كماله كما كان و كل سراج من هذه السرج يضاهيه و يقول أنا مثله و بأي شيء فضل علي و أنا يؤخذ مني كما يؤخذ منه و يصول و يقول و ما يرى فضله عليه من وجه إنه الأصل و له التقدم و الثاني إنه في غير مادة و لا واسطة بينه و بين ربه و ما عداه فلم يظهر له وجود إلا به و بالمواد التي قبلت الاشتعال منه فظهرت أعيان العقول هذا كله غاب عنها بل ما لها فيه ذوق كيف يدرك من لا وجود له إلا بين أب و أم حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة و إذا كانت العقول تعجز عن إدراك العقل الأول التي ظهرت عنه فعجزها عن إدراك خالق العقل الأول و هو الله تعالى أعظم فإنه أول ما خلق الله العقل و هو الذي ظهرت منه هذه العقول بوساطة هذه النفوس الطبيعية فهو أول الآباء و سماه الله في كتابه العزيز الروح و أضافه إليه فقال في حق النفوس الطبيعية و حق هذا الروح و حق هذه الأرواح الجزئية التي لكل نفس طبيعية فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و هو هذا العقل الأكبر و لهذا يقال فيه العقل الغريزي معناه الذي اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها الذي هو عبارة عن تسويتها و تعديلها لقبول هذا الأمر و اعلم أن أصل كل متكثر الواحد فالأجسام ترجع إلى جسم واحد و الأنفس ترجع إلى نفس واحدة و العقول ترجع إلى عقل واحد و لكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته بل بنسب إذا تأملت ما ذكرناه وجدته كذلك فيكون كان ذلك الواحد انقسم إلى هذه الكثرة لا أنه انقسم في نفسه إما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس و العقول و الأصل المرجوع إليه و إما لكونه في قوته أن تكون منه هذه

الكثرة من غير أن ينقص منه من حيث جسميته كالجسوم التي يتولد عنها الحيوان بماء أو ريح فذلك الماء أو الريح ليس هو من حد هذا الجسم الذي تكون عنه ما تكون

(السؤال الأربعون) ما صفة آدم عليه السلام الجواب إن شئت صفته الحضرة الإلهية و إن شئت مجموع الأسماء الإلهية و إن شئت قول النبي صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته فهذه صفته فإنه لما جمع له في خلقه بين يديه علمنا أنه قد أعطاه صفة الكمال فخلقه كاملا جامعا و لهذا قبل الأسماء كلها فإنه مجموع العالم من حيث حقائقه فهو عالم مستقل و ما عداه فإنه جزء من العالم و نسبة الإنسان إلى الحق من جهة باطنه أكمل في هذه الدار الدنيا و أما في النشأة الآخرة فإن نسبته إلى الحق من جهة الظاهر و الباطن و أما الملك فإن نسبته من جهة الظاهر إلى الحق أتم و لا باطن للملك و لكن إلى الحق من حيث هو مسمى الله لا من حيث ذاته فإنه من حيث ذاته هو لذاته و من حيث مسمى الله يطلب العالم فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة و هي كونه ألها ربا و لهذا لا كلام له فيه إلا في هذه النسب و الإضافات و سمي بآدم لحكم ظاهره عليه فإنه ما عرف منه سوى ظاهره كما أنه ما عرف من الحق سوى الاسم الظاهر و هو المرتبة الإلهية فالذات مجهولة و كذلك كان آدم عند العالم من الملائكة فمن دونهم مجهول الباطن و إنما حكموا عليه بالفساد أي بالإفساد من ظاهر نشأته لما رأوها قامت من طبائع مختلفة متضادة متنافرة فعلموا أنه لا بد أن يظهر أثر هذه الأصول على من هو على هذه النشأة فلو علموا باطنه و هو حقيقة ما خلقه الله عليه من الصورة لرأوا الملائكة جزءا من خلقه فجهلوا أسماءه الإلهية التي نالها بهذه الجمعية لما كشف له عنه فأبصر ذاته فعلم مستنده في كل شيء و من كل شيء فالعالم كله تفصيل آدم و آدم هو الكتاب الجامع فهو للعالم كالروح من الجسد فالإنسان روح العالم و العالم الجسد فبالمجموع يكون العالم كله هو الإنسان الكبير و الإنسان فيه و إذا نظرت في العالم وحده دون الإنسان وجدته كالجسم المسوي بغير روح و كمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح و الإنسان منفوخ في جسم العالم فهو المقصود من العالم و اتخذ الله الملائكة رسلا إليه و لهذا سماهم ملائكة أي رسلا من المالكة و هي الرسالة فإن أخذت الشرف بكمال الصورة قلت الإنسان أكمل و إن أخذت الشرف بالعلم بالله من جانب الحق لا من طريق النظر فالأفضل و الأشرف من شرفه الله بقوله هذا أفضل عندي فإنه لا تحجير عليه في إن يفضل من شاء من عباده فإن العلم بالله الذي يقع به الشرف لا حد له ينتهي إليه

(السؤال الحادي و الأربعون) ما توليته الجواب إن الله تولاه بثلاث منها توليته في خلقه بيديه و منها بما علمه من الأسماء التي ما تولى بها ملائكته و منها الخلافة و هي قوله إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فإن كان قوله خَلِيفَةً لقوله وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ فهو نائب الحق في أرضه و عليه يقع الكلام و إن أراد بالخلافة أنه يخلف من كان فيها لما فقد فما نحن بصدد ذلك و كان المقصود النيابة عن الحق بقوله خَلِيفَةً لقولهم من

يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ و هذا لا يقع إلا ممن له حكم و لا حكم إلا لمن له مرتبة التقدم و إنفاذ الأوامر فأما مقصود السائل فإنه يريد الخلافة التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه فأقامه بالاسم الظاهر و أعطاه علم الأسماء من حيث ما هي عليه من الخواص التي يكون عنها الانفعالات فيتصرف بها في العالم تصرفها فإنه لكل اسم خاصة من الفعل في الكون يعلمها من يعلم علم الحروف و ترتيبها من حيث ما هي مرقومة و من حيث ما هي متلفظ بها و من حيث ما هي متوهمة في الخيال فمنها ما له أثر في العالم الأعلى و تنزيل الروحانيات بها إذا ذكرت أو كتبت في عالم الحس و منها ما له أثر في العالم الجبروتي من الجن الروحاني و منها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل و في حس كل ذي حس و منها ما له أثر في الجانب إلا حي الأعلى الذي هو موضع النسب و لا يعرف هذا التأثير الواحد و أسماءه إلا الأنبياء و المرسلون سلام الله عليهم و هي أسماء التشريع و العمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النسبي و هو جناب عزيز لا يشعر به جعله الحق سبحانه موضع أسراره و محلى تجلياته و هو الذي يعطي النزول و الاستواء و المعية و الفرح و الضحك و المقدار و ما يفهم منه من الآلات التي لا تكون إلا لذوات المقادير و الكميات و الكيفيات و قال تعالى وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ فجاء بالهوية بما ينبغي أن يظهر به في السموات من الألوهية بالاسم الذي يخصها وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ بالاسم الذي ينبغي أن يظهر به في الأرض من كونه إلها فكان آدم نائبا عن هذا الاسم و هذا الاسم هو باطنه و هو المعلم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها و هكذا هو كل خليفة فيها و لهذا قال جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ أي يخلف بعضنا بعضا فيها في تلك المرتبة مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها و ذلك لاختلاف الأزمان و اختلاف الأحوال فيعطي هذا الحال و الزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان و الحال الذي كان قبله و الذي يكون بعده و لهذا اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار فآية كل خليفة و رسول من نسبة ما هو الظاهر و الغالب على ذلك الزمان و أحوال علمائه أي شيء كان من طب أو سحر أو فصاحة و ما شاكل هذا و هو قوله وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ يقول للخلفاء لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ و هاتان الصفتان لا تكونان إلا لمن بيده الحكم و الأمر و النهي فهذا النسق يقوي أنه أراد خلافة السلطنة و الملك و هي التولية الإلهية و أعظم تأثيراتها الفعل بالهمة من حيث إن النفس ناطقة لا من حيث الحرف و الصوت المعتاد في الكلام اللفظي فإن الهمة من غير نطق النفس بالنطق الذي يليق بها و إن لم يشبه نطق اللسان لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه عند جماعة أصحابنا و أوقعهم في هذا الإشكال حكم النيابة عن الله الذي إذا أراد شيئا و هو المعبر فينا بالهمة أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و هو المعبر عنه فينا بالنطق أو الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب إليه ذلك فما اكتفى سبحانه في حق نفسه بالإرادة حتى قرن معها القول و حينئذ وجد التكوين و لا يمكن أن يكون النائب عنه و هو الخليفة بأبلغ في التكوين ممن استخلفه فلهذا لم يقتصروا

على الهمة دون نطق النفس و أما نحن فنقول بهذا في موطنه و هو صحيح غير أن الذات غاب عنهم ما تستحقه لكون المرتبة لا تعقل دونها فكان كون المرتبة إنما هو عن الذات بلا شك لأن الذات تطلبها طلبا ذاتيا لا طلبا يتوقف على همة و قول بل عين همتها و قولها هو عين ذاتها فكون الألوهة لها هو ما يكون عن ذات الخليفة من حيث إنها ذات خليفة فهي الذات الخلافية لا ذات الخلق التي هي نشأة جسمه و روحه و مع هذا فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلا في موازين العلوم و شرعا فأما في العقل فأصحاب الموازين يعرفون ذلك و أما في الشرع فإنه قوله إِنَّما قَوْلُنا فهذا الضمير الذي هو النون من قولنا عين وجود ذاته تعالى و كناية عنه فهذا أمر واحد و قوله إِذا أَرَدْناهُ أمر ثان و قوله أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ أمر ثالث فذات مريده قائلة يكون عنها التكوين بلا شك فالاقتدار الإلهي على التكوين لم يقم إلا من اعتبار ثلاثة أمور شرعا و كذلك هو الإنتاج في العلوم بترتيب المقدمات و إن كانت كل مقدمة مركبة من محمول و موضوع فلا بد أن يكون أحد الأربعة يتكرر فيكون في المعنى ثلاثة و في التركيب أربعة فوقع التكوين عن الفردية و هي الثلاثة لقوة نسبة الفردية إلى الأحدية فبقوة الواحد ظهرت الأكوان فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور فالوجود المنسوب إلى كل مخلوق هو وجود الحق إذ لا وجود للممكن لكن أعيان الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود فتدبر ما ذكرناه في هذه التولية التي سأل عنها سمينا و ابن سمي أبينا محمد بن علي الترمذي في كتاب ختم الأولياء له و هي هذه المسائل التي أذكرها في هذا الباب

(السؤال الثاني و الأربعون) ما فطرته يعني فطرة آدم أو الإنسان الجواب إن أراد فطرته من كونه إنسانا فله جواب أو من كونه خليفة فله جواب أو من كونه إنسانا خليفة فله جواب أو من كونه لا إنسان و لا خليفة فله جواب و هو أعلاها نسبة فإنه إذا كان حقا مطلقا فليس بإنسان و لا خليفة كما ورد في الخبر كنت سمعه و بصره فأين الإنسانية هنا إذ لا أجنبية و أين الخلافة هنا و هو الأمر بنفسه فأثبتك و محاك و أضلك و هداك أي حيرك فيما بين لك فما تبينت إلا الحيرة فعلمت إن الأمر حيرة فعين الهدى متعلقة الضلال فقال أنت و ما أنت وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و ما رمى إلا محمد فما رمى إلا الله فأين محمد فمحاه و أثبته ثم محاه فهو مثبت بين محوين محو أزلي و هو قوله وَما رَمَيْتَ و محو أبدي و هو قوله وَلكِنَّ اللهَ رَمى و إثباته قوله إِذْ رَمَيْتَ فإثبات محمد في هذه الآية مثل الآن الذي هو الوجود الدائم بين الزمانين بين الزمان الماضي و هو نفي عدم محقق و بين الزمان المستقبل و هو عدم محض و كذلك ما وقع الحس و البصر الأعلى رمى محمد فجعله وسطا بين محوين مثبتا فأشبه الآن الذي هو عين الوجود و الوجود إنما هو وجود الله لا وجوده فهو سبحانه الثابت الوجود في الماضي و الحال و الاستقبال فزال عنه التقييد المتوهم فسبحان اللطيف الخبير و لهذا قال وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً فجاء بالخبرة أي قلنا هذا اختبارا للمؤمنين في إيمانهم لنا في ذلك من تناقض الأمور الذي يزلزل إيمان من في إيمانه نقص عما

يستحقه الايمان من مرتبة الكمال الذي في أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فهذا الجواب عن الوجه الرابع الذي هو أصعب الوجوه قد بان فأما فطرته من حيث ما هو إنسان ففطرته العالم الكبير و أما فطرته من حيث ما هو خليفة ففطرته الأسماء الإلهية و أما فطرته من حيث ما هو إنسان خليفة ففطرته ذات منسوب إليها مرتبة لا تعقل المرتبة دونها و لا تعقل هي دون المرتبة قال تعالى فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و هو قوله كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و الفطر الشق و قال تعالى فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ و هو الفطرة كما أنه لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ و هو قوله ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ أي قولنا واحد لا يقبل التبديل و قال صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة فالألف و اللام هنا للعهد أي الفطرة التي فطر الله الناس عليها و قد تكون الألف و اللام لجنس الفطر كلها لأن الناس أي هذا الإنسان لما كان مجموع العالم ففطرته جامعة لفطر العالم ففطرة آدم فطر جميع العالم فهو يعلم ربه من حيث كل علم نوع من العالم من حيث هو عالم ذلك النوع بربه من حيث فطرته و فطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلي الإلهي الذي يكون له عند إيجاده ففيه استعداد كل موجود من العالم فهو العابد بكل شرع و المسبح بكل لسان و القابل لكل تجلى إذا و في حقيقة إنسانيته و علم نفسه فإنه لا يعلم ربه إلا من علم نفسه إن حجبه شيء منه عن درك كله فهو الجاني على نفسه و ليس بإنسان كامل و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كمل من الرجال كثيرون و لم يكمل من النساء إلا مريم و آسية يعني بالكمال معرفتهم بهم و معرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم فكانت فطرة آدم علمه به فعلم جميع الفطر و لهذا قال وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها و كل يقتضي الإحاطة و العموم الذي يراد به في ذلك الصنف و أما الأسماء الخارجة عن الخلق و النسب فلا يعلمها إلا هو لأنه لا تعلق لها بالأكوان و هو قوله عليه السلام في دعائه أو استأثرت به في علم غيبك يعني من الأسماء الإلهية و إن كان معقول الأسماء مما يطلب الكون و لكن الكون لا نهاية لتكوينه فلا نهاية لأسمائه فوقع الإيثار في الموضع الذي لا يصح وجوده إذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال و أما الذات من حيث هي فلا اسم لها إذ ليست محل أثر و لا معلومة لأحد و لا ثم اسم يدل عليها معرى عن نسبة و لا بتمكين فإن الأسماء للتعريف و التمييز و هو باب ممنوع لكل ما سوى الله فلا يعلم الله إلا الله فالأسماء بنا و لنا و مدارها علينا و ظهورها فينا و أحكامها عندنا و غاياتها إلينا و عباراتها عنا و بداياتها منا

فلولاها لما كنا و لولانا لما كانت

بها بنا و ما بنا كما بانت و ما بانت

فإن خفيت لقد جلت و إن ظهرت لقد زانت

انتهى الجزء الثالث و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثالث و الأربعون) ما الفطرة الجواب النور الذي تشق به ظلمة الممكنات و يقع به الفصل بين الصور فيقال هذا ليس هذا إذ قد يقال هذا عين هذا من حيث ما يقع به الاشتراك ف الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ هو قوله اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و العالم كله سماء و أرض ليس غير ذلك و بالنور ظهرت قوله وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ و الله مظهرها فهو نورها فظهور المظاهر هو الله فهو فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ففطر السماء و الأرض به فهو فطرتها و الفطرة التي فطر الناس عليها فكل مولود يولد على الفطرة أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى فما فطرهم إلا عليه و لا فطرهم إلا به فبه تميزت الأشياء و انفصلت و تعينت و الأشياء في ظهورها الإلهي لا شيء فالوجود وجوده و العبيد عبيده فهم العبيد من حيث أعيانهم و هم الحق من حيث وجودهم فما تميز وجودهم من أعيانهم إلا بالفطرة التي فصلت بين العين و وجودها و هو من أغمض ما يتعلق به علم العلماء بالله كشفه عسير و زمانه يسير

(السؤال الرابع و الأربعون) لم سماه بشرا الجواب قال تعالى ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ على جهة التشريف الإلهي فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه بحسب ما يليق بجلاله فسماه بشرا لذلك إذ اليد بمعنى القدرة لا شرف فيها على من شرف عليه و اليد بمعنى النعمة مثل ذلك فإن النعمة و القدرة عمت جميع الموجودات فلا بد أن يكون لقوله بِيَدَيَّ أمر معقول له خصوص وصف بخلاف هذين و هو المفهوم من لسان العرب الذي نزل القرآن بلغتهم فإذا قال صاحب اللسان إنه فعل هذا بيده فالمفهوم منه رفع الوسائط فكانت نسبة آدم في الجسوم الإنسانية نسبة العقل الأول في العقول و لما كانت الأجسام مركبة طلبت اليدين لوجود التركيب و لم يذكر ذلك في العقل الأول لكونه غير مركب فاجتمعا في رفع الوسائط و ليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع ذكر اليدين إلا أمر من أجله سمي بشرا و سرت هذه الحقيقة في البنين فلم يوجد أحد منهم إلا عن مباشرة ألا ترى وجود عيسى عليه السلام لما تمثل لها الروح بشرا سويا فجعله واسطة بينه تعالى و بين مريم في إيجاد عيسى تنبيها على المباشرة بقوله بَشَراً سَوِيًّا قال تعالى وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ و بشرة الشيء ظاهره و البشرى إظهار علامة حصولها في البشرة فقوله للشيء كن بالحرفين الكاف و النون بمنزلة اليدين في خلق آدم فأقام القول للشيء مقام المباشرة و أقام الكاف و النون مقام اليدين و أقام الواو المحذوفة لاجتماع الساكنين مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم و أخفى ذكره كما خفيت الواو من كن غير أن خفاءها في كن لأمر عارض و خفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل و هو قوله ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و هو حال الفعل لأنه ليس في حقائق ما سوى الله ما يعطي ذلك المشهد فلا فعل لأحد سوى الله و لا فعل عن اختيار واقع في الوجود فالاختيارات المعلومة في العالم من عين الجبر فهم المجبورون في

اختيارهم و الفعل الحقيقي لا جبر فيه و لا اختيار لأن الذات تقتضيه فتحقق ذلك فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة لظهور الوجود المقيد سمي الوجود المقيد بشرا و اختص به الإنسان لأنه أكمل الموجودات خلقا و كل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود فالإنسان أتم المظاهر فاستحق اسم البشر دون غيره من الأعيان و أما قوله تعالى وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ فسمى المكلم هنا بشرا بهذه الضروب كلها من الكلام لما يباشره من الأمور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح التي له من حيث روحانيته فإن ارتقى عن درجة البشرية كلمه الله من حيث ما كلم الأرواح إذ كانت الأرواح أقوى في التشبه لكونها لا تقبل التحيز و الانقسام و تتجلى في الصور من غير أن يكون لها باطن و ظاهر فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها و هي عين ذاتها و البشر من نشأته ليس كذلك فإنه على صورة العالم كله ففيه ما يقتضي المباشرة و التحيز و الانقسام و هو مسمى البشر و فيه ما لا يطلب ذلك و هو روحه المنفوخ فيه و على بشريته توجهت اليدان فظهرت الشفعية في اليدين في نشأته فلا يسمع كلام الحق من كونه بشرا إلا بهذه الضروب التي ذكرها أو بأحدها فإذا زال في نظره عن بشريته و تحقق بمشاهدة روحه كلمه الله بما يكلم به الأرواح المجردة عن المواد مثل قوله تعالى في حق محمد صلى الله عليه و سلم و في حق الأعرابي فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و ما تلاه عليه غير لسان محمد صلى الله عليه و سلم فأقام محمدا صلى الله عليه و سلم في هذه الصورة مقام الروح الأمين الذي نزل بكلام الله على قلب محمد صلى الله عليه و سلم و هو قوله أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا يعني لذلك البشر فَيُوحِيَ إليه بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ الله تعالى مما أمره أن يوحى به إليه فقوله إِلَّا وَحْياً يريد هنا إلها ما بعلامة يعلم بها أن ربه كلمه حتى لا يلتبس عليه الأمر أَوْ من وَراءِ حِجابٍ يريد إسماعه إياه لحجاب الحروف المقطعة و الأصوات كما سمع الأعرابي القرآن المتلو الذي هو كلام الله أو حجاب الآذان أيضا من السامع أو حجاب بشريته مطلقا فيكلمه في الأشياء كما كلم موسى من جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ . . فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ من الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا الله فوقع الحد بالجهة و تعين البقعة لشغله بطلب النار الذي تقتضيه بشريته فنودي في حاجته لافتقاره إليها و الله قد أخبر أن الناس فقراء إلى الله فتسمى الله في هذه الآية باسم كل ما يفتقر إليه غيرة إلهية أن يفتقر إلى غير الله فتجلى الله له في عين صورة حاجته فلما جاء إليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره إلى الله و الحجاب وقع بالصورة التي وقع فيها التجلي فلولا ما ناداه ما عرفه و في مثل هذا يقع التجلي الإلهي في الآخرة الذي يقع فيه الإنكار و قوله إنه على أي عليم بما تقتضيه المراتب التي ذكرها و أنزلها منزلتها و قوله حكيم يريد بإنزال ما علمه منزلته و لو بدل الأمر لما عجز عن ذلك و لكن كونه عليا حكيما يقضي بأن لا يكون الأمر إلا كما وقع و لما أخبر نبيه بهذه المراتب كلها التي تطلبها البشرية قال له و كذلك أي و مثل ذلك أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا يعني الروح الأمين الذي نزل به على

قلبك الذي هو روح القدس أي الطاهر عن تقييد البشر فقد علمت معنى البشر الذي أردنا أن نبينه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربي

(السؤال الخامس و الأربعون) بأي شيء نال التقدمة على الملائكة الجواب إن الله قد بين ذلك بقوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها يعني الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد حقائق الأكوان و من جملتها الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد الملائكة و الملائكة لا تعرفها ثم أقام المسمين بهذه الأسماء و هي التجليات الإلهية التي هي للأسماء كالمواد الصورية للأرواح فقال للملائكة أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ يعني الصور التي تجلى فيها الحق إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في قولكم نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ و هل سبحتموني بهذه الأسماء التي تقتضيها هذه التجليات التي أتجلاها لعبادي و إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في قولكم و نقدس لك ذواتنا عن الجهل بك فهل قدستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات و ما لها من الأسماء التي ينبغي أن تسبحوني بها فقالت الملائكة لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا فمن علمهم بالله أنهم ما أضافوا التعليم إلا إليه تعالى إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بما لا يعلم الْحَكِيمُ بترتيب الأشياء مراتبها فأعطيت هذا الخليفة ما لم تعطنا مما غاب عنا فلو لا أن رتبة نشأته تعطي ذلك ما أعطت الحكمة أن يكون له هذا العلم الذي خصصته به دوننا و هو بشر فقال لآدم أَنْبِئْهُمْ (بِأَسْمائِهِمْ) بأسماء هؤلاء الذين عرضناهم عليهم فأنبأ آدم الملائكة بأسماء تلك التجليات و كانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الإلهية التي تقتضيها اليدان الإلهية مما ليس من ذلك في غيره من الملائكة شيء فكان هؤلائك المسمون المعروضة على الملائكة تجليات إلهية في صورة ما في آدم من الحقائق فأولئك هم عالم آدم كلهم فلما علمهم آدم عليه السلام قال لهم الله أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ و هو ما علا من علم الغيوب وَالْأَرْضِ و هو ما في الطبيعة من الأسرار وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ أي ما هو من الأمور ظاهر وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ أي ما تخفونه على أنه باطن مستور فأعلمتكم أنه أمر نسبي بل هو ظاهر لمن يعلمه ثم قال لهم بعد التعليم اسْجُدُوا لِآدَمَ سجود المتعلمين للمعلم من أجل ما علمهم فلآدم هنا لام العلة و السبب أي من أجل آدم فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علمهم الله من العلم به و بما خلقه في آدم عليه السلام فعلموا ما لم يكونوا يعلمون فنال التقدمة عليهم بكونه علمهم فهو أستاذهم في هذه المسألة و بعده فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر إلا في محمد صلى الله عليه و سلم فقال عن نفسه إنه أوتي جوامع الكلم و هو قوله في حق آدم عليه السلام الْأَسْماءَ كُلَّها و كلها بمنزلة الجوامع و الكلم بمنزلة الأسماء و نال التقدمة بها و بالصورة التي خلقه الله عليها قال عليه السلام إن الله خلق آدم على صورته بالنشأة من أجل اليدين و جعله بالخلافة على صورته و هي المنزلة فأعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات

فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق فلا بد أن يكون له التقدمة على من سواه و كذلك الأمر الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الأمور كلها

(السؤال السادس و الأربعون) كم عدد الأخلاق التي منحه عطاء الجواب ثلاثمائة خلق و هي التي ذكر النبي صلى الله عليه و سلم أن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة و لهذا قال في الثلاثمائة إنهم على قلب آدم عليه السلام يعني هذه الأخلاق التي منح الله آدم فمن كملت نشأته من بنيه قبل هذه الثلاثمائة من الخلق و من لم يكمل كمال آدم فله منها على قدر ما أعطى من الكمال فمنهم الكامل و الأكمل و هذه الأخلاق خارجة عن الاكتساب لا تكتسب بعمل بل يعطيها الله اختصاصا و لا يصح التخلق بها لأنه لا أثر لها في الكون و إنما هي إعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها لا يكون شيء من تلك التجليات إلا لمن له هذه الأخلاق فناهيك من أخلاق لا نعلق لها لمن كان عليها و اتصف بها إلا بالله خاصة ليس بينها و بين المخلوقين نسب أصلا فقول النبي صلى الله عليه و سلم من تخلق بواحد منها أراد من اتصف بشيء منها أي من قامت به فإن الأخلاق على أقسام ثلاثة منها أخلاق لا يمكن التخلق بها إلا مع الكون كالرحيم و أخلاق يتخلق بها مع الكون و مع الله كالغفور فإنه يقتضي الستر لما يتعلق بالله من كونه غيورا و يتعلق بالكون و أخلاق لا يتخلق بها إلا مع الله خاصة و هي هذه الثلاثمائة و لها من الجنات جنة مخصوصة لا ينالها إلا أهل هذه الأخلاق و تجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات و لكن هذه الأخلاق هي لهم كالخلوق الذي يتطيب به الإنسان فإنه وجود الريح من الطيب لا تعمل فيه للمتطيب به فإنه يقتضي تلك الريح لذاته و التخلق تعمل في تحصيل الخلق و هذا ليس كذلك فالثناء على الطيب لا على من قام به فكذلك هذا الخلق إذا رىء على عبد قد اتصف به لم يقع منه ثناء عليه أصلا و إنما يقع الثناء على الخلق خاصة فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الأخلاق الثلاثمائة فإن الكرم خلق من أخلاق الله و لكن إذا تخلق به العبد أثنى عليه بأنه كريم و كذلك الرحمة يقال فيه رحيم و هذه الأخلاق لا ينطلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها و سبب ذلك لأنه لا تعلق لها بالكون إلا بحكم الاشتراك كالغفور و لا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب و يعطيها الاسم الوهاب من عين المنة لا غير

(السؤال السابع و الأربعون) كم خزائن الأخلاق الجواب على عدد أصناف الموجودات و أعيان أشخاصها فهي غير متناهية من حيث ما هي أشخاص و متناهية من حيث ما هي خزائن و ما سميت خزائن لكون الأخلاق مخزونة فيها اختزانا وجوديا و إنما جعلت خزائن لما تتضمنه في حكم من اتصف بها من الصفات التي لا نهاية لوجودها و هي خزائن في خزائن و أصلها الذي ترجع إليه الجامع للكل ثلاث خزائن خزانة تحوي على ما تقتضيه الذوات من حيث ما هي ذوات و خزانة تحوي على ما تقتضيه النسب الموجبة للأسماء من

حيث ما هي نسب و خزانة تحوي على ما تقتضيه الأفعال من حيث إنها أفعال لا من حيث المفعولات و لا الانفعالات و لا الفاعلية و كل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح إلى خزائن و تلك الخزائن إلى خزائن هكذا إلى غير نهاية فهي تدخل تحت الكم بوجه و لا تدخل تحت الكم بوجه فما حصل منها في الوجود حصره الكم

(السؤال الثامن و الأربعون) إن لله مائة و سبعة عشر خلقا ما تلك الأخلاق الجواب إن هذه الأخلاق مخصوصة بالأنبياء عليهم السلام ليس لمن دونهم فيها ذوق و لكن لمن دونهم تعريفاتها فتكون عن تلك التعريفات أذواق و مشارب لا يحصيها إلا الله علما و عددا فمن هذه الأخلاق خلق الجمع الدال على التفريق و الجمع الذي يتضمن التفريق و الفرق الذي يتضمن الجمع و يظهر هذا الخلق من حضرة العزة و الإبانة و الحكمة و الكرم و من هذه الأخلاق خلق النور المستور و هو من أعز المعارف إذ لا يتمكن في النور أن يكون مستورا فإنه لذاته يخرق الحجب و يهتك الأستار فما هذا الستر الذي يحجبه إلا إن ذلك الحجاب هو أنت كما قال العارف

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه

و من هذه الأخلاق خلق اليد و هو القوة و هو مخصوص بالقلوب و أصحابها و هو على مراتب و من هذه الأخلاق خلق إعدام الأسباب في عين وجودها و هو على مراتب وقفت منها في الأندلس على مائة مرتبة لا توجد في الكمال إلا في روحانية ذلك الإقليم فإنه لكل جزء من الأرض روحانية علوية تنظر إليه و لتلك الروحانية حقيقة إلهية تمدها و تلك الحقيقة هي المسماة خلقا إلهيا و أما بقية الأخلاق فلها مراتب دون هذه التي ذكرناها في الإحاطة و العموم و لكل خلق من هذه الأخلاق درجة في الجنة لا ينالها إلا من له هذا الخلق و هذه الأربع التي ذكرناها منها للرسل و منها للأنبياء و منها للأولياء و منها للمؤمنين و كل طبقة من هؤلاء الأربع على منازل بعددهم فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى و منها ما تختص به تلك الطبقة و ذلك أن كل أمر يطلب الحق ففيه يقع الاشتراك و كل أمر يطلب الخلق فهو يختص بذلك النوع من الخلق يقتصر عليه و من الباقي أربعة عشر خلقا لا يعلمها إلا الله و الباقي من الأخلاق تعينها أسماء الإحصاء و هي أسماء لا يعرفها إلا ولي أو من سمعها من رسول الله صلى الله عليه و سلم من الصحابة و أما من طريق النقل فلا يحصل بها علم و أما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه و ما بقي فيعلمه أهل الجنة و هم في العلم بها على طبقات و أعني بأهل الجنة الذين هم أهلها فإنه لله سبحانه أهل هم أهله لا يصلحون لغيره كما ورد في الخبر أن أهل القرآن هم أهل الله و خاصته و للجنة أهل هم أهلها لا يصلحون إلا لها لا يصلحون لله و إن جمعتهم حضرة الزيارة و لكن هم فيها بالعرض و للنار أهل هم أهلها لا يصلحون لله و لا للجنة و لكل أهل فيما هم فيه نعيم بما هم فيه و لكن بعد نفوذ أمر سلطان الحكم العدل القاضي إلى أجل مسمى و كل طائفة لها شرب و

ذوق في هذه الأخلاق المذكورة في هذا الباب فانقسمت هذه الأخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث كل خلق منها يدعوهم إلى ما يقتضيه أمره و شأنه من نار أو جنان أو حضور عنده حيث لا أين و لا كيف و للمعاني المجردة منها أخلاق و لعالم الحس منها أخلاق و لعالم الخيال منها أخلاق فجنة محسوسة لمعنى دون حس و جنة معنوية لحس دون معنى و حضور مع الحق معنوي لحس دون معنى و حضور مع الحق محسوس لمعنى و نار محسوسة لمعنى دون حس و نار معنوية لحس دون معنى و تتفاضل مشارب هؤلاء الطبقات فيها فمنهم التام و الأتم و الكامل و الأكمل فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ في كل حضرة فإنه كلما أثبتناه من أعيان أكوان في نار و جنان فليس إلا الحق إذ هي مظاهره فالنعيم به لا يصح أصلا في غير مظهر فإنه فناء ليس فيه لذة فإذا تجلى في المظاهر وقعت اللذات و الآلام و سرت في العالم و يرحم الله من قال

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم

منعم بعذاب معذب بنعيم

فبه النعيم و به العذاب فلا يوجد النعيم أبدا إلا في مركب و كَذلِكَ الْعَذابُ و أما النعيم و العذاب البسيط فلا حكم له في الوجود فإنه معقول غير موجود فأهل المظاهر هم أهل النعيم و العذاب و أهل أحدية الذات لا نعيم عندهم و لا عذاب قال أبو يزيد ضحكت زمانا و بكيت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي و قيل له كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما المساء و الصباح لمن تقيد بالصفة و لا صفة لي

(السؤال التاسع و الأربعون و الموفي خمسين) كم للرسل سوى محمد صلى الله عليه و سلم منها و كم لمحمد صلى الله عليه و سلم منها الجواب كلها إلا اثنين و هم فيها على قدر ما نزل في كتبهم و صحفهم إلا محمدا صلى الله عليه و سلم فإنه جمعها كلها بل جمعت له عناية أزلية قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فيما لهم به من هذه الأخلاق فاعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافا و جعل في كل صنف خيارا و اختار من الخيار خواص و هم المؤمنون و اختار من المؤمنين خواص و هم الأولياء و اختار من هؤلاء الخواص خلاصة و هم الأنبياء و اختار من الخلاصة نقاوة و هم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم و اختار من النقاوة شرذمة قليلة هم صفاء النقاوة المروقة و هم الرسل أجمعهم و اصطفى واحدا من خلقه هو منهم و ليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمدا أقام عليه قبة الوجود جعله أعلى المظاهر و أسناها صح له المقام تعيينا و تعريفا فعلمه قبل وجود طينة البشر و هو محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يكاثر و لا يقاوم هو السيد و من سواه سوقة قال عن نفسه أنا سيد الناس و لا فخر بالراء و الزاي روايتان أي

أقولها غير متبجح بباطل أي أقولها و لا أقصد الافتخار على من بقي من العالم فإني و إن كنت أعلى المظاهر الإنسانية فإنا أشد الخلق تحققا بعيني فليس الرجل من تحقق بربه و إنما الرجل من تحقق بعينه لما علم إن الله أوجده له تعالى لا لنفسه و ما فاز بهذه الدرجة ذوقا إلا محمد صلى الله عليه و سلم و كشفا إلا الرسل و راسخو علماء هذه الأمة المحمدية و من سواهم فلا قدم لهم في هذا الأمر و ما سوى من ذكرنا ما علم أن الله أوجده له تعالى بل يقولون إنما أوجد العالم للعالم فرفع بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا و هو غني عن العالمين هذا مذهب جماعة من العلماء بالله و قالت طائفة من العارفين إن الله أوجد الإنس له تعالى و الجن و أوجد ما عدا هذين الصنفين للإنسان و قد روى في ذلك خبر إلهي عن موسى صلى الله عليه و سلم أن الله أنزل في التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك و قال تعالى وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و تقتضي المعرفة بالله أن الله خلق العالم و تعرف إليهم لكمال مرتبة الوجود و مرتبة العلم بالله لا لنفسه سبحانه و هذه الوجوه كلها لها نسب صحيحة و لكن بعضها أحق من بعض و أعلاها ما ذهبنا إليه ثم يلي ذلك خلقه لكمال الوجود و كمال العلم بالله و ما بقي فنازل عن هاتين المرتبتين و اعلم أن كل خلق ينسب إلى جناب الحضرة الإلهية فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق فأما أن يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق أو يكون متعلقة مظهر آخر يقتضيه في عين ممكن ما من الممكنات لا يكون إلا هكذا و أما الحق من حيث هو لنفسه فلا خلق فمن عرف النسب فقد عرف الله و من جهل النسب فقد جهل الله و من عرف أن النسب تطلبها الممكنات فقد عرف العالم و من عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق من طريق السلب فلا يقبل النسب و لا تقبله و إذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم و إذا قبل النسب كان عين العالم قال تعالى وَ اعْبُدْ رَبَّكَ نسبة خاصة حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فتعلم من عبده و من العابد و المعبود قال تعالى ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ لا تعبد أنت فإن عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت و إن عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته إلى المرتبة الإلهية عبدت و إن عبدته عينا من غير مظهر و لا ظاهر و لا ظهور بل هو هو لا أنت و أنت أنت لا هو فهو قوله فاعبده فقد عبدته و تلك المعرفة التي ما فوقها معرفة فإنها معرفة لا يشهد معروفها فسبحان من علا في نزوله و نزل في علوه ثم لم يكن واحدا منهما و لم يكن إلا هما لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(السؤال الحادي و الخمسون) أين خزائن المنن الجواب في الاختيار المتوهم المنسوب إليه و إليك فأنت مجبور في اختيارك فأين الاختيار و هو ليس بمجبور و أمره واحد فأين الاختيار و لو شاء الله فما شاء وإِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وليس بمحل للحوادث بل الأعيان محل الحوادث و هو عين الحوادث عليها فإنها محال ظهوره ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من الرَّحْمنِ . من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و الذكر كلامه و هو الذي حدث عندهم و كلامه علمه و علمه ذاته فهو الذي حدث عندهم فهو خزائن المنن و المنن ظهور ما حدث عندهم فيهم و هو لا أين له فلا أينية لخزائن المنن و لما كانت المنن متعددة طلب عين كل نسبة منه خزانة فلهذا تعددت الخزائن بتعدد المنن و إن كانت واحدة بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أنكم مؤمنون فهذه سنتان منة الهدى و منة الايمان و جميع نعمه الظاهرة و الباطنة مننه و إذا كان هو عين المنة فأنت الخزانة فالعالم خزائن المنن الإلهية ففينا اختزن مننه سبحانه فما هو لنا بأين و نحن له أين فمن لا أينية له هو نحن فأعياننا أين لظهوره فحقيقة المكان لا تقبل المكان و دع عنك من يقول المتمكن في المكان مكان لمكانه و فرض بين التمكن و المكان حركتين متضادتين تعطي حقيقة المكانية لكل واحد منهما و هذا من قائله توهم من أجل ما ذهب إليه و الحقيقة هي ما قررناه من أن المكان لا يقبل المكان فلا أين للأين لمن هو أين له و هذا كله في المظاهر الطبيعية و أما في المعاني المجردة عن المواد فهي المظاهر القدسية للأسماء التي لا تقبل نسب التشبيه فالعلم بها أن لا علم كما روى عن الصديق أنه قال في مثل ما ذكرناه العجز عن درك الإدراك إدراك فانقلب التنزيه عن الأين لمن يقبل التشبيه فلا تشبيه في العالم و لا تنزيه فإن الشيء لا يتنزه عن نفسه و لا يشبه بنفسه فقد تبينت الرتب و علم ما معنى النسب و الحمد لله وحده أن علم عبده

(السؤال الثاني و الخمسون) أين خزائن سعى الأعمال الجواب ذوات العمال فإن أراد تجسد هذا السعي فخزانته الخيال و إن أراد أين يختزن ففي سدرة المنتهى فإن أراد ما لها من الخزائن الإلهية فخزانة الاسم الحفيظ العليم و اعلم أن خزائن هذا السعي خمس خزائن لا سادسة لها و عباد الله رجلان عامل و معمول به فالمعمول به ليس هو مقصودنا في هذا الباب من هذا الفصل و إنما مقصودنا سعى الأعمال من حيث نسبتها إلى العاملين و العاملون ثلاثة عامل هو حق و عامل بحق و عامل هو خلق و كل له سعى في العمل بحسب ما أضيف إليه فإن الله قد نسب الهرولة إليه و هي ضرب من السعي سريع و قد قال إن الله لا يمل حتى تملوا ثبت هذا في الحديث الصحيح فأما سعى العمل الذي هو حق فالعمل يطلب الأجر بنفسه ليجود به على عامله و العامل هنا ما يعطي حقيقته قبول الأجر و لا بد من الأجر فيكون إذا الأجر الثناء لا غير فإنه يقبل الثناء هذا العامل الذي هو حق و لا يقبل القصور و لا الحور و لا الولدان و لا التجليات فإن كان العمل مما يتضمن الحسن و القبح أو لا حسن و لا قبح فلا يضاف العمل إلى هذا العامل من حيث ما هو محكوم عليه بحسن أو

قبح أو لا حسن و لا قبح بل يضاف إليه معرى عن الحكم بنفي أو إثبات و صاحبه أكمل الناس نعيما في الجنة و لذة و أرفعهم درجة و ما له من الجنات من حيث هذا العمل سوى جنة عدن و العمل يطلب نصيبه في جميع الجنان من حيث ما هو عمل لا غير فيعود به على صاحبه بل يكون له مركبا إلى كل درجة في جميع الجنات و هو المراد بقوله تعالى عنه نَتَبَوَّأُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ إلى هنا و قوله فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ ليس هم هؤلاء بل العاملون بحق و بخلق إلا أن يريد بقوله فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ الثناء فهو لهم فإن لفظة نعم و بئس للمدح و الذم و العامل هنا حق و الثناء له حق و نعم كلمة محمدة و مدح فيكون بهذا التأويل تمام الآية له و التبوؤ في الجنات للعمل لا له فالمحل الذي ظهر فيه العمل و هو أنت هو الذي يتبوأ من الجنة بعناية عمله الظاهر فيه ما شاء إذ الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس و المتخيل فلهذا أبيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق فخزائن هذا السعي كلها أنوار مباحها و مندوبها و واجبها و محظورها و مكروهها في حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف منهم و هو عند علماء الرسوم الذين لهم الكشف الأتم في معرفة الشرائع أعني هذا الذي ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ما تصرف إلا فيما حسنه الشرع و قبله وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و أما سعى من كان عمله بحق فيقرب من هذا أنه لما شاهد ذاته عاملة و هو من أهل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و من أهل لا حول و لا قوة إلا بالله نقص عن ذلك الأول فكان صاحب كشف في عمله لاخذ الحق بناصيته في جميع ما يتصرف فيه فامتلأت خزائنه الخمسة عندنا و الستة عند أبي حنيفة نورا خالصا و نورا غير خالص و نورا مزيلا لظلمة كانت قبله فكان ممتزج الأحوال فلو لا عناية هذا الحضور و الكشف في حال السعي لما تم له هذا السعد الذي حصل له من إزالة ظلمته فهذان الصنفان من أصحاب الأعمال في النور فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ و أما من كان سعى عامله خلق فترفع له خزائن الواجبات أعني الفرائض في العمل و الترك و المندوبات في العمل و الترك ممتلئة نورا مشوبا بكون دون أنوار من ذكرناهم و ترفع لهم خزائن المباحات فارغة في العمل و الترك إلا من ترك المباح أو عمله لكونه مباحا ففيها نور يليق بهذا النوع فكأنه نور من وراء حجاب مثل ضوء الشمس من خلف السحاب الرقيق فإن نظر إلى تضمن ذلك المباح ترك محظور أو مكروه و لم يخطر له ترك واجب أو مندوب فإن نوره يكون أتم قليلا و أضوأ من النور الأول المعرى عن هذا الخاطر فإن خطر له أن ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب من واجب يوجبه على نفسه كمن نذر صيام يوم لا بعينه و له إن شاء أن يصومه في هذا اليوم و هو صوم واجب و لكن لا في هذا اليوم و لا بد و إن صامه في هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه فقد أدى واجبا فإن نوره في خزانته هذه بين النورين المتقدمين و ترفع له خزائن المحظورات في العمل و الترك و المكروهات في العمل و الترك أما خزائن المحظورات ظلمة محضة و أما خزائن المكروهات فسدفة فإن كان حصره في وقت المحظور الايمان به أنه في محظور و كذلك في المكروه

فيكون خزائن المحظور ممتلئة سدفة و خزائن المكروه كالأسفار و الشفق و ما ثم عامل في المؤمنين أو الموحدين إلا هؤلاء خاصة و أما من سوى المؤمن أو الموحد فلا كلام لنا معه في هذا الفصل من حيث قصد السائل و أما من حيث سعى الأعمال فإن لكل عامل مدخلا في هذا الفصل بحسب سعيه من معطل و مشرك و كافر و جاحد و منافق و مأثم شقي سوى هؤلاء الخمسة و في الكلام على مناهجهم تفصيل يطول و كل يجري في طلقه إلى أجل مسمى و ما منهم إلا من يقول أنا من الأشياء فلا بد لي من الرحمة فإن قائلها ليس من صفته التقييد إذ لو تقيد لخرج عنه ما لا يمكن أن يكون إلا به فمن المحال خروج شيء عنه فمن المحال تقييده فمنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن الوجوب و منا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن التي ذكرناها فالكل طامع و المطموع فيه واسع إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ أ ترى هذه السعة الربانية تضيق عن شيء هي لم تضق عن الممكنات إذ كانت في الشر المحض فكيف تضيق عن الممكنات إذ هي في الشر المشوب هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ممن لم يتق فيخصه برحمته المطلقة و هي رحمة الامتنان و لا تتقيد بحصر فهذا جواب خزائن سعى الأعمال على الإيجاز و البيان

(السؤال الثالث و الخمسون) من أين تعطي الأنبياء الجواب الأنبياء على نوعين أنبياء تشريع و أنبياء لا تشريع لهم و أنبياء التشريع على قسمين أنبياء تشريع في خاصتهم كقوله إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ و أنبياء تشريع في غيرهم و هم الرسل عليهم السلام أما الأنبياء الذين هم الرسل فمن حضرة الملك الذي هو ملك الملك و أما الأنبياء غير المرسلين فمن حضرة الاختصاص و أما الأنبياء الذين لا يوحي إليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فمن حضرة الكرم و الكل من عين المنة و الرحمة و هو الجامع فأما الدائرة العظمى العامة التي هي النبوة المطلقة فمن أعطيها من حيث إطلاقها فلا يعرف أحد ما لديه و ما أتحفه به ربه و هو أيضا لا يعرف قدر ذلك لأنه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه و أما من أعطى منها من باب الرحمة به و تولى الحق بضرب من العطف عليه تعليمه فتعرف إليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء أن يعرفه كخضر الذي قال فيه آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا أي رحمناه فأعطيناه هذا العلم الذي ظهر به و إن أراد تعالى أنه أعطاه رحمة من عنده جعلها فيه ليرحم بها نفسه و عباده فيكون في حق الغلام رحمة أن حال بينه و بين ما كان يكتسبه لو عاش من الآثام إذ قد كان طبع كافرا و أما رحمته بالملك الغاصب حتى لا يتحمل وزر غصبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين فالرحمة إنما تنظر من جانب الرحيم بها لا من جانب صاحب الغرض فإنه جاهل بما ينفعه كالطبيب يقطع رجل صاحب الأكلة رحمة به لبقاء نفسه فالرحمة عامة من الرحيم الراحم و لم أر أحدا أعطى النبوة المطلقة التي لا تشريع لها إلا إن كان و ما عرفته فهذا لا يبعد فإني رأيت من أولياء الله تعالى ما لا أحصيهم عددا أنفعنا الله بهم و أما من أعطى النبوة المقيدة بالشرع الخاص به فما على الأرض منهم اليوم أحد و لا

يراهم أحد إلا في الموافقة و هي المبشرات و أما النبوة المقيدة بالشرائع ففي الزمان منهم اليوم الياس وَإِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ و إدريس و عيسى و اختلف في الخضر بين النبوة و الولاية فقيل هو نبي و قيل ولي

(السؤال الرابع و الخمسون) أين خزائن المحدثين من الأولياء الجواب في حضرة الحق من الحضرات الإلهية و في المظاهر الإلهية مما وقعت عليه العين أو بعض الحواس من صامت معتاد و ناطق

تحدثني في ناطق ثم صامت و غمز عيون ثم كسر حواجب

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذا الفصل إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا و لك الحمد فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا من حديث الله مع خلقه و قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فكلم الله الأعرابي بلسان رسوله صلى الله عليه و سلم فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الذي تلا عليه القرآن و القرآن كلام الله قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ لأنه حدث عندهم و إن كان قديما في نفس الأمر من حيث إنه كلام الله و قال صلى الله عليه و سلم في عمر إنه من المحدثين إن يكن في هذه الأمة منهم أحد و أريد حديثه تعالى مع أوليائه لا مع الأنبياء و الرسل فإن الأذواق تختلف باختلاف المراتب فنحن لا نتكلم إلا فيما لو ادعيناه لم ينكر علينا لأن باب الولاية مفتوح و لهذا سأل عن خزائن المحدثين من الأولياء فأكمل المحدثين من فهم عن الله ما حدثه به في كل شيء و هم أهل السماع المطلق من الحق فإن أجابوه به فهو حديث و إن أجابوه بهم فهي محادثة و إن سمعوا حديثه به فليس بحديث في حقهم و إنما هو خطاب أو كلام و أهل الحقائق يمنعون المحادثة و لا يمنعون المناجاة فإن الحق لا يحدث عنده شيء فهو سبحانه يحدث من شاء من عباده و لا يحدثه منهم أحد لكن يناجونه و يسامرونه كالمتهجدين هم أهل المسامرة فالعالم خزائن المحدثين من الأولياء إذا سمعوا بهم فالمحدثون أنزل الدرجات في مقامات الأولياء و هم عند العامة في الرتبة العليا لأن علومهم ليست عن ذوق و إنما هي علوم نقل أو علوم فكر لا غير فأما حديث الله في الصوامت فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال أي يفهم من حاله كذا و كذا حتى أنه لو نطق لنطق بما فهمه هذا الفاهم منه قال القوم في مثل هذا قالت الأرض للوتد لم تشقني قال الوتد لها سلي من يدقني فهذا عندهم حديث حال و عليه خرجوا قوله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قوله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها إباية حال و أما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد و نبات و حيوان يسمعه المقيد بإذنه في عالم الحس لا في الخيال كما يسمع نطق المتكلم من الناس و الصوت من أصحاب الأصوات فما عندنا في الوجود صامت أصلا بل الكل ناطق بالثناء على الله كما أنه ليس عندنا في الوجود ناطق أصلا من حيث عينه بل كل عين سوى الله صامتة لا نطق لها إلا أنها لما كانت

مظاهر كان النطق للظاهر قالت الجلود أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ فالكلام في المظاهر هو الأصل و الصمت فيها عرض يعرض في حق المحجوب و الصمت في الأعيان هو الأصل و الكلام المسموع منها عرض يعرض في حق المحجوب فلأصحاب الحرف و الصوت عذر عند هؤلاء و لمنكر الصوت و الحرف عذر أيضا عندهم انتهى الجزء الرابع و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الخامس و الخمسون) ما الحديث الجواب ما يتلقاه السامع إذا سمعه به لا بربه فذلك هو الحديث لا غير فإن سمعه بربه فليس ذلك بحديث و معنى قوله سمعه بربه قول الله تعالى كنت سمعه الذي يسمع به فاعلم أن وصفه بأنه سميع هو عينه لا أمر زائد و اعلم أن تحقيق هذا أنه لكل اسم إلهي نسبة كلام و الإنسان محل لاختلاف الأحوال عليه عقلا و حسا و ذلك أن الألوهية تعطي ذلك لذاتها فإنها بالنسبة إلى العالم بهذه الصفة قال تعالى يَسْئَلُهُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فكل حال في الكون فهو عين شأن إلهي و قد تقرر في العلم الإلهي أنه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين و لا في صورة واحدة لشخص مرتين و كل تجل له كلام فذلك الكلام لهذا الحال من هذا التجلي هو المعبر عنه بالحديث فالحديث لا يزال أبدا غير أنه من الناس من يفهم أنه حديث و من الناس من لا يعرف ذلك بل يقول ظهر لي كذا و كذا و لا يعرف أن ذلك من حديث الحق معه في نفسه لأنه حرم عين الفهم عن الله فيما يحسب أنه خاطر و الذين قسموا الخواطر إلى أربعة فذلك التقسيم لا يقع في الحديث فإن الحديث حديث في كل قسم و إنما الأقسام وقعت في الذوات التي فهم منها ما أريد بالحديث فيقال خاطر شيطاني و هو حديث رباني و قول إلهي لما أراده الحق قال له كن فكان فناجاه الاسم البعيد كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر الملكي الاسم القريب كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر النفسي الاسم المريد كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر الرباني الاسم الحفيظ فهذه الخواطر كلها من الحديث الإلهي الذي لا يشعر به إلا رجال الله فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث فمن رزق الفهم عنه تعالى و عرفه فذلك المحدث و هو من أهل الحديث و علم أن كل ما سمعه حديث بلا شك و إن اختلفت ألقابه كالسمر و المناجاة و المناغاة و الإشارات فالكلام كله حادث قديم حادث في السمع قديم في السمع فافهم

(السؤال السادس و الخمسون) ما الوحي الجواب ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة فإن العبارة تجوز منها إلى المعنى المقصود بها و لهذا سميت عبارة بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذات المشار إليه و الوحي هو المفهوم الأول و الإفهام الأول و لا أعجل من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه فإن لم تحصل لك هذه النكتة فلست صاحب وحي ألا ترى أن الوحي هو السرعة و لا سرعة أسرع مما ذكرناه فهذا الضرب من الكلام يسمى وحيا و لما كان بهذه المثابة و أنه تجل ذاتي لهذا ورد في الخبر أن الله

إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان صعقت الملائكة و لما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل و هو حجاب موسى فإنه كان ناظرا إليه طاعة لأمر الله فلاح له عند تدكدك الجبل الأمر الذي جعل الجبل دكا ف خَرَّ مُوسى صَعِقاً حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ القائل رَبُّكُمْ قالت الملائكة الحق قالت الحقيقة وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ هذه النسبة من حيث هويته فالوحي ما يسرع أثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع و لا يعرف هذا إلا العارفون بالشئون الإلهية فإنها عين الوحي الإلهي في العالم و هم لا يشعرون فافهم و قد يكون الوحي إسراع الروح الإلهي الأمري بالإيمان بما يقع به الإخبار و المفطور عليه كل شيء مما لا كسب له فيه من الوحي أيضا كالمولود يتلقى ثدي أمه ذلك من أثر الوحي الإلهي إليه كما قال وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ و لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ و قال تعالى وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ فلو لا ما فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر و لهذا لا يتصور المخالف إذا كان الكلام وحيا فإن سلطانه أقوى من أن يقاوم وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ و كذا فعلت و لم تخالف مع أن الحالة توذن أنها ألقته في الهلاك و لم تخالف و لا ترددت و لا حكمت عليها البشرية بأن إلقائه في اليم في تابوت من أخطر الأشياء فدل على أن الوحي أقوى سلطانا في نفس الموحى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه قال تعالى وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و حبل الوريد من ذاته فيا أيها الولي إذا زعمت أن الله أوحى إليك فانظر في نفسك في التردد أو المخالفة فإن وجدت لذلك أثرا بتدبير أو تفصيل أو تفكر فلست صاحب وحي فإن حكم عليك و أعماك و أصمك و حال بين فكرك و تدبيرك و أمضى حكمه فيك فذلك هو الوحي و أنت عند ذلك صاحب وحي و علمت عند ذلك أن رفعتك و علو منصبك أن تلحق بمن تقول إنه دونك من حيوان و نبات و جماد فإن كل ما سوى مجموع الإنسان مفطور على العلم بالله إلا مجموع الإنسان و الجان فإنه من حيث تفصيله مفطور على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات من ملك و نبات و حيوان و جماد فما من شيء فيه من شعر و جلد و لحم و عصب و دم و روح و نفس و ظفر و ناب إلا و هو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي الذي تجلى له فيه و هو من حيث مجموعيته و ما لجمعيته من الحكم جاهل بالله حتى ينظر و يفكر و يرجع إلى نفسه فيعلم أن له صانعا صنعه و خالقا خلقه فلو أسمعه الله نطق جلده أو يده أو لسانه أو رجله لسمعه ناطقا بمعرفته بربه مسبحا لجلاله و مقدسا يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بما كانُوا يَعْمَلُونَ و قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا فالإنسان من حيث تفصيله عالم بالله و من حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم أي يعلم بما في تفصيله فهو العالم الجاهل فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ من قُرَّةِ أَعْيُنٍ فالإنسان من حيث تفصيله صاحب وحي و من حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي

(السؤال السابع و الخمسون) ما الفرق بين النبيين و المحدثين الجواب التكليف فإن النبوة لا بد فيها من علم التكليف و لا تكليف في حديث المحدثين جملة و رأسا هذا إن أراد أنبياء الشرائع فإن أراد أصحاب النبوة المطلقة فالمحدثون أصحاب جزء منها فالنبي الذي لا شرع له فيما يوحى إليه به هو رأس الأولياء و جامع المقامات مقامات ما تقتضيه الأسماء الإلهية مما لا شرع فيه من شرائع أنبياء التشريع الذين يأخذون بوساطة الروح الأمين من عين الملك و المحدث ما له سوى الحديث و ما ينتجه من الأحوال و الأعمال و المقامات فكل نبي محدث و ما كل محدث نبي و هؤلاء هم أنبياء الأولياء و أما الأنبياء الذين لهم الشرائع فلا بد من تنزل الأرواح على قلوبهم بالأمر و النهي و ما عدا ما ينزلون به من الأمر و النهي مثل العلوم الإلهية و الإخبارات عن الكوائن و الأمور الغائبة فذلك خارج عن نبوة الشرائع و هو من أحوال الأنبياء على العموم و يناله المحدث فإن ظهر من أصحاب النبوة المطلقة حكم من الأحكام الظاهرة من أنبياء الشرائع من قتل أو أخذ مال أو فعل من الأفعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر فاعلم أن هذا النبي الذي ما له شرع ليس ذلك من شرع نزل إليه و خوطب به بل لا يزال تابعا لرسول قد شرع له ما شرع و إنما اتفق أنه أخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر و حكمه في حق هذا الرسول يعارض حكم الرسول الآخر فإذا اجتمع هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة مع رسول من الرسل كالخضر مع موسى عليه السلام فحكم في قتل الغلام بما حكم و أنكر عليه موسى قتل نفس زكية في ظاهر الشرع بغير نفس مما لم يكن ذلك حكمه في شرعه فقال له لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً أي ينكره شرعي و قال له الخضر ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي يعني في كل ما جرى منه فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع الرسول الذي اتبعه و من شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه فحكم بعلمه في الغلام أنه كافر فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث إنه صاحب شرع منزل و إنما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلى هذا الحد تصدر الأحكام من أنبياء الأولياء فإن قيل هذا يجوز في زمان وجود الرسل و اليوم فما ثم شرع إلا واحد فهل يتصور أن تحكم أنبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد صلى الله عليه و سلم قلنا لا نعم فأما قولنا لا فإنه لا يجوز أن يحكم برأيه و أما قولنا نعم فإنه يجوز للشافعي أن يحكم بما يخالف به حكم الحنفي و كلاهما شرع محمد صلى الله عليه و سلم فإنه قرر الحكمين فخالفت شرعه بشرعه فإذا اتفق أن تخبر أنبياء الأولياء فيما يعلمهم الحق من أحكام شرع رسول الله صلى الله عليه و سلم أو يشهدون الرسول صلى الله عليه و سلم فيخبرهم بالحكم في أمر يرى خلافه أحمد و الشافعي و مالك و أبو حنيفة لحديث رووه صح عندهم من طريق النقل فوقفت عليه أنبياء الأولياء و علمت من طريقها الذي ذكرناه أن شرع محمد يخالف هذا الحكم و أن ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح وجب عليهم إمضاء الحكم بخلافه ضرورة كما يجب على صاحب النظر إذا لم يقم له دليل على

صحة ذلك الحديث و قام لغيره دليل على صحته و كلاهما قد و في الاجتهاد حقه فيحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده و كل ذلك شرع واحد فمثل هذا يظهر من أنبياء الأولياء بتعريف الله أنه شرع هذا الرسول فيتخيل الأجنبي فيه أنه يدعي النبوة و أنه ينسخ بذلك شرع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيكفره و قد رأينا هذا كثيرا في زماننا و ذقناه من علماء وقتنا فنحن نعذرهم لأنه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة و هم مخاطبون بغلبة الظنون و هؤلاء علماء بالأحكام غير ظانين بحمد الله فلو وفوا النظر حقه لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه و لا ينقضه إذا حكم به الحاكم غير أنهم رضي الله عنهم لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من المدعي صاحب الغرض فسدوه و قالوا إن الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب و نعم ما فعلوه و نحن نسلم لهم ذلك و نصوبهم فيه و نحكم لهم بالأجر التام عند الله و لكن إذا لم يقطعوا بأن ذلك مخطئ في مخالفتهم فإن قطعوا فلا عذر لهم فإن أقل الأحوال أن ينزلوهم منزلة أهل الكتاب لا نصدقهم و لا نكذبهم فإنه ما دل لهم دليل على صدقهم و لا كذبهم بل ينبغي أن يجروا عليهم الحكم الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم لهم فيما ادعوه فإن صدقوا فلهم و إن كذبوا فعليهم فعلى هذا تجري الأحكام من أنبياء الأولياء لا أنهم أرباب شرائع بل أتباع و لا بد و لا سيما في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد صلى الله عليه و سلم و المحدثون ليست لهم هذه الرتبة بل رتبتهم الحديث لا غير فهم ناظرون في كل شيء آخذون من عين كل شيء من كون كل شيء مظهر حق غير أنهم لا يتعدون حدود الله جملة فإن صدر منهم ما هو في الظاهر تعد لحد من حدود الله فذلك الحد هو بالنسبة إليك حد و بالنسبة إليه مباح لا معصية فيه و أنت لا تعلم و هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في ذلك فما أتى محرما من هذه صفته فإنه ممن قيل له اعمل ما شئت فما عمل إلا ما أبيح له عمله فإنه أمر لا على جهة الوعيد مثل قوله اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فهذا وعيد و إنما قولنا فيمن قيل له اعمل ما شئت فقد غفرت لك فعمل على كشف و تحقق و هذا ثابت في شرعنا بلا شك فأهل الحديث أيضا لهم في مثل هذا قدم و لكن ليس هم مخصوصين به بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الأولياء و قد عرفت صفة المحدثين فيما قبل و صفة النبيين فقف عند ذلك وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

(السؤال الثامن و الخمسون) أين مكانهم منهم الجواب مكان التابع من المتبوع و هو المشي على الأثر قال شيخنا محمد بن قائد رأيت في دخولي عليه أثر قدم أمامي فغرت فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن ما بي فاعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين و المرسلين عليهم السلام فأي ولي رأى قدما أمامه فتلك قدم النبي الذي هو له وارث و أما قدم محمد صلى الله عليه و سلم فلا يطأ أثره أحد صلى الله عليه و سلم كما لا يكون أحد على قلبه فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها كل من يراها فتلك قدم النبي الذي هو له

وارث و لكن من حيث ما هو محمدي لا غير و لهذا قيل له قدم نبيك و لم يقل له هذه قدم محمد صلى الله عليه و سلم فإن كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه فهو من أهل الحديث و الكمال و إن كان فهم منه قدم محمد صلى الله عليه و سلم فذلك صدع أصاب عين فهمه و لهذا قال السائل أين مكانهم منهم و لم يقل منه و المكان هنا يعني به المكانة و حكي عن عبد القادر الجيلي أنه قال حين قيل له ما قاله هذا الشيء كنت في المخدع و من عندي خرجت له النوالة يعني الخلعة التي أعطى لأنه سئل عنه فقال ما رأيته في الحضرة فقيل ذلك لعبد القادر فلذلك قال كنت في المخدع و سمي النوالة و كان كما قال و إنما قال في المخدع و لم يسم مكان صونه و عينه بهذا الاسم ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم بأنه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النفاسة عليه فإن حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر فستر عنه مقام عبد القادر خداعا فهم ذلك عبد القادر فقال كنت في المخدع و قوله أن من عنده خرجت النوالة له يدل على أن عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة و على يديه استفادها و جهل ذلك محمد بن قائد فإن الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبد القادر فيما يحكى لنا من أحواله و أحوالهم و كان يقول هذا عن نفسه فيسلم له حاله فإن شاهده يشهد له بصدق دعواه فإنه كان صاحب حال مؤثرة ربانية مدة حياته لم يكن صاحب مقام و ما انتقل إلى حال أبي السعود و إن كان تلميذه إلا عند موته و هي الحال الكبرى و كانت هذه الحال مستصحبة لأبي السعود طول حياته فكان عبدا محضا لم تشب عبوديته ربوبية فاعلم ذلك ثم لتعلم أن مكان كل واحد من نبيه الذي هو وارثه إنما مكانه منه على الحال التي أثمر له طريقه فإنه لا يرث أحد نبيا على الكمال إذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولا مثله أو نبي شريعة تخصه يأخذ عمن يأخذ عنه و ليس الأمر كذلك إلا أن الروح الذي يلقي على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث في صورة حالة مشوبة في ظاهرها بصورة ذلك الملك و تسمى تلك الروحانية باسم ذلك الملك و تخاطب هذا الوارث و يخاطبها هذا الوارث بقدر حاله و ينطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح و ربما بعض الورثة يتخيل أنه عين الروح الذي كان يلقي على ذلك النبي و أنه الروح عينه و الصور مختلفة و ليس الأمر كذلك و الخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح و تتعين المرتبة بالصورة فمعرفة الإنسان بنفسه و مرتبته لا تعلم إلا من الصورة و من هنا يتخيل من لا تمكن له في المعارف الإلهية ذوقا إنه نبي أو قد نال درجة أنبياء الشرائع و لهذا قال بعض السادة من رجال الله جعلك الله محدثا صوفيا و لا جعلك صوفيا محدثا فإن الغالب أن تكون بحكم الأصل المتقدم إلا أن يعصم الله فمعرفة المكان الذي لنا من الأنبياء واجب علينا العلم به لئلا نكون ممن ليس عليه في ذلك و لا سيما و الله يقول وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ وَلَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً

رَسُولًا و لو كان رجلا لظهر في صورة ملك للالتباس المطلوب الذي هو صورة عملهم ليعلم أنه ما أتى عليهم إلا منهم فما جنوا إلا ثمرة أعمالهم هذا هو الحق

(السؤال التاسع و الخمسون) أين سائر الأولياء الجواب في النور خلف حجاب السبحات الوجهية من الأنوار و الظلم في نور ممتزج بينهما كنور الأسحار و هو السدفة و أما المؤمنون فإنهم في النور العام المبطون في ظلم الحجب و منه تخلص الأولياء إلى هذا النور الممتزج و الأكابر أحرقتهم أنوار السبحات و خواص الأكابر أحرقهم نور البصر فالأولياء لا يتجاوز علمهم الصفات الذاتية من حيث ما هي منسوبة إلى الحق الموصوف بها لا من حيث ما دلت عليها دلائل الآثار فهم يعرفون العالم من الله و يعرفون الله بالله و من دونهم يعرفون الله من العالم و أما العالم فلا يعرفه من نفسه إلا أكابر الرجال الذين لا يعرفون الأشياء أو المعلومات إلا من نفوسها و أعيانها فلا يتخذون دليلا على الشيء أو المعلوم سوى نفس ذلك المعلوم و ذلك لارتفاع المناسبات و لسريان الأحدية في كل معلوم فكما أنه لا مناسبة بين الله و بين خلقه كذلك لا مناسبة بين أعيان العالم و المظاهر فلا يعرفون شيئا بشيء و لا معلوما بمعلوم غيره و سائر الأولياء ما لهم هذه المرتبة و كيف يعرف الشيء بغيره و لا يجتمع الدليل و المدلول فإن أحدهما إذا انتفى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة فذلك المدلول إنما عرفته حين ظهر لك بنفسه و أما حين نظرك في الدليل على زعمك فلا علم لك إلا بذات الدليل لأن ذاته عرفتك بذاته لا بما جعلته دليلا عليه فإن المدلول في حين علمك بالدليل لست بعالم به فهذا الذي جعل أكابر الرجال لا يتخذون أمر الأمر و إنما يتخذون كل أمر لنفسه و عينه فيعلمون هؤلاء الله بالله و العالم بالعالم و الأسماء بالأسماء فلا فكر لهم في استنباط شيء كما لسائر الأولياء فلهم الشهود الدائم فأينية سائر الأولياء في الأدلة فلا يشهدون مدلولا أبدا و على هذا جرت أحكامهم و أما أينيتهم في القيامة فهم الذين لا يخافون و لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ لأنهم ما لهم تبع و هم في أنفسهم آمنون فتغبطهم الأنبياء في ذلك الموطن خاصة و أما أينيتهم في الكثيب يوم الزور الأعظم فلهم الكراسي عليها يقعدون و المنابر و الأسرة و المراتب لغيرهم و لكن من حيث هم رسل و أنبياء و مؤمنون و أما الأكابر في العلم بالله فإن لهم قوة على التحول في رقايق لتحول التجلي في الصور فيبعثون لكل تجل في صورة رقيقة صورية من ذواتهم تشاهد ما يشاهده أهل الجمع و هم في تلك الحال في قصورهم ينعمون في صور أجسامهم الطبيعية و مع الله من حيث كونه إحدى الذات بحقائقهم و في الكثيب عند الرؤية برقائقهم المعنوية التي أوجدوها لصور التجلي و من سواهم فحالهم إذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب و إذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان فتفقدهم جواريهم و ولدانهم و أكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم (السؤال الستون) ما خوض الوقوف الجواب دخول بعضهم في بعض طلبا للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم و كربه فمنهم

الخائض في طلب من يشفع له و منهم الخائض في طلب من يتكرم عليه لينقذه من هول ذلك اليوم و منهم الخائض في طلب من يشهد له و منهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص و منهم الخائض ليختفي و يستتر من خصمائه و منهم الخائض ليستتر حياء من معارفه و على هذا كان يعمل شيخنا أبو عمران موسى بن عمران الميرتلي قلت له يوما لم تقلل من معارفك فقال ربما لا أكون هناك بذاك فاستحى من معارفي فإذا لم أر من أعرف هان على بعض الحال و منهم الخائض ليعرف بمنزلته لما هو فيه من المكانة عند ربه لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ و أمثال هذا هو خوض الوقوف إذا تأملت و أما الطائفة التي كانت تخوض في آيات الله وَكُنّا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ فإن الله يخوض بهم في غمرات أعمالهم كما كانوا في الدنيا في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ يكونون في الآخرة في خوضهم يحزنون إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا من الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ فهذا خوضهم في الدنيا وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا من الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ الصورة بالصورة فهذا خوضهم في الوقوف قال تعالى يوصينا و يحذرنا ممن هذه صفته وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إذا أقمتم معهم و هم بهذه المثابة و إن لم تخض معهم قال تعالى أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها يا عِبادِيَ (الَّذِينَ آمَنُوا) إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ فهؤلاء في الوقوف يخاض بهم حيث يكرهون كما خاضوا هنا حيث يكره الحق منهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الحادي و الستون) كيف صار أمره كَلَمْحِ الْبَصَرِ الجواب الضمير في أمره يعود على الوقوف فاعلم أن الكيفيات لا تنقال و لكن تقال بضرب من التشبيه فإن أمره واحدة أي كلمة واحدة مثل لمح البصر فإن اللمحة الواحدة من البصر نعم من أحكام المرئيات من حيث الرائي إلى الفلك الأطلس جميع ما يحوي عليه ما أدركه البصر في تلك اللمحة من الذوات و الأعراض القائمة بها من الأكوان و الألوان و في العبادات كل مصل و الخلق كله مصل من حيث دعي يناجي ربه في الآن الواحد كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك بالمقدار الزماني خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ من أيام الدنيا و هو يوم ذي المعارج و يوم الرب من يوم ذي المعارج مثل نصف خمس الخمس فالأيام و إن اختلفت مقاديرها وعدها اليوم الشمسي فإن أمر الله فيها مثل لمح البصر للافهام و التوصيل و ربما هو في القلة أقل من هذا المقدار بل مقداره الزمان الفرد المتوهم الذي هو يوم الشأن فالشأن بالنظر إلى الحق واحد منه و بالنظر إلى قوابل العالم كله شئون لو لا الوجود حصرها لقلنا إنها لا نهاية لها فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد و عظم بحيث لا يمكن أن يحصره عدد من حيث العالم و إنما يحصيه من أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً فكما صارت الخمسون ألف سنة كيوم واحد و في يوم واحد كذلك صار أمره كَلَمْحِ الْبَصَرِ و سبب ذلك أن الذي يصدر منه الأمر لا يتقيد فهو في كل مأمور بحيث أمر فينفذ الأمر بحكمه دفعة واحدة و

هذا إذا لم يبعد في المحدثات وجوده بهذه السعة فما ظنك بالأمر الحق فإن الهواء حكمه في كل شيء من العالم الطبيعي أسرع من لمح البصر و هو واحد كالإنسان الواحد و كذلك الروح الامري في العقول و في الأجسام الطبيعية فمثل هذا لا يستبعده إلا من لا علم له بالأمور و الحقائق و لا سيما و إن أعاد الضمير في سؤاله من أمره على الضمير المذكور في سورة القمر وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ و هو الذي أراد و الله أعلم مع أنه يسوغ أن يعود على الوقوف و على الخوض فإن الزمان الواحد يجمع الخائضين في خوضهم و الله الهادي من شاء إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(السؤال الثاني و الستون) أمر الساعة كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ الجواب سميت الساعة ساعة لأنها تسعى إلينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات و بقطع الأنفاس فمن مات وصلت إليه ساعته و قامت قيامته إلى يوم الساعة الكبرى التي هي لساعات الأنفاس كالسنة لمجموع الأيام التي تعينها الفصول باختلاف أحكامها فأمر الساعة و شأنها في العالم أقرب من لمح البصر فإن عين وصولها عين حكمها و عين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم و عين نفوذه عين تمامه و عين تمامه عين عمارة الدارين فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ و لا يعرف هذا القرب إلا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي و ما يجده العالم به من الأمور الواسعة في النفس الفرد و الطرفة ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال فيعرف هذا القرب و تضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا و من وقف على حكاية الجوهري رأى عجبا و هو من هذا الباب فإن قلت و ما حكاية الجوهري قلنا ذكر عن نفسه أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن و كانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل فرأى و هو في الماء مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد و قد تزوج و أقام مع المرأة ست سنين و أولدها أولادا غاب عني عددهم ثم رد إلى نفسه و هو في الماء ففرغ من غسله و خرج و لبس ثيابه و جاء إلى الفرن و أخذ الخبز و جاء إلى بيته و أخبر أهله بما أبصره في واقعته فلما كان بعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره فلما اجتمعت به عرفها و عرف الأولاد و ما أنكرهم و قيل لها متى تزوج فقالت منذ ست سنين و هؤلاء أولاده مني فخرج في الحس ما وقع في الخيال و هذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول فلله قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم و غير ذلك من القوي التي في عامة الناس فاختص الله أولياءه بقوى لها مثل هذه الأحكام فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار و في معراج رسول الله صلى الله عليه و سلم ما فيه كفاية في هذا الباب مع بعد هذه المسافات التي قطعها في الزمان القليل

(السؤال الثالث و الستون) ما كلام الله تعالى لعامة أهل الوقوف الجواب يقول لهم ما جئتم به فيقع في أسماع السامعين ذلك مختلفا باختلاف أحوالهم فتختلف أحوالهم بأسماعهم بل تختلف أسماعهم بحسب أحوالهم في الموقف و لا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع الآخر و هو السؤال عن النفس الذي قبض فيه و لا يكون هذا الكلام إلا لأهل الوقوف خاصة الذين هم في هول ذلك اليوم و أما المتصرفون فيه كالأنبياء و الرسل و الدعاة إلى الله و كالمستريحين من أهل المنابر الذين لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ و كالمصونين في سرادقات الجلال خلف حجاب الأنس فهؤلاء كلهم و أمثالهم ما هم من أهل الوقوف فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كل واحد منهم

(السؤال الرابع و الستون) ما كلامه للموحدين الجواب يقول لهم فيما ذا وحدتموني و بما ذا وحدتموني و ما الذي اقتضى لكم توحيدي فإن كنتم وحدتموني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول و القائلون بالحلول غير موحدين لأنه أثبت أمرين حال و محل و إن كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات و الأفعال فما وحدتموني فإن العقول لا تبلغ إليها و الخبر من عندي فما جاءكم بها و إن كنتم وحدتموني في الألوهة بما تحمله من الصفات الفعلية و الذاتية من كونها عينا واحدة مختلفة النسب فبما ذا وحدتموني هل بعقولكم أو بي و كيفما كان فما وحدتموني لأن وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم و لا بى فإن توحيدكم إياي بي هو توحيدي لا توحيدكم و بعقولكم كيف يحكم علي بأمر من خلفته و نصبته و بعد أن ادعيتم توحيدي بأي وجه كان أو في أي وجه كان فما الذي اقتضى لكم توحيدي إن كان اقتضاه وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد و إن كان اقتضاه أمري فأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصلكم إن رأيتموه مني فمن الذي رآه منكم و إن لم تروه مني فأين التوحيد يا أيها الموحدون كيف يصح لكم هذا المقام و أنتم المظاهر لعيني و أنا الظاهر و الظاهر يناقض الهوية فأين التوحيد لا توحيد في المعلومات فإن المعلومات أنا و أعيانكم و المحالات و النسب فلا توحيد في المعلومات فإن قلتم في الوجود فلا توحيد فإن الوجود عين كل موجود و اختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل و لا نسبة متعلم فأين التوحيد و ما ثم إلا المعلومات أو الموجودات فإن قلت لا معلوم و لا مجهول و لا موجود و لا معدوم و هو عين التوحيد قلنا بنفس ما علمت أن في تقسيم المعلومات من يقبل هذا الوصف فقد دخل تحت قسم المعلومات فأين التوحيد فيا أيها الموحدون استدركوا الغلط فما ثم إلا الله و الكثرة في ثم و ما هم سواه فأين التوحيد فإن قلتم التوحيد المطلوب في عين الكثرة قلنا فذلك توحيد الجمع فأين التوحيد فإن التوحيد لا يضاف و لا يضاف إليه استعدوا أيها الموحدون للجواب عن هذا الكلام إذا وقع السؤال فإن كان أهل الشرك لا يغفر لهم فبحقيقة ما نالوا ذلك لأنه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك فشاهدوا الأمر

على ما هو عليه فإن قلت فمن أين جاءهم الشقاء و هم بهذه المثابة و إن عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم قلنا لأنهم عينوا الشريك فأشقاهم توحيد التعيين فلو لم يعينوا لسعدوا و لكن هم أرجى من الموحدين لدرجة العلم جعلنا الله ممن وحده بتوحيد نفسه جل علاه

(السؤال الخامس و الستون) ما كلامه للرسل الجواب ما قاله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ فأووا إلى لا عِلْمَ لَنا فعلموا أنهم لما وجهوا دعوا إلى الله تعالى أممهم ظاهرا و باطنا بدعوة واحدة فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم لا عِلْمَ لَنا جوابا و من هنا لم يصح جميع فروع أحكام الشريعة من المنافق لأنه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره و صحت فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه فعلمنا أن المقصود للشرع الباطن و لكن بشرط مخصوص و هو أن يعم الايمان جميع فروع الأحكام و أصولها فإن آمن ببعض و كفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك الايمان و هو الكافر حقا فَيَقُولُ الله تعالى للرسل ما ذا أُجِبْتُمْ إذا كان كلامه لهم في حق ما كلفهم من الدعوة إليه فإن أراد السائل ما كلامه للرسل فيما يختص بذواتهم من كونهم عبيدا مقربين فيكلمهم بما يكلم به المقربين من عباده فكلامه للرسل المقربين ممن اعتقدتم القربة هل اعتقدتم أن اقترابكم إلينا أو إلى سعادتكم أو إلى معرفة ذواتكم أو إلى معرفتي فإن اعتقدتم اقترابكم إلينا فقد حددتموني و أنا لا حد لي و هذا اللسان الذي أذكره في هذا الفصل إنما هو كلام الحق لمن دعا إلى الله على بصيرة كما قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ من اتَّبَعَنِي فهذا لسان من اتبعه في دعوته إلى الله نيابة عنه فكأنه رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو إلى الله على بصيرة من حيث دعا الرسول لأنهم ورثة و إنما قلنا هذا لأن كلامه للرسل لا يعرفه إلا الرسل و لا ذوق لنا فيه و لو عرفنا به ما عرفناه و لو عرفناه لكنا رسلا مثلهم و لا حظ لنا في رسالتهم و لا في نبوتهم و كلامنا لا يكون إلا عن ذوق فالجواب عن هذا السؤال إذا أراد الرسل ترك الجواب فأردنا أن نفيد أصحابنا في أن نتكلم في كلامه تعالى للرسل الذين هم الورثة رسل رسل الله لما دعوا إلى الله على بصيرة و شرك رسول الله صلى الله عليه و سلم في الدعوة إلى الله على بصيرة بينه و بين من اتبعه فاعلموا من أين نتكلم و فيمن أتكلم و عمن نبين ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول فيقول فقد حددتموني و أنا لا حد لي فنقول هذا الذي تقول لسان العلم و أنت خاطبتنا بلسان الايمان فآمنا فقلت من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و من تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا فما حددناك إلا بحدك فأنت حددت نفسك بنا و حددتنا بك و إلا فمن أين لنا أن نحد ذواتنا فكيف أن نحدك و جعلت الايمان بما ذكرناه قربة إليك فهذا كلامك و لسان الايمان و نحن لا جراءة لنا على أن نقول ما قلته عن نفسك فيقول صدقتم هذا لسان الايمان فتقول طائفة منهم اقتربنا إلى سعادتنا فيقول سعادتكم قائمة بكم و ما برحت معكم في حال طلبكم القربة إليها فإن لم تعلموا ذلك فقد جهلتم و إن علمتموه فما صدقتم إذا فلا قربة فإن قالت طائفة إنما اعتقدنا القربة إلى معرفة ذواتنا فيقول لهم الشيء لا يجهل نفسه لكنه لا يعرف أنه

يعرف نفسه لأن معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود فطلبكم القربة من معرفة ما هو معروف لا يصح فإن قالت طائفة و لا بد أن تقول إنما اعتقدنا القربة من معرفتك فيقول لهم كيف يعرف من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلو كان شيئا لجمعتهما الشيئية فيقع التماثل فيها إذا فلا شيئية له فليس هو شيئا و لا هو لا شيء فإن لا شيء صفة المعدوم فيما ثله المعدوم في أنه لا شيء و هو لا يماثل فليس مثله شيء و ليس مثله لا شيء و من هو بهذه المثابة كيف يعرف فبطل اقترابكم إلى معرفتي فبطل أن يكونوا من المقربين فيقولون لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فيقول أنتم رسل و حقيقة الرسول أن يكون بين مرسل و مرسل إليه و هو حامل إليهم رسالة ليعملوا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة فالرسول لما كانت مرتبته البينية كان أقرب من المرسل إليهم إلى الاسم الذي أرسله و كان المرسل إليهم أقرب إلى الاسم القابل لما جاء به الرسول من الرسول فالكل من المقربين فإن لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين و كان المرسل إليهم غير متصفين بالقربة فكانوا من المبعدين

(السؤال السادس و الستون) إلى أين يأوون يوم القيامة من العرصة الجواب إلى ساق العرش و يوم القيامة له مواطن كثيرة فالرسل يأوون يوم القيامة من العرصة في كل موطن إلى الموضع الذي يكون فيه تجلى الحكم الإلهي الذي يليق بذلك الموطن فموطن للسؤال و موطن للموازين و موطن لاخذ الكتب و موطن للصراط و موطن للحوض فمواطن القيامة تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه كالوزغة بين يدي الملك و أقربهم منزلة من هو أدنى من قاب قوسين و هو التقاء قطري الدائرة ثم يأوون في السؤال العام إلى لا علم لنا و في السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب و للحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة فيأوون إلى الاسم الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص

(السؤال السابع و الستون) كيف مراتب الأنبياء و الأولياء يوم الزيارة الجواب أن الناس إذا جمعهم الله يوم الزيارة في جنة عدن على كثيب المسك الأبيض نصب لهم منابر و أسرة و كراسي و مراتب فالأنبياء على رتبتين أنبياء شرائع و أنبياء أتباع فأنبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل و الأنبياء الأتباع في الرتبة الثالثة و الرتبة الثالثة تنقسم قسمين قسم يسمى أنبياء و قسم يسمى أولياء و الرتبة للأولياء بالاسم العام فإذا كان يوم الزيارة فكل نبي أخذ معرفة ربه من ربه إيمانا لم يشبها بنظر فكري فإنه يشاهد ربه بعين إيمانه و الولي التابع له في إيمانه بربه يراه بمرآة نبيه فإن كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره و اتخذ ذلك قربة من حيث إيمانه فله يوم الزيارة رؤيتان رؤية علم و رؤية إيمان و كذلك إن كان النبي له في معرفته بربه نظر فكري له رؤيتان رؤية علم و رؤية إيمان فإن كان الولي من أولياء الفترات و لم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الإلهية التي جاءت بها الرسل و كانت معرفتهم بربهم إما عن نظر و إما عن تجل إلهي

لقلبه أو كلاهما فمثل هؤلاء يكونون بما هم أهل نظر في مرتبة أهل النظر في الرؤية و إن كانت معرفتهم عن كشف إلهي فإن لهؤلاء صفا على حدة يتميزون به عن سائر الخلق و الجامع لهذا الباب أن الرؤية يوم الزيارة تابعة للاعتقادات في الدنيا فمن اعتقد في ربه ما أعطاه النظر فما أعطاه الكشف و ما أعطاه تقليد رسوله فإنه يرى ربه في صورة وجه كل اعتقاد ربط عليه إلا أنه في تقليد نبيه يراه بصورة نبيه من حيث ما أعلمه ذلك الرسول مما أوحى به إليه في معرفته بربه فلمثل هذا ثلاث تجليات بثلاثة أعين في الآن الواحد و كذلك حكم صاحب النظر وحده أو صاحب الكشف وحده أو صاحب التقليد وحده فتتميز مراتب الأولياء الأتباع في الزيارة بتقديم الأنبياء عليهم و الطبقتان اللتان ليستا بأنبياء و لا أتباع فهم أولياء الله لا يحكم عليهم مقام يتميزون عن الجميع بالنسب الصحيح إلى ربهم غير أن أصحاب النظر منهم في الرتبة دون أصحاب الكشف فبين الحق و بينهم في الرؤية حجاب فكرهم كلما أرادوا أن يرفعوا ذلك الحجاب لم يستطيعوا كاتباع الأنبياء كلما هموا برفع حجب الأنبياء عنهم حتى يروه دون هذه الواسطة لم يستطيعوا ذلك فلا تكون الرؤية الخالصة من الشوب إلا للأنبياء الرسل أهل الشرائع و لأهل الكشف خاصة و من حصل له هذا المقام مع كونه تابعا أو صاحب نظر جمع له على قدر ما عنده و لو كان على ألف طريق و أما الرجال الذين صوبوا اعتقاد كل معتقد بما وصله إليه و علمه و قرره فإنه يوم الزيارة يرى ربه بعين كل اعتقاد فالناصح نفسه ينبغي له أن يبحث في دنياه على جميع المقالات في ذلك و يعلم من أين أثبت كل واحد ذو مقالة مقالته فإذا ثبت عنده من وجهها الخاص بها الذي به صحت عنده و قال بها في حق ذلك المعتقد و لم ينكرها و لا ردها فإنه يجني ثمرتها يوم الزيارة كانت تلك العقيدة ما كانت و هذا هو العلم الإلهي الواسع و الأصل في صحة ما ذكرناه أن كل ناظر في الله تحت حكم اسم من أسماء الله فذلك الاسم هو المتجلي له و هو المعطي له ذلك الاعتقاد بتجليه له من حيث لا يشعر و الأسماء الإلهية كلها نسبتها إلى الحق صحيحة فرؤيته في كل اعتقاد مع الاختلاف صحيحة ليس فيها من الخطاء شيء هذا يعطيه الكشف الأتم فلم يخرج عن الله نظر ناظر و لا يصح أن يخرج و إنما الناس حجبوا عن الحق بالحق لوضوح الحق فهذه الطائفة التي هي بهذه المثابة من العلم بالله صف يوم الزيارة بمعزل إذا انصرفوا من الزيارة يتخيل كل صاحب اعتقاد أنه منهم لأنه يرى صورة اعتقاده فيها كصورته فهو محبوب لجميع الطوائف من يكون بهذه الصفة و كذلك كان في الدنيا و هذا القول الذي ذكرناه لا يعرفه إلا الفحول من أهل الكشف و الوجود و أما أصحاب النظر العقلي فلا يشمون منه رائحة فاجعل بالك لما ذكرناه و اعمل عليه تعطي الألوهية حقها و تكون ممن أنصف ربه في العلم به فإن الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد أو تضبطه صورة دون غيرها و من هنا تعرف عموم السعادة لجميع خلق الله و اتساع الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ انتهى الجزء الخامس و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثامن و الستون) ما حظوظ الأنبياء من النظر إليه الجواب لا أدري فإني لست بنبي فذوق الأنبياء لا يعلمه سواهم إن أراد الأنبياء الذين خصهم الله بالتشريع العام و الخاص بهم فإن أراد أنبياء الأولياء فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله فإن حصل على الجميع فحظه ما للجميع فهو في النعيم العام فيلتذ بلذة كل معتقد فما أعظمها من لذة و إن حصل على البعض فلذاته بحسب ما حصل له و إن انفرد بأمر واحد فحظه ما انفرد به من غير مزيد فافهم ما ذكرناه

(السؤال التاسع و الستون) ما حظوظ المحدثين من النظر إليه الجواب الحجاب الأقرب فإذا شاهد ربه حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثل ما يحصل لهم من الكلام إلا أن المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد و سائر الخلق ليس لهم هذا المقام فإنه مخصوص بالمحدثين

(السؤال السبعون) ما حظوظ سائر الأولياء من النظر إليه الجواب الأولياء على مراتب فتختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم فولى حظه من النظر إليه لذة عقلية و ولي حظه من ذلك لذة نفسية و ولي حظه من ذلك لذة حسية و ولي حظه من ذلك لذة خيالية و ولي حظه من ذلك لذة مكيفة و ولي حظه من ذلك لذة غير مكيفة و ولي حظه من ذلك لذة ينقال تكييفها و ولي حظه من ذلك لذة لا ينقال تكييفها فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا كما قال تعالى هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ

(السؤال الحادي و السبعون) ما حظوظ العامة من النظر إليه لجواب حظوظ العامة من النظر إليه على قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء على طبقاتهم فمنهم من ألقى إليه عالمه ما عنده و منهم من ألقى إليه عالمه على قدر ما علم من عقله و قبوله فإن الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها فإنها أقسام أصلها المزاج الذي ركبه الله عليه و هو السبب في اختلاف نظر العلماء بأفكارهم في المعقولات فيكون حظهم في لذة النظر حظهم فيما تخيل لهم فالعامة حظوظهم خيالية لا يقدرون على التجريد عن المواد في كل ما يلتذون به من المعاني في الدنيا و البرزخ و الآخرة بل قليل من العلماء من يتصور التجريد الكلي عن المواد و لهذا أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة و تأتي فيها تلويحات للخاصة مثل قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

(السؤال الثاني و السبعون) أن الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل أهل الجنان عن نعيمهم اشتغالا بالنظر إليه الجواب ذلك للباس الرائي صورة ما رأى و سبب ذلك أن المقام عظيم في قلب كل طائفة و أنه أعظم مما هم فيه من نعيم الأكوان في الجنان فإذا دعوا إلى الزيارة و بقي الأزواج الجنانيون من الحور و الولدان و أشجار الجنان و أنهارها و جميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور و المراكب و غير

ذلك و الكل حيوان فإنها الدار الحيوان فإذا دعي صاحب المنزل ذكرا كان أو أنثى من الثقلين بقي أهل ذلك المنزل مترقبين ما يأتون به إليهم من الخلع الإلهية التي أورثهم النظر إليه و بأي صورة يرجعون إليهم من ذلك المقام الأعظم إذ كان ذلك مشاهدة الملك فإذا وردوا عليهم من الزيارة إذا قال الجليل لملائكته ردوهم إلى قصورهم و قد غشيهم من نور الرؤية ما غشاهم مما لا مناسبة بين ذلك و بين الجمال و البهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة مع تعظيم المقام الذي مشوا إليه في قلوب أهل المنزل ثم إنهم إذا رجعوا إليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية أشرق الجنان بأنوارهم على مقدارهم بصورة ما رأوه فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم و لا كانوا عليه فهذا هو السبب في ذهولهم و حظ كل شخص من ربه على مقدار علمه و عقده في درجات العقائد و اختلافاتها و كثرتها و قلتها كما قد تقرر قبل في هذه الفصول فاعلم ذلك و الله الهادي و في سوق الجنة علم ما أشرنا إليه

(السؤال الثالث و السبعون) ما المقام المحمود الجواب هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها و إليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات و هو لرسول الله صلى الله عليه و سلم و يظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة و بهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض قال صلى الله عليه و سلم أنا سيد الناس يوم القيامة و كان قد أقيم فيه آدم صلى الله عليه و سلم لما سجدت له الملائكة فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا و هو لمحمد صلى الله عليه و سلم في الآخرة و هو كمال الحضرة الإلهية و إنما ظهر به أولا أبو البشر لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد صلى الله عليه و سلم و هو الأب الأعظم في الجسمية و المقرب عند الله و أول هذه النشأة الترابية الإنسانية فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة إذ كان جامعا للقبضتين قبضة الوفاق و قبضة الخلاف فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة فكانت مخالفته نهي الله من تحرك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره فإن المقام يقتضي له ذلك و سألت شيخنا أبا العباس عن ذلك فقال ما عصى من آدم عليه السلام إلا ما كان من أولاده المخالفين في ظهره و كانت العاقبة لمحمد صلى الله عليه و سلم في الدار الآخرة فظهر في المقام المحمود و منه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و حيوان و نبات و جماد فيشفع رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ربه لهؤلاء أن يشفعوا فكان محمودا بكل لسان و بكل كلام فله أول الشفاعة و وسطها و آخرها يقول الله شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون و بقي أرحم الراحمين فيقتضي سياق الكلام أن يكون أرحم الراحمين يشفع أيضا فلا بد ممن يشفع عنده و ما ثم إلا الله فاعلم إن الله يشفع من حيث أسماؤه فيشفع اسمه أرحم الراحمين عند اسمه القهار و الشديد العقاب ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط و قد نبه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً فالمتقي

إنما هو جليس الاسم الإلهي الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد فسمى جليسه متقيا منه فيحشره الله من هذا الاسم إلى الاسم الإلهي الذي يعطيه الأمان مما كان خائفا منه و هو الرحمن فقال يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً أي يأمنون مما كانوا يخافون منه و لهذا يقول في الشفاعة و بقي أرحم الراحمين فبهذه النسبة تنسب الشفاعة إلى الحق من الحق من حيث آثار أسمائه و هذا هو مأخذ العارفين من الأولياء فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد صلى الله عليه و سلم فهذا الذي عبر عنه بالمقام المحمود قال صلى الله عليه و سلم في هذا المقام فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن و هذا يدلك أن علوم الأنبياء و الأولياء أذواق لا عن فكر و نظر فإن الموطن يقتضي هنالك بآثاره أسماء إلهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا فلهذا قال لا أعلمها الآن و هذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوصل إلى الله فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة و هو شفاعته في الجميع ألا تراه صلى الله عليه و سلم يقول في الوسيلة إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد و أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة فجعل الشفاعة ثواب السائل و لهذا سمي المقام المحمود الوسيلة و كان ثوابهم في هذا السؤال أن يشفعوا و هذا هو منصب إلهي جامع من عين ملك الملك قال تعالى أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و قال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فكان المرجع إليه فكذلك ترجع المقامات كلها و الأسماء إلى هذا المقام المحمود قال صلى الله عليه و سلم أوتيت جوامع الكلم

(السؤال الرابع و السبعون) بأي شيء ناله الجواب قال صلى الله عليه و سلم لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته و إني اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي لعلمه بموطن الآخرة أكثر من علم غيره من الأنبياء فاعلم أنه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها و هو الجامع لها لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم لأن المحامد من صفة الكلام و لما كان بعثه عاما كانت شريعته جامعة جميع الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها التي تصح أن تشرع و اعلم أن جنات الأعمال ما بين الثمانين إلى السبعين لا تزيد و لا تنقص و الايمان بضع و سبعون بابا أدنى ذلك إماطة الأذى عن الطريق و أرفعه قول لا إله إلا الله قال تعالى في حق العاملين نَتَبَوَّأُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ فلم يحجر بهذا لمن عمل بكل عمل فإن الإنسان في الدنيا أي عمل عمله من الأعمال أعمال الايمان لا يحجر عليه إذا شاء عمله فلما ظهر صلى الله عليه و سلم بجميع شعب الايمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية إما بالفعل و إما بالدلالة عليها فإنه الذي سنها لأمته فله أجر من عمل بها و لا يخلو واحد من الأمة أن يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه صلى الله عليه و سلم من حيث العمل بها فيتبوأ من الجنة حيث يشاء و هذا لا يصلح إلا لمحمد صلى الله عليه و سلم فإنه عنه ظهرت السنن الإلهية

فبهذا نال المقام المحمود و بجوامع الكلم و بالبعثة العامة فإنه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا و باتصافه بهذه الأحوال في الدنيا نال تلك المقامات الأخروية فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصح الوجود عنه

(السؤال الخامس و السبعون) كم بين حظ محمد صلى الله عليه و سلم و حظوظ الأنبياء عليهم السلام الجواب إما بينه و بين الجميع فحظ واحد و هو عين الجمعية لما تفرق فيهم و إما بينه و بين كل واحد منهم فثمانية و سبعون حظا و مقاما إلا آدم فإنه ما بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم عليهما إلا ما بين الظاهر و الباطن فكان في الدنيا محمد صلى الله عليه و سلم باطن آدم عليه السلام و آدم عليه السلام ظاهر محمد صلى الله عليه و سلم و بهما كان الظاهر و الباطن و هو في الآخرة آدم عليه السلام باطن محمد صلى الله عليه و سلم و محمد صلى الله عليه و سلم ظاهر آدم و بهما يكون الظاهر و الباطن في الآخرة فهذا بين حظ محمد صلى الله عليه و سلم و بين حظوظ الأنبياء عليهم السلام و أكثر أصحابنا يمنعون معرفة التوقيت في ذلك و هو غلط منهم و في هذا الفصل تفصيل عظيم تبلغ فصول التفصيل فيه إلى مائة ألف تفصيل و أربعة و عشرين ألف تفصيل بعدد الأنبياء عليهم السلام لأنه يحتاج إلى تعيين كل نبي و معرفة ما بين حظ محمد صلى الله عليه و سلم و بين ذلك النبي و الحظوظ محصورة من حيث الأعمال في تسعة و سبعين و قد يكون للنبي من ذلك أمر واحد و لآخر أمران و لآخر عشر العدد و تسعه و ثمنه و أقل من ذلك و أكثر و المجموع لا يكون إلا لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا لم يبعث بعثا عاما سوى محمد صلى الله عليه و سلم و ما سواه فبعثه خاص لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً

(السؤال السادس و السبعون) ما لواء الحمد الجواب لواء الحمد هو حمد الحمد و هو أتم المحامد و أسناها و أعلاها مرتبة لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لأنه علامة على مرتبة الملك و وجود الملك كذلك حمد المحامد تجتمع إليه المحامد كلها فإنه الحمد الصحيح الذي لا يدخله احتمال و لا يدخل فيه شك و لا ريب إنه حمد لأنه لذاته يدل فهو لواء في نفسه ألا ترى لو قلت في شخص إنه كريم أو يقول عن نفسه ذلك الشخص إنه كريم يمكن أن يصدق هذا الثناء و يمكن أن لا يصدق فإذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان و الإحسان شهد العطاء بذاته بكرم المعطي فلا يدخل في ذلك احتمال فهذا معنى حمد الحمد فهو المعبر عنه بلواء الحمد و سمي لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد لأن به يقع الحمد من كل حامد و هو عاقبة العاقبة فافهم و لما كان يجمع ألوان المحامد كلها لهذا عم ظله جميع الحامدين قال صلى الله عليه و سلم آدم فمن دونه تحت لوائي و إنما قال فمن دونه لأن الحمد لا يكون إلا بالأسماء و آدم عالم بجميع الأسماء كلها فلم يبق إلا أن يكون من هناك تحته و دونه في الرتبة لأنه لا بد أن يكون مثنيا باسم ما من تلك الأسماء و لما

كانت الدولة في الآخرة لمحمد صلى الله عليه و سلم المؤتي جوامع الكلم و هو الأصل فإنه صلى الله عليه و سلم أعلم بمقامه فعلمه و آدم بين الماء و الطين لم يكن بعد فكان آدم لما علمه الله الأسماء في المقام الثاني من مقام محمد صلى الله عليه و سلم فكان قد تقدم لمحمد صلى الله عليه و سلم علمه بجوامع الكلم و الأسماء كلها من الكلم و لم تكن في الظاهر لمحمد صلى الله عليه و سلم عين فتظهر بالأسماء لأنه صاحبها فظهر ذلك في أول موجود من البشر و هو آدم فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه و سلم لأنه تقدم عليه بوجود الطينة فمتى ظهر محمد صلى الله عليه و سلم كان أحق بولايته و لوائه فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه و قد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم فهم في الآخرة تحته فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله صلى الله عليه و سلم على الجميع

(السؤال السابع و السبعون) بأي شيء يثنى على ربه حتى يستوجب لواء الحمد الجواب بالقرآن و هو الجامع للمحامد كلها و لهذا سمي قرآنا أي جامعا و هو قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ «ملك» مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ و ما أنزلت على أحد قبله و لا ينبغي أن تنزل الأعلى من له هذا المقام فإنه سبحانه لا ينبغي أن يحمد إلا بما يشرع أن يحمد به من حيث ما شرعه لا من حيث ما تطلبه الصفة الحمدية من الكمال فذلك هو الثناء الإلهي و لو حمد بما تعطيه الصفة لكان حمدا عرفيا عقليا و لا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله

(السؤال الثامن و السبعون) ما ذا يقدم إلى ربه من العبودية الجواب العبودة و هو انتساب العبد إليه ثم بعد ذلك تكون العبودية و هو انتسابه إلى المظهر الإلهي فبالعبودة يمتثل الأمر دون مخالفة و هو إذا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ من غير تردد فإنه ما ثم إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين فإذا حصلت مظهرا و قيل لها افعل أو لا تفعل فإن خالفت فمن كونها مظهرا و إن امتثلت و لم تتوقف فمن حيث عينها إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فبهذه العبودية يتقدم إلى الله في ذلك اليوم ألا تراه يسجد من غير أن يؤمر بالسجود لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين و لم يكن له محل الأعين محمد صلى الله عليه و سلم فتكون السجود في ذاته لأمر الحق له بتكوينه فسجد به محمد صلى الله عليه و سلم من غير أمر إلهي ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه و اشفع تشفع ثم بعد ذلك في موطن آخر يؤمر الخلق بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص فذلك سجود العبودية فالعارفون بالله في هذه الدار يعبدون ربهم من حيث العبودة فما لهم نسبة إلا إليه سبحانه و من سواهم فإنهم ينسبون إلى العبودية فيقال قد قاموا بين يديه في مقام العبودية فهذا الذي يقدمه من العبودية إلى ربه و كل محقق بهذه المثابة يوم القيامة(السؤال التاسع و السبعون) بأي شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم الجواب يختمه بالعبودية و هو انتسابه إلى العبودة كما قررنا و هي الدرجة الثانية فإن هذا المقام ما هو سوى درجتين

درجة العبودة و هي العظمى المقدمة و درجة العبودية و هي الختام لأنه ما أمر بما يقتضيه أمر العبودة إلا بعد وجوده فأمر و نهي بوساطة هذا التركيب فأطاع و عصى و أناب و آمن و كفر و وحد و أشرك و صدق و كذب و لما و في حق الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال أوامر سيده و نواهيه ناوله مفاتح الكرم برد ما قدم إليه

(السؤال الثمانون) ما مفاتيح الكرم الجواب سؤالات السائلين منا و منه و بنا و به فأما منا و بنا فسؤال ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه و صورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بأنه بهذه المثابة و غيرك ممن هو مثلك بجهله و لا يعرفه فتكرم عليك بأن عرفك كيف أنت و ما تستحقه ذاتك أن توفي به بما لا يمكن انفكاكها عنه و أما منه و به فإن سؤال السائل بما هو عارض له أي عرض له ذلك بعد تكوينه و ذلك أنه لما كان مظهرا للحق و كان الحق منه هو الظاهر فسأل من جعله مظهرا بلسان الظاهر فيه فهذا سؤال عارض عرض له بعد أن لم يكن فعبر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم أي من كرم الله تعالى إن سأل نفسه بنفسه و أضاف ذلك إلى عبده فهو بمنزلة ما هو الأمر عليه بأنه يخلق في عباده طاعته و يثني عليهم بأنهم أطاعوا الله و رسوله و ما بأيديهم من الطاعة شيء غير أنهم محل لها سأل إبليس الاجتماع بمحمد صلى الله عليه و سلم فلما أذن له قيل له أصدقه و حفت به الملائكة و هو في مقام الصغار و الذلة بين يدي محمد صلى الله عليه و سلم فقال له يا محمد إن الله خلقك للهداية و ما بيدك من الهداية شيء و خلقني للغواية و ما بيدي من الغواية شيء فصدقه قال تعالى إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ و قال فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها و قال كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ و قال ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها ثم أثنى مع هذا عليهم فقال التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ يا ليت شعري و من خلق التوبة فيهم و العبادة و الحمد و السياحة و الركوع و السجود و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الحفظ لحدود الله إلا الله فمن كرمه أنه أثنى عليهم بخلق هذه الصفات و الأفعال فيهم و منهم ثم أثنى عليهم بأن أضاف ذلك كله إليهم إذ كانوا محلا لهذه الصفات المحمودة شرعا أ ليس هذا كله مفاتيح الكرم فإنه يفتح بها من العطايا الإلهية ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر قال تعالى تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يا ليت شعري و من أقامهم من المضاجع حين نوم غيرهم إلا هو يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً يا ليت شعري و من أنطق ألسنتهم بالدعاء و من خوفهم و طمعهم إلا هو أ ترى ذلك من نفوسهم لا و الله إلا من مفاتيح كرمه فتح بها عليهم وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فمما رزقهم التجافي عن المضاجع و عن دار الغرور و مما رزقهم الدعاء و الابتهال و مما رزقهم الخوف منه و الطمع فيه فأنفقوا ذلك كله عليه فقبله منهم فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ عالمة ما أُخْفِيَ لَهُمْ أي لهؤلاء الذين هم بهذه المثابة من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ فكانت هذه الأعمال عين مفاتيح الكرم لمشاهدة ما أخفي لهم فيهم و في هذه الأعمال من قرة

أعين فكلما هو في خزائن الكرم فإن مفاتيحه تتضمنه فهو فيها مجمل و هو في الخزائن مفصل فإذا فتح بالأعمال تميزت الرتب و عرفت النسب و جاءت كل حقيقة تطلب حقها و كل علم يطلب معلومه

(السؤال الحادي و الثمانون) على من توزع عطايا ربنا الجواب على من حسن السيرة من الولاة و كل شخص وال بالولاية العامة و هي تولية القلب على القوي المعنوية و الحسية في نفسه و الولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من أهل و ولد و مملوك و ملك فتوزع العطايا على قدر الولاية و قدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم فإن كان الوالي من العلماء بالله الذين يكون الحق سمعهم و بصرهم فليس له حظ في هذه العطايا فإنها عطايا غني لفقراء و إنما يعطي من هذه صفته عطاء غني لغني ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتي فأخذ هذا المعطى له من الاسم الله لا من الاسم الرب فما أعظم الغفلة على قلوب العباد هيهات متى تبلغ البشر درجة من لا يوصف بالغفلة و هم الملأ الأعلى الذين يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ في غير ليل و لا نهار يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ و كفى بالبشرية نقصا و اعلم أن العطايا تختلف باختلاف المستحقين فمنهم من يكون عطاؤه هو و منهم من يكون عطاؤه معرفته بنفسه و منهم من يكون عطاؤه ما هو منه فإن كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي فلا يلزمه إلا شكر إيجاد العين حيث كان مظهرا له جل و تعالى و إن كان يقول بالاستحقاق العرضي و هو يرى أنه تعالى جعل له استحقاقا فهذا يتضاعف عليه الشكر فإنه دون الأول في المرتبة و إن كان المستحق يرى الاستحقاق للظاهر في مظهر ما من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر و لا يرى أن عينه تستحق شيئا فهذا لا يجب عليه شكر إلا إن أوجبه على نفسه كإيجاب الحق على نفسه في مثل قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ فتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم في العلم و العمل و الحال و الزمان و المكان و القصد و ملازمة العمل و مغبته قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ قال فرعون لموسى و هارون فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو الذي يستحقه فالرب هو القاسم العطايا

(السؤال الثاني و الثمانون) كم أجزاء النبوة الجواب أجزاء النبوة على قدر آي الكتب المنزلة و الصحف و الأخبار الإلهية من العدد الموضوع في العالم من آدم إلى آخر نبي يموت مما وصل إلينا و مما لم يصل على أن القرآن يجمع ذلك كله فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول فيمن حفظ القرآن إن النبوة أدرجت بين جنبيه فهي و إن كانت مجموعة في القرآن فهي مفصلة معينة في آي الكتب المنزلة مفسرة في الصحف متميزة في الأخبار الإلهية الخارجة عن قبيل الصحف و الكتب و يجمع النبوة كلها أم الكتاب و مفاتحها بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق و إن كان التشريع قد انقطع فالتشريع جزء من أجزاء النبوة فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله و أخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً وَ لَوْ أَنَّ ما في الْأَرْضِ من شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ من بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ و قد أخبر الله أنه ما من شيء يريد إيجاده إلا يقول له كن فهذه كلمات الله لا تنقطع و هي الغذاء العالم لجميع الموجودات فهذا جزء واحد من أجزاء النبوة لا ينفد فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها

(السؤال الثالث و الثمانون) ما النبوة الجواب النبوة منزلة يعينها رفيع الدرجات ذو العرش ينزلها العبد بأخلاق صالحة و أعمال مشكورة حسنة في العامة تعرفها القلوب و لا تنكرها النفوس و تدل عليها العقول و توافق الأغراض و تزيل الأمراض فإذا وصلوا إلى هذه المنزلة فتلك منزلة الإنباء الإلهي المطلق لكل من حصل في تلك المنزلة من رفيع الدرجات ذي العرش فإن نظر الحق من هذا الواصل إلى تلك المنزلة نظر استنابة و خلافة ألقى الروح بالأنباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المعتنى به فتلك نبوة التشريع قال تعالى وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا و قال يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ فهي عامة لأن من نكرة أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ نبوة خاصة نبوة تشريع يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ مثل ذلك لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ نبوة تشريع لا نبوة عموم نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ من الْمُنْذِرِينَ فالإنذار مقرون أبدا بنبوة التشريع و لهذه النبوة هي تلك الأجزاء التي سأل عنها و التي وردت في الأخبار و أما النبوة العامة فاجزاؤها لا تنحصر و لا يضبطها عدد فإنها غير مؤقتة لها الاستمرار دائما دنيا و آخرة و هذه مسألة أغفلها أهل طريقنا فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك أو لم يوقفهم الله عليها أو ذكروها و ما وصل ذلك الذكر إلينا و الله أعلم بما هو الأمر عليه و لقد حدثني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله عن الشيخ بشير من ساداتنا بباب الأزج عن إمام العصر عبد القادر أنه قال معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب و أوتينا ما لم تؤتوا فأما قوله أوتيتم اللقب أي حجر علينا إطلاق لفظ النبي و إن كانت النبوة العامة سارية في أكابر الرجال و أما قوله و أوتينا ما لم تؤتوا هو معنى قول الخضر الذي شهد الله تعالى بعدالته و تقدمه في العلم و أتعب الكليم المصطفى المقرب موسى عليه السلام في طلبه مع العلم بأن العلماء يرون أن موسى أفضل من الخضر فقال له يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت فهذا عين معنى قوله أوتينا ما لم تؤتوا و إن أراد رضي الله عنه بالأنبياء هنا أنبياء الأولياء أهل النبوة العامة فيكون قد صرح بهذا القول إن الله قد أعطاه ما لم يعطهم فإن الله قد جعلهم فاضلا و مفضولا فمثل هذا لا ينكر

(السؤال الرابع و الثمانون) كم أجزاء الصديقية الجواب بضع و سبعون جزءا على عدد شعب الايمان الذي يجب على الصديق التصديق بها و ليست الصديقية إلا للاتباع و الأنبياء أصحاب الشرائع صديقون بخلاف أنبياء الأولياء الذين كانوا في الفترات و إنما كانت الأنبياء أصحاب الشرائع صديقين لأن أهل هذا المقام لا يأخذون التشريع إلا عن الروح الذي ينزل بها على قلوبهم و هو تنزيل

خبري لا تنزيل علمي فلا يتلقونه إلا بصفة الايمان و لا يكشفونه إلا بنوره فهم صديقون للأرواح التي تنزل عليهم بذلك و كذلك كل من يتلقى عن الله ما يتلقاه من كون الحق في ذلك الإلقاء مخبرا فإنما يتلقاه من جانب الايمان و نوره لا من التجلي فإن التجلي ما يعطي الايمان بما يعطيه و إنما يعطي ذلك بنور العقل لا من حيث هو مؤمن فأجزاء الصديقية على ما ذكرناه لا تنحصر فإنه ما يعلم ما يعطي الله في إخباراته لمن أخبرهم فأجزاء الصديقة المحصورة هو ما وردت به الأخبار الإلهية بأن اعتقاد ذلك الخبر قربة إلى الله على التعيين و هي متعلقة بالاسم الصادق لا بد من ذلك فيتصور هنا من أصول طريق الله و أنه ما ثم إلا صادق فإنه ما ثم مخبر إلا الله فينبغي أن لا يكذب بشيء من الأخبار قلنا الصديق من لا يكذب بشيء من الأخبار إذا تلقى ذلك من الصادق و لكن الصديق إن كان من العلم بالله بحيث أن يعلم أنه ما ثم مخبر إلا الله فيلزمه التصديق بكل خبر على حسب ما أخبر به المخبر فإذا أخبر الصادق الحق بأن قوما كذبوا في أمر أخبروا به صدق الله في خبره أنهم كذبوا في كل ما أخبر به أنهم كذبوا فيه و إن الكذب هي صفة بالنسبة إليهم لا بالنسبة إلى الخبر فإن الخبر إذا نسبته إلى الصادق كان صدقا و إذا نسبته إلى الكاذب فيه كان كذبا و إذا نسبته إلى الكاذب لا فيه كان محتملا و الذي يرى أن المخبر هو الله الصادق فإن ذلك الخبر في ذلك الحال هو صدق و المؤمن به صديق ثم أخبر الصادق الحق أن ذلك الخبر الذي نسبته إلي بأنه صدق أنسبه إلى الذي ظهر على لسانه نسبة كذب فاعتقد أنه كذب فيعتقد فيه أنه بالنسبة إلى ذلك الشخص لكونه محلا لظهور عين هذا الخبر كذب لأن مدلوله العدم لا الوجود فالصدق أمر وجودي و الكذب أمر عدمي و صورة الصدق في الكذب إن المخبر الكاذب ما أخبر إلا بأمر وجودي صحيح العين في تخيله إذ لو لم يتخيله لحصول المعنى عنده لما صح أن يخبر عنه بما أخبر فهو صادق في خبره ذلك و المؤمن به صديق ثم أخبر الحق عن ذلك الخبر أنه بالنسبة إلى الحس كذب و ما تعرض إلى الخيال كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك إلى الحس و إنما السامع ليس له في أول سماعه الأخبار إلا أول مرتبة و هي الحس ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوي فاعتقد بعد هذا بأخبار الحق عنه أن ذلك كذب في الحس إنه كذب في الحس أي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهر فهو صديق للخبر الحق فما للوجود كذب و لا في العدم صدق فإن الصدق أصله الصادق و هو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم إليه و الكذب هو العدم المحض الذي لا نسبة للوجود إليه و أما الكذب النسبي بالنظر إلى الخيال يكون صدقا و بالنظر إلى الظاهر على شرط مخصوص يكون كذبا فالصديق يتعلق به من حيث نسبته إلى ما هو موجود به و العامة تتعلق به من حيث أنه لا وجود له في المرتبة التي يطلبها فيه من يكذبه فاعلم ذلك فإن شئت قلت بعد هذا إن للصديقية أجزاء منحصرة و إن شئت قلت لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها و إن أردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصديق فهذا سؤال آخر يمكن أن يسأل عنه فالجواب عن مثل

هذا الوجه أن من أجزائها سلامة العقل و الفكر الصحيح و الخيال الصحيح و الايمان بصدق المخبر و إن أحاله العقل الذي ليس بسليم عند أهل هذه الصفة و القول باستحالات الإمكان في الأعيان الممكنات بالنظر إلى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو إلى سبق العلم منه عند من يقول بذلك فإذا كان بهذه المثابة حصلت له الصديقية و يكون هذا المجموع أجزاءها لأنها ليست بزائدة على عين المجموع و هذا هو النور الأخضر

(السؤال الخامس و الثمانون) ما الصديقية الجواب نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم و ذلك أن اسم الله المؤمن الذي تسمى الله لنا به في كتابه من حيث هو نور أعني الكتاب فقال عز من قائل هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ إلا إن المؤمن هنا له وجهان معطي الأمان و مصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم عنده و لهذا قال تعالى حكاية عما يقوله الصادق يوم القيامة لربه قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ليثبت صدقي عند من أرسلتني إليهم فيما أرسلتني به فجاء بلفظ يدل على أنه وقع و هو عند العامة ما وقع فإنه يوم القيامة و ما أخبر الله إلا بالواقع فلا بد أن يكون ثم حضرة إلهية فيها وقوع الأشياء دائما لا تتقيد بالماضي فيقال قد وقعت و لا بالمستقبل فيقال تقع و لكن متعلقها الحال الدائم و بين القلوب و بين هذه الحضرة حجاب التقييد فإذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد و ظهر بصورة حق في حضرة مطلقة شهد ما يقال فيه يقع واقعا و شهد ما يقال فيه واقعا فلم يزل واقعا و لا يزال واقعا فعنه تقع الحكايات الإلهية بأنه يقع مثل قوله تعالى يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ فعلق بالمستقبل و قوله عز و جل أَتى أَمْرُ اللهِ فأتى بالماضي و كلا التقييدين يدل على العدم و الحال له الوجود و العدم لا يقع فيه شهود و لا تمييز فلا بد أن يكون المخبر عنه بأنه كان كذا أو يكون كذا له حالة وجودية في حضرة إلهية عنها تقع الإخبارات و الواقف فيها يسمى صديقا و هي بنفسها الصديقية و لها اطلاع من خلف حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص و الهيكل المنور في حق شخص فإن وجدت عينا مفتوحة سليمة من الصدع أبصرت هذه العين بهذا النور من هذه الحضرة صدق المخبرين كانوا من كانوا فيسمون صديقين بذلك و تسمى هذه الحالة صديقية و للملإ الأعلى منها شرب و للرسل فيها شرب و للأنبياء فيها شرب و للأولياء فيها شرب و للمؤمنين فيها شرب و لغير المؤمنين من جميع أهل النحل و الملل شرب فيسعد بها قوم و يشقى بها قوم لشروط تتعلق بها و لوازم بها يقال مؤمن و كافر و مشرك و موحد و معطل و مثبت و مقر و جاحد و صادق و كاذب فقد عمت الصديقية جميع الهياكل المنورة و المظلمة و النورية و النارية و الطبيعية العنصرية و لا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال و هم العارفون بسريانها في الموجودات فإذا نظرت أرباب هذه الهياكل أنفسها مجردة عن هياكلها خرجت عن حضرة الصديقية و كانت من أهل المعاينة فصارت ترى من بعد ما كانت كأنها ترى

فالحق سبحانه من كونه مؤمنا له حضرة الصديقية فبها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فصدقهم في كونهم ما عبدوا سواه في الهياكل المسماة شركاء قال تعالى قُلْ سَمُّوهُمْ و قال إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها و بهذا يصدق العباد في الأخبار كلها من غير توقف فلها حكم في الطرفين فإن في هذا الذي قلناه آيَةٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ما فيه آية لقوم يتفكرون و لا لقوم يعلمون على الإطلاق إلا إن أراد بيعلمون يعقلون فالصديقية مستندها من الأسماء الإلهية المؤمن و كذلك أثرها في المخلوقات الايمان و كذلك أسماؤهم المؤمنون الصديقون لهم النور لصدقهم إذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر و صدق الخبر من خلف حجاب هذا الهيكل ف طُوبى لَهُمْ ثم طوبى وَحُسْنُ مَآبٍ انتهى الجزء السادس و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال السادس و الثمانون) على كم سهم ثبّت العبودية الجواب على تسعة و تسعين سهما على عدد الأسماء الإلهية التي من أحصاها دخل الجنة لكل اسم إلهي عبودية تخصه بها يتعبد له من يتعبد من المخلوقين و لهذا لا يعلم هذه الأسماء الإلهية إلا ولي ثابت الولاية فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ثبت عندنا أنه عينها و قد يحصيها بعض الناس و لا يعلم أنها هي التي ورد فيها النص كما يكون وليا و لا يعلم أنه ولي و من رجال الله من عرفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل اسم منها من عبودية هذا العبد فيعين له هذا الولي العارف من العبودية بحسب الاسم الذي له الحكم عليه في وقته فمن أحصى هذه الأسماء الإلهية دخل الجنة المعنوية و الحسية فأما المعنوية فبما ذا تطلبه هذه الأسماء من العلم بالعبودية التي تليق بها و أما الحسية فبما ذا تطلبه هذه الأسماء من الأعمال التي تطلبه من العباد فلا بد من تمييزها و كيف يعرف اسم لعبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه فبهذا النظر يكون للعبودية سهام و يكون عددها ما ذكرناه و العاملون بهذه العبودية رجلان رجل يعمل بها من حيث شرعه و من عمل بها من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله و رجل عمل بها من حيث عقله و من عمل بها من حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه فالعامل بها من حيث عقله ينسبها إلى هياكل منورة أو عقول مجردة عن المواد لا بد من ذلك و العامل بها من حيث شرعه ينسبها إلى الله سبحانه و ينسبها من حيث آثارها و ما تنظر إليه لوضع الوسائط بينك و بينها إلى الهياكل النورية و العقول المجردة عن المواد و أما العامة فلا يعرفونها إلا لله خاصة أو للأسباب القريبة المعتادة المحسوسة خاصة لا يعلمون غير هذا و ما رأيت و لا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه على قدم العبودة المحضة فالملأ الأعلى يقول أَتَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها و المصطفون من البشر يقولون رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا و يقولون رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً و يقولون إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم و هذا كله لغلب الغيرة عليهم و استعجال

لكون الإنسان خلق عجولا فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت فانحجب عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها وكل ما كان يقدح في مقام ما ويرمي به ذلك المقام فإن صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه وإن كان من الكمل فنور العبودية على السواء من نور الربوبية فإنه من أثره وعلى قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية وإن كان مثل هذا القدح لا يقدح ولا يؤثر في السعادة الطبيعية ولكن يؤثر في السعادة العلمية وأعم الدرجات في ذلك درجتان درجة العجلة التي خلق الإنسان عليها ودرجة الغفلة التي جبل الإنسان عليها ولولا إن الملأ الأعلى له جزء في الطبيعة ومدخل من حيث هيكله النوري ما وصفهم الحق بالخصام في قوله ما كانَ لِي من عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ولا يختصم الملأ الأعلى إلا من حيث المظهر الطبيعي الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة دحية وكذلك ظهورهم في الهياكل النورية المادية وهي هذه الأنوار التي تدركها الحواس فإنها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية وأما إذا تجردت عن هذه الهياكل فلا خصام ولا نزاع إذ لا تركيب ومهما قلت اثنان كان وقوع الخصام لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقص ولا الزيادة فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها فإن كانت عين الموحد بها فهي نفسها وإن لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب فما هو مقصودنا ولا مطلب الرجال ولهذا اختلفت أحكام الأسماء الإلهية من حيث هي أسماء فأين المنتقم والشديد العقاب والقاهر من الرحيم والغافر واللطيف فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه والرحيم يطلب رفع الانتقام عنه وكل ينظر في الشيء بحسب حكم حقيقته فلا بد من المنازعة لظهور السلطان فمن نظر إلى الأسماء الإلهية قال بالنزاع الإلهي ولهذا قال تعالى لنبيه وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فأمره بالجدال الذي تطلبه الأسماء الإلهية وهو قوله بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ كما ورد في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا جادل بالإحسان جادل كأنه يرى ربه ولا يرى ربه مجادلا إلا إذا رآه من حيث ما تطلبه الأسماء الإلهية من التضاد فاعلم ذلك وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير فليس بيني وبينه أ الغفلة وهو حجاب لا يرفع وأما حجاب العجلة فأرجو بحمد الله أنه قد ارتفع عني وأما حجاب الغفلة فمن المحال رفعه دائما مع وجود التركيب حيث كان في المعاني أو في الأجسام ولو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية في حق هذا الشخص وهو الذي أشار إليه سهل بن عبد الله أو من كان يقوله إن للربوبية سرا لو ظهر لبطلت الربوبية لكنه ممكن الحصول بالنظر إلى نفسه ولكن لا أدري هل تقتضي الذات تحصيله وظهوره في الوجود أم لا غير أني أعلم أنه ما وقع ومع هذا فلا أقطع يأسي من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك وينبغي للناصح نفسه أن يقارب هذا المقام جهد الاستطاعة وأما القائلون بالتشبه بالحضرة

الإلهية جهد الطاقة و هو التخلق بالأسماء إنه عين المطلوب و الكمال فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول و أما في عين الحصول فلا تشبه بل هو عين الحق و الشيء لا يشبه نفسه فأعلى المظاهر مظاهر الجمع و هو عين التفريق

(السؤال السابع و الثمانون) ما يقتضي الحق من الموحدين الجواب أن لا مزاحمة و ذلك أن الله لما تسمى بالظاهر و الباطن نفى المزاحمة إذ الظاهر لا يزاحم الباطن و الباطن لا يزاحم الظاهر و إنما المزاحمة أن يكون ظاهران أو باطنان فهو الظاهر من حيث المظاهر و هو الباطن من حيث الهوية فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها فالأحدية من ظهورها و العدد من أعيانها فيقتضي الحق من الموحدين الذين وصفوا بصفة التوحيد أن يوحدوه من حيث هويته و إن تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر فلا يرون شيئا إلا كان هو المرئي و الرائي و لا يطلبون شيئا إلا كان هو الطالب و الطلب و المطلوب و لا يسمعون شيئا إلا كان هو السامع و السمع و المسموع فلا تزاحم فلا منازعة فإن النزاع لا يحمله إلا التضاد و هو المماثل و المنافر و هو عين المماثل هنا إذ قد يكون الضدان ما ليس بمثلين بخلاف المخالف فإن حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة و لا منازعة و لهذا نفى الحق أن تضرب له الأمثال لأنها أضداد تنافي حقيقة ما ينبغي له و لا ينافيه ما سمي به حيث نفى التشبيه فقال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ خلق الله التفاحة تحمل اللون و الطعم و الرائحة و لا مزاحمة في الجوهر الذي لا ينقسم و يستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم فلا يصح إلهان لأنهما مثلان و يصح وجود جميع الأسماء للعين الواحدة لأنها خلاف و الخلاف قابل للاجتماع بخلاف المماثل فإذا استحال الاجتماع فلحكم الضدية لا لحكم الخلاف إذ الاجتماع لا يناقض الخلاف فكل اجتماع يطلب الخلاف و ما كل خلاف يطلب الاجتماع و إنما يقتضي الحق من الموحدين عدم المزاحمة ليبقى الرب ربا و العبد عبدا فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته و لا يزاحم العبد الرب في ربوبيته مع وجود عين الرب و العبد فالموحد لا يتخلق بالأسماء الإلهية فإن قلت فيلزم أن لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات من معية و نزول و استواء و ضحك فهذه أوصاف العباد و قد قلت أن لا مزاحمة فهذه ربوبية زاحمت عبودية قلنا ليس الأمر كما زعمت ليس ما ذكرت من أوصاف العبودية و إنما ذلك من أوصاف الربوبية من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها فالعبد عبد على أصله و الربوبية ربوبية على أصلها و الهوية هوية على أصلها فإن قلت فالربوبية ما هي عين الهوية قلنا الربوبية نسبة هوية إلى عين و الهوية لنفسها لا تقتضي نسبة و إنما ثبوت الأعيان طلبت النسب من هذه الهوية فهو المعبر عنها بالربوبية فاقتضى الحق من الموحدين أن يوحدوا كل أمر لترتفع المزاحمة فيزول النزاع فيصح الدوام للعالم فيتعين عند ذلك ما معنى الأزل بمعقولية الأبد و هو قولك لا يزال فلولا النقطة المفروضة في الخط التي تشبه الآن ما فرق بين الأزل و الأبد كما لا نفرق بين الماضي و المستقبل بانعدام الآن من

الزمان إلا إن النقطة هي الربوبية ففرقت بين الهوية و الأعيان و هو المسمى المظاهر إلا إن النقطة أنت فتميز هو و أنا بأنت فإذا علمت هذا فأنت موحد فأعط الحق ما يقتضيه منك إذا اقتضاه فإن قال لك أ ليس قد تبين لك في المرتبة الأخرى أنه ما ثم إلا الله و بينت في ذلك ما بينت فلما ذا نزعت هنا هذا المنزع قلنا لأنك سميت نفسك مقتضيا منا من كوننا موحدين أمرا ما لا يقتضي أنت ما يعطيك نحن نحن ما أعطيناك إنما أعطينا للمقتضي فلا تكلمنا بغير لغتنا إذ أنت القائل وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ يكون المقتضي في هذا الفصل مشهودنا و يخاطبنا اسم آخر ليس مشهودنا هذا خطاب ابتلاء و تمحيص

(السؤال الثامن و الثمانون) عن الحق المقتضي ما الحق الجواب سمي الحق حقا لاقتضائه من عباده من حيث أعيانهم و من حيث كونهم مظاهر ما يستحق إذ لا يطلب الحق إلا بالحق و هو العلم الحاصل بعد العين و هو ما يجب على المقتضي منه ما يعطيه إذا طلبه منه كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أي أوجبها فصارت حقا عليه قال وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فهو الحق لا غيره و هو المستحق و المحق و هو الذي تجب عليه الحقوق من حيث إيجابه لا من حيث ذاته فالأعيان لو لا ما تستحق أن تكون مظاهر ما ظهر الحق فيها و لم يكن حكيما لما كان يلزم من الخلل في ذلك و لو لم تكن الهوية تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية لظهور سلطان الربوبية ما ظهرت في هذه الأعيان لأن الشيء لا يظهر في نفسه لنفسه فلا بد من عين يظهر فيها لها فيشهد نفسه في المظهر فيسمى مشهودا و شاهدا فإن الأعيان لا تستحق و لهذا قال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و لم يقل إن الأعيان تستحق الرحمة فالأعيان ليس لها استحقاق إلا أن تكون مظاهر خاصة

فقل للحق إن الحق ما هو سواه فهو حق في الحقيقة

فلم أنظر بعيني غير عيني فعين الحق أعيان الخليقة

الحق هويته الحق اسمه خلق هو المخلوق به خلق كل شيء حقه أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَقُلِ الْحَقُّ من رَبِّكُمْ الحق طلب الحقوق فبالحق يطلب الحق فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ فالحق الوجود و الضلال الحيرة في النسبة فالحق المنزل و الحق التنزيل و الحق المنزل و الحق من الله من حيث هو ربنا و من صرف عن الحق إلى أين يذهب فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ أصحاب العلامات و الدلائل فالحق المسئول عنه في هذا السؤال هو المقتضي الذي يقتضي من الموحدين لما ذكرناه فسمي حقا لوجوب وجوده لنفسه فاقتضاؤه إنما اقتضى

من نفسه فإنه إنما اقتضاه من الظاهر في مظهره و هويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية فما اقتضى إلا منه و ما كان المقتضي إلا هو و الذي اقتضى هو حق و هو عين الحق فإن أعطى فهو الآخذ و إن أخذ فهو المعطي فمن عرفه عرف الحق

(السؤال التاسع و الثمانون) و ما ذا بدؤه الجواب الضمير يعود على الحق و بدؤه من الاسم الأول الذي تسمى الحق به قال تعالى هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فسمى لنا نفسه أولا فبدؤه أولية الحق و هي نسبة لأن مرجع الموجودات في وجودها إلى الحق فلا بد أن تكون نسبة الأولية له فبدؤه نسبة الأولية له و نسبة الأولية له لا تكون إلا في المظاهر فظهوره في العقل الأول الذي هو القلم الأعلى و هو أول ما خلق الله فهو الأول من حيث ذلك المظهر لأنه أول الموجودات عنه فالذات الأزلية لا توصف بالأولية و إنما يوصف بها الله تعالى قال الله تعالى سَبَّحَ لِلَّهِ فهو المسبح ما في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ من حيث أعيانهم وَ هُوَ الْعَزِيزُ المنيع الحمى من هويته الْحَكِيمُ بمن ينبغي أن يسبح له الضمير يعود على الله من لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و لهذا يسبحه أهلهما لأنهم مقهورون محصورون في قبضة السموات و الأرض يُحْيِي وَ يُمِيتُ يحيي العين و يميت الوصف فالعين لها الدوام من حيث حييت و الصفات تتوالى عليها فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين و يأتي بأخرى وَ هُوَ الضمير يعود على الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي شيئية الأعيان الثابتة يقول إنها تحت الاقتدار الإلهي هُوَ الْأَوَّلُ الضمير يعود على الله من لله و الأول خبر الضمير الذي هو المبتدأ و هو في موضع الصفة لله و مسمى الله إنما هو من حيث المرتبة و أول مظهر ظهر القلم الإلهي و هو العقل الأول و العين ما كانت مظهرا إلا بظهور الحق فيها فهي أول و الكلام في الظاهر في المظهر لأن به يت فالأول هو الله و العقل حجاب عليه و مجن تتوالى الصفات عليه و لما كانت الأعيان كلها من كونها مظاهر نسبتها إلى الألوهية نسبة واحدة من حيث ما هي مظاهر تسمى بالآخر فهو الآخر آخرية الأجناس لا آخرية الأشخاص و هو الأول بأولية الأجناس و أولية الأشخاص لأنه ما أوجد إلا عينا واحدة و هو القلم أو العقل كيفما شئت سميته و لما كان العالم له الظهور و البطون من حيث ما هو مظاهر كان هو سبحانه الظاهر لنسبة ما ظهر منه و الباطن لنسبة ما بطن منه وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ شيئية الأعيان و شيئية الوجود من حيث أجناسه و أنواعه و أشخاصه فقد تبين أن بداه عين وجود العقل الأول قال النبي صلى الله عليه و سلم أول ما خلق الله العقل و هو الحق الذي خالق به السموات و الأرض و قد مشى معنا هذا في سؤاله في العدل في السؤال الثامن و العشرين من هذه السؤالات

(السؤال التسعون) أي شيء فعله في الخلق الجواب إن كان قوله في الخلق من كونهم مقدرين فالإيجاد و هو حال الفعل و إن كان قوله في الخلق من كونهم موجودين فحال الفناء و ذلك أن الله تعالى قال للإنسان أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ من قَبْلُ أي قدرناه وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً

نبهه على أصله فأنعم عليه بشيئية الوجود و هو عين وجود الظاهر فيه و إنما خاطب الإنسان وحده لأنه المعتبر الذي وجد العالم من أجله و إلا فكل ممكن بهذه المنزلة هذا الذي تعطيه نشأته لكونه مخلوقا على الصورة الإلهية و أنه مجموع حقائق العالم كله فإذا خاطبه فقد خاطب العالم كله و خاطب أسماءه كلها و أما الوجه الآخر الذي ينبغي أيضا أن يقال و هو دون هذا في كونه مقصودا بالخطاب و ذلك أنه ما ادعى أحد الألوهية سواه من جميع المخلوقات و أعصى الخلائق إبليس و غاية جهله إنه رأى نفسه خيرا من آدم لكونه من نار لاعتقاده أنه أفضل العناصر و غاية معصيته أنه أمر بالسجود لآدم فتكبر في نفسه عن السجود لآدم لما ذكرناه و أبى فعصى الله في أمره فسماه الله كافرا فإنه جمع بين المعصية و الجهل و الإنسان ادعى أنه الرب الأعلى فلهذا خص بالخطاب في قوله أَ وَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ فلذا قلنا الفناء أي أحاله على هذه الصفة أن يكون مستحضرا لها و أما الفعل الخاص بكل خلق فهو إعطاؤه ما يستحقه كل خلق مما تقضيه الحكمة الإلهية و هو قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أي بين أنه تعالى أعطى كل شيء خلقه حتى لا يقول شيء من الأشياء قد نقصني كذا فإن ذلك النقص الذي يتوهمه هو عرض عرض له لجهله بنفسه و عدم إيمانه إن كان وصل إليه قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فإن المخلوق ما يعرف كماله و لا ما ينقصه لأنه مخلوق لغيره لا لنفسه فالذي خلقه إنما خلقه له لا لنفسه فما أعطاه إلا ما يصلح أن يكون له تعالى و العبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلهذا يقول أريد كذا و ينقصني كذا فلو علم أنه مخلوق لربه لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين و هذه المسألة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة أكابرهم بها و هي مما يحتاج إليها في المعرفة المبتدي و المنتهي و المتوسط فإنها أصل الأدب الإلهي الذي طلبه الحق من عباده و ما علم ذلك إلا القائلون رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً و أما الذين قالوا أَ تَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق و لو لم يكن الأمر كما وقع لتعطل من الحضرة الإلهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم فنبه إن كل أمر يقع في العالم إنما هو لإظهار حكم اسم إلهي و إذا كان هكذا الأمر فلم يبق في الإمكان أبدع من هذا العالم و لا أكمل فما بقي في الإمكان إلا أمثاله إلى ما لا نهاية له فاعلم ذلك فهذا فعله في الخلق و أما الجواب العام في هذه المسألة أن يقال فعله في الخلق ما هو الخلق عليه في جميع أحواله

(السؤال الحادي و التسعون) و بما ذا و كل يعني الحق الجواب وكل بتمشية أوامر الله و إنفاذ كلماته لا غير فهو مخصوص بالشرائع الإلهية سننها من سننها كما قال تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ فذمهم لما لم يرعوها فقال فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها و قال صلى الله عليه و سلم من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها فالخير يطلب الثواب بذاته و الشرع مبين للناس توقيت ذلك الثواب كقوله

من جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها و قال الله لداود يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ لمن تقدمك أو نيابة عنا بالاسم الظاهر الذي لنا فقد خلعناه عليك لتظهر به في خلقي فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فعرفنا إن الحق سبحانه قد وكل الحق بتمشية دينه فقال لخلفائه احكموا بما يقتضيه أمر هذا الوكيل و لا تتبعوا الهوى و هو إرادة النفوس التي يخالفها حكم الحق الموكل بتمشية الكلمات الإلهية المشروعة و كل مخاطب راع و مسئول عن رعيته فكان العدل صفة هذا الحق الذي وكله الله أن يصرفها في المخلوقات بمساعدة الخلفاء و الله المرشد

(السؤال الثاني و التسعون) و ما ثمرته يعني فيمن حكم به من الخلفاء الجواب الوقوف دائما مع العبودة هذه ثمرته و لكن جوائح الربوبية تمنع من ظهور هذه الثمرة و لا سيما في البشر و لكن له ثمرة أخرى دون هذه الثمرة و هو أن يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه ثم إن له في كل شخص من الثمر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه و أما ثمرته التي يعمل عليها و لها أكثر العقلاء من أهل الله فتهيؤ مراداتهم بمجرد الهمم فمنهم من ينال ذلك في الدنيا و منهم من يدخر له ذلك إلى يوم القيامة فإن أكابر الرجال مع معرفتهم بما خلقوا له لو وقفوا مع التكوين قوبلوا و لكنهم تركوا الحق يتصرف في خلقه كما هو في نفس الأمر و أبوا أن يكونوا محلا لظهور التصريف و إن ظهر عليهم من ذلك شيء فما هو عن قصد منهم لذلك و لكن الله أجراه لهم و أظهره عليهم لحكمة علمها الحق و هؤلاء عن ذلك بمعزل و أما إن يقصدوا ذلك فلا يتصور منهم إلا أن يكونوا مأمورين كالرسل عليهم السلام فذلك إلى الله و هم لا يَعْصُونَ الله ما أَمَرَهُمْ فإنهم معصومون من إضافة الأفعال إليهم إذا ظهرت منهم فيقولون هي للظاهر من أسمائه في مظاهره فما لنا و للدعوى فنحن لا شيء في حال كوننا مظاهر له و في غير هذه الحال و هذا المقام يسمى راحة الأبد و القائم فيه مستريح و هذا هو الذي و في الربوبية حقها لأن الحكم للمرتبة لا للعين ألا ترى أن السلطان تمشي أوامره في مملكته فلا يعصى و يخاف و يرجى و ما هو لكونه إنسانا فإن الإنسانية عينه و إنما هو لكونه سلطانا و هي المرتبة فالعاقل من الناس يرى أن المتحكم في المملكة إنما هي المرتبة لا عينه إذ لو كان ذلك لكونه إنسانا فلا فرق بينه و بين كل إنسان و هكذا كل المظاهر فرجال الله ينظرون أنفسهم من حيث أعيانهم لا من حيث كونهم مظاهر فكانت المرتبة هي الحاكمة لا هم و هذه هي ثمرة الحق التي جنوها حين حكموا به و فازوا بالعبودة و العبودية عبادة الفرائض و عبادة النوافل

(السؤال الثالث و التسعون) و ما المحق الجواب معطي الحق و هو الموصوف بالحكم العدل و ذلك أني أنبهك على تحقيق هذا الأمر فاعلم أن المحق إذا كان هو معطي الحق فليس إلا الله و مقصود الطائفة من المحق أن يكون الصادق الدعوى في طلب الحق الذي يستحقه و هي مسألة صعبة فإن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو ما يستحقه فقد أعطى كل شيء استحقاقه فهذا الطالب ما يستحقه كيف

يصح أن يكون ممنوعا عنه ما يستحقه مع قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فلنقل اعلم أن قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ إنما هو مما يقوم ذات ذلك الشيء من الفصول المقومة لذاته و أما ما تطلبه تلك الفصول من اللوازم و الأعراض فما أعطاه ذلك لأن أعراض كل ذات لا يتناهى ما دام موصوفا بالبقاء في الوجود و ما لا يمكن فيه التناهي لا يصح أن يدخل في الوجود بل على التتالي و التتابع فالطالب المحق هو الذي لا يطلب ما لا تستحقه ذاته من لوازمها و أعراضها كمن ليس من حقيقته أن يقبل التفكر فيطلب أن يتصف بالفكر فما هو محق في طلبه فإذا طلبه الإنسان إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات فله أن يطلب الاشتغال بالتفكر في خلق السموات و الأرض و جميع الآيات فهو محق في طلبه صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لاستيلاء الغفلة عليه فهذا هو المحق الذي لا يعارض طلب حقه الذي يستحق بذاته طلبه قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فقد تبين لك كيف ينبغي لك أن تسأل و ما ذا تسأل فيه و من أوصاف المحق أن لا يسأل إلا من بيده قضاء ذلك الحق المسئول فإن لم يفعل فقد شكى إلى غير مشتكى كان شيخنا أبو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه اللهم إنك سددت باب النبوة و الرسالة دوننا و لم تسد باب الولاية اللهم مهما عينت أعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك فاجعلني ذلك الولي فهذا من المحقين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقا لهم و إن كانت النبوة و الرسالة مما يستحقه الإنسان عقلا لكون ذاته قابلة لها لكن لما علم أن الله قد سد بابها شرعا و سد باب نبوة الشرائع لم يسألها و سأل ما يستحقه فإن الله ما حجر الولاية علينا و من هذا الباب سؤال الوسيلة و إن لم يكن مثلها لكن يقرب منها و إنما ألحقناها بها في التشبيه لقرينة حال و هي درجة في الجنة لا ينالها أولا تنبغي إلا لرجل واحد قال صلى الله عليه و سلم و أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه لما سأل ما لا يستحقه لأنه ربما لا ينالها إلا شخص هو على صفة مخصوصة و الله يقول لنا وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ إلا أنه لم يقل منه فقد يمكن أن يكون هذه من التوسل و تلك الصفة إما موهوبة أو مكتسبة و لم يعينها رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا حجرها على واحد بعينه و لم يقل إنها لا تنبغي إلا لمن هو أفضل عند الله من البشر و نحن نعلم أنه أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه فكان يكون ذلك تحجيرا و لم ينص أيضا في وحدانية ذلك الشخص هل هو واحد لعينه أو واحد تلك الصفة فتكون الأحدية لتلك الصفة و لو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة لأن تلك الصفة تطلبها فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا و لكن يمنعنا من ذلك الإيثار و حسن الأدب مع الله في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي اهتدينا بهديه و قد طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة فتعين علينا أدبا و إيثارا و مروءة و مكارم خلق أن لو كانت لنا لوهبناها له إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء لعلو منصبه و ما عرفناه من منزلته عند الله و نرجوا بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة مثل قيمة المثل عندنا في

الحكم المشروع في الدنيا و ذلك أن بيننا و بينه صلى الله عليه و سلم أخوة الايمان و إن كان هو السيد الذي لا يقاوم و لا يكاثر و لكن قد انتظم معنا في سلك الايمان فقال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ و ثبت في الشرع أن الإنسان إذا دعي لأخيه بظهر الغيب قال الملك له و لك بمثله و لك بمثليه فإذا دعونا له بالوسيلة و هو غائب عنا قال الملك و لك بمثله فهي له و المثل للداعي فينال من درجات مجموعه ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة مثل قيمة المثل لأن الوسيلة لا مثل لها أي ما ثم درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة و إن كانت ما جمعت الوسيلة متفرقا في درجات متعددة و لكن للوسيلة خاصية الجمع

(السؤال الرابع و التسعون) فأين محل من يكون محقا الجواب في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فإن الحقوق ما يطلبها المحق إلا و هو في المقعد الصدق لأنه صادق و لا تطلب الحقوق إلا عند من يعلم أنه قادر على إيصالها و ملك ماضي الكلمة في ملكه فلهذا قلنا في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فاجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل و المتقي في جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ و إن كان المحق كذلك و لكن لما كان الفرق بين المتقي و بين هذا معلوما لم تكن الجنات كالجنات و وقع الاشتراك في كونه محقا مع المتقي فالمتقي ما نال المقعد الصدق إلا من كونه محقا عند مليك مقتدر حضرة بقاء العين و الاقتدار و التأييد و لهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي ينزلونها من حضرات الأسماء محلهم الاسم الصادق و الحق و الناصر و ما في معنى هذه الأسماء فأي اسم من هؤلاء الأسماء نظر إليه كان محله و أما في الذاتيات فمحله الواجبات و أما في الألوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب و أما في العبودية فمحلها عبودية الفرائض و أما في الأحوال فالتأثير و أما في المقامات فالصدق و أما في الجنان فارتفاع الحجب و أما في الدنيا فالفعل بالهمة و أما في المعارف فإن يكون مع الحق من حيث أمره و مع عالمه من حيث عدله و وفائه فيعين كل طالب حق فمقامه لا يتزلزل و لا ينخرم فإن له في كل حضرة مقعدا و مجلسا فحيث حل فهو بيته فلا يفطر إن كان صائما و لا يقصر الصلاة فإنه مقيم غير مسافر لأن السفر فيه لا يجوز فيه القصر و لا الفطر فهو كمثل عائشة قالت لا أقصر فإني أم المؤمنين فحيث ما حللت حللت عند نبي فإنا في بيتي و السفر إليه بخلاف ذلك فإنه يقصر و يفطر فهو فطر الصائمين

(السؤال الخامس و التسعون) ما سكينة الأولياء الجواب إذا اتبع الولي الأسباب و قطعها سببا سببا و ولى مملكة جابرقينا و جابرسينا و جمع له بين المشرقين و المشارق و المغربين و المغارب و اطلع على المشرق و المغرب و وفى المقامات حقها و أعطى الأنبياء حقهم و أنبياء الشرائع حقهم و أنصف الملأ الأعلى و أحال الأسماء الإلهية على الأسماء الإلهية و لم يتوجه لمخلوق عليه حق فإنه غير وارث و لا رسول و لا إمام و لا صاحب منصب يخاف عليه فيه عدله أو جوره و يرجى فيه فضله و جهل قدره و لم يعرف حقه و تمنى الرسل في موطن ما أن تكون مثله و جمع هذا كله فتلك سكينة الأولياء التي يسكنون إليها فهم العرائس المصانون رجال أي رجال يسكنون إليها و

لا تحصل لهم دائما لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق فهي تشبه المشاهد الذاتية في كونها لا بقاء لها فإن المواطن تحكم عليهم و طبيعتهم تطلبهم فإن اتفق أن تحصل لأحد وقتا ما قصيرا أو طويلا فإن الدوام محال فيكون الولي في تلك الحال ناظرا لمن يطلب طبيعته فيكون كالمتفرج و يرى الظاهر فيه المسئول ذلك إما يعطيها ما سألته و إما يمنعها و هو مهيمن على ذلك من حيث عينه إلا أن هذه هي العبودة المحضة التي لا يتخللها شوب من الربوبية

(السؤال السادس و التسعون) ما حظ المؤمنين من قوله الظاهر و الباطن و الأول و الآخر الجواب كل مصدق بأمر لم يعلمه إلا من الذي أخبره به فقد بطن عنه ما صدقه فيه و ظهر له ما صدقه فيه عند إخباره و حظه من الأول أن لا يتوقف في تصديقه عند سماعه الخبر منه و حظه من الآخر أن لا يتردد فيما صدقه فيه إن قدح فيه نظره عند التفكر فيما أخبره به المخبر و ذلك أن الايمان نور شعشعاني ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد فإذا خالط هذا النور بشاشة القلوب كان حكمه ما ذكرناه من الظاهر و الباطن و الأول و الآخر و المؤمنون فيه على قسمين مؤمن عن نظر و استدلال و برهان فهذا لا يوثق بإيمانه و لا يخالط نوره بشاشة القلوب فإن صاحبه لا ينظر إليه إلا من خلف حجاب دليله و ما من دليل لأصحاب النظر إلا و هو معرض للدخل فيه و القدح و لو بعد حين فلا يمكن لصاحب البرهان أن يخالط الايمان بشاشة قلبه و هذا الحجاب بينه و بينه و المؤمن الآخر الذي كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه لا أمر آخر و هذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب فلا يتصور في صاحبه شك لأن الشك لا يجد محلا يعمره فإن محله الدليل و لا دليل فما ثم على ما يرد الدخل و لا الشك بل هو في مزيد ثم إن المؤمن على نوعين مؤمن له عين فيه نور بذلك العين إذا اجتمع بنور الايمان أدرك المغيبات التي متعلقها الايمان و مؤمن ما لعينه نور سوى نور الايمان فنظر إليه به و نظر إلى غيره به فالأول يمكن أن يقوم بعينه أمر يزيل عنه النور الذي إذا اجتمع بنور الايمان أدرك الأمور التي ألزمه الايمان القول بها و هو المؤمن الذي لا دليل له و ينظر الأشياء بذاته فيدخله الشك ممن يشككه فإن فطرته تعطي النظر في الأدلة إلا أنه لم ينظر فإذا نبه تنبه فمثل هذا إن لم يسرع إليه الذوق و إلا خيف عليه و المؤمن الآخر هو بمنزلة الجسد الذي قد تسوت بنيته و استوت آلات قواه و تركبت طبقات عينه غير أنه ما نفخ فيه الروح فلا نور لعينه فإذا كان الإنسان بهذه المثابة من الطمس فنفخ فيه روح الايمان فأبصرت عينه بنور الايمان الأشياء فلا يتمكن له إدخال الشكوك عليه جملة و رأسا فإنه ما لعينه نور سوى نور الايمان و الضد لا يقبل الضد فما له نور في عينه يقبل به الشك و القدح فيما يراه و هكذا هي الأذواق و هذه فائدتها و متى لم يكن الايمان بهذه المثابة و الفطرة بهذه المثابة و إلا فقليل أن يجيء منه ما جاء من الأنبياء و الأولياء من الصدق بالإلهيات فالفطرة الذكية التي تقبل النظر في المعقولات من أكبر الموانع لحصول ما ينبغي أن يحصل من العلم الإلهي و الفطرة المطموسة هي القابلة التي

لا نور لعينها من ذاتها إلا من نور الايمان فلا تعطي فطرته النظر في الأمور على اختلافها و مما يعضد ما قلناه حديث إبا ر النخل و حديث نزوله بأصحابه يوم بد ر و قوله ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ أي ما لي علم و لا نظر بغير ما يوحى إلي و هذا باب لا يعرفه إلا أهل الله و منزلة الأنبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الايمان من الملائكة منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الأنبياء فالأنبياء مؤمنون بما يلقي إليهم الروح و الروح مؤمن بما يلقي إليه من يلقي إليه فحظ المؤمن كان من كان من الظاهر ما ألقى إليه و حظه من الباطن ما استتر به و حظه من الأول علم الخواطر الإلهية و حظه من الآخر إلحاق بقية الخواطر بالخواطر الإلهية و هو تتميم قوله وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(السؤال السابع و التسعون) ما حظ المؤمنين من قوله كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ الجواب المؤمن هو الذي ذكرناه الذي لا نور لعين بصيرته إلا نور الايمان فكل شيء عنده هالك عن شيئية شيئية ثبوته و شيئية وجوده إلا وجهه وجه الشيء ذاته و حقيقته و وجهه مظهره أي ظهوره في الأعيان فأما شيئية ذاته فهي المستثناة لا بد من ذلك و أما وجهه في المظهر فبعض أصحابنا يدخلها في كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ و بعض أصحابنا لا يدخلها هنالك فأما من أدخلها في الهلاك فاعتبر مظهرا خاصا و أما من لم يدخلها في الهلاك فاعتبر أنها لا تخلو عن مظهر ما و أما نحن فلا نثبت إطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق لأنها ما وردت و لا خوطبنا بها و الأدب أولى و الأولى أن يكون هنا وجهه مثل إطلاق الأول يريد المظهر لا هويته و المظهر له مناسبة بينه و بين الوجه الظاهر فيه فلذلك صح الاستثناء قال تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ فسماه شيئا في حال هلاكه فكل شيء موصوف بالهلاك لأن هالك خبر المبتدأ الذي هو كل شيء أي كل ما ينطلق عليه اسم شيء فهو هالك و إن كان مظهرا فهو في حال كونه مظهرا في شيئية عينه و هي هالكة فهو هالك في حال اتصافه بالوجود كما هو هالك في حال اتصافه بالهلاك الذي هو العدم فإن العدم للممكن ذاتي أي من حقيقة ذاته أن يكون معدوما و الأشياء إذا اقتضت أمورا لذواتها فمن المحال زوالها فمن المحال زوال حكم العدم عن هذه العين الممكنة سواء اتصفت بالوجود أو لم تتصف فإن المتصف بالوجود ما هو عين الممكن و إنما هو الظاهر في عين الممكن الذي سمي به الممكن مظهرا لوجود الحق فكل شيء هالك فلهذا نفينا عن الحق إطلاق لفظ الشيء عليه و يكون الاستثناء استثناء منقطعا مثل قوله فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أ لا ترى لما استحق الحق الوجود لذاته استحال عليه العدم كذلك إذا استحق الممكن العدم لذاته استحال وجوده فلهذا جعلناه مظهرا قلنا في كتاب المعرفة إن الممكن ما استحق العدم لذاته كما يقوله بعض الناس و إنما الذي استحقه الممكن تقدم اتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته لا العدم و لهذا قبل الوجود بالترجيح إذن فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده و إنما هو العدم الذي له

في مقابلة وجوده في حال وجوده أن لو لم يكن الوجود لكان العدم فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن هذا هو الذي يقتضيه النظر العقلي و أما مذهبنا فالعين الممكنة إنما هي ممكنة لأن تكون مظهر إلا لأن تقبل الاتصاف بالوجود فيكون الوجود عينها إذن فليس الوجود في الممكن عين الموجود بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجودا مجازا لا حقيقة لأن الحقيقة تأبى أن يكون الممكن موجودا فلا يزال كل شيء لك كما لم يزل لم يتغير عليه نعت و لا تغير على الوجود نعت فالوجود وجود و العدم عدم و الموصوف بأنه موجود موجود و الموصوف بأنه معدوم معدوم هذا هو نفس أهل التحقيق من أهل الكشف و الوجود ثم يندرج في هذه المسألة الوجه الذي له الأمام و هو الوجه المقيد بالنظر و به تميز عن الخلف فإذا كان الشخص يرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه كان وجها كله بلا قفا فلا يهلك من هذه صفته لأنه يرى من كل جهة فلا يهلك لأن العين تحفظه بنظرها فمن أي جهة جاءه من يريد إهلاكه لم يجد سبيلا إليه لكشفه إياه كما يتقي صاحب الوجه المقيد من يأتيه من إمامه انتهى الجزء السابع و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثامن و التسعون) كيف خص ذكر الوجه الجواب لأن السبحات له فهي مهلكة و المهلك لا يكون هالكا فاعلم أن الحقائق لا تتصف بالهلاك و وجه الشيء حقيقته و إنما يتصف بالهلاك الأمور العوارض للحقائق من نسبة بعضها إلى بعض فهي أعني الأمور العوارض حقيقتها أن تكون عوارض فلا يهلك وجهها عن كونها عوارض فاتصاف من عرضت له نسبة ما ثم بها زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى فازالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكا و يسمى ذلك المحل المنسوب إليه ذلك العارض بزواله هالكا و ما ثم إلا حقائق فما ثم إلا وجوه غير هالكة و ما ثم إلا نسب فما ثم إلا هالك فانظر كيف شئت و أنطق بحسب ما تنظر فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك إذ كانت الحقيقة لا تهلك

(السؤال التاسع و التسعون) ما مبتدأ الحمد الجواب مبتدؤه الابتداء و هو المعنى القائم في نفس الحامد فلا بد أن يكون مقيدا من طريق المعنى أنه ابتداء حادث فلا بد له من سبب و السبب عين التقييد و من طريق التلفظ بالحمد فمبتدؤه الإطلاق ثم بعد ذلك إن شئت قيدته بصفة فعل إلهي و إن شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه و ما ثم أكثر من هذا و إن أراد السائل بالحمد هنا العبد فإنه عين الثناء على الحق بوجود عينه فمبتدؤه الحق الذي أوجده لما أوجده و إن أراد بالحمد و مبتدئه إضافة المبدأ إلى الحمد أي بما يبتدئ الحمد فنقول بالوجود سواء اقترنت سعادة بذلك الموجود أو شقاوة و إن أراد بالحمد حمد الحمد فمبتدؤه الوهب و المنة و إن أراد بمبتدإ الحمد حمد الحق الحمد أو حمد الحق نفسه أو حمد الحق مخلوقاته فالثناء على الثناء بأنه ثناء ثناء عليه فمبتدؤه العلم بأنه ثناء و إن أراد

به حمد الحق نفسه فمبتدؤه الهوية فهو غيب لا يظهر أبدا و إن أراد به حمد الحق خلقه فمبتدؤه إضافة الخلق إليه تعالى لا إلى غيره و إن أراد بالحمد الفاتحة التي هي السورة فمبتدؤها الباء إن نظرت الحق من حيث دلالة الخلق عليه فيكون بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ آية من سورة الفاتحة و إن كان ينظرها من حيث الحق مجردا عن تعلق العالم به للدلالة فمبتدؤها الألف من الحمد لله فلم تتصل بأمر و لا ينبغي لها أن تتصل و لم يتصل بها فإنها تعالى في الفاتحة أن يتصل بها فإنه ما اتصل بها في المعنى إلا أسماؤها و أسماؤها عينها فلم يتصل بها سواها فإن أراد بالحمد عواقب الثناء فمبدؤه من حيث هو عواقب رجوع أسمائه إليه فإنه لا أثر لها إلا في الظاهر في المظاهر و على الظاهر يقع الثناء و ليس الظاهر في المظاهر غيره فلا مثنى و لا مثنى و لا مثنى عليه إلا هو و التبس على الناس ما يتعلق بالمظاهر من الثناء فلهذا قالوا ما مبتدأ الحمد و الظاهر من سؤال هذا السائل أنه أراد الفاتحة لأنه قال في السؤال الذي يليه ما معنى آمين و هي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة فهو ثناء بدعاء و كل ثناء بدعاء فهو مشوب و لهذا قال قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل فأمين المشروعة لما فيها من السؤال و هو قوله اهْدِنَا و من طلب شيئا من أحد فلا بد أن يفتقر إليه بحال طلبه فمبتدأ الحمد على هذا هو الافتقار و لهذا سأل في الإجابة ثم إنه ما أوجب له الافتقار إليه إلا أثر غناه تعالى بما افتقر إليه فيه فمبتدأ الحمد غنى الحق عن العالمين قال الله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قال تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فقدم الفقر على الغني في اللفظ و غنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق إليه لا بل هما سؤالان تقدم أحدهما على الآخر فإن الغني عن الخلق لله أزلا و الفقر للممكن في حال عدمه إلى الله من حيث غناه أزلا و الموصوفان بالأزل نفيا و إثباتا لا يتقدم أحدهما على الآخر لأن الأزل لا يصح فيه تقدم و لا تأخر فافهم

(السؤال الموفي مائة) ما قوله آمين الجواب لما أراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع إلى الداعي لهذا قيل له قل آمين و هي تقصر و تمد قال الشاعر في القصر

تباعد مني فطحل و ابن أمه أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية و قال الشاعر في المد

يا رب لا تسلبني حبها أبدا و يرحم الله عبدا قال آمينا

يعني في دعائه بالبعد بينه و بين من يقبل البينية و ورد في الشرع الجهر بها و الإخفاء لأن الأمر ظاهر و باطن فالباطن يطلب الإخفاء و الظاهر يطلب الجهر غير أن الظاهر أعم فإذا جهر بها فقد حصل حظ الباطن و إذا أسر بها لم يعلم الظاهر ما جرى و الباطن خصوص و

الأسرار بها خاص لخاص و الظاهر عموم فالجهر بها عام لعام و خاص من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه و كل مذكور في ملأ فهو مذكور في النفس و ما كل ما هو مذكور في النفس يكون مذكورا في الملإ قوله عليه السلام أو استأثرت به في علم غيبك هي أسماء لا يعلمها إلا هو فعلم السر أتم وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ فالمفاتيح العلم بها خاص له و الغيب قد يظهر على غيبه من يرتضيه من رسله إِلَّا من ارْتَضى من رَسُولٍ فالسر بها أتم مقاما من الجهر بها و الجهر بها أعم منفعة من السر السر بها آمين معناه أجب دعاءنا لا بل معناه قصدنا إجابتك فيما دعوناك فيه يقال أم فلان جانب فلان إذا قصده وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ أي قاصدين و خفف أمين للسرعة المطلوبة في الإجابة و الخفة تقتضي الإسراع في الأشياء فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقد غفر له و لم يقل فقد أجيب لأنه لو أجيب لما غفر له لأن المهدي ما له ما يغفر أي فمن أمن مثل تأمين الملائكة هذا معنى الموافقة لا الموافقة الزمانية و قد تكون الموافقة الزمانية فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين و الملائكة لا يخلو قولها في آمين هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين فإن قالتها متجسدة فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة لأن التجسد يحكم عليهم بالإتيان بلفظة آمين أي بترتيب هذه الحروف و إن قالتها غير متجسدة فلم تبق الموافقة إلا أن يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك و الحال هنا على أقسام الحال الواحدة أن يقولها بربه فإن الملك يقولها كذلك أو يقولها بحاله التي تقتضيها ذاته فالإنسان إذا قالها كذلك قالها من حيث روحانيته إلا من حيث حسه أو يقولها بحكم النيابة فالملك قد يقولها كذلك أو يقولها و هو هو فالملك قد يقولها كذلك و قول الإنسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها فينبغي للإنسان أن يقولها بكل حال يقولها الملك من هذه الأقسام التي ذكرناها فإذا قالها غفر الله له و لا بد أن يستره الله عن كل أمر يضاد الهداية بما تنتج لا بد من ذلك لأن نتيجة الهداية سعادة و قد يكون في حياته الدنيا غير مهدي و العناية قد سبقت فيجني ثمرة الهداية فلهذا لم يقل أجيب و قال غفر فهذا معنى قوله آمين و كل داع بحسب ما دعا فإن الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه فقد أجابه بما فيه سعادته إذ هي المطلوب الأعم في كل دعاء داع

(السؤال الحادي و مائة) ما السجود الجواب السجود من كل ساجد مشاهدة أصله الذي غاب عنه حين كان فرعا عنه فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته قيل له اطلب ما غاب عنك و هو أصلك الذي عنه صدرت فسجد الجسم إلى التربة التي هي أصله و سجد الروح إلى الروح الكل الذي عنه صدر و سجد السر لربه الذي به نال المرتبة و الأصول كلها غيب ألا تراها قد ظهرت في الشجر أصولها غيب فإن التكوين غيب لا يشاهده أحد الجنين يتكون في بطن أمه فهو غيب حيوان آخر يتكون في البيض فإذا كمل تشقق عنه الحق أصل وجود الأشياء و هو غيب لها السجود تحية الملوك لما كان السوقة دون الملك فالملك له العلو و العظمة فإذا دخل عليه من دونه

سجد له أي منزلتنا منك منزلة السفل من العلو فإنهم نظروا إليه من حيث مكانته و مرتبته لا من حيث نشأته فإنهم على السواء في النشأة سجدت الملائكة لمرتبة العلمفكان سجودها لا علم لنا و هو الجهل سجدت الظلال لمشاهدتها من خرجت عنه و هي الأشخاص يتستر ظل الشخص عن النور بأصله الذي انبعث عنه لئلا يفنيه النور فلم يكن له بقاء إلا بوجود الأصل فلا بقاء للعالم إلا بالله السلطان ظل الله في أرضه العرش ظل الله يوم القيامة العرش عين الملك يقال ثل عرش الملك إذا اختل ملكه عليه الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى أي على ملكه سجود القلب إذا سجد لا يرفع أبدا لأن سجوده للأسماء الإلهية لا للذات فإنها هي التي جعلته قلبا فهي تقلبه من حال إلى حال دنيا و آخرة فلهذا سمته قلبا فإذا تجلى له الحق مقلبا فيرى أنه في قبضة مقلبه و هو الأسماء الإلهية التي لا ينفك مخلوق عنها فهي المتحكمة في الخلائق فمن مشاهد لها و هو الذي سجد قلبه و من غير مشاهد لها فلا يسجد قلبه و هو المدعي الذي يقول أنا و على من هذه صفته يتوجه الحساب و السؤال يوم القيامة و العقاب إن عوقب و من سجد قلبه فلا دعوى له فلا حساب و لا سؤال و لا عقاب فلا حالة أشرف من حالة السجود لأنها حالة الوصول إلى علم الأصول فلا صفة أشرف من صفة العلم فإنه معطي السعادة في الدارين و الراحة في المنزلتين أصل الأعداد الواحد فلا وجود لها إلا به و به بقاؤها فمن لا علم له بأحدية خالقه كثرت آلهته و غاب عن معرفته بنفسه فجهل ربه

فصار عبد الكل رب فهو محل لكل ذنب

و السجود يقتضي الديمومية و لهذا قال الشيخ أيضا لسهل بن عبد الله إلى الأبد لأن السجود الخضوع و الإسجاد إدامة النظر و كل من تطأطأ فقد سجد و قلن له اسجد لليلى فأسجدا أي طأطأ البعير لها لتركبه و التطاطؤ لا يكون إلا عن رفعة و الرفعة في حق كل ما سوى الله خروج عن أصله فقيل له اسجد أي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة و اخضع من شموخك بأن تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك فإنك ما تعاليت حتى غاب عنك أصلك فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه و من عرف أصله عرف عينه أي نفسه و من عرف نفسه عرف ربه و من عرف نفسه لم يرفع رأسه و من عرف ربه رفع رأسه فإنه مخلوق على صورة ربه و من نعوت ربه الرفيع فلا بد أن يرفع نفسه و بعد هذه الرفعة يقال له اسجد فيسجد وجهه فيسجد قلبه فيرفع وجهه من السجود فلا يدوم فإن القبلة التي سجد لها لا تدوم و الجهة التي سجد لها لا تدوم فرفع لرفع المسجود له و سجد القلب فلم يرفع لأنه سجد لربه فقبلته ربه و ربه لا يزول و لا ترتفع عن الوجود ربوبيته فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبدا لأن قبلته لا ترتفع فهذا معنى السجود

(السؤال الثاني و مائة) ما بدؤه الجواب بدؤ السجود الذي أسجدك تنوع الحالات و تغيراتها عليك فنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك فطلبت فعلمت أنك معلول و كل معلول فلا قيام له بنفسه فإن المريض لا يمرض نفسه و ما كل ما تقام فيه من تغير الأحوال يرضيك و إذا لم يرضك فقد أمرضك فلا بد من ممرض و من طلب الممرض فقد افتقر فعلمت أنك فقير و إذا افتقرت فهو كسر فقار ظهرك لم يتمكن لك أن ترفع رأسك فأنت موصوف بالسجود دائما فهذا بدء السجود و إن أراد بقوله ما بدؤه يعني ما بدؤه فيك أي ما هو أول شيء يعطيك السجود من منحه فنقول القربة و القربة مؤذنة ببعد متقدم و كل ذلك يؤدي إلى الحد و لا حد فإنه البعيد القريب فاعلم أن الهوية المسماة بالبعيد القريب هي التي أعطتك السجود و بدأك بها منحة و لكن من كونها تسمى بالبعيد القريب فنقلتك من النعت لبعيد إلى النعت القريب فنقلتك من البعد إلى القربة قال الله تعالى وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ و لم يقل غير ذلك من الأحوال تدل على إن أول شيء يمنحك السجود هو القربة ثم بعد ذلك تعطي من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة و النبيين فتلك عوارف التقريب و التقريب منحة السجود و السجود منحة النظر في تغير الأحوال و النظر في تغير الأحوال حكم تغير الأحوال و تغير الأحوال كونك على الصورة كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و كونك على الصورة كونك مظهرا للأسماء الإلهية و كونك مظهرا للأسماء الإلهية أعطاك الرفعة و لاتصافك بالرفعة أمرت بالسجود فاعلم

(السؤال الثالث و مائة) ما قوله العزة إزاري الجواب لما أنعم الحق على عباده حين دعاهم إلى معرفته بالتنزل بضرب الأمثال لهم ليحصلوا بذلك القدر الذي أراد منهم أن يعلموا منه مثل قوله مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ لقوله اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فجعل النور نفسه لأنه خبر المبتدأ أي صفته و هويته النور من حيث إنه الله النور و أين نور المصباح من قوله اللهُ نُورُ و كذلك الخبر إن الله تعالى إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان و أين كلام الحق تعالى من ضرب سلسلة على صفوان كذلك قوله العزة إزاري فأنزل نفسه لعباده منزلة من يقبل الاتصاف بالإزار و إن مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الإزار و ما يستره الإزار و اعلم أن الإزار يتخذ لثلاثة أمور الواحد للتجمل و الثاني للوقاية و الثالث للستر و المقصود في هذا الخبر من الثلاثة الوقاية خاصة لأجل قوله العزة فإن العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول إليه لأن الإزار بقي موضع الغيرة أن تطلع إليه الأبصار و لما كانت العزة منيعة الحمى أن يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات أو مبدع من المبدعات لاستصحاب الذلة للمخلوقات و المبدعات و هي تناقض العزة فلما ائتزر الحق بالعزة منع العقول أن تدرك قبول الأعيان للإيجاد الذي اتصفت به و تميزت لأعيانها فلا يعلم ما سوى الله صورة إيجاده و لا قبوله و لا كيف صار مظهرا للحق و لا كيف وصفه بالوجود فقيل فيه موجود و قد كان يقال فيه معدوم فقال الحق العزة إزاري أي هي حجاب علي ما

من شأن النفوس أن تتشوف إلى تحصيله و لهذا قال من نازعني واحدا منهما قصمته فأخبر أنه ينازع في مثل هذه الصفات التي لا تنبغي إلا له مثل العزة و العظمة و الكبرياء و العزة القهر الذي نجده عن إدراك السر الذي به ظهور العالم

(السؤال الرابع و مائة) ما قوله و العظمة ردائي الجواب أن الله قد نبه أن العظمة التي تلبسها العقول رداء يحجبها عن إدراك الحق عند التجلي فليست العظمة صفة للحق على التحقيق و إنما هي صفة للقلوب العارفة به فهي عليها كالرداء على لابسه و هي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الإدلال عليه و تورثها الإذلال بين يديه و من الدليل على أن يوصف العظيم بالعظمة أنه راجع إلى العالم به لا إليه أن المعظم إذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة و لا تعظيما لجهله به و الذي يعلم مكانته و منزلته له على قلبه سلطان العلم به فيورثه ذلك العلم عظمة في قلبه فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم و قد ورد خبر ذكره أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة أن جبريل أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسرى به في شجرة فيها كوكرى طائر فقعد جبريل في الواحد و قعد رسول الله صلى الله عليه و سلم في الآخر فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف درا و ياقوتا فأما جبريل فغشي عليه و أما محمد صلى الله عليه و سلم فبقي على حاله ما تغير عليه شيء فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلمت فضل جبريل علي في العلم لأنه علم ما رأى و أنا ما علمته فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل إنما كانت من علمه بما تدلى إليه فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة فهي حال للرائي لا للمرئي و لو كانت العظمة حالة للمرئي لعظمة كل من رآه و الأمر ليس كذلك و قد ورد في الحديث الصحيح أن الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة و فيها منافقوها فيقول أنا ربكم فيستعيذون منه و لا يجدون له تعظيما و ينكرونه لجهلهم به فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها أنه ربهم حينئذ يجدون عظمته في قلوبهم و الهيبة فلهذا قلنا في قوله العظمة ردائي أي هي رداؤه الذي تلبسه عقول العلماء به و جعلها رداء و لم يجعلها ثوبا فإن الرداء له كمية واحدة و الثوب مؤلف من كميات مختلفة ضم بعضها إلى بعض كالقميص و كذلك أيضا الإزار مثل الرداء و لم يقل السراويل لأن ذلك أقرب إلى الأحدية من الثوب المؤلف لتنوع الشكل

(السؤال الخامس و مائة) ما الإزار الجواب حجاب الغيرة و الستر على تأثير القدرة الإلهية في الحقيقة الخامسة الكلية الظاهرة في القديم قديمة و في المحدثات محدثة و هو ظهور الحقائق الإلهية و الصور الربانية في الأعيان الثابتة الموصوفة بالإمكان التي هي مظاهر الحق فلا يعلم نسبة هذا الظهور إلى هذا المظهر إلا الله سبحانه و تعالى فالحجاب الذي حال بيننا و بين هذا العلم هو المعبر عنه بالإزار و هي كلمة كن و لا أريد به حرف الكاف و الواو و النون و إنما أريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور

(السؤال السادس و مائة) ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الإمكانية و الإلهية و هو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد ما في الإمكان أبدع من هذا العالم لكمال وجود الحقائق كلها فيه و هو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة و نائبا و له الأثر الكامل في جميع الممكنات و له المشيئة التامة و هو أكمل المظاهر و اختلف العلماء هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدا أو لا يكون إلا شخص واحد فإن كان شخص واحد فمن هو ذلك الشخص و من أي قسم هو من أقسام الموجودات هل من البشر أو من الجن أو من الملائكة و إنما سماه رداء لأنه مشتق من الردي المقصور و هو الهلاك لأنه مستهلك في الحق استهلاكا كليا بحيث أن لا يظهر له وجود عين مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئا من تلك الانفعالات إليه فيكون حقا كله و هو قوله صلى الله عليه و سلم و اجعلني نورا أي يظهر في كل شيء و لا أظهر بشيء و قد يستهلك الحق فيه فلا ينسب بوجوده شيء إلى الحق و هو الوجه الذي اعتمد عليه من أثبت الحق المخلوق به كأبي الحكم بن برجان و سهل بن عبد الله التستري و غيرهما و إليه أشرنا بقولنا

أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء فانظر من هو المرتدي فاحكم عليه بأنه مستهلك فيه فتجد حقيقة ما ذكرناه فكل مرتد محجوب بردائه عن إدراك الأبصار قال تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ لأن الرداء يحجب الأبصار عنه و لا يحجبه عنها فهو يدركها و لا تدركه فالأبصار تدرك الرداء و الرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(السؤال السابع و مائة) ما الكبر الجواب ما ظهر عن دعاوى الخلق في حضرة الربوبية من أنا على طبقات القائلين بها الكبر حال من أحوال القلوب من حيث ما هي عالمة بمن ينبغي أن ينسب إليه الكبرياء فإن الحق معلوم عند كل موجود و يتبع العلم الكبرياء فمن كان أعلم به كان كبرياء الحق في قلبه أعظم ممن ليس في قلبه ما يوجب ذلك فلو كان الكبرياء صفة للذات لكانت الذات مركبة و إن كان عين الذات و تجلى سبحانه و سلب العلم به في تجليه لم يجد المتجلي له أثر كبر عنده لهذا المتجلي لجهله به فإن رزقه العلم به تبعه الكبر و العلم مما يوصف به العالم لا المعلوم كذلك الكبر يوصف به من يوصف بالعلم بمن يكون الكبرياء من أثره في قلب هذا الشخص و لهذا قد ورد الكبرياء ردائي فهو حجاب بين العبد و بين الحق يحجب العبد أن يعرف كنه المرتدي به و هو نفسه فأحرى أن يعرف ربه و مع هذا فلا يضاف الكبر إلا لغير لابسه فإنه حالة عجيبة و كذلك العظمة فإن الحق ما هي صفته لا ذاتية و لا معنوية فإنه يستحيل على ذاته قيام صفات المعاني بها و يستحيل أن تكون صفة نفسية من أجل ما ورد من إنكار الخلق له في تجليه مع كونه هو هو و إذا بطل الوجهان فلم

يبق إلا أن تكون صفة للمتجلي له و هو الكون أو حالة تعقل بين المتجلي و المتجلي له لا يتصف بها المتجلي له لأن العبودة تقابل الكبر و تضادها و محال أن تقوم بنفسها بينهما فلم يبق إلا أن تكون من أوصاف العلم فتكون نسبة كبر و تعظيم و عزة تتصف بها نسبة علم بمعلوم محقق من حيث ما يؤدي إليه ذلك العلم من وجود هذه النسب ذوقا و شربا كما تقول في التشبيه و ضرب المثل سواد مشرق و علم حسن فوصف السواد بالإشراق و العلم بالحسن و هو وصف من لا قيام له بنفسه بما لا قيام له بنفسه فلذلك جعلنا الكبرياء و العظمة حالة تابعة للعلم بالمعظم و المكبر في نفس من عظمه و كبره

(السؤال الثامن و مائة) ما تاج الملك الجواب تاج الملك علامة الملك و تتويج الكتاب السلطاني خط السلطان فيه و الوجود كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ و يجهله من ليس بمقرب و تتويج هذا الكتاب إنما يكون بمن جمع الحقائق كلها و هي علامة موجدة فالإنسان الكامل الذي يدل بذاته من أول البديهة على ربه هو تاج الملك و ليس إلا الإنسان الكامل و هو قوله صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ فلم يظهر الكمال الإلهي إلا في المركب فإنه يتضمن البسيط و لا يتضمن البسيط المركب فالإنسان الكامل هو الأول بالقصد و الآخر بالفعل و الظاهر بالحرف و الباطن بالمعنى و هو الجامع بين الطبع و العقل ففيه أكثف تركيب و ألطف تركيب من حيث طبعه و فيه التجرد عن المواد و القوي الحاكمة على الأجساد و ليس ذلك لغيره من المخلوقات سواه و لهذا خص بعلم الأسماء كلها و بجوامع الكلم و لم يعلمنا الله أن أحدا سواه أعطاه هذا إلا الإنسان الكامل و ليس فوق الإنسان مرتبة إلا مرتبة الملك في المخلوقات و قد تلمذت الملائكة له حين علمهم الأسماء و لا يدل هذا على أنه خير من الملك و لكنه يدل على أنه أكمل نشأة من الملك فلما كان مجلى الأسماء الإلهية صح له أن يكون للكتاب مثل التاج لأنه أشرف زينة يتزين بها الكتاب و بذلك التتويج ظهرت آثار الأوامر في الملك كذلك بالإنسان الكامل ظهر الحكم الإلهي في العالم بالثواب و العقاب و به قام النظام و انخرم و فيه قضى و قدر و حكم

(السؤال التاسع و مائة) ما الوقار الجواب حمل أعباء التجلي قبل حصوله و الفناء فيه كسكرات الموت قبل حلوله و ذلك أن للتجلي مقدمات كطلوع الفجر لطلوع الشمس و كما ورد في الخبر عن مقدمات تجلى الرب للجبل بما ينزل من الملائكة و القوي الروحانية في الضباب و هي أثقال التجلي التي تتقدمه من الوقر و هو الثقل و إذا حصل الثقل ضعف الإسراع و الحركة فسمى ذلك السكون وقارا أي سكون عن ثقل عارض لا عن مزاج طبيعي فإن السكون الكائن عن الأمر الذي يورث الهيبة و العظمة في نفس الشخص يسمى وقارا و سكينة و السكون الطبيعي الذي يكون في الإنسان من مزاجه لغلبة البرد و الرطوبة على الحرارة و اليبس لا يسمى وقارا إنما الوقار نتيجة التعظيم و العظمة و لا سيما إن تقدم التجلي خطاب إلهي فصاحبه أشد وقارا لأن خطاب الحق بوساطة الروح يورث هيبة و لا

سيما إن كان قولا ثقيلا و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا نزل عليه الوحي كصلصلة الجرس يجد منه مشقة عظيمة و يورثه سكونا و غشيا مع الواسطة فكيف به إذا خاطبه الحق با رتفاع الوسائط مثل موسى عليه السلام و من كلمه الله فإذا كان هذا و أمثاله من مقدمات التجلي الإلهي فكيف يكون حال الإنسان بعد حصول التجلي من الوقا ر أ لا ترى إلى ما يحصل في قلوب الناس من هيبة الصالحين المنقطعين إلى الله الذين لم تجر العادة عند العامة برؤيتهم فإذا وقع نظرهم عليهم ظهر عليهم من الوقا ر و السكينة و الخمود برؤيتهم ما لا يقد ر قد ره إلا الله و هو إجلال المتجلي يقول بعضهم

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم و لكن خوف إجلال

و قال آخر

اشتاقه فإذا بدا أطرقت من إجلاله

لا خيفة بل هيبة و صيانة لجماله

فهذا الإطراق هو عين الوقا ر و قال تعالى وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً و قال عليه السلام فلا تأتوها و أنتم تسعون يعني الجمعة و ائتوها و عليكم السكينة و الوقا ر أي امشوا مشي المثقلين و هذا لا يكون إلا إذا تجلى لهم في جلال الجمال

(السؤال العاشر و المائة) و ما صفة مجالس الهيبة الجواب لما كانت الهيبة تورث الوقا ر سأل عن صفة مجلسه أي ما صفته في قعوده بين يديه فمن صفته عدم الالتفات و اشتغال السر بالمشاهد و عصمة القلب من الخواطر و العقل من الأفكا ر و الجوارح من الحركات و عدم التمييز بين الحسن و القبيح و أن تكون أذناه مصروفة إليه و عيناه مطرقتين إلى الأرض و عين بصيرته غير مطموسة و جمع الهم و تضاؤله في نفسه و اجتماع أعضائه اجتماعا يسمع له أزيز و إن لا يتأوه مع جمود العين عن الحركة و أن لا تعطيه المباسطة الإدلال فإن جالسة بتقييد جهة كما كلمه بتقييد جهة من حضرة مثالية كجانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبا رَكَةِ من الشَّجَرَةِ فليكن سمعه بحيث قيده فإن أطلق سمعه لأجل حقيقة أخرى تعطيه عدم التقييد و هو تعالى قد قيد نفسه به في جانب خاص فقد أساء الأدب و ليس هو في مجلس هيبة و لا يكون صاحب مجلس الهيبة صاحب فناء لكنه صاحب حضورا و استحضا ر لا يرجح و لا يجرح و لا يرفع ميزانا و لا يسمى إنسانا فإن الإنسان مجموع أضداد و مختلفات

(السؤال الحادي عشر و مائة) ما صفة ملك الآلاء الجواب روحاني و ذلك أن الملك لا يتصف به إلا الجماد خاصة و هو أشد الخلق طواعية لله سبحانه المعترف بأنه ملك لله سبحانه على أن جميع ما سوى الله ملك لله و لكن الفضل في الملك أن يعلم أنه ملك و أن يكون

معاملته مع الله معاملة من هو ملك لله و ليس ذلك إلا للمهيمين من الملائكة و الجمادات و أما النبات فلم يتصف بذلك كل النبات فإن منه من لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً و لكن باقي الخلائق فيهم من قام بحق كونه ملكا و منهم من لم يقم بذلك في كل صنف و بهذا وصفهم الحق سبحانه فقال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً فالطائع في الإمكان أن يكون صاحب كره و الكارة في الإمكان أن يكون طائعا فأعظم الآلاء و أتمها بل هي النعمة المطلقة أن يرزق الخلائق طاعة الله فإنهم لذلك خلقوا فملك الآلاء هو الذي ملكه النعمة لله و هو قوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه و كل ما سوى الله متغذ فكل ما سوى الله منعم عليه فكل من تعبدته نعمة الله لله فهو ملك الآلاء و الآلاء من جملة الملك فيحتاج إلى نعمة و تلك النعمة عين وجودها و بقائها في المنعمين عليهم فالنعم ملك الآلاء أيضا فإذا كان ملك الآلاء المنعم عليهم ردتهم النعمة إلى الله فكان ملكهم لله بتلك النعم فهم ملك الآلاء فملك الآلاء من كان بهذه الصفة و إذا كان ملك الآلاء عبارة عن عين الآلاء فصفة هذا العين أن لا تنسب إلا إلى الله فإن نسبت إلى غير الله فذلك من جهة المنعم عليه لا من جهة النعمة و المنعم عليه هو المذموم بقدر ما أضاف من الآلاء إلى غير الله لما تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الرحمن العامة لجميع ما خلق الله دنيا و آخرة و علوا و سفلا على الجن فما قال في آية منها فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلا قالت الجن و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فمدحهم رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه بحسن الاستماع حين تلاها عليهم و لم يقولوا شيئا من ذلك و لم يكن سكوتهم عن جهل بأن الآلاء من الله و لا أن الجن أعرف منهم بنسبة الآلاء إلى الله و لكن الجن وفت بكمال المقام الظاهر حيث قالت و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فإن الموطن يقتضيه و لم تقل ذلك الصحابة من الإنس حين تلاها عليهم شغلا منهم بتحصيل علم ما ليس عندهم مما يجيء به رسول الله صلى الله عليه و سلم فشغلهم ذلك الحرص على تعمير الزمان الذي يقولون فيه ما قالت الجن أن يقول النبي صلى الله عليه و سلم ما يقول من العلم فيستفيدون فهم أشد حرصا على اقتناء العلم من الجن و الجن أمكن في توفية الأدب بما يقتضيه هذا الموطن من الجواب من الإنس فمدحهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بما فضلوا به على الإنس و ما مدح الإنس بما فضلوا به على الجن من الحرص على مزيد العلم بسكوتهم عند تلاوته و لا سيما و الحق يقول لهم وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا و السورة واحدة في نفسها كالكلام غير التام فهم ينصتون حتى يتمها فجمع الصحابة من الإنس بين فضيلتين لم يذكرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر فضل الجن فيما نطقوا به فإن نطقهم تصريح بالعبودية بلسان الظاهر و هم بلسان الباطن أيضا عبيد فجمعوا بين اللسانين بهذا النطق و الجواب و لم يفعل الإنس من الصحابة ذلك عند التلاوة فنقصهم هذا اللسان فكان توبيخ رسول الله صلى الله عليه و سلم إياهم تعليما بما تستحقه المواطن أعني مواطن الألسنة الناطقة ليتنبهوا فلا يفوتهم ذلك من الخير العملي فإنهم كانوا في الخير العلمي في ذلك

الوقت و حكم العمل في موطنه لا يقاومه العلم فإن الحكم للموطن و حكم العلم في موطنه لا يقاومه العمل و الجن غرباء في الظاهر فهم يسارعون في الظهورية ليعلموا أنهم قد حصل لهم فيه قدم لكونهم مستورين فهم إلى الباطن أقرب منهم إلى الظاهر و التلاوة كانت بلسان الظاهر و الإنس في مرتبة الظاهر فحجبهم عن الجواب الذي أجابت به الجن كونهم أصحاب موطن الظاهر فذهلوا عن الجواب لقرينة حال موطنهم و لو وفوا به لكان أحسن في حقهم فنبههم رسول الله صلى الله عليه و سلم على الأكمل في موطنه و هو المعلم فنعم المؤدب فمن أراد تحقيق ملك الآلاء فليتدبر سورة الرحمن من القرآن و ينظر إلى تقديم الإنس على الجن في آيتها و قوله تعالى خَلَقَ الْإِنْسانَ أيضا فابتدأ به تقديرا و مرتبة نطقية تهمما به على الجن و إن كان الجن موجودا قبله يؤذن بأنه و إن تأخرت نشأته فهو المعتنى به في غيب ربه لأنه المقصود من العالم لما خصه به من كمال الصورة في خلقه باليدين و علمه الأسماء و الإفصاح عما علمه بقوله عَلَّمَهُ الْبَيانَ و بعض أصحابنا يطلق ملك الآلاء على ما يحصل للعبد من مزيد الشكر على نعم الله فذلك القدر لمن حصل له يسمى ملك الآلاء فهو ملك الشاكرين فمن شكر نعم الله بلسان حق و ناب الحق مناب العبد من اسمه الشكور و هو شكره لعباده على ما كان منهم من شكرهم على ما أنعم عليهم ليزيدوا في الأعمال في مقابلة شكره فيكون ما جازاهم به من ذلك على قدر علم الشاكر بالمشكور و الله هو الشاكر في هذا الحال و هو العالم بنفسه فالجزاء الذي يليق بهذا الشاكر لوجوزي هو الذي يحصل لهؤلاء الشاكرين الذين لهم هذا الحال فهذا الجزاء يسمى ملك الآلاء و هو أعظم الملك و هو قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ أي نعم ربها جمع آلاء و إلى ربها المضافة إليه هنا الذي يستحقها لو قبل الجزاء الذي هذه صفته فتكون تلك جزاء هؤلاء و هذا من باب ما طلبه الله من عباده فقال فَاذْكُرُونِي و اعْبُدُونِي و أَطِيعُونِ و اشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ و هذا كله جزاء من العبد في مقابلة ما أنعم الله عليه به من الوجود خاصة فكيف إذا انضاف إلى ذلك ما خلق من أجله من النعم المعنوية و الحسية قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فعلل فيعبدوه لكونه أنعم عليهم بالإيجاد لكمال مرتبة العلم و الوجود من حيث من ذكر من الأجناس فاعلم ذلك لا لكمال مرتبة الوجود و المعرفة من غير هذا التقييد فإن ذلك يكفي فيه خلق محدث واحد و إيجاد العلم المحدث فيه المتعلق بالله و الكون و لكن لما كانت الأجناس منحصرة عند الله و أوجدها كلها و بقي هذان الجنسان أوقع الإخبار عنهما بما ذكر فشرحناه بما يعطيه الحال المقصودة لخالقهما تعالى بهما انتهى الجزء الثامن و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثاني عشر و مائة) ما صفات ملك الضياء الجواب قال تعالى في القرآن إنه ضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ فكلما أضاء بالقرآن فهو ملك الضياء و كذلك جعل الشمس ضياء فكلما أضاء بالشمس في الدنيا و يوجد به عينه فهو من ملك الضياء و كل نور أعطى ضياء فهو من ملك الضياء مما لا يقابله معطي الضياء بنفسه أي نوع كان من الأنوار فضياؤه هو الضوء الذي لا يكون معه الحجاب عما يكشفه و النور حجاب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حق الحق تعالى حجابه النور و قال نوراني أراه و الضياء ليس بحجاب فالضياء أثر النور و هو الظل فإن النور صيره الحجاب ضياء فهو بالنسبة إلى الحجاب ظل و إلى النور ضياء فله الكشف من كونه ضياء و له الراحة من كونه ظلا فملك الضياء ملك الكشف فهو ملك العلم و ملك الراحة فهو ملك الرحمة فجمع الضياء بين الرحمة و العلم قال تعالى في منته على عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا و هو الظل وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً و هو الضياء أي الكشف الضيائي و هو أتم الكشوف و إنما قلنا النور حجاب لقوله عليه الصلاة و السلام نوراني أراه أي النور لا يتمكن أن تدركه الأبصار لأنها تضعف عنه فهو حجاب على نفسه بنفسه و الضياء ليس كذلك فالضياء روح النور و الضياء للنور ذاتي فملك الضياء ملك ذاتي و ضوء الذات الأسماء الإلهية فملك الضياء ملك الأسماء و القرآن ضياء فملكه ما أظهره القرآن فعلم الخضر في زمان موسى عليه السلام جزء من أجزاء ما يحويه صاحب القرآن المحمدي من العلوم فبالقرآن يكشف جميع ما في الكتب المنزلة من العلوم و فيه ما ليس فيها فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل الذي يتضمن كل علم قال تعالى ما فَرَّطْنا في الْكِتابِ من شَيْءٍ و هو القرآن العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا من خَلْفِهِ و به صح لمحمد صلى الله عليه و سلم جوامع الكلم فعلوم الأنبياء و الملائكة و كل لسان علم فإن القرآن يتضمنه و يوضحه لأهل القرآن بما هو ضياء فهو نور من حيث ذاته لأنه لا يدرك لعزته و هو ضياء لما يدرك به و لما يدرك منه فمن أعطى القرآن فقد أعطى العلم الكامل فما ثم في الخلق أتم من المحمديين و هم خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ثم جعل الشمس ضياء لوجود روح الحياة في العالم كله و بالحياة رحم العالم فالحياة فلك الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و كذلك نسبة الحياة إلى الذات الإلهية شرط في صحة كل نسبة نسبت إلى الله من علم و إرادة و قدرة و كلام و سمع و بصر و إدراك فلو رفعت نسبة الحياة إليه ارتفعت هذه النسب كلها فهي الرحمة الذاتية التي وسعت جميع الأسماء فهي ضياء النور الذاتي و ظل الحجاب النسبي لأنه لا يعقل الإله إلا بهذه النسب و تعقل الذات نورا لا من حيث هذه النسب فكونه إلها حجاب على الذات فكانت الألوهية عين الضياء فهي عين الكشف و العلم و كانت عين الظل النسبية فكانت عين الرحمة فجمعت الألوهية بين العلم و الرحمة في حق الكون و هو المألوه و في حق الأسماء الإلهية فما أعطاه هذا المقام الإلهي

فهو ملك الضياء و هو أرفع من ملك السموات و الأرض و ما بينهما وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ بل لا يؤمنون و قد نبهتك على ما فيه غنية و شفاء في ملك الضياء

فالكل في ملك الضيا أ و ليس عندهم خبر
و الكل في عين الظلال و هو المسمى بالمقر
فالحمد لله الذي قد حزته بين البشر
في عصرنا هذا فهل في وقتنا من مدكر
يعرف ما قد قلته كما أتانا في الزبر
هذا هو العلم الذي يقضي على علم الخضر
هل كان إلا خرقه سفينة ذات دسر
و قتل نفس رحمة لو أنه يحيا كفر
و ستره كنز الذي كان يتيما يحتقر
و علمنا بالله لا بعين كون عن نظر
فأين ذا من ذاك يا أهل القلوب و البصر
هذا هو العلم الذي يقال سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ
و دونه الشمس التي تكسف فيه و القمر
في مقعد من صدقه عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ
متكئ على سرر وسط جنان في نهر

(السؤال الثالث عشر و مائة) ما صفات ملك القدس الجواب قالت الملائكة وَنُقَدِّسُ لَكَ تعني ذواتها أي من أجلك لنكون من أهل ملك القدس فالمتطهرون من البشر من أهل الله من ملك القدس و أهل البيت من ملك القدس و الأرواح العلا كلها من غير تخصيص من ملك القدس فتختلف صفات ملك القدس باختلاف ما تقبله ذواتهم من التقديس و لما نعت الله اسم الملك بالاسم القدوس و الملك يطلب الملك فيضاف الملك إلى القدس كما يضاف إلى الآلاء و غيرها و ذوات ملك القدس على نوعين في التقديس فمنهم ذوات مقدسة لذاتها

و هي كل ذات كونية لم تلتفت قط إلى غير الاسم الإلهي الذي عنه تكونت فلم يطرأ عليها حجاب يحجبها عن إلهها فتتصف لذلك الحجاب بأنها غير مقدسة أي لا تضاف إلى القدس فتخرج عن ملك القدس و هم الذين يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ أي ينزهون ذواتهم عن التقديس العرضي بالشهود الدائم و هذا مقام ما ناله أحد من البشر إلا من استصحب حقيقته من حين خلفت شهود الاسم الإلهي الذي عنه تكونت و بقي عليها هذا الشهود حين أوجد الله لها مركبها الطبيعي الذي هو الجسم ثم استمر لها ذلك إلى حين الانتقال إلى البرزخ من غير موت معنوي و إن مات حسا و هذا و الله أعلم ناله محمد صلى الله عليه و سلم فإنه قال كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين يريد أن العلم بنبوته حصل له و آدم بين الماء و الطين و استصحبه ذلك إلى أن وجد جسمه في بلد لم يكن فيه موحد لله و لم يزل على توحيد الله لم يشرك كما أشرك أهله و قومه ثم إنه لما استقامت آلاته الحسية و تمكن من العمل بها بحسب ما وجدت له و استحكم بنيان قصر عقله و خزانة فكره و اعتدلت مظاهر قواه الباطنة لم يصرفها إلا في عبادة خالقه فكان يخلو بغار حرا للتحنث فيه إلى أن أرسله الله إلى الناس كافة فكان يذكر الله على كل أحيانه كما ذكرت عنه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها و قد قال صلى الله عليه و سلم عن نفسه و هو الصادق إنه تنام عينه و لا ينام قلبه فأخبر عن قلبه أنه لا ينام عند نوم عينه عن حسه فكذلك موته إنما مات حسا كما نام حسا فإن الله يقول له إِنَّكَ مَيِّتٌ و كما أنه لم ينم قلبه لم يمت قلبه فاستصحبته الحياة من حين خلقه الله و حياته إنما هي مشاهدة خالقه دائما لا تنقطع و قد أخبر ذو النون المصري حين سئل عن قوله تعالى في أخذ الميثاق فقال كأنه الآن في أذني يشير إلى علمه بتلك الحال فإن كان عن تذكر فلم يلحق بالملائكة في هذا المقام و إن لم يكن عن تذكر بل استصحاب حال من حين أشهد إلى حين سئل فيكون ممن خصه الله بهذا المقام فلا أنفيه و لا أثبته و ما عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك مروي و لا غير مروي أنه ناله أحد من البشر و إنما ذكرنا ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم أعني أنه ناله على طريق الاحتمال لا على القطع فإنه لا علم لي بذلك و الظاهر أنه تخلله في هذا المقام ما يتخلل البشر فإنه كثيرا ما أوحي إليه في القرآن أن يقول قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فاستروحنا من هذا أن حكمه حكم البشر إلا ما خصه الله به من التقريب الإلهي الذي ورد و ثبت عندنا و قد ثبت عنه أنه قال إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر و الرضي و الغضب من صفات النفس الحيوانية في البشر لا من صفات النفس الناطقة و إن اتصفت النفوس الناطقة بالرضى و الغضب فما هو على حد ما أراده بقوله أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر و إنما قلنا بإضافة ذلك إلى النفس الحيوانية لما نشاهده من الحيوانات من ذلك و قد ثبت النهي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن التحريش بين البهائم و جميع الحيوان كله من صفته المباشرة التي بحقيقتها سمي الإنسان بشرا و بهذا القدر تبين فضل الملك على الإنسان

في العبادة لكونه لا يفتر لأن حقيقة نشأته تعطيه أنه لا يفتر فتقديسه ذاتي لأن تسبيحه لا يكون إلا عن حضور مع المسبح و ليس تسبيحه إلا لمن أوجده فهو مقدس الذات عن الغفلات فلم تشغله نشأته الطبيعية النورية عن تسبيح خالقه على الدوام مع كونهم من حيث نشأتهم يختصمون كما أن البشر من حيث نشأته تنام عينه و لا ينام قلبه و لم يعط البشر قوة الملك في ذلك لأن الطبيعة يختلف مزاجها في الأشخاص و هذا مشهود بالضرورة في عالم العناصر فكيف بمن هو في نسبته إلى الطبيعة أقرب من نسبة العناصر إليها و على قد ر ما يكون بين الطبيعة المجردة و بين ما يتولد عنها من وسائط المولدات يكثف الحجاب و تترادف الظلم فأين نسبة آخر موجود من الأناسي من ربه من حيث خلق جسد آدم بيديه من نسبة آدم إلى ربه من حيث خلقه بيديه فآدم يقول خلقني ربي بيديه و ابنه شيث يقول بيني و بين يدي ربي أبى و هكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة من ملك و فلك و عنصر و جماد و نبات و حيوان و إنسان و ملك مخلوق من نفس إنسان و هذا الملك آخر موجود طبيعي و لا يعرف ذلك من أصحابنا إلا القليل فكيف من ليس من أهل الايمان و الكشف و أما القسم الذي تقديسه لا من ذاته فهي كل ذات يتخلل شهودها خالقها غفلات فالأحيان التي تكون فيها حاضرة مع خالقها هي من ملك القدس و سنبين ما ذكرناه في سؤاله ما القدس إذا أجبنا عنه بعد هذا إن شاء الله فمن صفات ملك القدس التباعد عن الطبيعة بالأصل و التباعد عن مشاهدة آثار الأسماء الإلهية بمشاهدة الأسماء الإلهية لا من كونها مؤثرة بل بما تستحقه الألوهية و الذات فإذا كان القدس عين الملك و أضيف إلى عينه لاختلاف اللفظ و اختلاف معنى الملك و القدس فإنه يدل على المبالغة في الطهارة و المبالغة في الطهر هي نسبة في الطهر ما هي عين الطهر لوجود الطهر دونها و ما هي غير الطهر فإن المبالغة ليست سوى استقصاء هذه الصفة فيكون ملك القدس استقصاء و هو المبالغة فيه فيكون سؤاله عن صفاته الذاتية فإن لهذه المراتب نشأت في المعاني كالنشأة الطبيعية و قد علمت أن النشء الطبيعي كما أخبر الله مخلقة و غير مخلقة أي تامة الخلق و غير تامة الخلق و الغير التامة الخلق داخل في قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فأعطى النقص خلقه أن يكون نقصا فالزيادة على النقص الذي هو عينه لو كانت لكانت نقصا فيه و لم يعط النقص خلقه فتمام النقص أن يكون نقصا

(السؤال الرابع عشر و مائة) ما القدس الجواب الطهارة و هي ذاتية و عرضية فالذاتية كتقديس الحضرة الإلهية التي أعطيها الاسم القدوس فهي القدس عن إن تقبل التأثر فيها من ذاتها فإن قبول الأثر تغيير في القابل و إن كان التغيير عبارة عن زوال عين بعين إما في محل أو مكان فيوصف المحل أو المكان بالتغيير و معنى ذلك أنه كان هذا المحل مثلا أصفر فصار أخضر أو كان ساكنا فصار متحركا فتغير المحل أي قبل الغير فالقدس و القدوس لا يقبل التغيير جملة واحدة و أما القدس العرضي فيقبل الغير و هو النقيض و ما تفاوت الناس إلا

في القدس العرضي فمن ذلك تقديس النفوس بالرياضات و هي تهذيب الأخلاق و تقديس المزاج بالمجاهدات و تقديس العقول بالمكاشفات و المطالعات و تقديس الجوارح بالوقوف عند الأوامر و النواهي المشروعات و نقيض هذا القدس ما يضاده مما لا يجتمع معه في محل واحد في زمان واحد فهذا هو القدس الذي ذكرنا ملكه فالقدس العارض لا يكون إلا في المركبات فإذا اتصف المركب بالقدس فذلك المسمى حظيرة القدس أي المانعة قبول ما يناقض كونها قدسا و مهما لم تمنع فلا تكون حظيرة قدس فإن الحظر المنع وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً أي ممنوعا فالقدس حقيقة إلهية سيالة سارية في المقدسين لا يدرك لنورها لون مخصوص معين و لا عين تسري في حقائق الكون ليس لعالم الأرواح المنفصلين عن الظلمة عليها أثر و ذلك أن الأرواح المدبرة للأجسام العنصرية لا يمكن أن تدخل أبدا حظيرة القدس و لكن العارف الكامل يشهدها حظيرة قدس فيقول العارف عند ذلك إن هذه الأرواح لا تدخل حظيرة القدس أبدا لأن الشيء يستحيل أن يدخل في نفسه فهي عنده حظيرة قدس و غير العارف يشارك العارف في هذا الإطلاق فيقول إنها لا تدخل حظيرة القدس أي لا تتصف بالقدس أبدا فإن ظلمة الطبع لا تزال تصحب الأرواح المدبرة في الدنيا و البرزخ و الآخرة فاختلفا في المشهد و كل قال حقا و أشار إلى معنى و ما تواردوا على معنى واحد و لهذا لا يتصور الخلاف الحقيقي في هذا الطريق فإذا كان ملك القدس كل من اتصف بالطهارة الذاتية و العرضية و القدوس اسم إلهي منه سرت الطهارة في الطاهرات كلها فمن نظر الأشياء كلها بعين ارتباطها بالحقائق الإلهية كان ملك القدس جميع ما سوى الله من هذه الحيثية و من نظر الأشياء من حيث أعيانها فليس ملك القدس منها إلا من كان طهوره عرضيا و أما الطهور الذاتي فلا ينبغي أن يكون ملك القدس إلا أن يكون ملك القدس عين القدس فحينئذ يصح أن يقال فيه ملك القدس و طهور كل مطهر بحسب ما تقضيه ذاته من الطهارة فطهارة حسية و طهارة معنوية فملك القدس منه ما هو من عالم المعاني و منه ما هو من عالم الحس و قد تورث الأسباب الحسية المطهرة طهارة معنوية و قد تورث الأسباب المعنوية المطهرة طهارة حسية فأما الأول فقوله تعالى وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ من السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ به وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ به الْأَقْدامَ و سبب هذه الطهارة المعنوية كلها إنما هو نزول هذا الماء من السماء و أما الثاني فقول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي هريرة حين كان جنبا فانتزع أبو هريرة يده من يد النبي صلى الله عليه و سلم تعظيما له لكونه غير طاهر لجنابة أصابته فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إن المؤمن لا ينجس فعرق المؤمن و سؤره طاهر فهذه طهارة حسية عن طهر معنوي و كذلك المقدس طهارته الحسية عن طهر معنوي فإن له التواضع و هو مسيل الحياة و العلم و الحياة مطهرة و العلم كذلك فبالمجموع نال الطهارة فإن الأودية كلها طاهرة و إنما تنجس بالعرض و كل واد به شيطان فهو نجس فما يجد المؤمن فيه خير الأجل ذلك الشيطان كما ثبت عن

رسول الله صلى الله عليه و سلم إن هذا واد به شيطان فارتفع عنه و صلى في موضع آخر و وادي عرنة بعرفة موقف إبليس و كذلك بطن محسر فلهذا أمرنا بالارتفاع يوم عرفة عن بطن عرنة و أمرنا بالإسراع في بطن محسر و لهذا يعتبر الأولياء أهل الكشف ألفاظ الذكر كان شيخنا يقول الله الله فقلت له لم لا تقول لا إله إلا الله فقال أخاف أن أموت في وحشة النفي إذ كان كل حرف نفس فهذا مثل الإسراع في بطن محسر لئلا يدركه الموت في مكان غير طاهر و لأولياء الله في هذا الكشف التام نظر دقيق جعلنا الله من أهله

(السؤال الخامس عشر و مائة) ما سبحات الوجه الجواب وجه الشيء ذاته و حقيقته فهي أنوار ذاتية بيننا و بينها حجب الأسماء الإلهية و لهذا قال كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ في أحد تأويلات هذا الوجه و هذه السبحات في العموم باللسان الشامل أنوار التنزيه و هو سلب ما لا يليق به عنه و هي أحكام عدمية فإن العدم على الحقيقة هو الذي لا يليق بالذات و هنا الحيرة فإنه عين الوجوه فإذا لا ينزه عن أمر وجودي و لهذا كانت الأسماء الإلهية نسبا إن تفطنت أحدثت هذه النسب أعيان الممكنات لما اكتسبت من الحالات من هذه الذات فكل حال تلفظ باسم يدل عليه من حيث نفسه إما بسلب أو إثبات أو بهما و هي هذه الأسماء على قسمين قسم كله أنوار و هي الأسماء التي تدل على أمور وجودية و قسم كله ظلم و هي الأسماء التي تدل على التنزيه فقال إن لله سبعين حجابا أو سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فإنه لو رفع الأسماء الإلهية ارتفعت هذه الحجب و لو ارتفعت الحجب التي هي هذه الأسماء ظهرت أحدية الذات و لا يقف لأحديتها عين تتصف بالوجود فكانت تذهب وجود أعيان الممكنات فلا توصف بالوجود لأنها لا تقبل الاتصاف بالوجود إلا بهذه الأسماء و لا تقبل الاتصاف بهذه الأحكام كلها عقلا و شرعا إلا بهذه الأسماء فالممكنات من خلف هذه الحجب مما يلي حضرة الإمكان فهو تجل ذاتي أورثها الاتصاف بالوجود من خلف حجاب الأسماء الإلهية فلم يتعلق لأعيان الممكنات علم بالله إلا من حيث هذه الأسماء عقلا و كشفا

(السؤال السادس عشر و مائة) ما شراب الحب الجواب تجل متوسط بين تجليين و هو التجلي الدائم الذي لا ينقطع و هو أعلى مقام يتجلى الحق فيه لعباده العارفين و أوله تجلى الذوق و أما التجلي الذي يقع به الري فهو لأصحاب الضيق فغاية شربهم رى و أما أهل السعة فلا رى لشربهم كأبي يزيد و أمثاله فأول ما أقدم في هذا السؤال معرفة الحب و حينئذ يعرف شرابه الذي أضيف إليه و كأسه فاعلم إن الحب على ثلاث مراتب حب طبيعي و هو حب العوام و غايته الاتحاد في الروح الحيواني فتكون روح كل واحد منهما روحا لصاحبه بطريق الالتذاذ و إثارة الشهوة و نهايته من الفعل النكاح فإن شهوة الحب تسري في جميع المزاج سريان الماء في الصوفة بل سريان اللون في المتلون و حب روحاني نفسي و غايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب و معرفة قدره و حب إلهي و هو حب الله للعبد

و حب العبد ربه كما قال يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و نهايته من الطرفين أن يشاهد العبد كونه مظهرا للحق و هو لذلك الحق الظاهر كالروح للجسم باطنه غيب فيه لا يدرك أبدا و لا يشهده إلا محب و أن يكون الحق مظهرا للعبد فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود و المقادير و الأعراض و يشاهد هذا العبد و حينئذ يكون محبوبا للحق و إذا كان الأمر كما قلناه فلا حد للحب يعرف به ذاتي و لكن يحد بالحدود الرسمية و اللفظية لا غير فمن حد الحب ما عرفه و من لم يذقه شربا ما عرفه و من قال رويت منه ما عرفه فالحب شرب بلا رى قال بعض المحجوبين شربت شربة فلم أضمأ بعدها أبدا فقال أبو يزيد الرجل من يحسي البحار و لسانه خارج على صدره من العطش و هذا هو الذي أشرنا إليه و اعلم أنه قد يكون الحب طبيعيا و المحبوب ليس من عالم الطبيعة و لا يكون الحب طبيعيا إلا إذا كان المحب من عالم الطبيعة لا بد من ذلك و ذلك أن الحب الطبيعي سببه نظرة أو سماع فيحدث في خيال الناظر مما رآه إن كان المحبوب ممن يدرك بالبصر و في خيال السامع مما سمع فحمله في نشأته فصوره في خياله بالقوة المصورة و قد يكون المحبوب ذا صورة طبيعية مطابقة لما تصور في الخيال أو دون ذلك أو فوق ذلك و قد لا يكون للمحبوب صورة و لا يجوز أن يقبل الصور فصور هذا المحب من السماع ما لا يمكن أن يتصور و لم يكن مقصود الطبيعة في تصوير ما لا يقبل الصورة إلا اجتماعها على أمر محصور ينضبط لها مخافة التبديد و التعلق بما ليس في اليد منه شيء فهذا هو الداعي لما ذكرناه من تصوير من ليس بصورة أو من تصوير من لم يشهد له صورة و إن كان ذا صورة و فعل الحب في هذه الصورة أن يعظم شخصها حتى يضيق محل الخيال عنها فيما يخيل إليه فتشمر تلك العظمة و الكبر التي في تلك الصورة نحو لا في بدن المحب فلهذا تنحل أجساد المحبين فإن مواد الغذاء تنصرف إليها فتعظم و تقل عن البدن فينحل فإن حرقة الشوق تحرقه فلا يبقى للبدن ما يتغذى به و في ذلك الاحتراق نمو صورة المحبوب في الخيال فإن ذلك أكلها ثم إن القوة المصورة تكسو تلك الصورة في الخيال حسنا فائقا و جمالا رائقا يتغير لذلك الحسن صورة المحب الظاهرة فيصفر لونه و تذبل شفته و تغور عينه ثم إن تلك القوة تكسو تلك الصورة قوة عظيمة تأخذها من قوة بدن المحب فيصبح المحب ضعيف القوي ترعد فرائصه ثم إن قوة الحب في المحب تجعله يحب لقاء محبوبه و يجبن عند لقائه لأنه لا يرى في نفسه قوة للقائه و لهذا يغشى على المحب إذا لقي المحبوب و يصعق و من فيه فضلة و حبه ناقص يعتريه عند لقاء محبوبه ارتعاد و خبلان كما قال بعضهم

أفكر ما أقول إذا افترقنا وأحكم دائبا حجج المقال

فأنساها إذا نحن التقينا وأنطق حين أنطق بالمحال

ثم إن قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه له لا عليه فالمحب جبان شجاع مقدام فلا يزال هذا حاله ما دامت تلك الصورة موجودة في خياله إلى أن يموت و ينحل نظامه أو تزول عن خياله فيسلو و من الحب الطبيعي أن تلتبس تلك الصورة في خياله فتلصق بصورة نفسه المتخيلة له و إذا تقاربت الصورتان في خياله تقاربا مفرطا و تلتصق به لصوق الهواء بالناظر يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره و يضيع و لا ينضبط له للقرب المفرط فيأخذه لذلك خبال و حيرة مثل ما يأخذ من فقد محبوبه و هذا هو الاشتياق و الشوق من البعد و الاشتياق من القرب المفرط كان قيس ليلى في هذا المقام حيث كان يصيح ليلى ليلى في كل ما يكلم به فإنه كان يتخيل أنه فقيد لها و لم يكن و إنما قرب الصورة المتخيلة أفرطت في القرب فلم يشاهدها فكان يطلبها طلب الفاقد ألا تراه حين جاءته من خارج فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة التي مسكها في خياله منها فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها فقال لها إليك عني فإن حبك شغلني عنك يريد أن تلك الصورة هي عين الحب فبقي يطلبها ليلى ليلى فإذا تقوت تلك الصورة في خيال المحب أثرت في المحبوب تأثير الخيال في الحس مثل الذي يتوهم السقوط فيسقط أو يتوهم أمرا ما مفزعا فيتغير له المزاج فتتغير صورة حسه كذلك هذه الصورة إذا تقوت أثرت في المحبوب فقيدته و صيرته أشد طلبا لها منها له فإن النفوس قد جبلت على حب الرئاسة و المحب عبد مملوك بحبه لهذا المحبوب فالمحبوب لا يكون له رياسة إلا بوجود هذا المحب فيعشقه على قدر عشقه رياسته و إنما يتيه عليه للطمأنينة الحاصلة في نفس المحبوب بأن المحب لا يصبر عنه و هو طالب إياه فتأخذه العزة ظاهرا و هو الطالب له باطنا و لا يرى في الوجود أحدا مثله لكونه ملكه فالمحب لا يعلل فعل المحبوب لأن التعليل من صفات العقل و لا عقل للمحب يقول بعضهم و لا خير في حب يدبر بالعقل و أنشدني أبو العباس المقراني و كان من المحبين لنفسه الحب أملك للنفوس من العقل و المحبوب يعلل أفعال المحب بأحسن التعليل لأنه ملكه فيريد أن يظهر شرفه و علوه حتى يعلو المحبوب إذ هو المالك و هو يحب الثناء على نفسه و هذا كله فعل الحب فعل في المحبوب ما ذكرناه و فعل في المحب ما ذكرناه و هذا من أعجب الأشياء أن المعنى أوجب حكمه لمن لم يقم به و هو المحبوب فإنه أثر فيه حب المحب كما أثر في المحب كمسألة المعتزلي إن الله مريد بإرادة لم تقم بمحل بل خلقها إما في محل أو في لا محل و أراد بها و هذا خلاف المعقول إيجاب المعاني أحكامها لمن لم تقم به و كذلك الحب لا يجتمع مع العقل في محل واحد فلا بد أن يكون حكم الحب يناقض حكم العقل فالعقل للنطق و التهيام للخرس ثم إنه من شأن الحب الطبيعي أن تكون الصورة التي حصلت في خيال المحب على مقدار المحل الحاصلة فيه بحيث لا يفضل عنها منه ما يقبل به شيئا أصلا و إن لم يكن كذلك فما هي صورة الحب و بهذا تخالف صورة الحب سائر الصور كما كانت صورة العالم على قدر الحضرة الإلهية الأسمائية فما في الحضرة الإلهية اسم إلهي إلا و هو على قدر أثره في نشء العالم

من غير زيادة و لا نقصان و لهذا كان إيجاد العالم عن حب و قد ورد ما يؤيد هذا في السنة و هو قوله كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني فأخبر أن الحب كان سبب إيجاد العالم فطابق الأسماء الإلهية و لو لا تعشق النفس بالجسم ما تألم عند مفارقته مع كونه ضدا له فجمع بين المقادير و الأحوال لوجود النسب و الأشكال فالنسب أصل في وجود الأنساب و إن كانت الأرواح تخالف الأشباح و المعاني تخالف الكلمات و الحروف و لكن تدل الكلمة على المعنى بحكم المطابقة بحيث لو تجسد المعنى لما زاد على كمية الكلمة و مثل هذا النوع يسمى حبا و أما الحب الروحاني فخارج عن هذا الحد و بعيد عن المقدار و الشكل و ذلك أن القوي الروحانية لها التفات نسبي فمتى عمت النسب في الالتفاتات بين المحب و المحبوب عن نظر أو سماع أو علم كان ذلك الحب فإن نقص و لم تستوف النسب لم يكن حبا و معنى النسب أن الأرواح التي من شأنها أن تهب و تعطي متوجهة على الأرواح التي من شأنها أن تأخذ و تمسك و تلك تتألم بعدم القبول و هذه تتألم بعدم الفيض و إن كان لا ينعدم إلا أن كونه لم تكمل شروط الاستعداد و الزمان سمي ذلك الروح القابل عدم فيض و ليس بصحيح فكل واحد من الروحين مستفرغ الطاقة في حب الآخر فمثل هذا الحب إذا تمكن من الحبيبين لم يشك المحب فرقة محبوبه لأنه ليس من عالم الأجسام و لا الأجساد فتقع المفارقة بين الشخصين أو يؤثر فيه القرب المفرط كما فعل في الحب الطبيعي فالمعاني لا تتقيد و لا تتحيز و لا يتخيلها إلا ناقص الفطرة فإنه يصور ما ليس بصورة و هذا هو حب العارفين الذين يمتازون به عن العوام أصحاب الاتحاد فهذا محب أشبه محبوبه في الافتقار لا في الحال و المقدار و لهذا يعرف المحب قدر المحبوب من حيث ما هو محبوب و أما الحب الإلهي فمن اسمه الجميل و النور فيتقدم النور إلى أعيان الممكنات فينفر عنها ظلمة نظرها إلى نفسها و إمكانها فيحدث لها بصرا هو بصره إذ لا يرى إلا به فيتجلى لتلك العين بالاسم الجميل فتتعشق به فيصير عين ذلك الممكن مظهرا له فيبطن العين من الممكن فيه و تفني عن نفسها فلا تعرف أنها محبة له سبحانه أو تفني عنه بنفسها مع كونها على هذه الحالة فلا تعرف أنها مظهر له سبحانه و تجد من نفسها أنها تحب نفسها فإن كل شيء مجبول على حب نفسه و ما ثم ظاهر إلا هو في عين الممكن فما أحب الله إلا الله و العبد لا يتصف بالحب إذ لا حكم له فيه فإنه ما أحبه منه سواه الظاهر فيه و هو الظاهر فلا تعرف أيضا أنها محبة له فتطلبه و تحب أن تحبه من حيث إنها ناظرة إلى نفسها بعينه فنفس حبها أن تحبه هو بعينه حبها له و لهذا يوصف هذا النور بأنه له أشعة أي أنه شعشعاني لامتداده من الحق إلى عين الممكن ليكون مظهرا له بنصب الهاء لا اسم فاعل فإذا جمع من هذه صفته بين المتضادات في وصفه فذلك هو صاحب الحب الإلهي فإنه يؤدي إلى الحاقة بالعدم عند نفسه كما هو في نفس الأمر فعلامة الحب الإلهي حب جميع الكائنات في كل حضرة معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة و لكل حضرة عين من اسمه النور تنظر بها إلى اسمه الجميل

فيكسوها ذلك النور حلة وجود فكل محب ما أحب سوى نفسه و لهذا وصف الحق نفسه بأنه يحب المظاهر و المظاهر عدم في عين و تعلق المحبة بما ظهر و هو الظاهر فيها فتلك النسبة بين الظاهر و المظاهر هي الحب و متعلق الحب إنما هو العدم فمتعلقها هنا الدوام و الدوام ما وقع فإنه لا نهاية له و ما لا نهاية له لا يتصف بالوقوع و لما كان الحب من صفات الحق حيث قال يُحِبُّهُمْ و من صفات الخلق حيث قال وَيُحِبُّونَهُ اتصف الحب بالعزة لنسبته إلى الحق و وصف الحق به و سرى في الخلق بتلك النسبة العزية فأورثت في المحل ذلة من الطرفين فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب فإن المحبوب قد يكون مملوكا للمحب مقهورا تحت سلطانه و مع هذا تجده يذل له المحب فعلمنا إن تلك عزة الحب لا عزة المحبوب قال أمير المؤمنين ها رون الرشيد في محبوباته

ملك الثلاث الآنسات عناني و حللن من قلبي بكل مكان

ما لي تطاوعني البرية كلها و أطيعهن و هن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى و به قوين أعز من سلطاني

فأضاف القوة إلى الهوى بقوله سلطان الهوى يقول الله في غير ما موضع من كتابه متلطفا بعباده يا عبادي اشتقت إليكم و أنا إليكم أشد شوقا و يخاطبهم بنزول من لطف خفي و هذا الخطاب كله لا يتمكن أن يكون منه إلا من كونه محبا و مثل ذلك يصدر من المحبين له تعالى فالمحب في حكم الحب لا في حكم المحبوب و من هي صفته عينه فعينه تحكم عليه لا أمر زائد فلا نقص غير أن أثره في المخلوقين التلاشي عند استحكامه لأنه يقبل التلاشي فلهذا يتنوع العالم في الصور فيكون في صورة فإذا أفرط فيها الحب من حيث لا يعلم و حصل التجلي من حيث لا يظهر تلاشت الصورة و ظهرت في العين صورة أخرى و هي أيضا مثل الأولى في الحكم راجعة إليه و لا يزال الأمر كذلك دائما لا ينقطع و من هنا غلط من يقول إن العالم لا بد له من التلاشي و من نهاية علم الله في العالم حيث وصف نفسه بالإحاطة في علمه بهم ثم إنه من كرمه سبحانه إن جعل هذه الحقيقة سارية في كل عين ممكن متصف بالوجود و قرن معها اللذة التي لا لذة فوقها فأحب العالم بعضه بعضا حب تقييد من حقيقة حب مطلق فقيل فلان أحب فلانا و فلان أحب أمرا ما و ليس إلا ظهور حق في عين ما أحب ظهور حق في عين أخرى كان ما كان فمحب الله لا ينكر على محب حب من أحب فإنه لا يرى محبا إلا الله في مظهر ما و من ليس له هذا الحب الإلهي فهو ينكر على من يحب ثم إنه ثم دقيقة من كون من قال إنه يستحيل أن يحب أحد الله تعالى فإن الحق لا يمكن أن يضاف إليه و لا إلى ما يكون منه نسبة عدم أصلا و الحب متعلقة العدم فلا حب يتعلق بالله من مخلوق لكن حب الله يتعلق بالمخلوق لأن المخلوق معدوم فالمخلوق محبوب لله أبدا دائما و ما دام الحب لا يتصور معه وجود المخلوق فالمخلوق لا يوجد أبدا

فأعطت هذه الحقيقة أن يكون المخلوق مظهرا للحق لا ظاهرا فمن أحب شخصا بالحب الإلهي فعلى هذا الحد يكون حبه إياه فلا يتقيد بالخيال و لا بجمال ما فإنها كلها موجودة له فلا يتعلق الحب بها فقد بان الفرقان بين المراتب الثلاثة في الحب و اعلم أن الخيال حق كله و التخيل منه حق و منه باطل

(السؤال السابع عشر و مائة) ما كأس الحب الجواب القلب من المحب لا عقله و لا حسه فإن القلب يتقلب من حال إلى حال كما إن الله الذي هو المحبوب كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فيتنوع المحب في تعلق حبه بتنوع المحبوب في أفعاله كالكأس الزجاجي الأبيض الصافي يتنوع بحسب تنوع المائع الحال فيه فلون المحب لون محبوبه و ليس هذا إلا للقلب فإن العقل من عالم التقييد و لهذا سمي عقلا من العقال و الحس فمعلوم بالضرورة أنه من عالم التقييد بخلاف القلب و ذلك أن الحب له أحكام كثيرة مختلفة متضادة فلا يقبلها إلا من في قوته الانقلاب معه فيها و ذلك لا يكون إلا للقلب و إذا أضفت مثل هذا إلى الحق فهو قوله أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ و إن الله لا يمل حتى تملوا و من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و الشرع كله أو أكثره في هذا الباب و شرابه عين الحاصل في الكأس و قد بينا أن الكأس هو عين المظهر و الشراب عين الظاهر فيه و الشرب ما يحصل من المتجلي للمتجلي له فاعلم ذلك على الاختصار انتهى الجزء التاسع و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثامن عشر و مائة) من أين الجواب من تجليه في اسمه الجميل قال صلى الله عليه و سلم إن الله جميل يحب الجمال و هو حديث ثابت فوصف نفسه بأنه يحب الجمال و هو يحب العالم فلا شيء أجمل من العالم و هو جميل و الجمال محبوب لذاته فالعالم كله محب لله و جمال صنعه سار في خلقه و العالم مظاهره فحب العالم بعضه بعضا هب من حب الله نفسه فإن الحب صفة الموجود و ما في الوجود إلا الله و الجلال و الجمال لله وصف ذاتي في نفسه و في صنعه و الهيبة التي هي من أثر الجمال و الأنس الذي هو من أثر الجلال نعتان للمخلوق لا للخالق و لا لما يوصف به و لا يهاب و لا يأنس إلا موجود و لا موجود إلا الله فالأثر عين الصفة و الصفة ليست مغايرة للموصوف في حال اتصافه بها بل هي عين الموصوف و إن عقلت ثانيا فلا محب و لا محبوب إلا الله عز و جل فما في الوجود إلا الحضرة الإلهية و هي ذاته و صفاته و أفعاله كما تقول كلام الله علمه و علمه ذاته فإنه يستحيل عليه أن يقوم بذاته أمر زائد أو عين زائدة ما هي ذاته تعطيها حكما لا يصح لها ذلك الحكم دونها مما يكون كمالا لها في ألوهيتها بل لا تصح الألوهة إلا بها و هو كونه عالما بكل شيء ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته و دل عليه الدليل العقلي و من المحال أن تكمل ذاته بغير ما هي ذاته فتكون مكتسبة الشرف بغيرها و من علمه بذاته علم العلماء بالله من الله ما لا تعلمه العقول من حيث أفكارها الصحيحة الدلالة و هذا العلم ما تقول

فيه الطبعة إنه وراء طور العقل قال تعالى في عبده خضر وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً و قال تعالى عَلَّمَهُ الْبَيانَ فأضاف التعليم إليه لا إلى الفكر فعلمنا إن ثم مقاما آخر فوق الفكر يعطي العبد العلم بأمور شتى منها ما يمكن أن يدركها من حيث الفكر و منها ما يجوزها الفكر و إن لم يحصل لذلك العقل من الفكر و منها ما يجوزها الفكر و إن كان يستحيل أن يعينها الفكر و منها ما يستحيل عند الفكر و يقبلها العقل من الفكر مستحيلة الوجود لا يمكن أن يكون له تحت دليل الإمكان فيعلمها هذا العقل من جانب الحق واقعة صحيحة غير مستحيلة و لا يزول عنها اسم الاستحالة و لا حكم الاستحالة عقلا قال صلى الله عليه و سلم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله هذا و هو من العلم الذي يكون تحت النطق فما ظنك بما عندهم من العلم مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق فما كل علم يدخل تحت العبارات و هي علوم الأذواق كلها فلا أعلم من العقل و لا أجهل من العقل فالعقل مستفيد أبدا فهو العالم الذي لا يعلم علمه و هو الجاهل الذي لا ينتهي جهله

(السؤال التاسع عشر و مائة) ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له الجواب إن أراد باللام الذي في لك و له الأجلية فجوابه مغاير لجوابه إذا كانت لا للاجلية إذ يكون المعنى ما شراب حبه إياك حتى يسكرك عن حبك إياه فجواب الوجه الأول و الثاني متغاير نقول تغاير التجليات إنما كان من حيث ظهوره فيك فوصف نفسه بالحب من أجلك فأسكرك هذا العلم الحاصل لك من هذا التجلي عن أن تكون أنت المحب له أي المحب من أجله فلم تحب أحدا من أجله و هو أحب من أجلك فلو زلت أنت لم يتصف هو بالمحبة و أنت لا تزول فوصفه بالحب لا يزول فهذا جواب يعم الأول و الثاني لفرقان بين ما يستحقه الأول منه و الثاني دقيق غامض و أما الجواب عن الثاني إن شراب حبه إياك و هو حبه إياك أن تحبه فإذا أحببته علمت حين شربت شراب حبه إياك أن حبك إياه عين حبه إياك و أسكرك عن حبك إياه مع إحساسك بأنك تحبه فلم تفرق و هو تجلى المعرفة فالمحب لا يكون عارفا أبدا و العارف لا يكون محبا أبدا فمن هاهنا يتميز المحب من العارف و المعرفة من المحبة فحبه لك مسكر عن حبك له و هو شراب الخمر الذي لو شربه رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء لغوت عامة الأمة و حبك له لا يسكرك عن حبه لك و هو شراب اللبن الذي شربه رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ليلة الإسراء فأصاب الله به الفطرة التي فطر الله الخلق عليها فاهتدت أمته في ذوقها و شربها و هو الحفظ الإلهي و العصمة و علمت ما لها و ما له في حال صحو و سكر فشراب حبه لك هو العلم بأن حبك إياه من حبه إياك فغيبك عن حبك إياه فأنت محب لا محب وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ الله رَمى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً مثل هذا البلاء في فنون من المقامات يظهر فيه كما ظهر في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم في رميه التراب في وجوه الأعداء فأثبت أنه رمى و نفى أنه رمى فعبر عنه الترمذي

بالسكر إذ كان السكران هو الذي لا يعقل فإن الترمذي كان مذهبه في في السكر مذهب أبي حنيفة و كان حنفي المذهب في الأصل قبل أن يعرف الشرع من الشارع و هو الصحيح في حد السكر و لكن من شيء يتقدم هذا السكران قبل سكره من شربه طرب و ابتهاج و هو الذي اتخذه غير أبي حنيفة في حد السكر و هو ليس بصحيح فكل مسكر بهذه المثابة فهو الذي يترتب عليه الحكم المشروع فإن سكر من شيء لا يتقدم سكره طرب لم يترتب عليه حكم الشرع لا بحد و لا بحكم

(السؤال العشرون و مائة) ما القبضة الجواب قال الله تعالى وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ و الأرواح تابعة للأجسام ليست الأجسام تابعة للأرواح فإذا قبض على الأجسام فقد قبض على الأرواح فإنها هياكلها فأخبر أن الكل في قبضته و كل جسم أرض لروحه و ما ثم إلا جسم و روح غير أن الأجسام على قسمين عنصرية و نورية و هي أيضا طبيعية فربط الله وجود الأرواح بوجود الأجسام و بقاء الأجسام ببقاء الأرواح و قبض عليها ليستخرج ما فيها ليعود بذلك عليها فإنه منها يغذيها و منها يخرج ما فيها مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ من سُلالَةٍ من طِينٍ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ من ماءٍ مَهِينٍ وَهِيَ دُخانٌ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فهي من العناصر فهي أجسام عنصريات و إن كانت فوق الأركان بالمكان فالأركان فوقهن بالمكانة وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ فيقبض منها ما يبسطها بها فلا يعطيها شيئا من ذاته فإنها لا تقبله فلا وجود لها إلا بها فالممكنات إنما أقامها الحق من إمكانها فقيامها منها بها و الحق واسطة في ذلك مؤلف راتق فاتق كانتا رتقا لأنه كذا أوجدها بإمكانها ففتقناهما بإمكانهما لو لم يكن الفتق ممكنا لما قام بهما فما أثر في الممكنات إلا الممكنات لكن العمي غلب على أكثر الخلق الذين يَعْلَمُونَ ظاهِراً من الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ ألا ترى ما هو محال لنفسه هل يقبل شيئا مما يقبله الممكن فبنفسه تمكن منه الواجب الوجود بالإيجاد فأوجده و هذه هي الإعانة الذاتية ألا ترى الحجر إذا رميت به علوا فيقال إن حركته نحو العلو قهرية لأن طبيعته النزول إما إلى الأعظم و إما إلى المركز فلو لا أن طبيعته تقبل الصعود علوا بالقهر لما صعد فما صعد إلا بطبعه أيضا مع سبب آخر عارض ساعده الطبع بالقبول لما أراد منه فالقبضة على الحقيقة قوله إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و من أحاط بك فقد قبض عليك لأنه ليس لك منفذ مع وجود الإحاطة و إلا فليست إحاطة و ما هو محيط و صورة ذلك أنه ما من موجود سوى الله من الممكنات إلا و هو مرتبط بنسبة إلهية و حقيقة ربانية تسمى أسماء حسني فكل ممكن في قبضة حقيقة إلهية فالكل في القبضة و اعلم أن القبضة تحتوي على المقبوض بأربعة عشر فصلا و خمسة أصول عن هذه الأربعة عشر فصلا ظهر نصف دائرة الفلك و هي أربع عشرة منزلة و في الغيب مثلها و هذه الفصول تحوي جميع الحروف إلا حرف الجيم فإنها تبرأت منه دون سائر الحروف و ما علمنا لما ذا و ما أدري هل هو مما يجوز أن يعلم أم لا فإن الله تعالى ما نفث في روعنا

شيئا و لا رأيته لغيرنا و لا ورد في النبوات فرحم الله عبدا وقف عليه فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا و ينسب ذلك إليه لا إلي فتحصل الفائدة بطريق الصدق حتى لا يتخيل الناظر فيه أن ذلك مما وقع لي بعد هذا فإن فتح علي به حينئذ أذكره أنه لي فإن الصدق في هذا الطريق أصل قاطع لا بد منه و لا حظ له في الكذب و هذه الخمسة الأصول متفاضلة في الدرجات فأعلاها و أعمها هو العلم و هو الأصل الوسط و عن يمينه أصلان الحياة و القدرة و عن يساره أصلان الإرادة و القول و كل أصل فله ثلاثة فصول إلا أصل القدرة فإن له فصلين خاصة و إنما سقط عنه الفصل الثالث لأن اقتداره محجور غير مطلق و هو قول العلماء و ما لم يشأ أن يكون أن لو شاء أن يكون لكان كيف يكون فعلق كونه بلو فامتنع عن نفوذ الاقتدار عليه لسبب آخر فلم يكن له النفوذ و هذا موضع إبهام لا يفتح أبدا و من هنا وجد في العالم الأمور المبهمة لأنه ما من شيء في العالم إلا و أصله من حقيقة إلهية و لهذا وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلي على تنزيهه عن ذلك فما يقبله إلا بطريق الايمان و التسليم و من زاد فبالتأويل على الوجه اللائق في النظر العقلي و أهل الكشف أصحاب القوة الإلهية التي وراء طور العقل يعرف ذلك كما تفهمه العامة و يعلم ما سبب قبوله لهذا الوصف مع نزاهته بليس كمثله شيء و هذا خارج عن مدارك العقول بأفكارها فالعامة في مقام التشبيه و هؤلاء في التشبيه و التنزيه و العقلاء في التنزيه خاصة فجمع الله لأهل خاصته بين الطرفين فمن لم يعرف القبضة هكذا فما قدر الله حق قدره فإنه إن لم يقل العبد إن الله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فما قدر الله حق قدره و إن لم يقل إن خلق آدم بيده فما قدر الله حق قدره و أين الانقسام من عدم الانقسام و أين المركب من البسيط فالكون يغاير مركبه بسيطه و عدده توحيده و أحديته و الحق عين تركيبه عين بسيطه عين أحديته عين كثرته من غير مغايرة و لا اختلاف نسب و إن اختلفت الآثار فعن عين واحدة و هذا لا يصح إلا في الحق تعالى و لكن إذا نسبنا نحن بالعبارة فلا بد أن نغاير كان كذا من نسبة كذا و كذا من نسبة كذا لا بد من ذلك للافهام

(السؤال الحادي و العشرون و مائة) من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها الجواب الشاردون إلى ذواتهم من مرتبة الوجوب و مرتبة المحال إذ لا يقبض إلا على شارد فإنه لو لم يشرد لما قبض عليه فالقبض لا يكون إلا عن شرود أو توقع شرود فحكم الشرود حكم عليه بالقبض فيه استوجبوا أن يقبض عليهم فمنهم من قبض عليه مرتبة الوجوب و منهم من قبض عليه مرتبة المحال و هنا غور بعيد و الإشارة إلى بعض بيانه إن كل ممكن لم يتعلق العلم الإلهي بإيجاده لا يمكن أن يوجد فهو محال الوجود فحكم على الممكن المحال و ألحقه به فكان في قبضة المحال و ما تعلق العلم الإلهي بإيجاده فلا بد أن يوجد فهو واجب الوجود فحكم على الممكن الوجوب فكان في قبضة الواجب و ليس له حكم بالنظر إلى نفسه فما خرج الممكن من أن يكون مقبوضا عليه إما في قبضة المحال و إما في قبضة الواجب و لم يبق

له في نفسه مرتبة يكون عليها خارجة عن هذين المقامين فلا إمكان فأما محال و إما واجب و إما الغور البعيد فإن جماعة قالوا و ذهبوا إلى أنه ليس في الإمكان شيء إلا و لا بد أن يوجد إلى ما لا يتناهى فما ثم ممكن في قبضة المحال و لا شك أنهم غلطوا في ذلك من الوجه الظاهر و أصابوا من وجه آخر فأما غلطهم فما من حالة من الأكوان في عين ما تقتضي الوجود فتوجد إلا و يجوز ضدها على تلك العين كحالة القيام للجسم مع جواز القعود لا نفي القيام و من المحال وجود القعود في الجسم القائم في حال قيامه و زمان قيامه فصار وجود هذا القعود بلا شك في قبضة المحال لا يتصف بالوجود أبدا من حيث هذه النسبة لهذا الجسم الخاص و هو قعود خاص و أما مطلق القعود فإنه في قبضة الواجب فإنه واقع و أما وجه الإصابة فإن متعلق الإمكان إنما هو في الظاهر في المظاهر و المظاهر محال ظهورها و واجب الظهور فيها و الظاهر لا يجوز عليه خلافه فإنه ليس بمحل لخلافه و إنما المظهر هو المحل و قد قبل ما ظهر فيه و لا يقبل غيره فإذا وجد غيره فذلك ظهور آخر و مظهر آخر فإن كل مظهر لظاهر لا ينفك عنه بعد ظهوره فيه فلا يبقى في الإمكان شيء إلا و يظهر إلى ما لا يتناهى فإن الممكنات غير متناهية و هذا غور بعيد التصور لا يقبل إلا بالتسليم أو تدقيق النظر جدا فإنه سريع التفلت من الخاطر لا يقدر على إمساكه إلا من ذاقه و العبارة تتعذر فيه

(السؤال الثاني و العشرون و مائة) ما صنيعه بهم في القبضة الجواب المحض و هو ما هم عليه فهو يرفع و يخفض و يبسط و يقبض و يكشف و يستر و يخفى و يظهر و يوقع التحريش و يؤلف و ينفر و صنيعه العام بهم التغيير في الأحوال فإنه صنع ذاتي إذ لو لم يغير لتعطل كونه إلها و كونه إلها نعت ذاتي له فتغيير الصنع في الممكنات واجب لا ينفك كما أنهم في القبضة دائما

(السؤال الثالث و العشرون و مائة) كم نظرته إلى الأولياء في كل يوم

الجواب بعدد ما يغير عليهم الحال من حيث هو متوليهم لا غير و ينحصر ذلك في مائة مرة من غير زيادة و لا نقصان و لكن ما دام الولي مظروفا لليوم و أما نظره للأولياء إذ أخرجوا من الأوقات فنظر دائم لا توقيت فيه و لا يقبل التوقيت فإنه لا يدخل تحت العدد و لا المغايرة و لا التمييز فإذا دخلوا أو كان حالهم الزمان فمائة مرة و كل مرة يحصل لهم في تلك النظرة ما لا يحده توقت فهو عطاء إلهي من غير حساب و لا هنداز

(السؤال الرابع و العشرون و مائة) إلى ما ذا ينظر منهم الجواب إلى أسرارهم لا إلى ظواهرهم فإن ظواهرهم يجريها سبحانه بحسب الأوقات و سرائرهم ناظرة إلى عين واحدة فإن أعرضوا أو أطرفوا نقصهم في ذلك الإعراض أو تلك الطرفة ما تقتضيه النظرة و هو أكثر مما نالوه من حين أوجدهم إلى حين ذلك الأعراض قال بعض السادة فيما حكاه القشيري في رسالته لو أن شخصا أقبل على الله طول

عمره ثم أعرض عنه لحظة واحدة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في عمره و ذلك أن الشيء في المزيد و أن المتأخر يتضمن ما تقدمه و زيادة ما تعطيه عينه من حيث ما هو جامع فيرى ما تقدم في حكم الجمع و هو يخالف حكم انفراده و حكم جمعه دون هذا الجمع الخاص و من حيث ما تختص به هذه اللحظة من حيث ما هي لنفسها لا من حيث كونها حضرة جمع لما تقدمها فبالضرورة يفوته هذا الخير فما أشأم الإعراض عن الله و في هذا يتبين لك شرف العلم فإن العلم هو الذي يفوتك و العلم هو الذي تستفيده قال تعالى آمرا لنبيه عليه الصلاة و السلام وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإنه أشرف الصفات و أنزه السمات

(السؤال الخامس و العشرون و مائة) إلى ما ذا ينظر من الأنبياء عليهم السلام الجواب إن أراد العلم فإلى أسرارهم و إن أراد الوحي فإلى قلوبهم و إن أراد الابتلاء فإلى نفوسهم إلا أن نظره سبحانه على قسمين نظر بواسطة و هو قوله نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و نظر بلا واسطة و هو قوله تعالى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحي اذا نظر إلى أسرارهم أعطاهم من العلم به ما شاء لا غير و هو أن يكشف لهم عنهم أنهم به لا بهم فيرونه فيهم و لا يرونهم فيعلمون ما أُخْفِيَ لَهُمْ فيهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ فتقر عيونهم بما شاهدوه وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ بهم في كل نظرة و هو مزيد العلم الذي أمر يطلبه لا علم التكليف فإن النقص منه هو مطلوب الأنبياء عليهم السلام و لهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول اتركوني ما تركتكم و قوله لو قلت نعم لوجبت و ما كنتم تطيقونها و إذا نظر إلى قلوبهم قلب الوحي فيهم بحسب ما تقلبوا فيه فلكل حال يتقلبون فيه حكم شرعي يدعو إليه هذا النبي و سكوته عن الدعوة شرع أي أبقوا على أصولكم و هذا هو الوحي العرضي الذي عرض لهم فإن الوحي الذاتي الذي تقتضيه ذواتهم هو أنهم يسبحون بحمد الله لا يحتاجون في ذلك إلى تكليف بل هو لهم مثل النفس للمتنفس و ذلك لكل عين على الانفراد و الوحي العرضي هو لعين المجموع و هو الذي يجب تارة و لا يجب تارة و يكون لعين دون عين و هو على نوعين نوع يكون بدليل أنه من الله و هو شرع الأنبياء و منه ما لا دليل عليه و هو الناموس الوضعي الذي تقتضيه الحكمة يلقيه الحق تعالى من اسمه الباطن الحكيم في قلوب حكماء الوقت من حيث لا يشعرون و يضيفون ذلك الإلقاء إلى نظرهم لا يعلمون أنه من عند الله على التعيين لكنهم يرون أن الأصل من عند الله فيشرعونه لمتبعيهم من أهل زمانهم إذ لم يكن فيهم نبي مدلول على نبوته فإن هم قاموا بحدود ذلك الناموس و وقفوا عنده و رعوه جازاهم الله على ذلك بحسب ما عاملوه به في الدنيا و الآخرة جزاء الشرع المقرر المدلول عليه فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فيما ابتدعوه من الرهبانية و من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها و إن الله يصدق قول واضع الناموس الحكمي كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي فأما جزاؤه في الدنيا فلا شك و لا خفاء بوقوع المصلحة و وجودها في الأهل و المال و العرض و أما الآخرة

فعلى هذا المجرى و إن لم يتعرض إليها صاحب الناموس الحكمي كما أنه في ناموس الحكم الإلهي أن في الآخرة لنا ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و يحصل لنا من غير تقدم علم به كذلك الحاصل في الآخرة جزاء لعمل الناموس الذي اقتضته الحكمة عند من ابتدعه للمصلحة فإن قال في ناموسه قال الله و يكون ممن قد علم أنه مظهر و أن لا موجود على الحقيقة إلا الله صدق و عفا الله عنه و إن كان من أهل الحجاب عن هذا العلم فأمره إلى الله و هو بحسب قصده في ذلك فإنه قد يقصد الرئاسة و تكون المصلحة في حكم التبع و قد يقصد المصلحة و تكون الرئاسة تبعا و هذا الكلام لا يتصور إلا مع عدم الشرع المقرر بالدليل في تلك الجماعة و ذلك المكان خاصة و إذا نظر إلى نفوسهم ابتلاهم بمخالفة أممهم فاختلفوا عليه و اختلفوا فيما بينهم و إن اجتمعوا عليه و هذا كله إذا اتفق أن ينظر النبي إلى نفسه و لا بد له من النظر إلى نفسه فإن الجلوس مع الله لا تقتضي البشرية دوامه و إذا لم يدم فما ثم إلا النفس فيكون نظره في هذا الحال نظر ابتلاء لأن النبي في تلك الحالة صاحب دعوى إنه قد بلغ رسالة ربه و كذا ورد ما من نبي إلا و قد قال فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ به إِلَيْكُمْ و قال ألا هل بلغت فأضاف التبليغ إليه و لم يقل في هذه الحال قد بلغ الله إليكم بلساني ما قد أسمعكم فلو قال هذا ما ابتلوا ببلاء النفوس و في هذا لله حكم خفي ليعلم العبد أنه محل للتوفيق و نقيضه و أنه لا حول و لا قوة إلا بالله على ما أمر به و نهي عنه فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

(السؤال السادس و العشرون و مائة) كم إقباله على خاصته في كل يوم الجواب أربعة و عشرون ألف إقبال في كل يوم يهبهم في ذلك الإقبال ما شاء و يأخذ منهم في الإقبال الثاني ما كان أعطاهم في الإقبال الأول إما أخذ قبول و إما أخذ رد غير مقبول فإن الله قد أمرهم بالأدب في كل ما يلقي إليهم عند أخذهم و كذلك إذا ردوا الأمور إليه يردونها محلاة بالأدب الإلهي فذلك داعية القبول الإلهي فإن أساءوا الأدب في الأخذ و الرد عاد وبال ذلك عليهم و ليسوا عند ذلك بخاصة الله فالخاصة تحضر مع الله أربعة و عشرين ألف مرة في كل يوم و إن أردت التحرير في المقال إن لم يكن عندك علم و تخرج من العهدة فقل إقباله على خاصته كل يوم بعدد أنفاسهم كانت ما كانت فمن اطلع على توقيت أنفاسه علم توقيت إقبال الله عليه في كل يوم فإن ذلك النفس من نفس الرحمن فهو عين إقبال الحق عليهم و به تنورت هياكلهم فهو في الأجسام ريح و في اللطائف أرواح جمع روح بفتح الراء و تسكين الواو سكونا حيا

(السؤال السابع و العشرون و مائة) ما المعية مع الخلق و الأصفياء و الأنبياء و الخاصة و التفاوت و الفرق بينهم في ذلك

الجواب قال الله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فالأينية إلينا و قال لموسى و هارون إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى فنبههما على أنه سمعهما و بصرهما تذكرة لهما أو أعلاما لم يتقدمه علم به عندهما فإنه قد صح عندنا في الخبر أن العبد إذا أحبه ربه كان سمعه و بصره الذي

يسمع به و يبصر به فالنبي أولى بهذا ممن ليس بنبي و طبقات الأولياء كثيرة و لكن ما ذكر منها إلا ما قلناه فلا نتعدى بالجواب قدر ما سأل فنقول إن المعية تقتضي المناسبة فلا نأخذ من الحق إلا الوجه المناسب لا الوجه الذي يرفع المناسبة ثم إننا أردنا أن نعمم الجواب بتعميم قوله تعالى أَيْنَ ما كُنْتُمْ من الأحوال و لا يخلو موجود عن حال بل ما تخلو عين موجودة و لا معدومة أن تكون على حال وجودي أو عدمي في حال وجودها أو عدمها و لهذا قال تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فإن قلت قوله كنتم لفظة معناها وجودي فالمعنى أينما كنتم من الوجود فنقول صحيح و لكن من أي الوجوه من الوجود من حيث العلم بكم و ما ثم إلا هو أو من حيث الوجود الذي يتصف به عين الممكنات من حيث ما هي مظاهر فحالة منها توصف العين الممكنة بها بالعدم و لهذا نقول كان هذا معدوما و وجد و الكون يناقض العدم مع صحة هذا القول فيعلم عند ذلك أن قوله تعالى أَيْنَ ما كُنْتُمْ أي على أي حالة تكونون من الوصف بالعدم أو الوجود ثم نقول إنه مع الخلق بإعطاء كل شيء خلقا من كونهم خلقا لا غير فينجر معه إنه معهم بكل ما تطلبه ذواتهم من لوازمها و معيته مع الأصفياء بما يعطيه الصفاء من التجلي فإنهم قد وصفهم و أنهم أصفياء فما هو معهم بالصفاء و الاصطفاء و إنما هو معهم بما يطلبه الاصطفاء و قدم الخلق فإنه مقدم بالرتبة فإن الاصطفاء لا يكون إلا بعد الخلق بل هم من الخلق عند الحق بمنزلة الصفي الذي يأخذه الإمام من المغنم قبل القسمة فذلك هو نصيب الحق من الخلق و ما بقي فله و لهم و أما معيته مع الأنبياء فبتأييد الدعوى لا بالحفظ و العصمة إلا أن أخبر بذلك في حق نبي معين فإن الله قد عرفنا إن الأنبياء قتلتهم أممهم و ما عصموا و لا حفظوا فلا بد أن يكون ظرف المعية التأييد في الدعوى لإقامة الحجة على الأمم فإنه قال فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و لا يكون نبيا حتى يقدمه الاصطفاء فلهذا أخر النبوة عن الاصطفاء فإنه ما كل خلق مصطفى و ما كل مصطفى نبي و معيته مع الخاصة بالمحادثة برفع الوسائط بعد تبليغ ما أمر بتبليغه مثل قوله وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ من أيام التبليغ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً أي يرجع إليك الرجوع الخاص الذي يربي على مقام التبليغ فيجتمع هذا كله في الرسول و هو شخص واحد و في كل مقام أشخاص فيكون الشخص الواحد خلقا مصطفى نبيا خاصا و أما معية الذات فلا تنقال فإن الذات مجهولة فلا تعلم نسبة المعية إليها فهو مع الخلق بالعلم و اللطف و مع الأصفياء بالتولي و مع الأنبياء بالتأييد و مع الخاصة بالمباسطة و الأنس

(السؤال الثامن و العشرون و مائة) ما ذكره الذي يقول وَ لَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ الجواب ذكره نفسه لنفسه بنفسه أكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه اعلم أن الله ما قال هذا الذكر و وصفه بهذه الصفة من الكبرياء إلا في قوله تعالى إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ أبناء عن حقيقة لأجل ما فيها من الإحرام و هو المنع من التصرف في شيء مما يغاير كون فاعله مصليا فهي تنهى عن الفحشاء و المنكر و لا تنهى

عن غيرها من الطاعات فيها مما لا يخرجك فعله عن أن تكون مصليا شرعا فيكون قوله وَلَذِكْرُ اللهِ فيها أكبر أعمالها و أكبر أحوالها إذ الصلاة تشتمل على أقوال و أفعال فتحريك اللسان بالذكر من المصلي من جملة أفعال الصلاة و القول المسموع من هذا التحريك هو من أقوال الصلاة و ليس في أقوالها شيء يخرج عن ذكر الله في حال قيام و ركوع و رفع و خفض إلا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسأله أن يعطيكها مثل اهدني و ارزقني و لكن هو ذكر شرعا لله فإن الله سمي القرآن ذكرا و فيه أسماء الشياطين و المغضوب عليهم و المتلفظ به يسمى ذكر الله فإنه كلام الله فذكرتهم بذكر الله و هذا مما يؤيد قول من قال ليس في الوجود إلا الله فالأذكار أذكار الله ثم إن قوله تعالى وَلَذِكْرُ اللهِ هذه الإضافة تكون من كونه ذاكرا و من كونه مذكورا فهو أكبر الذاكرين و هو أكبر المذكورين و ذكره أكبر الأذكار التي تظهر في المظاهر فالذكر و إن لم يخرج عنه فإن الله قد جعل بعضه أكبر من بعض ثم يتوجه فيه قصد آخر من أجل الاسم الله فيقول وَلَذِكْرُ اللهِ بهذا الاسم الذي ينعت و لا ينعت به و يتضمن جميع الأسماء الحسنى و لا يتضمنه شيء في حكم الدلالة أَكْبَرُ من كل اسم تذكره به سبحانه من رحيم و غفور و رب و شكور و غير ذلك فإنه لا يعطي في الدلالة ما يعطي الاسم الله لوجود الاشتراك في جميع الأسماء كلها هذا إذا أخذنا أكبر بطريق أفعل من كذا فإن لم نأخذها على أفعل من كذا فيكون إخبارا عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأي اسم ذكر و هو أولى بالجناب الإلهي و إن كانت الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ فإنه كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله من فرقان و توراة و زبور و إنجيل و صحيفة عند كل عارف بذلك اللسان فإنه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأول لعلمه الإحاطي سبحانه بجميع الوجوه و بقي عليه في ذلك الكلام من حيث ما يعلمه هو فكل متاول مصيب قصد الحق بتلك الكلمة هذا هو الحق الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ على قلب من اصطفاه الله به من عباده فلا سبيل إلى تخطئة عالم في تأويل يحتمله اللفظ فإن مخطئه في غاية من القصور في العلم و لكن لا يلزمه القول به و لا العمل بذلك التأويل إلا في حق ذلك المتأول خاصة و من قلده

(السؤال التاسع و العشرون و مائة) قوله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ما هذا الذكر الجواب هذا ذكر الجزاء الوفاق قال تعالى جَزاءً وِفاقاً فذكر الله في هذا الموطن هو المصلي عن سابق ذكر العبد قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ أي يؤخر ذكره عن ذكركم فلا يذكركم حتى تذكروه و لا تذكرونه حتى يوفقكم و يلهمكم ذكره فيذكركم بذكره إياكم فتذكروه به أو بكم فيذكركم بكم و به بالواو لا بأو فإن له الذكرين معا و قد يكون لبعض العلماء الذكران معا و قد يكون الذكر الواحد دون الآخر في حق بعض الناس و تختلف أحوال الذاكرين منا فمنا من يذكره في نفسه و هم على طبقات طبقة تذكره في نفسها و الضمير من النفس يعود على الله من حيث الهو و شخص يذكره في نفسه و

الضمير يعود على الشخص و شخص يذكره في نفسه و الضمير يعود على الله من حيث ما هو خالقها لا من حيث ما هي نفسه من كونها ظاهرة في مظهر خاص فإذا ذكره كل شخص من هؤلاء إما بوجه واحد من هذه الوجوه أو بكل الوجوه فإن الله يذكره في نفسه و قد يكون قوله ذكرته في نفسي عين ذكر هذا العبد ربه في نفسه من حيث ما هوالضمير يعود على الله من نفسه من حيث ما هي نفسه عينا لا من حيث ما هي نفسه خلقا فيكون عين ذكر العبد هو عين ذكر الحق كما قلنا في قوله وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ و هو عين مكرهم عين مكر الله بهم لا أنه استأنف مكرا آخر و يؤيده أيضا بقوله ذكرته في نفسي يريد نفس العبد مضافة إلى الله من حيث ما هي ملك له خلقا و إيجادا و يريد أيضا ذكرته في نفسي نفس الحق لا من حيث الوجه الذي ذكره به العبد من حيث نفسه نفس الحق و هو الوجه الأول فهذه أحوال ذكر النفس بالجزاء الوفاق في كل وجه و الحالة الثانية أن يذكره في ملأ فيذكره الله في ملأ خير من ذلك الملإ و قد يكون عين ذلك الملإ و تكون الخيرية بالحال فحال ذلك الملإ في ذكر هذا العبد لله دون حال ذلك الملإ في ذكر الله فيهم لهذا العبد فهو في هذه الحال خير منه في حال ذكر العبد و الملأ واحد كما تتشرف الجماعة بالملك إذا كان فيها على شرفها إذا لم يكن الملك فيها و عين الجماعة واحدة فهي خير منها و لكن بشرط أن يكون كل واحد من ذلك الملإ حاله الكشف إن الله قد ذكر هذا العبد فيهم و هم يسمعون ذكر الله إياه كما سمعوا ذكر هذا العبد ربه فحينئذ يكون الشرف في الملإ الواحد يتفاضل و الوجه الآخر أن يكون الملأ مغايرا لذلك الملإ فيكون خيره على هذا الملإ إما بكون الحق أسمعهم ذكره عبده و هو فيهم أو يكون خيره لأمر آخر تقتضيه مرتبته عند الله إما نشأة أو حالا أو علما و هذه أمور إن تأملتها انفتح لك منها علوم جمة من العلم الإلهي وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الثلاثون و مائة) ما معنى الاسم الجواب أمر يحدث عن الأثر أو أمر يكون عنه الأثر أو منه ما يكون عنه الأثر و منه ما يحدث عن الأثر إذا لم ترد به المسمى فإن أردت به المسمى فمعناه المسمى كان ما كان مركبا تركيبا معنويا أو حسيا أو غير مركب معنويا أو حسيا كلفظة رحيم أي ذات راحمة فالمسمى بهذه التسمية هي عين تلك النسبة الجامعة بين ذات و رحمة حتى جعل عليها من هذه النسبة اسم فاعل و إن كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات فليست بمركبة تركيبا معنويا فقد تكون هذه الذات مفردة معنى و في نفسها و قد تكون مركبة حسا مثل إنسان تحته مركب حسي و معنوي و الاسم و الرسم عند بعض أصحابنا نعتان يجريان في الأبد على حكم ما كان عليه أزلا و فرق بين الاسم و الرسم و سيأتي ذكرهما في شرح معاني ألفاظ أهل الله من هذا الباب فإنه يطلبها

(السؤال الحادي و الثلاثون و مائة) ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الأسماء

الجواب الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع و فيه الْحَيُّ الْقَيُّومُ و لا بد فإن قلت فهو الاسم الله قلت لا أدري فإنه يفعل بالخاصية و هذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كان صفة للمتلفظ بها بخلاف ذلك الاسم و لكن الظاهر من مذهب الترمذي أن رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير و هو الكامل و إذا كان هذا فهو الأولى في طريق القوم أن يشرح به رأس الأسماء فإن آدم علمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقا فتجلى له تجليا كليا فما بقي اسم في الحضرة الإلهية الأظهر له فيه فعلم من ذاته جميع أسماء خالقه

(السؤال الثاني و الثلاثون و مائة) ما الاسم الذي أبهم على الخلق الأعلى خاصته الجواب هذا الاسم الذي استوجب منه جميع الأسماء و إن شئت قلت هو اسم مركب من عشرين و ثلاثين بينهما أحد و أربعون حسا و معنى و قد يتركب حسا لا معنى من ثمانية و ثمانين و مائتين و ستة عددا فإذا جمعتها على وجه مخصوص من غير إسقاط الستة كان اسما مركبا و إن أسقطت الستة كان اسما غير مركب و لا ينبغي أن يوضح في العامة ما أبهمه الحق على خلقه و خص به خاصته فإن هذا من غاية سوء الأدب و ما أظن الترمذي قصد بهذا السؤال طلب الشرح و الإيضاح لمعناه و إنما قصد اختبار المسئول أنه إن كان من أهل الله لا يوضحه فإن أوضحه فيكون قد تلقاه من أحد غلطا ممن تلقاه منه لقرينة حال و ذكاء فيه و أما أهل الله فعندهم من الأدب الإلهي ما يمنعهم أن يستروا ما كشف الله أو يكشفوا ما ستره الله

(السؤال الثالث و الثلاثون و مائة) بما نال صاحب سليمان عليه السلام ذلك و طوى عن سليمان عليه السلام الجواب بجمعيته و تلمذته ليعرف الشيخ بما حصل عنده و بسببه و طوى عن سليمان بوجوده في محل التبديد في الوقت فإن الحكم للوقت و وقته أنه رسول فهو صاحب وجود مصروف العين إلى من أرسل إليه و صاحبه في جمعيته على أمر واحد متحقق بها فظهر بما طوى عن سليمان العمل به تعظيما لقدر سليمان عليه السلام عند أهل بلقيس و سائر أصحابه و ما طوى عن سليمان العلم به و إنما طوى عنه الأذن في التصرف به تنزيها لمقامه

(السؤال الرابع و الثلاثون و مائة) ما سبب ذلك الجواب إعلام الغير بأن التلميذ التابع إذا كان أمره بهذه المثابة فما ظنك بالشيخ فيبقى قدر الشيخ مجهولا في غاية التعظيم فلو ظهر على سليمان لتوهم إن هذا غايته و لا شك أن مشهد سليمان في ذلك الوقت و الله أعلم كان مشهد أدب لا يريد أن يكون عنه شرك في التصرف كما قال أبو السعود أعطيت التصرف و تركته تظرفا في حكاية طويلة و الغرض للنبي إنما هو الدلالة و ظهورها على يد صاحبه أتم في حقه إذ كان هذا التابع مصدقا به و قائما في خدمته بين يديه تحت أمره و نهيه فيزيد

المطلوب رغبة في هذا الرسول إذا رأى بركته قد عادت على تابعيه فيرجو هذا الداخل أن يكون له بالدخول في أمره ما كان لهذا التابع و النفس مجبولة على الطمع و حب الرئاسة و التقدم

(السؤال الخامس و الثلاثون و مائة) ما ذا أطلع من الاسم على حروفه أو معناه الجواب على حروفه دون معناه فإنه لو وقف على معناه لمنعه العمل به كما منع سليمان أ لا ترى إلى قوله تعالى في صاحب موسى فَانْسَلَخَ مِنْها فكانت عليه كالثوب و هو مثل الحرف على المعنى فعمل بها في غير طاعة الله فأشقاه الله و صاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد و ما وقف على معناه من الأمم الخالية سوى الرسل و الأنبياء فإنهم وقفوا على معناه و حروفه إلا هذه الطائفة المحمدية فإنهم جمع لبعضهم بين حروفه و معناه و لبعضهم أعطى معناه دون حروفه و ليس في هذه الأمة من أعطى حروفه دون معناه و كذلك صاحب الأخدود أعطى حروفه دون معناه فإنه تلقاه من الراهب كلمات كما ورد و هي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني و الثلاثين و مائة

(السؤال السادس و الثلاثون و مائة) أين باب هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه الجواب بالمغرب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة و عليه تطلع الشمس من المغرب عند ما يسد باب التوبة و يغلق ف لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها و لا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان و المؤمن لا يغلق له باب و كيف يغلق دونه و قد جازه و تركه وراءه فمن عناية المؤمن غلقه حتى لا يخرج عليه بعد ما دخل منه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك فإنه ليس له باب يخرج منه فغلق باب التوبة رحمة بالمؤمن و وبالا بالكافر و جعله الله بالمغرب لأنه محل الأسرار و الكتم و هو سر لا يعلمه إلا أهل الاختصاص فلو كان هذا الباب بالشرق لكان ظاهرا عند العام و الخاص و وقع به الفساد في العموم و هذا يناقض ما وجد له العالم من الصلاح و قد جاء في جانب الشرق من الذم ما جاء و الشرق بمنزلة الخروج إلى الدنيا و هي دار الابتلاء للعام و الخاص و الغرب بمنزلة الخروج من الدنيا و الدخول إلى الآخرة فإنه انتقال إلى دار التمييز و البيان و معرفة المنازل و المراتب على ما هي عند الله تعالى فيعلم السعيد سعادته و الشقي شقاوته فيظهر عند ذلك عين هذا الاسم الخفي لجميع الخلق و يحرمون الدعاء به لشغلهم بما هم فيه من الهول فيعظم في قلوبهم شدة الهول بحيث أن يظنوا أنه ما ثم دعاء يرد ما هم فيه و لو وفقوا للدعاء به لسعدوا فسبحان القدير على ما يشاء

(السؤال السابع و الثلاثون و مائة) ما كسوته الجواب حال الداعي به المعنوي و كسوته على الحقيقة حروفه إذا أخذت الاسم من طريق معناه فإن أخذته من طريق حروفه فحينئذ يكون كسوته حال الداعي به فإذا أقيم في شاهد الحس في التخيل أو الخيال فيكون كسوته الثوب السابغ الأصفر يلتوي فيه فإنه غير محيط أ لا ترى بقرة بنى إسرائيل صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها لا شِيَةَ فِيها فحيي بها الميت و هو أعظم

الآثار إحياء الموات حياة الايمان و حياة العلم و حياة الحس و أعظم أثره في زمان الشتاء إذا وقع فيه شهر صفر في أول الشتاء إلى اتصافه فهو أسرع أثرا منه في باقي الأزمنة و باقي الشهور و يكون الثوب صوفا أو شعرا أو وبرا إلا غير ذلك و الريش منه و إنما قلنا هذا لأنه قد يظهر لقوم بنوع من أنواع ما ذكرناه من هذه الأنواع التي تلبس فلو ظهر في نوع واحد لعرفناكم به و اقتصرنا عليه و قال بعضهم رأيت كسوته جلدا أصفر قد صفر بورس أو زعفران و هكذا رآه الحسين بن منصور و لكن لم يكن سابغ الثوب و إنما ستر بعض أعضائه ستر منه قدر ستة أذرع لا غير

(السؤال الثامن و الثلاثون و مائة) ما حروفه الجواب الألف و لام الألف و الواو و الزاي و الراء و الدال و الذال فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ظهر عينه و لونه و طوله و عرضه و قدره و انفعل عنه جميع ما توجهه عليه هكذا هو عند الطائفة في الواقعة و لا تنقل عني أني أعلمه لما ذكرت فيه هذا لا يلزم فقد ننقل من الواقعة و الكشف جميع ما سطرته و لا يلزم أن أكون به عالما و إنما قلت هذا لئلا يتوهم أني ما ذكرته إلا عن علم به و لكن مطلبي من الحق العبودة المحضة التي لا تشوبها ربوبية لا حسا و لا معنى

(السؤال التاسع و الثلاثون و مائة) و الحروف المقطعة مفتاح كل اسم من أسمائه فأين هذه الأسماء و إنما هي ثمانية و عشرون حرفا فأين هذه الحروف الجواب لأنه يفتح الحرف الواحد من الأسماء الإلهية أسماء كثيرة لا يحصرها عدد و ذلك لأنه إنما يفتح أسماء الأسماء التي تتركب من الحروف بحكم الاصطلاح و قد ثبت أن الحق متكلم فقد سمي نفسه من كونه متكلما بالكلام الذي نسب إليه و يليق به و هذه الأسماء التي تظهر عن الحروف أسماء تلك الأسماء فلو أن الحرف الواحد يفتح اسما واحدا لكان كما قلت من التعجب ألا ترى في الأسماء المحفوظة في العموم كالملك و المصور و المان و المنان و المقتدر و المحيي و المميت و المقيت و المالك و المليك و المقدم و المؤخر و المؤمن و المهيمن و المتكبر و المغني و المعز و المذل فهذا حرف واحد افتتحنا به كذا كذا اسما إلهيا مع أنا لم نستوف ثم لتعلم إن كل اسم في العالم هو اسمه لا اسم غيره فإنه اسم الظاهر في المظهر و ليس في وسع المخلوقين حصرها و لا إحصاؤها و جميعها مفاتيحها هذه الحروف على قلتها و لك في اختلاف اللغات أعظم شاهد و أسد دليل إن فهمت مقصود القوم و أما قوله فأين هذه الحروف فقل له في عوارض الأنفاس تعرض للنفس الرحماني ما يحدث عين الحرف و يعرض للحروف ما يحدث الأسماء فأينية الأسماء في الحروف و أينية الحروف الأنفاس و أينية الأنفاس الأرواح و أينية الأرواح القلوب و أينية القلوب عندية مقلبها و أسماء الحق لا تتعدد و لا تتكثر إلا في المظاهر و أما بالنسبة إليه فلا يحكم عليها العدد و لا أصله الذي هو الواحد فأسماؤه من حيث هو لا تتصف بالوحدة و لا بالكثرة فسؤال الإمام إنما هو عن الأسماء التي يقع بها التلفظ في عالم الحروف اللفظية و يقع بها الرقم في عالم الكتابة فتارة يراعي الرقم و تارة

يراعي اللفظ و أما غيره فيجعل حروفا ثوالث و هي الحروف الفكرية و هي ما يضبطه الخيال من سماع المتلفظ بها أو أبصار الكاتب إياها

(السؤال الأربعون و مائة) كيف صار الألف مبتدأ الحروف الجواب لأن له الحركة المستقيمة و عن القيومية يقوم كل شيء فإن قلت إنما يقع التكوين بالحركة الأفقية فإنه لا يقع إلا بمرض و المرض ميل أ لا ترى إلى القائلين بحكم العقل كيف جعلوا موجد العالم علة العلل و العلة تناقض القيومية فلنقل إنما وقع الوجود بقيومية العلة فإنه لكل أمر قيومية فافهم فقيومية الألوهية تطلب المألوه بلا شك أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ و ما ثم ما يناسب الألف إلا الحرف المركب و هو اللام فإنه مركب من ألف و نون فلما تركب حدث اللام الرقمي لا اللفظي فلام اللفظ صورته في الرقم مركب من حرفين فيفعل بالتلفظ فعل الواحد و هو عينه و يفعل بالنقش فعل الألف و النون و هكذا كل حرف مركب و يفعل فعل الراء و الزاي ببعد كما يفعله النون بقرب لأن النون حرف مركب من زاى و راء و أريد حروف الرقم فابتدءوا بالألف في الرقم لما ذكرناه و انفتحت فيه أشكال الحروف كلها لأن أصل الأشكال الخط كما إن أصل الخط النقطة و الخط هو الألف فالحروف منه تتركب و إليه تنحل فهو أصلها و أما الحروف اللفظية فالألف يحدثها بلا شك كما يظهر الألف عن الحرف إذا أشبعته الفتح فإنه يدل على الألف كما أنك إذا أشبعت الحرف الضم دل على ألف الميل و هو واو العلة و إنما ظهر عن الرفع المشبع لأن العلة أرفع من المعلول فما ظهر عن الحرف إلا بصفة الرفع البالغ ليعلم أنه و إن مال فإنه ما مال إلا عن رفعة رحمة بك ليوجدك مظهرا لخالقك أ لا تراه في حرف الإيجاد كيف جاء برفع الكاف المشبع فقال إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فجاء بالكاف مشبعة الضم لتدل على الواو فإن قلت و أين الواوقلنا غيب في السكون الذي هو الثبوت فإن الحق يستحيل عليه الحركة فلما التقى سكون الواو من كون و سكون النون اتصفت الواو بالغيب فلم تظهر و لزمت الهوية و لهذا هو الهو غيب و ضمير عن غائب و بقيت النون ساكنة تدل على سكون الواو و ظهرت النون على صورة الواو في السكون و هو الثبوت كقوله خلق آدم على صورته فأثبت الأسماء بوجود النون في كن أي ما ثم كائن حادث إلا عند سبب فلا يرفع الأسباب إلا جاهل بالوضع الإلهي و لا يثبت الأسباب إلا عالم كبير أديب في العلم الإلهي فعن الحروف اللفظية يوجد عالم الأرواح و عن الحروف الرقمية يوجد عالم الحس و عن الحروف الفكرية يوجد عالم العقل في الخيال و من كل صنف من هذه الحروف تتركب أسماء الأسماء

(السؤال الحادي و الأربعون و مائة) كيف كرر الألف و اللام في آخره الجواب هذا يختص بحروف الرقم المناسب المزدوج و هو نظم أ ب ت ث لا حروف وضع أبجد فإن لام ألف ما ظهر إلا في نظم أ ب ت ث فإنه ناسب بين الحروف لتناسبها في الصورة بخلاف وضع أبجد و

ذلك لأن اللام كسوة الألف و جنته فإنه مستور فيها بالنون الملصقة به الذي تمم وجود اللام و جعلها في آخر النظم ليس بعدها إلا الياء لأنه ظهر في عالم التركيب و هو آخر العوالم و جاء بعده بالياء فإنه لها السفل إذ كانت إنما حدثت من إشباع حركة الخفض و الخفض سفل و السفل آخر المراتب فكان تنبيها أجرى على خاطر الواضع لهذه الحروف و ربما لم يقصد ذلك و نحن إنما ننظر في الأشياء من حيث إن الباري واضعها لا من حيث يد من ظهرت منه فلا بد من القصد في ذلك و التخصيص فشرحنا لكون الحق هو الواضع لها لا غيره و لما كانت الأولية للالف انبغي أن تكون له الآخرية و كما له الظاهر في أول الحروف انبغي أن يكون له الباطن في آخر الحروف ليجمع بين الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و الياء هي ألف الميل في عالم الحس الذي هو العالم الأسفل لحدوثها عن الخفض لتدل على الألف التي في لام ألف و لتدل على السبب الذي في شكل اللام إذا انفردت فإذا عانقت الألف صغرت النون في الالتواء و قابل الألف التي في اللام الألف التي في لام الألف حتى لا يكون يقابله إلا نفسه فقابل الألف الألف و ربطت النون بينهما و هو ألف سر العبد الذي تألف بربه و هو من باب الامتنان الإلهي قال الله تعالى ممتنا على عبده لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ و لم يقل بين قلوبهم و لا بينها فجاء بهاء الهو في بينهم و جعل ميم الجمع سترا عليه ليدل على ما ينسب إليه من الجمعية من حيث كثرة الأسماء له تعالى و المراد أنه سبحانه ألف بين قلوب المؤمنين و بينه لأنهم ما اجتمعوا على محمد صلى الله عليه و سلم إلا بالله و لله فبه تألفوا لتالف محمد صلى الله عليه و سلم به فافهم لما ذاكر لام الألف في نظم تناسب الحروف و هو نظم أ ب ت ث

(السؤال الثاني و الأربعون و مائة) من أي حساب صار عددها ثمانية و عشرين حرفا الجواب لأنها إنما ظهرت أعيان الحروف في العالم العنصري و في عنصر الهواء سلطانها كما إن التراب و الماء للأجسام الحيوانية كما إن عنصر النار للجان و العالم العنصري إنما نسب إلى العناصر لأنها السبب الأقرب و العناصر إنما حدثت عن حركات الأفلاك و حركات الأفلاك إنما قطعت ثمانيا و عشرين منزلة في الفلك الذي قطعت فيه و العالم إنما صدر من نفس الرحمن لأنه نفس به عن الأسماء لما كانت تجده من عدم تأثيرها و النفس مناسب لعنصر الهواء فتشكلت المنازل الفلكية في الهواء العنصري لما ظهرت العناصر فلما جاء حكمه فيما تولد عن العناصر من المولدات ظهرت في أكمل نشأة المولدات و هو الإنسان صور الحروف ثمانية و عشرين حرفا عن ثمان و عشرين منزلة و الحق فيها لام الألف خطأ لينبه على القاطع في هذه المنازل و هي الكواكب السيارة فكما عمت المنازل بقوتها و تقطع فيها إيجاد الكائنات و الحوادث كذلك أوجدت هذه الحروف جميع الكلمات التي لا نهاية لها دنيا و آخرة فقد بان لك على التقريب لم كانت ثمانية و عشرين حرفا فمن تمكن له أن يضع قلما

على شكل المنازل في طالع مخصوص و تكون الدراري في عقدة الرأس فإنه يكون عن ذلك القلم متى كتب به عجائب في سرعة ظهور ما يكتب له في أي شيء كان حتى لو كتب به كاتب دعاء أجيب ذلك الدعاء و لم يتوقف

(السؤال الثالث و الأربعون و مائة) ما قوله خلق آدم على صورته الجواب اعلم أنه كل ما يتصوره المتصور فهو عينه لا غيره فإنه ليس بخارج عنه و لا بد للعالم أن يكون متصورا للحق على ما يظهر عينه و الإنسان الذي هو آدم عبارة عن مجموع العالم فإنه الإنسان الصغير و هو المختصر من العالم الكبير و العالم ما في قوة إنسان حصره في الإدراك لكبره و عظمه و الإنسان صغير الحجم يحيط به الإدراك من حيث صورته و تشريحه و بما يحمله من القوي الروحانية فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الإلهي التي أبرزته و ظهر عنها فارتبطت به الأسماء الإلهية كلها لم يشذ عنه منها شيء فخرج آدم على صورة الاسم الله إذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الأسماء الإلهية كذلك الإنسان و إن صغر جرمه فإنه يتضمن جميع المعاني و لو كان أصغر مما هو فإنه لا يزول عنه اسم الإنسان كما جوزوا دخول الجمل في سم الخياط و إن ذلك ليس من قبيل المحال لأن الصغر و الكبر العارضين في الشخص لا يبطلان حقيقته و لا يخرجانه عنها و القدرة صالحة أن تخلق جملا يكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط فكان في ذلك رجاء لهم أن يدخلوا جنة النعيم كذلك الإنسان و إن صغر جرمه عن جرم العالم فإنه يجمع جميع حقائق العالم الكبير و لهذا يسمى العقلاء العالم إنسانا كبير و لم يبق في الإمكان معنى إلا و قد ظهر في العالم فقد ظهر في مختصره و العلم تصور المعلوم و العلم من صفات العالم الذاتية فعلمه صورته و عليها خلق آدم فآدم خلقه الله على صورته و هذا المعنى لا يبطل لو عاد الضمير على آدم و تكون الصورة صورة آدم علما و الصورة الآدمية حسا مطابقة للصورة و لا يقدر يتصور هذا إلا بضرب من الخيال يحدثه التخيل و أما نحن و أمثالنا فنعلمه من غير تصور و لكن لما جاء في الحديث ذكر الصورة علمنا أن الله إنما أراد خلقه على الصورة من حيث إنه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور فاعتبر الله تعالى في هذه العبارة التخيل و إذا أدخل سبحانه نفسه في التخيل فما ظنك بمن سوى الحق من العالم صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال لجبريل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فهذا تنزيل خيالي من أجل كاف التشبيه و انظر من كان السائل و من كان المسئول و مرتبتهما من العلم بالله و لم يكن بأيدينا إلا الأخبار الواردة بالنزول و المعية و اليدين و اليد و العين و الأعين و الرجل و الضحك و غير ذلك مما ينسب الحق إلى نفسه و هذه صورة آدم قد فصلها في الأخبار و جمعها في قوله خلق الله آدم على صورته فالإنسان الكامل ينظر بعين الله و هو قوله كنت بصره الذي يبصر به الحديث كذلك يتبشبش بتبشبش الله و يضحك بضحك الله و يفرح بفرح الله و يغضب بغضب الله و ينسى بنسيان الله قال تعالى نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و ينسب جميع ما ذكرناه إلى كل ذات بحسب

ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة فإن كانت الذات المنسوب إليها معلومة علم صورة نسبة هذا المنسوب و إن جهلت الذات المنسوب إليها كنت بنسبة هذا المنسوب أجهل فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيد فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف إسلامي أجبناه بأن الضمير يعود على آدم أي أنه لم ينتقل في أطوار الخلقة انتقال النطفة من ماء إلى إنسان خلقا بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر و لم ينتقل أيضا من طفولة إلى صبي إلى شباب إلى كهولة و لا انتقل من صغر جرم إلى كبره كما ينتقل الصغير من الذرية بهذا يجاب مثل هذا السائل فلكل سائل جواب يليق به

(السؤال الرابع و الأربعون و مائة) ليتمنين اثنا عشر نبيا أن يكونوا من أمتي الجواب لما كانت أمته خير الأمم و عندها زيادة على أنبياء الأمم باتباعهم سنن هدى رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنهم ما اتبعوه لأنهم تقدموه وليس حيرا من كل أمة إلا نبيها و نحن خير الأمم فنحن و الأنبياء في هذه الخيرية في سلك واحد منخرطين لأنه ما ثم مرتبة بين النبي و أمته و محمد خير من أمته كما كان كل نبي خيرا من أمته فهو صلى الله عليه و سلم خير الأنبياء فهؤلاء الاثنا عشر نبيا ولدوا ليلا و صاموا إلى أن ماتوا و ما أفطروا نهارا مع طول أعمارهم سؤالا و رغبة و رجاء أن يكونوا من أمة محمد صلى الله عليه سلم فلهم ما تمنوا و هم مع من أحبوه يوم القيامة فيأتي النبي يوم القيامة و في أمته النبي و الاثنان و الثلاثة و يأتي محمد صلى الله عليه و سلم و في أمته أنبياء أتباع و أنبياء أتباع و أنبياء ما هم أنبياء أتباع فيتبع محمدا صلى الله عليه و سلم ثلاثة أصناف من الأنبياء و هذه مسألة أعرض عن ذكرها أصحابنا لما فيها مما يتطرق إلى الأوهام الضعيفة من الإشكال و جعلهم الله اثني عشر كما جعل الفلك الأقصى اثني عشر برجا كل برج منها طالع نبي من هؤلاء الاثني عشر لتكون جميع المراتب تتمنى أن تكون من أمة محمد صلى الله عليه و سلم من الاسم الظاهر ليجمعوا بينه و بين ما حصل لهم من اسمه الباطن إذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه عليه السلام من اسمه الباطن إذ كان نبيا و آدم بين الماء و الطين فقوله تعالى له أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و ما قال بهم إذ كان هداهم هداك الذي سرى إليهم في الباطن من حقيقتك فمعناه من حيث العلم إذا اهتديت بهداهم فهو اهتداؤك بهديك لأن الأولية لك باطنا و الآخرية لك ظاهرا و الأولية لك في الآخرية ظاهرا و باطنا

(السؤال الخامس و الأربعون و مائة) ما تأويل قول موسى اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه و سلم الجواب لما عرف موسى أن الأنبياء في النسبة إلى محمد نسبة أمته إليه و أن نسبة أمته إليه من اسمه الظاهر و الباطن و نسبة الأنبياء إليه من اسمه الباطن أراد موسى أن يجمع الله له بين الاسمين في شرعه ثم إنه لما علم أنه تبع و لم يشك أراد إقامة جاهه عند محمد صلى الله عليه و سلم على غيره من الرسل إذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالأمم و الأتباع و ليس في الرسل أكثر أتباعا من موسى عليه السلام كما أخبر صلى الله عليه

و سلم في الصحيح حين رأى سوادا أعظم فسأل فقيل له هذا موسى و أمته و قد قال صلى الله عليه و سلم إنه سيد الناس يوم القيامة و السيد لا يكاثر فإذا كان موسى بدعائه من أمة محمد في الدرجة ظاهره و باطنه مثل ما نحن زاد هو و أمته في سوادنا بلا شك و ما قال عليه السلام إني مكاثر بكم الأمم إلا في أمم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين اللذين دعا الله موسى أن يكونا له فكل من جمع بين الاسمين حشر معنا في أمته صلى الله عليه و سلم فيباهي موسى بأمته سائر الأنبياء الذين حشروا معنا فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر فأكبرهم أميرا أكثرهم جيشا و أكثرهم جيشا أعظمهم قدرا و حرمة عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا قال الترمذي إنه يكون في أمة محمد صلى الله عليه و سلم من هو أفضل من أبي بكر الصديق عند ما يرى أنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم من المسلمين فإنه معلوم أن عيسى عليه السلام أفضل من أبي بكر و هو من أمة محمد صلى الله عليه و سلم و متبعيه و إنما ذكرناه لكون الخصم يعلم أنه لا بد أن ينزل في هذه الأمة في آخر الزمان و يحكم بسنة محمد صلى الله ليه و سلم مثل ما حكم الخلفاء المهديون الراشدون فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يدخل بدخوله من أهل الكتاب في الإسلام خلق كثير أيضا

(السؤال السادس و الأربعون و مائة) إن لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم و قربهم إلى الله تعالى (الجواب) يريد ليسوا بأنبياء تشريع لكنهم أنبياء علم و سلوك اهتدوا فيه بهدى أنبياء التشريع و قد ذكرنا مقامهم و معنى النبوة و تفاصيلها في هذا الباب و في غيره من هذا الكتاب غير أنهم ليس لهم أتباع لوجهين الواحد لغنائهم في دعائهم إلى الله على بصيرة عن نفوسهم فلا تعرفهم الأتباع و هم المسودون الوجه في الدنيا و الآخرة من السؤدد عند الرسل و الأنبياء و الملائكة و من السواد لكونهم مجهولين عند الناس فلم يكونوا في الدنيا يعرفون و لا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة فهم أصحاب راحة عامة في ذلك اليوم و الوجه الآخر أنهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم أتباع فإذا كان في القيامة جاءت الأنبياء خائفة يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم لا على أنفسهم و جاء غير الأنبياء خائفين يحزنهم الفزع الأكبر على أنفسهم و جاءت هذه الطائفة مستريحة غير خائفة لا على نفوسهم و لا يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم إذ لم يكن لهم أمم و فيهم قال الله تعالى لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ أن يرتفع الحزن و الخوف فيه عنكم في حق أنفسكم و حق الأمم إذ لم تكن لكم أمة و لا تعرفتم لأمة مع انتفاع الأمة بكم ففي هذا الحال تغبطهم الأنبياء المتبوعون أولئك المهيمون في جلال الله العارفون الذين لم تفرض عليهم الدعوة إلى الله انتهى الجزء التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال السابع و الأربعون و مائة) ما تأويل قول بِسْمِ اللهِ (الجواب) هو للعبد في التكوين بمنزلة كُنْ للحق فبه يتكون عن بعض الناس ما شاءوا قال الحلاج بِسْمِ اللهِ من العبد بمنزلة كُنْ من الحق و لكن بعض العباد له كُنْ دون بِسْمِ اللهِ و هم الأكابر جاء عن رسول اللهِ صلى اللهِ عليه و سلم في غزوة تبوك أنهم رأوا شخصا فلم يعرفوه فقال رسول اللهِ صلى اللهِ عليه و سلم كن أبا ذر فإذا هو أبو ذر و لم يقل بسم اللهِ فكانت كن منه كن الإلهية فإنه قال اللهِ تعالى فيمن أحبه حب النوافل كنت سمعه و بصره و لسانه الذي يتكلم به و قد شهد اللهِ لمحمد صلى اللهِ عليه و سلم بأن له نافلة بقوله تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ فلا بد أن يكون سمعه الحق و بصره الحق و كلامه الحق و لم يشهد بها لأحد من الخلق على التعيين فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله و فضلت له نوافل أن يحبه اللهِ تعالى هذه المحبة الخاصة و جعل علامتها أن يكون الحق سمعهم و بصرهم و يدهم و جميع قواهم و لهذا دعا رسول اللهِ صلى اللهِ عليه و سلم أن يكون كله نورا فإن اللهَ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و لهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله و تقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء فاختلفت العبارات و توحد المعنى و نحن نرغب إلى اللهِ و نضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبودتنا

(السؤال الثامن و الأربعون و مائة) قوله السلام عليك أيها النبي الجواب لما كانت الأنبياء بصفة تقتضي الاعتراض و التسليم شرع للمؤمن التسليم و من سلم لم يطلب على العلة في كل ما جاء به النبي و لا في مسألة من مسائله فإن جاء النبي بالعلة قبلها كما قبل المعلول و إن لم يجيء بها سلم فقال السلام عليك أيها النبي و قد بينا معناها في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد و إذا قال هذا النبي فالمسلم عليه منه هو الروح

(السؤال التاسع و الأربعون و مائة) قوله السلام علينا و على عباد اللهِ الصالحين الجواب يريد التسليم علينا لنا إذ فينا ما يقتضيه الاعتراض منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا و لا نعترضه و لا سيما إذا رأينا أن الحكم الذي يقتضي الاعتراض صدر من الظاهر في هذا المظهر الذي هو عيني فنسلم و لا بد علينا و على عباد اللهِ الصالحين للاشتراك في العطف أي لا يصح هذا العطف بعباد اللهِ الصالحين إلا بأن يكون بتلك الصفة الصالحة و حينئذ يكون السلام علينا حقيقة و قد بينا أيضا هذا المعنى في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد قال تعالى فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً من عِنْدِ اللهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً فقد أمرنا بالسلام علينا لنحظى بجميع المراتب في امتثال الأمر الإلهي و هذا يدلك على أن الإنسان ينبغي أن يكون في صلاته أجنبيا عن نفسه بربه حتى يصح له أن يسلم عليه بكلام ربه فإنه قال تَحِيَّةً من عِنْدِ اللهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً فهو سلام اللهِ على عبده و أنت ترجمانه إليك

(السؤال الخمسون و مائة) أهل بيتي أمان لأمتي الجواب قال صلى الله عليه و سلم سلمان منا أهل البيت فكل عبد له صفات سيده وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ فأضافه إليه صفة أي صفته العبودة و اسمه محمد و أحمد و أهل القرآن هم أهل الله فإنهم موصوفون بصفة الله و هو القرآن و القرآن أمان فإنه شفاء و رحمة و أمته صلى الله عليه و سلم من بعث إليهم و أهل بيته من كان موصوفا بصفته فسعد الطالح ببركة الصالح فدخل الكل في رحمة الله فانظر ما تحت هذه اللفظة من الرحمة الإلهية بأمة محمد صلى الله عليه و سلم و هذا معنى قوله تعالى وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و وصف النبي صلى الله عليه و سلم بالرحمة فقال بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ و ما من أحد من الأمة إلا و هو مؤمن بالله و قد بينا فيما تقدم من هذا الكتاب في باب سلمان منا أهل البيت فأغنى عن الكلام في أهل البيت طلبا للاختصار قال تعالى لما وصف و وصى أزواج النبي صلى الله عليه و سلم بقوله وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَ رَسُولَهُ ثم أعلمهم أن ذلك كله بكونهن أزواجه صلى الله عليه و سلم حتى لا ينسبن إلى قبيح فيعود ذلك العار على بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فببركة أهل البيت و ما أراد الله به من التطهير بقوله إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ تفعل الأزواج ما أوصينا هن به وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً من دنس الأقوال المنسوبة إلى الفحش و هو الرجس فإن الرجس هو القذر فكان أهل البيت أمانا لأزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوقوع في المخالفات التي يعود عارها على أهل البيت فكذلك أمة محمد صلى الله عليه و سلم لو خلدت في النار لعاد العار و القدح في منصب النبي صلى الله عليه و سلم و لهذا يقول أهل النار ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ و هو من دخل النار من أمة محمد صلى الله عليه و سلم التي بعث إليها في مشارق الأرض و مغاربها فكما طهر الله بيت النبوة في الدنيا بما ذكره مما يليق بالدنيا كذلك الذي يليق بالآخرة إنما هو الخروج من النار فلا يبقى في النار موحد ممن بعث إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم بل و لا أحد ممن بعث إليه يبقى شقيا و لو بقي في النار فإنها ترجع عليه بَرْداً وَسَلاماً من بركة أهل البيت في الآخرة فما أعظم بركة أهل البيت فإنه من حين بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم انطلق على جميع من في الأرض من الناس أمة محمد إلى يوم القيامة فالمؤمنون به منهم يحشرون معه و غير المؤمنين به يحشرون إليه و قد أعلم أنه ما أرسل إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و لم يقل للمؤمنين خاصة و قد قيل له لما دعا في الصلاة على رعل و ذكوان و عصية ما بعثك الله سبابا و لا لعانا أي طرادا أي لا تطرد عن رحمتي من بعثتك إليه و إن كان كافرا و إنما بعثتك رحمة و هو قوله وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً فإذا حشروا إليه و هم أمته و هو بهذه المثابة من الرحمة التي فطر عليها و الرحمة التي بعث بها فيرحم منهم من يقتضي ذلك الموطن أن يرحم فإنه حكيم و الذي لا يقتضي ذلك الموطن أن يرحمه يقول فيه سحقا سحقا أدبا مع الله حتى يتجلى الحق في صفة غير تلك الصفة مما يقتضي الإسعاف في الجميع فعند ذلك تظهر

بركته و رحمته صلى الله عليه و سلم فيمن بعث إليهم بما يرحمهم الله به و ينقلهم من النار إلى الجنان و من حال الشقاء إلى حال السعادة و إن كانوا مخلدين في النار فإن الحكم يقضي بحكم الموطن كرجل مقرب عند مليك رأى الملك في حال غضب على عبد من عبيده فلا ينبغي له في الأدب أن يشفع فيه في تلك الحال و لكن ينبغي له أن يقول أزيلوه من بين يدي الملك و اجعلوه في الحبس و قيدوه فإنه لا يصلح لشيء من الخير هذا العبد الآبق الكافر نعمة سيده كل ذلك بمرأى من سيده فإذا تجلى ذلك السيد في حال بسط و رضي و زال ذلك العبد إلى السجن و القيد و بعد عن الرحمة و إن كان في رحمة حينئذ يليق بهذا المقرب أن يقول للسيد يا مولانا فلأن على كل حال هو عبدك و ما له راحم سواك و إلى من يلجأ إن طردته و من يوسع عليه إن ضيقت عليه و هو محسوب عليك و في هذا من العار بالحضرة أن يقال فيه أنه لم يحترم سيده إذا رئ معاقبا و الحضرة أجل من أن يقال عنها إنها لم تحترم فإذا عفوت عنه و ألحقته بالسعداء استتر الأمر و أنا يا مولاي أغار أن ينسب إلى هذه الحضرة ما يشينها و مثل هذا الكلام مع البسط الذي هو عليه السيد و اقتضى الموضع الشفاعة فيه فيأمر السيد بتبديل حال الشقاء عنه بحال السعادة و إن يخلع عليه خلع الرضي و إن بقي محبوسا فيصير له ذلك الدار و المنزل ملكا و يهبه له ربه ملكا و يرجع عذابه نعيما و هو أبلغ في القدرة هذا إن كانت تلك الدار سكناه أو يأمر بإخراجه إلى منازل السعداء فهكذا الناس يوم القيامة في بركة أهل البيت ممن بعث إليه صلى الله عليه و سلم فما أسعد هذه الأمة فإن اعتبر الله البيت اعتبار الباطن إذ كان كل شرع متقدم شرع محمد صلى الله عليه و سلم بمنزلة طلوع الفجر إلى حين طلوع الشمس فكان ذلك الضوء و تزايده من الشمس فتكون أمة محمد صلى الله عليه و سلم من آدم إلى آخر إنسان يوجد فيكون الكل من أمة محمد صلى الله عليه و سلم فينال الكل بركة أهل البيت فيسعد الجميع ألا تراه يقول يوم القيامة أنا سيد الناس فلم يخص و لم يقل أنا سيد أمتي ثم إنه ما ذكر بعد هذه اللفظة إلا حديث الشفاعة فقال أتدرون بما ذاك و ذكر حديث الشفاعة يوم القيامة و هو معنى ما أشرنا إليه آنفا فإن فهمت ما أومأنا إليه فافعل ما شئت فقد غفر لك إنه واسِعُ الْمَغْفِرَةِ

(السؤال الحادي و الخمسون و مائة) قوله آل محمد الجواب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لكل نبي آل و عدة و آلي و دتي المؤمن و من أسمائه تعالى الْمُؤْمِنُ و هو العدة لكل شدة و الآل يعظم الأشخاص فعظم الشخص في السراب يسمى الآل فآل محمد هم العظماء بمحمد و محمد صلى الله عليه و سلم مثل السراب يعظم من يكون فيه و أنت تحسبه محمدا العظيم الشأن كما تحسب السراب ماء و هو ماء في رأى العين فإذا جئت محمدا صلى الله عليه و سلم لم تجد محمدا و وجدت الله في صورة محمدية و رأيته برؤية محمدية كما أنك إذا جئت إلى السراب لتجده كما أعطاك النظر فلم تجده في شيئيته ما أعطاك النظر و وجدت الله عنده أي عرفت أن معرفتك

بالله مثل معرفتك بالسراب أنه ماء فإذا به ليس ماء و تراه العين ماء فكذلك إذا قلت عرفت الله و تحققت بالمعرفة عرفت أنك ما عرفت الله فالعجز عن معرفته هي المعرفة به فما حصل بيدك إلا أنه لا يتحصل لأحد من خلقه و كل من استند إلى الله عظم في القلوب و عند العارفين بالله و عند العامة كما أنه من كان في السراب عظم شخصه في رأى العين و يسمى ذلك الشخص آلا و هو في نفسه على خلاف ما تراه العيون من التضاؤل تحت جلال الله و عظمته كذلك محمد يتضاءل تضاؤل السراب في جنب الله لوجود الله عنده فهذا إذا فهمت ما قلناه معنى آل محمد

(السؤال الثاني و الخمسون و مائة) أين خزائن الحجة من خزائن الكلام من خزائن علم التدبير الجواب في قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ بكل وجه فأوله تدبير و هي الخزائن العامة و هو قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ و في هذه الخزائن خزائن الكلام لأن خزائن علم التدبير تحوي على خزائن شتى منها خزائن الكلام و هي في قوله يُفَصِّلُ الْآياتِ بالكلام و في خزائن الكلام خزائن الحجة في مقابلة المعارض و هو الذي لا يعرف الله معرفة ذوق و هم أصحاب الأدلة العقلية فإنهم لا يقبلون ما جاءت به الشرائع من صفات الحق التي لو قالها غير النبي جهله العقلاء بأدلتهم و كفره المؤمنون و هو ما قال إلا ما قيل له فمتى ما لم يكن العلم ذوقا لم يخلص خاطر سامعه من الإنكار بقلبه من حيث عقله ثم خزائن الحجة خصوص في خزائن الكلام و هو القول المعجز و هو قول الحق و الصدق و كذا رأيته في الواقعة مثل القرآن فهو الحجة من الكلام فَأْتُوا بِسُورَةٍ من مِثْلِهِ و لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً لأنه أتى من خزائن الحجة و سائر الكتب و الصحف من خزائن الكلام و سائر المخلوقات من خزائن علم التدبير

(السؤال الثالث و الخمسون و مائة) أين خزائن علم الله من خزائن علم البدء الجواب في المساوقة الوجودية لأن الله لم يزل عالما بأنه الإله و أن الممكن مألوه و أن العدم للممكن نعت أزلي و أنه لم يزل مظهرا للحق فخزانة علم الله من علم البدء هو معرفة مرتبة الاسم الله من الاسم المبدئ كما يقال أين خزانة علم البديء من علم المعيد فإن الظرفية لا تخلوا إما أن تكون مكانية أو زمانية و لا مكان و لا زمان فإنهما هما اللذان يعطيان المقدار و أين كذا من كذا يطلب المقدار فغاية أن يقال في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني و هي مرتبة الواجب الوجود الذاتي كما نقول في الممكن إنه في مرتبة الوجوب الإمكاني الذاتي و العلم بهذا هو علم سر السر و هو الأخفى و هو العلم الذي انفرد به الحق دون ما سواه و لا يعلم هذا إلا بالتحلي بالحاء المهملة فإن قلت و ما التحلي قلنا الاتصاف بالأخلاق الإلهية المعبر عنها في الطريق بالتخلق بالأسماء و عندنا التحلي ظهور أوصاف العبودة دائما مع وجود التخلق بالأسماء فإن غاب عن هذا التحلي كان التخلق بالأسماء عليه وبالا قال تعالى كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ و تحلى العبد بأوصاف العبودة هو من تخلقه بالأخلاق

الإلهية و لكن أكثر الناس لا يعقلون فلو عرفوا معنى ما ورد في القرآن و السنة من وصف الحق سبحانه نفسه بما لا يقبله العقل إلا بالتأويل إلا نزه ما نفروا من ذلك إذا سمعوه من أمثالنا فإن العبودة أعني معقولها إن كان أمرا وجوديا فهو عينه فإن الوجود له و إنما الحق لما كانت أعيان الممكنات مظاهره عظم على العقول أن تنسب إلى الله ما نسبه لنفسه فلما ظهر المقام الذي وراء طور العقل بالنبوة و عملت الطائفة عليه بالإيمان أعطاهم الكشف ما أحاله العقل من حيث فكره و هو في نفس الأمر ليس على ما حكم به و هذا من خصائص التصوف فإن قلت و ما التصوف قلنا الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا و باطنا و هي مكارم الأخلاق و هو أن تعامل كل شيء بما يليق به مما يحمده منك و لا تقدر على هذا حتى تكون من أهل اليقظة فإن قلت و ما اليقظة حتى أكون من أهلها قلنا اليقظة الفهم عن الله في زجره فإذا فهمت عن الله انتبهت فإن قلت فما الانتباه قلنا هو زجر الحق عبده على طريق العناية و هذا لا يحصل إلا لأهل العبودة فإن قلت و ما العبودة قلنا نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه فإن انتسب إلى نفسه فتلك العبودية لا العبودة فالعبودة أتم حتى لا يحكم عليه مقام السواء فإن قلت و ما السواء قلنا بطون الحق في الخلق و بطون الخلق في الحق و هذا لا يكون إلا فيمن عرف أنه مظهر للحق فيكون عند ذلك باطنا للحق و بهذا وردت الفهوانية فإن قلت و ما الفهوانية قلنا خطاب الحق كافحة في عالم المثال و هو قوله صلى الله عليه و سلم في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه و من هناك تعلم الهو فإن قلت و ما الهو قلنا الغيب الذاتي الذي لا يصح شهوده فليس هو ظاهرا و لا مظهرا و هو المطلوب الذي أوضحه اللسن فإن قلت و ما اللسن قلنا ما يقع به الإفصاح الإلهي لآذان العارفين و هي كلمة الحضرة فإن قلت و ما كلمة الحضرة قلنا كن و لا يقال كن إلا لذي رؤية ليعلم من يقول له كن على الشهود فإن قلت و ما الرؤية قلنا المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة حيث كان و هو لأصحاب النعت فإن قلت و ما النعت قلنا ما طلب النسب العدمية كالأول و لا يعرفه إلا عبيد الصفة فإن قلت و ما الصفة قلنا ما طلب المعنى الوجودي كالعالم و العلم لأهل الحد فإن قلت و ما الحد قلنا الفصل بينك و بينه لتعرف من أنت فتعرف أنه هو فتلزم الأدب معه و هو يوم عيدك فإن قلت و ما العيد قلنا ما يعود عليك في قلبك من التجلي بعود الأعمال و هو قوله صلى الله عليه و سلم إن الله لا يمل حتى تملوا فطوبى لأهل القدم فإن قلت و ما القدم قلنا ما ثبت للعبد في علم الحق به قال تعالى أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ أي سابق عناية عند ربهم في علم الله و يتميز ذلك في الكرسي فإن قلت و ما الكرسي قلنا علم الأمر و النهي فإنه قد ورد في الخبر أن الكرسي موضع القدمين قدم الأمر و قدم النهي الذي قيده العرش فإن قلت و ما العرش قلنا مستوي الأسماء المقيدة و فيه ظهرت صورة المثل من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هذا هو المثل الثابت فإن قلت و ما المثل قلنا المخلوق على الصورة الإلهية الواردة في قوله صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و قال تعالى فيه إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و هو نائب الحق الظاهر

بصورته وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ أظهره النائب و مشهد هذا النائب حجاب العزة ليلا يغلط في نفسه فإن قلت و ما حجاب العزة قلنا العمي و الحيرة فإنه المانع من الوصول إلى علم الأمر على ما هو عليه في نفسه و لا يقف على حقيقة هذا الأمر إلا أهل المطلع فإن قلت و ما المطلع قلنا الناظر إلى الكون بعين الحق و من هنا لك يعلم ما هو ملك الملك فإن قلت و ما هو ملك الملك قلنا هو الحق في مجازاة العبد على ما كان منه مما أمر به و ما لم يؤمر به و يختص بهذا الأمر عالم الملكوت فإن قلت و ما عالم الملكوت قلنا عالم المعاني و الغيب و الارتقاء إليه من عالم الملك فإن قلت و ما عالم الملك قلنا عالم الشهادة و الحرف و بينهما عالم البرزخ فإن قلت و ما عالم البرزخ قلنا عالم الخيال و يسميه بعض أهل الطريق عالم الجبروت و هكذا هو عندي و يقول فيه أبو طالب صاحب القوت عالم الجبروت هو العالم الذي أشهد العظمة و هم خواص عالم الملكوت و لهم الكمال فإن قلت و ما الكمال قلنا التنزه عن الصفات و آثارها و لا يعرفها إلا الساكن بأرين فإن قلت و ما أرين قلنا عبارة عن الاعتدال في قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى فإن أرين موضع خط اعتدال الليل و النهار فاستعاروه و قد ذكره منهم عبد المنعم بن حسان الجلباني في مختصره غاية النجاة له و لقيته و سألته عن ذلك فقال فيه ما شرحناه به و صاحب هذا المقام هو صاحب الرداء فإن قلت و ما الرداء قلنا الظهور بصفات الحق في الكون فإن قلت و ما الكون قلنا كل أمر وجودي و هو خلاف الباطل فإن قلت و ما يريد أهل الله بالباطل قلنا العدم و يقابل الباطل الحق فإن قلت و ما الحق عندهم قلنا ما وجب على العبد القيام به من جانب الله و ما أوجبه الرب للعباد على نفسه إذ كان هو العالم و العلم فإن قلت و ما العالم و العلم قلنا العالم من أشهده الله الوهته و ذاته و لم يظهر عليه حال و العلم حاله و لكن بشرط أن يفرق بينه و بين المعرفة و العارف فإن قلت و ما المعرفة و العارف قلنا من مشهده الرب لا اسم الإلهي غيره فظهرت منه الأحوال و المعرفة حاله و هو من عالم الخلق كما أن العالم من عالم الأمر فإن قلت و ما عالم الخلق و الأمر و الله يقول أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ قلنا عالم الأمر ما وجد عن الله لا عند سبب حادث و عالم الخلق ما أوجده الله عند سبب حادث فالغيب فيه مستور فإن قلت و ما الغيب في اصطلاحكم قلنا الغيب ما ستره الحق عنك منك لا منه و لهذا يشار إليه فإن قلت و ما الإشارة قلنا الإشارة نداء على رأس البعد يكون في القرب مع حضور الغير و يكون مع البعد في العموم و الخصوص فإن قلت و ما العموم و الخصوص عندهم قلنا العموم ما يقع في الصفات من الاشتراك و الخصوص ما يقع به الانفراد و هو أحدية كل شيء و هو لب اللب فإن قلت و ما لب اللب قلنا مادة النور الإلهي يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ فلب اللب هو قوله نُورٌ عَلى نُورٍ فإن قلت و ما اللب قلنا ماضين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالسوى و هو القشر فإن قلت و ما القشر قلنا كل علم يصون عين المحقق من الفساد لما يتجلى له من خلف حجاب الظل فإن قلت و ما الظن قلنا وجود الراحة خلف حجاب الضياء

فإن قلت و ما الضياء قلنا ما ترى به الأغيار بعين الحق فالظل من أثر الظلمة و الضياء من أثر النور و العين واحدة فإن قلت و ما الظلمة و النور اللذان عنهما الظل و الضياء قلنا النور كل وارد إلا هي ينفر الكون عن القلب و الظلمة قد يطلقونها على العلم بالذات فإنه لا يكشف معها غيرها و أكثر ما يعلم هذين أرباب الأجساد فإن قلت و ما الجسد قلنا كل روح أو معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السوي فإن قلت و ما السوي هنا قلنا الغير الذي يتعشق بالمنصات فإن قلت و ما المنصة قلنا مجلى الأعراس و هي تجليات روحانية إلية فإن قلت و ما الإل قلنا كل اسم إلهي أضيف إلى ملك أو روحاني مثل جبريل و ميكائيل أو عبدئل و بأيديهم الطبع و الختم فإن قلت و ما الطبع و الختم قلنا الختم علامة الحق على القلوب العارفين و الطبع ما سبق به العلم في حق كل مختص من الإلهيين فإن قلت و ما الإلهية قلنا كل اسم إلهي يضاف إلى البشر مثل عبد الله و عبد الرحمن و هم الخارجون عن الرعونة فإن قلت و ما الرعونة قلنا الوقوف مع الطبع بخلاف أهل الإنية فإنهم وافقون مع الحق فإن قلت و ما الإنية قلنا الحقيقة بطريق الإضافة و هم المعتكفون على اللوح المشاهدون للقلم الناظرون في النون المستمدون من الهوية القائلون بالأنانية الناطقون بالاتحاد لأجل الجرس فإن قلت و ما هذه الألفاظ التي ذكرتها قلنا أما اللوح فمحل التدوين و التسطير المؤجل إلى حد معلوم و أما الهوية فالحقيقة الغيبية و أما النون فعالم الإجمال و أما الإنانية فقولك بك و أما القلم فعلم التفصيل و أما الاتحاد فتصيير الذاتين ذاتا واحدة فأما عبد و إما رب و لا يكون إلا في العدد و في الطبيعة و هو حال و أما الجرس فإجمال الخطاب بضرب من القهر لقوة الوارد و هذا كله لا يناله إلا أهل النوالة فإن قلت و ما النوالة قلنا الخلع التي تخص الأفراد من الرجال و قد تكون الخلع مطلقا و مع هذا فهم في الحجاب فإن قلت و ما الحجاب قلنا ما ستر مطلوبك عن عينك إذا كان الحجاب مما يلي المخدع فإن قلت و ما المخدع قلنا موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين عند ما يخلع عليهم و هو خزانة الخلع و الخازن هو القطب قال محمد بن قائد الأواني رقيت حتى لم أر أمامي سوى قدم واحدة فغرت فقيل هي قدم نبيك فسكن جأشي و كان من الأفراد و تخيل أن ما فوقه إلا نبيه و لا تقدمه غيره و صدق رضي الله عنه فإنه ما شاهد سوى طريقه و طريقه فما سلك عليها غير نبيه و قيل له هل رأيت عبد القادر قال ما رأيت عبد القادر في الحضرة فقيل ذلك لعبد القادر قال صدق ابن قائد في قوله فإني كنت في المخدع و من عندي خرجت له النوالة و سماها بعينها فسئل ابن قائد عن النوالة ما صفتها فقال مثل ما قال عبد القادر فكان أحدهما من أهل الخلوة و الآخر من أهل الجلوة فإن قلت و ما الخلوة و الجلوة قلنا الجلوة خروج العبد من الخلوة بنعوت الحق فيحرق ما أدركه بصره و الخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا ملك و لا أحد و هناك يكون الصعق فإن قلت و ما الصعق قلنا الفناء عند التجلي الرباني و هو لأهل الرجاء لأهل الخوف فإن قلت و ما الرجاء و الخوف قلنا الرجاء الطمع في الآجل و الخوف ما

تحذر من المكروه في المستأنف و لهذا يجنح إلى التولي و هو رجوعك إليك منه بعد التلقي فإن قلت و ما التلقي قلنا أخذك ما يرد من الحق عليك عند الترقي فإن قلت و ما الترقي قلنا التنقل في الأحوال و المقامات و المعارف نفسا و قلبا و حقا طلبا للتداني فإن قلت و ما التداني قلنا معراج المقربين إلى التدلي فإن قلت و ما التدلي قلنا نزول الحق إليهم و نزولهم لمن هو دونهم بسكينة فإن قلت و ما السكينة قلنا ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب بالحرف فإن قلت و ما الحرف قلنا ما يخاطبك به الحق من العبارات مثل ما أنزل القرآن على سبعة أحرف و الحرف صورة في السبحة السوداء فإن قلت و ما السبحة قلنا الهباء الذي فتح فيه صور أجسام العالم المنفعل عن الزمردة الخضراء فإن قلت و ما الزمردة الخضراء قلنا النفس المنبعثة عن الدرة البيضاء فإن قلت و ما الدرة البيضاء قلنا العقل الأول صاحب علم السمسمة فإن قلت و ما السمسمة قلنا معرفة دقيقة في غاية الخفاء تدق عن العبارة و لا تدرك بالإشارة مع كونها ثمرة شجرة فإن قلت و ما هذه الشجرة قلنا الإنسان الكامل مدبر هيكل الغراب فإن قلت و ما الغراب قلنا الجسم الكل الذي ينظر إليه العقاب بوساطة الورقاء فإن قلت و ما العقاب قلنا الروح الإلهي الذي ينفخ الحق منه في الهياكل كأنها أرواحها المحركة لها و المسكنة و الورقاء النفس التي بين الطبيعة و العقل و دون الطبيعة هي العنقاء فإن قلت و ما العنقاء قلنا الهباء لا موجود و لا معدوم على أنها تتمثل في الواقعة فإن قلت و ما الواقعة قلنا ما يرد على القلب من العالم العلوي بأي طريق كان من خطاب أو مثال أو غير ذلك على يد الغوث فإن قلت و ما الغوث قلنا صاحب الزمان و واحدة و قد يكون ما يعطيه على يد الياس فإن قلت و ما الياس قلنا عبارة عن القبض و قد يكون ما يعطيه على يد الخضر فإن قلت و ما الخضر قلنا عبارة عن البسط و هذه العطايا من بحر الزوائد فإن قلت و ما الزوائد قلنا زيادات الايمان بالغيب و اليقين و لها رجال مخصوصون ذكرناهم في أول الباب فإنهم موقنون هم عشرة أشخاص لا يزيدون و لا ينقصون غير أنهم قد يكون منهم نساء يوجدهم الاسم و الرسم فإن قلت و ما الاسم و الرسم قلنا الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل و الاسم الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية عند الوصل فإن قلت و ما الوصل قلنا إدراك الفائت و هو أول الفتوح فإن قلت و ما الفتوح قلنا فتوح العبارة في الظاهر و فتوح الحلاوة في الباطن و فتوح المكاشفة لتصحيح المطالعة فإن قلت و ما المطالعة قلنا توقيعات الحق تعالى للعارفين ابتداء و عن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون و فيها أقول

خرج التوقيع لي بالأمان و لتحاذر غائلات الأماني
ينقضي الدهر و لا شيء منها حاصل قد ملكته اليدان
فاشتغل بي لا تخالط سواى فسواي شأنه غير شأني

لا يغرنك عبدي المثاني فإنا الثاني و لست بثاني
يشتهي من ظل بي مستهاما أن يراني أو يرى من رآني
و أنا أقرب منه إليه فليزل عني حكم المكان
فيراني منه فيه بعيني أن عين الغير ليست تراني

و المطالعة لا تكون إلا لأهل الحرية فإن قلت و ما الحرية قلنا إقامة حقوق العبودية لله تعالى فهو حر عما سوى الله لأجل الغيرة الإلهية فإن الله غيور و من غيرته حرم الفواحش فإن قلت و ما الغيرة قلنا تطلق في الطريق بإزاء ثلاثة معان غيرة في الحق لتعدي الحدود و غيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار و السرائر و غيرة الحق ضنته على أوليائه و هم الضنائن أصحاب الهمم فإن قلت و ما الهمة قلنا تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى و بإزاء أول صدق المريد و بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام هذا عند أهل الغربة فإن قلت و ما الغربة قلنا مفارقة الوطن في طلب المقصود و غربة عن الحال من حقيقة النفوذ فيه و غربة عن الحق من الدهش عن المعرفة لحكم الاصطلام فإن قلت و ما الاصطلام قلنا نعت و له يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه حذر المكر فإن قلت و ما المكر قلنا إرداف النعم مع المخالفة و قد رأيناه في أشخاص و إبقاء الحال مع سوء الأدب و هو الغالب على أهل العراق و ما نجا منه في علمنا إلا أبو السعود بن الشبل سيد وقته و إظهار الآيات و الكرامات من غير أمر و لا حد و هي عندنا خرق عوائد لا كرامات إلا أن يقصد بها المتحدث التحدث بالنعم و لكن تمنع العارفين من مثل هذا الرهبة فإن قلت و ما الرهبة قلنا رهبة الظاهر لتحقيق الوعيد و رهبة الباطن لتقلب العلم و رهبة لتحقيق أمر السبق و لكن بعد سبق الرغبة فإن قلت و ما الرغبة قلنا رغبة النفس في الثواب و رغبة القلب في الحقيقة و رغبة السر في الحق و هو مقام التمكين فإن قلت و ما التمكين قلنا عندنا هو التمكن في التكوين و عند الجماعة حال أهل الوصول و عدلنا نحن فيه إلى ما قلناه لقوله تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و عدلت الجماعة إلى قوله تعالى إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا و هذه الآية أيضا تعضدنا فيما ذهبنا إليه فالتمكين في التلوين أولى فإن قلت فما التلوين قلنا تنقل العبد في أحواله و هو عند الأكثرين مقام ناقص و عندنا هو أكمل المقامات لأنه موضع التشبه بالمطلوب للإنسان و سببه الهجوم فإن قلت و ما الهجوم قلنا ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك عقيب البوادة فإن قلت و ما البوادة قلنا ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح أو موجب ترح و لكن مع كونها بواده لا بد أن يتقدمها لوامع فإن قلت و ما اللوامع قلنا ما ثبت من أنوار التجلي وقتين و قريب من ذلك بعد الطوالع فإن قلت و ما الطوالع قلنا أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار عند ما تحكم على الأسرار اللوائح

فإن قلت و ما اللوائح قلنا ما يلوح للاسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال هذا عند القوم و عندنا هي ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة السلب و هي من أحوال أهل المسامرة فإن قلت و ما السمر قلنا خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار و الغيوب نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و هو خصوص في المحادثة فإن قلت و ما المحادثة قلنا خطاب الحق للعارفين من عباده من عالم الملك كالنداء من الشجرة لموسى و هو فرع عن المشاهدة فإن قلت و ما المشاهدة قلنا رؤية الأشياء بدلائل التوحيد و تكون أيضا رؤية الحق في الأشياء و تكون أيضا حقيقة اليقين من غير شك و هي تتلو المكاشفة و قد قيل تتلوها المكاشفة فإن قلت و ما المكاشفة قلنا تحقيق الأمانة بالفهم و تحقيق زيادة الحال و تحقيق الإشارة التي تعطيها المحاضرة فإن قلت و ما المحاضرة قلنا حضور القلب بتواتر البرهان و عندنا مجاراة الأسماء بينها بما هي عليه من الحقائق في وقت التخلي فإن قلت و ما التخلي قلنا اختيار الخلوة و الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق طلب التجلي بالجيم فإن قلت و ما التجلي قلنا ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب بعد الستر فإن قلت و ما لستر قلنا كل ما سترك عن ما يغنيك و قيل هو غطاء الكون و قد يكون الوقوف مع العادات و قد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال ما لم يغلب سلطان المحق فناؤك في عينه بعد تحكم السحق فإن قلت و ما السحق قلنا تفرق تركيبك تحت القهر لأجل الزاجر فإن قلت و ما الزاجر قلنا واعظ الحق في قلب المؤمن و هو الداعي بحكم الزمان فإن قلت و ما الزمان قلنا السلطان فإنه قد يحول بينك و بين الذهاب فإن قلت و ما الذهاب قلنا غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه كان المحبوب ما كان قبل الفصل فإن قلت و ما الفصل قلنا فوت ما ترجوه من محبوبك و هو عندنا تميزك عنه بعد حال الاتحاد الذي هو نتيجة المجاهدة فإن قلت و ما المجاهدة قلنا حمل النفس على المشاق البدنية و مخالفة الهوى على كل حال و لكن لا يتمكن له مخالفة الهوى إلا بعد الرياضة فإن قلت و ما الرياضة قلنا رياضة الأدب و هو الخروج عن طبع النفس و رياضة الطلب و هي صحة المراد به و بالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية و ذلك عن علة فإن قلت و ما العلة قلنا تنبيه الحق لعبده بسبب و بغير سبب و هو من عين اللطف و تسميه أهل الطريق اللطيفة فإن قلت و ما اللطيفة قلنا كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة و هي المؤدية إلى التفريد و قد يطلقون اللطيفة على حقيقة الإنسان فإن قلت و ما التفريد قلنا وقوفك بالحق معك و من شرطه التجريد فإن قلت و ما لتجريد قلنا إماطة السوي و الكون عن القلب و السر من أجل حكم الفترة فإن قلت و ما الفترة قلنا خمود نار البداية المحرقة و هي حالة تشبه حالة الوقفة التي للواقفين فإن قلت و ما الوقفة قلنا الحبس بين المقامين مع العصمة من الوله فإن قلت و ما الوله قلنا إفراط الوجد بمشاهدة السر فإن قلت و ما السر قلنا سر العلم بإزاء حقيقة العالم به و سر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه و سر الحقيقة بإزاء ما يقع به الإشارة من الروح فإن قلت و ما الروح

قلنا الملقي إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص يتلقاه منه النفس فإن قلت و ما النفس قلنا ما كان معلوما من أوصاف العبد بحكم الشاهد فإن قلت و ما الشاهد قلنا ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد و هو على صورة ما يضبطه القلب من رؤية المشهود و على الشاهد يرد لوارد فإن قلت و ما الوارد قلنا ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل و كل ما يرد على القلب من كل اسم إلهي و هو الذي يعطي أحيانا حق اليقين فإن قلت و ما حق اليقين قلنا ما حصل من العلم بالعلة و لكن بعد عين اليقين فإن قلت و ما عين اليقين قلت ما أعطته المشاهدة و الكشف ابتداء و بعد علم اليقين فإن قلت و ما علم اليقين قلنا ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر فإن قلت و ما الخاطر قلنا ما يرد على القلب و الضمير من الخطاب ربانيا كان أو غير رباني و لكن من غير إقامة فإن أقام فهو حديث نفس فصاحبه مفتقر إلى النفس فإن قلت و ما النفس قلنا روح يسلطه الله على نار القلب ليطفئ شررها لأجل سلطان الحقيقة فإن قلت و ما الحقيقة قلنا سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا فكأنه حال البعد فإن قلت و ما البعد قلنا الإقامة على المخالفات و قد يكون البعد منك و تختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يعطيه قرائن الأحوال و كذلك القرب فإن قلت و ما القرب قلنا القيام بالطاعة و قد يطلق على حقيقة قاب قوسين و هو قدر الخط الذي يقسم قطري الدائرة فيشقها بقسمين و هو غاية القرب المشهود و لا يدركه إلا صاحب إثبات لا صاحب محو فإن قلت فما المحو و ما الإثبات قلنا الإثبات إقامة أحكام العبادات و إثبات المواصلات و أما المحو فرفع أوصاف العادة و إزالة العلة و هو أيضا ما ستره الحق و نفاه و عنه يكون الذوق فإن قلت و ما الذوق قلنا أول مبادي التجلي المؤدي إلى الشرب فإن قلت و ما الشرب قلنا الوسط من التجلي من مقام يستدعي الري و قد يكون من مقام لا يستدعي الري و قد يكون مزاج الشارب لا يقبل الري فإن قلت و ما الري قلنا غايات التجلي في كل مقام فإن كان المشروب خمرا أدى إلى السكر فإن قلت و ما السكر قلنا غيبة بوارد قوي مفرح يكون عنه صحو في الكبير فإن قلت فما الصحو قلنا رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي فإن قلت و ما الغيبة قلنا غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحضور فإن قلت و ما الحضور قلنا حضور القلب بالحق عند غيبته فيتصف بالفناء فإن قلت و ما الفناء قلنا فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك و هو شبه البقاء فإن قلت و ما البقاء قلنا رؤية العبد قيام الله على كل شيء من عين الفرق فإن قلت و ما الفرق قلنا إشارة إلى خلق بلا حق و قيل مشاهدة العبودة و هو نقيض الجمع فإن قلت و ما الجمع قلنا إشارة إلى حق بلا خلق و عليه يرد جمع الجمع فإن قلت و ما جمع الجمع قلنا الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال فإن قلت و ما الجمال قلنا نعوت الرحمة و الألطاف من الحضرة الإلهية باسمه الجميل و هو الجمال الذي له الجلال المشهود في العالم

فإن قلت و ما الجلال قلنا نعوت القهر من الحضرة الإلهية الذي يكون عنده الوجود فإن قلت و ما الوجود قلنا وجدان الحق في الوجد فإن قلت و ما الوجد قلنا ما يصادف القلب من الأحوال المغنية له عن شهوده و إن تقدمه التواجد فإن قلت و ما التواجد قلنا استدعاء الوجد و إظهار حالة الوجد من غير وجد لأنس يجده صاحبه فإن قلت و ما الأنس قلنا أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب و هو جلال الجمال فإنه لا يكون عنه الهيبة فإن قلت و ما الهيبة قلنا هي مشاهدة جمال الله في القلب و أكثر الطبقة يرون الأنس و البسط من الجمال و ليس كذلك فإن قلت و ما البسط قلنا هو عندنا من يسع الأشياء و لا يسعه شيء و قيل هو حال الرجاء و قيل هو وارد توجبه إشارة إلى قبول و رحمة و أنس و هو نقيض القبض فإن قلت و ما القبض قلنا حال الخوف في الوقت و وارد يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب و تأديب و قيل أخذ وارد الوقت و هاتان الحالتان قد توجدان لأهل المكان فإن قلت و ما المكان قلنا منزلة في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات و الأحوال و جازوها إلى المقام الذي فوق الجلال و الجمال فلا صفة لهم و لا نعت قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و لا صفة لي و اختلف أصحابنا في هذا القول هل هو شطح أو ليس بشطح فإن المكان اقتضاه له فإن قلت و ما الشطح قلنا عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة و دعوى و هي نادرة أن توجد من المحققين أهل الشريعة فإن قلت و ما الشريعة قلنا عبارة عن الأمر بالتزام العبودية الذي لا يكون معها عين التحكم فإن قلت و ما عين التحكم قلنا تحدي الولي بما يريده إظهارا لمرتبته لأمر يراه فيزعجه فإن قلت و ما الانزعاج قلنا أثر الواعظ الذي في قلب المؤمن و في أصحاب الأحوال التحرك للوجد و الأنس فإن قلت و ما الحال قلنا هو ما يرد على القلب من غير تعمل و لا اجتلاب و من شرطه أن يزول و يعقبه المثل بعد المثل إلى أن يصفو و قد لا يعقبه المثل و من هنا نشأ الخلاف بين الطائفة في دوام الأحوال فمن رأى تعاقب الأمثال و لم يعلم أنها أمثال قال بدوامه و اشتقه من الحلول و من لم يعقبه مثل قال بعدم دوامه و اشتقه من حال يحول إذا زال و أنشدوا في ذلك

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا

و قد قيل الحال تغير الأوصاف على العبد فإذا استحكم و ثبت فهو المقام فإن قلت و ما المقام قلنا عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام و غاية صاحبه أن لا مقام و هو الأدب فإن قلت و ما الأدب قلنا وقتا يريدون به أدب الشريعة و وقتا أدب الخدمة و وقتا أدب الحق فأدب الشريعة الوقوف عند مراسمها و هي حدود الله و أدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها برؤية مجريها و أدب الحق أن تعرف ما لك و ما له و الأديب من كان بحكم الوقت أو من عرف وقته فإن قلت و ما الوقت قلنا ما أنت به من غير نظر إلى ماض

و لا إلى مستقبل هكذا حكم أهل الطريق فإن قلت و ما الطريق عندهم قلنا عبارة عن مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها من عزائم و رخص في أماكنها فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة فإن كثيرا من أهل الطريق لا يقول بالرخص و هو غلط فإنه يفوته محبة الله في إتيانها فلا يكون له ذوق فيها فهو كمثل الذي يقضي و لا يتنفل دائما و هو غاية الخطاء بل المشروع أن يتطوع فإن نقصت فرائضه كملت له من تطوعه و هو النوافل و إن لم ينتقص منها شيئا كانت له نوافل كما نواها و يحصل له ذوق محبة الله إياه من أجلها فقد أبطل شرع الله من لم تكن هذه حاله فإنه إن كانت فريضته تامة لم يجز قضاؤها فقد شرع ما لم يشرع له و لم يأذن به الله و أن الله ما يكتبها له نافلة فإنه ما نواها و قد أساء الأدب مع الله حيث سماها الله تطوعا و قال هذا قضاء فلا يحصل له ثمرة النوافل لأنها غير منوبة و لا ورد في ذلك شرع أنه يكتب له ما نواه قضاء نافلة هذا هو الطريق الذي يكون فيه سفر القوم فإن قلت و ما السفر قلنا القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر بحق أو بنفس كيف كان يسمى مسافرا فإن قلت و ما المسافر قلنا هو الذي سافر بفكره في المعقولات و هو الاعتبار في الشرع فعبر من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى و هو العامل السالك فإن قلت و ما السالك قلنا هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه و هو العمل فكان له عينا قال ذو النون لقيت فاطمة النيسابورية فما ذكرت لها مقاما إلا كان ذلك المقام لها حالا و قد يحصل هذا للمراد و المريد فإن قلت و ما المراد و ما المريد قلنا المراد عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمر له فجاوز الرسوم كلها و المقامات من غير مكابدة و أما المريد فهو المتجرد عن إرادته و قال أبو حامد هو الذي صح له الأسماء و دخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم و أما المريد عندنا فنطلقه على شخصين لحالين الواحد من سلك الطريق بمكابدة و مشاق و لم تصرفه تلك المشاق عن طريقه و الآخر من تنفذ إرادته في الأشياء و هذا هو المتحقق بالإرادة لا المراد فإن قلت و ما الإرادة قلنا لوعة في القلب يطلقونها و يريدون بها إرادة التمني و هي منه و إرادة الطبع و متعلقها الحظ النفسي و إرادة الحق و متعلقها الإخلاص و ذلك بحسب الهاجس فإن قلت و ما الهاجس قلنا الخاطر الأول و هو الخاطر الرباني الذي لا يخطئ أبدا و يسمونه السبب الأول و نقر الخاطر فهذا قد بينا لك ارتباط المقامات و المراتب بضرب من التناسب و تعلق بعضها ببعض و قليل من سلك في إيضاحها هذا المسلك و هذا مساق المسلسل في لغات العرب و هي طريقة غريبة أشار إليها إبراهيم بن أدهم و غيره رضي الله عنهم و بأن منها شرح ألفاظ اصطلاح القوم فحصل من ذلك منها فائدتان الواحدة معرفة ما اصطلحوا عليه و الثاني المناسبات التي بينهما و الله الموفق

(السؤال الرابع و الخمسون و مائة) ما تأويل أم الكتاب فإنه ادخرها من جميع الرسل له و لهذه الأمة الجواب الأم هي الجامعة و منه أم القرى و الرأس أم الجسد يقال أم رأسه لأنه مجموع القوي الحسية و المعنوية كلها التي للإنسان و كانت الفاتحة أما لجميع الكتب المنزلة و

هي القرآن العظيم أي المجموع العظيم الحاوي لكل شيء و كان محمد صلى الله عليه و سلم قد أوتي جوامع الكلم فشرعه تضمن جميع الشرائع و كان نبيا و آدم لم يخلق فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء عليهم السلام هم إرساله و نوابه في الأرض لغيبة جسمه و لو كان جسمه موجودا لما كان لأحد شرع معه و هو قوله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني و قال تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا و نحن المسلمون و علماؤنا الأنبياء و نحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها و شرعه أصلها و أرسل إلى الناس كافة و لم يكن ذلك لغيره و الناس من آدم إلى آخر إنسان و كانت فيهم الشرائع فهي شرائع محمد صلى الله عليه و سلم بأيدي نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له و لا حاكم إلا رجع إليه و اقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا لم يعطه أحد من نوابه و لا بد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث أنه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه و زيادة و أعطاه أم الكتاب فتضمنت جميع الصحف و الكتب و ظهر بها فينا مختصرة سبع آيات تحتوي على جميع الآيات كما كانت السبع الصفات الإلهية تتضمن جميع الأسماء الإلهية كلها و يرجع كل اسم إلهي إلى واحد منها بلا شك و قد فعل ذلك الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني في كتاب الجلي و الخفي له فرد جميع الأسماء إليها و ما وجد من الأسماء الإلهية لصفة الكلام إلا الاسم الشكور و الشاكر خاصة و باقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تتضمنها بلا شك فمنها ما ألحقه بالعلم و منها بالقدرة و سائر الصفات فكذلك أم الكتاب ألحق الله بها جميع الكتب و الصحف المنزلة على الأنبياء نواب محمد صلى الله عليه و سلم فادخرها له و لهذه الأمة ليتميز على الأنبياء بالتقدم و أنه الإمام الأكبر و أمته التي ظهر فيها خير أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ لظهوره بصورته فيهم و كذلك القرن الذي ظهر فيهم خير القرون لظهوره فيه بنفسه و قبل ذلك و بعده بشرعه فمن جمعية هذه الأمة أن جعل الله لأوليائها حظا في نعوت أهل البعد عن الله بطريق القربة فيقع الاشتراك في اللفظ و المعنى و يتغير المصرف كما قلنا في الحرص إنه مذموم فإذا حرصنا في طلب العلم و التقرب به إلى الله كان محمودا و هو بإطلاق اللفظ مذموم فإنه ما يستعمل مطلقا إلا في مذموم فإذا أريد به الحمد قيد فقيل حريص على الخير و هكذا الحسد يتعوذ منه مطلقا من غير تقييد فإنه بالإطلاق للذم و يستعمل في المحمود بالتقييد فلهذا جمع الله لأولياء هذه الأمة النظر في مثل هذا فحصلوا حظوظهم من أسماء الذم في الإطلاق حتى لا يفوتهم شيء إذ كانوا الجامعين للمقامات كلها فلهم في كل أمر شرب و حظ

إذا جاء نعت أي نعت فرضته ... لنا فيه حظ وافر ثم مشرب

سواء يكون النعت في ذم حالة ... و في حمدها فالكل للقوم مطلب

أ لست ترى أوصافه في نعوتنا و أوصافنا نعت له لا يكذب

له فرح في حالة و تبشش إلى ملل قد جاءنا و تعجب

و هزء نسيانه له و تردد و مكر و كيد كل ذاك مرتب

كما كان للعبد الجلال و مجده و عز و تعظيم لديه مرغب

و هذا من أوصاف الإله فدبروا كلامي الذي قد قلت فيه و طنبوا

كذلك نعتي الأولياء مدحتهم بما ذم عرفا في الأنام فنقبوا

فمن أنكر العلم الذي قد شرحته فليس هو الشخص العليم المقرب

فمنهم الحاسدون قال عليه السلام لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله علما فهو يبثه في الناس و رجل آتاه الله ما لا فهو ينفقه في سبيل البر فقام أهل النفوس الآبية التي تأبى الرذائل و تحب الفضائل و جماع الخير فقالوا لا ينبغي الحسد إلا في معالي الأمور و أعلى الأمور ما تعرف إلا بأربابها و رب الأرباب و ذو الصفات العلى و الأسماء الحسنى هو الله فيقال نتشبه به في التخلق بأسمائه ففعلوا و بالغوا و اجتهدوا إلى أن صاروا يقولون للشيء كن فيكون و ذلك أقصى المراتب التي تمدح الله بها فلو لا الحسد ما تعمل القوم في تحصيل هذا المقام و منهم الساحرون السحر بالإطلاق صفة مذمومة و حظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف و هو علم الأولياء فيتعلمون ما أودع الله في الحروف و الأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة و الخيال فهو و إن كان مذموما بالإطلاق فهو محمود بالتقييد و هو من باب الكرامات و خرق العوائد و لكن لا يسمون سحرة مع أنه يشاهد منهم خرق العوائد فسمى ذلك في حقهم كرامة و هو عين السحر عند العلماء فقد كان سحرة موسى ما زال عنهم علم السحر مع كونهم آمنوا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى و دخلوا في دين الله و آثروا الآخرة على الدنيا و رضوا بعذاب الله على يد فرعون مع كونهم يعلمون السحر و يسمى عندنا علم السيمياء مشتق من السمة و هي العلامة أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات من جمع حروف و تركيب أسماء و كلمات فمن الناس من يعطي ذلك كله في بسم الله وحده فيقوم له ذلك مقام جميع الأسماء كلها و تنزل من هذا العبد منزلة كن و هي آية من فاتحة الكتاب و من هناك تفعل لا من بسملة سائر السور و ما عند أكثر الناس من ذلك خبر و البسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق هي بسملة الفاتحة و أما بسملة سائر السور فهي لأمور خاصة و قد لقينا فاطمة بنت مثنى و كانت من أكابر الصالحين تتصرف في العالم و يظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب خاصة كل شيء رأيت ذلك منها و كانت تتخيل أن تلك يعرفه كل أحد و

كانت تقول لي العجب ممن يعتاص عليه شيء و عنده فاتحة الكتاب لأي شيء لا يقرءوها فيكون له ما يريد ما هذا إلا حرمان بين و خدمتها و انتفعت بها و منهم الكافرون و هم الساترون مقامهم مثل الملامية و الكفار الزراعون لأنهم يسترون البذر في الأرض و ذلك أن أهل الأنس و الجمال و الرحمة إذا نظروا في القرآن و في الأشياء كلها لم تقع عينهم إلا على حسن و جمال لا على غير ذلك كان ذلك ما كان و إذا قرءوا القرآن لم يقم لهم من صور الممقوتين إلا ما تضمنه من مصارف الحسن فعلى ذلك تقع أعينهم و ذلك يشهد هم الحق من تلك الآية التي وصف الله بها من مقته من عباده لقيام تلك الصفة به على حد مطلقها فيأخذون من كل صفة ما يليق بهم في طريقهم فيصرفون ذلك إليهم بالوجه الأحسن فيتنعمون بما هو عذاب عند غيرهم و الصورة واحدة و المتصور مختلف منها لاختلاف الناظرين فلكل منظر عين تخصه فالكافر من ختم الله عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً و الكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذه بيته فقال ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي و الله غيور فلا يريد أن يزاحمه أحد من خلقه فيه كما ختم الحرم فلم يحل لأحد قتل صيده و لا قطع شجره فإن الله لا ينظر إلا إلى قلب العبد فلما ختم الله على قلب هذا العبد لم يدخل في قلبه سوى ربه و ختم على سمعه فلا يصغي إلى كلام أحد إلا إلى كلام ربه ف هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ و عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً و هي غطاء العناية فلا ينظرون إلى شيء إلا و لهم فيه آية تدل على الله فكان هذا الحفظ غشاوة تحول بين أعينهم و بين النظر من غير دلالة و لا اعتبار و حالت بينهم و بين ما لا ينبغي أن ينظر إليه فهي غشاوة محمودة وَلَهُمْ عَذابٌ من العذوبة عَظِيمٌ يعني عظيم القدر فإن العذاب إنما سماه الله بهذا الاسم إيثارا للمؤمن فإنه يستعذب ما يقوم بأعداء الله من الآلام فهو عذاب بالنظر إلى هؤلاء و منهم الصم البكم العمي الذين لا يَعْقِلُونَ و لا يَرْجِعُونَ فهم صُمٌّ عن سماع ما لا يحل سماعه و عن سماع كل كلام غير كلام سيدهم بُكْمٌ أي خرس فلا يتكلمون بما لا يرضى سيدهم كما كان أولئك بكم عن الكلام بذكر الله فاختلف المصرف و صح الوصف عُمْيٌ فلا تقع عينهم على غير الله فاعلا في الأشياء و كل واحد من الأولياء على قدر مقامه في ذلك من المعرفة بالله فإنهم تختلف مأخذهم في المحمود من ذلك و لا يتسع الوقت لتفصيل ذلك و حصلت الفائدة بالتنبيه على اليسير من ذلك فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ إلا إلى الله و لا يَعْقِلُونَ إلا عن الله لا يرجعون إلى المصارف المذمومة من هذه الصفات حيث وصف بها الأشقياء من عباده فهم لا يعقلون من هذه الصفات سوى ما يحمد منها في صرفه فهي كل صفة بحقيقتها في كل موصوف بها و اختلفوا في المصرف فلم يكن اتصافهم بها مجازا بل هو حقيقة و منهم الظالمون قال تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا من عِبادِنا و المصطفى هو الولي ثم قال في المصطفين فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ و هو أن يمنعها حقها من أجلها أي الحق الذي لك يا نفسي علي في الدنيا يؤخره لك إلى الآخرة و بادر هنا إلى الكد و الاجتهاد و خذ بالعزائم و اجتنب الميل إلى الرخص و هذا

كله حق لها فهو ظالم لنفسه نفسه من أجل نفسه و لهذا قال فيمن اصطفاه فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ أي من أجل نفسه ليسعدها فما ظلمها إلا لها و منهم الساهون و هم الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ بصلاة الله بهم فهم يرون أن نواصيهم بيد الله يقيمهم فيها و يركع بهم و يسجد بهم و يقرأ بهم و يكبر بهم و يسلم بهم لأنه سمعهم و بصرهم و لسانهم و يدهم و رجلهم كما ورد في الخبر و من كان هذا مشهده و حاله فهو عن صلاته ساه فإنه لم يقل عن الصلاة فإنه ليس بساه عن الصلاة و إنما سهوهم عن إضافة الصلاة إليهم فلهذا اعتبروا قوله عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ و الويل الذي لهم إنما هو بالنظر لمن جمع في نظره بين صلاته و صلاة الله به فإنه الأكمل فإذا قست بين الرجلين في هذين المقامين الكبيرين نقص أحدهما ما كان خيرا في حق الآخر الجامع لهما فيكون ذلك النقص ويلا له بالإضافة حسنات الأبرار سيئات المقربين و جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها و منهم المراؤون الذين يُراؤُنَ النَّاسَ و هم الذين يفعلون الفعل ليقتدي بهم فيه علماء هذه الأمة يعلمون الناس بالفعل يقصدون تعليمهم إذ كان الفعل أتم عند الرأي من القول كما قال عليه السلام صلوا كما رأيتموني أصلي مع كونه وصف الصلاة لهم و مع هذا كله صلى على المنبر ليراه الناس فيقتدوا به و هكذا في كل ما يمكن من الأعمال هذا حظ الأولياء من الرياء في الأفعال المقربة إلى الله و منهم المانعون الماعون و حظهم من هؤلاء أن يحجبوا الناس عن رؤية الأسباب ليصرفوا نظرهم إلى مسببها فلا معين إلا الله قيل لهم قولوا وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لا بالماعون و منهم الهماز لون اللماز لون و هم العيابون و أولياء الله يطلعون كل شخص على عيوب النفس إذ كان لا يشعر كل أحد بذلك فإذا أخذ العارف يصف عيوب النفوس في حق كل طائفة من أصحاب المراتب كالسلطان و ما يتعلق بمرتبته من العيوب و القاضي و جميع الولاة و عيوب نفوس الزهاد و الصالحين و العوام فيعرف كل طائفة عيبها بعد ما كان مستورا عنها هذا حظهم من الهمز و اللمز و منهم الفاسقون الناقضون القاطعون المفسدون الفاسقون الخارجون عن الصفات التي تحول بينهم و بين السعادة و القربة إلى الله فهم يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ مِيثاقِهِ و ذلك أنهم يعهدون مع الله أن يطيعوه فإذا حصلوا في مقام التقريب و الكشف رأوا أن الله هو العامل بهم وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ فرأوا أنهم لا حول لهم و لا فعل و لا قول فنقضوا عهد الله برده إليه سبحانه لأنه ما انعقد ذلك إلا مع فاعل يفعله و رأوا مشاهدة أن الله هو الفاعل لذلك فلم يقع العهد في نفس الأمر إلا من الله بين الله و بين نفسه فعلموا أن الحجاب أعماهم عن هذا الإدراك في حين أخذ العهد و أن العهد إنما يلزم لأهل الحجاب فانتقض عهدهم و الأعمال تجري منهم بالله و هم لا يرونها فهم المعصومون في أعمالهم عن إضافتها إليهم و كذلك في قطعهم ما أمرهم الله أن يصلوه من أرحامهم فقال عليه السلام الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله فوصلوها بالرحمن و ردوا القطعة إلى موضعها فشاهدوا الرحمن يمتن عليهم و خرج هؤلاء من الوسط و امتثلوا قول الشارع بصلة الرحم فأخذها الناس على صلة القرابة بالمال و يأخذ هؤلاء على صلة القربى إلى الله فهم يدلون

أرحامهم على أصلهم و هو الرحمن و يرون في إعطائهم الصلات يد الله معطية و يد الله آخذة فإنها شجنة من الرحمن فالعطاء منه و الأخذ منه فانقطع هؤلاء عن صلة الرحم بالمال لأنهم لا يد لهم مع غاية الإحسان في الشاهد و الناس لا يشعرون و كذلك قوله وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ و فساد دنياهم هو فسادهم في الأرض لأن الجنة في السماء و في هذا الفساد صلاح آخرتهم في السماء فيصومون و يسهرون و يحملون الأثقال الشاقة و هذا كله من فساد أرض أجسامهم لما طرأ عليها من النحول و الذبول و الضعف و هذا كله وصف أهل الشقاء في الكتاب فقال فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ثم وصفهم الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ به أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ و منهم الضالون و هم التائهون الحائرون في جلال الله و عظمته كلما أرادوا أن يسكنوا فتح لهم من العلم به ما حيرهم و أقلقهم فلا يزالون حيارى لا ينضبط لهم منه ما يسكنون عنده بل عقولهم حائرة فهؤلاء هم الضالون الذين حيرهم التجلي في الصور المختلفة و منهم المضلون قال تعالى وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً و هو في الاعتبار الذين أظهروا لأتباعهم من المتعلمين طريق الحيرة في الله و العجز عن معرفته و أنه بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ مع كونه خاطب عباده بالعمل و هو العامل بهم لا هم فلما نبهوا الناس على ما يقتضيه جلال الله من الإطلاق و عدم التقييد كانوا مضلين أي محيرين من أجل ما حيروا الخلق في جلال الله فقال تعالى ما جعلناهم محيرين عضدا يعتضد بهم في تحييرهم بل أنا محيرهم على الحقيقة لا هم مع كونهم لهم أجر ما قصدوه و الدليل على أني محيرهم لا هم و لا اتخذتهم عضدا أن من الناس من يقبل منهم و من الناس من لا يقبل و لو كان الأمر بأيديهم لأثروا في الكل القبول فلما كان الأمر بيدي لا بأيديهم جعلت القبول في البعض دون البعض فقبلوا الحيرة في فإنا كنت محيرهم لا هم فعلى هذا يعتبر قوله وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً بل لناجرهم على ذلك و منهم الكاذبون و هم الذين يقولون صلينا و سمعنا و أطعنا و قيل لهم يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا و غير ذلك مما يدعونه من أعمال البر المأمور بها شرعا و هم يعلمون أن الأمور بيد الله و أنه لولا ما أجرى الله العمل على أيديهم ما ظهر و لو لا أن الله قال لهذا العمل كن في هذا المحل ما كان و هم مع ذلك يضيفونه إلى أنفسهم فهم كاذبون من هذا الوجه و هكذا يسرى في سائر الأعمال و منهم المكذبون و هي الطائفة التي ترى هؤلاء المدعين في أعمالهم ممن يراها أنها أعمالنا و ممن يراها أنها من الله و لكن يدعونها و هم كاذبون فتكذبهم هذه الطائفة في دعواهم و إضافتهم ذلك إليهم فيقال فيهم مكذبون و الكامل من يضيف الأعمال على حد ما أضافها الحق و يزيلها عن الإضافة على حد ما أزالها الحق من علمه بالمواطن فمن نقص عن هذا النظر و كذب المدعين في كل حال فقد نقصه هذا الأدب مع كونه جليل القدر فهذا النقص يعبر عنه بالويل في حقه الذي في العموم للمكذبين فإنه يقول يوم القيامة إذا رأى ما فاته في تكذيبه من المواطن التي كان ينبغي له أن يقرر فيها إضافة العمل إليهم فلم يفعل يا ويلنا لم لم أحقق النظر في ذلك حتى أفوز بعلم الأدب

الذي هو جماع الخير فيدخل تحت عموم قوله فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أي يقولون يا وَيْلَتى و يا حَسْرَتى و إن كانوا سعداء فإنه يَوْمُ التَّغابُنِ و منهم الفجار فإنهم في سجين من السجن و هم الذين حبسوا نفوسهم و سجنوها عن التصرف فيما منعوا من التصرف فيه و لا يقع التفجير إلا في محبوس عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً فهم الفجار جاءوا عيون المعارف التي سدها الله في العموم لكون الفطر أكثرها لا تسعد بتفجيرها لما يؤدي إليه بالنظر الفاسد من الإباحة و القول بالحلول و غير ذلك مما يشقيهم فجاءت هذه الطائفة إلى المعنى ففجرت هذه العيون لأنفسها فشربت من مائها فزادت هدى إلى هداها و بيانا إلى بيانها فسعدت و طالت و عظمت سعادتها فهذا حظ الأولياء من الفجور الذي سموا به فجارا و على هذا الأسلوب نأخذ كل صفة مذمومة بالإطلاق فتقيدها فتكون محمودة و نضع عليك اسما منها كما يسمى صاحب إطلاقها فلتتبع الكتاب العزيز و السنة في ذلك و اعمل بحسبها فإنه يعطيك النظر فيها من حيث ما وصف بها الأشقياء ما لا يعطيك من حيث ما وصف بنقيضها الأتقياء فاجعل بالك و هذا كله من بركة أم الكتاب فإنه مثل هذا النظر ما فتح لأمة من الأمم و عصمت فيه إلا لهذه الأمة و أعظم صفة في الذم الشرك و منهم المشركون بالله قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به و كذا هو لأنه لو ستر لم يشرك به و هذا الاسم الله هو الذي وقع عليه الشرك فيما يتضمنه فشاركه الاسم الرحمن قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فجعل للاسم الله شريكا في المعنى و هو الاسم الرحمن فالمشركون هم الذين وقعوا على الشركة في الأسماء الإلهية لأنها اشتركت في الدلالة على الذات و تميزت بأعيانها بما تدل عليه من رحمة و مغفرة و انتقام و حياة و علم و غير ذلك و إذ كان للشرك مثل هذا الوجه فقد قرب عليك مأخذ كل صفة يمكن أن تغفر فلا تجزع من أجل الشريك الذي شقي صاحبه فإن ذلك ليس بمشرك حقيقة و أنت هو المشرك على الحقيقة لأنه من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيه فيكون لكل واحد الحكم فيه على السواء و إلا فليس بشريك مطلق و هذا الشريك الذي أثبته الشقي لم يتوارد مع الله على أمر يقع فيه الاشتراك فليس بمشرك على الحقيقة بخلاف السعيد فإنه أشرك الاسم الرحمن بالاسم الله و بالأسماء كلها في الدلالة على الذات فهو أقوى في الشرك من هذا فإن الأول شريك دعوى كاذبة و هذا أثبت شريكا بدعوى صادقة فغفر لهذا المشرك بصدقه فيه و لم يغفر لذلك المشرك لكذبه في دعواه فهذا أولى باسم المشرك من الآخر

(السؤال الخامس و الخمسون و مائة) ما معنى المغفرة التي لنبينا و قد بشر النبيين بالمغفرة الجواب الغفر الستر فستر عن الأنبياء عليهم السلام في الدنيا كونهم نوابا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و كشف لهم عن ذلك في الآخرة إذ قال أنا سيد الناس يوم القيامة فيشفع فيهم صلى الله عليه و سلم أن يشفعوا فإن شفاعته صلى الله عليه و سلم في كل مشفوع فيه بحسب ما يقتضيه حاله من وجوه

الشفاعة فبشر النبيين بالمغفرة الخاصة و بشر محمدا صلى الله عليه و سلم بالمغفرة العامة و قد ثبتت عصمته فليس له ذنب يغفر فلم يبق إضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب و القصد أمته كما قيل إياك أعني فاسمعي يا جارة و كما قيل له فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ من قَبْلِكَ و معلوم أنه ليس في شك فالمقصود من هو في شك من الأمة و كذلك لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و قد علم أنه لا يشرك فالمقصود من أشرك فهذه صفته فكذلك قيل له لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ و هو معصوم من الذنوب فهو المخاطب بالمغفرة و المقصود من تقدم من آدم إلى زمانه و ما تأخر من الأمة من زمانه إلى يوم القيامة فإن الكل أمته فإنه ما من أمة إلا و هي تحت شرع من الله و قد قررنا إن ذلك هو شرع محمد صلى الله عليه و سلم من اسمه الباطن حيث كان نبيا و آدم بين الماء و الطين و هو سيد النبيين و المرسلين فإنه سيد الناس و هم من الناس و قد تقدم تقرير هذا كله فبشر الله محمدا صلى الله عليه و سلم بقوله لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ بعموم رسالته إلى الناس كافة و كذلك قال إنا أرسلناك إلى الناس كافة و ما يلزم الناس رؤية شخصه فكما وجه في زمان ظهور جسمه رسوله عليا و معاذا إلى اليمن لتبليغ الدعوة كذلك وجه الرسل و الأنبياء إلى أممهم من حين كان نبيا و آدم بين الماء و الطين فدعا الكل إلى الله فالناس أمته من آدم إلى يوم القيامة فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس و ما تأخر منهم فكان هو المخاطب و المقصود الناس فيغفر الله للكل و يسعدهم و هو اللائق بعموم رحمته التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و بعموم مرتبة محمد صلى الله عليه و سلم حيث بعث إلى الناس كافة بالنص و لم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة و لا إلى أهل هذا الزمان إلى يوم القيامة خاصة و إنما أخبره أنه مرسل إلى الناس كافة و الناس من آدم إلى يوم القيامة فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدم من ذنب و ما تأخر وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ لكن ثم مغفرة في الدنيا و ثم مغفرة في القبر و ثم مغفرة في الحشر و ثم مغفرة في النار بخروج منها و بغير خروج لكن يستر عن العذاب أن يصل إليه بما يجعل له من النعيم في النار مما يستعذ به فهو عذاب بلا ألم و قد انتهت سؤالاته رضي الله عنه و انتهى ما ذكرناه من الأجوبة عليها من غير استيفاء و ما تركناه من ذلك في الجواب أكثر مما أوردنا بما لا يتقارب فإن الاختصار أولى من الإكثار إذ باب النطق و الإبانة عن حقائق الأمور لا يتناهى فإن علم الله أوسع فتعليمه لنا لا يقف عند حد و الله الموفق لا رب غيره انتهى الجزء الحادي و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع و السبعون في التوبة شعر)

الاعتراف متاب كل محقق و به الإله الحق يشرح صدره

رضي الإله عن المخالف مثل ما رضي الإله عن الموافق أمره

ما ذا كثير أن ينال مناله لا سيما إن كنت تعرف سره

من عين منته ينال مخالف ما ناله إن كنت تجهل قدره

اعلم أيدنا الله و إياك أن الله يقول وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فأمر بالتوبة عباده ثم لقنهم الحجة لو خالفوا أمره فقال تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ليقولوا إذا سألوا ذلك أي لو تبت علينا لتبنا مثل قوله تعالى ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ليقول كرمك فهذا من باب تعليم الخصم الحجة خصمه ليحاجه بذلك إذا كان محبوبا و جاء بلفظة الإنسان بالألف و اللام و الإغرار ليعم جميع الناس فهذا مما يدلك على إن إرادة الحق بهم السعادة في المال و لو نالهم ما نالهم مما يناقضها غير أن توبة الله مقرونة بعلي لأن من أسمائه الاسم العلي و توبة الخلق مقرونة بإلى لأنه المطلوب بالتوبة فهو غايتها و اجتمع الحق و الخلق في من من التوبة فهم رجعوا إليه من أنفسهم و العارفون رجعوا إليه منه و العلماء بالله رجعوا إليه من رجوعهم إليه و أما العامة فإنها رجعت من المخالفات إلى الموافقة و الحق عز و جل رجع إليهم من كناية إن يخذلكم ليرجعوا إليه بحسب ما تقتضيه مقاماتهم التي فصلناها آنفا فرجوع الحق عليهم ليرجعوا إليه مثل قوله يحبهم و يحبونه فرجوعه عليهم رجوع عناية محبة أزلية ليتوبوا فإذا تابوا أحبهم حب من رجع إليه فهو حب جزاء قال تعالى إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ فهذا الحب منه ما هو الأول و للعبد حب آخر زائد على قوله وَيُحِبُّونَهُ و هو أنه قال صلى الله عليه و سلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فهذا حب جزاء المنعم لما أنعم به عليهم فهذا الحب منهم في مقابلة إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ حب جزاء لحب جزاء و الأول حب عناية منه ابتداء و حبهم إياه حب إيثار لجنابه لا حب آلاء و نعم فالتوبة منهم عن محبة منتجة لمحبة أخرى منه فهي بين محبتين متعلقتين بهم من الله كتوبته عليهم عن محبة منهم تنتج محبة أخرى منهم فتوبته عليهم بين محبتين أيضا و هذا من باب خلق الله آدم على صورته أي جميع ما تقبله الحضرة الإلهية من الصفات يقبلها الإنسان الصغير و الكبير و حدها ترك الزلة في الحال و الندم على ما فات و العزم على أنه لا يعود لما رجع عنه و يفعل الله بعد ذلك ما يريد فأما ترك الزلة في الحال فلا بد منه لأن سلطان وقته الحياء و الحياء يحول بسلطانه بين من قام به و بين تعدى حدود الله و من أسماء الله تعالى المذكور في السنة الحي و أن الله يستحيي يوم القيامة من ذي الشيبة فحياء الله من العبد إنه قد أعلمه أنه سبحانه لا يتوبون إليه حتى يتوب عليهم فإذا وقف المخذول الذي لم يتب الله عليه فلم يتب إليه و كان في حال وقوفه بين يديه يوم القيامة ذاكرا في نفسه هذه الآية ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا استحيا الله منه أن يؤاخذه بذنب كما إن العبد يستحيي من الله في حال توبته إلى الله أن يقع منه زلة و هو في هذا الحال فإنه ليس بتائب في تلك الحال و نحن تكلمنا في التائب فالحياء له لازم و الحياء يقتضي ترك

الزلة في الحال و من ترك الزلة في الحال للتائب إذا كان عارفا هو ترك نسبتها إلى ربه فينسبها إلى نفسه أدبا مع الله و في نفس الأمر الفعل فعل الله و القدر من الله و الحكم بكونها معصية و زلة حكم الله و مع هذا فالأدب يقول له انسبها إلى نفسك لما تعلق بها لسان الذم و لهذا قال في حد النفس كل خاطر مذموم و الأصل فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها و من العلماء بالله من يكون ترك الزلة في الحال عندهم أن لا يشهدوا أنها زلة و هو عين قضاء الله فيها لأنه الذي حكم أنها زلة و من حيث إنها فعل من أفعال الله فهي في غاية الحسن و الجمال و إنما سميت زلة من زل إذا زلق أي زلت من نسبة كونها من أفعال الله إلى حكم الله فيها بالذم فحكم الله فيها بالزلل عن هذه المرتبة فاعلم و من العلماء بالله من يكون ترك الزلة في حقه أن يشهد الزلة في ذلك الفعل من كونها زلة لا من كونها فعلا يتعلق به الذم أو الحمد فيشهد نسبتها للعبد التي بها سميت زلة ثم يتبعها الذم و إن كان كل فعل إلهي نسب إلى العبد من هذا الباب فجميع الأفعال الكونية كلها زلل محمودها و مذمومها و من الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه شغله برجوعه إلى ربه و الذلة رجوعه عن ربه فهو في النقيض و من هو في النقيض بالحال لا يكون في نقيضه فبالضرورة لا يكون له في هذه الحال زلة و من الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه هو شغله بشهوده رجوع الحق عليه ليرجع إليه ليفرق ما بين رجوعه عليه ليرجع إليه و بين رجوع آخر لا ليرجع إليه ليميز بين الرجوعين ليقيم على نفسه ميزان ما يجب عليه في ذلك من الله من عمل من الأعمال من ذكر بلسان أو قلب أو عمل بجارحة أو المجموع أو بعض المجموع و من كان بهذه المثابة من الشغل فلا تقوم به زلة في الحال و من الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه أن يشهد رجوع الحق إليه لا ليميز و لا ليرجع إليه بل ليعلم حقيقة معنى الرجوع الإلهي لما ذا ينسبه هل إلى الذات أو لاسم إلهي و ما سبب ذلك الرجوع هل هو ذاتي أو غير ذاتي أو لا نسبة له إلى الذات فهذه الوجوه و أمثالها مما يطلبه ترك الزلة في الحال و أما الركن الثاني و هو الندم على ما فات و هو عند الفقهاء الركن الأعظم بمنزلة قوله الحج عرفة لأنه الركن الأعظم و هنا تتشعب أمور كثيرة في التائبين ميم الندم منقلبة عن باء مثل لازم و لازب و هو أثر حزنه على ما فاته يسمى ندما و الندب الأثر فقلبت ميما و جعلت لأثر الحزن خاصة و أما تعلقه بالفوات فمن أصحابنا من رأى أنه تضييع للوقت فإنه ما فات لا يسترجع و من أصحابنا من يرى أنه صاحب الوقت و أن فائدته أن يجبر له ما مضى و يحتج بقوله إِلَّا من تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ و من أصحابنا من يرى أنه لا يندم إلا بإحضاره في نفسه ذنبه الحائل بينه و بين ما فاته من طاعة أمر ربه عز و جل و ذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فينبغي له أن ينسى ذنبه و هو خلاف الأول فإنه قال التوبة أن لا تنسى ذنبك و الكلام فيما فاته فمنهم من يندم على ما فاته من الاستغفار في عقب كل ذنب و منهم من يرى الندم على ما فاته من الوقت و من الناس من يرى الندم على ما فاته من الطاعة في وقت المخالفة و من الناس من يرى الندم على ما فاته من

فعل الكبائر في وقت المخالفة لأنه يشاهد التبديل كل سيئة بما يوازنها من الحسنات كقتل نفس بإحياء نفس و ذم بمحمدة و صدقة بغصب أو سرقة أو خيانة و من الناس من يرى الندم على ما فاته من الحضور مع الله في قضائه بالمعصية في حال المعصية و من الناس من يرى الندم على ما فاته من إضافة ذلك الفعل إلى الفاعل في حال الفعل و هو نور عظيم شعشعاني حجابه أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فقرن به السوء لما أضافه إليه فرآه حسنا و لا بد من حضرة وجودية هي التي أوجبت له الحسن الذي رآه محل الفعل إذ العدم لا يراه الممكن و ما ثم حسن إلا كونه من أفعال الله و ما أساءه إلا إضافته إلى العبد فإنه قال أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ بكونه لربه سُوءُ عَمَلِهِ من كونه عمله فكسبه السوء فَرَآهُ حَسَناً بالتزيين الإلهي و زينة الله غير محرمة فهو في نفس الأمر مزين بزينة الله و عند العبد بحسب ما يحضر فيه فإن حضره تزيين الشيطان فهو سوء على سوء و إن حضره تزيين الحياة الدنيا فهو غفلة في سوء و إن حضرة تزيين الله و الإضافة إلى العبد فهو حسن في سوء فإن أخذ إضافة السوء إلى العمل أدبا إلهيا فهو حسن في حسن

كل شيء أنت فيه حسن لا يبالي حسن ما لبسا

من ثوب مخالفة أو موافقة فإنك إن لم توافق الأمر وافقت الإرادة و لو لا ما بين السيئ و الحسن مناسبة تقتضي جمعهما في عين واحدة يكون بها حسنا سيا ما قبل التبديل في قوله يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ و لا كان يتصف سوء العمل بالحسن في رؤيته فما اتصف بالحسن عنده حتى قبل العمل صفة الحسن في وجه من الوجوه الوجودية فهو سوء بالخبر حسن بالرؤية فكان الرؤية لا تصدق الخبر و شاهد الرؤية أقطع

و لكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكليم

و الناس يطلبون أن يصدق الخبر الخبر و الخبر الرؤية و لم نر أحدا يطلب أن يصدق الخبر الرؤية كما يصدق الخبر الخبر و لهذا اختلف في شهادة الأعمى و لم يختلف في شهادة صاحب البصر و لهذا قال في الآية فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ من يَشاءُ أي يحيره في مثل هذا حيث وصفه بالسيئ و الحسن فلا يدري المكلف ما يغلب و بقوله زين بنية ما لم يسم فاعله فلا يدري من زينه هل تزيين الله أو تزيين الشيطان أو تزيين الحياة الدنيا ثم قال وَيَهْدِي من يَشاءُ أي يوفق للاصابة في معنى السوء و الحسن لهذا العمل ما معناه و كيف ينبغي أن يأخذه فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ أي فلا تكترث لهم حسرة عليهم فهي بشرى من الله بسعادة الجميع فإنه ما حيل بينه صلى الله عليه و سلم و بين إنسانيته فهو إنسان في كل حال و لا تزول الحسرات عنه و هو إنسان كامل إلا باطلاعه على سعادتهم في المال فلا يبالي من العوارض فإن السوء للعمل عارض بلا شك و الحسن له ذاتي و كل عارض زائل و كل ذاتي باق لا يبرح فَإِنَّ اللهَ خبير أي عَلِيمٌ عن ابتلاء بِما يَصْنَعُونَ

من كل ما يظهر فيكم من الأفعال و عنكم و في هذا الركن أيضا في قوله ما فات من فات فلان فلانا جودا إذا أربى عليه في الجود و زاد فهذا يرى الندم في التوبة على ما فات أي ما زاد حسن السيئة المبدلة على حسن الحسنة غير المبدلة فإن حسن الحسنة بنفسها لا بأمر آخر و حسن السيئة إذا أبدلت لها حسنان حسن ذاتي و هو الحسن الذي لكل فعل من حيث ما هو لله و حسن زائد و هو ما خلع الحق على هذا الفعل بالتبديل فكسا ما ظهر فيه من السوء حسنا ففات سوء العمل حسن على حسن العمل بما كساه الحق فالحسنة كشخص جميل في غاية الجمال لا بزة عليه و شخص جميل مثله في غاية الجمال طرأ عليه وسخ من غبار فنظف من ذلك الوسخ العارض فبان جماله ثم كسي بزة حسنة فاخرة تضاعف بها جماله و حسنه ففات الأول حسنا فالتائب يندم على ما فات حيث لم تكن أفعاله كلها معلومة له إنها بهذه المثابة فيتصل فرحه قال في هذه الآية وَكانَ اللهُ غَفُوراً أي يستر عمن شاء الوقوف على مثل هذا كشفا رَحِيماً رحمة به لمعنى علمه سبحانه لم يعينه لنا فندم مثل هذا الذي هو أثر الحزن مثل ما يجده المحب على محبوبه من الوجد و الحزن و الكرب و الندم على ما فرط في حق محبوبه الذي زين له فكان يتلقاه بأعظم مما تلقاه من الحرمة و الحشمة يقول لسان آدم

فيا طاعتي لو كنت كنت بحسرة و معصيتي لولاك ما كنت مجتبى

قال تعالى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى فالله كان التائب لا آدم و الذي صدر من آدم ما اقتضته خاصية الكلمات التي تلقاها و ما فيها ذكر توبة و إنما هو مجرد اعتراف و هو قوله رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا حيث عرضوها إلى التلف و كان حقها عليهم أن يسعوا في نجاتها بامتثال نهي سيدهم وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا أي و إن لم تسترنا عن وارد المخالفة حتى لا يحكم سلطانه علينا و ترحمنا بذلك الستر لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ ما ربحت تجارتنا فانتج لهم هذا الاعتراف قوله فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى أي رجع عليهم بستره فحال بينهم ذلك الستر الإلهي و بين العقوبة التي تقتضيها المخالفة و جعل ذلك من عناية الاجتباء أي لما اجتباه أعطاه الكلمات و هدى أي بين له قدر ما فعل و قدر ما يستحقه من الجزاء و قدر ما أنعم به عليه من الاجتباء و مع التوبة قال له اهبط هبوط ولاية و استخلاف لا هبوط طرد فهو هبوط مكان لا هبوط رتبة

هبوط مكان لا هبوط مكانة لتلقى به فوزا و ملكا مخلدا

كما قال من أغواه صدقا لكونه رآه كلاما من إله مسددا

فإن إبليس قال له هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى فسمع ذلك الخطاب من ربه تعالى فكان صدقا لحسن ظنه بربه فعرض له من أجل المحل الذي ظهر فيه خطاب الحق و أورثه ظهور السوآت من أجل المحل و أورثه الأكل الخلد و الملك الذي لا يبلى و لكن بعد

ظهور سلطانه و نيابته و نيابة بنيه في خلقه حكما مقسطا عدلا يرفع القسط و يضعه أو رثه ذلك كله توبة ربه و اعلم أن توبة ربه مقطوع لها بالقبول و توبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل و عدم العلم باستيفاء حدودها و شروطها و علم الله فيها فالعارفون آدميون يسألون من ربهم أن يتوب عليهم و حظهم من التوبة الاعتراف و السؤال لا غير ذلك هذا معنى قوله تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أي ارجعوا إلى الاعتراف و الدعاء كما فعل أبوكم آدم فإن الرجوع إلى الله بطريق العهد و هو لا يعلم ما في علم الله فيه خطر عظيم فإنه إن كان قد بقي عليه شيء من مخالفة فلا بد من نقض ذلك العهد فينتظم في قوله الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ مِيثاقِهِ فلم ير أكمل معرفة من آدم عليه السلام حيث اعترف و دعا و ما عهد مع الله توبة عزم فيها إنه لا يعود كما يشترطه علماء الرسوم في حد التوبة فالناصح نفسه من سلك طريقة آدم فإن في العزم سوء أدب مع الله بكل وجه فإنه لا يخلو أن يكون عالما بعلم الله فيه إنه لا يقع منه زلة في المستأنف أم لا فإن كان عالما بذلك فلا فائدة في العزم على أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود و إن لم يعلم و عاهد الله على ذلك و كان ممن قضى الله عليه أن يعود ناقض عهد الله و ميثاقه و إن أعلمه الله أنه يعود فعزمه بعد العلم أنه يعود مكابرة فعلى كل وجه لا فائدة للعزم في المستأنف لا لذي العلم و لا لغير العالم فالتوبة التي طلب منا إنما هي صورة ما جرى من آدم عليه السلام هذا معنى التوبة عند أهل الله فإن الله يحب كل مفتن تواب أي كل من اختبره الله في كل نفس فيرجع إلى الله فيه لا عزم إنه لا يعود لما تاب منه فهو جهل على الحقيقة فإن الذي تاب منه من المحال أن يرجع إليه و إن رجع إنما يرجع إلى مثله لا إلى عينه فإن الله لا يكرر شيئا في الوجود فالعالم بذلك لا يعزم على أنه لا يعود و الذي ينظره أهل الله أن التائب يعزم أنه لا يعود أن ينسب إليه ما ليس إليه و إن عاد بنسبته إليه فقد علم عند العزم أن ذلك العود إلى الله لا إليه فلا تضره الغفلة بعد تصحيح الأصل و هو بمنزلة النية عند الشروع في العمل فإن الغفلة لا تؤثر في العمل فسادا و إن لم يحصر في أثناء العمل ما أحضره عند الشروع فهكذا العازم في عزمه و اعلم أن مقام التوبة من المقامات المستصحبة إلى حين الموت ما دام مخاطبا بالتكليف أعني التوبة المشروعة و أما توبة المحققين فلا ترتفع دنيا و لا آخرة فلها البداية و لا نهاية لها إلا أن يكون الاسم التواب في المظهر عين الظاهر فلا بدء في أحواله و لا نهاية و إن كانت كل توبة لها بدء و التوبة الكونية ملكية جبروتية عند الجماعة و هو محل إجماعهم و زاد بعضهم أنها ملكوتية فمن لم ير أنها ملكوتية قال إنها تعطي صاحبها ثمانمائة مقام و ثمانية مقامات و من رأى أنها ملكوتية قال إنها تعطي أربعمائة مقام و ثلاثة عشر مقاما و الواقفية أرباب المواقف مثل محمد بن عبد الجبار النفري و أبي يزيد البسطامي قال هي غيبية آثارها حسية و جميع ما تتضمنه هذه المعاملات من المقامات الإلهية الجسام ما فيها مقام يتكرر على ما قد تقرر في الأصل و لو تاب الخلق كلهم ملك و إنس و جان و معدن و نبات و حيوان و فلك و نالوا هذه المقامات كلها لما اجتمع اثنان في ذوق واحد منها و هي

منا زل فيها ينزلها العبد إذا أحكم ذلك المقام الذي هو التوبة أو غيره و يعطيه كل منزل منها من الأسرار و العلوم ما لا يعلمه إلا الله و لهذا المقام الحجاب و الكشف و مما يؤيد ما ذكرناه من أن التوبة اعتراف و دعاء لا عزم على أنه لا يعود ما ثبت في الأخبار الإلهية و صح أن العبد يذنب الذنب و يعلم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب و لم يزد على هذا مثل صورة آدم سواء ثم يذنب الذنب فيعلم إن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب فيقول الله له في ثالث مرة أو رابع مرة اعمل ما شئت فقد غفرت لك و هذا مشروع أن الله قد رفع في حق من هذه صفته المؤاخذة بالذنب على من يرى أن الخطاب على غير من ليس بهذه الصفة منسحب و أما ظاهر الحديث فإن الله قد أباح له ما قد كان حجر عليه لأجل هذه الصفة كما أحل الميتة للمضطر و قد كانت محرمة على هذا الشخص قبل أن تقوم به صفة الاضطرار ثم إنه قد بينا أن من عباد الله من يطلعه الله على ما يقع منه في المستأنف فكيف يعزم على أن لا يعود فيما يعلم بالقطع أنه يعود و لم يرد شرع نقف عنده أن من حد التوبة المشروعة العزم في المستأنف فلم تبق التوبة إلا ما قررناه في حديث آدم عليه السلام ثم يؤيد ذلك قوله تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ يعني في الحالتين ما هم أنتم ينظر إليه قوله وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و قوله فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و قوله ما قَطَعْتُمْ من لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللهِ و الأذن الأمر الإلهي أمر بعض الشجر أن تقوم فقامت و أمر بعض الشجر أن تنقطع فانقطعت بإذن الله لا بقطعهم و بإذن الله لا بتركهم مع كونهم موصوفين بالقطع و الترك فإنه لا يناقض إذن الله فإن إذن الله لها في هذه الصورة كالاستعداد في الشيء فالشجرة مستعدة للقطع فقبلته من القاطع فقوله فَبِإِذْنِ اللهِ يعني للشجرة كقوله فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فالنفخ من عيسى لوجود الروح الحيواني إذ كان النفخ أعني الهواء الخارج من عيسى هو عين الروح الحيواني فدخل في جسم هذا الطائر و سرى فيه إذ كان هذا الطائر على استعداد يقبل الحياة بذلك النفس كما قبل العجل الحياة مما رمى فيه السامري فطار الطائر بإذن الله كما خار عجل السامري بإذن الله و لهذا قال وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ الخارجين عن معرفة هذا الأذن الإلهي الذي قطع هذه الشجرة و ترك الأخرى و لشيوخنا في هذا المقام حدود أذكر منها ما تيسر و أبين عن مقاصدهم فيها بما يقتضيه الطريق و هكذا أفعل إن شاء الله في كل مقام إذا وجدنا لهم فيه كلاما على أنهم إذا سألوا عن ماهية الشيء لم يجيبوا بالحد الذاتي لكن يجيبون بما ينتج ذلك المقام فيمن اتصف به فعين جوابهم يدل على إن المقام حاصل لهم ذوقا و حالا و كم من عالم بحده الذاتي و ليس عنده منه رائحة بل هو عنه بمعزل بل ليس بمؤمن رأسا و هو يعلم حده الذاتي و الرسمي فكان الجواب بالنتائج و الحال أتم بلا خلاف فإن المقامات لا فائدة فيها إلا أن يكون لها أثر في الشخص لأنها مطلوبة لذلك لا لأنفسها و الله المرشد و اختلف أصحابنا ما أول منزل من منازل السالكين فقال بعضهم اليقظة و قال بعضهم الانتباه و قال بعضهم التوبة و روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال الندم توبة فقد يخرج مخرج قوله الحج عرفة و لو قال صلى الله عليه و سلم الندم التوبة لكان أقرب إلى الحد من قوله الندم توبة و قد تقدم الكلام في الشروط الثلاثة المصححة للتوبة في هذا الباب قال بعضهم و هو أبو علي الدقاق التوبة على ثلاثة أقسام لأن لها بداية و وسطا و غاية فبدؤها يسمى توبة و وسطها يسمى إنابة و غايتها يسمى أوبة فالتوبة للخائف و الإنابة للطائع و الأوبة لراعي الأمر الإلهي يشير بهذا التقسيم إلى أن التوبة عنده عبارة عن الرجوع عن المخالفات خاصة و الخروج عما يقدر عليه من أداء حقوق الغير المترتبة في ذمته مما لا يزول إلا بعفو الغير عن ذلك أو القصاص أو رد ما يقدر على رده من ذلك و قال رويم و قد سئل عن التوبة التوبة من التوبة كما قال ابن العريف

قد تاب أقوام كثير و ما تاب من التوبة إلا أنا

و مقالات القوم في التوبة كثيرة مذكورة في كتب المقامات للمنذري و القشيري و المطوعي و عمرو بن عثمان المكي و غيرهم فلينظر هنالك

(الباب الخامس و السبعون في ترك التوبة)

متى خالفته حتى تتوب فترك التوب يؤذن بالشهود
فقل للتائبين لقد حجبتم عن إدراك الحقائق بالورود
فممن أو إلى من قد رجعتم و ليس سوى المسود و المسود
فمن عين الذي قد جئت منه إليه به و من عين العبيد
و أسماء الإله هي التي لم تزل موصوفة بسنا الوجود

اعلم وفقك الله أنه من كان صفته وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و هو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ وَ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ فلا يتوب إلا من لا يشعر و لا يبصر هذا القرب و الشعور علم إجمالي قطعي إن ثم مشعورا به لكن لا يعلم ما هو ذلك المشعور به فالعلم بالله شعور و الشعور لا علم بما هو عليه المشعور به و علمه بنا ليس كذلك فلا يصرف العبد معناه إلى معنى إلا و الحق في الصارف و المصروف و الصرف فإلى أين أتوب إن نادى فهو المنادي لأنه لا ينادي إلا من يسمع و هو سمعك فلا تسمع إلا به فما فقدته في ندائه إياك هذا حد العلم الصحيح و لهذا لم يأمر بالتوبة إلا المؤمنين فقال وَ تُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بغير ألف لحكمة أخفاها يعرفها العالم و لا يشعر بها المؤمن فهي بالألف هاء التنبيه إذا قال أيها المؤمنون

و هي بغير الألف هي هويته قرأها الكسائي برفع هاء أيه و حذف الواو لالتقاء الساكنين يقول هو المؤمنون لأنه المؤمن و ما يسمع نداء الحق إلا بالحق و السامع مؤمن و السامعون كثيرون فهو المؤمنون فترك التوبة ترك الرجوع لأنه قال ارْجِعُوا وَراءَكُمْ لمن كان في ظلمة كونه فَالْتَمِسُوا نُوراً انظروا إلى موجدكم و هو النور الذي به الظهور فإذا رأيتم النور كشف لكم عنكم فعلمتم أنه أقرب إليكم مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ لعدم النور فلما حصلت لهم المعرفة هنا بهذا القدر لم تصح منهم توبة عندهم أنهم تائبون فَتابَ عَلَيْهِ فكان هو التائب على الحقيقة و العبد محل ظهور الصفة و لذلك قال لِيَتُوبُوا ثم قال إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ و هو لفظ المبالغة إذ كانت له التوبة الأولى من قوله ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ و الثانية من قوله لِيَتُوبُوا فالتوبتان له من كل عبد فهو التواب لا هم وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و هذا حكم سار في جميع أفعال العباد فما تاب من تاب و لكن الله تاب و لهذا قالت الجماعة التوبة ترك التوبة و التوبة من التوبة فنفيها إثباتها و إثباتها نفيها فترك التوبة حال التبري من الدعوى فليست التوبة المشروعة إلا الرجوع من حال المخالفة إلى حال الموافقة أعني مخالفة أمر الواسطة إلى موافقة أمرها لا غير و التوبة من التوبة هي الرجوع منه إليه به فالتوبة من التوبة لها الكشف و ما لها حجاب و صاحبها مسئول لأنه تبرأ من الدعوى بها أعني بالدعوى و كل مدع مطالب بالبرهان على صحة دعواه فالمكمل من يثبت التوبة حيث أثبتها الحق و لمن أثبتها و لا يعديها محلها فلها رجال يقومون بها و لها رجال يحكمون بها و هم عَنْها مُبْعَدُونَ لأنها حالة غربة و هم في الموطن الذي فيه ولدوا فلا غرب يرجع إلى أهله إلا الغائب و الغائب غريب فالغرباء هم التائبون فالمحبة من الله لهم محبة أهل الغائب إذا ورد عليهم غائبهم فمن كان من أهله مشاهدا له في حال غربته لم يفرح به لنفسه فإنه غير فاقد له و إنما فرحه به لفرحه برجوعه إلى موطنه فهو فرح موافقة كمحبة المحبوب لمحبه لأنها عين حبه لنفسه و لهذا يبغض من يبغضه لحبه لنفسه إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ إليه في كل حال من خلاف و وفاق فهو مقبول محبوب على كل حال و إذا كانت التوبة تحب لأجل الوصلة فالمتصل لا يتصل فهو أشد في المحبة و أعظم في اللذة و هو المعبر عنه بترك التوبة و من رأى أن الأمر الإلهي و اتساع الحقيقة الربانية لا يدوم لها حال معين و لا ينبغي و لذلك هو كل يوم في شأن و لا يكرر فلا تصح توبة فإنها رجوع و لا يكون رجوع إلا من مفارقة لأمر يرجع إليه و الحق على خلافه فلا رجوع فلا توبة و قوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ لما تغرب الأمر عند المحجوبين عن موطنه بما ادعوه فيه لنفوسهم قيل لهم إليه يرجع الأمر كله لو نظرتم لرأيتم من نسبتم إليه هذا الفعل منكم إنما هو الله لا أنتم وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ من دعواكم إن الأمر إليكم و هو لله فالأصل إنه لا رجوع و أن الأمر في مزيد إلى ما لا نهاية له و لا إحاطة إذ لا نهاية لواجب الوجود فلا نهاية للممكنات إذ هو الخلاق دائما و لا يصح أن يزول عنه هذا الحكم لأنه ما لا يثبت نفيه إلا

بإثباته فنفيه محال فكل باب من أبواب هذا الكتاب مما يقتضي ترك ما أثبتناه في الباب الذي قبله فهو كالذيل له فهو منه فنسوقه مختصرا لأنه لا يحتمل التطويل و هو فصل من فصول الباب الذي قبله فنقتصر في ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و السبعون في المجاهدة)

سبح إلهك بكرة و أصيلا فالنعل يرجع بالهدى إكليلا

جاهد هواك و لا تكن ذا فترة فيه و كن للنائبات خليلا

إن المجاهد لا يزال مكابدا يهوى الخطوب و يعشق التعليلا

لا تركنن إلى البطالة إنها تردى و كن للحادثات وصولا

اعلموا وفقكم الله أني لما شرعت في الكلام على هذا الباب أريت مبشرة عرفت فيها إن الناس لا بد أن ينزل بهم أمر إلهي عارض يحتاجون فيه إلى حمل مشقة و جهد نفسي و حسي و قيل لي لا تغفل في كل باب أن تدرج فيه الحروف الصغار و تبين أن بإشباعها تكون الحروف الثلاثة التي هي حروف العلة و هي حروف العلة و هي حروف المد و اللين و هي الحروف المركبة من علة و معلول و يكون كلامك فيها و إشارتك إلى الأربعة الأصناف و هم العارفون الذين لهم العوارف الإلهية الوجودية الجودية في معرفتهم و أهل المواقف عند الحدود الإلهية لتلقى الأدب بين كل مقامين عند الانتقال في حال لا يتصفون فيه بالمقام الأول و لا بالثاني و هم أهل البرازخ و كذلك أيضا أهل الوصال و الأنس تعين ما لهم من الدرجات في كل مقام كما تبينما لأهل المواقف سواء حتى لا يختلط على السالك و كذلك أيضا المنكرة أحوالهم و هم الملامية الذين يعرفون و لا يعرفون تميزهم من أهل عوارف المعارف و تظهر ما لهم من الكمال و هم العلماء بالله فهؤلاء الأربعة لا بد من تمشية أحوالهم في كل مقام و هم العارفون و الملامية و أهل الأنس و الوصال و أصحاب المواقف و القول و هم الأدباء فإنك مأمور بالنصح لعباد الله عن أمر الله و الدين النصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فلما فرغ وارد البرزخ في الواقعة فمنا من مرقدنا و سألنا الله تعالى العصمة في القول و العمل و الحال و كنت أرى معي في هذه الواقعة صاحبنا تاج الدين عباس بن عمر السراج و هو الذي كان ينبهني عن الحق تعالى على الكلام في الحروف الصغار التي تتولد عنها حروف العلل الثلاثة فلنبين أولا ما المراد بالحروف الصغار و ما مراتب أولادها و هي حروف العلل و إن كنا قد ذكرناها في الباب الثاني باب الحروف من هذا الكتاب فلا بد من ذكر طرف هنا منها لأجل الواقعة (فصل) اعلم أن المراد بالحروف الصغار الحركات الثلاثة و هي الضمة و الفتحة و الكسرة و لهذه الحروف حالان حال إشباع و حال غير إشباع فإذا اتصف واحد منها بالإشباع كان علة لوجود معلول يناسبه فإن

أشبعت الضمة كان عنها الواو المعلولة و إن كانت فتحة كان عنها الألف و إن كانت كسرة كان عنها الياء المعلولة و إنما قيدنا الواو و الياء بالعلة لأنهما قد يوجدان في مقام الصحة غير موصوفين بالعلية و الألف لا توجد أبدا إلا معلولة و لذلك لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا أبدا فهذه تسمى حروف العلة أي وجدت معلولة عن هذه العلل فخرجت على صورة عللها في الحكم فأعربت بها الكلمات كما أعربت بعللها تقول زيد أخوك فعلامة الرفع في زيد ضمة الدال و عن إشباع الضمة في قولك أخوك تكون الواو علامة الرفع في أخوك و كذلك في النصب في رأيت زيدا أخاك و في الخفض مررت بزيد أخيك و كذلك رأيت أخاك زيدا الفتحة في زيد علامة النصب و الألف في أخاك المتولدة عن فتحة الخاء علامة النصب و كذلك مررت بأخيك زيد فالكسرة في زيد علامة الخفض و الياء في أخيك علامة الخفض فأعطيت الياء حكم معلوله فأعلت الكلمة هذه الحروف فلها حكم ابائها إلى الذي هو الرفع له من الأسماء العلى و الفتح له من الأسماء الرحمن ما يفتح الله للناس من رحمة و الكسر له من الأسماء المتعالي و آثار هذه الأسماء الإلهية في الكون معلومة كما هي في الحق متميزة بحدودها يمتاز بعضها عن بعض و قد بيناها في الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب و بينا فيه حركات البناء من حركات الإعراب و مرتبة السكون الحي و الميت و إلحاق النون بحروف العلة في حكم الإعراب في الخمسة الأمثلة من الفعل و هي يفعلان و تفعلان و يفعلون و تفعلون و تفعلين و إثباتها إعراب و حذفها إعراب بحسب العوامل الداخلة عليها و لما كان المعلول موصوفا بالمرض كان ذا جهد و مشقة لما يقاسيه من ألم العلة القائمة به إذ لا يوجد عن العلة إلا معلول فلهذا جعلناه في باب المجاهدة لأن المجاهدة مشقة و تعب و بها سمي الجهاد جهادا و دين الله يسر و قول الله صدق حيث قال ما «جَعَلَ» عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ و قال يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و لهذا جعلنا بابا لترك الجهاد و هو الذي يلي هذا الباب و هو الباب السابع و السبعون في ترك المجاهدة لا ترك العمل لأن المجاهدة حال الأعمال في وقت و الأحوال مواهب و الأعمال مكاسب و لهذا أقيم الكسب مقام العمل و العمل مقام الكسب فجاء في آية وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ و في آية ما كَسَبَتْ فسمى العمل كسبا و ناب كل واحد منهما مناب صاحبه و لهذا قلنا في الأعمال مكاسب و من العمال من يكون عليهم في عملهم مشقة و هي المجاهدة و منهم من لا يجدها فلا يكون صاحب مجاهدة فلو اقتضى العمل المشقة لكانت صفة كل عامل و اعلم أيدك الله أن المجاهدين هم أهل الجهد و المشقة و المكابدة و هم أربعة أصناف مجاهدون من غير تقييد بأمر و هو قوله تعالى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ و الصنف الثاني مجاهدون بتقييد في سبيل الله و هو قوله وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ و الصنف الثالث المجاهدون فيه و هو قوله وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا أي نبين لهم حتى يعلموا فيمن جاهدوا فيجاهدون عند ذلك أو لا يجاهدون و الصنف الرابع المجاهدون في الله حَقَّ جِهادِهِ فميزهم عن المجاهدين من

غير هذا التقييد كالذين يتقون الله حَقَّ تُقاتِهِ و يتلون الكتاب حَقَّ تِلاوَتِهِ فهي مرتبة رابعة في الجهاد و هذه المجاهدة من المقامات المستصحبة للتكليف فما دام التكليف موجودا كانت المجاهدة قائمة العين فإذا زال حكم التكليف زالت المجاهدة و لهذا نفس الله عن المكلفين بصنف المباح لما شفعت فيهم الصورة التي خلقوا عليها لأنها غير محجور عليها فلما رأت من يشبهها قد حجر عليه سألت فيه رفع الحجر عنه فقيل لها إلى ذلك ما له في الآخرة فقالت فلا بد له أن يكون له حكم في الحياة الدنيا ليكون لي بشرى بقبول الشفاعة فإنك القائل لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ فإن هذه الصورة متنزهى و موضع نظري فإذا رأيت عليها التحجير أرى الانكسار فيها و لا نرى أثرا لعنايتي فيها مع كونها مخلوقة على صورتي و لا تحجير علي فشرع الله لها في الدنيا المباح فلا تنظر إليها الصورة الإلهية إلا في وقت تصرفها في المباح و هو أرفع أحوال النفس في الدنيا فإنه من الحياة الأخرى التي لا تحجير فيها فإذا انتقلت من المباح إلى مكروه أو مندوب أعرضت الصورة عن المكلف قليلا و نأت بجانبها مع بعض التفات إليها فإذا انتقلت إلى محظور أو فعل واجب أسدلت الحجاب و أعرضت بالكلية عن ذلك المكلف فلما رأى ذلك من كلفها و حجر عليها و هو الله تعالى أوجب على نفسه ما أوجبه مثل قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فرفع الحجاب و نظرت الصورة إلى كل واحد في كل حال من أحوال الأحكام فانظر يا ولي ما ألطف الله و ما أرأفه بعباده حيث شرك نفسه معهم في حكم الوجوب و ما أسقط الوجوب عنهم بل أدخل نفسه معهم فيه إذ قد اتصفوا به ابتداء فلو أزاله عنهم لم يقم عندهم مقام إدخال نفسه معهم فيه أي ذقنا ما ذوقناكم هذا و غاية اللطف في الحكم و التنزل الإلهي كما نزل معهم في العلم المستفاد إذ كان علمهم مستفادا فقال وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و هو العليم فانسهم و فيه حكم إيمان يعتض به من يسمع ممن لا يعرف الله قولهم إن الله لا يعلم الجزئيات و إن كانوا قصدوا بذلك التنزيه و هذه مسألة لا يمكن تحققها بالعقل ما لم يكن الكشف بكيفية تعلق العلم الإلهي بالمعلومات و أنه ليس في حق الحق ماض و لا آت و أن آنه لم يزل و لا يزال لا يتصف آنه بأنه لم يكن ثم كان و لا بانقضاء بعد ما كان و ربما يعطي الله هذه القوة لمن شاء من عباده و قد ظهر منها نفحة على محمد صلى الله عليه و سلم علم بها علم الأولين و الآخرين فعلم الماضي و المستقبل في الآن فلو لا حضور المعلومات له في حضرة الآن لما وصف بالعلم بها فهذا يعلم أن الله يعلم الجزئيات علما صحيحا غاب عنه من قصد التنزيه بنفيه عن جناب الحق ثم نرجع و نقول إن المجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية المؤثرة في المزاج و هنا و ضعفا كما إن الرياضة هذيب الأخلاق النفسية بحملها على احتمال الأذى في العرض و الخارج عن بدنه مما لا حركة فيه بدنية ثم إن هذه الحركات البدنية المحمودة شرعا منها حركات في سبيل الله مطلقا و هي أنواع سبيل كل بر مشروع فمنه ما فيه مشقة فيسمى مجاهدة و منه ما لا مشقة فيه فيرتفع عنها حكم هذا الاسم و هذا الباب مخصوص بما فيه مشقة و

لهذا سميناه باب المجاهدة فنظرنا إلى أعظم المشاق فلم نجد أعظم من إتلاف المهج في سبيل الله و هو الجهاد في سبيل الله الذي وصف الله قتلاه بأنهم أحياء يرزقون و نهى أن يقال فيهم أموات و نفى العلم عمن يلحقهم بالأموات للمشاركة في صورة مفارقة الإحساس و عدم وجود الأنفاس و هذا من أدل دليل على إبطال القياس لأن المعتقدين موت المجاهدين المقتولين في سبيل الله إنما اعتقدوه قياسا على المقتول في غير سبيل الله بالعلة الجامعة في كونهم رأوا كل واحد من المقتولين على صورة واحدة من عدم الأنفاس و الحركات الحيوانية و عدم الامتناع مما يراد من الفعل بهم من قطع الأعضاء و تمزيق الجلود و أكل سباع الطير و السباع و استحالة أجسامهم إلى الدود و البلى فقاسوا فأخطأ و القياس و لا قياس أوضح من هذا أولا أدل في وجود العلة منه و مع هذا أكذبهم الله و قال لهم ما هو الأمر في المقتول في سبيلي كالمقتول في غير سبيلي وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ فقال لهم ذلك الحكم الذي حكمتم علي ليس بعلم و إذا لم يكن علما لم يكن صحيحا و إذا لم يصح لم يجز الحكم به مع علمنا بأخبار الله أن ذلك ليس بصحيح ثم قال وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ فنفى عنهم العلم الذي أعطاهم القياس فإذا كان حكم هذا القياس على وضوحه و عدم الريب فيه و توفر أسبابه و ظهور علله الجامعة بينه و بين غيره من القتلى و هو باطل بأخبار الله فما ظنك بقياس الفقهاء في النوازل و قياس العقلاء بحكم الشاهد على الغائب في معرفة الله هيهات صدق الله و كذب أهل القياس على الله و الله لا أشبه من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ من مثله الأشياء فلما كان إتلاف المهج أعظم المشاق على النفوس لهذا سمي جهادا فإن النفوس نفسان نفس ترغب في الحياة الدنيا لألفتها بها فلا يريد المفارقة و تشق عليها و نفس ترغب في الحياة الدنيا لتزيد بذلك طاعة و أفعالا مقربة و معرفة إلهية و ترقيا دائما مع الأنفاس فشق عليها مفارقة الحياة الدنيا فلهذا سمي جهادا في حق الطائفتين فأما المجاهدون في سبيل الله و هي الطريق إلى الله أي إلى الوصول إليه من كونه إلها فهو جهاد لنيل معرفة المرتبة التي عنها ظهر العالم و الأحكام فيه و عنها تكون الخلائف في الأرض فينا لهم في هذه السبل من المشقة ما يناله المسافر في طريقه المخوفة فإنه في طريق عرض نفسه في السلوك فيه إلى إتلاف ماله و نفسه و يتم أولاده و فقد مألوفاته قال تعالى وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ و قال يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ و لما علم الله من العباد أنه يكبر عليهم مثل هذا لدعواهم أن نفوسهم و أموالهم لهم كما أثبتها الحق لهم و الله لا يقول إلا حقا فقدم شراء الأموال و النفوس منهم حتى يرفع يدهم عنها فبقي المشتري يتصرف في سلعته كيف يشاء و البائع و إن أحب سلعته فالعوض الذي أعطاه فيها و هو الثمن أحب إليه مما باعه فقال إِنَّ اللهَ اشْتَرى من الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ و بعد هذا الشراء أمر أن يجاهد بها في سبيل الله ليهون ذلك عليهم فهم يجاهدون بنفوس مستعارة أعني النفوس الحيوانية القائمة بالأجسام و الأموال مستعارة

فهم كمن سافر على دابة معارة و مال غيره و قد رفع عنه الحرج مالكها عند ما أعاره إن نفقت الدابة و هلك المال فهو مستريح القلب فما بقي عليه مشقة نفسية إن كان مؤمنا إلا ما يقاسي هذا المركب الحيواني من المشقة من طول الشقة و تعب الطريق و إن كان في قتال العدو فما ينال من الكر و الفر و الطعن بالأرماح و الرشق بالسهام و الضرب بالسيوف و الإنسان مجبول على الشفقة الطبيعية فهو يشفق على مركوبه من حيث إنه حيوان لا من جهة مالكه فإن مالكه قد علم منه هذا المعبر أنه يريد إتلافه فذلك محبوب له فلم يبق له عليه شفقة إلا الشفقة الطبيعية فالنفوس التي اشتراها الحق في هذه الآية إنما هي النفوس الحيوانية اشتراها من النفوس الناطقة المؤمنة فنفوس المؤمنين الناطقة هي البائعة المالكة لهذه النفوس الحيوانية التي اشتراها الحق منها لأنها التي يحل بها القتل و ليست هذه النفوس بمحل للإيمان و إنما الموصوف بالإيمان النفوس الناطقة و منها اشترى الحق نفوس الأجسام فقال اشترى من المؤمنين و هي النفوس الناطقة الموصوفة بالإيمان أنفسهم التي هي مراكبهم الحسية و هي الخارجة للقتال بهم و الجهاد فالمؤمن لا نفس له فليس له في الشفقة عليها إلا الشفقة الذاتية التي في النفس الناطقة على كل حيوان و أما المجاهدون الذين لم يقيدهم الله بصفة معينة لا في سبيل الله و لا فيه و لا بحق جهاد فهم المجاهدون بالله الذي ليس من صفته التقييد فجهاده في كل شيء و هو الجهاد العام و نسبة الجهاد إليه فيه الذي هو المشقة لكونه سماه مجاهدا و لم يقيد فيما ذا يجاهد فهو حكم القضاء و القدر في الأشياء التي يحصل منه الكرة في المقضي عليه بما قضى به عليه و الحق لا يريد مساءته لما له بهذا العبد من العناية فقال في هذا المقام ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة عبدي المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بد له من لقائي يقول و لا بد له من الموت لما سبق به العلم فيقبضه عن مجاهدة مطلقة غير مقيدة بأذى و لا غيره و لكن تنبيهه تعالى بالتردد دليل على حكم مناسب حكم المجاهدة فإنه ما جاء به إلا ليقيدنا العلم بالأمر على ما هو عليه فإنه سبحانه المعلم عباده العلم و هو قوله وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ و هو الذي أعطاهم العلم من اسمه الرحمن الذي قال فيه عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ فالمجاهدون من العباد الذين لا يتقيدون كما أطلقهم الله هم المترددون في الأفعال الصادرة أعيانها فيهم هل ينسبونها إلى الله ففيها ما لا ينبغي أن ينسب إليه أدبا و تبرأ الحق منها كما قال بَراءَةٌ من الله أو ينسبونها لأنفسهم ففيها ما ينبغي أن ينسب إلى الله أدبا مع الله و نسبة حقيقية و رأوا الله يقول وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فنفى و أثبت عين ما نفى ثم قال وَلكِنَّ الله رَمى فجعل الإثبات بين نفيين فكان أقوى من الإثبات لما له من الإحاطة بالمثبت ثم قال وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ في نفس هذه الآية فعلمنا أن الله حير المؤمنين و هو ابتلاؤه بما ذكر من نفي الرمي و إثباته و جعله بلاء حسنا أي إن نفاه العبد عنه أصاب و إن أثبته له أصاب و ما بقي إلا أي الإصابتين أولى بالعبد و إن كان كله حسنا و هذا موضع الحيرة و لذلك سماه بلاء أي موضع اختبار فمن أصاب الحق و هو مراد الله أي الإصابتين أو أي الحكمين أراد

حكم النفي أو حكم الإثبات كان أعظم عند الله من الذي لا يصيب ذلك فهؤلاء هم المجاهدون الذين فضلهم الله على القاعدين عن هذا النظر أجرا عظيما و ما عظم الله فلا يقدر قدر مدرجات منه و ما جعلها درجة واحدة كما قال في المجاهدين في سبيل الله حيث جعل لهم درجة واحدة ثم زادهم ما ذكر في تمام الآية فهذان صنفان قد ذكرنا و أما الصنف الثالث و هم الذين جاهدوا في الله حَقَّ جِهادِهِ فالهاء من جهاده تعود على الله أي يتصفون بالجهاد أي في حال جهاده صفة الحق كما ذكرنا في التردد الإلهي أي لا يرون مجاهدا إلا الله و ذلك لأن الجهاد وقع فيه و لا يعلم أحد كيف الجهاد في الله إلا الله فإذا ردوا ذلك إلى الله و هو قوله حَقَّ جِهادِهِ فنسب الجهاد إليه بإضافة الضمير فكان المجاهد لا هم و إن كانوا محل ظهور الآثار فهم المجاهدون لا مجاهدون قال الله لموسى يا موسى اشكرني حق الشكر قال يا رب و من يقدر على ذلك قال إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر و هذا الحديث خرجه ابن ماجة في سننه فكل عمل أضفته إلى الله عن ذوق و كشف و مشاهدة لا عن اعتقاد و حال بل عن مقام و علم صحيح فقد أعطيت ذلك العمل حقه حيث رأيته ممن هو له فحيث ما وقع لك مثل هذا فشرحه ما شرحه به الله على لسان رسوله فبلغه إلينا و هي طريقة موصلة إلى الله سهلة لينة قريبة المأخذ مستوية لا تَرى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً و الصنف الرابع هم الذين قال الله فيهم وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا الذين قلنا لهم فيها وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني السبيل التي لكم فيها السعادة و إلا فالسبل كلها إليه لأن الله منتهى كل سبيل فـ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و لكن ما كل من رجع إليه سعد فسبيل السعادة هي المشروعة لا غير و إنما جميع السبل فغايتها كلها إلى الله أولا ثم يتولاها الرحمن آخرا أو يبقى حكم الرحمن فيها إلى الأبد الذي لا نهاية لبقائه و هذه مسألة عجيبة المكاشف لها قليل و المؤمن بها أقل و لما كان سبب الجهاد أفعالا تصدر من الذين أمرنا بقتالهم و جهادهم و تلك الأفعال أفعال الله فما جاهدنا إلا فيه لا في العدو و إذ لم يكن عدوا إلا بها فإذا جاهدنا فيه و تبين لنا بقوله إذا جاهدنا فيه إن يهدينا سبله أي يبين لنا سبلها فندخلها فلا نرى إذا جاهدنا غيرا فاستغفرنا الله مما وقع منا و كان من السبل مشاهدة ما وقع منا إنه الموقع لا نحن فاستغفرنا الله أي طلبنا منه أن لا نكون محلا لظهور عمل قد وصف نفسه بالكراهة فيه فقد ثبت أنه ما في الوجود إلا الله فما جاهد فيه سواه و لو لا ما هدانا سبله ما عرفنا ذلك و لذلك تمم الآية بقوله وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ و الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا رأيته علمت إن الجهاد إنما كان منه و فيه فهذا قد أعربت لك عن أحوال أهل المجاهدات و هم المجاهدون و الكلام يطول في تفاصيل هذا الباب و الكتاب كبير فإن استقصينا إيراد ما يطلبه منا كل باب لا يفي العمر بكتابته فإذا و لا بد من الاقتصار فلنقتصر على ما يجري من كل باب مجرى الأمهات لا غير و كل أم مثل حواء مع بنى آدم فإنهم بنوها كلهم فلو أعطانا الله الكتابة الإلهية أبرزنا جميع ما يحويه هذا الكتاب على الاستيفاء في ورقة صغيرة واحدة كما خرج

رسول الله صلى الله عليه و سلم بكتابين في يده بالكتاب الإلهي الذي ليس لمخلوق فيه تعمل و أخبر أن في الكتاب الذي في يمينه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم و عشائرهم من أول خلقهم إلى يوم القيامة و الكتاب الآخر مثله في أسماء أهل الشقاء و لو كان ذلك بالكتاب المعهود ما وسع ورقه المدينة فمثل ذلك لو وقع لنا أظهرناه في اللحظة و قد رأينا تلك الكتابة و هي كالجنة في عرض الحائط و النار و كصورة السماء في المرآة فلنذكر ما لهذه الصفة التي هي المجاهدة من المقامات التي هي مراتبها و منازلها الذين ينزلها أهلها و هم الملامية و هم قسمان أهل أدب بوقوف عند حد و أهل أنس و وصال و كذلك ما للعارفين من هذا الباب و هم قسمان أهل أدب و وقوف عند حد و أهل أنس و وصال و هذا سار في كل مقام فالذي للملامية منه من الصنف الذي له أدب الوقوف عند الحدود فثلاث و خمسون درجة و إنما عدلنا إلى ذكر الدرجات لما سمعنا الله يقول بالدرجات في فضلهم فاتبعنا ما قال الله فهو أولى بنا و التي للملامية أهل الأنس و الوصال من الدرجات في هذا الباب أربعمائة درجة و ثلاث و خمسون و أما درجات العارفين أهل الأنس و الوصال فلهم أربعمائة درجة و أربع و ثمانون درجة و أما الذي لأهل الأدب و الوقوف عند الحدود من العارفين فتسع و ثمانون درجة تسعون إلا واحدة بينه و بين درجات الأسماء الإلهية عشرة

(الباب السابع و السبعون في ترك المجاهدة)

لا تجاهد فإن عين المنازع هو عين الذي تجاهد فيه
و إذا كان واحدا من تناوي أي عقل يرضاه أو يصطفيه
هل لعين الشريك عين وجود فتراه بالعلم أو تنفيه
كيف ينفي من كان في الأصل نفيا و هو نفي و النفي يستوفيه

لما اطلع المجاهد فيه و في سبيله و في الله و في سبيل الله على السبل التي هداه الله إليها فبانت عنده فرأى أنه ما جاهد غير الله فاستحيا لأجل هذا المشهد فترك الجهاد لاقتضاء الموطن و هو المجاهد تعالى و ما هو ممن يتصف بالمشقة فإنه يقول فيما هو أعظم من هذا و ما مسنا من لغوب و قال وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ و ليس هذا الهين عن صعوبة في الابتداء و لهذا القول بالمفهوم ضعيف في الدلالة لأنه لا يكون حقا في كل موضع و نسب ذلك إلى الله كما شاهده كما ترك رسول الله صلى الله عليه و سلم تعظيم عزة الله إذا اتصف بها أحد من عباد الله مثل قوله عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى فإنه صلى الله عليه و سلم كان يحب الفال الحسن و بعثه بدعوة الحق و إظهار الآيات إنما يظهرها لمن يتصف بأنه يرى فلما جاءه الأعمى قام له حقيقة من بعث إليهم و هم أهل الأبصار فأعرض

و تولى لأنه ما بعث لمثل هذا فهذا كان نظره صلى الله عليه و سلم و ما عتبة سبحانه فيما علمه و إنما عتبة جبر القلب ابن أم مكتوم و أمثاله لأنهم غائبون عن الذي يشهده صلى الله عليه و سلم و أمره أن يحبس نفسه معهم فقال له وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ و كان خباب بن الأرت و بلال و غيرهم من الأعبد و الفقراء لما تكبر كبراء قريش و أهل الجاهلية عن أن يجمعهم عند رسول الله صلى الله عليه و سلم مجلس واحد و أجابهم إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول لسان الظاهر إن النبي صلى الله عليه و سلم كان يفعل لهم ذلك ليتألفهم على الإسلام لأن واحدا منهم كان إذا أسلم أسلم لإسلامه بشر كثير لكونه مطاعا في قومه و يترجم عن هذا المقام لسان الحقيقة أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يشاهد سوى الحق فأينما بري الصفة التي لا تنبغي إلا لله عظمها و لم يشاهد معها سواها و قام لها و وفاها حقها مثل العزة و الكبرياء و الغني فقال له ربه أَمَّا من اسْتَغْنى فنبهه بنية الاستغفال فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى و قد علم أنه لمن تصدى محمد صلى الله عليه و سلم يقول له و إن كنت تعظم صفتي حيث تراها لغلبة شهودك إياي فقد أمرتك أن لا تشاهدها مقيدة في المحدثين و هو قوله عليه السلام إن الله أدبني فأحسن أدبي و هذا من ذلك التأديب و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا رأى هؤلاء تلك الأعبد يقول مرحبا بمن عاتبني فيهم ربي فكلما جلسوا عنده جلس لجلوسهم لا يمكن لهم أن يقوم و لا ينصرف حتى يكونوا هم الذين ينصرفون فإن الله قال له وَاصْبِرْ نَفْسَكَ و لما علموا ذلك منه و أنه عليه السلام قد تعرض له أمور يحتاج إلى التصرف فيها فكانوا يخففون فلا يلبثون عنده إلا قليلا و ينصرفون حتى ينصرف النبي صلى الله عليه و سلم لأشغاله فترك صلى الله عليه و سلم ذلك الأمر الذي كان له فيه مشهد صحيح إلهي مراعاة لحفظ القلوب المنكسرة فإن الله عند المنكسرة قلوبهم غيبا يثبته الايمان و ينفيه العيان و هو عند المتكبرين عينا يثبته العيان و ينفيه الايمان فنقل الله نبيه صلى الله عليه و سلم من العيان إلى الايمان و أخبره أن تجليه تعالى في أعيان الأعزاء المتكبرين من زينة الحياة الدنيا فهي زينة الله للحياة الدنيا لا لنا و الذي لنا زينة الله من غير تقييد بالحياة الدنيا و ما يلزم من كونه زينا لزيد أن يكون زينا لعمرو فمن الناس من لا شهود له إلا زينة الله و من الناس من لا شهود له إلا زينة الحياة الدنيا من حيث ما هي زينة الله لها لا لنا فيشهدها لها و إن لم تكن لنا زينة و من الناس من يشهد زينة الشيطان في عمله و أعمال الخلق في قوله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ فهم الذين أضلهم الله على علم فيشهدها أهل الله زينة الله للشيطان لأنه عمله و من الناس من يشهد من زين له عمله و لا يدري من زينه هل متعلق تلك الزينة الذم أو الحمد و هو موضع الشبهة كمن يرى رجلا يحب أن يكون نعله حسنا و ثوبه حسنا فلا يدري أ هو ممن يحب زينة الحياة الدنيا أو هو ممن يتجمل لله في قوله خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ و قد قال عليه السلام للرجل الذي قال له إني أحب أن يكون نعلي حسنا و ثوبي

حسنا إن الله جميل يحب الجمال فوقع لهذا الرجل الاشتباه فلا يدري لمن ينسب تلك الزينة كمن يسمع شخصا يقول الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فلا يدري هل هو تال أو هو ذاكر من غير قصد تلاوة القرآن لأن اللفظ واحد و هو المشهود و القصد غيب و الأولى أن تحسن الظن بمن يتجمل فإنك مندوب إليه و سوء الظن أنت مأمور باجتنابه في حق المسلمين و لهذا فسر النبي صلى الله عليه و سلم كلامه للرجلين في اعتكافه حين انقلب يشيع صفية إني خشيت أن يقذف الشيطان فما أساء الظن إلا بأهله و هو الشيطان فينبغي لك إذا سمعت من يقول كلمة هي في القرآن كما قلنا فيمن سمع من يقول الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ أن تسمعها تلاوة قرآنية و إن لم يقصدها قائلها فإنك تؤجر أجر من سمع القرآن و لا بد و هذا مشهد عزيز قل أن ترى له ذائقا و هو قريب سهل لا كلفة فيه و أما قوله أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فمن قوله سُوءُ عَمَلِهِ عرفت من زينه و إن لم يذكره و مع هذا فالاحتمال لا يرتفع عنه فإن الله يقول في مثل هذا زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ فجاء بنون الكناية عن نفسه و نسب الحيرة إليهم بهذا التزيين فمثل هذا إذا لم يبين الله له في كشفه لمن هو هذا التزيين يقبله على مراد الله فيه من غير تعيين فيكون جزاؤه على الله من غير تعيين عندنا و إن كان معينا عند الله فإنه عند الله أيضا لا معين فإنا لم نعينه فهو يعلمه معينا لا معينا بنسبتين مختلفتين فافهم ذلك انتهى الجزء الثاني و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثامن و السبعون في معرفة الخلوة)

خلوت بمن أهوى فلم يك غيرنا ... و لو كان غيري لم يصح وجودها

إذا أحكمت نفسي شروط انفرادها ... فإن نفوس الخلق طرا عبيدها

و لو لم يكن في نفسها غير نفسها ... لجادت بها جودا على من يجيدها

اعلم وفقنا الله و إياكم أن الخلوة أصلها في الشرع من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فهذا حديث إلهي صحيح يتضمن الخلوة و الجلوة و أصل الخلوة من الخلأ الذي وجد فيه العالم

فمن خلا و لم يجد فما خلا ... فهي طريق حكمها حكم البلا

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كان الله و لا شيء معه و سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء ثم خلق الخلق و قضى القضية و فرغ من أشياء و هو كل يوم في شأن و سيفرغ من أشياء ثم يعمر المنازل بأهلها إلى الأبد الخلوة أعلى المقامات و هو المنزل الذي يعمره الإنسان و يملؤه بذاته فلا يسعه معه فيه غيره فتلك الخلوة و

نسبتها إليه و نسبته إليها نسبة الحق إلى قلب العبد الذي وسعه و لا يدخله و فيه غير بوجه من الوجوه الكونية فيكون خاليا من الأكوان كلها فيظهر فيه بذاته و نسبة القلب إلى الحق أن يكون على صورته فلا يسع فيه سواه و أصل الخلوة في العالم الخلأ الذي ملأه العالم فأول شيء ملأه الهباء و هو جوهر مظلم ملأ الخلأ بذاته ثم تجلى له الحق باسمه النور فانصبغ به ذلك الجوهر و زال عنه حكم الظلمة و هو العدم فاتصف بالوجود فظهر لنفسه بذلك النور المنصبغ به و كان ظهوره به على صورة الإنسان و بهذا يسميه أهل الله الإنسان الكبير و تسمى مختصره الإنسان الصغير لأنه موجود أودع الله فيه حقائق العالم الكبير كلها فخرج على صورة العالم مع صغر جرمه و العالم على صورة الحق فالإنسان على صورة الحق و هو قوله إن الله خلق آدم على صورته و لما كان الأمر على ما قررناه لذلك قال تعالى لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ لكن يعلم القليل من الناس فالإنسان عالم صغير و العالم إنسان كبير ثم انفتحت في العالم صور الأشكال من الأفلاك و العناصر و المولدات فكان الإنسان آخر مولد في العالم أوجده الله جامعا لحقائق العالم كله و جعله خليفة فيه فأعطاه قوة كل صورة موجودة في العالم فذلك الجوهر الهبائي المنصبغ بالنور هو البسيط و ظهور صور العالم فيه هو الوسيط و الإنسان الكامل هو الوجيز قال تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ليعلموا أن الإنسان عالم وجيز من العالم يحوي على الآيات التي في العالم فأول ما يكشف لصاحب الخلوة آيات العالم قبل آيات نفسه لأن العالم قبله كما قال تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ ثم بعد هذا يريه الآيات التي أبصرها في العالم في نفسه فلو رآها أولا في نفسه ثم رآها في العالم ربما تخيل أن نفسه رأى في العالم فرفع الله عنه هذا الإشكال بأن قدم له رؤية الآيات في العالم كالذي وقع في الوجود فإنه أقدم من الإنسان و كيف لا يكون أقدم و هو أبوه فأبانت له رؤية تلك الآيات التي في الآفاق و في نفسه أنه الحق لا غيره و تبين له ذلك فالآيات هي الدلالات له على أنه الحق الظاهر في مظاهر أعيان العالم فلا يطلب على أمر آخر صاحب هذه الخلوة فإنه ما ثم جملة واحدة و لهذا تمم تعالى في التعريف فقال أَ وَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ من أعيان العالم شَهِيدٌ على التجلي فيه و الظهور و ليس في قوة العالم أن يدفع عن نفسه هذا الظاهر فيه و لا أن لا يكون مظهرا و هو المعبر عنه بالإمكان فلو لم يكن حقيقة العالم الإمكان لما قبل النور و هو ظهور الحق فيه الذي تبين له بالآيات ثم تمم و قال إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ من العالم مُحِيطٌ و الإحاطة بالشيء تستر ذلك الشيء فيكون الظاهر المحيط لا ذلك الشيء فإن الإحاطة به تمنع من ظهوره فصار ذلك الشيء و هو العالم في المحيط كالروح للجسم و المحيط كالجسم للروح الواحد شهادة و هو المحيط الظاهر و الآخر غيب و هو المستور بهذه الإحاطة و هو عين العالم و لما كان الحكم للموصوف بالغيب في الظاهر الذي هو الشهادة و كانت أعيان شيئيات العالم على استعدادات في أنفسها حكمت على الظاهر فيها بما تعطيه حقائقها فظهرت صورها في المحيط و هو الحق فقيل عرش و كرسي و أفلاك و أملاك و

عناصر و مولدات و أحوال تعرض و ما ثم إلا الله فالحق من كونه محيطا كبيت الخلوة لصاحب الخلوة فيطلب صاحب الخلوة فلا يوجد فإن البيت يحجبه فلا يعرف منه إلا مكانه و مكانه يدل على مكانته فقد أعطيتك مرتبة الخلوة التي نريد في هذا الكتاب لا الخلوة المعهودة عند أصحاب الخلوات و درجاتها ألف و سبع و ستون درجة فظهر في الدرجات صورة الوترية و إذا لم يعمر الخلأ إلا العالم فهو في خلوة بنفسه هذا أصله ثم إنه لما انصبغ بالنور كان في خلوة بربه و بقي في تلك الخلوة إلى الأبد لا يتقيد بالزمان لا بأربعين يوما و لا بغير ذلك فالعارف إذا عرف ما ذكرناه عرف أنه في خلوة بربه لا بنفسه و مع ربه لا مع نفسه فيرى من حيث أثره في المحيط به بالصور التي ظهر بها المحيط نفسه بنفسه و من حيث تعدد أعيانه رأى منه به و كانت كل عين مغايرة لصاحبتها و لذلك اختلفت صور العالم و إن كان واحدا كما اختلفت صورة الإنسان في نفسه و إن كان الإنسان واحدا فيده ما هي رجله و رأسه ما هو صدره و عينه ما هو أذنه و لا لسانه و لا فرجه و عقله ما هو فكره و لا خياله فهو متنوع متعدد العين بالصور المحسوسة و المعنوية و مع هذا يقال فيه إنه واحد و يصدق و يقال فيه كثير و يصدق فمن حيث أحديته تقول رأى نفسه بنفسه و من حيث كثرته تقول رأى بعضه ببعضه فتكلم بلسانه و بطش بيده و سعى برجله و استنشق بأنفه و سمع بإذنه و نظر بعينه و تخيل بخياله و عقل بعقله فهذا كثير و ما ثم إلا هو فمن حصل له هذا العلم كما قررناه كان صاحب خلوة و من حرمه فليس بصاحب خلوة فقد تبين لك أن الحق بالعالم و العالم بالحق فهويته عين المجموع كما إن المجموع هو الإنسان بغيبه و شهادته و نطقه و حيوانيته فهو واحد في الكثرة و كثير في الأحدية فالخلوة من المقامات المستصحبة دنيا و آخرة إلى الأبد من حصلت له لا تزول فإنه لا أثر بعد عين و أما الخلوة المعروفة المعهودة فليست مقاما و لا تصح إلا لمحجوب و أما أهل الكشف فلا تصح لهم خلوة أبدا فإنهم يشاهدون الأرواح العلوية و الأرواح النارية و يرون الكائنات ناطقة أكوان ذاته و أكوان بيت خلوته فهو في ملأ كما هو في نفس الأمر فإذا أخذ الله عن بصره هذه المدركات و فصل بين الحيوان و الجماد و الملائكة و عالم الصمت من عالم الكلام و عالم السكون من عالم الحركات و يحب أن يخلو بربه حتى لا يشغله عنه نطق كون و لا حركة كون فمنهم من يطلب الخلوة لمزيد علم بالله من الله لا من نظره و فكره و هذا أتم المقاصد فإنه مأمور بذلك و العمل على الأمر الإلهي هو غاية كمال العمل و الله يقول له قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فمن تحدث في خلوته في نفسه مع كون من الأكوان فما هو في خلوة قال بعضهم لصاحب خلوة اذكرني عند ربك في خلوتك فقال له إذا ذكرتك فلست معه في خلوة و من هنا تعرف قوله تعالى أنا جليس من ذكرني فإنه لا يذكره حتى يحضر المذكور في نفسه إن كان المذكور ذا صورة في اعتقاده أحضره في خياله و إن كان من غير عالم الصور أو لا صورة له أحضرته القوة الذاكرة فإن القوة الذاكرة من الإنسان تضبط المعاني و القوة المتخيلة تضبط المثل التي أعطتها الحواس أو ما تركبه القوة المصورة من الأشكال الغريبة التي استفادت

جزئياتها من الحس لا بد من ذلك ليس لها تصرف إلا به فمن شرط الخلوة في هذا الطريق الذكر النفسي لا الذكر اللفظي فأول خلوته الذكر الخيالي و هو تصور لفظة الذكر من كونه مركبا من حروف رقمية و لفظية يمسكها الخيال سمعا أو رؤية فيذكر بها من غير أن يرتقي إلى الذكر المعنوي الذي لا صورة له و هو ذكر القلب و من الذكر القلبي ينقدح له المطلوب و الزيادة من العلوم و بذلك العلم الذي انقدح له يعرف ما المراد بصور المثل إذا أقيمت له و أنشأها الحس في خياله في نوم و يقظة و غيبة و فناء فيعلم ما رأى و هو علم التعبير للرؤيا و منهم من يأخذ الخلوة لصفاء الفكر ليكون صحيح النظر فيما يطلبه من العلم و هذا لا يكون إلا للذين يأخذون العلم من أفكارهم فهم يتخذون الخلوات لتصحيح ما يطلبونه إذا ظهر لهم بالموازين المنطقية و هو ميزان لطيف أدنى هواء يحركه فيخرجه عن الاستقامة فيتخذون الخلوات و يسدون مجاري الأهواء لئلا تؤثر في الميزان حركة تفسد عليهم صحة المطلوب و مثل هذه الخلوة لا يدخلها أهل الله و إنما لهم الخلوة بالذكر ليس للفكر عليهم سلطان و لا له فيهم أثر و أي صاحب خلوة استنكحه الفكر في خلوته فليخرج و يعلم أنه لا يراد لها و أنه ليس من أهل العلم الإلهي الصحيح إذ لو أراده الله لعلم الفيض الإلهي لحال بينه و بين الفكر و منهم من يأخذ الخلوة لما غلب عليه من وحشة الأنس بالخلق فيجد انقباضا في نفسه برؤية الخلق حتى أهل بيته حتى أنه ليجد وحشة الحركة فيطلب السكون فيؤديه ذلك إلى اتخاذ الخلوة و منهم من يتخذ الخلوة لاستحلاء ما يجد فيها من الالتذاذ و هذه كلها أمور معلولة لا تعطي مقاما و لا رتبة و صاحب الخلوة لا ينتظر واردا و لا صورة و لا شهودا و إنما يطلب علما بربه فوقتا يعطيه ذلك في غير مادة و وقتا يعطيه ذلك في مادة و يعطيه العلم بمدلول تلك المادة الخلوة لها الدعوى و صاحبها مسئول لها الحجاب الأقرب هي نسبة ما هي مقام أعني الخلوة المعهودة عند القوم لا الخلوة التي هي مقام التي ذكرناها في أول الباب و هذه و إن لم تكن مقاما فإنها تحصل لصاحبها بالذكر مقامات لها إحاطة بالملك و الملكوت و الجبروت عند العارفين و الملامية من الأدباء أرباب المواقف و أما أهل الوصال و الأنس من العارفين و الملامية فلا يرون لها في الملكوت دخولا و أنها مخصوصة بعالم الجبروت و الملك لا غير إلا أنها لها قرب من الملكوت ما بينها و بينه إلا درجتان فالأدباء الواقفون من الملامية يرون لها ستمائة درجة و إحدى و أربعون درجة و العارفون من أهل الأنس يرون لها ألف درجة و سبعا و ستين درجة و الأدباء من العارفين الواقفين يرون لها ستمائة درجة و سبعا و ستين درجة و الملامية من أهل الأنس و الوصال يرون لها ألف درجة و ستة و ثلاثين درجة

(الباب التاسع و السبعون في ترك الخلوة و هو المعبر عنه بالجلوة)

إذا لم ير الإنسان غير إلهه لدى كل عين فالخلاء محال

فإن كنت هذا كنت صاحب خلوة و لله فيه فيصل و مقال

اعلم أيدنا الله و إياكم أن الكشف يمنع من الخلوة و إن كان فيها فإن الحجاب لها فإذا كوشف علم أنه لم يكن في خلوة فاتخاذ الخلوة المعهودة دليل على جهل متخذها فإنه عند الكشف يعرف جهله فكل من جهل إنه جهل فهو صاحب جهلين و من عرف أنه جهل فهو ذو جهل واحد و الذين علموا إن الظاهر من كونه ظاهرا في أعيان العالم و ما ثم سواه فهو في خلوة في نفسه إذا لم ينظر إلى من ظهر فيه فأورثه الملأ و الجلوة فلا تصح له الخلوة من هذا الوجه فمن الناس من يرجح صاحب الخلوة و من الناس من يرجح نقيضه و هو صاحب الجلوة فالاسم الأول و الباطن يطلبان الخلوة و الاسم الآخر و الظاهر يطلبان تركها و هي الجلوة و أنت لأي اسم غلب عليك و لا مفاضلة في الأسماء من وجه و مال الخلق إلى المقلوب من المال و هو الملأ فالخلوة دنيوية و الجلوة أخروية و الآخرة خير

(الباب الموفي ثمانين في العزلة)

إذا اعتزلت فلا تركن إلى أحد و لا تعرج على أهل و لا ولد

و لا توالي إذا واليت منزلة و غب عن الشرك و التوحيد بالأحد

و أنزع إلى طلب العليا منفردا بغير فكر و لا نفس و لا جسد

و سابق الهمة العليا تحظ بمن سما بأسمائه الحسنى بلا عدد

و اعلم بأنك محبوس و مكتنف بالنور حبسا جليا لا إلى أمد

لا يعتزل إلا من عرف نفسه و من عرف نفسه عرف ربه فليس له مشهود إلا الله من حيث أسماؤه الحسنى و تخلقه بها ظاهرا و باطنا و أسماؤه الحسنى سبحانه على قسمين أسماء يقبلها العقل و يستقل بإدراكها و ينسبها و يسمى بها الله تعالى و أسماء أيضا إلهية لو لا ورود الشرع بها ما قبلها فيقبلها إيمانا و لا يعقلها من حيث ذاته إلا إن أعلمه الحق بحقيقة نسبة تلك الأسماء إليه كما علمها أنبياءه و أولياءه فصاحب العزلة هو الذي يعتزل بما هو له من ربه من غير تخلق بما ينفرد به في زعم العقل من الأسماء الإلهية المشروعة التي لو لا الشرع ما سمي العقل الله بها فهي للحق و قد جبل الإنسان عليها و خلقه مجلى لها فهو المسمى بها و لا يتمكن له الاعتزال عن مثل هذه الأسماء الإلهية و بقي القسم الآخر من الأسماء الإلهية يعتزل عنها لما يطرأ عليه منها من الضرر كما قال ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و قوله كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلٰى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فيعتزل عن مثل هذه الأسماء الإلهية لما فيها من الذم لمن تسمى بها و ظهر بحكمها في العالم فالإنسان حقيقته أن يكون عائلا و العائل لا يكون متكبرا فإنه ظهر بما ليس هو له بنعت و لذلك لا ينظر الله إليه و هو واحد من الثلاثة

الشيخ الزاني و الملك الكذاب و العائل المستكبر ذكره مسلم في صحيحه فمن رأى التخلق بالأسماء الحسنى و مزاحمة الحق فيها لكونه خلق على الصورة فلا بد أن يظهر بها و يتلبس على الحد المشروع المحمود فهذه مزاحمة عبودية ربوبية و ذلك لما رأى أن له أسماء هي له حقيقة ينفرد بها و رأى أن الحق زاحمه فيها كالضحك و الفرح و التعجب و المحب و المتردد و الكارة و الناسي و الاستحياء و ما أشبه ذلك مما ورد ذكره في الكتاب و السنة إلى ما يداخل النشأة من يد و يدين و أيد و وجل و عين و أعين إلى ما يداخل النشأة من الأحوال من استواء و معية و نزول و طلب و شوق و أمثال ذلك و رأى هذا المعتزل قبل اعتزاله أن الحق قد زاحمه في هذه النعوت التي ينبغي أن تكون للعبد كما هي في نفس الأمر عنده قال الأليق بي إن أعتزل بأسمائي عن أسمائه و لا أزاحمه فيها تكون عارية عندي إذ كانت العارية أمانة مؤداة و حامل الأمانة موصوف بالتعريف الإلهي بالظلم و الجهل فاعتزل صاحب هذا النظر التخلق بالأسماء الحسنى و انفرد بفقره و ذله و صغاره و عجزه و قصوره و جهله في بيته كلما قرع عليه الباب اسم الإلهي قيل له ما هنا من يكلمك فإذا انقدح له بهذا الاعتزال أن الله له نفي الأولية و أنه أزلي الوجود و نظر في كلامه سبحانه و فيما أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يوصله إلينا من صفاته و أسمائه لنعرفه بذلك و يخلع علينا بهذا التعريف خلع العلم تشريفا لنا فأعلمنا إن هذه الصفات التي زعمنا إنا نستحقها و أنها لنا حقيقة إن الأمر على خلاف ذلك إذ قد اتصف هو بها و تسمى بها و نحن ما كنا فلا فرق بين هذه الأسماء و التي اعتزلنا عنها فأما أن نعتزل عن الجميع و إما أن نتسمى بالجميع فقلنا له اعتزل عن الجميع و اترك الحق إن شاء سماك بالأسماء كلها فأقبلها و لا تعترض و إن شاء سماك ببعضها و إن شاء لم يسمك و لا بواحد منها لِلَّهِ الْأَمْرُ من قَبْلُ وَ من بَعْدُ فرجع العبد إلى خصوصيته و هي العبودة التي لم تزاحم الربوبية فتحلى بها و قعد في بيت شيئية ثبوته لا بشيئية وجوده ينظر تصريف الحق فيه و هو معتزل عن التدبير في ذلك فإن تسمى من هذه حالته بأي اسم كان فالله مسميه ما هو تسمى و ليس له رد ما سماه به فتلك الأسماء هي خلع الحق على عباده و هي خلع تشريف فمن الأدب قبولها لأنها جاءته من غير سؤال و لا استشراف و قد أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم بأخذ مثل هذا العطاء و ترك ما استشرفت النفس إلى أخذه و تمنى ذلك بالاستطلاع إليه و وقف عند ذلك على أنه كان غاصبا لله فيما كان يزعم أنه له فإذا هو لله و هو قوله تعالى وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فأخذ منه جميع ما كان يزعم أنه له إلا العبادة فإنه لا يأخذها إذ كانت ليست بصفة له فقال له تعالى لما قال وَإِلَيْهِ إلى يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ و هو أصله الذي خلق له وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فالعبادة اسم حقيقي للعبد فهي ذاته و موطنه و حاله و عينه و نفسه و حقيقته و وجهه فمن اعتزل هذه العزلة فهي عزلة العلماء بالله لا هجران الخلائق و لا غلق الأبواب و ملازمة البيوت و هي العزلة التي عند الناس أن يلزم الإنسان بيته و لا يعاشر و لا يخالط و يطلب السلامة ما

استطاع بعزلته ليسلم من الناس و يسلم الناس منه فهذا طلب عامة أهل الطريق بالعزلة ثم إن ارتقى إلى طور أعلى من هذا فيجعل عزلته رياضة و تقدمة بين يدي خلوته لتالف النفس قطع المألوفات من الأنس بالخلق فإنه يرى الأنس بالخلق من العلائق و العوائق الحائلة بينه و بين مطلوبه من الأنس بالله و الانفراد به فإذا انتقل من العزلة بعد إحكامه شرائطها سهل عليه أمر الخلوة هذا سبب العزلة عند خاصة أهل الله فهذه العزلة نسبة لا مقام و العزلة الأولى التي ذكرناها مقام مطلوب و لهذا جعلناها في المقامات من هذا الكتاب و إذا كانت مقاما فهي من المقامات المستصحبة في الدنيا و الآخرة فللعارفين من أهل الأنس و الوصال في العزلة من الدرجات خمسمائة درجة و ثمان و ثلاثون درجة و للعارفين الأدباء الواقفين مائة و ثلاث و أربعون درجة و للملامية فيها من أهل الأنس خمسمائة درجة و سبع درجات و للملامية من أهل الأدب الواقفين معهم مائة و اثنتي عشرة درجة و العزلة المعهودة في عموم أهل الله من المقامات المقيدة بشرط لا تكون إلا به و هي نسبة في التحقيق لا مقام إلا أنها تحصل عنها فوائد أقلها العصمة لها الدعوى صاحبها مسئول و علتها سوء الظن بنفسك أو بمن اعتزلت عنهم و هذا كله في عزلة العموم و هي من عالم الجبروت و الملكوت ما لها قدم في عالم الشهادة فلا تتعلق معارفها بشيء من عالم الملك

(الباب الحادي و الثمانون في ترك العزلة)

لا تفرحن بالاعتزال فإنه جهل و أين الله و الأرواح
نور الإله أجل منك نفاسة و مع الجلال جليسه المصباح
لم يعتزل عن نور كون حادث و إلى التعلق ذاته ترتاح
لو أن نور الحق معتزل لما ظهر الوجود و دامت الأفراح
بالنور من فلك البهاء إذا بدا للناظرين أضاءت الأشباح

اعلم أيدنا الله و إياك أن مثير العزلة إنما هو خوف القواطع عن الوصلة بالجناب الإلهي أو رجاء الوصلة بالعزلة به لما كان في حجاب نفسه و ظلمة كونه و حقيقة ذاته يبعثها على طلب الوصلة ما هي عليه من الصورة الإلهية كما يطلب الرحم الوصلة ثم إن العبد رأى ارتباط الكون بالله ارتباطا لا يمكن الانفكاك عنه لأنه وصف ذاتي له و تجلى له في هذا الارتباط و عرف من هذا التجلي وجوبه به و أنه لا تثبت لمطلوبه هذه الرتبة إلا به و أنه سرها الذي لو بطل لبطلت الربوبية و رآه في كل شيء مثل ما هو عنده و نسبة كل شيء إليه كنسبته هو إليه فلم يتمكن له الاعتزال فتأدب مع قوله تعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أي صفة نوره صفة المصباح و لم يقل صفة

الشمس فإن الإمداد في نور الشمس يخفى بخلاف المصباح فإن الزيت و الدهن يمده لبقاء الإضاءة فهو باق بإمداد دهني من شجرة نسبة الجهات إليها نسبة واحدة منزهة عن الاختصاص بحكم جهة و هو قوله لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ و هذا الإمداد من نور السبحات الظاهرة من وراء سبحات العزة و الكبرياء و الجلال فما ينفذ من نور سبحات هذه الحجب هو نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و مثله كمثل المصباح و النور الذي في الدهن معلوم غير مشهود وضوء المصباح من أثره يدل عليه و على الحقيقة ما هو نور و إنما هو سبب لبقاء النور و استمراره فالنور العلمي منفر ظلمة الجهل من النفس فإذا أضاءت ذات النفس أبصرت ارتباطها بربها في كونها و في كون كل كون فلم تر عمن تعزل و جعل هذا النور في مشكاة و زجاجة مخافة الهواء أن يجيره و يشتد عليه فيطفيه فكان مشكاته و زجاجته نشأته الظاهرة و الباطنة فإنهما من حيث هما عاصمان فإنهما من الذين يُسَبِّحُونَ بحمد الله اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ و هما اللذان يشهدان على النفس المدبرة إذا أنكرت بين يدي الله فهما أهل عدالة قال تعالى شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ و هما من النشأة الباطنة و جلودهم و هي من النشأة الظاهرة فما من شخص يروم مخالفة حق إلا و نشأتاه تقولان له لا تفعل أيها الملك و لا تحوجنا أن نكون سببا في إهلاكك فإن الله إن استشهدنا شهدنا ألا ترى الرسول صلى الله عليه و سلم لما بلغ و أنذر و وعد و أوعد قال لقومه إنكم لتسئلون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك بلغت و نصحت و أديت فقال اللهم اشهد و قد سأل هود قومه مع شركهم فقال اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ فاستشهدهم لعلمه أنهم لا بد أن يسألهم و نحن رعيتك و لا حركة لنا إلا بك فلا تحركنا إلافي أمر يكون لك لا عليك و المحجوب غافل عن هذا غير سامع لصمم قام به من شدة الهواء الذي أصمه فالله يجعلنا ممن سمع نطق جوارحه بالموعظة قبل سماعه إياها بالشهادة إنه ولي جواد كريم ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(الباب الثاني و الثمانون في الفرار)

جزاء من فر أن ينبأ فرار موسى لما تابا
من فر منه به إليه صير محبوبه محبا
و كان وترا فصار شفعا و كان عينا فصار قلبا
أظهرني في الوجود تاجا فعدت في ساعديه قلبا
أعطان كن ثم قال عبدي فقال كن بي تكون ربا

الضمير في ساعديه يعود على الوجود قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام إنه قال لفرعون و آله فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي من الْمُرْسَلِينَ ثم قال وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ فقوله وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ قوله أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا فتلك النعمة تربية فرعون و المن يبطل الإنعام لأنه استعجال جزاء فلو لم يقل لنفعه ذلك عند الله إذ كان من شأن فرعون إذلال بنى إسرائيل و موسى منهم و كان قد أعزه و تبناه فهذا معنى قوله أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ و الفرار أنتج لموسى الرسالة و الحكم فكان خليفة رسولا لأن الرسول لا يكون حاكما حتى يكون خليفة ثم قال لنا ربنا لما قضاه من أن جعلنا ورثة النبيين و المرسلين في نبوتهم و رسالتهم ما أعطانا الله من حفظ دينه و الفتيا فيه و الاجتهاد في استنباط الحكم فقال فَفِرُّوا إِلَى اللهِ فجاء بالاسم الجامع و المراد منه اسم خاص يقتضي لنا ما اقتضى لموسى عليه السلام في فراره و هو الاسم الوهاب الذي يعطي لينعم خاصة و ذلك الوهب يجعله رسولا ضرورة لأن الحكم في غير محكوم عليه لا يصح و قال فيمن تربص في أهله و لم يفر إليه ما ذكره في كتابه و هو قوله تعالى قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ من اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا و التربص نقيض الفرار فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ و قد ذكرنا هذا الفرار الموسوي في كتاب الأسفار عن نتائج الأسفار و سميت هذا الفرار الموسوي سفر الطلب فلنحقق هنا معنى الفرار و كيف هو مقام و ما ينتج فإنه يظهر أنه نسبة لا مقام كالعزلة و الخلوة فإن كونه من المقامات مجهول عند أكثر أهل الله فاعلم إن الفرار بين طرفي ابتداء و انتهاء فابتداؤه من و انتهاؤه إلى فقد يكون السبب الموجب للفرار من كفرار موسى عليه السلام و لا يتعين إلي فإن الفار من من إنما يطلب النجاة من غير تعيين غاية و الفار إذا كان هو السبب الموجب للفرار لا بد أن يكون معينا و لا يتعين من و هو عكس الأول و لما كان الأمر بهذه المثابة أمرنا الله أن نفر إليه و لا بد و قد نفر إليه منه مثل قوله و أعوذ بك منك و قد نفر إليه من كون ما من الأكوان أو من صفة ما من الصفات إلهية كانت أو غير إلهية أو صفة فعل أو غير صفة فعل فعلمنا الله كيف نفر في قوله إِلَى اللهِ و هذه عناية من الله بنا أعني بهذه الأمة المحمدية يستروح منها ما لا يخفى على أحد فإن الأنبياء عليهم السلام يصدقون في كل ما يخبرون به من أحوالهم منزهون أن يلبسوا ثوبي زور فقال موسى عليه السلام فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فانتج له ذلك الفرار الحكم الذي هو الإمامة و الخلافة و الرسالة مع كون السبب الموجب الذي ذكره و ما ذكر إلى أين فر فإذا فر الفار إلى الله و عين من فر إليه و أبهم ما فر منه فما ترون تكون جائزته فإن جائزة موسى جائزة منقطعة فإن الخلافة هنا تترك و الرسالة كذلك ينقطع الأمران بالموت و الانقلاب إلى الدار الآخرة فهذا أعطى حكم ما فر منه لما كان منقطعا فإنه انقطع بغرقه أو بموته لو مات و لا بد له من الموت فكانت النتيجة و الهبة مناسبة بما أعطيه من انقطاعهما بالموت فإن الإمامة و الرسالة

ينقطعان بالموت و الفرار إلى الله يعطي ما يبقى ببقاء الله و لا أعين فإن التعيين في ذلك إلى الله و سواء كان الفرار من الله أو لم يكن فإن المراعاة هنا لمن فر إليه و في حق موسى لما فر منه و إذا كانت هذه الأمة مع الأنبياء بهذا الحكم و هذه المنزلةفما ظنك بمنزلة أمم الأنبياء منا و الله ما يعرفون على أي طريق سلكت هذه الأمة في فرارها فإن الله مجهول الأينية و الفرار كان إليه فلا يدري أحد يفر إليه إذا تلقاه و أخذ بيده إلى أين يسير به فإن الله أسرع إلى من فر إليه في تلقيه من الفار إليه فإنه يقول و هو الصادق تعالى و من أتاني يسعى أتيته هرولة فوصف نفسه بالإقبال على عبده إذا أتاه بأضعاف مما يأتيه به من الحال و إتيان الفار أشد من الهرولة فيكون إتيان الحق إليه أشد من ذلك فتحقق هذا في العلم الإلهي تر العجب فيما أعطى الله هذه الأمة بعناية محمد صلى الله عليه و سلم فاعلم إن مقامك من الفرار لا يتعين فنتكلم عليه فإن حكمه في الفار بحسب ما فر منه و هي أمور كثيرة لا تنضبط جزئياتها و إن انحصرت أمهاتها أو ما فر إليه و هي أسماء كثيرة إلهية أو أحكام بحسب ما يراه الفار إليه و لكن الذي أمر الله به أن نفر إلى الله و الفرار إلى الله لا يصح من حيث المجموع فإنا منه نفر إليه فإن فيه ما نفر منه و من و إلى لا يجتمعان فإن أحكامهما مختلفة فإن قلت فقوله و أعوذ بك منك قلنا فيه وجهان الواحد أن قوله و أعوذ بك ما هو حكم الباء هنا حكم إلي فإنه يستعيذ بالله في حال فراره و ما بلغ إلى حكم إلى و نحن إنما نتكلم في لفظة إلى من حيث ما تدل عليه و هذا التعويذ النبوي إنما وقع بالباء فلا وجه لقولك هذا بالاستعاذة و الوجه الآخر أنه و إن جعلتها مطلوب إلى عين المستعاذ به في نهاية الفرار فمعلوم أنه لو كان عين من تفر منه عين من يفر إليه من غير اختلاف نسبة لم يصح فرار فلا بد من اختلاف النسبة فالنسبة التي جعلتك تفر منه عين النسبة التي فررت إليه من أجلها و العين واحدة مثل قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ فالعين التي تحشر منها هي العين التي تحشر إليها و بعينها ما وصفت به فانظر أي اسم يكون مشهود المتقي فما تجده الرحمن و إن كان معه في حال اتقائه و لكن تحشر إليه لينفرد بك دون أن تكون لاسم آخر تصرف فيك و قوله إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ تعلم ما هو الاسم الذي من أجله كان الإنذار المبين من المنذر لك و قوله مِنْهُ يعود على الله هو الذي وجهه إليك ليأمرك بالفرار إلى الله و إنما جاء بالاسم الجامع إذ كان في عرف الطبع الاستناد إلى الكثرة يقول النبي صلى الله عليه و سلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الأمان باستنادها إلى الكثرة و الله مجموع أسماء الخير إذا حققت معرفة الأسماء الإلهية وجدت أسماء الأخذ قليلة و أسماء الرحمة كثيرة في الاسم الله فلذلك أمرك بالفرار إلى الله فاعلم ذلك و ما من اسم إلهي إلا و يريد أن يربطك به و يقيدك و تكون له لظهور سلطانه فيك و أنت قد علمت إن سعادتك في المزيد و المزيد لا يكون لك إلا بالانتقال إلى حكم اسم آخر لتستفيد علما لم يكن عندك و الذي أنت عنده لا يتركك فتعين الفرار و يكون الإنذار أن لا يحكم عليك الاسم الذي أنت عنده بالبقاء معه ففررت إلى موطن الزيادة فالفرار حكم يستصحب العبد

في الدنيا و الآخرة و درجات العارفين من أهل الأنس و الوصال منه خمسمائة و اثنتا عشرة درجة و درجات العارفين من أهل الأدب و الوقوف مثلهم و درجات الملامية من أهل الأنس و الوصال أربعمائة و إحدى و ثمانون درجة و درجات الملامية من أهل الأدب و الوقوف مثلهم

(الباب الثالث و الثمانون في ترك الفرار)

أين الفرار و ما في الكون إلا هو و هل يجوز عليه هل هو أو ما هو
إن قلت هل فشهود العين ينكره أو قلت ما هو فما هو ليس إلا هو
فلا تفر و لا تركن إلى طلب فكل شيء تراه ذلك الله

اعلم أيدك الله أن قوله تعالى فَتَرَبَّصُوا عقيب ما تعدد من الأعيان إذن و أمر بالتربص إن كان الله مشهودا لكم في كل ما ذكرناه فإن ذلك الشهود هو المطلوب بهذا الفرار لأن الله أمرنا بالفرار إلى الله و قوله أَحَبَّ إِلَيْكُمْ من الله أي من أجل الله أي شهودكم الله في هذه الأعيان أحب إليكم من شهودكم إياه في أعيان غيرها للمناسبة القريبة التي بينكم و بين هذه الأشياء المذكورة و إن كان الكامل منا يشهده في كل عين و لكن بعض الأعيان قد يكون لبعض الأشخاص أحب من أعيان أخر و قوله وَ رَسُولِهِ مثل قوله من الله أي و من أجل رسوله حيث أمركم ببر هؤلاء و جعل لهم حقوقا عليكم فحقوق الآباء و الأبناء و الإخوان و الأزواج و العشائر معلومة منصوص عليها لا تخفى على من وقف على العلم المشروع و كذلك حقوق الأموال نعم المال الصالح للرجل الصالح و حقوق التجارة معلومة فإن صدق التجار قالتاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين و الشهداء كذا قال صلى الله عليه و سلم و قوله تَخْشَوْنَ كَسادَها يقول تخافون أن تتركوها لأجل الكساد طلبا للأرباح و أي ربح أعظم من ربح صدق التاجر و قوله وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ أي و من أجل أيضا شهودكم إياه تعالى في الجهاد في سبيله لأنه أمركم بهذا و علمتم أنه مشهودكم في كل ما ذكرناه و لما ذكرناه منزلة شريفة عندكم فَتَرَبَّصُوا أي لا تفروا فإنه ما أمرنا بالفرار إلا لكوننا ليست لنا هذه المشاهدة و قوله حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ و هو قيام الساعة أو الموت الذي يخرجكم عن مشاهدة هؤلاء و قوله وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ يقول الخارجين عن حكم هذه المشاهدة التي أنتم فيها و التي دعيتم إليها فما هي في حق أصحاب هذا النظر آية وعيد و إنما هي آية وعد و بشرى و تقرير حال و سكون أي تربصوا إذا كان هذا مشهدكم فقد حصل المطلوب فإن انتقلتم بعد هذا فهو انتقال من خير إلى خير أو من خير أدنى إلى خير أعلى فتفهم و تدبر ما ذكرنا تسعد إن شاء الله تعالى

(الباب الرابع و الثمانون في تقوى الله)

ما يتقي الله سوى جامع لكل ما في الكون من حكمته

فيتقي النقمة في نعمته و يتقى النعمة في نقمته

فكل ما في الكون من ظاهر و باطن فيه فمن نعمته

و هي التي أسبغها منة منه على المختار من أمته

فكل ما يجريه سبحانه من كل ما يقضي فمن همته

اعلموا يا إخواننا أنا ر الله بصائركم و أصلح سرائركم و خلص من الشبه أدلتكم إنه لما امتن الله علينا بالاسم الرحمن فأخرجنا من الشر الذي هو العدم إلى الخير الذي هو الوجود و لهذا امتن الله تعالى علينا بنعمة الوجود فقال أَ وَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ من قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً فما تولانا منه سبحانه ابتداء إلا الرحمة و لهذا قال إن رحمة الله سبقت غضبه فلما نظرنا في قوله تعالى اتَّقُوا الله أي اتخذوه وقاية من كل ما تحذرون و رأينا مسمى الله يتضمن كل اسم إلا هي فينبغي أن يتقى منه و يتخذ وقاية فإنه ما من اسم من الأسماء الإلهية للكون به تعلق إلا و يمكن أن يتقى منه و به إما خوفا من فراقه إن كان من أسماء اللطف أو خوفا من نزوله إن كان من أسماء القهر فما يتقى إلا حكم أسمائه و ما تتقي أسماؤه إلا بأسمائه الاسم الذي يجمعها هو الله فإذا كان الله مجموع الأسماء المتقابلة و قد علمنا إن المتقابلين إذا كانا على ميزان واحد سقط حكمهما لأن المحل لا يقبل حكم تقابلهما فيسقطان فإذا رجح ميزان أحدهما كان الحكم للراجح و قد رجح اسم اللطيف بوجودنا لأن الاسم الرحمن يحفظنا فترجحت الرحمة فنفذ حكمها فهي الأصل بالإيجاد و الانتقام حكم عارض و العوارض لا ثبات لها فإن الوجود يصحبنا فما لنا إلى الرحمة و حكمها فلهذا أمرنا بتقوى الله أي تتخذه وقاية و تتقيه لما فيه من التقابل و هو مثل قوله في الاستعاذة منه به فقال و أعوذ بك منك و هو من المقامات المستصحبة في الدنيا و الآخرة فإنه إذا اتقيت أحكام الأسماء و لا سيما في الجنة التي حكم الإنسان فيها للصورة الإلهية التي فطر عليها فيقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء فربما يحجبه هذا المقام عن الذي هو أعلى في حقه فيذهل عن الكثيب الذي هو خير له مما هو فيه فيأتي الاسم المذكر الإلهي فيذكره بشرف رتبة الكثيب و ما يحصل له فيه و ما يرجع به إلى أهله فيتقي هذا الاسم الذي مسكه في الجنة عن التشوق إلى ما هو أفضل في حقه مما يحصل له في الكثيب فلهذا قلنا باستصحاب مقام التقوى في الدنيا و الآخرة فإذا علمت هذا علمت إن مقام التقوى تقوى الله مكتسب للعبد و لهذا أمر به و هكذا كل مأمور به فهو مقام يكتسب و لهذا قالت الطائفة إن المقامات مكاسب و الأحوال مواهب و التقوى الإلهية على قسمين في الحكم فينا أي انقسم فيها الأمر قسمين قسما أمرنا الله أن نتقيه حق تقاته من كوننا مؤمنين و قسما أمرنا فيه أن

تتقيه على قد ر الاستطاعة و ما عين في هذا التكليف صفة تخص بها طائفة من الطوائف مثل ما عينها في حق تقاته و إن كان المؤمنون قد تقدم ذكرهم فأعاد الضمير عليهم و لكن مثل هذا لا يسمى تصريحا و لا تعيينا فينزل عن درجة التعيين فيحدث لذلك حكم آخر فقال فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ ابتدأ آية بفاء عطف و ضمير جمع لمذكور متقدم قريب أو بعيد فإن المضمرات تلحق بعالم الغيب و المعينات تلحق بعالم الشهادة لأن المضمر صالح لكل معين لا يختص به واحد دون آخر فهو مطلق و المعين مقيد فإنك إذا قلت زيد فما هو غيره من الأسماء لأنه موضوع لشخص بعينه و إذا قلت أنت أو هو أو إنك فهو ضمير يصلح لكل مخاطب قديم و حديث فلهذا فرقنا بين المضمر و المعين بالاسم أو الصفة و الصفة برزخية بين الأسماء و بين الضمائر فإنك إذا قلت المؤمن أو الكاتب فقد ميزته من غير المؤمن فأشبه زيدا من وجه ما عينته الصفة و أشبه الضمائر من وجه إطلاقه على كل من هذه صفته غير إن الضمير الخطابي مثلا يعم كل مخاطب كائنا من كان من مؤمن و غير مؤمن و إنسان و غير إنسان فتقوى الله حق تقاته هو رؤية المتقي التقوى منه و هو عنها بمعزل ما عدى نسبة التكليف به فإنه لا ينعزل عنها لما يقتضيه من سوء الأدب مع الله فحال المتقي لله حق تقاته كحال من شكر الله حق الشكر و قد تقدم معنى ذلك و هذه الآية من أصعب آية مرت على الصحابة و تخيلوا أن الله خفف عن عباده بآية الاستطاعة في التقوى و ما علموا أنهم انتقلوا إلى الأشد و كنا نقول بما قالوه و لكن الله لما فسر مراده بالحقية في أمثال هذا هان علينا الأمر في ذلك و علمنا إن تقوى الله بالاستطاعة أعظم في التكليف فإنه عزيز أن يبذل الإنسان في عمله جهد استطاعته لا بد من فضلة يبقيها و في حق تقاته ليس كذلك و علمنا إن الله أثبت العبد في الاستطاعة فلا ينبغي أن ننفيه عن الموضع الذي أثبته الحق فيه فإن ذلك منازعة لله و في حق تقاته أثبت له النظر إليه في تقواه و هو أهون عليه فما كان شديدا عندهم كان في نفس الأمر أهون و عند من فهم عن الله و ما كان هينا عندهم كان في نفس الأمر شديدا و عند من فهم عن الله جعلنا الله ممن فهم عنه خطابه فأتاه رحمة من عنده و هو ما أعطاه من الفهم و علمه من لدنه علما فلم يكله إلى عنديته و لا إلى نفسه بل تولى تعليمه ليريحه لما هو عليه من الضعف و لو لا إن العبد ادعى الاستطاعة في الأفعال و الاستقلال بها ما أنزل الله تكليفا قط و لا شريعة و لهذا جعل حظ المؤمن من هذه الدعوى أن يقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قال في حقنا و حق أمثالنا ممن تبرأ من الأفعال الظاهر وجودها منه قولوا لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم عن أن يشارك فيها فهي له خالصة فكم بين الحالين بين التبري و الدعوى فالمدعي مطالب بالبرهان على دعواه و المتبرئ غير مطالب بذلك و لا تقل إن التبري دعوى فإن التبري لا يبقي شيئا و على ذلك ينطلق اسم المتبرئ و نحن نتكلم في الأمر المحقق فإن كتابنا هذا بل كلامنا كله مبناه في الكلام على الأمور بما هي عليه في أنفسها و التبري صفة إلهية سلبية و العبد حقيقته سلب و الدعوى صفة إلهية ثبوتية لا تنبغي إلا لله عز و جل و العبد إذا

اتصف بها لم يزاحم الله فيها و يقول لا حول و لا قوة إلا بالله و مهما قال وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فإنما يقولها تاليا لا حقيقة فله ما نوى و هو بحيث علم و لولا ما ظهر العبد بالدعوى ما قيل له فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ بالقوة التي جعلتها لكم فيكم بين الضعفين فمن تنبه على إن قوته مجعولة و أنها لمن جعلها لم يدع فيها بل هي أمانة عنده لا يملكها و الإنسان لا يكون غنيا إلا بما يملكه و الأمانة عارية لا تملك مأمور من هي عنده بردها إلى أهلها و هو قوله لا حول و لا قوة إلا بالله أي القوة قائمة بالله لا بنا فالمدعون في القوة يجعلون ما من قوله ما اسْتَطَعْتُمْ مصدرية و أهل التبري يجعلونها للنفي في الآية فنفى عندهم الاستطاعة في التقوى و أثبتها عند من جعلها مصدرية و لما كان المعنى في التقوى أن تتخذ وقاية مما ينسب إلى المتقي فإذا جاءت النسبة حالت الوقاية بينها و بين المتقي أن تصل إليه فتؤذيه فتلقتها الوقاية فلا أحد أصبر على أذى من الله فإن السهم و الطعن و الحجر و الضرب بالسيف و ما أشبه ذلك عند المثاقف إنما تتلقاها الوقاية و هي المجن الذي بيده و هو من ورائها ماسك عليها لكنه يحتاج إلى ميزان قوي لأمور عوارض عرضت للنسبة تسمى مذمومة فيقبلها العبد و لا يجعل الله وقاية أدبا و إن كان لا يتلقاها إلا الله في نفس الأمر و لكن الأدب مشروع للعبد في ذلك و لا تضره هذه الدعوى لأنها صورة لا حقيقة و إذا علم الله ذلك منك جازاك جزاء من رد الأمور إليه و عول في كل حال عليه و سكن تحت مجاري الأقدار و تفرج فيما يحدث الله في أولاد الليل و النهار فهذا تقوى الله قد أومأنا إلى تحقيقه إيماء فإن للكلام في معناه مجالا رحبا يطول فاكتفينا بهذا و انتقلنا إلى تقوى الحجاب و الستر و الكل من تقوى الله فإنه الأصل انتهى الجزء الثالث و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الخامس و الثمانون في تقوى الحجاب و الستر)

من يتقي الستر فذاك الذي ... يعلم أن الستر من نفسه
إذا أتى يوم عليه يرى ... يبكي على ما فات في أمسه
لو رفع الستر بدار الفناء ... من قبل أن يرفع في رمسه
لنال ما نال رجال سمت ... همتهم عن جنتي قدسه
و لاح وجه الحق في سرهم ... في بدره وقتا و في شمسه
فلا يرى الترجيح فيما يرى ... بعقله من ذاك أو حسه
كما يخاف العقل من عقله ... كذا يخاف الحس من حسه

لأجل هذا يتقي المتقي كمتقي الشيطان من مسه

اعلم أيدنا الله و إياك أن الله تعالى قال كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ و قال صلى الله عليه و سلم إن لله سبعين حجابا من نور و ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فانظر ما ألطف هذه الحجب و ما أخفاها فإنه قال وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ مع وجود هذه الحجب التي تمنعنا من رؤيته في هذا القرب العظيم و ما نرى لهذه الحجب عينا فهي أيضا محجوبة عنا و قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ نعم يا ربنا ما نبصرك و لا نبصر الحجب فنحن خلف حجاب الحجب و أنت منا بمكان الوريد أو أقرب إلينا منا و هذا القرب هو سبب عدم الرؤية منا أن تتعلق بك الإنسان لا يرى نفسه فكيف يراك و أنت أقرب إلينا من أنفسنا فغاية القرب حجاب كما غاية البعد حجاب و إنما العجب الذي قصم الظهر و حير العقل قولك و علمنا إن الله يرى في قولك توبيخا و تنبيها أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و قولك وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ثم قلت إنك لو رفعت الحجب بيننا و بينك من كونك موصوفا بالسبحات الوجهية لاحترق ما أدركه بصرك بسبحات وجهك و بالنور صح ظهور العالم و هو وجوده فكيف يعدم من حقيقته الإيجاد هنا هي الحيرة ثم إنه على الأمرين أدخلت نفسك تحت حكم التحديد و هذا ينكره ما جعلته فينا من القوة العقلية الناظرة بالصفة الفكرية و ما لنا إلا حس و عقل فبالحس ما ندرك و بالعقل ما ندرك فقد وقع الحد إن كنت خلف الحجاب فأنت محدود و إن كنت أقرب إلينا من الحجاب فأنت محدود و إن كنت بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فأنت أقرب إلى نفي الحد فلما ذا أدخلت نفسك في الحد بما أعلمتنا به من الحجب الحائلة بينك و بيننا بيننا و بينك حارت العقول و ما خاطب إلا العقول و نصب أدلتها متقابلة فما أثبته دليل نفاه آخر إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها من تَشاءُ وَتَهْدِي من تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا و أي غفر أشد من هذا جزى الله عنا موسى عليه السلام حيرا إذ ترجم عنا بقوله إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ اختبرت عبادك بالأدلة و ما ثم دليل يوصل إليك الدليل موضوع ليدل على واضع لا يدل على حقيقة واضعه فما رأينا بعد السبر و التقسيم و ما أعطاه الكلام القديم إلا أن تكون أنت عين الحجب و لهذا احتجبت الحجب فلا نراها مع كونها نورا و ظلمة و هو ما تسميت به لنا من الظاهر و الباطن و قد أمرتنا أن نتقي الله فإن لم يكن الله عين الحجاب عليه النوري من الاسم الظاهر و الظلمي من الاسم الباطن و إلا كنا مشركين و قد ثبت أنا موحدون فثبت أنك عين الحجاب فما احتجبنا عنك إلا بك و لا احتجبت عنا إلا بظهورك غير أنك لا نعرف لكوننا نطلبك من اسمك كما نطلب الملك من اسمه و صفته و إن كان معنا غير ظاهر بذلك الاسم و لا بتلك الصفة بل ظهور ذاتي فهو يكلمنا و نكلمه و يشهدنا و نشهده و يعرفنا و لا نعرفه و هذا أقوى دليل على أن صفاته سلبية لا ثبوتية إذ لو كانت ثبوتية لا ظهرته إذا ظهر بذاته فما نعرف أنه هو إلا بتعريفه فنحن في المعرفة مقلدون له و كانت

صفاته ثبوتية لكانت عين ذاته و كنا نعرفه بنفس ما نراه و لم يكن الأمر كذلك فدل على خلاف ما يعتقده أهل النظر و أرباب الفكر الصفاتين من المشبهة من أرباب العقول و هذا الأمر أدانا إلى أن نعتقد في الموجودات على تفاصيلها أن ذلك ظهور الحق في مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات فاختلفت الصفات على الظاهر لأن الأعيان التي ظهر فيها مختلفة فتميزت الموجودات و تعددت لتعدد الأعيان و تميزها في نفسه فما في الوجود إلا الله و أحكام الأعيان و ما في العدم الشيء إلا أعيان الممكنات مهياة للاتصاف بالوجود فهي لا هي في الوجود لأن الظاهر أحكامها فهي و لا عين لها في الوجود فلا هي كما هو و لا هو لأنه الظاهر فهو و التميز بين الموجودات معقول و محسوس لاختلاف أحكام الأعيان فلا هو

فيا أنا ما هو أنا ولا هو ما هو هو

مغازلة رقيقة و إشارة دقية ردها البرهان و نفاها و أوجدها العيان و أثبتها فقل بعد هذا ما شئت فقد أنبت لك عن الأمر ما هو فما أخطأ معتقد في اعتقاده و لا جهل منتقد في انتقاده

فما ثم إلا الله و الكون حادث و ما ثم إلا الله و الكون ظاهر
فما العلم إلا الجهل بالله فاعتصم بقولي فإني عن قريب أسافر
و مالي مال غير علمي و وارث سوى عين أولادي فذا المال حاضر

(الباب السادس و الثمانون في تقوى الحدود الدنياوية)

اعلم وفقك الله

المتقون حدود الله أفراد بهذه الدار و الأفراد آحاد
إن الحدود إذا حققت صورتها برازخ و هي في التحقيق إشهاد
فلتتقي حدك الرسمي أن له غورا و في غور ذاك الغور إلحاد
وقف لدى حظك الذاتي تحظ بما حظي به من له سعد و إسعاد
الفقر و العجز في دنيا و آخرة فغاية القرب قرب فيه إبعاد
هذي طريقة أقوام لهم همم فازوا بها و بها على الورى سادوا

قال الله تعالى وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ و أي عقوبة أشد من عقوبة تعم المستحق بها و غير المستحق و الظالم و غير الظالم و البريء و الفاعل و هي هذه الحدود الدنيوية لأنها دار امتزاج و نطفة أمشاج فتعم عقوبتها لعدم التمييز و حدود الآخرة ليست كذلك فإنها دار تمييز فلا تصيب العقوبة إلا أهلها فلو كانت نشأة الآخرة من نطفة أمشاج كما ذهب إليه ابن قسي لعمت العقوبة أهلها و غير أهلها و من هنا إن نظرت تعرف نشأة الآخرة أنها على غير مثال سبق كما أن نشأة الدنيا على غير مثال سبق و هو قوله وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ أنها كانت على غير مثال و لهذا أتى بكلمة التحضيض و هذه الفتنة العامة و العقوبة الشاملة و الحدود المتداخلة من صفة قوله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ فإن ظاهرها لا يقتضي العدل و باطنها يقتضي الفضل الإلهي ففي الآخرة لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى و هنا ليس كذلك في عموم صورة العقوبة و لكن ما هي في البريء عقوبة و إنما هي فتنة و في الظالم عقوبة لأنها جاءته عقيب ظلمه فما يستوجبها البريء و لكن حكم الدار عليه كما يحكم على أهل دار الكفر الدار و إن كان فيها من لا يستحق ما يستحقه الكفار قال تعالى وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ و النبي صلى الله عليه و سلم قد جعل مولى القوم منهم في الحكم و ما هو منهم في نفس الأمر جعلنا الله ممن عامله بفضله و لم يطلبه بواجب حقه إذا قال الله في حق من اصطفاه من عباده إنه ظالِمٌ لِنَفْسِهِ حيث حمل الأمانة و هذا هو ظلم المصطفين من عباد الله لا ظلم يتعدى الحدود الإلهية فإنه من يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لأن لنفسه حدا تقف عنده و هي عليه في نفسها و ذلك الحد هو عين عبوديتها و حد الله هو الذي يكون له فإذا دخل العبد في نعت الربوبية و هو الله فقد تعدى حدود الله وَمن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لأن حد الشيء يمنع ما هو منه أن يخرج منه و ما ليس منه أن يدخل فيه هذه هي الحدود الذاتية فمن يتقيها فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فوصفهم بالتقوى إذا لم يتعدوها و جعلوها وقاية لهم و ليس بأيدينا من الحدود الذاتية لله شيء و الذي عندنا إنما هي الحدود الرسمية و لهذا اجترأ العباد عليها و تعدوها و منها عوقبوا كما إذا أدخلهم الحق صاحب الحد فيما هو له لم يتصف بالظلم فما استوجب عقوبة و لما كان حدا رسميا قبل العبد الدخول فيه فإن دخل فيه بنفسه من غير إدخال صاحبه فقد عرض نفسه للعقوبة فصاحب الحد بخير النظرين إن شاء عاقب و إن شاء عفا و إن شاء أثنى كالمتصف بالكرم و العفو و الصفح و هذه كلها حدود رسمية للحق فاعلم ما نبهتك عليه من العلم الغريب في هذه المسألة فإنها من لباب المعرفة بالله و أما حدود الله اللفظية فما حجر منها شيئا سوى كلمة الله و اختلفوا في كلمة الرحمن بالألف و اللام و كذلك أيضا لم يتسم أحد بالرحمن الرحيم على أن يكون من الأسماء

المركبة مثل بعل بك و رامهرمز و بلال آباذ و الحماية لهذا الاسم لم يكن عن أمر إلا هي مشروع و إنما كانت حماية غيبية أغفل الله عن التسمية بهذا الاسم المركب الناس و يكفي هذا القدر من تقوى الحدود

(الباب السابع و الثمانون في تقوى النار)

قال تعالى وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ و فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ و قال قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ

من يتقي النار فذاك الذي يحشر للرحمن من قبره
من اسمه الجبار أو مثله فليشكر الله على شكره
لا سيما و النار مشهوده في ذلك اليوم على كبره
لا تقي النار و لا مثلها فإن تقوى النار من مكره
لا تقي غير الإله الذي أبطن نفع الشخص في ضره

اعلم وفقك الله و فهمك أن النار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض فهي وقاية و هو الداء الذي لا يتقي إلا بالكي بالنار فقد جعل الله النار وقاية في هذا الموطن من داء هو أشد من النار في حق المبتلى به و أي داء أكبر من الكبائر فجعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكي بالنار في الدنيا فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء عظيما أعظم من النار و هو غضب الله الذي قام مقام الداء الذي يكوي من يخاف عليه منه بالنار و لهذا يخرجون بعد ذلك من النار إلى الجنة قد امتحشوا كما يخرج إلى العافية صاحب الكي بالنار هذا إذا جعلناها وقاية كما جعلنا في الحدود الدنياوية وقاية من عذاب الآخرة و لهذا هي كفارات أي تستره هذه الحدود عن عذاب الآخرة و من هنا قلنا في المحاربين الله و رسوله إن المعنى بهم الكفار فإن الله لما عاقبهم في الدنيا لم يجعل عقوبتهم كفارة مثل ما هي الحدود في حق المؤمنين بل قال ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ و هذا لا يكون إلا للكفار و العذاب العظيم هو أن يعم الظاهر و الباطن بخلاف عذاب أهل الكبائر من المؤمنين فإن الله يميتهم في النار إماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فهؤلاء ما أحسوا بالعذاب لموتهم فليس لهم حظ في العذاب العظيم فتتقى النار لما يكون من الألم عند تعلقها بنا و الذين هم جمر لها يزيدون في فعلها فإنهم المحرقون بالنار مثل الجمرات ثم تفعل النار بوساطة الجمرات التي ظهرت فيها فعلا آخر قد يكون فيه منفعة كالجمرات التي تكون تحت القدر لإنضاج ما في القدر ليقع بذلك الإنضاج منفعة المتمتع بما نضج و لما كانت كرة الأثير واسعة الشمس تؤثر في مولدات الفواكه و المعادن بحرارتها

نضجا لما في ذلك من المنفعة لنا كانت رحمة مع كونها نارا كذلك من عرف نشأة الآخرة و موضع الجنة و النار و ما في فواكه الجنة من النضج الذي يقع به الالتذاذ لأكله من أهل الجنان علم أين النار و أين الجنة و إن نضج فواكه الجنة سببها حرارة النار الذي تحت مقعر أرض الجنة فتحدث النار حرارة في مقعر أرضها فيكون صلاح ما في الجنة من المأكولات و ما لا يصلح إلا بالحرارة من حرارة النار و هو لها كحرارة النار تحت القدر فإن مقعر أرض الجنة هو سقف النار و قد بينا ذلك في التنزلات الموصلية و الشمس و القمر و النجوم كلها في النار و عن أحكامها بما أودع الله فيها كانت منافع الحيوانات بها فتفعل بالأشياء هنالك علوا كما كانت تفعل هنا سفلا و كما هو الأمر هنا كذلك ينتقل إلى هنالك بالمعنى و إن اختلفت الصور ألا ترى أرض الجنة مسكا و هو حار بالطبع لما فيه من النار و أشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي حال نبات هذه الدار الدنيا الزبل لما فيه من الحرارة الطبيعية لأنه معفن و الحرارة تعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفين و هذا القدر كاف في تقوى النار أعاذنا الله منها في الدارين

(الباب الثامن و الثمانون في معرفة أسرار أصول أحكام الشرع)

الشرع ما شرع الإله تخلقا فهو العليم بحقهم و بحقه
فإذا أتى عبد يشرع شرعة قام الإله بحقها في حقه
و الشرعتان هما من أصل واحد ما لم يقل قال الإله لخلقه
فإذا يقول فإنها أحبولة نجم القرين بنجمها من أفقه
ليصدقوا ما قلدوا أفكارهم فهو الكذوب و إن أتاك بصدقه
فلتعتبر أحكام أصل كتابها فلربما غص اللعين بريقه

اعلم أن أصول أحكام الشرع المتفق عليها ثلاث الكتاب و السنة المتواترة و الإجماع و اختلف العلماء في القياس فمن قائل بأنه دليل و أنه من أصول الأحكام و من قائل بمنعه و به أقول قال الله تعالى وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قال إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و قال اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ من رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ به وَيَغْفِرْ لَكُمْ مثل قوله في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً فجعل إعطاءه العلم عبده من رحمته و التقوى عمل مشروع لنا فلا بد أن تكون التقوى نسبة حكمه إلى دليل من هذه الأدلة أو إلى كلها في أي مسألة يلزمنا فيها تقوى الله قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة و هما الأصلان الفاعلان و الإجماع و القياس إنما يثبتان و تصح دلالتهما بالكتاب و السنة فهما أصلان في الحكم منفعلان فظهرت عن هذه الأربع الحقائق نشأة الأحكام المشروعة

التي بالعمل بها تكون السعادة فإن الموجودات ظهرت عن أربع حقائق إلهية و هي الحياة و العلم و الإرادة و القدرة و الأجسام ظهرت عن أربع حقائق عن حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة و المولدات ظهرت عن أربعة أركان نار و هواء و ماء و تراب و جسم الإنسان و الحيوان ظهر عن أربعة أخلاط صفرا و سودا و دم و بلغم فالحرارة و البرودة فاعلان و الرطوبة و اليبوسة منفعلتان فاعلم و لما كان من لا يؤمن بالشرائع المنزلة يشاركنا بالرياضة و المجاهدة و تخليص النفس من حكم الطبيعة يظهر عليه الاتصال بالأرواح الطاهرة الزكية و يظهر حكم ذلك الاتصال عليه مثل ما يظهر من المؤمنين العاملين منا بالشرائع المنزلة بما وقع من التشبيه و الاشتراك فيما ذكرناه عند عامة الناس و نطقنا بالعلوم التي يعطيها كشف الرياضة و إمداد الأرواح العلوية و انتقش في هذه النفوس الفاضلة جميع ما في العالم فنطقوا بالغيوب قال الجنيد علمنا هذا و إن وقع فيه الاشتراك بيننا و بين العقلاء فأصل رياضتنا و مجاهدتنا و أعمالنا التي أعطتنا هذه العلوم و الآثار الظاهرة علينا إنما كان من عملنا على الكتاب و السنة فهذا معنى قوله علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة و تتميز يوم القيامة عن أولئك بهذا القدر فإنهم ليس لهم في الإلهيات ذوق فإن فيضهم روحاني و فيضنا روحاني و إلهي لكوننا سلكنا على طريقة إلهية تسمى شريعة فأوصلتنا إلى المشرع و هو الله تعالى لأنه جعلها طريقا إليه فاعلم ذلك و لما كان شرع الله و حكمه في حركات الإنسان المكلف لا يؤخذ إلا من القرآن كذلك لم توجد إلا بالمتكلم به و هو الله تعالى فقال للشيء كن فكان فالقرآن أقوى دليل يستند إليه أو ما صح عن رسول الله ص الذي قام الدليل على صدقه أنه مخبر عن الله جميع ما شرعه في عبيد الله و قد يكون ذلك الخبر إما بإجماع من الصحابة و هو الإجماع أو من بعضهم بنقل العدل عن العدل و هو خبر الواحد و بأي طريق وصل إلينا فنحن متعبدون بالعمل به بلا خلاف بين علماء الإسلام و لهذا يقول أهل الأصول في الإجماع إنه لا بد أن يستند إلى نص و إن لم ينطق به و أما القياس فمختلف في اتخاذه دليلا و أصلا فإن له وجها في المعقول ففي مواضع تظهر قوة الأخذ به على تركه و في مواضع لا يظهر ذلك و مع هذا فما هو دليل مقطوع به فأشبه خبر الآحاد فإن الاتفاق على الأخذ به مع كونه لا يفيد العلم و هو أصل من أصول إثبات الأحكام فليكن القياس مثله إذا كان جليا لا يرتاب فيه و عندنا و إن لم نقل به في حقي فإني أجيز الحكم به لمن أداه اجتهاده إلى إثباته أخطأ في ذلك أو أصاب فإن الشارع أثبت حكم المجتهد و إن أخطأ و أنه ما جور فلو لا أن المجتهد استند إلى دليل في إثبات القياس من كتاب أو سنة أو إجماع أو من كل أصل منها لما حل له أن يحكم به بل ربما يكون في حكم النظر عند المنصف القياس الجلي أقوى في الدلالة على الحكم من خبر الواحد الصحيح فإنا إنما نأخذه بحسن الظن برواته و لا نزكيه علما على الله فإن الشرع منعنا أن نزكي على الله أحدا و لنقل أظنه كذا و أحسبه كذا و القياس الجلي يشاركنا فيه النظر الصحيح العقلي و قد كنا أثبتنا بالنظر العقلي الذي أمرنا به شرعا في قوله أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا في

مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ من جِنَّةٍ وفي القرآن من مثل هذا كثير فقد اعتبر الشارع حكم النظر العقلي في إثبات وجود الله أولا وهو الركن الأعظم ثم اعتبره في توحيده في ألوهته فكلفنا النظر في أنه لا إله إلا الله بعقولنا ثم نظرنا بالدليل العقلي ما يجب لهذا الإله من الأحكام ثم نظرنا بالنظر العقلي الذي أمرنا به في تصديق ما جاء به هذا الرسول من عنده إذ كان بشرا مثلنا فنظرنا بالعقول في آياته وما نصبه دليلا على صدقه فأثبتناه وهذه كلها أصول لو انهد ركن منها بطلت الشرائع ومستند ثبوتها النظر العقلي واعتبره الشرع وأمر به عباده والقياس نظر عقلي أ ترى الحق يبيحه في هذه المهمات والأركان العظيمة ويحجزه علينا في مسألة فرعية ما وجدنا لها ذكرا في كتاب ولا سنة ولا إجماع ونحن نقطع أنه لا بد فيها من حكم إلهي مشروع وقد انسدت الطرق فلجأنا إلى الأصل وهو النظر العقلي واتخذنا قواعد إثبات هذا الأصل كتابا وسنة فنظرنا في ذلك فأثبتنا القياس أصلا من أصول أدلة الأحكام بهذا القدر من النظر العقلي حيث كان له حكم في الأصول فقسنا مسكوتا عنه على منطوق به لعلة معقولة لا يبعد أن تكون مقصودة للشارع تجمع بينهما في مواضع الضرورة إذا لم نجد فيه نصا معينا فهذا مذهبنا في هذه المسألة وكل من خطأ عندي مثبت القياس أصلا أو خطأ مجتهدا في فرع كان أو في أصل فقد أساء الأدب على الشارع حيث أثبت حكمه والشارع لا يثبت الباطل فلا بد أن يكون حقا ويكون نسبة الخطاء إلى ذلك نسبة أنه أخطا دليل المخالف الذي لم يصح عند المجتهد أن يكون ذلك دليلا والمخطئ في الشرع واحد لا بعينه فلا بد من الأخذ بقوله ومن قوله إثبات القياس فقد أمر الشارع بالأخذ به وإن كان خطأ في نفس الأمر فقد تعبده به فإن للشارع أن يتعبد بما شاء عباده وهذه طريقة انفردنا بها في علمنا مع أنا لا نقول بالقياس بالنظر إلينا ونقول به بالنظر لمن أداه إليه اجتهاده لكون الشارع أثبته فلو أنصف المخالف لسكت عن النزاع في هذه المسألة فإنها أوضح من أن ينازع فيها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ثم نبين في هذا الباب ما يتعلق بأصول الأحكام عند علماء الإسلام كما علمنا في العبادات وكان الأولى تقديم هذا الباب في أول العبادات قبل الشروع فيها ولكن هكذا وقع فإنا ما قصدنا هذا الترتيب عن اختيار ولو كان عن نظر فكري لم يكن هذا موضعه في ترتيب الحكمة فأشبه آية قوله حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة يتقدمها ويتأخرها فيعطي الظاهر أن ذلك ليس موضعها وقد جعل الله ذلك موضعها لعلمه بما ينبغي في الأشياء فإن الحكيم من يعمل ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي وإن جهلنا نحن صورة ما ينبغي في ذلك فالله تعالى رتب على يدنا هذا الترتيب فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا فالله يملي على القلوب بالإلهام جميع ما يسطره العالم في الوجود فإن العالم كتاب مسطور إلهي وإذا تعارض آيتان أو خبران صحيحان وأمكن الجمع بينهما واستعمالهما معا فلا نعدل عن استعمالهما فإن لم يمكن استعمالهما معا بحيث أن يكون في أحدهما استثناء فيجب أن

يؤخذ بالذي فيه الاستثناء و إن كان في أحدهما زيادة أخذت الزيادة و عمل بها فإن لم يوجد شيء من ذلك و تعارضا من جميع الوجوه فينظر إلى التأريخ فيؤخذ بالمتأخر منهما فإن جهل التأريخ و عسر العلم به فلينظر إلى أقربهما إلى رفع الحرج في الدين فيعمل به لأنه يعضده ما (جَعَلَ) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ من حَرَجٍ و دين الله يسر و يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و ما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم و ما نهيتكم عنه فدعوه فإن تساويا في رفع الحرج فلا يسقطان و تكون مخيرا فيهما تعمل بأي الخبرين شئت أو الآيتين و إذا تعارض آية و خبر صحيح من جميع الوجوه من أخبار الآحاد و جهل التأريخ أخذ بالآية و تركنا الخبر فإن الآية مقطوع بها و خبر الواحد مظنون فإن كان الخبر متواترا كالآية و جهل التأريخ و لم يمكن الجمع بينهما كان الحكم التخيير فيهما إلا أن يكون أحدهما فيه رفع الحرج فيقدم الأخذ به و كل خبرين أو آيتين تعارضا أو آية و خبر صحيح متواترا و غير متواتر و في أحدهما زيادة حكم قبلت الزيادة و عمل بها و ترجح الأخذ بحديث الزيادة على معارضه و لا يؤخذ من الحديث إلا ما صح فإن كان المكلف مقلدا و بلغ إليه حديث ضعيف مسند إلى رسول الله ص و قد عارضة قول إمام من الأئمة أو صاحب لا يعرف دليل ذلك القول فيأخذ بالحديث الضعيف و يترك ذلك القول فإن قصاراه أن يكون في درجة ذلك القول إن كان الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح و لا يعدل عن الحديث و أما إذا صح الحديث و عارضة قول صاحب أو إمام فلا سبيل إلى العدول عن الحديث و يترك قول ذلك الإمام و الصاحب للخبر فإن كان الخبر مرسلا أو موقوفا فلا يعول عليه إلا إذا علم من التابع أنه لا يرسل الحديث إلا عن صاحب لا غير و إن لم يعين ذلك الصاحب فيؤخذ بالمرسل فإنه في حكم المسند و هو أن يقول التابع قال رسول الله ص و لا يذكر الصاحب الذي عنه رواه و يعلم أنه ممن أدرك الصحابة و صحبهم و هو ثقة في دينه و يعلم منه أنه ممن لا يرى الكذب على النبي ص في المصالح فإن علم منه ذلك لم يؤخذ بحديثه و لو أسنده و لا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو إمام و من يفعل ذلك فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً و خرج عن دين الله و إذا ورد الخبر عن قوم مستورين لم يتكلم فيهم بجرح و لا تعديل وجب الأخذ بروايتهم فإن جرح واحد منهم بجرحة تؤثر في صدقه ترك حديثه و إن كانت الجرحة لا تتعلق بنقله وجب الأخذ به إلا شارب الخمر إذا حدث في حال سكره فإن علم أنه حدث في حال صحوه و هو ممن هذه صفته أخذ بقوله و الإسلام العدالة و الجرحة طارئة و إذا ثبتت على حد ما قلناه ترك الأخذ بحديث صاحب تلك الجرحة و لا فرق بين الأخذ بخبر الواحد الصحيح و بين المتواتر إلا إن تعارضا كما قلناه و ما أوجب الله علينا الأخذ بقول أحد غير رسول الله ص مع كوننا مأمورين بتعظيمهم و محبتهم و أما النسخ فلا أقول به على حد ما يقولون به فإنه عندنا انتهاء مدة الحكم في علم الله فإذا انتهى فجائز أن يأتي حكم آخر من قرآن أو سنة فإن سمي مثل هذا نسخا قلنا به و إذا كان الأمر على هذا فيجوز نسخ القرآن بالقرآن و

بالسنة فإن السنة مبينة لأنه ع مأمور بأنه يبين للناس ما نزل إليهم و أن يحكم بما أراه الله لا بما أرته نفسه فإنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه سواء كان ذلك قرآنا أو غير قرآن و يجوز نسخ السنة بالقرآن و السنة و إذا ورد نص من آية أو خبر لا يجوز الوقوف عن الأخذ بذلك القرآن أو الخبر حتى يرى هل له معارض أم لا بل يعمل بما وصل إليه فإن عثر بعد ذلك على خبر أو آية ناسخ أو مخصص أو معمم للمتقدم كان بحكم ما وصل إليه بشروطه و هو أن يبحث عن التأريخ فإن الخاص قد يتقدم على العام كما يتقدم العام على الخاص و الأصل أن الحكم للمتأخر و إذا وردت الآية أو الخبر بلفظ ما من اللسان فالأصل أن يؤخذ بما هو عليه في لغة العرب فإن أطلقه الشارع على غير المفهوم من اللسان كاسم الصلاة و اسم الوضوء و اسم الحج و اسم الزكاة صار الأصل ما فسره به الشارع و قرره فإذا ورد بعد ذلك خبر بذلك اللفظ حمل على ما فسره به الشارع و لم يحمل على ما هو عليه في اللسان حتى يرد من الرسول في ذلك اللفظ أنه به ما هو عليه في اللسان فيعدل عند ذلك إليه في ذلك الخبر على التعيين و أوامر الشرع كلها محمولة على الوجوب و نواهيه محمولة على الحظر ما لم يقترن بالأمر قرينة حال تخرجه عن الوجوب إلى الندب أو الإباحة و كذلك النهي إن اقترنت به قرينة تخرجه من الحظر إلى الكراهة فإن تعرى الأمر عن قرينة الندب أو الإباحة تعين الوجوب و كذلك النهي و قد يرد الأمر الإلهي أو النبوي على النهي برفع التحجير خاصة لا لوجوب فعل المأمور به و الإجماع إجماع الصحابة بعد رسول الله ص لا غير و ما عدا عصرهم فليس بإجماع يحكم به و صورة الإجماع أن يعلم أن المسألة قد بلغت لكل واحد من الصحابة فقال فيها بذلك الحكم الذي قال به الآخر إلى أن لم يبق منهم أحد إلا و قد وصل إليه ذلك الأمر و قال فيه بذلك الحكم فإن نقل عن واحد خلاف في ذلك فليس بإجماع أو نقل عنه سكوت فليس بإجماع و إذا وقع خلاف في شيء وجب رد الحكم فيه إلى الكتاب و الخبر النبوي فإنه خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا و لا يجوز أن يدان الله بالرأي و هو القول بغير حجة و لا برهان لا من كتاب و لا من سنة و لا من إجماع و إن كنا لا نقول بالقياس فلا نخطىء مثبته إذا كانت العلة الجامعة معقولة جلية يغلب على الظن أنها مقصودة للشارع و إنما امتنعنا نحن من الأخذ بالقياس لأنه زيادة في الحكم و فهمنا من الشارع أنه يريد التخفيف عن هذه الأمة و كان يقول اتركوني ما تركتكم و كان يكره المسائل خوفا أن ينزل عليهم في ذلك حكم فلا يقومون به كقيام رمضان و الحج في كل سنة و غير ذلك فلما رأيناه على ذلك منعنا القياس في الدين فإن النبي ص ما أمر به و لا أمر به الحق تعالى فتعين علينا تركه فإنه مما يكرهه ص و حكم الأصل أن لا تكليف و أن الله خلق لنا ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فمن ادعى التحجير علينا فعليه بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع و أما القياس فلا أقول به و لا أقلد فيه جملة واحدة و أما أفعال النبي ص فليست على الوجوب فإن في ذلك غاية الحرج إلا فعل بين به أمرا تعبدنا به فذلك الفعل واجب مثل قوله صلوا كما رأيتموني أصلي و خذوا عني مناسككم و أفعال الحج و لو لا نطقه في ذلك

في بعض الأفعال لم يكن يلزمنا ذلك الفعل فإنه بشر يتحرك كما يتحرك البشر و يرضى كما يرضى البشر و يغضب كما يغضب البشر فلا يلزمنا اتباعه في أفعاله إلا أن أمر بذلك و تعين عليه أن لا يفعل فعلا سرا بحيث لا يراه أحد كما تعين عليه فيما أمر بتبليغه أن لا يتكلم به وحده بحيث لا يسمعه أحد حتى ينقله إلى من لم يسمعه و أما شرع من قبلنا فما يلزمنا اتباعه إلا ما قرر شرعنا منه مع كون ذلك شرعا حقا لمن خوطب به لا نقول فيه بالباطل بل نؤمن بالله و رسوله و ما أنزل إليه و ما أنزل من قبله من كتاب و شرع منزل و التقليد في دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حي و لا ميت و يتعين على السائل إذا سأل العالم أن يقول له أريد حكم الله أو حكم رسوله في هذه المسألة فإن قال له المسئول هذا حكم الله في المسألة أو حكم رسوله تعين عليه الأخذ بها فإن المسئول هنا ناقل حكم الله و حكم رسوله الذي أمرنا بالأخذ به فإن قال هذا رأيي أو هذا حكم رأيته أو ما عندي في هذه المسألة حكم منطوق به و لكن القياس يعطي أن يكون الحكم فيه مثل الحكم في المسألة الفلانية المنطوق بحكمها لم يجز للسائل أن يأخذ بقوله و يبحث عن أهل الذكر فيسألهم على صفة ما قلنا و يتعين على كل مسلم أن لا يسأل إلا أهل الذكر و هم أهل القرآن قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و أهل الحديث فإن علم السائل أن هذا المسئول صاحب رأي و قياس فيتركه و يسأل صاحب الحديث فإن كان المسئول صاحب رأي و قياس و حديث فيسأله فإذا أفتاه تعين عليه أن يقول له هذا الحكم رأي أو قياس أو عن حديث فإن قال عن رأي أو قياس تركه و إن قال عن خبر أخذ به و لا حكم للخطإ و النسيان إلا حيث جاء في قرآن أو سنة أن يكون لهما حكم فيعمل به مثل صلاة الناسي و قتل الخطاء و كل مسكوت عنه فلا حكم فيه إلا الإباحة الأصليةو خطاب الشرع متوجه على الأسماء و الأحوال لا على الأعيان فلا يكون حكم الفرض إلا على من حاله قبول الفرض من أمر و نهي في عمل أو ترك فكل من عجز عن شيء من ذلك مما كلفه الله به بل ما هو مخاطب به إن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و إِلَّا ما آتاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً و كل عمل مقيد بوقت موسعا كان أو مضيقا فلا يجوز عمله إلا في وقته لا قبله و لا بعده فإن ذلك حد الله المشروع فيه فلا يتعدى و حكم الاجتهاد في الأصول و الفروع واحد و الحق في الفروع حيث قرره الشرع و قد قرر حكم المجتهدين و لا يقرر إلا ما هو حق فكله حق و أما نسبة الخطاء إلى المجتهد الذي له أجر واحد فهو كونه لم يعثر على حكم الله أو حكم رسوله في تلك المسألة و قد تعبده الله بما انتهى إليه اجتهاده فلو لم يكن حقا عند الله بالنظر إليه لما تعبده به فإن الله لا يقر الباطل فإذا وصل إليه بعد ذلك حكم الله تعالى أو رسوله في تلك المسألة بما يخالف دليله و علم أن ذلك الحكم متأخر عن حكم دليله وجب عليه الرجوع عن ذلك الحكم الأول و لا يحل له البقاء عليه و لهذا كان من علم مالك بن أنس و دينه و ورعه أنه إذا سئل عن مسألة في دين الله يقول نزلت فإن قيل له نعم أفتى و إن قيل لم تنزل لم يفت و سببه ما ذكرنا لأن المصيب للحكم المعين في تلك المسألة واحد لا بعينه و

المخطئ واحد لا بعينه و لهذا قالت العلماء كل مجتهد مصيب فأما مصيب للحكم الإلهي فيها على التعيين أو مصيب للحكم المقرر الذي أثبته الله له إذا لم يعثر على ذلك الحكم المعين و أخطأه و هذا القدر كاف في أصول أحكام الشرع في هذا الكتاب لأنه لا يحتمل الاستقصاء و أما أسرار أصول أحكام الشرع المتفق عليها و المختلف فيها فإن سر الكتاب هو ما يكون من الله للعبد بترك الوسائط كما قال كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ فهم كتاب الله و هو قول الشارع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك و قوله استفت قلبك و إن أفتاك المفتون و الكتابة ضم المعاني الإلهية بما يليق بجلاله من نسبة أسماء الله الحسنى إلى المعاني التي لنا من التخلق بتلك الأسماء أي بمعانيها أو تكون أخلاقا لنا لا تخلقا و هي نسبتها إلينا على ما يليق بنا فهو الرءوف الرحيم و قد قال في رسوله ص بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ و هذا مدح و سمى نفسه بالعزيز الكريم و قد قال في بعض عباده ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و هو ذم و كلها أسماء الله و أسماء الخلق و مدلولاتها معقولة المعنى بآثارها فيمن تسمى بها و إن كانت نسبها مختلفة فنسبتها إلى الله لا تشبه نسبتها إلى العبد فإنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و إن كان آثار الكريم أن يعطي و قد وجد العطاء من الله و من العبد على جهة الإنعام فإن انضم المعنى إلى المعنى من وجه فقد افترقا من وجه لأن الموصوف المسمى لا يشبه الموصوف المسمى الآخر فمن الوجه الذي يقع الاشتراك و هو الأثر من ذلك الوجه يكون كتابة لأن الكتابة الضم و بضم الحروف بعضها إلى بعض سميت كتابة و الكتيبة ضم الخيل بفرسانها بعضها إلى بعض فلو جاءوا متفرقين وحدانا ما سموا كتيبة فهو المؤمن و قد كتب في قلب عبده الايمان فأوجب له ذلك الكتاب حكما سمي به مؤمنا و ليس الاسم غير المسمى فهو الظاهر في عين الممكن و الممكن له مظهر و كل ظاهر في مظهر فقد انضم الظاهر إلى المظهر و انضم المظهر إلى الظاهر و لذلك صح أن يكون مظهرا للظاهر فيه فهذا سر أصل الأخذ بالكتاب دليلا على ثبوت الحكم و أما سر السنة في إثبات الحكم فإنه لما كان الرسول ع لا ينطق عن الهوى و أن حكمه حكم الله و هو ناقل عن الله و مبلغ عنه بما أراه الله و الله على صراط مستقيم و السنة الطريقة و الطريق لا يراد لنفسه و إنما يراد لغايته فالسنة صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ لأنها على صراطه و هو غاية صراطه فلا بد للسالك عليه من الوصول إليه فالصراط الواسطة و بوساطة استعداد المظهر بما هو عليه في نفسه حكم على الظاهر بما سمي به فهو أعطاه ذلك الاسم و ذلك الحكم صحيح فهذا صراط مستقيم فنحن إذا سألنا الحق في أمر يعن لنا كان أثر سؤالنا في الله الإجابة فسمي مجيبا فلو لا سؤالنا ما ثبت هذا الحكم و لا أطلق عليه هذا الاسم و نحن طريقة له في ذلك قال تعالى أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فما أجابه حتى دعاه فهذا سر استدلاله بالسنة و أما الإجماع فهو ما أجمع عليه الرب و المربوب في إن الله خالق و العبد مخلوق و هكذا كل إضافة فلا خلاف بين الله و بين عباده في مسائل الإضافة أين ما وجدت و كذلك في المعلومات من حيث ما هي معلومات و

أما القياس عند مشبّيه فهو ظهور رب بصفة عبد و ظهور عبد بصفة رب عن أمر رب فإن لم يكن عن أمر رب فلا يتخذ دليلا على حكم أو عن حميد خلق كريم فإنه أيضا يتخذ دليلا و أما ظهور رب بصفة مربوب فلا يشترط فيه الأمر الواجب و لكن قد يكون عن دعاء و طلب و صفته صفة الأمر و المعنى مختلف و إن كان هذا مسموعا ممتثلا و الآخر كذلك و لكن بينهما فرقان فهذا حكم سر القياس في الاستدلال و هو قياس الغائب على الشاهد لحكم معقول جامع بين الشاهد و الغائب و ينسب لكل واحد من المنسوبين إليه بحسب ما يليق بجلاله و إنما قلنا بجلاله لأن الجليل من الأضداد يطلق على العظيم و على الحقير و قد انتهت أسرار أصول أحكام الشرع انتهى الجزء الرابع و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب التاسع و الثمانون في معرفة النوافل على الإطلاق)

إن النوافل ما يكون لعينها أصل يشاهد في الفرائض كلها
فالفرض كالأجرام إن قابلتها بالنور و النفل المزاد كظلها
بيد و بصورتها و ليس فريضة فيعود فرضا في الحساب كمثلها
جاء الحديث به فبين فضلها شرعا و ميز أصلها من أصلها
فإذا أتيت بهن فاعلم أنه ذخر الإله لكم نتيجة فعلها
فيكون عين قواك ربك فاغترف من طلها حتى تفوز بوبلها

اعلم أيدك الله بروح القدس أن للنوافل حكما في الحضرة الإلهية جامعا ينوب صاحبها فيه مناب الحق من ذاقه عرف قدره و عجز عما يستحقه واهبه من الشكر عليه ثم إن النوافل تتفاضل و تعلو بعلو فرائضها إذ كانت النوافل كل عمل له أصل في الفرائض عن ذلك الأصل يتولد و بصورته يظهر كما ظهرنا نحن بصورة الحق فنحن له نافلة و هو أصلنا و لهذا نقول فيه إنه واجب الوجود لنفسه و نحن واجبون به لا بأنفسنا فبهذه الدرجة يتميز عنا و تتميز عنه و ما عدا النوافل فيسمى عبادة مستقلة و سننا مبتدءات نذكرها بعد هذا الباب إن شاء الله و إذا كانت النوافل تعلو بعلو فرائضها التي هي أصولها فأعلى نوافل التنزيه في الخيرات الصيام لأن فرضه صوم رمضان و رمضان اسم الله و الصوم عبادة لا مثل لها و هو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ففضل نوافل سائر العبادات فإنه يمنع من النكاح فله أثر فيه أي في منعه و كل من له قوة المنع فإن الممنوع متصف بالضعف بالنسبة إلى تلك القوة فإن كان لهذا الممنوع من القوة بحيث يؤثر في محل هذه العبادة

حتى يزيل حكمها كان أقوى بلا شك فنافلة النكاح أقوى لما له من التأثير في إبطال الصوم و الصلاة و غيرها و النكاح أفضل نوافل الخيرات و له أصل و هو النكاح المفروض فما زاد عليه كان نافلة و هو على نوعين أعني وقوعه فقد يقع على نسبة المحبة مطلقة و قد يقع على نسبة محبة التوالد و التناسل فإذا وقع عن محبة التوالد و التناسل التحق بالحب الإلهي و لا عالم فأحب أن يعرف فتوجه بالإرادة لهذه المحبة على الأشياء في حال عدمها القائمة في استعداد إمكانها مقام الأصل فقال لها كن فكانت ليعرف بجميع وجوه المعارف و هي المعرفة المحدثة التي لم يكن تعلق لها به إذ لم يكن العارف بها متصفا بالوجود و ذلك محبة طلب كمال المعرفة و كمال الوجود فما كمل الوجود و لا المعرفة إلا بالعالم و لا ظهر العالم إلا عن هذا التوجه الإلهي على شيئية أعيان الممكنات بطريق المحبة للكمال الوجودي في الأعيان و المعارف و هي حال تشبه النكاح للتوالد فكان النكاح المفروض أفضل الفرائض و نافلته أفضل نوافل الخيرات و لاشتراك غيره من العبادات في اسم النوافل نال من استعملها على اختلاف أنواعها منا لها و الأصل نوافل النكاح لأن العمل إذا أنتج ما لم يكن له عين قبل ذلك فذلك من حكم النكاح و ما من عمل إلا و هو منتج بحسب حقيقته و طريقته فكان النكاح أصل في الأشياء كلها فله الإحاطة و الفضل و التقدم و قال أبو حنيفة في النكاح إنه أفضل نوافل الخيرات و لقد قال حقا أو صادف حقا كان رسول الله ص حبب إليه النساء و كان أكثر الأنبياء نكاحا لما فيه من التحقق بالصورة التي خلق عليها و لكن لا يعلم ذلك إلا قليل من الناس من طريق الكشف بل من العارفين من أهل الله و قدم علينا بإشبيلية سنة ست و ثمانين و خمسمائة أبو الحجاج يوسف الغليري من أهل غليرة و كان من أهل الأحوال فبينما هو قاعد معي إذ كشف له عن هذا المقام ممثلا فذكره لي في غلبة حاله بصورة ما رآه مما لا يمكنني ذكره فكوشف على العالم و في أي صورة هو أبوه تعريفا من الحق فما زلت أسكنه و هو هائج حتى سكن فوجود الحق هو الفرض في نفس الأمر و وجود العبد نافلة عن ذلك الفرض و لذلك خرج على صورته فنافلة النكاح قد ذكرنا ما نتج منها و نافلة الصلاة تنتج وجود العبد في حظه من القسمة منه قوله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي فيعرف من نوافل هذه الصلاة حظه من القسمة لا حظ ربه كما يعرف من فرضها حق ربه و قسمه منها و لكل حال شرب معلوم فإن الذي يعطي الفرض في عامله من الحكم خلاف الذي يعطي النفل لأنه في الفرض عبد مضطر و في النفل عبد مخير مختار موصوف بصفة إلهية و هي المشيئة فإن شاء فعل و إن شاء لم يفعل و نافلة الصيام ما يحصل للعبد من التنزيه في نفي المماثلة من قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء و ما مثله إلا من خلق على صورته فنفى سبحانه أن يماثل هذا المثل فهو أحق أن لا يماثل و ما له من الصورة إلا الاسم خاصة فإن العالم كما أعطاه الله اسم الوجود الذي هو له تعالى حقيقة أعطاه العالم باستعداده و كونه مظهرا لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى ما علمنا منها و ما لم نعلم فهذا كونه على صورته و نافلة الزكاة أعطت في الإنسان البركة

و هي الزيادة التي حصلت له على ما أعطته الفريضة لا غير و نافلة الحج أعطت له القصد بظهور الكون في الأطوار المختلفة مع أحدية التوجه و نافلة العمرة أعطته الدخول عليه تعالى في كل عبادة بين طرفي تحليل و تحريم و فيها ذوق و شرب و هما تجليان معروفان عند أهل الله و نافلة الذكر الذي فرضه لا إله إلا الله و تكبيرة الإحرام و السلام من الصلاة و شهادة التعيين و كل فرض يتعلق بالقول فإنه يعطيك نافلته و المواظبة عليه أن تقول لما تريده في الكون كُنْ فَيَكُونُ كما يعطيك الفرض أن تقول للحق تعالى افعل فيفعل و الباب الجامع لما يعطى جميع النوافل أن يكون الحق يحبه فأنتجت النوافل محبة الله لعبده و لكن ما كل محبة بل المحبة التي بها يكون الحق سمعك الذي تسمع به و بصرك الذي تبصر به و يديك التي تبطش بها و رجلك الذي تسعى به و هذا منعنا أن نقول في المفاضلة في الأشياء لأن العرف يعطي أن البصر أفضل من الرجل عند الجماعة و هنا قد أنزل الحق نفسه أنه بصرك الذي تبصر به و رجلك التي تسعى بها و أعطى لكل حق حقيقة منه و هو لا يفضل نفسه فإنه هو الظاهر في كل ما ذكر أنه هو كما يليق بجلاله فليس البصر بأعلى و لا أفضل من الرجل وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فهذا قد ذكرنا ما تعطيه نوافل الخيرات على الإطلاق و على التقييد نافلة نافلة

(الباب الموفي تسعين في معرفة الفرائض و السنن)

إن الفرائض كالركائب و السنن ... مثل الطريق لها إلى غاياتها

فإذا قطعت الضرب كنت فريضة ... فتكون سمع الحق في آياتها

عكس النوافل فاعتبرها و التزم ... طرق الفضائل واسع في إثباتها

الفرائض هي الأعمال أو التروك التي أوجبها الله تعالى على عباده و قطعها عليهم و أثم من لم يقم بها و هي على قسمين فرض عين و هو الذي لا يسقط عنه إذا عمله غيره و فرض كفاية و هو الذي يسقط عنه إذا قام به غيره و قد كان قبل قيام الغير به متعينا عليه و على ذلك الغير كالصلاة على الجنازة و غسل الميت و الجهاد و ثم فرض آخر يلوح بينهما له طرف إلى كل واحد منهما يخالف حكم الآخر مثل الحج المفروض إذا لم يستطع و هو إن كان غير مخاطب به إلا مع الاستطاعة فهو فرض متوقف على شرطه فإذا حج عنه وليه سقط عنه و كان له الأجر أجر الأداء و ليس هذا في فرض الكفاية لوجود الأجر و لا في فرض الصلاة لعدم سقوطها عمن صليت عنه فلا يشبه فرض الصلاة و لا يشبه فرض الكفاية و أما السنن فكل ما عدا ما تعين عمله و هو على قسمين سنة أمر بها و حرض عليها أو فعلها بنفسه و خير أمته في فعلها و سنة ابتدعها واحد من الأمة فاتبع فيها فله أجرها و أجر من عمل بها فالفرض إذا جاء به العبد موفى فقد وفى ما تستحقه الربوبية عليه من العبودة فينتج له عمل الفريضة أمرا هو أعلى من أن يكون الحق سمعه فإن كون الحق سمع العبد حال

للعبد و حكم الفرض يحول بينه و بين هذه الحال و هو أن يكون سمعا للحق فيسمع الحق بالعبد و هو قوله جعت فلم تطعمني و أما هذه الحيلولة التي أعطاها الفرض من أن يكون الحق سمعه هي مقام محقق ثابت كما هو في نفس الأمر فيعرف عند ذلك العبد أن الحق هو لا هو و صاحب الحال يقول أنا و السنن طرق الاقتداء و أعلاها الاقتداء بالحق حتى أكون في إطلاق أسمائه علي قريبا من التحقق بها لا من التخلق و أدناها في حق الولي الاقتداء بالذين قال الله فيهم أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و العلماء ورثة الأنبياء و ما ورثوا إلا العلم فالسنة النبوية عالية المقام و هي الجمعية على الدين و إقامته و أن لا يتفرق فيه فهي تعلو بمن يأتيها و يسلك فيها في الحضرات المحمدية إلى غاياتها في المعارف و الأحوال و التجلي و أما السنن التي هي الشرائع المستحسنة بعد رسول الله ص و هو الاستحسان عند الفقهاء الذي قال فيه الشافعي رحمه الله من استحسن فقد شرع فأخذها الفقهاء منه على جهة الذم و هو رضي الله عنه نطق بحقيقة مشروعة له لم تفهم عنه فإنه كان من الأربعة الأوتاد و كان قيامه بعلم الشرع حجبه عن أهل زمانه و من بعده روينا عن بعض الصالحين أنه لقي الخضر فقال له ما تقول في الشافعي فقال هو من الأوتاد فقال فما تقول في أحمد بن حنبل قال رجل صديق قال فما تقول في بشر الحافي قال ما ترك بعده مثله فهذه شهادة الخضر في الشافعي رحمه الله و لما صح عند الشافعي أن النبي ص قال من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها و من سن سنة سيئة الحديث فلا شك أن الشرع قد أباح له أن يسن سنة حسنة و هي من جملة ما ورث من الأنبياء و هي حسنة أي يستحسنها الحق منه و هو سنها فمن استحسن أي من سن سنة حسنة فقد شرع و يا عجبا من عدم فهم الناس كلام الشافعي في هذا و هم يثبتون حكم المجتهد و إن أخطأ في نفس الأمر و قد أقره الشارع و هو حكم شرعي مقبول لا يحل لأحد من الحكام رده و قواعد الشرع و أصوله تحفظه و كالمصالح المرسلة في مذهب مالك و لما قرر الشارع حكمها مجملا و أبان أن واضعها و متبعيه فيها مأجورون و نهاية التابعين فيها إلى واضعها على قدره و قدر ما سن نبهتك بهذا أن تكون أوقاتك معمورة بالشرائع النبوية و السنن الأصلية فإن الكيس ينبغي أن لا يكون غاية عمله إلا نبوة أصلية لا فرعية إذ كان له الاختيار في الاختيار لما كانت الأمور في أنفسها تقبل الاختيار كما فعل سبحانه في جميع الموجودات فاختار من كل أمر في كل جنس أمرا ما كما اختيار من الأسماء الحسنى كلمة الله و اختار من الناس الرسل و اختار من العباد الملائكة و اختار من الأفلاك العرش و اختار من الأركان الماء و اختار من الشهور رمضان و اختار من العبادات الصوم و اختار من القرون قرن النبي ص و اختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة و اختار من الليالي ليلة القدر و اختار من الأعمال الفرائض و اختار من الأعداد التسعة و التسعين و اختار من الديار الجنة و اختار من أحوال السعادة في الجنة الرؤية و اختار من الأحوال الرضي و اختار من الأذكار لا إله إلا الله و اختار من الكلام القرآن و اختار من

سور القرآن سورة يس و اختار من آي القرآن آية الكرسي و اختار من قصار المفصل قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ و اختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة و اختار من المراكب البراق و اختار من الملائكة الروح و اختار من الألوان البياض و اختار من الأكوان الاجتماع و اختار من الإنسان القلب و اختار من الأحجار الحجر الأسود و اختار من البيوت البيت المعمور و اختار من الأشجار السدرة و اختار من النساء مريم و آسية و اختار من الرجال محمد ص و اختار من الكواكب الشمس و اختار من الحركات الحركة المستقيمة و اختار من النواميس الشريعة المنزلة و اختار من البراهين البراهين الوجودية و اختار من الصور الصور الآدمية لذلك أبرزها على الصورة الإلهية و اختار من الأنوار ما يكون معه النظر و اختار من النقيضين الإثبات و من الضدين الوجود و اختار الرحمة على الغضب و اختار من أحوال أفعال الصلاة السجود و من أقوالها ذكر الله و من أصناف الإرادات النية فلها الحكم في قبول العمل و رده فإنه لكل امرئ ما نوى و يلحق غير العامل بالعامل في الأجر و زيادة و أما ذكر الله من أقوال الصلاة فإن ذكر الله منها أكبر ما فيها هكذا قال عز و جل إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ فإن الصلاة مناجاة و الذاكر جليسه الحق فإن ذكره به فهو تعالى لسانه و أما اختياره السجود في أفعال الصلاة فلما فيه من العصمة من الشيطان فإنه لا يفارقه في شيء من أفعال الصلاة إلا في السجود خاصة لأنه خطيئته و عند السجود يبكي و يتأسف و يندم و الندم توبة و لا بد من قبول ذلك القدر فهو يتوب عند كل سجدة و إن الله يحب كل مفتن تواب ثم يعود إلى الإغواء عند الرفع من السجود هكذا و أما اختياره الرحمة على الغضب فلأنها تفعل بالمنة و تفعل بالوجوب و وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و الغضب من الأشياء التي وسعته الرحمة فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة و الرحمة لا يشوبها غضب وَ مَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى فالغضب جعله يهوى فإذا هوى و هو السقوط و هو حكم الغضب لا غير فيسقط في الرحمة فتسعه و تتلقاه فلا يسقط إلا إليها و بالرحمة التي في الغضب سقط فهي التي جعلت الغضب يهوى به لتستلمه الرحمة الخالصة كالرحمة التي في الدواء الكرية فيشربه العليل على كراهة فيه رحمة خفية من أجلها استعمل الدواء الكرية في الوقت لتسلمه إلى العافية و هي الرحمة الخالصة و لهذا كان المآل إلى الرحمة و حكمها و إن لم يخرجوا من النار فلهم فيها نعيم وَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ألا ترى إلى ما جعل الله في النار في الدنيا من المنافع و الراحات و لو لم يكن إلا الكي بها لبعض العلل فإنه أقطع الأدوية و لقوته في أثره قدح في التوكل لأنه يقوم في الفعل مقام الشافي و المعافي فحكمت الغيرة على المكتوي بأنه غير متوكل و أما اختيار الوجود من الضدين فلأنه صفته فاختار للممكنات صفته و لا يصح إلا هذا فإن له الاقتدار و الاقتدار لا يكون عنه إلا الوجود ألا تراه لما قال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ قال وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ فأبى الاقتدار إلا الوجود و علق الإرادة بالإعدام و له الاسم المانع و المنع عدم و أما اختياره الإثبات فهو عين الشيء الذي يقول

له كن لأنه في حال عدمه رجح له الإثبات على النفي حتى لا يزال ممكنا في حال عدمه و هي مسألة دقيقة في الترجيح في حال العدم و بذلك الافتقار الذاتي الذي في الممكن قبل الوجود إذا أراده الحق منه و أسرع إليه بحكم الإثبات الذي هو عليه و أما النور المختار من الأنوار فإن الأنوار حجب و لذلك قال في الأنوار الحجابية نور إني أراه ثم وعد بالرؤية و هو نور فلا بد أن يكون النور الذي يظهر فيه لعباده مختارا من تلك الأنوار الحجابية كنور الأحدية و العزة و الكبرياء و العظمة فهذه كلها ترفع عن البصر و يبقى حكمها في القلب فبرفعها تقع الرؤية للحق تعالى و يبقى حكمها في القلب و يفنى العبيد عن الرؤية و لو لا ذلك لشهدوا نفوسهم عند شهوده و أما اختياره الصورة الآدمية فلأنه خلق آدم على صورته فأطلق عليه جميع أسمائه الحسنى و بقوتها حمل الأمانة المعروضة و ما أعطته هذه الحقيقة أن يردها كما أبت السموات و الأرض و الجبال حملها وَحَمَلَهَا الْإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً لو لم يحملها جَهُولًا لأن العلم بالله عين الجهل به العجز عن درك الإدراك إدراك فإنه إذا علم إن ثم ما لم يعلم فما علم و هو العلم بأن ثم ما لا يعلم و ليس لعلمه متعلق إلا الجهل به و أما اختياره البراهين الوجودية من البراهين الجدلية و غيرها فلما تعطيه من تمام العلم بثبوت الحق و إبطال حجة الخصم و البراهين الجدلية ليست لها هذه القوة فإنها تبطل حجة الخصم و قد لا تثبت حقا و البراهين السوفسطائية تنتج حيرة و هي أقرب إلى البراهين الوجودية في العلم الإلهي من وجه من البراهين الجدلية و أما اختياره الشريعة المنزلة فلما لها من عموم التعلق بالدار الآخرة و مصالح الدنيا و ليست النواميس الحكمية الموضوعة لمصالح الدنيا و بقاء الخير في عالم الدنيا لها حكم لتحكم على الله بالقرب الإلهي و قبول الأعمال و رفع الدرجات و إثبات الجنات و دار الشقاء لا يستقل بذلك كله إلا الشرع المنزل من عند الله و أما الذين ابتدعوا عبادات و رعوها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله مما لم يكتبها الله عليهم فهم أصحاب شرع منزل من عند الله فسنوا فيه سننا حسنة مناسبة لما سنها الشرع بالشرع المنزل فيهم و أباح لهم أن يسنوا و أما النواميس الحكمية فما هي التي سنها هؤلاء و لهذا جعل لهم الأجر و أما اختياره الحركة المستقيمة فإنه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ كما قال عن نفسه و اختص بها الإنسان الذي خلقه الله على صورة الحق و فيها يحشر السعيد يوم القيامة فهي له دنيا و آخرة فإن المجرمين يحشرون منكوسين و هي الحركة المنكوسة كما قال تعالى في حق المجرمين وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ و الحركة المعوجة الأفقية في البهائم فلم تصح الحركة المستقيمة إلا لمن خلقه الله على الصورة و ذلك الإنسان الكامل الذي له هذه الصفة في الدنيا و الآخرة و لهذا خص بها ذكر آدم لأنه من أهل السعادة التي تبقى عليه هذه الحركة المستقيمة و لهذا نعت بالخلافة و أما اختياره الشمس فلما لها من الإمداد في جميع الكواكب المستنيرة علوا و سفلا و لهذا قال إبراهيم ع هذا أَكْبَرُ و اختصت على المذهبين بالقلب من الكرة و هي السماء الرابعة و فيها إدريس عليه السلام و الله قد ذكر أنه رفعه مَكاناً عَلِيًّا فعلو هذا

المكان من كونه قلب الأفلاك فهو مكان عال بالمكانة و ما فوقه و إن كان دونه فهو أعلى بالمسافة و بنسبته إلى رءوسنا و هو الذي أحدث الليل و النهار بطلوعه و غروبه الذي جعل الله لهما الغشيان و هو النكاح و الإيلاج لظهور أعيان المولدات و ما يحدث الله في الليل و النهار من المخلوقات عن هذا الإيلاج و الغشيان و جعل لكل واحد من هذين الموجودين عن الحركة الشمسية الطلب الحثيث لإبراز أعيان الحوادث عن هذا الطلب و أما اختياره محمد ص فلما اقتضاه مزاجه دون الأمزجة الإنسانية من الكمال و الاعتدال إذ به شاهد نبوته و آدم بين الماء و الطين و هو متفرق الأجزاء في المولدات العنصرية و هي مسألة دقيقة لا يعرفها إلا من عرف أخذ الذرية من ظهر آدم حين أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ف قالُوا بَلى و هي الفطرة التي ولد الناس عليها و إليها ينتهون و في هذا الجمع قال الأرواح أجناد مجندة و لما جمعهم جمعهم في حضرة التمثيل فما كان وجها لوجه هناك تعارفوا هنا و ما وقع ظهر الظهر هناك تناكر هنا و ما بينهما من وجه إلى ظهر و جانب و غير ذلك و في هذا أقول

إن القلوب لأجناد مجندة ... في حضرة الجمع تبدو ثم تنصرف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... و ما تناكر منها فهو مختلف

و إن كل أحد يقر بهذه الشهادة في الآخرة و لا ينكر و لا يدعي لنفسه ربوبية يقول تعالى إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا من الَّذِينَ اتَّبَعُوا فكان ص أعظم مجلى إلا هي علم به علم الأولين و الآخرين و من الأولين علم آدم بالأسماء و أوتي محمد ص جوامع الكلم و كلمات الله لا تنفد و له السيادة التي لا تبعد على الناس يوم القيامة فيشفع في الشافعين أن يشفعوا من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و له المقام المحمود في اليوم المشهود و أما اختياره مريم و آسية فهو إلحاقهما بالكمال الذي للرجال مع وجود الدرجة التي للرجال عليهن فإن تلك الدرجة وجودية فلا تزول أما اختياره السدرة فلأنها موضع انتهاء أعمال العباد و موضع الفضل و بظلها تستظل صور الأعمال و غشاها الله من الأنوار ما غشى ألا إن تلك الأنوار أنوار الأعمال فلا يستطيع أحد أن ينعتها و تلك الأنوار كما قلنا أنوار الأعمال تنبعث من صورها فتغشاها فلا يستطيع أحد أن ينعتها فإن النعت للأشياء تقييد و تمييز و الأعمال تختلف و لها مراتب و أنوارها على قدر مراتبها فعال و أعلى و مضيء و أضوأ و نعت العالي يناقض الأعلى و نعت المضيء يقابل الأضوأ من حيث ما هو أضوأ فلا يتقيد بنعت لأنك إن قيدتها بنعت أبطله لك نقيضه فما وفيتها حقها في النعتية إذ لم تكن أنوار الأعمال على درجة واحدة و قد غشيتها هذه الأنوار و غطتها فلا يقدر أحد يصل إلى نعتها فهم و إن استظلوا بها فقد كسوها من ملابس الأنوار ما فضلت به جميع الأشجار و هي طعام و غاسول و نبقها كالقلال منه ترزق أرواح الشهداء و أما اختياره البيت المعمور فلأنه مخصوص بعمارة ملائكة يخلقون كل يوم من قطرات

ماء نهر الحياة الواقعة من انتفاض الروح الأمين فإنه ينغمس في نهر الحياة كل يوم غمسة لأجل خلق هؤلاء الملائكة عمرة البيت المعمور و هم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبدا و بقي السر في المكان الذي يعمرونه هؤلاء الملائكة و ما ثم خلاء و العالم كله قد ملأ الخلأ فابحث عليه فإنه علم جليل يوقفك على علم استحالات الأعيان في الأعيان و تقلب الخلق في الأطوار فتعلم أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا على ما ليس بشيء فإن لا شيء لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء و لا يخرج معلوم عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء أبدا و ما هو شيء فمحكوم عليه بأنه شيء أبدا و أما اختياره الحجر الأسود فلأنه أنزله ليقيمه مقام يمينه في البيعة الإلهية إذ لم يكن في المعارف و العبادات أعظم ملازمة لما عرف و لما تعبد به من العبادات فإنها فطرت على المعرفة و العبادة المحضة التي عجزت عنها حقيقة النبات و الحيوان و لهذا ليس شيء منه في الإنسان جملة واحدة فإن جميع ما في الإنسان يقبل النمو و هو للنبات كما إن الحيوان له التصرف في الجهات فكلما فارق موجود المعدن التبس بصورة الدعوى بحقيقته فهي منازعة خفية لا يشعر بها كل عالم و قد نبه على بعض ذلك سهل و ما و في الأمر فيها ما هو عليه فلا أدري هل علم و اكتفى بما ذكر أو ما أطلعه الله في ذلك الوقت على أكثر مما ذكر و الله أعلم فاختاره الله يمينا و أما اختياره من الإنسان القلب و هو الذي وسعه لأنه كل يوم في شأن و اليوم قدر نفس المتنفس في الزمان الفرد و به سمي قلبا لتقلبه ألا تراه بين أصبعي الرحمن فما يقلبه إلا الرحمن ليس لغيره من الأسماء معه فيه دخول و لا يعطي الاسم الرحمن إلا ما في حقيقته فرحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فما من أمر تراه في تقلبه مما يؤدي إلى عناء و عذاب و شقاء إلا و فيه رحمة خفية لأنه بأصابع الرحمن يقلب فإن شاء أقامه و إن شاء أزاغه عن تلك الإقامة فهو ميل إضافي فمال القلب إلى الرحمة بحكم سلطان هذا الاسم الذي قلبه في الزيغ كما قلبه في الإقامة فهي بشرى من الله إلى عباده ف يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ و ما ذكر سرفا من سرف فعم جميع حالات المسرفين في السرف لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ فإن الذي أزاغكم أصبع الرحمن إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و هو خبر لا يدخله النسخ فيجمع بين قوله هذا و بين قوله إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به فيؤاخذ على الشرك ما شاء الله ثم يحكم عليه أصبع الرحمن فيئول إلى الرحمن و أمور أخر من الزيغ مما دون الشرك يغفر منها ما يغفر بعد العقوبة و هم أهل الكبائر الذين يخرجون من النار بالشفاعة بعد ما رجعوا حمما مع كونهم ليسوا بمشركين و الايمان بذلك واجب و منها ما يغفر ابتداء من غير عقوبة فلا بد من المال إلى الرحمة و أما اختياره من الأكوان الاجتماع فإنه يعطي الافتراق بالتمييز في عين الجمع فلا بد من رب و مربوب و من قادر و مقدور فالجمع مختار لا بد منه لما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية من التعلق و أما اختياره من الألوان البياض فلأن الملونات كلها تستحيل إليه و لا يستحيل إليها بل بياضيته كامنة فيه مستورة لحجاب اللون الذي يظهر في العين من سواد و حمرة و صفرة و غير ذلك فمنه ما يكون

لونا قائما بالمحل و منه ما يكون لونا في ناظر العين و ليس كذلك في نفس المتلون كسواد الجبال البيض على البعد فإذا جئتها رأيتها بيضا و قد كنت تحكم عليها بالسواد و أنت غالط في ذلك الحكم و صحيح في ظهور السواد به مصيب و الكيفية في ذلك مجهولة و بهذه المثابة زرقة السماء إنما هي لنظر العين و إن كانت في نفسها على لون يخالف الزرقة و أما اختياره من الملائكة الروح لأنه المنفوخ فيه في كل صورة ملكية و فلكية و عنصرية و مادية و طبيعية و بها حياة الأشياء و هو الروح المضاف إليه و هو نفس الرحمن الذي يكون عنه الحياة و الحياة نعيم و النعيم ملتذ به و الالتذاذ بحسب المزاج كما قلنا في مزاج المقرور يتنعم بما به يتعذب المحرور فافهم و يكفيك تنبيه الشارع لو كنت تفهم بأن للنار أهلا هم أهلها و للجنة أهلا هم أهلها و ذكر في أهل النار أنهم لا يموتون فيها و لا يحيون فهم يطلبون النعيم بالنار لوجود البرد و هذا من حكم المزاج و أما اختياره البراق من المراكب لكونه مركب المعارج فجمع بين ذوات الأربع و ذوات الجناح فهو علوي سفلي كبعض الحيوانات بري بحري و أما اختياره دعاء يوم عرفة فإنه دعاء في حال تجريد و ذلة و خضوع في موطن معرفة ليوم زماني لما فيه من الجمع بين الليل و النهار و أما اختياره قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فلأنها مخصوصة به ليس فيها ذكر كون من الأكوان إلا أحدية كل أحد إنها لا تشبه أحديته تعالى خاصة و في إتيانها في هذه السورة علم غريب لمن فتح الله به عليه فإنه افتتح السورة بأحديته و ختمها بأحدية المخلوقين فاعلم أن الكائنات مرتبطة به ارتباط الآخر بالأول لا ارتباط الأول بالآخر فإن الآخر يطلب الأول و الأول لا يطلب الآخر فهو الغني عن العالمين من ذاته و يطلب الآخر من مسمى الله المنعوت بالأحدية فهذا قد نبهتك على مأخذ هذا العلم الذي تحويه هذه السورة بالأحدية المتأخرة التي هي مع ارتباطها بالأول لا تماثلها لكونها تطلبه و لا يطلبها أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ و أما اختياره من الآي آية الكرسي الآيات العلامات و لا شيء أدل على الشيء من نفسه و هذه آية الكرسي كلها أسماؤه أو صفته لا يوجد ذلك في غيرها من الآيات فدل على نفسه بنفسه الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فنفى و أثبت بضمير غائب على اسم حاضر له مسمى غيب الْحَيُّ صفة شرطية في وجود ما له من الأسماء الْقَيُّومُ على كل ما سواه بما كسب فإنه أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ صفة تنزيه عما يناقض حفظ العالم الذي لولا قيوميته ما بقي لحظة واحدة الله الضمير يعود عليه و هو ضمير غيب ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ملكا له و عبدا معين الحفظ لبقاء الحكم بالألوهة من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ شفعية الوتر بالحكم عِنْدَهُ ضمير غيب إِلَّا بِإِذْنِهِ عدم الاستقلال بالحكم دونه فلا بد من إذنه إذ كان ثم شفيع أو شفعاء يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ من الشفعاء و المشفوع فيهم يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ و هو ما هم فيه وَما خَلْفَهُمْ و هو ما يؤولون إليه وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ من عِلْمِهِ بالأشياء إِلَّا بِما شاءَ منها لا بكلها وَسِعَ كُرْسِيُّهُ علمه السَّماواتِ وَالْأَرْضَ العلو و السفل وَلا يَؤُدُهُ يثقله حِفْظُهُما لأنه حفظ ذاتي معنوي و إمداد غيبي و خلق دائم في سفل و

علو وَ هُوَ ضمير غيب الْعَلِيُّ بغناه عن خلقه من ذاته الْعَظِيمُ في قلوب العارفين بجلاله فله الهيبة فيها فهي آية ذكر الله فيها ما بين اسم ظاهر و مضمر في ستة عشر موضعا من هذه الآية لا تجد ذلك في غيرها من الآيات منها خمسة أسماء ظاهرة الله الحي القيوم العلي العظيم و منها تسعة ضميرها ظاهر فهي مضمرة في الظاهر و منها اثنان مضمران في الباطن لا عين لها في الظاهر و هما ضمير العلم و المشيئة و كذلك علمه و مشيئته لا يعلمها إلا هو فلا يعلم أحد ما في علمه و لا ما في مشيئته إلا بعد ظهور المعلوم بوقوع المراد لا غير فلذلك لم يظهر الضمير فيها و أما اختياره يس من القرآن فلأنها قلب القرآن و من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات و القلب أشرف ما في الصورة الصادية كذلك السورة السينية و هي المنزلة و لها من الأبراج بيت شرف الشمس و هو برج الأولية زمان الربيع إقبال النشء و ظهور البدء و ابتداء زينة عالم الطبيعة و تلطيف بخارات الأنفاس التي كثفها زمان الشتاء لبرودة الجو كان يعطي الجمد في البخارات الخارجة من المتنفسين عند ما تخرج يكثفها ثم يردها ما و هو ما تجد في يديك إذا تنفست فيه في زمان الشتاء من النداوة و له الشئون الإلهية التي لا يزال في كل نفس فيها جل جلاله و أما اختياره من الكلام القرآن و هو الذي له صفة الجمع و في الجمع عين الفرقان إذ الجمع دليل الكثرة و الكثرة آحاد فهي عين الافتراق في عين الجمع فهو الفرقان القرآن و أما اختياره لا إله إلا الله فإنه ذكر عم النفي و الإثبات و ليس ذلك لغيره من الأذكار و أما اختياره الرضي من الأحوال فإنه آخر ما يكون من الحق لأهل السعادة من البشرى فلا بشرى بعدها فإنها بشرى تصحب الأبد كما ورد في الخبر و هي بشرى بعد رجوع الناس من الرؤية لا بل هي من الله لهم في الكثيب عند الرؤية في الزور الأعظم و أما اختياره الجنة فإنها دار بقاء السعادة و النظر الساترة لأهلها عن كل مكروه يكون في الدار التي تقابلها و ما يعطيه سلطان أسماء الانتقام و أما اختياره الرؤية فإنها غاية البصر فاللذة البصرية لا تشبهها لذة فإنها عين اليقين في المعبود و أما اختياره من الأعداد التسعة و التسعين فلأنها وتر الأسماء الجامع بين الآحاد و العقد إن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة بمجرد الإحصاء حفظا و لفظا و إحاطة فإن الله وتر يحب الوتر و أما اختياره الفرائض فلأن نتيجتها أن يكون العبد نعت الحق سمعه و بصره فإن حب النوافل يعطى أن يكون الحق سمع العبد و بصره و النفل لا يكون إلا في الدرجة النازلة عن الفرض فالفرض له الأولية و لا ينزل الحق إلى أن يكون سمعا للعبد كما قال بما يقتضيه من الجلال فلا بد أن ينزل الله بصفته و هو كون العبد صفة الحق للصورة التي خلق عليها فهي مقتطعة من الصورة الإلهية كما هي الرحم شجنة من الرحمن و الفرض القطع فإذا أداه ظهر له في ذلك أنه صفة للحق فإذا تنفل كان صفة الحق له فتميز الفرض من النفل و كانت الدرجة العليا للفرض و لو لا ما أعطى الفرض ذلك ما ثبت أن يقول جعت فلم تطعمني و أنا أشد شوقا إلى لقاء عبدي يريد إياي فإنه أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ و ما ترددت في شيء أنا فاعله و أمثال هذا

من الإخبارات الإلهية و أما اختياره ليلة القدر فإن الأمور لا تتميز إلا بأقدارها عند الحق و الحق غيب فاختص القدر بالليلة لأن الليل ستر كما يستر الغيب و أما اختياره من الأيام يوم الجمعة لأن فيه ظهرت الصورتان و جعل الله ذلك اليوم للصور و هو الشهر الخامس لمسقط النطفة و هو يوم مؤنث له الزينة و تمام الخلق و اختار الله فيه ساعة من ساعاته هي كالنكتة في المرآة و هو موضع صورة المتجلي من مرآة اليوم فيرى فيها نفسه و على الصورة الظاهرة بين المرآة و الناظر فيها يقع الخطاب و التكليف و بها تحدث أسماء الإشارات من ذا و ذان و تا و تان و أولاء و أسماء الضمائر مثل هو و هي و هما و هم و هن و ك و ك و كما و كم و كن و أنت و أنت و أنتما و أنتم و أنتن و ياء ضمير المتكلم المؤثرة في آنيته إن لم تحفظها نون الوقاية و لا بد لها من تأثير إما في الآنية أو في نون الوقاية لا بد لها من ذلك و لهذا نون الوقاية له الفتوة و الإيثار من عالم الحروف و لهذا سميت نون الوقاية فلها منزلة لكاف من قوله أعوذ بك و لنا فيها

نون الوقاية نون ليس يشبهها ... من الوجود سوى صوم و خلاق
له الفتوة و الإيثار نشأته ... فما لنا غيره في اللفظ من واق
شطر الوجود له من نعت خالقه ... من المكانة فهو الدائم الباقي

و أما اختياره الثلاثة القرون على الترتيب فإن الأول من ذلك لظهور كمال محمد ص غيبا و شهادة فسن الشريعة بنفسه و نسخ ما كان سنة نوابه بوجوده و قرر منه ما قرر و أقر الايمان بجميعه ما نسخ منه و ما لم ينسخ و هذا هو القرن الأول ثم اثنان بعده و الكل أهل فتح و ظهور بمنزلة الثلاث الغرر من كل شهر يقول ص يغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى رسول الله ص فيقولون نعم فيفتح لهم و هذا هو القرن الأول ثم يغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ص فيقولون نعم فيفتح لهم و هذا هو القرن الثاني ثم يغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من رأى من رأى رسول الله ص فيقولون نعم فيفتح لهم و هذا هو القرن الثالث و ما زاد ص على هذا و ذلك أنه ما ثم سوى الحضرة الإلهية و هي عبارة عن الذات و الصفات و الأفعال فهذا معنى خير القرون فبعناية القرن الأول فتح للجميع و هي ذات رسول الله ص فأعطت قوة نوره و سلطان ظهوره الفتح الإلهي لمن رآه أو رأى من رآه أو رأى من رأى من رآه فهو قوله خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و إنما شبهناهم بالثلاث الغرر من الشهر و جعلنا زمان دعوته مشبهة بالشهر لأنهم اختلفوا في القرن ما قدره من الزمان فمن جملة أقوالهم أن القرن ثلاثون سنة فلهذا أنزلنا الثلاثة القرون من زمان دعوته إلى يوم القيامة منزلة شهر و جعلنا الثلاثة القرون كالثلاث الغرر منه و أما اختياره الصوم فإن النبي ص قال لشخص سأله عليك بالصوم فإنه لا مثل له فنفى المثلية عن الصوم فأشبه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قال الصوم لي و جعل جميع العبادات كلها للإنسان إذ كان الصوم صفة تنزيه و لا ينبغي

التنزيه إلا له تعالى و أما اختيا ره من الشهور شهر رمضان فلمشا ركته في الاسم فإن رمضان من الأسماء الإلهية فتعينت له حرمة ما هي لسائر شهور السنة و جعله من الشهور القمرية حتى تعم بركته جميع شهور السنة فيظهر في كل شهر من شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فإن أفضل الشهور عندنا شهر رمضان ثم شهر ربيع الأول ثم شهر رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ثم ذو القعدة ثم المحرم و إلى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية و أبهم على ترتيب الفضل فيما بقي من شهور السنة القمرية و ذلك شهر صفر و ربيع الآخر و جمادى الأولى و جمادى الآخرة ما عندي علم بترتيب الفضلية في هؤلاء أو هي متساوية في الفضل و هو الغالب على ظني فإنه أظهر ذلك و ما تحققته فلم يتمكن لي أن أقول ما ليس لي به علم و أما اختيا ره من الأركان ركن الماء لأنه من الماء جعل كل شيء حي حتى العرش لما خلقه ما كان الأعلى الماء فسرت الحياة فيه منه فهو الركن الأعظم كما قال الحج عرفة و إن كان سبب الحياة أشياء معه و لكنه الركن الأعظم من تلك الأشياء و أما اختيا ره من الأفلاك العرش لأن له الإحاطة بجميع الأجسام و الله بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و له الأولية في الأفلاك فما تحتها فهو الأول المحيط فاختا ره للاستواء لما بين الصفتين فإن كان العرش الملك فأحرى أن يكون هو من غير اختيا ر لأنه ما ثم إلا الله و ملكه و كل شيء ما سواه ملكه و قد ورد تمييزه عن غيره فتعين أن يكون مختا را للأولية و الإحاطة لأن السموات و الأرض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة و الكرسي في جوف العرش كحلقة في فلاة و اختا ر من العباد الملائكة فإنهم مخلوقون من النور فأجسامهم نورية بالأصالة فهم أقرب نسبة من سائر المخلوقات إلى النور الإلهي و لذلك كان رسول الله ص يدعو أن يجعله الله نورا لما يعرف من ظلمة الطبيعة و اختا ر من الأينيات العماء فكان له قبل خلق الخلق و منه خلق الملائكة المهيمة فهيمها في جلاله ثم خلق الخلق فشغلهم هيمانهم في جلال جماله أن يروا سواه فهم الذين لا يعرفون أن الله خلق أحدا ما أشرفها من حالة فجعل العماء أينية له و العرش مستوي له و السماء الدنيا لنزوله و الأرض لمعيته فهو معنا أينما كنا و اختا ر من الناس الرسل ليبلغوا عن الله ما هو الأمر عليه فإنه ما أخرجهم إلا للعلم به لأنه أحب أن يعرف فتعرف إليهم بالرسل بما بعثهم به من كتب و صحف فعرفوه معرفة ذاتية كما عرفوه بالعقول التي خلق لهم و أعطاها قوة النظر الفكري فعرفوه بالدلائل و البراهين معرفة وجودية سلبية لم يكن في قوة العقل في استقلاله أكثر من هذا ثم بعد ذلك جاءت الرسل من بعده بمعرفة ذاتية فعبد الخلق الإله الذي تعرف إليهم بشرعه إذ العقل لا يعطي عملا من الأعمال و لا قربة من القرب و لا صفة ذاتية ثبوتية للحق و ما حظ العقل من الشرع مما يستقل به دليله إلا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على زيادة الكاف لا على إثباتها صفة فاختا ر الرسل لتبليغ ما لا يستقل العقل بإدراكه من العلم بذاته و بما يقرب إليه من الأعمال و التروك و النسب و اختا ر من الأسماء الاسم الله فأقامه في الكلمات مقامه فهو الاسم الذي ينعت و لا ينعت به فجميع الأسماء نعته و هو لا يكون

نعتا و لهذا يتكلف فيه الاشتقاق فهو اسم جامد علم موضوع للذات في عالم الكلمات و الحروف لم يتسم به غيره جل و علا فعصمه من الاشتراك كما دل أن لا يكون ثم إله غيره فهذا قد ذكرنا من الاختيارات الإلهية ما يخرج مخرج التنبيه للعقول الغافلة عما دعيت إليه من الاعتبار و الإستبصار و لم نستوف الأمر حده لأنا ما نعرف بطريق الإحاطة تفصيل ما خلق الله من الموجودات و إن كنا نقدر بما أقدرنا الله على حصر الموجودات فيدخل في ذلك كل شيء و نحن ما تصدينا في هذا إلا لمعرفة آحاد ما اختاره و اصطفاه من كل نوع نوع من المخلوقات المحصورة في الوجود القائمة بنفسها و المتحيزة و غير المتحيزة من القائمة بنفسها و غير القائمة بنفسها و النوع الذي لا يقبل التحيز إلا بالتبعية و ما تألف من ذلك و ما لم يتألف و انحصرت أقسام العالم و الموجودات فيما ذكرناه و ثم تفصيل نسبي يمكن أن يستقل به العقل و هي مفاضلة الأشياء بعضها على بعض بتميز مراتبها و انفعال بعضها على بعض و تأثير بعضها في بعض و توقف بعضها على بعض و لكن مفاضلة القرب الإلهي بطريق العناية بهم لا بما تعطيه حقائقهم لا يكون ذلك إلا بتعريف الله إيانا بما يعطيه في قلوبنا من علوم الإلهام أو بما يبلغنا من ذلك في الكتب المنزلة و الإخبارات النبوية و أما طريق آخر غير ذلك فما هو ثم فالسنن الدلالات العقلية لأنها طرق و الفرائض هي التعريفات الشرعية بما هو الحق تعالى عليه بالنسبة إليه و بالنسبة إلى خلقه فاعبدوا الله عباد الله على النعت الذي وصف به نفسه في كتابه أو على لسان ألسنة رسله من غير زيادة و لا نقصان و لا تأويل يؤدي إلى تطفيف أو رجحان بل سلم إليه جل جلاله ما وصف به نفسه و إن استحال أو تناقض فذلك لقصورنا و جهلنا بما هو الأمر عليه و قد وفينا ما أعطته القوة العقلية النظرية من العلم في وجوده و بصدق المبلغين عنه تعالى ما أنزله على عبيده قلنا القبول من غير اعتراض و لو تناقض الأمر و استحال فما هو للعقل مجهول بالذات كيف يدخله فيما يرجع إلى ذاته في وجوب أو جواز أو استحالة فلا يتعدى العقل حده و يسلم إليه سبحانه ما أنزله و عرفنا به مما هو عليه فإن الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فلنا الايمان به و بما جاء من عنده على علمه في ذلك في كتاب و على لسان رسول و الله يوفقنا للوقوف عند ذلك فإنه لا يهلك على الله إلا هالك انتهى الجزء الخامس و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الحادي و التسعون في معرفة الورع و أسراره)

ورع الطريقة في اجتناب محارم ... مهما أتتك و ما له وجهان

فإذا أتاك مخلصا لجلاله ... و تركته ورعا فمن نقصان

لما جهلت الأمر قلت بعكسه ... و تبين النقصان في الايمان

الورع الاجتناب و هو في الشرع اجتناب الحرام و الشبه لا اجتناب الحلال قال ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك في هذا الباب و هذا عين ما قلناه و هذا الحديث من جوامع الكلم و فصل الخطاب و قال بعضهم ما رأيت أسهل علي من الورع كل ما حاك له شيء في نفسي تركته عملا بهذا الحديث فأما الحرام النص فمأمور باجتنابه لأنه ممنوع تناوله في حق من منع منه لا في عين الممنوع فإن ذلك الممنوع بعينه قد أبيح لغيره لكون ذلك الغير على صفة ليست فيمن منع منه أباحته له تلك الصفة بإباحة الشارع فلهذا قلنا لا في عين الممنوع فإنه ما حرم شيء لعينه جملة واحدة و لهذا قال تعالى إِلَّا ما اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ فعلمنا أن الحكم بالمنع و غيره مبناه على حال المكلف و في مواضع على اسم الممنوع فإن تغير الاسم لتغير قام بالمحرم تغير الحكم على المكلف في تناوله إما بجهة الإباحة أو الوجوب و كذلك إن تغير حال المكلف الذي خوطب بالمنع من ذلك الشيء و اجتنابه لأجل تلك الحال فإنه يرتفع عنه هذا الحكم و لا بد و إذا كان الأمر على هذا الحد فما ثم عين محرمة لعينها و أما اجتناب الشبهة فالشبهة هي التي لها وجه إلى الحرام و وجه إلى الحل على السواء من غير تغليب فليس اجتنابها بأولى من تناولها و لا تناولها بأولى من اجتنابها فالورع يترك تناولها ترجيحا لجانب الحرمة في ذلك و غير الورع لا يترك ذلك فبينهما هذا القدر و أما ترك ما لا شبهة فيه فذلك الحلال المحض فإن تركه أعني ترك الفضل منه لأنه لا يصح إلا ترك الفضل منه فذلك الترك زهد لا ورع فإن الزهد في الحرام و الشبهة ورع و الترك في الحلال الفاضل زهد و أما غير الفاضل و هو الذي تدعو إليه الحاجة فالزهد فيه معصية و ما بقي إلا توقيت الحاجة إلى ذلك و ما حد الفاضل منه الذي يصح فيه الزهد فنذكر ذلك في باب الزهد إن شاء الله و الورع من المقامات المشروطة و يستصحب العبد ما دام مكلفا و لا يتعين استعماله إلا عند وجود شرطه و هو عام في جميع تصرفات المكلف ما هو مخصوص بشيء من أعماله دون شيء بل له السريان في جميع الأعضاء المكلفة في حركاتها و سكونها و ما ينسب إليها من عمل و ترك و قد قيل إن للورع حكما في الأسرار و الأرواح و ليس ذلك بصحيح في الورع المشروع فإن الشبهة في المعاني و المعارف و الأسرار مستحيلة عند العارفين و إنما تكون الشبهات في العلوم النظرية الحاصلة بالأدلة العقلية فأولئك يجب عليهم الورع في النظر الفكري حتى يخلصوه من النظر المحرم كالنظر في الذات الإلهية و يخلصوه من الشبهة كالنظر لله أو للسمعة فيخفي على بعض النفوس ذلك لشرف العلم فيتخيل أنه يطلبه لله و هو يطلبه للدنيا أو لغير الله فيجتنب نية ذلك الطلب لا يجتنب العلم فإن طلب العلم ليس بمحرم عليه فمتعلق التحريم تلك النية الفاسدة و هنا نظر هل تقدح تلك النية في فضل طلب العلم أو يبقى طلب العلم على فضله يعطي حقيقة سعادته في الآخرة و تكون العقوبة على مجرد النية في ذلك و هو الذي نعتمد عليه في باب تحقيق الموازنة الإلهية فمن قال الكون كله شبهة و به نقول فليس ذلك كما يتوهمه السامع و إنما الصورة الرحمانية أدتنا إلى هذا القول و مثل ذلك لا يتورع فيه و لا

يجتنب فإنك لا تعرف منه إلا أنت فإن انتقلت عنك فقد جهلت ذاتك و من أوجدك فإنه قال من عرف نفسه عرف ربه فالورع في هذه الشبهة محال بل ينبغي أن تتناول من حيث إنها شبهة فذلك محلها الذي يحلها فإنها لا تخلص لأحد الطرفين أبدا و هذا بحر هلك فيه أكثر العقول و أكثر العارفين إلا من رحم الله و ركب سفينة نوح نجاته و الجامع لباب الورع أن تجتنب في ظاهرك و باطنك و جميع أعمال أعضائك المكلفة كل عمل و ترك لا يكون لله على الحد المشروع فيه المخلص له الذي لا شبهة تضره و لا تقدح فيه فهذا اللام الذي في لله هي الرابطة لهذا الباب و كل مقام في طريق الله تعالى فهو مكتسب ثابت و كل حال فهو موهوب غير مكتسب غير ثابت إنما هو مثل بارق برق فإذا برق إما يزول لنقيضه و إما أن تتوالى أمثاله فإن توالت أمثاله فصاحبه خاسر و كل مقام فأما إلهي أو رباني أو رحماني غير هذه الثلاث الحضرات لا يكون و هي تعم جميع الحضرات و عليها يدور الوجود و بها تنزلت الكتب و إليها ترتقي المعارج و المهيمن عليها ثلاثة أسماء إلهية الله و الرب و الرحمن من حكم اسم ما من الأسماء الإلهية ينعت به في ذلك الوقت أحد هذه الأسماء الثلاثة و يكون حكمه بحسب مقام هذا العبد المحكوم عليه المؤثر فيه من حيث ما هو مسلم أو مؤمن أو محسن و آثاره في عالم ملك العبد أو في عالم جبروته أو في عالم ملكوته و عمله فيه إما بحكم الإطلاق و هو العمل الذاتي و إما بحكم التقييد و هو عمل الصفة و حكمه بعمل الصفة إما بصفة تنزيه و سلب و إما بصفة فعل هذا هو الضابط للمقامات و أحوالها سواء عرفه السالك أو لم يعرفه فإنه لا يخلو من هذه الأحكام كل كون لكنه لا يعرف ذلك كل أحد فأقول إن الورع له مقام و لمقامه حال و هو مشروط كما ذكرنا و ينتهي بانتهاء التكليف فأما مقام الورع فهو التقييد بصفة التنزيه لأن حقيقته الاجتناب و هو إلا هي و صاحبه مجهول لا يعرف و حاله أن يكون صاحب علامة في نفسه أو في المتورع فيه و الاسم الله ينظر إليه دائما فينظر إليه في عالم ملكه من حيث ما هو مسلم فيؤثر في أفعاله و كلما ظهر على جوارحه فيجتنب كل ما يقدح في حصول هذا المقام و ينظر إليه في عالم جبروته من حيث ما هو مؤمن فيؤثر فيه فلا تكذب له رؤيا جملة واحدة و يجتنب في خياله كما يجتنب في ظاهره لأن الخيال تابع للحس و لهذا إذا احتلم المريد برؤيا عاقبه شيخه ألا ترى أنه ما احتلم نبي قط و لا ينبغي له ذلك و لا العارفون بالله ذوقا فإن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور في اليقظة فإنما هو من بقية طبيعية في خياله و هو كذب فإنه يظن أنه في الحس الظاهر و قد قلنا إن الورع يجتنب الكذب فلو اجتنبه في الحس لأثر في خياله فإذا رأيتم صاحب مقام الورع يغتسل من نوم فذلك لماء خرج منه و هو نائم لضعف الأعضاء الباطنة و هو مرض طرأ في مزاجه لا عن رؤيا أصلا لا في حلال و لا في حرام و أما إذا نظر إليه في عالم ملكوته فأثره فيه اجتناب التأويل فيما يرد عليه من المخاطبات الإلهية و التجلي الإلهي إذا كان كل ذلك في السور فلا يعبر ما رآه و لا يتأول ما خوطب به فإنه كله إلهي و كل إلهي مجهول كما أن الورعين مجهولون لأنه اجتناب و ترك و لا يتميز

الأمر من خارج إلا بالفعل فإن نطق الورع بما ينبغي أن يجتنب ذلك الأمر و لأجله اجتنبه فقد أخل بمقام الورع فإن مقامه أن يكون مجهولا و قد عرف بأنه ورع فزال عنه حكم مقامه بل ما كان قط في مقام الورع و ورعه في اجتنابه معلول فلا يسلم له و أما الرباني و الرحماني فعلى هذا المجرى سواء فخذه و اعمل عليه ترى عجبا فقل أن تجده في غير هذا الكتاب فإن أكثر الناس بل ربما كلهم ما أبانوا عن هذه المقامات و الأحوال بما يعطيه تفصيل الوجود و إن كانوا يعرفونها فإنهم اتكلوا في ذلك على أن السالك إذا دخل و صدق في التوجه أبينت له الأمور على ما هي عليه فيعرف حاله

(الباب الثاني و التسعون في معرفة مقام ترك الورع)

شفعية الإنسان تؤذن بالورع و الوتر فيها موجب ترك الورع
العين واحدة إذا حققتها مضت المطامع فانتفى حكم الطمع
ما تطلب الأعمال عين وجودها إلا لضعف في البصائر أو صدع

لما كانت الأمور كلها لها أربعة أحكام حكم ظاهر و حكم باطن و حكم حد و حكم مطلع و كان الورع يحكم على ظاهر صاحبه و باطنه بالحد فأبان له هذا العمل وجه الحق في كل شيء و هو المطلع فاطلع فما وقعت عينه على الأشياء و إنما وقعت عينه على وجه الحق فيها الذي ارتبطت في وجودها به و الذي ظهرت عنه فاقتضى حاله ترك الورع لأنه لا ينبغي أن يجتنب رؤية وجه الحق في الأشياء و ما هو من حكم ما لا ينبغي فإن العبد لا يقدر أن يدفع عن نفسه التجلي إذا كان حقيقة فهو محكوم عليه به و لست أعني بقولي ترك الورع إن صاحبه يتناول الحرام أو الشبهة بعد علمه بذينك هذا لا يقول به أحد و إنما صاحب هذا المقام يتناول الأشياء بحسب ما خاطبه به الشرع فلا يأكل إلا حلالا و لا يتصرف إلا حلالا فإن العلامة أزالها الحق عنه برؤية الوجه و الورع بغير علامة سوء ظن بالناس و حاشى أهل الله و لا سيما أصحاب مشاهدة الوجه أن يسيئوا الظن بعباد الله أو يخطر شيء من قبائحهم ببال صاحب هذا الحال المتمكن في مقامه و لقد لقي بعض أصحابنا بعض الأبدال في سياحته فأخذ يذكر له ما هم الناس عليه من فساد الأحوال في الملوك و الولاة و الرعايا فغضب البدل و قال له ما لك و عباد الله لا تدخل بين السيد و عبده فإن الرحمة و المغفرة و الإحسان لهؤلاء يطلبون أ تريد أن تبقي الألوهية معطلة الحكم اشغل بنفسك و أعرض عن هذه الأشياء و ليكن نظرك إليه تعالى و شغلك بالله و لقد اتفق لي في بدايتي و ما ثم إلا بداية و أما النهاية فمقولة غير معقولة دخلت على شيخنا أبي العباس العريني و أنا في مثل هذه الحال و قد تكدر على وقتي لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق فقال لي صاحبي عليك بالله فخرجت من عنده و دخلت على شيخنا أبي عمران

الميرتلي و أنا على تلك الحالة فقال لي عليك بنفسك فقلت له يا سيدنا قد حرت بينكما هذا أبو العباس يقول عليك بالله و أنت تقول عليك بنفسك و أنتما إمامان دالان على الحق فبكى أبو عمران و قال لي يا حبيبي الذي دلك عليه أبو العباس هو الحق و إليه الرجوع و كل واحد منا دلك على ما يقتضيه حاله و أرجو إن شاء الله أن يلحقني بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس فاسمع منه فإنه أولى بي و بك فما أحسن إنصاف القوم فرجعت إلى أبي العباس و ذكرت له مقالة أبي عمران و قال لي أحسن في قوله هو دلك على الطريق و أنا دللتك على الرفيق فاعمل بما قال لك و بما قلته لك فتجمع بين الرفيق و الطريق و كل من لا يصحب الحق في سفره فليس هو على بينة من سلامته فيه و كل من تورع بغير علامة له من الله في الأشياء و ما ثم حكم معين في ذلك الأمر من رؤية معاملة خاصة مشاهدة في الوقت تقتضي الحرام أو الشبهة فصاحب هذا الورع مخدوع مقطوع به عن الله فإن حاله سوء الظن بعباد الله فباطنه مظلم و خلقه سيئ فهو و لا شيء في حكم واحد بل لا شيء أحسن منه فينبغي للإنسان أن يتحفظ إذا أراد أن يكون ورعا كما أوجب الله عليه بأن يتحقق و يكون على بصيرة فيما يتورع و هذا قليل العلم به لمن لا علامة له لأن الإنسان لو رأى إنسانا على مخالفة حق مشروع و فارقه لحظة ثم رآه في في اللحظة الأخرى و حكم عليه بالحالة الأولى فما و في الألوهية حقها و لا الأدب مع الله حقه و كان قرين إبليس حليف الخسران سيئ الظن بالله و بعباده و كان ورعه مقتا وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و التسعون في الزهد)

الزهد ترك محال و محال و محال فازهد فزهدك ازهد
و الترك شيء لا وجود لعينه و له لسان في الشريعة يحمد
في الزهد تعظيم الأمور و ما له عند المحقق قيمة لا تجحد

الزهد لا يكون إلا في الحاصل في الملك و الطلب حاصل في الملك فالزهد في الطلب زهد لأن أصحابنا اختلفوا في الفقير الذي لا ملك له هل يصح له اسم الزاهد أو لا قدم له في هذا المقام فمذهبنا أن الفقير متمكن من الرغبة في الدنيا و التعمل في تحصيلها و لو لم يحصل فتركه لذلك التعمل و الطلب و الرغبة عنه يسمى زهدا بلا شك و ذلك الطلب في ملكه حاصل فلهذا حددناه بما ذكرنا و لقد فاوضت في هذه المسألة جماعة من أهل الله فأكثرهم قال بقولنا و سبب ذلك أن صاحب الذوق لا بد أن يرى لتركه طلب الدنيا و الرغبة فيها أثرا إلهيا في قلبه فلو لم يكن للأمر وجود عند الله و اعتبار ما صح أن يكون له أثر في التجلي الإلهي لصاحب هذا الحال و هو الصحيح فلنقل إن للزهد الذي ذكرناه مقاما و حالا فمقامه الإلهي مطلق و هو زهده في كل اسم إلهي يحول بينه و بين عبوديته و الرباني مقيد بصفة

التنزيه عن حكم هذا الاسم عليه و الرحماني هو صرفه على ما يستحقه أعني هذا المزهود فيه فأما في الملك من كونه مسلما فالزهد في الأكوان و هو الحجاب الأبعد الأقصى و أما في الجبروت من كونه مؤمنا فالزهد في نفسه و هو الحجاب الأدنى الأقرب و أما في الملكوت من كونه محسنا فالزهد في كل ما سوى الله و هنا يرتفع الحجاب عند الطائفة قال أبو يزيد الأكبر ليس الزهد عندي بمقام إني كنت زاهدا ثلاثة أيام أول يوم زهدت في الدنيا و اليوم الثاني زهدت في الآخرة و اليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله فناداني الحق ما ذا تريد فقلت أريد أن لا أريد لأني أنا المراد و أنت المريد و قد انتقد عليه هذا القول بعض أهل الطريق و جهل مقام أبي يزيد في ذلك و قد تكلمنا على قصده بهذا القول و بينا فساد هذا القول أعني قول المعترض عليه في غير هذا الموضع و هو من المقامات المستصحبة للعبد ما لم ينكشف له فإذا كشف الغطاء عن عين قلبه لم يزهد و لا ينبغي له أن يزهد فإن العبد لا يزهد فيما خلق له و لا يكون زاهدا إلا من يزهد فيما خلق من أجله و هذا لا يصح كونه فالزهد من القائل به جهل في عين الحقيقة لأنه ما ليس لي لا اتصف بالزهد فيه و ما هو لي لا يمكنني الانفكاك عنه فأين الزهد فلنقل صاحب هذا الحكم هذا هو الزهد الذي يستحق هذا الاسم و لنا في هذا المقام الزهدي نظم

العيب منك و أنت لا تدري فالزهد مثل صلاتي الوتر
و سراج نفسك نوره متعلق بجميع ما في الكون من أمر
فأطف السراج يزول كل تعلق فالزهد فيك كليلة القدر
شهي من غروب الشمس حتى تنتهي بالحكم فيك كمطلع الفجر

يقول لو رأيت الحق لم تزهد فإن الله ما زهد في الخلق و ما ثم تخلق إلا بالله فبمن تتخلق في الزهد انظر إلى هذا المعنى فإنه دقيق جدا

الزهد ترك و ترك الترك معلوم بأنه مسك ما في الكف مقبوض
الأرض قبضته و هو الغني فأين الترك فهو محال فيك مفروض
لا ينعم الحق بالنعما فأنت لها و قد زهدت فهذا اللفظ تعريض
فالزهد ليس له في العلم مرتبة و تركه عند أهل الجمع مفروض

اعلم أن ترك الترك إمساك و الزهد ترك و ترك الزهد ترك الترك فهو عين رجوعك إلى ما زهدت فيه لأن العلم الحق ردك إليه و الحال يطلبه فما له حقيقة في باطن الأمر لكن له حكم ما في الظاهر فيصح هذا القدر منه و بقي هل يقع الإمساك الذي هو ترك الزهد عن رغبة في الممسوك أو لا عن رغبة فاختلفت أحوال الناس فيه فمن أمسك لا عن رغبة فهو زاهد أمين على إمساك حقوق الغير حتى

يؤديها إلى أربابها في الأوقات المقدرة المقررة وقد يكون عن كشف وعلم صحيح بأعيان أصحابها وقد لا يكون غير أنه لا يتناول منها شيئا في حق نفسه إذ كان بهذه المثابة ومن أمسك عن رغبة في الممسوك وهم رجلان الواحد راجع عن مقام الزهد بلا شك لمرض قام به في نفسه فهذا ليس بشيء والرجل الآخر وهم الأنبياء والكمل من الأولياء فأمسكوا باطلاع عرفاني أنتج لهم أمرا عشقه بما في الإمساك من المعرفة والتحلي بالكمال لا عن بخل وضعف يقين أرسل الله على أيوب رجل جراد من ذهب فسقط عليه فأخذ يجمعه في ثوبه فأوحى الله إليه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال لا غنى لي عن خيرك فانظر ما أعطته معرفته وما زهد من زهد إلا لطلب الأكثر فزهد في الأقل قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ فأين الزهد فما تركوا الدنيا إلا حذرا أن يزرأهم في الآخرة فهذا عين الطمع والرغبة فيما يتخيل فيه أنه زهد وهذا هو مقام ترك الزهد وأما حاله فالزهد في الدنيا ولهذا لا يثبت

(الباب الخامس والتسعون في معرفة أسرار الجود وأصناف الإعطاءات مثل الكرم والسخاء والإيثار على الخصاصة وعلى غير الخصاصة والصدقة والصلة والهدية والهبة وطلب العوض وتركه)

رتب العطاء كثيرة لا تحصر و بها على أعدائنا نستنصر

بالجود صح وجودنا في عيننا بل نحن منه على الحقيقة مظهر

(فصل الجود) عن الجود صدر الوجود والجود بفتح الجيم المطر الكثير وهو مقلوب وجد مثل جذب وجبذ فحروفهما واحدة بالاشتراك في المعنى فمتعلق الجود من الحق في الأعيان التي هي المظاهر ظهوره فيها ومتعلق الجود من المظاهر على الظاهر ما جادت به عليه باستعدادها الذاتي من الثناء بالأسماء الإلهية التي كسبه جودها من وجودها فالجود من الحق امتنان ذاتي والجود من الأعيان ذاتي لا امتناني فهذا الفرق بين الجودين وهذا معنى قولهم في الجود إنه العطاء قبل السؤال

(فصل) الكرم وأما عطاء الكرم فهو العطاء بعد السؤال وهو على نوعين سؤال بالحال وسؤال بالمقال فسؤال الحال عن كشف من الطرفين وسؤال المقال من العبد معلوم يا رب يا رب أعطني اغْفِرْ لِي ارحمني اهدني ارزقني اجبرني عافني اعف عني لا تُخْزِنِي لا تَفْتِنِّي وأمثال ذلك وسؤال الحق ادْعُونِي أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ فَلا تَكُونَنَّ من الْجاهِلِينَ وكل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده وهي الفرائض كلها فمن الكرم تؤدي الفرائض ومن الجود تكون النوافل إلا لمثل رسول الله ص فإنها من الجود فهي تلحق بالفرائض وكون ذلك نافلة أخبار صادق قال تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً

(فصل) السخاء ورد في حديث أبي بكر النقاش في مواقف القيامة اسم السخي على الله و هو مذكور في هذا الكتاب في باب الجنة منه و أما عطاء السخاء فهو العطاء على قدر الحاجة و ذلك عطاء الحكمة فهو من اسمه الحكيم فسخاء الحق قول موسى رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ و لَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ و ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و أما سخاء العبد فإعطاؤه كل ذي حق حقه و إنصافه فلنفسه عليه حق و لأهله عليه حق و لعينه عليه حق و لزوره عليه حق

(فصل) الإيثار أما الإيثار فليس للحق منه صفة إلا بوجه بعيد في ذكره سوء أدب بل ما هو حقيقة فتركه أولى و ما ذهب إليه إلا من لا علم له و لا أدب من أهل الشطح فلنقل إن الإيثار قد يكون عطاء محتاج لمحتاج و قد يكون على الخصاصة و مع الخصاصة أو توهم الخصاصة و أما في جانب الحق فهو إعطاؤه الجوهر الوجود لخلق عرض من الأعراض لتعقل الإرادة بإيجاده لا بإيجاد المحل فيوجد المحل تبعا ضرورة إذ من شرط وجود العرض وجود المحل و الجوهر محتاج فيا أعطاه الحق من خلق العرض فيه إذ لا يكون له وجود إلا بوجود عرض ما و سواء كان الجوهر متحيزا أو غير متحيز و مؤلفا مع غيره أو غير مؤلف فهذا عطاء على خصاصة مع خصاصة و أما على غير الخصاصة فهو اتصاف العبد في التخلق بالأسماء الإلهية و اتصاف الحق في نزوله بأوصاف المحدثات و هذا كله واقع قد ظهر حكمه في الوجود و تبين

(فصل) الصدقة فقد ذكرنا ذلك في باب الزكاة و هي ها هنا تصدق الحق على العبد بإبقاء عينه في الوجود و بإيجاده أولا مع علمه بأنه إذا أوجده يدعي الألوهية و يقول أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى و لا بد من إيجاده لما سبق في العلم و الصدقة من العبد على الحق فإن العبد يجد في نفسه عزة الصورة و مع هذا يقر بالعبودة لعزة الله و أيضا هي ما يظهر من المحامد المحدثة التي لا تصح لله إلا بعد وجود المحدث و هو كل ما سوى الله و إنما سميت صدقة لأن العبد المختار في محامد الله في نفسه فإنه قال تعالى في حقه لما بين له السبيل إلى سعادته إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً فإنه ذو اختيار في أفعاله و لهذا يصح منه القبول و الرد و يعاقب و يثاب و على هذا قام أصل الجزاء من الله تعالى لعباده

(فصل) عطاء الصلة و أما عطاء الصلة فهي لذوي الأرحام حقا و خلقا يقول تعالى الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله فنسبتها للحق نسبتها للعبد فالرحمن رحم لنا و نحن رحم للرحمن

(فصل) عطاء الهدية و هو عطاء عن بيان و لهذا اشتركت في حروف الهدى لأنه بالهدى أهدى فهدية الحق للعبد نفسه و هدية العبد للحق رد تلك النفس إليه بخلعة تكسبه محبة ربه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ

(فصل) عطاء الهبة و هو من الحق إعطاء لينعم لا يقترن معه طلب جزاء و من العبد عمله لحق الربوبية لا للجزاء

(فصل) و أما طلب العوض و تركه فمن الحق قوله ص حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه و أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ و من العبد هو ما يطلبه من الجزاء على عمله الذي وعده الله به إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الله

(فصل) و أما ترك طلب العوض فمن الحق أنه العامل و لا يتصور من المالك إذا كان هو العامل أن يطلب ما هو عنده فإن الحاصل لا يبتغى و من العبد فإنه لا يرى نفسه عاملا فما فعل شيئا يطلب بذلك الفعل عوضا من الله حيث أعطاه من نفسه فهذه فصول محققة نبهناك بها على ما هو الأمر عليه و تفصيلاتها تبدو لك مع الآنات في نفس سلوكك و هذا كله مقام إلهي في المحسنين خاصة و صاحبه مجهول لا يعرف و نكرة لا تتعرف ثم إن هذا العطاء لا بد أن يكون مطلقا أو مقيدا فمن أعطى بيد حق أطلقه فيعم عطاؤه جميع عباد الله لا يخصص عينا من عين مما يصلح لذلك المعطي مثل ذلك إن كانت الأعطية من النقود فلا يعطيها إلا من له التصرف فيها و هو الإنسان و لا يشترط فيه صغيرا و لا كبيرا و لا ذكرا و لا أنثى و لا غنيا و لا فقيرا و لا مؤمنا و لا كافرا و لا عاقلا و لا مجنونا بل هو في ذلك العطاء كمطلق الرزق على كل حيوان و كذلك إن كان مما يلبس مثل النقود سواء يعطيه لأهله و أما إن كان مأكولا فيعطيه لكل متغذ يأكل ذلك الصنف من الغذاء من حيوان أو إنسان و ليس له اختيار و لا تمييز بل هو مع أول من يلقاه فإن رده عليه حينئذ أعطاه الثاني و هكذا حتى يجد من يأخذه منه و هذا لا يكون إلا للربانيين من الاسم الرب و الرحمانيين من الاسم الرحمن و ليس للالهيين مدخل في العطاء المطلق و أثر هذا العطاء ظاهر في كل موجود لا أحاشي أعني من الأصناف لا في آحاد أشخاص الموجودات و هذا عطاء المحسن لا المؤمن و لا المسلم و أما إن كان العطاء مقيدا فهو بحسب ما تقيد به فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع فيه فيعمل الأولى فالأولى و يبتدئ بالذي أمره الشارع أن يبتدئ به و يبحث عنه حتى يجده و لا يعطي على هذا الحد إلا الإلهي من الاسم الله المؤمن المحسن المسلم و أثر هذا العطاء أيضا عام

(الباب السادس و التسعون في الصمت و أسراره)

الله قال على لسان عبيده فالصمت في الأكوان نعت لازم

ما ثم إلا من يكلم نفسه فهو السميع كلامه و العالم

و هو الوجود فليس إلا عينه هذا هو الحق الصريح الحاكم

اعلم وفقك الله أن الصمت أحد الأربعة الأركان التي بها يكون الرجال و النساء أبدا لا قيل لبعضهم كم الأبدال قال أربعون نفسا قيل له لم لم تقل رجلا قال قد يكون فيهم النساء كما قال ص في الكمال فذكر أنه يكون أيضا في النساء و عين منهن مريم ابنة عمران و آسية امرأة فرعون و له حال و مقام فأما مقامه فهو إنه لا يرى متكلما إلا من خلق الكلام في عباده و هو الله تعالى خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فالعبد صامت بذاته متكلم بالعرض و أما حاله فهو أن يرى أن الله و إن خلق الكلام فيه فالعبد هو المتكلم فيه كما هو المتحرك بخلق الحركة فيه و لا يصح أن يصمت مطلقا أصلا فإنه مأمور بذكر الله تعالى في أحوال مخصوصة أمر وجوب فهو مقام مقيد بصفة تنزيه لأنه وصف سلبي و حكمه في ظاهر الإنسان و أما باطنه فلا يصح فيه صمت فإنه كله ناطق بتسبيح الله فالصمت محال و إنما الكلام على الصمت المعلوم بالعرف و من تخلل صمته كلام في غير فرض و لا ذكر لله فما صمت فالصامت هنا هو الذي يقيم نشأة مصمتة الأجزاء لا يتخللها حين فارغ مقدر حينئذ يكون صامتا و إذا أراد الإنسان أن يختبر نفسه هل هو ممن صمت كما ينبغي فلينظر هل له فعل بالهمة المجردة فيما من شأنه أن لا يفعل إلا بالكلام أم لا فإن أثر و حصل المقصود فهو صامت حقيقة مثل أن يريد أن يقول لخادمه اسقني ماء و أتني بطعام أو سر إلى فلان فقل له كذا و كذا و لا يشير إلى الخادم بشيء من هذا كله فيجد الخادم في نفسه ذلك كله بأن يخلق الله في سمع الخادم عن ذلك يقول فلان قال لي افعل كذا و كذا يسمع ذلك حسا بإذنه و لكن يتخيل أنه صوت ذلك الصامت و ليس كذلك فمن ليست له هذه الحالة فلا يدعي أنه صامت و أما الصامت المتكلم بالإشارة فهو يتعب نفسه و غيره و لا ينتج له شيئا بل هو ممن يتشبه بالأخرس الذي يتكلم بالإشارة فلا يعول عليه و هذا مما غلط فيه جماعة من أهل الطريق فمن نصح نفسه فقد أقمنا له ميزان هذا المقام الذي يزنه به حتى لا يتلبس عليه الأمر و هذا لا يكون إلا للالهيين المحسنين لا لغيرهم من المؤمنين و المسلمين الذين لم يحصل لهم مقام الإحسان

(الباب السابع و التسعون في مقام الكلام و تفاصيله)

إن الكلام عبارات و ألفاظ ... و قد تنوب إشارات و إيماء

لو لا الكلام لكنا اليوم في عدم ... و لم تكن ثم أحكام و أنباء

و إنه نفس الرحمن عينه ... عقل صريح و في التشريع أنباء

فيه بدت صور الأشخاص بارزة ... معنى و حسا و ذاك البدو إنشاء

فانظر ترى الحكمة الغراء قائمة ... فيها لعين اللبيب القلب أشياء

الكلام صفة مؤثرة نفسية رحمانية مشتقة من الكلم و هو الجرح فلهذا قلنا مؤثرة كما أثر الكلم في جسم المجروح فأول كلام شق إسماع الممكنات كلمة كن فما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام و هو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان ينفتح في ذلك النفس شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام و عن المتكون فيه بالنفس كما ينتهي النفس من المتنفس المريد إيجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ففي أي موضع انتهى أمد قصده ظهر عند ذلك عين الحرف المقصود إن كان عين الحرف خاصة هو المقصود فتظهر الهاء مثلا إلى الواو و ما بينهما من مخارج الحروف و هذه تسمى معارج التكوين فيها يعرج النفس الرحماني فأي عين عين من الأعيان الثابتة اتصفت بالوجود فلا بد لكل متكلم من أثر في نفس من كلمة غير إن المتكلم قد يكون إلهيا و ربانيا و رحمانيا فمن كونه ربانيا و رحمانيا لا يشترط في كلامه خلق عين ظاهرة سوى ما ظهر من صورة الكلام التي أنشأها عند التلفظ فإن أثرت نشأة كلامه نشأة أخرى و هو أن يقول لزيد قم فهذا المتكلم قد أنشأ نشأة قم فإن قام زيد لأمره فقد أنشأ هذا الآمر صورة القيام في زيد عن نشأة لفظة قم فهو إلهي لأن انشاء الأعيان إنما هو لله و هذا عام في جميع الخلق فإن لم يسمع منه و لا أثرت فيه نشأة أمره فهو قاصر الهمة و ليس بإلهي في هذه الحال و إنما هو رباني أو رحماني و لا يلزم للرباني و الرحماني سوى إقامة نشأة الكلام خاصة و الإلهي هو الذي ذكرناه غير إن الإلهي على نوعين إلهي كما ذكرناه و إلهي يؤثر كلامه في الأشياء مطلقا من جماد و نبات و حيوان و كون أي كون كان علوا و سفلا فهذا هو الإلهي المطلوب في هذا الطريق و لا يصح وجوده عاما أبدا في هذه الدار بل محله الجنان فإنه لا أكبر من محمد ص و قد قال لمن حقت عليه كلمة العذاب قل لا إله إلا الله فما ظهر عن نشأة أمره نشأة لا إله إلا الله في محل المأمور و إن كان على بصيرة فيه و لكنه مأمور أن يأمر و هو حريص على الأمة فالمأمور ما امتنع و إنما الممتنع لا إله إلا الله فإن هذا اللفظ هو المأمور أن يكون في هذا المحل فلم يكن فلو تكون في محل هذا الشخص لظهر عينه و أعطاه اسم الإسلام كما إن هذا الشخص لما قال له الحق كن و هو في العدم لم يتمكن له إلا أن يكون و لا بد فقد علمت من هو المأمور بالوجود في التحقيق و هو قول الله إِنَّكَ لَا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ أي إنك لا تقدر على من تريد أن تجعله محلا لظهور ما تريد إنشاءه فيه أن يكون محلا لوجود إنشائك فيه فليس كل متكلم في الدنيا بإلهي مطلق لكن له الإطلاق فيما يريد أن ينشئه في نفسه لا في غيره فاعلم سر هذا و اعلم هل أنت متكلم أو لافظ

(الباب الثامن و التسعون في معرفة مقام السهر)

من لا تنام له عين و ليس له قلب ينام فذاك الواحد الأحد

مقامه الحفظ و الأعيان تعبده و لا يقيده طبع و لا جسد

هو الإمام و ما تسري إمامته في العالمين فلم يظفر به أحد

كرسيه تخزن الأكوان فيه و لا يؤده حفظ شيء ضمه عدد

هذا المقام يسمى مقام القيومية و اختلف أصحابنا هل يتخلق به أم لا و لقيت أبا عبد الله بن جنيد من شيوخ الطائفة من أهل قبرفيق من أعمال رندة و كان معتزلي المذهب فرأيته يمنع من التخلق بالقيومية فرددته عن ذلك من مذهبه فإنه كان يقول بخلق الأفعال للعباد فلما رجع إلى قولنا و أبنت له معنى قوله تعالى الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِساءِ فقد أثبت لهم درجة في القيومية و كان قد أتى إلى زيارتنا فلما رجع إلى بلده مشيت إلى زيارته في بلده فرددته و جميع أصحابه عن مذهبه في خلق الأفعال فشكر الله على ذلك رحمه الله فيتخيل من لا معرفة له بالحقائق أنها من خصائص الحق و لا فرق عندنا بينها و بين سائر الأسماء الإلهية كلها في التخلق بها على ما تعطيه حقيقة الخلق كما هي لله بحسب ما تعطيه ذاته تعالى و تقدس و السهر من أحد الأربعة الأركان التي قام عليها بيت الأبدال و هي السهر و الجوع و الصمت و العزلة و قد أفردنا لمعرفة هذه الأربعة جزءا عملناه بالطائف سميناه حلية الأبدال و نظمناها في أبيات في الجزء المذكور سؤال صاحبي عبد الله بدر الخادم و محمد بن خالد الصدفي و هذه هي الأبيات

يا من أراد منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال

لا تطمعن بها فلست من أهلها إن لم تزاحمهم على الأحوال

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت و اعتزال دائم و الجوع و السهر النزيه العالي

فجعلوا السهر ركنا من أركان المقام الذي يكون من صفات الأبدال و آيتهم من كتاب الله تعالى سيدة آي القرآن الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ إلى قوله تعالى وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فانظر ما أعجب هذه الآية و لهذه الصفة عنت الوجوه منا و المراد بالوجوه حقائقنا إذ وجه الشيء حقيقته فقال تعالى وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ و قال كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ فإذا لم يحفظ العبد بسهر قلبه ذاته الباطنة كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة و إن كان نائما فيكون ممن ينام عينه و لا ينام قلبه و يحفظ غيره بحفظه فما سهر من ليست هذه صفته و تكون الخمسة من الأعداد أتم منه في مقامها في حفظها نفسها و غيرها و من لا يقدر أن يكون له درجة الخمسة من العدد و هي جزء مما لا يتناهى فإنها جزء من العدد و العدد لا نهاية له فكيف يتمكن له أن يتخلق بالقيومية مطلقا ليس ذلك في وسع البشر مثل الكلام سواء و غاية من يقوم بها قطب الوقت فإن له الأكثر فيها من سواه فالذي يتعين علينا حفظ هذه الصفة فنحن

نسهر لحفظ الكون و إقامته ما يلزمنا أكثر من هذا و الله حفيظ عليم لا نحن فإذا قامت هذه الصفة بنا فقد وفينا المقام حقه فينبغي لصاحب هذا المقام إذا سهر أن يسهر بعين الله و عين الله حافظته بلا شك الحفظ الذي يعلمه الله لا الحفظ العرضي فإن الله تعالى ما رأيناه يحفظ على كل عين صورتها بل الواقع غير ذلك و هو مطلق الحفظ فاذن ليس الحفظ ما يتخيل من حفظ الصور على أعيانها و إنما ينظر صاحب هذا المقام إلى الحفظ المطلق و ينظر في المحفوظ و إذا كان من عالم التغيير و الاستحالات فيحفظ عليه التغيير و الاستحالات فإن لم يتغير و لا استحال فما حفظ عليه ما تستحقه ذاته فينظر صاحب هذا المقام مراتب الموجودات و يكون حفظه في سهره بحسب ما تعطيه رتبة ذلك العالم و لا يلتفت إلى أغراض أشخاص ذلك النوع فإن الضدين لا يجتمعان فإذا أراد السكون أن يحفظ عليه ذاته في ساكن معين لم يتمكن أن يجيبه إلى ذلك فإن الساكن مأمور من الله بتغيير حاله من سكون إلى قيام لصلاة أو لأمر مشروع أو طبع كقضاء حاجته و لا يكون هذا إلا بأن يتغير و ينتقل إلى حكم الحركة و كذلك المتحرك إذا توجه عليه الأمر بالسكون فالحافظ هنا إنما يحفظ عليه حكم التغيير فإن لم يحفظ عليه ذلك فما سهر و لا تحقق بالقيومية فهذا ما يعطيه مقام السهر و حاله فافهم فإنه ما من مقام و إلا و يتسع المجال فيه لو تكلمنا على تفاصيله لكن نومئ إلى ما لا بد منه في كل مقام و حال بأمر كلي تقع به المنفعة و يندرج فيه كل تفصيل يحتمله فإذا بحثت عليه في كلامنا تجدنا قد وفينا المقصود انتهى الجزء السادس و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع و التسعون في مقام النوم)

النوم جامع أمر ليس يجمعه ... غير المنام ففكر فيه و اعتبر

أن الخيال له حكم و سلطنة ... على الوجودين من معنى و من صور

و ليس يدرك في غير المنام و لا ... تبدو له صور في حضرة السور

يختص بالصاد لا بالسين حضرته ... فهو المحيط بما في الغيب من صور

من لا يكيف يأبى النوم يحصره ... بالكيف و الكم للتحديد بالعبر

اعلم أيدك الله أن النوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى شهود عالم البرزخ و هو أكمل العالم فلا أكمل منه هو أصل مصدر العالم له الوجود الحقيقي و التحكم في الأمور كلها يجسد المعاني و يرد ما ليس قائما بنفسه قائما بنفسه و ما لا صورة له يجعل له صورة و يرد المحال ممكنا و يتصرف في الأمور كيف يشاء فإذا كان له هذا الإطلاق و هو خلق مخلوق لله فما ظنك بالخالق سبحانه الذي خلقه و

أعطاه هذه القوة فكيف تريد أن تحكم على الله بالتقيد و تقول إن الله غير قادر على المحال و أنت تشهد من نفسك قدرة الخيال على المحال و الخيال خلق من خلق الله و لا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك و أراها إياك أشخاصا قائمة فكذلك يأتي الله بأعمال بنى آدم مع كونها أعراضا صورا قائمة توضع في الموازين لإقامة القسط و يؤتى بالموت مع كونه نسبة فوق العرض في البعد عن التجسد في صورة كبش أملح يريد أنه في غاية الوضوح لهذا وصفه بالملحة و هي البياض فيعرفه جميع الناس فهذا محال مقدور فأين حكم العقل على الله و فساد تأويله و كذلك نعيم الجنان في فواكهه لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ فيتأوله من لا علم له بحمله على فصول السنة إن الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الأخرى و فاكهة الجنة دائمة التكوين لا تنقطع هذا مبلغ علمهم في هذه المسألة و هي عندنا كما قال الله لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ فإن الله جاعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا و تناولا كما جعل الله لعالم الجن في العظام رزقا و ما نرى ينقص من العظم شيء و نحن بلا شك نأكل من فاكهة الجنة قطفا دانيا مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زال عينها لأنها دار بقاء لما يتكون فيها فهي دار تكوين لا دار إعدام و كذلك سوق الجنة ندخل في أي صورة شئنا من صور السوق مع كوننا على صورتنا لا ينكرنا أحد من أهلنا و لا من معارفنا و نحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول و المعقول هنا

لا يعرف الله إلا الله فاعتبروا ما عقل عين كعقل قلد الفكرا

و لما نزه الله نفسه عن صفة النوم فقال لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ أي ما يغيبه شهود البرازخ عن شهود عالم الحس عن شهود المعاني الخارجة عن المواد في حال عدم حصولها في البرزخ و تحت حكمه و قد يمنح الله بعض عباده بهذا الإدراك مع كونه لا يتصف بأنه لا ينام أعني في حالة الدنيا و نشأتها و أما في الآخرة فإنه لا ينام أهل الجنة في الجنة و لا يغيب عنهم شيء من العالم بل كل عالم على مرتبته مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم يقال نام فلان فرأى كذا أي رأى مقلوبة و هو مان أي كذب في عرف العادة فإن العلم ما هو لبن و القرآن ما هو عسل و لكن هكذا تراه فإذا كملت رأيته علما في حضرة المعاني في حال رؤيتك إياه لبنا في حضرة البرزخ و هو هو لا غيره فتحقق ما أعلمناك به فقد أرحناك بما ذكرناه راحة الأبد و قد عرفناك بالإله المعرفة المطلوبة منا و إذا تحققت ما أومأنا إليه في هذا الباب علمت جميع ما جاء به الشرع في الكتاب و السنة قديما و حديثا من النعوت الإلهية التي تردها العقول ببراهينها القاصرة عن هذا الإدراك فمعرفة وجود الحق مدرك العقول من حيث ما هي مفكرة و صاحبة دلالات و معرفة ما هو الحق عليه في نفسه هو ما أعطاه الوجود لكل إدراك في عالمه فما ثم إلا حق و مصيب فسبحان من طور الأطوار و جعل في اليوم حقيقة الليل و النهار و أنزل الأحكام و شرعها

على التفصيل لا على الإجمال وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و النومن أحكام الطبيعة في مولدات العناصر خاصة و النشأة الآخرة ليست من مولدات العناصر بل هي من مولدات الطبيعة فلذلك لا تنام و لا تقبل النوم كالملائكة و ما علا عن العناصر و نشأة الإنسان في الآخرة على غير مثال كما كانت نشأته في الدنيا على غير مثال فما ظهر قبله من هو على صورته و لهذا جاء كَما بَدَأَكُمْ يعني على غير مثال تَعُودُونَ على غير مثال يعني في نشأة الآخرة و قال وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ أنها كانت على غير مثال سبق فاشحذ فؤادك و وفر زادك فإنك راحل عن نشأة أنت فيها و ما أنت فيها

(الباب الموفي مائة في مقام الخوف)

خف الله يا مسكين إن كنت مؤمنا إذا جاء سلطان المنازع في الأمر

ف إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها تنل بها رتب العليا في عالم الأمر

و ما قلته بل قاله الله معلما كما جاء في القرآن في محكم الذكر

اعلم أيدك الله و عصمك إن الخوف مقام الإلهيين له الاسم الله لأنه متناقض الحكم فإنه يخاف من الحجاب و يخاف من رفع الحجاب أما خوفه من الحجاب فلما فيه من الجهل بما هو حجاب عنه و أما خوفه من رفع الحجاب فلذهاب عينه عند رفعه فتزول الفائدة و الالتذاذ بالجمال المطلق آية المحجوب قوله تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ في معرض الذم و أما الحديث فقوله ص في الحجب لو كشفها أو لو رفعها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه

و ما أشبه هذا المقام يقول القائل

الليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فمقام الخوف مقام الحيرة و الوقوف لا يتعين له ما يرجح لقيام شاهد كل جانب عنده و من خرج عن هذا الخوف إلى الخوف من متعلق غيره فهو خوف و ليس بمقام فإن كل خوف ما عدا هذا فليس له هذا الحكم فإن المقام كل ما له قدم راسخ في الألوهة و ما ليس له ذلك فليس بمقام و إنما هو حال يرد و يزول بزوال حكم التعلق و المتعلق ببشرى أو بغيرها و الخوف الذي هو مقام يستصحب للعالم بالله الذي يعلم ما ثم و من لا يعلم ذلك فلا يستصحبه خوف إلا إلى أول قدم يضعه من الصراط في الجنة أو حاضرها فالخائف هو الذي يعلم ما هو التجلي و ما هو الذي يرى يوم القيامة و هو الذي يعلم أن أهل النار لهم تجل يزيد في عذابهم كما إن لأهل الجنة تجليا يزيد في نعيمهم أهل النار محجوبون عنه و لهذا قال عن ربهم أهل النار و الرب المربي و المصلح فباب العلم بالله دون ما سواه مغلق من حيث ذاته و هو

المطلوب بالتجلي فالخلق في عين الجهل بهذا الذي ذكرناه إلا من رحم الله و لقد أصابت المعتزلة في إنكارها الرؤية لا في دليلها على ذلك فلو لم تذكر دلالتها لتخيلنا أنها عالمة بالأمر كما علمه أهل الله لكنها في دلالتها كانت كما قال بعضهم لصاحبه حين قال له ما أعجبه و أخذ به فلما ذكر له الإسناد فيما أورده زال عنه ذلك الفرح و قال له أفسدت حين أسندت فمن لم يعرف الله هكذا لم يعرفه المعرفة المطلوبة منه

(الباب الأحد و مائة في مقام ترك الخوف)

لما تعلق علم الخوف بالعدم ... لم أخش منه فحزنا رتبة القدم

أنا الوجود فلا خوف يصاحبني ... لأن ضدي منسوب إلى العدم

إن الذي خفت منه لا وجود له ... فاترك مخافته لحما على و ضم

قال ص و اجعلني نورا في دعائه و قال تعالى اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و السبحات أنوار و النور لا يحترق بالنور و لكن يندرج فيه أي يلتئم معه للمجانسة و هذا هو الالتحام و الاتحاد و هنا سر عظيم و هو ما يزيد في نور المتجلي من نور المتجلي له إذا انضاف إليه و اندرج فيه و لما وقف ص على مقام الخوف الذي ذكرناه أداه إلى أن طلب أن يكون نورا فكأنه يقول اجعلني أنت حتى أراك بك فلا تذهب عيني برؤيتك لكن اندرج فيك كما قال النابغة

بأنك شمس و الملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و ما ذهب لها عين و ما ظهر لها عين فهي ترى و لا ترى لأنها خلف حجاب النور الأعظم الذي له الحكم في ظاهر الأمر و لأنوار الكواكب حكم في باطن الأمر مندرج في النور الأعظم يعلم ذلك أرباب علم التعاليم فهم أسعد الناس بهذا المقام و هو مقام جليل نبوي و ما حجره الحق على المؤمنين إلا رحمة بهم لأن الغالب في العالم الجهل بحقائق الأمور و العلماء أفراد فرحمهم الله بما حجر عليهم من ذلك و أما العلماء بالله فلا حرج عليهم فيه فإنهم عالمون كيف ينسبون و كيف لا يعلمون و الله يقول وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و هو ما يعطيه من الآثار في العالم كما تعطي كل آلة للصانع بها ما عملت له و الصنعة مضافة للصانع لا للآلة فاعلم ذلك و كن بحسب ما تعطيه قوتك و السلام و اختلف أصحابنا في صاحب هذا المقام هل يأمن من المكر الإلهي أم لا أما مع البشرى فيأمن و لا بد و أعني إذا جاءت البشرى بالأمن من مكر الله و لا أقدر أبسط في هذا المقام شيئا أكثر مما ذكرناه في هذا الوقت لأسباب و لا أصرح

بمذهبنا فيه إلا بقدر ما ذكرنا منه في البشرى فإنه أمر محقق تدل عليه العقول و الشرع و ذلك أن صاحب هذا المقام إن كانت عجلت له الجنة بوجه لا يمكن استبداله فالأمن حاصل و يصح له هذا المقام و إن لم تكن له هذه الحالة فالله أعلم

(الباب الثاني و مائة في مقام الرجاء)

إن الرجاء كمثل الخوف في الحكم فاعزم عليه و كن منه على علم

إن الرجاء مقام ليس يعلمه إلا أولو العلم بالرحمن و الفهم

يلتذ صاحبه في وقته فإذا يفوته كان مثل الخوف في الحكم

و إن ما أنت راجيه لفي عدم و لست من فقده المعلوم في عم

الرجاء متعلقة ما ليس عنده و هو مقام مخوف يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر حاصل و معرفة ثابتة لا يدخلها شبهة فإنه مقام عن جانب الطريق ما هو في نفس الطريق تحته مهواة بأدنى زلة يسقط صاحبه من الطريق و هو على طريق الحياة الدائمة التي بها بقاء العالم في النعيم و الحال التي ينبغي أن يظهر سلطانه فيها عند الاحتضار و أما قبل ذلك فيساوي بين حكمه و بين حكم الخوف إن كان مؤمنا حقيقة قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا و كذلك ينبغي أن يظن بنفسه شرا لا بربه إلا عند الموت فإنه يشتغل بربه في تلك الحال و يظن به خيرا و يعرض عن ظنه بنفسه جملة واحدة بخلاف حاله في دنياه و الرجاء المطلوب من أهل الله هو ما يطلبه وقته لأن المرجو معدوم في تلك الحال فيخاف على الراجي أن يفوته حكم الوقت فإذا كان متعلق رجائه ما يطلب الوقت فهو صاحب وقت و لا بد و ما يرسم في ديوان من لم يتأدب مع وقته ثم إن وقته لا يخلو من أحد ثلاثة أمور إما أن يكون صاحب وقت مرضي فمتعلق رجائه ما يطلبه الوقت المرضى و إن كان غير مرضي أو لا مرضي و لا غير مرضي كالمباح فمتعلق رجائه إزالته عنه بما هو مرضي في النفس الثاني و الزمان الذي يليه فمتى خرج عن هذا التعلق الخاص فليس هو الرجاء الذي هو مقام في الطريق و هو من المقامات المستصحبة في الدنيا و الآخرة لا ينقطع لأن الإنسان حيث كان لا يزال صاحب قوت لأن الأمر لا يتناهى و كلامنا في الفائت المستأنف و أما الفائت الماضي فإنه لا يعود إذ لو عاد لتكرر أمر ما في الوجود و لا تكرار للتوسع الإلهي غير أنه إن كان الفائت الماضي مرضيا و هو لا يعود فحكم ذلك الفعل الفائت الماضي فهو إنما يجنيه في الآخرة و لو اتصف به في الدنيا فقد يتعلق الرجاء بتحصيل ما لو كان الفائت الماضي لم يفت حصل له فيحصل له مثل ذلك برجائه إن كان قد كان له وجود و انقضى أو عين ذلك المرجو إن كان لم يكن برجائه فإنه فائت مستأنف كان مهيا للفائت الماضي هذا غاية قوة الرجاء و قد قال ص في الذي يفوته خير الدنيا و يرى من له شيء من ذلك الخير يعمل به

في طاعة الله لو كان لي مثل هذا العامل من الخير لفعلت مثل ما فعل فهما في الأجر سواء فهذا قد فاته العمل و جنى ثمرته بالتمني و ساوى من لم يفته العمل و ربما أربى عليه لا بل أربى عليه فإن العامل مسئول لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ و هذا غير مسئول لأنه ليس بعامل و لا يكون هذا إلا لمن لم يعطه الله أمنيته من الخير الذي تمنى العمل به فإن أعطاه ما تمناه من الخير فليس له هذا المقام و لا هذا الأجر و ينتقل حكمه إلى ما يعمله فيما أعطاه الله من الخير و لا يبقى للتمني في الآخرة أثر فإن عمل به برا كان له و إن عمل غير ذلك كان في حكم المشيئة و ليس رجاء القوم رجاء العاصين في رحمة الله ذلك رجاء آخر ما هو مقام و كلامنا في المقام و الرجاء عند بعضهم مقام إلهي و استدلوا عليه بقوله في غير آية لَعَلَّ و عَسَى و لهذا جعلها علماء الرسوم من الله واجبة

(الباب الثالث و مائة في ترك الرجاء)

لا تركنن إلى الرجاء فربما أصبحت من حكم الرجاء على رجا

فاضرع إلى الرحمن في تحصيله فيه نجاتك فالسعيد من التجأ

اعلم أيدك الله أن حكم صاحب هذا المقام شهود نفسه من حيث ما تطلبه به الحضرة الإلهية و ضعف العبودية عن الوفاء بما تستحقه أو بما يمكن أن يوفيها من طاقتها المأمور بها في قوله تعالى فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ هذا من جهتنا و أما من جانب ما تستحقه الربوبية على العبودية فقوله اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و ليس لهم من الأمر شيء فقطع بهم هذا الأمر فهو مقام صعب و حالة شديدة فمن ترك الرجاء فقد ترك نصف الايمان فالإيمان نصفان نصف خوف و نصف رجاء و كلاهما متعلقهما عدم فإذا حصل العلم حصل الوجود و زال العدم و أزال العلم حكم الايمان لأنه شهد ما آمن به فصار صاحب علم و الايمان تقليد و التقليد يناقض العلم إلا أن يكون المخبر معصوما عند المؤمن و في نفسه من الكذب و ليس بينك و بينه واسطة في إخباره فإن الدليل الذي حكم لك بصدقه و عصمته عن الخطاء و الكذب فكنت فيه على بصيرة و هي العلم ينسحب لك على ما يخبرك به عن الله فيكون عندك خبره علما لا تقليدا و هذا لا يكون اليوم إلا عند أهل الكشف و الوجود خاصة و أما عند أهل النقل فلا سبيل فالصحابة الذين سمعوا شفاها من الرسول ما لا يحتمله التأويل بما هو نص في الباب لا فرق بينهم و بين أهل الكشف و الوجود فهم علماء غير مقلدين ما داموا ذاكرين لدليلهم فإن غابوا عن الدليل في وقت الإخبار فهم مقلدون مع ارتفاع الوسائط فاجعل دليلك ربك على الأشياء فلا تغفل عنه فإنك إذا كنت بهذه المثابة كنت صاحب علم و هو أرفع ما يكون من عند الله و لهذا أمر نبيه ص بالزيادة منه دون غيره من الصفات فمن علم الماضي و الحال و المستأنف لم يبق له عدم فلم يبق له متعلق رجاء فلم يبق له رجاء

من إنما أجزع مما أتقى فإذا حل فما لي و الجزع

و كذا أطمع فيما أبتغي فإذا فات فما لي و الطمع

فهذان البيتان جمعا ترك الرجاء و الخوف بحصول المخوف وقوعه و فوت المرجو حصوله إلى و هذا و إن كان صحيحا في الرجاء فلا يكون هذا في رجاء المقام فإنه ما له خوف فوت الماضي و إنما له خوف فوت المستأنف لفوت سببه الذي مضى

(الباب الرابع و مائة في مقام الحزن)

الحزن مركبه صعب و غايته ذهابه فولى الله من حزنا

قلب الحزين هنا تقوى قواعده هناك و الغرض المقصود منك هنا

دار التكاليف دار ما بها فرح فالله ليس يحب الفارح اللسنا

الحزن مشتق من الحزن و هو الوعر الصعب و الحزونة في الرجل صعوبة أخلاقه و الحزن لا يكون إلا على فائت و الفائت الماضي لا يرجع لكن يرجع المثل فإذا رجع ذكر بذاته من قام به مثله الذي فات و مضى فأعقب هذا التذكر حزنا في قلب العبد و لا سيما فيمن يطلب مراعاة الأنفاس و هي صعبة المنال لا تحصل إلا لأهل الشهود من الرجال و ليس في الوسع الإمكاني تحصيل جملة الأمر فلا بد من فوت فلا بد من حزن و هذه الدار و هذه النشأة نشأة غفلة ما هي نشأة حضور إلا بتعمل و استحضار بخلاف نشأة الآخرة فطلب منا أن ننشئ نفوسنا في هذه الدار نشأة أخرى يكون لها الحضور لا الاستحضار فهل ما طلب منا نعجز عنه أو لا نعجز و محال أن يطلب منا ما لم يجعل فينا قوة الإتيان به و يمكننا من ذلك فإنه حكيم و قد أعطانا في نفس هذا الطلب علمنا بأن فينا قوة ربانية و لكن من حيث أنا مظهر لها أكسبناها قصورا عما تستحقه من المضاء في كل ممكن فطلبنا المعونة منه فشرع لنا أن نقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و لا حول و لا قوة إلا بالله فمن كان هذا مشهده فلا يزال حزنه دائما أبدا و هو مقام مستصحب للعبد ما دام مكلفا و في الآخرة ما لم يدخل الجنة فإن في الآخرة لهم حزن التغابن لا حزن الفزع الأكبر و الخوف يرتفع عنهم مطلقا إلا أن يكونوا متبوعين فإن الخوف يبقى عليهم على الاتباع كالرسل فالحزن إذا فقد من القلب في الدنيا خرب لحصول ضده إذ لا يخلو و الدار لا تعطي الفرح لما فيه من نفي المحبة الإلهية عمن قام به و ما يزيل الحزن إلا العلم خاصة و هو قوله فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا فالحزن مثل العلم سواء يرتفع بارتفاع المحزون عليه و يتضع كذلك كالعلم يشرف بشرف المعلوم و الحزن مقام صعب المرتقى قليل من الخلق عليه هو للكمل من الناس

(الباب الخامس و مائة في ترك الحزن)

الحق أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

فما ترى من فائت قد فات فالحزن سدى

الحزن حكم واقع لفائت و ما عدا

هذا فلا تحفل به فإنه حكم البدا

هو حال و ليس بمقام و هو مؤد إلى خراب القلوب و في طيه مكر إلهي إلا للعارف فإنه لا يخرج عن مقام الحزن إلا من أقيم في مقام سلب الأوصاف عنه قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما هي لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي و ذلك لما سأله بكيف و هي للحال و هو من أمهات المطالب الأربعة و له من النسب الإلهية سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ على قراءة الكسائي و كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و يخفض القسط و يرفعه فهذا مقام الكيف في الإلهيات و أما أبو يزيد فما قصد التمدح بهذا القول و إنما قصد التعريف بحاله فإن الصباح و المساء لله لا له و هو المقيد تعالى بالصفة و العبد العنصري مقيد بالصباح و المساء غير مقيد بالصفة و لهذا نفى الصفة فقال لا صفة لي لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا فالصباح و المساء يملكه و لا ملك لأبي يزيد عليهما لأنهما بالصفة يملكان و أبو يزيد لا صفة له فمن لا علم له بالمقام يتخيل أن أبا يزيد تأله في هذا القول و لم يقصد ذلك رضي الله عنه بل هو أجل من أن يعزي إليه مثل هذا التأويل في قوله هذا فإن قال من يتأول عليه خلاف ما قلناه من أنه تأله في قوله بقوله ضحكت زمانا و بكيت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي فاعلم أنه ثم تجلى يضحك و ما رأيت أحدا في هذا الطريق من أهل الضحك إلا واحدا يقال له علي السلاوي سحت معه و صحبته سفرا و حضرا بالأندلس لا يفتر عن الضحك شبه الموله و ما رأيته جرى عليه قط لسان ذنب و أما البكاءون فما رأيت منهم إلا واحدا يوسف المغاور الجلاء سنة ست و ثمانين و خمسمائة بإشبيلية و كان يلازمنا و يعرض أحواله علينا كثير الجزع لا تفتر له دمعة صحبته في الزمان الذي صحبت الضحاك و أما كون أبي يزيد انتقل عن هذين المقامين إلى المقام الذي بينهما فإنهما من الأمور المتقابلة التي ما يكون بينهما واسطة كالنفي و الإثبات لا كالوجود و العدم و الحار و البارد فإن بينهما واسطة تأخذ من كل طرف بنسبة تميزه عن الطرفين و كذلك إذا لم يكن الشخص في موجب ضحك و لا موجب بكاء كحالة البهت لأهل الله فهو لا ضاحك و لا باك فوصفه البهت و التعري عن الموجبين فأراد التعريف ما أراد التمدح

(الباب السادس و مائة في معرفة الجوع المطلوب)

الجوع موت أبيض و هو من أعلام الهدى

ما لم يؤثر خبلا فهو دواء و هو دا

فاحكم به تكن به موفقا مسددا

الجوع حلية أهل الله و أعني بذلك جوع العادة و هو الموت الأبيض فإن أهل الله جعلوا في طريقهم أربع موتات هذا أحدها و موت أخضر و هو لباس المرقعات إلا المشهرات كان لعمر بن الخطاب ثوب يلبسه فيه ثلاث عشرة رقعة إحداهن قطعة جلد و هو أمير المؤمنين و موت أسود و هو تحمل الأذى و موت أحمر و هو مخالفة النفس في أغراضها و هو لأهل الملامية فالجوع المطلوب في الطريق هو للسالكين جوع اختيار لتقليل فضول الطبع و لطلب السكون عن الحركة إلى الحاجة فإن علا فلطلب الصفة الصمدية وحده عندنا صوم يوم فإن زاد فإلى السحر هذا هوالجوع المشروع الاختياري و ما لنا طريق إلى الله إلا على الوجه المشروع و لو لا إن الله جعل هذا حد المصلحة في عموم خلقه لما وقته إلى هذا القدر فلا يكون الإنسان في الزيادة عليه أعلم بمصالح الجوع في العبد من ربه هذا غاية سوء الأدب فإن كان ممن يطعم و يسقى في مبيته و فنائه و يجد أثر ذلك في قوته و صحة عقله و حفظ مزاجه فليواصل ما شاء فإنه ليس بصاحب جوع و كلامنا في الجوع و إن كان أيضا ممن يستغرقه حال و وارد قوي يحول بينه و بين الطعام كأبي عقال فإن كان صاحب فائدة فهي المطلوب و إن لم يكن فذلك مرض يعرض حاله على الأطباء و ما ذلك مطلب القوم و أما جوع الأكابر فجوع اضطرار فإن الذي ينتجه الجوع قد حصل لهم ملكة لا تزول عنهم في حال جوع و لا شبع فلم يبق إلا التقليل و لكن من الحلال إما للنشاط في الطاعات و إما لخفة الحساب فإن النبي ص قال إنكم لتسئلون عن نعيم هذا اليوم و لم يكن سوى تمر و ماء و ما أدخل نفسه في الجماعة فإن لله عبادا سليمانيين يقول الله لهم هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ و هم سبعون ألفا في هذه الأمة قد نعتهم النبي ص و الخبر صحيح و عكاشة منهم بالنص عليه فينبغي للصالح السالك أن لا يزيد على الحد المشروع فيكون متبعا فإن ترك العمل بالاتباع أعظم أجرا من العمل بالابتداع فإنا بالاتباع بحكم الأصل فإن وجودنا تبع لوجود من أوجدنا فلتكن أفعال العلماء بهذه المرتبة على ذلك و لما قال ص إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع و العطش لم يختلف أحد من العلماء و لا من أهل الله إنه أراد الصوم و التقليل من الطعام في السحور المسنون لمن واصل و في الإفطار لمن أفطر فإنه قال بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فلا يتعدى المريد الحد الذي سنه من شرع الطريق إلى الله به و لا تعرف قدر ما دللتك عليه إلا في نتيجته إن فتح لك هنا و لا تجع من غير صوم فإنه غير طريق مشروعة و لا تجعل سبب ذلك حديث أجر الصوم فذلك ليس لك إنما هو للعمل و دع النفس ترغب في الأجرة التي لها على ذلك فإن فيها من يطلب ذلك و أنت بالسر الإلهي و الروح الامري بمعزل عن هذا الطلب الذي تطلبه النفس الحيوانية فإنك مجموع و لا تلحق بأهل الغلط من أهل

هذه الطريق الذين يجوعون تلامذتهم من غير صوم أو يصومونهم ثم يطعمونهم قبل غروب الشمس ذلك غلط منهم و جهل بطريق الله تعالى و إن كانوا يقصدون بذلك مخالفة النفوس فما هذا موضعه و إنما ينبغي أن يخالفوها في تعيين المأكول على حد مخصوص و وجه معين و ميزان مستقيم يعرفه أهل الله فإذا مالت إلى طعام خاص معين عندها حتى لا تكره شيئا من نعم الله و لقد عملت على هذا زمانا حتى طاب لي كل شيء كنت لا أقدر على أكله و تمجه نفسي و كذلك في التقليل منه و هو أشد ما على النفس أن تشرع في الشيء ثم يحال بينها و بين التملي منه و الله الموفق لا رب غيره

(الباب السابع و مائة في ترك الجوع)

الجوع بئس ضجيع العبد جاء به لفظ النبي فلا ترفع به رأسا
قد أدرك القوم في تعيينه غلط و لم يقيموا له وزنا و قسطاسا
من قال ما الجوع لم يعرف حقيقته و قد أضل بما قد قاله الناسا
جوع العوائد محمود و لست أرى فيما أراه من استعماله بأسا
جوع الطبيعة مذموم و ليس يرى فيه المحقق بالرحمن إيناسا

ترك الجوع عند القوم ليس الشبع و إنما هو إعطاء النفس حقها من الغذاء الذي جعل الله به صلاح مزاجها و قوام بنيتها فإذا أحس صاحب هذه الحالة بالجوع فذلك جوع العادة خرج أبو بكر البزار في مسنده أن النبي ص كان يتعوذ من الجوع و يقول إنه بئس الضجيع و لا يذم حال يعطي الفوائد فدل أنه لا فائدة في مثل هذا الجوع و أن الفوائد فيما أظهر الشرع ميزانه من ذلك فترك الجوع عبادة و طريق موصلة إلى الله و بهذا فضل سلمان على أبي الدرداء و شهد له بذلك رسول الله ص إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا و لزورك عليك حقا و لأهلك عليك حقا فقم و نم و صم و أفطر و أعط كل ذي حق حقه فإنك لا تدخل على الحق أبدا و لا حد عليك حق و أعظم الحقوق حق الله ثم حق نفسك انتهى الجزء السابع و التسعون بانتهاء السفر الثالث عشر و الحمد لله

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثامن و مائة في معرفة الفتنة و الشهوة و صحبة الأحداث و النسوان و أخذ الإرفاق منهن و متى يأخذ المريد الإرفاق)

لا تصحبن حدثا إن كنت ذا حدث و لا نساء و كن بالله مشتغلا

و احذر من الفتنة العمياء أن لها حكما قويا على القلب الذي غفلا

و شهوة النفس فاحذرها فكم فتكت بسيد قلبه عن ربه عفلا

و لا يرى أخذا رفقا من امرأة إلا الذي من رجال الله قد كملا

اعلم أيدك الله أن الفتنة الاختبار يقال فتنت الفضة بالنار إذا اختبرتها قال تعالى أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ أي اختبرناكم بهما هل تحجبكم عنا و عما حددنا لكم أن تقفوا عنده و قال موسى ع إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها من تَشاءُ أي تحير وَ تَهْدِي من تَشاءُ و من أعظم الفتن التي فتن الله بها الإنسان تعريفه إياه بأن خلقه على صورته ليرى هل يقف مع عبوديته و إمكانه أو يزهو من أجل مكانة صورته إذ ليس له من الصورة إلا حكم الأسماء فيتحكم في العالم تحكم المستخلف القائم بصورة الحق على الكمال و كذلك من تأييد هذه الفتنة قول النبي ص يحكيه عن ربه إن العبد إذا تقرب إلى الله بالنوافل أحبه فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و ذكر اليد و الرجل الحديث و إذا علم العبد أنه بهذه المثابة يسمع بالحق و يبصر بالحق و يبطش بالحق و يسعى بالحق لا بنفسه و بقي مع هذا النعت الإلهي عبدا محضا فقيرا و يكون شهوده من الحق و هو بهذه المثابة كون الحق ينزل إلى عباده بالفرح بتوبتهم و التبشيش لمن يأتي إلى بيته و التعجب من الشاب الذي قمع هواه و اتصافه بالجوع نيابة عن جوع عبده و بالظمإ نيابة عن ظمأ عبده و بالمرض نيابة عن مرض عبده مع علمه بما تقتضيه عزة ربوبيته و كبريائه في ألوهيته فما أثر هذا النزول في جبروته الأعظم و لا في كبريائه الأنزه الأقدم كذلك العبد إذا أقامه الحق نائبا فيما ينبغي للرب تعالى يقول العبد و من كمال الصورة التي قال إنه خلقني عليها أن لا يغيب عني مقام إمكاني و منزلة عبوديتي و صفة فقري و حاجتي كما كان الحق في حال نزوله إلى صفتنا حاضرا في كبريائه و عظمته فيكون الحق مع العبد إذا وفى بهذه الصفة يثنى عليه بأنه نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ حيث لم تؤثر فيه هذه الولاية الإلهية و لا أخرجته عن فقره و اضطراره و من تجاوز حده في التقريب انعكس إلى الضد و هو البعد من الله و المقت فاحذر نفسك فإن الفتنة بالاتساع أعظم من الفتنة بالحرج و الضيق و أما الشهوة فهي آلة للنفس تعلو بعلو المشتهي و تستفل باستفال المشتهي و الشهوة إرادة الالتذاذ بما ينبغي أن يلتذ به و اللذة لذتان روحانية و طبيعية و النفس الجزئية متولدة من الطبيعة و هي أمها و الروح الإلهي أبوها فالشهوة الروحانية لا تخلص من الطبيعة أصلا و بقي من يلتذ به فلا يلتذ إلا بالمناسب و لا مناسبة بيننا و بين الحق إلا بالصورة و التذاذ الإنسان بكماله أشد الالتذاذ فالتذاذه بمن هو على صورته أشد التذاذ برهان ذلك أن الإنسان لا يسري في كله الالتذاذ و لا يفنى في مشاهدة شيء بكليته و لا تسري المحبة و العشق في طبيعة روحانيته إلا إذا عشق جارية أو غلاما و سبب ذلك أنه يقابله بكليته لأنه على صورته و كل شيء في العالم جزء منه فلا يقابله إلا

بذلك الجزء المناسب فلذلك لا يفنى في شيء يعشقه إلا في مثله فإذا وقع التجلي الإلهي في عين الصورة التي خلق آدم عليها طابق المعنى المعنى و وقع الالتذاذ بالكل و سرت الشهوة في جميع أجزاء الإنسان ظاهرا و باطنا فهي الشهوة التي هي مطلب العارفين الوارثين ألا ترى إلى قيس المجنون في حب ليلى كيف أفناه عن نفسه لما ذكرناه وكذلك رأينا أصحاب الوله و المحبين أعظم لذة و أقوى محبة في جناب الله من حب الجنس فإن الصورة الإلهية أتم في العبد من مماثلة الجنس لأنه لا يتمكن للجنس أن يكون سمعك و بصرك بل يكون غايته إن يكون مسموعك و مدركك اسم مفعول و إذا كان العبد مدرك بحق هو أتم فلذته أعظم و شهوته هناك و المعرفة معدومة من هذا الصنف من الناس و ما صبر تحت الاختبار الإلهي إلا الذهب الخالص المعدني الذي حاز رتبة الكمال و ما بقي فيه من تربة المعدن شيء و كل تكليف فتنة و جميع المخلوقات فتنة و الاطلاع على نتائج الأعمال فتنة و هي حالة مقام يستصحب إلى الجنة و كان رسول الله ص و هو صاحب الكشف الأتم و العالم بما ثم يستعيذ من فتنة القبر و عذاب النار و فتنة المحيا و الممات و أما الشهوة فهي إرادة الملذوذات فهي لذة و التذاذ بملذوذ عند المشتهي فإنه لا يلزم أن يكون ذلك ملذوذا عند غيره و لا أن يكون موافقا لمزاجه و لا ملاءمة طبعه و ذلك أن الشهوة شهوتان شهوة عرضية و هي التي يمنع من اتباعها فإنها كاذبة و إن نفعت يوما ما فلا ينبغي للعاقل أن يتبعها لئلا يرجع ذلك له عادة فتؤثر فيه العوارض و شهوة ذاتية فواجب عليه اتباعها فإن فيها صلاح مزاجه لملاءمتها طبعه و في صلاح مزاجه و في صلاح دينه سعادته و لكن يتبعها بالميزان الإلهي الموضوع من الشارع و هو حكم الشرع المقرر و فيها سواء كان من الرخص أو العزائم إذا كان متبعا للشرع لا يبالي فإنه طريق إلى الله مشروعة فإنه تعالى ما شرع إلا ما يوصل إليه بحكم السعادة و لا يلزم أيضا أن يكون ما يشتهيه في هذه الحال أن يشتهيه في كل حال و لا في كل وقت فينبغي له أن يعرف الحال الذي ولد تلك الشهوة عنده و الوقت الذي اقتضاها و قد تتعلق بأعمال الطاعات هذه الشهوات العرضية فتوجب بعدا كمن يرى موضعا يستحسنه طبعه فيشتهي إن يصلي فيه أو لفضيلة يعلمها في ذلك الزمان على غيره فإن ذلك يؤثر في حاله مع الله أثر سوء و ميزان ذلك الالتذاذ بعمل لا لشهود إلهي و هذا من المكر الخفي و لأبي يزيد في هذا قدم راسخة و قد نبه على ذلك لما سألته أمه في ليلة باردة أن يسقيها ماء و كان برا بها فثقل عليه القيام و قد كان ملتذا في جميع أحواله في خدمة أمه فاتهم نفسه في تلك اللذة إذ كان يتخيل أنه لا يلتذ بخدمة أمه إلا لإقامة حق الله و لا بعبادة إلا لإقامة حق الله فيها فرمى كل عبادة تقدمت له كان له التذاذ بها و تاب توبة جديدة فأغوار النفوس لا يدركها إلا فحول أهل الله فلا تفرح بالالتذاذ بالطاعات و رفع المشقة فيها عنك دون ميزان القوم في ذلك فإذا اقترنت هذه الشهوة بصحبة أهل البدع و هم الأحداث و بصحبة الصبيان الصباح الوجوه و النساء في الله تعالى فيما تخيل له أنه في الله تعالى ففي طي هذا التعلق مكر إلهي خفي و لو تعلق ذلك

الالتذاذ منه بغير هؤلاء الأصناف فليس ذلك بميزان يعرف به مكر الله حتى يفرق بين الصحبة لله و الصحبة لشهوة الطبع إلا أن يصحب العلماء بالله أهل الورع أو شيخه إن كان من أهل الأذواق فذلك أمر آخر و الذي ينبغي له أن يزن به حاله في دعواه إنه ما صحب الأحداث و النساء إلا لله إذا وجد ألما و وحشة عند فقده إياهم و هيجانا إلى لقائهم و فرحا بهم عند إقبالهم فتعلم عند ذلك أن الصحبة لهذا الصنف معلومة ليست لله و إن وقعت المنفعة للمصحوب منه فيسعد المصحوب و يشقى هذا المحب شقاوتين الواحدة فقد المحبوب و الأخرى بالجهل و عدم العلم فيما كان يتخيل أنه علم و أنه صحب لله و في الله و أما إن كان ممن تتعلق تلك المحبة منه بجميع المخلوقات و من جملة المخلوقات أيضا هؤلاء الأصناف فقد يكون ذلك خديعة نفسية و ميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة واحد واحد فإنه لا يخلو عن مشاهدة مخلوق فمحبوبه معه ما فارقه فإن العين واحدة لو غاب عضو من أعضاء محبوبك مع بقاء عينه معك ما وجدت ألما و الخلق كلهم أعضاء بعضهم لبعض و أيضا إن تعلق بجميع المخلوقات على علم من صاحبه بعموم التعلق ابتداء في غير هؤلاء الأصناف ثم تظهر هؤلاء الأصناف و لا يجد مزيدا في ميزانه فيدخلهم في عموم ذلك التعلق فذلك مبناه على أصل صحيح و إن انجر معه الطبع في هذا الصنف و وجد معه الألم عند فقده على الخصوص فذلك لا يؤثر في خلوص تعلقه الإلهي في دعوته و نصيحته لصحة الأصل فإن حدث عنده عموم التعلق في ثاني الحال من تعلقه بصحبة هذا الصنف فلا يعول عليه فذلك تلبيس من النفس فليحذر منه و ليترك صحبتهم جملة واحدة و كلامنا إنما هو مع أهل الطريق و لا بد من تمحيص هذا التعميم الذي وجده في ثاني حال من صحبتهم كما يمحص نفسه صاحب السماع المقيد بالنغمات إذا أرسله مطلقا بعد تحصيله ابتداء من المقيد بالنغمات فهو أصل معلول فلا يعتمد من هذه حالته على سماعه المطلق المكتسب في ثاني حال فإن ذلك تلبيس النفس حتى لا تترك السماع المقيد و الإنسان إذا أنصف لربه من نفسه و لنفسه من نفسه عرف حاله بل كان أعرف بحاله من غيره إلا من العارفين بالله فإنهم أعرف به من نفسه لأن العارفين لهم أعين في قلوبهم فتحتها لهم المعرفة يرون بها منك ما تجهله أنت من نفسك لأنه ليست لك تلك العين و لهذا قال الجنيد العارف من ينطق عن سرك و أنت ساكت و السكوت عدم الكلام فمعناه يعرف منك ما لا تعرفه أنت من نفسك كالخفي من سوء المزاج يعرفه الطبيب منك إذا نظر إليك و لا تعرفه أنت و هؤلاء أطباء النفوس و اعلموا أن الشيوخ إنما حذروا من أخذ الإرفاق من النساء و من صحبة الأحداث لما ذكرناه من الميل الطبيعي فلا ينبغي للمريد أن يأخذ رفقا من النساء حتى يرجع هو في نفسه امرأة فإذا تأنث و التحق بالعالم الأسفل و رأى تعشق العالم الأعلى به و شهد نفسه في كل حال و وقت و وارد منكوحا دائما و لا يبصر لنفسه في كشفه الصوري و حاله ذكرا و لا أنه رجل أصلا بل أنوثة محضة و يحمل من ذلك النكاح و يلد و حينئذ يجوز له أخذ الرفق من

النساء و لا يضره الميل إليهن و حبهن و أما أخذ العارفين فمطلق لأن مشهودهم اليد الإلهية المقدسة المطلقة في الأخذ و العطاء و كل شخص يعرف حاله و الطريق صدق كله وجد لا يقبل الهزل و لا الطفيلي عنده و إن سامح الحق

(الباب التاسع و مائة)

في معرفة الفرق بين الشهوة و الإرادة و بين شهوة الدنيا و شهوة الجنة و الفرق بين اللذة و الشهوة و معرفة مقام من يشتهي و يشتهي و من لا يشتهي و لا يشتهي و من يشتهي و لا يشتهي و من يشتهي و لا يشتهي

رب الإرادة سيد متحكم تجري أمور الكائنات بوفقه
و الاشتهاء من الطبيعة أصله فمن اشتهى فالطبع مالك رقة
لا يفرحن أبدا عبيد طبيعة في ملكه في المنزلين بعتقه
و الالتذاذ تقسمت أحكامه في كل موجود بطالع أفقه
فتراه و الأعيان تطلب حقها يعطي لكل منه واجب حقه
يعطي الجزيل و ما له ملك سوى ما أودع الملك الجواد بحقه
الوهب يأتيه بكل فضيلة تبدو عليه بخلقه و بخلقه
فعطاؤه الممزوج يشهد أنه فيما يجود عطاءه من صدقه
أما العبيد فرزقهم معبودهم فالكل إن حققت عابد رزقه

اعلم أيدك الله أن المتمكن الكامل و العابد أيضا من أهل الله صاحب المقام يشتهي و يشتهي لكماله فيعطي كل ذي حق حقه فإنه يشاهد جمعيته ففيه من كل شيء حقيقة و صاحب الحال صاحب فناء لا يشتهي و لا يشتهي لأنه لا يشهد سوى الحق بعين الحق في حال فناء عن رؤية نفسه فلا يشتهي لأن الحق لا يوصف بالشهوة و لا يشتهي لأنه مجهول لا يعرف غير ربه لا تعرف الأكوان و لا نفسه لغيبته بربه عن الكل فهو غيب لا يشتهي لأن العلم بالمشتهى من لوازم هذا الحكم و الزاهد لا يشتهي و يشتهي فإن النعم له خلقت فهو يراها حجبا موضوعة فينفر منها فلا يشتهيها و هي تشتهيه لعلمها بأنها خلقت له فيتناولها الزاهد جودا منه عليها و إيثارا إذا كان صاحب مقام و المخلط الكاذب الذي يعصي الله بنعمه يشتهي و لا يشتهي فيشتهي لغلبة الطبع عليه و لا يشتهي لأن النعم إنما تشتهي من تراه يقوم بحقها و هو شكر المنعم على ما أنعم الله به عليه ثم اعلم أن الشهوة إرادة طبيعية مقيدة و الإرادة صفة إلهية روحانية

طبيعية متعلقها لا يزال معدوما و هي أعم تعلقا من الشهوة فإن كل حقيقة منهما تتعلق بالمناسب و المناسب ما يشركها في الأصل فلا تتعلق الشهوة إلا بنيل أمر طبيعي فإن وجد الإنسان ميلا إلى غير أمر طبيعي كميله إلى إدراك المعاني و الأرواح العلوية و الكمال و رؤية الحق و العلم به فلا يخلو عند هذا الميل أما أن يميل إلى ذلك كله بطريق الالتذاذ عن تخيل صوري فذلك تعلق الشهوة و ميلها لأجل الصورة فإن الخيال إذا جسد ما ليس بجسد فذلك من فعل الطبيعة و إن تعلق ذلك الميل بغير هذا التخيل الحاصل بل يبقى المعاني و الأرواح و الكمال على حاله من التجرد عن التقييد و ضبط الخيال له بالتخيل فذلك ميل الإرادة لا ميل الشهوة لأن الشهوة لا مدخل لها في المعاني المجردة فالإرادة تتعلق بكل مراد للنفس و العقل كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب و الشهوة لا تتعلق إلا بما للنفس في نيله لذة خاصة و محل الشهوة النفس الحيوانية و محل الإرادة النفس الناطقة و الشهوة تتقدم اللذة بالمشتهى في الوجود و لها لذة متخيلة تتعلق بتصور وجود المشتهي فتلك اللذة مقارنة لها في الوجود فتوجد في النفس قبل حصول المشتهي و اللذة مقارنة لوجود حصول المشتهي في ملك المشتهي فتزول شهوة التحصيل و تبقي اللذة فليس عين الشهوة عين اللذة لفنائه بحصول المشتهي و بقاء اللذة غير إن الطبع يحدث له أو يظهر له عن كمون غيب إلهي شهوة أخرى تتعلق ببقاء المشتهي دائما لا تنقطع فهذه شهوة لا لذة لها فإن البقاء دائما غير حاصل مطلقا فلا يتناهى الأمر و لا يوجد البقاء فإن جدد البقاء بزمان مخصوص و مقدار معين فذلك البقاء المشتهي يكون للشهوة لذة بحصوله موجودا فاللذة مقارنة لحصول المشتهي خاصة لا تتأخر عنه و لا تتقدمه بوجود عين و وجود خيال و أما شهوة الدنيا فلا تقع لها لذة إلا بالمحسوس الكائن و شهوة الجنة يقع لها اللذة بالمحسوس و بالمعقول على صورة ما يقع بالمحسوس من وجود الأثر البرزخي عند نيل المشتهي المعقول سواء و لا أعني بالجنة أن هذه الشهوة التي هذا حكمها لا توجد إلا في الجنة المعلومة في العموم إنما أعني حيث وجد هذا الحكم لهذه الشهوة الذي ذكرناه فهو شهوة الجنة سواء وجد في الدنيا أو وجد في الجنة و إنما أضفناها إلى الجنة لأنها تكون فيها لكل أحد من أهل الجنة و في الدنيا لا تقع إلا لآحاد من العارفين و الشهوة لها نسبة واحدة إلى عالم الملك و نسبتان إلى عالم الملكوت و لها مقامات و أسرار و هي الدرجات بقدر ما لحروف اسم الشهوة من العدد بالجمل الكبير بالتعريف و هو الشهوة و بالتنكير و هو شهوة و بالاتصال بكلام فتعود هاء السكت تاء فلها عدد التاء و عدد الهاء في حال التنكير و التعريف فاجمع الأعداد بعضها إلى بعض فما اجتمع لك من ذلك فهو قدر درجات ما يناله صاحب ذلك المقام و لا يعتبر فيه إلا اللفظ العربي القرشي فإنه لغة أهل الجنة سواء كان أصلا و هو البناء أو فرعا و هو الإعراب و غير العربي و المعرب لا يلتفت إليه و كذلك تعمل في كل اسم مقام و هو قولهم لكل إنسان من اسمه نصيب و معناه لكل موجود من اسمه نصيب و لهذا جاءت أسماء النعوت فلا تطلب إلا أصحابها و هي زور على من تطلق عليه

و ليست له و هذا من أصعب المسائل فإن الاسم إطلاق إلهي فلا بد من نصيب منه لذلك المسمى غير أنه يخفى في حال مسمى ما و يظهر في آخر و مدرك ذلك عزيز و على هذا الحد الإرادة فالمريد إلهي رباني رحماني و المشتهي رباني رحماني خاصة و المسلم المؤمن المحسن هو المريد و صاحب الشهوة مسلم نصف مؤمن نصف محسن لأنه مع الإحسان المقيد بالتشبيه

(الباب العاشر و مائة في مقام الخشوع)

لا يكون الخشوع إلا إذا ما ... يبصر القلب من تدلى إليه
و تجلى له بصورة مثل ... غير هذا فلا يكون لديه
فإن اعتز في مقام التجلي ... فله الحكم لا يكون عليه

الخشوع مقام الذلة و الصغار و هو من صفات المخلوقين ليس له في الألوهية مدخل و هو نعت محمود في الدنيا على قوم محمودين و هو نعت محمود في الآخرة في قوم مذمومين شرعا بلسان حق و هو حال ينتقل من المؤمنين في الآخرة إلى أهل العزة المتكبرين الجبارين الذين يريدون علوا في الأرض من المفسدين في الأرض فالمؤمنون في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ و هم الخاشعون من الرجال و الخاشعات من النساء الذين أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً و نعت أصحابه في الآخرة فقال خاشِعِينَ من الذُّلِّ يَنْظُرُونَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ و قال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً تُسْقى من عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا من ضَرِيعٍ و لا يكون الخشوع حيث كان إلا عن تجل إلهي على القلوب في المؤمن عن تعظيم و إجلال و في الكافر عن قهر و خوف و بطش قال ع حين سئل عن كسوف الشمس إن الله إذا تجلى لشيء خشع له خرجه البزار و إذا وقع التجلي حصل الخشوع و أورث التجلي العلم و العلم يورث الخشية إِنَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ الْعُلَماءُ و الخشية تعطي الخشوع و الخشوع يعطي التصدع و هو انفعال الطبع للخشوع و التصدع تقصف و تكسر في الأعضاء و الغطيط الذي يسمع فيها كل ذلك من أثر الطبع القابل لأثر الوارد في التجلي الإلهي و هو الذي كنى عنه الشرع بالغت و الغط في نزول الوحي عليه كصلصلة الجرس و هو أشده عليه فإن نزوله شديد على هذا الهيكل البشري و لا سيما إن كان النزول بالقرآن كما قال وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ به الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ به الْأَرْضُ و قد يكون من الجبال القوة الماسكة الطبع الذي من شأنه الميل نظير الميد في الأرض و يكون من الأرض أرض الأجسام الطبيعية أَوْ كُلِّمَ به الْمَوْتى و من أصناف الموت الجهل يقول تعالى أَ وَمن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ لكان هذا القرآن يحيا بما فيه من العلم و يقطع به الأرض و تسير الجبال بما فيه من الزجر و الوعيد و قوله قُرْآناً بالتنكير دليل على أحد أمرين إما على آيات منه مخصوصة كما ضرط الجبار عند ما سمع صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ و إما أن يكون ثم أمر آخر ينطلق عليه اسم قرآن غير هذا

لغة و لو حرف امتناع لامتناع فهل هو داخل تحت الإمكان فيوجد أو ما هو ثم إلا بحكم الفرض و التقدير فأما عندنا فكل كلام إلهي من كلمة مركبة من حرفين إلى ما فوق ذلك من تركيبات الحروف و الكلمات المنسوبة إلى الله بحكم الكلام فإنه قرآن لغة و له أثر في النزول في المحل المنزل عليه إذا كان في استعداده التأثر بنزوله فإن لم يكن فلا يشترط و الاستعداد من المحل أن يكون حاله العبودة و العبودية و أثره في حال العبودية أتم منه في حال العبودة فإن سمع المحل أو نزل عليه في حال كون الحق سمعه حصل له النزول و لم يظهر له أثر عليه لأنه حق في تلك الحالة فينتفي عنه الخشوع و هذا أصل يطرد في كل وصف لا يكون له في الألوهة مدخل كالذلة و الافتقار و الخشوع و الخوف و الخشية فإنه يتأثر صاحب هذا الحال و كل كون يكون حالة نعت إلهي كالكرم و الجود و الرحمة و الكبرياء فإنه لا يؤثر في صاحبه أصلا فإنه نعت حق فله العزة و المنع هذا مطرد و قد نزل علينا من القرآن ذوقا عرفنا من ذلك صورة نزوله على نبيه ص فوجدنا له ما لم نجد لحفظ حروفه و لا لتدبر معانيه و نزل علينا في الحالين فأثر في الحال الواحد الكوني و لم يؤثر في الحال الإلهي إلا لذة خاصة فإنه لا بد منها و أما خشوعا فلا و لهذا ينسب إلى الجناب الإلهي الأقدس ما ينسب من الفرح و هو التذاذ ثم إن الله جعل مثل هذا أمثالا مضروبة للناس يُضِلُّ به كَثِيراً وَيَهْدِي به كَثِيراً وَما يُضِلُّ به إِلَّا الْفاسِقِينَ الخارج عن الحالين و العاري عن التلبس بالحكمين و هي حالة الغافلين عما خلقوا له و عما فضلوا به لم يمت أبو يزيد حتى استظهر القرآن و هو تنزيله عليه ذوقا و من استظهر القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه كذا قال ص و هذا الفرق بين تنزله على النبي ص و بين تنزله علينا فإنه منزل في النبي ص على قلبه و في صدره فنبوته له مشهودة و ينزل علينا بين جنبينا من وراء حجابنا فهو لنا في الظهر لا في الظهور فنبوتنا مستورة عنا مع كوننا محلا لها فمن خشع تصدع و من علم يخشى

(الباب الحادي عشر و مائة في ترك الخشوع)

من تجلى لنفسه كيف يخشع و به تنظر العيون إليه

فقوانا قواه من غير شك هكذا نص لي الرسول عليه

إذا كان العبد في نعت إلهي و ورد التجلي عليه و تلقاه بذلك النعت أورثه لذة و فرحا و ابتهاجا و سرورا و لم يجد خشوعا و لا ذلة فينسب ذلك الفرح للظاهر في المظهر لا من حيث هو ظاهر فهو سرور بكمال و أثره في المظهر من حيث ما هو مظهر فهو محجوب عن ذاته بربه في حال صحوه و ظهوره و حضوره و إثباته و بقائه و ترك الخشوع لمن ليست هذه حالته مذموم مطرود

(الباب الثاني عشر و مائة في مخالفة النفس)

خالف هواك فإنه محمود و اعلم بأنك وحدك المقصود

الكل يسعد غير من هو مثله فلتلق سمعك لي و أنت شهيد

أنت العزيز فذق وبال صفاته يوم القيامة و الأنام شهود

اعلم أيدك الله أن مخالفة النفس هو الموت الأحمر و هو حال شاق عليها و هي المخالفة نفسها فالمخالف عين المخالف و هذا من أعجب الأمور أعني وجود المشقة نعم لو كان المخالف نفسا أخرى لم يكن التعجب من حصول المشقة في ذلك و نحن بحمد الله حيث قلنا بمخالفتها و لم نقل تخالف بالمقابل فقد يكون الخلاف بما ليس بمقابل فيجمع بين وجود الخلاف و بين المساعدة و سيأتي في الباب الذي بعد هذا الباب و فائدة المخالفة عظيمة و اعلم أنه لا يخالف النفس إلا في ثلاثة مواطن في المباح و المكروه و المحظور لا غير و أما إذا وقعت لها لذة في طاعة مخصوصة و عمل مقرب فهنالك علة خفية يخالفها بطاعة أخرى و عمل مقرب فإن استوى عندها جميع التصرفات في فنون الطاعات سلمنا لها تلك اللذة بتلك الطاعة الخاصة و إن وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول إلى الشاق واجب لأنها إن اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحظور و المكروه و المباح و إنما صعب على النفس المخالفة لكريم أصلها و علو منصبها فإن النيابة الإلهية في العالم لها فتقول في نفسها بيدي أزمة الأمر و ملاكه و لا سيما و قد خلقني الله تعالى على الصورة فمخالفتي مخالفة الحق من هذا المقام يكون لها المخالفة موتا أحمر و حجبت هذه النفس عن الاتساع الإلهي و عما خلقت له و عن العلم بأن الصورة ليست لكل نفس و إنما هي للنفس الكاملة كنفوس الأنبياء و من كمل من الناس فلو كملت هذه النفس ما كانت المخالفة لها موتا أحمر فإن لذة العرفان تعطيها الحياة التي لا موت فيها فالوجود و الفتح مقرونان بمخالفتها في كل شيء ينبغي أن تخالف فيه فافهم

(الباب الثالث عشر و مائة في معرفة مساعدة النفس في أغراضها)

ساعد النفس إنها نفس الحق و نعت له فأين تغيب

أنظر الحق في الوجود تراه عينه فالبغيض فيه الحبيب

ليس عيني سواه إن كنت تدري فهو عين البعيد و هو القريب

إن رآني به فمني أراه أو دعاني إليه فهو المجيب

مخالفتها عين مساعدتها فإنها بها تخالفها فانتقلت منها إليها فما زلت عنها ثم اعلم أن للنفس غرضين ذاتي و عرضي فالذاتي هو جلب المنافع و دفع المضار و العرضي هو ما عرض لها من جانب الشريعة و قد يكون من جانب الغرض و قد يكون من جانب ملاءمة الطبع و

قد يكون من جانب طلب الكمال فكلها في الطريق الذي نحن بسبيله غير معتبر إلا جانب الشريعة خاصة فإنها التي وضعت الأسباب الفاضلة التي بفعل ما أمرت بفعله و بترك ما نهت عن فعله وجبت السعادة و حصلت المحبة الإلهية و كان الحق سمع العبد و بصره ففصل الشارع لها جميع ما يرضيه منها و ما يسخطه من ذلك عليها إن فعلته و ما لا سخط فيه و لا رضي فما كان مما يرضي الله فهو إلقاء ملكي و في حق النبي إلقاء ملكي و إلهي و ليس للإلقاء الإلهي مدخل في الأولياء الأتباع جملة واحدة أعني في الأحكام بتحليل أو تحريم و ما كان مما يسخط الله فهو إلقاء شيطاني لا ناري فمن الجن من يلقي الخير في قلوب الصالحين لهم بهم تلبس عظيم و امتزاج و محبة فما كان مما يلقي الشيطان فهو ملذوذ للنفس و محبب لها و مزين في عينها في الوقت مر العاقبة في المال و إلقاء الملك قد يكون مرا في الوقت لكنه ملذوذ في المال و كلتا الحالتين لا تقتضيهما النفس من ذاتها فلا ينبغي للعاقل أن يساعد النفس فيما تتعلق به من الأمور التي تأمره بها مما يقع له فيها غرض إما عرضي أو ذاتي إلا المؤمن و العارف فالمؤمن يساعدها في الغرض الذاتي و هو كل ما تأمره به من المباح خاصة و من ملذوذات الطاعات و أما العارف الذي الحق سمعه و قواه فيساعدها في جميع أغراضها فإنه نور كله و النور ما لا ظلمة فيه و لذلك كان ص يقول في دعائه و اجعلني نورا لأن النفس ما ينسب إليها ذم إلا بعد تصريفها آلتها في المذموم و هو الظلمة فيقال قد اغتاب الغيبة المحرمة عليه و قد كذب الكذب المحرم عليه و قد نظر النظر المحرم عليه و ما لم يظهر الفعل على الآلات لم يتعلق بها ذم و العارف قد وقع الإخبار الإلهي عنه بأن الحق جميع قواه فذكر الآلات فلهذا أبحنا للعارف مساعدة النفس لما هو عليه من العصمة في ظاهره الذي هو الحفظ

(الباب الرابع عشر و مائة في معرفة الحسد و الغبط)

حسد القلب حصاد و هوى النفس بعاد
عينه في الجنس تبدو و هو الملك الجواد
فإنا أحسد مثلي و بهذا القوم سادوا
ما لنا مثل سوانا حسد الحق العباد
لو دري الناس الذي قلت لما كان العناد

الحسد وصف جبلي في الإنس و الجان و كذلك الغضب و الغبط و الحرص و الشرة و الجبن و البخل و ما كان في الجبلة فمن المحال عدمه إلا أن تنعدم العين الموصوف بها و لما علم الحق أن إزالتها من هذين الصنفين من الخلق لا يصح زوالها عين لها مصارف يصرفها فيها

فتكون محمودة إذا صرفت في الوجه الذي أمر الشارع أن تصرف فيه وجوبا أو ندبا و تكون مذمومة إذا صرفت في خلاف المشروع و إذا عرفت هذا فلا عناد و لا نزاع قال ص زادك الله حرصا و لا تعد و قال منهومان لا يشبعان طالب دنيا و طالب علم فطلب الدنيا قد يكون مذموما و قد يكون محمودا و طلب العلم محمود بكل وجه غير إن المعلومات متفاضلة فبعضها أفضل من بعض و تختلف باختلاف القصد فإن طلب العلم بالمثال من جهة من قامت بهم لا من حيث أعيانها و طلب بعضها بطريق التجسس مذموم فما ثم على التحقيق ما هو مخلص لأحد الجانبين أين قوله وَ من شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ من قوله لا حسد إلا في اثنتين و كذلك أين الغضب لله من غضب الإنسان لنفسه من غضبه حمية جاهلية فجميع ما جبلت النفس عليه لا يزول بالمجاهدة و لا بالرياضة و إنما تختلف مصارفها فيختلف اللسان عليها بالذم و الحمد فإن أخذ بها جهة اليمين فبخل بدينه و حرص على فعل الخير و غضب لله حمد و إن أخذ بها جهة الشمال فغضب حمية جاهلية و بخل بما فرض عليه الجود به كالزكاة و تعليم العلم ذم حقا و خلقا و علم هذا الباب فيه راحة عظيمة و منفعة للناس و هم عنها غافلون انتهى الجزء الثامن و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الخامس عشر و مائة في معرفة الغيبة و محمودها و مذمومها)

إذا نزل الحق من عزه إلى منزل الجوع و المرحمة
فخذه على حد ما قاله فإن به تحصل المكرمة
و لا تلقينه على جاهل فتحصل في موقف المندمه
فغيبك الحق في ذكره بما لم يقل و هي المشأمة
و إن كان حقا و لكنه إذا قاله قائل قال مه

اعلم فهمك الله ما أسمعك أن الغيبة ذكر الغائب بما لو سمعه ساءه و هي حرام على المؤمنين فالحق لا يغتاب لأنه السميع البصير في نفس الأمر و عند العلماء به و قد أبان لعباده ما يكرهه منهم و ما يحمده فَمِنْهُمْ من آمَنَ وَ مِنْهُمْ من كَفَرَ فلا يغتاب أيضا اسم فاعل و اسم مفعول فالغيبة حرام على المكلفين فيما بينهم و يجتنبها أهل المروءات من غير المؤمنين نزاهة و شرف نفس لأن اجتنابها يدل على كرم الأصول إلا في مواطن مخصوصة فإنها واجبة و قربة إلى الله و أهل الورع من المؤمنين يعرضون بها و لا يصرحون فمن ذلك في طريق الجرح الذي يعرفه المحدثون في رواة الأحكام المشروعة روينا عن بعض العلماء بالله أنه كان يقول في ذلك لصاحبه تعال نغتب في الله و منها

عند المشورة في النكاح فإنه مؤتمن و النصيحة واجبة و منها الغيبة المرسلة و هو أن يغتاب أهل زمانه من غير تعيين شخص بعينه و منها غيبة المشايخ المريدين في حال التربية إذا كان فيها صلاح المريد إذا وصل ذلك إليه و مع كون الغيبة محمودة في هذه المواطن فعدم التعيين فيها أولى من التعيين فإن النبي ص يقول لا غيبة في فاسق نهيا لا نفيا على هذا أخذ أهل الورع هذا الخبر و طريق التعريض هين المأخذ و ما عدا أمثال هذه المواطن فهي مذمومة يجب اجتنابها و من هذا الباب تجريح الشهود إذا عرف المشهود عليه أنهم شهدوا بالزور فوجب عليه نصرة الحق و أهله و خذلان الباطل و أهله و من هنا يتبين لك أن العدم هو الشر فإن شهداء الزور مالوا إلى جانب العدم و رجحوه على الوجود و وصفوا بالكون ما ليس بكائن و جعله الله على لسان رسوله من الكبائر لأنه ما مدلول قولهم إلا العدم و مع هذا كله إن استطاع من هو من أهل طريق الله التعريض لا التصريح حتى يفهم عنه ما يريد إذا علم إن في ذلك منفعة دينية فليفعل فهو أولى و يحصل الغرض و يكون اللسان قد وفى ما تعين عليه من غير فحش في المنطق و هذا كله ما دام يسمى مؤمنا و أما إن كان هذا الشخص في مقام من كان الحق سمعه و بصره و لسانه فحاله غير حال المؤمن مع أنه من أهل الايمان و اعلم أن الله تعالى ما خلق داء إلا و خلق له دواء و الأدوية على نوعين دواء العامة و هو الذي يقدر عليه كل أحد و الدواء الآخر دواء ملكي و هو الذي لا يقدر عليه إلا الملوك و الأغنياء لنفاسته و غلو ثمنه فلا يقدر عليه إلا المتمكن من المال و السلطان و هكذا قسم الأدوية أهل الطب و صادفوا الحق في ذلك فأما الدواء العام النافع الداخل تحت قدرة كل أحد من غني و فقير و سوقة و ملوك من داء جميع الذنوب و المعاصي فهو التوبة و إرضاء الخصوم من شروطها مما يقدر عليه من ذلك و عينه عليه الشارع إذا كان ذلك الداء مما ينبغي أن يرضى فيه الخصوم و إذا كان مما لا ينبغي فيتوب و لا يرضى خصمه فإنه إن أرضاه قد يقع في محظور أشد مما كان قد تاب عنه فلا يغفل عنه و أما الدواء الملكي فلا يستعمله إلا العارفون السادة من رجال الله و هم الذين يكون الحق سمعهم و بصرهم و لسانهم و هو قوله عقيب قوله وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ هذا خطاب عام ثم قال وَاتَّقُوا الله هذا هو الدواء و معناه اتخذوه وقاية بينكم و بين هذه الأمور المذمومة التي الغيبة منها فإذا اتخذتموه جنة تعاورت هذه الجنة سهام هذه الأفعال و هي قوية لا تنفذها هذه السهام فيكون المتقي بها في حمايتها و لا يكون الحق وقاية للعبد حتى يتلبس به العبد كما يتلبس المتوقى بالجنن من الدرع الحصينة و غيرها و صورة تلبسه أن يكون الحق سمعه و لسانه و جميع قواه و جوارحه في حال تصرفها فيما هي له فيكون نورا كله فنبه الله في كتابه على هذه الأدواء الملكية السلطانية مثل قوله تعالى فَأَلْهَمَها فُجُورَها و الغيبة من الفجور وَتَقْواها أي الذي يتخذه وقاية من هذا الفجور و لم يجعل الفجور من أوصافها و إنما جعله مجعولا فيها من الملهم لها كما أيد هذا بقوله أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فما جعل التزيين له بل قال زَيَّنَّا لَهُمْ

أَعْمالَهُمْ و قال زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ و لما أضاف التزيين إليه سبحانه قال فَهُمْ يَعْمَهُونَ أي يحارون و الحيرة من صفات الأكابر و صفة الحيرة في مثل هذا أنه الأمر في إيجاده للملهم المزين و المجعول فيه الملهم و المزين له مأمور باجتنابه و هو الاتصاف بما ألهم له و ما زين من قبل أن يظهر بالفعل فهو مذموم غير مؤاخذ به حتى يتلبس به في الظاهر ثم قال في أمور من هذا الباب إنه رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ و هو البعيد من الرحمة فَاجْتَنِبُوهُ أي و كونوا مع الاسم القريب من الرحمة و من أسمائه سبحانه البعيد فمن اتخذ الحمق جنة و وقاية كما أمر لم تضره هذه الأشياء فإن الله تعالى ما نبهه على استعمال هذه الأدواء إلا لإقامة العذر منه إذا سئل عن مثل هذا و المؤمن غيب خلف جنته فهو في حمى فلا يخرج عن حماه و الفاسق الذي لا غيبة فيه ليس بغائب خلف جنته بل هو خارج عنها لأن الفسوق الخروج فقال لا غيبة في فاسق فمن أخرج غيبا يستحق أن يكون غيبا إلى شهادة فقد أخطأ و لهذا أضاف الغيبة إلينا فقال وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فجعلنا نشأة واحدة ذات أبعاض فإن الجزء و التفصيل إنما يرد على الكل فما خرجنا عنا و لا وقعنا إلا فينا فشدد الأمر علينا في ذلك فإن القاتل نفسه حرمت عليه الجنة و هي الساترة فإن الشيء لا يستتر عن نفسه و كل من ذكر غائبا فقد صيره شهادة و غربه عن موطنه و موت الغريب شهادة فالمغتاب فاعل خير في حق من اغتابه و إن كان يكره ذلك ففيه منفعة كشارب الدواء الكرة وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و إذا كان فاعل خير من غير قصد فهو ممن أجرى الله الخير لزيد على يديه فيكون جزاؤه جزاء من وفق لعمل خير من غير قصد في حق من اغتابه لكن ذلك مقصود لمن ألهمه إياه و سماه فجورا في حقه فيصلح الله يوم القيامة بين عباده لما يراه المظلوم من الخير الواصل إليه على يدي أخيه فيشكره على ذلك فيسعدان جميعا و في الخبر الصحيح فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فالغيبة و إن كانت مذمومة فهي من ذلك الوجه محمودة في حق من اغتيب فمال ذلك إلى الخير إذ كانت الجنة و الوقاية الحائلة بينهما الحق و الحق و الغيبة وجود ما هي عدم فوقع التناسب بين الموجودين فاندرج الأضعف في الأقوى فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس عشر و مائة في معرفة القناعة و أسرارها)

إن القناعة باب أنت داخله ... إن كنت ذاك الذي يرجى لخدمته

فاقنع بما أعطت الأيام من نعم ... من الطبيعة لا تقنع بنعمته

لو كان عندك مال الخلق كلهم ... لم يأكل الشخص منه غير لقمته

ليست القناعة عندنا الاكتفاء بالموجود من غير طلب المزيد أرسل الله تعالى على أيوب و هو نبي مكرم قيل فيه نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ و أثنى عليه بالصبر مع دعائه ربه في كشف الضر عنه فازاله فلما أرسل عليه رجلا من جراد من ذهب فأخذ يجمعه في ثوبه فقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال يا رب لا غنى بي عن خيرك فإن كان فعل هذا لما هو عليه ظاهر الحال فهو ما أردنا و إن كان ليقتدي به في ذلك فما فعل إلا ما هو أولى بالقربة إلى الله من تركه و هو من الَّذِينَ هَدَى اللهُ و أمر الله نبيه ص بالاقتداء بهداهم و قال لنا لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ و القناعة عندنا على بابها في اللسان و هي المسألة و القانع السائل و السؤال من الله لا من غيره يقال قنع يقنع قنوعا إذا سأل و هو الذي رفع سؤاله إلى الله و هو قوله في الظالمين يوم القيامة مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ أي رافعين إلى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم و يجتمع الحدان في أمر و هو أن السائلين الله قنعوا به في سؤالهم و التجائهم إليه فلم يسألوا غيره تعالى فهذا معنى قول الأكابر الاكتفاء بالموجود و هو الله بالسؤال عن طلب المزيد و هو أن يتعدى بالسؤال إلى غيره و الخلق عيال الله أي الفقراء إلى الله فمن سأل غير الله فليس بقانع و يخاف عليه من الحرمان و الخسران فإن السائل موصوف بالركون لمن سأله و الله يقول وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ و من ركن إلى جنسه فقد ركن إلى ظالم فإن الله يقول في الإنسان إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً لحمله الأمانة و ما من أحد من الناس إلا حملها فلا تركن إلى غير الله و اكتف بالله في سؤالك تسعد إن شاء الله و للقناعة درجات عند العارفين من أهل الأنس و الوصال و هي ستمائة و اثنتان و خمسون درجة و درجاتها عند العارفين من أهل الأدب و الوقوف مائتان و سبع و خمسون درجة و درجاتها عند الملامية من أهل الأنس و الوصال ستمائة و إحدى و عشرون درجة و درجاتها عند الملامتية من أهل الأدب و الوقوف مائتان و ست و عشرون درجة و للقناعة الدعوى و لها نسبتان نسبة إلى عالم الجبروت و نسبة إلى عالم الملكوت و ليس لها إلى عالم الملك نسبة ظاهرة بل لها نسبة باطنة إلى عالم الملك يظهر ذلك القنوع و هذا القدر كاف فيها و الله الموفق

(الباب السابع عشر و مائة في مقام الشرة و الحرص في الزيادة على الاكتفاء)

لا تقنعن بشيء دونه أبدا و اشره فإنك مجبول على الشرة

و احرص على طلب العليا تحظ بها فليس نائمها عنها كمنتبه

إن الحلال حلال ما وثقت به و ليس مال حرام مثل مشتبه

اعلم أيدك الله أن هاتين الصفتين مجبول عليهما الإنسان بما هو إنسان و كل ما هو الإنسان مجبول عليه فمن المحال زواله فهو مقام لا حال فإنه ثابت و يتطرق إليه الذم من جهة متعلقة إذا كان مذموما شرعا و عقلا قال تعالى وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ و قال ص زادك الله حرصا و لا تعد فالآية موجهة لطرفي الحمد و الذم لو لا الضمير الذي في قوله وَلَتَجِدَنَّهُمْ فإنه يعود على قوم مذمومين و قرينة الحال تدل على أن مساقه الحرص فيها على الذم تكذيبا لهم فيما ادعوه من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس فمن نظر في الحرص هنا الدلالة على كذبهم كان محمودا فيهم لأنه دليل إلهي على كذبهم فهو من جانب الحق فيهم عليهم حجة لله و لله الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ و المذموم هو المذموم من كل وجه من حيث ما هو فيهم لا من حيث دلالته عليهم و كان متعلقة ما يفنى و تكذيب الصادق كان مذموما و أما في الخبر الذي أوردناه فهو محمود لأنه حرص على أداء عبادة مفروضة ثم إنه مع هذا فإنهما صفتان من صفات العالم الوارث المكمل الذي هو سائس أمة فهو ينظر فيما فيه صلاحهم كما قال في نبيه ص يمدحه به حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ فمدحه بالحرص على ما تسعد به أمته و شرهه و حرصه على إسلام عمه أبي طالب إلى أن قال له قلها في أذني حتى أشهد لك بها لعلمه بأن شهادته مقبولة و كلامه مسموع فيعرف الكامل نائب الله في عباده نوائب الزمان المستأنفة فيستعد لها عن الأمر الذي كان له منه الاطلاع على منازلتها فيتخيل من لا علم له أنه سعى في حق نفسه و ليس الأمر كذلك و هو كذلك فإنه يباهي الأمم بالأتباع من أمته فكان يطلب الكثرة من المؤمنين و لكن لا بد لهذا الشرة من وجود الشرطين الاطلاع و الأمر الإلهي و هو الشرط الأعظم و أما الاطلاع و إن اشترط فهو شرط ضعيف فإنه لا يشترط إلا لمن ادعى أنه يدخر في حق الغير ثم يتناول من ذلك المدخر في حق نفسه فيقال له هل أطلعك الله على من له هذا المدخر عندك و هل اطلعت على أنه لا يصل إليهم إلا على يدك فإن قال نعم سلم له الادخار و إن قال لا قيل له فحرصك ما قام على أصل مقطوع بصحته فدخله الخلل فإن قيل فقد قالت طائفة من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره قلنا هذا صحيح و هذا لا يناقض حال هذا الحريص على الكسب و الادخار و المزاحمة لأبناء الدنيا الذين لا توكل لهم على ذلك فإن التوكل أمر باطن و هو الاعتماد على الله و هذا المدخر إن كان اعتماده على ما ادخره فهذا يناقض التوكل و إن لم يعتمد عليه فليس يناقض لكن يناقض التجريد الظاهر و قطع الأسباب و ليس هذا من أحوال المكملين و إنما هو من أحوال السالكين ليكون لهم ما اتخذوه عقدا ذوقا فإن الذوق أتم في التمكن فإنه يزيل الاضطراب في حال عدم السبب الذي من عادة النفس أن تسكن إليه و سيرد تحقيق هذا في مقام التوكل بعد هذا إن شاء الله و لهذا الشرة و الحرص من الدرجات عند العارفين سواء كانوا من أهل الأدب و الوقوف أو من أهل الأنس و الوصال ثمانمائة و خمس و ستون درجة و عند الملامتية سواء كان الملامي من أهل الأنس و الوصال أو من أهل الأدب و الوقوف ثمانمائة

درجة و ثلاث درجات فإن كان العارفون من أهل الأسرار فلهم من الدرجات ألف و خمسمائة و خمس و ثلاثون درجة و إن كانوا من أهل الأنوار فلهم ثمانمائة درجة و خمس و ستون درجة و إن كان الملامية من أهل الأسرار فلهم ألف و أربعمائة و ثلاث و سبعون درجة و إن كانوا من أهل الأنوار فلهم ثمانمائة و ثلاث درجات و هو نعت إلهي فإنه يقول عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ و كذلك الحرص نعت إلهي أيضا و هو الذي يقتضيه قول الله لملائكته في المتشاحنين أنظروا هذين حتى يصطلحا و تسخير الملائكة في حق المؤمنين بالاستغفار و الدعاء لهم فهذا من ثمرته و إن لم يرد الإطلاق اللفظي به فإن هذه الأمور على قسمين منهما ما ورد إطلاق اللفظ بأسمائها على الجناب الإلهي و منها ما وجد منه آثارها و لم يطلق عليه منها اسم و منها ما نسب الفعل الذي يكون منها إليه و لم يطلق عليه منه اسما و منه ما أطلق عليه منه اسما في جماعة بحكم التضمين فمثل ما نسب إليه الفعل و لم يطلق الاسم قوله اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و قوله سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ و مثل ما نسب إليه الفعل و أطلق عليه الاسم في جماعة بحكم التضمين قوله وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ و مثل ما أطلق عليه منه اسم قوله وَهُوَ خادِعُهُمْ و مثل ما وجد منه آثارها و لم يطلق عليه منها اسم و لا فعل قوله عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ

(الباب الثامن عشر و مائة في مقام التوكل)

من يتخذ رب العباد وكيلا ... سلك الصراط و كان أَقْوَمُ قِيلًا

إن الذي فيه يوكل ربه ... عبد الإله يقارن التنزيلا

يا طالبا ما ليس يعلم ما له ... لا تتخذ غير الإله وكيلا

التوكل اعتماد القلب على الله تعالى مع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب الموضوعة في العالم التي من شأن النفوس أن تركن إليها فإن اضطرب فليس بمتوكل و هو من صفات المؤمنين فما ظنك بالعلماء من المؤمنين و إن كان التوكل لا يكون للعالم إلا من كونه مؤمنا كما قيده الله به و ما قيده سدى فلو كان من صفات العلماء و يقتضيه العلم النظري ما قيده بالإيمان فلا يقع في التوكل مشاركة من غير المؤمن بأي شريعة كان و سبب ذلك أن الله تعالى لا يجب عليه شيء عقلا إلا ما أوجبه على نفسه فيقبله بصفة الايمان لا بصفة العلم فإنه فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ فلما ضمن ما ضمن و أخبر بأنه يفعل أحد الممكنين اعتمدنا عليه في ذلك على التعيين و صدقناه لأنه بالدليل و العلم النظري فعلم صدقه فسكوننا و عدم اضطرابنا عند فقد الأسباب إنما هو من إيماننا بضمانه فلو بقينا مع العلم اضطربنا فالعالم إذا سكن فمن كونه مؤمنا و كونه مؤمنا من كونه عالما بصدق الضامن و تحقيق الوكالة من يستحقها هل الله أو هل العالم أو هل لله منها نصيب و للعالم نصيب فاعلم إن الوكالة لا تصح إلا في موكل فيه و ذلك الموكل فيه أمر يكون للموكل ليس لغيره فيقيم فيه وكيلا و يتصرف فيما للموكل أن يتصرف

فيه مطلقا فمن نظر أن الأشياء ما عدا الإنسان خلقت من أجل الإنسان كان كل شيء له فيه مصلحة يطلبها بذاته ملكا له و لما جهل مصالح نفسه و مصالحه ما فيها سعادته خاف من سوء التصرف في ذلك و قد ورد فيما أوحى الله لموسى يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فقال إذ و قد خلق الأشياء من أجلي فما خلق إلا ما يصلح لي و أنا جاهل بالمصلحة التي في استعمالها نجاتي و سعادتي فلنوكله في أموري فهو أعلم بما يصلح لي فكما أنه خلقها هو أولى بالتصرف فيها هذا يقتضيه نظري و عقلي من غير إن يقترن بذلك أمر إلهي فكيف و قد ورد به الأمر الإلهي فقال لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا نبه بهذا الأمر أنه لا ينبغي الوكالة إلا لمن هو إله لأنه عالم بالمصالح إذ هو خالقها كما قال أَلا يَعْلَمُ من خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فاتخذه المؤمن العالم وكيلا و سلم إليه أموره و جعل زمامها بيده كما هو في نفس الأمر فما زاد شيئا مما هو الأمر عليه في الوجود و مدحه الله بذلك و ما أثر في الملك شيئا و هذا غاية الكرم الثناء بالأثر على غير المؤثر بل الكل منه و إليه فهذا حظ الناظر الأول و الناظر الثاني هو أن يقول ما خلق الله الأشياء من أجل الأشياء و إنما خلقها ليسبحه كل جنس من الممكنات بما يليق به من صلاة و تسبيح لتسري عظمته في جميع الأكوان و أجناس الممكنات و أنواعها و أشخاصها فقال كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ و قال وَ إِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فالكل له تعالى ملك و إذا كان الأمر على هذا و لم يخلق على الصورة الإلهية سوانا و وصف نفسه بالغيب عن الأشياء و أسدل الحجب بينها و بين أن ندركه فهو يدركها و لا تدركه لأنها لا تعرفه فأقام الإنسان خليفة و هو الوكيل فقال وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فحد لنا في الوكالة أمورا لا تعداها فما هي وكالة مطلقة مثل ما وكلناه نحن فحد حدودا لنا إن تعدينا ها تعدينا حدود الله وَ من يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ و على النظر الأول جاء القرآن كله فإنه ما قال إلا توكلوا و قال المتوكلون فرجح النظر الأول و هو أن نتخذ وكيلا في المصلحة لنا لا في الأشياء فيجمع بين النظرين و هي حالة ثالثة شهدناها و ما رأيناها لأحد من طريقتنا فقلنا إنه خلق الأشياء له لا لنا و أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و من خلقنا افتقارنا إلى ما يكون به صلاحنا حيث كنا من دنيا و آخرة و لا نعلم طريقنا إلى المصلحة لأنه ما خلق الأشياء من أجلنا فوكلناه ليسخر لنا من هذه الأشياء ما يرى فيه المصلحة لنا امتنانا منه و امتثالا لأمره فنكون في توكلنا عليه عبيدا مأمورين ممتثلين أمره نرجو بذلك خيره فوقع التوكل في المصالح لا في عين الأشياء و هذا برزخ دقيق لا يشعر به كل أحد للطافته و هو جمع بين الاثنين و تثبيت للحكمين و إن كان قد تكلم أهل هذا المقام فيه و ما من أحد منهم إلا نزع لأحد الطرفين من غير جمع بينهما فالرجال المنعوتون بهذا المقام منهم من يكون بين يدي الله فيه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء و لا يعترض عليه في شيء و منهم من حالته فيه حال العبد مع سيده في مال سيده و منهم من حاله فيه حال الولد مع والده في مال ولده و منهم من حاله فيه حال الوكيل مع موكله بجعل كان أو بغير جعل و الذي عليه المحققون

و به نقول إن التوكل لا يصح في الإنسان على الإطلاق على الكمال لأن الافتقار الطبيعي بحكم ذاته فيه و الإنسان مركب من أمر طبيعي و ملكوتي و لما علم الحق أنه على هذا الحد و قد أمر بالتوكل و ما أمر به إلا و هو ممكن الاتصاف به و قد وصف نفسه بالغيرة على الألوهية فأقام نفسه مقام كل شيء في خلقه إذ هو المفتقر إليه بكل وجه و في كل حال فقال يا أيها الناس و ما خص مؤمنا و لا غيره أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فما افتقرتم إليه من الأشياء هو لنا و بأيدينا و ما هو لنا فما يطلب إلا منا فإلينا الافتقار لا إليه إذ هو غير مستقل إلا بنا و ليكن للتوكل أحوال يصح الاتصاف بها بها يسمى توكلا و بلغني عن واحد من أهل طريق الله أنه قال بما أشرنا إليه في هذه المسألة متنا و ما شممنا لهذا التوكل رائحة لأنه يطلب سريانه في الكل للافتقار الطبيعي الذي فيه و التوكل مقام لا يتبعض إلا بالمجاز و نحن أهل حقائق فلو صح في وجه كما يزعم هذا المدعي لصح في جميع الوجوه و له الدعوى و صاحبه مسئول و له الكشف و درجاته عند العارفين أربعمائة و سبع و ثمانون و درجات الملاميين فيه أربعمائة و ست و خمسون و له نسب إلى العالم كله من ملك و ملكوت و جبروت

(الباب التاسع عشر و مائة في ترك التوكل)

أنت الخليفة فيما أنت مالكه ... والحق ليس به نفع و لا ضرر

ترك التوكل حال ليس يعلمه ... غير الوكيل فلا روح و لا بشر

كيف التوكل و الأعيان ليس سوى ... عين الموكل لا عين و لا أثر

التوكل مشروع فينال الحد المشروع منه و التوكل الحقيقي غير واقع من الكون في حال وجوده فما هو إلا للمعدوم في حال عدمه و ما ثم مقام يتصف به المعدوم و لا يصح في الموجود من جهة الحقيقة إلا التوكل فلا يزال المعدوم موصوفا بالتوكل حتى يوجد فإذا وجد خرج عنه التوكل فذلك المعبر عنه بترك التوكل ثم أقول لا يصح ترك التوكل المعروف عند العامة من أهل الله إلا لرجلين الواحد علم أنه لا يصح فترك الشروع فيه لأنه عنده لا يمكن تحصيله لما رأى نفسه إذا أخذه ألم الجوع و عنده ما يدفعه به تناوله ليزيل ألم الجوع فلا فرق بينه و بين من يسترقي و يتطبب و يلجأ إلى محل الأمن من الأمور المخوفة مع الصحو و توفر العقل و العلم التام فالتوكل من حيث ما هو مقام هو حاصل و من حيث حاله ليس بحاصل فالتوكل يصح لا يصح و أما الرجل الآخر قال إن الله أعلم بمصالح الخلق و قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ففيم التوكل مع هذا الفراغ فترك التوكل فإنه ما بقي له ما يعتمد على الله فيه لأنه قال فرغ ربك و مع هذا فهو واقف مع الأمر و النهي عامل بما أمر به أو نهى عنه من الأعمال قائم بالحكم المشروع عليه فمن أسرار التوكل ترك التوكل فإن ترك التوكل يبقي الأغيار و التوكل

ينفي الأغيار و عند أكثر القوم أن الأعلى ما ينفي لا ما يبقى و عندنا و عند شيخنا أبي السعود بن الشبلي و أبي عبد الله الهواري بتنس من بلاد المغرب و أبي عبد الله الغزال بالمرية ببلاد الأندلس و أبي عمران موسى بن عمران الميرتلي بإشبيلية و غيرهم إن الأعلى ما يفنى ما ينبغي و يبقى ما ينبغي في الحال التي تنبغي و الوقت الذي ينبغي و به كان يقول عبد القادر الجيلي ببغداد فإن الله تعالى أفنى و أبقى يقول تعالى ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ فلا تعتمد عليه وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ فتعتمد على الله في بقائه فأفنى و أبقى و الإفناء حال أبي مدين في وقت إمامته و لا أدري هل انتقل عنه بعد ذلك أم لا لأنه انتقل عن الإمامة قبل أن يموت بساعة أو ساعتين الشك مني لبعد الوقت و صاحب ترك التوكل ما له دعوى و هو غير مسئول لأنه أمر عدمي فجرى مجرى الأصل في قوله تعالى هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ من الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً يريد عدمه في عينه لأنه كان مذكورا لله تعالى و الدهر اسم من أسماء الله و لهذا الاشتراك اللفظي نهي عن سب الدهر و قال إن الله هو الدهر و ما ثم عين تسب لعينها و إنما تسب لما يصدر منها و ما يصدر كون إلا من الله و الدهر الزماني نسبة و قوله لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً يعني الإنسان في ذلك الحين أي موجودا في عينه مع وجود الأعيان و لكن ما تعرفه حتى تذكره و لا هي ذات فكر حتى تجمعه في ذهنها تقديرا فتذكره فإن الفكر من القوي التي اختص بها الإنسان لا توجد في غيره ثم إن هذه الآية من أصعب ما نزل في القرآن في حق نقصان الإنسان و فيما يظهر من عدم الاعتناء الإلهي به و عندنا ما أخر الله نشأته و وجود عينه إلا اعتناء الله به لأنه لو أوجده الله أول الأشياء كان يمر عليه وقت لا يكون فيه خليفة فإنه ما ثم من قد هيأه لمرتبة الخلافة و النيابة عنه فلا بد أن يتأخر وجود عينه عن وجود الأعيان حتى لا يزول عنه اسم الخلافة دنيا و لا آخرة فما وجد إلا ملكيا سيدا كما أنه مع غيره لله عبد مملوك ففضل العالم كله بالخلافة فلم تكن لغير الإنسان و هذه المرتبة أوجبت له أن يخلق على الصورة و من قال إن هذه الآية تدل على عدم الاعتناء الإلهي بالإنسان لأن الله متكلم أزلا عالم بما يكون أزلا و نفى أن يكون الإنسان شيئا مذكورا مع أنه شيء و لا بد لقوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فما يؤمر إلا من يسمع بسمع ثبوتي أو وجودي و نفى أن يكون الإنسان مذكورا في حين من الدهر و الدهر هنا الزمان و الحين جزء منه لم يكن فيه الإنسان مذكورا مع وجوده صورة إنسان و جهل من شاهد صورته مراد الله فيه و ما علم له اسم رتبة يذكر به و لا ما له عند الله من العناية به التي ظهر أثرها عليه حين أقامه خليفة في أرضه و ما غربه عن موطنه و هو التراب الذي خلق منه و موطن ذلته لشهود عبوديته فإن الأرض ذلول فما حجبته الخلافة عن عبودته و إن كانت أعلى المراتب فهو فيها بالذات و الملائكة المقربون فيها بالعرض يقول تعالى لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ لكونه يحيي الموتى و يخلق و يبرئ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ ثم عطف فقال وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ و هم العالون عن العالم العنصري المولد فهم أعلى نشأة و الإنسان أجمع نشأة فإن فيه الملك و غيره فله فضيلة الجمع و

لهذه جعله معلم الملائكة و أسجدهم له فمساق الآية يوزن بتقرير النعم عليه و إنما وقعت الصعوبة في هذا الذكر كونه نكرة و النكرة تعم في مساق النفي فالتنكير يوزن بتعميم نفي الذكر عنه من كل ذاكر و هو دليل على إن الله ما ذكره لمن أوجد قبله من الأعيان و إن كان مذكورا له في نفسه ثم ذكره لملائكته بمرتبته التي خلق لها لا باسمه العلم الذي هو آدم فاعلم

(الباب العشرون و مائة في معرفة مقام الشكر و أسراره)

الشكر شكران شكر الفوز و الرفد هذا من الروح و الثاني من الجسد

فالشكر للرفد يعطيني زيادته و الشكر للفوز مثل السلب للأحد

و الشكر للفوز محصور بغايته و الشكر للرفد لا يجري إلى أمد

اعلم أن درجات الشكر في الأسرار الإلهية ألف درجة و مائتان و إحدى و خمسون درجة عند العارفين من أهل الله و عند الملامية منهم ألف و مائتان و عشرون و درجاته في الأنوار عند العارفين خمسمائة و إحدى و خمسون درجة و عند الملامية من أهل الأنوار خمسمائة و عشرون درجة اعلم أيدك الله أن الشكر هو الثناء على الله بما يكون منه خاصة لصفة هو عليها من حيث ما هو مشكور و من أسمائه الشكور و شاكر و قد قال لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ فهي صفة تقتضي الزيادة من المشكور للشاكر و هي واجبة بالاتفاق عقلا عند طائفة و شرعا عند طائفة فإن شكر المنعم يجب عقلا و شرعا و ما تسمى الله تعالى بشاكر لنا إلا لنزيده من العمل الذي أعطاه أن يشكرنا عليه لنزيده منه كما يزيدنا نعمة إذا شكرناه على نعمه و آلائه و لا يصح الشكر إلا على النعم فتقطن لنسبة الشكر إليه تعالى ببنية المبالغة في حق من أعطاه من العمل ما تعين على جميع أعضائه و قواه الظاهرة و الباطنة في كل حال بما يليق به و في كل زمان بما يليق به فيشكره الحق على كل ذلك بالاسم الشكور و هذا من خصوص أهل الله و أما العامة فدون هذه الرتبة في أعمال الحال و الزمان و جميع الكل فإذا أتوا بالعمل على هذا الحد من النقص تلقاهم الاسم الشاكر لا الشكور فهم على كل حال مشكورون و لكن قال الله تعالى وَقَلِيلٌ من عِبادِيَ الشَّكُورُ فهم خاصة الله الذين يرون جميع ما يكون من الله في حقهم و في حق عباده نعمة إلهية سواء سرهم ذلك أم ساءهم فهم يشكرون على كل حال و هذا الصنف قليل بالوجود و بتعريف الله إيانا بقلتهم و أما الشاكرون من العباد فهم الذين يشكرون الله على المسمى نعمة في العرف خاصة و الشكر نعت إلهي و هو لفظي و علمي و عملي فاللفظي الثناء على الله بما يكون منه على حد ما تقدم و العملي قوله تعالى وَجِفانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ من عِبادِيَ الشَّكُورُ فهذا هو الشكر العملي و قوله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فهو موجه له وجه إلى اللفظ و هو الذكر بما أنعم الله به عليه فإذا ذكر ما أنعم الله به

عليه من النعم المعلومة في العرف من المال و العلم فقد عرض نفسه لنتقصد في ذلك فيجود به على القاصد فيدخلك في الشكر العملي لأن من النعم ما يكون مستورا لا يعرف صاحبها أنه صاحب نعمة فلا يقصد فإذا حدث بما أعطاه الله و أنعم عليه به قصد في ذلك فلهذا أمر بالحديث بالنعم و التحدث بالنعم شكر و الإعطاء منها شكر على شكر فجمع بين الذكر و العمل فيقول الحمد لله المنعم المفضل و أما الشكر العلمي و هو حق الشكر فهو أن يرى النعمة من الله فإذا رأيتها من الله فقد شكرته حق الشكر خرج ابن ماجة في سننه عن رسول الله ص أن الله أوحى إلى موسى يا موسى اشكرني حق الشكر قال موسى يا رب و من يقدر على ذلك قال يا موسى إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر هذا حال من رأى النعمة و من نعمته على عبده أن يوفقه لبذل ما عنده من نعم الله على المحتاجين من عباده فيعطيهم بيد حق لا بيده فهم ناظرون في هذه النعمة و هي رؤيتهم ذلك التصريف من عند الله في مرضاة الله فيدخلون في حزب من شكره حق الشكر و هذا هو أعلى الشكر في الشاكرين و هو هين على العارفين المتجردين عن أوصافهم برد الأمور إلى الله و ليس لهذا المقام نسبة إلا لعالم البرازخ و هو الجبروت ليعم الطرفين فإن البرازخ أتم المقامات علما بالأمور و هو مقام الأسماء الإلهية فإنها برزخ بيننا و بين المسمى فلها نظر إليه من كونها اسما له و لها نظر إلينا من حيث ما تعطي فينا من الآثار المنسوبة للمسمى فتعرف المسمى و تعرفنا و اختلف أصحابنا في الزيادة التي يعطيها الشكر هل هي من جنس ما وقع الشكر عليه أو لا يكون إلا من نعم أخر أو منهما فالمحققون يجعلونها من الجنس المشكور من أجله و ما لم يكن من جنسه فما هو من الزيادة التي أوجبها الشكر بل تكون تلك النعم من باب المنة ابتداء لا من باب الجزاء و منهم من قال أي نعمة وقعت بعد الشكر فهي جزاء و هي الزيادة و ما لم يقع عقيب شكر من النعم فهو من عين المنة و إنما قالوا ذلك لعدم معرفتهم بالمناسبة بين الأشياء التي اختارها الحكيم سبحانه و قصد القوم القائلون بهذا تنزيه الحق عن التقييد بل يعطي مما شاء من غير تقييد فالمحققون أكبر علما منهم و هؤلاء في الظاهر أنزه و في المعنى الكل سواء في تنزيه الحق و الله الموفق انتهى الجزء التاسع و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الأحد و العشرون و مائة في مقام ترك الشكر)

إذا كان حال الشكر يعطي زيادة ... وكان الإله الحق سمعك و البصر

فلا يقبل الحق الزيادة فانتقد ... كلامي تجده عبرة لمن اعتبر

فقد زال حكم الشكر من كل عالم ... بما قلته فالترك للشكر قد شكر

اعلم أنه ما من عمل إلا و هو أمر وجودي و ما من أمر وجودي إلا و هو دلالة على وجود الله و توحيده سواء كان ذلك الأمر مذموما عرفا و شرعا أو محمودا عرفا و شرعا و إذا كان دلالة فهو نور و النور محمود لذاته فما ثم ما يجري عليه لسان ذم على الإطلاق كما أنه ما ثم معصية من مؤمن خالصة غير مشوبة بطاعة و هي الايمان بكونها معصية فتحقق هذا ثم حقيقة أخرى إنه ما ثم تكليف من عمل أو ترك إلا و الأولوية تصحبه لا بد من ذلك فيقال تركه أولى من العمل أو العمل به أولى من تركه و ما دخلته الأولوية فما هو خالص لأمر معين هذا معلوم دلالة عقل و كشف و الله قد جعل الشكر عبادة و العبادات لا تترك و جعل الصدق عبادة و ما أطلق عليه الحمد في كل موطن فإن الغيبة صدق و هو صدق مذموم و النميمة بالسوء صدق و هو مذموم و مواطن كثيرة للصدق يكون الصدق مذموما فيها مع الإطلاق إذ الصدق صفة محمودة فإذا أخذه التفصيل ميزته المواطن عرفا و شرعا كما إن الكذب بمطلقه صفة مذمومة فإذا أخذه التقييد و التفصيل ميزته المواطن عرفا و شرعا فإذا شكر الإنسان ربه و رأى الشكر و النعمة منه فقد أتى صفة محمودة و هو عبادة فمن أداها من حيث ما هي عبادة خاصة و لم يخطر له الشكر من أجل المزيد من جهة هذه العبادة كما أنه أيضا طلب المزيد من العلم عبادة مأمور بها فهنالك يكون طلب الزيادة عبادة و أما في غير ذلك الموطن فما هو عبادة مشروعة فإذا أدى الإنسان شكر رب النعمة بفصولها من غير طلب الزيادة فكأنه ترك ما يعطيه الشكر و ما يقتضيه طبع النفوس بذاتها من طلب زيادات النعم و لا يمنع هنا كون الحق سمعه و بصره أن يكون تاركا لطلب الزيادة إذا كان الحق لا ينقصه شيء فإن الله قد اتصف بكونه شاكرا و شكورا و طلب الزيادة من أعمالنا من كونه شكورا فتعين علينا بل وجب أن نعطي الشكر الإلهي حقه و هو الزيادة منا فيما شكر منا و الزيادة عبادات سواء كان ذلك تركا أو عملا فترك الشكر برؤية العمل من الإنسان ترك صحيح لحق الشكر الذي يجب له و هذا مقام العموم فيصح ترك الشكر من العامة من أهل الله و أما من قال شكر النعمة إنه حجاب على المنعم فما عنده معرفة بالحقائق فإن ذلك لا يصح في كل من شكر نعمة فبالضرورة شكر المنعم بها غير إن بعض الناس لا يرى المنعم إلا السبب و بعض الناس يرى المنعم الله سبحانه و الكمل من الناس يرون الله و السبب فيشكر الله حقيقة و يشكر السبب عن أمر الله عباده من حيث أمرهم بشكره فقال أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ و قال لا يشكر الله من لم يشكر الناس فهذا مقام ترك الشكر أي ترك توحيد شكر المنعم الأصلي لأنه شرك في شكره بين المنعم بالأصالة و بين السبب عن أمر الله فإنه مقام صعب غامض أعني ترك الشكر لكون الله اتصف بالشكر و طلب الزيادة مما شكرنا من أجله فالتخلص من ذلك عسير و أما إذا كان مجلاه و وقته أن يكون الحق هو الشاكر و المشكور و سلب الأفعال عن المخلوقين فقد ترك الشكر في حال كونه شاكرا فيرى الحق إما شاكرا مطلقا و العبد لا شكر له البتة و إما أن يرى الحق تعالى شاكرا به أي بعبده بما هو العبد عليه من الشكر

فهذا تارك للشكر من وجه موصوف بالشكر من وجه و هذا سار في جميع ما يصدر من العبد من الأفعال مشهد عزيز من عين المنة هذه المسألة كانت عندي من أصعب المسائل و ما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه على القطع الذي لا أشك علما سوى ليلة تقييدي لهذا الباب في هذه المجلدة و هي ليلة السبت السادس من رجب الفرد سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة فإنه لم يكن تتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين و يعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم و بين الخلق الذي يقول به قوم فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقه المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق إذ لم يكن إلا الله و قال لي هل هنا أمر يورث التلبيس و الحيرة قلت لا قال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر و لا شيء من الخلق فإنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب فتتكون عن أمري خلقت النفخ في عيسى و خلقت التكوين في الطائر قلت له فنفسك إذا خاطبت في قولك افعل و لا تفعل قال لي إذا طالعتك بأمر فالزم الأدب فإن الحضرة لا تحتمل المحاققة قلت به و هذا عين ما كنا فيه و من يحاقق و من يتأدب و أنت خالق الأدب و المحاققة فإن خلقت المحاققة فلا بد من حكمها و إن خلقت الأدب فلا بد من حكمه قال هو ذلك فاستمع إذا قرئ القرآن و أنصت قلت ذلك لك أخلق السمع حتى أسمع و أخلق الإنصات حتى أنصت و ما يخاطبك الآن سوى ما خلقت فقال لي ما أخلق إلا ما علمت و ما علمت إلا ما هو المعلوم عليه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و قد أعلمتك هذا فيما سلف فألزمه مشاهدة فليس سواه ترح خاطرك و لا تأمن حتى ينقطع التكليف و لا ينقطع حتى تجوز على الصراط فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية ليست عن أمر و لا نهي يقتضيه وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني و العشرون و مائة في معرفة مقام اليقين و أسراره)

إن اليقين مقر العلم في الخلد ... في كل حال بوعد الواحد الصمد

إن اليقين الذي التحقيق حصله ... اعكف عليه و لا تنظر إلى أحد

فإن تزلزل عن حكم الثبات فما ... هو اليقين الذي يقوى به خلدي

و اليقين هو قوله لنبيه ص وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ و حكمه سكون النفس بالمتيقن أو حركتها إلى المتيقن و هو ما يكون الإنسان فيه على بصيرة أي شيء كان فإذا كان حكم المبتغي في النفس حكم الحاصل فذلك اليقين سواء حصل المتيقن أو لم يحصل في الوقت كقوله أَتى أَمْرُ اللهِ و إن كان لم يأت بعد و لكن تقطع النفس المؤمنة بإتيانه فلا فرق عندها بين حصوله و بين عدم حصوله و هو قول من قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا مع أن المتيقن ما حصل في الوجود العيني فقال الله لنبيه و لكل عبد يكون بمثابته اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ

الْيَقِينُ فإذا أتاك اليقين علمت من العابد و المعبود و من العامل و المعمول به و علمت ما أثر الظاهر في المظاهر و ما أعطت المظاهر في الظاهر و اعلم أن لليقين علما و عينا و حقا و لكل حق حقيقة و سيرد ذلك في باب له مفرد بعد هذا من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى و إنما جعل له علما و عينا و حقا لأنه قد يكون يقينا ما ليس بعلم و لا عين و لا حق و يقطع به من حصل عنده و هو صاحب يقين لا صاحب علم يقين و اختلف أصحابنا في اليقين هل يصح أن يكون يقين أتم من يقين أم لا فإنه روى عن النبي ص أنه قال في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء أشار به إلى ليلة الإسراء و أن باليقين صح له المشي في الهواء و هذا التفسير ليس بشيء فإنه أسرى به ربه ليريه من آياته و بعث إليه بالبراق فكان محمولا في إسرائهو مثل هذا الحديث لا يصح عن رسول اللهص إنه أشار بذلك إلى نفسه و معلوم أنه ليس أحد من البشر يماثله في اليقين لكنه ما مشى في الهواء بيقينه و إنما جاءه جبريل ع بدابة دون البغل و فوق الحمار تسمى البراق فكان و البراق هو الذي مشى في الهواء ثم إنهص لما انتهى البراق به إلى الحد الذي أذن له نزل عنه و قعد في الرفرف و علا به إلى حيث أراد الله و غفل الناس عن هذا كله فما أسرى بهص لقوة يقينه بل يقينه في قلبه على ما هو به من التعلق بالمتيقن العام كان ما كان لكنه مما فيه سعادته لأنه وصف به في معرض المدح و لنا في اليقين جزء شريف وضعناه في مسجد اليقين مسجد إبراهيم الخليل في زيارتنا لوطاع فقد يتيقن الجاهل أنه جاهل و الظان أنه ظان و الشاك أنه شاك فيما هو فيه شاك و كل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه علما كان أو غير علم فإن قلت فأين شرفه قلنا شرفه بشرف المتيقن كالعلم سواء و لهذا جاء بالألف و اللام في قوله حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ يريد متيقنا خاصا ما هو يقين يقع المدح به بل هو يقين معين و قوله تعالى وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً يريد ما هو مقتول في نفس الأمر لا عندهم بل شُبِّهَ لَهُمْ فهذا يقين مستقل ليس له محل يقوم به فإنهم متيقنون أنهم قتلوه و الله ليس بمحل لليقين فلم يبق محل لليقين سوى القتل و هذا من باب قيام المعنى بالمعنى فإن اليقين معنى و القتل معنى فالقتل قد تيقن في نفسه أنه ما قام بعيسى ع فالقتل موصوف في هذه الآية باليقين و أصدق المعاني ما قام بالمعاني و هذه المسألة عندنا من محارات العقول مما لا يقضي فيها بشيء و عند بعضنا يلحقه بالمحال و عند بعضهم ممكنة واقعة و بالجملة فاليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة فإن العادة تسرق الطبع و لا سيما في الأمور التي بها قوام البدن الطبيعي فإذا فقد ما به يصل إلى ما به قوامه فإنه يتألم و الألم لا يقدح في اليقين فإنه ما يضاده و لكن قل إن يتألم ذو ألم إلا و لا بد أن يضطرب و يتحرك في نفسه و لا سيما ألم الجوع و العطش و البرد و الحر و الاضطراب يضاد اليقين فإن اليقين سكون النفس إلى من بيده هذه الأمور المزيلة لهذه الآلام فيريد من قامت به الآلام سرعة زوالها طبعا و إذا كان هذا فنسلك في اليقين طريقة غير ما يتخيلها أهل الطريق و هو أن الاضطراب لا يقدح في اليقين إذا كان هبوب اليقين في إزالة تلك الآلام إلى جناب الحق لا إلى الأسباب المزيلة في العادة فإن

شاء الحق أزالها بتلك الأسباب أزالها بأن يوجد عنده تلك الأسباب و إن شاء أزالها بغير ذلك فصار متعلق اليقين الجناب الإلهي لا غير و هذا قد يكون كثيرا في رجال الله و درجات اليقين عند العارفين مائتان درجة و درجة واحدة و عند الملامية مائة و سبعون درجة و هو ملكوتي جبروتي له إلى الملكوت نسبة واحدة و عند العارفين نسبتان لأنه عند العارفين مركب من ست حقائق و نشأته عند الملامية من أربع حقائق و له السكون الميت و الحي فبالسكون الحي يضطرب صاحبه و بالسكون الميت يتعلق بالله فما يضطرب فيه من غير تعيين مزيل بل بما أراد الله أن يزيله

(الباب الثالث و العشرون و مائة في معرفة مقام ترك اليقين و أسراره)

إذا وقف العبيد مع المريد يزيل يقينه حكم الإرادة
و يعطي الحق رتبته لئلا يقيده فيقدح في العبادة
فيفعل ما يشاء كما يشاء بلا جبر و لا حكم لعادة
و قد دل الدليل بغير شك و لا ريب على نفي الإعادة
لأن الجوهر المعلوم باق على ما كان في حكم الشهادة
فيخلع منه وقتا أو عليه بمثل أو بضد للإفادة

اعلم وفقك الله أني أردت بنفي الإعادة الذي نقول إنه لا يتكرر شيء في الوجود للاتساع الإلهي و إنما هي أعيان أمثال لا يدركها الحس إذ لا يدرك التفرقة بينها أريد بين ما انعدم منها و ما تجدد و هو قول المتكلمين إن العرض لا يبقى زمانين لما كان اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي مثل الصبر ترك أهل الله الاتصاف به و تعمله و طلبه من الله فإذا أتى من عند الله من غير تعمل من العبد قبله العبد أدبا مع الله و لم يرده على الله إذا أراد الله أن يصير هذا العبد محلا لوجود هذا اليقين و يكون حكمه في هذا المحل التعلق بالله في دفع الضرر عن هذا العبد فيكون ذلك سؤال اليقين و تعلقه بجناب الحق لا بتعلق العبد و لا بسؤاله و ذلك لما كان العبد سببا في ظهور عين اليقين لعدم قيام اليقين بنفسه كان للمحل عند هذا اليقين يد أراد مكافاتها فيسأل اليقين موجدة تعالى رفع الضرر عن هذا المحل إذ اليقين لا يوجد إلا لرفع الضرر و أما في حال المنفعة فلا حكم له إلا في استدامتها لا فيها فإنها حاصلة فإن توهم العبد إزالتها فإن اليقين يطلب من الله استمرار وجودها في محله فبهذا القدر يكون ترك اليقين أي العبد لا يعترض على اليقين في سؤاله ربه ما شاء فهو تاركه يفعل ما يريد فلا يتصف العبد هنا بشيء و مع هذا التحقيق فالمسألة غامضة بعيدة التصور فالعبد في أصله مضطرب متزلزل الملك فلا يقين له

من حيث حقيقته فإنه محل لتجدد الأعراض عليه و اليقين سكون و هو عرض فلا ثبوت له زمانين و الله تعالى كل يوم في شأن و أصغر الأيام الزمن الفرد فقد أبنت لك أن أهل الله في نفوسهم بمعزل عما يطلبه اليقين و أن اليقين هو السائل و لهذا قال له حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فيكون اليقين هو الذي يسأل و يتعب و أنت مستريح فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فإن الوقوف مع إرادة الله لا يتمكن معها سكون أصلا لأنه خروج عن حقيقة النفس و الشيء لا يخرج عن حقيقته إذ خروج الشيء عن حقيقته محال فلا طمأنينة مع المريد إلا عن بشرى فإنه يسكن عند ذلك لصدق القول و تكون البشرى معينة موقتة و حينئذ يكون له السكون إليها و هو اليقين و قد ورد أن الملائكة يخافون من مكر الله و لا يقين مع الخوف فإن سكن العبد إلى قوله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ لا يزول عنه فذلك السكون قد يسمى يقينا و لكن يورث في المحل خلاف ما يطلب من حكم اليقين الذي اصطلح عليه أهل الله و أما نحن فاليقين عندنا موجود في كل أحد من خلق الله و إنما يقع الخلاف بما ذا يتعلق اليقين فاليقين صفة شمول و ليست من خصوص طريق الله التي فيها السعادة إلا بحكم متيقن ما فهذا تحقيقه و الله الموفق لا رب غيره

(الباب الرابع و العشرون و مائة في معرفة مقام الصبر و تفاصيله و أسراره)

تنوع شرب الصبر في كل مشرب ... بعن و على أو في و بالباء و اللام

و ليس يكون الصبر إلا على أذى ... وجودا و تقديرا بأنواع آلام

و عين للحق الصبور أذى أتى ... بمحكم آيات الكتاب لإعلام

فلا صبر في النعماء إن كنت عالما ... بقول إمام صادق الحكم علام

اعلم وفقك الله أن الله تعالى يقول إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ فأخبر أنه يؤذي فتسمى سبحانه بالصبور على أذى خلقه و كما سأل عباده رفع الأذى مع استحقاقه اسم الصبور كذلك لا يرفع اسم الصبر عن العبد إذا حل به بلاء فسأل الله تعالى في رفع ذلك البلاء كما فعل أيوب ع فقال مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و أثنى الله عليه فقال مع هذا السؤال إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً فليس الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الله في رفع البلاء أو دفعه و إنما الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله و الركون إلى ذلك الغير و قد أبنت لك أن الله طلب من عباده رفع الأذى الذي آذوه به مع قدرته على إن لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى فتفطن لسر هذا الصبر فإنه من أحسن الأسرار و قد ورد أنه لا أحد أصبر على أذى من الله و هو من المقامات التي تنقطع و تزول إذا دخل أهل النار النار و أهل الجنة الجنة و تميز الفريقان تميز الانقطاع أن لا يلحق أحد بغير الدار التي هو فيها و الصبر الإلهي يزول حكمه بزوال الدنيا و هذه بشرى بإزالة اسم

المنتقم و الشديد العقاب إذ قد رأينا إزالة الصبور و رحمته سبقت غضبه فحكمة زوال الدنيا رفع الأذى عن الله إذ لا يكون إلا فيها فأبشروا عباد الله بشمول الرحمة و اتساعها و انسحابها على كل مخلوق سوى الله و لو بعد حين فإنه بإزالة الدنيا زال الأذى عن كل من أوذي و بزوال الأذى زال الصبر و من أسباب العقاب الأذى و الأذى قد زال فلا بد من الرحمة و ارتفاع الغضب فلا بد من الرحمة أن تعم الجميع بفضل الله إن شاء الله هذا ظننا في الله فإن الله و هو الصادق يقول أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأخبر و أمر و لم يقيد في حق الظان و لا في غيره و لهذا سمي عذابا ما يقع به الآلام بشرى من الله لعباده أن الذي تتألمون به لا بد إذا شملتكم الرحمة أن تستعذبوه و أنتم في النار كما يستعذب المقرور حرارة النار و المحرور برودة الزمهرير و لهذا جمعت جهنم النار و الزمهرير لاختلاف المزاج فما يقع به الألم لمزاج مخصوص يقع به النعيم في مزاج آخر يضاده فلا تتعطل الحكمة و يبقي الله على أهل جهنم الزمهرير على المحرورين و النار على المقرورين فينعمون في جهنم فهم على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا بها لاعتدالها ثم اعلم أن الصبر يتنوع بتنوع الأدوات فالصبر في الله إذا أوذي فيه و الصبر مع الله رؤية المعذب في العذاب و الصبر على الله حال فقده لربه بوجود نفسه غير مقترنة بوجود ربه و الصبر بالله أن يكون الحق عين صبره كما هو سمعه و بصره و الصبر من الله حال رفع الحول و القوة منك فلا تقول لا حول و لا قوة إلا بالله فيزول بالاستعانة و الصبر عن الله و هو أعظمها مقاما و هو الصبر الذي يزول بالموت و لا يوجد في الآخرة فإن صاحب هذا الصبر ينسب الصبر إليه نسبة الاسم الصبور إلى الله و لهذا يرتفع بزوال الدنيا و في العبد بزواله عن الدنيا و من زلت عنه فقد زال عنك فهؤلاء أخذوا الصبر عن الله كما تقول أخذت هذا العلم عن فلان فأنت فيه كهو كذلك قول سليمان ع أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي لأنه سماه خيرا و الخير منسوب إلى الله فقال عن ذكر ربي إياه بالخيرية أحببته فطفق يمسح بيده على أعرافها و سوقها فرحا و إعجابا بخير ربه فإنه أحب حب الخير و حب الخير إما أن يريد حب الله إياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب و الخير لا يحب إلا الأخيار فإنهم محل وجود عينه فكذلك سليمان ع قال أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ أي أنا في حبي كالخير في حبه و لهذا لما تَوارَتْ بِالْحِجابِ أعني الصافنات الجياد اشتاق إليها لأنه فقد المحل الذي أوجب له هذه الصفة الملذوذة فإنها كانت مجلى له فقال رُدُّوها عَلَيَ و أما المفسرون الذين جعلوا التواري للشمس فليس للشمس هنا ذكر و لا للصلاة التي يزعمون ثم إنهم يأخذون في ذلك حكايات اليهود في تفسير القرآن و قد أمرنا رسول الله ص أن لا نصدق أهل الكتاب و لا نكذبهم فمن فسر القرآن برواية اليهود فقد رد أمر رسول الله ص و من رد أمر رسول الله ص فقد رد أمر الله فإنه أمر أن نطيع الرسول و أن نأخذ ما أتانا به و أن ننتهي عما نهانا عنه إذ لا يوصلنا إلى أخبار هؤلاء الأنبياء الاسرائيليين إلا نبي فنصدقه أو أهل كتاب فنقف عند أخبارهم إذا لم يكن في كتابنا و لا قول رسولنا ص و لا في أدلة

العقول ما يرده و لا يثبته و لا نقضي فيه بشيء و أما مساق الآية فلا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة و أما استرواحهم فيما فسروه بقوله وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ فليس تلك الفتنة و هو الاختبار إذا كان متعلقة الخيل و لا بد فيكون اختباره إذا رآها هل يحبها عن ذكري لها أو هل يحبها لعينها فأخبرص أنه أحبها عن ذكر ربه إياها لا نفسها مع حسنها و جمالها و حاجته إليها و هي جزء من الملك الذي طلب أن لا ينبغي لأحد من بعده فأجابه الحق إلى ما سأل في المجموع و رفع الحرج عنه و قال له هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا يعني في الآخرة لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ أي ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيء كما يفعله مع غيره حيث أنقصه من نعيم الآخرة على قدر ما تنعم به في الدنيا قال الله تعالى في حق قوم أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها فالصبر عن الله بهذا التفسير أعظم أنواع الصبر و أما الصبر عن الله على ما يتخيله العامة من الصبر عن كذا لمفارقته إياه فليس ذلك من شأن أهل الله و الشبلي لما غشى عليه من قول الشاب إن الصبر عن الله أعظم الصبر غشى عليه لعظم المقام الذي لا يناله إلا الكمل من الرجال فلما لاح للشبلي من كلام الشاب كان وارده أقوى من محل الشبلي فلذلك أثر فيه الغشي و هكذا كل وارد يكون أقوى من قوة المحل فإنه يفعل فيه الغشي و الصعق و ليس لأهل الله قدم في الصبر عن الله على تفسير العامة و للصبر درجات عند العارفين من أهل الأنوار ثلاثمائة و ثلاث و عشرون درجة و عند أهل الأسرار منهم مائتان و ثلاث و تسعون درجة و عند الملامية من أهل الأنوار مائتان و اثنتان و تسعون و عند أهل الأسرار منهم مائتان و اثنتان و ستون درجة

(الباب الخامس و العشرون و مائة في معرفة مقام ترك الصبر و أسراره)

و في الصبر من سوء الصنيعة أنه يقاوم قهر الحق في كل إقدام

فلا صبر عند العارفين فإنهم من الضعف في بحر على سيفه طام

اعلم علمك الله أن في الصبر المعروف عند العامة مقاومة القهر الإلهي و سوء أدب مع الله و ما ابتلى الله عباده إلا ليتضرعوا إليه و يسألوه في رفع ما ابتلاهم به من البلاء عنهم لأنه دواء لما تعطيهم في نفوسهم من المرض الصورة التي خلقوا عليها فيدعيها من لم تكمل فيه الصورة فإنه من كمالها الخلافة و هم المكملون من الرجال و من لم تحصل له درجة الخلافة فما هو على الصورة فإنه بالمجموع يكون بالصورة قال بعضهم و قد بكى حين أخذه الجوع إنما جوعني لأبكي فهو يبكي له و عليه فإن أكابر الرجال لا يحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله فإذا مدح الله الصابرين فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله و هذا مذهب الأكابر ألا ترى سمنون لما أساء الأدب مع الله و أراد أن يقاوم القدرة الإلهية لما وجد في نفسه من حكم الرضي و الصبر قال

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني

فابتلاه الله بعسر البول و النفس مجبولة على طلب حظها من العافية و لما سأل هذا كان في حكم حال العافية فلما سلبها بهذا البلاء طلبتها النفس بما جبلت عليه و قد ذكرنا ذلك في صفات النفس و أن الله عين لها مصارف لما علمه من أنها لا تنعدم إذ لو انعدمت لانعدمت النفس فهو وصف ذاتي لها ألا ترى إلى عالم العلماء و حاكم الحكماء كيف كان سؤاله العافية و أمر بها فقال إذا سألتم الله فاسألوه العافية فإن كنتم أهل بلاء فقد سألتم العافية و إن كنتم أهل عافية فقد سألتم دوامها و هي مشتقة من عفي الأثر إذا ذهب فالعافية ذهاب أثر البلاء ممن قام به فمن الأدب مع الله وقوف العبد مع عجزه و فقره و فاقته فإن الغناء بالله لا يصح عن الله و لا عن المخلوقين من حيث العموم لكنه يصح من حيث تعيين مخلوق ما يمكن أن يستغني عنه بغيره فإن الله ما وضع الأسباب سدى فمنها أسباب ذاتية لا يمكن رفعها هنا و منها أسباب عرضية يمكن رفعها فمن المحال رفع التأليف و التركيب عن الجسم مع بقاء حكم الجسمية فيه فهذا سبب لا يمكن زواله إلا بعدم عين الجسم من الوجود و إذا كانت الأسباب الأصلية لا ترتفع فلنقر الأسباب العرضية أدبا مع الله و لا نركن إليها و نبقي الخاطر معلقا بالله و لا يصح أن يتعلق بالله لله فإنه محال و إنما يتعلق بالله للأسباب فهذا حد المعرفة بها فقد بان لك معنى ترك الصبر

(الباب السادس و العشرون و مائة في معرفة مقام المراقبة)

كن رقيبا عليه في كل شأن فهو سبحانه عليك رقيب

في حضور و غيبة لشئون ولذا لي في كل حال نصيب

فإذا ما أتى أوان فراغ لا أبالي و إن ذا لعجيب

المراقبة نعت إلهي لنا فيه شرب قال تعالى وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً و هو قوله وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما يعني السموات و هو العالم الأعلى و الأرض و هو العالم الأسفل و ما ثم إلا أعلى و أسفل و هو على قسمين عالم قائم بنفسه و عالم غير قائم بنفسه فالقائم بنفسه جواهر و أجسام و غير القائم بنفسه أكوان و ألوان و هي الصفات و الأعراض فعالم الأجسام و الجواهر لا بقاء لهما إلا بإيجاد الأعراض فيهما فمتى لم يوجد فيهما العرض الذي به يكون بقاؤها و وجودها تنعدم و لا شك أن الأعراض تنعدم في الزمان الثاني من زمان وجودها فلا يزال الحق مراقبا لعالم الأجسام و الجواهر العلوية و السفلية كلما انعدم منها عرض به وجوده خلق في ذلك الزمان عرضا مثله أو ضده يحفظه به من العدم في كل زمان فهو خلاق على الدوام و العالم مفتقر إليه تعالى على الدوام افتقارا ذاتيا من عالم الأعراض و الجواهر

فهذه مراقبة الحق خلقه لحفظ الوجود عليه و هذه هي الشئون التي عبر عنها في كتابه إنه كل يوم في شأن و مراقبة أخرى للحق في عباده و هي نظره إليهم فيما كلفهم من أوامره و نواهيه و رسم لهم من حدوده و هذه مراقبة كبرياء و وعيد فمنهم من وكل بهم من يحصي عليهم جميع ما يفعلونه مثل قوله ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ و مثل قوله كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ و قوله سَنَكْتُبُ ما قالُوا و كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ و ما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فهذه مراقبة الحق و أما مراقبة العبد فهي على ثلاثة أقسام الواحد منها لا يصح و الاثنان يصح وجودهما من العبد أما المراقبة التي لا تصح فهي مراقبة العبد ربه و لا يعلم ذاته و لا نسبته إلى العالم فلا يتصور وجود هذه المراقبة لأنها موقوفة على العلم بذات المراقب بفتح القاف و ثم طائفة أخرى قالت بصحة تلك المراقبة فإن الشرع قد حدد كما ينبغي لجلاله فهو معنا أينما كنا و هو عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و هو في الأرض يعلم سرنا و جهرنا و هو في السماء كذلك و ينزل إليها و هو الظاهر في عين كل مظهر من الممكنات فقد علمنا هذا القدر منه فنراقبه على هذا الحد فمراقبتنا للأشياء هي عين مراقبتنا إياه لأنه الظاهر من كل شيء فمن الناس من قال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله يعني المراقبة و آخر بعده و آخر معه أو آخر فيه فمثل هؤلاء يصححون هذه المراقبة و المراقبة الثانية مراقبة الحياء من قوله أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى فهو يراقب رؤيته و هي تراقبه فهو يرقب مراقبة الحق إياه فهذه مراقبة المراقبة و هي مشروعة و المراقبة الثالثة هي أن يراقب قلبه و نفسه الظاهرة و الباطنة ليرى آثار ربه فيها فيعمل بحسب ما يراه من آثار ربه و كذلك في الموجودات الخارجة عنه يرقبها ليرى آثار ربه فيها منها و هو قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ و لهذه المراقبة تعلق بالحق إذ لا فاعل إلا الحق و المراقبة دوام المراعاة بحيث أن لا يتخللها وقت لا يكون العبد فيه مراقبا فاعلم ذلك و تحققه تعلم شئون ربك في نفسك و ما يدركه من الموجودات بصرك و ما يصل إليه فكرك و عقلك و ما يشهدك في مشاهدتك و ما تطلع عليه من الغيوب في كونك أو حيث كان و من هنا تعرف خواطرك و للمراقبة جاءت الموازين الشرعية و هي خمسة موازين الفرض و الندب و الإباحة و الحظر و الكراهة و للمراقبة درجات عند أرباب الأنس و الوصال من العارفين و مبلغها سبع مائة درجة و أربع و سبعون درجة و عند أرباب الأدب من العارفين ثلاث مائة درجة و تسع و سبعون درجة و عند الملامية من أهل الأنس سبعمائة و ثلاث و أربعون درجة و عند الأدباء منهم ثمان و أربعون و ثلاثمائة درجة و لها نسب إلى العوالم منها إلى عالم الملك نسبتان و إلى عالم الملكوت نسبة واحدة عند الأدباء من الطائفتين و ثلاث نسب عند أهل الأنس إلى عالم الجبروت و اعلموا أن الله تعالى أطلعني في ليلة تقييدي هذا الباب على أمر لم يكن عندي في واقعة وقعت لي برزخية قيل لي فيها ألم تسمع أن الدنيا أم رقوب قلت نعم قيل لي فاجعل لها فصلا في هذا الباب فاستخرت الله على ذلك

(وصل) قال رسول الله ص إن للدنيا أبناء و إذا كان لها أبناء فهي أم لهؤلاء الأبناء و من عادة الأم أن ترقب أبناءها لأنها المربية لهم و لها عليهم حنو الأمومة و الحذر عليهم إن تؤثر فيهم ضرتها و هي الآخرة فيميلون إليها فتحفظهم من مشاهدة خير الآخرة فتشتد مراقبتها لأحوالهم ثم لتعلموا إن الدنيا هي الدار الأولى القريبة إلينا نشأنا فيها و ما رأينا سواها فهي المشهودة و هي الحفيظة علينا و الرحيمة بنا فيها عملنا الأعمال المقربة إلى الله و فيها ظهرت شرائع الله و هي الدار الجامعة لجميع الأسماء الإلهية فظهرت فيها آلاء الجنان و آلام النار ففيها العافية و المرض و فيها السرور و الحزن و فيها السر و العلن و ما في الآخرة أمر إلا و فيها منه مثل و هي الأمنية الطائعة لله أودعها الله أمانات لعباده لتؤديها إليهم و هذا هو الذي جعلها ترقب أحوال أبنائها ما يفعلون بتلك الأمانات التي أدتها إليهم هل يعاملونها بما تستحق كل أمانة لما وضعت له فمنها أمانة توافق غرض نفوس الأبناء فترقبهم هل يشكرون الله على ما أولاهم من ذلك على يديها و منها أمانات لا توافق أغراضهم فترقب أحوالهم هل يقبلونها بالرضى و التسليم لكونها هدية من الله فيقولون في الأولى الحمد لله المنعم المفضل و يقولون فيما لا يوافق الغرض الحمد لله على كل حال فيكونون من الحامدين في السراء و الضراء فتعطيهم الدنيا هذه الأمانات نقية طاهرة من الشوب فبعض أمزجة الأبناء الذين هم كالبقعة للماء و الأوعية لما يجعل فيها فيؤثر مزاج تلك البقعة في الماء فإن الماء كله طيب عذب في أصله و هو المطر فإذا حصل في بقع الأرض و هي مختلفة البقاع في المزاج ظهر العذب في المزاج الحسن فأبقاه على أصله كما ورد طاهرا نظيفا و زاده من مزاجه طيبا و حلاوة زائدة على ما كان عليه و هو الماء النمير و بقعة أخرى جعلته ملحا أجاجا و بقعة أخرى جعلته قعاما مرا فأثر في الحال النقي هذه الأوعية و الشرع إنما تعلق بأفعال الأبناء لا بالأم بل قال وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً و بما قال فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً فما أوصى الله تعالى بهذه الأمور إلا لعلمه بأنه في الأبناء من يصدر منهم مثل هذه الأفعال فأمرهم إن يراقبوا هذه الأحكام في أفعالهم حتى يأتوا منها ما أمرهم الله و الدنيا شفيقة عليهم حدبة كثيرة الحنو خائفة أن تأخذهم الضرة الآخرة منها فإن الدار في هذا الوقت للدنيا و الحكم لها و لا ينبغي أن تعزل عنها كما إن الدار الآخرة لا تتعرض لها الدار الدنيا إذا انتقل الناس إليها فالدنيا أنصف من الآخرة في الحكم فإنها في دار سلطانها و إذا جاءت الآخرة و كان يومها لا تعترض الدنيا و لا تزاحم الآخرة فما أنصف أحد من الناس قال قتادة ما أنصف الدنيا أحد ذمت بإساءة المسيء فيها و لم تحمد بإحسان المحسن فيها فلو كانت بذاتها تعطي القبح و السوء ما تمكن أن يكون فيها نبي مرسل و لا عبد صالح كيف و الله قد وصفها بالطاعة فقال إن علوها و سفلها قالا أَتَيْنا طائِعِينَ و قال أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ و الصالح لا يرث إلا المال الصالح الذي يجوز له التصرف فيه فإنه عبد صالح و لم يقل إن جميع العباد يرثها فدل إن

تركتها كان كسبا صالحا فورثه عباد الله الصالحون قال رسول الله ص إذا قال أحدكم لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه فهذا ابن عاق لها كيف لعنها و صرح باسمها و الدنيا من حنوها على أبنائها لم تقدر أن تلعن ولدها فقالت لعن الله أعصانا لربه و ما قدرت إن تسميه باسمه فهذا حنو الأم و شفقتها على ولدها فيا عجبا فينا لم نقف عند ما أمرنا الله به من طاعته و لا وفقنا و لا وفينا ما رأيناه من أخلاق هذه الأم و حنوها علينا و محبتها و قال النبي ص نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير و بها ينجو من الشر فوصفها بأن حذرها على أبنائها تذكرهم بالشرور و تهرب بهم منها و تزين لهم الخير و تشوقهم إليه فهي تسافر بهم و تحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير و ذلك لشدة مراقبتها إلى ما أنزل الله فيها من الأوامر الإلهية المسماة شرائع فتحب إن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا فهذا ص قد وصفها بأحسن الصفات و جعلها محلا للخيرات فينبغي لأهل المراقبة أن يكون بدؤهم في الدخول لاكتساب هذه الصفة أن يرقبوا أحوال أمهم لأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على أمه فلا يبصر غيرها فيحبها طبعا و يميل إليها أكثر مما يميل إلى أبيه لأنه لا يعقل سوى من يربيه و بأفعالها ينبغي يقتدى فإن قلت فلما ذا تغار من الآخرة قلنا لما كان الحكم لها و هي من الطاعة بهذه المثابة و ليس للآخرة هنا سلطان و الذي في الآخرة هو في الدنيا من اللذات و الآلام فالداران متساويتان فيصعب عليها أن يكون أبناؤها ينسبون إلى الآخرة و ما ولدتهم و لا تعبت في تربيتهم و بعد هذا كله فإن الناس نسبوا ما كانوا عليه من أحوال الشرور التي عينها الشارع إلى الدنيا و هي أحوالهم ما هي أحوال الدنيا لأن الشر هو فعل المكلف ما هو الدنيا و نسبوا ما كانوا عليه من أحوال الخير و مرضاة الله التي عينها الشارع للآخرة و هي أحوالهم ما هي أحوال الآخرة لأن الخير هو فعل المكلف ما هو الآخرة فللدنيا أجر المصيبة التي أصيبت في أولادها و من أولادها فمن عرف الدنيا بهذه المثابة فقد عرفها و من لم يعرفها بهذه المثابة و جهلها مع كونه فيها مشاهدا لأحوالها شرعا و عقلا فهو بالآخرة أجهل حيث ما ذاق لها طعما و هنا يطرأ غلط لأهل طريق الله في كشفهم إذ لو تيقنوا في هذه الدار و طولعوا بأحوال الآخرة فليست تلك الآخرة على الحقيقة و إنما هي الدنيا أظهرها الله لهم في عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم في صورة ما جهلوه منها في اليقظة فإنهم غير عارفين منها ما ذكرناه فيقولون رأينا الجنة و النار و القيامة و يذكرون الرؤيا التي رأوها و أين الدار من الدار و أين الاتساع من الاتساع فذلك الذي رأوه حال الدنيا التي خلقها الله عليها من الخير و الطاعة و العدل في الحكومة و النصيحة و الوعظ و التذكرة فإنه معلوم أن القيامة ما هي الآن موجودة فإذا رؤيت في الحياة الدنيا فما هي إلا قيامة الدنيا و جنة الدنيا و نار الدنيا و أن الجنة و النار جاءتا خادمتين للدنيا إذ قال ص بل رؤي في صلاة الكسوف يتقدم في قبلته ثم تأخر تأخرا كثيرا و مد يده حين تقدم فسئل عن ذلك أني رأيت النار حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها و رأيت الجنة حين تقدمت و حين مددت يدي لأقطف منها قطفا و لو خرجت

به إليكم لأكلتم منه ما بقيت و ذكر أنه رأى في النار صاحبة الهرة و عمرو بن لحي الذي سيب السوائب و ذلك كله في حال الصلاة في يقظته و ما قال رأيت الآخرة و لا جنة الآخرة و لا نارها بل قال في عرض هذا الحائط و الحائط من الدار الدنيا و لذا قال ع مثلت لي الجنة في عرض الحائط و لم يقل هي و قال رأيت الجنة و لم يصفها و ذكر التمثيل و تمثل الشيء ما هو عين الشيء بل هو شبهه و قال مثلت لي كما قال في جبريل ع فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا أ ترى كان غير جبريل لا و الله إلا جبريل فما رآهما إلا في الدنيا في دارها و حياتها و قال متمدحا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و هما للدار الدنيا و قد قررنا أنه كل ما في الآخرة هو في الدنيا فمنه ما عرفناه و منه ما لم نعرفه بل في الدنيا من الزيادة ما ليست في الآخرة فالدنيا أكمل في النشأة و لو لا التكليف و عدم حصول كل الأغراض لم تزنها الآخرة فإن قلت فما الزيادة التي تزيد بها الدنيا على الآخرة قلنا الآخرة دار تمييز و الدار الدنيا دار تمييز و اختلاط فأهل النار مميزون و أهل الجنة مميزون فأهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ و الدار الدنيا فيها ما في الآخرة من التمييز لكن لا يعم فإنه قد علمنا في الدنيا بإعلام الله أن الرسل و الأنبياء و من عينته الرسل بالبشرى أنه سعيد يقول الله لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ فهذا عموم الدنيا فما ينقلب أحد من أهل السعادة إلى الآخرة حتى يبشر في الدنيا و لو نفس واحد فيحصل المقصود و من عينته الرسل بالبشرى أنه شقي فقد تميز بالشقاء يقول سبحانه فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ و سكت عن أكثر الناس فلم يعين منهم أحدا و ظهرت صفات الأشقياء في الآخرة في هذه الدار على السعداء من الحزن و البلاء و البكاء و الذلة و الخشوع و ظهرت صفات السعداء في الآخرة في هذه الدار من الخير و النعمة و التفكه و الوصول إلى نيل الأغراض و نفوذ الأوامر على الأشقياء من أهل النار إذ هذه النشأة تعطي أن يكون لها حظ و نصيب من هذه الصفات فمنهم من تجمع له في الدار الواحدة و منهم من تكون له في الدارين فيظهر المؤمن بصفة الكافر حتى يختم له بالإيمان و يظهر الكافر بصفة المؤمن حتى يختم له بالكفر ثم إن الله قد شرك السعيد و الشقي في إطلاق الايمان و الكفر و هذان اللفظان معلومان فأكثر الناس ما يطلق الايمان إلا على المؤمن بالله و لا الكافر إلا على الكافر بالله و الله يقول وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ فسماهم مؤمنين وَكَفَرُوا بِاللَّهِ فقد أعطت الدنيا ما أعطت الآخرة و هذه الزيادة التي لا تكون في الآخرة و التشريع لا يكون في الآخرة إلا في موطن واحد حين يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ليرجح بتلك السجدة ميزان أصحاب الأعراف و الناس لا يشعرون و لما أوردناه يقول بعض أهل الله و لا أزكي على الله أحدا إن وجود الحق في الدنيا في الإنسان أكمل منه في الآخرة و قد رأينا من ذهب إلى هذا و شافهنا به في مجالس و جعل دليله الخلافة فالإنسان في الدنيا أكمل في الصفات الأسمائية منه في الآخرة بلا شك لأنه يظهر بالإنعام و الانتقام و لا يكون له ذلك في الآخرة فإنه لا إنعام له على أحد و لا انتقام و إن شفع فبإذن فالإنعام لمن أذن و أما في الجنة و النار بعد ذبح الموت فلا بل في القيامة

يكون من ذلك طرف انتقام لحكمة ذكرناها في هذا الكتاب مثل قوله ع فسحقا سحقا فراقبوا الله هنا عباد الله مراقبة الدنيا أبناءها فهي الأم الرقوب و كونوا على أخلاق أمكم تسعدوا

(الباب السابع و العشرون و مائة في ترك المراقبة)

لا تراقب فليس في الكون إلا واحد العين و هو عين الوجود

فتسمى في حالة بمليك و تكني في حالة بالعبيد

و دليلي ما جاء من افتقار الفقراء إلى الغني الحميد

هكذا جاء في التلاوة نصا في قريب من سعده و بعيد

ثم جاءوا بأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً فبدا النقص و هو عين المزيد

لما كانت المراقبة تنزلا مثاليا للتقريب و اقتضت مرتبة العلماء بالله أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فارتفعت الأشكال و الأمثال و لم يتقيد أمر إلا له و لا انضبط و جهل الأمر و تبين أنه لم يكن معلوما في وقت الاعتقاد بأنه كان معلوما لنا و لم يحصل في العلم به أمر ثبوتي بل سلب محقق و نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة في الأعيان فلا كيف و لا أين و لا متى و لا وضع و لا إضافة و لا عرض و لا جوهر و لا كم و هو المقدار و ما بقي من العشرة إلا انفعال محقق و فاعل معين أو فعل ظاهر من فاعل مجهول يرى أثره و لا يعرف خبره و لا يعلم عينه و لا يجهل كونه فلمن نراقب و ما ثم من يقع عليه عين و لا من يضبطه خيال و لا من يحدده زمان و لا من تعدده صفات و أحكام و لا من تكسيفه أحوال و لا من تميزه أوضاع و لا من تظهره إضافة فكيف نراقب من لا يقبل الصفات و العلم يرفع الخيال فهو الرقيب لا المراقب و هو الحفيظ لا المحفوظ فالذي يحفظه الإنسان إنما هو اعتقاده في قلبه فذلك الذي وسعه من ربه فإن راقبت فاعلم من راقبت فما زلت عنك و لا عرفت سوى ذاتك فالحادث لا يتعلق إلا بالمناسب و هو ما عندك منه و ما عندك حادث فما برحت من جنسك و ما عبدت على الحقيقة سوى ما نصبته في نفسك و لهذا اختلفت المقالات في الله و تغيرت الأحوال فطائفة تقول هو كذا و طائفة تقول ما هو كذا بل هو كذا و طائفة قالت في العلم به لون الماء لون إنائه فهذا مؤثر بالدليل مؤثر فيه عند صاحب هذا القول في رأى العين فانظر إلى الحيرة سارية في كل معتقد فالكامل من عظمت حيرته و دامت حسرته و لم ينل مقصوده لما كان معبوده و ذلك أنه رام تحصيل ما لا يمكن تحصيله و سلك سبيل من لا يعرف سبيله و الأكمل من الكامل من اعتقد فيه كل اعتقاد و عرفه في الايمان و الدلائل و في الإلحاد

فإن الإلحاد ميل إلى اعتقاد معين من اعتقاد فاشهدوه بكل عين إن أردتم إصابة العين فإنه عام التجلي له في كل صورة وجه و في كل عالم حال فراقب إن شئت أو لا تراقب فما ثم إلا مثاب و مثيب و معاقب و معاقب انتهى الجزء الموفي مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثامن و العشرون و مائة في معرفة مقام الرضى و أسراره)

سألت ربي عصمة من كل سوء و أذى
و إن أرى من أجله كروحه منتبذا
مختطفا عن نفسه مستهلكا متخذا
حتى أقول صادقا من حالنا يا حبذا
رضيت منه بكذا رضيت عنه لكذا
و هكذا نسبه إليه حكما هكذا
و هو دليل قاطع على يسير فإذا
أفردته عن من و عن وصفته بذا و ذا
و كنت ذا معرفة بحقه و جهبذا

اعلم وفقك الله أن قولي دليل قاطع على يسير أعني الرضي يدل على يسير من كثير فيرضى به أدبا مع الله لأنه وكله و الرضي أمر مختلف فيه عند أهل الله هل هو مقام أو حال فمن رآه حالا ألحقه بالمواهب و من رآه مقاما ألحقه بالمكاسب و هو نعت إلهي و كل نعت إلهي إذا أضيف إلى الله فليس يقبل الوهب و لا الكسب فهو على غير المعنى الذي إذا نسبناه للخلق لم يبق له تلك الصفة فحصل له بنسبته للخلق إن ثبت كان مقاما و إن زال كان حالا و هو على الحقيقة يقبل الوصفين و هو الصحيح فهو في حق بعض الناس حال و في حق بعض الناس مقام و كل نعت إلهي بهذه المثابة فتجرى النعوت الإلهية إذا نسبت إلى الخلق مجرى الاعتقادات فكما أنه يقبل كل اعتقاد و يصدق فيه كل معتقد كذلك النعوت الإلهية إذا نسبت للخلق تقبل صفات المقامات و صفات الأحوال هذا هو تحرير هذه الصفة و أمثالها و هو الذي عليه الأمر و قد وصف الله نفسه و هو ما أعطاه العبد من نفسه رضي الله به و رضي عنه فيه و إن لم يبذل استطاعته فإنه لو بذل استطاعته التي إذا بذلها وقع في الحرج كان قد بذلها على جهد و مشقة و قد رفع الله الحرج عن عباده في دينه

فعلمنا أن المراد بالاستطاعة في مثل قوله فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و ما آتاها إن حدها أول درجات الحرج فإذا أحس به أو استشرف عليه قبل الإحساس به فذلك حد الاستطاعة المأمور بها شرعا ليجمع بين قوله تعالى فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و بين قوله ما (جَعَلَ) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ من حَرَجٍ و دين الله يسر و يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ في قوله ما اسْتَطَعْتُمْ و لما فهمت الصحابة من الاستطاعة ما ذكرناه لذلك كانت رخصة لعزمة قوله حَقَّ تُقاتِهِ فرضي الله منك إذا أعطيته مما كلفك حد الاستطاعة التي لا حرج عليك فيها و رضيت منه أنت بالذي أعطاك من حال الدنيا و رضيت عنه في ذلك و قد عرفت أحوال الدنيا أنها الطاعة خاصة كما بيناها في باب المراقبة و كلما أعطاك الحق في الدنيا و الآخرة من الخير و النعم فهو قليل بالنسبة إلى ما عنده فإن الذي عنده لا نهاية له و كل ما حصل لك من ذلك فهو متناه بحصوله في الوجود و نسبة ما يتناهى إلى ما لا يتناهى أقل القليل كما قال الخضر لموسى لما نقر الطائر بمنقاره في البحر ليشرب من مائه فشبهه بما هم عليه من العلم و بعلم الله فلذلك قال رضي الله عنهم في يسير العمل و رضوا عنه في يسير الثواب لأنه لا يتمكن تحصيل ما لا يتناهى في الوجود لأنه لا يتناهى فلذلك قلنا متعلق الرضي اليسير و هو الرضي بالموجود فرضي به من الله و عن الله فيه و ما قدم الله رضاه عن عبيد بما قبله من اليسير من أعمالهم التي كلفهم إلا ليرضوا عنه في يسير الثواب لما علموا إن عنده ما هو أكثر من الذي وصل إليهم فهو يصل إليهم مع الآنات حالا بعد حال أبد الآباد من غير انقطاع مع انقطاع أعمالهم التي كانت عن تكليف مشروع فانقطعت الأعمال منهم و لم تنقطع العبادة فإذا تناهي حد العمل الحسن و القبيح في أهل الجنة و أهل النار بقي جزاؤهم جزاء العبادة في السعداء و جزاء العبودية في أهل النار و هو جزاء لا ينقطع أبدا فهذا أعطاهم اتساع الرحمة و شمولها فإن المجرمين لم يزل عنهم شهود عبوديتهم و إن ادعوا ربانية فيعلمون من نفوسهم أنهم كاذبون بما يجدونه فتزول الدعوى بزوال أوانها و تبقي عليهم نسبة العبودية التي كانوا عليها في حال الدعوى و قبل الدعوى و يجنون ثمرة قولهم بَلى فكانوا بمنزلة من أسلم بعد ارتداده فحكم على الكل سلطان بلي فأعقبهم سعادة بعد ما مسهم من الشقاء بقدر ما كانوا عليه من زمان الدعوى فما زال حكم بلي يصحبهم من وقته إلى ما لا يتناهى دنيا و برزخا و آخرة و عرضت عوارض لبعض الناس أخرجتهم في الظاهر عن حكم توحيدهم بما ادعوه من الألوهة في الشركاء فأثبتوه و زادوا فقام لهم الشركاء مقام الأسباب للمؤمنين و كل عارض زائل و حكمه يزول بزواله و يرجع الحكم إلى الأصل و الأصل يقتضي السعادة فمال الكل إن شاء الله إليها مع عمارة الدارين و لكل واحدة ملؤها و الرحمة تصحبها كما صحبت هنا العبودية لكل أحد ممن بقي عليها أو ادعى الربوبية فإنه ادعى أمرا يعلم من نفسه خلافه فمقام الرضي ما ثنته لك فقل فيه بعد هذا ما شئت حال أو مقام أو لا حال و لا مقام و اعلم الفرق فيه بين النسبتين نسبته لله و نسبته للخلق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاسع و العشرون و مائة في معرفة ترك الرضي)

ترك الرضي عند أهل الرسم مثلبة و عند أهل وجود الله آيات
على تحققهم بعين موجدهم من حيث ما هم به محو و إثبات
يرضى الإله عن النفس التي ربطت بحكمه و لهم فيها علامات
و النفس راضية عنه و ليس لها بالعين علم و لا بالوجد لذات
و ما سوى النفس من عقل فليس له رضي و ليست له فيها نهايات

جناب الله أوسع من أن أرضى منه باليسير و لكن أرضى عنه لا منه لأن الرضي منه يقطع همم الرجال و الله يقول آمرا نبيه ص وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً مع كونه قد حصل علم الأولين و الآخرين و أوتي جوامع الكلم فإنه لا يعظم على الله شيء طلب منه فإن المطلوب منه لا يتناهى فليس له طرف نقف عنده فوسع في طلب المزيد إن كنت من العلماء بالله و إذا كان اتساع الممكنات لا يقبل التناهي فما ظنك بالاتساع الإلهي فيما يجب له و ما يعطيه من المعرفة كل ممكن على عدم التناهي فيه فكيف إذا انضاف إلى تلك المعرفة ما لا تعلق للممكن بها لا من سلب و لا من إثبات نسب فإذا ترك العبد الرضي فعلى هذا الحد يتركه فهو راض عنه لا راض منه لأن الرضي منه جهل به و نقص و العبد الكامل مخلوق على صورة الكمال و أما قول بعضهم لي منذ ستين سنة أو كما وقت ما أقامني الله في أمر فكرهته قالت المشايخ أشار إلى دوام الرضي و احتجوا بهذا على ثبوت الأحوال فإن الرضي عندهم من الأحوال و هذا لا يصح من غير المعصوم و المحفوظ فربما كان هذا القائل من المحفوظين أو المعصومين فإن لم يكن فيريد الرضي بقضاء الله فيما أقامه لا بكل مقضي فإنه لا ينبغي الرضي بكل مقضي و إن رأيت وجه الحق فيه فإنك إذا كنت صحيح الرؤية فيه فإنك ترى وجه الحق فيه غير راض عنه فإن لم تره بذلك العين الإلهي و إلا فما رأيته إن رضيت به و لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ فتحفظ من هذا الحال أو هذا المقام فإنه زهوق لا يثبت عليه الاقدام فإن فيه منازعة الحق

(الباب الموفي ثلاثين و مائة في مقام العبودة)

إني انتسبت إلى نفسي لمعرفتي بأن نسبتنا للحق معلوله
و كونه علة للخلق مجهلة بما له من علو القدر مجهوله
هو الغني على الإطلاق ليس له فقر قد أودع الرحمن تنزيله

هذا الذي قلته القرآن فصله فابحث عليه ترى بالبحث تفصيله

العبودية نسب إلى العبودة و العبودة مخلصة من غير نسب لا إلى الله و لا إلى نفسها لأنه لا يقبل النسب إليه و لذلك لم تجيء بيا النسب فأذل الأذلاء من ينتسب إلى ذليل على جهة الافتخار به و لهذا قيل في الأرض ذلول ببنية المبالغة في الذلة لأن الأذلاء يطئونها فهي أعظم في الذلة منهم فمقام العبودية مقام الذلة و الافتقار و ليس بنعت إلهي قال أبو يزيد البسطامي و ما وجد سببا يتقرب به إلى الله إذ رأى كل نعت يتقرب به إلى الله للالوهية فيه مدخل فلما عجز قال يا رب بما ذا أتقرب إليك قال الله له بما جرت عادة الله مع أوليائه أن يخاطبهم به تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار و هنا سر لا يمكن كشفه فمن أطلعه الله عليه عرفه نطق الله عباده عليه بأن له صاحبه و ولدا و أمثالا و أن له البخل و أنه فقير من العرض بقولهم وَنَحْنُ أَغْنِياءُ ثم قال سَنَكْتُبُ ما قالُوا و كتبة الله إيجاب و هذا موضع السر لمن فتح الله عين بصيرته ثم في قوله لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ فألحقهم في العقاب بالكفار و هم الذين ستروا ما يجب للحق عليهم من التنزيه و الاشتراك في أسماء الصفات لا في مسمياتها فالعبد معناه الذليل يقال أرض معبدة أي مذللة قال الله عز و جل وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و ما قال ذلك في غير هذين الجنسين لأنه ما ادعى أحد الألوهية و لا اعتقدها في غير الله و لا تكبر على خلق الله إلا هذان الجنسان فلذلك خصهما بالذكر دون سائر المخلوقات فقال ابن عباس معناه ليعرفوني فما فسر بحقيقة ما تعطيه دلالة اللفظ و إنما تفسيره ليذلوا لي و لا يذل له من لا يعرفه فلا بد من المعرفة به أولا و أنه ذو العزة التي تذل الأعزاء لها فلذلك عدل ابن عباس في تفسير العبادة إلى المعرفة هذا هو الظن به و لم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول الله ص فكان عبدا محضا زاهدا في جمع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية و شهد الله له بأنه عبد مضاف إليه من حيث هويته و اسمه الجامع فقال في حق اسمه وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ و قال في حق هويته سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ فأسرى به عبدا و لما أمر بتعريف مقامه يوم القيامة قيد ذلك فقال أنا سيد ولد آدم و لا فخر بالراء أي ما قصدت الفخر عليكم بالسيادة بل أردت التعريف بشرى لكم إذ أنتم مأمورون باتباعي و قد روى و لا فخز بالزاي ما قلته متبجحا و أنا لست كذلك فإن الفخر التبجح بالباطل في صورة حق فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج كلما قرب من السراج عظم الظل و لا قرب من الله إلا بما هو لك وصف أخص لا له و كلما بعد من السراج صغر الظل فإنه ما يبعدك عن الحق إلا خروجك عن صفتك التي تستحقها و طمعك في صفته كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ و هما صفتان لله تعالى و ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و هذا قوله ص أعوذ بك منك و هذا المقام لا يبقى لك صفة تخص الحق و ينفرد بها و لا يمكن حصول اشتراك فيها من النعوت الثبوتية لا النعوت السلبية و الإضافية إلا و يعلمها

صاحب هذا المقام خاصة و لكن عز صاحبه ذوقا فإن الوصف الأخص منك إذا تحققت به و انفردت و دخلت به على الحق لم يقابلك إلا بالنعت الأخص به الذي لا قدم لك فيه و إذا جئت بالنعت المشترك تجلى لك بالنعت المشترك فتعرف سر نسبته إليك من نسبته إليه و هو علم غريب قل أن تجد له ذائقا و مع هذا فهو دون الأول الذي هو الأخص بك فاعلم ذلك فتحقق بهذا المقام فهذا أعطاك مقام العبودية و أما مقام العبودة فلا تدري ما يحصل لك فيه من العلم به فإنك تنفي النسب فيه عنه تعالى و عن الكون و هو مقام عزيز جدا لأنه لا يصح عند الطائفة أن يبقى الكون مع إمكانه بغير نسب و هو بالذات واجب لغيره و التنبيه على هذا المقام وصف الظاهر في المظهر بنعت العبد فإن الظاهر ينصبغ بحقيقة المظهر كان ما كان فلا ينتسب الظاهر إلى العبودية فإنه ليس وراءها نزول و المنتسب لا بد أن يكون أنزل في المرتبة من المنسوب إليه و لا ينتسب الظاهر إلا إليه فإن الأثر الذي أعطاه عين المظهر ليس غير الظاهر و ليس وراء الله مرمى و الشيء لا ينسب إلى نفسه فلهذا جاءت العبودة بغير ياء النسب يقال رجل بين العبودية و العبودة أي ذاته ظاهرة و نسبه مجهول فلا ينسب فإنه ما ثم إلى من فهو عبد لا عبد

(الباب الأحد و الثلاثون و مائة في مقام ترك العبودية)

إن انتسبت إلى معلول أنت له ... و أنت لله لا للخلق فازدجروا

نحن المظاهر و المعبود ظاهرها ... و مظهر الكون عين الكون فاعتبروا

ما جاء بي عبثا لكن لنعبده ... حقا بذا حكم التشريع و النظر

و لست أعبده إلا بصورته ... فهو الإله الذي في طيه البشر

فما القضاء إذا حققت صورتنا ... و ما التصرف و الأحكام و القدر

فكلها عبر إن كنت ذا نظر ... و لا يخيب من تسري به العبر

ترك العبودية لا يصح إلا عند من يرى أن عين الممكنات باقية على أصلها من العدم و إنها مظاهر للحق الظاهر فيها فلا وجود إلا لله و لا أثر إلا لها فإنها بذاتها تكسب وجود الظاهر ما تقع به الحدود في عين كل ظاهر فهي أشبه شيء بالعدد فإنها معقول لا وجود له و حكمه سار ثابت في المعدودات و المعدودات ليست سوى صور الموجودات كانت ما كانت و الموجودات سبب كثرتها أعيان الممكنات و هي أيضا سبب اختلاف صور الموجودات فالعدد حكمه مقدم على حكم كل حاكم و لما وصلت في أول هذا الباب من هذه النسخة إلى العدد و المعدودات نمت فرأيت رسول الله ص في منامي و أنا بين يديه و قد سألني سائل و هو يسمع ما أقل الجمع في

العدد فكنت أقول له عند الفقهاء اثنان و عند النحويين ثلاثة فقال ص أخطأ هؤلاء و هؤلاء فقلت له يا رسول الله فكيف أقول قال لي إن العدد شفع و وتر يقول الله تعالى وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ و الكل عدد فميز ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة و رمى بها على حصير كنا عليه فرمى درهمين بمعزل و رمى ثلاثة بمعزل و قال لي ينبغي لمن سئل في هذه المسألة أن يقول للسائل عن أي عدد تسأل عن العدد المسمى شفعا أو عن العدد المسمى وترا ثم وضع يده على الاثنين الدرهمين و قال هذا أقل الجمع في عدد الشفع ثم وضع يده على الثلاثة و قال هذا أقل الجمع في عدد الوتر هكذا فليجب من سئل في هذه المسألة كذا هو عندنا و استيقظت فقيدتها في هذا الباب كما رأيتها حين استيقظت و خرج عن ذكري مسائل كثيرة كانت بيني و بينه ص مما يتعلق بغير هذا الباب و أنا في غاية السرور و الفرح برؤيته ص و وجدت في خاطري عند انتباهي صحة النهي عن البتيراء فإنه تكلم في طريقه فما رأيت معلما أحسن منه و أخذت في تقييدي لهذا الكتاب فنرجع و نقول فالعدد حكمه مقدم على حكم كل حاكم فحكم على الممكنات بالكثرة كثرة الممكنات و اختلافات استعداداتها على الظاهر فيها مع أحديته فكثرته كثرة الممكنات و لما كان الأمر هكذا لم يمكن أن يكون للعبودية عين فلهذا المقام يقال بترك العبودية و من حكم العدد و قوة سريانه و إن لم يكن له وجود قول الله تعالى ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى من ذلِكَ يعني الاثنين و هذا يعضد رؤيانا المتقدمة وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا من المراتب التي يطلبها العدد فينسحب عليها حكم العدد و قوله ص إن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحد هذا من حكم العدد و قال لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ و لم يكفر من قال إنه سبحانه رابع ثلاثة و ذلك أنه لو كان ثالث ثلاثة أو رابع أربعة على ما توطأ عليه أهل هذا اللسان لكان من جنس الممكنات و هو سبحانه و تعالى ليس من جنس الممكنات فلا يقال فيه إنه واحد منها فهو واحد أبدا لكل كثرة و جماعة و لا يدخل معها في الجنس فهو رابع ثلاثة فهو واحد و خامس أربعة فهو واحد بالغا ما بلغت فذلك هو مسمى الله فهو و إن كان هو الوجود الظاهر بصور ما هي المظاهر عليه فما هو من جنسها فإنه واجب الوجود لذاته و هي واجبة العدم لذاتها أزلا فلها الحكم فيمن تلبس بها كما للزينة الحكم فيمن تزين بها فنسبة الممكنات للظاهر نسبة العلم و القدرة للعالم و القادر و ما ثم عين موجودة تحكم على هذا الموصوف بأنه عالم و قادر فلهذا نقول إنه عالم لذاته و قادر لذاته و هكذا هي الحقائق فالعدد حاكم لذاته في المعدودات و لا وجود له و المظاهر حاكمة في صور الظاهر و كثرتها في عين الواحد و لا وجود لها و ليس عندنا في العلم الإلهي مسألة أغمض من هذه المسألة فإن الممكنات على مذهب الجماعة ما استفادت من الحق إلا الوجود و ما يدري أحد ما معنى قولهم ما استفادت إلا الوجود إلا من كشف الله عن بصيرته و أصحاب هذا الإطلاق لا يعرفون معناه على ما هو الأمر عليه في نفسه فإنه ما ثم موجود إلا الله تعالى و

الممكنات في حال العدم فهذا الوجود المستفاد إما أن يكون موجودا و ما هو الله و لا أعيان الممكنات و إما أن يكون عبارة عن وجود الحق فإن كان أمرا زائدا ما هو الحق و لا عين الممكنات فلا يخلو أن يكون هذا الوجود موجودا فيكون موصوفا بنفسه و ذلك هو الحق لأنه قد قام الدليل على أنه ما ثم وجود أزلا إلا وجود الحق فهو واجب الوجود لنفسه فثبت أنه ما ثم موجود لنفسه غير الله فقبلت أعيان الممكنات بحقائقها وجود الحق لأنه ما ثم وجود إلا هو و هو قوله وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و هو الوجود الصرف فانطلق عليه ما تعطيه حقائق الأعيان فحدث الحدود و ظهرت المقادير و نفذ الحكم و القضاء و ظهر العلو و السفل و الوسط و المختلفات و المتقابلات و أصناف الموجودات أجناسها و أنواعها و أشخاصها و أحوالها و أحكامها في عين واحدة فتميزت الأشكال فيها و ظهرت أسماء الحق و كان لها الأثر فيما ظهر في الوجود غيرة أن تنسب تلك الآثار إلى أعيان الممكنات في الظاهر فيها و إذا كانت الآثار للأسماء الإلهية و الاسم هو المسمى فما في الوجود إلا الله فهو الحاكم و هو القابل فإنه قابل التوب فوصف نفسه بالقبول و مع هذا فتحرير هذه المسألة عسير جدا فإن العبارة تقصر عنها و التصور لا يضبطها لسرعة تفلتها و تناقض أحكامها فإنها مثل قوله وَ ما رَمَيْتَ فنفى إِذْ رَمَيْتَ فأثبت وَ لكِنَّ اللهَ رَمى فنفى كون محمد و أثبت نفسه عين محمد و جعل له اسم الله فهذا حكم هذه المسألة بل هو عينها لمن تحقق فهذا معنى ترك العبودية في خصوص العلماء بالله و أما من نزل منهم عن هذه الطبقة فإنه يقول لا يصح تركها باطنا لوجود الافتقار الذي لا ينكره المحدث من نفسه فلا بد أن يذله فتلك الذلة عين العبودية إلا أن يؤخذ الإنسان عن معرفته بنفسه و أما تركها من باب المعرفة فهو أن العبد إذا نظرته من حيث تصرفه لا من حيث ما هو ممكن و أطلقت عليه اسم العبودة من ذلك الباب فيمكن في المعرفة تركها من باب التصرف لا من باب الإمكان و ذلك أن حقيقة العبودية الوقوف عند أوامر السيد و ما هنا مأمور إلا من يصح منه الفعل بما أمر به و الأفعال خلق الله فهو الآمر و المأمور فأين التصرف الحقيقي الذي به يسمى العبد عبدا قائما بأوامر سيده أو منازعا له فيتصف بالإباق فبقي المسمى عبدا على ظهور الاقتدار الإلهي بجريان الفعل على ظاهره و باطنه إما بموافقة الأمر أو بمخالفته و إذا كان هذا على ما ذكرناه فلا عبودية تصريف فهو أعني العبد موجود بلا حكم و هذا مقام تحقيقه عند جميع علماء الذوق من أهل الله إلا طائفة من أصحابنا و غيرهم ممن ليس منا يرون خلاف ذلك و أن الممكن له فعل و أن الله قد فوض إلى عباده أن يفعلوا بعض الممكنات من الأفعال فكلفهم فعلها فقال أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ و جاهِدُوا في الله و أمثال هذا فإذا أثبتوا أن للعبد فعلا لم يصح ترك عبودية التصريف و أما عبودية الإمكان فأجمعوا على كونها و أنه لا يتصور تركها فإن ذلك ذاتي للممكن

و بعض أصحابنا يلحظ في ترك العبودية كون الحق قوى العبد و جوارحه فإنه يغيب عن عبوديته في تلك الحال فهو ترك حال لا ترك حقيقة انتهى الجزء المائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثاني و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الاستقامة)

للمستقيم ولاية مخصوصة شملت جميع الكون في تخصيصها
للمستقيم تنزلت أرواحه بالطيب المكنون في تنصيصها
الاستقامة نزلت أربابها منها منازل لم تنل بخصوصها
هي نعته سبحانه في قصة قد قالها فانظره في منصوصها

جاءت هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم من غير قصد و كذلك أمثالها فإنما أنطق بما يجريه الله فينا من غير تعمل و لا روية اعلم وفقك الله أن الله أخبر عن نبيه و رسوله ع في كتابه أنه قال إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فوصف نفسه بأنه على صراط مستقيم و ما خطأ هذا الرسول في هذا القول ثم إنه ما قال ذلك إلا بعد قوله ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها فما ثم إلا من هو مستقيم على الحقيقة على صراط الرب لأنه ما ثم إلا من الحق آخذ بناصيته و لا يمكن إزالة ناصيته من يد سيده و هو على صراط مستقيم و نكر لفظ دابة فعم فأين المعوج حتى تعدل عنه فهذا جبر و هذه استقامة فالله يوفقنا لإنزال كل حكمة في موضعها فهنالك تظهر عناية الله بعبده لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً و هي أحكام الطريقة التي في قوله وَ مِنْهاجاً فكلها مجعولة بجعل الله فمن مشى في غير طريقه التي عين الله له المشي عليها فقد حاد عن سواء السبيل التي عين الله له المشي عليها كما أن ذلك الآخر لو ترك سبيله التي شرع الله له المشي عليها و سلك سبيل هذا سميناه حائدا عن سبيل الله و الكل بالنسبة إلى واحد واحد على صراط مستقيم فيما شرع له و لهذا خط رسول الله ص خطا و خط عن جنبتي ذلك الخط خطوطا فكان ذلك الخط شرعه و منهاجه الذي بعث به و قيل له قل لأمتك تسلك عليه و لا تعدل عنه و كانت تلك الخطوط شرائع الأنبياء التي تقدمته و النواميس الحكمية الموضوعة ثم وضع يده على الخط و تلا وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فأضافه إليه و لم يقل صراط الله و وصفه بالاستقامة و ما تعرض لنعت تلك الخطوط بل سكت عنها ثم قال فَاتَّبِعُوهُ الضمير يعود على صراطه وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ يعني شرائع من تقدمه و مناهجهم من حيث ما هي شرائع لهم إلا إن وجد حكم منها في شرعي فاتبعوه من حيث ما هو شرع لنا لا من حيث ما كان شرعا لهم فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني تلك الشرائع عن سبيله أي عن

طريقه الذي جاء به محمد ص و لم يقل عن سبيل الله لأن الكل سبيل الله إذ كان الله غايتها ذٰلِكُمْ وَصّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي تتخذون تلك السبيل وقاية تحول بينكم و بين المشي على غيره من السبل و هو قوله إِنَّ الَّذِينَ قالُوا من أي شرع كان إذا كان له الزمان و الوقت رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا على طريقهم التي شرع الله لهم المشي عليها تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ و هذا التنزل هو النبوة العامة لا نبوة التشريع تتنزل عليهم بالبشر أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا فإنكم في طريق الاستقامة ثم قالوا لهم هؤلاء المبشرون من الملائكة نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا أي نحن كنا ننصركم في الحياة الدنيا في الوقت الذي كان الشيطان يلقي إليكم بلمته العدول عن الصراط الذي شرع لكم المشي عليه فكنا ننصركم عليه باللمة التي كنتم تجدونها في وقت التردد بين الخاطرين هل يفعل أو لا يفعل نحن كنا الذين نلقي إليكم ذلك في مقابلة إلقاء العدو فنحن أيضا أولياؤكم في الآخرة بالشهادة لكم إنكم كنتم تأخذون بلمتنا و تدفعون بها عدوكم فهذه ولايتهم في الآخرة و ولايتهم أيضا بالشفاعة فيهم فيما غلب عليهم الشيطان في لمته فيكون العبد من أهل التخليط فتشفع الملائكة فيه حتى لا يؤاخذ بعمل الشيطان فهذا معنى قوله وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ من شهادتنا لها و شفاعتنا فيها في هذا الموطن وَلَكُمْ (فيها) ما تَدَّعُونَ من الدعة نُزُلًا من غَفُورٍ رَحِيمٍ بشهادتنا و شفاعتنا حيث قبلها فأسعدكم الله بها فستركم في كنفه و أدخلكم في رحمته هذا معنى الاستقامة المتعلقة بالنجاة و أما الاستقامة التي تطلبها حكمة الله فهي السارية في كل كون قال تعالى مصدقا لموسى ع أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فكل شيء في استقامة حاصلة فاستقامة النبات أن تكون حركته منكوسة و استقامة الحيوان أن تكون حركته أفقية و إن لم يكن كذلك لم ينتفع بواحد منهما لأن حركة النبات إن لم تكن منكوسة حتى يشرب الماء بأصولها لم تعط منفعة إذ لا قوة له إلا كذلك و كذلك الحيوان لو كانت حركته إلى العلو و قام على رجلين مثلنا لم يعط فائدة الركوب و حمل الأثقال على ظهره و لا حصلت به المنفعة التي تقع بالحركة الأفقية فاستقامته ما خلق له فهي الحركة المعتبرة التي تقع بها المنفعة المطلوبة و إلا فالنبات و الحيوان لهما حركة إلى العلو و هو قوله وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ فلو لا الحركة ما نما علوا و إنما غلبنا عليه الحركة المنكوسة للمنفعة المطلوبة فافهم ذلك فإن المتكلمين في هذا الفن ما حرروا الكلام في حقيقة هذه الحركات فالحركة في الوسط مستقيمة لأنها أعطت حقيقتها كحركة الأرض و حركة الكرة و الحركة من الوسط حركة العروج و الحركة إلى الوسط حركة النزول فحركة النزول ملكية و إلهية و حركة العروج حركة بشرية و كلها مستقيمة فما ثم إلا استقامة لا سبيل إلى المخالفة فإن المخالفة تشاجر ألا ترى أنه ما وقع التحجير على آدم إلا في الشجرة أي لا تقرب التشاجر و ألزم طريقة إنسانيتك و ما تستحقه و اترك الملك و ما يستحقه و الحيوان و ما يستحقه و كل ما سواك و ما يستحقه و لا تزاحم أحدا في حقيقته فإن المزاحمة تشاجر و خلاف و لهذا لما قرب من الشجرة خالف نهي ربه فكان مشاجرا فذهبت عنه في تلك الحال السعادة

العاجلة في الوقت و ما ذهبت عنه استقامة التشاجر فإنه وفاها حقها بمخالفة النهي الإلهي اعوجاج القوس استقامته لما أريد له فما في الكون إلا استقامة فإن موجدة و هو الله تعالى على صراط مستقيم من كونه ربا فإن دخلت السبل بعضها على بعض و اختلطت فما خرجت عن الاستقامة استقامة الأخلاط و استقامة ما وجدت له فهي في الاستقامة المطلقة التي لها الحكم في كل كون و هي قوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ . . . وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ . . . فَاعْبُدْهُ أي تذلل له في كل صراط يقيمك فيه لا تتذلل لغيره فإن غيره عدم و من قصد العدم لم تظفر يداه بشيء ثم إنه جاء بضمير الغائب في قوله فَاعْبُدْهُ أي لا تقل أنت المدرك فإن الأبصار لا تدركه إذ لو أدرك الغيب ما كان غيبا فاعبد ذاتا منزهة مجهولة لا تعرف منها سوى نسبتك إليها بالافتقار و لهذا تمم فقال وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ أي اعتمد عليه وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ قطع بهذا ظهر المدعين في هذا المقام إذا لم يكن صفتهم و لا حالهم و لا وصل إليهم علمه فالاستقامة سارية في جميع الأعيان من جواهر و أعراض و أحوال و أقوال كما قال وَأَقْوَمُ قِيلًا و هي نعت إلهي و كوني جعلنا الله ممن لم يعدل عن استقامته إلا باستقامته آمين بعزته و أما الاستقامة بلسان عامة أهل الله فهي أن تقول الاستقامة عامة في الكون كما قررنا فما ثم طريق إلا و هو مستقيم لأنه ما ثم طريق إلا و هو موصل إلى الله و لكن قال الله تعالى لنبيه و لنا فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ لم يخاطبه بالاستقامة المطلقة فإنه قد تقرر أن إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و أنه غاية كل طريق و لكن الشأن إلى أي اسم تصل و تصير من الأسماء الإلهية فينفذ في الواصل إليه أثر ذلك الاسم من سعادة و نعيم أو شقاوة و عذاب فمعنى الاستقامة الحركات و السكنات على الطريقة المشروعة و الصراط المستقيم هو الشرع الإلهي و الايمان بالله رأس هذا الطريق و شعب الايمان منازل هذا الطريق التي بين أوله و غايته و ما بين المنزلين أحواله و أحكامه و لما كان الصراط المستقيم مما تنزلت به الملائكة المعبر عنها بالأرواح العلوية و هي الرسل من الله إلى المصطفين من عباده المسمين أنبياء و رسلا جعل الله بينها و بين من تنزل عليه من هؤلاء الأصناف نسبا جوامع بينهما بتلك النسب يكون الإلقاء من الملائكة و بها يكون القبول من الأنبياء فكل من استقام بما أنزل على هؤلاء المسمين أنبياء و رسلا من البشر بعد ما آمن بهم أنهم رسل الله و أنهم أخذوا ما جاءوا به عن رسل آخرين ملكيين تنزلت الملائكة عليهم أيضا بالبشرى و كانت لمن هذه صفته جلساء و لما كانت هذه الأرواح العلوية حية بالذات كان الاسم الذي تولاها من الحضرة الإلهية الاسم الحي كما كان المتولي من الأسماء الإلهية لمن كانت حياته عرضية مكتسبة الاسم المحيي فما عقل الملك قط الأحياء بخلاف البشر فإنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم و لأهل هذه الحياة العرضية من العناصر ركن الماء قال تعالى وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ و قال وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فالماء أصل العناصر و الأسطقسات و العرش الملك و ما تم الملك و كمل إلا في عالم الاستحالة و هو عالم الأركان الذي أصله الماء و لو لا عالم الاستحالة ما كان

الله يصف نفسه بأنه كل يوم في شأن فالعالم يستحيل و الحق في شأن حفظ وجود أعيانه بمده بما به بقاء عينه من الإيجاد فهو الشأن الذي هو الحق عليه و ليس لغير عالم الاستحالة هذه الحقيقة و لما صار الماء أصلا لكل حي حياته عرضية كان من استقام سقاه الله ماء الحياة فإن كان سقي عناية كالأنبياء و الرسل حيي به من شاء الله و إن كان سقي ابتلاء لما فيه من الدعوى كان بحكم ما أريد بسقيه قال تعالى وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ فهذا سقي ابتلاء و إنما طلبت الاستقامة من المكلف في القيام بفرائض الله عليه فإن المكلف من جهة الحقيقة ملقى طريح عند باب سيده تجري عليه تصاريف الأقدار و ما أودع الله في حركات هذه الأكوار مما يجيء به الليل و النهار من تنوع الأطوار بين محو و إثبات لظهور آيات بعد آيات و قد جعل الله المكلف محلا للحياة و الحركات و طلب منه القيام من تلك الرقدة بما كلفه من القيام بحقه فأصعب ما يمر على العارفين أمر الله بالاستقامة و هو قوله تعالى فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمن تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا أي لا ترتفعوا عن أمره بما تجدونه في نفوسكم من خلقكم على الصورة الإلهية فتقولوا مثلنا لا يكون مأمورا فلا يعرف العلماء بالله هل وافق أمر الله إرادته فيهم أنهم يمتثلون أمره أو يخالفونه فلهذا صعب عليهم أمر الله و اشتد و هو قوله ع شيبتني هود فإنها السورة التي نزل فيها فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ و أخواتها مما فيها هذه الآية أو ما في معناها فهم من ذلك على خطر و طريق الاستقامة لا تتقيد مراتبه و لا تنضبط كما قال ص استقيموا و لن تحصوا يعني طرق الاستقامة و ما أحصيتم منها فلن تحصوا ما لكم في ذلك من الأجر و الخير و الظاهر إنما أراد لن تحصوا طرق الاستقامة فإنها كثيرة لن يسعها أحد منكم على التعيين و لهذا اتبع هذا القول بقوله و اعملوا و خير أعمالكم الصلاة و إذ لم تستطيعوا إحصاء طرق الاستقامة فخذوا الأفضل منها و ينظر إلى الاسم الحي المحيي بهذه العبادات الاسم القيوم و لهذا قيل للمكلف وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ فالقيوم أخو الحي الملازم له قال تعالى اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و قال الم اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و قال وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ فما جاء الاسم الحي إلا و القيوم معه فتدبر هذا الباب فإنه يحتوي على أسرار إلهية

(الباب الثالث و الثلاثون و مائة في مقام ترك الاستقامة)

أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ... فلا تغرنك دار الغرور

و كل ما خالف ما قاله ... سبحانه فإنه قول زور

فكل معوج له غاية ... إليه حقا في جميع الأمور

فلا تعين واحدا أنه ... حكم بجهل حاصل أو قصور

فصلت الأشياء أغراضنا إلى سعيد و إلى من يبور

و رجع الكل إلى قوله أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

اعلم علمك الله أن ترك الاستقامة من أعلام الإقامة عند الله و الحضور معه في كل حال كما قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حق النبي ص من أنه كان يذكر الله على كل أحيانه فهو في الدنيا موصوف بصفة أرض الآخرة لا تَرى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً و لما كانت الاستقامة تتميز بالاعوجاج و لا اعوجاج فلا استقامة مشهودة

فالكل في عين الوجود على طريق واحد

و الكل في عين الرضي من مؤمن أو جاحد

و قد يكون مشهد صاحب هذا الشهود النظر في إمكان العالم و الإمكان سبب مرضه و المرض ميل و الميل ضد الاستقامة و الإمكان للعالم نعت ذاتي لا يتصور زواله لا في حال عدمه و لا في حال وجوده فالمرض له ذاتي فالميل له ذاتي فلا استقامة فالعالم مرضه زمانة لا يرجى رفعها إلا إن الكون محل لوجود المغالطات لأمور تقتضيها الحكمة و يطلبها العقل السليم لعلمه بما يصلح الكون إذ شرع التكليف و لم يكن في الوسع أن تكون آحاد العالم على مزاج واحد فلما اختلفت الأمزجة كان في العالم العالم و الأعلم و الفاضل و الأفضل فمنه من عرف الله مطلقا من غير تقييد و منهم من لا يقدر على تحصيل العلم بالله حتى يقيده بالصفات التي لا توهم الحدوث و تقتضي كمال الموصوف و منهم من لا يقدر على العلم بالله حتى يقيده بصفات الحدوث فيدخله تحت حكم ظرفية الزمان و ظرفية المكان و الحد و المقدار و لما كان الأمر في العلم بالله في العالم في أصل خلقه و على هذا المزاج الطبيعي المذكور أنزل الله الشرائع على هذه المراتب حتى يعم الفضل الإلهي جميع الخلق كله فأنزل ليس كمثله شيء و هو لأهل العلم بالله مطلقا من غير تقييد و أنزل قوله تعالى أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و هذا كله في حق من قيده بصفات الكمال و أنزل تعالى من الشرائع قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و هُوَ اللهُ في السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ و تَجْرِي بِأَعْيُننا و لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ من لَدُنَّا فعمت الشرائع ما تطلبه أمزجة العالم و لا يخلو المعتقد من أحد هذه الأقسام و الكامل المزاج هو الذي يعم جميع هذه الاعتقادات و يعلم مصادرها و مواردها و لا يغيب عنه منها شيء فمثل هذا لا تتعين له الاستقامة لأنه لا يرى لهذه الحال ضدا تتميز به هذه الحالة لأنه فيها و الكون إذا كان في الشيء لا يدركه عينا و رؤية بصر و إن عرفه كما لا يدرك الهواء للقرب المفرط كذلك لا يدرك الحق للقرب المفرط فإنه أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ ف لا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فسبحان من خلق العالم للسعادة لا للشقاء فكان الشقاء فيه عرضا عرض له ثم يزول و ذلك لأن الله تعالى ما خلق العالم لنفس العالم و إنما خلقه لنفسه فقال فيه وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و نحن من الأشياء ثم قال في حقنا وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فما من أحد منا يتعزز على الله و لا يتكبر عليه و إن تكبر بعضنا على بعض و ما من صاحب نحلة و لا ملة و لا نظر إلا و تسأله عن طلبه فتجده مستوفر الهمة على طلب موجدة لأنه خلقه للمعرفة به و اختلفت أحوالهم في إدراك مطلوبهم لاختلاف أمزجتهم و نزلت الشرائع تصوب نظر كل ناظر و يتجلى لأهل الكشوف و الكل أهل كشف لكن بعضهم لا يدري أن مطلوبه قد أدركه و هو الذي خشع له و آخر قد علم أنه لا يرى سوى مطلوبه فالكل في عين الوجود و الشهود وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ فرحم الله الجميع و هذا معنى قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و سيرد إن شاء الله في منزل الإنعام و الآلاء من هذا الكتاب ما أشرنا إليه في هذا الكلام فإنا جعلنا فيه أن الوجود مدرسة و أن الحق سبحانه هو رب هذه المدرسة و ملقي الدروس فيها على المتعلمين و هم العالم و الرسل هم المعيدون و الورثة هم المذنبون و هم معيدو المعيدين و العلوم التي يلقيها للمتعلمين في هذه المدرسة و إن كثرت فهي ترجع إلى أربعة أصناف صنف يلقى عليهم دروس موازين الكلام في الألفاظ و المعاني ليميزوا بها الصحيح من السقيم و إن كان الكل صحيحا عند العلماء بالله و إنما يسمى سقيما بالنظر إلى ضده أو غرض ما معين و العلم الثاني هو العلم بتنقيح الأذهان و تدريب الأفكار و تهذيب العقول لأن رب المدرسة إنما يريد أن يعرفهم بنفسه و هو الغاية المطلوبة التي لأجلها وضع هذه المدرسة و جمع هؤلاء الفقهاء فاستدرجهم للعلم به شيئا بعد شيء و بعضهم تجلى لهم ابتداء فعرفوه لصحة مزاجهم كالملائكة و الأجسام المعدنية و النباتية و الحيوانية و ما احتجب إلا عن الثقلين ففيهما وضع هذه العلوم ليتدربوا بها للعلم به و هو لا يزال خلف حجاب المعيدين و العقول ستر مسدل و باب مقفل و دروس يلقيها أيضا ليعلمهم بذلك ما سبب وجود هذه الهياكل و اختلافات أمزجتها و بما امتزجت و ما سبب عللها و أمراضها و صحتها و عافيتها و من أي شيء قامت و ما يصلحها و يفسدها و ما معنى الطبيعة فيها و أين مرتبتها من العالم و هل هي أمر وجودي عيني أو هي أمر وجودي عقلي و هل يخرج عنها شيء أو صنف من العالم أو لا حكم لها إلا في الأجسام المركبة التي تقبل الحل و التركيب و الكون و الفساد و ما أشبه هذا الفن و الدرس الرابع هو ما يلقيه من العلم الإلهي و ما يجب أن يكون عليه هذا المفتقر إليه الذي هو الله سبحانه و ما يستحيل أن ينعت به و ما يجوز فعله في خلقه و ما ثم درس خامس أصلا لأنه ليس وراء الله مرمى غير أن كل نوع من أنواع هذه العلوم ينقسم إلى علوم جزئية كثيرة يتسع المجال فيها فمن وقف مع شيء منها و لم يحضر من الدروس إلا درسها كان ناقصا عن غيره و من ارتفعت همته و علم أن هذه الدروس ليس المطلوب منها نفسها و لا وضعت لعينها و إنما المقصود منها تحصيل العلم بالله الذي

هو رب هذه المدرسة جعل في همته طلب هذا العلم الإلهي فمنهم من طلبه بمقدمات هذه العلوم و هو طلب عقلي و منهم من طلبه من المعيد و اقتصر عليه فإنه رأى بينه و بين المدرس وصلة و رأى رسولا يخرج إليه من خلف الحجاب يعرفه بأمور يلقيها على الحاضرين و أوقات يدخل المعيد إليه ثم يخرج من عنده فقال هذا الطالب العلم بالله من جهة هذا المعيد أحق و أوثق للنفس من أن تتخذ دليلا نظريا أو فكريا مما تقدم من هذه العلوم الأخر فلما أخذ علمه من المعيد كان وارثا و صار معيدا للمعيد و هو المذنب و يسمى في الشرع الوارث و هم ورثة الأنبياء

(الباب الرابع و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الإخلاص)

من أخلص الدين فذاك الذي لنفسه الرحمن يستخلصه

فكل نقصان إذا لم يكن في كونه فإنه ينقصه

اعلم أن الاسم الأحد ينطلق على كل شيء من ملك و فلك و كوكب و طبيعة و عنصر و معدن و نبات و حيوان و إنسان مع كونه نعتا إلهيا في قوله قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ و جعله نعتا كونيا في قوله وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً و ما من صنف ذكرناه من هؤلاء الأصناف الذين هم جميع ما سوى الله و قد حصرناهم إلا و قد عبد منهم أشخاص فمنهم من عبد الملائكة و منهم من عبد الكواكب و منهم من عبد الأفلاك و منهم من عبد العناصر و منهم من عبد الأحجار و منهم من عبد الأشجار و منهم من عبد الحيوان و منهم من عبد الجن و الإنس فالمخلص في العبادة التي هي ذاتية له أن لا يقصد إلا من أوجده و خلقه و هو الله تعالى فتخلص له هذه العبادة و لا يعامل بها أحدا ممن ذكرناه أي لا يراه في شيء مما ذكرناه لا من حيث عين ذلك الشيء و لا من حيث نسبة الأحدية له فإن الناظر أيضا له أحدية فليعبد نفسه فهو أولى له و لا يذل لاحدية مثله إذ و لا بد من ذلته لغير أحدية خالقه فيكون أعلى همة ممن ذل لاحدية مخلوق مثله و ما من شيء من المخلوقات إلا و فيه نفس دعوى ربوبية لما يكون عنه في الكون من المنافع و المضار فما من شيء في الكون إلا و هو ضار نافع فهذا القدر فيه من الربوبية العامة و بها يستدعي ذلة الخلق إليه ألا ترى الإنسان على شرفه على سائر الموجودات بخلافته كيف يفتقر إلى شرب دواء يكرهه طبعا لعلمه بما فيه من المنفعة له فقد عبده من حيث لا يشعر كرها و إن كان من الأدوية المستلذة لمزاج هذا المريض و هو قد علم إن استعماله ينفعه فقد عبده من حيث لا يشعر طوعا و محبة و كذا قال الله وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً و خذ الوجود كله على ما بينته لك فإنه ما من شيء في الكون إلا و فيه ضرر و نفع فاستجلب بهذه الصفة الإلهية نفوس المحتاجين إليه لافتقارهم إلى المنفعة و دفع المضار فأداهم ذلك إلى عبادة الأشياء و إن لم يشعروا و لكن الاضطرار إليها يكذبهم في ذلك فإن

الإنسان يفتقر إلى أخس الأشياء و أنقصها في الوجود و هو مكان الخلأ عند الحاجة يترك عبادة ربه بل لا يجوز له في الشرع أداؤها و هو حاقن فيبادر إلى الخلأ و لا سيما إذا أفرطت الحاجة فيه و اضطرته بحيث تذهب بعقله ما يصدق متى يجد إليه سبيلا فإذا وصل إليه وجد الراحة عنده و ألقى إليه ما كان أقلقه فإذا وجد الراحة خرج من عنده و كأنه قط ما احتاج إليه و كفر نعمته و استقذره و ذمه و هذا هو كفر بالنعمة و المنعم و لما علم الله ما أودعه في خلقه و ما جعل في الثقلين من الحاجة إلى ما أودع الله في الموجودات و في الناس بعضهم لبعض قال فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً أي لا يشوبه فساد وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً أي لا يذل إلا لله لا لغيره و أمر أن نعبده مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و قال أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ و هو الدين المستخلص من أيدي ربوبية الأكوان فإذا لم ير شيئا سوى الله و أنه الواضع أسباب المضار و المنافع لجأ إلى الله في دفع ما يضره و نيل ما ينفعه من غير تعيين سبب فهذا معنى الإخلاص و لا يصح وجود الإخلاص إلا من المخلصين بفتح اللام فإن الله إذا اعتنى بهم استخلصهم من ربوبية الأسباب التي ذكرناها فإذا استخلصهم كانوا مخلصين بكسر اللام و إنما أضاف إليهم الإخلاص ابتلاء ليرى هل يحصل لهم امتنان بذلك على الحق أم لا و قد وجد في قوله يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فإن منوا بذلك وبخوا و نبهوا بقوله بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في دعواكم إنكم مؤمنون فعراهم من هذه الصفة أن تكون لهم كسبا فينبغي للعاقل أن لا يأمن مكر الله في إنعامه فإن المكر فيه أخفى منه في البلاء و أدنى المكر فيه إن يرى نفسه مستحقا لتلك النعمة و أنها من أجله خلقت فإن الله ليس بمحتاج إليها فهي لي بحكم الاستحقاق هذا أدنى المكر الذي تعطيه المعرفة و يسمى صاحبه عارفا في العامة و هو في العارفين جاهل إذ قد بينا فيما قبل إن الأشياء إنما خلقت له تعالى لتسبح بحمده و كان انتفاعنا بها بحكم التبعية لا بالقصد الأول ففطر العالم كله على تسبيحه بحمده و عبادته و دعا الثقلين إلى ذلك و عرف أن لذلك خلقهم لا لأنفسهم و لا لشيء من المخلوقات مع ما في الوجود من وقوع الانتفاع بها بعضها من بعض و قال تعالى في الحديث الغريب الصحيح من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء و هو للذي أشرك فطلب من عباده إخلاص العمل له فمنهم من أخلصه له جملة واحدة فما أشرك في العمل بحكم القصد فما قصد به إلا الله و لا أشرك في العمل نفسه بأنه الذي عمل بل عمله خلق لله فالأول عموم و الثاني خصوص و هو غاية الإخلاص و لا يصح إخلاص إلا مع عمل أعني في عمل فإنه لا بد من شيء يكون مستخلصا بفتح اللام و حينئذ يجد الإخلاص محلا يكون لذلك العمل يسمى به العمل خالصا و العامل مخلصا و الله الموفق لذلك

(الباب الخامس و الثلاثون و مائة في معرفة ترك الإخلاص و أسراره)

من أخلص الدين فقد أشركا و قيد المطلق من وصفه

من يجهل الأمر فذاك الذي يدرك ذات المسك من عرفه

قال رجل للجنيد و من العالم حتى يذكر مع الله و كان من أهل الأحوال و قال تعالى أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ و قال بعضهم رؤية الإخلاص منك في العمل مجوسية محضة يريد الشرك و إنما ينبغي أن يشاهد المكلف مجرى العمل و منشئه و كان أبو مدين يأمر أصحابه بإظهار الطاعات فإنه لم يكن عنده فاعل إلا الله و التخليص يؤذن بالمنازع و لا بد للمنازع أن يطلب من المكلف أن يكون عبدا له و العمل من جملة أفعال الله الذي المكلف مظهرها فأجهل الناس من يجعل موجد الفعل تحت طاعة من يفعل من أجله و هو إما إبليس و إما الرياء إذا كان المكلف يقوم إلى العمل بهذه النية و المنازع ما هو هناك فالمخلص أثبت العدم وجودا و جهل الأمر على ما هو في نفسه فمن حكم عليه ما ذكرناه و رأى نواصي كل دابة بيد الله و رأى ربه على صراط مستقيم و من أخذ بناصيتك لم يعدل بك عن طريقه الذي هو عليه فاذن لم يكن الإخلاص إلا عبارة عن رؤيته في مشهد ما معين لا في كل مظهر و هو في كل مظهر و لا يقدر صاحب هذه الحال أن يرى حجابا بينه و بين مشهوده فلا يتمكن له أن يميز شيئا من شيء فإن العين واحدة و هي على صراط مستقيم

(الباب السادس و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الصدق و أسراره)

الصدق سيف الله في أرضه فاصدق ترى الصادق من عرضه
فإن أتى الدجال فاضرب به هامته بالحد من عرضه
فالسيف محصور بحديه في نفل من الفعل و في فرضه
و لا تقل هذا محال فقد يفرضه الفارض في فرضه
فكم غنى يظهر الفقر إذ يستقرض المسكين من قرضه

الصدق شدة و صلابة في الدين و الغيرة لله من أحواله و لصاحبه المتحقق به الفعل بالهمة و هو قوة الايمان قيل لأبي يزيد ما اسم الله الأعظم الذي به تنفعل الأشياء فقال أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم ما هو إلا الصدق أصدق و خذ أي اسم شئت أسماء الله كلها عظيمة قال تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ أي أصدق حبا لله من حب المشركين لمن جعلوهم شركاء و الصادق من أسمائه و قال تعالى لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ و لهذا له الدعوى فلا يكون الصادق صادقا ما لم يقم الصدق به فإذا قام به كان له ذوقا و كان كونه صادقا حال صدقه و هو قد تسمى بالصادق فلهذا يسألهم هل صدقهم هو النعت الإلهي الذي به تسمى الله بالصادق أم لا فإن كان هو طالبهم بأن يقوموا بأحكامه قيامه فلا يغلبهم شيء و لا يقاومهم في حال صدقهم فيكون الله صدقهم كما كان سمعهم و بصرهم

النسبة واحدة فإن لم يحكموا هذا المقام و لا وجدوا منه هذه الحال فما هو هذا الصدق الذي هو النعت الإلهي بل هو أمر ظهر بصورة الصدق ظهور الشبهة بصورة الدليل و كما لا وجه للشبهة لا حقيقة لهذا الصدق و هذا معنى قول الله هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ فلا يؤثر فيهم عوارض يوم القيامة بل تخاف الناس و لا يخافون و تحزن الناس و لا يحزنون و قال في حق طائفة فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ هذا حكمه في النطق فكيف في جميع الأحوال و الصدق إذا جاء من خارج جاء بغير صورته فإنه ظهر في مادة إمكانية فلم يؤثر أثرا في كل من جاء إليه فإن كان في المحل صدق الايمان ميزه و عرفه في المادة التي ظهر فيها فقبله و عمل بمقتضاه فكان نورا على نور لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ كما زاد من ليست له حالة الصدق رجسا إلى رجسهم و الصدق بذاته مؤثر حيث ظهر عينه ظهر حكمه و من ليست له هذه الحال المؤثرة في الوقت فهو غائب عن صدقه في ذلك الوقت و لا بد و يدعيه من مكان بعيد فالصدق من حيث تعلقه بالكون هو حال و من حيث تعلقه من الصادق بالله هو مقام فمن حيث هو مقام لا يكون عنه أثر فإن تعلقه بالله و الله ليس بمحل لتأثر الأكوان فيكون صاحبه صادق التوجه إلى الله فإن ظهر عمن هذه صفته أثر في الكون فعن غير تعمل و لا قصد إنما ذلك إلى الله يجريه على لسانه أو يده و لا علم له به فإن أثر على علم و ادعى أنه صادق مع الله فهو إما جاهل بالأمر و إما كاذب و هذا ليس من صفة أهل الله فحال الصدق يناقض مقامه و مقامه أعلى من حاله في الخصوص و حاله أشهر و أعلى في العموم و كان للإمام عبد القادر على ما ينقل إلينا من أحواله حال الصدق لا مقامه و صاحب الحال له الشطح و كذلك كان رضي الله عنه و كان للإمام أبي السعود بن الشبلي تلميذ عبد القادر مقام الصدق لا حاله فكان في العالم مجهولا لا يعرف و نكرة لا تتعرف نقيض عبد القادر عجزا محققا لتمكنه في مقام الصدق مع الله كما كان عبد القادر محققا متمكنا في حال الصدق فرضي الله عنهما فما سمعنا في زماننا من كان مثل عبد القادر في حال الصدق و لا مثل أبي السعود في مقام الصدق فالصدق الذي هو نعت إلهي لا يكون إلا لأهل الله و الصدق الذي في معلوم الناس سار في كل صادق من مؤمن و كافر و هذا الصدق للصدق الإلهي كالظل للشخص فهو ظله و لهذا يظهر أثره في كل صادق من كل ملة و لو لم يكن ظلا له ما صح عنه أثر فاجعل بالك لما أشرنا إليه و بسطناه فالناس عنه في عماية و عن أمثاله من المقامات و الأحوال

فلولا الصدق ما كان الوجود ولولاه لما كان الشهود

(الباب السابع و الثلاثون و مائة في معرفة مقام ترك الصدق و أسراره)

الصدق يخرج عن ضعف العبودة إذ هو الصدوق الشديد القهر للنفس

و كل ما حال بين العبد في طبق و ضعفه فاتركنه خيفة اللبس

إذ ليس يقهر إلا من يماثله و لا يماثله شخص من الإنس

و هو الأتم وجودا من مغايره و كل غير ففي قيد و في حبس

فإنه أحد و خلقه عدد و الفصل ليس له حكم بلا جنس

لما كان الصدق يطلب المماثلة و إن كان محمودا فرجال الله أنفوا من الاتصاف به مع حكمه فيهم و ظهور أثره عليهم غير أنه ليس مشهودا لهم ثم نظروا إليه من كونه نعتا إلهيا فلم يجدوا له عينا هناك و رأوا تعلق الصدق الإلهي إنما هو فيما وعد لا في كل ما أوعد و من شرط النعت الإلهي عدم التقييد فيما هو متعلق له فعلموا أنه نعت إضافي لاختصاصه ببعض متعلقاته فلما رأوه على هذا أوجبوا ترك مشاهدته فإنهم كالناظرين في أمر معدوم لا وجود له و الصدق و إن كان نسبة و ليست له عين موجودة فله درجات فدرجاته في العارفين من أهل الأسرار مائة و خمس و تسعون درجة و في العارفين من أهل الأنوار مائتان و خمس و عشرون و في الملامية من أهل الأسرار مائة و أربع و ستون درجة و في الملامية من أهل الأنوار مائة و أربع و تسعون درجة و أنا أعطيك أصلا مطردا في كل ما أذكره من ترك كل ما نثبته إنما أريد بذلك ترك شهوده لا ترك أثره فإن حكمه لا يتمكن أن يقول فيه ليس فإنه موجود مشهود لكل عين فعلى هذا تأخذ كل ما أذكره في هذا الكتاب من التروك فاعلم ذلك

(الباب الثامن و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الحياء و أسراره)

إن الحياء من الايمان جاء به لفظ النبي و خير كله فبه

فليتصف كل من يرعى مشاهده و ليس يعرف هذا غير منتبه

مستيقظ غير نوام و لا كسل مراقب قلبه لدى تقلبه

إن الحي من أسماء الإله و قد جاء التخلق بالأسماء فأحظ به

ورد في الخبر أن الحي اسم من أسماء الله تعالى و قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها يعني في الصغر و هو من صفات الايمان و من صفات المؤمن و من أسمائه تعالى المؤمن فالحيي نعت للمؤمن فإن الحياء من الايمان و الحياء خير كله و الحياء لا يأتي إلا بخير و هذه كلها أخبار صحيحة و حقيقتها أعني هذه الصفة الترك لأن الترك من كل موجود بقاء على الأصل و العمل فرع وجودي زائد على الأصل فلهذا قيل فيه خير كله فالحياء نعت سلبي فالعبد إذا ترك ما لله لله و ما يقول الكون إنه للعبد من الأمور الوجودية يتركه أيضا لله على حقيقة ما يترك ما هو لله بالإجماع من كل نفس لله فقد استحيا من الله حق الحياء و من ترك ما لله لله خاصة فقد استحيا

من الله و لكن لا حق الحياء و ذلك أن النعوت التي نعت الحق بها نفسه من المسمى إخبار التشبيه و آيات التشبيه على ما يزعم علماء الرسوم و أنه تنزل إلهي رحمة بالعباد و لطفا إلهيا و هو عندنا نعت حقيقي لا ينبغي إلا له تعالى و أنه في العبد مستعار كسائر ما يتخلق به من أسمائه فإنه خَيْرُ الْماكِرِينَ و الله يستهزئ بالمستهزئين من عباده باستهزاء و مكر هو له من حيث لا يشعرون و هو لا يصف نفسه بالحوادث فدل إن هذه النعوت بحكم الأصالة لله و ما ظهرت في العبد الإلهي إلا لكونه خلق على الصورة من جميع الوجوه و لما عرف العارفون هذا و رأوا قوله تعالى وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و هذه النعوت الظاهرة في الأكوان التي يعتقد فيها علماء الرسوم أنها حق للعبد من جملة الأمور التي ترجع إلى الله تركوها لله لاستحيائهم من الله حق الحياء و هو من نعوت الاسم المؤمن و المؤمن المصدق بأن هذه النعوت له أزلا و إن لم يظهر حكمها إلا في المحدثات فالحياء يدخل في الصدق و لهذا قال الحياء من الايمان و أما قوله ص في الحياء إنه لا يأتي إلا بخير فهي كلمة صحيحة صادقة فإن البقاء على الأصل لا يأتي إلا بخير فإنها لا تصحبها دعوى فهو قابل لكل نعت إلهي يريد الحق أن ينعته به و ما في المحل ضد يرده و لا مقابل يصده فيبقى الحق يفعل ما يريد بغير معارض و لا منازع و أما نعت الحق به فهو تركه العبد يتصف بنعوت الحق و يسلمها له و لا يخجله فيها بل يصدقه و يعلى بها رتبته و لا يكذبه في دعواه فإنه مجلاه فهذا من كون الحق حيا ورد في الخبر أن شيخا يوم القيامة يقول الله له يا عبدي عملت كذا و كذا لأمور لم يكن ينبغي له أن يعملها فيقول يا رب ما فعلت و هو قد فعل فيقول الحق سيروا به إلى الجنة فتقول الملائكة التي أحصت عليه عمله يا ربنا ألست تعلم أنه فعل كذا و كذا فيقول بلى و لكنه لما أنكر استحييت منه أن أكذب شيبته فإذا كان الحق يستحي من العبد أن يكذب شيبته و يوقره فالعبد بهذه الصفة أولى و للحياء درجات عند العارفين و عند الملاميين فدرجاته في العارفين إحدى و خمسون درجة و في الملاميين عشرون درجة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الواحد و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(فصل) لما كان الحياء صفة تنسب إلى الايمان فهو من ذات الايمان كان أثره من ظاهر صورة الإنسان في الوجه إذ الوجه ذات الشيء و عينه و حقيقته فالحياء ينقسم كما ينقسم الايمان إلى بضع و سبعين شعبة أرفعها لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و المناسبة بين العالي و الدون أن الشرك أذى في طريق التوحيد إماطته الأدلة العقلية و الإنباءات الشرعية لما جعلته في طريق التوحيد الشبه المضلة و الأهواء الشيطانية و صورة الحياء الذي يدرك الموحد في توحيده و يزيل الأذى من طريق الخلق تلفظه بنفي الإله قبل وصوله إلى إيجابه إلى من يستحقه و هو قوله لا إله و النفي عدم فوقع الحياء من العبد المؤمن حيث بدأ بالعدم و هو عينه لأن المحدث نعته

تقدم حال العدم عليه ثم استفاد الوجود الذي هو بمنزلة الإيجاب لما وقع عليه النفي و لم يتمكن للمحدث أن يقول إلا هذا لأنه لا يصح العدم بعد الوجود و لا النفي بعد الإثبات فإنه لو تجلى له الحق ابتداء لم ينفه في الشريك لأنه كان يراه عينه لو كان له وجود و إن لم يكن له وجود فيكون نظر الموحد عند وقوعه على وجود الحق لا يتمكن أن يرى مع هذا الوجود عدما فكان لا يتلفظ بكلمة التوحيد أبدا و لا يرى نفسه أبدا فمن رحمة الله تعالى بالإنسان أنه أشهده أولا نفسه فرأى في نفسه قوى ينبغي أن لا تكون إلا لمن هو إله فلما حقق النظر بعقله و نظر إلى العوارض الطارئة عليه بغير إرادته و مخالفة أغراضه و وجد الافتقار في نفسه علم قطعا إن عين وجوده شبهة و أن هذه الصفات لا ينبغي أن تكون لمن هو إله فنفى تلك الألوهة التي قامت له من نفسه فقال لا إله ثم إنه لما أمعن النظر وجد نفسه قائما بغيره غير مستقل في وجوده فأوجب فقال عند ذلك إلا الله فلما أثبت نظر إلى هذا الذي أثبته فرآه عين صورة ما نفاه مرتبطا به ارتباط الظل بالشخص بنور العلم الذي فتح عينه إلى هذا الإدراك و قد كان نفاه بقوله لا إله فاستحى كيف أطلق لا إله و لهذا جعلته طائفة من أذكار العموم و كان بعض شيوخنا لا يقول في ذكره سوى لفظة الله الله كان لا يقول لا إله إلا الله فسألته عن ذلك فقال إن روحي بيد الله ما هي في حكمي و في كل نفس أنتظر الموت و اللقاء و كل حرف من حروف الكلام نفس فيمكن إذا انصرف أن تكون المفارقة في انصرافه و لا يأتي من الله بعده نفس آخر فإذا قلت لا أو عشت حتى أقول لا إله ثم أفارق قبل الوصول إلى الإيجاب فأقبض في وحشة النفي لا في أنس الإيجاب فلهذا عدلت إلى ذكر الجلالة إذ ليس لي مشهود سواه فمن كان هذا حاله فلا بد أن يستحيي في قوله لا إله إلا الله و هو أشد الحياء فكانت أرفع شعب الايمان فكانت أرفع شعب الحياء من الله حيث نظر إلى نفسه قبل نظره إلى خالقه و هو قوله ص من عرف نفسه عرف ربه و قوله سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ إذ كان عين ما نفى عين ما أثبت فإنه ما نفى إلا الإله و لا أثبت إلا الإله و أما حياؤه في إماطته الأذى عن طريق الخلق فإنه مأمور بإماطته ثم إنه يرى وجه الحق فيه بالضرورة لأنه أدنى المراتب فهو بمنزلة الآخر من الأسماء الإلهية و إليه ينظر كما كان لا إله إلا الله الاسم الأول و جاءت الهوية فأخذت الاسمين لها فقالت هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ فبقي مترددا بين حق ما يستحقه الاسم الآخر الظاهر في كون هذا أذى في طريق الخلق و يرى أن الخلق متصرفون بأسماء إلهية بين هذين الاسمين فلا تقع عين هذا المؤمن إلا على الله أولا و آخرا و ما بينهما و الأمر متوجه عليه بالإماطة فيستحيي من الأمر أن لا يبادر لما أمره به من الإماطة و يستحيي من الاسم الآخر الذي يراه في عين الأذى فإذا أدركه هذا الحياء ناداه الاسم من الأذى يا فلان بي تميط هذا الأذى عن طريق الخلق فإنا في الأذى كما أنا في الإماطة ما أزلته بغيري فلا تستحي انظر في قوله أدناها إماطة الأذى فعلق الأذى بالإماطة و هو آخر درجات الايمان فنحن في عين الإماطة ما نحن غيرها فيتجبر عند ذلك صاحب

هذه الحال فيميطه به كما نفى الإله بالإله و إذا كان حال العبد في حيائه من الله في الأول و الآخر و الأعلى و الأدون انحصرت المتوسطات بين هذين الطرفين فكان معصوم الحال محفوظ المقام كالصلاة تحريمها التكبير و تحليلها التسليم فظهرت المنة في الطرفين ليسلم الوسط بينهما و سبب ذلك الحصر فتبين لك بعد ما أوقفتك عليه من الحقائق أن الحياء من الله أن يراك حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك فعم بهذا جميع شعب الايمان و هو مقام يصحبه الأمر و النهي و التكليف فإذا انقضى زمان التكليف كان ينبغي له أن يزول و ليس الأمر كذلك فاعلم أنه من حقيقة وجود الحياء وجود العلم بما يجب لله تعالى و أنت القائم به و المطلوب عقلا و شرعا و محال أن يقدر مخلوق على الوفاء بما يجب لله تعالى عليه من تعظيمه عقلا و شرعا و لا بد له من لقاء ربه و شهوده و مقامه هذا فالحياء يصحبه في الدنيا و الآخرة لأنه لا يزال ذاكرا لما يجب عليه و ذاكر العدم قيامه في حق الله بما يجب له و قد ورد في الخبر ما يؤيد هذا أن الحق إذا تجلى لعباده يوم الزور الأعظم و يرفع الحجب عن عباده فإذا نظروا إليه جل جلاله قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فهذا الاعتراف أوجبه الحياء من الله عز و جل فالحياء أنطقهم بذلك

(الباب التاسع و الثلاثون و مائة في معرفة مقام ترك الحياء)

ترك الحياء تحقق و تخلق ... جاءت به الآيات في القرآن

فله النفاسة و النزاهة عندنا ... إذ لا تخاف بمنزل العدوان

هذي هي الدنيا و أنت إمامها ... وعبيدها بالنقص و الرجحان

فإذا فهمت الأمر يا هذا فكن ... مثل اللسان بقية الميزان

لا تعدلن إلى الشمال فإنه ... نقص و مل طلبا إلى الايمان

فهو الكمال لمن تحقق حالة ... الإسلام و الايمان و الإحسان

ترك الحياء في موطنه نعت إلهي قال الله تعالى إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما و سبب ذلك من وجهين إما أن يكون ما في الوجود إلا الله فالوجود كله عظيم فلا يترك منه شيء لأن الحياء ترك فهو نعت سلبي و ترك الترك تحصيل فهو نعت ثبوتي فلا إله نعت سلبي و إلا الله نعت ثبوتي فما جئنا بالسلب إلا من أجل الإثبات فما جئنا بالحياء إلا من أجل تركه فإن الحياء للتفرقة و ترك الحياء لاحدية الجمع لا للجمع هذا هو الوجه الواحد و إما أن يكون في الوجود أعيان الممكنات التي لا قيام لها إلا بالله فينبغي إن لا يترك شيء منها لارتباط كل شيء منها بحقيقة إلهية هي تحفظه و قد ثبت أن الممكنات لا تتناهى فالحقائق و النسب الإلهية لا نهاية لها و لا يصح أن يكون في

الإلهيات تفاضل لأن الشيء لا يفضل نفسه و لا مفاضلة في هذه الأعيان إلا بما تنتسب إليه لأنه لا فضل لها من ذاتها و لا مفاضلة هناك فلا مفاضلة هنا فكما هو الأول هو الآخر كذلك العقل الأول الجماد و كما هو الظاهر هو الباطن كذلك عالم الغيب و الشهادة فما ثم تافه و لا حقير فإن الكل شعائر الله وَمن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا من تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى زمان نظركم في نفوسكم بها و الأجل المسمى هو أن يكشف لكم عنكم إنكم ما هم أنتم إذ من حقيقته عدم الوجود فالوجود له معار فإذا تبين لكم إنكم ما هم أنتم و هو الأجل المسمى كان محلها و هو مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ و هو القديم الذي لا يقبل الحدوث فرأيتم إن الصفة تطلب موصوفها فزلتم أنتم من كونكم شعائر الله و صار الحق دليلا على نفسه إذ كان من المحال أن يدل شيء على شيء دلالة علم محقق فلا أدل من الشيء على نفسه و لهذا إذا حددت الأمر الظاهر ترده غامضا و لهذا لا تطلب حدود الأمور الظاهرة كمن يطلب حد النهار و هو فيه و هو أوضح الأشياء لا يقدر أن يجهله و إذا كان الأمر كما ذكرنا فلا يستحي فلا حياء و لا حكم له بل يضرب الأمثال و يقيم الأشكال و يعلم لمن يخاطب و من يفهم عنه ممن لا يفهم و لكل فهم فلو وجد عند السامع ما هو أخفى من البعوضة لجاء بها كما قد جاء بذلك مجملا بقوله فَما فَوْقَها فأمرك و علمك في هذه الآية أن لا تترك شيئا إلا و تنسبه إلى الله و لا يمنعك حقارة ذلك الشيء و لا ما تعلق به من الذم عرفا و شرعا في عقدك ثم تقف عند الإطلاق فلا تطلق ما في العقد على كل شيء و لا في كل حال وقف عند ما قال لك الشارع قف عنده فإن ذلك هو الأدب الإلهي الذي جاء به الشرع و الأدب جماع الخير و في إيراد الألفاظ يستعمل الحياء لأنك تترك بعضها كما أمرت و في العقد لا تترك شيئا لا تنسبه إلى الله و هو مقام ترك الحياء فعامل الله تعالى بحسب المواطن كما رسم لك و لا تنازع وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإنك إذا قلت ذلك لم تزل في مزيد جانيا ثمرة الوجوب

(الباب الأربعون و مائة في معرفة مقام الحرية و أسراره و هو باب خطر)

عبد الهوى آبق عن ملك مولاه ... و ليس يخرج عنه فهو تياه

الحر من ملك الأكوان أجمعها ... و ليس يملكه مال و لا جاه

فإن تعرض للتكوين أبطل ما ... قد كان أصله من ملك مولاه

اعلم وفقك الله أن الحرية مقام ذاتي لا إلهي و لا يتخلص للعبد مطلقا فإنه عبد لله عبودية لا تقبل العتق و أحلناها في حق الحق من كونه إلها لارتباطه بالمألوه ارتباط السيادة بوجود العبد و المالك بالملك و الملك بالملك انظر في قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ . . . وَيَأْتِ بِآخَرِينَ فنبه بإتيان قوم آخرين على هذا الارتباط فإنه يلزم من حقيقة الإضافة عقلا و وجودا تصور المتضايفين فلا حرية مع الإضافة و الربوبية

و الألوهية إضافة و لما لم يكن بين الحق و الخلق مناسبة و لا إضافة بل هو الغني عن العالمين و ذلك لا يكون لذات موجودة إلا لذات الحق فلا يربطها كون و لا تدركها عين و لا يحيط بها حد و لا يفيدها برهان وجدانها في العقل ضروري كما إن نفي صفات التعلق التي تدخلها تحت التقييد نظري فإذا أراد العبد التحقق بهذا المقام فإنه مقام تحقق لا مقام تخلق و نظر أنه لا يصح له ذلك إلا بزوال الافتقار الذي يصحبه لإمكانه و يرى أن الغيرة الإلهية تقتضي أن لا يتصف بالوجود إلا الله لما يقتضيه الوجود من الدعوى فعلم بهذا النظر أن نسبة الوجود إلى الممكن محال لأن الغيرة حد مانع من ذلك فنظر إلى عينه فإذا هو معدوم لا وجود له و أن العدم له وصف نفسي فلم يخطر له الوجود بخاطر فزال الافتقار و بقي حرا في عدميته حرية الذات في وجودها ثم إنه أراد أن يعرف ما يناسب الأسماء الإلهية التي لهذه الذات من ذات الممكن المعدوم فرأى إن كل عين من عيون الممكنات على استعداد لا يكون في غيره ليقع التمييز بين الأعيان فما وقع بين ذات الممكن و ذات الحق بالوجود للحق الواجب و العدم للممكن الواجب فجعل هذه الاستعدادات له بمنزلة الأسماء للحق و الوجود في أعيان الممكنات لله تعالى فإذا ظهر في عين من أعيان الممكنات لنفسه باسم ما من الأسماء الإلهية أعطاه استعداد تلك العين اسما حادثا تسمى به فيقال هذا عرش و هذا عقل و هذا قلم و لوح و كرسي و فلك و ملك و نار و هوى و ماء و أرض و معدن و نبات و حيوان و إنسان ما بين أجناس و أنواع ثم سرت هذه الحقيقة في الأشخاص فيقال زيد و عمرو و هذا الفرس و هذا الحجر و هذه الشجرة هذا كله أعطاه استعداد أعيان الممكنات فاستدللت بآثارها في الوجود على ما هي عليه من الحقائق في ذاتها كما استدللت بآثار الأسماء في الوجود على الأسماء الإلهية و ما للمسمى عين يقع عليها الإدراك فإذا وقف الممكن مع عينه كان حرا لا عبودية فيه و إذا وقف مع استعداداته كان عبدا فقيرا فليس لنا مقام في الحرية المطلقة إلا أن يكون مشهدنا ما ذكرناه فلا تحدث نفسك بغير هذا و من لا يشهد هذا المقام فإنه لا يعلم أبدا مدلول قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ أي هو غني عن الدلالة عليه إذ لو أوجد العالم للدلالة عليه لما صح له الغني عنه فاعلم المعرفة من نصب العالم دليلا و على من يدل و هو أظهر و أجلي من أن يستدل عليه بغير أو يتقد تعالى بسوى إذ لو كان الأمر كذلك لكان للدليل بعض سلطنة و فخر على المدلول و لو نصبه المدلول دليلا لم ينفك هذا الدليل عن مرتبة الزهو بكونه أفاد الدال به أمرا لم يتمكن للمدلول أن يوصل إليه إلا به فكان ببطل الغني و الحرية و هما ثابتان لله تعالى فما نصب الأدلة عليه و إنما نصبها على المرتبة ليعلم أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فهذا لسان الخصوص في الحرية و أما لسان العموم فالحرية عند القوم من لا يسترقه كون إلا الله فهو حر عن ما سوى الله فالحرية عبودة محققة لله فلا يكون عبد الغير الله الذي خلقه ليعبده فوفى بما خلق له فقيل فيه نعم العبد إنه أواب أي رجاع إلى العبودة التي خلق لها لأنه خلق محتاجا إلى كل ما في الوجود فما في الوجود شيء إلا و يناديه بلسان فقر هذا العبد أنا الذي يفتقر إلي

فارجع إلي فإذا كان عالما بالأمور علم إن الحق عند من ناداه و أنه فقير إلى ذلك السبب لكونه مستعدا لهذا الفقر إليه فإذا بحقيقته افتقر ثم نظر إلى معطي ما هو محتاج إليه في هذا السبب فرآه الاسم الإلهي فما افتقر إلا إلى الله من اسمه و لا افتقر إلا بنفسه من أثر استعداده فعلم ما الفقر و من افتقر و من افتقر إليه فلهذا أمرص أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فقد نبهتك على ما فيه كفاية في الحرية و أسرارها مما لا تجده في غير هذا الكتاب من مصنفات غيرنا

(الباب الواحد و الأربعون و مائة في مقام ترك الحرية)

من ليس ينفك عن حاجاته أبدا كيف التحرر و الحاجات تطلبه

فهو الفقير إلى الأشياء أجمعها فالفقر مذهبه و الفقر مكسبه

لذا تسمى بأعيان الكيان لنا حتى تعين في المنطوق مذهبه

فليس في الكون حر حيث يطلبنا من كل وجه و منه نحن نطلبه

اعلم وفقك الله أن ترك الحرية عبودة محضة خالصة تسترق صاحبها الأسباب لتحققه بعلم الحكمة في وضعها فهو بذل تحت سلطانها فصاحبها كالأرض يطؤها البر و الفاجر و تعطي منفعتها المؤمن و الكافر تؤثر فيه تأثير الدعاء من الكون في الحق إجابة دعائه تحققا بمولاه حين رأى هذا المقام يصحبه مع الغني المنسوب إليه فكيف حال من يجوع مركبه و يعري و يظمأ و يضحى و هو مأمور بحفظه و النظر في شأنه و ما يصلحه قد ولاة الله عليه و أنزله خليفة فيه و ليس في قوته أن يقوم بحقه إلا أن تمكنه الأسباب من نفسها فبالضرورة يخضع في تحصيلها لأداء حق الله فيه المتوجه عليه فإن الله يقول له إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا و لزورك عليك حقا و من توجهت عليه الحقوق فإني له الحرية

فكل كون عليه حق فهو عبيد لذلك الحق

و ليس حرا فكن عليما به خبيرا كمن تحقق

و لا تكن مثل من تأبى عن أمر مولاه إذ تخلق

الله رب و أنت عبد له فكنه فالكون أسبق

قد قلت ذا حين كان سمعي و مقولي حين كنت أنطق

و من يكن مثل ما ذكرنا فذلك العالم الموفق

فهو عبد نفسه ما دامت تطلبه بحقها و عبد عينه ما دام يطلبه بحقه و عبد زوره ما دام يطلبه بحقه و النعم الإلهية تطلبه بشكر المنعم بها عليه و التكليف قائم و الاضطرار لازم إن رام دفعه لا يندفع يؤثر فيه المدح و الثناء فيقول الحمد لله المنعم المفضل و يملكه الذم و الجفاء و الأذى فيقول الحمد لله على كل حال فتغير حمده لتغير الأحوال فلو تغيرت الأحوال لتغير حمده لكان حرا عنها قال رسول الله ص لأبي بكر الصديق ما أخرجك قال يا رسول الله الجوع قال رسول الله ص و أنا أخرجني الجوع فجاء مع من كان معه من أصحابه إلى دار الهيثم بن أبي التيهان فذبح لهم و أطعمهم فما أخرجهم إلا من حكم عليهم لما توجه له حق عليهم و هو الجوع و الجوع أمر عدمي فموجود يؤثر فيه المعدوم كيف حاله مع الموجود و مثل هؤلاء المشهود لهم بالحرية و لهذا الذوق ما خرجوا إلا لطلب أداء ما عليهم من الحقوق لأنفسهم فقد استرقهم الجوع و لو لم يخرجوا و سكتوا لكانوا تحت قهر الصبر و ما تطلبه هذه الحال فغاية نسبة الفضل إليهم أنهم خرجوا كما قلنا يلتمسون أداء حقوق نفوسهم بالسعي فيها إذ كانوا متمكنين من ذلك و أعلى من هذا فلا يكون فإن قعدوا مع التمكن اتصفوا بالظلم و الجهل بالحكم الإلهي و إني تعقل الحرية فيمن هذه صفته في الدنيا و الآخرة أما في الدنيا فواقع لا يقدر على إنكاره جحده و يجحده من نفسه و إن لم يركن إلى الأسباب و لا يعتمد عليها و غايته إن يعتمد على الله في استعمالها فهو عبد معلول لأنه توجه خاص و كذلك في الآخرة عبد شهوته لكونه تحت سلطانها تحكم فيه و لا معنى للعبودية إلا هذا دخوله تحت الأحكام و رق الأسباب و لما أبصر هذا العارف من نفسه علم إن الحرية حديث نفس و حال عرضي لا ثبات له مع الصحو ثم إن ترك الحرية نعت إلهي فكيف يصح له الخروج عنه و غايته إن يكون فيه بصورة حق يلتمس الدعاء و يطلب التوبة من عباده و سؤال المغفرة منهم و يذمهم إن لم يأتوا بما التمسه منهم حتى قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يتوبون فيغفر لهم فقد نبهتك عن أسرار هذا المقام إن وقفت معها عرفت نفسك و عرفت ربك و ما تعديت قدرك و إن كان للحرية درجات في عباد الله فغير الأحرار أعظم عند الله درجة و أكمل وصفا و الأصل معهم حفيظ يحفظ عليهم ترك الحرية و الاسترقاق لما تعطيه الحكمة فإن قلت فكم للحرية من الدرجات فنقول لها في العارفين من أهل الأنس ستمائة درجة و تسع و أربعون درجة و في العارفين من أهل الأدب أربع و خمسون درجة و مائتا درجة و في الملامية من أهل الأنس ستمائة و ثمان عشرة درجة و في الملامية من أهل الأدب ثلاث و عشرون و مائتا درجة و هذه الدرجات بأعيانها لمن ترك الحرية و زيادة ما يعطيه الترك من الدرجات لقيامه بالحكمة و حفظ الأصل لإبقاء الحرية

(الباب الثاني و الأربعون و مائة في معرفة مقام الذكر و أسراره)

الذكر ستر على مذكوره أبدا و كل ذكر فأحوال و أسماء

و ليس ثم سوى ما قلته فإذا نظرت فيه بدت للعين أشياء

تدري بها كل من قام الوجود به وذلك الحق لا عقل ولا ماء

الذكر نعت إلهي و هو نفسي و ملئي في الحق و في الخلق و مع كونه نعتا إلهيا فهو جزاء ذكر الخلق قال تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ فجعل وجود ذكره عن ذكرنا إياه و كذلك حاله فقال تعالى إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فانتج الذكر الذكر و حال الذكر حال الذكر و ليس الذكر هنا بأن نذكر اسمه بل لتذكر اسمه من حيث ما هو مدح له و حمد إذ الفائدة ترتفع بذكر الاسم من حيث دلالته على العين لا في حقك و لا في حقه فإن قلت فقد رجح أهل الله ذكر لفظة الله و ذكر لفظة هو على الأذكار التي تعطي النعت و وجدوا لها فوائد قلت صدقوا و به أقول و لكن ما قصدوا بذكرهم الله الله نفس دلالته على العين و إنما قصدوا هذا الاسم أو الهو من حيث إنهم علموا إن المسمى بهذا الاسم أو هذا الضمير هو من لا تقيده الأكوان و من له الوجود التام فإحضار هذا في نفس الذاكر عند ذكر الاسم بذلك وقعت الفائدة فإنه ذكر غير مقيد فإذا قيده بلا إله إلا الله لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة و إذا قيده بسبحان الله لم يتمكن له أن يحضر إلا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح و كذلك الله أكبر و الحمد لله و لا حول و لا قوة إلا بالله و كل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيد به لا يمكن أن يجني منه ثمرة عامة فإن حالة الذكر تقيده و قد عرفنا الله أنه ما يعطيه إلا بحسب حاله في قوله إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث فلهذا رجحت الطائفة ذكر لفظة الله وحدها أو ضميرها من غير تقييد فما قصدوا لفظة دون استحضار ما يستحقه المسمى و بهذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عام لجميع الفضائل اللائقة به التي تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالاسم الله فالذكر من العبد باستحضار و الذكر من الحق بحضور لأنا مشهودون له معلومون و هو لنا معلوم لا مشهود فلهذا كان لنا الاستحضار و له الحضور فالعلماء يستحضرونه في القوة الذاكرة و العامة تستحضره في القوة المتخيلة و من عباد الله العلماء بالله من يستحضره في القوتين يستحضره في القوة الذاكرة عقلا و شرعا و في القوة المتخيلة شرعا و كشفا و هذا أتم الذكر لأنه ذكره بكله و من ذلك الباب يكون ذكر الله له ثم إن الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر و ما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر قال وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ و قال اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً و ما أتى الذكر قط إلا بالاسم الله خاصة معرى عن التقييد فقال فَاذْكُرُوا الله و ما قال بكذا و قال وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ و لم يقل بكذا و قال اذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ و لم يقل بكذا و قال فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا و لم يقل بكذا و قال فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ و لم يقل بكذا و قال ص لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا و كل دار يكونون فيها فإذا لم يبق في الدنيا منهم

أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول و تخرب و كم من قائل الله باق في ذلك الوقت و لكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي ذكرناه فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً لأنهم لم يسمعوا بذكر شركائهم و اشمأزت قلوبهم هذا مع علمهم بأنهم هم الذين وضعوها آلهة و لهذا قال قُلْ سَمُّوهُمْ فإنهم إن سموهم قامت الحجة عليهم فلا يسمى الله إلا الله و درجات الذكر عند العارفين من أهل الله إحدى و خمسون و تسعمائة درجة و عند الملامية تسع مائة و عشرون درجة

(الباب الثالث و الأربعون و مائة في معرفة مقام ترك الذكر)

لا يترك الذكر إلا من يشاهده ... وليس يشهده من ليس يذكره

فقد تحيرت في أمري و فيه فأين ... الحق بينهما عينا فأوثره

ما إن ذكرتك إلا قام لي علم ... فحين أبصره في الحين يستره

فلا أزال مع الأحوال أشهده ... و لا أزال مع الأنفاس أذكره

و لا يزال لدى الأعيان يشهدني ... و لا يزال مع الأسماء يظهر هو

لا يكتب هنا هو إلا بالواو لتعرف الهوية لا أنه ضمير ژ اعلم وفقك الله أن الذكر أفضل من تركه فإن تركه إنما يكون عن شهود و الشهود لا يصح أن يكون مطلقا و الذكر له الإطلاق و لكن الذكر الذي ذكرناه لا الذكر بالتسبيح و التهليل و غيره من الذكر المقيد فلو كان ترك الذكر لا عن شهود كنا ننظر هل كان سبب تركه مما يقتضي الإطلاق فتحكم فيه بالتساوي و الأحوال مقيدة بلا شك و إن كان الإطلاق تقييدا لأنه قد تميز عن المقيد و سرى في المقيدات كيف ما قلت و بنفس ما تميز فقد تقيد بما تميز به فالإطلاق تقييد و أعظم ما يقال فيه إنه مجهول لا يعرف فما خرج بهذا الوصف عن التقييد لأنه قد تميز عن المعلوم فعلى كل حال ما ثم إلا مقيد و ما ثم في ما لا ثم إلا مقيد فالعدم هو ما لا ثم و هو متميز عن الوجود و الوجود متميز عن العدم فما ثم معلوم و لا مجهول إلا و هو متميز فالتقييد له الحكم و ما بقي إلا تقييد متفاضل أعلاه تقييد في إطلاق و هو ذكر الله و الجهل به و الحيرة فيه

و ترك الذكر أولى بالشهود ... فذكر الله أولى بالوجود

فكن إن شئت في جود الشهود ... و كن إن شئت في فضل الوجود

(الباب الرابع و الأربعون و مائة في معرفة مقام الفكر و أسراره)

إن التفكر في الآيات و العبر ليس التفكر في الأحكام و القدر

إن التفكر حال لست أجهله فالله قرره في الآي و السور

لو لا التفكر كان الناس في دعة و في نعيم مع الأرواح في سرر

الفكر نعت طبيعي و ليس له حكم على أحد يدري سوى البشر

و لو يكون الذي قلناه ما نظرت بالغا عيني إلى الأحوال و الصور

به المؤثر و الأسماء قائمة تنفذ الأمر في بدو و في حضر

اعلم وفقك الله أن الفكر ليس بنعت إلهي إلا إذا كان بمعنى التدبير و التردد في الأولى فحينئذ يكون نعتا إلهيا و أما الفكر بمعنى الاعتبار فهو نعت طبيعي و لا يكون في أحد من المخلوقين سوى هذا الصنف البشري و هو لأهل العبر الناظرين في الموجودات من حيث ما هي دلالات لا من حيث أعيانها و لا من حيث ما تعطي حقائقها قال تعالى وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فإذا تفكروا أفادهم ذلك التفكر علما لم يكن عندهم فقالوا رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ فما عدلوا إلى الاستجارة به من عذاب النار إلا و قد أعطاهم الفكر في خلق السموات و الأرض علما أشهدهم النار ذلك العلم فطلبوا من الله أن يحول بينهم و بين عذاب النار و هكذا فائدة كل مفكر فيه إذا أعطى للمفكر علما ما يسأل الله منه بحسب ما يعطيه فمقام الفكر لا يتعدى النظر في الإله من كونه إلها و فيما ينبغي أن يستحقه من له صفة الألوهية من التعظيم و الإجلال و الافتقار إليه بالذات و هذا كله يوجد حكمه قبل وجود الشرائع ثم جاء الشرع به مخبرا و آمرا فأمر به و إن أعطته فطرة البشر ليكون عبادة يؤجر عليها فإنه إذا كان عملا مشروعا للعبد أثمر له ما لا يثمر له إذا اتصف به لا من حيث ما هو مشروع و ليس للفكر حكم و لا مجال في ذات الحق لا عقلا و لا شرعا فإن الشرع قد منع من التفكر في ذات الله و إلى ذلك الإشارة بقوله وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ أي لا تتفكروا فيها و سبب ذلك ارتفاع المناسبة بين ذات الحق و ذات الخلق و أهل الله لما علموا مرتبة الفكر و أنه غاية علماء الرسوم و أهل الاعتبار من الصالحين و أنه يعطي المناسبات بين الأشياء تركوه لأهله و أنفوا منه أن يكون حالا لهم كما سيأتي في باب ترك الفكر و الفكر حال لا يعطي العصمة و لهذا مقامه خطر لأن صاحبه لا يدري هل يصيب أو يخطئ لأنه قابل للاصابة و الخطاء فإذا أراد صاحبه أن يفوز بالصواب فيه غالبا في العلم بالله فليبحث عن كل آية نزلت في القرآن فيها ذكر التفكر و الاعتبار و لا يتعدى ما جاء من ذلك في غير كتاب و لا سنة متواترة فإن الله ما ذكر في القرآن أمرا يتفكر فيه و نص على إيجاده عبرة أو قرن معه التفكر إلا و الإصابة معه و الحفظ و حصول المقصود منه الذي أراده الله لا بد من ذلك لأن الحق ما

نصبه و خصه في هذا الموضع دون غيره إلا و قد مكن العبد من الوصول إلى علم ما قصد به هناك فقد ألقيت بك على الطريق و هكذا وجده أهل الله فإن تعديت آيات التفكر إلى آيات العقل أو آيات السمع أو آيات العلم أو آيات الايمان و استعملت فيها الفكر لم تصب جملة واحدة فالتزم الآيات التي نصبها الحق لقوم يتفكرون و لا تتعدى بالأمور مراتبها و لا تعدل بالآيات إلى غير منازلها و إذا سلكت على ما قلته لك حمدت مسعاك و شكرتني على ذلك فابحث على كل آية عبرة و تفكر تسعد إن شاء الله تعالى و كذلك الآيات التي فيها النظر من هذا الباب الفكري مثل قوله تعالى أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ و مثل قوله أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و كذلك أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ و قوله أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ الآية و كذلك آيات التدبر من هذا الباب مثل قوله أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ و اجعل بالك إذا ذكر الله شيئا من ذلك بأي اسم ذكره فلا تتعدى التفكر فيه من حيث ذلك الاسم إن أردت الإصابة للمعنى المقصود لله مثل قوله أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ فانظر فيه من حيث ما هو قرآن لا من حيث ما هو كلام الله و لا من حيث ما هو فرقان و لا من حيث ما هو ذكر من قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ فكل اسم له حكم و ما عينه الحق في الذكر إلا حتى يفهمه عباده و يعلمهم كيف ينزلون الأشياء منازلها فتلك الحكمة و صاحبها الحكيم و قد مدح الله من شرفه بالحكمة فقال وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ و قال وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ و قال وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ فإن حكمها يسرى في جميع الأشياء و هو أن الحكيم لا يتعدى بالشيء قدره و لا منزلته

(الباب الخامس و الأربعون و مائة في معرفة مقام ترك الفكر و أسراره)

ترك التفكر تسليم لخالقه ... فلا تفكر فإن الفكر معلول

إن لم تفكر تكن روحا مطهرة ... جليس حق على الأذكار مجبول

إن لم تفكر تكن روحا مطهرة ... مثل الملائك لم يحجبك تفصيل

عن الإله الذي يعطي مواهبه ... جودا و ذاك الذي يعطيه تنزيل

إما لقاء أو إلقاء فتعلمه ... أو الكتابة أعطتها التفاصيل

فبالتفكر و وكلنا لأنفسنا ... لولاه ما كان إشراك و تعطيل

إن التفكر أمر قد خصصت به ... لأنني جامع و الجمع تحصيل

لصورة الحق و الأسماء أجمعها ... و كل عين فما في الحق تبديل

و في المواطن كلفنا بخدمته أنت بذلك إخبار و تنزيل

التا ركون للفكر رجال أرادوا رفع اللبس عنهم فيما يريدون العلم به ليلحقوا بوراثة من قيل فيه وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى و بما فطر عليه من فطر من المخلوقات كالملائكة و من شاء الله من المخلوقين الذين فطروا على العلم بالله و الوحي إليهم ابتداء من الله و عناية بهم و لأن الأفكار محل الغلط و الطائفة الأخرى نزحت إلى ترك التفكر لأن التفكر جولان في أحد أمرين إما في المخلوقات و إما في الإله و أعلى درجات جولانه في المخلوقات أن يتخذها دليلا و المدلول يضاد الدليل فلا يجتمع دليل و مدلوله عند الناظر أبدا فرأوا ترك التفكر و الاشتغال بالذكر إذ هما مشروعان فإنه لو مات في حال الفكر في الآيات لمات في غير الله و إن كان يطلبها لله و لكن لا يكون له مشهود إلا هي و إن كان جولانه في الإله ليتخذه دليلا على المخلوقات و الكائنات كما يراه بعضهم فقد طلبه لغيره و هو سوء أدب مع الله حيث ما قصد النظر فيه إلا ليدله على حكم الكائنات و لو استندت إليه فما طلبه لعينه و إن ظن أنه يجول بفكره فيه ليتخذه دليلا عليه فهذا غلط بين فإنه لا ينظر فيه إلا و هو عالم به فإن نظر فيه بمعنى هل يصح أن يكون دليلا على نفسه فهذا غاية الجهل فإنه لا شيء أدل من الشيء على نفسه فلما رأوا مثل هذا النظر تركوه فإذا تفكر من هذه صفته كان مثل الذي يشكر الخلق لإحسانهم فشكرهم عبادة لأن الله أمر بشكرهم كذلك أمرهم بالتفكر فيتفكرون فيما أمرهم أو عين لهم أن يتفكروا فيه امتثالا لأمره و يكون ما ينتجه من العلم في حكم التبع لأن علوم الفكر بكل وجه ما تقوم مقام علوم الذكر و الوحي و الوهب الإلهي في الرفعة و المكانة انتهى الجزء الثاني و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السادس و الأربعون و مائة في معرفة مقام الفتوة و أسراره)

اعلم أيدك الله

أن الفتوة ما ينفك صاحبها مقدما عند رب الناس و الناس

إن الفتى من له الإيثار تحلية فحيث كان فمحمول على الرأس

ما أن تزلزله الأهواء بقوتها لكونه ثابتا كالشامخ الراسي

لا حزن يحكمه لا خوف يشغله عن المكارم حال الحرب و البأس

انظر إلى كسره الأصنام منفردا بلا معين فذاك اللين القاسي

الفتوة نعت إلهي من طريق المعنى و ليس له سبحانه من لفظها اسم إلهي يسمى به كما ثبت شرعا و دليل عقل أنه له الغني عن العالم على الإطلاق فبالشرع قوله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و دليل العقل لو لم يكن وجوده واجبا لنفسه مع اتصافه بالوجود لكان ممكنا لأنه متصف بالوجود و لو كان ممكنا لافتقر إلى المرجح في وجوده فلم يكن يصح له اسم الغني على الإطلاق و لو افتقر بنوع ما فليس بغني مطلق و لكان من جملة العالم فيكون علامة تدل على مرجحه فهو غني على الإطلاق و من له هذا الغني ثم أوجد العالم فما أوجده لافتقاره إليه و إنما أوجد العالم للعالم إيثارا له على انفراده بالوجود و هذا هو عين الفتوة و من الفتوة الإلهية الخبران القرآني و النبوي فأما القرآن فقوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و صورة الفتوة هنا إنه خلقهم لينعمهم بالوجود و يخرجهم من شر العدم و يمكنهم من التخلق بالأسماء الإلهية و يجعل منهم خلفا و هذا كله إيثار لهم على انفراده بكل ما استخلفهم فيه ثم علم إن الامتنان يقدح في النعمة عند المنعم عليه فستر ذلك إيثارا لهم بقوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأظهر أنه خلقهم من أجله لا من أجلهم و في الخبر النبوي الموسوي أنه تعالى خلق الأشياء من أجلنا و خلقنا من أجله و ستر بهذا قوله وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ليفهم الجميع بإعلامه أنهم يسبحون بحمده حتى لا نشم فيه رائحة الامتنان ففي الخبر الموسوي حكم الفتوة أنه خلق الأشياء من أجلنا إيثارا لنا على انفراده بالوجود كما خلقنا و قوله وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ غطاء حتى لا يشم فيه رائحة المنة مثل قوله في حقنا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ سواء و أما الخبر النبوي الثاني من الخبرين فما روى عن رسول الله ص عن الله سبحانه أنه قال كنت كنزا لم أعرف فأحببت إن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني ففي قوله كنت كنزا إثبات الأعيان الثابتة التي ذهبت إليها المعتزلة و هي قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ فهذا الخبر من الفتوة كيف كنى عن نفسه أنه أحب أن يعرف و من هذه صفته غطى على ما يجب له من الغني المطلق لأن المحبة لا تتعلق إلا بمعدوم و قد يكون ذلك المعدوم في معدوم أو في موجود فإن كان في معدوم فلا بد أيضا من وجوده حتى يظهر فيه ما أحب إيجاده و إن كان في موجود فأظهر فيه ما أحببته فلا بد أن يكون ما ذكره سترا على الغني المطلق و إيثارا لجناب هذا المحبوب حيث تعلق به من له الغني فيورثه عزة في نفسه حيث كان مقصودا لمن له صفة الغني و كان سبب الوجود إن الوجود و العلم طلبا بالحال من الله كمال مرتبتهما في التقسيم العقلي فأوجدهما منة لظهور الكمال الوجودي و العلمي هذا أصله منة منه فأعرض عن هذا و نسب وجود العالم لمحبته أن يعرف حتى لا يشم منه كمال الوجود و العلم رائحة المنة أيضا كما ذكر في القرآن سواء و إذا كان الحق قد نزل مع عباده في مكارم الأخلاق التي هي الفتوة إلى هذا الحد فالعبد أولى بهذه الصفة أن يتخلق بها فالفتوة على الحقيقة إظهار الآلاء و المنن و ستر المنة و الامتنان كما قال لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى تخلقا إلهيا فإنه سبحانه تصدق علينا بالوجود و المعرفة به و ما من علينا بذلك و أما قوله بَلِ اللهُ يَمُنُّ

عَلَيْكُمْ معناه أنه لو من لكان المن لله لما منوا عليه ص بالإسلام قال الله تعالى يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قال الله لمحمد ص قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ثم آثر محمدا ص على نفسه سبحانه حتى لا يجعل له نعتا فيما أجرى عليه لسان ذم فقال له قل لهم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ و لو شاء لقال بل أنا أمن عليكم إن هداكم الله بي للإيمان الذي رزقكم بتوحيده و أسعدكم به فما جعله تعالى محلا للمن هذا من الفتوة الإلهية التي لا يشعر بها فحكمها موجود في الحق و إطلاقها لم يرد لا في كتاب و لا سنة كما يعلم قطعا أنه لا فرق بين قولنا علمت الشيء و عرفته و أنا عالم بالشيء أو عارف و مع هذا ورد إطلاق اسم العالم و العليم و العلام عليه تعالى و ما ورد إطلاق الاسم العارف عليه فما يلزم من الأمر الذي لله منه حكم أن يطلق عليه منه اسم فأسماؤه من حيث إطلاقها عليه موقوفة على ورودها منه فلا يسمى إلا بما سمي به نفسه و إن علم فيه مدلول ذلك الاسم فالتوقيف في الإطلاق أولى و ما فعل هذا سبحانه كله إلا ليعلم الخلق الأدب معه إذا و قد علم إن من أهل الله من له شطحات ليتأدبوا فلا يشطحوا فإن الشطح نقص بالإنسان لأنه يلحق نفسه فيه بالرتبة الإلهية و يخرج عن حقيقته فيلحقه الشطح بالجهل بالله و بنفسه و قد وقع من الأكابر و لا أسميهم لأنه صفة نقص و أما رعاع الناس فلا كلام لنا معهم فإنهم رعاع بالنظر إلى هؤلاء السادة و إذا وقع مثل هذا من السادة فعليهم يقع العتب منا و قد يشطح أيضا الأدنى على الأعلى كمثل الشطحات على مراتب الأنبياء و هي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم على الله فإن مرتبة الإله تكذبهم بالحال و عند السامع و أما شطحتهم على الأنبياء فموضع شبهة يمكن أن تقبل الصحة في نفس الأمر فيغتر بها السامع الحسن الظن به الذي لا معرفة عنده بمراتب أصناف الخلق عند الله فيغار الله لذلك حيث هو حق للغير و ما يؤثر من الضلالة في الناس فيؤاخذ صاحب الشطحة بها و لا سيما إن ظهرت منه في حال صحو و كذلك من الشطحات المنقولة عن السادة رؤية فضيلة جنسهم من البشر على الملائكة جهلا منهم و هم مسئولون مؤاخذون بذلك عند الله و العالم بالله المكمل هو الذي يحمي نفسه أن يجعل لله عليه حجة بوجه من الوجوه و من أراد أن يسلم من ذلك فليقف عند الأمر و النهي و ليرتقب الموت و يلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا و لا من الشر مهربا و قد استبرأ لنفسه و أعطى كل ذي حق حقه كما أعطى الله كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هذا هو العاقل مقصود الحق من العالم و ما فوق هذه المرتبة مرتبة لمخلوق أصلا هذا قد مشى من الفتوة طرف صالح في حكمها في الجناب الإلهي و إذا كان الحق يا ولي مع غناه و ماله من صفات الجلال و نعوت الكمال قد أريتك ما له من هذه النسبة في إيثاره إياك فأنت أولى بهذه الصفة أن تتصف بها في حقه خاصة لا في حق الخلق كما اتصف هو بها في حق الخلق هذا هو عمدتها فينا فالفتى من لا يراعي الخلق و لا يتقي عليهم فإن التقي عليهم إنما هو لله كما ذكرنا فيكون هذا العبد يطلب التقي على جانب الحق إيثارا له على الخلق فلا يتقي

على الخلق إلا بصفة حق أو أمر حق فيكون الحق المتقي لا هذا العبد هكذا هو التخلق بالفتوة و إلا فلا إذ كان من المحال أن تسري الفتوة من الفتى في إيثا ر الغير من غير تأذى الغير لأن الأغراض مختلفة و الأهواء متقابلة رياحها زوابع غير لواقح بل هي عقيم تدمر و لا توجد فما من حالة يرضاها زيد منك إلا و يسخطها عمرو فإذا كان الأمر هكذا فاترك الخلق بجانب إن أردت تحصيل هذا المقام و ارجع إلى الله في أصل الفتوة فإن أصلها أن تخرج عن حظ نفسك إيثا ر الحظ غيرك لا تخرج عن حظ غيرك إيثا را لحظ غيرك فهذا ليس من الفتوة و لو كانت الفتوة هذا ما صح لها وجود فإذا تعارضت الأمور فرجح جانب الحق و زل عن حظك لما يستحقه جلاله إذ قد عاملك بصفة الفتوة مع غناه فأنت مع فقرك أحوج إلى ذلك و من إيثا رك إياه أنه إن طلب منك أن تطلب منه أجرا على ما تفتيت به عليه فمن الفتوة أن تطلب الأجر فإن امتثالك أمره خروجك عن حظك فيحصل لك حظك بترك حظك مع تحقيق الوصف بالفتوة إبراهيم عليه السلام جاد بنفسه على النا ر إيثا ر التوحيد ربه فإن كان ذلك عن أمر إلهي فهو أعظم في لفتوة و إن لم يكن عن أمر إلهي فهو فتى على كل حال فإنه من آثر أمر ربه على هوى نفسه فهو الفتى فحقيقة الفتوة أن يؤثر الإنسان العلم المشروع الوارد من الله على السنة الرسل على هوى نفسه و على أدلة عقله و ما حكم به فكره و نظره إذا خالف علم الشارع المقرر له هذا هو الفتى فيكون بين يدي العلم المشروع كالميت بين يدي الغاسل و لا ينبغي أن يقال هنا يكون بين يدي الحق كالميت بين يدي الغاسل فإنه غلط و مزلة قدم فإن الشرع قيدك فقف عند تقييده فما أوجب عليك مما هو له أن تنسبه إلى نفسك أو إلى مخلوق من المخلوقات سوى الله فمن الفتوة أن تنسبه إلى ذلك لا إلى الله حقيقة كما أمرك و إن دلك على خلاف ذلك عقلك فا رم به و كن مع العلم المشروع و ما أوجب أن تنسبه إليه سبحانه فانسبه إليه تعالى و ما خيرك فيه فإن شئت أن تقف و لا تعين و إن شئت نظرت بما يتعلق بالمخير فيه من حمد فانسبه إليه و ما تعلق به من ذم فانسبه إليه و ما تعلق به من ذم فانسبه إلى نفسك أدبا مع الله فإن الأدب عبا رة عن جماع الخير فما زلت عن مقام الفتوة كان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا جاءه مأكول طيب أكله و إذا جاءه مأكول خشن أكله و إذا جاع و جاءه نقد علم إن الله قد خيره إذ لو أراد أن يطعمه أي صنف شاء من المأكولات جاء به إليه فيقول هذا النقد ثمن المأكول جاء به الله للتخيير و الاختيا ر فينظر في ذلك الوقت ما هو الأحب إلى الله من المأكولات بالنظر إلى صلاح المزاج للعبادة لا إلى الفرض النفسي و اتباع الشهوة فإن وافقه كل مأكول حينئذ يرجع إلى موطن الدنيا و ما ينبغي أن يعامل به من الزهد في ملذوذاتها مع صلاح المزاج الذي يقوم بصلاحه العبادة المشروعة فيعدل بحكم الموطن إلى شظف العيش الذي تكرهه النفس لعدم اللذة به و يكتفي بلذة الحاجة فإنه يتناوله عند الضرورة فإن لذة الضرورة ما فوقها لذة لأن الطبع يطلبها و إذا حصل للطبع طلبه التذ به فالفتى هو من ذكرناه و يسرى فعله و تصرفه في الجماد و النبات و الحيوان و في كل موجود و

لكن على ميزان العلم المشروع و إن ورد عليه أمر إلهي فيما يظهر له يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الأمر من الشرع المحمدي فقد لبس فيه فيتركه و يرجع إلى حكم الشرع الثابت فإنه قد ثبت عند أهل الكشف بأجمعهم أنه لا تحليل و لا تحريم و لا شيء من أحكام الشرع لأحد بعد انقطاع الرسالة و النبوة من أهل الله فلا يعول عليه صاحب ذلك و يعلم قطعا أنه هوى نفسي إذ كان ذلك الأمر المحلل أو المحرم في نفس الأمر هذا شرطه و لا يمنع التعريف الإلهي لأهل الله بصحة الحكم المشروع في غير المتواتر بالمنصوص عليه و أما في المتواتر المنصوص إذا ورد التعريف بخلافه فلا يعول عليه هذا لا خلاف فيه عند أهل الله من أهل الكشف و الوجود فإنه من المنتمين إلى الله من يطرأ عليهم التلبيس في أحوالهم من حيث لا يشعرون و هو مكر خفي و كيد متين إلهي و استدراج من حيث لا يشعرون فإياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي و المبادرة لما حكم به و إن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك و بين إمضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فإنه مكر نفسي بصورة إلهية من حيث لا تشعر و قد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام و يرجحون كشفهم و ما ظهر لهم في فهمهم مما يبطل ذلك الحكم المقرر فيعتمدون عليه في حق نفوسهم و يسلمون ذلك الحكم المقرر في الظاهر للغير و هذا ليس بشيء عندنا و لا عند أهل الله و كل من عول عليه فقد خلط و خرج عن الانتظام في سلك أهل الله و لحق بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً و ربما يبقى صاحب هذا الكشف على العمل بظاهر ذلك الحكم و لا يعتقده في حق نفسه فيعمله تقريرا للظاهر و يقول ما أعطى من نفسي لهذا الأمر المشروع إلا ظاهري فإني قد أطلعت على سره فحكمه على سرى خلاف حكمه في ظاهري فلا يعتقده في سره عند العمل به فمن عمل على هذا منه فقد حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ من الْخاسِرِينَ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ و خرج عن أن يكون من أهل الله و لحق بمن اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ فهو يظن أنه في الحاصل و هو في الفائت فتحفظوا يا إخواننا من غوائل هذا المقام و مكر هذا الكشف فقد نصحتكم و نصحت هذه الطائفة و وفيت بالأمر الواجب علي فيه فمن لم يعلم الفتوة كما ذكرناها فما علمها

(الباب السابع و الأربعون و مائة في معرفة مقام ترك الفتوة و أسراره)

ترك الفتوة إيثار لخالقنا ... هو الفتوة إن حققت معناها

فنفيها عين إثبات لها فمتى ... أمتها جاء ذاك الموت أحياها

فليس يعدمها إلا الفناء فكن ... من أهله فيكون الحق مأواها

اعلم أن ترك الفتوة مشيك في حق نفسك و حظها إذا مشيت في ذلك عن أمر الله لا لما يقتضيه طبع النفس كنت صاحب فتوة فصاحب هذا المقام صاحب فتوة لا فتوة متصف بالنقيضين فالفتوة مثل الحب في الحكم سواء فإن الحب يقضي في المحب الاتصاف بالنقيضين إذا اتفق أن يكون أحد النقيضين محبوبا للمحبوب مما يكرهه المحب لكون الحب لا يطلبه و لا يقتضيه فاعلم أن الإنسان إنما يرغب في الأعمال التي نص الشارع على عملها أو تركها إن كانت من التروك ليكون بامتثال ما كلف على حد ما أعطاه الكشف و الايمان و العقل في أعلى المراتب و لا يكون ذا همة دنية فإذا تعرض له في وقت عملان أعني أمرين من فعل أو ترك عمد إلى أفضلهما و قد ورد الخبر أنه من قتل شخصا و لم يقتل به فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه و إن شاء عذبه و قال فيمن قتل نفسه باد رني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة و لم يجعله في المشيئة و لا جعل لعمله كفارة في ماله فعلمنا أن حق النفس في حقه آكد عليه و أعظم في الحرمة من حق غيره و الفتوة العمل في حق الغير إيثارا على حق نفسه و قد قدم الشارع في غير ما موضع أن حق نفس الإنسان عليه أوجب من حق الغير عند الله و الفتى هو الماشي في الأمور بأمر غيره لا بأمر نفسه و في حق غيره لا في حق نفسه لكن بأمر ربه فهما طرفان أحدهما يسوغ و هو المشي في الأمور عن أمر الله و الشطر الآخر لا يسوغ في كل موطن فالعارف إذا أقيم في مقام أداء الحقوق إلى أصحابها و تعينت الحقوق عليه لأصحابها لم يتمكن له أن يتفتى مطلقا فيؤثر الغير على الإطلاق فإنه بأداء حق نفسه يبدأ و إذا بدأ به قدح في شرط الفتوة و إذا لم يبدأ به قدح في الطرف الآخر من الفتوة الذي هو امتثال أمر الله فيبقى هالكا و التخليص من ذلك أن يقول أنا مؤمن و الله تعالى اشْتَرى من الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ فنفسي للحق لا لي فابدأ بها و أوثرها على غيرها من النفوس من كونها لله لا لي فلهذا تكمل الفتوة في تركها المعلوم عند المحجوبين عن إدراك حقائق الأمور فإن مالكها أمرني بتقديمها في أداء الحقوق و أما حكاية صاحب السفرة و هي أن شيخا من المشايخ جاءه أضياف فأمر تلميذه أن يأتيه بسفرة الطعام فأبطأ عليه فسأله ما أبطأ بك فقال وجدت النمل على السفرة فلم أر من الفتوة إن أخرجهم فتربصت حتى خرجوا من نفوسهم فقال له الشيخ لقد دققت فجعل هذا الفعل من تدقيق باب الفتوة و نعم ما قال و نعم ما فاته فلو قال أحد لهذا الشيخ كيف شهد له بالتدقيق في الفتوة على جهة المدح و الأضياف متالمون بالتأخير و الانتظار و مراعاة الأضياف أولى من مراعاة النمل فإن قال الشيخ النمل أقرب إلى الله من حيث طاعتهم لله من الإنسان لما يوجد فيه من المخالفة و كراهة بعض الأمور التي هي غير مستلذة قلنا و جلد الإنسان و جوارحه و شعره و بشره ناطق بتسبيح الله تعالى كالنمل و لهذا تشهد يوم القيامة على النفس الناطقة الكافرة الجاحدة قال تعالى وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا و قال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ فهم

عدول و شهادتهم مقبولة فكان الأولى مراعاة الأضياف الذين أمر الشارع بتعجيل تقديم الطعام لهم فلو تفتي هذا الخادم و ترك السفرة للنمل و استأذن الشيخ و عرفه بالقصة و نظر في تقديم أمر آخر للاضياف كان أولى و أدق في الفتوة

(الباب الثامن و الأربعون و مائة في معرفة مقام الفراسة و أسرارها)

إن الفراسة نور النقل جاء به لفظ النبي الرسول المصطفى الهادي

رب الفراسة من كان الإله له عينا و سمعا و ذاك الناشىء الشادى

و ما النهاية إلا أن يقوم به عكس القضية في غيب و إشهاد

الفراسة من الافتراس فهو نعت إلهي قهري حكمه في الشوارد خوفا من صاحب هذه الصفة و الشرود سببه خوف طبيعي إما على النفس إن تفارق بدنها الذي ألفته و ظهر سلطانها فيه و إما من حيث ما ينسب إليها من الذم الذي يطلقه عليها المفترس بالفراسة الطبيعية أو بالفراسة الإلهية فلهذا لا تتعلق إلا بالشاردين لأن الغالب على العالم الجهل بنفوسهم و سبب جهلهم التركيب فلو كانوا بسائط غير مركبين من العناصر لم يتصفوا بهذا الوصف فاعلم أن الفراسة إذا اتصف بها العبد له في المتفرس فيه علامات بتلك العلامات يستدل و العلامات منها طبيعية مزاجية و هي الفراسة الحكمية و منها روحانية نفسية إيمانية و هي الفراسة الإلهية و هو نور إلهي في عين بصيرة المؤمن يعرف به إذ يكشف له ما وقع من المتفرس فيه أو ما يقع منه أو ما يؤول إليه أمره ففراسة المؤمن أعم تعلقا من الفراسة الطبيعية فإن الفراسة غاية ما تعطي من العلوم العلم بالأخلاق المذمومة و المحمودة و ما يؤدي إلى العجلة في الأشياء و الريث فيها و الحركات البدنية كلها و سأورد في هذا الباب طرفا منهما أعني من الفراستين بعد تحقيق ماهيتهما و الفراسة الإلهية تتعلق بعلم ما تعطيه الفراسة الطبيعية و زيادة و هي إنها تعطي معرفة السعيد من الشقي و معرفة الحركة من الإنسان المرضية عند الله من غير المرضية التي وقعت منه من غير حضور صاحب هذا النور فإذا حضر بين يديه بعد انقضاء زمان تلك الحركة و قد ترك ذلك العمل في العضو الذي كان منه ذلك العمل علامة لا يعرفها إلا صاحب الفراسة فيقول له فيها بحسب ما كانت الحركة من طاعة و معصية كما اتفق لعثمان رضي الله عنه و ذلك أنه دخل عليه رجل فعند ما وقعت عليه عينه قال يا سبحان الله ما بال رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله و كان ذلك الرجل قد أرسل نظره فيما لا يحل له إما في نظره إلى عورة إنسان أو نظر في قعر بيت مسكون و ما أشبه ذلك فقال له الرجل أوحي بعد رسول الله ص فقال لا و لكنها فراسة ألم تسمع إلى قول رسول الله ص اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله و عند ما دخلت على رأيت ذلك في عينيك فهذا معنى قولنا إنها تترك علامة في العضو الذي كان منه ذلك العمل المحمود أو المذموم و الفراسة

الطبيعية تعطي معرفة المعتدل في جميع أفعاله و أقواله و حركاته و سكناته و معرفة المنحرف في ذلك كله فيفرق بالنظر في أعضائه و نشأة كل عضو بين الأخرق و العاقل و الذكي و الفطن و الفدم الغمر و الشبق و غير الشبق و الغضوب و غير الغضوب و الخبيث و غير الخبيث و الخداع المحتال و السليم المسلم و النزق و غير النزق و ما أشبه هذا فاعلم أولا أن الفراسة الإيمانية و بها نبدأ أنها نور إلهي يعطاه المؤمن لعين البصيرة يكون كالنور لعين البصر و تكون العلامة في المتفرس فيه كنور الشمس الذي تظهر به المحسوسات للبصر فكما يفرق البصر بما فيه من النور و بما كشف له نور الشمس من المحسوسات فيعرف صغيرها من كبيرها و حسنها من قبيحها و أبيضها من أسودها من أحمرها من أصفرها و متحركها من ساكنها و بعيدها من قريبها و عاليها من أسفلها كذلك نور الفراسة الإيمانية يعرف محمودها من مذمومها و إنما أضيف نور الفراسة إلى الله الذي هو الاسم الجامع لأحكام الأسماء لأنه يكشف المحمود و المذموم و حركات السعادة في الدار الآخرة و حركات الشقاء إلى أن يبلغ بعضهم إذا رأى وطأة شخص في الأرض و هو أثره و الشخص ليس بحاضر يقول هذا قدم سعيد و هذا قدم شقي مثل ما يفعله القائف الذي يتبع الأثر فيقول صاحب هذا الأثر أبيض مثلا أعور العين و يصف خلقته كأنه رآه و ما طرأ عليه في خلقه من الأمور العوارض يرى ذلك كله في أثره من غير أن يرى شخصه و يحكم في الأنساب و يلحق الولد بأبيه إذا وقع الاختلاف فيه لعدم المناسبة في الشبه الظاهر المعتاد بين الآباء و الأبناء فأضاف نور الفراسة إلى الله لأجل هذا فلو أضافها إلى الاسم الحميد مثلا لم ير صاحب هذا النور إلا المحمود السعيد خاصة و كذلك لو أضاف إلى أي اسم إلهي لكان بحسب ما تعطي حقيقة ذلك الاسم فلما أضاف ذلك النور إلى الله أدرك به الخيرات و الشرور الواقعة في الدنيا و الآخرة و المذام و المحامد و مكارم الأخلاق و سفسافها و ما تعطيه الطبيعة و ما تعطيه الروحانية و يفرق بهذا النور بين الأحكام الشرعية و هي خمسة أحكام و يعرف بهذا النور لمن استند صاحب تلك الحركة من الأسماء الإلهية و من ينظر إليه من الأرواح العلوية و ما له من الآيات من الحركات الكوكبية لأن الله ما جعل سباحتها في الأفلاك باطلا بل لأمور أودعها الله تعالى في المجموع فيها و في حركاتها و في قطعها في البروج المقدرة في الفلك الأقصى و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فهي تؤدي في تلك السباحة ما أمنت عليه من الأمور التي يطلبها العالم العنصري و اعلم أن الطبيعة التي خلقها الله تعالى دون النفس و فوق الهباء فلما أراد الله إيجاد الأجسام الطبيعية و ما ثم عندنا إلا جسم طبيعي أو عنصري و العناصر أجسام طبيعية و إن تولد عنها أجساد أخر فكل ذلك من آثار الله فيما خلق الله الطبيعة عليها و الطبيعة عبارة عن أمور أربعة إذا تألفت تألفا خاصا حدث عنه ما يناسب تلك الألفة بتقدير العزيز العليم فلذلك اختلفت أجسام العالم لاختلاف ذلك المزاج فأعطى كل جسم في العالم بحسب ما اقتضاه مزاجه و ما زال الأمر ينزل إلى أن خلق الله العناصر و هي

الأركان فضم الحرارة إلى اليبوسة على طريق خاص فكان من ذلك المزج ركن النار الذي يعبر عنه أيضا بعنصر النار ثم الهواء كذلك ثم الماء ثم التراب ثم جعل سبحانه يستحيل بعضها إلى بعض بوسائط و بغير وسائط فإذا تنافر العنصران من جميع الوجوه استحال إلى المناسب ثم استحال ذلك المناسب إلى المناسب إليه الآخر الأقرب الذي كان منافرا للمستحيل الأول فقبل الاستحالة إليه بوساطة هذا المناسب الأقرب من سخافة أو كثافة ثم خلق الله الجسم الحيواني من أربع طبائع و هما المرتان و الدم و البلغم و جعل سبحانه في هذه الأخلاط قوى روحانية تظهر آثارها في الجسم المركب عنها فإن كانت هذه الأخلاط في الجسم الظاهر عنها على الاعتدال أو قريب من الاعتدال أعطت ما يعطيه الاعتدال من الأمور المستحسنة المحمودة و الحركات الاقتصادية في الأمور و إن لم تكن فيه على الاعتدال أعطت بحسب ما انحرفت إليه و ظهر في البدن سلطان الأقوى و الأكثر من هذه الأخلاط فيطرأ على الجسم من ذلك علل و على النفس من ذلك أخلاق فالطبيب يداوي العلل بأن يزيد في الناقص من هذه الأخلاط و ينقص من الزائد منها حتى يحصل الاعتدال و الطبيب الإلهي يداوي الأخلاق و يسوس الأغراض النفسية بالذكرى و الموعظة و التنبيه على معالي الأمور و ما لمن قامت به من السعادة و المحمدة عند الله و عند الناس و عند الأرواح العلى فتتأيد بذلك النفس الناطقة و تكون لها هذه الذكرى كالمعينة على صلاح هذا المزاج المنحرف فتعين الطبيب المدبر لطبيعة هذا البدن و إصلاح ما اختل منه و لهذا بعض الأطباء يأمرون المرضى لأمراض خاصة باستعمال سماع الألحان المطربة و الأماكن المستحسنة المتنوعة الأزهار و خرير المياه و تغاريد الطير كالبلبل و أمثاله كل ذلك طب روحاني يؤدي إلى صلاح المزاج يعين الطبيب عليه و ثم علل أخر لا تحتمل الأصوات بل تصلح بنقيض ما ذكرناه و ذلك كله بحسب الخلط الغالب الأقوى و ضعف المناقض المقابل له و هذه العلل منها أصلية في نفس المزاج و الخلقة مثل الجحوظة في العينين أو الغئورة المفرطة أو الأنف الدقيق جدا أو الغليظ جدا أو المتسع الثقب المنتفخ أو نقيضه أو البياض الشديد أو السواد الشديد أو الجعودة في الشعر أو السبوطة فيه الكثيرة أو الزرقة الشديدة في العين الفيروزجيه أو الكحولة الغائية و كذلك سائر الأعضاء في عدم الاعتدال و هو الانحراف من الاعتدال إلى أحد الميلين كما ذكرنا فإن خلق الإنسان يكون بحسب ما هي هذه الأعضاء عليه من اعتدال و انحراف فإذا جاء هذا الطبيب الإلهي و هو النبي أو الوارث أو الحكيم فيرى ما تقتضيه هذه النشأة التي انقادت إليه و جعلت زمامها في يديه ليربيها و يسعى في سعادتها و يردها إلى خلاف ما تقتضيه نشأته إن كان منحرفا بأن يبين لها مصارف ذلك الانحراف التي يحمدها الله و يكون فيها سعادة هذه النفس فإنه لا يتمكن له أن ينشاها نشأة أخرى فقد فرغ ربك من خلق و من خلق و لم يبق بأيدينا إلا تبيين المصارف فالمعتدل النشأة إذا كان جاهلا بالأمور السعادية عند الله التي تحتاج إلى موقف و هو رسول الله ص يسأل العلماء

عن الأمور التي تعطي السعادة عند الله و أما مكارم الأخلاق فلا يحتاج فيها إلى موقف فإن مزاج نشأته و اعتدالها لا تعطيه إلا مكارم الأخلاق بل يحتاج إلى الموقف في بعض الأمور في استعمال الانحراف و هو في ذلك مكلف لما يكون في ذلك الانحراف من المصالح إما دنيا و إما آخرة و إما المجموع و أما المنحرف فتصدر منه مذام الأخلاق و سفسافها و طلب نفوذ الأغراض القائمة به و لا يبالي ما يؤول إليه أمره في نيلها فالطبيب السؤوس يستدرجه حالا بعد حال بتبيين المصارف كما ذكرناه فإذا جاء صاحب الفراسة الإيمانية و كان عالما بما يكون فيه المصلحة لهذا المتفرس فيه و رأى منه حركة تؤدي إلى مذموم أو تكون تلك الحركة قد وقعت منه مذمومة ساسة حتى يتمكن منه إلى أن يسلم إليه نفسه ليتحكم فيها فإن كان منحرفا كان في سلوكه صاحب مجاهدة و رياضة و إن كان معتدلا كان في سلوكه طيب النفس ملتذا صاحب فرح و سرور تهون عليه الأمور الصعاب على غيره و لا تكلف عنده في شيء من مكارم الأخلاق فإذا صفت نفسه و زكت و لحقت بالعالم المطهر و نظرت بالعين الإلهي و سمعت به و تحركت بقوته عرفت مصادر الأمور و مواردها و ما تنبعث عنه و ما تئول إليه فذلك المعبر عنه بالفراسة الإيمانية و هي موهبة من الله تعالى ينالها السليم الطبع و غير السليم و أصل الاعتدال و الانحراف في العالم و في الموجب لغلبة بعض الأصول على بعضها التي لها الحكم في المركبات هي من آثار العلم الإلهي الذي منه يرحم الله من يشاء و يغفر و يعذب و يكره و يرضى و يغضب و أين الغضب من الرضي و أين العفو من الانتقام و أين السخط من الرضوان و كل ذلك جاءت به الأخبار الإلهية في الكتب المنزلة و علمها أهل الكشف مشاهدة عين و لو لا ما وردت على ألسنة الأنبياء و الرسل و نزلت بها الكتب من الله على أيديهم و أيدوا بالمعجزات ليثبت صدقهم عند الأجانب لأجل هذه الأمور الإلهية حتى تقبل منهم إذا وردوا بها فإن أدلة العقول تحيلها في الجناب الإلهي فلو نطق بها مشاهد لها مكاشف بها من غير تأييد آية تدل على صدقه جهل و طعن في نظره و أقيمت الدلالات العقلية على فساد عقله و فكره و حكم خياله عليه و أن الله لا ينبغي أن يوصف بهذه الأوصاف فهذا كان سبب نزولها على أيدي الرسل و الكتب ليستريح إليها المشاهد و يأنس بكلامه إذا أتى بمثل هذا النوع فلأجل هذه الأمور وردت الشرائع و لأجل الأحكام التي لا توافق أغراض الرؤساء و المقدمين لو سمعوها من غير الرسول فلما أنسوا بها من الرسل و ألفت النفوس أحكام النواميس الإلهية و استصحبتها هان على الملوك و الرؤساء أن يتلمذوا للصالحين و يدخلوا نفوسهم تحت أحكامهم و إن شق عليهم فهم يرجحون علمهم بذلك على ما يدركونه من مشقة خلاف الغرض فإنه على هذا الشرط أدخل نفسه فحجته قائمة على نفسه فسبحان العليم الحكيم و لو لا شرف العلم ما شرفت الفراسة لأن الفراسة لو لا ما تعطي العلم ما شرفت و لا كان لها قدر فالعلم أشرف الصفات و به تحصل النجاة إذا حكمه الإنسان على نفسه و تصرف في أموره بحسب حكمه رَبِّ زِدْنِي

عِلْماً رَبِّ زِدْنِي عِلْماً رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و استعملني له و اجعله الحاكم علي و الناظر إلي إذ أنت العلم و العالم و المعلوم لك لا لنا فأعطنا منه على قدرنا و أما الفراسة المذكورة عند الحكماء فأنا أذكر منها طرفا على ما أصلوه و ما جربوه و اختبروه ثم اعتبار ه في الصفات بما تقتضيه طريقنا في هذا الكتاب مختصرا كافيا إن شاء الله تعالى اعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق إنسانا معتدل النشأة ليكون جميع حركاته و تصرفاته مستقيمة وفق الله الأب لما فيه صلاح مزاجه و وفق الأم أيضا لذلك فصلح المني من الذكر و الأنثى و صلح مزاج الرحم و اعتدلت فيه الأخلاط اعتدال القدر الذي به يكون صلاح النطفة و وقت الله لإنزال الماء في الرحم طالعا سعيدا بحركات فلكية جعلها الله علامة على الصلاح فيما يكون في ذلك من الكائنات فيجامع الرجل امرأته في طالع سعيد بمزاج معتدل فينزل الماء في رحم معتدل المزاج فيتلقاه الرحم و يوفق الله الأم و يرزقها الشهوة إلى كل غذاء يكون فيه صلاح مزاجها و ما تتغذى به النطفة في الرحم فتقبل النطفة التصوير في مكان معتدل و مواد معتدلة و حركات فلكية مستقيمة فتخرج النشأة و تقوم على أعدل صورة فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل و لا بالقصير لين اللحم رطبة بين الغلظ و الرقة أبيض مشربا بحمرة و صفرة معتدل الشعر طويله ليس بالسبط و لا الجعد القطط في شعره حمرة ليس بذاك السواد أسيل الوجه أعين عينه مائلة إلى الغور و السواد معتدل عظيم الرأس سائل الأكتاف في عنقه استواء معتدل اللبة ليس في وركه و لا صلبه لحم خفي الصوت صاف ما غلظ منه و ما رق مما يستحب منه غلظة أو رقته في اعتدال طويل البنان للرقة سبط الكف قليل الكلام و الصمت إلا عند الحاجة ميل طبائعه إلى الصفراء و السوداء في نظره فرح و سرور قليل الطمع في المال ليس يريد التحكم عليك و لا الرئاسة ليس بعجلان و لا بطيء فهذا قالت الحكماء أعدل الخلقة و أحكمها و فيها خلق سيدنا محمد ص ليصح له الكمال في النشأة كما صح له الكمال في المرتبة فكان أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهرا و باطنا فإن اتفق أن يكون في الرحم اختلال مزاج فلا بد أن يؤثر ذلك الاختلال في نشأة الإنسان في الرحم في عضو من أعضائه أو في أكثر الأعضاء أو في أقلها بحسب ما تكون المادة في الوقت لذلك العضو من القوة الجاذبة التي تكون في النطفة فيخرج ذلك إما في كلية النشأة و إما في بعض أعضائها فمن ذلك و الله الموفق أن البياض الصادق مع الشقرة و الزرقة الكثيرة دليل على القحة و الخيانة و الفسوق و خفة العقل فإن كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن أزعر أوجن كثير الشعر على الرأس فقال أهل الفراسة من الحكماء إن التحفظ ممن هذه صفته كالتحفظ من الأفاعي القتالة فإن كان الشعر خشنا دل على الشجاعة و صحة الدماغ و إن كان لينا دل على الجبن و برد الدماغ و قلة الفطنة و إن كان الشعر كثيرا على الكتفين و العنق دل على الحمق و الجراءة و إن كثر على الصدر و البطن دل على وحشية الطبع و قلة الفهم و حب الجور و الشقرة دليل على الجبن و كثرة الغضب و سرعته و التسلط و الأسود من الشعر يدل على

السكون الكثير في العقل و الأناة و حب العدل و المتوسط بين هذين يدل على الاعتدال و إن كانت الجبهة منبسطة لا غضون فيها دل على الخصومة و الشغب و الرقاعة و الصلف فإن كانت الجبهة متوسطة في النتو و السعة و كانت فيها غضون فهو صدوق محب فهم عالم يقظان مدبر حاذق و من كان عظيم الأذنين فهو جاهل إلا أنه يكون حافظا و من كان صغير الأذنين فهو سارق أحمق و إن كان الحاجب كثير الشعر دل على الغي و غث الكلام فإن امتد الحاجب إلى الصدغ فصاحبه تياه صلف و من رق حاجبه فاعتدل في الطول و القصر و كانت سوداء فهو يقظان فإن كان العين أزرق فهي أردأ العيون و أردأ الزرق الغير و زجية فمن عظمت عيناه و جحظت فهو حسود وقح كسلان غير مأمون و إن كانت زرقاء كان أشد و قد يكون غاشا و من كانت عيناه متوسطة مائلة إلى الغور و الكحلة و السواد فهو يقظان فهم ثقة محب فإذا أخذت العين في طول البدن فصاحبها خبيث و من كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة ميت النظر فهو جاهل غليظ الطبع و من كان في عينه حركة بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر و من كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام فإن كان حواليها نقط صفر فصاحبها أشر الناس و أرداهم و إن كان أنفه دقيقا فصاحبه نزق و من كان أنفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع و من كان أفطس فهو شبق و من كان أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب و إذا كان غليظ الوسط مائلا إلى الفطوسة فهو كذوب مهذار و أعدل الأنوف ما طال غير طول فاحش و من كان أنفه متوسط الغلظ و قناه غير فاحش فهو دليل على العقل و الفهم و من كان واسع الفم فهو شجاع و من كان غليظ الشفتين فهو أحمق و من كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل و من كانت أسنانه ملتوية أو ناتئة فهو خداع متحيل غير مأمون و من كانت أسنانه منبسطة خفافا بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر و من كان لحم الوجه منه منتفخ الشدقين فهو جاهل غليظ الطبع و من كان نحيف الوجه أصفر فهو رديء خبيث خداع شكس و من طال وجهه فهو وقح و من كانت أصداغه منتفخة و أوداجه ممتلئة فهو غضوب و من نظرت إليه فاحمر و خجل و ربما دمعت عيناه أو تبسم تبسما لا يريده فهو لك متودد محب فيك لك في نفسه مهابة و إن كان ذا صوت جهر دل على الشجاعة و المعتدل بين الكد و التأني و الغلظ و الرقة دل على العقل و التدبير و الصدق و سرعة الكلام و رقته يدل على الكذب و القحة و الجهل الغلظ في الصوت دليل على الغضب و سوء الخلق الغنة في الصوت دليلة على الحمق و قلة الفطنة و كبر النفس التحرك الكثير دليل على الصلف و الهذر و الخداع و الوقار في الجلسة و تدارك اللفظ و تحريك اليد في فضول الكلام دليل على تمام العقل و التدبير و صحة العقل قصر العنق دليل على الخبث و المكر طول العنق و رقته دليل على الحمق و الجبن و الصياح فإن انضاف إليهما صغر الرأس فإنه يدل على الحمق و السخف غلظ العنق يدل على الجهل و كثرة الأكل اعتدال العنق في الطول و الغلظ دليل على العقل و التدبير و خلوص المودة و

الثقة و الصدق البطن الكبير يدل على الحمق و الجهل و الجبن لطافة البطن و ضيق الصدر يدلان على جودة العقل و حسن الرأي عرض الكتفين و الظهر يدلان على الشجاعة و خفة العقل انحناء الظهر يدل على الشكاسة و النزاقة استواء الظهر علامة محمودة بروز الكتفين دليل على سوء النية و قبح المذهب إذا طالت الذراعان حتى يبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة و الكرم و نبل النفس و إذا قصرت فصاحبها جبان محب في الشر الكف الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصنائع و إحكام الأعمال و تدبير الرئاسة اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل و حب الجور القدم الصغير اللين يدل على الفجور رقة العقب تدل على الحسن غلظ العقب يدل على الشجاعة غلظ الساقين مع العرقوبين دليل على البله و القحة من كانت خطأه واسعة بطيئة فهو منجح في جميع أعماله مفكر في عواقبه و الضد للضد فهذا ما نقلته من أقوال الحكماء من أهل التجربة من العلماء بالطبيعة و هذه النعوت قد تكثر و تقل و الحكم للغالب و قد تتساوى في الشخص فيدفع هذا حكم هذا بأن يكون في الشخص حكم أحدها بوجه في قضية خاصة و حكم أحدها بوجه آخر في قضية خاصة و بالجملة فإن الرياضة و استعمال العلم مؤثر في إزالة حكم كل صفة مذمومة مما ذكر و من جرب وجد صحة ما قلناه فإن العادة طبيعة خامسة لها أثر في الطبيعة الأصلية هذا كله مجرب وصل محقق الاعتبار فيما ذكرناه من العلامات التي أعطت الطبيعة حكمها فيه و شهدت لها التجارب فاعلم أن لطيفة الإنسان المدبرة جسده لما كان لها وجه إلى النور المحض الذي هو أبوها و وجه إلى الطبيعة و هي الظلمة المحضة التي هي أمها كانت النفس الناطقة وسطا بين النور و الظلمة و سبب توسطها في المكانة لكونها مدبرة كالنفس الكلية التي بين العقل و الهيولى الكل و هو جوهر مظلم و العقل نور خالص فكانت هذه النفس الناطقة كالبرزخ بين النور و الظلمة تعطي كل ذي حق حقه فمتى غلب عليها أحد الطرفين كانت لما غلب عليها و إن لم يكن لها ميل إلى أحد الجانبين تلقت الأمور على الاعتدال و أنصفت و حكمت بالحق فلنذكر في هذا الوصل اعتبار ما مشى في علامات الفراسة في الجسد فنقول أما البياض المفرط فاستفراغ الإنسان في النظر في عالم النور بحيث لا يبقى في استفراغه ما يدبر به عالم طبيعته كأبي عقال المغربي و أمثاله فيفسد سريعا قبل حصول الكمال و كذلك اعتبار السواد المفرط و هو استفراغه في عالم شهوته و طبيعته بحيث أن يحول بينه و بين النظر في علوم الأنوار و هي العلوم الإلهية فهذا مذموم الحال بلا خلاف فإذا كان وقتا و وقتا و وفى كل ذي حق حقه كما قال ص لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فذلك الإمام العادل و أما اعتبار الطول و القصر فهو مدة إقامته في النظر في أحد العالمين فأما مدة ممتدة و هي الطول أو قليلة و هي القصر و ينبغي من ذلك أن تكون المدة بقدر الحاجة و أما اعتدال اللحم في الرطوبة و بين الغلظ و الرقة فهو اعتدال للإنسان في البرزخيات بين المعنى و الحس كاللحم بين العظم و الجلد و أما اعتدال الشعر فهو إقامته بين البسط و القبض و أما كونه أسيل

الوجه فهي الطلاقة و البشاشة و أما كونه أعين فصحة النظر في الأمور و أما كون عينه مائلة إلى الغور و السواد فهو النظر في المغيبات و استخراج الأمور الخفية و أما الجحوظة فهو ميلة إلى استنباط العلوم من عالم الشهادة و هم أهل الاعتبار و أما اعتدال عظم الرأس فتوفير العقل و أما كونه سائل الأكتاف فاحتمال الأذى في الغيبة من غير أثر و أما استواء العنق فالاستشراف على الأشياء من غير ميل إليها و أما الطول الزائد في العنق فهو الاستشراف على ما لا ينبغي مثل التجسس و أما القصر المفرط فهو التفريط فيما ينبغي أن يستشرف عليه و أما اعتدال اللبة فاستقامة العبارة بالوزن الذي تقع به المنفعة عند المخاطب و أما قلة اللحم في الورك و الصلب فهو نظره في الأمور التي يتورك عليها و يعول عليها أن يخلصه إلى أحد الطرفين فإنه إن كانت برزخية قد تقدر به في غالب الأمر و أما كونه خفي الصوت فهو حفظ السر في موضع الجهر و أما صفاء الصوت فهو أن لا يزيد فيه شيئا و أما طول البنان فللطافة التناول و أما بسط الكف فرمى الدنيا من غير تعلق و أما قلة الكلام و الضحك فنظره إلى مواقع الحكمة فيتكلم و يضحك بقدر الحاجة و أما كون ميل طباعه إلى المرتين فهو أن يغلب عليه في الصفراء الجنوح إلى العالم العلوي و في السوداء إلى العالم السفلي و استخراج ما أخفي فيه من قرة أعين مما تحجب الطبيعة أكثر العقول في النظر فيها لما يسبق في أذهانهم من ذم الطبيعة و أما كونه في نظره فرح و سرور فهو استجلاب نفوس الغير إليه بالمحبة و أما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن كل ما يميل به إلى ما لا فائدة له فيه و أما كونه ليس يريد التحكم عليك و لا الرئاسة فهو شغله بكمال عبوديته لا به و أما كونه ليس بعجلان و لا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة و لا عاجز و كذلك أيضا لما نظرنا إلى أرباب الفراسة الحكمية وجدناهم راجعين في ذلك إلى طرفين و واسطة و قسموا الأمور إلى محمود و مذموم أعني الأخلاق و جعلوا الخير كله في الوسط و جعلوا الانحراف في الطرفين فقالوا في الأبيض الشديد البياض و الأشقر الأزرق ما سمعت من الذم و أنه غير محمود و كذلك الشديد السواد و الرقيق الأنف جدا مذموم كل هذا و المعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين مثلا خارجا عن الحد هو المحمود على نحو ما تقدم فلما رأيناهم قد قصروها على ما ذكرنا نظرنا إلى ذلك في هذا العالم الإنساني أين ظهر الحسن و القبح فقلنا لا حسن يقع به المنزلة عند الله و لا قبح يقع باجتنابه الخير من الله إلا ما حسنه الشرع و قبحه فلما رأينا الحمد و الذم على الفعل من جهة ما شرعا نظرنا كيف نجمع طرفين و واسطة لنجعل الطرفين مخالفا لحكم الوسط الذي هو محل الاعتدال فنقول لا يخلو الإنسان أن يكون واحدا من ثلاثة بالنظر إلى الشرع و هو إما أن يكون باطنيا محضا و هو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا و فعلا و هذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية و العدول عما أراد الشارع بها و كل ما يؤدي إلى هدم قاعدة دينية مشروعة فهو مذموم بالإطلاق عند كل مؤمن و إما أن يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم و التشبيه فهذا أيضا مثل ذلك ملحق بالذم

شرعا فأما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى و حيثما وقف وقف قدما بقدم و هذه حالة الوسط و به صحت محبة الحق له قال تعالى أن يقول نبيه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فاتباع الشارع و اقتفاء أثره يوجب محبة الله للعباد و صحة السعادة الدائمة فهذا وجه مقابلة النسختين فإن قال قائل هذا مجمل فكيف يعرف تفصيله فإنا إذا رأينا رجلا ساكتا يشهد الصلوات و الجماعات و هو مع ذلك منافق مصر فنقول إن السكون و شهود الصلوات و شبه ذلك من عالم الشهادة و كونه كافرا بذلك في قلبه فهو من عالم الغيب و نحن إذا حصلت لنا الفراسة الذوقية الإيمانية كما ذكرناها و كما نتمها إن شاء الله تعالى حكمنا بكونه كافرا في نفوسنا و أبقينا ماله و دمه معصوما شرعا لظهور كلمة التوحيد فمعاملتنا له على هذا الحد و ما كلفنا غير هذا ثم لتعلم وفقك الله أن العالم العلوي بالجملة هو المحرك عالم الحس و الشهادة و تحت قهره حكمة من الله تعالى لا لنفسه استحق ذلك فعالم الشهادة لا يظهر فيه حكم حركة و لا سكون و لا أكل و لا شرب و لا كلام و لا صمت إلا عن عالم الغيب و ذلك أن الحيوان لا يتحرك إلا عن قصد و إرادة و هما من عمل القلب و الإرادة من عالم الغيب و التحرك و ما شاكله من عالم الشهادة و عالم الشهادة كلما أدركناه بالحس عادة و عالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي أو النظر الفكري مما لا يظهر في الحس عادة فنقول إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما إن عالم الشهادة يدرك بعين البصر و كما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما عدا الظلمة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع فإذا ارتفعت الموانع و انبسطت الأنوار على المحسوسات و اجتمع نور البصر و النور المظهر أدرك المبصر بالبصر المبصرات كذلك عين البصيرة حجابه الريون و الشهوات و ملاحظة الأغيار من العالم الطبيعي الكثيف إلى أمثال هذه الحجب فتحول بينه و بين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه و جلاها بالذكر و تلاوة القرآن فحصل له من ذلك نور و لله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود فإذا اجتمع النوران فكشف المغيبات على ما هي عليه و على ما وقعت في الوجود غير أن بينهما لطيفة معنى فذلك أن الحس يحجبه الجدار و البعد المفرط و القرب المفرط و عين البصيرة ليس كذلك لا يحجبه شيء إلا ما ذكرنا من الران و الكن و أشباه ذلك إلا أنه أيضا ثم حجابا لطيفا أذكره و هو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على عالم الغيب في الحضرات الوجودية لا يعمها كلها و لا ينبسط منه عليها في حق هذا المكاشف إلا على قدر ما يريد الله تعالى و ذلك هو مقام الوحي دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له و لغيرنا قوله قُلْ . . . ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ مع غاية الصفاء المحمدي و هو قوله أَوْ من وَراءِ حِجابٍ فمهما ظهر ممن حصل في هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما فتلك الفراسة و هي أعلى درجات المكاشفة و موضعها من كتاب الله إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ من السمة و هي العلامة كما قلنا و لا يخطئ أبدا بخلاف

الفراسة الحكمية و ثم كشف آخر في الفراسة و ذلك أن الله جعل في العالم حضرة السمات فيها صور بنى آدم و أحوالهم في أزمانهم إلى حين انفصالهم و هي مخبوءة عن جميع الخلائق العلوي و السفلي إلا عن القلم و اللوح فإذا أراد الله اصطفاء عبد و أن يخصه بهذا المقام طهر قلبه و شرحه و جعل فيه سراجا منيرا من إيمانه خاصة يسرجه من الأسماء الإلهية الاسم المؤمن المهيمن و بيده هذه الحضرة و ذلك السراج من حضرة الألوهة يأخذه الاسم المؤمن فإذا استنار القلب بذلك النور الإلهي و انتشر النور في زوايا قلبه مع نور عين البصيرة بحيث يحصل له إدراك المدركات على الكشف و المشاهدة لوجود هذه الأنوار فإذا حصل القلب على ما ذكرناه جعل في ساحة من ساحات هذا القلب تلك الحضرة التي ذكرناها فمن هناك يعرف حركات العالم و أسراره انتهى الجزء الثالث و مائة

(الباب التاسع و الأربعون و مائة في معرفة مقام الخلق و أسراره)

كون التخلق في الإنسان و الخلق ... مثل التكحل في العينين و الكحل

و إن تضاعف فيه أجره فمتى ... ينال مرتبة الأملاك و الرسل

ذاك الوحيد الذي يحيا الزمان به ... فهو المرتب للاحكام و الدول

تنحط من عزها غلب الرقاب له ... و هو المثبت للاعراض و العلل

قال رسول الله ص ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم و هو حديث صحيح فأدخل نفسه معنا فيما نهانا عنه في الحكم فالأخلاق كلها نعوت إلهية فكلها مكارم و كلها في جبلة الإنسان و لذلك خوطب بها فإن بعض من لا معرفة له بالحقائق يقول إنها في الإنسان تخلق و في الحق خلق فهذا من قائله جهل بالأمور إن لم يطلق ذلك مجازا أو بالنظر إلى تقدم وجود الحق على وجود العبد لأنه واجب الوجود لنفسه و الإنسان موجود بربه فاستفاد الوجود فاستفاد الخلق منه فإذا راعى هذا الأصل فقال بالتخلق كان صحيح المقصد و إن أراد بالتخلق أن ما هو للحق حقيقة و اتصف به العبد إن لم يكن عنده إلا في الوقت الذي اتصف به فسماه لذلك تخلقا لا خلقا و ما يكون خلقا إلا ما جبل عليه في أصل نشأته فلا علم له بنشأة الإنسان و لا بإعلام النبي ص بأن الله خلق آدم على صورته و يلزم هذا القائل أن يكون ما جعله من الصفات حقيقة للعبد ثم رأينا الحق قد اتصف به أن يكون ذلك في الله تخلقا من الله بما هو حق للإنسان و هذا لا يقول به من عنده أدنى شيء من العلم و الصحيح في هذه الأخلاق الإلهية إنها كلها في جبلة الإنسان و تظهر لمن يعرفها في كل إنسان على حد ما تظهر في الجناب الإلهي فإن كل خلق من هذه الأخلاق لا يصح أن تعم المعاملة به جميع الأكوان لا من جانب الحق و لا من جانب الإنسان فهو كريم على الإطلاق و كذلك الإنسان كريم على الإطلاق و مع كون الحق كريما على الإطلاق فمن أسمائه المانع و

من أسمائه الضار و من أسمائه المذي و يغفر و يعذب من يشاء و يؤتي الملك و ينزع الملك و ينتقم و يجود و هو مع هذا التقييد في حق قوم دون قوم مطلق الصفة و كذا هي في الإنسان فهي خلق أصلي له لا تخلق و لا يصح أن تعم من الإنسان هذه الأخلاق مع كونها مطلقة في حقه كما لم يصح أن تعم من الله في جميع الخلق مع كونه تعالى مطلق الوصف بها و لا يصح في هذه الصفات الاستعارة إلا مجازا كما قلنا من حيث إنه تعالى كان بهذه الصفات و ما كنا فلما كنا كنا بها لا أنا اكتسبناها و لا استعرناها منه فإنها صفة قديمة لله أي نسبة اتصف بها الحق و لا عالم و الصفة لا بد لها من موصوف بها فإنها من حقيقتها لأن تقوم بنفسها و يؤدي القول باستعارتها إلى قيامها بنفسها و إلى خلو الحق عنها و إلى أن يكون الحادث محلا لوجود القديم فيه و هذا كله ما لا يقول به أحد من العلماء بالله فجميع ما يظهر من الإنسان من مكارم أخلاق و سفساف أخلاق كلها في جبلته و هي له حقيقة لا مجاز و لا معارة كما أنه سبحانه جميع ما سمي به الحق نفسه لا و ما وصف به نفسه من صفات الأفعال من خلق و إحياء و إماتة و منع و عطاء و جعل و مكر و كيد و استهزاء و فصل و قضاء و جميع ما ورد في الكتب المنزلة و نطقت به الرسل من ضحك و فرح و تعجب و تبشبش و قدم و يد و يدين و أيد و أعين و ذراع كل ذلك نعت صحيح فإنه كلامه تعالى عن نفسه و كلام رسله عنه و هو الصادق و هم الصادقون بالأدلة العقلية و لكن على حد ما يعلمه و على حد ما تقبله ذاته و ما يليق بجلاله لا يزد شيئا من ذلك و لا نحيله و لا نكفيه و لا نقول بنسبة ذلك كله إليه كما ننسبه إلينا نعوذ بالله فإننا ننسبه إلينا على حد علمنا بنا فنعرف كيف ننسبه و الحق يتعالى أن تعرف ذاته فيتعالى أن يعرف كيف ننسب إليه ما نسبه إلى نفسه و من رد شيئا أثبته الحق لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله فقد كفر بما جاء به من عند الله و بمن جاء به و بالله و من آمن ببعض ذلك و رد بعضه فقد كفر حقا و من آمن بذلك و شبهه في نسبة ذلك إليه تعالى مثل نسبتها إلينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل و ما كفر هذا هو العقد الصحيح من غير ترجيح غير أن ثم أسماء تطلق على العبد و لا تطلق على الجناب الإلهي و إن كان المعنى يشمل ذلك كالبخيل يطلق على العبد و لا يطلق على الحق و هو منع و من أسمائه المانع و من بخل فقد منع هذا هو الحق غير أنا نلتمس له وجها و هو أن نقول كل بخل منع و ما كل منع بخل فمن منع المستحق حقه فقد بخل و الحق قرر قول موسى أن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما بخل عليك من أعطاك خلقك و وفاك حقك فمنع ما لا يستحقه الخلق ليس بمنع بخل فبهذا القدر نجعل التفرقة بين المنعين و كذلك اسم الكاذب مما اختص به العبد و لا ينبغي أن يطلق على الحق فهو الصادق بكل وجه كما أن العبد صادق و كاذب و صادق أيضا بكل وجه و لكن نسبة الصدق إلى العبد بكل وجه معروف عندنا لعلمنا بنا و نسبتها إلى الحق مجهولة لنا فهو الصادق كما ينبغي أن يضاف إليه الصدق و قال تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و قال ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة فقيد نزوله بالزمان و

التقييد بالزمان تقييد بالانتقال و كل ذلك مجهول النسبة ثابت الحكم متوجه كما ينبغي لجلاله و كذلك الاسم الجاهل من أسماء الكون و لا يليق بالجناب الإلهي فالإله عالم من حيث إنه موصوف بالعلم و العبد عالم من حيث إنه موصوف بالعلم و جاهل من حيث خصوص تعلق علمه ببعض الأشياء دون بعض و الحق مطلق العلم عام التعلق و قد قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فحدد خلاف المعقول و أشارت السوداء إن الله في السماء حين قال لها رسول الله ص أين الله و أثبت لها الايمان في إشارتها و هذا خلاف دليل العقل فقد عرف من الله ما لم نعرف و مع هذا فنقول إن الله هو العالم بنفسه و هو الصحيح فما من اسم تسمى العبد به و لم يتسم الحق به و كان في الخلق نعت نقص و سفساف خلق إلا و العقل و الحق قد منع أن يطلق على الله ذلك الاسم أو ينسب إليه ذلك الخلق و مع هذا فإنه يخبر بأمور و فصول تقابل أدلة العقول فهو الفعال لما يشاء و الجاعل في خلقه ما يشاء لا احتكام عليه و هو الحاكم لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ و قد نبهناك على أمر جليل و علم عظيم و سر غامض خفي لا يعلمه إلا الله و من أعلمه من المخلوقين أحاله عقل و ورد به نقل و بعد عنه فهم و قبله فهم فإن تدبرت فصول هذا الباب وقفت على لباب المعرفة الإلهية و تحققت قوله ص من عرف نفسه عرف ربه و قد أوجدتك أنك محل لكل صفة محمودة و مذمومة ثم أعلمتك معنى الحمد و الذم و حددتك و أطلقتك ذلك لتعلم أنك العالم الذي لا يعلم و هو سبحانه العالم الذي يعلم و لا يعلم فلا يعلم ما هو العبد عليه و أعني بالعبد العالم كله و الإنسان إلا الله تعالى هو يعلمه ثم أعلم بعض عبيده فمنا من علم نفسه و منا من جهل نفسه و منا من تخيل أنه علم نفسه و منا من علم من نفسه بعض ما هو عليه في نفسه و بذلك القدر ينسب إليه أنه علم من ربه فإنه من عرف نفسه عرف ربه و كما لا يجتمع الدليل و المدلول لا تجتمع أنت و هو في حد و لا حقيقة فإنه الخالق و أنت المخلوق و إن كنت خالقا و هو المالك و أنت المملوك و إن كنت مالكا فلا يحجبنك الاشتراك في الأخلاق فإنك المخلوق و هو الخلاق فهذا مقام الخلق قد أبنته و ما عدا هذا مما تشير إليه الصوفية من التخلق فهو تلفيق من الكلام و قولهم في التخلق بالأسماء كذلك و نحن قد أطلقنا مثل ما أطلقوه و لكن عن علم محقق و إطلاق مطلق بأدب إلهي عن تحقق فهو في الحقيقة خلق لا تخلق كما أفهمتك و أكثر من هذا الإيضاح و البيان الذي يطلبه هذا المقام فلا يكون فإنا ما تعدينا فيه حدود الله في عبارتنا و لا ذكرنا شيئا ما نسبه إلى نفسه فما خرجنا عن كلامه و ما أنزله على الصادقين من عباده وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ بل هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فهو العليم و لا عالم و هو الحكيم في ترتيب العالم فالعالم و العليم أعم و الحكيم تعلق خاص للعلم فهذا هو التحقق بالخلق الإلهي و أما الأخلاق التي تحتاج إلى معرفتها أهل السلوك و كلنا سالك إذ لا تصح نهاية فهو أن تقول إن العرف و الشرع قد وردا بمكارم الأخلاق و سفساف الأخلاق و أمرنا بإتيان مكارمها و اجتناب سفسافها ثم إن الشرع قد نبه على أنها على قسمين من الأخلاق ما يكون في جبلة الإنسان كما قال

رسول الله ص للاشج أشج عبد القيس إن فيك لخصلتين يحبهما الله و رسوله الحلم و الأناة و في لفظ آخر لغير مسلم فقال الرجل يا رسول الله أ شيء جبلت عليه قال نعم قال الحمد لله الذي جبلني عليهما أو كما قال و منها مكتسبة فالمكتسب هو الذي يعبر عنه بالتخلق و هو التشبه بمن هي فيه هذه الأخلاق الكريمة جبلية في أصل خلقه و لا شك أن استعمال مكارم الأخلاق صعب لملاقاة الضد في استعمالها في الكون فإن الغرضين و الإرادتين من الشخصين إذا تعارضتا و طلب كل واحد منهما منك أن تصرف معه كريم خلق بقضاء غرضه و لا يتمكن لك الجمع بينهما فمهما أرضيت الواحد أسخطت الآخر و إذا تعذر الجمع و استحال تعميم الرضي و تصريف الخلق الكريم مع كل واحد منهما تعين على الإنسان أن يخرج عن نفسه في ذلك و يجعل الحكم فيه للشرع فيتخذه لهذا الباب ميزانا و إماما فاجعل إمامك ما يرضي الله و فيما يرضي الله و لتصرف خلقك الكريم مع الله خاصة فهو الصاحب و الخليفة و هو أولى أن يعامل بمكارم الأخلاق فما قدمه الله قدمه فإن ذلك التقديم هو تصريف الحق لذلك الخلق مع ذلك العبد و في ذلك المحل فتصريف خلقك مع الله أولى من تصريفه مع الكون بل هو واجب لا أولى فإن جميع الخلق من الملائكة و الرسل و المؤمنين يحمدونك على ذلك الفعل و الخلق الذي عاملت به ذلك الشخص الذي قدمه الحق و أوجب عليك أن تعامله به و ما يذمك فيه إلا صاحب ذلك الغرض إذا لم يكن مؤمنا و مراعاة الأصل أولى و إذا لم تتخلق بمكارم الأخلاق على ما رسمته لك لم يصح لك هذا المقام و يذمك فيه كل مخلوق ألا ترى شاهد الزور فإنه أول من يتجرح عنده و لا يعتقد فيه و يذمه في باطنه من شهد له و قد أسخط الله و ملائكته و رسله و المؤمنين و ليست مكارم الأخلاق إلا ما يتعلق منها بمعاملة غيرك لا غير و ما عدا ذلك فلا يسمى مكارم خلق و إنما هي نعوت يتخلق بها لتصحيح الصورة أو النسبة لا غير هذا هو ربط هذا الباب في السالكين و المخلصين سعادة الأبد و تفاصيل تصاريف الأخلاق مع الموجودات تكثر لو بيناها و كيفياتها لم يحصرها كتاب و بعد أن أعطيناك أصلا فيها تعتمد عليه فاعمل به و هو أن تنظر إلى حكم الشرع في كل حركة منك في حق كل موجود فتعامله بما قال لك الشارع عامله به على الوجوب أو الندب و لا تتعداه تكن في ذلك محمود النقيبة مأمونا معظما عند الله صاحب نور إلهي (نكتة) فإن كنت فعالا بالهمة أرضيت جميع الموجودات عنك إذ كان لك التصرف في الكل و هو مقام عزيز يعلم و يعقل و لكن ما حصله أحد من خلق الله فهو مخصوص بالحق و لا يظهر به الحق إلا إذا أخذ أهل النار منازلهم و أهل الجنة منازلهم رضي الكل بما هم فيه بإرضاء الحق فلا يشتهي واحد منهم يخرج عن منزلته و هو بها مسرور و هو سر عجيب ما رأينا أحدا نبه عليه من خلق الله و إن كانوا قد علموه بلا شك و ما صانوه و الله أعلم إلا صيانة لأنفسهم و رحمة بالخلق لأن

الإنكار يسرع إليه من السامعين و و الله ما نبهت عليه هنا إلا لغلبة الرحمة علي في هذا الوقت فمن فهم سعد و من لم يفهم لم يشق بعدم فهمه و إن كان محروما و السلام

(الباب الخمسون و مائة في معرفة مقام الغيرة التي هي الستر و أسراره)

ما أعجب الغيرة في العالم و وصفنا الله بها أعجب
و قولنا الله غيور على ما قرر الشرع و ما نذهب
و قد قبلناه و لكنه من أصعب الأمر الذي ينسب
و إنه من حيث أفكارنا فرض محال عينه ينصب
و الكشف مثل الشرع في قوله و شأن رب الكشف لا يحجب
و الأمر حق و هو أعجوبة من أجلها عقولهم تهرب
قد جعل الشبلي في حكمه أن لها حكما و ذا أصعب
و هو من أهل الكشف في علمنا ضرب مثال عندنا يضرب
و عند أهل الفكر في زعمهم على الذي يعطيهم المذهب
بأنها من عالم زلة و هي إلى حكم العمي أقرب

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الغيرة نعت إلهي ورد في الخبر أن رسول الله ص قال في سعد إن سعدا لغيور و أنا أغير من سعد و الله أغير مني و من غيرته حرم الفواحش و في هذا الحديث مسألة عظيمة بين الأشاعرة و المعتزلة و هو حديث صحيح فالغيرة أثبتها الايمان و لكن بأداة مخصوصة و هي اللام الأجلية أو من أو الباء و تستحيل بأداة على و هي التي وقعت من الشبلي إما غلطة و إما قبل أن يعرف الله معرفة العارفين فالغيرة في طريق الله هي الغيرة لله أو بالله أو من أجل الله و الغيرة على الله محال فتحقيق كونها نعتا إلهيا و هو نعت يطلب الغير و لذا سميت غيرة فلو لا ملاحظة الغير ما سميت غيرة و لا وجدت فالإله القادر يطلب المألوه المقدور و هو الغير فلا بد من وجود ما يطلب إلا له وجوده فأوجد العالم على أكمل ما يكون الوجود فإنه لا بد أن يكون كذلك لاستحالة إضافة النقص إلى الكامل الاقتدار فلذلك قال أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو الكمال فلو لم يوجد النقص في العالم لما كمل العالم فمن كمال العالم وجود النقص الإضافي فيه فلذلك قلنا إنه وجد على أكمل صورة بحيث إنه لم يبق في الإمكان أكمل منه لأنه على الصورة الإلهية ورد في الخبر أن الله

خلق آدم على صورته فكان في قوة الإنسان من أجل الصورة أن ينسى عبوديته و لذلك وصف الإنسان بالنسيان فقال في آدم فَنَسِيَ و النسيان نعت إلهي فما نسي إلا من كونه على الصورة فما زلنا مما كنا فيه قال تعالى نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ كما يليق بجلاله فلما علم الحق أن هذا العبد بما كمله الله به من القوة الإلهية بالصورة الكمالية لا بد أن يدعي في نعوت ما هو حق لله لطلب الصورة الكمالية لذلك النعت و هو من بعض النعوت الإلهية فغار الحق من المشاركة في بعض نعوت الجلال و شغل الإنسان بما أباح له من باقي النعوت الإلهية فلما علم أيضا أنه لا يقف عند ذلك و أنه لا بد أن يعطي الصورة الكمالية حقها في الاتصاف بالنعوت الإلهية و إنها تتعدى ما حجر عليها مثل العظمة و الكبرياء و الجبروت فقال الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحدا منهما قصمته و قال كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فهذا هو عين الغيرة غار على هذه النعوت أن تكون لغير الله فحجرها و كذلك تحجرت على الحقيقة بقوله كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فلا يدخل مع هذا الطابع قلب كون من الأكوان تكبر على الله و لا جبروت لأجل هذا الطبع فعلم كل من أظهر من المخلوقين دعوى الألوهية كفرعون و غيره و تكبر و تجبر كل ذلك في ظاهر الكون و هذا الذي ظهرت منه صفة الكبرياء مطبوع على قلبه إن يدخل فيه الكبرياء على الله فإنه يعلم من نفسه افتقاره و حاجته و قيام الآلام به من ألم جوع و عطش و هواء و مرض التي لا تخلو هذه النشأة الحيوانية عنه في هذه الدار و تعذر بعض الأغراض أن تنال مرادها و تألمه لذلك و من هذه صفته من المحال أن يتكبر في نفسه على ربه فهذا معنى الطابع الذي طبع الله على قلب المتكبر الذي يظهر لكم به من الدعوى الجبار يجبركم على ما يريد فمنكم المطيع و المخالف و لو هلك بمخالفته و لهذا يرجى حكم السعادة في المال و لو بعد حين فإن القلوب ما يدخلها كبرياء على الله لكن يدخلها بعضهم على بعض قال تعالى لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ و إذا علمت السماء أنها أكبر من خلق الناس كانت موصوفة بالكبرياء على الناس و ذلك الكبرياء لا يقدح فيها فهذا معنى الغيرة الإلهية فلا رافع لما حجره فلا يتكبر على الله فيما بينه و بين الله أحد من خلق الله هذا محال وقوعه و القدر الذي وقع عليه التحجير الظاهر عليه وقع الذم لمن انتهكه و أضافه إلى نفسه و كذبوا على الله فيه و أما الغيرة لله و من أجل الله و بالله فهو أن يرى الإنسان ما حده الحق أن يتعداه الخلق فيقوم به صفة الغيرة لله لا لنفسه و من أجل الله لا من أجل نفسه إذ علم أن الخلق عبيد الله و أنه من حكم العبد أن لا يتعدى حد ما رسم له سيده و أما أن يغار على الله فإن الغيرة ستر يحجب المغار عليه حتى لا يكون إلا عنده خاصة و طريق الله مبني على أن ندعو الخلق إلى الله و أن نردهم إليه و نحببه إليهم و نعرفهم به و بمكانته و بهذا أمرنا و الغيرة الكونية تأبى ذلك كله لجهلها بالمغار عليه الذي لا يستحق الغيرة عليه و لو لا الوقوع فيمن انتمى إلى الله و جهل بعض ما ينبغي لله و قصد بذلك الخير و لكن ما علم طريقه و إلا كنا نذكر جهل هذا القائل بالغيرة

على الله و لكن يكفي تنبيهنا على أن هذا ليس بصحيح و إنما التبس على مثل هؤلاء الغيرة لله بالغيرة على الله و ما علموا ما بينهما من الفرقان ذكر في باب الغيرة القشيري في رسالته عن بعضهم أنه قيل له متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكرا و ليس هذا بغيرة فالقشيري أخطأ حيث جعل مثل هذا في باب الغيرة من كتابه و تخيل أن الشبلي في حال رؤية الذاكرين الله على الغفلة و بعدم الحرمة مثل من يذكره بلغو الايمان و الايمان الفاجرة و ذكر الله في طلب المعاش في الأسواق فغار أن يذكر بهذه الصفة لما لم يوف المذكور حقه من الحرمة عند الذكر و الشبلي ما يبعد أن يكون هذا قصده بذلك القول في بدء أمره و في وقت حجابه عن معرفة ربه و أما مع المعرفة فلا يكون هذا يعني قوله إذا لم أر له ذاكرا و إن معنى ذلك عندنا في حق كبراء العارفين أن الذكر لا يكون مع المشاهدة فلا بد للذاكر أن يكون محجوبا و إن كان الله جليس الذاكر و لكنه من وراء حجاب الذكر و كل من هو خلف حجاب من مطلوبه فإنه لا راحة عنده فإذا رفع الحجاب وقعت المشاهدة و زال الذكر بتجلى المذكور فلذلك قال إنما أستريح إذا لم أر له ذاكرا فطلب إن تكون مشاهدته تمنعه عن إدراك الذاكرين أو تمنى للذاكرين أن يكونوا في مقام الشهود الذي يمنعهم من الذكر إذ المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه على هذا يخرج قول هذا الرجل إن كان من العارفين و على ذوق آخر و هو أنه لا يستريح إلا إذا رأى أن الذكر هو الله لا الكون إذا كان الحق لسانه كما هو سمعه و بصره و يده فيستريح لأنه رأى أنه قد ذكره من يعلم كيف يذكره إذ كان هو الذاكر نفسه بلسان عبده فاستراح عند ذلك فلم ير له ذاكرا غيره و أما غيرة الرسول و أكابر الأولياء فغيرتهم لله كما قلنا و هي غيرة أدب و الغيرة كتمان ما ينبغي أن يكتم لعدم احترامه لو ظهر عند من لا يقدر قدره كما قال تعالى وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ فمن الغيرة ستر مثل هذا و من الغيرة الإلهية ستره لضنائنه من أهل الخصوص في كنف صونه فلا يعرفون و ذلك رحمة بالخلق فإنه تعالى لو أبدى مكانتهم و رتبتهم العلية لمن علم منه أنه لا بد أن يجري الأذى على يديه في حق هذا المقرب المجتبى ثم جرى منه ذلك الأذى في حقه لكان عدم احترام للجناب الإلهي حيث لم يعظم ما عظمه الله فسترهم عن العلم بهم فما احترموهم و آذوهم لجهلهم بهم و ذلك لما قدره الله و لهذا تسأل هذا الذي آذى ذلك العبد المقرب من نبي أو صديق فتقول له من غير تعيين ما عندك في أولياء الله فيجد عنده من الحرمة لهم و التبرك بذكرهم و الخضوع تحت أقدامهم لو وجدهم فإذا قلت له هذا منهم و هو منهم لم يقم عنده تصديق بذلك و لو جئته بأمر معجز و كل آية ما قدر يعتقد أن ذلك آية و لا أعطته علما فما آذى إلا من جهل لا من علم و مما يؤيد ما ذكرناه أنه لو حسن الظن بشخص و تخيل أنه من أولياء الله و ليس كذلك في نفس الأمر عظمه و احترمه هذا في فطرة كل مخلوق فما قصد أحد انتهاك حرمة الله في أوليائه و هذا من غيرة الحق فإن قلت فقد آذوا الله مع علمهم بأنه الله قلنا في الجواب عن ذلك ما علموا إن ذلك أذى و أنهم تأولوا فأخطئوا في نفس الأمر لحكم الشبهة التي قامت لهم و تخيلوا أنها دليل و هي في نفس الأمر ليست

كذلك و هذه كلها من الحق في عباده أمور مقدرة لا بد من وقوعها فمن غيرته حجابهم عن العلم به و بالخاصة من عباده فجناب الله و أهل الله على الإطلاق محترمون ما لم تعين أو يتأول فاعلم ذلك

(الباب الحادي و الخمسون و مائة في معرفة مقام ترك الغيرة و أسراره)

من يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فهو الذي ... بنوره في كل أمر يهتدى
و غيرة العبد إذا حققتها ... شح طبيعي من أسباب الردي
و غيرة الحق إذا علمتها ... من رؤية الغير و لا غير بدا
فلا تقل بغيرة فإنها ... مشتقة من غير فاتركها سدى
و أين عين الغير و هو عدم ... فاسلك هديت الرشد أسباب الهدى
وانسب إلى الباري ما قال و ما ... جاء به شرع و لكن ابتدا
مما لو أن العقل يبقى وحده ... ما قاله معتقدا و قدا
فإن يكن بعد سؤال قاله ... فهو دواء و هو بالبرهان دا
فالحق ما قرره الشرع و لو ... دل على كل محال و بدا
فالمؤمن الحق بهذا مؤمن ... و كل من أوله قد اعتدى
لأنه ظن و بعض الظن قد ... يكون إثما قائدا نحو الردي

إذا اقتضى نظر العبد العارف ظهور الحق في أعيان الممكنات الثابتة و إنها ما استفادت منه الوجود و إنما استفادت منه ما ظهر مما هي عليه من الحقائق عند ظهوره فيها فأعطته كل وصف و نعت اتصف به مما تضيفه بطريق الحقيقة إلى الإنسان أو العالم كيفما شئت قلت و من جملة النعوت الغيرة المحكوم بها في نسبة ما ظهر به الظاهر لظهور آخر لحكم آخر من عين آخر فإذا كانت العين واحدة فلا غيرة إذ لا غير و إذا نزلت عن هذا النظر إلى قوله ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها و قوله وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ لم يصح وجود الغيرة فإن الغيرة متعلقها النسب أو قل الأعمال و هي كلها لله فعلى من تقع الغيرة و ما هو ثم إذ كانت النسب و الأعمال كلها لله و الغيرة المعلومة الظاهرة في الكون شح طبيعي و الشح في ذلك الجناب العالي و في الأرواح العلى لا يصح فإذا ظهرت فمن النفس الحيوانية و لهذا توجد الغيرة في الحيوانات و أصلها ضيق الملك و فقد الغرض فالكرم المطلق لا يكون معه غيرة أصلا

(الباب الثاني و الخمسون و مائة في مقام الولاية و أسرارها)

إن الولاية عند العارفين بها نعت اشتراك و لكن فيه إشراك

حبالة نصبت للعارفين بها صيد العقول و سيف الشرع بتاك

و العبد ليس له في حكمها قدم و كيف يقضي بشيء فيه إشراك

إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ فقد نزلت و عين تحقيقها ما فيه إدراك

و ما الإله بمحتاج لنصرتنا و قد أتتكم به رسل و أملاك

فسلمته إلى من جاء منه و قل العجز عن درك الإدراك إدراك

الولاية نعت إلهي و هو للعبد خلق لا تخلق و تعلقه من الطرفين عام و لكن لا يشعر بتعلقه عموما من الجناب الإلهي و عموم تعلقه من الكون أظهر عند الجميع فإن الولاية نصر الولي أي نصر الناصر فقد تقع لله و قد تقع حمية و عصبية فلذلك هو عام التعلق و لما كان هذا النعت للاله كان عام التعلق و هكذا كل نعت إلهي لا بد أن يكون عام التعلق و إن لم يكن كذلك فليس بنعت إلهي لكن بعض النعوت مثل نعت الولاية لا ينسبه الله لنفسه إلا بتعلق خاص للمؤمنين خاصة و الصالحين من عباده و هو ذو النصر العام في كل منصور و لما كان نعتا إلهيا هذا النصر المعبر عنه بالولاية و تسمى سبحانه به و هو اسمه الولي و أكثر ما يأتي مقيدا كقوله اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا سرى في كل ما ينسب إليه إلهية مما ليس بإله و لكن لما تقرر في نفس المشرك أن هذا الحجر أو هذا الكوكب أو ما كان من المخلوقات أنه إله و هو مقام محترم لذاته تعين على المشرك احترام ذلك المنسوب إليه لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه صحيحة و لها وجه و لما علم الله سبحانه أن المشرك ما احترم ذلك المخلوق إلا لكونه إلها في زعمه نظر الحق إليه لأنه مطلوبه فإذا و في بما يجب لتلك النسبة من الحق و الحرمة و كان أشد احتراما لها من الموحد و تراءى الجمعان كانت الغلبة للمشرك على الموحد إذ كان معه النصر الإلهي لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله و إن أخطأ في النسبة و قامت الغفلة و التفريط في حق الموحد فخذل و لم تتعلق به الولاية لأنه غير مشاهد لأيمانه و إنما قاتل ليقال فما قاتل لله فإن الله يقول وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فأي شخص صدق في احترام الألوهية و استحضرها و إن أخطأ في نسبتها و لكن هي مشهوده كان النصر الإلهي معه غيرة إلهية على المقام الإلهي فإنه العزيز الذي لا يغلب فما جعل نصره واجبا عليه للموحد و إنما جعل للمؤمن بما ينبغي للالوهية من الحرمة و وفى بها من وفى و هذا من أسرار الولاية التي لا يشعر بها كل عالم فإن هذا لسان خصوص و أما لسان العموم في هذه الآية و هو نصر المؤمنين فنقول إن الموحد إذا أخلص في إيمانه و ثبت نصر على قرنه بلا

شك فإذا طرأ عليه خلل و لم يكن مصمت الايمان و تزلزل خذله الحق و ما وجد في نفسه قوة يقف بها لعدوه من أجل ذلك الخلل فانهزم فلما رآه عدوه منهزما تبعه و ظهرت الغلبة للعدو على المؤمن فما نصر الله العدو و إنما خذل المؤمن لذلك الخلل الذي داخله فلما خذله لم يجد مؤيدا فانهزم فبالضرورة يتبعه عدوه فما هو نصر للعدو و إنما هو خذلان للمؤمن لما ذكرناه هذا لسان العموم في هذه المسألة فالولاية من الله عامة في مخلوقاته من حيث ما هم عبيده و بهذه الولاية تولاهم في الإيجاد و لما كان متعلق الولاية المؤمنين لذلك أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى و لم يقل لهم ألست بواحد لعلمه بأنه إذا أوجدهم أشرك بعضهم و وحد بعضهم و اجتمعوا في الإقرار بالربوبية له و زاد المشرك الشريك ثم إنه سبحانه من عموم ولايته أن تولاهم بالوجود في أعيانهم و يحفظ الوجود عليهم و بتمشية أغراضهم و تولاهم بما رزقهم مما فيه قوام عيشهم و مصالحهم عموما و وفق من وفق منهم بولايته لوضع نواميس جعلها في نفوسهم من غير تنزل الذي هو الشرع فوضعها حكماء زمانهم و ذوو الرأي منهم العلماء بما يصلح العالم فتولاهم سبحانه بأن قرر في أنفسهم ما ينبغي أن تكون به المصلحة لهم مراعاة لكل جزء منهم فإن كل جزء من العالم مسبح لله تعالى من كافر و غير كافر فإن أعضاء الكافر كلها مسبحة لله و لهذا يشهد عليه يوم القيامة جلده و سمعه و بصره و يده و رجله غير أن العالم لا يفقهون هذا التسبيح و سريان هذه العبادة في الموجودات و هذا من توليه سبحانه ثم إنه تولاهم بإنزال الشرائع الصادقة المعرفة بمصالح الدنيا و الآخرة ثم تولاهم بما أوجد من الرحمة فيهم التي يتعاطفون بها بعضهم على بعض في الوالدين بأولادهم في تربيتهم و بالأولاد على والديهم من البر بهم و الاعتماد عليهم و بما جعل من شفقة المالكين على مماليكهم و على ما يملكونه من الحيوانات و تولى الحيوان بما جعل فيهم من عطف الأمهات على أولادها في كل حيوان يحتاج الولد إلى تدبير أمه و تولاهم بالأغراض ليهون عليهم المشقات و يسمى مثل هذا تسخيرا فيخرج الشخص لنيل غرضه فيما يزعم و هو من حيث التولي الإلهي ما خرج إلا في حق الغير و هو يتوهم أنه في حق نفسه كالتجار و أمثالهم فالقى في نفس التاجر المسافر طلب الربح في تجارته فقام طيبا نشيط النفس و اشترى من البضاعات ما يحتاج إليه أهل ذلك البلد الذي يقصده فيجوب الأمصار و يركب البحار و يتعدى الأماكن القريبة من أجل حاجة أهل البلد الذي يقصده بما جعل الله في قلبه من ذلك بولايته فإذا وصل إلى ذلك البلد باع بربح أو خسارة و نال أصحاب تلك المدينة أغراضهم و وصلوا إلي حوائجهم و هذا المسخر يتخيل في نفسه أنه ليس بمسخر و إنما سافر ليكسب فلو خرج بنية التسخير و جعل الكسب تبعا كان مستريح الخاطر إن كسب و إن لم يكسب فلهذا قلنا إن ولاية الله عامة التعلق لا تختص بأمر دون أمر و لهذا جعل الوجود كله ناطقا بتسبيحه عالما بصلاته فلم يتول الله إلا المؤمنين و ما ثم إلا مؤمن و الكفر عرض عرض للإنسان بمجيء الشرائع المنزلة و لولا وجود الشرائع ما كان ثم كفر بالله يعطي الشقاء و لذلك قال

وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا و ما جاءت الشرائع إلا من أجل التعريف بما هي الدار الآخرة عليه و لو كانت مقصورة على مصالح الدنيا لوقع الاكتفاء بالنواميس الحكمية المشروعة التي ألهم الله من ألهم من عباده لوضعها لوجود المصالح فهذه ولاية الحق و أسرارها و هي الولاية العامة و ولاية الولاية الكونية البشرية و الملكية منها و يكفي هذا القدر و لما جعلهم الله أولياء بعضهم لبعض فقال في المؤمنين بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ و المؤمنات و قال وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ فجعل الولاية بينهم تدور قال عن نفسه وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ لأنه قال وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ من طغى إذا ارتفع و قال في حق نفسه رَفِيعُ الدَّرَجاتِ و هم يعتقدون في الطاغوت الألوهية كما تقدم فلذلك رفعوه فما عبدوا إلا الرفيع الدرجات وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فاجعل بالك و تدبره تعثر على قوله وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ انتهى الجزء الرابع و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثالث و الخمسون و مائة في معرفة مقام الولاية البشرية و أسرارها)

من صورة الحق نلنا من ولايته ... جميعها فلنا في الحرب أقدام

لنا الخلافة في الدنيا محققة ... و ما لها في جنان الخلد أحكام

إنا على النصف من جناتنا أبدا ... و ما لنا في كثيب العين أقدام

و هو الكمال كمال الذات يجمعنا ... فيه ابتهاج بنا ما فيه آلام

و دار دنياك أمراض و عافية ... تعصى الأوامر فيها و هو علام

يقول افعل فلا تسمع مقالته ... و لا يرى منه عند النقض إبرام

لذاك قلنا فلم تسمع مقالتنا ... و فيه لله إتقان و إحكام

لو قال من قال كن بنعت خالقه ... بدت لعينك أرواح و أجسام

لذاك خص من الألفاظ لفظة كن ... لها الوجود و ما في الكون إعدام

الولاية البشرية قوله تعالى إِنْ تَنْصُرُوا الله و قوله أمرا كُونُوا أَنْصارَ الله فعلمنا أنه لو لم يكن ثم مقابل لوجود الحق و لوجوب وجوده يطلبنا ذلك المقابل بالنصر لنكون في قبضته و ملكه على وجود الحق ما قال الله لنا كُونُوا أَنْصارَ الله على هذا المقابل المنازع و هذه تعرف بالمقابلة المعقولة و لما كان الحق تعالى له صفة الوجود و صفة وجوب الوجود النفسي و كان المقابل يقال له العدم المطلق و له صفة يسمى

بها المحال فلا يقبل الوجود أبدا لهذه الصفة فلا حظ له في الوجود كما لا حظ للوجوب الوجود النفسي في العدم و لما كان الأمر هكذا كنا نحن في مرتبة الوسط نقبل الوجود لذاتنا و نقبل العدم لذاتنا و نحن لما نقبل عليه فيحكم فينا بما يعطيه حقيقته و نكون ملكا له و يظهر سلطانه فينا فصار العدم المحال يطلبنا أن نكون ملكا له و صار الحق الواجب الوجود لنفسه يطلبنا لنكون ملكه و يظهر فينا سلطانه و نحن على حقيقة نقبل بها الوصفين و نحن إلى العدم أقرب نسبة منا إلى الوجود فإنا معدومون و لكن غير موصوفين بالمحال لكن نعتنا في ذلك العدم الإمكان و هو أنه ليس في قوتنا أن ندفع عن نفوسنا الوجود و لا العدم لكن لنا أعيان ثابتة متميزة عليها يقع الخطاب من الطرفين فيقول العدم لنا كونوا على ما أنتم عليه من العدم لأنه ليس لكم أن تكونوا في مرتبتي و يقول الحق لكل عين من أعيان الممكنات كن فيأمره بالوجود فيقول الممكن نحن في العدم قد عرفناه و ذقناه و قد جاءنا أمر الواجب الوجود بالوجود و ما نعرفه و ما لنا فيه قدم فتعالوا ننصره على هذا المحال العدمي لنعلم ما هذا الوجود ذوقا فكانوا عند قوله كن فلما حصلوا في قبضته لم يرجعوا بعد ذلك إلى العدم أصلا لحلاوة لذة الوجود و حمدوا رأيهم و رأوا بركة نصرهم الله على العدم المحال فالعالم من حيث جوهريته ناصر لله فهو منصور أبدا و جاءت الأعراض فقبلت الوجود فلما ذاقته و علمته دعاها العدم إلى نفسه و قال لها إلى مردك لأنك عرض و لا بقاء لك في الوجود إذ العارض حقيقته أنه لا بقاء له فارجع إلى عن أمري فلذلك دل دليل العقل أن العرض ينعدم لنفسه إذ الفاعل لا يفعل العدم لأنه حكم لا شيء موجود فانعدمت الأعراض في الزمان الثاني من زمان وجودها فحصلت في قبضة العدم المحال فلم ترجع بعد ذلك إلى الوجود بل يوجد الله أمثالها فتشبهها في الحد و الحقيقة و ما هي أعيان تلك التي وجدت و انعدمت للاتساع الإلهي فهذه ولاية ما سوى الله أي نصر ما سوى الله لله و هذا من أسرار الولاية البشرية و مدركها عسير فإن مبناه على العلم بمراتب المعلومات فإذا فهمت هذا فاعلم إن الولاية البشرية على قسمين خاصة و عامة فالعامة توليهم بعضهم بعضا بما في قوتهم من إعطاء المصالح المعلومة في الكون فهم مسخرون بعضهم لبعض الأعلى للأدنى و الأدنى للأعلى و هذا لا ينكره عاقل فإنه الواقع فإن أعلى المراتب الملك فالملك مسخر في مصالح الرعايا و السوقة و الرعايا و السوقة مسخرون للملك فتسخير الملك الرعايا ليس عن أمر الرعايا و لكن لما تقتضيه المصلحة لنفسه و تنتفع الرعايا بحكم التبع لا أنهم المقصودون بذلك الانتفاع الذي يعود عليهم من التسخير و تسخير الرعايا على الوجهين الوجه الواحد يشاركون فيه الملك من أنهم لا يبعثهم على التسخير إلا طلب المنفعة العائدة عليهم من ذلك كما يفعله الملك سواء و التسخير الثاني ما هم عليه من قبول أمر الملك في العسر و اليسر و المنشط و المكره و بهذا ينفصلون عن تسخير الملوك فهم أذلاء أبدا لا يرتفع لهم رأس مع حاجة الملوك إليهم و هذا هو القسم العام و أما القسم الخاص فهو ما لهم من الولاية التي هي النصرة في قبول بعض أحكام الأسماء

الإلهية على غيرها من الأسماء الأخر بمجرد أفعالهم و ما يظهر في أكوانهم لكونهم قابلين لآثار الأسماء فيهم فينزلون بهذه الولاية منازل الحقائق الإلهية فيكون الحكم لهم مثل ما هو الحكم للأسماء بما هم عليه من الاستعداد و هذه الولاية في أصحاب الأحوال أظهر في العامة من ظهورها في أصحاب المقامات و هي في أصحاب المقامات في الخصوص أظهر من ظهورها في أصحاب الأحوال و لكن مدركها عسير فإن صاحب المقام على العادة المستمرة و هو متغير في كل زمان مع كل نفس لأنه في كل نفس في شأن إلهي لا علم لكل أحد به مع قيامه به من حيث لا يشعر فلا يحمد عليه و هذا الخاص يحمد عليه و صاحب الحال خارق للعادة فتحيد إليه الأبصار و تقبل عليه النفوس و هو ثابت مدة طويلة على حالة واحدة لا يشعر لتغيرها عليه و يحجبه عن معرفة ذلك حبه لسلطنته التي أعطاها الحال فهو على النقيض من صاحب المقام و لو استشعر بنقصه في مرتبته لما رغب في الحال فإنه يدل على جهله و لصاحب هذا المقام أحوال مختلفة منها حال الأمانة و حال الدنو و حال القرب و حال الكشف و حال الجمع و حال اللطف و حال القوة و حال الحماسة و حال اللين و حال الطيب و حال النظافة و حال الأدب فإذا تجلى في السلطنة ارتاض و قيل فيه سلطان و إذا تجلى في الجلال تأدب فهو أديب و في تجلى الجمال نظيف و في تجلى العظمة طاهر زكى قدوس و إذا تجلى في الطيب عطر عرفه و في الهيبة جعله سيدا و في اللطف ذوبه و في الحسن عشقه فروحنه فللأولياء التفريع و الإقبال و لهم الستور و الحجاب إذا قربهم صانهم و سترهم و خبأهم فجهلوا و إذا عاقبهم و ليسوا بأنبياء أظهر عليهم خرق العوائد فعرفوا فحجبوا الخلق عن الله و هم مأمورون بدعوتهم إلى الله فالحق لأصحاب المقامات من الأولياء مطيع و لكلامهم سميع لهم جميع المقامات و الأحوال و هم ذكران الرجال لا يلحقهم عيب و لا يقوم بهم فيما هم فيه ريب لهم الآخرة مخلصة كما هي لله و لهم الدنيا ممتزجة كما هي لسيدهم فهم بصفات الحق ظاهرون و لذلك جهلوا

(الباب الرابع و الخمسون و مائة في معرفة مقام الولاية الملكية)

إن الولاية توقيف على الخبر ... من المهيمن في الأملاك و البشر

و في ملائكة التسخير أظهرها ... رب العباد من أهل النفع و الضرر

أما ملائكة التهيام ليس لهم ... فيها نصيب على ما جاء في الخبر

مهيمون سكارى من محبته ... لا يعلمون بعين لا و لا أثر

الله أكرمهم الله قربهم ... الله خصهم بالمشهد الخطر

إني فديتهم من كل حادثة ... لا يعلمون بها بالسمع و البصر

اعلم أن الملائكة ثلاثة أصناف صنف مهيم لما أوجدهم تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم و أفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم و لا من هاموا فيه و لا ما هيمهم فهم في الحيرة سكارى و هم الذين أوجدهم الله من أبنية العماء الذي ما فوقه هو أو ما تحته هو أو هم و جميع الملائكة أرواح خلقهم الله في هياكل أنوار كسائر الملائكة إلا أن هؤلاء الملائكة ليس لهم من الولاية إلا ولاية الممكنات التي ذكرناها في شرح إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ و الصنف الثاني الملائكة المسخرة و رأسهم القلم الأعلى و هو العقل الأول سلطان عالم التدوين و التسطير و كان وجودهم مع العالم المهيم غير أنه حجبهم الله عن هذا التجلي الذي هيم أصحابهم لما أراد الله أن يهبه هذا الصنف المسخر من رتبة الإمامة في العالم و له ولاية تخصه و تخص ملائكة التسخير و الصنف الثالث ملائكة التدبير و هي الأرواح المدبرة للأجسام كلها الطبيعية النورية و الهبائية و الفلكية و العنصرية و جميع أجسام العالم و لهؤلاء ولاية أيضا فأما ملائكة التسخير فولايتهم أعني نصرتهم للمؤمنين إذا أذنبوا و توجهت عليهم أسماء الانتقام الإلهية و توجهت في مقامات تلك الأسماء أسماء الغفران و العفو و التجاوز عن السيئات فتقول الملائكة ما قال الله تعالى وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بقولهم رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ما يزيدون على ذلك في حق المؤمن العاصي غير التائب اتكالا منهم على علم الله فيما قصدوه في ذلك الكلام أدبا مع الله سبحانه حيث إنه استحق جناب الله على أهل الله أن يغار من أجله و يدعي على من عصاه و لم يقم بأمره و ما ينبغي لجلاله فإن الملائكة أهل أدب مع الله فقالوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً بقولك وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و هؤلاء العصاة من الداخلين في عموم لفظة كل و علما من قوله أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً فهذا مثل قول العبد الصالح الذي أخبرنا الله بقوله إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فتأدب مع الله في هذا القول لما عصى قومه الله تعالى و لم يتوبوا فعلم الله منه أنه تأدب مع الله و أنه عرض بالمغفرة لما علم أن رحمته سبقت غضبه غير أن نفس الملائكة أقوى في الأدب لأنهم أعلم بالله من هذا العبد و ما ينبغي لجلال الله فلم يقولوا و إن تغفر لهم و إنما قالوا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فهذا يسمى تعريض تنبيه على أن الحق بهذه المثابة كما أخبر عن نفسه فقولهم رحمة فقدموا ذكر الرحمة لأنه تعالى قدمها لما ذكر عبده خضرا فقال آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا قبل أن يذكر ما أعطاه ثم ذكر بعد ذلك الذي أعطاه من أجل رحمته به فقال وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً فلهذا قدمت الملائكة الرحمة و سكتت عن ذكر العصاة في دعائها فبين كلمة عيسى في حق قومه و بين دعاء الملائكة في حق العبيد العصاة من الأدب بون كثير لمن نظر و استبصر و لهذا قام النبي محمد ص بهذه الآية إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ ليلة كاملة ما زال يرددها حتى طلع الفجر إذ كانت كلمة غيره فكان يكررها حكاية و قصده معلوم في ذلك كما قيل في المثل إياك أعني فاسمعي يا جارة و لم يقم ليلة كاملة بآية قول الملائكة لأن مناسبته لعيسى أقرب و مناسبة عيسى للملائكة أقرب لأن جبريل توجه على أمه مريم في إيجاد

عيسى بشرا سويا فسلك محمد ص طريقا بين طريقين في طلب المغفرة لقومه فهذا استنصارهم الله في حق المؤمنين العصاة و أما نصرتهم بالدعاء لمن تاب منهم فهو قولهم ربنا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ فصرحوا بذكرهم لما كان هؤلاء قد قاموا في مقام القرب الإلهي بالتوبة و قرعوا بابها في رجعتهم إلى الله و الملائكة حجبة الحق فطلبوا من الله المغفرة لهم لما اتصفوا بالتوبة و هذا من الأدب ثم إنهم لما عرفت الملائكة أن بين الجنة و النار منزلة متوسطة و هي الأعراف فمن كان في هذه المنزلة ما هو في النار و لا في الجنة و علمت من لطف الله بعباده أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فقالت الملائكة بعد قولهم وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ أي لا تنزلهم في الأعراف بل أدخلهم الجنة وَ من صَلَحَ الواو هنا بمعنى مع يقولون مع من صلح من آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ كما قال العبد الصالح وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و لم يقل واحد منهم إنك أنت الغفور الرحيم أدبا مع الجناب الإلهي من الطائفتين فاجتمعوا بذكر هذين الاسمين في حضرة الأدب مع الله ثم زادت الملائكة في نصرتها للملائكة الموكلين بقلوب بنى آدم و هم أصحاب اللمات ينصرونهم الدعاء على أعدائهم من الشياطين أصحاب اللمات الموكلين المسلطين على قلوب العباد المنازعين لما تلقى الملائكة على قلوب بنى آدم في لماتها فقالوا وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ نصرة للملائكة على الشياطين ثم تلطفوا في السؤال بقولهم وَ من تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ثم من نصرتهم لمن في الأرض من غير تعيين مؤمن من غيره قول الله تعالى عنهم وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ مطلقا من غير تعيين أدبا مع الله و الأرض جامعة فدخل المؤمن و غيره في هذا الاستغفار ثم إن الله بشر أهل الأرض بقبول استغفار الملائكة بقوله أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و لم يقل الفعال لما يريد و لهذا أيضا قلنا إن مال عباد الله إلى الرحمة و إن سكنوا النار فلهم فيها رحمة لا يعلمها غيرهم و ربما تعطيهم تلك الرحمة أن لو شموا رائحة من روائح الجنة تضرروا بها كما تضر رياح الورد و الطيب بأمزجة المحرورين فهذا كله من ولاية الملائكة فعم نصرهم بحمد الله فنعم الإخوان لنا و أما نصرهم المؤمنين على الأعداء في القتال فإنهم ينزلون مددا بالدعاء و في يوم بدر نزلوا مقاتلين خاصة و كانوا خمسة آلاف و فيه استرواح إذ ليس بنص بقوله وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ فكانوا من الملائكة أو هم الملائكة الذين قالوا في حق آدم أَتَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ فأنزلهم في يوم بدر فسفكوا الدماء حيث عابوا آدم بسفك الدماء فلم يتخلفوا عن أمر الله و قوله وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ به أي من عادة البشرية أن تسكن إلى الكثرة إذ كان أهل بدر قليلين و المشركون كثيرين فلما رأوا الملائكة و هم خمسة آلاف و المسلمون ثلاثمائة و المشركون ألف رجل اطمأنت قلوب المؤمنين بكثرة العدد مع وجود القتال منهم فما اطمأنوا به برؤيتهم و حصل لهم من الأمان في قلوبهم حتى غشيهم النعاس إذ كان الخائف لا ينام و ما ذكر في الكثرة أكثر من خمسة آلاف لأن الخمسة من

الأعداد تحفظ نفسها و غيرها و ليس لغيرها من الأعداد هذه المرتبة فحفظ الله دينه و عباده المؤمنين بِخَمْسَةِ آلافٍ من الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ أي أصحاب علامات يعرفون بها أنهم من الملائكة أو الملائكة الذين قالوا في حقنا نسفك الدماء فنصرونا على الأعداء بما عابوه علينا إذ أمرهم الله بذلك و لولاية الملائكة وجوه و مواقف متعددة و لكن ذكرنا حصر المراتب التي نبه الله عليها فنصروا أسماء الله و هو أعلى المقامات و نصروا ملائكة اللمات و نصروا المؤمنين و نصروا التائبين و نصروا من في الأرض و ما ثم من يطلب نصرهم أكثر من هذا فانحصرت مراتب النصر ثم إن الله أثنى عليهم بأنهم يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ استفتاحا إيثارا لجناب الله ثم بعد ذلك يَسْتَغْفِرُونَ و هو الذي يليق بهم تقديم جناب الله و لهذا ما قام رسول الله ص في مقام للناس يخطبهم الأقدم حمد الله و الثناء عليه ثم بعد ذلك يتكلم بما شاء و لذلك قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أو قال بذكر الله فهو أجذم أي مقطوع عن الله و إذا كان مقطوعا عن الله فإن شاء الله قبله و إن شاء لم يقبله و إذا بديء فيه بذكر الله فكان موصولا به غير مقطوع أي ليس بأجذم فذكر الله مقبول فالموصول به مقبول بلا شك ثم إنه من علم الملائكة أنهم ما يسبحون في هذه الأحوال إلا بحمد ربهم و الرب المصلح و لا يرد الإصلاح إلا على فساد و ما ذكر الله عنهم أنهم يسبحون بحمد غيره من الأسماء الإلهية إذ قال الله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فعلموا إن المتوجه على العالم إنما هو الاسم الرب إذ كان الغالب على عالم الأرض سلطان الهوى و هو الذي يورث الفساد الذي قالت الملائكة أَ تَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها فعلموا ما يقع لعلمهم بالحقائق و كذا وقع الأمر كما قالوه و إنما وقع الغلط عندهم في استعجالهم بهذا القول من قبل أن يعلموا حكمة الله في هذا الفعل ما هي و حملهم على ذلك الغيرة التي فطروا عليها في جناب الله لأن المولد من الأضداد المتنافرة لا بد فيه من المنازعة و لا سيما المولد من الأركان فإنه مولد من مولد من مولد من مولد ركن عن فلك عن برج عن طبيعة عن نفس و الأصل الأسماء الإلهية المتقابلة و من هنالك سرى التقابل في العالم فنحن في آخر الدرجات فالخلاف فيما علا عن رتبة المولد من الأركان أقل و إن كان لا يخلو ألا ترى إلى الملإ الأعلى كيف يختصمون و ما كان لرسول الله ص علم بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ حتى أعلمه الله بذلك و سبب ذلك أن أصل نشأتهم أيضا تعطي ذلك و من هذه الحقيقة التي خلقوا عليها قالوا أَ تَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ و هو نزاع خفي للربوبية من خلف حجاب الغيرة و التعظيم و أصل النزاع و التنافر ما ذكرناه من الأسماء الإلهية المحيي و المميت و المعز و المذل و الضار و النافع و لا ينبغي أن يكون الإله إلا من هذه أسماؤه مضاف إليها مشيئته و إرادته المقيدتان بلو و هو حرف امتناع فيه سر خفي لأهل العلم بالله فإذا علمت هذا أقمت عذر العالم عند الله و لهذا كانت الملائكة تبدأ في نصرتها و دعائها بتسبيح ربها و الثناء عليه بمثل هذه الأسماء تعريضا أن أصل ما هم فيه من حقائق قوله وَ من يُضْلِلِ الله و من يَهْدِ الله أي الكل بيدك و حينئذ يستغفرون إقامة لعذرهم عند الله و إلى

اللهُ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فكل علم في العالم مستنبط من العلم الإلهي فهو العلم العام و لا يعرفه إلا نبي أو ولي مقرب مجتبى من ملك و بشر و أما النظر العقلي فإنه لا يصل إلى هذا العلم أبدا من حيث فكره و نظره في الأدلة التي يستقل بها فهذا قد أريتك بعض ما هي عليه الولاية الملكية إلى ما فوق ذلك من تسخيرهم في إنزال الوحي و مصالح العالم من هبوب رياح و نشء سحاب و إنزال مطر إذ كانوا الصَّافَّاتِ و فَالزَّاجِراتِ و فَالتَّالِياتِ و الْمُرْسَلاتِ و النَّاشِراتِ و فَالْفارِقاتِ و فَالْمُلْقِياتِ و النَّازِعاتِ و النَّاشِطاتِ و السَّابِحاتِ و فَالسَّابِقاتِ و فَالْمُدَبِّراتِ و فَالْمُقَسِّماتِ و هؤلاء كلهم من ملائكة التسخير و ولاية كل صنف من مرتبته التي هو فيها و أما ملائكة التدبير و هم الأرواح المدبرة أجسام العالم المركب و هذه المدبرة هي النفوس الناطقة فإن الولاية فيها نصرتها لله فيما جعل في أخذها به سعادتها و سعادة جسدها الذي أمرت بتدبيره فيأتي الطبع فيريد نيل غرضه فينظر العقل ما حكم الشرع الإلهي في ذلك الغرض فإن رآه محمودا عند الله أمضاه و إن رآه مذموما نبه النفس عليه و طلب منها النصرة على قمع هذا الغرض المذموم فساعدته فنصرت العقل بقبول الخير و ذلك لتكون كلمة الله المشروعة هي العليا على كلمة الله في الذين كفروا التي هي السفلي كما كانت الصدقة تقع في يد السائل و هي السفلي و السائل قوله وَ أَقْرِضُوا الله و الصدقة تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل المتلفظ بحروف السؤال و اليد العليا هي المنفقة خير من اليد السفلي و هي السائلة و المال لله سبحانه هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و نحن مستخلفون فيه بل نحن الخزائن و الخزنة لهذا المال فتحقق ما أومأنا إليه في هذا الباب فإنه نافع جدا و مزيل جهلا عظيما و مورث أدبا إلهيا فيه سعادة أبدية لمن وقف عنده و فهمه و عمل به

(الباب الخامس و الخمسون و مائة في معرفة مقام النبوة و أسرارها)

بين الولاية و الرسالة برزخ ... فيه النبوة حكمها لا يجهل

لكنها قسمان إن حققتها ... قسم بتشريع و ذاك الأول

عند الجميع و ثم قسم آخر ... ما فيه تشريع و ذاك الأنزل

في هذه الدنيا و أما عند ما ... تبدو لنا الأخرى التي هي منزل

فيزول تشريع الوجود و حكمه ... و هناك يظهر أن هذا الأفضل

و هو الأعم فإنه الأصل الذي ... لله فهو نبأ الولي الأكمل

النبوة نعت إلهي يثبتها في الجناب العالي الاسم السميع و يثبت حكمها صفة الأمر الذي في الدعاء المأمور به و إجابة الحق عباده فيما يسألونه فيه فإنها أيضا من الله في حق العبد سؤال إلهي بصفة افعل و لا تفعل و نقول نحن سَمِعْنا وَأَطَعْنا و يقول هو سبحانه سمعت و أجبت فإنه قال أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و صيغة الأمر من العبد في الطلب اغْفِرْ لَنا ارْحَمْنا اعْفُ عَنّا فَانْصُرْنا و اهْدِنا ارْزُقْنا و شبه ذلك و صيغة النهي من العبد في الدعاء لا تُزِغْ قُلُوبَنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ و ليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرنا إلا أنه لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما أطلق في الولاية فسمى نفسه وليا و ما سمي نفسه نبيا مع كونه أخبرنا و سمع دعاءنا فهو من الوجهين بهذه المثابة و لهذا قال ص إن الرسالة و النبوة قد انقطعت و ما انقطعت إلا من وجه خاص انقطع منها مسمى النبي و الرسول و لذلك قال فلا رسول بعدي و لا نبي ثم أبقى منها المبشرات و أبقى منها حكم المجتهدين و أزال عنهم الاسم أبقى الحكم و أمر من لا علم له بالحكم الإلهي أن يسأل أهل الذكر فيفتونه بما أداه إليه اجتهادهم و إن اختلفوا كما اختلفت الشرائع لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً و كذلك لكل مجتهد جعل له شرعة من دليله و منهاجا و هو عين دليله في إثبات الحكم و يحرم عليه العدول عنه و قرر الشرع الإلهي ذلك كله فحرم الشافعي عين ما أحله الحنفي و أجاز أبو حنيفة عين ما منعه أحمد بن حنبل فأجاز هذا ما لم يجز هذا فاتفقوا في أشياء و اختلفوا في أشياء و كل في هذه الأمة شرع مقرر لنا من عند الله مع علمنا إن مرتبتهم دون مرتبة الرسل الموحى إليهم من عند الله فالنبوة و الرسالة من حيث عينها و حكمها ما نسخت و إنما انقطع الوحي الخاص بالرسول و النبي من نزول الملك على أذنه و قلبه و تحجير لفظ اسم النبي و الرسول فلا يقال في المجتهد إنه نبي و لا رسول كما حجر الاجتهاد على الأنبياء فيما شرعه و المجتهد و إن كان يرشد الناس بما أداه إليه دليله و اجتهاده فلا يطلق عليه هذا الاسم فهو لفظ خاص بالأنبياء و الرسل ما هو لله و لا للأولياء بل هو اسم خاص للعبودية التي هي عين القرب من السيد و عدم مزاحمة السيد في رتبته بخلاف الولاية فإن العبد مزاحم له في اسم الولي تعالى و لهذا شق على المستخلصين من العبيد انقطاع اسم النبي و اسم الرسول لما كان من خصائصها و لم يكن له في الأسماء الإلهية عين و إذا كانت النبوة نعتا إلهيا في أحكامها و منها أوجب الحق على نفسه ما أوجب لأن الوجوب للشرع ما هو لغير الشرع فقال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ هذا من حكم الشرع فاعلم ذلك و تثبت في معرفة ما ذكرناه فإنه سهل المرتقى صعب النزول عنه هكذا رأيته في الواقعة ليلة أردت أن أقيد هذا الباب فما تكلمنا في هذا الباب بما تكلمنا به إلا بما شاهدناه في الواقعة و رأينا فيها باب اسم الرسول و النبي مغلقا على يميني و المعراج بإدراجه منه إلى الطريق الشارع الذي يمشي الناس عليه و أنا عند الباب واقف و ليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقام لأحد إلا ما في داخل ذلك المغلق الموثق الغلق و مع غلقه

ما ينحجب عني ما وراءه إلا أنه لا قدم لأحد فيه إلا الكشف و لقد طلع إلى شخص فلما وصل بسهولة و رآه توعر عليه النزول و حار و لم يقدر على الثبات فيه فتركني و سلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع و راح و تركني راجعا و استيقظت على هذه الحالة فقيدت ما أودعته في هذا الباب و رأيت في هذه الليلة رسول الله ص و هو يكره إدخال الجنازة في المسجد و يكره أيضا أن يستر الميت من الذكران بثوب زائد على كفنه و أمر أن يسلب عنه و يترك على نعشه في كفنه و أن لا يستر في تابوت أصلا و أمرني إذا كان البردان أسخن الماء للغسل من الجنابة و لا أصبح على جنابة و رأيته يشكر على الجماع و يستحسن ذلك من فاعله هذا كله رأيته في هذه الليلة و رأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة و ذكرت له أن رسول الله ص أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة فقال لي هكذا ذكر البخاري أنه رأى النبي ص في النوم فأمره بذلك و رأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك و رآني الفربري في النوم و علمت أنه رآني في النوم و رأيته أنا في نومه فذكر لي أن البخاري ذكر له هذا فعلمته أنا من قول الفربري و ثبت عندي و ها أنا في النوم قد قلته لك فاعمل به و استيقظت فأمرت أهلي أن يسخنوا لي ماء و اغتسلت مع الفجر و هذه كلها من المبشرات و أما النبوة التي هي غير مهموزة فهي الرفعة و لم يطلق على الله منها اسم و لها في الإله اسم رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و لها أيضا الاسم العلي و الأعلى و هي النبوة المهموزة و هي مولدة عن النبوة التي هي الرفعة فالقصر الأصل و المد زيادة ألا ترى العرب في ضرورة الشعر تجوز قصر الممدود لأنه رجوع إلى الأصل و لا تجوز مد المقصور لأنه خروج عن الأصل و الروح بينه تعالى و بين من شاء من عباده بالبشارة و النذارة و للأولياء في هذه النبوة مشرب عظيم كما ذكرنا و لا سيما و النبي ص قد قال فيمن حفظ القرآن إن النبوة قد أدرجت بين جنبيه فإنها له غيب و هي للنبي شهادة فهذا هو الفرقان بين النبي و الولي في النبوة فيقال فيه نبي و يقال في الولي وارث و الوراثة نعت إلهي فإنه قال عن نفسه إنه خَيْرُ الْوارِثِينَ فالولي لا يأخذ النبوة من النبي إلا بعد أن يرثها الحق منهم ثم يلقيها إلى الولي ليكون ذلك أتم في حقه حتى ينتسب في ذلك إلى الله لا إلى غيره و بعض الأولياء يأخذونها وراثة عن النبي و هم الصحابة الذين شاهدوه أو من رآه في النوم ثم علماء الرسوم يأخذونها خلفا عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب و أما الأولياء فيأخذونها عن الله تعالى من كونه ورثها و جاد بها على هؤلاء فهم أتباع الرسل بمثل هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ قال أبو يزيد أخذتم علمكم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت قال الله تعالى لنبيه ص في مثل هذا المقام لما ذكر الأنبياء عليهم السلام في سورة الأنعام أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و كانوا قد ماتوا و ورثهم الله و هو خَيْرُ الْوارِثِينَ ثم جاد على النبي ص بذلك الهدى الذي هداهم به فجعله ص مقتديا بهداهم و الموصل الله و نعم السند وَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ و هذا

عين ما قلناه في علم الأولياء اليوم بهدى النبي ص و هدى الأنبياء أخذوه عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة بهم و عناية سبقت لهم عند ربهم كما قال في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً و هذه النبوة سارية في الحيوان مثل قوله تعالى وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ و كلهم بهذه المثابة فمن علمه الله منطق الحيوانات و تسبيح النبات و الجماد و علم صلاة كل واحد من المخلوقات و تسبيحه علم إن النبوة سارية في كل موجود يعلم ذلك أهل الكشف و الوجود لكنه لا ينطلق من ذلك اسم نبي و لا رسول على واحد منهم إلا على الملائكة خاصة الرسل منهم و هم المسمون ملائكة و كل روح لا يعطي رسالة فهو روح لا يقال فيه ملك إلا مجازا كالأرواح المخلوقة من أنفاس المؤمنين الذاكرين الله يخلق الله من أنفاسهم أرواحا يستغفرون لصاحب ذلك الذكر إلى يوم القيامة و كذلك من أعمالهم كلها المحمودة التي فيها أنفاسهم و لقد رأيته ص في مبشرة و هو يقول و يشير إلى الكعبة يا ساكني هذا البيت لا تمنعوا أحدا طاف به و صلى في أي وقت شاء من ليل أو نهار فإن الله يخلق له من صلاته ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة و هؤلاء كلهم أرواح مطهرة فمن أرسل منهم في أمر سمي ملكا

(الباب السادس و الخمسون و مائة في معرفة النبوة البشرية و أسرارها)

إن النبوة إخبار لأرواح مقيدين بأرواح و أشباح
لها القصور عليهم كلما وردت بكل وجه من التشريع وضاح
و قد تكون بلا شرع مخبرة بما يكون من أتراح و أفراح

اعلم أن النبوة البشرية على قسمين قسم من الله إلى عبده من غير روح ملكي بين الله و بين عبده بل إخبارات إلهية يجدها في نفسه من الغيب أو في تجليات لا يتعلق بذلك الإخبار حكم تحليل و لا تحريم بل تعريف إلهي و مزيد علم بالاله أو تعريف بصدق حكم مشروع ثابت إنه من عند الله لهذا النبي الذي أرسل إلى من أرسل إليه أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته عند علماء الرسوم فيطلع صاحب هذا المقام على صحة ما صح من ذلك و فساد ما فسد مع وجود النقل بالطرق الضعيفة أو صحة ما فسد عند أرباب النقل أو فساد ما صح عندهم و الإخبار بنتائج الأعمال و أسباب السعادات و حكم التكاليف في الظاهر و الباطن و معرفة الحد في ذلك و المطلع كل ذلك ببينة من الله و شاهد عدل إلهي من نفسه غير أنه لا سبيل أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع نبيه و رسوله الذي أرسل إليه و أمرنا باتباعه فيتبعه على علم صحيح و قدم صدق ثابت عند الله تعالى ثم إن لصاحب هذا المقام الاطلاع على الغيوب في أوقات و في أوقات لا علم له بها و لكن من شرطه العلم بأوضاع الأسباب في العالم و ما يؤول إليه الواقف عندها أدبا و الواقف معها

اعتمادا عليها كل ذلك يعلمه صاحب هذا المقام و له درجات الاتباع و هو تابع لا متبوع و محكوم لا حاكم و لا بد له في طريقه من مشاهدة قدم رسوله و إمامه لا يمكن أن يغيب عنه حتى في الكثيب و هذا كله كان في الأمم السالفة و أما هذه الأمة المحمدية فحكمهم ما ذكرناه و زيادة و هو أن لهم بحكم شرع النبي محمد ص أن يسنوا سنة حسنة مما لا تحل حراما و لا تحرم حلالا و مما لها أصل في الأحكام المشروعة و تسنينه إياها ما أعطاه له مقامه و إنما حكم به الشرع و قرره بقوله من سن سنة حسنة الحديث كمسألة بلال في الركعتين بعد الأذان و إحداث الطهارة عند كل حدث و ركعتين عقيب كل وضوء و القعود على طهارة و ركعتين بعد الفراغ من الطعام و صدقة على وجه خاص بسنة و كل أدب مستحسن مما لم يعينه الشارع فلهذه الأمة تسنينه و لهم أجر من عمل بذلك غير أنهم كما قلنا لا يحلون حراما و لا يحرمون حلالا و لا يحدثون حكما ثم لهم الرفعة الإلهية العامة التي تصحبهم في الدنيا و الآخرة و القسم الثاني من النبوة البشرية هم الذين يكونون مثل التلامذة بين يدي الملك ينزل عليهم الروح الأمين بشريعة من الله في حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء و يحرم عليهم ما شاء و لا يلزمهم اتباع الرسل و هذا كله كان قبل مبعث محمد ص فأما اليوم فما بقي لهذا المقام أثر إلا ما ذكرناه من حكم المجتهدين من العلماء بتقرير الشرع لذلك في حقهم فيحلون بالدليل ما أداهم إلى تحليله اجتهادهم و إن حرمه المجتهد الآخر و لكن لا يكون ذلك بوحي إلهي و لا بكشف و الذي لصاحب الكشف في هذه الأمة تصحيح الشرع المحمدي ما له حكم الاجتهاد فلا يحصل لصاحب هذا المقام اليوم أجر المجتهدين و لا مرتبة الحكم فإن العلم بما هو الأمر عليه في الشرع المنزل يمنعهم من ذلك و لو ثبت عند المجتهد ما ثبت عند صاحب هذا المقام من الكشف بطل اجتهاده و حرم عليه ذلك الحكم و لذلك ليس للمجتهد أن يفتي في الوقائع إلا عند نزولها لا عند تقدير نزولها و إنما ذلك للشارع الأصلي لاحتمال إن يرجع عن ذلك الحكم بالاجتهاد عند نزول ما قدر نزوله و لذلك حرم العلماء الفتيا بالتقليد فلعل الإمام الذي قلده في ذلك الحكم الذي حكم به في زمانه لو عاش إلى اليوم كان يبدو له خلاف ما أفتى به فيرجع عن ذلك الحكم إلى غيره فلا سبيل أن يفتي في دين الله إلا مجتهد أو بنص من كتاب أو سنة لا بقول إمام لا يعرف دليله و إذا كان الأمر على ما ذكرناه فلم يبق في هذه الأمة المحمدية نبوة تشريع فلا نطيل الكلام فيها أكثر من هذا و لكن نطيل الكلام إن شاء الله أكثر من هذا في باب الرسالة البشرية لتقرير حكم المجتهدين و الأمر الإلهي بسؤالهم فيما جهل من حكم الله في الأشياء انتهى الجزء الخامس و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و الخمسون و مائة في معرفة مقام النبوة الملكية)

أوحى الإله إلى الأملاك تعبده يأمره ما لهم في النهي من قدم

و هم عبيد اختصاص لا يقابله ضد و قد منحوا مفاتح الكرم

لا يعرفون خروجا عن أوامره و رأسهم ملك سماه بالقلم

أعطاه من علمه ما لا يقدره خلق و إن له في رتبة القدم

حكما كما قال في العرجون خالقنا في سورة القلب جل الله من حكم

هم أنبياء أحباء بأجمعهم بلا خلاف و هم من جملة الأمم

لكل شخص من الأملاك مرتبة معلومة ظهرت للعين كالعلم

و هم على فضلهم على التفاضل في تقريبهم و لهم جوامع الكلم

قال الله تعالى لإبليس أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ من الْعالِينَ و هم أرفع الأرواح العلوية و ليسوا بملائكة من حيث الاسم فإنه موضوع للرسل منهم خاصة فمعنى الملائكة الرسل و هو من المقلوب و أصله مالكة و الألوكة الرسالة و المالكة الرسالة فما تختص بجنس دون جنس و لهذا دخل إبليس في الخطاب بالأمر بالسجود لما قال اللهُ لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لأنه ممن كان يستعمل في الرسالة فهو رسول فأمره الله ف أَبى وَ اسْتَكْبَرَ و قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي من نارٍ وَ خَلَقْتَهُ من طِينٍ فالرسالة جنس حكم يعم الأرواح الكرام البررة السفرة و الجن و الإنس فمن كل صنف من أرسل و منه من لم يرسل فالنبوءة الملكية المهموزة لا ينالها إلا الطبقة الأولى الحافون من حول العرش و لهذا يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ و أفراد من ملائكة الكرسي و السموات و ملائكة العروج و آخر نبي من الملائكة إسماعيل صاحب سماء الدنيا و كل واحد منهم على شريعة من ربه متعبد بعبادة خاصة و ذلك قولهم وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فاعترفوا بأن لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها و لا معنى للشريعة إلا هذا فإذا أتى الوحي إليهم و سمعوا كلام الله بالوحي ضربوا بأجنحتهم خضعانا يسمعونه كسلسلة على صفوان فيصعقون ما شاء الله ثم ينادون فيفيقون فيقولون ما ذا فيقال لهم ربكم فيقولون الحق و هو قوله تعالى في حقهم حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فجاءوا في ذكرهم بالاسم العلي في كبريائه إن كان من قولهم فإنه محتمل أن يكون قول الله أو يكون حكاية الحق عن قولهم و العالون هم الذين قالوا لهؤلاء الذين أفاقوا ربكم و هم الذين نادوهم و هم العالون فلهذا جاء بالاسم العلي لأن كل موجود لا يعرف الحق إلا من نفسه و لذلك قال ص من عرف نفسه عرف ربه فجاء بمن و هي نكرة فعم كل عارف من كل جنس و علق المعرفة بالربوبية و كذا قال العالون لهؤلاء الذين صعقوا حين استفهموهم ربكم و ما قالوا إلهكم و هم العالون فقالوا

العلي الكبير و اعلم أن العبادة في كل ما سوى الله على قسمين عبادة ذاتية و هي العبادة التي تستحقها ذات الحق و هي عبادة عن تجل إلهي و عبادة وضعية أمرية و هي النبوة فكل من عبده عن أمره و وقف عند حده ك الصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ و فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا و النَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا و الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا و هم صنف من الملائكة التاليات وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا و هم إخوان المدبرات من الملائكة حضرتهم متجاورة و كل هؤلاء أنبياء ملكيون عبدوا الله بما وصفهم به فهم في مقامهم لا يبرحون إلا من أمر منهم بأمر يبلغه و سيأتي في الرسالة الملكية و هو قول جبريل وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ فهم تحت تسخير رب محمد ص من الاسم الذي يخصه و لله ملائكة في الأرض سياحون فيها يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلس ذكر نادى بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم و هم الملائكة الذي خلقهم الله من أنفاس بنى آدم فينبغي للمذكر أن يراقب الله و يستحيي منه و يكون عالما بما يورده و ما ينبغي لجلال الله و يجتنب الطامات في وعظه فإن الملائكة يتأذون إذا سمعوا في الحق و في المصطفين من عباده ما لا يليق و هم عالمون بالقصص و قد أخبر ص أن العبد إذا كذب الكذبة تباعد عنه الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به فتمقته الملائكة فإذا علم المذكر ان مثل هؤلاء يحضرون مجلسه فينبغي له أن يتحرى الصدق و لا يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلات من أثنى الله عليهم و اجتباهم و يجعل ذلك تفسير الكتاب الله و يقول قال المفسرون و ما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام كقصة يوسف و داود و أمثالهم عليهم السلام و محمد ص بتأويلات فاسدة و أسانيد واهية عن قوم قالوا في الله ما قد ذكر الله عنهم فإذا أورد المذكر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة و نفروا عنه و مقته الله و وجد الذي في دينه رخصة يلجأ إليها في معصيته و يقول إذا كانت الأنبياء قد وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا و حاشا و الله الأنبياء مما نسبت إليهم اليهود لعنهم الله فينبغي للمذكر أن يحترم جلساءه و لا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله و يرغب في الجنة و يحذر من النار و أهوال الموقف و الوقوف بين يدي الله من أجل من عنده من البطالين المفرطين من البشر و قد ذكرنا في شرح كلام الله فيما ورد من ذكر الأنبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم ما هو شرح على الحقيقة لكلام الله فهؤلاء المذكورون نقلة عن اليهود لا عن كلام الله لما غلب عليهم من الجهل فواجب على المذكر إقامة حرمة الأنبياء عليهم السلام و الحياء من الله أن لا يقلدا اليهود فيما قالوا في حق الأنبياء من المثالب و نقلة المفسرين خذلهم الله و منها مراعاة من يحضر مجلسه من الملائكة السياحين فمن يراعي هذه الأمور ينبغي أن يذكر الناس و يكون مجلسه رحمة بالحاضرين و منفعة

(الباب الثامن و الخمسون و مائة في مقام الرسالة و أسرارها)

إلا إن الرسالة برزخية و لا يحتاج صاحبها لنية

إذا أعطت بنيته قواها تلقتها بقوتها البنية

فيضحى مقسطا حكما عليما سؤوسا في تصاريف البرية

يصرفهم و يصرفه إليها كما تعطي مراتبها العلية

فمن فهم الذي قلناه فيها نفى أحكام كسب فلسفيه

و إن الاختصاص بها منوط كما دلت عليه الأشعرية

و ما من شرطها عمل و علم و لا من شرطها نفس زكيه

و لكن العوائد إن تراه على خير و أحوال رضية

اعلم أن الولاية هي المحيطة العامة و هي الدائرة الكبرى فمن حكمها أن يتولى الله من شاء من عباده بنبوة و هي من أحكام الولاية و قد يتولاه بالرسالة و هي من أحكام الولاية أيضا فكل رسول لا بد أن يكون نبيا و كل نبي لا بد أن يكون وليا فكل رسول لا بد أن يكون وليا فالرسالة خصوص مقام في الولاية و الرسالة في الملائكة دنيا و آخرة لأنهم سفراء الحق لبعضهم و صنفهم و لمن سواهم من البشر في الدنيا و الآخرة و الرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا و ينقطع حكمها في الآخرة و كذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة و النار نبوة التشريع لا النبوة العامة و أصل الرسالة في الأسماء الإلهية و حقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام و لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ و هي تتجدد و هو قوله ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فالإتيان به هو الرسالة و حدوث الذكر عند السامع المرسل إليه هو الكلام المرسل به و قد يسمى الكلام المرسل به رسالة و هو علم يوصله إلى المرسل إليه و لهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن و الرسل هو اللبن لكن للرسالة مقام عند الله منه يبعث الله الرسل فلهذا جعلنا للرسالة مقاما و هو عند الكرسي ذلك هو مقام الرسالة و نبوة التشريع و ما فوق ذلك فنبوة لا رسالة فالرسل لا يفضل بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل و إنما فضل الله بعض الرسل على بعض و بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و ما من جماعة يشتركون في مقام إلا و هم على السواء فيما اشتركوا فيه و يفضل بعضهم بعضا بأحوال أخر ما هي عين ما وقع فيه الاشتراك و قد يكون ما يقع به المفاضلة يؤدي إلى التساوي و هو مذهب أبي القاسم بن قسي من الطائفة و من قال بقوله فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه فيفضل الواحد منهم بأمر لا يكون عند غيره و يفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله و عندنا قد لا يكون

التساوي و يجمع لواحد جميع ما عند الجماعة فيفضل الجماعة بجمع ما فضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد و لا يفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله بأمر ليس عند آحاد الجنس هكذا هو في نفس الأمر في كل جنس فلا بد من إمام في كل نوع من رسول و نبي و ولي و مؤمن و إنسان و حيوان و نبات و معدن و ملك و قد نبهنا على ذلك قبل هذا في الاختيارات فمقام الرسالة الكرسي لأنه من الكرسي تنقسم الكلمة الإلهية إلى خبر و حكم فللأولياء و الأنبياء الخبر خاصة و لأنبياء الشرائع و الرسل الخبر و الحكم ثم ينقسم الحكم إلى أمر و نهي ثم ينقسم الأمر إلى قسمين إلى مخير فيه و هو المباح و إلى مرغب فيه ثم ينقسم المرغب فيه إلى قسمين إلى ما يذم تاركه شرعا و هو الواجب و الفرض و إلى ما يحمد بفعله و هو المندوب و لا يذم بتركه و النهي ينقسم قسمين نهي عن أمر يتعلق الذم بفاعله و هو المحظور و نهي يتعلق الحمد بتركه و لا يذم بفعله و هو المكروه و أما الخبر فينقسم قسمين قسم يتعلق بما هو الحق عليه و قسم يتعلق بما هو العالم عليه و الذي يتعلق بما هو الحق عليه ينقسم قسمين قسم يعلم و قسم لا يعلم فالذي لا يعلم ذاته و الذي يعلم ينقسم قسمين قسم يطلب نفي المماثلة و عدم المناسبة و هو صفات التنزيه و السلب مثل لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَالْقُدُّوسُ و شبه ذلك و قسم يطلب المماثلة و هو صفات الأفعال و كل اسم إلهي يطلب العالم و هذه الأقسام كلها مجموع الرسالة و به أتت الرسل و الرسالة إذا ثبتت و ثبت أنها اختصاص إلهي غير مكتسبة يثبت بها كون الحق متكلما أي موصوفا بالكلام فإنه مبلغ ما قيل له قل و لو كان مبلغا ما عنده أو ما يجده من العلم في نفسه لم يكن رسولا و لكان معلما فكل رسول معلم و ما كل معلم رسول و ما سميت رسالة إلا من أجل هذه الأقسام التي تحتوي عليه و لو لا هذه الأقسام لم تكن رسالة لأن الأمر الواحد من غير معقولية سواه لا تقع الفائدة بتبليغه عند المرسل إليه لأنه لا يعقله و لهذا لا يعقل الذات الإلهية لأنها لا سوى لها و لا غير و تعقل الألوهية و الربوبية لأن سواها المألوه و المربوب فتنبه لما أشرنا إليه تعثر على العلم المخزون و المرسلات عرفا تنبيه على التتابع و الكثرة و التاليات يتلو بعضها بعضا فالرسالة يتلو بعضها بعضا و لهذا انقسمت و الله الهادي

(الباب التاسع و الخمسون و مائة في مقام الرسالة البشرية)

إن الرسول لسان الحق للبشر ... بالأمر و النهي و الإعلام و العبر

هم أذكياء و لكن لا يصرفهم ... ذاك الذكاء لما فيه من الغرر

أ لا تراهم لتابير النخيل و ما ... قد كان فيه على ما جاء من ضرر

هم سالمون من الأفكار إن شرعوا ... حكما بحل و تحريم على البشر

إن الرسالة في الدنيا قد انقطعت　　في وقتنا للذي قد جاء في الخبر

و قد مضى حكمها دنيا و آخرة　　و ما لها في وجود العين من أثر

لو لا التكاليف لم يختص صاحبها　　عن غيره لوجود الوحي و النظر

النحل يوحى إليه دائما أبدا　　إلى القيامة في السكنى و في الثمر

الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل و مرسل إليه و المرسل به قد يعبر عنه بالرسالة و قد تكون الرسالة حال الرسول و هي بالجملة ليست بمقام و إنما هي نسبة حال و تنقطع بانقطاع التبليغ بالفعل و يزول حكمها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و أوجب عليه ذلك فقال يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ فالرسالة هنا هي التي أرسل بها و بلغها و هكذا وردت في القرآن حيثما وردت و لا يقبلها الرسول إلا بوساطة روح قدسي أمين ينزل بالرسالة على قلبه و أحيانا يتمثل له الملك رجلا و كل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية و إنما يسمى وحيا أو إلهاما أو نفثا أو إلقاء أو وجودا و لا تكون الرسالة إلا كما ذكرنا و لا يكون هذا الوصف إلا للرسول البشري و ما عدا هذا من ضروب الوحي فإنه يكون لغير النبي و الرسول و الفرق بين النبي و الرسول أن النبي إذا ألقى إليه الروح ما ذكرناه اقتصر بذلك الحكم على نفسه خاصة و يحرم عليه أن يتبع غيره فهذا هو النبي فإذا قيل له بلغ ما أنزل إليك إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء و إما عامة للناس و لم يكن ذلك إلا لمحمد ص لم يكن لغيره قبله فسمى بهذا الوجه رسولا و الذي جاء به رسالة و ما اختص به من الحكم في نفسه و حرم على غيره من ذلك الحكم هو نبي مع كونه رسولا و إن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبي و أعني نبوة الشرائع التي ليست للأولياء فكل رسول لم يخص بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبي و إن خص مع التبليغ فهو رسول و نبي فما كل رسول نبي على ما قلناه و لا كل نبى رسول بلا خلاف ثم إن الورثة و هم الأتباع الذين أمروا بالتبليغ كمعاذ و علي و دحية رسل رسول الله ص و لا يزال كل متأخر مأمورا بالتبليغ ممن أمر بالتبليغ متصل الطريق مأمورا عن مأمور إلى رسول الله ص يسمى رسولا و لكن ما هي الرسالة التي انقطعت و الرسالة التي انقطعت هي تنزل الحكم الإلهي على قلب البشر بوساطة الروح كما قررناه فذلك الباب هو الذي سد و الرسالة و النبوة التي انقطعت و أما الإلقاء بغير التشريع فليس بمحجور و لا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المقرر أو فساده فلم تنقطع و كذلك تنزل القرآن على قلوب الأولياء ما انقطع مع كونه محفوظا لهم و لكن لهم ذوق الإنزال و هذا لبعضهم (و لهذا) ذكر عن أبي يزيد أنه ما مات حتى استظهر القرآن أي أخذه عن إنزال و هو الذي نبه النبي ص فيمن حفظ القرآن يعني على هذا الوجه أن النبوة قد أدرجت بين جنبيه و لم يقل في صدره و

هذا معنى استظهار القرآن أي أخذه عن ظهر فله مثل هذا التنزل مستمر فيمن شاء الله من عباده لكن على هذا النعت و الصفة و هو قوله تعالى يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ فالرسل مبشرون و منذرون و الورثة منذرون خاصة لا مبشرون لكنهم مبشرون اسم مفعول فإذا بشر الولي أحدا بسعادة فما هو من هذا الباب بل البشارة في ذلك بتعيين السعيد و بشارة الأنبياء متعلقة بالعمل المشروع و هو أنه من عمل كذا كان له كذا في الجنة أو نجاه الله من النار بعمل كذا هذا لا يكون إلا للرسل ليس للولي فيه دخول و له أن يعطي تعيين السعيد لا من حيث العمل فيقول في الكافر و هو في حال كفره إنه سعيد و في المؤمن في حال إيمانه إنه شقي فيختم لكل واحد بالسبب الموجب لسعادته أو شقاوته تصديقا لقول الولي هذا القدر بقي للأولياء من نبوة الإخبار لا من نبوة التشريع و لها من الحروف ياء العلة و له الدعوى و الآيات و صاحبها مسئول و له الكشف في أوقات و هو قوله لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ و هي و إن نزلت من الكرسي فإذا رجعت فلا تتعدى سدرة المنتهى و الرسالة تنزل معاني و تعود إلى السدرة صورا ينشئها العبد إنشاء و هذا له من الاسم الخلاق الذي أعطى و معراجها براقي و رفرفي و لكن من السموات و رئيس أرواحها النازلين بها جبريل و هو أستاذ الرسل و هو الموكل بهذا المقام و ما يتصور لهذا المقام نسخ و إنما الأشخاص تختلف و كل شخص يجري فيه إلى أجل مسمى و لهذا جاء وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً و قال رُسُلَنا تَتْراو لا يقع فيها تفاضل و إنما التفاضل بين المرسلين لا من كونهم مرسلين بل من مقام آخر و لا يشترط على الرسول فيها إقامة الدليل للمرسل إليه بل لها الجبر و لهذا مع وجود الدليل ما نجد وقوع الايمان في محل المرسل إليه من كل أحد بل من بعضهم فلو كان لنفس الدليل لعم و نراه يوجد ممن لم ير دليلا فدل أن الايمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده لا لعين الدليل فلهذا لم نشترط فيه الدليل فالإيمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه و كل من آمن عن دليل فلا يوثق بإيمانه فإنه معرض للشبه القادحة فيه لأنه نظري لا ضروري و قد نبهتك في هذا على سر غامض لا يعرفه كل أحد و لا تشترط أيضا في حقه العصمة إلا فيما يبلغه عن الله خاصة و يلزمه تبيين ما جاء به حتى يفهم عنه لإقامة الحجة على المبلغ إليه فإن عصم من غير هذا فمن مقام آخر و هو أن يخاطب العباد المرسل إليهم بالتأسي به فيكون التأسي به أصلا فإن انفرد بأمر لزمه أن يبينه لا بد من ذلك كما قال في نكاح الهبة خالِصَةً لَكَ من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ و من شرط صاحب هذا المقام طهارة القلب من الفكر فله الراحة فإنه لا يشرع إلا ما يوحى به إليه و أما مشورته لأصحابه ففي غير ما شرع له و ليس للرسول من حيث رسالته المشاورة فإذا انضاف إلى رسالته أن تكون جامعة فلمقام الخلافة المشورة و لما كان رسول الله ص من الخلفاء قيل له وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فينبغي لك أن تعرف الفرق بين الخلافة و الرسالة

(الباب الستون و مائة في معرفة الرسالة الملكية)

حذارا من إلقاء اللعين إذا يرى و دارت عليه مثل دائرة القلب

تنزلت الأملاك ليلا على قلبي نزول علوم الغيب عينا على قلب

و ذلك حفظ الله في مثل طورنا و عصمته في المرسلين بلا ريب

فنحن و إياهم مصانون بالحمى تخاطبنا الأسماء من حضرة القرب

و يفترق الصنفان عند رجوعهم من المشهد الأعلى إلى عالم الترب

فيظهر هذا بالرسالة واضعا حدودا و أحكاما عن الروح و الرب

و ذلك مأمور بستر مقامه و إن كان قد داناه في الذوق و الشرب

فسبحان من أعطى الوجود بجوده و قسمه قسمين للكشف و الحجب

فأشهد ذا فضلا و سبق عناية و أوقف ذا خلف الحجاب بلا ذنب

فقف و تأدب و اتعظ ثم و لا تقل حجبت بلا ذنب و هذا من الذنب

ألا إنما العقبي لمن بات سره يرى البعد و التقريب في الذنب و العتب

قال تعالى في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ يعني التذكرة التي هي الرسالة بِأَيْدِي سَفَرَةٍ و السفرة هم الرسل من الملائكة هنا كذلك ما يجودون به على المرسلين إليهم في رسالتهم بَرَرَةٍ أي محسنين فهؤلاء هم سفراء الحق إلى الخلق بما يريد أن ينفذه فيهم من الحكم من عالم الأركان فإذا أراد الله إنفاذ أمر في خلقه أوحى إلى الملك الأقرب إلى مقام تنفيذ الأوامر و هو الكرسي فيلقي إليه ذلك الأمر على وجوه مختلفة ثم يأمره بأن يوحي به إلى من يليه و يوحي إليه أن يوحي إلى من يليه أن يوحي به إلى من يليه من أعلى إلى أدنى إلينا هذا من حد انقسام الكلمة و أما من أحدية الكلمة فهو نزولها من رتبة زلفى إلى مقام أدنى إلى مكان أزهى إلى محل أسنى إلى رفرف أبهى إلى عرش أعلى إلى كرسي أجلي فتنقسم هناك الكلمة أي يتعين هنالك ما أريد بها من حكم أو خبر ثم تنزل إلى سدرة المنتهى إلى سماء فسماء إلى السماء الدنيا فينادي بملك الماء فيودع تلك الرسالة فيضعها في الماء و ينادي ملائكة اللمات و هم ملائكة القلوب فيلقنونها فيجعلها لمات في قلوب العباد فتعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة فتأتي بأمثاله إلى قلوب الخلق فتنطق الألسنة بما تجده في القلوب و هي الخواطر قبل التكوين بأنه كان كذا و اتفق كذا لما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فذلك مما جاءت به الملائكة و ما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين و يسمى ذلك في العالم الإرجاف و تراه العامة مقدمات التكوين و أما ملك الماء فيلقي ما أوحي به إليه في الماء فلا يشرب الماء

حيوان إلا و يعرف ذلك السر إلا الثقلين و لكن لا يعرف من أين جاء و لا كيف حصل و من هذا المنزل هو البلاء الذي ينزل في كانون فلا يجد إناء فيه ماء غير مغطى إلا دخل فيه و من هذا الباب ما يجده الإنسان من بغض شخص و حب شخص من غير سبب ظاهر معلوم له و يكون بالسماع و بالرؤية و ورد خبر في مثل هذا و من هذا الباب السياسة الحكمية لمصالح العالم التي لم يأت بها شرع عند فقد الأنبياء عليهم السلام و أزمنة الفترات تنزل بها ملائكة الإلهام و اللمات على قلوب عقلاء الزمان و حكماء الوقت فيلقونها في أفكارهم لا على أسرارهم فيضعونها و يحملون الناس عليها و الملوك و ما فيها شيء من الشرك فهذه هي الرسالة الملكية التي فيها مصالح العالم في الدنيا و هي البدع الحسنة التي أثنى الله على من رعاها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله و ثم رسالات أخر أيضا على أيدي الملائكة بتسخير العالم بعضه لبعض مطلقا

(الباب الحادي و الستون و مائة في المقام الذي بين الصديقية و النبوة و هو مقام القربة)

جماعة من رجال الله أنكره ... و ليس من شأنهم إنكار ما جهلوا

هو المقام الذي قامت شواهده ... في الحرق و القتل و الباقي الذي فعلوا

لو أنهم دبروا القرآن لاح لهم ... وجه الحقيقة فيما عنه قد غفلوا

و ما تخصص عنهم في مقامهم ... إلا الذين عن الرحمن قد عقلوا

و منه أيضا أبو بكر و ميزته ... بالسر لو نظروا في حكمنا كملوا

فليس بين أبي بكر و صاحبه ... إذا نظرت إلى ما قلته رجل

هذا الصحيح الذي دلت دلائله ... في الكشف عند رجال الله إذ عملوا

القربة نعت إلهي و هو مقام مجهول أنكرت آثاره الخاصة من الرسل عليهم السلام مع الافتقار إليه منهم و شهادة الحق لصاحبه بالعدالة و الاختصاص و هو مقام الخضر مع موسى و ما أذهله إلا سلطان الغيرة التي جعل الله في الرسل عليهم السلام على مقام شرع الله على أيديهم فلله أنكروا و تكرر منه ع الإنكار مع تنبيه العبد الصالح في كل مسألة و يأبى سلطان الغيرة إلا الاعتراض لأن شرعه ذوق له و الذي رآه من غيره أجنبي عنه و إن كان علما صحيحا و لكن الذوق أغلب و الحال أحكم و لذلك قيل لرسول الله ص قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و لم يقل له قل رب زدني حالا فلو زاد حالا لزاد إنكارا و كلما زاد علما زاد إيضاحا و كشفا و اتساعا و انشراحا و تنزها في

الوجوه التي سفرت من براقعها و ظهرت من وراء ستورها و كللها فارتفع الضيق و الحرج و شوهد الكمال في النقص و لما حصلت في هذا المقام السني قلت مشيرا و منبها

وإني لأهوى النقص من أجل من أهوى ... لأن به كان الكمال لمن يدري
و ما جاء بالنقصان إلا مخافة ... من العين مثل البدر من آخر الشهر
و ما نقص البدر الذي تبصرونه ... و لكنه بدر لمن غاص بالفكر
يراه تماما كاملا في ضيائه ... على أكمل الحالات في البطن و الظهر
فلو لم يكن في الكون نقص محقق ... لكان الوجود الحق ينقص في القدر
فبي كان للحق الوجود كماله ... مع النقص فانظر ما تضمنه شعري
غزال من الفردوس جاء منقبا ... من أجلي و ما يخفى على الله ما يجري
فقلت له أهلا و سهلا و مرحبا ... بمن و حياة الحب قد ضمه صدري
أهيم بها حبا على كل حالة ... حياة و موتا في القيامة و الحشر
لقد سفرت يوما فلاحت محاسن ... تخبر عنها أنها ليلة القدر
سجدت لها حبا فلما رأيتها ... علمت بأني ما تعلقت بالغير
فكبرت إجلالا لكونى هويتني ... فسرى الذي قد كان هيمه جهري
و حققت أني عين من قد هويته ... فلم أخش من بين و لم أخش من هجري
فبغداد داري لا أرى لي موطنا ... سواها فإن عزت جنحت إلى مصري

هذا المقام دخلته في شهر محرم سنة سبع و تسعين و خمسمائة و أنا مسافر بمنزل الجيسل ببلاد المغرب فتهت به فرحا و لم أجد فيه أحدا فاستوحشت من الوحدة و تذكرت دخول أبي يزيد بالذلة و الافتقار فلم يجد في ذلك المنزل من أحد و ذلك المنزل هو موطني فلم أستوحش فيه لأن الحنين إلى الأوطان ذاتي لكل موجود و أن الوحشة مع الغربة و لما دخلت هذا المقام و انفردت به و علمت أنه إن ظهر علي فيه أحد أنكرني فبقيت أتتبع زواياه و مخادعه و لا أدري ما اسمه مع تحققي به و ما خص الله به من أتاه إياه و رأيت أوامر الحق تترى علي و سفراؤه تنزل إلي تبتغي مؤانستي و تطلب مجالستي فرحلت و أنا على تلك الحال من الاستيحاش بالانفراد و الأنس إنما يقع

بالجنس فلقيت رجلا من الرجال بمنزل يسمى آن حال فصليت العصر في جامعة فجاء الأمير أبو يحيى بن واجتن و كان صديقي و فرح بي و سألني أن أنزل عنده فأبيت و نزلت عند كاتبه و كانت بيني و بينه مؤانسة فشكوت إليه ما أنا فيه من انفرادي بمقام أنا مسرور به فبينا هو يؤانسني إذ لاح لي ظل شخص فنهضت من فراشي إليه عسى أجد عنده فرجا فعانقني فتأملته فإذا به أبو عبد الرحمن السلمي قد تجسدت لي روحه بعثه الله إلى رحمة بي فقلت له أراك في هذا المقام فقال فيه قبضت و عليه مت فإنا فيه لا أبرح فذكرت له وحشتي فيه و عدم الأنيس فقال الغريب مستوحش و بعد أن سبقت لك العناية الإلهية بالحصول في هذا المقام فاحمد الله و لمن يا أخي يحصل هذا ألا ترضى أن يكون الخضر صاحبك في هذا المقام و قد أنكر عليه موسى حاله مع ما شهد الله عنده بعدالته و مع هذا أنكر عليه ما جرى منه و ما أراه سوى صورته فحاله رأى و على نفسه أنكر و أوقعه في ذلك سلطان الغيرة التي خص الله بها رسله و لو صبر لرأى فإنه كان قد أعد له ألف مسألة كلها جرت لموسى و كلها ينكرها على الخضر قال شيخنا أبو النجا المعروف بأبي مدين لما علم الخضر رتبة موسى و علو قدره بين الرسل امتثل ما نهاه عنه طاعة لله و لرسوله فإن الله يقول وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فقال له في الثانية إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي فقال سمعا و طاعة فلما كانت الثالثة و نسي موسى حالة قوله إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِن خَيْرٍ فَقِيرٌ و ما طلب الإجارة على سقايته مع الحاجة فارقه الخضر بعد ما أبان له علم ما أنكره عليه ثم قال له وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي لأنه كان على شرعة من ربه و منهاج و في زمانها بخلاف حاله بعد بعث محمد ص فإنه الفراكل الصيد في جوفه فقلت له يا أبا عبد الرحمن لا أعرف لهذا المقام اسما أميزه به فقال لي هذا يسمى مقام القربة فتحقق به فتحققت به فإذا به مقام عظيم لعلماء الرسوم من أهل الاجتهاد فيه قدم راسخة لكنهم لا يعرفون أنهم فيه و رأيت الإمداد الإلهي يسرى إليهم من هذا المقام و لهذا ينكر بعضهم على بعض و يخطئ بعضهم بعضا لأنهم ما حصل لهم ذوقا و لا يعلمون ممن يستمدون مشاهدة و كشفا فكل واحد منهم على حق كما أنه لكل نبي تقدم هذا الزمان المحمدي شرعة و منهاج و الايمان بذلك كله واجب على كل مؤمن و إن لم نلتزم من أحكامهم إلا ما لزمناه فالمجتهدون من علماء الشريعة ورثة الرسل في التشريع و أدلتهم تقوم لهم مقام الوحي للأنبياء و اختلاف الأحكام كاختلاف الأحكام إلا أنهم ليسوا مثل الرسل لعدم الكشف فإن الرسل يشد بعضهم من بعض و كذلك أهل الكشف من علماء الاجتهاد و أما غير أهل الكشف منهم فيخطئ بعضهم بعضا و لو قال الخضر لموسى من أول ما صحبه ما أفعل شيئا مما تراني أفعله عن أمري ما أنكره عليه و لا عارضة و لقد أنطقه الله بقوله سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً و الصبر لا يكون إلا على ما يشق عليه فلو قدم الصبر على المشيئة كما يفعل المحمدي لصبر و لم يعترض فإن الله قدمه في الإعلام تعليما لمحمد ص فمن أراد أن يحصل علم الله في خلقه

فليقف عند ترتيب حكمته في الأشياء فيقدم ما قدم الله و يؤخر ما أخر الله فإن من أسمائه المقدم و المؤخر فإذا أخرت ما قدمه أو قدمت ما أخره فهو نزاع خفي يورث حرمانا قال تعالى وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ فأخر الاستثناء و قدمه موسى فلم يصبر فلو أخره لصبر و هذه الآية مذكورة باللسان العبراني في التوراة فالله الله يا إخواننا من أهل هذه الملة المحمدية قفوا على مشاعر الله التي بينها لكم و لا تتعدوا ما رسم لكم ألا تراه ص لما صعد على الصفا في حجة الوداع قرأ إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ ثم قال أبدأ بما بدأ الله به و ما قال ذلك إلا تعليما لنا و لزوم أدب مع الله و لو لا أنه جائز له أن يبدأ بالمروة في سعيه لما قال هذا و رجح ما بدأ الله به على ما في المسألة من التخيير من أجل الواو فإنه ما بدأ الله به إلا لسر يعلمه فمن لم يبدأ به حرم فائدته و قال ص خذوا عني مناسككم و تقديم الصفا في السعي من المناسك و لقد رويت في هذا المعنى حكاية عجيبة عن يهودي أخبرني بها موسى بن محمد القرطبي القباب المؤذن بالمسجد الحرام المكي بالمنارة التي عند باب الحزورة و باب أجياد رحمه الله سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال كان رجل بالقيروان أراد الحج فتردد خاطره في سفره بين البر و البحر فوقتا يترجح له البر و وقتا يترجح له البحر فقال إذا كان صبيحة غد أول رجل ألقاه أشاوره فحيث يرجح لي أحكم به فأول من لقي يهوديا فتألم ثم عزم و قال و الله لأسألنه فقال يا يهودي أشاورك في سفري هذا هل أمشي في البر أو في البحر فقال له اليهودي يا سبحان الله و في مثل هذا يسأل مثلك ألم تر أن الله يقول لكم في كتابكم هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فقدم البر على البحر فلو لا إن لله فيه سرا و هو أولى بكم ما قدمه و ما أخر البحر إلا إذا لم يجد المسافر سبيلا إلى البر قال فتعجبت من كلامه و سافرت في البر يقول الرجل فو الله ما رأيت سفرا مثله و لقد أعطاني الله فيه من الخير فوق ما كنت أشتهي و قد أنكر أبو حامد الغزالي هذا المقام و قال ليس بين الصديقية و النبوة مقام و من تخطي رقاب الصديقين وقع في النبوة و النبوة باب مغلق فكان يقول لا تتخطوا رقاب الصديقين و لا شك أن الأنبياء أصحاب الشرائع هم أرفع عباد الله من البشر و مع هذا لا يبعد أن يخص الله المفضول بعلم ليس عند الفاضل و لا يدل تميزه عنه أنه بذلك العلم أفضل منه بل قال له يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا و ما قال له أنا أفضل منك بل علم حق موسى و ما ينبغي له و امتثل أمره فيما نهاه عنه من صحبته احتراما منه لمقام موسى و علو منزلته و سكوت موسى عنه حين فارقه و لم يرجع عن نهيه لأنه علم إن الخضر ممن لم يسمع نهي موسى ع و لا سيما و قد قال له وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي فعلم موسى أنه ما فارقه إلا عن أمر ربه فما اعترض عليه في فراقه إياه و حصل لموسى مقصوده و مقصود الحق في تأديبه فعلم إن لله عبادا عندهم من العلم ما ليس عنده و لم يكن إلا علم كون من الأكوان من علوم الكشف و هو من أحوال المريدين أصحاب السلوك فكيف لو كان من العلوم المتعلقة بالجناب الإلهي إما من العلم المحكم أو المتشابه

و من هذا المقام حصل لأبي بكر الصديق السر الذي وقر في نفسه و ظهرت قوة ذلك السر مع وقته و قول عائشة لرسول الله ص في مرضه حين أمر أن يصلي بالناس أنه رجل أسيف و رسول الله ص يعرف منه بالسر الذي حصل عنده ما لا تعرفه الجماعة فما بقي أحد يوم مات رسول الله ص إلا ذهل في ذلك اليوم و خولط في عقله و تكلم بما ليس الأمر عليه إلا أبو بكر الصديق فما طرأ عليه من ذلك أمر بل رقى المنبر و خطب الناس و ذكر موت النبي ص فقال من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ الآية فسكن جأش الناس حتى قال عمر و الله ما كأني سمعت بهذه الآية إلا في ذلك اليوم و هذا قوله ص إذا وجب يعني الموت فلا تبكين باكية و أما قبل وقوع الموت فالبكاء محمود و كذا فعل أبو بكر لما قام رسول الله ص فقال ما تقولون في رجل خير فاختار لقاء الله فبكى أبو بكر وحده دون الجماعة و علم أن رسول الله ص قد نعى لأصحابه نفسه فأنكر الصحابة على أبي بكر بكاءه و هو كان أعلم فلما مات ص بكى الناس و ضجوا إلا أبا بكر امتثالا لقوله ص إذا وجب فلا تبكين باكية هذا كله من السر الذي أعطاه هذا المقام فالذي ينبغي أن يقال ليس بين محمد و أبي بكر رجل لا أنه ليس بين الصديقية و النبوة مقام فإن الصديق تابع بطريق الايمان فما أنكره متبوعة أنكر و ما قرره متبوعة قرر هذا حظ الصديق من كونه صديقا و من كون مقام آخر لا يحكم عليه حال الصديقية فاعلم ذلك انتهى السفر الرابع عشر بانتهاء الجزء السادس و مائة من الفتوحات المكية

(الباب الثاني و الستون و مائة في معرفة الفقر و أسراره)

الفقر أمر يعم الكون أجمعه ... عينا و حكما و لكن ليس ينطلق

إلا على ممكن أسماء خالقه ... تبغيه فهي لهذا الأمر تستبق

إن القوي بالاستعداد قوته ... مثل الضعيف ففي الأحكام تتفق

إن الحقائق تجري في ميادنها ... و كل حق له في نفسه طلق

إن الفقير الذي استولت خصاصته ... عليه في كل شيء ثوبه خلق

في كل حال من الأحوال تبصره ... كأنه طبق من فوقه طبق

و ليس يمنعه عن عين موجدة ... على طريقته الآفات و العلق

(و من ذلك)

الفقر حكم و لكن ليس يدركه ... إلا الذي جل عن أهل و عن ولد

الفقر حكم يعم الكون أجمعه ولا أحاشي من الأعيان من أحد

لأنها كلها بالذات تطلبه و الفقر يطلبها بالذات في البلد

فكلها عدد لأنها عدد والكل شفع سوى المدعو بالأحد

و ما سواه من الأعيان فهو كما قلناه كالواهب المحسان و الصمد

سبحانه جل أن يحظى به أحد فلا يولد في عقل و في جسد

قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ يعني بأسمائه كما نحن فقراء إلى أسمائه و لذلك أتى بالاسم الجامع للأسماء الإلهية حقيقة سره لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ فلو اتصفوا اتصفوا بحقيقة سَنَكْتُبُ ما قالُوا سببه وَ أَقْرِضُوا اللهَ نزاهته قَرْضاً حَسَناً بيانه و دليله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه جزاؤه وَما يَفْعَلُوا من خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ و باب الفقر ليس فيه ازدحام لاتساعه و عموم حكمه و الفقر صفة مهجورة و ما يخلو عنها أحد و هي في كل فقير بحسب ما تعطيه حقيقته و هي ألذ ما ينالها العارف فإنها تدخله على الحق و يقبله الحق لأنه دعاه بها و لدعاء طلب و تقرب منها أختها و هي الذلة قال أبو يزيد قال لي الحق تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فذله و حجبه فهاتان صفتان في اللسان نعتان للممكنات ليس لواجب الوجود منهما نعت في اللسان تعالى الله حجاب مسدل و باب مقفل مفتاحه معلق عليه يراه البصير و لا يحس به الأعمى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ وفي هذه الآية أعني آية قوله أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ تسمى الحق لنا باسم كل ما يفتقر إليه غيرة منه أن يفتقر إلى غيره فالفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء و لا يفتقر إليه شيء و هذا هو العبد المحض عند المحققين فتكون حاله في شيئية وجوده كحاله في شيئية عدمه دواء نافع لداء عضال قوله وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً قضية في عين قضية عامة أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً تنبيه على شرف الرتبة هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً مع وجود عينه لأن الحين الدهري أتى عليه فالفقر احتياج ذاتي من غير تعيين حاجة لجهله بالأصلح له و من أسماء الله المانع و هو قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ حتى الغرض لما خلقه فينا أعطاه خلقه فلإنزال أصحاب أغراض فما يمنع إلا للمصلحة كما يملي لقوم لِيَزْدادُوا إِثْماً فقد أعطاهم الإثم كما أعطى الإثم خلقه فالحق لا يقيد إنعامه و القوابل تقبل بحسب استعداداتها فمنعه عطاء لعلمه بالمصالح لذلك حكي عن بعضهم أنه سئل عن الفقير ما هو فقال من ليست له إلى الله حاجة يعني على التعيين و نبه أن الاحتياج له ذاتي و الله قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فقد أعطاك ما فيه المصلحة لك لو علمت فما بقي لصاحب هذا المقام ما يسأل الله فيه و ما شرع السؤال إلا لمن ليس له هذا الشهود و رآه

يسأل الأغيار فغار فشرع له أن يسأله و لما سبق في علمه أنه يخلق قوما و يخلق فيهم السؤال إلى الأغيار و يحجبهم عن العلم به أنه المسئول في كل عين مسئولة يفتقر إليها من جماد و نبات و حيوان و ملك و غير ذلك من المخلوقات أخبرنا أن الناس فقراء إلى الله أي هو المسئول على الحقيقة فإنه بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فالفقر إلى الله هو الأصل فالعلماء بالله هم الذين يحفظون أحوالهم (وصل) الغني بالله فقير إليه فالنسبة بلفظ الفقر إلى الله أولى من النسبة بالغنى لأن الغني نعت ذاتي يرفع المناسبة بين ذات الحق و الخلق و كل طلب فيوذن بمناسبة فإن الحاصل لا يبتغى فلا يكون الطلب إلا في شيء ليس عند الطالب في حال الطلب و لهذا لا يتعلق إلا بالعدم الذي هو عين المعدوم و قد يكون ذلك المطلوب في عين موجودة و لا عين موجودة ما في الكون إلا طالب فما في الكون إلا فقير لما طلب و يتميز الفقر عن سائر الصفات بأمر لا يكون لغيره و هو أنه صفة للمعدوم و الموجود و كل صفة وجودية من شرطها أن تقوم بالموجود ألا ترى الممكن في حال عدمه يفتقر إلى المرجح فإذا وجد افتقر أيضا إلى استمرار الوجود له و حفظه عليه فلا يزال فقيرا ذا فقر في حال وجوده و في حال عدمه فهو أعم المقامات حكما فالذي يكتسب من هذه الصفة إضافة خاصة و هي الفقر إلى الله لا إلى غيره و به يثنى عليه و هو الذي يسعده و يقربه إلى الله و يشركه في هذه الإضافة كل وصف جبل عليه الإنسان مثل البخل و الحرص و الشرة و الحسد و غير ذلك تشرف و تعلو بالإضافة و المصرف و تتضع و تسفل بالإضافة و المصرف لا فقر أعظم من فقر الملوك لأنه مفتقر إلى مشاغلي و إلى كل ما يصح له به الملك و هو فقير إلى ملكه الذي يبقى عليه اسم الملك قيل للسلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة لما ذكر أبو القمح المنجم أن ريحا عظيمة في هذه السنة تكون لا تمر على شيء إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ فأشار عليه بعض جلسائه أن يتخذ في الأرض سربا يكون فيه ليلة هبوب تلك الريح فقال و يهلك الناس قيل له نعم فقال إذا هلك الناس فعلى من أكون ملكا أو سلطانا لا خير في الحياة بعد ذهاب الملك دعني أموت ملكا و الله لا فعلت فانظر ما أحسن هذا فكل موجود إضافي متحقق بالفقر و إن لم يشعر بذلك و إن وجده فلا يعلم أن ذلك هو المسمى فقرا و إذا كان حكمه هذا فالفقر إلى الله تعالى الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ثابت و موجود و لذلك الإشارة بقوله تعالى سَنَكْتُبُ ما قالُوا أي سنوجبه أي سيعلمون أن الفقر نعت واجب لا يشكون فيه وجوبا ذاتيا من أجل قولهم وَنَحْنُ أَغْنِياءُ لأنهم انحجبوا عما هو الأمر عليه من فقرهم و لذلك كانوا كافرين فستروا ما هم به عالمون ذوقا من أنفسهم لا يقدرون على إنكاره و إن باهتوا فالحال يكذبهم فقالوا نَحْنُ أَغْنِياءُ و ليسوا بأغنياء و قالوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ و ليس بفقير من حيث ذاته فإنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب معنى قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و إنه ليس مثل قوله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ و لا مثل قوله وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ فإذا علمت إن الفقر بهذه المثابة فالزم استحضاره في كل نفس و على كل حال و علق فقرك بالله

مطلقا من غير تعيين فهو أولى بك و إن لم تقد ر على تحصيل عدم التعيين فلا أقل إن تعلقه بالله تعالى مع التعيين أوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى لا تجعل غيري موضع حاجتك و سلني حتى الملح تلقيه في عجينك هذا تعليم الله نبيه موسى ع و لقد رأيته سبحانه و تعالى في النوم فقال لي وكلني في أمورك فوكلته فما رأيت إلا عصمة محضة لله الحمد على ذلك جعلنا الله تعالى من الفقراء إليه به فإن الفقر إليه تعالى به هو عين الغني لأنه الغني و أنت به فقير فأنت الغني به عن العالمين فاعلم ذلك

(الباب الثالث و الستون و مائة في معرفة مقام الغني و أسراره)

إن الغني صفة سلبية و لذا تمتاز عن نسب الأسماء رتبتها
يخصه حكمها و العين في عدم منها و ليس لها كون فينعتها
إن الدلالة في التحقيق مجهلة ممن يقول بها و العقل يثبتها
لذاك قال غني في تنزله عن عالم الكون جاءت فيه آيتها
في العنكبوت فدبره تجده على ما قلت من نفي ما تعطي دلالتها
و ليس يعرف إلا من علامته دنيا و آخرة و الشرع مثبتها

اعلم أيدك الله أن الغني صفة ذاتية للحق تعالى فإن الله لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أي المثنى عليه بهذه الصفة و أما الغني للعبد فهو غنى النفس بالله عن العالمين قال رسول الله ص ليس الغني عن كثرة العرض لكن الغني غنى النفس خرجه الترمذي و العرض المال و هذه كلمة نبوية صحيحة فإن غنى الإنسان عن العالم لا يصح و يصح غناه عن المال فإن الله سبحانه قد جعل مصالح العبد في استعمال أعيان بعض الأشياء و هي من العالم فلا غنى له عن استعمالها فلا غنى له عن العالم فلذلك خصصه بالمال فلا يوصف بالغنى عن العالم إلا الله تعالى من حيث ذاته جل و تعالى و الغني في الإنسان من العالم فليس الإنسان بغني عن الغني فهو فقير إليه و اعلم أن الغني و إن كان بالله و العزة و إن كانت بالله فإنهما صفتان لا يصح للعبد أن يدخل بهما على الله تعالى و إن كان بالله فيهما فلا بد أن يتركهما فيدخل فقيرا ذليلا و معنى الدخول التوجه إلى الله فلا يتوجه إلى الله بغناه به و لا بعزته به و إنما يتوجه إلى الله بذله و افتقاره فإن حضرة الحق لها الغيرة ذاتية فلا تقبل عزيزا و لا غنيا و هذا ذوق لا يقدر أحد على إنكاره من نفسه قال تعالى مؤدبا لنبيه ص في ظاهر الأمر و هو يؤدبنا به لنتعلم أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى فكان مشهود محمد ص الصفة الإلهية و هو الغني فتصدى لها لما تعطيه حقيقتها من الشرف و النبي في ذلك الوقت في حال الفقر في الدعوة إلى الله و أن تعم دعوته و علم إن الرؤساء و الأغنياء تبع الخلق لهم أكثر من تبع من ليس له هذا النعت

فإذا أسلم من هذه صفته أسلم لإسلامه خلق كثير و النبي ص له على مثل هذا حرص عظيم و قد شهد الله تعالى عندنا له بذلك فقال عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ أي عنادكم يعز عليه للحق المبين حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ في إن تسلموا و تنقادوا إلى ما فيه سعادتكم و هو الايمان بالله و ما جاء من عند الله و مع هذا الحضور النبوي أوقع العتب عليه تعليما لنا و إيقاظا له فإن الإنسان محل الغفلات و هو فقير بالذات و قد استحق الجاه و المال أن يستغني بهما من قاما به و لذلك قال أَمَّا من اسْتَغْنى و ما قال أما من هو غني فإنه على التحقيق ليس بغني بل هو فقير لما استغنى به فقال ص إن الله أدبني فأحسن أدبي فمن مكارم الأخلاق الإقبال على الفقراء و الإعراض عن الأغنياء بالعرض من جاه أو مال فإذا رىء ممن هذه صفته الفقر و الذلة بنزوله عن هاتين المرتبتين وجب على أهل الله الإقبال عليهم فإنهم إن أقبلوا عليهم و هم مستحضرون لما هم عليه من الجاه و المال تخيلوا أن إقبال أهل الله عليهم لجاههم و لما لهم فيزيدون رغبة في بقاء ما هم عليه فلذلك منع الله أهله أن يقبلوا عليهم إلا بصفة الزهد فيهم فإذا اجتمع في مجلس أهل الله من هو فقير ذليل منكسر و غني بماله ذو جاه في الدنيا أظهر القبول و الإقبال على الفقير أكثر من إظهاره على الغني ذي الجاه لأنه المقصود بالأدب الذي أدب الله تعالى به نبيه ص غير إن صاحب هذه الصفة يحتاج إلى ميزان الحق في ذلك فإن غفل عنه كان الخطاء أسرع إليه من كل شيء و صورة الوزن فيه أن لا يرى في نفسه شغفا عليه و لا يخاطبه أعني لا يخاطب هذا الغني و لا ذا الجاه بصفة قهر تذله فإنه لا يذل تحتها بل ينفر و يزيد عظمة و أنت مأمور بالدعوة إلى الله فادعوه كما أمر الله نبيه ص أن يدعو الناس تعليما له و لنا فإنا مخاطبون بالدعاء إلى الله كما قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ من اتَّبَعَنِي و قال له ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ فإن جادلوك ف جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ و قال لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا من حَوْلِكَ هذه هي الصفة اللازمة التي ينبغي أن يكون الداعي عليها و لا يجعل في نفسه عند دعائه لمن هذه نعوته من عباد الله طمعا فيما في أيديهم من عرض الدنيا و لا فيما هو عليه من الجاه فإن العزة لله وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ فلا تخلعن ثوبا ألبسكه الله و ليس له تصرف إلا في هذا الموطن فهذا معنى الحكمة و ما عتب الله نبيه ص في الأول إلا لعزة قامت بنفس أولئك النفر مثل الأقرع بن حابس و غيره فقالوا لو أفرد لنا محمد مجلسا جلسنا إليه فإنا نأنف أن نجالس هؤلاء الأعبد يعنون بذلك بلالا و خبابا و غيرهما فرغب النبي ص لحرصه على إيمانهم و لعلمه أنه يرجع لرجوعهم إلى الله بشر كثير فأجابهم إلى ما سألوا و تصدى إليهم لما حضروا و أعرض عن الفقراء فانكسرت قلوبهم لذلك فأنزل الله ما أنزل جبرا لقلوب الفقراء فانكسر الباقي من نفوس أولئك الأغنياء الأعزاء و قيل له فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ و لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ و نزل الله عليه عَبَسَ وَ تَوَلَّى الآيات و أنزل عليه وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ الآيات و فيها وَ قُلِ الْحَقُّ من رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ من شاءَ فَلْيَكْفُرْ ثم ذكر ما للظالمين عند الله في

الآخرة فطريقة الإرشاد و الدعاء إلى الله ميزانها الغني بالله عما في أيديهم و ما يكون بسببهم فإن لم تكن في نفسك بهذه المثابة فلا تدع و اشتغل بدعاء نفسك إلى الاتصاف بهذه الصفات المحمودة عند الله و لا تتعد الحد الذي أنت عليه و لا تخط في غير ما تملكه فتكون غاصبا و الصلاة في الدار المغصوبة لا تجوز بخلاف و الدعاء إلى الله صلاة و الإخلاص فيها الحرية عن استرقاق من يدعوهم إليه فهذا هو محل الغني بالله و هنا يستعمل فإن عدلت به إلى غير هذا فقد أخسرت الميزان و الله يقول وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ وَأَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ فتخرجوه عن حده و هو قوله لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ و الغلو و الطغيان هما الرفعة فوق الحد الذي يستحقه المتغالي فيه وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و الستون و مائة في معرفة مقام التصوف)

فاعلم إن التصوف تشبيه بخالقنا ... لأنه خلق فانظر ترى عجبا
كيف التخلق و المكر الخفي له ... في خلقه و بهذا القدر قد حجبا
و ذمه في صفات الخلق فاعتبروا ... فيه فذا مثل للعقل قد ضربا
إن الحديد إذا ما الصنع يدخله ... في غير منزلة يرده ذهبا
كذلك الخلق المذموم يرجع ... محمودا إذا هو للرحمن قد نسبا
أن التوصف أخلاق مطهرة ... مع الإله فلا تعدل به نسبا

قال أهل طريق الله التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف و سألت عائشة أم المؤمنين عن خلق سول الله ص فقالت كان خلقه القرآن و إن الله أثنى عليه بما أعطاه من ذلك فقال وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ و من شرط المنعوت بالتصوف أن يكون حكيما ذا حكمة و إن لم يكن فلاحظ له في هذا اللقب فإنه حكمة كله فإنه أخلاق و هي تحتاج إلى معرفة تامة و عقل راجح و حضور و تمكن قوي من نفسه حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسية و ليجعل القرآن أمامه صاحب هذا المقام فينظر إلى ما وصف الحق به نفسه و في أي حالة وصف نفسه بذلك الذي وصف نفسه و مع من صرف ذلك الوصف الذي وصف به نفسه فليقم الصوفي بهذا الوصف بتلك الحال مع ذلك الصنف فأمر التصوف أمر سهل لمن أخذه بهذا الطريق و لا يستنبط لنفسه أحكاما و يخرج عن ميزان الحق في ذلك فإنه من فعل ذلك لحق بالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً فإن الله لا يقيم له يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً كما أنهم لم يقيموا للحق هنا وزنا فعادت عليهم صفتهم فما عذبهم بغيرهم فتأمل قوله تعالى في كتابه فإنه ما ذكر صفة قهر

وشدة إلا وإلى جانبها صفة لطف ولين حيثما كان من كتاب الله ثم إن أفرد صفة منها ولم يذكر إلى جانبها ما يقابلها أطلبها تجد مقابلها في موضع آخر مفردا أيضا فذلك المفرد المقابل هو لهذا المفرد المقابل والغالب الجمعية قال تعالى نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ثم أردف بالمقابل فقال تعالى وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ وقال إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ ثم أردف بالمقابل فقال وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وقال وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ ثم أردف فقال وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ وتتبع هذا تجده كما ذكرناه لك ثم إنه ما ذكر نعتا من نعوت أهل السعادة إلا وذكر إلى جانبه نعتا من نعوت أهل الشقاء إما بتقديم أو تأخير قال تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ في أهل السعادة ثم عطف فقال وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ وقال تعالى في حال أهل السعادة وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ ثم عطف فقال في أهل الشقاء وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ والوجوه هنا عبارة عن النفوس الإنسانية لأن وجه الشيء حقيقته وذاته وعينه لا الوجوه المقيدة بالأبصار فإنها لا تتصف بالظنون ومساق الآية يعطي أن الوجوه هنا هي ذوات المذكورين وقال في الأشقياء وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً ثم عطف بالسعداء فقال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ لِسَعْيِها راضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ وقال في أحوال السعداء فَأَمَّا من أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فذكر خيرا ثم عطف وقال وَأَمَّا من أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فذكر شرا وكذلك قوله من كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها ثم عطف وقال وَمن أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وقال في العناية فَأَلْهَمَها فُجُورَها ثم عطف فقال وَتَقْواها وقال قَدْ أَفْلَحَ من زَكَّاها ثم عطف وَقَدْ خابَ من دَسَّاها وقال فَأَمَّا من أَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى ثم عطف وقال وَأَمَّا من بَخِلَ وَاسْتَغْنى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى فالصوفي من قام في نفسه وفي خلقه قيام الحق في كتابه وفي كتبه فما أَصابَكَ من حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَما أَصابَكَ من سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ فقد رميت بك على الطريق وليس التصوف بشيء زائد عند القوم سوى ما ذكرته لك وبينته ولكن الله أنزل الميزان والعلم بالمواطن وبالأحوال فلا تخرج شيئا عن مقتضى ما تطلبه الحكمة وَنُنَزِّلُ من الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فالتخلق به والوقوف عنده يزيل المرض النفسي لا بد من ذلك ولكن للمؤمنين وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً لأنهم يعدلون به عن موطنه و يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ فيعممون الخاص ويخصصون العام فسموا ظالمين قاسطين والحكماء هم المقسطون ومن أوتي الحكمة فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وما وصفه الله بالكثرة فإن القلة لا تدخله وسبب وصفه بالكثرة لأن الحكمة سارية في الموجودات لأن الموجودات وضع الله ثم خلق الإنسان وحمله الأمانة بأن جعل له النظر في الموجودات والتصرف فيها بالأمانة ليؤدي إلى كل ذي حق حقه كما إن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فجعل الإنسان خليفة في الأرض دون غيره من المخلوقين فهو أمين على خلق الله فلا يعدل بهم عن سنة الله

فالموجودات بيد الإنسان أمانة عرضت عليه فحملها فإن أداها فهو الصوفي و إن لم يؤدها فهو الظلوم الجهول و الحكمة تناقض الجهل و الظلم فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف و قد بين العلماء التخلق بأسماء الله الحسنى و بينوا مواضعها و كيف تنسب إلى الخلق و لا تحصى كثرة و أحسن ما تصرف فيه مع الله خاصة فمن تفطن و صرفها مع الله أحاط علما بتصريفها مع الموجودات فذلك المعصوم الذي لا يخطئ أبدا و المحفوظ من أن يتحرك أو يسكن سدى جعلنا الله من الصوفية القائمين بحقوق الله و المؤثرين جناب الله

(الباب الخامس و الستون و مائة في معرفة مقام التحقيق و المحققين)

الحق في حق الطبيعة كالآل تبصره بقيعة
فتظنه ماء فتاب لعين مائك أن تضيعه
انظر و حقق ما رأيت فربما كانت خديعة
صور التجلي هكذا الحق فيها كالوديعة
و أتت بها نكرا و إقرارا نصوص في الشريعة
لا تلتفت للقاع و انظر في منازلك الرفيعة
تجد المعمى ينجلي من خلف أستار بديعة
في غير شكل لا و لا صور تؤلفها الطبيعة
فإذا رأيت الحق فارجع و التزم سد الذريعة
و أنطق بما نطق الحديث به من ألفاظ شنيعة
و إذا عزيزة نازعتك فقل لها كوني مطيعه
كوني الكنومة لا تكوني بين صحبك بالمذيعة
و إذا دعيت بمثل ذا كوني المجيبة و السميعة
جمل صنيعك في القبول فقد تجازى بالصنيعة

اعلم أيدك الله أن التحقيق هو المقام الذي لا يقبل الشبه القادحة فيه و صاحب هذا النعت هو المحقق فالتحقيق معرفة ما يجب لكل شيء من الحق الذي تطلبه ذاته فيوفيه ذلك علما فإن اتفق أن يعامله به حالا فهو الذي ظهر عليه سلطان التحقيق و إن لم يظهر عليه فهو

عالم بأنه أخطأ و لا يقدح ذلك الخطاء في تحقيقه لأنه بصير بنفسه و بما أخطأ فيه لأنه أخطأ عن تعمل و هنا سر إلهي و هو أن الله هو الحكيم المطلق و هو الواضع للأمور في مواضعها و هو الذي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فليس في الكون خطأ بنسبة الترتيب لله و قد علم رب هذا التحقيق و المحقق به إن الأمر هكذا هو و قد علم أنه أخطأ و لكن بالنسبة إلى ما أمر به لا بالنسبة إلى ما هو الأمر عليه من حيث إن الله هو الواضع له في ذلك المحل المسمى هذا الفعل خطأ فصاحب التحقيق مأجور في خطئه أي مثنى عليه عند الله كالمجتهد ما هو مخطئ في نفس الأمر فإن حكمه مقرر و إنما خطؤه بالنسبة إلى غيره حيث لم يوافق دليله دليل غيره و كل شرع و كل حق فهكذا منزلة التحقيق و المحققين و من شرط صاحب هذا المقام أن يكون الحق سمعه و بصره و يده و رجله و جميع قواه المصرفة له فلا يتصرف إلا بحق في حق لحق و لا يكون هذا الوصف إلا لمحبوب و لا يكون محبوبا حتى يكون مقربا و لا يكون مقربا إلا بنوافل الخيرات و لا تصح له نوافل الخيرات إلا بعد كمال الفرائض و لا تكمل الفرائض إلا باستيفاء حقوقها و لذلك منعنا أن تصح لأحد على التعيين نافلة إلا بأخبار أو مشاهدة و ذلك أن الفرائض تستغرقها بالتكميل منها فإنه قد ورد في الصحيح عن الله تعالى أنه يقول يوم القيامة انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع و هو النافلة قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال رسول الله ص ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم و ما شهد الله بنافلة لأحد إلا لرسول الله ص فقال وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً و هو مقام القرب و السيادة المشهودة للكون فمن كان الحق سمعه فلا تدخل عليه شبهة فيما يسمع بل يدري ما سمع و من سمع و بمن سمع و ما يقتضيه ذلك المسموع فيعمل بحسب ذلك فلا يخطئ سمعه و كذلك إذا كان الحق بصره علم بمن أبصر و ما أبصر فلم يدخل في نظره شبهة و لا في حسه غلط و لا في عقله حيرة فهو لله بالله و كذلك في جميع حركاته و سكناته حركات عن تحقيق من محقق و لا ينظر في ذلك إلى تخطئة الغير فيها فإنه من المحال قطعا إن يكون في الوجود أمر يوافق أغراض الجميع فإن الله خلق نظرهم متفاوتا و ما جعل في موجوداته من تفاوت في نفس الأمر كما قال تعالى الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِن فُطُورٍ فمنع إن يكون هناك تفاوت بل أراه الأمور على وضع الحكمة الإلهية فمن أعطى هذا العلم فقد أعطى ما يجب لكل أحد من خلق الله و هذا مقام عزيز قل إن ترى له ذائقا إلا من كان له هذا المقام و علامة صاحب هذا المقام أن يكون عنده لكل ما يسمى خطأ في الوجود وجه إلى الحق يعرفه و يعرف به إن سئل عنه عند من يعرف منه القبول عليه هذه علامته و هو الذي يرى ربه بكل عقيدة و بكل عين و في كل صورة و ليس هذا إلا لصاحب هذا المقام فإذا ادعاه أحد و وقع أمر في العالم يقع فيه الإنكار و لا يكون عند مدعي هذا المقام له مخرج لحق جملة واحدة فدعواه في هذا

المقام محال فإن صاحب هذا المقام يعلم أين وجه الحق في ذلك الأمر الذي صحبه النكر و أكثر ما يكون ذلك في العقائد و الأمور الشرعية و ما عدا هذين الموضعين فإنه يسهل وجود الحق فيما يقع فيه الإنكار العرضي و لا يلزم من إظهار حق ذلك الأمر أن يكون لسان الحمد يجري عليه ليس ذلك المطلوب بل هو مذموم مثلا مع كونه حقا فما كل حق محمود شرعا و لا عقلا و إنما المراد بالتحقيق علم ما يستحقه كل أمر عدما كان أو وجودا حتى الباطل يعطيه حقه و لا يتعدى به محله و من كان هذا نعته فهو الإمام المبين و هو مجلى العالمين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(وفي هذا الباب قلت أخاطب نفسي)

يا نفس كوني للذي أورده موافقة
و التزمي و انتظمي مع النفوس الصادقة
فإنها موقوفة على شهود السابقة
جنب براهين النهي فإن منها الحالقة
فما له فرده إليك بالموافقة
من سيئ لا يرتضى لا تنعتي بالخالقه
حضرة فعل الله لا تحتمل المشاققه
نفسك غالط عندها لا تركب المحاققه
شقوتها مقرونة بالبحث و المضايقة
لا تلتفت لما يرى من الأمور الخارقة
ما لم تكن مسلما لها على المطابقة
إن الحكيم المجتبى في حلبة المسابقة
يجري على حكمته مع العقول الفارقة
في حضرة النور التي لها الشموس الشارقه

فاعلم أيدك الله أن من التحقيق أن تعطي المغالطة في موضعها حقها فإن لها في كتاب الله موضعا و هو قوله في أعمال الكفار كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً و الحق هو الذي أعطاه في عين هذا الرائي صورة الماء و هو ليس بالماء الذي يطلبه هذا الظمآن فتجلى له في عين حاجته حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً فنكر و ما قال لم يجده الماء فإن السراب لم يكن ذلك المحل الذي جاء إليه محل السراب و لو كان لقال وجد السراب و ما كان سرابا إلا في عين الرائي طالب الماء فرجع هذا الرائي لنفسه لما لم يجد مطلوبه في تلك البقعة فوجد الله عنده فلجأ إليه في إغاثته بالماء أو بالمزيل لذلك الظماء القائم به فبأي أمر أزاله فهو المعبر عنه بالماء فلما نفى عنه اسم الشيء جعل الوجود له سبحانه لأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فما هو شيء بل هو وجود فانظر ما أدق هذا التحقيق فهذا كنار موسى فتجلى له في عين حاجته فلم تكن نارا كما قلنا

كنار موسى يراها عين حاجته و هو الإله و لكن ليس يدريه

(الباب السادس و العشرون و مائة في معرفة مقام الحكمة و الحكماء)

إن الحكيم مرتب الأشياء في أعين الأكوان و الأسماء
يجري مع العلم القديم بحكمه في الحكمة المزدانة الغراء
فتراه يعطي كل شيء خلقه في حالة السراء و الضراء
و عن العوارض لا يزال منزها في بدء ما تهوي من الأشياء
لكنه المعصوم في أفعاله في كل ما يجري من الأهواء

اعلم أيدك الله أن الحكمة علم بمعلوم خاص و هي صفة تحكم و يحكم بها و لا يحكم عليها و اسم الفاعل منها حكيم فلها الحكم و اسم الفاعل من الحكم الذي هو أثرها حاكم و حكم و بهذا سمي الرسن الذي يحكم به الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو الحكمة و الأشياء المحكوم عليها بكذا تطلب بذاتها و استعدادها ما يحتاج إليه فلا يعطيها ذلك إلا من نعته الحكمة و اسمه الحكيم فهل للاستعدادات حكم في هذا المسمى حكيما أو الحكمة لها الحكم أو المجموع فأما الاستعداد على الانفراد فلا أثر له فإنا نرى من يستحق أمرا ما باستعداده و هو بين يدي عالم لكنه ليس بحكيم فلا يعطيه ما يستحقه لكونه جاهلا و قد يمنعه ما يستحقه مع كونه موصوفا بالعلم بما يستحقه ذلك الأمر و ما يفعل فلا بالمجموع و لا بالانفراد فعلمنا إن ذلك راجع إلى أمر رابع ما هو الحكمة و لا العليم بالحكمة و لا استعداد الأمر الذي يطلب الحكمة و ذلك الأمر الزائد هو الذي يبعثه على إعطاء ذلك الأمر حقه لعلمه بما يستحقه و

حينئذ يسمى حكيما و ما لم يكن منه ذلك فهو عالم بالحكمة و بما تستحقه و ما يستحقه ذلك الأمر باستعداده فلا يسمى حكيما إلا بوجود هذا الاستعمال و هو قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ من اسمه الحكيم فبالإعطاء الذي تعطيه الحكمة يسمى حكيما فهو علم تفصيلي عملي و العلم بالمجمل علم تفصيلي فإنه فصله عن العلم التفصيلي و لو لا ذلك لم يتميز المجمل من المفصل فمن الحكمة العلم بالمجمل و التجميل و المفصل و التفصيل قال تعالى وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ عملا وَفَصْلَ الْخِطابِ في المقال فالحكيم يجري مع كل حال و موطن بحسب ذلك الحال و ذلك الموطن و ليس هذا إلا للملامية خاصة فهم المجهولون في الدنيا لأنهم لا يتميزون بأمر يخرجهم عن حكم ما يعطيه موطن الدنيا فإن قام به حال يناقض الموطن من وجه و هو حال النبوة أعني الرسالة فإنه لا بد أن يحكم عليه الحال و هو الذي تعطيه الحكمة فيتميز في موطن الدنيا بأنه عند الله بمكان و لم يكن له ذلك و لكن حال التبليغ يطلب الدلالة على صحة ما يدعو إليه فهذا هو حكم الحال فإن كان وليا دون رسول تعين عليه الجري بحكم الموطن لا بحكم الحال فإن ظهر من هذا الولي ما يدل على منزلته من ربه بما يعطي من التمكن و التصرف في العالم و ليس برسول فهو رعونة و صاحب نقص فإن ظهر بعلم غريب فهل يكون مثل صاحب الحال النفسي المؤثر أم لا قلنا لا فإن العلم الذي لا يكون معه أثر كوني سوى نفسه لا يقوم عند العامة و لا عند الخاصة له ذلك الوزن و لا لصاحبه ذلك التميز إلا عند الأكابر من أهل الله و ممن له تحقق و استشراف على ذلك المقام الأعلى و لذلك قال الله لنبيه ص قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً من أجل الموطن و ما أظهر آية في دعائه إلى الله في كل وقت و لا عند كل مدعو مع حاجته إلى ذلك و لكن لما كان مأمورا بالتبليغ ما عليه إلا البلاغ فإن شاء الحق أيده كان بالمعجزات و إن شاء زاد دعاؤه من أرسل إليهم فرارا مما دعاهم إليه من توحيده كنوح ع فأخبر فقال إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِرارًا وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا و للحكماء السياسة في العالم بالطريقة المشروعة التي شرع الله لعباده ليسلكوا فيها فيقودهم ذلك السلوك إلى سعادتهم انتهى الجزء السابع و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و الستون و مائة في معرفة كيمياء السعادة)

إن الأكاسير برهان يدل على ... ما في الوجود من التبديل و الغير

إن العدو بإكسير العناية إذ ... يلقى عليه بميزان على قدر

في الحين يخرج صدقا من عداوته ... إلى ولايته بالحكم و القدر

فصحح الوزن فالميزان شرعتنا و قد أبنت فكن فيه على حذر
الكيمياء مقادير معينة لأن كم عدد في عالم الصور
فكن به فطنا إن كنت ذا نظر و لا تردنك الأهواء عن النظر
تلحق برتبة أملاك مطهرة و ترتقي رتبا عن عالم البشر

الكيمياء عبارة عن العلم الذي يختص بالمقادير و الأوزان في كل ما يدخله المقدار و الوزن من الأجسام و المعاني محسوسا و معقولا و سلطانها في الاستحالات أعني تغير الأحوال على العين الواحدة فهو علم طبيعي روحاني إلهي و إنما قلنا إلهي لورود الاستواء و النزول و المعية و تعدد الأسماء الإلهية على المسمى الواحد باختلاف معانيها

فالأمر ما بين مطوي و منشور كالكيف و الكم أحوال المقادير
تاهت مراكبنا على بسائطها نية امتياز بسر غير مقهور
و الوحي ينزل أحكاما يشرعها و الحكم ما بين منهي و مأمور

فعلم الكيمياء العلم بالإكسير و هو على قسمين أعني فعله إما انشاء ذات ابتداء كالذهب المعدني و إما إزالة علة و مرض كالذهب الصناعي الملحق بالذهب المعدني كنشأة الآخرة و الدنيا في طلب الاعتدال فاعلم أن المعادن كلها ترجع إلى أصل واحد و ذلك الأصل يطلب بذاته أن يلحق بدرجة الكمال و هي الذهبية غير أنه لما كان أمرا طبيعيا عن أثر أسماء إلهية متنوعة الأحكام طرأت عليه في طريقه علل و أمراض من اختلاف الأزمنة و طبائع الأمكنة مثل حرارة الصيف و برد الشتاء و يبوسة الخريف و رطوبة الربيع و من البقعة كحرارة المعدن و برده و بالجملة فالعلل كثيرة فإذا غلبت عليه علة من هذه العلل في أزمان رحلته و نقلته من طور إلى طور و خروجه من حكم دور إلى حكم دور و استحكم فيه سلطان ذلك الموطن ظهرت فيه صورة نقلت جوهرته إلى حقيقتها فسمي كبريتا أو زيبقا و هما الأبوان لما يظهر من التحامهما و تناكحهما من معادن لعلل طارئة على الولد فهما إنما يلتحمان و يتناكحان ليخرج بينهما جوهر شريف كامل النشأة يسمى ذهبا فيشرف به الأبوان إذ كانت تلك الدرجة مطلوبة لكل واحد من الأبوين من حيث جوهريتهما إلا أن ذلك الأصل في الإلهيات نفس و في الطبيعة بخار إلا أن الأبوين أمر و طبيعة و إنما قلنا إن ذلك الأمر كان مطلوبا للأبوين من حيث جوهرهما لا من حيث صورتهما لأن الحكم في الجوهر الهيولائي إنما هو للصور فلما حالت العلة التي طرأت عليه في معدنه فصيرته كبريتا و زيبقا علمنا أيضا أن في قوتهما إذا لم يطرأ عليهما علة تخرجهما عن سلطان حكم اعتدال الطبائع و تعدل بهما عن طريقه إن

الولد الخارج بينهما الذي يستحيل أعيانهما إليه أنهما يلحقان بدرجة الكمال و هو الذهب الذي كان مطلوبا لهما ابتداء فإذا التحما و تناكحا في المعدن بحكم طبيعة ذلك المعدن الخاص و حكم قبوله لأثر طبيعة الزمان فيه و هو على صراط مستقيم مثل الفطرة التي فطر الله الناس عليها و أبواه هما اللذان يهودان الولد أو ينصرانه أو يمجسانه كذلك إذا كثرت فيه كمية الأب الواحد لعرض معدني من عرض زماني غلب بذلك إحدى الطبائع على أخواتها فزاد و أربى و نقص الباقي عن مقاومة الغالب حكم على الجوهر فرده لما تعطيه حقيقة ذلك الطبع و عدل به عن طريق الاعتدال التي هي المحجة التي تخرج بك إلى المدينة الفاضلة الذهبية الكاملة التي من حصل فيها لم يقبل الاستحالة إلى الأنقص عنها فإذا غلب عليه ذلك الطبع قلب عينه فظهرت صورة الحديد أو النحاس أو القزدير أو الآنك أو الفضة بحسب ما يحكم عليه و من هنا تعرف قوله تعالى في الاعتبار مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ أي تامة الخلقة و ليس إلا الذهب و غير تامة الخلقة و هي بقية المعادن فتتولاه في ذلك الوقت روحانية كوكب من الكواكب السيارة السبعة و هو ملك من ملائكة تلك السماء يجري مع ذلك الكوكب المسخر في سباحته لأن الله هو الذي وجهه إلى غاية يقصدها عن أمر خالقه إبقاء لعين ذلك الجوهر فيتولى صورة الحديد ذلك الملك الذي جواده هذا الكوكب السابح من السماء السابعة من هنا و صورة القزدير و غيره و كذلك كل صورة معدنية يتولاها ملك يكون جواده هذا الكوكب السابح في سمائه و فلكه الخاص به الذي وجهه فيه ربه تعالى فإذا جاء العارف بالتدبير نظر في الأمر الأهون عليه فإن كان الأهون عليه إزالة العلة من الجسد حتى يرده إلى المجرى الطبيعي المعتدل الذي انحرف عنه فهو أولى فإن الكوكب السابح يراه صاحب الرصد وقتا في المنزلة عينها و وقتا عادلا عنها منحرفا فوقها أو تحتها فيعمد العارف بالتدبير إلى السبب الذي رده حديدا أو ما كان و يعلم أنه ما غلب الجماعة إلا بما فيه من الكمية فنقص من الزائد و زاد في الناقص و هذا هو الطب و العامل به العالم هو الطبيب فيزيل عنه بهذا الفعل صورة الحديد مثلا أو ما كان عليه من الصور فإذا رده إلى الطريق أخذ يحفظ عليه تقويم الصحة و إقامته فيها فإنه قد يعافى من مرضه و هو ناقة فيخاف عليه فهو يعامله بتلطيف الأغذية و يحفظه من الأهوية و يسلك به على الصراط القويم إلى أن يكسو ذلك الجوهر صورة الذهب فإذا حصلت له خرج عن حكم الطبيب و عن علته فإنه بعد ذلك الكمال لا ينزل إلى درجة النقصان و لا يقبله و لو رامها الطبيب لم يتمكن له ذلك فإن القاضي ما عنده نص في هذه المسألة حتى يحكم فيها بما يراه و سبب ذلك على الحقيقة أن القاضي عادل و لا يحكم إلا على من خرج عن طريق الحق و هذا الذهب عليه فلا يقضى عليه بشيء لأنه لم يتوجه للخصم عليه حق فهذا سببه فمن لزم طريق الحق ارتفع عن درجة الحكم عليه و صار حاكما على الأشياء فهذه طريقة إزالة العلل و ما رأيت عليها أحدا يعرف ذلك و لا نبه عليه و لا أشار و لا تجده إلا في هذا الباب أو في كلامنا و أما إذا أراد صاحب هذه

الصنعة انشاء العين المسمى إكسيرا ليحمله على ما يشاء من الأجساد المعدنية فيقلبها لما تحكم به طبيعة ذلك الجسد القابل و الدواء واحد الذي هو الإكسير فمن الأجساد من يرده الإكسير إلى حكمه فيكون إكسيرا يعمل عمله و هو المسمى بالنائب فيقوم في باقي الأجساد المعدنية و يحكم بحكمه مثل أن يأخذ وزن درهم أو أي وزن شاء من عين الإكسير فيلقيه على ألف وزن من أي جسد شئت من الأجساد فإن كان قزديرا أو حديدا أعطاه صورة الفضة و إن كان نحاسا أو رصاصا أسود أو فضة أعطاه صورة الذهب و إن كان الجسد زيبقا أعطاه قوته و تركه نائبا عنه يحكم في الأجساد حكمه و لكن بوزن يخالف وزن باقي الأجساد و ذلك وزن درهم من الإكسير فيلقيه على رطل الحكمة خاصة من الزيبق فيرده إكسيرا كله فيلقي من ذلك النائب وزنا على وزن ألف وزن من بقية الأجساد مثل الإكسير فيجري في الحكم مجراه فهذه صورة الإنشاء و الأولى صنعة إزالة المرض و إنما جئنا بهذا لنعلمك بارتباط الحكمة في مسمى الكيمياء بين الطريقين و لما ذا سميت كيمياء السعادة لأن فيها سعادة لا بد و زيادة ما عند الناس من أهل الله خير منها و هو أنه يعطيك درجة الكمال الذي للرجال فإنه ما كل صاحب سعادة يعطي الكمال فكل صاحب كمال سعيد و ما كل سعيد كامل و الكمال عبارة عن اللحوق بالدرجة العلي و هو التشبه بالأصل و لا يتخيل أن قول النبي ص كمل من الرجال كثيرون أنه أراد الكمال الذي ذكره الناس و إنما هو ما ذكرناه و ذلك بحسب ما يعطي الاستعداد العلمي في الدنيا فلنتكلم إن شاء الله على كيمياء السعادة بعد هذا التمهيد و الله الموفق لا رب غيره.

(وصل في فصل)

اعلم أن الكمال المطلوب الذي خلق له الإنسان إنما هو الخلافة فأخذها آدم ع بحكم العناية الإلهية و هو مقام أخص من الرسالة في الرسل لأنه ما كل رسول خليفة فإن درجة الرسالة إنما هي التبليغ خاصة قال تعالى ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و ليس له التحكم في المخالف إنما له تشريع الحكم عن الله أو بما أراه الله خاصة فإذا أعطاه الله التحكم فيمن أرسل إليهم فذلك هو الاستخلاف و الخلافة و الرسول الخليفة فما كل من أرسل حكم فإذا أعطى السيف و أمضى الفعل حينئذ يكون له الكمال فيظهر بسلطان الأسماء الإلهية فيعطي و يمنع و يعز و يذل و يحيي و يميت و يضر و ينفع و يظهر بأسماء التقابل مع النبوة لا بد من ذلك فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة فهو ملك و ليس بخليفة فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق على عباده لا من أقامه الناس و بايعوه و قدموه لأنفسهم و على أنفسهم فهذه هي درجة الكمال و للنفوس تعمل مشروع في تحصيل مقام الكمال و ليس لهم تعمل في تحصيل النبوة فالخلافة قد تكون مكتسبة و النبوة غير مكتسبة لكن لما رأى بعض الناس الطريق الموصل إليها ظاهر الحكم و من شاء الله يسلك فيه تخيل أن النبوة مكتسبة و غلط فلا

شك أن الطريق يكتسب فإذا وصل إلى الباب يكون بحسب ما يخرج له في توقيعه و هنالك هو الاختصاص الإلهي فمن الناس من يخرج له توقيع بالولاية و منهم من يخرج له توقيع بالنبوة و بالرسالة و الخلافة و منهم من يخرج له توقيع بالخلافة وحدها فلما رأى من رأى أن هؤلاء ما خرج لهم هذا التوقيع إلا بعد سلوكهم بالأفعال و الأقوال و الأحوال إلى هذا الباب تخيل أن ذلك مكتسب للعبد فأخطأ و اعلم أن النفس من حيث ذاتها مهياة لقبول استعداد ما تخرج به التوقيعات الإلهية فمنهم من حصل له استعداد توقيع الولاية خاصة فلم يزد عليها و منهم من رزق استعداد ما ذكرناه من المقامات كلها أو بعضها و سبب ذلك أن النفوس خلقت من معدن واحد كما قال تعالى خَلَقَكُمْ من نَفْسٍ واحِدَةٍ و قال بعد استعداد خلق الجسد وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي فمن روح واحد صح السر المنفوخ في المنفوخ فيه و هو النفس و قوله في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ يريد الاستعدادات فيكون بحكم الاستعداد في قبول الأمر الإلهي فلما كان أصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث أبيها و لم يظهر لها عين إلا بوجود هذا الجسد الطبيعي فكانت الطبيعة الأب الثاني خرجت ممتزجة فلم يظهر فيها إشراق النور الخالص المجرد عن المواد و لا تلك الظلمة الغائية التي هي حكم الطبيعة فالطبيعة شبيهة بالمعدن و النفس الكلية شبيهة بالأفلاك التي لها لفعل و عن حركاتها يكون الانفعال في العناصر و الجسد الكون في المعدن بمنزلة الجسم الإنساني و الخاصية التي هي روح ذلك الجسد المعدني بمنزلة النفس الجزئية التي للجسم الإنساني و هو الروح المنفوخ و كما أن الأجساد المعدنية على مراتب لعلل طرأت عليهم في حال التكوين مع كونهم يطلبون درجة الكمال التي لها ظهرت أعيانهم كذلك الإنسان خلق للكمال فما صرفه عن ذلك الكمال إلا علل و أمراض طرأت عليهم إما في أصل ذواتهم و إما بأمور عرضية فاعلم ذلك فلنبتدئ بما ينبغي أن يليق بهذا الباب و هو أن نقول إن النفوس الجزئية لما ملكها الله تدبير هذا البدن و استخلفها عليه و بين لها أنها خليفة فيه لتتنبه على أن لها موجدا استخلفها فيتعين عليها طلب العلم بذلك الذي استخلفها هل هو من جنسها أو شبيه بها بضرب ما من ضروب المشابهة أو لا يشبهها فتوفرت دواعيها لمعرفة ذلك من نفسها فبينما هي كذلك على هذه الحالة في طلب الطريق الموصلة إلى ذلك و إذا بشخص قد تقدمها في الوجود من النفوس الجزئية فأنسوا به للشبه فقالوا له أنت تقدمتنا في هذه الدار فهل خطر لك ما خطر لنا قال و ما خطر لكم قالوا طلب العلم بمن استخلفنا في تدبير هذا الهيكل فقال عندي بذلك علم صحيح جئت به ممن استخلفكم و جعلني رسولا إلى جنسي لأبين لهم طريق العلم الموصل إليه الذي فيه سعادتهم فقال الواحد إياه أطلب فعرفني بذلك الطريق حتى أسلك فيه و قال الآخر لا فرق بيني و بينك فأريد أن استنبط الطريق إلى معرفته من ذاتي و لا أقلدك في ذلك فإن كنت أنت حصل لك ما أنت عليه و ما جئت به بالنظر الذي خطر لي فلما ذا أكون ناقص الهمة و أقلدك و إن كان حصل لك باختصاص منه كما خصنا بالوجود بعد أن لم نكن

فدعوى بلا برهان فلم يلتفت إلى قوله و أخذ يفكر و ينظر بعقله في ذلك فهذا بمنزلة من أخذ العلم بالأدلة العقلية من النظر الفكري و مثال الثاني مثال أتباع الرسول و مقلديه فيما أخبر به من العلم بصانعهم و مثال ذلك الشخص الذي اختلف في اتباعه هذان الشخصان مثال الرسول المعلم فشرع هذا العلم يبين الطريق الموصل إلى درجة الكمال و السعادة على ما اقتضاه نظر الشخص الواحد من الشخصين اللذين نظرا في شأن هذا المعلم و هو الذي لم يتبعه و لكن ما وقعت الموافقة معه إلا في بعض ما يقتضيه الأمر الطبيعي من مخالفة الطبع و لا كل مخالفة الطبع إلا بوزن خاص و مقدار معين و بهذا سمي كيمياء لدخول التقدير و الوزن فلما رأى ذلك هذا الشخص فرح بذلك حيث استقل به دون تقليده و رأى أن له شفوفا على صاحبه الذي قلده فاغتر به و أما المقلد فبقي على ما كان عليه من تقليد المعلم و زاد غير المقلد و هو ذلك الشخص بما رأى من الموافقة زهدا في تقليد هذا الشخص و انفرادا بنظره من أجل هذه الموافقة فسلك الرجلان أو الشخصان إن كانا امرأتين أو أحدهما امرأة في الطريق الواحد بحكم النظر و الآخر بحكم التقليد و أخذا في الرياضة و هو تهذيب الأخلاق و المجاهدة و هي المشاق البدنية من الجوع و العبادات العملية البدنية كالقيام الطويل في الصلاة و الدءوب عليها و الصيام و الحج و الجهاد و السياحة هذا بنظره و هذا بما شرع له أستاذه و معلمه المسمى شارعا فلما فرغا من حكم أسر الطبيعة العنصرية و ما بقي واحد منهما يأخذ من حكم الطبيعة العنصرية إلا الضروري الذي يحفظ به وجود هذا الجسم الذي بوجوده و اعتداله و بقائه يحصل لهذه النفس الجزئية مطلوبها من العلم بالله الذي استخلفها خاصة فإذا خرجا عن حكم الشهوات الطبيعية العنصرية و فتح لهما باب السماء الدنيا تلقى المقلد آدم ع ففرح به و أنزله إلى جانبه و تلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر فأنزله عنده ثم إن صاحب النظر الذي هو نزيل القمر في خدمة آدم ع و هو كالوزير له مأمورا من الحق بالتسخير له و رأى جميع ما عنده من العلوم لا يتعدى ما تحته من الأكر و لا علم له بما فوقه و أنه مقصور الأثر على ما دونه و رأى آدم أن عنده علم ما دونه و علم ما فوقه من الأمكنة و أنه يلقي إلى نزيله مما عنده مما ليس في وسع القمر أن يعرفه و علم أنه ما أنزله عليه إلا عناية ذلك المعلم الذي هو الرسول فاغتم صاحب النظر و ندم حيث لم يسلك على مدرجة ذلك الرسول و اعتقد الايمان به و أنه إذا رجع من سفرته تلك أن يتبع ذلك الرسول و يستأنف من أجله سفرا آخر ثم إن هذا التابع نزيل آدم علمه أبوه من الأسماء الإلهية على قدر ما رأى أنه يحمله مزاجه فإن للنشأة الجسمية العنصرية أثرا في النفوس الجزئية فما كلها على مرتبة واحدة في القبول فتقبل هذه ما لا تقبل غيرها و في أول سماء يقف من علم آدم على الوجه الإلهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه و علته و صاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلا و العلم بذلك الوجه هو العلم بالإكسير في الكيمياء الطبيعية فهذا هو إكسير العارفين و ما رأيت أحدا نبه عليه غيري و لو لا

أني مأمور بالنصيحة لهذه الأمة بل لعباد الله ما ذكرته فعلم كل واحد منهما ما لهذا الفلك من الحكم الذي ولاة الله به في هذه الأركان الأربعة و المولدات و ما أوحى الله في هذه السماء من الأمر المختص بها في قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و ما علم صاحب النظر نزيل القمر من ذلك إلا ما يختص بالتأثيرات المدنية و الاستحالات في أعيان الأجسام المركبة من الطبيعة العنصرية و حصل التابع ما فيها من العلم الإلهي الحاصل للنفوس الجزئية مما هو لهذا الفلك خاصة و ما نسبة وجود الحق من ذلك و ما له فيهم من الصور و من أين صحت الخلافة لهذه النشأة الإنسانية و لا سيما و آدم المنصوص عليه صاحب هذه السماء فعلم التابع صورة الاستخلاف في العلم الإلهي و علم صاحب النظر الاستخلاف العنصري في تدبير الأبد إن و علل الزيادة و الربو و النمو في الأجسام القابلة لذلك و النقص فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع و ما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر فما يزداد صاحب النظر إلا غما على غم و ما يصدق متى ينقضي سفره و يرجع إلى بدنه فإنهم في هذا السفر مثل النائم فيما يرى في نومه و هو يعرف أنه في النوم فلا يصدق متى يستيقظ ليستأنف العمل و يستريح من غمه و إنما يتقلق خوفا مما حصل له في سفره أن يقبض فيه فلا يصح له ترق بعد ذلك فهذا هو الذي يزعجه و التابع ليس كذلك فإنه يرى الترقي بصحبه حيث كان من ذلك الوجه الخاص الذي لا يعرفه إلا صاحب هذا الوجه فإذا أقاما في هذه السماء ما شاء الله و أخذا في الرحلة و ودع كل واحد منهما نزيله و ارتقيا في معراج الأرواح إلى السماء الثانية و في هذه السماء الأولى هو النائب السابع الإلهي الموكل بالنطفة الكائنة في الأرحام التي تظهر فيها هذه النشأة الإنسانية و هو يتوكل بها في الشهر السابع من سقوط النطفة و الطفل في هذا الشهر الجنين يزيد و ينمو في بطن أمه بزيادة القمر و يذبل و تقل حركته في بطن أمه في نقص القمر و ذلك هو العلامة فإن ولد في هذا الشهر لم يكن في القوة مثل الذي يولد في الشهر السادس فإذا فرعا السماء الثانية و فتحت لهما صعدا فنزل التابع عند عيسى ع و عنده يحيى ابن خالته و نزل صاحب النظر عند الكاتب فلما أنزله الكاتب عنده و أكرم مثواه اعتذر إليه و قال له لا تستبطئني فإني في خدمة عيسى و يحيى ع و قد نزل بهما صاحبك فلا بد لي من الوقوف عندهما حتى أرى ما يأمراني به في حق نزيلهما فإذا فرغت من شأنه رجعت إليك فيزيد صاحب النظر غما إلى غمه و ندامة حيث لم يسلك مسلك صاحبه و لا ذهب في مذهبه فأقام التابع عند ابني الخالة ما شاء الله فأوقفاه على صحة رسالة المعلم رسول الله ص بدلالة إعجاز القرآن فإنها حضرة الخطابة و الأوزان و حسن مواقع الكلام و امتزاج الأمور و ظهور المعنى الواحد في الصور الكثيرة و يحصل له الفرقان في مرتبة خرق العوائد و من هذه الحضرة يعلم علم السيمياء الموقوفة على العمل بالحروف و الأسماء لا على البخورات و الدماء و غيرها و يعرف شرف الكلمات و جوامع الكلم و حقيقة كن و اختصاصها بكلمة الأمر لا بكلمة الماضي و لا المستقبل و لا الحال و ظهور الحرفين من

هذه الكلمة مع كونها مركبة من ثلاثة و لما ذا حذفت الكلمة الثالثة المتوسطة البرزخية التي بين حرف الكاف و حرف النون و هي حرف الواو الروحانية التي تعطي ما للملك في نشأة المكون من الأثر مع ذهاب عينها و يعلم سر التكوين من هذه السماء و كون عيسى يحيي الموتى و انشاء صورة الطير و نفخه في صورته و تكوين الطائر طائرا هل هو بإذن الله أو تصوير عيسى خلق الطير و نفخه فيه هو بإذن الله و بأي فعل من الأفعال اللفظية يتعلق قوله بِإِذْنِي و بِإِذْنِ الله هل العامل فيه يكون أو تنفخ فعند أهل الله العامل فيه يكون و عند مثبتي الأسباب و أصحاب الأحوال العامل فيه تنفخ فيحصل لمن دخل هذه السماء و اجتمع بعيسى و يحيى علم ذلك و لا بد و لا يحصل ذلك لصاحب النظر و أعني حصول ذوق و عيسى روح الله و يحيى له الحياة فكما أن الروح و الحياة لا يفترقان كذلك هذان النبيان عيسى و يحيى لا يفترقان لما يحملانه من هذا السر فإن لعيسى من علم الكيمياء الطريقين الإنشاء و هو خلقه الطير من الطين و النفخ فظهر عنه الصورة باليدين و الطيران بالنفخ الذي هو النفس فهذه طريقة الإنشاء في علم الكيمياء الذي قدمناه في أول الباب و الطريق الثانية إزالة العلل الطارئة و هو في عيسى إبراء الأكمه و الأبرص و هي العلل التي طرأت عليهما في الرحم الذي هو من وظيفة التكوين فمن هنا يحصل لهذا التابع علم المقدار و الميزان الطبيعي و الروحاني لجمع عيسى بين الأمرين و من هذه السماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية التي يحيي بها القلوب كقوله أَ وَ مَن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ و هي حضرة جامعة فيها من كل شيء و فيها الملك الموكل بالنطفة في الشهر السادس و من هذه الحضرة يكون الإمداد للخطباء و الكتاب لا للشعراء و لما كان لمحمد ص جوامع الكلم خوطب من هذه الحضرة و قيل ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ لأنه أرسل مبينا مفصلا و الشعر من الشعور فمحله الإجمال لا التفصيل و هو خلاف البيان و من هنا تعلم تقليبات الأمور و من هنا توهب الأحوال لأصحابها و كلما ظهر في العالم العنصري من النيرنجيات الأسمائية فمن هذه السماء و أما القلقطيرات فمن غير هذه الحضرة و لكن إذا وجدت فارواحها من هذه السماء لا أعيان صورها الحاملة لأرواحها فإذا حصل علم هذه الكائنات و سرعة الأحياء فيها من شأنه أن لا يقبل ذلك إلا في الزمان الطويل فإن ذلك من علم عيسى لا من الأمر الموحى به في ذلك الفلك و لا في سباحة كوكبه و هو من الوجه الخاص الإلهي الخارج عن الطريق المعتادة في العلم الطبيعي الذي يقتضي الترتيب النسبي الموضوع بالترتيب الخاص و هذه مسألة يغمض دركها فإن العالم المحقق يقول بالسبب فإنه لا بد منه و لكن لا يقول بهذا الترتيب الخاص في الأسباب فعامة هذا العلم إما ينفون الكل و إما يثبتون الكل و لم أر منهم من يقول ببقاء السبب مع نفي ترتيبه الزماني فإنه علم عزيز يعلم من هذه السماء فما يكون عن سبب في مدة طويلة يكون عن ذلك السبب في لمح البصر أو هو أقرب و قد ظهر ذلك فيما نقل في تكوين عيسى ع و في تكوين خلق عيسى الطائر و في إحياء الميت من قبره قبل أن يأتي المخاض للأرض في إبراز هذه المولدات ليوم

القيامة و هو يوم ولادتها فالق بالك و أشحذ فؤادك عسى أن يهديك ربك سواء السبيل و من هذه السماء قوله في ناشئة الليل إنها أَقْوَمُ قِيلًا فإذا حصل التابع هذه العلوم و انصرف الكاتب إلى نزيله و رد النظر إليه أعطاه من العلم المودع في مجراه ما يعطيه استعداده مما له من الحكم في الأجسام التي تحته في العالم العنصري لا من أرواحه فإذا كمل فذلك قراه يطلب الرحيل عنه فجاء إلى صاحبه التابع و خرجا يطلبان السماء الثالثة و صاحب النظر بين يدي التابع مثل الخادم بين يدي مخدومه و قد عرف قدره و رتبة معلمه و ما أعطاه من العناية اتباعه لذلك المعلم فلما قرعا السماء الثالثة فتحت فصعدا فيها فتلقى التابع يوسف ع و تلقى صاحب النظر كوكب الزهرة فأنزلته و ذكرت له ما ذكره من تقدم من كواكب التسخير فزاده ذلك غما إلى غمه فجاء كوكب الزهرة إلى يوسف ع و عنده نزيله و هو التابع و هو يلقي إليه ما خصه الله به من العلوم المتعلقة بصور التمثل و الخيال فإنه كان من الأئمة في علم التعبير فأحضر الله بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم ع و أحضر له سوق الجنة و أحضر له أجساد الأرواح النورية و النارية و المعاني العلوية و عرفه بموازينها و مقاديرها و نسبها و نسبها فأراه السنين في صور البقر و أراه خصبها في سمنها و أراه جدبها في عجافها و أراه العلم في صورة اللبن و أراه الثبات في الدين في صورة القيد و ما زال يعلمه تجسد المعاني و النسب في صورة الحس و المحسوس و عرفه معنى التأويل في ذلك كله فإنها سماء التصوير التام و النظام و من هذه السماء يكون الإمداد للشعراء و النظم و الإتقان و الصور الهندسية في الأجسام و تصويرها في النفس من السماء التي ارتقى عنها و من هذه السماء يعلم معنى الإتقان و الإحكام و الحسن الذي يتضمن بوجوده الحكمة و الحسن الغرضي الملائم لمزاج خاص و في هذه السماء هو النائب الخامس الذي يتلقى تدبير النطفة في الرحم في الشهر الخامس و من الأمر الموحى من الله في هذه السماء حصل ترتيب الأركان التي تحت مقعر فلك القمر فجعل ركن الهواء بين النار و الماء و جعل ركن الماء بين الهواء و التراب و لولا هذا الترتيب ما صح وجود الاستحالة فيهن و لا كان منهن ما كان من المولدات و لا ظهر في المولدات ما ظهر من الاستحالات فأين النطفة من كونها استحالت لحما و دما و عظاما و عروقا و أعصابا و من هذه السماء رتب الله في هذه النشأة الجسمية الأخلاط الأربعة على النظم الأحسن و الإتقان الأبدع فجعل مما يلي نظر النفس المدبرة المرة الصفراء ثم يليها الدم ثم يلي الدم البلغم ثم يلي البلغم المرة السوداء و هو طبع الموت و لولا هذا الترتيب العجيب في هذه الأخلاط لما حصلت المساعدة للطبيب فيما يرومه من إزالة ما يطرأ على هذا الجسد من العلل أو فيما يرومه من حفظ الصحة عليه و من هذه السماء ظهرت الأربعة الأصول التي يقوم عليها بيت الشعر كما قام الجسد على الأربعة الأخلاط و هما السببان و الوتدان السبب الخفيف و السبب الثقيل و الوتد المفروق و الوتد المجموع فالوتد المفروق يعطي التحليل و الوتد المجموع يعطي التركيب و السبب الخفيف يعطي الروح و السبب الثقيل

يعطي الجسم و بالمجموع يكون الإنسان فانظر ما أتقن وجود هذا العالم كبيره و صغيره فإذا حصلا هذه العلوم هذان الشخصان و زاد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الإلهي كما اتفق في كل سماء لهما انتقلا يطلبان السماء الوسطى التي هي قلب السموات كلها فلما دخلاها تلقى التابع إدريس ع و تلقى صاحب النظر كوكب الشمس فجرى لصاحب النظر معه مثل ما تقدم فزاد غما إلى غمه فلما نزل التابع بحضرة إدريس ع علم تقليب الأمور الإلهية و وقف على معنى قوله ع القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن و بما ذا يقلبانه و رأى في هذه السماء غشيان الليل النهار و النهار الليل و كيف يكون كل واحد منهما لصاحبه ذكرا وقتا و أنثى وقتا و سر النكاح و الالتحام بينهما و ما يتولد فيهما من المولدات بالليل و النهار و الفرق بين أولاد الليل و أولاد النهار فكل واحد منهما أب لما يولد في نقيضه و أم لما يولد فيه و يعلم من هذه السماء علم الغيب و الشهادة و علم الستر و التجلي و علم الحياة و الموت و اللباس و السكن و المودة و الرحمة و ما يظهر من الوجه الخاص من الاسم الظاهر في المظاهر الباطنة و من الاسم الباطن في الظاهر من حكم استعداد المظاهر فتختلف على الظاهر الأسماء لاختلاف الأعيان ثم رحلا يطلبان السماء الخامسة فنزل التابع بها رون ع و نزل صاحب النظر بالأحمر فاعتذر الأحمر لصاحبه و نزيله في تخلفه عنه مدة اشتغاله بخدمة ها رون ع من أجل نزيله فلما دخل الأحمر على ها رون وجد عنده نزيله و هو يباسطه فتعجب الأحمر من مباسطته فسأل عن ذلك فقال إنها سماء الهيبة و الخوف و الشدة و البأس و هي نعوت توجب القبض و هذا ضيف ورد من أتباع الرسول تجب كرامته و قد ورد يبتغي علما و يلتمس حكما إلهيا يستعين به على أعداء خواطره خوفا من تعدى حدود سيده فيما رسم له فاكشف له عن محياها و أباسطه حتى يكون قبوله لما التمسه على بسط نفس بروح قدس ثم رد وجهه إليه و قال له هذه سماء خلافة البشر فضعف حكم إمامها و قد كان أصلها أقوى المباني فأمر باللين بالجبابرة الطغاة فقيل لنا فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً و ما يؤمر بلين المقال إلا من قوته أعظم من قوة من أرسل إليه و بطشه أشد لكنه لما علم الحق أنه قد طبع على كل قلب مظهر للجبروت و الكبرياء و أنه في نفسه أذل الأذلاء أمرا أن يعاملاه بالرحمة و اللين لمناسبة باطنه و استنزال ظاهره من جبروته و كبريائه لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و لعل و عسى من الله واجبتان فيتذكر بما يقابله من اللين و المسكنة ما هو عليه في باطنه ليكون الظاهر و الباطن على السواء فما زالت تلك الخميرة معه تعمل في باطنه مع الترجي الإلهي الواجب وقوع المترجي و يتقوى حكمها إلى حين انقطاع يأسه من اتباعه و حال الغرق بينه و بين أطماعه لجأ إلى ما كان مستسرا في باطنه من الذلة و الافتقار ليتحقق عند المؤمنين وقوع الرجاء الإلهي فقال آمنت بالذي آمَنَتْ به بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا من الْمُسْلِمِينَ فأظهر حالة باطنه و ما كان في قلبه من العلم الصحيح بالله و جاء بقوله الَّذِي آمَنَتْ به بَنُوا إِسْرائِيلَ لرفع الإشكال عند الإشكال كما قالت السحرة لما آمنت آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ رَبِّ

مُوسى وَهارُونَ أي الذي يدعوان إليه فجاءت بذلك لرفع الارتياب و قوله وَأَنَا من الْمُسْلِمِينَ خطاب منه للحق لعلمه أنه تعالى يسمعه و يراه فخاطبه الحق بلسان العتب و أسمعه الْآنَ أظهرت ما قد كنت تعلمه وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ من الْمُفْسِدِينَ في اتباعك و ما قال له و أنت من المفسدين فهي كلمة بشرى له عرفنا بها لنرجو رحمته مع إسرافنا و إجرامنا ثم قال فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ فبشره قبل قبض روحه بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً يعني لتكون النجاة لمن يأتي بعدك آية علامة إذا قال ما قلته تكون له النجاة مثل ما كانت لك و ما في الآية أن بأس الآخرة لا يرتفع و لا أن إيمانه لم يقبل و إنما في الآية إن بأس الدنيا لا يرتفع عمن نزل به إذا آمن في حال رؤيته إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ فقوله فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ إذ العذاب لا يتعلق إلا بظاهرك و قد أريت الخلق نجاته من العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا فصار الموت فيه شهادة خالصة بريئة لم تتخللها معصية فقبضت على أفضل عمل و هو التلفظ بالإيمان كل ذلك حتى لا يقنط أحد من رحمة الله و الأعمال بالخواتم فلم يزل الايمان بالله يجول في باطنه و قد حال الطابع الإلهي الذاتي في الخلق بين الكبرياء و اللطائف الإنسانية فلم يدخلها قط كبرياء و أما قوله فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا فكلام محقق في غاية الوضوح فإن النافع هو الله فما نفعهم إلا الله و قوله سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ يعني الايمان عند رؤية البأس الغير المعتاد و قد قال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً فغاية هذا الايمان أن يكون كرها و قد أضافه الحق إليه سبحانه و الكراهة محلها القلب و الايمان محله القلب و الله لا يأخذ العبد بالأعمال الشاقة عليه من حيث ما يجده من المشقة فيها بل يضاعف له فيها الأجر و أما في هذا الموطن فالمشقة منه بعيدة بل جاء طوعا في إيمانه و ما عاش بعد ذلك كما قال في راكب البحر عند ارتجاجه ضَلَّ من تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فنجاهم فلو قبضهم عند نجاتهم لماتوا موحدين و قد حصلت لهم النجاة فقبض فرعون و لم يؤخر في أجله في حال إيمانه لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الدعوى ثم قوله تعالى في تتميم قصته هذه وَإِنَّ كَثِيراً من النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ و قد أظهرت نجاتك آية أي علامة على حصول النجاة فغفل أكثر الناس عن هذه الآية و قضوا على المؤمن بالشقاء و أما قوله فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ فما فيه نص أنه يدخلها معهم بل قال اللهُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ و لم يقل أدخلوا فرعون و آله و رحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمان المضطر و أي اضطرار أعظم من اضطرار فرعون في حال الغرق و الله يقول أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ فقرن للمضطر إذا دعاه الإجابة و كشف السوء عنه و هذا آمن لله خالصا و ما دعاه في البقاء في الحياة الدنيا خوفا من العوارض أو يحال بينه و بين هذا الإخلاص الذي جاءه في هذه الحال فرجح جانب لقاء الله على البقاء بالتلفظ بالإيمان و جعل ذلك الغرق نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى فلم يكن عذابه أكثر من غم الماء الأجاج و قبضه على أحسن صفة هذا ما يعطي ظاهر اللفظ و هذا معنى قوله إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى يعني في أخذه نكال الآخرة و الأولى و قدم ذكر الآخرة و أخر الأولى ليعلم أن

ذلك العذاب أعني عذاب الغرق هو نكال الآخرة فلذلك قدمها في الذكر على الأولى و هذا هو الفضل العظيم فانظر يا ولي ما أثرت مخاطبة اللين و كيف أثمرت هذه الثمرة فعليك أيها التابع باللين في الأمور فإن النفوس الآبية تنقاد بالاستمالة ثم أمره بالرفق بصاحبه صاحب النظر و كان سبب هذا الأمر من هارون لأنه حصل له هذا ذوقا من نفسه حين أخذ موسى برأسه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ فاذاقه الذل بأخذ اللحية و الناصية فناداه بأشفق الأبوين فقال يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لا بِرَأْسِي و فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ لما ظهر عليه أخوه موسى بصفة القهر فلما كان لهارون ذلة الخلق ذوقا مع براءته مما أذل فيه تضاعفت المذلة عنده فناداه بالرحم فهذا سبب وصيته لهذا التابع و لو لم يلق موسى الألواح ما أخذ برأس أخيه فإن في نسختها الهدى و الرحمة تذكرة لموسى فكان يرحم أخاه بالرحمة و تتبين مسألته مع قومه بالهدى فلما سكت عنه الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ فما وقعت عينه مما كتب فيها الأعلى الهدى و الرحمة فقال رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنا في رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ثم أمره أن يجعل ما تقتضيه سماؤه من سفك الدماء في القربين و الأضاحي ليلحق الحيوان بدرجة الأناسي إذ كان لها الكمال في الأمانة ثم خرج من عنده بخلعة نزيله و أخذ بيد صاحبه و قد أفاده ما كان في قوته من المعارف بما يقتضيه حكمه في الدور لا غير و انصرفا يطلبان السماء السادسة فتلقاه موسى ع و معه وزيره البرجيس فلم يعرف صاحب النظر موسى ع فأخذه البرجيس فأنزله و نزل التابع عند موسى فأفاده اثني عشر ألف علم من العلم الإلهي سوى ما أفاده من علوم الدور و الكور و أعلمه أن التجلي الإلهي إنما يقع في صور الاعتقادات و في الحاجات فتحفظ ثم ذكر له طلبه النار لأهله فما تجلى له إلا فيها إذ كانت عين حاجته فلا يرى إلا في الافتقار و كل طالب فهو فقير إلى مطلوبه ضرورة و أعلمه في هذه السماء خلع الصور من الجوهر و إلباسه صورا غيرها ليعلمه أن الأعيان أعيان الصور لا تنقلب فإنه يؤدي إلى انقلاب الحقائق و إنما الإدراكات تتعلق بالمدركات تلك المدركات لها صحيحة لا شك فيها فيتخيل من لا علم له بالحقائق أن الأعيان انقلبت و ما انقلبت و من هنا يعلم تجلى الحق في القيامة في صورة يتعوذ أهل الموقف منها و ينزهون الحق عنها و يستعيذون بالله منها و هو الحق ما هو غيره و ذلك في أبصارهم فإن الحق منزه عن قيام التغيير به و التبديل قال عليم الأسود لرجل وقف فضرب بيده عليم إلى أسطوانة في الحرم فرآها الرجل ذهبا ثم قال له يا هذا إن الأعيان لا تنقلب و لكن هكذا تراه لحقيقتك بربك يشير إلى تجلى الحق يوم القيامة و تحوله في عين الرائي و من هذه السماء يعلم العلم الغريب الذي لا يعلمه قليل من الناس فأحرى أن لا يعلمه الكثير و هو معنى قوله تعالى لموسى ع و ما علم أحد ما أراد الله إلا موسى و من اختصه الله وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى فقال هِيَ عَصايَ و السؤال عن الضروريات ما يكون من العالم بذلك إلا لمعنى غامض ثم قال في تحقيق كونها عصا أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى كل ذلك من كونها عصا أ رأيتم أنه أعلم الحق تعالى بما

ليس معلوما عند الحق و هذا جواب علم ضروري عن سؤال عن معلوم مدرك بالضرورة فقال له أَلْقِها يعني عن يدك مع تحققك إنها عصا فَأَلْقاها موسى فَإِذا هِيَ يعني تلك العصا حَيَّةٌ تَسْعى فلما خلع الله على العصا أعني جوهرها صورة الحية استلزمها حكم الحية و هو السعي حتى يتبين لموسى ع بسعيها إنها حية و لو لا خوفه منها خوف الإنسان من الحيات لقلنا إن الله أوجد في العصا الحياة فصارت حية من الحياة فسعت لحياتها على بطنها إذ لم يكن لها رجل تسعى به فصورتها لشكلها عصا صورة الحيات فلما خاف منها للصورة قال له الحق خُذْها وَ لا تَخَفْ و هذا هو خوف الفجاة إذ كان ثم قال له سَنُعِيدُها الضمير يعود على العصا سِيرَتَهَا الْأُولى فجواهر الأشياء متماثلة و تختلف بالصور و الأعراض و الجوهر واحد أي ترجع عصا مثل ما كانت في ذاتها و في رأى عينك كما كانت حية في ذاتها و في رأى عينك ليعلم موسى من يرى و ما يرى و بمن يرى و هذا تنبيه إلهي له و لنا و هو الذي قاله عليم سواء من أن الأعيان لا تنقلب فالعصا لا تكون حية و لا الحية عصا و لكن الجوهر القابل صورة العصا قبل صورة الحية فهي صور يخلعها الحق القادر الخالق عن الجوهر إذا شاء و يخلع عليه صورة أخرى فإن كنت فطنا فقد نبهتك على علم ما تراه من صور الموجودات و تقول هو ضروري من كونك لا تقدر على إنكاره و قد بان لك أن الاستحالات محال و لله أعين في بعض عباده يدركون بها العصا حية في حال كونها عصا و هو إدراك إلهي و فينا خيالي و هكذا في جميع الموجودات سواء انظر لو لا قوة الحس ما قلت هذا جماد لا يحس و لا ينطق و ما به من حياة و هذا نبات و هذا حيوان يحس و يدرك و هذا إنسان يعقل هذا كله أعطاه نظرك و يأتي شخص آخر يقف معك فيرى و يسمع تسليم الجمادات و النبات و الحيوان عليه و كلا الأمرين صحيح و بالقوة التي تستدل بها على إنكار ما قاله هذا بها بعينها يستدل هذا الآخر فكل واحد من الشخصين دليله عين دليل الآخر و الحكم مختلف فو الله ما زالت حية عصا موسى و ما زالت عصا كل ذلك في نفس الأمر لم تخط رؤية كل واحد ما هو الأمر عليه في نفسه و قد رأينا ذلك و تحققناه رؤية عين ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ من عين واحدة و هو في التجلي الأول لا غيره و هو في التجلي الآخر لا غيره فقل إله و قل عالم و قل أنا و قل أنت و قل هو و الكل في حضرة الضمائر ما برح و ما زال فزيد يقول في حقك هو و عمرو يقول عنك أنت و أنت تقول عنك أنا فإنا عين أنت و عين هو و ما هو أنا عين أنت و لا عين هو فاختلفت النسب و هنا بحور طامية لا قعر لها و لا ساحل و عزة ربي لو عرفتم ما فهت به في هذه الشذور لطربتم طرب الأبد و لخفتم الخوف الذي لا يكون معه أمن لأحد تدكدك الجبل عين ثباته و إفاقة موسى عين صعقته

انظر إلى وجهه في كل حادثة من الكيان و لا تعلم به أحدا

أيها التابع المحمدي لا تغفل عما نبهتك عليه و لا تبرح في كل صورة ناظرا إليه فإن المجلى أجلي ثم أخذ بيده البرجيس و جاء به إلى صاحب النظر فعرفه ببعض ما يليق به مما علمه التابع من علم موسى بما يختص من تأثيرات الحركات الفلكية في النشآت العنصرية لا غير فارتحلا من عنده المحمدي على رفرف العناية و صاحب النظر على براق الفكر ففتح لهما السماء السابعة و هي الأولى من هناك على الحقيقة فتلقاه إبراهيم الخليل ع و تلقى صاحب النظر كوكب كيوان فأنزله في بيت مظلم قفر موحش و قال له هذا بيت أخيك يعني نفسه فكن به حتى آتيك فإني في خدمة هذا التابع المحمدي من أجل من نزل عليه و هو خليل الله فجاء إليه فوجده مسندا ظهره إلى البيت المعمور و التابع جالس بين يديه جلوس الابن بين يدي أبيه و هو يقول له نعم الولد البار فسأله التابع عن الثلاثة الأنوار فقال هي حجتي على قومي آتانيها الله عناية منه بي لم أقلها أشرا كالكن جعلتها حبالة صائد أصيد بها ما شرد من عقول قومي ثم قال له أيها التابع ميزا المراتب و اعرف المذاهب و كن على بينة من ربك في أمرك و لا تهمل حديثك فإنك غير مهمل و لا متروك سدى اجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور بحضورك مع الحق في كل حال و اعلم أنه ما وسع الحق شيء مما رأيت سوى قلب المؤمن و هو أنت فعند ما سمع صاحب النظر هذا الخطاب قال يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ و علم ما فاته من الايمان بذلك الرسول و اتباع سنته و يقول يا ليتني لم أتخذ عقلي دليلا و لا سلكت معه إلى الفكر سبيلا و كل واحد من هذين الشخصين يدرك ما تعطيه الروحانيات العلى و ما يسبح به الملأ الأعلى بما عندهما من الطهارة و تخليص النفس من أسر الطبيعة و ارتقم في ذات نفس كل واحد منهما كل ما في العالم فليس يخبر إلا بما شاهده من نفسه في مرآة ذاته فحكاية الحكيم الذي أراد أن يرى هذا المقام للملك فاشتغل صاحب التصوير الحسن بنقش الصور على أبدع نظام و أحسن إتقان و اشتغل الحكيم بجلاء الحائط الذي يقابل موضع الصور و بينهما ستر معلق مسدل فلما فرغ كل واحد من شغله و أحكم صنعته فيما ذهب إليه جاء الملك فوقف على ما صوره صاحب الصور فرأى صورا بديعة يبهر العقول حسن نظمها و بديع نقشها و نظر إلى تلك الأصبغة في حسن تلك الصنعة فرأى أمرا هاله منظره و نظر إلى ما صنع الآخر من صقالة ذلك الوجه فلم ير شيئا فقال له أيها الملك صنعتي ألطف من صنعته و حكمتي أغمض من حكمته ارفع الستر بيني و بينه حتى ترى في الحالة الواحدة صنعتي و صنعته فرفع الستر فانتقش في ذلك الجسم الصقيل جميع ما صوره هذا الآخر بألطف صورة مما هو ذلك في نفسه فتعجب الملك ثم إن الملك رأى صورة نفسه و صورة الصاقل في ذلك الجسم فحار و تعجب و قال كيف يكون هكذا فقال أيها الملك ضربته لك مثلا لنفسك مع صور العالم إذا أنت صقلت مرآة نفسك بالرياضات و المجاهدات حتى تزكو و أزلت عنها صدأ الطبيعة و قابلت بمرآة ذاتك صور العالم انتقش فيها جميع ما في العالم كله و إلى هذا الحد ينتهي صاحب النظر و أتباع

الرسل و هذه الحضرة الجامعة لهما و يزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تنتقش في العالم جملة واحدة من حيث ذلك الوجه الخاص الذي لله في كل ممكن محدث مما لا ينحصر و لا ينضبط و لا يتصور يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر و من هذه السماء يكون الاستدراج الذي لا يعلم و المكر الخفي الذي لا يشعر به و الكيد المتين و الحجاب و الثبات في الأمور و التأني فيها و من هنا يعرف معنى قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ لأن لهما في الناس درجة الأبوة فلا يلحقهما أبدا قال تعالى أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ و من هذه السماء يعلم أن كل ما سوى الإنس و الجان سعيد لا دخول له في الشقاء الأخروي و إن الإنس و الجان منهم شقي و سعيد فالشقي يجري إلى أجل في الأشقياء لأن الرحمة سبقت الغضب و السعيد إلى غير أجل و من هنا يعرف تفضيل خلق الإنسان و توجه اليدين على خلق آدم دون غيره من المخلوقات و يعلم أنه ما ثم جنس من المخلوقات إلا و له طريقة واحدة في الخلق لم تتنوع عليه صنوف الخلق تنوعها على الإنسان فإنه تنوع عليه الخلق فخلق آدم يخالف خلق حواء و خلق حواء يخالف خلق عيسى و خلق عيسى يخالف خلق سائر بنى آدم و كلهم إنسان و من هنا زين للإنسان سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً و عند تجلى هذا التزيين يشكر الله تعالى التابع على تخلصه من مثل هذا و أما صاحب النظر فلا يجد فرجا إلا في هذا التجلي يعطيه الحسن في السوء و هو من المكر الإلهي و من هنا تثبت أعيان الصور في الجوهر التي تحت هذا الفلك إلى الأرض خاصة و من هنا تعرف ملة إبراهيم أنها ملة سمحاء ما فيها من حرج فإذا علم هذه المعاني و وقف على أبوة الإسلام أراد صاحب النظر القرب منه فقال إبراهيم للتابع من هذا الأجنبي معك فقال هو أخي قال أخوك من الرضاعة أو أخوك من النسب قال أخي من الماء قال صدقت لهذا لا أعرفه لا تصاحب إلا من هو أخوك من الرضاعة كما أني أبوك من الرضاعة فإن الحضرة السعادية لا تقبل إلا إخوان الرضاعة و آباءها و أمهاتها فإنها النافعة عند الله ألا ترى العلم يظهر في صورة اللبن في حضرة الخيال هذا لأجل الرضاع و انقطع ظهر صاحب النظر لما انقطع عنه نسب أبوه إبراهيم ع ثم أمره أن يدخل البيت المعمور فدخله دون صاحبه و صاحبه منكوس الرأس ثم خرج من الباب الذي دخل و لم يخرج من باب الملائكة و هو الباب الثاني لخاصية فيه و هو أنه من خرج منه لا يرجع إليه ثم ارتحل من عنده يطلب العروج و مسك صاحبه صاحب النظر هناك و قيل له قف حتى يرجع صاحبك فإنه لا قدم لك هنا هذا آخر الدخان فقال أسلم و أدخل تحت حكم ما دخل فيه صاحبي قيل له ليس هذا موضع قبول الإسلام إذا رجعت إلى موطنك الذي منه جئت أنت و صاحبك فهناك إذا أسلمت و آمنت و اتبعت سبيل من أناب إلى الله إنابة الرسل المبلغين عن الله قبلت كما قبل صاحبك فبقي هنالك و مشى التابع فبلغ به سدرة المنتهى فرأى صور أعمال السعداء من النبيين و أتباع الرسل و رأى عمله في جملة أعمالهم فشكر الله على ما وفقه إليه من اتباع الرسول المعلم و عاين هنالك أربعة أنهار

منها نهر كبير عظيم و جداول صغار تنبعث من ذلك النهر الكبير و ذلك النهر الكبير تتفجر منه الأنهار الكبار الثلاثة فسأل التابع عن تلك الأنهار و الجداول فقيل له هذا مثل مضروب أقيم لك هذا النهر الأعظم هو القرآن و هذه الثلاثة الأنهار الكتب الثلاثة التوراة و الزبور و الإنجيل و هذه الجداول الصحف المنزلة على الأنبياء فمن شرب من أي نهر كان أو أي جدول فهو لمن شرب منه وارث و كل حق فإنه كلام الله و العلماء ورثة الأنبياء بما شربوا من هذه الأنهار و الجداول فاشرع في نهر القرآن تفز بكل سبيل للسعادة فإنه نهر محمد ص الذي صحت له النبوة و آدم بين الماء و الطين و أوتي جوامع الكلم و بعث عامة و نسخت به فروع الأحكام و لم ينسخ له حكم بغيره و نظر إلى حسن النور الذي غشى تلك السدرة فرأى قد غشاها منه ذاك الذي غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها للغشاء النوري الذي لا تنفذه الأبصار بل لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ ثم قيل له هذه شجرة الطهور فيها مرضاة الحق و من هنا شرع السدر في غسل الميت للقاء الله الماء و السدر لينا له طهور هذه السدرة و إليها تنتهي أعمال بنى آدم السعادية و فيها مخازنها إلى يوم الدين و هنا أول أقدام السعداء و السماء السابعة التي وقف عندها صاحبك منتهى الدخان و لا بد لها و لمن هو تحتها من الاستحالة إلى صور كانت عليها أو على أمثالها قبل أن تكون سماء ثم قيل لهذا التابع ارق فرقي في فلك المنازل فتلقاه من هنالك من الملائكة و الأرواح الكوكبية ما يزيد على ألف و عشرات من الحضرات تسكنها هذه الأرواح فعاين منازل السائرين إلى الله تعالى بالأعمال المشروعة و قد ذكر من ذلك الهروي في جزء له سماه منازل السائرين يحتوي على مائة مقام كل مقام يحتوي على عشرة مقامات و هي المنازل و أما نحن فذكرنا من هذه المنازل في كتاب لنا سميناه مناهج الارتقاء يحتوي على ثلاثمائة مقام كل مقام يحتوي على عشرة منازل ففيه ثلاثة آلاف منزل فلم يزل يقطعها منزلة منزلة بسبع حقائق هو عليها كما يقطع فيها السبع الدراري و لكن في زمان أقرب حتى وقف على حقائقها بأجمعها و قد كان أوصاه إدريس بذلك فلما عاين كل منزل منها رآها و جميع ما فيها من الكواكب تقطع في فلك آخر فوقها فطلب الارتقاء فيه ليرى ما أودع الله في هذه الأمور من الآيات و العجائب الدالة على قدرته و علمه فعند ما حصل على سطحه حصل في الجنة الدهماء فرأى ما فيها مما وصف الله في كتابه من صفة الجنات و عاين درجاتها و غرفها و ما أعد الله لأهلها فيها و رأى جنته المخصوصة به و اطلع على جنات الميراث و جنات الاختصاص و جنات الأعمال و ذاق من كل نعيم منها بحسب ما يعطيه ذوق موطن القوة الجنانية فلما بلغ من ذلك أمنيته رقى به إلى المستوي الأزهى و الستر الأبهى فرأى صور آدم و بنيه السعداء من خلف تلك الستور فعلم معناها و ما أودع الله من الحكمة فيها و ما عليها من الخلع التي كساها بنى آدم فسلمت عليه تلك الصور فرأى صورته فيهن فعانقها و عانقته و اندفعت معه إلى المكانة الزلفى فدخل فلك البروج الذي قال الله فيه فأقسم به وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ فعلم إن التكوينات التي تكون في

الجنان من حركة هذا الفلك و له الحركة اليومية في العالم الزماني كما أن حركة الليل و النهار في الفلك الذي فيه جرم الشمس و التكوينات التي تكون في جهنم من حركة فلك الكواكب و هو سقف جهنم أعني مقعره و سطحه أرض الجنة و الذي يسقط من الكواكب و ينتثر ضوءها فتبقى مظلمة و فعلها المودع فيها باق و هذا كله سبب التبديل الذي يقع في جهنم كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها كل ذلك بإذن الله مرتب الأشياء مراتبها كما إن الشمس إذا حلت بالحمل جاء زمن الربيع فظهرت زينة الأرض و أورقت الأشجار و ازينت وَ أَنْبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ و إذا حلت بالجدي أظهرت النقيض و القوابل تقبل بحسب ما هي عليه من المزاج فمهما اختلف مزاجها كان قبولها لما يحدث الله عند هذه الحركات الفلكية بحسب ما هي عليه و كذلك في الجنان في كل حين من خلق جديد و نعيم جديد حتى لا يقع ملل فإن كل شيء طبيعي إذا توالى عليه أمر ما من غير تبدل لا بد أن يصحب الإنسان فيه ملل فإن الملل نعت ذاتي له فإن لم يغذه الله بالتجديد في كل وقت ليدوم له النعيم بذلك و إلا كان يدركهم الملل فأهل الجنان يدركون في كل نظرة ينظرونها إلى ملكهم أمرا و صورة لم يكونوا رأوها قبل ذلك فينعمون بحدوثها و كذلك في كل أكلة و شربة يجدون طعما جديدا لذيذا لم يكونوا يجدونه في الأكلة الأولى فينعمون بذلك و تعظم شهوتهم و السبب في سرعة هذا التبدل و بقائه أن الأصل على ذلك فيعطي في الكون بحسب ما تعطيه حقيقة مرتبته ليكون خلاقا على الدوام و يكون الكون فقيرا على الدوام فالوجود كله متحرك على الدوام دنيا و آخرة لأن التكوين لا يكون عن سكون فمن الله توجهات دائمة و كلمات لا تنفد و هو قوله وَ ما عِنْدَ اللهِ باقٍ فعند الله التوجه و هو قوله تعالى إِذا أَرَدْناهُ و كلمة الحضرة و هي قوله لكل شيء يريده كُنْ بالمعنى الذي يليق بجلاله و كن حرف وجودي فلا يكون عنه إلا الوجود ما يكون عنه عدم لأن العدم لا يكون لأن الكون وجود و هذه التوجهات و الكلمات في خزائن الجود لكل شيء يقبل الوجود قال تعالى وَ إِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ و هو ما ذكرناه و قوله وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ من اسمه الحكيم فالحكمة سلطانة هذا الإنزال الإلهي و هو إخراج هذه الأشياء من هذه الخزائن إلى وجود أعيانها و هو قولنا في أول خطبة هذا الكتاب الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم و عدمه و عدم العدم وجود فهو نسبة كون الأشياء في هذه الخزائن محفوظة موجودة لله ثابتة لأعيانها غير موجودة لأنفسها فبالنظر إلى أعيانها هي موجودة عن عدم و بالنظر إلى كونها عند الله في هذه الخزائن هي موجودة عن عدم العدم و هو وجود فإن شئت رجحت جانب كونها في الخزائن فنقول أوجد الأشياء من وجودها في الخزائن إلى وجودها في أعيانها للنعيم بها أو غير ذلك و إن شئت قلت أوجد الأشياء عن عدم بعد أن تقف على معنى ما ذكرت لك فقل ما شئت فهو الموجد لها على كل حال في الموطن الذي ظهرت فيه لأعيانها و أما قوله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ فهو صحيح في العلم لأن الخطاب هنا لعين الجوهر و الذي عنده أعني عند الجوهر من كل موجود إنما هو ما

يوجده الله في محله من الصفات و الأعراض و الأكوان و هي في الزمان الثاني أو في الحال الثاني كيف شئت قل من زمان وجودها أو حال وجودها تنعدم من عندنا و هو قوله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ و هو يجدد للجوهر الأمثال أو الأضداد دائما من هذه الخزائن و هذا معنى قول المتكلمين إن العرض لا يبقى زمانين و هو قول صحيح خبر لا شبهة فيه لأنه الأمر المحقق الذي عليه نعت الممكنات و بتجدد ذلك على الجوهر يبقى عينه دائما ما شاء الله و قد شاء إنه لا يفنى فلا بد من بقائه فيعلم التابع من هذه الحضرة التكوينات الجنانية و جميع ما ذكرناه و أما صاحب النظر رفيق التابع فما عنده خبر بشيء من هذا كله لأنه تنبيه نبوي لا نظر فكري و صاحب النظر مقيد تحت سلطان فكره و ليس للفكر مجال إلا في ميدانه الخاص به و هو معلوم بين الميادين فإنه لكل قوة في الإنسان ميدان يجول فيه لا يتعداه و مهما تعدت ميدانها وقعت في الغلط و الخطاء و وصفت بالتحريف عن طريقها المستقيم و قد يشهد الكشف البصري بما تعثر فيه الحجج العقلية و سبب ذلك خروجها عن طورها فالعقول الموصوفة بالضلال إنما أضلتها أفكارها و إنما ضلت أفكارها لتصرفها في غير موطنها و إنما تصرف ما تصرف منها في غير موطنه و جال في غير ميدانه ليظهر فضل بعض الناس على بعضهم و إنما ظهر الفضل في العالم ليعلم أن الحق له عناية ببعض عباده و له خذلان في بعض عباده و ليعلم أن الممكن لم يخرج عن إمكانه و أن المرجح له نظر خصوصي لمن شاء من هذه القوي بما يشاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ثم يخرج بالتابع مع حامله إلى الكرسي فيرى فيه انقسام الكلمة التي وصفت قبل وصولها إلى هذا المقام بالوحدة و يرى القدمين اللتين تدلتا إليه فينكب من ساعته إلى تقبيلهما القدم الواحدة تعطي ثبوت أهل الجنات في جناتهم و هي قدم الصدق و القدم الأخرى تعطي ثبوت أهل جهنم في جهنم على أي حالة أراد و هي قدم الجبروت و لهذا قال في أهل الجنان عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ فما وصفه بالانقطاع و قال في أهل جهنم الَّذِينَ شَقُوا ليحكم هذا القدم الجبروتي إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ ما قال إن الحال التي هم فيها لا تنقطع كما قال في السعداء و الذي منع من ذلك قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و قوله إن رحمتي سبقت غضبي في هذه النشأة فإن الوجود رحمة في حق كل موجود و إن تعذب بعضهم ببعض فتخليدهم في حال النعيم غير منقطع و تخليدهم في حال الانتقام موقوف على إرادة فقد يعود الانتقام منهم عذابا عليهم لا غير و يزول الانتقام و لهذا فسره في مواضع بالألم المؤلم و قال عذاب أليم و العذاب الأليم و في مواضع لم يقيد العذاب بالأليم و أطلقه فقال فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ يعني و إن زال الألم و قال في عذاب جهنم و لم ينعته بأنه أليم و قال لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ من كونه عذابا وَ هُمْ فِيهِ أي في العذاب مُبْلِسُونَ أي مبعدون من السعادة العرضية في هذا الموطن لأن الإبلاس لفظة مختصة بأهل جهنم في بعدهم فلهذا جاء بذكر الإبلاس ليوقع هذا الاصطلاح اللغوي في موضعه عند أهله ليعلموه فإنه لموطن جهنم لغة ليست لأهل الجنان و الإبلاس منها فيعرف التابع من هذا المقام ما لكل دار ثم إنه يفارق هذا الموضع و يزج به في النور

الأعظم فيغلبه الوجد و هذا النور هو حضرة الأحوال الظاهر حكمها في الأشخاص الإنسانية و أكثر ما يظهر عليهم في سماع الألحان فإنها إذا نزلت عليهم تمر على الأفلاك و لحركات الأفلاك نغمات طيبة مستلذة تستلذ بها الأسماع كنغمات الدولاب فتكسو الأحوال و تنزل بها على النفوس الحيوانية في مجالس السماع فإن كانت النفس في أي شيء كانت من تعلق بجارية أو غلام أو يكون من أهل الله فيكون تعلقه حب جمال الإلهي متخيل اكتسبوه من ألفاظ نبوية مثل قوله في الصحيح إن الله جميل يحب الجمال و قوله في التجريد اعبد الله كأنك تراه فيأخذه الوجد على ما تخيله و منهم من يغمره الحال لا من حضرة التخيل بل يجد أمرا لا يكيف و لا يدخل تحت الحصر و المقدار و منهم من تهب عليه من هذه الأحوال التي تعطي الوجد روايح على نفوس غير عاشقة إلا بنسبة جزئية لا كلية فتعطيه من الحكم لذلك معنى يسمى التواجد ثم يخرج من ذلك النور إلى موضع الرحمة العامة التي وسعت كل شيء و هو المعبر عنه بالعرش فيجد هنالك من الحقائق الملكية إسرافيل و جبريل و ميكائيل و رضوان و مالك و من الحقائق الملكية البشرية آدم و إبراهيم و محمد إسلام الله عليهم فيجد عند آدم و إسرافيل علم الصور الظاهرة في العالم المسماة أجساما و أجسادا و هياكل سواء كانت نورية أو غير نورية و يجد عند جبريل و محمد ع علم الأرواح المنفوخة في هذه الصور التي عند آدم و إسرافيل فيقف على معاني ذلك كله و يرى نسبة هذه الأرواح إلى هذه الصور و تدبيرها إياها و من أين وقع فيها التفاضل مع انبعاثها من أصل واحد و كذلك الصور علم من هذه الحضرة ذلك كله و يعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير التي تقلب صور الأجساد بما فيه من الروح و ينظر إلى ميكائيل و إبراهيم ع فيجد عندهما علم الأرزاق و ما يكون به التغذي للصور و الأرواح و بما ذا يكون بقاؤها و يقف على كون الإكسير غذاء مخصوصا لذلك الجسد الذي يرده ذهبا أو فضة بعد ما كان حديدا أو نحاسا و هو صحة ذلك الجسم و إزالة مرضه الذي كان قد دخل عليه في معدنه فصيره حديدا أو غير ذلك و كل هذا من هذه الحضرة يعلمه ثم ينظر إلى رضوان و مالك فيجد عندهما علم السعادة و الشقاء و الجنة و درجاتها و جهنم و دركاتها و هو علم المراتب في الوعد و الوعيد و يعلم حقيقة ما تعطي كل واحدة منهما و إذا علم هذا كله علم العرش و حملته و ما تحت إحاطته و هو منتهى الأجسام و ليس وراءه جسم مركب ذو شكل و مقدار فإذا علم هذا كله عرج به معراجا آخر معنويا في غير صورة متخيلة إلى مرتبة المقادير فيعلم منها كميات الأشياء الجسمية و أوزانها في الأجسام المقدرة من المحيط إلى التراب و ما فيهن و ما بينهن من أصناف العالم الذين هم عمار هذه الأمكنة ثم ينتقل إلى علم الجوهر المظلم الكل الذي لا جزء له و لا صورة فيه و هو غيب كل ما وراءه من العالم و منه ظهرت هذه الأنوار و الضياءات في عالم الأجسام و هي الأنوار المركبة سلخت من هذا الجوهر فبقي مظلما كما سلخ النهار من الليل فبانت الظلمة و هذا هو أصل الظلمة في العالم و أصل العالم في الأحكام الناموسية

ثم ينتقل من هذا المقام إلى حضرة الطبيعة البسيطة فيعلم حكمها في الأجسام مطلقا من اختلاف تركيباتها و أحوالها و من أين وقع الغلط لبعض الطبيعيين فيما غلطوا فيه من العلم بأحكامها و ذلك لجهلهم بالعلم بذاتها فصاحب هذا الكشف يعلم ذلك كله ثم ينتقل من النظر في ذلك إلى شهود اللوح المحفوظ و هو الموجود الانبعاثي عن القلم و قد رقم الله فيه ما شاءه من الكوائن في العالم فيعلم هذا التالي لما في هذا اللوح علم القوتين و هما علم العلم و علم العمل و يعلم الانفعالات الانبعاثية و من كون هذا الروح لوحا يعلم ما سطره فيه من سماه لوحا بالقلم الإلهي مما أملاه الحق عليه و كتابته فيه نقش صور المعلومات التي يجر بها الله في العالم في الدنيا إلى يوم القيامة خاصة و هي علوم محصورة مسطرة صورا كصور الحروف المرقومة في الألواح و الكتب المسماة كلمات و عدد أمهاتها ما يكون من ضرب درجات الفلك في مثلها سواء من غير زيادة و لا نقصان و من هنا جعل الله في الفلك الذي تقطع فيه الكواكب بسباحتها ثلاثمائة درجة و ستين درجة و فيها انحصرت السنة في الدار الدنيا بسباحة الشمس و القمر قال تعالى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ و تتكرر بالسنين من أول وجودها و ما هو تكرار على الحقيقة إلى أن ينتهي إلى قدر ما خرج من ضرب الثلاثمائة و الستين في مثلها من السنين يكون عمر عالم الدنيا ثم يملي أمرا آخر و علوما تختص بالقيامة و بالموازين أيضا إلى أجل مسمى بتميز في الدارين و هو انتهاء مدة الانتقام على أهل دار الشقاء خاصة ثم يستأنف فيه كتابة العذاب في هذه الدار مع الخلود الدائم في الدارين لأهلها غير أنه لا بد مهما كانت الكتابة أن تجري إلى أجل مسمى لاستحالة دخول ما لا يتناهى في الوجود ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام إلى و أوحى إلى من أوحى إليهم أَلَّا تَتَّخِذُوا من دُونِي وَكِيلًا يقول لهم فالصحبة تطلب أعيان الأغيار ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى من ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا و المعية صحبة عامة و الخلة صحبة خاصة و سيرد بابها إن شاء الله غير إن في الصحبة أمرا يتعذر من وجه في الجناب الإلهي و هو المناسبة و المشاكلة إما من كل وجه و إما من أكثر الوجوه و لا مناسبة كما يرد في باب مقام ترك الصحبة فلا صحبة و قد وردت الصحبة فلا بد لها من وجه يستدعيها فإنه إخبار إلهي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ فلا تثبت الصحبة إلا إذا لم تأخذ في حدها الكفاءة فإذا أزلت الكفاءة في الصحبة ثبتت الصحبة في الجناب الإلهي فهو تعالى يصحبنا في كل حال نكون عليه و نحن لا نصحبه إلا في الوقوف عند حدوده فما نصحب على الحقيقة إلا أحكامه لا هو فهو معنا ما نحن معه لأنه يعرفنا و نحن لا نعرفه لذا أتى يصحبنا و لم يجيء نصحبه فإنه يحفظنا له لا لنا من هذه الحقيقة نطلبه لنا لا له فإن طالبنا طالبناه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فشرع تعالى لنا ما شرع فقال من عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ و هو قولنا نطلبه لنا لا له و قال فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ تحقيقا لطلبنا إياه لنا لا له و حقيقة طلبه إيانا له لا لنا قوله تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأوجدنا له لا لنا فطلبناه

لنا لا له بما خلقنا له ف الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ فأمر الصحبة عظيم و شأنها كبير و ما يرعاها إلا الأكابر و أحسن ما بلغني في رعى حقها و القيام به ما حكي عن الحجاج رحمه الله أنه أمر بضرب عنق شخص فقال لي أمر نحب أن أذكره للأمير قبل أن يقتلني فقال له الحجاج قل قال أيها الأمير لا أحب أن أقوله لك إلا حتى تتركني مكتوفا بحالي أمشي معك في إيوانك هذا من أوله إلى آخره و ما على الأمير في ذلك من بأس و لا يحول ذلك بينه و بين ما يريده مني و يقضي لي بهذا حاجة فقال لحاجبه أصعد به إلي و قام الحجاج يسايره في الإيوان و يصغي إليه ليرى ما ذا يقول له فلما بلغ معه إلى آخر الإيوان و عاد إلى مكانه قال أيها الأمير إن الكريم يراعي حق صحبة ساعة و قد صحبني الأمير و صحبته في هذه المشية و الأمير أولى من رعى حق الصحبة فقال الحجاج خلوا سبيله فو الله لقد صدق و لقد نبه عاقلا فلو قتلته لكنت ألأم الناس ثم أمر أن يجزل له في الأعطية و خيره في صحبته و الإقامة عنده فما أدري بعد ذلك هل أقام عنده أم لا فهذا من حسن ما يسمع في حق الصحبة من الوفاء به و الرعاية هذا من الحجاج فلا بد لعبيد الله أن يخلصوا مع الله نفسا واحدا يصح به إطلاق الصحبة مع الله فلا بد أن يرعى الله حق ذلك النفس و أما صحبة أهل الله بعضهم مع بعض أو صحبتهم للخلق أو صحبة الخلق إياهم فهم يطالبون أنفسهم بحق ما يجب للصاحب على الصاحب فإن كان عين الحق له حقا عنده لزمه الوفاء به امتثالا لأمر سيده و وقوفا عند حده و إن كان لم يأته في ذلك أمر و أبيح له و جعل له الاختيار في ذلك فليرجح مع صاحبه مكارم الخلق بترك غرضه و عمله لغرض صاحبه ما لم يسخط الله في واجب معين فصحبة الله أولى و كذلك في صحبة غير الأشكال و غير الجنس مثل صحبته لما يملكه من الدواب و الأشجار و ما يصحبه من ذلك و إن لم يملكه فإن رأى شجرة ذابلة لاحتياجها إلى الماء و إن لم يكن مالكها حاضرا و قدر على سقيها في صحبة تلك الساعة حيث استظل بها أو استند إليها طلبا لراحة من تعب أو وقف عندها ساعة لشغل طرأ له فهذه كلها صحبة و هو قادر على الماء فتعين عليه رعى حق الصحبة أن يسقيها لذلك لا لأجل صاحبها و لا طمعا فيما تثمر سواء أثمرت أو لم تثمر أو كانت مملوكة أو مباحة و كذلك الحيوانات المؤذية و غير المؤذية فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر و قد وردت في ذلك أخبار نبوية من سقى البغي الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها و كوالي بخارى و كان ظالما فوهبه الله لكلب أحسن في صحبته ثلاثة أيام فنودي كنت كلبا فوهبناك لكلب

(الباب الحادي و السبعون و مائة في معرفة مقام ترك الصحبة)

من ترك الصحبة فهو الذي يراه من قيده الجاهل

و صحبة الحق على كنهه يحيلها العالم و العاقل

فهو مع العالم في أينه و ما له أين و لا حامل

فانظر إلى الحكمة في قوله إني مع الأكوان يا غافل

مشاهدة القلم الأعلى فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية و من هنالك هو ابتداء مرتبة الخلافة و النيابة و من هناك دونت الدواوين و ظهر سلطان الاسم المدبر و المفصل و هو قوله يدبر الأمر يفصل الآيات و هذا هو علم القلم و يشاهد تحريك اليمنى إياه التحريك المعنوي اللطيف و من أين يستمد و أنه من ذاته له علم الإجمال و التفصيل و التفصيل يظهر بالتسطير و هو عين ذواته فلا افتقا ر له إلى معلم يستمد منه سوى خالقه عز و جل و كتابته نقش و لهذا تثبت فلا تقبل المحو و بهذا سمي اللوح بالمحفوظ يعني عن المحو فلو كانت كتابته مثل الكتابة بالمداد قبلت المحو كما يقبله لوح المحو في عالم الكون بالقلم المختص به الذي هو بين أصبعي الرحمن فيفرق من هذا المشهد بين الأقلام و الألواح و أنواع الكتبة و يعلم علم الأحكام و الإحكام و من هنا يعلم أنه لم يبق في الإمكان ما ينبغي أن يكون دليلا على الله إلا و قد ظهر من كونه دليلا و إن كثرت الأدلة فيجمعها كمالية الدلالة خاصة ثم ينظر عن يمين هذا المشهد فينظر إلى عالم الهيمان و هو العالم المخلوق من العماء ثم ينتقل إلى العماء و هو مستوي الاسم الرب كما كان العرش مستوي الرحمن و العماء هو أول الأينيات و منه ظهرت الظروف المكانيات و المراتب فيمن لم يقبل المكان و قبل المكانة و منه ظهرت المحال القابلة للمعاني الجسمانية حسا و خيالا و هو موجود شريف الحق معناه و هو الحق المخلوق به كل موجود سوى الله و هو المعنى الذي ثبتت فيه و استقرت أعيان الممكنات و يقبل حقيقة الأين و ظرفية المكان و رتبة المكانة و اسم المحل و من عالم الأرض إلى هذا العماء ليس فيها من أسماء الله سوى أسماء الأفعال خاصة ليس لغيرها أثر في كون مما بينهما من العالم المعقول و المحسوس غير إن صاحب التابع الذي هو صاحب النظر لما تركه صاحبه بالسماء السابعة و رحل عنه امتدت منه رقيقة على غير معراج التابع ظهرت للتابع في الفلك المكوكب و فقدها في الجنة ثم ظهرت له في فلك البروج ثم فقدها أيضا في الكرسي و في العرش ثم ظهر له في مرتبة المقادير و في الجوهر المظلم ثم فقده في الطبيعة ثم ظهر له في النفس من جهة كونها نفسا لا من جهة كونها لوحا ثم ظهر له في العقل الإبداعي من كونه عقلا لا من كونه قلما ثم فارقه بعد ذلك فلم ير له عينا و من هذا العماء يبتدئ بالترقي و المعراج في أسماء التنزيه إلى أن يصل إلى الحضرة التي يشهد فيها إن التنزيه يحده و يشير إليه و يقيده و يستشرف على العالم بأسره المعنوي و الروحاني و الجسمي و الجسماني فلا يجد في مشهده ذلك ما ينبغي أن ينزه عنه من ظهر فيه و يرى ارتباطه به ارتباط المرتبة بصاحبها فلا يتمكن له التنزيه الذي كان يتخيله و لا يتمكن له التشبيه فإنه ليس ثم

بمن فما ثم إلا الله لا شيء غير و ما ثم إلا وحدة الوحدات

ثم فارق أسماء الأفعال و تسلمته أسماء التنزيه فرأى صاحبه صاحب النظر يوافقه إلى أن وصل إلى الحضرة التي لا تقبل التنزيه و لا التشبيه فيتنزه عن الحد بنفي التنزيه و عن المقدار بنفي التشبيه فيفقد رفيقه صاحب النظر هنالك ثم ينقلب يطلب ما منه خرج فسلك به الحق تعالى طريقا غير طريقه الأولى و هو طريق لا يتمكن أن ينقال و لا يعرفه إلا من شاهده ذوقا و رجع صاحبه على معراجه ذلك إذ لم يكن تابعا إلى أن وصل إلى جسده فاجتمع مع رفيقه فبادر من حينه صاحب النظر إلى الرسول إن كان حاضرا أو لوارثه فيبايعه بيعة الايمان و الرضوان عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ و آية من نفسه و تلاه شاهِدٌ مِنْهُ و هو التابع فآمن بالله من حيث ما شرع له الايمان به لا من حيث دليله فوجد عنده و في قلبه نورا لم يكن يجده قبل ذلك فرأى في اللمحة الواحدة و هو في مكانه بذلك النور جميع ما رآه مع التابع في معراجه الأول و لم يقف بل ترقي مرقى التابع حتى بلغ العماء و الغاية القصوى و رأى الشيء في الأشياء و رأى وجوب وجود ما أحال وجوده فكرة و عقلا و هو في مكانه ذلك لم يبرح و أعطى إكسير التكوين و رأى حشر الأجساد من طور إلى طور باختلاف حكم و لاختلاف دور فتغيرت الأشكال و تقلبت الأحوال و رأى ما قلناه في مثل ذلك

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ حقيقة تصورت
فمن لها بها لها إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
تطلب بانكدارها جبال صخر سيرت
تنظر في تسييرها جحيم نار سعرت
سعرها موقدها لجنة قد أزلفت
يدخلها طائفة من قبرها قد بعثرت
قلت لها ما تبتغي قالت وحوش حشرت
و إن ترى نفسي ما قد قدمت و أخرت

و لما أسلم صاحب النظر و آمن و رأى من مقامه جميع ما رآه التابع في معراجه مشاهدة عين سأل أن يرى مقام المجرمين و هم المستحقون تلك الدار التي دخلوها بحكم الاستحقاق و علموا إن العلم أشرف حلة و أن الجهل أقبح حلية و أن جهنم ليست بدار لشيء من الخير كما إن الجنة ليست بدار لشيء من الشر و رأى الايمان قد قام بقلب من لا علم له بما ينبغي لجلال الله و رأى العلم بجلال الله و ما ينبغي له قد قام بمن ليس عنده شيء من الايمان و هذا العالم بعدم الايمان قد استحق دار الشقاء «و إن الجاهل» المؤمن قد استحق بالإيمان

دار السعادة و الدرجات في مقابلة الدركات فسلب هذا العالم المستحق دار الشقاء علمه حتى كأنه ما علمه أو لم يعلم شيئا فيتعذب بجهله أشد منه من عذابه بجسمه و هو أشده عليه فخلع علمه على هذا الجاهل المؤمن الذي دخل الجنة بإيمانه فنال المؤمن بذلك العلم الذي خلع عن هذا الذي استحق الإقامة بدار الشقاء درجة ما يطلبه ذلك العلم فيتنعم به نفسا و جسما و في الكثيب عند الرؤية و يعطي ذلك الكافر جهل هذا المؤمن الجاهل فينال بذلك الجهل درك ذلك من النار و تلك أشد حسرة تمر عليه فإنه يتذكر ما كان عليه من العلم و لا يعلم ذلك الآن و يعلم أنه سلبه و يكشف الله عن بصره حتى يرى مرتبة العلم الذي كان عليه في الجنان و يرى حلة علمه على غيره ممن لم يتعب في تحصيله و يطلب شيئا منه في نفسه فلا يقدر عليه و ينظر هذا المؤمن و يطلع على سواء الجحيم فيرى شر جهله على ذلك العالم الذي ليس بمؤمن فيزيد نعيما و فرحا فما أعظمها من حسرة و اتفق لي في هذه المسألة عجبا و ذلك أن بعض علماء الفلاسفة سمع مني هذه المقالة فربما أحالها في نفسه أو استخف عقلي في ذلك فاطلعه الله بكشف لم يشك فيه في نفسه بحيث أن تحقق الأمر على ما قلناه فدخل علي باكيا على نفسه و تفريطه و كانت لي معه صحبة فذكر لي الأمر و أناب و استدرك الفائت و آمن و قال لي ما رأيت أشد منها حسرة و تحقق قوله تعالى إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ من الْجاهِلِينَ و قوله فَلا تَكُونَنَّ من الْجاهِلِينَ فهذا قد جمع بين خطاب لطف و لين و عنف و شدة لأن الواحد شيخ فخاطبه باللطف و الآخر شاب فخاطبه بالشدة نفعنا الله بالعلم و جعلنا من أهله و لا يجعلنا ممن يسعى بخيره في حق غيره و يشقى آمين بعزته انتهى الجزء الثامن و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الباب الثامن و الستون و مائة في معرفة مقام الأدب و أسراره»

إن الأديب هو الحكيم لأنه ... مجموع خير و المساب مجمع

فإذا رأيت نعوته في خلقه ... كنها ففيك لكل نعت موضع

لا ترعوي عنها فأنت من أهلها ... و الحق يعطي ما يشاء و يمنع

أدباء أهل الله خير كلهم ... فلذاك تبصرها تضر و تنفع

مثل الإساءة يرى العليل صنيعهم ... حسنا و تكره نفسه ما يصنع

اعلم أيدك الله أن الله يقول وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فالأديب إمعة لما عنده من السعة فهو مع كل مقام بحسب ذلك المقام و مع كل حال بحسب ذلك الحال و مع كل خلق و مع كل غرض فالأديب هو الجامع لمكارم الأخلاق و العليم بسفسافها لا يتصف بها بل هو جامع

لمراتب العلوم محمودها و مذمومها لأنه ما من شيء إلا و العلم به أولى من الجهل به عند كل عاقل فالأدب جماع الخير و هو ينقسم إلى أربعة أقسام في اصطلاح أهل الله «القسم الأول» أدب الشريعة و هو الأدب الإلهي الذي يتولى الله تعليمه بالوحي و الإلهام به أدب نبيه ص و به أدبنا نبيه ص فهم المؤدبون المؤدبون قال رسول الله ص إن الله أدبني فأحسن أدبي «و القسم الثاني» أدب الخدمة و هو ما اصطلحت عليه الملوك في خدمة خدمها و ملك أهل الله هو الله فقد شرع لنا كيفية الأدب في خدمته و هو معاملتنا إياه فيما يختص به دون معاملة خلقه فهو خصوص في أدب الشريعة لأن حكم الشريعة يتعلق بما هو حق لله و بما هو حق للخلق «و القسم الثالث» أدب الحق و هو الأدب مع الحق في اتباعه عند من يظهر عنده و يحكم به فترجع إليه و تقبله و لا ترده و لا تحملك الأنفة إن كنت ذا كبر في السن أو المرتبة و ظهر الحق عند من هو أصغر منك سنا أو قدرا أو ظهر الحق عند معتوه تأدبت معه و أخذته عنه و اعترفت بفضله عليك فيه هذا هو الانصاف و ما رأيت من تحقق بهذا خلقا في عمري إلا سيد واحد يقال له أبو عبد الله ابن جبير لقيته بمدينة سبتة و قصر كتامة و هو جزء من آداب الشريعة فإن أدب الشريعة هو الأم لباقي الأقسام «و القسم الرابع» أدب الحقيقة و هو ترك الأدب بفنائك و ردك ذلك كله إلى الله و سيأتي في الباب الذي يلي هذا الباب و هو في المقامات كالوهب في أصناف العطاء و هو أن يعطي لينعم لا لسبب آخر و كذا المأدبة الاجتماع على طعام ماله سبب إلا الدعوة إليه خاصة من غير تقييد من صفة وليمة أو ختان أو ضيافة أو عقيقة و غير ذلك و كذا جامع الخير لا لسبب بل لكون جامع ذلك له نفس فاضلة خيرة بالذات فذلك هو الأديب و للأدب حال و مقام و هذا باب معرفة مقامه فمقامه هو ما يثبت له دائما و ليس ذلك إلا الأدب مع الحق فإنه له الدوام في الدنيا و الآخرة و ما فاز به إلا أهل الفتوة من الملامية لا غير سلكوا فيه كل مسلك و استخرجوا كنوزه و حصلوا فوائده كما قال الله تعالى إنه ما خلق السموات و هو كل عالم علوي و الأرض و هو كل عالم سفلي السماء من عالم الصلاح و الأرض من عالم الفساد و منه اشتقت اسم الأرضة لما تفسده في الثياب و الورق و الخشب و يسمى أيضا السوس و العث و ما بينهما إلا بالحق من العالم فهذا الحق المخلوق به هذا العالم هو الذي تتأدب معه فإنه سبب وجود أعيان العالم و به يحكم الله يوم القيامة بين عباده و في عباده و به أنزل الشرائع فقال لرسوله داود يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى و إن كان مخلوقا بالحق فإنه مما بين السماء و الأرض أو هو عين الأرض فمقام الأدب العمل بالحق و الوقوف عند الحق و إياك أن تتوهم من هذا القول إن الصدق هو الحق من حيث إنك تقول قال حقا إذا صدق في قوله و قال صدقا بل الحق حاكم على الصدق و على الكذب بالحسن و القبح فالحق في موطن يحمد الصدق و في موطن يذمه و ينهى عنه و يثني على الكذب الذي هو ضده و يحرض عليه و يوجب العمل به و في موطن آخر يذم الكذب و ينهى عنه و يحمد

الصدق و يأمر به و هذا مقام الأدب الذي ينفع صاحبه في كل موطن فألزمه و تتبع مواضعه و دلائله في الشرائع و في أفعال الرسول المتأسي بها لا غير لا ما اختص به فإنه ليس بأدب مع الحق «و أما مقام» أدب الخدمة فهو أن يعطي ذات المخدوم كان ما كان ما تستحقه من حيث عينها خاصة و هو أن تقف مع ما تطلبه بذاتها فتبادر إليه من قبل أن تأمرك به أو تساءلك فيه حتى لا يظهر عليها ذلة المسألة و لو كان أكبر منك و سالك في أمر فهو من حيث سؤاله إياك في ذلك الأمر أن تفعله إظهار حاجة إليك و لو عادت عليك منفعته و لكن مقام السؤال يقتضي ذلك فمقام أدب الخدمة الحضور دائما مع كل ذات مشهودة لك تنظر فيما تستحقه بما يعطيه الزمان أو المكان أو الحال فتقوم لها بذلك من غير سؤال و لا تنبه من أحد سوى حضورك فهذا مقام أدب الخدمة «و أما مقام» أدب الشريعة فهو أن تقوم بأمرها خاصة لا بما تعطيك ذاتها إلا إن أمرتك بذلك فيكون قيامك بما تعطيك ذاتها من حيث أمرها لا غير قال تعالى وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ و كل خدمة عن أمر فمن أدب الشريعة لا من أدب الخدمة «و أما مقام» أدب الحقيقة فإنا نذكره إن شاء الله و من أدب الشريعة أخذك لأحكامها المشروعة و الوقوف عند رسومها و حدودها و اتصافك بها لمجرد الخدمة و الاشتغال لا لتحلية النفس بالعلم بها دون العمل و من آداب الخدمة أن لا يشغلك و لا يبعثك عليها ما تنتجه لك من المخدوم من القبول و ملاحظات التأميل فإن شغلك ذلك فما خدمت سوى غرضك و نفسك و من آداب الحق أن لا يتعدى علمك في الأشياء علمه فيها و هو الموافقة و إن أعطاك علمك خلاف ذلك و لا سيما فيما أضافه الحق إلى الخلق من الأعمال فأضفها أنت إلى من أضافها الله و اترك علمك لعلمه فإنه العليم و أنت العالم و هو الصادق فيما يخبر فما أضاف أمرا إلى من أضافه إلا و ينبغي لذلك المضاف إليه تلك الإضافة فلا ترجح علمك على علمه من حيث قيام الدليل لك على أنه لا فاعل إلا الله فليس هذا من الأدب فصاحب الموافقة له كل تجل و شهود فاعلم ذلك

«الباب التاسع و الستون و مائة في معرفة مقام ترك الأدب و أسراره»

أضف الأمور إلى الإله جميعها و إذا فعلت فلا يقال أديب

نسب الخليل إليه علة نفسه و شفاءها لله و هو مصيب

و كذاك أستاذ المكلم عند ما خرق السفينة و الجدار عجيب

فالعبد إن نظر الأمور بنفسه تبصره يخطئ تارة و يصيب

فانظر بربك في الأمور فإنه فيها فتحضر تارة و تغيب

قال تعالى آمرا قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ فما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً في معرض الذم لهم أي هو الذي حسن الحسن و قبح القبيح و قال تعالى مخبرا كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ من عَطاءِ رَبِّكَ و ذكر المذموم و المحمود و قال تعالى فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها ذلك الأول في الباطن فإنه في الإرادة و هذا في الظاهر إذ لا يعتبر إلا بعد الوقوع فالتارك للأدب أديب من حيث لا يعلم فإنه مع الكشف و بحكمه لا مع الذي هم المحجوبون فيه فهو يعاين علم الله في جريان المقادير قبل وقوعها فيبادر إليها فينطلق عليه بلسان الموطن أنه غير أديب مع الحق فإنه مخالف بل هذا هو غاية الأدب مع الحق و لكن أكثر الناس لا يشعرون و منهم من يقام في الإدلال كعبد القادر الجيلي ببغداد سيد وقته و منهم من يكون وقته في ذلك كنت سمعه و بصره و الأدب يستدعي الغير و ثم مقام يفني الأغيار فيزول الأدب لأنه ما ثم مع من و أما بلسان عامة الطريق و خواص أكثرهم فإن مقام ترك الأدب مع الحقيقة هو الواقع المشروع في العموم و الخصوص و هو مقام جليل لا يقف معه إلا الذكران من أهل الله و فحول أصحاب المقامات لا أصحاب الأحوال و القرآن كله نزل في هذا المقام إلا آيات مفردات قد ذكرناها في أول الباب و ما يحار في هذا المقام إلا رجلان مكاشف به و مشاهد له فالحقيقة تطلبه و الحق الموضوع يطلبه و الأدب مع أحدهما ترك الأدب مع الآخر و حصلت أنت في مقام الترجيح و ليس لك ذلك فمن الرجال من يترك أدب الحق الموضوع من اعتقاده و باطنه و يترك أدب الحقيقة من ظاهره و يكون أديبا مع الحق في ظاهره غير أديب مع الحقيقة في ظاهره و يكون أديبا مع الحقيقة في باطنه غير أديب مع الحق في باطنه لما رأوا أن النجاة في ذلك و السعادة و إن عكس الأمر شقاء فهو يطرد و لا ينعكس و ثم طائفة تقول إن الأدب مع الحق الذي هو الشرع أدب مع الحقيقة فمن تركه هنا تركه هنا و لا يعرفون من وجه و ذلك لأن الحق المشروع بين الأمر الذي لأجله حكم بالمنع فقال و من غيرته حرم الفواحش لا أنه جعلها فواحش بالتحريم و هذا المذهب أدخل في باب الحكمة و مذهب المخالف أدخل في أحدية العين و لهذا المقام رجال و لمخالفه رجال و بالجملة فهو موضع حيرة لا يخلص لهؤلاء من جميع الوجوه و لا لهؤلاء من جميع الوجوه فإن الإخبارات الإلهية أكثرها تعارض الأدلة العقلية في هذا الباب و أية حيرة أعظم من هذه الحيرة و هذا هو المتشابه الذي ينبغي أن يقول فيه من لم يطلعه الله على العلم به آمنا به كُلٌّ من عِنْدِ رَبِّنا و لكن ما يتذكر ذلك إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ و هم الآخذون بلب العقل لا بقشره وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السبعون و مائة في معرفة مقام الصحبة و أسراره»

صحبة الله بالأدب صحبة الله في السبب

صحبة الكون كله بالذي فيه من نسب

فإذا ما علمت ذا أجل إن شئت في الطلب

لم يزل كل من يرى صحبة الحق في تعب

ذل من يصحب الإله على صحة النسب

اعلم أن الصحبة نعت إلهي للخبر الوارد أنت الصاحب في السفر يقول النبي ص في سفره لله و الخليفة في الأهل كما جعل الله الرسول خليفة في العالم جعله العالم إذا فارقوا أهلهم خليفة في أهلهم و هو قوله فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا و أوحى إلى من أوحى إليهم أَلَّا تَتَّخِذُوا من دُونِي وَكِيلًا يقول لهم فالصحبة تطلب أعيان الأغيار ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى من ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا و المعية صحبة عامة و الخلة صحبة خاصة و سيرد بابها إن شاء الله غير إن في الصحبة أمرا يتعذر من وجه في الجناب الإلهي و هو المناسبة و المشاكلة إما من كل وجه و إما من أكثر الوجوه و لا مناسبة كما يرد في باب مقام ترك الصحبة فلا صحبة و قد وردت الصحبة فلا بد لها من وجه يستدعيها فإنه إخبار إلهي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ فلا تثبت الصحبة إلا إذا لم تأخذ في حدها الكفاءة فإذا أزلت الكفاءة في الصحبة ثبتت الصحبة في الجناب الإلهي فهو تعالى يصحبنا في كل حال نكون عليه و نحن لا نصحبه إلا في الوقوف عند حدوده فما نصحب على الحقيقة إلا أحكامه لا هو فهو معنا ما نحن معه لأنه يعرفنا و نحن لا نعرفه لذا أتى يصحبنا و لم يجيء نصحبه فإنه يحفظنا له لا لنا من هذه الحقيقة نطلبه لنا لا له فإن طالبنا طالبناه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فشرع تعالى لنا ما شرع فقال من عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ و هو قولنا نطلبه لنا لا له و قال فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ تحقيقا لطلبنا إياه لنا لا له و حقيقة طلبه إيانا له لا لنا قوله تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأوجدنا له لا لنا فطلبناه لنا لا له بما خلقنا له ف الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ فأمر الصحبة عظيم و شأنها كبير و ما يرعاها إلا الأكابر و أحسن ما بلغني في رعى حقها و القيام به ما حكي عن الحجاج رحمه الله أنه أمر بضرب عنق شخص فقال لي أمر نحب أن أذكره للأمير قبل أن يقتلني فقال له الحجاج قل قال أيها الأمير لا أحب أن أقوله لك إلا حتى تتركني مكتوفا بحالي أمشي معك في إيوانك هذا من أوله إلى آخره و ما على الأمير في ذلك من بأس و لا يحول ذلك بينه و بين ما يريده مني و يقضي لي بهذا حاجة فقال لحاجبه أصعد به إلي و قام الحجاج يسايره في الإيوان و يصغي إليه ليرى ما ذا يقول له فلما بلغ معه إلى آخر الإيوان و عاد إلى مكانه قال أيها الأمير إن الكريم يراعي حق صحبة ساعة و قد صحبني الأمير و صحبته في هذه المشية و الأمير أولى من رعى حق الصحبة فقال الحجاج خلوا سبيله فو الله لقد صدق و لقد نبه عاقلا فلو قتلته لكنت ألأم الناس ثم أمر أن يجزل له في الأعطية و خيره في صحبته و الإقامة عنده فما أدري بعد ذلك هل أقام عنده أم لا فهذا من حسن ما

يسمع في حق الصحبة من الوفاء به و الرعاية هذا من الحجاج فلا بد لعبيد الله أن يخلصوا مع الله نفسا واحدا يصح به إطلاق الصحبة مع الله فلا بد أن يرعى الله حق ذلك النفس و أما صحبة أهل الله بعضهم مع بعض أو صحبتهم للخلق أو صحبة الخلق إياهم فهم يطالبون أنفسهم بحق ما يجب للصاحب على الصاحب فإن كان عين الحق له حقا عنده لزمه الوفاء به امتثالا لأمر سيده و وقوفا عند حده و إن كان لم يأته في ذلك أمر و أبيح له و جعل له الاختيار في ذلك فليرجح مع صاحبه مكارم الخلق بترك غرضه و عمله لغرض صاحبه ما لم يسخط الله في واجب معين فصحبة الله أولى و كذلك في صحبة غير الأشكال و غير الجنس مثل صحبته لما يملكه من الدواب و الأشجار و ما يصحبه من ذلك و إن لم يملكه فإن رأى شجرة ذابلة لاحتياجها إلى الماء و إن لم يكن مالكها حاضرا و قدر على سقيها في صحبة تلك الساعة حيث استظل بها أو استند إليها طلبا لراحة من تعب أو وقف عندها ساعة لشغل طرأ له فهذه كلها صحبة و هو قادر على الماء فتعين عليه رعى حق الصحبة أن يسقيها لذلك لا لأجل صاحبها و لا طمعا فيما تثمر سواء أثمرت أو لم تثمر أو كانت مملوكة أو مباحة و كذلك الحيوانات المؤذية و غير المؤذية فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر و قد وردت في ذلك أخبار نبوية من سقى البغي الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها و كوالي بخارى و كان ظالما فوهبه الله لكلب أحسن في صحبته ثلاثة أيام فنودي كنت كلبا فوهبناك لكلب

(الباب الحادي و السبعون و مائة في معرفة مقام ترك الصحبة)

من ترك الصحبة فهو الذي ... يراه من قيده الجاهل
و صحبة الحق على كنهه ... يحيلها العالم و العاقل
فهو مع العالم في أينه ... و ما له أين و لا حامل
فانظر إلى الحكمة في قوله ... إني مع الأكوان يا غافل
هل هو بالذات على حكم من ... يراه أو بالوصف يا عاقل

اعلم أيدك الله لما كانت الصحبة تطلب المناسب و هو يقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و دليل العقل يقضي به فله السيادة و العالم عبيد فخدمة لا صحبة و إنما امتنعت الصحبة من الطرف الواحد و صحت من الطرف الآخر لما نذكره فالحق ليس بصاحب لا حد من المخلوقين إلا بالصحبة التي أرادها الشارع في قوله أنت الصاحب في السفر بذلك المعنى كما اتخذناه وكيلا فيما هو ملكه و لأنه الفعال لما يريد كما قال ما يكون فعالا لما تريد أنت إلا إن توافق إرادتك إرادته وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ أن تشاءوا فمن حيث إنه أراد فعل لا من حيث

إنك أردت و الصاحب من يترك إرادته لإرادة صاحبه و هذا في جناب الحق محال فلا يصحب الرب إلا ربوبيته لكن يصحبه العالم لصحة هذا الشرط منه فمن صحبه من العالم ترك إرادته و غرضه و محابه و مراضيه لإرادة سيده و إن كره ذلك العبد فإن دعواه في الصحبة تجعله أن يوافق و يحمل ذلك و كذلك النبي لا يصحب إلا نبوته فإنه لا يتمكن للنبي أن يكون مع صاحبه بحيث ما يريد صاحبه منه و إنما هو مع ما يوحى إليه به لا يفعل إلا بحسبه فيصحب و لا يصحب و لهذا ليست الصحبة فعل فاعلين و كذلك الملك لا يصحب سوى ملكه فيصحب أيضا و لا يصحب فإن الناس مع الرسول في صحبتهم بحكم ما يشرع لهم ما هم بحكم إرادتهم برهانه فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً فلذلك صحبوه و ما صحبهم و الورثة أهل الإلقاء الإلهي يصحبون و لا يصحبون فإنهم مع ما يلقي الله إليهم كتقرير حكم المجتهد يحرم عليه العدول عنه فلا يصحب مؤمن مؤمنا أبدا لأنه لا يمكن له الوفاء معه على الإطلاق بحق الصحبة فإن المؤمن تحت حكم شرعه قال رسول الله ص لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فالمحكوم عليه لا يمكن أن يكون صاحبا لأحد كالعبد لا يتمكن له أن يصحب غير سيده لأنه ما هو بحكم نفسه فيمشي على أغراض صاحبه بل هو بحكم سيده فالصحبة لا تصح إلا من الطرف الواحد و هو الأدنى و قد نبهناك فاعلم وقف عند حدك حتى تعلم أنك صاحب أو مصحوب فاعمل بحسب ذلك و الكامل من لا يزال صاحبا أبدا

(الباب الثاني و السبعون و مائة في معرفة مقام التوحيد)

دمية في القلب قد نصبت ما لها روح و لا جسد
كتبت فيه عقيدتها بمداد كله جسد
أحد ما مثله أحد بجمال النعت منفرد
مصدر الأكوان حضرته و هو لا شفع و لا عدد
الذي قام الوجود به أمرنا عليه ينعقد
و أنا العبد الفقير به و هو المحسان و الصمد
فأعجبوا من حكمة وجدت نعم و الرحمن ما وجدوا
حكمة تحوي على حكم نالها الحساد إذ حسدوا
أبد يعنو إلى أزل أزل يمده الأبد

كل من يجري إلى أمد سيرى و ما له أمد

هكذا التوحيد فاعتبروا واحد في واحد أحد

اعلم أن التوحيد التعمل في حصول العلم في نفس الإنسان أو الطالب بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته و الوحدة صفة الحق و الاسم منه الأحد و الواحد و أما الوحدانية فقيام الوحدة بالواحد من حيث إنها لا تعقل إلا بقيامها بالواحد و إن كانت نسبة و هي نسبة تنزيه فهذا معنى التوحيد كالتجريد و التفريد و هو التعمل في حصول الانفراد الذي إذا نسب إلى الموصوف به سمي الموصوف به فردا أو منفردا أو متفردا إذا سمي به فالتوحيد نسبة فعل من الموحد يحصل في نفس العالم به إن الله واحد قال تعالى لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و قد وجد الصلاح و هو بقاء العالم و وجوده فدل على أن الموجد له لو لم يكن واحدا ما صح وجود العالم هذا دليل الحق فيه على أحديته و طابق الدليل العقلي في ذلك و لو كان غير هذا من الأدلة أدل منه عليه لعدل إليه و جاء به و ما عرفنا بهذا و لا بالطريق إليه في الدلالة عليه و قد تكلف قوم الدلالة عليه بطريق آخر و قدحوا في هذه الدلالة فجمعوا بين الجهل فيما نصبه الحق دليلا على أحديته و بين سوء الأدب فأما جهلهم فكونهم ما عرفوا موضح الدلالة على توحيده في هذه الآية حتى قدحوا فيه و أما سوء الأدب فمعارضتهم بما دخلوا فيها بالأمور القادحة فجعلوا نظرهم في توحيده أتم في الدلالة مما دل به الحق على أحديته و ما ذهب إلى هذا إلا المتأخرون من المتكلمين الناظرين في هذا الشأن و أما المتقدمون كأبي حامد و إمام الحرمين و أبي إسحاق الأسفراييني و الشيخ أبي الحسن فما عرجوا عن هذه الدلالة و سعوا في تقريرها و أبانوا عن استقامتها أدبا مع الله تعالى و علما بموضع الدلالة منها و اعلم أن الكلام في توحيد الله من كونه إلها فرع عن إثبات وجوده و هذا باب التوحيد فلا حاجة لنا في إثبات الوجود فإنه ثابت عند الذي نازعنا في توحيده و أما إثبات وجوده فمدرك بضرورة العقل لوجود ترجيح الممكن بأحد الحكمين و لنا في توحيده طريقان الطريق الواحدة أن يقال للمشرك قد اجتمعنا في العلم بأن ثم مخصصا و قد ثبت عينه و أقل ما يكون واحدا فمن زاد على الواحد فليدل عليه فعليك بالدليل على ثبوت الزائد الذي جعلته شريكا فليكن الخصم هو الذي يتكلف إثبات ذلك و الطريقة الأخرى قوله تعالى لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا هذه مقدمة و المقدمة الأخرى السماء و الأرض و أعني بهما كل ما سوى الله ما فسدتا و هذه هي المقدمة الأخرى و الجامع بين المقدمتين و هو الرابط الفساد فانتجنا أحدية المخصص و هي المطلوب و إنما قلنا ذلك لأنه لو كان ثم إله زائد على الواحد لم يخل هذا الزائد إما أن يتفقا في الإرادة أو يختلفا و لو اتفقا فليس بمحال أن يفرض الخلاف لننظر من تنفذ إرادته منهما فإن اختلفا حقيقة أو فرضا في الإرادة فلا يخلو إما أن ينفذ في الممكن حكم إرادتهما معا و هو محال لأن الممكن لا يقبل الضدين و إما أن لا

ينفذ أو إما أن ينفذ حكم إرادة أحدهما دون الآخر فإن لم ينفذ حكم إرادتهما فليس واحد منهما بإله و قد وقع الترجيح فلا بد أن يكون أحدهما نافذ الإرادة و قصر الآخر عن تنفيذ إرادته فحصل العجز و الإله ليس بعاجز فالإله من نفذت إرادته و هو الله الواحد لا شريك له و هكذا استدل الخليل ع في الأقوال فأعطاه النظر أن الأفول يناقض حفظ العالم فالإله لا يتصف بالأفول أو الأفول حادث لطروه على الآفل بعد أن لم يكن آفلا و الإله لا يكون محلا للحوادث لبراهين أخر قريبة المأخذ و هذه الأنوار قد قبلت الأفول فليس واحد منها بإله و هذه بعينها طريقة قوله تعالى لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و كل دليل لا يرجع إلى هذا المعنى فلا يكون دليلا ثم قال الله تعالى في قصة إبراهيم هذه وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ و لم يكن له غير هذا فقوله حُجَّتُنا أي مثل حجتنا التي نصبناها دليلا على توحيدنا و هي قولنا لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و هذه الأدلة و أمثالها إنما المطلوب بها توحيد الله أي ما ثم إله آخر زائد على هذا الواحد و أما أحدية الذات في نفسها فلا تعرف لها ماهية حتى يحكم عليها لأنها لا تشبه شيئا من العالم و لا يشبهها شيء فلا يتعرض العاقل إلى الكلام في ذاته إلا بخبر من عنده و مع إتيان الخبر فإنا نجهل نسبة ذلك الحكم إليه لجهلنا به بل نؤمن به على ما قاله و على ما يعلمه فإن الدليل ما يقوم إلا على نفي التشبيه شرعا و عقلا فهذه طريقة قريبة عليها أكثر علماء النظر و أما الموحد بنور الايمان الزائد على نور العقل و هو الذي يعطي السعادة و هو نور لا يحصل عن دليل أصلا و إنما يكون عن عناية إلهية بمن وجد عنده و متعلقة صدق المخبر فيما أخبر به عن نفسه خاصة ليس متعلق الايمان أكثر من هذا فإن كشف متعلق الخبر فبنور آخر ليس نور الايمان لكن لا يفارقه نور الايمان و ذلك النور هو الذي يكشف له عن أحدية نفسه و أحدية كل موجود التي بها يتميز عن غيره سواء كانت ثم صفة يقع فيها الاشتراك أو لا يكون لا بد من أحدية تخصه يقع بها الامتياز له عن غيره فلما كشف للعبد هذا النور أحدية الموجودات علم قطعا بهذا النور ان الله تعالى له أحدية تخصه فأما أن تكون عينه فيكون أحدي الذات أحدي المرتبة و هي عينها و أما أن يكون أحدية المرتبة فيوافق الكشف الدليل النظري و يعلم قطعا أن الذات على أحدية تخصها هي عينها و هذا معنى قول أبي العتاهية

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

و تلك الآية أحدية كل معلوم سواء كان كثيرا أو غير كثير فإن للكثرة أحدية الكثرة لا تكون لغيرها البتة و الأحدية صفة تنزيه على الحقيقة فلا تكون بجعل جاعل كما يراه بعض أصحابنا فمن قال إنه وحد الواحد و يريد به ما يريد بالوحدة فليس بصحيح و إن أراد بقوله وحد الواحد و يعني به القبائل الثاني فهذا يصح و إنما الواحد من حيث عينه هو واحد لنفسه فأهل طريق الله رأوا أن التوحيد إذا ثبت أنه عين الشرك فإن الواحد لنفسه لا يكون واحدا بإثباتك إياه واحدا فما أنت أثبته بل هو ثابت لنفسه و أنت علمت أنه واحد لا

أنك أثبت أنه واحد فلهذا قال من أصحابنا قوله إذ كل من وحده جاحد لأن الواحد لا يوحد لأنه لا يقبل ذلك لأنه لو قبل ذلك لكان اثنين وحدته في نفسه و وحدة الموحد التي أثبتها له فيكون واحدا بنفسه و واحدا بإثبات الوحدة له من غيره فيكون ذا وحدتين فينتفي كونه واحدا و كل أمر لا يصح إثباته إلا بنفيه فلا يكون له ثبوت أصلا فالتوحيد على الحقيقة منا له سكوت خاصة ظاهرا و باطنا فمهما تكلم أوجد و إذا أوجد أشرك و السكون صفة عدمية فيبقى توحيد الوجود له و ما دخل الشرك في توحيده إلا بإيجاد الخلق لأن الخلق استدعى بحقائقه نسبا مختلفة تطلب الكثرة في الحكم و إن كانت العين واحدة فما طرأت الآفة في التوحيد إلا من الإيجاد فالتوحيد جنى على نفسه لم تجن عليه الموجودات و هذا هو علم التوحيد الوهبي الذي لا يدرك بالنظر الفكري و كل توحيد يعطيه النظر الفكري هو كسبي عند الطائفة و اعلم أن الشرع ما تعرض لاحدية الذات في نفسها بشيء و إنما نص على توحيد الألوهية و أحديتها بأنه لا إله إلا هو و إنما ذلك من فضول العقل لأن العقل عنده فضول كثير أداه إليه حكم الفكر عليه و جميع القوي التي في الإنسان فلا شيء أكثر تقليدا من العقل و هو يتخيل أنه صاحب دليل إلهي و إنما هو صاحب دليل فكري فإن دليل الفكر يمشي به حيث يريد و العقل كالأعمى بل هو أعمى عن طريق الحق فأهل الله لم يقلدوا أفكارهم فإن المخلوق لا يقلد المخلوق فجنحوا إلى تقليد الله فعرفوا الله بالله فهو بحسب ما قال عن نفسه ما هو بحسب ما حكم فضول العقل عليه و كيف ينبغي للعاقل أن يقلد القوة المفكرة و هو يقسم النظر الفكري إلى صحيح و إلى فاسد و لا بد له أن يحتاج إلى فارق بين صحيحه و فاسده و محال أن يفرق بين صحيح النظر الفكر و فاسده بالنظر الفكري فلا بد أن يحتاج إلى الله في ذلك فالذي نلجأ إليه في تمييز النظر الفكري صحيحه من فاسده حتى نحكم به نلجأ إليه ابتداء في أن يعطينا العلم بذلك المطلوب من غير استعمال فكر و عليه عولت الطائفة و عملت به و هو علم الأنبياء و الرسل و أولي العلم من أهل الله و لم تتعد بأفكارها محالها و علمت أن غايتها في الإدراك الصحيح في زعمها أن تبنى أدلتها على الأمور الحسية و البديهية و قد حكمت بغلط الحس ابتداء في أشياء و بالقدح في البديهيات ثم رجعت تأخذها مصادرة لتعذر الدلالة عليها فالرجوع إلى الله أولى في الأمور كلها كما قال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و هذا من جملة الأمر فلا علم إلا العلم المأخوذ عن الله فهو العالم سبحانه وحده و المعلم الذي لا يدخل على المتعلم منه فيما يأخذه عنه شبهة و نحن المقلدون له و الذي عنده حق فنحن في تقليدنا إياه فيما أعلمنا به أولى باسم العلماء من أصحاب النظر الفكري الذين قلدوه فيما أعطاهم لا جرم أنهم لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ في العلم بالله و الأنبياء مع كثرتهم و تباعد ما بينهم من الأعصار لا خلاف عندهم في العلم بالله لأنهم أخذوه عن الله و كذلك أهل الله و خاصته فالمتأخر يصدق المتقدم و يشد بعضهم بعضا و لو لم يكن ثم إلا هذا لكفى و وجب الأخذ عنهم و هذا الباب أعني باب التوحيد يعطي المناسبة من وجه و قد قال بذلك جماعة من

أهل الله كأبي حامد و غيره من شيوخنا و لا يعطي المناسبة من وجه و قد قال به جماعة من أصحابنا كأبي العباس بن العريف الصنهاجي و نفوا المناسبة جملة و الذي أذهب إليه و أقول به على ما أصلناه أولا أن لا نقلد في علمنا بالله و بغير الله إلا الله فنحن بحسب ما يلقى إلينا في حق نفسه فإن خاطبنا بالمناسبة قلنا بها حيث خاطبنا لا تتعدى ذلك الموضع و نقتصر عليه و إن خاطبنا برفع المناسبة رفعناها في ذلك الموطن الذي رفعها فيه لا تتعداه فيكون الحكم له لا لنا فلا نزال نصيب أبدا و لا نخطىء و هو المعبر عنه بالعصمة في حق الأنبياء ع و الحفظ في حق الأولياء و متى ما لم يخبر عن الله فالإصابة إذا حصلت منه للحق اتفاقية بالنظر إليه مقصودة بالنظر إلى الحق هذا هو الذي نعتمد عليه فقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على زيادة الكاف رفع للمناسبة الشيئية و تمام الآية وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ إثبات للمناسبة و الآية واحدة و الكلمات مختلفة فلا نعدل عن هذه المحجة فهي أقوى حجة و هي ما ذهبنا إليه من تقليد الحق فإنه طريق العلم و النجاة في الدنيا و الآخرة و هي طريق النبيين و المرسلين و القائلين بالفيض من الإلهيين فإذا جاءك من الله علم فلا تدخله في ميزان الفكر و لا تجعل لعقلك سبيلا إلى ذلك فتهلك من ساعتك فإن العلم الإلهي لا يدخل في الميزان لأنه الواضع له فكيف يدخل واضعه تحت حكمه النائب لا يحكم على من استخلفه و إنما يحكم على من استخلف عليه و العلم يناقض العقل فإن العقل قيد و العلم ما حصل عن علامة و أدل العلامات على الشيء نفس الشيء و كل علامة سواها فالإصابة فيها بالنظر إلينا اتفاقي و هذا القدر في هذا الباب على حكم طريقنا كاف في الغرض المقصود وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (وصل) في الوتر و هو نوع من أنواع التوحيد اعلم أن الوتر في لسان العرب هو طلب الثأر فأحدية الحق إنما اتصفت بالوتر لطلبها الثأر من الأحدية التي للواحد الذي أظهر الاثنين بوجوده فما زاد إلى ما لا يتناهى من الأعداد فلما أزال بهذا الظهور حكم الأحدية فصارت أحدية الحق تطلب ثار الأحدية المزالة التي أذهب عينها هذا الواحد الذي بوجوده ظهرت الكثرة و تطلب الوحدانية فتسمى بالوتر لهذا الطلب فوكل هذا الواحد من ينوب عنه في الذب عنه فأقام العارف وكيلا بلسان حق فقال أيها الحاكم الطالب ثار الأحدية ما ذهبت الأحدية بل هذا الذي تطلبه ما أعطى الاثنينية و لا الثلاثة و لا الأربعة فصاعدا فإنه لا يعطي ما لا يقتضيه حقيقته و إنما الذي أعطانا الاثنين أحدية الاثنين و أحدية الثلاثة و الأربعة بالغا ما بلغ العدد و ذلك لتستدل أعيان الأعداد بأحديتها تلك على أحديتك فما سعت إلا في حقك و من أجلك إذ تعلم أن الأعداد ما ظهرت في الكون إلا من حكم الأسماء الإلهية فإنها كثرة و مع كثرتها فالأحدية لها متحققة فأراد هذا الواحد أن لا يجهل أعيان الأعداد أحدية الأسماء حتى لا تتوهم الكثرة في جناب الله فأعطى في كل عدد أحدية ذلك العدد غيرة من وجود الكثرة المذهبة لعين الأحدية و الوحدة فقبل عذره و علم أنه متخلق في ذلك بأخلاق أحدية الحق في إقامة أحدية الأسماء الكثيرة و مشى عليه

اسم الوتر للغيرة فالله وتر يحب الوتر وسيأتي في الباب الذي بعد هذا العلم بالكثرة والاشتراك إن شاء الله (وصل) في الفرد وأما الفرد فهو من حكم هذا الباب ويسمى به لانفراده بما يتميز به عن خلقه فما هو فرد من حيث ما هو واحد فإنه واحد لنفسه وفرد لتميزه عن أحدية كل شيء ولا يصح الفرد لغيره سبحانه فإنه كل ما سوى الله فيه اشتراك بعضه مع بعض ويتميز بأحديته ولا ينفرد فإن صفة الاشتراك تمنع من ذلك فلا يصح اسم الفرد على الحقيقة إلا لله الحق خاصة فإنه الفرد من جميع الوجوه إذ لم تكن له صفة اشتراك كما لسواه من الموجودات ولذلك تطلب الحدود الموجودات والله لا يطلبه حد ولا يقابله مثل ولا ضد تعالى الله وأسماؤه كلها لها الفردية فإنها له نسب لا أعيان فيأخذ الحد ذلك الاسم إذا دل على الحادث ولا يأخذه الحد إذا سميت به الله تعالى فتحد اللفظ ولا تحد مدلوله إلا إذ كان مدلوله حادثا لا غير ولا يلزم من الاشتراك في اللفظ الاشتراك في المعنى لأن اللفظ لك لا له وأنت مشترك فيك فلهذا قيل اللفظ الاشتراك ألا ترى الألفاظ المشتركة كالمشتري ليس الاشتراك إلا في إطلاق الاسم ولهذا يقع التفصيل إذا طولب بالحد صاحبه فيقال أي مشتر تريد المشتري الذي هو كوكب في السماء أو المشتري الذي هو عاقد البيع فإذا حده تميز كل عين عن صاحبتها فليس في اللفظ من ماهية المدلول شيء فبهذا تقول في الحق سميع وبصير وله يد ويدان أو أيد وأعين ورجل وجميع ما أطلقه على نفسه مما لا يتمكن للعقل أن يطلقه عليه لأنه لم يعلم ذلك الإطلاق إلا على المحدثات ولولا الشرع والأخبار النبوية الإلهية ما جاءت بها ما أطلقناها عقلا عليه ومع هذا فننفي التشبيه ولا يتناول أمرا بعينه لجهلنا بذاته وإنما نفينا التشبيه بقوله ليس كمثله شيء لا بما أعطاه الدليل العقلي حتى لا يحكم عليه إلا كلامه تعالى وبهذا نحب نلقاه إذا لقيناه وكشف عن بصائرنا وأبصارنا غطاء العمي إن كان يمكن كشفه مطلقا أو يكشف منه ما يمكن كشفه إما على التساوي في حق الجميع وإما على التفاضل في حق العباد فينفرد كل شخص برؤية لا تكون لغيره ولا يصح الكشف في علم التوحيد إلا عند من يقول بالمناسبة ولا عند من يقول بنفي المناسبة لأن التوحيد ليس بأمر وجودي وإنما هو نسبة والنسب لا تدرك كشفا وإنما تعلم من طريق الدليل فإن الكشف رؤية ولا تتعلق الرؤية من المرئي إلا بكيفيات يكون المرئي عليها وهل في ذلك الجناب الإلهي كيفية أم لا فالدليل ينفي الكيفية فإن كان يريد أنه لا كيفية له في ذاته فلا يكشف وإن كان يريد أنه لا تعقل كيفيته فيمكن أن يكشف من حيث ما له كيفية لا تعقل لكن يحصل العلم بها عند الكشف فإن كل كيفية حصلها العقل من نظره في الأشياء فإنها تستحيل عليه عنده مع ثبوت الايمان بأسمائها لا بمعقوليتها من نزول واستواء ومعية وتقليب وتردد وضحك وتعجب ورضي وغضب فإن جسد الله هذه المعاني في حضرة التمثيل كالعلم في صورة اللبن فذلك له وحينئذ تنال كشفا وإلا فلا

تنال أبدا و لا يعلم من أين أخذتها النبوة هل تلقتها خبرا أو كشفا فإن كان خبرا فقد وقع التساوي و إن كان عن كشف فهو بحسب ما ذكرناه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و السبعون و مائة في معرفة مقام الشرك و هو التثنية)

الشرك في الأسماء لا يجهل عليه أهل الكشف قد عولوا

قالُوا وَما الرَّحْمنُ قلنا لهم هو الإله الحكم الأول

لا فرق بين الله في كونه دل على الذات و ما يسأل

به من الأسماء في كل ما يلفظه اللافظ أو يعقل

و الشرك محمود على بابه عند الذي يعلم أو يجهل

هو الوجود المحض لا يمتري فيه إمام حكمه فيصل

و إنما المذموم منه الذي أثبته في عقده المبطل

قال الله تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فاعلم إن الله تعالى من حيث ذاته فهو الواحد الأحد و قال وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها فإذا دعوته عرفت من يجيبك و ما يجيبك هل يجيبك من حيث ذاته أو من حيث نسبة يطلبها ذلك الاسم ما هي عين الذات و لا يجيبك تعالى مع ارتفاع وجود تلك النسبة فإذا عرفت هذا عرفت أمورا كثيرة في عين واحدة لا تعقل الذات عند الدعاء بهذه الأسماء دون هذه النسب و لا تعقل النسب دون هذه الذات فإذا قلت يا عليم علمت إن معقوله خلاف معقول يا قدير و كذلك يا مريد و يا سميع و يا بصير و يا شكور و يا حي و يا قيوم و يا غني إلى ما شئت من الأسماء الحسنى فهذه النسب و إن كثرت فالمسمى واحد و المنسوب إليه هذه النسب واحد فإذا لا تعقل الكثرة في هذا الواحد إلا هكذا فكل اسم قد شارك الاسم الآخر و غيره من الأسماء الإلهية في دلالته على الذات مع معقولية حقيقة كل اسم إنها مغايرة لمعقولية غيره من الأسماء و تميز كل واحد منها عن صاحبه و اشتراكهم في ذات المسمى و ليست هذه الأسماء لغير من تسمى بها فالأسماء الإلهية مترادفة من وجه متباينة من وجه مشتبهة من وجه فالمترادفة كالعالم و العلام و العليم و كالعظيم و الجبار و الكبير و المشتبهة كالعليم و الخبير و المحصي و المتباينة كالقدير و الحي و السميع و المريد و الشكور و أما الضرب الآخر من الشركة في إيجاد العالم فهو باستعداد الممكن لقبول تأثير القدرة فيه إذ المحال لا يقبل ذلك فما استقلت القدرة بالإيجاد دون استعداد الممكن و لا استقل استعداد الممكن دون القدرة الإلهية بالإيجاد و

هذا سار في كل ممكن ثم اشتراك آخر خصوص في بعض الممكنات و هو إذا أراد إيجاد العرض فلا بد من الاقتدار الإلهي و الإرادة الإلهية لتخصيص ذلك العرض المعين و لا بد من العلم به حتى يقصده بالتخصيص و لا بد من استعداد ذلك المراد لقبول الإيجاد و لا بد من وجود المحل لصحة إيجاد ذلك العرض إذ كان من حقيقته أنه لا يقوم بنفسه فلا بد له من محل يقوم به و لا بد لذلك المحل أن يكون على استعداد يقبل وجود ذلك العرض فيه و هذا كله ضرب من الشركة في الفعل فهذا معنى الشركة و الكثرة المطلوبة في الإلهيات في هذا الباب و لا يحتمل هذا الباب أكثر مما أومأنا إليه من هذه الأصول و تلخيص هذا الباب إن كل أمر يطلب القسمة فلا يصح فيه توحيد و أعمه المعلوم فنقول المعلومات تنقسم بوجه إلى ثلاثة أقسام إلى واجب و جائز و مستحيل ثم ما من شيء نذكره بعد هذا من موجود و معدوم و غير ذلك إلا و يقبل القسمة فأين التوحيد في كل مذكور أو معلوم فلم يبق إلا توحيد الكثرة في معلوم معين يسمى الله و هو الذي ينبغي أن يكون على كذا و كذا و تذكر ما لا تصح الألوهية إلا به و حينئذ يصح أن يكون الله و لا يشاركه في هذه الصفات بمجموعها واحد آخر فذلك يعني بقوله واحد بأحدية هذا المجموع مع أحدية العين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و السبعون و مائة في معرفة مقام السفر و أسراره)

إن السفور دليل الخوف و الحذر ... هذا هو العرف في الأعراض بالخبر

فإن رأيت فتاة الحي قد سفرت ... فكن فديتك من هذا على حذر

لذا نقول بأن الممكنات على ... أصولها ما لها عين من الصور

و لا تقل بحلول إنها عدم ... و قد يكون لها التكوين في السور

قال تعالى في وصف أهل الله السَّائِحُونَ و السياحة الجولان في الأرض على طريق الاعتبار و القربة إلى الله لما في الأنس بالخلق من الوحشة فاعلم أن أهل الله ما طلبوا السياحة في الأرض و لزوم الفقر و سواحل البحار إلا لما غلب عليهم من الأنس بالجنس الذين هم أشكاله من الأناسي و هو و إن كان ذلك الأنس في الظاهر فهو استيحاش في الباطن من حيث لا يشعر طالب السياحة و لا يعلم طالب السياحة أنه ما دعاه إلى ذلك إلا الوحشة إلا بعد وقوفه على ما تنتج له السياحة و ذلك أن الله خلق الإنسان الذي هو آدم و كل خليفة على صورته نفى عنه المماثلة فقال إنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سرت هذه الحقيقة في الإنسان فإذا جنح إلى الله و تاب استشرفت نفسه على هذه المرتبة أعني نفي المثلية فلما رأى أمثاله من الناس غار أن يكون له مثل كما غار الحق أن يكون ثم من ينسب إليه الألوهية غيره فاستوحش من المخلوقين و طلب الانفراد بذاته من أمثاله حتى لا يبقى له آنس إلا بذاته وحده و لا يرى له مثلا ففر بنفسه إلى الأماكن

القاصية عن رؤية أمثاله فلازم الجبال و بطون الأودية و هذه الحالة هي السياحة فأسفرت له هذه السياحة عن مطلوبه فآنس بذاته فذلك تشبهه بمقام قوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لأنه لم يبق مدع كان يدعي الألوهية موجودا كذلك هذا ما بقي له في الفقر الذي هو فيه من يتسمى بإنسان الذي هو مثله غير الوحش فالوحش و غير الجنس له بمنزلة العالم من الله فلهذا طلب السفر أي المعنى الذي يظهر ما ذكرناه و لهذا المعنى أشار الشبلي حين بات عند بعض إخوانه فسامره الشبلي فقال له صاحبه يا شبلي قم تعبد فقال له الشبلي العبادة لا تكون بالشركة و كذلك الربوبية لا تكون بالشركة فبقوة الصورة التي خلق الإنسان عليها طلب الفرار من الناس دون غيرهم من المخلوقين و لهذا ما ادعى أحد من الخلق الألوهية إلا هذا الجنس الإنساني فلم يرد السائح أن يرى مثله لهذا الذي ذكرناه هذا مقام هذا السفر و أما السفر في المعقولات بالفكر و في مراتب المعارف و العلوم فله باب آخر في هذا الكتاب يريد بعد هذا إن شاء الله في باب من أبواب الأحوال فهذه سياحة الخصوص من أهل الله و أما سياحة العموم منهم فسبب سياحتهم قوله تعالى يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ فنظروا ما هي أرض الله فقالوا كل أرض موات لا يكون عليها ملك لغير الله فتلك أرضه الخاصة به المضافة إليه البريئة من الشركة فيها البعيدة من المعمور فإن الأرض الميتة القريبة من العمران يمكن أن يصل إليها بعض الناس فيحييها فيملكها بإحيائها و البعيدة من العمران سالمة من هذا التخيل فقالوا ما أمرنا الله بالعبادة فيها إلا و لها خصوص وصف و ليس فيها من خصوص الأوصاف إلا كونها ليس فيها نفس لغير الله ففيها نفس الرحمن فإذا عبد الإنسان ربه في مثل هذه الأرض وجد أنسا من تلك الوحشة التي كانت له في العمران و وجد لذة و طيبا في قلبه و انفراده و ذلك كله من أثر نفس الرحمن الذي نفس الله به عنه ما كان يجده من الغم و الضيق و الحرج في الأرض المشتركة فهذا الذي أدى العامة من أهل الله إلى السياحة ثم إنهم رأوا في هذه الأرض من الآيات و العجائب و الاعتبارات ما دعاهم إلى النظر فيما ينبغي لما لك هذه الأرض فأنار الله قلوبهم بأنوار العلوم و فتح لهم في النظر في الآيات و هي العلامات الدالة على عظمة من انقطعوا إليه و هو الله تعالى ورثا نبويا من قوله تعالى سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ ثم قال لِنُرِيَهُ من آياتنا فعرج به إلى السموات إلى أن بلغ به الإسراء إلى حيث قدره الله له من المنازل العالية فأراه من الآيات ما زاده علما بالله إلى علمه لذا قرن به أنه هو السميع لما خوطب به البصير لما شاهده من الآيات فالسائحون من عباد الله يشاهدون من آيات الله و من خرق العوائد ما يزيدهم قوة في إيمانهم و نفسهم و معرفتهم بالله و أنسا به و رحمة بخلقه و شفقة عليهم فإذا رأوا قنة جبل شامخ تذكروا علوا لهم حيث لم يطلبوا من الله إلا الأنفس و هو الانفراد به في خلوة من أشكالهم حذرا من الشغل بسواهم و إذا كانوا في بطن واد أو قاع من القيعان ذكرهم ذلك بعبوديتهم و تواضعهم تحت جبروت سلطان خالقهم فذلوا في أنفسهم و عرفوا مقدارهم و علموا إن ما ينالونه من الرفعة إنما

ذلك عناية الله لا باستحقاق ثم إذا كانوا على ساحل بحر تذكروا بالبحر سعة علم الله و سعة عظمته و رحمته ثم يرون مع هذه العظمة ما تحدث فيه الرياح من تلاطم الأمواج و تداخل بعضها في بعض فيذكرهم ذلك في جناب الحق تعارض الأسماء الإلهية و تداخل بعضها في بعض في تعلقاتها مثل الاسم المنتقم و السريع الحساب و الشديد العقاب عند معصية العاصي و يجيء أيضا في مقابلة هذه الأسماء الاسم الغفار و العفو و المحسان فتتقابل الأسماء على هذا العبد العاصي و كذلك التردد الإلهي يعتبرونه في تموج هذا البحر فيفتح لهم في بواطنهم في علوم إلهية لا ينالونها إلا في مشاهدة ذلك البحر في سياحتهم فيكثر منهم التكبير و التعظيم لجناب الله ثم ما يحصل لهم من خرق العوائد في استئناس الوحوش بهم و إقبالهم عليهم و فيهم من تكلمه الوحوش بلسانه و فيهم من يعلم منطقها و ترى ما هم عليه من عبادة الله ما يزيدهم ذلك حرصا و اجتهادا في طاعة ربهم و الحكايات في كتب القوة في ذلك كثيرة جدا و لو لا أن كتابنا هذا مبناه على المعارف و الأسرار لسقنا من الحكايات ما شاهدناه بنفوسنا في سياحتنا و اجتماعنا بهذه الطائفة و ما رأينا فيهم من العجائب و هذا القدر كاف في الغرض المقصود من هذا الباب حتى يرد الكلام إن شاء الله في السفر و مراتبه فيما بعد عند ذكر المسافر و السالك و الطريق وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إلى الحق و إلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(الباب الخامس و السبعون و مائة في مقام ترك السفر)

احذر بأن تجعل الأعيان واحدة إذا أتتك بها الآيات و السور

من قوله أنت عبدي و الإله أنا و ما لنا عندكم عين و لا أثر

قال الله تعالى الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ من فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ قال تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فقطع المسافات زيادة تعب بل تعب خاصة فإنه ما يحركني إلا طلبه فلو لا أني جعلته مطلوبي و مقصدي بهذه السياحة و السفر ما طلبته و قد أخبرني أنه معي في حال انتقالاتي كما هو معي في حال الإقامة و له في كل شيء وجهة فلما ذا أجول فالحركة لتحصيله دليل على عدم الوجدان في السكون فاطلب وجهه في موضع إقامتي فإذا عرفته فيه كنت منزلا من منازل القمر مقصودا لا قاصدا و لا نازلا تطلبني الأسماء و لا أطلبها و تقصدني الأنوار و لا أقصدها وقفت مع من لا يجوز عليه التحرك و الانتقال فصاحب السفر مع قوله ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا و صاحب الإقامة مع قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و السكون أولى من الحركة فإن العبد مأمور بالسكون تحت مجاري الأقدار و ما يأتي به الله إليه في الليل و النهار و قال في ذم من بادر الأقدار بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة و المبادرة حركة ما قال الله لنا آمرا فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا إلا لنسكن و يكون هو سبحانه الذي يتصرف في أمر عبده حتى يوفيه ما قدر له

من كل ما يصيبه حتى أنه لو كان مما يصيبه السفر و الانتقال لنقله الحق بهذه الصفة التي هو عليها من السكون في محفة عناية إلهية لا يعرف الحركة المتعبة مستريحا مظللا عليه مخدوما هذا سفر تارك السفر إذا كان مقدرا له السفر و قد ذقنا الأمرين و رأينا السكون أرجح من الحركة و أقوى في المعرفة مع انتقال الأحوال عليه في كل نفس و ذاك الانتقال عليه لا بد منه له فهو طريق مطرقة يسلك فيها و لا يسلك فإذا انتقل هو بذاته فلا يزيد شيئا على تلك الانتقالات عليه إلا التعب خاصة فكان المسافر يستعجل عذابا و مشقة فإن الأمور الجارية على العبد مثل الرزق و الأجل إن لم تأت إليه أتى إليها لا بد من ذلك

ولا معنى لشكوى الشوق يوما إلى من لا يزول من العيان

السكون مع المشاهدة و الحركة مع الفقد إلا الحركة المأمور بها لأنك لا تخلو إن تتحرك في طلبه فأنت فاقدا و في غير طلبه فأنت خاسر فالسكون بكل حال أولى من الحركة التي في مقام ذلك السكون و أنت في مقام أن تتحرك بالله فالسكون بالله مع الله أولى لراحة الوقت فإنه و الله إن كنت فاقدا له في السكون فأنت في الحركة المحسوسة أفقد بما لا يتقارب فَلا تَكُونَنَّ من الْجاهِلِينَ . . . وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ لو لم يكن من شرف السكون إلا ورود الأسماء الإلهية عليك و نزول الحق إليك لأنك إن تحركت إليه حددته و إن سكنت معه عبدته الحركة إليه عين الجهل به و السكون معه عين العلم به ما أسرى برسول الله ص ليراه و إنما أسرى به ليريه من آياته من قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ فمن رجح ترك السفر فقد أصاب في النظر و قصد عين الخبر إذا كان جليس الذاكر فإلى أين يرحل فهذا قد أبنت لك عن السفر و تركه فكن بحسب ما يقع لك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و السبعون و مائة في معرفة أحوال القوم رضي الله عنهم عند الموت)

للقوم عند حلول الموت أحوال تنوعت و هي أمثال و أشكال

فمنهم من يرى الأسماء تطلبه و منهم من يرى الأملاك و الحال

في ذاك مختلف عند الوجود لما تعطي الحقائق و التفصيل إجمال

و منهم من يرى الإرسال مقبلة إليه تتحفه و الرسل أعمال

و منهم من يرى التنزيه يطلبه و هو الذي عنده التشبيه إضلال

و كلهم سعدوا و العين واحدة و عندهم في جنان الخلد أشغال

هذا هو الحق لا تبغي به بدلا فهو الصحيح الذي ما فيه إشكال

قال رسول الله ص يموت المرء على ما عاش عليه و يحشر على ما عليه مات و قال تعالى فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ يعني عند الموت أي يعاين ما هو أمره عليه الذي ينفرد به أهل الله العابدون ربهم إذا أتاهم اليقين يقول لنبيه ص اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ يعني الموت لأنه أمر متيقن لا اختلاف في وقوعه في كل حيوان و إنما وقع الخلاف في ماهيته قال شاعرهم

فخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب و الخلف في الشجب

يعني ما هو و الشجب الموت فإذا حضرتهم الوفاة رضي الله عنهم فلا بد لهم من مشاهد اثنتي عشرة صورة يشهدونها كلها أو بعضها لا بد من ذلك و هن صورة عمله و صورة علمه و صورة اعتقاده و صورة مقامه و صورة حاله و صورة رسوله و صورة الملك و صورة اسم من أسماء الأفعال و صورة اسم من أسماء الصفات و صورة اسم من أسماء النعوت و صورة اسم من أسماء التنزيه و صورة اسم من أسماء الذات و كان الأولى أن تكون هذه الصور كلها بالسين لا بالصاد فإنها منازل معان إلا أنه لما تجسدت المعاني و ظهرت بالأشكال و المقادير لذلك تصورت في صور إذ كان الشهود بالبصر و حكمت الحضرة بذلك الخيالية البرزخية فالموت و النوم سواء فيما تنتقل إليه المعاني فمنهم من يتجلى له عند الموت عمله العمل فيتجلى له عمله في الزينة و الحسن على قدر ما أنشأه العامل عليه من الجمال فإن أتم العمل كما شرع له و لم ينقص منه شيئا يشينه انتقاصه كان في أتم نشأة حسنة ظهرت من تمام أركان ذلك العمل الظاهرة و الباطنة من الحضور و شهود الرب في قلبه و في قبلته إذا صلى و كل عمل مشروع فهو صلاة و لهذا قال ص عن الله تعالى أنه يقول يوم القيامة أنظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كانت انتقص منها شيئا قال أنظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم فإن كان العمل غير ذات العامل كمانع الزكاة و كغاصب أمر ما حرم عليه اغتصابه كسي ذلك المال صورة عمل هذا العبد من حسن أو قبح فإن كان قبيحا طوق به كما قال في مانع الزكاة سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ و قال فيه ع يمثل له ما له شجاعا أقرع الحديث و فيه يقول له أنا كنزك فيطوق به و الكنز من عمل العبد في المال و هكذا العباد الله الصالحين فيما يجودون به من الخير بما يرجع إلى نفوسهم و إلى التصرف في غير ذواتهم فيرى علامات ذلك كله و هذا داخل تحت قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ و هذا الموطن من بعض مواطن ما يرى فيه عمله فيشاهد العبد الصالح عند الاحتضار عمله الصالح الذي هو لروحه مثل البراق لمن أسرى به عليه فيرفع تلك الروح الطيبة إلى درجاتها حيث كانت من عليين فإن عباد الله على طبقات في أعمالهم في الحسن و الأحسن و الجميل و الأجمل العلم (و منهم) رضي الله عنهم من تجلى له عند الموت علمه بالجناب الإلهي و هم رجلان رجل أخذ علمه بالله عن نظر و استدلال و رجل أخذ علمه عن كشف و صورة

الكشف أتم و أجمل في التجلي لأن الكشف و اقتناء هذا العلم ينتجه تقوى و عمل صالح و هو قوله وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ فيظهر له علمه عند الموت صورة حسنة أو نورا يلتبس به فيفرح به فإن صحبته دعوى في اقتنائه ذلك العلم نفسية فهو في الصورة الجميلة دون من لم تصحبه دعوى في اقتناء ذلك العلم بل يراه منحة إلهية و فضلا و منة لا يرى لنفسه تعملا بل يكون ممن فنى عن عمله في عمله فكان معمولا به كالآلة للصانع يعمل بها و ينسب العمل إليه لا إليها فيقع الثناء على الصانع العامل بها لا عليها فهكذا يكون بعض عباد الله في اقتناء علومهم الإلهية فتكون صورة العلم في غاية من الحسن و الجمال الاعتقاد (و منهم) المعتقد الذي لا علم عنده إلا إن عقده موافق للعلم بالأمر على ما هو عليه فكان يعتقد في الله ما يعتقده العالم لكن عن تقليد لمعلمه من العلماء بالله و لكن لا بد أن يتخيل ما يعتقده فإنه ليس في قوته إن يجرده عن الخيال و هو عند الاحتضار و للاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب ما هو الخيال الذي هو قوة في الإنسان في مقدم دماغه بل هو خيال من خارج كجبريل في صورة دحية و هو حضرة مستقلة وجودية صحيحة ذات صور جسدية تلبسها المعاني و الأرواح فتكون درجته بحسب ما اعتقده من ذلك المقام فإن كان هذا العبد صاحب مقام قد لحق بدرجة الأرواح النورية فإنها التي ذكر الله عنها أنها قالت وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فيظهر له مقامه في صورة فينزل فيها منزلة الوالي في ولايته فيكون بحسب مقامه و هذه كلها بشارات الحياة الدنيا الذين قال الله فيهم الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى في الْحَياةِ الدُّنْيا (الحال) فإن كان صاحب حال في وقت احتضاره يرد عليه من الله حال يقبض فيه فهو له كالخلعة لا كالولاية فيتلبس بها و يتجمل بحسب ما يكون ذلك الحال دل على منزلته و الحال قد تكون ابتداء و قد تكون عن عمل متقدم و بينهما فرقان و إن كان الحال موهوبا على كل وجه و لكن الناس على قسمين منهم من تتقدم له خدمة فيقال إنه مستحق لما خلع عليه و منهم من لم يتقدم له ذلك فتكون المنة و العناية به أظهر لأنه لا يعرف له سبب مع أن الأحوال كلها مواهب و المقامات استحقاق الرسل (و منهم) من يتجلى له عند الاحتضار رسوله الذي ورثه إذ كان العلماء ورثة الأنبياء فيرى عيسى عند احتضاره أو موسى أو إبراهيم أو محمد أو أي نبي كان على جميعهم السلام فمنهم من ينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عند ما يأتيه فرحا به لأن الرسل كلهم سعداء فيقول عند الاحتضار عيسى أو يسميه المسيح كما سماه الله و هو الأغلب فيسمع الحاضرون بهذا الولي يتلفظ بمثل هذه الكلمة فيسيئون الظن به و ينسبونه إلى أنه تنصر عند الموت و أنه سلب عنه الإسلام أو يسمى موسى أو بعض أنبياء بنى إسرائيل فيقولون إنه تهود و هو من أكبر السعداء عند الله فإن هذا المشهد لا تعرفه العامة بل يعرفه أهل الله من أرباب الكشوف و إن كان ذلك الأمر الذي هو فيه اكتسبه من دين محمد ص و لكن ما ورث منه هذا الشخص إلا أمرا مشتركا كان لنبي قبله و هو قوله أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ فلما

كانت الصورة مشتركة جلى الحق له صاحب تلك الصورة في النبي الذي كانت له تلك الصفة التي شاركه فيها محمد ص مثل قوله أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي و ذلك ليتميز هذا للشخص بظهور من ورثه من الأنبياء عمن ورث غيره فلو تجلى في صورة محمدية التبس عليه الشخص الذي ورث محمدا ص فيما اختص به دون غيره من الرسل الملك (و منهم) من يتجلى له عند الاحتضار صورة الملك الذي شاركه في المقام فإنهم الصَّافُّونَ و منهم الْمُسَبِّحُونَ و منهم التالون إلى ما هم عليه من المقامات فينزل إليه الملك صاحب ذلك المقام مؤنسا و جليسا تستنزله عليه تلك المناسبة فربما يسميه عند الموت و يرى من المحتضر تهمما به و بشاشة و فرحا و سرورا و ما وصفنا في هذا الاحتضار إلا أحوال الأولياء الخارجين عن حكم التلبيس ما ذكرنا من أحوال العامة من المؤمنين فإن ذلك مذاق آخر و للأولياء هذا الذي نذكره خاصة فلذلك ما تتعرض لما يطرأ من المحتضر من العامة مما يكره رؤيته و يتمعر وجهه ليس ذلك مطلوبنا و لا يرفع بذلك رأسا أهل الله و إن تعرض لهم فإنهم عارفون بما يرونه (أسماء الأفعال) و منهم من يتجلى له عند الموت هجيره من الأسماء الإلهية فإن كان من أسماء الأفعال كالخالق بمعنى الموجد و الباري و المصور و الرزاق و المحيي و كل اسم يطلب فعلا فهو بحسب ما كان عليه في معاملته معه ظهر له بما يناسب ذلك العمل فيراه في أحسن صورة فيقول له من أنت يرحمك الله فيقول هجيرك و سيأتي ذكر الهجيرات من هذا الكتاب في باب أحوال الأقطاب من آخره إن شاء الله (أسماء الصفات) فإن كان هجيره كل اسم يستدعي صفة كمال كالحي و العالم و القادر و السميع و البصير و المريد فإن هذه الأسماء كلها أسماء المراقبة و الحياء فهم أيضا بحسب ما كانوا في حال حياتهم عند هذه الأذكار من طهارة النفوس عن الأعراض التي تتخلل هذه النشأة الإنسانية التي لا يمكن الانفكاك عنها و ليس فها دواء إلا الحضور الدائم في مشاهدة الوجه الإلهي الذي له في كل كون عرضي و غير عرضي (أسماء النعوت) فإن كان هجيره أسماء النعوت و هي أسماء النسب كالأول و الآخر و ما جرى هذا المجرى فهو فيها بحسب ما يقوم به من علم الإضافات في ذكره ربه بمثل هذه الأسماء فيعرفه إن لها عينا وجوديا كمثبتي الصفات أو لا عين لها (أسماء التنزيه و منهم) من يتجلى له عند الاحتضار أسماء التنزيه كالغني فإن كان مثل هذا الاسم هجيره في مدة عمره فهو فيه بحسب شهوده هل يذكره بكونه غنيا عن كذا و يذكره غنيا حميدا من غير أن يخطر له عن كذا و كذا فيما يماثله من أسماء التنزيه سواء (أسماء الذات و منهم) من كان هجيره الاسم الله أو هو و الهو أرفع الأذكار عندهم كأبي حامد و منهم من يرى أنت أتم و هو الذي ارتضاه الكتاني مثل قوله يا حي يا قيوم يا لا إله إلا أنت و منهم من يرى أنا أتم و هو رأى أبي يزيد فإذا احتضر من هذا ذكره فهو بحسب اعتقاده في ذلك من نسبة تلك الكناية من توهم تحديد و تجريد عن تحديد و منهم من يرى أن التجريد و التنزيه تحديد و من المحال أن يعقل أمر من غير تحديد أصلا فإنه لا يخلو إما أن يعقل داخلا أو خارجا أو لا داخل و لا خارج

أو هو عين الأمر لا غيره و كل هذا تحديد فإن كل مرتبة قد تميزت عن غيرها بذاتها و لا معنى للحد إلا هذا و هذا القدر كاف انتهى الجزء التاسع و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و السبعون و مائة في معرفة مقام المعرفة)

من ارتقى في درج المعرفة رأى الذي في نفسه من صفه
لأنها دلت على واحد للفرق بين العلم و المعرفة
لها وجود في وجود الذي أرسله الحق و ما كلفه
فهو إمام الوقت في حاله و يشتهي الواقف أن يعرفه
تجري على الحكمة أحكامه في الرتبة العالية المشرفه

اعلم أن المعرفة نعت إلهي لا عين لها في الأسماء الإلهية من لفظها و هي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد و المعرفة عند القوم محجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل و تقوى و سلوك فهو معرفة لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبه بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه و الحيرة فيه و القدح في الأمر الموصل إليه و اعلم أنه لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته و كل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد فيما أعطاه و ما في الوجود من علم الأشياء بذاته إلا واحد و كل ما سوى ذلك الواحد فعلمه بالأشياء و غير الأشياء تقليد و إذا ثبت أنه لا يصح فيما سوى الله العلم بشيء إلا عن تقليد فلنقلد الله و لا سيما في العلم به و إنما قلنا لا يصح العلم بأمر ما فيما سوى الله إلا بالتقليد فإن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بقوة ما من قواه التي أعطاه الله و هي الحواس و العقل فالإنسان لا بد أن يقلد حسه فيما يعطيه و قد يغلط و قد يوافق الأمر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر و العقل يقلد الفكر و منه صحيح و فاسد فيكون علمه بالأمور بالاتفاق فما ثم إلا تقليد و إذا كان الأمر على ما قلناه فينبغي للعاقل إذا أراد أن يعرف الله فليقلده فيما أخبر به عن نفسه في كتبه و على ألسنة رسله و إذا أراد أن يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قواه و ليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه فيعرف الأمور كلها بالله و يعرف الله بالله إذ و لا بد من التقليد و إذا عرفت الله بالله و الأمور كلها بالله لم يدخل عليك في ذلك جهل و لا شبهة و لا شك و لا ريب فقد نبهتك على أمر ما طرق سمعك فإن العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم علماء بما أعطاهم النظر و الحس و العقل و هم في مقام التقليد لهم و ما من قوة إلا و لها

غلط قد علموه و مع هذا غالطوا أنفسهم و فرقوا بين ما يغلط فيه الحس و العقل و الفكر و بين ما لا يغلط فيه و ما يدريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا و لا مزيل لهذا الداء العضال إلا من يكون علمه بكل معلوم بالله لا بغيره و هو سبحانه عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد أن تكون أنت عالما بما يعلمه به سبحانه لأنك قلدت من يعلم و لا يجهل و لا يقلد في علمه و كل من يقلد سوى الله فإنه قلد من يدخله الغلط و تكون إصابته بالاتفاق فإن قيل لنا و من أين علمت هذا و ربما دخل لك الغلط و ما تشعر به في هذه التقسيمات و أنت فيها مقلد لمن يغلط و هو العقل و الفكر قلنا صدقت و لكن لما لم نر إلا التقليد ترجح عندنا أن نقلد هذا المسمى برسول و المسمى بأنه كلام الله و علمنا عليه تقليدا حتى كان الحق سمعنا و بصرنا فعلمنا الأشياء بالله و عرفنا هذه التقاسيم بالله فكان إصابتنا في تقليد هذا بالاتفاق لأنا قلنا مهما أصاب العقل أو شيء من القوي أمرا ما على ما هو عليه في نفسه إنما يكون بالاتفاق فما قلنا إنه يخطئ في كل حال و إنما قلنا لا نعلم خطأه من إصابته فلما كان الحق جميع قواه و علم الأمور بالله عند ذلك علم الإصابة في القوي من الغلط و هذا الذي ذهبنا إليه ما يقدر أحد على إنكاره فإنه يجده من نفسه فإذا تقرر هذا فاشتغل بامتثال ما أمرك الله به من العمل بطاعته و مراقبة قلبك فيما يخطر فيه و الحياء من الله و الوقوف عند حدوده و الانفراد به و إيثار جنابه حتى يكون الحق جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك و قد نصحتك إذ قد رأينا الحق أخبر عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية و الأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر و لزوم الايمان بها فقلد ربك إذ و لا بد من التقليد و لا تقلد عقلك في تأويله فإن عقلك قد أجمع معك على التقليد بصحة هذا القول أنه عن الله فما لك منازع منك يقدح فيما عندك فلا تقلد عقلك في التأويل و اصرف علمه إلى الله قائله ثم اعمل حتى تنزل في العلم به كهو فحينئذ تكون عارفا و تلك المعرفة المطلوبة و العلم الصحيح الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا من خَلْفِهِ و بعد أن تقرر هذا فلنرجع إلى الطريقة المعهودة في هذا الباب التي بأيدي الناس من أهله فإن هذه الطريقة التي نبهناك عليها طريقة غريبة فنقول إن المحاسبي ذكر أن المعرفة هي العلم بأربعة أشياء الله و النفس و الدنيا و الشيطان و الذي قال رسول الله ص إن المعرفة بالله ما لها طريق إلا المعرفة بالنفس فقال من عرف نفسه عرف ربه و قال أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه فجعلك دليلا أي جعل معرفتك بك دليلا على معرفتك به فأما بطريقة ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات و صفات و جعله إياك خليفة نائبا عنه في أرضه و إما بما أنت عليه من الافتقار إليه في وجودك و أما الأمران معا لا بد من ذلك و رأينا الله يقول في العلم بالله المعبر عنه بالمعرفة سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ فأحالنا الحق على الآفاق و هو ما خرج عنا و على أنفسنا و هو ما نحن عليه و به فإذا وقفنا على الأمرين معا حينئذ عرفناه و تبين لنا أنه الحق فدلالة الله أتم و ذلك إنا إذا نظرنا في نفوسنا ابتداء لم نعلم هل يعطي النظر فيما خرج عنا من العالم و هو قوله في

الْآفاقِ علما بالله ما لا تعطيه نفوسنا أو كل شيء في نفوسنا فإذا نظرنا في نفوسنا حصل لنا من العلم به ما يحصل للناظر في الآفاق فأما الشارع فعلم إن النفس جامعة لحقائق العالم فجمعك عليك حرصا منه كما قال فيه حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ حتى تقرب الدلالة فتفوز معجلا بالعلم بالله فتسعد به و أما الحق فذكر الآفاق حذرا عليك مما ذكرناه أن تتخيل أنه قد بقي في الآفاق ما يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه نفسك فأحالك على الآفاق فإذا عرفت عين الدلالة منه على الله نظرت في نفسك فوجدت ذلك بعينه الذي أعطاك النظر في الآفاق أعطاك النظر في نفسك من العلم بالله فلم تبق لك شبهة تدخل عليك لأنه ما ثم إلا الله و أنت و ما خرج عنك و هو العالم ثم علمك كيف تنظر في العالم فقال أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ . . . أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ الآية أَ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و كل آية طلب منك فيها النظر في الآيات كما قال إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و يَتَفَكَّرُونَ و يَسْمَعُونَ و يَفْقَهُونَ و لِلْعالِمِينَ و لِلْمُؤْمِنِينَ و لِأُولِي النُّهى و لِأُولِي الْأَلْبابِ لما علم أنه سبحانه خلق الخلق أطوارا فعدد الطرق الموصلة إلى العلم به إذ كل طور لا يتعدى منزلته بما ركب الله فيه فالرسول ع ما أحالك إلا على نفسك لما علم أنه سيكون الحق قواك فتعلمه به لا بغيره فإنه العزيز و العزيز هو المنيع الحمى و من ظفر به غيره فليس بمنيع الحمى فليس بعزيز فلهذا كان الحق قواك فإذا علمته و ظفرت به يكون ما علمه و لا ظفر به إلا هو فلا يزول عنه نعت العزة و هكذا هو الأمر فقد سد باب العلم به إلا منه و لا بد و لهذا ينزهه العقل و يرفع المناسبة من جميع الوجوه و يجيء الحق فيصدقه في ذلك ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ يقول لنا صدق العقل فإنه أعطى ما في قوته لا يعلم غير ذلك فإني أعطيت كل شيء خلقه و العقل من جملة الأشياء فقد أعطيناه خلقه و تمم الآية فقال ثُمَّ هَدى أي بين فبين سبحانه أمرا لم يعطه العقل و لا قوة من القوي فذكر لنفسه أحكاما هو عليها لا يقبلها العقل إلا إيمانا أو بتأويل يردها تحت إحاطته لا بد من ذلك فطريقة السلامة لمن لم يكن على بصيرة من الله أن لا يتأول و يسلم ذلك إلى الله على علمه فيه هذه طريقة النجاة فالحق سبحانه يصدق كل قوة فيما تعطيه فإنها وفت بجميع ما أعطاها الله و بقي للحق من جانب الحق ذوق آخر يعلمه أهل الله و هم أهل القرآن أهل الله و خاصته فيعتقدون فيه كل معتقد إذ لا يخلو منه تعالى وجه في كل شيء هو حق ذلك الوجه و لو لم يكن الأمر كذلك ما كان إلها و لكان العالم يستقل بنفسه دونه و هذا محال فخلو وجه الحق عن شيء من العالم محال و هذه المعرفة عزيزة المنال فإنها تؤدي إلى رفع الخطاء المطلق في العالم و لا يرتفع الخطاء الإضافي و هو المنسوب إلى مقابله فهو خطأ بالتقابل و ليس بخطإ مع عدم التقابل فالكامل من أهل الله من نظر في كل أمر على حدة حتى يرى خلقه الذي أعطاه الله و وفاه إياه ثم يرى ما بين الله لعباده مما خرج عن خلق كل شيء فينزل موضع البيان من قوله ثُمَّ هَدى موضعه و ينزل كل خلق على ما أعطاه خالقه فمثل هذا لا يخطئ و لا يخطئ بإطلاق في الأصول و الفروع فكل مجتهد مصيب إن

عقلت في الأصول و الفروع و قد قيل بذلك و بعد أن تقرر ما ذكرناه فلنقل إن المعرفة في طريقنا عندنا لما نظرنا في ذلك فوجدناها منحصرة في العلم بسبعة أشياء و هو الطريق التي سلكت عليه الخاصة من عباد الله الواحد علم الحقائق و هو العلم بالأسماء الإلهية الثاني العلم بتجلى الحق في الأشياء الثالث العلم بخطاب الحق عباده المكلفين بالسنة الشرائع الرابع علم الكمال و النقص في الوجود الخامس علم الإنسان نفسه من جهة حقائقه السادس علم الخيال و عالمه المتصل و المنفصل السابع علم الأدوية و العلل فمن عرف هذه السبع المسائل فقد حصل المسمى معرفة و يندرج في هذا ما قاله المحاسبي و غيره في المعرفة (العلم الأول) و هو العلم بالحقائق و هو العلم بالأسماء الإلهية و هي على أربعة أقسام قسم يدل على الذات و هو الاسم العلم الذي لا يفهم منه سوى ذات المسمى لا يدل على مدح و لا ذم و هذا قسم لم نجده في الأسماء الواردة علينا في كتابه و لا على لسان الشارع إلا الاسم الله و هو اسم مختلف فيه و قسم ثان و هو يدل على الصفات و هو على قسمين قسم يدل على أعيان صفات معقولة يمكن وجودها و قسم يدل على صفات إضافية لا وجود لها في الأعيان و قسم ثالث و هو يدل على صفات أفعال و هو على قسمين صريح و مضمن و قسم رابع مشترك يدل بوجه على صفة فعل مثلا و بوجه على صفة تنزيه أما علم الأسماء الإلهية و هو العلم الأول من المعرفة فهو العلم بما تدل عليه مما جاءت له و هو في هذه الأقسام التي قسمناها حتى نبينها في هذا الباب إن شاء الله و العلم أيضا بخواصها و الكلام فيه محجور على أهل الله العارفين بذلك لما في ذلك من كشف أسرار و هتك أستار و تأبى الغيرة الإلهية إظهار ذلك بل أهل الله مع معرفتهم بذلك لا يستعملونها مع الله و الدليل على ذلك أن رسول الله ص أعلم الناس بها و بإجابة الله تعالى من دعاه بها لما هي عليه من الخاصية في علم الله بها و قد دعاه رسول الله ص في أمته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه ذلك و لم يجبه و إن كان قد عوضه فمن باب آخر و هو أن كل دعاء لا يرد جملة واحدة و إن عوقب صاحبه و لكن يرد ما دعا به خاصة إذا دعا فيما لا يقتضيه خاصية ذلك الاسم و أجاب دعاء بلعام بن باعورا في موسى ع و قومه لما دعاه بالاسم الخاص بذلك و هو قوله آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ فلم يكن له من الاسم إلا حروفه فنطق بها و لهذا قال فَانْسَلَخَ مِنْها فكانت في ظاهره كالثوب على لابسه و كما تنسلخ الحية من جلدها و لو كان في باطنه لمنعه الحياء و المقام من الدعاء على نبي من الأنبياء و أجيب لخاص الاسم و عوقب و جعل مثله كَمَثَلِ الْكَلْبِ و نسي حروف ذلك الاسم فلو أن رسول الله ص يدعو بالاسم الخاص و يستعمله لأجابه الله في عين ما سأل مع علمنا بأنه علم علم الأولين و الآخرين و أنه أعلم الناس فعلمنا إن دعاءه لم يكن بخاص الاسم و تأدب و سبب ذلك الأدب الإلهي فإنه لا يعلم ما في نفس الله كما قال عيسى ع تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ فلعل ذلك الذي يدعوه فيه ما له فيه خيرة فعدلوا ع إلى الدعاء فيما يريدون من الله بغير الاسم الخاص بذلك المراد فإن كان لله في

علمه فيه رضي و للداعي فيه خيرة أجاب في عين ما سئل فيه و إن لم يكن عوض الداعي درجات أو تكفيرا في سيئات و معلوم عند الخاص و العام إن ثم اسما عاما يسمى الاسم الأعظم و هو في آية الكرسي و أول سورة آل عمران و مع علم النبي ع به ما دعا به في ما ذكرناه و لو دعا به أجابه الله في عين ما سأل فيه و علم الله في الأشياء لا يبطل فلهذا أدب الله أهله فهذا من علم الأسماء الإلهية و من الأسماء ما هي حروف مركبة و منها ما هي كلمات مركبة مثل الرحمن الرحيم هو اسم مركب كبعلبك و الذي هو حروف مركبة كالرحمن وحده و اعلم أن الحروف كالطبائع و كالعقاقير بل كالأشياء كلها لها خواص بانفرادها و لها خواص بتركيبها و ليس خواصها بالتركيب لأعيانها و لكن الخاصية لاحدية الجمعية فافهم ذلك حتى لا يكون الفاعل في العالم إلا الواحد لأنه دليل على توحيد الإله فكما أنه واحد لا شريك له في فعله الأشياء كذلك سرت الحقيقة في الأفعال المنسوبة إلى الأكوان إنها لا تصدر منها إذا كانت مركبة إلا لأحدية ذلك التركيب و كل جزء منها على انفراده له خاصية تناقض خاصية المجموع فإذا اجتمع اثنان فصاعدا أعطى أثرا لا يكون لكل جزء من ذلك المجموع على انفراده كسواد المداد حدث السواد عن المجموع لأحدية الجمع و كل جزء على انفراد لا يعطي ذلك السواد و هكذا تركيب الكلمات كتركيب الحروف و من هنا تعلم أن الحرف الواحد له عمل و لكن بالقصد كما عمل ش في لغة العرب عند السامع إن بشي ثوبه و هو حرف واحد و ق أن يقي نفسه من كذا و ع إن يعي ما سمعه مع كونه حرفا واحدا و أما كن فهو من فعل الكلمة الواحدة لا من فعل الحروف و خاصيته في الإيجاد و له شروط مع هذا يتأدب هل الله مع الله فجعلوا بدله في الفعل بسم الله و قد استعمله رسول الله ص في غزوة تبوك و ما سمع منه قبل ذلك و لا بعده و إنما أراد إعلام الناس من علماء الصحابة بمثل هذه الأسرار بذلك فالذي نذكر في هذا الباب العلم بما ذكرناه من أقسام الأسماء الإلهية أسماء الذات التي هي كالأعلام فلا أعرف بيد العالم في كتاب و لا سنة منها شيئا إلا الاسم الله في مذهب من لا يرى أنه مشتق من شيء ثم إنه مع الاشتقاق الموجود فيه هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما يسمى شخصا بيزيد على طريق العلمية و إن كان هو فعلا من الزيادة و لكن ما سميناه به لكونه يزيد و ينمو في جسمه و في علمه و إنما سميناه به لنعرفه و نصيح به إذا أردناه فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فإذا قيلت على هذا فهي أعلام كلها و إذا قيلت على طريق المدح إن كانت من أسماء المدح فهي أسماء صفات علي الحقيقة و من شأن الصفة إنها لا يعقل لها وجود إلا في موصوف بها لأنها لا تقوم بنفسها سواء كان لها وجود عيني أو إضافي لا وجود له في عينه فهي تدل على الموصوف بها بطريق المدح أو الذم و بطريق الثناء و بهذا وردت الأسماء الحسنى الإلهية في القرآن و نعت بها كلها ذاته سبحانه و تعالى من طريق المعنى و كلمة الله من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق و إن كانت فيه رائحة الاشتقاق

كما يراه بعض علماء هذا الشأن من أصحاب العربية و أما أسماء الضمائر فإنها تدل على الذات بلا شك و ما هي مشتقة مثل هو و ذا و أنا و أنت و نحن و الياء من أني و الكاف من أنك فلفظة هو اسم ضمير الغائب و ليست الضمائر مخصوصة بالحق بل هي لكل مضمر فهو لفظ يدل على ذات غائبة مع تقدم كلام يدل عليه عند السامع و إن لم يكن كذلك فلا فائدة فيه و لذلك لا يجوز الإضمار قبل الذكر إلا في ضرورة الشعر لما يتقيد به الشاعر من الأوزان و أنشد وافى ذلك جزى ربه عني عدي بن حاتم فأضمر قبل الذكر فإنه أراد أن يقول جزى عني عدي بن حاتم ربه فلم يتزن فقدم الضمير من أجل الوزن و من الضمائر لفظة ذا و هي من أسماء الإشارة مثل قوله ذٰلِكُمُ اللهُ و كذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي و كذلك لفظة أنت و تاء المخاطب مثل قوله كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ و لفظة نحن و لفظ إنا مشددة و لفظة نا مثل قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و كذلك حرف كاف الخطاب إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فهذه كلها أسماء ضمائر و إشارات و كنايات تعم كل مضمر و مخاطب و مشار إليه و مكنى عنه و أمثال هذه و مع هذا فليست أعلاما و لكنها أقوى في الدلالة من الأعلام لأن الأعلام قد تفتقر إلى النعوت و هذه لا افتقار لها و ما منها كلمة إلا و لها في الذكر بها نتيجة و ما أحد من أهل الله أهل الأذواق رأيناه نبه على ذلك في طريق الله للسالكين بالأذكار الأعلى لفظ هو خاصة و جعلوها من ذكر خصوص الخصوص لأنها أعرف من الاسم الله عندهم في أصل الوضع لأنها لا تدل إلا على العين خاصة المضمرة من غير اشتقاق و إنما غلبها أهل الله على سائر المضمرات و الكنايات لكونها ضمير غيب مطلق عن تعلق العلم بحقيقته و قالوا إن لفظة هو ترجع إلى هويته التي لا يعلمها إلا هو فاعتمدوا على ذلك و لا سيما الطائفة التي زعمت أنه لا يعلم نفسه تعالى الله عن ذلك و ما علمت الطائفة أن غير لفظة هو في الذكر أكمل في المرتبة مثل الياء من أني و النون من نزلنا و لفظة نحن فهؤلاء أعلى مرتبة في الذكر من هو في حق السالك لا في حق العارف فلا أرفع من ذكر هو عند العارفين في حقهم و كما هي عندهم أعلى في الرتبة من لفظة هو كذلك هي أعلى من أسماء الخطاب مثل كاف المخاطب و تائه و أنت فإنه لا يقول إني و إنا و نحن إلا هو عن نفسه فمن قالها به فهو القائل وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ فنتيجته أعظم لأن الذكر يعظم بقدر عظم علم الذاكر و لا أعلم من الله و باقي أسماء الضمائر مثل هو و ذا و كاف الخطاب هي من خواص عين المشار إليه فهي أشرف من الهو و مع هذا فما أحد من أهل الله سن الذكر بها كما فعلوا بلفظة هو فلا أدري هل منعهم من ذلك عدم الذوق لهذا المعنى و هو الأقرب فإنهم ما جعلوها ذكرا فإن قالوا فإنها تطلب التحديد قلنا فذلك سائغ في جميع المضمرات و نحن نقول بالذكر بذلك كله مع الحضور على طريق خاص و قد ورد في الشرع ما يقوي ما ذهبنا إليه من ذلك قوله ص إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و قوله عن الله كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و الحق بلا شك هو القائل بالنون و أنا و إنا و نحن و إني فلنذكره بها نيابة عنه أو

نذكره به لأنه الذاكر بها على لساني فهو أتم في الحضور بالذكر و أقرب فتحا للوقوف على ما تدل عليه و لهذه الأسماء أيضا أعني المضمرات خواص في الفعل لم أر أحدا يعرف منها من أهل الله إلا لفظة هو فإذا قلت هو كان هو و إن لم يكن هو عند قولك هو و لكن يكون هو عند قولك هو و كذلك ما بقي من أسماء الإضمار فاعلم ذلك فإنه من أسرار المعرفة بالله و لا يشعر به و لا نبه أحد عليه من أهل الله غيرة و بخلا أو خوفا لما يتعلق به من الحظر لما يظهر فيه من تكوين الله عند لفظة هو من العبد إذ كان الله يقولها على لسان عبده آية ذلك من كتاب الله فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فإن تكوين الله بلفظ هو من العبد هو ظهوره في مظهر خاص في ذلك الوقت إذ لا يظهر غيره و لا قال هو إلا هو فهو أظهر نفسه فهو الظاهر المظهر و الباطن المبطن و العزيز المعز و الغني المغني فقد نبهتك على سر هذا الذكر بهذا الاسم و على هذا تأخذ جميع أسماء الضمائر و الإشارات و الكنايات و لكن الطهارة و الحضور و الأدب و العلم بهذه الأمور لا بد منه حتى تعرف من تذكر و كيف تذكر و من يذكر و بمن تذكر و الله خير الذاكرين له و لك (القسم الثاني) من علم الأسماء الإلهية و هذا القسم ينقسم قسمين العلم بأسماء صفات المعاني مثل الحي و هو اسم يطلب ذاتا موصوفة بالحياة و العلم يسمى الموصوف به عالما و القادر للموصوف بالقدرة و المريد للموصوف بالإرادة و السميع و البصير و الشكور للموصوف بالسمع و البصر و الكلام و هذه كلها معان قائمة بالموصوف أو نسب على خلاف ينطلق عليه منها أسماء و لها أحكام في الموصوف بها و تلك الأسماء و إن كانت تدل على ذات موصوفة بصفة تسمى علما و قدرة و لكن لها مراتب كمن قام به العلم يسمى عالما و عليما و علاما و خبيرا و محصيا و محيطا هذه كلها أسماء لمن وصف بالعلم و لكن مدلول كونه عالما خلاف مدلول كونه عليما و خبيرا يفهم من ذلك ما لا يفهم من العالم فإن عليما للمبالغة فيفهم منه ما لا يفهم من العالم فإن من يعلم أمرا ما من المعلومات يسمى عالما و لا يسمى عليما و لا علاما إلا إذا تعلق علمه بمعلومات كثيرة و خبير التعلق العلم بعد الابتلاء قال تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و كذا المحصي يتعلق بحصر المعلومات من وجه يصح فهو تعلق خاص يطلبه العلم و كذلك المحيط له تعلق خاص و هو العلم بحقائق المعلومات الذاتية و الرسمية و اللفظية و ما يتناهى منها إنه متناه و ما لا يتناهى منها إنه غير متناه فقد أحاط به علما إنه لا يتناهى فإن هنا زلت طائفة كبيرة من أهل العلم و هكذا تأخذ جميع الصفات كالقادر و المقتدر و القاهر كل ذلك تطلبه القدرة و بين هذه الأسماء فرقان و إن كانت الصفة الواحدة تطلبها فإن القاهر في مقابلة المنازع و القهار في مقابلة المنازعين و القادر في مقابلة القابل للأثر فيه مع كونه معدوما في عينه ففيه ضرب من الامتناع و هي مسألة مشكلة لأن تقدم العدم للممكن قبل وجوده لا يكون مرادا و لا هو صفة نفسية للممكن فهذا هو الإشكال فينبغي أن يعلم و المقتدر لا يكون إلا في حال تعلق القدرة بالمقدور لأنه تعمل في تعلق القدرة بالمقدور لإيجاد عينه كالمكتسب و الكاسب فقد بان لك

الفرقان بين الأسماء و إن كانت تطلب صفة واحدة و لكن بوجوه مختلفة إذ لا يصح الترادف في العالم لأن الترادف تكرار و ليس في الوجود تكرار جملة واحدة للاتساع الإلهي فاعلم ذلك و ما وجدنا في الشرع للكلام اسما إلهيا إلا الشكور و المجيب فالكلام ما وجدنا اسما من لفظ اسمه في الشرع و كذلك الإرادة ليس لها اسم في علمي من لفظ اسمهما غير أن من أسمائها من جهة معناها أسماء الأفعال فإنه قال فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و لها تعلق صعب التصور و هو إرادته أن يقول و ليس قوله من الأفعال و لا هو نسبة عدمية و لا صفة عدمية و كذلك يتصور في القدرة أيضا و ذلك أن يقال الحق قادر أن يكلم عباده بما شاء فهنا علم ينبغي أن يعرف و ذلك أن الله أدخل تعلق إرادته تحت حكم الزمان فجاء بإذا و هي من صيغ الزمان فقال إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ و الزمان قد يكون مزادا و لا يصح فيه إذا لأنه لم يكن بعد فيكون له حكم فعلم هذا من علوم غامض الأسماء الإلهية ثم اعلم أن الذي يعقد عليه أهل الله تعالى في أسمائه سبحانه هي ما سمي به نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله و أما إذا أخذناها من الاشتقاق أو على جهة المدح فإنها لا تحصى كثرة و الله يقول وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و ورد في الصحيح أن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة و ما قدرنا على تعيينها من وجه صحيح فإن الأحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء و كل اسم إلهي يحصل لنا من طريق الكشف أو لمن حصل فلا نورده في كتاب و إن كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي إليه ذلك من الفساد في المدعين الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ و في زماننا منهم كثير و لما فحصنا عن الحفاظ لم نر أحدا اعتنى بها مثل الحافظ أبي محمد علي بن سعيد بن حزم الفارسي و غاية ما وصلت إليه قدرته ما أذكره من الأسماء الحسنى هذا مبلغ إحصائه فيها من الطرق الصحاح على ما حدثناه علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الفريابي عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدي الإشبيلي و حدثناه عبد الحق إجازة و غير واحد ما بين سماع و قراءة و إجازة عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني عن أبي محمد علي بن حزم الفارسي قال إنما تؤخذ يعني الأسماء من نص القرآن و مما صح عن النبي ص و قد بلغ إحصاؤنا ما نذكره و هي الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم الكريم العظيم حليم القيوم الأكرم السلام التواب الرب الوهاب الأقرب سميع مجيب واسع العزيز الشاكر القاهر الآخر الظاهر الكبير الخبير القدير البصير الغفور الشكور الغفار القهار الجبار المتكبر المصور البر مقتدر الباري العلي الغني الولي القوي الحي الحميد المجيد الودود الصمد الأحد الواحد الأول الأعلى المتعال الخالق الخلاق الرزاق الحق اللطيف رءوف عفو الفتاح المتين المبين المؤمن المهيمن الباطن القدوس الملك مليك الأكبر الأعز السيد سبوح وتر محسان جميل رفيق المسعر القابض الباسط الشافي المعطي المقدم المؤخر الدهر فهذا الذي روينا عن أشياخنا عن أشياخهم عنه في إحصائه و عندنا من القرآن أسماء أخر جاءت مضافة و هي عندنا من الأسماء و ليست عنده من الأسماء و كذلك في الأخبار و من

أراد أن يقف على أسماء الله تعالى على الحقيقة فلينظر في قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ و على الحقيقة فما في الوجود إلا أسماؤه و لكن حجبت عيون البصائر عن العلم بها أعيان الأكوان فإنه سبحانه الواقي لا غيره فهو المحتجب بكل واق و شبه هذا فهو فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا و جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً و جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و قيام السموات و الأرض و هو الصبور و قابِلِ التَّوْبِ و سَرِيعُ الْحِسابِ و شَدِيدُ الْعِقابِ و رَفِيعُ الدَّرَجاتِ و ذُو الْعَرْشِ و ذو المعارج و قد رميت بك على الطريق فهذا قسم الصفات الدالة على المعاني و النسب و الإضافات كالأول و الآخر و الظاهر و الباطن (القسم الثالث) و هو أسماء الأفعال و هي صريح كالمصور و مضمن مثل قوله وَ مَكَرَ اللهُ و أسماء الأفعال كلها أسماء الإرادة (القسم الرابع) أسماء الاشتراك كاسمه المؤمن و الرب فالمؤمن المصدق و المؤمن معطي الأمان و الرب المالك و الرب المصلح و الرب السيد و الرب المربي و الرب الثابت فإذا حصل بيدك اسم من الأسماء الإلهية فانظر في أية مرتبة هو من هذه المراتب فادع به من حيث مرتبته لا تخرجه عنها جملة واحدة و لا تغفل عن دلالته على الذات التي لها هذه النعوت كلها تكن أحدي العين في عين الكثرة فتكون الواحد الكثير فإن المراتب و الحقائق تطلب الأسماء لمن هي صفاته حتى إذا دعي بها زهت و علمت إن لله بها عناية حيث أطلق عليه من أحكامها أسماء و حيث جعل ذاته محلا لأحكامها فالحلم معنى معقول يطلق منه اسم على من ظهر فيه حكمه و هو الحليم مع المقدرة و المتجاوز و الصفوح و العفو و كذلك مرتبة الكرم معنى معقول يطلق منه اسما على من ظهر منه حكمه كالكريم و المعطي و الجواد و الوهاب و المنعم و هكذا تأخذ جميع الأسماء على حد ما أشرت إليك و لا تتعد بها مراتبها مع علمك أنه ليس في أسماء الله ترادف و إنها كلها متباينة فهذا قد أبنت لك عن العلم الأول من المعرفة الذي لأهل الله مجملا مع نبذ من التفصيل فتفهم ذلك النوع الثاني من علوم المعرفة و هو علم التجلي اعلم أن التجلي الإلهي دائم لا حجاب عليه و لكن لا يعرف أنه هو و ذلك أن الله لما خلق العالم أسمعه كلامه في حال عدمه و هو قوله كن و كان مشهودا له سبحانه و لم يكن الحق مشهودا له و كان على أعين الممكنات حجاب العدم لم يكن غيره فلا تدرك الموجود و هي معدومة كالنور ينفر الظلمة فإنه لا بقاء للظلمة مع وجود النور كذلك العدم و الوجود فلما أمرها بالتكوين لإمكانها و استعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لأن في قوتها الرؤية كما في قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فعند ما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم و فتح عينيه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو و لا علم أنه الذي أمره بالتكوين فأفاده التجلي علما بما رآه لا علما بأنه هو الذي أعطاه الوجود فلما انصبغ بالنور التفت على اليسار فرأى العدم فتحققه فإذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابلة النور فقال ما هذا فقال له النور من الجانب الأيمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فإنا

النور و أنا مذهبو نورك الذي أنت عليه إنما هو من حيث ما يواجهني من ذاتك ذلك لتعلم أنك لست أنا فإنا النور بلا ظل و أنت النور الممتزج لإمكانك فإن نسبت إلى قبلتك و إن نسبت إلى العدم قبلك فأنت بين الوجود و العدم و أنت بين الخير و الشر فإن أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن إمكانك و إذا أعرضت عن إمكانك جهلتني و لم تعرفني فإنه لا دليل لك على أني إلهك و ربك و موجدك إلا إمكانك و هو شهودك ظلك و إن أعرضت عن نورك بالكلية و لم تزل مشاهدا ظلك لم تعلم أنه ضل إمكانك و تخيلت أنه ظل المحال و المحال و الواجب متقابلان من جميع الوجوه فإن دعوتك لم تجبني و لم تسمعني فإنه يصمك ذلك المشهود عن دعائي فلا تنظر إلي نظرا يفنيك عن ظلك فتدعى أنك أنا فتقع في الجهل و لا تنظر إلى ظلك نظرا يفنيك عني فإنه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة و تارة و ما خلق الله لك عينين إلا لتشهدني بالواحدة و تشهد ظلك بالعين الأخرى و قد قلت لك في معرض الامتنان أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ أي بينا له الطريقين طريق النور و الظل إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً فإن العدم المحال ظلمة و عدم الممكن ظل لا ظلمة و لهذا في الظل راحة الوجود و اعلم أن التجلي الأول الذي حصل للممكن عند ما اتصف بالوجود و انصبغ بالنور هو التجلي للأرواح النورية التي ليست لها هذه الهياكل المظلمة و لكن لها ظل إمكانها الذي لا يبرح فيها و هي و إن كانت نورا بما انصبغت به فظلها فيها لا ظهور له عليها و حكمه فيها لا يزول و هذه المرتبة كان يريد أن يكون نهى رسول الله ص إذ كان يقول في دعائه اللهم اجعلني نورا ثم بعد هذا التجلي الإبداعي الذي هيم بعض الأرواح النورية تجلى تجليا لبعض هذه الأرواح المبدعة فعلم منه في هذا التجلي جميع المراتب التي تظهر عنه في عالم الأنوار و الظلم و اللطائف و الكثائف و البسائط و المركبات و الجواهر و الأعراض و الأزمنة و الأمكنة و الإضافات و الكيفيات و الكميات و الأوضاع و الفاعلات و المنفعلات إلى يوم القيامة و أنواع العالم و مبلغها مائتا ألف مرتبة و سبع آلاف مرتبة و ستمائة مرتبة و قام هذا العدد من ضرب ثلاثمائة و ستين في مثلها ثم أضيف إليها ثمانية و سبعون ألفا فكان المجموع ما ذكرناه و هو علم العقل الأول و عمر العالم من حين ولي النظر فيه هذا المفعول الإبداعي و ما قبل ذلك فمجهول لا يعلمه إلا الله تعالى فلما علم العقل من هذا التجلي هذه المراتب و هي علومه كان من جملة ذلك انبعاث النفس الكلية عنه و هي أول مفعول انبعاثي و هي ممتزجة بين ما انفعل عنها و بين ما انفعلت عنه فالذي انفعلت عنه نور و الذي انفعل عنها ظلمة و هي الطبيعة فظهر ظل النفس في ظاهرها مما يلي جانب الطبيعة لكن لم يمتد عنها ظلها كما يمتد عن الأجسام الكثيفة و انتقش فيها جميع ما للعقل من العلوم التي ذكرناها و لها وجه خاص إلى الله لا علم للعقل به فإنه سر الله الذي بينه و بين كل مخلوق لا تعرف نسبته و لا يدخل تحت عبارة و لا يقدر مخلوق على إنكار وجوده فهو المعلوم المجهول و هذا هو التجلي في الأشياء المبقي أعيانها و أما التجلي للأشياء فهو تجلى يفني أحوالا و

يعطي أحوالا في المتجلي له و من هذا التجلي توجد الأعراض و الأحوال في كل ما سوى الله ثم له تجل في مجموع الأسماء فيعطي في هذا التجلي في العالم المقادير و الأوزان و الأمكنة و الأزمان و الشرائع و ما يليق بعالم الأجسام و عالم الأرواح و الحروف اللفظية و الرقمية و عالم الخيال ثم له تجل آخر في أسماء الإضافة خاصة كالخالق و ما أشبهه من الأسماء فيظهر في العالم التوالد و التناسل و الانفعالات و الاستحالات و الأنساب و هذه كلها حجب على أعيان الذوات الحاملات لهذه الحجب عن إدراك ذلك التجلي الذي لهذه الحجب الموجد أعيانها في أعيان الذوات و بهذا القدر تنسب الأفعال للأسباب و لولاها لكان الكشف فلا يجهل و لكن كما قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و وقوع خلاف المعلوم محال فبالتجلي تغير الحال على الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود و به ظهر الانتقال من حال إلى حال في الموجودات و هو خشوع تحت سلطان التجلي فله النقيضان يمحو و يثبت و يوجد و يعدم و قد بين الله لنا ذلك بقوله تعالى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا فنقله من حال الشموخ إلى حال الخشوع و الاندكاك و قال ص في الحديث الذي صححه الكشف إن الله إذا تجلى لشيء خشع له فالله متجل على الدوام لأن التغيرات مشهودة على الدوام في الظواهر و البواطن و الغيب و الشهادة و المحسوس و المعقول فشأنه التجلي و شأن الموجودات التغيير بالانتقال من حال إلى حال فمنا من يعرفه و منا من لا يعرفه فمن عرفه عبده في كل حال و من لم يعرفه أنكره في كل حال ثبت في الصحيح أن النبي ص قال الحمد لله على كل حال فأثنى عليه على كل حال لأنه المعطي بتجليه كل حال و أوضح من هذا في التبليغ ما يكون مع إقامة الحدود و إنكار ما ينبغي أن ينكر فإن المنكر بالتغيير أنكر يَسْئَلُهُ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ أحوال إلهية في أعيان كيانية بأسماء نسبية عينتها تغييرات كونية فتجلى أحدي العين في أعيان مختلفة الكون فرأت صورها فيه فشهد العالم بعضه بعضا في تلك العين فمنه المناسب و هو الموافق و منه غير المناسب و هو المخالف فظهرت الموافقة و الخلاف في أعيان العالم دنيا و آخرة لأنه لا تزال أعيان العالم تبصر بعضها بعضا في تلك العين المنجلية فتنعكس أنوارها عليها بما تكتسبه من تلك العين فيحدث في العالم ما يحدث دنيا و آخرة عن أثر حقيقة تلك العين لما تعلقت بها أبصار العالم كالمرآة تقابل الشمس فينعكس ضوءها على القطن المقابل لانعكاس النور فيحدث فيه الحرق هذا عين ما يظهر في العالم من تأثير بعضه في بعض من شهود تلك العين فالمؤثر روحاني و الذي تأثر طبيعي و ما من شيء تكون له صورة طبيعية في العالم إلا و لها روح قدسي و تلك العين لا تنحجب أبدا فالعالم في حال شهود أبدا و التغيير كائن أبدا لكن الملائم و غير الملائم و هو المعبر عنه بالنفع و الضرر فهذا علم التجلي من أحد أقسام المعرفة إن لم يحصل للإنسان مع بقية إخوانه فليس بعارف و لا حصل له مقام المعرفة النوع الثالث من المعرفة و هو العلم بخطاب الحق عباده بالسنة الشرائع اعلم وفقك الله أن ما عدا الثقلين من كل ما سوى الله على معرفة بالله و وحي من الله و علم بمن

تجلى له مفطور على ذلك سعيد كله و لهذا قال تعالى أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ من في السَّماواتِ وَ من في الْأَرْضِ فعم ثم فصل ليبين للناس ما نزل إليهم فقال وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ من النَّاسِ و هو قوله إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ يقول و ما هم قليل يعني أنهم كثير فهو قوله وَ كَثِيرٌ من النَّاسِ ثم قال وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ و سبب ذلك إن وكله من حيث نفسه الناطقة الموجودة بين الطبيعة و النور بما جعل الله فيها من الفكر ليكتسب به المعرفة بالله تعالى اختيارا من الله و أعطاها العقل كما أعطى سائر الموجودات و أعطاه صفة القبول و عشقه بالقوة المفكرة لاستنباط العلوم من ذاته لتظهر فيه قوة إلهية فإنه يحب الرئاسة و الظهور و الشفوف على أبناء جنسه لاشتراكهم في ذلك ثم لما أعطاهم القوة المفكرة نصب لهم علامات و دلائل تدل على الحدوث لقيامها بأعيانهم و نصب لهم دلائل و علامات تدل على القدم الذي هو عبارة عن نفي الأولية عن وجوده و تلك الدلائل بأعيانها هي التي نصبها للدلالة على الحدوث فسلبها عن الذات القديمة المسماة الله هو الدليل ليس غير ذلك فللأدلة وجهان و هي عين واحدة يدل ثبوتها على حدوث العالم و سلبها على موجد العالم فلما نظر بهذا النظر و قال عرفت الله بما نصبه من الأدلة على معرفتنا بنا و به و هي الآيات المنصوبة في الآفاق و في أنفسنا حتى يتبين لنا أنه الحق و قد تبين و هو الذي عبرنا عنه بالتجلي فإن التجلي إنما هو موضوع للرؤية و ذلك قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فذكر الرؤية و الآيات للتجلي فيتبين لهم أنه الحق يعني ذلك التجلي الذي رأوه علامة أنه علامة على نفسه ف يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ المطلوب و لهذا تمم فقال في الآية عينها أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ يعني أن يكون دليلا على نفسه و أوضح الدلالات دلالة الشيء على نفسه بظهوره فلما حصلت لعقولهم هذه المعرفة بالتنزيه عما نسبوه إلى ذوات العالم و هو دليل واحد العين متردد في الدلالة بين سلب لمعرفة الله و بين إثبات لمعرفة العالم أقام الحق لهذا الجنس الإنساني شخصا ذكر أنه جاء إليهم من عند الله برسالة يخبرهم بها فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا إن الأمر جائز ممكن فلم يقدموا على تكذيبه و لا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا و سألوه هل جئت إلينا بعلامة من عنده حتى نعلم أنك صادق في رسالتك فإنه لا فرق بيننا و بينك و ما رأينا لك أمرا تميزت به عنا و باب الدعوى مفتوح و من الدعوى ما يصدق و منها ما لا يصدق فجاء بالمعجزة فنظروا فيها نظر إنصاف و هي بين أمرين الواحد أن تكون مقدورة لهم فيدعي الصرف عنها مطلقا فلا تظهر إلا على يدي من هو رسول إلى يوم القيامة هذا إذا كانت معجزة لا آية فقط فإن المعجزات نصبت للخصم الألد الفاقد نور الايمان و الأمر الآخر أن تكون المعجزة خارجة عن مقدور البشر بالحس و الهمة معا فإذا أتى بأحد هذين الأمرين و تحققه الناظر دليلا آمن برسالته و صدقه في مقالته و إخباره عن ربه إذا كانت الدلالة على المجموع بحسب ما وقعت به الدعوى و لا يمكن في ذوق طريقنا تصديقه مع الدلالة إلا بتجل إلهي لقلبه من اسمه النور فإذا انصبغ باطنه بذلك النور صدقه فذلك نور الايمان و

غيره لم يحصل عنده من ذلك النور شيء مع علمه بأنه صادق من حيث الدلالة لا من حيث النور المقذوف في القلب فجحد مع علمه و هو قوله تعالى وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً و دونهم في هذه الرتبة من قيل فيه و أضله الله على علم فذلك نور العلم به لا نور الايمان فلما صدقه من صدقه و أظهر صدقه و اعتمد على عقله حيث قاده إلى الحق و لم يحصل له ضوء من نور الايمان يستضيء به و ما علم أنه بذلك النور صدقه لا بنور علمه الذي هو عند من جحده مع علمه بصدق دعواه فلما اعتمد على عقله هذا المصدق و جاء آخر من المصدقين به أيضا كشف الله له عن نور إيمانه و نور علمه فكان نورا على نور و جاء ثالث ما عنده من نور العلم النظري شيء و لا يعرف موضع الدلالة من تلك الآية المعجزة و قذف الله في قلبه نور الايمان فآمن و صدق و ليس معه نور علم نظري و لكن فطرة سليمة و عقل قابل و هيكل منور بعيد من استعمال الفكر فسارع في القبول فقعد هؤلاء الثلاثة الأصناف بين يدي هذا الرسول الذي صدقوه فأخذ الرسول يصف لهم مرسله الحق تعالى ليعرفهم به المعرفة التي ليست عندهم مما كانوا قد أحالوا مثل ذلك على الحق تعالى و سلبه عنه أهل الأدلة النظرية و أثبتوا تلك الصفات للمحدثات دلالة على حدوثها فلما سمعوا ما تنكره الأدلة العقلية النظرية و ترده افترقوا عند ذلك على فرق فمنهم من ارتد على عقبه و شك في دليله الذي دله على صدقه و أقام له في ذلك الدليل شبهات قادحة فيه صرفته عن الايمان و العلم به فارتد على عقبه و منهم من قال إن في جمعنا هذا من ليس عنده سوى نور الايمان و لا يدري ما العلم و لا ما طريقه و هذا الرسول لا نشك في صدقه و في حكمته و من الحكمة مراعاة الأضعف فخاطب هذا الرسول بهذه الصفات التي نسبها إلى ربه أنه عليها هذا الضعيف الذي لا نظر له في الأدلة و ليس عنده سوى نور الايمان رحمة به لأنه لا ينبت له الايمان إلا بمثل هذا الوصف و للحق أن يصف نفسه بما شاء على قدر عقل القابل و إن كان في نفسه على خلاف ذلك و اتكل هذا المخبر بهذا الوصف و المراعي حق هذا الأضعف على ما يعرفه من علمنا به و تحققه من صدقنا فيه و وقوفنا مع دليلنا فلا يقدح شيء من هذا فيما عندنا إذ قد عرفنا مقصود هذا الرسول بالأمر فثبتوا على إيمانهم مع كونهم أحالوا ما وصف الرسول به ربه في أنفسهم و أقروه حكمة و استجلابا للأضعف و فرقة أخرى من الحاضرين قالوا هذا الوصف يخالف الأدلة و نحن على يقين من صدق هذا المخبر و غايتنا في معرفتنا بالله سلب ما نسبناه لحدوثها فهذا أعلم بالله منا في هذه النسبة فنؤمن بها تصديقا له و نكل علم ذلك إليه و إلى الله فإن الايمان بهذا اللفظ ما يضرنا و نسبة هذا الوصف إليه تعالى مجهولة عندنا لأن ذاته مجهولة من طريق الصفات الثبوتية و السلب فما يعول عليه و الجهل بالله هو الأصل فالجهل بنسبة ما وصف الحق نفسه به في كتابه أعظم فلنسلم و لنؤمن على علمه بما قاله عن نفسه و فرقة أخرى من الحاضرين قالوا لا نشك في دلالتنا على صدق هذا المخبر و قد آتانا في نعت الله الذي أرسله إلينا بأمور إن

وقفنا عند ظاهرها و حملناها عليه تعالى كما نحملها على نفوسنا أدى إلى حدوثه و زال كونه إلها و قد ثبت فننظر هل لها مصرف في اللسان الذي جاء به فإن الرسول ما أرسل إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ فنظروا أبوابا مما يؤول إليها ذلك الوصف مما يقتضي التنزيه و ينفي التشبيه فحملوا تلك الألفاظ على ذلك التأويل فإذا قيل لهم في ذلك أي شيء دعاكم إلى ذلك قالوا أمر أن القدح في الأدلة فإنا بالأدلة العقلية أثبتنا صدق دعواه و لا نقبل ما يقدح في الدلالة العقلية فإن ذلك قدح في الدلالة على صدقه و الأمر الآخر قد قال لنا هذا الصادق إن الله الذي أرسله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و وافق الأدلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فإن قلنا ما قاله في الله على الوجه الذي يعطيه ظاهر اللفظ و نحمله عليه كما نحمله على المحدثات ضللنا فأخذنا في التأويل إثباتا للطريقين و فرقة أخرى و هي أضعف الفرق لم يتعدوا حضرة الخيال و ما عندهم علم بتجريد المعاني و لا بغوامض الأسرار و لا علموا معنى قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لا قوله وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و هم واقفون في جميع أمورهم مع الخيال و في قلوبهم نور الايمان و التصديق و عندهم جهل باللسان فحملوا الأمر على ظاهره و لم يردوا علمه إلى الله فيه فاعتقدوا نسبة ذلك النعت إلى الله مثل نسبته إلى نفوسهم و ما بعد هذه الطائفة طائفة في الضعف أكثر منها فإنهم على نصف الايمان حيث قبلوا نعت التشبيه و لم يعقلوا نعوت التنزيه من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و الفرقة الناجية من هؤلاء الفرق المصيبة للحق هي التي آمنت بما جاء من عند الله على مراد الله و علمه في ذلك مع نفي التشبيه ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فهذه يا ولي ألسنة الشرائع في العالم فجاء بالصورة في حق الحق و العين و اليد و الرجل و السمع و البصر و الرضي و الغضب و التردد و التبشبش و التعجب و الفرح و الضحك و الملل و المكر و الخداع و الاستهزاء و السخرية و السعي و الهرولة و النزول و الاستواء و التحديد في القرب و الصبر على الأذى و ما جرى هذا المجرى مما هو نعت المخلوقين ذلك لنؤمن عامة و لنعلم أن التجلي الإلهي في أعيان الممكنات أعطى هذه النعوت فلا شاهد و لا مشهود إلا الله فالسنة الشرائع دلائل التجليات و التجليات دلائل الأسماء الإلهية فارتبطت أبواب المعرفة بعضها ببعض فكل لفظ جاءت به الشريعة فهو على ما جاءت به لكن عالمنا يعرف بأي لسان تكلم الشرع و لمن خاطب و بمن خاطب و بما خاطب و لمن ترجع الأفعال و إلى من تنسب الأقوال و من المنقلب في الأحوال و من قال سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ لنقول و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب هذا أراد أن يسمع منا و قد قلناه و الحمد لله (النوع الرابع) من علوم المعرفة و هو العلم بالكمال و النقص في الوجود اعلم أنه من كمال الوجود وجود النقص فيه إذ لو لم يكن لكان كمال الوجود ناقصا بعدم النقص فيه قال تعالى في كمال كل ما سوى الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما نقصه شيئا أصلا حتى النقص أعطاه خلقه فهذا كمال العالم الذي هو كل ما سوى الله إلا الله ثم الإنسان فلله كمال يليق به و للإنسان كمال يقبله و من نقص من الأناسي عن هذا الكمال فذلك النقص الذي في العالم لأن الإنسان من

جملة العالم و ما كل إنسان قبل الكمال و ما عداه فكامل في مرتبته لا ينقصه شيء بنص القرآن قال ص في الإنسان كمل من الرجال كثيرون و من النساء مريم و آسية و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فما ظهر في العالم نقص إلا في هذا الإنسان و ذلك لأنه مجموع حقائق العالم و هو المختصر الوجيز و العالم هو المطول البسيط فأما كمال الألوهية فظاهر بالشرائع و أما بأدلة العقول فلا فعين ما يراه العقل كما لا هو النقص عند الله لو كان كما يقتضيه دليل العقل فجاء العقل بنصف معرفة الله و هو التنزيه و سلب أحكام كثيرة عنه تعالى و جاء الشارع يخبر عن الله بثبوت ما سلب عنه العقل بدلالته و تقرير ما سلبه عنه فجاء بالأمرين للكمال الذي يليق به تعالى فحير العقول فهذا هو الكمال الإلهي فلو لم يعط الحيرة لما ذكره لكان تحت حكم ما خلق فإن القوي الحسية و الخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها و العقول تطلبه بذواتها و أدلتها من نفي و إثبات و وجوب و جواز و إحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس و الخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول و الحواس تسمع فحارت الحواس و الخيال و قالوا ما بأيدينا منه شيء و خاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس و الخيال و العقول تسمع فحارت العقول و قالت ما بأيدينا منه شيء فعلا عن إدراك العقول و الحواس و الخيال و انفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فلم يعلمه سواه و لا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما و لا رأوا له عينا فآثار تشهد و جناب يقصد و رتبة تحمد و إله منزه و مشبه يعبد هذا هو الكمال الإلهي و بقي الإنسان متوسط الحال بين كمال الحيرة و الحد و هو كمال العالم فبالإنسان كمل العالم و ما كمل الإنسان بالعالم فلما انحصرت في الإنسان حقائق العالم بما هو إنسان لم يتميز عن العالم إلا بصغر الحجم خاصة و بقيت له رتبة كماله فجميع الموجودات قبلت كمالها و الحق كامل و الإنسان انقسم قسمين قسم لم يقبل الكمال فهو من جملة العالم غير أنه مجموع العالم جمعية المختصر من الكبير و قسم قبل الكمال فظهرت فيه لاستعداده الحضرة الإلهية بكمالها و جميع أسمائها فأقام هذا القسم خليفة و كساه حلة الحيرة فيه فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت فيه ما قالت لتنافر حقائقه التي ركب الله فيها جسده فلما أعلمها الحق بما خلقه عليه و أعطاه إياه حارت فيه فقالت لا علم لنا و الحائر لا علم له فأعطاه علم الأسماء الإلهية التي لم تسبحه الملائكة بها و لا قدسته كما قال ع إنه يحمد الله غدا في القيامة عند سؤاله في الشفاعة بمحامد لا يعلمها الآن يقتضيها الموطن فإن محامد الله تعالى بحسب ما تطلبها المواطن و النشآت فأعطت نشأة آدم و من أشبهه من أولاده الأهلية للخلافة في العالم و ما كان ذلك لغيرهم فكان كمال الإنسان بهذا الاستعداد لهذا التجلي الخاص فظهر بأسماء الحق على تقابلها و أعطاه الحق فيما بين له مصارفها فهو يظهر بما ظهر من استخلفه و هي المسمى في الخلافة بالحق و العدل قال الله لداود إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فيهوي بمتبعه عن هذه الدرجة التي أهلت لها و أهلت لك و لأمثالك كما قال أبو العتاهية

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

و لم تك تصلح إلا له و لم يك يصلح إلا لها

و لو رامها أحد غيره لزلزلت الْأَرْضُ زِلْزَالَها

فإذا أعطى التحكم في العالم فهي الخلافة فإن شاء تحكم و طهر كعبد القادر الجيلي و إن شاء سلم و ترك التصرف لربه في عباده مع التمكن من ذلك لا بد منه كأبي مسعود بن الشبلي إلا أن يقترن به أمر إلهي كداود ع فلا سبيل إلى رد أمر الله فإنه الهوى الذي نهي عن اتباعه و كعثمان رضي الله عنه الذي لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق فيه فإن رسول الله ص نهاه أن يخلع عنه ثوب الخلافة فكل من اقترن بتحكمه أمر إلهي وجب عليه الظهور به و لا يزال مؤيدا و من لم يقترن به أمر إلهي فهو مخير إن شاء ظهر به ظهر بحق و إن شاء لم يظهر فاستتر بحق و ترك الظهور أولى فتلحق الأولياء الأنبياء بالخلافة خاصة و لا يلحقونهم في الرسالة و النبوة فإن بابهما مسدود فللرسول الحكم فإن استخلف فله التحكم فإن كان رسولا فتحكمه بما شرع و إن لم يكن رسولا فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمانه فإنه بالحكم ينسب إلى العدل و الجور انتهى الجزء العاشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(النوع الخامس) من علوم المعرفة و هو علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه اعلم أن الإنسان ما أعطى التحكم في العالم بما هو إنسان و إنما أعطى ذلك بقوة إلهية ربانية إذ لا تتحكم في العالم إلا صفة حق لا غير و هي في الإنسان ابتلاء لا تشريف و لو كانت تشريفا بقيت معه في الآخرة في دار السعداء و لو كانت تشريفا ما قيل له وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فحجرت عليه و التحجير ابتلاء و التشريف إطلاق و لا نسب في التحكم إلى عدل و لا إلى جرر و لا ولي الخلافة في العالم إلا أهل الله بل ولى الله التحكم في العالم من أسعده الله به و من أشقاه من المؤمنين و مع هذا أمرنا الحق أن نسمع له و نطيع و لا نخرج يدا من طاعة و قال فإن جاروا فلكم و عليهم و هذه حالة ابتلاء لا حالة شرف فإنه في حركاته فيها على حذر و قدم غرور و لهذا يكون يوم القيامة على بعض الخلفاء ندامة فإذا وقف الإنسان على معرفة نفسه و اشتغل بالعلم بحقائقه من حيث ما هو إنسان فلم ير فرقا بينه و بين العالم و رأى أن العالم الذي هو ما عدا الثقلين ساجد لله فهو مطيع قائم بما تعين عليه من عبادة خالقه و منشئه طلب الحقيقة التي يجتمع فيها مع العالم فلم يجد إلا الإمكان و الافتقار و الذلة و الخضوع و الحاجة و المسكنة ثم نظر إلى ما وصف به الحق العالم كله فرآه قد وصفه بالسجود له حتى ظله و رأى أنه ما وصف بذلك من جنسه إلا الكثير لا الكل كما وصف كل جنس من العالم فخاف أن يكون من الكثير الذي حق عليه العذاب ثم رأى أن العالم قد فطروا بالذات

على عبادة الله و افتقر هذا الإنسان إلى من يرشده و يبين له الطريق المقربة إلى سعادته عند الله لما سمع الله يقول وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فعبده بالافتقار إليه كما عبد سائر العالم ثم رأى أن الله قد حد له حدودا و رسم له أمورا و نهاه أن يتعداها و إن يأتي من أمره سبحانه ما استطاع فتعين عليه العلم بما شرع الله له ليقيم عبادة الله الفرعية كما أقام العبادة الأصلية فإن العبادة الأصلية هي التي تطلبها ذوات الممكنات بما هي ممكنات و العبادات الفرعية هي أعمال يفتقر فيها العبد إلى إخبار إلهي من حيث ما يستحقه سيده و ما تقتضيه عبوديته فإذا علم أمر سيده و نهيه و وفى حق سيده تعالى و حق عبودته فقد عرف نفسه و كل من عرف نفسه عرف ربه و من عرف ربه عبده بأمره فما ثم من جمع بين العبادتين عبادة الأمر و عبادة النهي إلا الثقلان فإن الأرواح الملكية لا نهي عندها ؟ ؟ قال فيهم لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ و لم يذكر لهم نهي و قال في عبادتهم الذاتية يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ فإن حقيقة نشأتهم تعطي ذلك فهذه هي العبادة الذاتية و هي عبادة سارية في كل ما سوى الله و لما كان الإنسان مجموع حقائق العالم كما قلنا و عرف نفسه من جهة حقائقه تعين عليه أن يقوم وحده من حيث هو بعبادة جميع العالم و إن لم يفعل فما عرف نفسه من جهة حقائقه لأنها عبادة ذاتية و صورة معرفته بذلك أن يشاهد جميع حقائقه كلها في عبادتها كشفا كما هي عليه في نفسها سواء كوشف بذلك أو لم يكاشف فهذا الذي أريده بالعلم بحقائقه أي عن الكشف فإذا شاهدها لم يتمكن له مخالفة أمر سيده فيما أمر به من عبادته بالوقوف عند حدوده و مراسمه فيما دخل فيه و فيما خرج عنه فإذا قال سبحان الله بكله على ما رسمنا انتقش في جوهر نفسه جميع ما قاله العالم كله من حيث تلك التسبيحة و هذه هي النفس الزكية التي تسمى لسان العالم بحيث لو صح أن يتعطل شيء من العالم في عبادة ربه لقام هذا العبد العارف بهذا القدر مقامه فيما فرط فيه و سد مسده لو تصور هذا و يجازى هذا العبد من جانب الحق بهذا القدر و هو مجازاة الأصغر بجائزة الأكبر يقول لو قدرنا العالم كله ما سوى الإنسان غفل عن عبادة الله طرفة عين و كان هذا الإنسان ذاكر الله قائما بحقه في تلك اللحظة ناب مناب العالم و سد مسده فجوزي بجزاء العالم كله و إن كان لا يتصور من العالم غفلة فإنه ليس من أهل الغفلة إلا الثقلان خاصة فانظر ما أعطاك العلم بنفسك و بما أنت عليه من حقائق الكون (النوع السادس) من علوم المعرفة و هو علم الخيال و عالمه المتصل و المنفصل و هذا ركن عظيم من أركان المعرفة و هذا هو علم البرزخ و علم عالم الأجساد التي تظهر فيها الروحانيات و هو علم سوق الجنة و هو علم التجلي الإلهي في القيامة في صور التبدل و هو علم ظهور المعاني التي لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت في صورة كبش و هو علم ما يراه الناس في النوم و علم الموطن الذي يكون فيه الخلق بعد الموت و قبل البعث و هو علم الصور و فيه تظهر الصور المرئيات في الأجسام الصقيلة كالمرآة و ليس بعد العلم بالأسماء الإلهية و لا

التجلي و عمومه أتم من هذا الركن فإنه واسطة العقد إليه تعرج الحواس و إليه تنزل المعاني و هو لا يبرح من موطنه تجبى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ و هو صاحب الإكسير الذي تحمله على المعنى فيجسده في أي صورة شاء لا يتوقف له النفوذ في التصرف و الحكم تعضده الشرائع و تثبته الطبائع فهو المشهود له بالتصرف التام و له التحام المعاني بالأجسام يحير الأدلة و العقول فلنبينه إن شاء الله في هذا الفصل بأوجز ما يمكن و أبلغ و الله الموفق لا رب غيره اعلموا يا إخواننا أنه ما من معلوم كان ما كان إلا و له نسبة إلى الوجود بأي نوع كان من أنواع الوجود فإنه على أربعة أقسام فمنها معلوم يجمع مراتب الوجود كلها و منها معلوم يتصف ببعض مراتب الوجود و لا يتصف ببعضها و هذه المراتب الأربعة التي للوجود منها الوجود العيني و هو الموجود في نفسه على أي حقيقة كان من الاتصاف بالدخول و الخروج أو بنفيهما فيكون مع كونه موجودا في عينه لا داخل العالم و لا خارج لعدم شرط الدخول و الخروج و هو التحيز و ليس ذلك إلا لله خاصة و أما ما هو من العالم قائم بنفسه غير متحيز كالنفوس الناطقة و العقل الأول و النفس و الأرواح المهيمة و الطبيعة و الهباء و أعني بهذه كلها أرواحها فكل ذلك داخل في العالم إلا أنه لا داخل أجسام العالم و لا خارج عنها فإنها غير متحيزات (و المرتبة الثانية) الوجود الذهني و هو كون المعلوم متصورا في النفس على ما هو عليه في حقيقته فإن لم يكن التصور مطابقا للحقيقة فليس ذلك بوجود له في الذهن (و المرتبة الثالثة) الكلام و للمعلومات وجود في الألفاظ و هو الوجود اللفظي و يدخل في هذا الوجود كل معلوم حتى المحال و العدم فإن له الوجود اللفظي فإنه يوجد في اللفظ و لا يقبل الوجود العيني أبدا أعني المحال و أما العدم فإن كان العدم الذي يوصف به الممكن فيقبل الوجود العيني و إن كان العدم الذي هو المحال فلا يقبل الوجود العيني (و المرتبة الرابعة) الوجود الكتابي و هو الوجود الرقمي و هو نسبته إلى الوجود في الخط أو الرقم أو الكتابة و نسبة المعلومات كلها من المحال و غير المحال نسبة واحدة فهذا المحال و إن كان لا يوجد له عين فله نسبة وجود في اللفظ و الخط فما ثم معلوم لا يتصف بالوجود بوجه و سبب ذلك قوة الوجود الذي هو أصل الأصول و هو الله تعالى إذ به ظهرت هذه المراتب و تعينت هذه الحقائق و بوجوده عرف من يقبل مراتب الوجود كلها ممن لا يقبلها فالأسماء متكلما بها كانت أو مرقومة ينسحب وجودها على كل معلوم فيتصف ذلك المعلوم بضرب من ضروب الوجود فما في العلم معدوم مطلق العدم ليس له نسبة إلى الوجود بوجه ما هذا ما لا يعقل فافهم هذا الأصل و تحققه ثم اعلم بعد هذا أن حقيقة الخيال المطلق هو المسمى بالعماء الذي هو أول ظرف قبل كينونة الحق ورد في الصحيح أنه قيل لرسول الله ص أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء و إنما قال هذا من أجل إن العماء عند العرب هو السحاب الرقيق الذي تحته هواء و فوقه هواء فلما سماه بالعماء أزال ما يسبق إلى فهم العرب من ذلك فنفى عنه الهواء حتى يعلم أنه لا يشبهه من كل وجه فهو أول موصوف

بكينونة الحق فيه فإن للحق على ما أخبر خمس كينونات كينونة في العماء و هو ما ذكرناه و كينونة في العرش و هو قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و كينونة في السماء في قوله ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا و كينونة في الأرض و هو قوله وَ هُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ و كينونة عامة و هو مع الموجودات على مراتبها حيثما كانت كما بين ذلك في حقنا فقال وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كل هذه النسب بحسب ما يليق بجلاله من غير تكييف و لا تشبيه و لا تصور بل كما تعطيه ذاته و ما ينبغي أن ينسب إليها من ذلك لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ فلا يصل أحد إلى العلم و لا إلى الظفر بحقيقته الْحَكِيمُ الذي نزل لعباده في كلماته فقرب البعيد في الخطاب لحكمة أرادها تعالى ففتح الله تعالى في ذلك العماء صور كل ما سواه من العالم إلا إن ذلك العماء هو الخيال المحقق ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها و يصور ما ليس بكائن هذا لاتساعه فهو عين العماء لا غيره و فيه ظهرت جميع الموجودات و هو المعبر عنه بظاهر الحق في قوله هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ و لهذا في الخيال المتصل يتخيل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله بتصوره فإذا تحكم عليه الخيال المتصل فما ظنك بالخيال المطلق الذي هو كينونة الحق فيه و هو العماء فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل ثم جاء الشرع في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل من كينونة الحق في قبلة المصلي و في مواجهة المصلي إياه فقبله الخيال المتصل و هو من بعض وجوه الخيال المطلق الذي هو الحضرة الجامعة و المرتبة الشاملة و انتشاء هذا العماء من نفس الرحمن من كونه إلها لا من كونه رحمانا فقط فجميع الموجودات ظهر في العماء بكن أو باليد الإلهية أو باليدين إلا العماء فظهوره بالنفس خاصة و لو لا ما ورد في الشرع النفس ما أطلقناه مع علمنا به و كان أصل ذلك حكم الحب و الحب له الحركة في المحب و النفس حركة شوقية لمن تعشق به و تعلق له في ذلك التنفس لذة و قد قال تعالى كما ورد كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فبهذا الحب وقع التنفس فظهر النفس فكان العماء فلهذا أوقع عليه اسم العماء الشارع لأن العماء الذي هو السحاب يتولد من الأبخرة و هي نفس العناصر لما فيه من حكم الحرارة فلهذا الالتفات سماه عماء ثم نفى عنه الهواء الذي يحيط به كما يحيط بجسم السحاب و يصرفه الهواء حيث شاء فنفى أن يكون هذا العماء يتحكم فيه غيره إذ هو أقرب الموجودات إلى الله الكائن عن نفسه فلما عمر هذا العماء الخلأ كله الذي هو مكان العالم أو ظرفه إذ لو انعدم العالم لتبين الخلأ و هو امتداد متوهم في غير جسم فهذا العماء هو الحق المخلوق به كل شيء و سمي الحق لأنه عين النفس و النفس مبطون في المتنفس هكذا يعقل فالنفس له حكم الباطن فإذا ظهر له حكم الظاهر ف هُوَ الْأَوَّلُ في الباطن وَ الْآخِرُ في الظاهر وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فإنه فيه ظهر كل شيء مسمى من معدوم يمكن وجود عينه و من معدوم يوجد عينه ثم ظهر في عين هذا العماء أرواح الملائكة المهيمة و ما هم ملائكة بل هم أرواح مطهرة ثم ما زال يظهر فيه صور أجناس العالم شيئا بعد شيء و طورا بعد طور إلى أن كمل من حيث أجناسه فلما كمل بقيت الأشخاص من

هذه الأجناس تتكون دائما تكوين استحالة من وجود إلى وجود لا من عدم إلى وجود فخلق آدم من تراب و خلق بنى آدم من نطفة و هي الماء المهين ثم خلق النُّطْفَةَ عَلَقَةً فلهذا قلنا في الأشخاص إنها مخلوقة من وجود لا من عدم فإن الأصل على هذا كان و هو العماء من النفس و هو وجود و هو عين الحق المخلوق به و أجناس العالم مخلوقون من العماء و أشخاص العالم مخلوقون من العماء أيضا و من أنواع أجناسه فما خلق شيء من عدم لا يمكن وجوده بل ظهر في أعيان ثابتة و هو قولنا في أول هذا الكتاب الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم و عدمه عن عدم من حيث إنه لم يكن لها عين ظاهرة و عدمه و عدم العدم وجود أي و إن لم يكن لها عين فهذه العين من وجود ظهرت على الحقيقة فأعدمت العدم الأول الذي أثبته بنسبة ما فهو من حيث تلك النسبة ثابت و من هذه النسبة الأخرى منفي و إذا تحققت هذا فإن شئت قلت هو عن عدم و إن شئت قلت هو عن وجود بعد علمك بالأمر على ما هو عليه و لو لا قوة الخيال ما ظهر من هذا الذي أظهرناه لكم شيء فإنه أوسع الكائنات و أكمل الموجودات و يقبل الصور الروحانيات و هو التشكل في الصور المختلفة من الاستحالة الكائنة و الاستحالة منها ما فيها سرعة كاستحالة الأرواح صورا جسدية و المعاني صورا جسدية تظهر في كون هذا العماء و ثم استحالات فيها بطء كاستحالة الماء هواء و الهواء نارا و النطفة إنسانا و العناصر نباتا و حيوانا فهذه كلها و إن كانت استحالات فما لها سرعة استحالة الصور في القوة المتخيلة في الإنسان و هو الخيال المتصل و لا في استحالات صور الأرواح في صور الأجسام أجسادا كالملائكة في صور البشر فإن السرعة هنالك أقوى و كذا زوالها أسرع من استحالات الأجسام بعد الموت إلى ما تستحيل إليه ثم إذا فهمت هذا الأصل علمت أن الحق هو الناطق و المحرك و المسكن و الموجد و المذهب فتعلم أن جميع الصور بما ينسب إليها مما هو له خيال منصوب و أن حقيقة الوجود له تعالى ألا ترى إلى واضع خيال الستارة ما وضعه إلا ليتحقق الناظر فيه علم ما هو أمر الوجود عليه فيرى صورا متعددة حركاتها و تصرفاتها و أحكامها لعين واحدة ليس لها من ذلك شيء و الموجد لها و محركها و مسكنها بيننا و بينه تلك الستارة المضروبة و هو الحد الفاصل بيننا و بينه به يقع التمييز فيقال فيه إله و يقال فينا عبيد و عالم أي لفظ شئت ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود و بين الأجسام النورية و الطبيعة كالعلم و الحركة هذا في النفوس و هذه في الأجسام فتتجسد في حضرة الخيال كالعلم في صورة اللبن و كذلك تعيين النسب و إن كانت لا عين لها لا في النفس و لا في الجسم كالثبات في الأمر نسبة إلى الثابت فيه يظهر هذا الثبات في صورة القيد المحسوس في حضرة الخيال المتصل و كالأرواح في صور الأجسام المتشكلة الظاهرة بها كجبريل في صورة دحية و من ظهر من الملائكة في صور الذريوم بدر هذا في الخيال المنفصل و كالعصا و الحبال في صور الحيات تسعى كما قال يُخَيَّلُ إِلَيْهِ يعني إلى موسى من سِحْرِهِمْ أي من علمهم بما فعلوه أَنَّها تَسْعى فأقاموا ذلك في حضرة

الخيال فأدركها موسى مخيلة و لا يعرف أنها مخيلة بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم و لهذا خاف فقيل له لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلى فالفرقان بين الخيال المتصل و الخيال المنفصل أن المتصل يذهب بذهاب المتخيل و المنفصل حضرة ذاتية قابلة دائما للمعاني و الأرواح فتجسدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك و من هذا الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل و الخيال المتصل على نوعين منه ما يوجد عن تخيل و منه ما لا يوجد عن تخيل كالنائم ما هو عن تخيل ما يراه من الصور في نومه و الذي يوجد عن تخيل ما يمسكه الإنسان في نفسه من مثل ما أحس به أو ما صورته القوة المصورة إنشاء لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها لكن جميع آحاد المجموع لا بد أن يكون محسوسا فقد يندرج المتخيل الذي هو صورة الملك في صورة البشر و هو من الخيال المنفصل في الخيال المتصل فيرفعه في الخيال المتصل و هو خيال بينهما صورة حسية لولاها ما رفع مثالها الخيال المتصل و من هذا الباب التجلي الإلهي في صور الاعتقادات و هذا مما يجب الايمان به خرج مسلم في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري و هو حديث طويل و فيه حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر و فاجر فيأتيهم رب العالمين تبارك و تعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فيقول ما ذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم و لم نصاحبهم قال فيقول أنا ربكم قال فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم و بين ربكم آية تعرفونه بها فيقولون نعم قال ف يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود و لا يبقى من كان يسجد اتقاء و رياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم و قد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم قال فيقولون نعم أنت ربنا الحديث فانظر نظر المنصف في هذا الخبر من تحول الحق سبحانه في الصور و هو سبحانه لا غيره فأنكر في صورة و أقر به في صورة و العين واحدة و الصور مختلفة فهذا عين ما أردناه من اختلاف الصور في العماء أعني صور العالم فالصور بما هي صور هي المتخيلات و العماء الظاهرة فيه هو الخيال و في هذا الحديث شفاء لكل صاحب علة إذا استعمله بالنظر السديد على الإنصاف و طلب الحق و هكذا تجليه على القلوب و في أعيان الممكنات فهو الظاهر و هو الصور بما تعطيه أعيان الممكنات باستعداد إنها فيمن ظهر فيها فالممكنات هو العماء و الظاهر فيه هو الحق و العماء هو الحق المخلوق به و اختلاف أعيان الممكنات في أنفسها في ثبوتها و الحكم لها فيمن ظهر فيها و هكذا أيضا تجلى الحق للنائم في حال نومه و يعرف أنه الحق و لا يشك و كذلك في الكشف و يقول له عابر الرؤيا حقا رأيت و هو في الخيال المتصل فما أوسع حضرة الخيال و فيها يظهر وجود المحال بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال فإن الواجب الوجود و هو الله تعالى لا يقبل الصور و قد ظهر بالصورة في هذه الحضرة فقد قبل المحال الوجود الوجود في هذه الحضرة و فيها

يرى الجسم في مكانين كما رأى آدم نفسه خارجا عن قبضة الحق فلما بسط الحق يده فإذا فيه آدم و ذريته الحديث فهو في القبضة و هو عينه خارج عن القبضة فلا تقبل هذه الحضرة إلا وجود المحالات و كذلك الإنسان في بيته نائم و يرى نفسه على صورته المعهودة في مدينة أخرى و على حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليها و هو عينه لا غيره لمن عرف أمر الوجود على ما هو عليه و لو لا هذه الرائحة ما قدر العقلاء على فرض المحال عند طلب الدلالة على أمر ما لأنه لو لم يقبل المحال الوجود في حضرة ما ما صح أن يفرض و لا يقدر فإذا قلت مثل هذا لمن فرضه ينسى بالخاصية حكم ما فرضه و يقول لا يتصور وجود المحال و هو يفرض وجوده و يحكم عليه بما يحكم على الواقع فلو لم يتصوره ما حكم عليه و إذا تصوره فقد قبل الوجود بنسبة ما فتحقق ما قلناه تجد الحق و من هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة و هو في نفس الأمر حي يرزق و يأكل يدركه المؤمن بإيمانه و المكاشف ببصره و كالميت في قبره يشاهده ساكتا و هو متكلم يسأل و يجيب فإن قلت لمن يرى هذا إنه خيل له يقول لك بل أنت خيل لك إنه ساكت و هو متكلم و خيل لك إنه مضطجع و هو قاعد و يعضده في قوله الايمان بالخبر الصحيح الوارد فهو أقوى في الدلالة منك فعينه أتم نظرا من عينك و الكامل النظر الذي هو أكمل من الاثنين يقول لكل واحد صدقت هو ساكت متكلم مضطجع قاعد مقتول حي و كل صورة مشهودة فيه من الباب الذي ذكرناه و من ذلك الصورة في المرآة و كل جسم صقيل إن كان الجسم الصقيل كبيرا كبرت الصورة المرئية فيه ثم إذا نظرت إلى الصورة من خارج وجدتها غير متنوعة فيما ظهر فيها من التنوع بتنوع المرائي حتى في تموج الماء تظهر الصورة متموجة و كل عين أي كل نظرة تقول للأخرى إنها في مقام الخيال و إن الحق بيدها و تصدق كل نظرة منها فتعلم قطعا إن الصورة المرئية في المرائي و الأجسام الصقيلة إنما ظهورها في الخيال كرؤية النائم و تشكل الروحاني سواء و إنها ليست في المرآة و لا في الحس فإنها تخالف صورة الحس من حيث تعلقه الخاص به دون المرآة و ليس في الوجود في الغيب و الشهادة إلا ما ذكرناه و كذلك إدراكات الجنة فاكهتها لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ مع وجود الأكل و ارتفاع الحجر فيأكلها من غير قطع بمجرد القطف و قربه من الشخص و عدم امتناعها من القطف و وجود الأكل و بقاء العين في غصن الشجرة فتشاهدها غير مقطوعة و تشهدها قطفا في يدك تأكلها و تعلم و لا تشك أن عين ما تأكله هو عين ما تشهده في غصن شجرته غير مقطوع و كذلك سوق الجنة تظهر فيه صور حسان إذا نظر إليها أهل الجنان فكل صورة يشتهيها دخل فيها فيلبسها و يظهر بها في ملكه و لعينه و هو يراها في السوق ما انفصلت و لا فقدت و لو اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها و هي على حالها في السوق ما برحت فهذا كله نظير الحقائق كالبياض في كل أبيض بذاته لا أنه انقسم و لا تجزأ بل حقيقة البياضية معقولة ما انتقص منها شيء مع وجودها في كل أبيض و كذلك الحيوانية في كل حيوان و الإنسانية في كل إنسان فيعترف بهذا جميع العقلاء و ينكرون ما

ذكرناه من هذه الأمور في التجلي و غيره فما جاء من ذلك في الكتاب و السنة اعترف به المؤمنون و ساعدوا أهل الكشف و أنكره أصحاب النظر و إن قبلوه قبلوه بتأويل بعيد أو بتسليم لمن قاله إذا كان القائل الله أو رسوله فإن ظهر عنك مثله جهلوك و أنكروا ذلك و نسبوك إلى فساد الخيال فهم يعترفون بما أنكروه فإنهم أثبتوا الخيال و فساده و لا يدل فساده على عدمه و إنما هو فساده حيث لم يطابق عنده الصحيح الذي هو صحيح و سواء عندنا قلت فيه صحيح أو فاسد قد ثبت عينه و إن تلك الصورة في الخيال فدعها تكون صحيحة أو فاسدة ما أبالي و لم يكن مقصودنا إلا إثبات وجود الخيال لم نتعرض إلى صحة ما يظهر فيه و لا إلى فساده فقد ثبت أن الحكم له بكل وجه و على كل حال في المحسوس و المعقول و الحواس و العقول و في الصور و المعاني و في المحدث و في القديم و في المحال و في الممكن و في الواجب و من لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة و هذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة ثم إنه مما يؤيد ما ذكرناه إنك لا تشك إنك مدرك لما أدركته إنه حق محسوس لما تعلق به الحس و أن الحديث الوارد عن النبي ص في قوله الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فنبه أن ما أدركتموه في هذه الدار هو مثل إدراك النائم بل هو إدراك النائم في النوم و هو خيال و لا تشك أن الناس في البرزخ بين هذه الدار و الدار الآخرة و هو مقام الخيال فانتباهك بالموت هو كمن يرى أنه استيقظ في النوم في حال نومه فيقول في النوم رأيت كذا و كذا و هو يظن أنه قد استيقظ و يعضد هذا الخبر قوله تعالى في حق الميت فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ أي تدرك ما لم تكن أدركته بالموت فهو يقظة بالنسبة لما كنت عليه في حال الحياة الدنيا ثم إذا بعثت في النشأة الآخرة يقول المبعوث من بَعَثَنا من مَرْقَدِنا هذا فكان كونه في مدة موته كالنائم في حال نومه مع كون الشارع سماه يقظة و هكذا كل حال تكون فيه لا بد لك من الانتقال عنه و تبقى مثل ما كنت عليه في خيالك المتصل و في قوة كونه كان على الحقيقة في الخيال المنفصل إذ لو كان حقيقة ما تغير و لا انتقل فإن الحقائق لا تتبدل و حقيقة الخيال التبدل في كل حال و الظهور في كل صورة فلا وجود حقيقي لا يقبل التبديل إلا الله فما في الوجود المحقق إلا الله و أما ما سواه فهو في الوجود الخيالي و إذا ظهر الحق في هذا الوجود الخيالي ما يظهر فيه إلا بحسب حقيقته لا بذاته التي لها الوجود الحقيقي و لهذا جاء الحديث الصحيح بتحوله في الصور في تجليه لعباده و هو قوله كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ فإنه لا يبقى حالة أصلا في العالم لا كونية و لا إلهية إِلَّا وَجْهَهُ يريد ذاته إذ وجه الشيء ذاته فلا تهلك أين الصورة التي تحول فيها من الصورة التي تحول عنها هذا حظ الصورة التي تحول عنها من نسبة الهلاك إليها فكل ما سوى ذات الحق فهو في مقام الاستحالة السريعة و البطيئة فكل ما سوى ذات الحق خيال حائل و ظل زائل فلا يبقى كون في الدنيا و الآخرة و ما بينهما و لا روح و لا نفس و لا شيء مما سوى الله أعني ذات الحق على حالة واحدة بل تتبدل من صورة إلى صورة دائما أبدا و ليس الخيال إلا هذا فهذا هو عين معقولية الخيال أنظره في الأصل

حيث قال في العماء فشبه بالسحاب و التشبيه تخيل و العماء هو جوهر العالم كله فالعالم ما ظهر إلا في خيال فهو متخيل لنفسه فهو هو و ما هو هو ومما يؤيد ما ذكرناه وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فنفى عين ما أثبت أي تخيلت أنك رميت و لا شك أنه رمى و لهذا قال إِذْ رَمَيْتَ ثم قال الرمي صحيح وَلكِنَّ اللهَ رَمى أي ظهرت يا محمد بصورة حق فأصابت رميتك ما لا تصيبه رمية البشر كما نفخ عيسى في صورة الطير فكان طيرا فظهر في نفخ عيسى النفخ الإلهي و هو قوله وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و النفخ نفس و العماء عين ذلك النفس فهو نفخ في وجود الحق فتشكل منه خلق في حق فكان الحق المخلوق به ما ظهر من صور العالم فيه و ما ظهر من اختلاف التجلي الإلهي فيه و هذا القدر كاف فيما ذهبنا إليه من علم الخيال و قد تقدم في هذا الكتاب معرفة الأرض التي خلقت من بقية طينة آدم ع و هي ما ظهر من صور العالم فيها فالعلم بتلك الأرض جزء من هذه المسألة (النوع السابع) من المعرفة و هو علم العلل و الأدوية و يحتاج إليه من يربي من الشيوخ و لا تنفع هذه الأدوية إلا فيمن يقبل استعمالها فإن لم يستعملها العليل فلا يظهر لها أثر فلنبين إن شاء الله العلل بطريق الحصر لأمهاتها ثم نذكر الأدوية المختصة بها العلل في هذه الطريقة ليس لها محل إلا النفوس خاصة لا حظ للعقول فيها البتة و لا للأبدان فإن علل العقول معروفة و علل الأجسام معروفة و أدوية علل الأجسام موقوفة على الأطباء و أدوية علل العقول اتخاذ الخلوات بالميزان الطبيعي و إزالة التفكر فيها و مداومة الذكر ليس غير ذلك و ما بقي لنا الخوض فيه إلا علل النفوس و هي ثلاثة أمراض مرض في الأقوال و مرض في الأفعال و مرض في الأحوال و أما مرض الاعتقادات فهو مرض العقول و قد ذكرناه فلنذكر أمراض الأقوال فمنها التزام قول الحق و هو من أكبر الأمراض دواؤه معرفة المواطن التي ينبغي أن يصرفه فيها فإن الغيبة حق و قد نهي عنها و النميمة حق و قد نهي عنها و ما يفعله الرجل مع أهله في فراشه إذا أفضى إليها فيقول في ذلك حقا و هذا القول من الكبائر و النصيحة في الملإ بالحق حق و هو فضيحة و لا تقع إلا من الجهلاء و أصحاب الأغراض لأن الفائدة المطلوبة من النصيحة حصول المنفعة و ثبوت الود فإذا وقع النصح في الملإ لم يحصل القبول و أثمر عداوة و ذمه الله فإنه يخجل بتلك النصيحة في الملإ و يجعل الشخص الذي خاطبه بالنصح في الملإ يكذب في اعتذاره عن ذلك و يجد عليه فيه و يكون ذلك سببا إلى فساد كبير فلو نصحه في خلوة بطريقة حسنة بأن يظهر له عيب نفسه في نفس الأمر و لا يشعره إنه يقصده بذلك ليعلمه إن كان جاهلا بقبح ذلك الأمر الذي نصحه فيه شكره في نفسه و أحبه و دعي له و أثمر له الخير و كان في ميزانه فما كل حق مأمور به و لا مستحسن شرعا و لا عرفا و كذلك من يجبه الناس بما يكرهون و إن كان حقا فإنه يدل على لؤم الطباع و الجهل و قلة الحياء من الله فإنه بعيد أن يسلم في نفسه من عيب يكون فيه لا يرضى الله فلو اشتغل بالنظر في عيبه لشغله ذلك عن عيب غيره و من التزم تتبع حركات صاحبه بحيث أن يقيد عليه أنفاسه فهو من أشد الأمراض فإنه شغل بما لا يعنيه و غفلة عن نفسه و النفس تحزنه

عندها في زمان صداقته ليوم ما و هو لا يشعر و يحجبه عن هذا الشعور محبته فيه في الوقت فإذا وجد في نفسه أدنى كراهة في صاحبه أو أعراض لملل أو هفوة صدرت منه في حقه أخرج ما كان عنده مخزونا من القبائح التي كان خباؤها عنده و اختزنها له في نفسه في تتبعه فيقول له في معرض التوبيخ ألم تقل كذا في يوم كذا ألم تفعل كذا في يوم كذا ثم إذا عدد عليه ما كان اختزنه يقول له و هذا كله يدل على قلة الدين أو عدم الدين و أنا كنت أرى منك هذا كله و أقول لعل له في هذا وجهاد و لا وجه لك فيه في الشرع و هذا خلاف الحق فيسمعه ما يكره و ما كان غافلا عنه و ما كان يعلم أن هذا يحصي عليه أنفاسه و يرجع عليه من أكبر الأعداء و أصل هذا كله من التتبع لمثالبه و اختزانه إياها في خزانة نفسه و ذلك لسوء الطبع و دناءة الأصل و الفرع و هذا يوجد في الأصحاب و الأصدقاء كثيرا و قد قيل في ذلك

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما هجر الصديق فكان أعرف بالمضرة

و هذا كله وبال يعود على قائله و إن كان حقا و من أمراض الأقوال السؤال عن أحوال الناس و ما يفعلون و لم جاء فلان و لم مشى فلان و السؤال عن كل ما لا يعني و سؤاله عن أهله ما فعلوا في غيبته دواه التأسي برسول الله ص في كونه ما أتى أهله من سفره ليلا و نهيه أصحابه عن ذلك حتى لا يفجأهم فيرى منهزما يكره و الاستئذان من هذا الباب إبقاء للستر فإنه قد علم إن لكل أحد هنات و أيضا فم كل ما يعمله الإنسان و إن كان خيرا يحب أن يعلمه منه كل أحد فإذا ألح هذا السائل عن العلم به أضر بالمسئول حيث جعله ينطق بما لا يريده أو يكذب فإن لم ينطق أثر في نفس السائل خرازة و يقول لو كنت عنده بمكانة ما سترعني ما سألته عنه فنقص من خلوص مودته التي كانت له في نفسه و لو حصلت له تهمة في نفسه تؤديه إلى مثل هذا الفعل فليس له ذلك شرعا و لا عقلا و لا مروءة و هذا باب قل أن يقع إلا من خبيث الباطن لا دين له سيئ السريرة قال ص من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه و من أمراض الأقوال الامتنان و التحدث بما يفعله من الخير مع الشخص على طريق المن و المن الأذى دواؤه لما كان يسوءه ذلك و يحبط أجر رب النعمة فإن الله تعالى قد أبطل ذلك العمل بقوله لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى و أي أذى أعظم من المن فإنه أذى نفسي و دواؤه إنه لا يرى أوصل إليه مما كان في يديه إلا ما هو له في علم الله و إن ذلك الخير إنما كان أمانة بيده ما كان له لكنه لم يكن يعرف صاحبها فلما أخرجها بالعطاء لمن عين الله في نفس الأمر حينئذ يعرف صاحب تلك الأمانة فشكر الله على أدائها و من أعطى هذا النظر فلا تصح منه منة أصلا و من أمراض الأقوال أيضا أن يفعل الرجل الخير مع بعض أولاده لأمر في نفسه و بعض أولاده ما فعل معهم ذلك الخير فيقول له قائل بحضور من لم يفعل معه ذلك من أولاده لم لم تفعل مثل ذلك مع هذا الولد الآخر فهذا من فضول الكلام حيث قاله بحضور ولده و يثمر في نفس الولد عداوة لأبيه و لا يقع

مثل هذا إلا من جاهل كثير الفضول فإنها كلمة شيطانية و ليس لها دواء بعد وقوعها و أما قبل وقوعها فداؤها أن ينظر في قول النبي ص من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه و من أمراض الأقوال أيضا أن يقول الإنسان أنا أقول الحق و لا أبالي عز على السامع ذلك أو لم يعز عليه من غير أن ينظر إلى فضول القول و مواطنه ثم يقول قلت لفلان الحق و عز عليه سماعه و يزكي نفسه و يجرح غيره و ينسى قوله تعالى لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ من نَجْواهُمْ و هو دواء هذه العلة الدواء لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ من نَجْواهُمْ إِلَّا من أَمَرَ بِصَدَقَةٍ و لها مواطن و صفة مخصوصة و هو أن يأمره في السر لا في الجهر فإن الجهر علة لا يشعر بها لأنه قد يعطيها لغير الله ثم قال أَوْ مَعْرُوفٍ و قول المعروف هو القول في موطنه الذي عينه الله و يرجو حصول الفائدة به في حق السامع فهذا معنى أَوْ مَعْرُوفٍ فمن لم يفعل فهو جاهل و إن ادعى العلم ثم قال أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ فيعلم إن مراد الله التوادد و التحابب فيسعى في ذلك و إن لم يجعل الكلام في موضعه أدى إلى التقاطع و التنافر و التدابر ثم بعد هذا كله قال في حق المتكلم و من لم يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله و لا يكون ذلك إلا ممن يعلم ما يرضى الله و لا يعلم ما يرضى الله إلا بالعلم بما شرع الله في كتابه و على لسان رسوله فيرى عند ما يريد أن ينطق بالأمر هل نطقه به في ذلك الموطن يرضى الله من جميع الوجوه فإن وجد وجها يقدح فيه فالكل غير مقبول و غير مرضي عند الله فإنه لا يحتمل التجزي و لا الانقسام و هذا موضع غلط و دواؤه ما قلنا من العمل المشروع و العلم بما يرضى الله و من أمراض الأقوال أيضا تغيير المنكر على شخص معين من سلطان و غيره دون أن يعم دواءه معرفة الميزان في ذلك و براءته في نفسه من كل منكر يعلم أن الشرع ينكره عليه في مذهبه و اجتهاده لا غير و لا يلزمه ما هو عند غيره منكر و عنده مباح ثم الذي هو عنده منكر ينظر إلى من يغير عليه ذلك إن كان ممن هو عنده معروف كالنبيذ عند الحنفي المتخذ من التمر إذا رآه يشربه أو يتوضأ به و هو عنده حرام فلا يغيره إلا على من يعتقد تحريمه خاصة أو يكون من المنكر المجمع عليه فهذا هو الميزان و تفاريع الأقوال كثيرة و حصر عللها و أدويتها في أمرين الواحد أن تتكلم إذا اشتهيت أن تسكت و تسكت إذا اشتهيت أن تتكلم و الأمر الآخر أن لا تتكلم إلا فيما إن سكت عنه كنت عاصيا و إن لم فلا و إياك و الكلام عند ما تستحسن كلامك و تستحليه فإن الكلام في ذلك الوقت من أكبر الأمراض و ما له دواء إلا الصمت لا غير إلا أن تشهد على رفع الستر هذا هو الضابط (وصل) و أما أمراض الأفعال فهو أن يكون أداؤك لذلك الفعل الذي هو عبادة كالصلاة مثلا في الملإ أحسن من أدائك في السر يقول ص في مثل هذه الفعلة تلك استهانة استهان بها ربه في رجل حسن صلاته في الملإ و أساءها في الخلوة و هذا من أصعب الأمراض النفسية و دواؤه أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ و الله أحق أن يستحي منه و أمثال هذه الآيات و الأخبار و لهذا دواء آخر و لكن يغمض تركيبه و هو أن ينوي بتحسينه تعليم الجاهل و تذكرة الغافل و من الأمراض الفعلية أيضا ترك العمل من أجل الناس و هو الرياء عند الجماعة و

أما العمل من أجل الناس فذلك شرك ما هو رياء عند السادة من أهل الله و دواؤه وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ و ما أشبه هذه الآية فاعلم ذلك (وصل) و أما أمراض الأحوال فصحبة الصالحين حتى يشتهر في الناس أنه منهم و هو في نفسه مع شهوته فإن حضروا سماعا و هو قد تعشق بجارية أو غلام و الجماعة لا تعلم بذلك فأصابه وجد و غلب عليه الحال لتعلقه بذلك الشخص الذي في نفسه فيتحرك و يصيح و يتنفس الصعداء و يقول الله الله أو هو هو و يشير بإشارات أهل الله و الجماعة تعتقد في حاله أنه حال إلهي مع كونه ذا وجد صحيح و حال صحيحة و لكن فيمن دواءه وَقَدْ خابَ من دَسَّاها و ما أشبه هذه الآية من الأخبار و من أمراض الأحوال أيضا أن يلبس دون ما في نفسه دواؤه أن يلبس ما في نفسه مما يحل له لباسه و أمثال هذا فمن عرف هذه العلل و أدوائها و استعملها مع نفسه نفعها (حكي) عن الشيخ روزبهار أنه كان قد ابتلي بحب امرأة مغنية و هام فيها وجدا و كان كثير الزعقات في حال وجده في الله بحيث إنه كان يشوش على الطائفين بالبيت في زمن مجاورته فكان يطوف على سطوح الحرم و كان صادق الحال و لما ابتلي بحب هذه المغنية لم يشعر به أحد و انتقل حكم ذلك الذي كان عنده بالله بها و علم أن الناس يتخيلون فيه إن ذلك الوجد لله على أصله فجاء إلى الصوفية و خلع الخرقة و رمى بها إليهم و ذكر للناس قصته و قال لا أريد أكذب في حالي و لزم خدمة المغنية فأخبرت المرأة بحاله و وجده بها و أنه من أكابر أهل الله فاستحت المرأة و تابت إلى الله مما كانت فيه ببركة صدقه و لزمت خدمته و أزال الله ذلك التعلق بها من قلبه فرجع إلى الصوفية و لبس خرقته و لم ير أن يكذب مع الله في حاله فهكذا صدقهم فهذا حصر الأمر فإن الإنسان لا يخلو أن يقام في قول أو فعل أو حال و ما ثم رابع و كذلك صاحب القيام في حال الوجد إذا قام بوجده ثم زال عنه جلس من حينه و لا يتواجد فإن تواجد و لم يقل للحاضرين إنه متواجد فهو صاحب مرض فهذا جماع هذه المسألة و تفاريع الأقوال و الأفعال و الأحوال كثيرة فليحذر من الكذب في ذلك و ليلزم الصدق و لا يظهر للناس إلا بما يظهر لله في الموطن الذي ينبغي فإن العلم بحكم الله في تفاصيل هذه الأمور شرط في أهل الله و لا بد من ذلك فما عبد الله من لم يعلم حكمه فإن الله ما اتخذ وليا جاهلا فهذا قد ذكرنا جماع أبواب المعرفة و فصولها التي إذا حصلها الإنسان سمي عارفا خاصة فإن زاد على هذا العلم بالله و ما يجب له و ما يجوز عليه و ما يستحيل و يفرق بين علمه بذاته و بين علمه بكونه إلها فهذا مقام العلماء بالله لا مقام العارفين فإن المعرفة محجة و طريق و العلم حجة و العلم نعت إلهي و المعرفة نعت كياني نفسي رباني و هذا الباب للمعرفة غير أن أصحابنا من أهل الله قد أطلقوا على العلماء بالله اسم العارفين و على العلم بالله من طريق الذوق معرفة و حدوا هذا المقام بنتائجه و لوازمه التي تظهر عن هذه الصفة في أهلها (سئل) الجنيد عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه أي هو متخلق بأخلاق الله حتى كأنه هو و ما هو هو و هو هو فالعارف عند الجماعة من أشعر الهيبة نفسه و السكينة و عدم

العلاقة الصارفة عنه و أن يجعل أول المعرفة لله و آخرها ما لا يتناهى و لا يدخل قلبه حق و لا باطل و أن توجب له الغيبة عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق فلا يشهد غير الله و لا يرجع إلى غيره فهو يعيش بربه لا بقلبه و أن تكون المعرفة إذا دخلت قلبه تفسد أحواله التي كان عليها بأن تقلبها إليه تعالى لا بأن تعدمها فإنها عندهم كما قال الله تعالى عن قول بلقيس إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ و عندنا ليس كذلك بل يجعلوا أعزة أهلها بالله بعد ما كانت بغير الله و ذلتها لله لا لغير الله فلا حال عندهم للعارف لمحو رسومه و فناء هويته و غيبة أثره و أنه لا تصح المعرفة و في العبد استغناء بالله و إن العارف أخرس منقطع مقتطع منقمع عاجز عن الثناء على معروفه و أنه خائف متبرم بالبقاء في هذا الهيكل و إن كان منورا لما عرفه الشارع أن في الموت لقاء الله فتنغصت عليه الحياة الدنيا شوقا إلى ذلك اللقاء فهو صافي العيش كدر طيب الحياة في نفس الأمر لا في نفسه قد ذهب عنه كل مخلوق و ها به كل ناظر إذا رىء ذكر الله و أنه ذو أنس بالله و أن يكون مع الله بلا فصل و لا وصل حيي في قلبه تعظيم قلبه مرآة للحق حليم محتمل فارغ من الدنيا و الآخرة ذو دهش و حيرة يأخذ أعماله عن الله و يرجع فيها إلى الله بطنه جائع و بدنه عار لا يأسف على شيء إذ لا يرى غير الله طيار تبكي عينه و يضحك قلبه فهو كالأرض يطؤها البر و الفاجر و كالسحاب يظل كل شيء و كالمطر يسقى ما يحب و ما لا يحب لا تمييز عنده لا يقضي وطره من شيء بكاؤه على نفسه و ثناؤه على ربه يضيع ماله و يقف مع ما للحق لا يشتغل عنه طرفة عين عرف ربه بربه مهدي في أحواله لا يلحظه الأغيار و لا يتكلم بغير كلام الله مستوحش من الخلق ذو فقر و ذلة يورث غنى و عزة معرفته طلوع حق على الأسرار و مواصلة الأنوار حاله فوق ما يقول استوت عنده الحالات في الفتح فيفتح له على فراشه كما يفتح له في صلاته و إن اختلفت الواردات بحسب المواطن دائم الذكر ذو لوامع يسقط التمييز لا يكدره شيء و يصفو به كل شيء تضيء له أنواع العلم فيبصر بها عجائب الغيب مستهلك في بحار التحقيق صاحب أمواج تغط فترفع و تحط صاحب وقت و استيفاء حقوق المراسم الإلهية على التمام نعته في تحوله من صفة إلى صفة دائم لا يتعمل و لا يجتلب أحيد الوقت يسع الأشياء و لا تسعه يرجو و لا يرجى رحيم مؤنس مشاهد جلال الحق و جمال الحضرة امعة مع كل وارد يصادف الأمور من غير قصد له وجود في عين فقد ذو قهر في لطف و لطف في قهر حق بلا خلق مشاهد قيام الله على كل شيء فإن عنه به باق معه به غائب عن التكوين حاضر مع المكون صاح بغيره سكران بحبه جامع للتجلي لا يفوته ما مضى بما هو فيه ثابت المواصلة محكم للعبادة في العادة مع إزالة العلل طائع بذاته قابل أمر ربه منزه عن الشبيه تجري عليه منه أحكام الشرع في عين الحقيقة ذو روح و ريحان قلبه طريق مطرقة لكل سالك صاحب دليل و كشف و شهود يكرم الوارد و يتأدب مع الشاهد بريء من العلل صاحب إلقاء و تلق مضنون به مستور بولهه محبوس في الموقف ذاهب تحت القهر

رجوعه سلوك و حجابه شهود سره لا يعلم به زره كلما ظهر له وجهعلم أنه بطن عنه وجه منفرد بلا انفراد متواتر الأحوال بحكم الأسماء أمين بالفهم قابل للزيادة موحد بالكثرة صاحب حديث قديم يعلم ما وراء الحجب من غير رفع حجاب ذو نور طامس شعاعاته محرقة و فجآت وارداته مقلقة يرد عليه ما لا يعرف متمكن في تلوينه لكون خالقه كل يوم في شأن مجرد بكله عن السوي واقف بالحق في موطنه مريد لكل ما يراد منه ذو عناية إلهية تجذبه سالك في سكون مقيم في سفره صاحب نظرة و نظر يجد ما لا تسعه العبارة من دقائق الفهم عن الله من غير سبب مهذب الأخلاق غير قائل بالاتحاد ذاهب في كل مذهب بغير ذهاب مقدس الروح عن رعونات النفوس معلوم المراتب في البساط مؤمن بالناطق في سره مصغ إليه راغب فيما يريد به مشفق مما في باطنه مظهر خلاف ما يخفى لمصلحة وقته ولهه لا يحكم عليه غريب في الملإ الأعلى و الأسفل ذو همة فعالة مقيدة غير مطلقة غيور على الأسرار أن تذاع لا يسترقه شيء يطالع بالكوائن على طريق المشورة باستجلاء في ذلك يجده يمنعه ذلك من الانزعاج لأنه لا يقتضيه مقام الكون له جماع الخير يتحكم بالمشيئة لا بالاسم قد استوت طرفاه فازله مثل أبده تدور عليه المقامات و لا يدور عليها له يدان يقبض بهما و يبسط في عالم الغيب و الشهادة عن أمر الحق ولاية و خلافة حمال أعباء المملكة يستخرج به غيابات الأمور ينشئ خواطره أشخاصا على صورته محفوظ الأربعة فريد من النظر آله في الملكوت وقائع مشهودة و نعوت العارف أكثر من أن تحصى فهذه بعض إشارات الطائفة في حقيقة العارف و المعرفة جئنا بها لنعلم مقاصدهم في ذلك حتى لا يقول أحد عنا إنا قد انفردنا بطريق لم يسلكوا عليها بل الطريق واحدة و إن كان لكل شخص طريق تخصه فإن الطرق إلى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق يعني أن كل نفس طريق إلى الله و هو صحيح فعلى قدر ما يفوتك من العلم بالأنفاس و مراعاتها يفوتك من العلم بالطريق و بقدر ما يفوتك من العلم بالطرق يفوتك من غاياتها و غاية كل طريق هو الله فإنه إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و أما صفة العارف عندنا من الموطن الإلهي الذي يشهده العارفون من الحق في وجودهم و هو شهود عزيز و ذلك أن يكون العارف إذا حصلت له المعرفة قائما بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الإطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت و الصفة عند الغير من جميع العالم من بشر و جن و ملك و حيوان لا يعرف فيحد و لا يفارق العادة فيميز حامل الذكر مستور الحال عام الشفقة على عباد الله يفرق في رحمته بين من أمر برحمته حتى يجعل له خصوص وصف عارف بإرادة الحق في عباده قبل وقوع المراد فيريد بإرادة الحق لا ينازع و لا يقاوم و لا يقع في الوجود ما لا يريده و إن وقع ما لا يرضى وقوعه بل يكرهه شديد في لين يعلم مكارم الأخلاق في سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم بريء ممن تبرأ الله منه محسن إليه مع البراءة منه مصدق بكل خبر في العالم كما يعلم عند الغير أنه كذب فهو عنده صدق مؤمن عباد الله من غوائله

مشاهد تسبيح المخلوقات على تنوعات أذكارها لا تظهر إلا لعارف مثله إذا تجلى له الحق يقول أنا هو لقوة التشبه في عموم الصفات الكونية و الإلهية إذا قال بسم الله كان عن قوله ذلك كل ما قصده بهمته لا يقول كن أدبا مع الله يعطي المواطن حقها كبير بحق صغير لحق متوسط مع حق جامع لهذه الصفات في حال واحدة خبير بالمقادير و الأوزان لا يفرط و لا يفرط يتأثر مع الأناة لتغير الأحوال فلا يفوته من العالم و لا مما هو عليه الحق في الوقت شيء مما يطلبه العالم في زمن الحال يشاهد نشأ الصور من أنفاسه بصورة ما هو عليه في قلبه عند خروج النفس فإذا ورد عليه النفس الغريب من خارج لتبريد القلب خلع على ذلك النفس خلعة الوقت فينصبغ ذلك النفس بذلك النور الذي يجد في القلب يستر مقامه بحاله و حاله بمقامه فيجهله أصحاب الأحوال بمقامه و يجهله أصحاب المقامات بحاله له عنف على شهوته إذا لم ير وجه الحق في طبيعتها يبذل لك لا له عطاءه غير معلول لا ين إذا امتن و يمتن بقبول المن لا يؤاخذ الجاهل بجهله فإن جهله له وجه في العلم لا يشعر المعطي من عنده حين ما يعطيه يعرفه أن ذلك أمانة عنده أمر بإيصالها إليه لا يعرفه أن ذلك من عند الله يفتح مغاليق الأمور المشكلة بالنور المبين يأكل من فوقه و من تحت رجله يضم القلوب إليه إذا شاء من حيث لا تشعر و يرسلها إذا شاء من حيث لا تشعر يملك أزمة الأمور و تملكه بما فيها من وجه الحق لا غير ينظر إلى العلو فينسفل بنظره و ينظر إلى السفل فيعلو و يرتفع بنظره يحجر الواسع و يوسع المحجور يسمع كل مسموع منه لا من حيثية ذلك المسموع و يبصر كل مبصر منه لا من حيث ذلك المبصر يقتضي بين الخصمين بما يرضى الخصمين فيحكم لكل واحد لا عليه مع تناقض الأمر يميل إلى غير طريقه في طريقه لحكمة الوقت يغلب ذكر النفس على ذكر الملإ من أجل المفاضلة غيرة أن يفاضل الحق فإنه ذاكر بحق في حق الأمور كلها عنده ذوقية لا خبرية يعرف ربه من نفسه كما علم الحق العالم من علمه بنفسه لا يؤاخذ بالجريمة فإن الجريمة استحقاق و المجرم المستحق عظمته في ذلته و صغاره لا ينتقل عن ذلته في موطن عظمته دنيا و آخرة هو في علمه بحسب علمه إن اقتضى العمل عمل و إن اقتضى أن لا عمل لم يعمل عنده خزائن الأمور بحكمه و مفاتيحها بيده ينزل بقدر ما يشاء و يخرج ما يشاء من غير اشتعار غواص في دقائق الفهوم عند ورود العبارات له نعوت الكمال له مقام الخمسة في حفظ نفسه و غيره ينظر في قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فلا يتعداه يدبر أمور الكون بينه و بين ربه كالمشير العالم الناصح في الخدمة القائم بالحرمة لا أنينة لسره لا يبخل عند السؤال ينظر في الآثار الإلهية الكائنة في الكون ليقابلها بما عنده لما سمع الله يقول سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ يسمع نداء الحق من ألسنة الخلق يسع الأشياء و لا تسعه سوى ربه فهو ابنه و عينه مرتب للأوامر الإلهية الواردة في الكون ثابت في وقت التزلزل لا تزلزله الحادثات ليست في الحضرة الإلهية صفة لا يراها في نفسه يظهر في أي صورة شاء بصفة الحياة مع الوقوف عند المحدود يعرف حقه من حق خالقه يتصرف في الأشياء بالاستحقاق و يصرف الحق فيها

بالاستخلاف له الاقتدار الإلهي من غير مغالبة لا تنفذ فيه همم الرجال و لا يتوجه للحق عليه حق يتولى الأمور بنفسه لا بربه لأنه لا يرى نفسه لغلبته ربه عليه تعود عليه صفات التنزيه مع وجود التشبيه يحصي أنفاسه بمشاهدة صورها فيعلم ما زاد و ما نقص في كل يوم و ليلة ينظر في المبدأ و المعاد فيرى التقاء طرفي الدائرة يلقى الكلمة في المحل القابل فيبدل صورته و حاله في أي صورة كان ما يطأ مكانا إلا حيي ذلك المكان بوطأته لأنه وطئه بحياة روحية إذا قام قام لقيامه ربه و يغضب لغضبه و يرضى لرضاه فإن حالته في سلوكه كانت هكذا فعادت عليه هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ لا يخطر له خاطر في شيء إلا تكون و لا يعرف ذلك الشيء أنه كونه له على الأشياء شرف العماء لا شرف الاستواء فهو وحيد في الكون غير معروف العين من لجأ إليه خسر و لا تقتضي حاجته إلا به فإنه ظاهر بصورة العجز و قدرته من وراء ذلك العجز لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ليصح الامتياز فهذا و إن تأخر بظاهره فهو متقدم بباطنه ليجمع في شهوده بين الأول و الآخر و الباطن و الظاهر بحسن للمسيء و المحسن يرجع إلى الله في كل أمر و لا ينتقم لنفسه و لا لربه إلا بأمره الخاص فإن لم يأمره عفي بحق لشهوده السابقة في الحال القليل عنده كثير و الكثير عنده قليل يجري مع المصالح فيكون الحق له ملكا يسبح أسماء الله بتنزيهها عن أن تنالها أيدي الغافلين غيرة على الجناب الإلهي من حيث كونها دلائل عليه دلالة الاسم على المسمى إن ولي منصبا يعطي العلو لم ير فيه متعاليا بالله فأحرى بنفسه يعدل في الحكم و لا يتصف بالظلم جامع علوم الشرع من عين الجمع مستغن عن تعليم المخلوقين بتعليم الحق يعطي ما تحصل به المنفعة و لا يعطي ما تكون به المضرة إن عاقب فتطهير لا تبقي مع نور عدله ظلمة جور و لا مع نور علمه ظلمة جهل يبين عن الأمور بلسان إلهي فيكشف غامضها و يجليها في منصتها يخترع من مشاهدة صورة موجدة لا من نفسه و ليس هذا لكل عارف إلا لمن يعلم المصارف فإنه مشهد ضنين له البقاء في التلوين يرث و لا يورث بالنبوة العامة يتصرف و يعمل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي يؤذي فيحلم عن مقدرة و إذا آخذ فبطشه شديد لأنه خالص غير مشوب برحمة قال أبو يزيد بطشي أشد فهذه صفة العارف عندي فتحقق فإن موطن هذا لمأخذ عزيز وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (وصل) في تسمية هذا المقام بالمعرفة و صاحبه بالعارف اختلف أصحابنا في مقام المعرفة و العارف و مقام العلم و العالم فطائفة قالت مقام المعرفة رباني و مقام العلم إلهي و به أقول و به قال المحققون كسهل التستري و أبي يزيد و ابن العريف و أبي مدين و طائفة قالت مقام المعرفة إلهي و مقام العلم دونه ربه أيضا أقول فإنهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة و أرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي و عمدتنا قول الله تعالى وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ فسماهم عارفين و ما سماهم علماء ثم ذكر ذكرهم فقال يَقُولُونَ رَبَّنا و لم يقولوا إلهنا آمَنَّا و لم يقولوا علمنا و لا شاهدنا فأقروا بالاتباع فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ و ما قالوا

نحن من الشاهدين و قالوا وَما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَما جاءَنا من الْحَقِّ وَنَطْمَعُ و لم يقولوا و نقطع أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا و لم يقولوا إلهنا مع القوم و لم يقولوا مع عبادك الصالحين كما قالت الأنبياء فقال الله لهؤلاء الطائفة التي صفتهم هذه فَأَثابَهُمُ اللهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ محل شهوات النفوس فأنزلناهم حيث أنزلهم الله و قد استوفينا القول في الفرق بين المعرفة و العلم في كتاب مواقع النجوم و بينا فيه إن القائل بمقام المعرفة إذا سألته عنه أجاب بما يجيب به المخالف في مقام العلم فوقع الخلاف في التسمية لا في المعنى ثم حدث لهم في هذا المقام خلاف آخر هل الموصوف به مالك جميع المقامات أم لا و الصحيح إنه ليس من شرطه التحكم و أن ملك جميع المقامات بما يعطيه من الأحوال و التصرف في العالم و إنما شرطه أن يعلم فإذا أراد التحكم نزل إلى الحال لأن التحكم للأحوال إذا علم إن نزوله غير مؤثر في مقامه و لهذا لا ينزلون إلى الحال إلا عن أمر إلهي فإذا سمع من شيخ محقق في هذا الطريق إن صاحب هذا المقام مالك جميع المقامات فإنه يريد بالعلم لا بالحال و قد يعطي الحال و لكن ما هو بشرط فإن قال أحد إنه شرط فهو مدع لا معرفة له بطريق الله و لا بأحوال الأنبياء و أكابر الأولياء و يرد عليه هذا القول فإن الكامل كلما علا في المقام نقص في الحال أعني في الدنيا و أما في الآخرة فلا كما أن المشاهدة تغني عن رؤية الأغيار كذلك المقام يذهب بالأحوال لأن الثبوت يقابل الزوال انتهى الجزء الحادي عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

و علموا أن الله تعالى لما خلق القوة المسماة عقلا و جعلها في النفس الناطقة ليقابل بها الشهوة الطبيعية إذا حكمت على النفس أن تصرفها في غير المصرف الذي عين لها الشارع فعلم الله أنه قد أودع في قوة العقل القبول لما يعطيه الحق و لما تعطيه القوة المفكرة و قد علم الله أنه جعل في القوة المفكرة التصرف في الموجودات و التحكم فيها بما يضبطه الخيال من الذي أعطته القوي الحسية و من الذي أعطته القوة المصورة مما لم تدركه من حيث المجموع بالقوة الحسية فعلم أنه لا بد أن تحكم عليه القوة المفكرة بالتفكر في ذات موجدة و هو الله تعالى فأشفق عليها من ذلك لما علمه من قصورها عن درك ما ترومه من ذلك فخاطبها قرآناً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله إلا رحمة بكم و شفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما نثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بأدلتكم فتحرمون الايمان فتشقون شقاوة الأبد ثم أمر رسول الله ص أن ينهانا أن نفكر في ذات الله كما فعل بعض عباد الله فأخذوا يتكلمون في ذات الله من أهل النظر و اختلفت مقالاتهم في ذات الله و كل تكلم بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر فما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته و عصوا الله و رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه رحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله و ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً فقالوا هو علة و قال آخرون ليس بعلة و قال

آخرون ذات الحق لا تصح أن تكون جوهرا و لا عرضا و لا جسما بل عين أنيتها عين ماهيتها و إنها لا تدخل تحت شيء من المقولات العشرة و أطنبوا في ذلك و كانوا كما جاء في المثل أسمع جعجعة و لا أرى طحنا ثم جاء الشرع بنقيض ما دلت عليه العقول فجاء بالمجيء و النزول و الاستواء و الفرح و الضحك و اليد و القدم و ما قد روينا في صحيح الأخبار مما هو من صفات المحدثات ثم جاء ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مع ثبوت هذه الصفات فلو استحالت كما يدل عليه العقل ما أطلقها على نفسه و لكان الخبر الصدق كذبا إذ ما بعث الله رسولا إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ ليبين لهم ما أنزل إليهم ليفهموا و قد بين ص و بلغ و أشهد الله على أمته أنه بلغ فجهلنا النسبة ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خاصة و فهمنا معقول هذه الألفاظ الواردة و أن المعقول منها واحد بالنظر إلى الوضع فتختلف نسبتها باختلاف المنسوب إليه ما تختلف حقائقها لأن الحقائق لا تتبدل فمن وقف مع هذه الألفاظ و معانيها و قال بعدم علم النسبة إلى الحق فهو عالم مؤمن و من نسبها على وجه من وجوه المصارف الخارجة عن التجسيم فلا مؤمن و لا عالم فلو أنصف هذا الناظر في ذات الله ما نظر في ذات الله و آمن بما جاء من عند الله إذ قد دله دليل على صدق المخبر و هو الرسول فهذا منعني في هذا الباب من الكلام في ذات الله بما تعطيه أدلة العقول و عدلنا إلى علم ذلك بما جاء من المنقول مع نفي المماثلة في النسبة و العلم الصحيح بحقيقة الصفة الواردة الموصوف بها ذاتا مجهولة و قد نصحتك فاعلم و اثبت على ما جاءتك به الشريعة تسلم فهو أعلم بنفسه و أصدق في قوله و ما عرفنا إلا بما هو عليه لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

(الباب الثامن و السبعون و مائة في معرفة مقام المحبة)

الحب ينسب للإنسان و الله ... بنسبة ليس يدري علمنا ما هي
الحب ذوق و لا تدري حقيقته ... أ ليس ذا عجب و الله و الله
لوازم الحب تكسوني هويتها ... ثوب النقيضين مثل الحاضر الساهي
بالحب صح وجوب الحق حيث يرى ... فينا و فيه و لسنا عين أشباه
استغفر الله مما قلت فيه و قد ... أقول من جهة الشكر لله

(ومما يتضمن هذا الباب أيضا قولنا)

أحببت ذاتي حب الواحد الثاني ... و الحب منه طبيعي و روحاني
و الحب منه إلهي أتتك به ... ألفاظ نور هدى في نص قرآن

و قد سألت و ما أدري سؤالكم عن أي حب و لا عن أي ميزان

فكل حب له بدء يحققه علمي سوى حب رب ما له ثاني

و كل حب له بدء و ليس له نهاية غير حب الطبع و اثنان

لا يوصفان إذا حققت شأنهما و ما هما بنهايات و نقصان

فغاية الحب في الإنسان وصلته روحا بروح و جثمانا بجثمان

و غاية الوصل بالرحمن زندقة فإن إحسانه جزء إحسان

إن لم أصوره لم تعلم بمن كلفت نفسي و تصويره رد لبرهان

(ومما يتضمنه هذا الباب أيضا قولنا)

أنا محبوب الهوى لو تعلموا و الهوى محبوبنا لو تفهموا

فإذا أنتم فهمتم غرضي فاحمدوا الله تعالى و اعلموا

ما لقومي عن كلامي أعرضوا أبهم عن درك لفظي صمم

ما لقومي عن عيان ما بدا من حبيبي في وجودي قد عموا

لست أهوى أحدا من خلقه لا و لا غير وجودي فافهموا

مذ تألهت رجعت مظهرا و كذا كنت فبي فاعتصموا

أنا حبل الله في كونكم فالزموا الباب عبيدا و اخدموا

و إذا قلت هويت زينبا أو نظاما أو عنانا فأحكموا

إنه رمز بديع حسن تحته ثوب رفيع معلم

و أنا الثوب على لابسه و الذي يلبسه ما يعلم

ليس في الجبة شيء غير ما قاله الحلاج يوما فأنعموا

و حياة الحب لو أشهده لاعترانى لشهودي بكم

ما يرى عين وجود الحق من أصله في كل حال عدم

(ومما يتضمنه هذا الباب قولنا)

إن الوجود لحرف أنت معناه ... وليس لي أمل في الكون إلا هو

الحرف معنى ومعنى الحرف ساكنه ... و ما تشاهد عين غير معناه

و القلب من حيث ما تعطيه فطرته ... يجول ما بين مغناه و معناه

عز الإله فما يحويه من أحد ... و بعد هذا فإنا قد وسعناه

و ما أنا قلت بل جاء الحديث به ... عن الإله و هذا اللفظ فحواه

لما أراد الإله الحق يسكنه ... لذاك عدله خلقا و سواه

فكان عين وجودي عين صورته ... وحي صحيح ولا يدريه إلا هو

الله أكبر لا شيء يماثله ... و ليس شيء سواه بل هو إياه

فما ترى عين ذي عين سوى عدم ... فصح إن الوجود المدرك الله

فلا يرى الله إلا الله فاعتبروا ... قولي ليعلم منحاه و معزاه

(ومما يتضمنه هذا الباب أيضا قولنا) في واقعة رأيت الحق فيها يخاطبني بمعنى ما في هذه الأبيات وسماني باسم ما سمعت به قط إلا منه تعالى في تلك الواقعة و هو نرديار فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ فقال ممسوك الدار و هي هذه الأبيات و قد تقدمت في هذا الكتاب بأطول مما هي هنا و ما سقت منها هنا إلا ما وقع

مسكتك في داري لإظهار صورتي ... فسبحانكم مجلى و سبحان سبحانا

فما نظرت عيناك مثلي كاملا ... و لا نظرت عين كمثلك إنسانا

فلم يبق في الإمكان أكمل منكم ... نصبت على هذا من الشرع برهانا

فأي كمال كان لم يك غيركم ... على كل وجه كان ذلك ما كانا

ظهرت إلى خلقي بصورة آدم ... و قررت هذا في الشرائع إيمانا

فلو كان في الإمكان أكمل منكم ... لكان وجود النقص في إذا كانا

لأنك مخصوص بصورة حضرتي ... و أكمل مني ما يكون فقد بأنا

(ومما ضمنته هذا الباب أيضا قولنا)

الله أكبر أن يخطئ به أحد ... وهو الحبيب العلي السيد الصمد

الشمس تدركنا والشمس ندركها ... نعم ومنها إلينا العطف والرفد

و إننا لنراها و هي ظاهرة ... مثل التجلي و لم يظفر به أحد

النور يمنعنا من أن نكيفها ... فكيف من لا له كيف فيتحد

الكيف والكم من نعت الجسوم وما ... هناك جسم ولا حال ولا عدد

(ومما يتضمنه هذا الباب أيضا قولنا)

بادر لجبر الذي قد فات من عمرك ... و لتتخذ زادك الرحمن في سفرك

و قل له بالهوى يا منتهى أملي ... ما أشوق السر و المعنى إلى خبرك

لقد علمت بأني حين أبصر من ... كان الوجود به ما زلت من نظرك

لولا الفناء و نفي المثل عنك وما ... قد جاء عنك من الإحراق من بصرك

ما كان لي أمل في غير مشهدكم ... و لا قرأت كتابا ليس في سيرك

إني سألتك يا من لا شبيه له ... أمرا أراد به المحتوم من قدرك

فقال لي من قضائي إن ترى قدري ... يرده قدري و الكل من أترك

قد جاءكم عن نبي في إزالة ما ... قضيته و بما يزيد في عمرك

لكم كلام نفيس كله درر ... و ذا من الدر فلنلحقه في دررك

(ومما يتضمنه هذا الباب في حب الحب قولنا)

و لما رأيت الحب يعظم قدره ... و مالي به حتى الممات يدان

تعشقت حب الحب دهري ولم أقل ... كفاني الذي قد نلت منه كفاني

فابد إلى المحبوب شمس اتصاله ... أضاء بها كوني و عين جناني

و ذاب فؤادي خيفة من جلاله ... فوقع لي في الحين خط أمان

و نزهني في روض إنس جماله فغبت عن الأرواح و الثقلان

و أحضرني و السر مني غائب و غيبني و الأمر مني داني

فإن قلت أنا واحد فوجوده و إن أثبتوا عيني فمزدوجان

و لكنه مزج رقيق منزه يرى واحدا و العلم يشهد ثاني

فقلت له و هو القوول و إنه عبارته المثلى جرت بلسان

أيا من بدا في نفسه لنفيسه و لا عدد فالعين مني فإني

فنفسك شاهدت النفيسة منعما بنفسك و انظر في المراة تراني

فيا غائبا من كان هذا مقامه يرى في جنان الناعمات بجان

فلا و الذي طارت إلى حسن ذاته قلوب فأفناها عن الطيران

اعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه و تسمى بالودود و في الخبر بالمحب ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة يا ابن آدم أنى و حقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا و قد وردت المحبة في القرآن و السنة في حق الله و في حق المخلوقين و ذكر أصناف المحبوبين بصفاتهم و ذكر الصفات التي لا يحبها الله و ذكر الأصناف الذين لا يحبهم الله فقال تعالى لنبيه ص آمرا أن يقول لنا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا من يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و قال في ذكر الأصناف الذين يحبهم إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ و يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ و يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ و يُحِبُّ الصَّابِرِينَ و يحب الشاكرين و يحب المتصدقين و يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ كما نفى عن نفسه أن يحب قوما لأجل صفات قامت بهم لا يحبها ففحوى الخطاب أنه سبحانه يحب زوالها و لا تزول إلا بضدها و لا بد فقال إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و لا يُحِبُّ الْفَسادَ و ضده الصلاح فعين ترك الفساد صلاح و قال إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ و لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ و لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ و لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ و لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ و لا يحب الْجَهْرَ بِالسُّوءِ من الْقَوْلِ و لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ثم إنه سبحانه حبب إلينا أشياء منها بالتزيين و منها مطلقة فقال ممتنا علينا وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ و قال زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ الآية و قال في حق الزوجين وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً و نهانا أن نلقي بالمودة إلى أعداء الله فقال لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و المحبة الواردة في القرآن كثيرة و أما الأخبار فقوله ص عن الله إنه قال كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت

إليهم فعرفوني فما خلقنا إلا له لا لنا لذلك قرن الجزاء بالأعمال فعملنا لنا لا له و عبادتنا له لا لنا و ليست العبادة نفس العمل فالأعمال الظاهرة في المخلوقين خلق له فهو العامل و يضاف إليه حسنها أدبا مع الله مع كونها كل من عند الله لأنه قال وَنَفْسٍ وَما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ و قال اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فدخلت أعمال العباد في ذلك و قال رسول الله ص إن الله يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به الحديث و من هذا التجلي قال من قال بالاتحاد و بقوله وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و بقوله وَما تَعْمَلُونَ و في الخبر أن الله يحب كل مفتن تواب و في الخبر وجبت للمتحابين في و في الخبر حبوا الله لما أسدى إليكم من نعمه و في الخبر أن الله جميل يحب الجمال و أن الله يحب أن يمدح و قال ع حبب إلي من دنياكم ثلاث الحديث و الأخبار في هذا الباب كثيرة جدا و اعلم أن مقامها شريف و إنها أصل الوجود

وعن الحب صدرنا وعلى الحب جبلنا

فلذا جئناه قصدا و لهذا قد قبلنا

و لهذا المقام أربعة ألقاب منها الحب و هو خلوصه إلى القلب و صفاؤه عن كدورات العوارض فلا غرض له و لا إرادة مع محبوبه (و اللقب الثاني) الود و له اسم إلهي و هو الودود و الود من نعوته و هو الثابت فيه و به سمي الودود الثبوتة في الأرض (و اللقب الثالث) العشق و هو إفراط المحبة و كنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ و هو قوله قَدْ شَغَفَها حُبًّا أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف و هي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة و قد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق و العاشق و العشق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه و اشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة (و اللقب الرابع) الهوى و هو استفراغ الإرادة في المحبوب و التعلق به في أول ما يحصل في القلب و ليس لله منه اسم و لحصوله سبب نظرة أو خبر أو إحسان و أسبابه كثيرة و معناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات و كذلك اتباع الرسول فيما شرع و هذا منزلته فينا مسمى الهوى قال بعضهم في الحب المولد عن الخبر

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

(و لنا في الحب المولد عن النظر و الخبر في الغزليات)

حبي لغيرك موقوف على النظر إلا هواك فمبناه على الخبر

إنه يعلم أني ما علمت لها على الذي قيل لي أختا من البشر
فبغيتى من عزلتي إن أفوز بها و أن تجود على عيني بالنظر

(ولنا أيضا في هذا المعنى)

حقيقتي همت بها و ما رآها بصري
و لو رآها لغدا قتيل ذاك الحور
فعند ما أبصرتها صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها أهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى لو كان يغني حذرى
حكم القضاء والقدر و إنما هيمني
و الله ما هيمني جمال ذاك الخفر
يا حسنها من ظبية ترعى بذات الخمر
إذا رنت أو عطفت تسبى عقول البشر
تفتر عن ظلم و عن حب غمام نشر
كأنما أنفاسها أعراف مسك عطر
كأنها شمس ضحى في النور أو كالقمر
إن سفرت أبرزها نور صباح مسفر
أو سدلت غيبها ظلام ذاك الشعر
يا قمرا تحت دجى خذي فؤادي و ذر
عيني لكي أبصركم إذ كان حظي نظري
فإن مبني كلفي بحبها من خبري

(ولنا أيضا في هذا المعنى)

الأذن عاشقة و العين عاشقة شتان ما بين عشق العين و الخبر

فالإذن تعشق ما و همي يصوره و العين تعشق محسوسا من الصور

فصاحب العين إن جاء الحبيب له يوما ليبصره يلتذ بالنظر

و صاحب الأذن إن جاء الحبيب له في صورة الحس ما ينفك عن غير

إلا هوى زينب فإنه عجب قد استوى فيه حظ السمع و البصر

و ألطف ما في الحب ما وجدته و هو أن تجد عشقا مفرطا و هوى و شوقا مقلقا و غراما و نحولا و امتناع نوم و لذة بطعام و لا يدري فيمن و لا بمن و لا يتعين لك محبوبك و هذا ألطف ما وجدته ذوقا ثم بعد ذلك بالاتفاق أما يبدو لك تجل في كشف فيتعلق ذلك الحب به أو نرى شخصا فيتعلق ذلك الوجد الذي تجده به عند رؤيته فتعلم إن ذلك كان محبوبك و أنت لا تشعر أو يذكر شخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى الذي عندك فتعلم أنه صاحبك و هذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب فتجهل حالها و لا تدري بمن هامت و لا فيمن هامت و لا ما هيمها و يجد الناس ذلك في القبض و البسط الذي لا يعرف له سبب فعند ذلك يأتيه ما يحزنه فيعرف أن ذلك القبض كان لهذا الأمر أو يأتيه ما يسره فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر و ذلك لاستشراف النفس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة و هي مقدمات التكوين و يشبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك فتجد في فطرة كل إنسان افتقارا لموجود يستند إليه و هو الله و لا يشعر به و لهذا قال يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ يقول لهم ذلك الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقة الله لا غيره و لكن لا تعرفونه فعرفنا الحق به و لما ذقنا هذا المقام قلنا فيه

علقت بمن أهواه عشرين حجة و لم أدر من أهوى و لم أعرف الصبرا

و لا نظرت عيني إلى حسن وجهها و لا سمعت أذناي قط لها ذكرا

إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى فنعمني يوما و عذبني دهرا

و لنا أيضا في هذا المعنى ذوقا فإنا لا نعبر إلا عما ذقناه

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري ولا أدري من هذا الذي قال لا أدري

فقد حرت في حالي و حارت خواطري و قد حارت الحيرات في و في أمري

فبينا أنا من بعد عشرين حجة أترجم عن حب يعانقه سرى

و لم أدر من أهوى و لا أعرف اسمه ولا أدر من هذا الذي ضمه صدري

إلى أن بدا لي وجهها من نقابها كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر

فقلت لهم من هذه قيل هذه بنية عين القلب بنت أخي الصد

فكبرت إجلالا لها و لأصلها فليلي بها أربى على ليلة القدر

و لنا في هذا المعنى ذوقا في أول دخولي إلى الشام وجدت ميلا مجهولا مدة طويلة في قصة طويلة إلهية متخيلة في صورة جسدية فقلنا نخاطبها في ذلك بالحال و لسانه

أقول و عندي من هواك الذي عندي مقالة من قال الحبيب له قل لي

و لما دخلت الشام خولطت في عقلي فلم أر قبلي في الهوى عاشقا مثلي

عشقت و ما أدري الذي قد عشقته أ خالقي المحبوب أم هو من شكلي

و لا سمعت أذناي قط بذكره فهل قال هذا عاشق غيرنا قبلي

فجبت بلاد الله شرقا و مغربا لعلي أرى شخصا يوافقني علي

فلم أر إلا ذا حبيب معين يلازمه طبعا ملازمة الظل

فقلت إلهي أن قلبي مهيم و لم أدر فانظر في مقامي و في ذلي

فنادى منادي الحب من بين أضلعي لقد غصت يا مسكين في أبحر الجهل

ألا فاستمع قولي و خذ سر حكمتي فإني من أهل التعاليم و الفضل

بسبع و عشر ثم خمسين بعدها إذا أنت حصلت اثنتين على وصلي

يقوم لكم شكل بديع مربع تماما على الوصل الذي فيه و الفصل

كمثل اسمه الله بيانا محققا فكان اسم محبوبي على صورة الأصل

فذاك اسم من تهواه إن كنت عالما و هذا من العلم المضاف إلى البخل

فإن كنت ذا فهم فلا تبتغي سوى مثلثة التربيع جامعة الشمل

فثليثها بيت و بيت مصحف لها حسن إدلال يدل على دلى

فبيت إلى لعين عين و ثم بيت لماجد هما أهل بيت للسماحة و البذل

و أوله حرف نزيه مسبع من الستة الأعلام من أحرف الفصل

و هذا ألطف ما يكون من المحبة و دونه حب الحب و هو الشغل بالحب عن متعلقة جاءت ليلى إلى قيس و هو يصيح ليلى ليلى و يأخذ الجليد و يلقيه على فؤاده فتذيبه حرارة الفؤاد فسلمت عليه و هو في تلك الحال فقالت له أنا مطلوبك أنا بغيتك أنا محبوبك أنا قرة عينك أنا ليلى فالتفت إليها و قال إليك عني فإن حبك شغلني عنك و هذا ألطف ما يكون و أرق في المحبة و لكن هو دون ما ذكرناه في اللطف و كان شيخنا أبو العباس العريبي رحمه الله يسأل الله أن يرزقه شهوة الحب لا الحب و اختلف الناس في حده فما رأيت أحدا حده بالحد الذاتي بل لا يتصور ذلك فما حده من حده إلا بنتائجه و آثاره و لوازمه و لا سيما و قد اتصف به الجناب العزيز و هو الله و أحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا سمعناه يقول و قد سئل عن المحبة فقال الغيرة من صفات المحبة و الغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد و اعلم أن الأمور المعلومات على قسمين منها ما يحد و منها ما لا يحد و المحبة عند العلماء بها المتكلمين فيها من الأمور التي لا تحد فيعرفها من قامت به و من كانت صفته و لا يعرف ما هي و لا ينكر وجودها و اعلم أن كل حب لا يحكم على صاحبه بحيث أن يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه و يعميه عن كل منظور سوى وجه محبوبه و يخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه و ذكر من يحب محبوبه و يختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه و يرمي قفله على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه إما عن رؤية تقدمته و إما عن وصف ينشئ منه الخيال صورة فيكون كما قيل

خيالك في عيني و ذكرك في فمي و مثواك في قلبي فأين تغيب

فيه يسمع و له يسمع و به يبصر و له يبصر و به يتكلم و له يتكلم و لقد بلغ بي قوة الخيال إن كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ص فلا أقدر أنظر إليه و يخاطبني و أصغى إليه و أفهم عنه و لقد تركني أياما لا أسيغ طعاما كلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها و ينظر إلي و يقول لي بلسان أسمعه بإذني تأكل و أنت تشاهدني فامتنع من الطعام و لا أجد جوعا و أمتلئ منه حتى سمنت و عبلت من نظري إليه فقام لي مقام الغذاء و كان أصحابي و أهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء لأني كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقا و لا أجد جوعا و لا عطشا لكنه كان لا يبرح نصب عيني في قيامي و قعودي و حركتي و سكوني و اعلم أنه لا يستغرق الحب المحب كله إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى أو أحدا من جنسه من جارية أو غلام و أما ما عدى من ذكرته فإنه

لا يستغرقه حبه إياه و إنما قلنا ذلك لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها إلا من هو على صورته إذا أحبه فما فيه جزء إلا و فيه ما يماثله فلا تبقي فيه فضلة يصحو بها جملة واحدة فيهيم ظاهره في ظاهره و باطنه في باطنه ألا ترى الحق قد تسمى بالظاهر و الباطن فتستغرق الإنسان المحبة في الحق و في أشكاله و ليس ذلك فيما سوى الجنس من العالم فإنه إذا أحب صورة من العالم إنما يستقبله بالجزء المناسب و يبقى ما بقي من ذاته صاحية في شغلها و أما استغراق حبه إذا أحب الله فلكونه على صورته كما ورد في الخبر فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها و لهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية و يتخلق بها من ليست عنده صفة الحب و بكونها من عنده صفة الحب فلهذا يستغرق الإنسان الحب و إذا تعلق بالله و كان الله محبوبه فيفني في حبه في الحق أشد من فنائه في حب أشكاله فإنه في حب أشكاله فاقد في غيبته ظاهر المحبوب و إذا كان الحق هو المحبوب فهو دائم المشاهدة و مشاهدة المحبوب كالغذاء للجسم به ينمي و يزيد فكلما زاد مشاهدة زاد حبا و لهذا الشوق يسكن باللقاء و الاشتياق يهيج باللقاء و هو الذي يجده العشاق عند الاجتماع بالمحبوب لا يشبع من مشاهدته و لا يأخذ نهمته منا لأنه كلما نظر إليه زاد وجدا به و شوقا مع حضوره معه كما قيل

و من عجب إني أحن إليهم ... و أسأل شوقا عنهم و هم معي

و تبكيهم عيني و هم في سوادها ... و تشتاقهم نفسي و هم بين أضلعي

و كل حب يبقى في الحب عقلا يعقل به عن غير محبوبه أو تعقلا فليس بحب خالص و إنما هو حديث نفس قال بعضهم و لا خير في حب يدبر بالعقل و حكايات المحبين في هذا الباب أكثر من أن تحصى و لنا في ازدياد المحبة مع المشاهدة و الشوق

أغيب فيفني الشوق نفسي فالتقى ... فلا أشتفي فالشوق غيبا و محضرا

و يحدث لي لقياه ما لم أظنه ... مكان الشفا داء من الوجد آخرا

لأني أرى شخصا يزيد جماله ... إذا ما التقيناه نخوة و تكبرا

فلا بد من وجد يكون مقارنا ... لما زاد من حسن نظاما محررا

أشير إلى تجليه سبحانه في صور مختلفة في الآخرة لعباده و في الدنيا لقلوب عباده كما ورد في صحيح مسلم من تحوله سبحانه في الصور كما ينبغي لذاته من غير تشبيه و لا تكييف فو الله لو لا الشريعة التي جاءت بالأخبار الإلهي ما عرف الله أحد و لو بقينا مع الأدلة العقلية التي دلت في زعم العقلاء على العلم بذاته بأنه ليس كذا و ليس كذا ما أحبه مخلوق فلما جاء الخبر الإلهي بالسنة الشرائع بأنه سبحانه كذا و أنه كذا من أمور تناقض ظواهرها الأدلة العقلية أحببناه لهذه الصفات الثبوتية ثم بعد أن أوقع النسب و ثبت السبب و

النسب الموجبات للمحبة قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فنثبت الأسباب الموجبة للحب التي نفاها العقل بدليله و هذا معنى قوله فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني فما يعرف الله إلا بما أخبر به عن نفسه من حبه إيانا و رحمته بنا و رأفته و شفقته و تحببه و نزوله في التحديد لمثله تعالى و نجعله نصب أعيننا في قلوبنا و في قبلتنا و في خيالنا حتى كأنا نراه لا بل نراه فينا لأنا عرفناه بتعريفه لا بنظرنا و منا من يراه و يجهله فكما أنه لا يفتقر إلى غيره كذلك و الله لا يحب في الموجودات غيره فهو الظاهر في كل محبوب لعين كل محب و ما في الموجود إلا محب فالعالم كله محب و محبوب و كل ذلك راجع إليه كما أنه لم يعبد سواه فإنه ما عبد من عبد إلا بتخيل الألوهية فيه و لولاها ما عبد يقول تعالى وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و كذلك الحب ما أحب أحد غير خالقه و لكن احتجب عنه تعالى بحب زينب و سعاد و هند و ليلى و الدنيا و الدرهم و الجاه و كل محبوب في العالم فأفنت الشعراء كلامها في الموجودات و هم لا يعلمون و العارفون لم يسمعوا شعرا و لا لغزا و لا مديحا و لا تغزلا إلا فيه من خلف حجاب الصور و سبب ذلك الغيرة الإلهية أن يحب سواه فإن الحب سببه الجمال و هو له لأن الجمال محبوب لذاته و الله جميل يحب الجمال فيحب نفسه و سببه الآخر الإحسان و ما ثم إحسان إلا من الله و لا محسن إلا الله فإن أحببت للإحسان فما أحببت إلا الله فإنه المحسن و إن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فإنه الجميل فعلى كل وجه ما متعلق المحبة إلا الله و لما علم الحق نفسه فعلم العالم من نفسه فأخرجه علم صورته فكان له مرآة يرى صورته فيه فما أحب سوى نفسه فقوله يُحْبِبْكُمُ الله على الحقيقة نفسه أحب إذ الاتباع سبب الحب و اتباعه صورته في مرآة العالم سبب الحب لأنه لا يرى سوى نفسه و سبب الحب النوافل و هي الزيادات و صورة العالم زيادة في الوجود فأحب العالم نافلة فكان سمعه و بصره حتى لا يحب سوى نفسه و ما أغمضها من مسألة و ما أسرع تفلتها من الوهم فإنه اتفق في الوجود أمر غريب و ذلك أن ثم أمورا يتحقق بها العقل و يثبت عليها و لا يتزلزل و تتفلت من الوهم و لا يقدر يبقى على ضبطها مثل هذه المسألة يثبتها العقل و لا يقدر يزول عنها و تتفلت من الوهم و لا يقدر على ضبطها و ثم أمور أخر بالعكس تتفلت من العقل و تثبت في الوهم و يحكم عليها و يؤثر فيها كمن يعطيه العقل بدليله أن رزقه لا بد أن يأتيه سعى إليه أو لم يسع فيتفلت هذا العلم عن العقل و يحكم عليه الوهم بسلطانه إنك إن لم تسع في طلبه تموت فيغلب عليه فيقوم يتعمل في تحصيله فحقه من جهة عقله زائل و باطله من جهة وهمه ثابت لا يتزلزل و كمن يرى حية أو أسدا على صورة لا يتمكن فيما يغطيه العقل أن يصل ضرره إليه فيغيب عن ذلك الدليل و يتوهم ضرره فينفر منه و يتغير وجهه و باطنه بحكم الوهم و سلطانه و هذا موجود فللوهم سلطان في مواطن و للعقل سلطان في مواطن فلنذكر في هذا الباب إن شاء الله من لوازم الحب و مقاماته ما تيسر فنقول إن الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة فلا تتعلق المحبة إلا بمعدوم غير موجود في حين التعلق يريد وجود ذلك المحبوب أو وقوعه و إنما

قلت أو وقوعه لأنها قد تتعلق بإعدام الموجود و إعدام الموجود في حال كون الموجود موجودا ليس بواقع فإذا عدم الموجود الذي تعلقت به المحبة فقد وقع و لا يقال وجد الإعدام فإنه جهل من قائله و قولنا يريد وجود ذلك المحبوب و أن المحبوب على الحقيقة إنما هو معدوم فذلك أن المحبوب للمحب هو إرادة أوجبت الاتصال بهذا الشخص المعين كائنا من كان إن كان ممن من شأنه أن يعانق فيحب عناقه أو ينكح فيحب نكاحه أو يجالس فيحب مجالسته فما تعلق حبه إلا بمعدوم في الوقت من هذا الشخص فيتخيل إن حبه متعلق بالشخص و ليس كذلك و هذا هو الذي يهيجه للقائه و رؤيته فلو كان يحب شخصه أو وجوده في عينه فهو في شخصيته أو في وجوده فلا فائدة لتعلق الحب به فإن قلت أنا كنا تحب مجالسة شخص أو تقبيله أو عناقه أو تأنيسه أو حديثه ثم نرى تحصل ذلك و الحب لا يزول مع وجود العناق و الوصال فإذا متعلق الحب قد لا يكون معدوما قلنا أنت غالط إذا عانقت الشخص الذي تعلقت المحبة بعناقه أو مجالسته أو مؤانسته فإن متعلق حبك في تلك حال ما هو بالحاصل و إنما هو بدوام الحاصل و استمراره و الدوام و الاستمرار معدوم ما دخل في الوجود و لا تتناهى مدته فإذا ما تعلق الحب في حال الوصلة إلا بمعدوم و هو دوامها و ما أحسن ما جاء في القرآن قوله يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ بضمير الغائب و الفعل المستقبل فما أضاف متعلق الحب إلا لغائب و معدوم و كل غائب فهو معدوم إضافي فمن أوصاف المحبة أن يجمع المحب في حبه بين الضدين ليصح كونه على الصورة لما فيه من الاختيار و هذا هو الفرق بين الحب الطبيعي و الروحاني و الإنسان يجمعهما وحده و البهائم تحب و لا تجمع بين الضدين بخلاف الإنسان و إنما جمع الإنسان في حبه بين الضدين لأنه على صورته و قد وصف نفسه بالضدين و هو قوله هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ و صورة جمع الحب بين الضدين أن الحب من صفاته اللازمة له حب الاتصال بالمحبوب و من صفاته اللازمة حب ما يحبه المحبوب فيحب المحبوب الهجر فإن أحب المحب الهجر فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة فإن المحبة تطلب الاتصال و إن أحب الاتصال فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة فإن المحب يحب ما يحب محبوبه و لم يفعل فالمحب محجوج على كل حال و غاية الجمع بينهما أن يحب حب المحبوب للهجر لا الهجر و يحب الاتصال و لا تخرج هذه المسألة على أكثر من هذا كالراضي بالقضاء فيصح له اسم الرضاء بالقضاء مع كونه لا يرضى بالمقضي إذا كان المقضي به كفرا كذا ورد الشرع و هكذا في مسألة الحب يحب المحب الاتصال بالمحبوب و يحب حب المحبوب الهجر لا يحب الهجر لأن الهجر ما هو عين حب المحبوب الهجر كما أن القضاء ما هو عين المقضي فإن القضاء حكم الله بالمقضي لا عين المقضي فيرضى بحكم الله و حب الحيوان ليس كذلك لأنه حب طبيعي لا روحاني فيطلب الاتصال بمن يحب خاصة و لا يعلم أن محبوبه له حب في كذا لا علم له بذلك فلهذا قسمنا الحب الذي هو صفة للإنسان إلى نوعين فيه حب طبيعي و به يشارك البهائم و الحيوانات و حب روحاني و به ينفصل و يتميز عن حب

الحيوان و إذا تقرر هذا وصل فاعلم أن الحب منه إلهي و روحاني و طبيعي و ما ثم حب غير هذا فالحب الإلهي هو حب الله لنا و حبنا الله أيضا قد يطلق عليه أنه إلهي و الحب الروحاني هو الذي يسعى به في مرضاة المحبوب لا يبقى له مع محبوبه غرض و لا إرادة بل هو بحكم ما يراد به خاصة و الحب الطبيعي هو الذي يطلب به جميع نيل أغراضه سواء سر ذلك المحبوب أو لم يسره و على هذا أكثر حب الناس اليوم فلنقدم أولا الكلام على الحب الإلهي في وصل ثم يتلوه وصل في الحب الروحاني ثم يتلوه وصل ثالث في الحب الطبيعي وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الوصل الأول) في الحب الإلهي و هو أن يحبنا لنا و لنفسه أما حبه إيانا لنفسه فهو قوله أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني فما خلقنا إلا لنفسه حتى نعرفه و قوله (وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فما خلقنا إلا لنفسه و أما حبه إيانا لنا فلما عرفنا به من الأعمال التي تؤدينا إلى سعادتنا و نجاتنا من الأمور التي لا توافق أغراضنا و لا تلائم طباعنا خلق سبحانه الخلق ليسبحوه فنطقهم بالتسبيح له و الثناء عليه و السجود له ثم عرفنا بذلك فقال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أي بالثناء عليه بما هو عليه و ما يكون منه و عرفنا أيضا فقال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ فلزم ذلك و ثابر عليه و خاطب بهذه الآية نبيه ص الذي أشهده ذلك و رآه فقال له أَلَمْ تَرَ و لم يقل ألم تروا فإنا ما رأينا فهو لنا إيمان و هو لمحمد ص عيان و كذا قال له أيضا لما أشهده سجود كل شيء أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ من في السَّماواتِ وَمن في الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ من النَّاسِ فما ترك أحدا فإنه ذكر من في السموات و من في الأرض فذكر العالم العلوي و السفلي فأشهده سجود كل شيء فكل من أشهده الله ذلك و رآه دخل تحت هذا الخطاب و هذا تسبيح فطري ذاتي عن تجل تجلى لهم فأحبوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي و هذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذي يستحقه و كذلك قال في أهل الكشف و هم عامة الإنس و كل عاقل أَوَلَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ من شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ داخِرُونَ هذا حظ النعيم البصري ثم أخبر أن ذلك التفيؤ يمينا و شمالا أنه سجود لله و صغار و ذلة لجلاله فقال سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ داخِرُونَ فوصفهم بعقليتهم أنفسهم حتى سجدوا لله داخرين ثم أخبر فقال متمما وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما في السَّماواتِ وَما في الْأَرْضِ من دابَّةٍ أي ممن يدب عليها يقول يمشي و هم يعني أهل السموات و الملائكة يعني التي ليست في سماء و لا أرض ثم قال وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ يعني عن عبادة ربهم ثم وصفهم بالخوف ليعلمنا أنهم عالمون بمن سجدوا له ثم وصف المأمورين منهم إنهم يفعلون ما يؤمرون و هم الذين قال فيهم لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ثم قال في الذين هم عند ربهم يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ أي لا يملون كل ذلك يدل على أن العالم كله في مقام الشهود و العبادة إلا كل مخلوق له قوة التفكر و ليس إلا النفوس

الناطقة الإنسانية و الجانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له و السجود فأعضاء البدن كلها بتسبيحه ناطقة ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود و الأيدي و الأرجل و الألسنة و السمع و البصر و جميع القوي فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ و هذا كله من حكم حبه إيانا لنفسه فمن و في شكره و من لم يوف عاقبه فنفسه أحب و تعظيمه و الثناء عليه أحب و أما حبه إيانا لنا فإنه عرفنا بمصالحنا دنيا و آخرة و نصب لنا الأدلة على معرفته حتى نعلمه و لا نجهله ثم إنه رزقنا و أنعم علينا مع تفريطنا بعد علمنا به و إقامة الدليل عندنا على أن كل نعمة تتقلب فيها إنما ذلك من خلقه و راجعة إليه و إنه ما أوجدها إلا من أجلنا لننعم بها و نقيم بذلك و تركنا نرأس و نربع ثم إنه بعد هذا الإحسان التام لم نشكره و العقل يقضي بشكر المنعم و قد علمنا أنه لا محسن إلا الله فمن إحسانه أن بعث إلينا رسولا من عنده معلما و مؤدبا فعلمنا بما لنا في نفسه فشرع لنا الطريق الموصل إلى سعادتنا و أبانه و حذرنا من الأمور المردية و اجتناب سفساف الأخلاق و مذامها ثم أقام الدلالة على صدقه عندنا فجاء بالبينات و قذف في قلوبنا نور الايمان و حببه إلينا و زينه في قلوبنا و كره إلينا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ فآمنا و صدقنا ثم من علينا بالتوفيق فاستعملنا في محابه و مراضيه فعلمنا أنه لو لا ما أحبنا ما كان شيء من هذا كله ثم إن رحمته سبقت غضبه و إن شقي من شقي فلا بد من شمول الرحمة و العناية و المحبة الأصلية التي تؤثر في العواقب و لما سبقت المحبة و حقت الكلمة و عمت الرحمة و كانت الدار الدنيا دار امتزاج و حجاب بما قدره العزيز العليم خلق الآخرة و نقلنا إليها و هي دار لا تقبل الدعاوي الكاذبة فأقر الجميع بربوبيته هناك كما أقروا بربوبيته في قبضة الذر من ظهر آدم فكنا في الدار الدنيا وسطا بين طرفين طرفي توحيد و إقرار و في الوسط وقع الشرك مع ثبوت الوجود فضعف الوسط و لذلك قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فنسبوا العظمة و الكبرياء إلى الله تعالى في شركهم ثم أخبر تعالى أنه طبع على قلب كل من ظهر في ظاهر لقومه بصفة الكبرياء و الجبروت و ما جعل ذلك في قلوبهم بسبب طابع العناية فهم عند نفوسهم بما يجدونه من العلم الضروري أذلاء صاغرين لذلك الطابع فما دخل الكبرياء على الله قلب مخلوق أصلا و إن ظهرت منه صفات الكبرياء فثوب ظاهر لا بطانة له منه و هذا كله من رحمته و محبته في خلقه ليكون المال إلى السعادة فلما ضعف الوسط و تقوى الطرفان غلب في آخر الأمر و امتلأت الدار إن و جعل في كل واحدة منهما نعيما لأهلها يتنعمون به بعد ما طهرهم الله بما نالوه من العذاب لينالوا النعيم على طهارة ألا ترى المقتول قودا كيف يطهره ذلك القتل من ظلم القتل الذي قتل من قتل به فالسيف محاء و كذلك إقامة الحدود في الدنيا كلها تطهير للمؤمنين حتى قرصة البرغوث و الشوكة يشاكها و ثم طائفة أخرى تقام عليهم حدود الآخرة في النار ليتطهروا ثم يرحمون في النار لما سبق من عناية المحبة و إن لم تخرجوا من النار فحب الله عباده لا يتصف بالبدء و لا بالغاية فإنه لا

يقبل الحوادث و لا العوارض لكن عين محبته لعباده عين مبدأ كونهم متقدميهم و متأخريهم إلى ما لا نهاية له فنسبة حب الله لهم نسبة كينونته كانت معهم أينما كانوا في حال عدمهم و في حال وجودهم فكما هو معهم في حال وجودهم هو معهم في حال عدمهم لأنهم معلومون له مشاهد لهم محب فيهم لم يزل و لا يزال لم يتجدد عليه حكم لم يكن عليه بل لم يزل محبا خلقه كما لم يزل عالما بهم فقوله فأحببت أن أعرف تعريفا لنا مما كان الأمر عليه في نفسه كل ذلك كما لا يليق بجلاله لا يعقل تعالى إلا فاعلا خالقا و كل عين فكانت معدومة لعينها معلومة له محبوبا له إيجادها ثم أحدث له الوجود بل أحدث فيها الوجود بل كساها حلة الوجود فكانت هي ثم الأخرى ثم الأخرى على التوالي و التتابع من أول موجود المستند إلى أولية الحق و ما ثم موجود آخر بل وجود مستمر في الأشخاص فالآخر في الأجناس و الأنواع و ليس الأشخاص في المخلوقات إلا في نوع خاص متناهية في الآخرة و إن كانت الدنيا متناهية فالأكوان جديدة لا نهاية لتكوينها لأن الممكنات لا نهاية لها فأبدها دائم كما الأزل في حق الحق ثابت لازم فلا أول لوجوده فلا أول لمحبته عباده سبحانه ذكر المحبة يحدث عند المحبوب عند التعريف الإلهي لا نفس المحبة القرآن كلام الله لم يزل متكلما و مع هذا قال معرفا ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فحدث عندنا الذكر لا في نفسه من سيدنا و مالكنا و مصلحنا و مغذينا و ما يأتينا من ذِكْرٍ من الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ فحدث عندنا الذكر من الرحمن لا في نفسه فالرحمة و النعمة و الإحسان في البدء و العاقبة و المال و لم يجر لاسم من أسماء الشقاء ذكر في الإتيان إنما هو رب أو رحمن ليعلمكم ما في نفسه لكم (تكملة في الحب الإلهي) و هي كوننا نحب الله فإن الله يقول يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و نسبة الحب إلينا ما هو نسبة الحب إليه و الحب المنسوب إلينا من حيث ما تعطيه حقيقتنا ينقسم قسمين قسم يقال فيه حب روحاني و الآخر حب طبيعي و حبنا الله تالى بالحيين معا و هي مسألة صعبة التصور إذ ما كل نفس ترزق العلم بالأمور على ما هي عليه و لا نرزق الايمان بها على وفق ما جاء من الله في إخباره عنه و لذلك امتن الله بمثل هذا على نبيه ص فقال وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي به من نَشاءُ من عِبادِنا فنحن بحمد الله ممن شاء من عباده و ما بقي لنا بعد التقسيم في حبنا إياه إلا أربعة أقسام و هي إما أن نحبه له أو نحبه لأنفسنا أو نحبه للمجموع أو نحبه و لا لواحد مما ذكرناه و هنا يحدث نظر آخر و هو لما ذا نحبه إذ و قد ثبت إنا نحبه فلا نحبه له و لا لأنفسنا و لا للمجموع فما هو هذا الأمر الرابع هذا فصل و ثم تقسيم آخر و هو و إن أحببناه فهل نحبه بنا أو نحبه به أو نحبه بالمجموع أو نحبه و لا بشيء مما ذكرناه و كل هذا يقع الشرح فيه و الكلام عليه إن شاء الله و كذلك نذكر في هذه التكملة ما بدء حبنا إياه و هل لهذا الحب غاية فيه ينتهي إليها أم لا فإن كانت له غاية فما تلك الغاية و هذه مسألة ما سألني عنها أحد إلا امرأة لطيفة من أهل هذا الشأن ثم نذكر أيضا إن شاء الله هل الحب صفة نفسية في المحب أو معنى زائد على ذاته وجودي أو

هو نسبة بين المحب و المحبوب لا وجود لها كل ذلك تحتاج إليه هذه التكملة فاعلم إن الحب لا يقبل الاشتراك و لكن إذا كانت ذات المحب واحدة لا تنقسم فإن كانت مركبة جاز أن يتعلق حبها بوجوه مختلفة و لكن لأمور مختلفة و إن كانت العين المنسوب إليها تلك الأمور المختلفة واحدة أو تكون تلك الأمور في كثيرين فيه فتتعلق المحبة بكثيرين فيحب الإنسان محبوبين كثيرين و إذا صح أن يحب المحب أكثر من واحد جاز أن يحب الكثير كما قال أمير المؤمنين

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

الفتوحات (۴ـج)، جلد ۲، ص: ۳۳۰ هنا سر خفي في قوله عناني فأفرد و ما أعطى لهؤلاء المحبوبين من نفسه أعنة مختلفة فدل أن هذا المحب و إن كان مركبا فما أحب إلا معنى واحدا قام له في هؤلاء الثلاثة أي ذلك المعنى موجود في عين كل واحدة منهن و الدليل على ذلك قوله في تمام البيت و حللن من قلبي بكل مكان فلو أحب من كل واحدة معنى لم يكن في الأخرى لكان العنان الذي يعطي لواحدة غير العنان الذي يعطي الأخرى و لكان المكان الذي تحله الواحدة غير المكان الذي تحله الأخرى فهذا واحد أحب واحدا و ذلك الواحد المحبوب موجود في كثيرين فأحب الكثير لأجل ذلك و هذا كحبنا الله تعالى له و منا من يحبه لنفسه و منا من يحبه للمجموع و هو أتم في المحبة لأنه أتم في المعرفة بالله و الشهود لأن منا من عرفه في الشهود فأحبه للمجموع و منا من عرفه لا في الشهود و لكن في الخبر فأحبه له و منا من عرفه في النعم فأحبه لنفسه و منا من أحبه للمجموع و ذلك أن الشهود لا يكون إلا في صورة و الصورة مركبة و المحب ذو صورة مركبة فيسمع من وجه فيحبه للخبر مثل قوله على لسان نبيه هل واليت لي وليا أو عاديت في عدوا فإذا أحببت الأشياء من أجله و عاديت الأشياء من أجله فهذا معنى حبنا له ليس غير ذلك فقمنا بجميع ما يحبه منا أن نقوم به عن طيب نفس و يكون من لا يشاهده من صورتي في حكم التبع كما هي الجوارح منا و حيوانيتنا بحكم النفس الناطقة لا تقدر على مخالفتها لأنها كالآلات لها تصرفها كيف تريد في مرضاة الله و في غير مرضاته و كل جزء من جوارح الإنسان إذا ترك بالنظر إلى نفسه لا يتمكن له أن يتصرف إلا فيما يرضى الله فإنه له و جميع ما في الوجود بهذه المثابة إلا الثقلان و هو قوله وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ يريد بذلك التسبيح الثناء على الله لا للجزاء لأنه في عبادة ذاتية لا يتصور معها طلب مجازاة فهذا من حبه له سبحانه إلا بعض النفوس الناطقة لما جعل لها في معرفة الله القوة المفكرة لم تفطر على العلم بالله و لهذا قبض عليها في قبض الذرية من ظهورهم وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ شهادة قهر فسجدت لله كرها لا طوعا من أجل القبض عليها ثم أرسلها مسرحة من تلك القبضة الخاصة و هي مقبوض عليها من حيث لا تشعر فتخيلت أنها مسرحة فلما وجدت مدبرة لهذا الهيكل المظلم جرت في الأمور بحسب ما يعطيها غرضها لا تحب من الأمور إلا ما يلائم

طبعها و غفلت عن مشهد الإقرار بالربوبية عليها لموجدها فبينا هي كذلك إذ قالت لها القوة المفكرة جميع القوي قد استعملتها و غفلت عني و تركتني و أنا من بعض آلاتك و ما لك بي عناية فاستعمليني فقالت لها نعم لا تؤاخذيني فإني جهلت رتبتك و قد أذنت لك في التصرف فيما تعطيه حقيقتك حتى أتحقق بما أنت عليه فأصرفك فيه و أستعملك فقالت سمعا ثم ردت وجهها القوة الفكرية إليها كالمعلمة و قالت لها لقد غفلت عن ذاتك و عن وجودك أنت لم تزالي هكذا موجودة لذاتك أو لم تكوني ثم كنت قالت النفس لم أكن ثم كنت قال الفكر فهذا الذي كونك عينك أو غيرك فكري و حققي و استعمليني فلهذا العمل أنا ففكرت النفس فعلمت بما أعطاها الدليل أنها لم توجد عينها و أنها موجودة لغيرها فالفقر للموجد لها ذاتي بما تجده في نفسها مما يقوم بها من الآلام الطبيعية فتفتقر إلى الأسباب المعتادة لإزالة تلك الآلام فبذلك الافتقار علمت أنها فقيرة في وجود عينها للسبب الموجد لها فلما ثبت لها حدوثها و ثبت أن لها سببا أوجدها ثم فكرت فعلمت إن ذلك السبب لا ينبغي أن يشبهها فيكون فقيرا مثلها و إنه لا يناسب هذه الأسباب المزيلة لآلامها لمشاهدتها حدوث هذه الأسباب بعد أن لم تكن و قبولها للاستحالات و الفساد فثبت عندها أن لها موجدا أوجدها و أوجد كل من يشبهها من الحوادث و الأسباب المزيلة لآلامها فتنبهت أن ثم أمرا ما لولاه لبقيت ذات مرض و علة فمن رحمته بها أوجد لها هذه الأسباب المزيلة آلامها و قد كانت تحب هذه الأسباب و تجري إليها بالطبع فانتقل تعلق ذلك الحب في السبب الموجد تلك الأسباب و قالت هو أولى بي إن أحبه و لكن لا أعلم ما يرضيه حتى أعامله به فحصل عندها حبه فأحبته لما أنعم عليها من وجودها و وجود ما يلائمها و هنا وقفت و هي في ذلك كله غافلة ناسية إقرارها بربوبية موجدها في قبضة الذر فبينا هي كذلك إذ جاءها داع من خارج من جنسها ادعى أنه رسول من عند هذا الذي أوجدها فقالت له أنت مثلي و أخاف أن لا تكون صادقا فهل عندك من يصدقك فإن لي قوة مفكرة بها توصلت إلى معرفة موجدي فقام لها بدليل يصدقه في دعواه ففكرت فيه إلى أن ثبت صدقه عندها فآمنت به فعرفها أن ذلك الموجد الذي أوجدها كان قد قبض عليها و أشهدها على نفسها بربوبيته و إنها شهدت له بذلك فقالت ما عندي من ذلك خبر و لكن من الآن أقوم بواجب ذلك الإقرار فإنك صادق في خبرك و لكن ما أدري ما يرضيه من فعلي فلو حددت حدودا و رسمت لي مراسم أقف عندها حتى تعلم أني ممن وفي بشكره على ما أنعم به علي فرسم لها ما شرع فقامت بذلك شكرا و إن خالف غرضها و لم تفعل ذلك خوفا و لا طمعا لأنه لما رسم لها ما رسم ابتداء و عرفها أن وقوفها عند تلك المراسم يرضيه و ما ذكر لها ما لها في ذلك من الثواب و ما عليها إن خالفت من العقاب فبادرت هذه النفس الزكية لمراضيه في ذلك فقالت لا إله إلا الله كما قيل لها ثم بعد ذلك عرفها بما لها في ذلك من الثواب الجزيل و الإنعام التام و ما لمن خالف شرعه من العقاب فانضاف إلى عبادتها إياه حبا و رضي خاصة

عبادة أخرى تطلبها رغبة في الثواب و رهبة من العقاب فجمعت في عبادتها بين أمرين بين عبادة له و عبادة رغبة و رهبة فأحبته له و لنفسها من حيث ما هي كثيرة بطبيعتها و روحانيتها فتعلقت الرغبة و الرهبة من حيث طبيعتها و تعلقت عبادتها إياه محبة له من روحانيتها فإن أحبت شيئا من الموجودات سواه فإنما تحبه من روحانيتها له و من طبيعتها النيل غرضها فلما رآها الحق على ذلك و قد علم أن من حقيقتها الانقسام و قد جمعت بين الحيين و هو قد وصف نفسه بالغيرة فلم يرد المشاركة و أراد أن يستخلصها لنفسه فلا تحب سواه فتجلى لها في صورة طبيعية و أعطاها علامة لا تقدر على إنكارها في نفسها و هي المعبر عنها بالعلم الضروري فعلمت أنه هو هذه الصورة فمالت إليه روحا و طبعا فلما ملكها و علم أن الأسباب لا بد أن تؤثر فيها من حيث طبيعتها أعطاها علامة تعرفه بها ثم تجلى لها بتلك العلامة في جميع الأسباب كلها فعرفته فاحبت الأسباب من أجله لا من أجلها فصارت بكلها له لا لطبيعتها و لا لسبب غيره فنظرته في كل شيء فزهت و سرت و رأت أنها قد فضلت غيرها من النفوس بهذه الحقيقة فتجلى لها في عين ذاتها الطبيعية و الروحانية بتلك العلامة فرأت أنها ما رأته إلا به لا بنفسها و ما أحبته إلا به لا بنفسها فهو الذي أحب نفسه ما هي أحبته و نظرت إليه في كل موجود بتلك العين عينها فعلمت أنه ما أحبه غيره فهو المحب و المحبوب و الطالب و المطلوب و تبين لها بهذا كله أن حبها إياه له و لنفسها فما شاهدته في هذه المرتبة الأخرى من حبها إياه إن ما كان به لا بها و لا بالمجموع و ما ثم أمر زائد إلا العدم فأرادت أن تعرف ما قدر ذلك الحب و ما غايته فوقفت على قوله كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف و قد عرفته لما تجلى لها في صورة طبيعية فعلمت أنه يستحق من تلك الصورة التي ظهر لها فيها اسم الظاهر و الباطن فعلمت أن الحب الذي أحب به أن يعرف إنما هو في الباطن المنسوب إليه و علمت أن المحب من شأنه إذا قام بالصورة أن يتنفس لما في ذلك التنفس من لذة المطلوب فخرج ذلك النفس عن أصل محبة في الخلق الذي يريد التعرف إليهم ليعرفوه فكان العماء المسمى بالحق المخلوق به فكان ذلك العماء جوهر العالم فقبل صور العالم و أرواحه و طبائعه كلها و هو قابل إلى ما لا يتناهى فهذا بدء حبه إيانا و أما حبنا إياه فبدؤه السماع لا الرؤية و هو قوله لنا و نحن في جوهر العماء كن فالعماء من تنفسه و الصور المعبر عنها بالعالم من كلمة كن فنحن كلماته التي لا تنفد قال تعالى وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هي عيسى وَ رُوحٌ مِنْهُ و هو النفس و تلك الحقيقة سارية في الحيوان فإذا أراد الله أماته أزال عنه النفس فبالنفس كانت حياته و سيأتي في باب النفس صور التكوينات عنه في العالم فلما سمعنا كلامه و نحن ثابتون في جوهر العماء لم نتمكن أن نتوقف عن الوجود فكنا صورا في جوهر العماء فأعطينا بظهورنا في العماء الوجود للعماء بعد ما كان معقولي الوجود حصل له الوجود العيني فهذا كان سبب بدء حبنا إياه و لهذا نتحرك و نطيب عند سماع النغمات لأجل كلمة كن الصادرة من الصورة الإلهية غيبا و شهادة فشهادة صورة كلمة

كن اثنان كاف و نون و هكذا عالم الشهادة له وجهان ظاهر و باطن فظاهره النون و باطنه الكاف و لهذا مخرج الكاف في الإنسان أدخل لعالم الغيب فإنه من آخر حروف الحلق بين الحلق و اللسان و النون من حروف اللسان و غيب هذه الكلمة هو الواو بين الكاف و النون و هي من حروف الشفتين فلها الظهور و هي حرف علة لا حرف صحيح و لهذا وجد عنه التكوين لأنه حرف علة و لما كان من حروف الشفتين بامتداد النفس من خارج الشفتين إلى ظاهر الكون لهذا كان ظهور الحكم في الجسم للروح فظهرت منه الأفعال و الحركات من أجل روحه و كان روحه غيبا لأن الواو لا وجود لها في الشهادة لأنها حذفت لسكونها و سكون النون فهي تعمل من خلف الحجاب فهي غائبة العين ظاهرة الحكم فغاية حبنا إياه أن نعلم حقيقة ما حبنا هل هو صفة نفسية للمحب أو معنوية فيه أو نسبة بين المحب و المحبوب و هي العلاقة التي تجذب المحب لطلب الوصلة بالمحبوب فقلنا هي صفة نفسية للمحب فإن قيل نراها تزول قلنا من المحال زوالها إلا بزوال المحب من الوجود و المحب لا يزول من الوجود فالمحبة لا تزول و إنما الذي يعقل زواله إنما هو تعلقه بمحبوب خاص يمكن أن يزول ذلك التعلق الخاص و تزول تلك العلاقة بذلك المحبوب المعين و تتعلق بمحبوب آخر و هي متعلقة بمحبوبين كثيرين فتنقطع العلاقة بين المحب و محبوب خاص و هي موجودة في نفسها فإنها عين المحب فمن المحال زوالها فالحب هو نفس المحب و عينه لا صفة معنى فيه يمكن أن ترتفع فيرتفع حكمها فالعلاقة هي النسبة بين المحب و المحبوب و الحب هو عين المحب لا غيره فصف بالحب من شئت من حادث و غيره فليس الحب سوى عين المحب فما في الوجود إلا محب و محبوب لكن من شأن المحبوب أن يكون معدوما و لا بد فيجب إيجاد ذلك المعدوم أو وقوعه في موجود و لا بد لا في معدوم هذا أمر محقق لا بد منه فالعلاقة التي في المحب إنما هي في ذلك الموجود الذي يقبل وجود ذلك المحبوب أو وقوعه لا وجوده إذا كان المحبوب لا يمكن أن يتصف بالوجود و لكن يتصف بالوقوع مثال ذلك أن يحب إنسان إعدام أمر موجود لما في وجوده من الضرر في حقه كالألم فإنه أمر وجودي في المتألم فيحب إعدامه فمحبوبه الإعدام و هو غير واقع فإذا زال الألم فازالته عدمه بعد وجوده بانتقاله إلى العدم فلهذا قلنا في مثل هذا بالوقوع لا بالوجود فالمحبوب معدوم أبدا و لا تصح محبة الموجود جملة واحدة إلا من حيث العلاقة إذ لا تتعلق إلا بموجود يظهر فيه وجود ذلك المحبوب المعدوم و قد بيناه قبل هذا في هذا الباب فقد تبين لك في هذه التكملة ماهية الحب و بدؤه و غايته و بما أحب المحب و حبه لمحبوبه أو لنفسه كل ذلك قد تبين فلنعدل إلى الكلام في الوصل الثاني إن شاء الله تعالى فقد حصل في الحب الإلهي ما فيه غنية على قدر الوقت انتهى الجزء الثاني عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الوصل الثاني) في الحب الروحاني و هو الحب الجامع في المحب أن يحب محبوبه لمحبوبه و لنفسه إذ كان الحب الطبيعي لا يحب المحبوب إلا لأجل نفسه فاعلم أن الحب الروحاني إذا كان المحب موصوفا بالعقل و العلم كان بعقله حكيما و بحكمته عليما فرتب الأمور ترتيب الحكمة و لم يتعد بها منازلها فعلم إذا أحب ما هو الحب و ما معنى المحب و ما حقيقة المحبوب و ما يريد من المحبوب و هل لمحبوبه إرادة و اختيار فيحب ما يحب المحبوب أم لا إرادة له فلا يحب إلا لنفسه أو الموجود الذي لا يريد وجود محبوبه إلا في عين ذلك الموجود فبهذا القدر نقول في الموجود إنه محبوب و إن لم يكن إلا فيه لا عينه فذلك الموجود إن كان ممن يتصف بالإرادة فيمكن أن يحبه له لا لنفسه و إن لم يتصف بالإرادة فلا يحب المحب محبوبه إلا لنفسه أعني لنفس المحب لا لمحبوبه فإن محبوبه غير موصوف بأن له محبة في شيء أو غرضا لكن الذي يوجد فيه هذا المحبوب قد يكون ذا إرادة فيتعين على المحب أن يحب محبوب ذلك الموجود فيحبه له و لكن بحكم التبع هذا تعطيه المحبة فإن المحب يطلب بذاته الوصلة بعد طلبه وجود محبوبه فإن عين وجود محبوبه عين وصلته لا بد من ذلك و هو قولنا

زمان الوجود زمان الوصال زمان الوداد كلوا و اشربوا

و هذا البيت من قصيدة لنا في مجلى حقيقة تجلت لنا في حضرة شهودية و هي

تعجبت من زينب في الهوى و ليس لنا غيرها مذهب
فلما تجلى لنا نور من أنار الحشى فانجلى الغيهب
بذلت لها نفسها ضنة بها و الهوى أبدا متعب
فلم يك بين حصول الهوى و نيل المنى أمد يضرب

لأنه عند ما يحصل الهوى يقع التنفس و التنهد فيخرج النفس بشكل ما تصور في نفس المحب من صورة المحبوب فيظهره صورة من خارج يشاهدها فيحصل له مقصوده و نعيمه بها من غير زمان كما تقدم في ذكر وجود العماء فتممنا و قلنا بعد هذا في القصيدة عينها

تعجبت من رحمة الله بي و من مثل ذا ينبغي تعجبوا
زمان الوداد زمان الوجود زمان الوصال كلوا و اشربوا
فأين الغرام و أين السقام و أين الهيام إلا فأعجبوا
مطهرة الثوب محجوبة فليست إلى أحد تنسب

فإن المحبوب كما قلنا لا بد أن يكون معدوما و في حال عدمه فهو طاهر الثوب في أول ما يوجد لأنه ما اكتسب منه مما يشينه و يدنسه في أول ظهوره و وجوده فالأصل الطهارة و هو قوله كل مولود يولد على الفطرة و هي الطهارة و قولنا محجوبة هو عدمها الذي قلنا من شهود الوجود و قولنا فليست إلى أحد تنسب لأن المعدوم لا ينسب و لكن المحب يطلبه لنفسه ثم تممنا فقلنا و هو آخر القصيدة

فقد وجب الشكر لله إذ هي البكر لي و أنا الثيب

لأن المحبوب وجد عن عدم فهو بكر و قد كنت أحببت قبل ذلك فإنا ثيب فإذا كان المحبوب الذي هو المعدوم إذا وجد لا يوجد في موجود يتصف بالإرادة لم يتصف هذا المحب بأنه يريده له فيحبه لنفسه بالضرورة كالحب الطبيعي فإذا كان المحبوب لا يوجد إلا في موجود متصف بالإرادة كالحق تعالى أو جارية أو غلام و ما ثم من يتعلق به حب المحب إلا من ذكرناه فحينئذ يصح أن يحب ما يحب هذا الموجود الذي لا يوجد محبوبه إلا فيه فإن اتفق أن يكون ذلك لا يريد ما أحب هذا المحب بقي المحب على أصله في محبته محبوبه لأن محبوبه ما له إرادة كما قلنا فلا يلزم من هذا أن يحب ما أحب هذا الموجود الذي لا يحب ما يحبه هذا المحب إذ كان ذلك الموجود ما هو عين المحبوب و إنما هو محل لوجود ذلك المحبوب و ليس في قوة المحب إيجاد ذلك المحبوب في هذا الموجود إلا إن أمكنه من نفسه و أما إن كان المحبوب ممن لا يكون وجوده في موجود فلا يتمكن له إيجاد المحبوب البتة إلا أن تقوم من الحق به عناية فيعطيه التكوين كعيسى ع و من شاء الله من عباده فإذا أعطى هذا فبالضرورة يحمله الحب على إيجاد محبوبه و هذه مسألة لا تجدها محققة على ما ذكرناه فيها في غير هذا الكتاب لأني ما رأيت أحدا حقق فيها ما ذكرناه و إن كان المحبون كثيرين بل كل من في الوجود محب و لكن لا يعرف متعلق حبه و ينحجبون بالموجود الذي يوجد محبوبه فيه فيتخيلون أن ذلك الموجود محبوبهم و هو على الحقيقة بحكم التبعية فعلى الحقيقة لا يحب أحد محبوبا لنفس المحبوب و إنما يحبه لنفسه هذا هو التحقيق فإن المعدوم لا يتصف بالإرادة فيحبه المحب له و يترك إرادته لإرادة محبوبه و لما لم يكن الأمر في نفسه على هذا لم يبق إلا أن يحبه لنفسه فافهم فهذا هو الحب الروحاني المجرد عن الصورة الطبيعية فإن تلبس بها و ظهر فيها كما قلنا في الحب الإلهي و هو في الروحاني أقرب نسبة لأنه على كل حال صورة من صور العالم و إن كان فوق الطبيعة فاعلم أنه إذا قبل الروح الصورة الطبيعية في الأجساد المتخيلة لا في الأجسام المحسوسة التي جرت العادة بإدراكها فإن الأجساد المتخيلة أيضا معتادة الإدراك لكن ما كل من يشهدها يفرق بينها و بين الأجسام الحقيقية عندهم و لهذا لم يعرف الصحابة جبريل حين نزل في صورة أعرابي و ما علمت أن ذلك جسد متخيل حتى عرفهم النبي ص لما قال لهم هذا جبريل و لم يقم بنفسهم شك أنه عربي و كذلك مريم حين تمثل لها الملك بَشَراً سَوِيًّا لأنه ما كانت عندها علامة في الأرواح إذا تجسدت و كذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة

فيتعوذون منه لعدم معرفتهم به فكان الحكم في الجناب الإلهي و الروحاني في الصور سواء في حق المتجلي له من الجهل به فلا بد لمن اعتنى الله به من علامة بها يعرف تجلى الحق من تجلى الملك من تجلى الجان من تجلى البشر إذا أعطوا قوة الظهور في الصور كقضيب البان و أمثاله فإذا كان البشر بهذه النشأة الترابية العنصرية له قوة التحول في الصور في عين الرائي و هو على صورته فهذا التحول في الأرواح أقرب فاعلم من ترى و بما ذا ترى و ما هو الأمر عليه و قد بينا ذلك في باب المعرفة في علم الخيال فانظره هناك فإذا تجلى الروح في صورة طبيعية مشى الحكم عليها كما ذكرناه في الحب الإلهي سواء من حيث قبول تلك الصورة للظاهر و الباطن لا تعدل عن ذلك المجرى فاعلم ذلك فيجمع الروحاني بين الحب الطبيعي و الروحاني و بين الحب لنفسه و لمحبوبه إن كان محبوبه كما قلنا ذا إرادة و يتبين لك بما قررناه أن الناس لا يعرفون ما يحبون و أنه يندرج محبوبهم في موجود ما فيتخيلون أنهم يحبون ذلك الموجود و ليس كذلك فاعلم قدر ما أعلمتك به و اشكر الله حيث خلصك من الجهل بي و هذا القدر كاف في الغرض المقصود فإن فيه تفاريع كثيرة و غرضنا في هذا الكتاب تحصيل الأصول و الحمد لله (الوصل الثالث) في الحب الطبيعي و هو نوعان طبيعي و عنصري و نسينا أن نذكر غاية الحب الروحاني فلنذكره في الحب الطبيعي لتعلقه بالصورة الطبيعية فغايته الاتحاد و هو أن تصير ذات المحبوب عين ذات المحب و ذات المحب عين ذات المحبوب و هو الذي تشير إليه الحلولية و لا علم لها بصورة الأمر فاعلم أن الصورة الطبيعية على أي حال كان ظهورها جسما أو جسدا بأي نسبة كانت فإن المحبوب الذي هو المعدوم و إن كان معدوما فإنه ممثل في الخيال فله ضرب من ضروب الوجود المدرك بالبصر الخيالي في الحضرة الخيالية بالعين الذي تليق بها فإذا تعانق الحبيبان و امتص كل واحد منهما ريق صاحبه و تحلل ذلك الريق في ذات كل واحد من الحبيبين و تنفس كل واحد من الصورتين عند التقبيل و العناق فخرج نفس هذا فدخل في جوف هذا و نفس هذا في جوف هذا و ليس الروح الحيواني في الصور الطبيعية سوى ذلك النفس و كل نفس فهو روح كل واحد من المتنفسين و قد حيي به من قبله في حال التنفيس و التقبيل فصار ما كان روحا لزيد هو بعينه يكون روحا لعمرو و قد كان ذلك النفس خرج من محب فتشكل بصورة حب فصحبته لذة المحبة فلما صار روحا في هذا الذي انتقل إليه و صار نفس الآخر روحا في هذا الآخر عبر عن ذلك بالاتحاد في حق كل واحد من الشخصين و صح له أن يقول أنا من أهوى و من أهوى أنا و هذا غاية الحب الروحاني في الصور الطبيعية و هو قوله في القصيدة في أول هذا الباب روحا بروح و جثمانا بجثمان ثم نرجع إلى الحب الطبيعي فنقول إن الحب الطبيعي هو العام فإن كل ما تقدم من الحب في الموصوفين به قبلوا الصور الطبيعية على ما تعطيه حقائقهم فاتصفوا في حبهم بما تتصف به الصور الطبيعية من الوجد و الشوق و الاشتياق و حب اللقاء بالمحبوب و رؤيته و الاتصال به و قد وردت أخبار كثيرة صحاح في ذلك يجب الايمان بها مثل

قوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه مع كونه ما زال من عينه و لا يصح أن يزول عن عينه فإنه عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ و رقيب و مع هذا فجاء باللقاء في حقه و في حق عبده و وصف نفسه بالشوق إلى عباده و أنه أشد فرحا و محبة في توبة عبده من الذي ضلت راحلته عليها طعامه و شرابه في أرض دوية ثم يجدها بعد ما يئس من الحياة و أيقن بالموت فكيف يكون فرحه بها فالله أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الشخص براحلته مع غناه سبحانه و قدرته و نفوذ إرادته في عباده و لكن انظر في سر قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فتعلم أنه ما تعدى بالأمور استحقاقها و أن مرتبة العلم ما فوقها مرتبة و قد قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ لأنه خلاف المعلوم فوقوعه محال فالأمر و إن كان ممكنا بالنظر إليه فليس بممكن بالنظر إلى علم الله فيه بوقوع أحد الإمكانين و أحدية المشيئة فيه و ما تعلقت المشيئة الإلهية بكونه فلا بد من كونه و ما لا بد من وقوعه لا يتصف بالإمكان بالنظر إلى هذه الحقيقة و لهذا عدل من عدل من الناظرين في هذا الشأن من إطلاق اسم الممكن عليه إلى اسم الواجب الوجود بالغير و هو أولى في التحقيق لأحدية المشيئة و لهذا قال و لو شاء حيث ما قاله و لو حرف امتناع لامتناع فقد سبقت المشيئة بما سبقت كما قال وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ فكان اسم وجوب الوجود بالغير أكمل في نسبة الأمر من اسم الممكن إذ ما ثم إلا أمر واحد كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ فزال الاحتمال فزال الإمكان فما ثم إلا وجوب مطلق أو وجوب مقيد ثم نرجع و نقول اعلم أن الحب الطبيعي من ذاته إذا قام بالمحب أن لا يحب المحبوب إلا لما له فيه من النعيم به و اللذة فيحبه لنفسه لا لعين المحبوب و قد تبين لك فيما تقدم أن هذه الحقيقة سارية في الحب الإلهي و الروحاني فأما بدء الحب الطبيعي فما هو للانعام و الإحسان فإن الطبع لا يعرف ذلك جملة واحدة و إنما يحب الأشياء لذاته خاصة فيريد الاتصال بها و الدنو منها و هو سار في كل حيوان و هو في الإنسان بما هو حيوان فيحبه الحيوان في نفس الأمر لقوام وجوده به لا لأمر آخر و لكن لا يعرف معنى قوام وجوده و إنما يجد داعية من نفسه للاتصال بموجود معين ذلك الاتصال هو محبوبه بالأصالة و ذلك لا يكون إلا في موجود معين فيحب ذلك الوجود بحكم التبعية لا بالأصالة فاتصاله اتصال محسوس و قرب محسوس و هو قولنا و جثمانا بجثمان فهذا هو غاية الحب الطبيعي فإن كان نكاحا عين محبوبه في موجود ما فغايته حصول ذلك المحبوب في الوجود فيطلب و يشتاق للمحل الذي يظهر فيه عين محبوبه و لا يظهر إلا بينهما لا في واحد منهما لأنها نسبة بين اثنين و كذلك إن كان عناقا أو تقبيلا أو مؤانسة أو ما كان و لا فرق بين أن تقول طبيعة الشيء أو حقيقته كل ذلك سائغ في العبارة عنه و هو في الإنسان أتم من غيره لأنه جامع حقائق العالم و الصورة الإلهية فله نسبة إلى الجناب الأقدس فإنه عنه ظهر و عن قوله كن تكون و له نسبة إلى الأرواح بروحه و إلى عالم الطبيعة و العناصر بجسمه من حيث نشأته فهو يحب كل ما تطلبه العناصر و الطبيعة بذاته و ليس إلا عالم الأجسام و الأجساد و الأرواح و منها أجسام عنصرية و كل جسم عنصري فهو طبيعي و منها أجسام

طبيعية غير عنصرية فما كل جسم طبيعي عنصري فالعناصر من الأجسام الطبيعية لا يقال فيها عنصرية وكذلك الأفلاك و الأملاك و لهذا عرفنا إن الملأ الأعلى يختصمون فيدخلون في قوله تعالى وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا من رَحِمَ رَبُّكَ و هم يخالفون هؤلاء المرحومين مخالفيهم وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ أي من أجل الخلاف خلقهم لأن الأسماء الإلهية متفاضلة فمن هناك صدر الخلاف أين الضار من النافع و المعز من المذل و القابض من الباسط و أين الحرارة من البرودة و أين الرطوبة من اليبوسة و أين النور من الظلمة و أين العدم من الوجود و أين النار من الماء و أين الصفراء من البلغم و أين الحركة من السكون و أين العبودية من الربوبية أليست هذه متقابلات فلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ و أين التحليل من التحريم في العين الواحدة للشخصين فيحرم على هذا ما يحل لهذا فيتوارد حكمان مختلفان على عين واحدة فانظر حكم الطبيعة المتضادة من أين صدرت و ما كان سبب وجودها متقابلة من العلم الإلهي لتعلموا أنه ليس بيد أحد من المخلوقين مما سوى الله من الأمر شيء لا في الدنيا و لا في الآخرة حتى أن الآخرة ذات دارين رؤية و حجاب فالحمد لله الذي أبان لنا عن الأمور و مصادرها و مواردها و جعلنا من العارفين بها فالله يجعلنا ممن أسعده بما علمه فقد تبين لك أن المحبوب هو الاتصال بموجود ما من كثيرين أو قليلين و مع كونه مؤانسة و مجالسة و تقبيلا و عناقا و غير ذلك بحسب ما تقتضيه حقيقة الموجود فيه عين المحبوب و بحسب حقيقة المحب فالمحبوب واحد العين متنوع و هو حب الاتصال خاصة إما بحديث أو ضم أو تقبيل هذا تنوعه في واحد أو كثيرين فلا يصح أن يحب المحب اثنين أصلا لأن القلب لا يسعهما فإن قلت هذا يمكن أن يصح في حب المخلوق و أما في حب الخالق فلا فإنه قال يحبهم فأحب كثيرين قلنا الحب معقول المعنى و إن كان لا يحد فهو مدرك بالذوق غير مجهول و لكن عزيز التصور و هو مجهول النسبة إلى الله تعالى فإن اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فقولك و أما في حب الحق فلا هذا تحكم منك فإنه لا يقول هذا إلا من يعرف ذات الحق و هي لا تعرف فلا تعرف النسبة و تعرف المحبة فإنه ما خاطب عباده إلا بلسانهم و بما يعرفونه في لحنهم من كل ما ينسبه إلى نفسه و وصف أنه عليه و لكن كيفية ذلك مجهولة (وصل) و أما القسم الثاني و هو الحب العنصري فهو و إن كان طبيعيا فبين القسمين فارق و ذلك أن الطبيعي لا يتقيد بصورة طبيعية دون صورة طبيعية و هو مع كل صورة كما هو مع الأخرى في الحب مثل الكهرباء مع ما يتعلق بها و مسكه بالخاصية و أما العنصري فهو الذي يتقيد بصورة طبيعية وحدها كقيس ليلى و قيس لبني و كثير عزة و جميل بثينة و لا يكون هذا إلا لعموم المناسبة بينهما كمغناطيس الحديد و يشبهه في الحب الروحاني وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و يشبهه من الحب الإلهي التقييد بعقيدة واحدة دون غيرها كما يشبه الروحاني الطبيعي في الطهارة و يشبه الإلهي الطبيعي في الذي يراه في جميع العقائد عينا واحدة (وصل) و اعلم أن الحب كما قلناه و إن كان له أربعة ألقاب فلكل لقب حال فيه ما هو عين الآخر فلنبين ذلك كله فمن ذلك الهوى و يقال على نوعين و هما

في الحب النوع الواحد سقوطه في القلب و هو ظهوره من الغيب إلى الشهادة في القلب يقال هوى النجم إذا سقط يقول تعالى وَالنَّجْمِ إِذا هَوى فهو من أسماء الحب في ذلك الحال و الفعل منه هوى يهوى بكسر عين الفعل في الماضي و فتحها في المستقبل و الاسم منه هوى و هو الهوى و هذا الاسم هو الفعل الماضي من الهوى الذي هو السقوط يقال هوى بفتح عين الفعل في الماضي يهوي بكسرها في المستقبل و الاسم منه هوى و سبب حصول المعنى الذي هو الهوى في القلب أحد ثلاثة أشياء أو بعضها أو كلها إما نظرة أو سماع أو إحسان و أعظمها النظر و هو أثبتها فإنه لا يتغير باللقاء و السماع ليس كذلك فإنه يتغير باللقاء فإنه يبعد أن يطابق ما صوره الخيال بالسماع صورة المذكور و أما حب الإحسان فمعلول تزيله الغفلة مع دوام الإحسان لكون عين المحسن غير مشهودة و أما الهوى الثاني فلا يكون إلا مع وجود حكم الشريعة و هو قوله لداود فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى يعني لا تتبع محابك بل اتبع محابي و هو الحكم بما رسمته لك ثم قال فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ أي يحيرك و يتلفك و يعمى عليك السبيل الذي شرعته لك و طلبت منك المشي عليه و هو الحكم به فالهوى هنا محاب الإنسان فأمره الحق بترك محابه إذا وافق غير الطريق المشروعة له فإن قلت فقد نهاه عما لا يصح أن ينتهي عنه فإن الحب الذي هو الهوى سلطانه قوي و لا وجود لعين العقل معه قلنا ما كلفه إزالة الهوى فإنه لا يزول إلا أن الهوى كما قلنا يختلف متعلقة و يكون في موجودين كثيرين و قد بينا أن الهوى الذي هو الحب حقيقته حب الاتصال في موجود ما أو كثيرين فطلب منه تعالى أن يعلقه بالحق الذي شرع له و هو سبيل الله كما يعلقه بسبل كثيرة ما هي سبيل الله فهذا معنى قوله وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فما كلفه ما لا يطيق فإن تكليف ما لا يطاق محال على العالم الحكيم أن يشرعه فإن احتججت بتكليف الايمان من سبق في علم الله أنه لا يؤمن كأبي جهل و أمثاله قلنا الجواب من وجهين الوجه الواحد إني لست أعني بتكليف ما لا يطاق إلا ما جرت العادة به أنه لا يطيقه المكلف مثل أن يقول له اصعد إلى السماء بغير سبب و اجمع بين الضدين فقم في الوقت الذي لا يقوم و إنما كلفه ما جرت العادة به أن يطيقه و هو اعتقاد الايمان أو التلفظ به و كلاهما يجد كل إنسان في نفسه التمكن من مثل هذا كسبا أو خلقا كيفما شئت فقل و لهذا تقوم الحجة به لله على العبد يوم القيامة و قد قال قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فلو كلفه ما ليس في وسعه عادة لم يصح قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ بل كان يقول و لله أن يفعل ما يريد كما قال لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ و معنى ذلك أنه لا يقال للحق لم كلفتنا و نهيتنا و أمرتنا مع علمك بما قدرته علينا من مخالفتك هذا موضع لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ فإنه يقول لهم هل أمرتكم بما تطيقونه أو بما لا تطيقونه عندكم فلا بد أن يقولوا بما جرت العادة به أن نطيقه فقد كلفهم ما يطيقونه فثبت إن لله الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فإنهم جاهلون بعلم الله فيهم زمان التكليف و الجواب الثاني قد تقدم من أنه لا بد من الايمان به و قد وقع في قبض الله الذرية و يظهر حكمه في الآخرة فلا يبقى إلا مؤمن و هو في الدار الدنيا معترف بوجوده و إن أشرك فما يشرك إلا

بموجود و لهذا ما طلب منه إلا توحيد الأمر له خاصة و هو محبوب الحق و هو معدوم منهم و هو يحب توحيده أن يظهر في هؤلاء الموجودين فهو و إن أحب واحدا فأحبه من كثيرين فمن اتصف به أحبه الله لكون محبوبه و هو التوحيد ظهر فيه و من أبغضه فلكون محبوبه لم يظهر فيه و هو التوحيد فمال الكل إلى الايمان و قد قررنا ذلك في سبق الرحمة غضب الله فقد تبين لك معنى الهوى و أما الحب فهو أن يتخلص هذا الهوى في تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل فإذا تخلص له وصفا من كدورات الشركاء من السبل سمي حبا لصفائه و خلوصه و منه سمي الحب الذي يجعل فيه الماء حبا لكون الماء يصفو فيه و يروق و ينزل كدرة إلى قعره و كذلك الحب في المخلوقين إذا تعلق بجناب الحق سبحانه و تخلص له من علاقته بالأنداد الذين جعلها المشركون شركاء لله في الألوهة سمي ذلك حبا بل قال فيه تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ و سبب ذلك أنه إذا كشف الغطاء و تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا من الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا فزال حبهم إياهم في ذلك الموطن و بقي المؤمنون على حبهم لله فكانوا أشد حبا لله بما زادوا على أولئك في وقت رجوعهم عن حيهم آلهتهم حين لم تغن عنهم من الله شيئا فلا يبقى مع المشركين يوم القيامة إلا حبهم لله خاصة فإنهم في الدنيا أحبوه و أحبوا شركاءهم على أنهم آلهة و لو لا ذلك التوهم و الغلط ما أحبوهم فكان محبوبهم الألوهة و تخيلوها في كثيرين فأحبوه و أحبوا الشركاء فإذا كان في القيامة كما ذكرنا لم يبق عندهم سوى حبهم لله تعالى فكانوا في الآخرة أشد حبا لله منهم له في الدنيا لكون حبهم كان منقسما فاجتمع عليه في الآخرة لما لم يعاين محبوبه و هو الألوهة إلا فيه خاصة فلذلك كان سبق الرحمة و قوة الطرفين و ضعف الواسطة بما فيها من الشركة و قد بينا ذلك كله فيما تقدم فهذا الفرق بين الحب و الهوى و أما العشق فهو إفراط المحبة أو المحبة المفرطة و هو قوله في الذين آمنوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ و هو مع صفاته لو أخذ الذي هو مسمى الحب و ظهوره في حبة القلب الذي أيضا به سمي حبا فإذا عم الإنسان بجملته و أعماه عن كل شيء سوى محبوبه و سرت تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه و قواه و روحه و جرت فيه مجرى الدم في عروقه و لحمه و غمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجوده و عانقت جميع أجزائه جسما و روحا و لم يبق فيه متسع لغيره و صار نطقه به و سماعه منه و نظره في كل شيء إليه و رآه في كل صورة و ما يرى شيئا إلا و يقول هو هذا حينئذ يسمى ذلك الحب عشقا كما حكي عن زليخا أنها افتصدت فوقع الدم في الأرض فانكتب به يوسف يوسف في مواضع كثيرة حيث سقط الدم لجريان ذكر اسمه مجرى الدم في عروقها كلها و هكذا حكي عن الحلاج لما قطعت أطرافه انكتب بدمه في الأرض الله الله حيث وقع و لذلك قال رحمه الله

ما قد لي عضو و لا مفصل إلا و فيه لكم ذكر

فهذا من هذا الباب و هؤلاء هم العشاق الذين استهلكوا في الحب هذا الاستهلاك و هو الذي يسمى بالغرام و سيأتي ذكره في نعت المحبين إن شاء الله و أما الود فهو ثبات الحب أو العشق أو الهوى أية حالة كانت من أحوال هذه الصفة فإذا ثبت صاحبها الموصوف بها عليها و لم يغيره شيء عنها و لا أزاله عن حكمها و ثبت سلطانها في المنشط و المكره و ما يسوء و يسر في حال الهجر و الطرد من الموجود الذي يحب أن يظهر فيه محبوبه و لم يبرح تحت سلطانه لكونه مظهر محبوبه سمي لذلك ودا و هو قوله تعالى سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا أي ثباتا في المحبة عند الله و في قلوب عباده هذا معنى الود و للحب أحوال كثيرة جدا في المحبين سأذكرها إن شاء الله مثل الشوق و الغرام و الهيام و الكلف و البكاء و الحزن و الكبد و الذبول و الانكسار و أمثال ذلك مما يتصف به المحبون و يذكرونه في أشعارهم مفصلة إن شاء الله و قد يقع في الحب أغاليط كثيرة أولها ما ذكرناه و هو إنهم يتخيلون أن المحبوب أمر وجودي و هو أمر عدمي يتعلق الحب به أن يراه موجودا في عين موجودة فإذا رآه انتقل حبه إلى دوام تلك الحال التي أحب وجودها من تلك العين الموجودة فلا يزال المحبوب معدوما و ما يشعر بذلك أكثر المحبين إلا أن يكونوا عارفين بالحقائق و متعلقاتها و قد بينا ذلك و أكثر كلامنا في هذا الباب إنما هو في المحبة المفرطة فإنها تذهب بالعقول أو تورث النحول و الفكر الدائم و الهمم اللازم و القلق و الأرق و الشوق و الاشتياق و السهاد و تغيير الحال و كسوف البال و الوله و البله و سوء الظن بالمحبوب أعني الموجود الذي تحب ظهور محبوبك فيه الذي تزعم العامة فيه أنه المحبوب لها و نحن فيه على نوعين طائفة منا نظرت إلى المثال الذي في خيالها من ذلك الموجود الذي يظهر محبوبه فيه و يعاين وجود محبوبه و هو الاتصال به في خياله فيشاهده متصلا به اتصال لطف ألطف منه في عينه في الوجود الخارج و هو الذي اشتغل به قيس المجنون عن ليلى حين جاءته من خارج فقال لها إليك عني لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالية فإنها في خياله ألطف منها في عينها و أجمل و هذا ألطف المحبة و صاحب هذا النعت لا يزال منعما لا يشكو الفراق و لنا في هذا النعت اليد الطولى بين المحبين فإن مثل هذا في المحبين عزيز الوجود لغلبة الكثافة عليهم و سبب ذلك عندنا أنه من استفرغ في حب المعاني المجردة عن المواد فغايته إذا كثفها أن ينزلها إلى الخيال و لا ينزل بها أكثر فمن كان أكشف حاله الخيال فما ظنك بلطافته في المعاني و هذا الذي حاله هذا هو الذي يمكن أن يحب الله فإن غايته في حبه إياه إذا لم يجرده عن التشبيه أن ينزله إلى الخيال و هو قوله ع اعبد الله كأنك تراه فإذا أحببنا و نحن بهذه الصفة موجودا نحب ظهور محبوبنا فيه من المحسوسات عالم الكثائف نلطفه بأن نرفعه إلى الخيال لنكسوه حسنا فوق حسنه و نجعله في حضرة لا يمكنه الهجر معها و لا الانتقال عنها فلا يزال في اتصال دائم و لنا في ذلك

ما لمجنون عامر من هواه غير شكوى البعاد و الاغتراب

و أنا ضده فإن حبيبي في خيالي فلم أزل في اقتراب

فحبيبي مني و في و عندي فلما ذا أقول ما بي و ما بي

أما قولنا يذهب الحب بالعقول فإنهم قالوا و لا خير في حب يدبر بالعقل و قال أبو العباس المقراني الكساد الحب أملك للنفوس من العقول و إنما قالوا ذلك لأن العقل يقيد صاحبه و الحب من أوصافه الضلال و الحيرة و الحيرة تنافي العقل فإن العقل يجمعك و الحيرة تفرقك قال إخوة يوسف ليعقوب إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ يريدون حيرته في حب يوسف و الحيرة تفرق و لا تجمع و لهذا وصفت المحبة بالبث و هو تفرق هموم المحب في وجوه كثيرة قال تعالى وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً و كذلك قوله هَباءً مُنْبَثًّا و المحب في حكم محبوبه فلا تدبير له في نفسه و إنما هو يحكم ما يعطيه و يأمره به سلطان الحب المستولي على قلبه و من ضلالته في حبه أنه يتخيل في كل شخص أن محبوبه حسن عنده و أنه يرى منه مثل ما يراه هذا المحب و هذا من الحيرة و على هذا جرى المثل حسن في كل عين من تود يعني عندك أيها المحب تتخيل أن كل من يرى محبوبك يحسن عنده كما يحسن عندك و من ضلالة المحب أنه يتحير في الوجوه التي يرى أنه يحصل محبوبه منها فيقول أفعل كذا لنصل بهذا الفعل إلى محبوبي أو كذا و كذا فلا يزال يحار في أي الوجوه يشرع لأنه يتخيل أن وجود اللذة بمحبوبه في الحس أعظم منها في الخيال و ذلك لغلبة الكثافة على هذا المحب و يغفل عن لذة التخيل في حال النوم فإنه أشد من التذاذه بالخيال لأنه أشد اتصالا به من الخيال و الاتصال بالخيال أشد من الاتصال بالخارج و هو المحسوس فلذته بمعنى أشد اتصالا من الخيال فيحار المحب في تحصيل الوجوه التي بها يصل إلى الاتصال من خارج و يسأل عن ذلك من يعرف أن عنده خبرا من هذا الشأن عسى يجد عنده حيلة في ذلك و لا سيما و قد سمع في ذلك في قول القائل لو صح منك الهوى أرشدت للحيل يعني فيما تصنع حتى تتصل بالمحبوب (وصل) فأول ما أذكره من نعوت المحبين ما حدثنا به يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي العباسي القصار بمكة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال أخبرنا ابن عبد الباقي أخبرنا أحمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو بكر الدينوري المفسر سنة ثمان و ثمانين و مائتين حدثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال سمعت ذا النون يقول إن لله عبادا ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته و فسح أرواحهم بالشوق إلى رؤيته فسبحان من شوق إليه أنفسهم و أدنى منه فهمهم و صفت له صدورهم فسبحان موفقهم و مؤنس وحشتهم و طبيب أسقامهم إلهي لك تواضعت أبدانهم و إلى الزيادة منك انبسطت أيديهم فاذقتهم من حلاوة الفهم عنك ما طيبت به عيشهم و أدمت به نعيمهم ففتحت لهم أبواب سماواتك و أبحت لقلوبهم الجولان في ملكوتك بل ما نسيت محبة المحبين و عليك معول شوق المشتاقين و إليك حنت قلوب العارفين و بك أنست قلوب الصادقين و عليك عكفت

رهبة الخائفين و بك استجارت أفئدة المقصرين قد يئست الراحة من فتورهم و قل طمع الغفلة فيهم فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم و لا يفترون عن التعب و السهر يناجونه بألسنتهم و يتضرعون إليه بمسكنتهم يسألونه العفو عن زلاتهم و الصفح عما وقع من الخطاء في أعمالهم فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان و خدموه خدمة الأبرار و من نعوتهم رضي الله عنهم النحول و هو نعت يتعلق بكنائفهم و بلطائفهم فأما تعلقه بلطائفهم فإن أرواح المحبين و إن لطفت عن إدراك الحواس و لطفت عن تصوير الخيال فإن الحب يلطفها لطافة السراب لمعنى أذكره و ذلك أن السراب يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً و ذلك لظمئه لو لا ذلك ما حسبه ماء لأن الماء موضع حاجته فيلجأ إليه لكونه مطلوبه و محبوبه لما فيه من سر الحياة ف إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً و إذا لم يجده شيئا وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ عوضا من الماء فكان قصده حسا للماء و الله يقصد به إليه من حيث لا يشعر فكما أنه تعالى يمكر بالعبد من حيث لا يشعر كذلك يعتني بالعبد في الالتجاء إليه و الرجوع إليه و الاعتماد عليه بقطع الأسباب عنه عند ما يبديها له من حيث لا يشعر فوجود الله عنده عند فقد الماء المتخيل له في السراب هو رجوعه إلى الله لما تقطعت به الأسباب و تغلقت دون مطلوبه الأبواب رجع إلى من بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و هو كان المطلوب به من الله هذا فعله مع أحباه يردهم إليه اضطرارا و اختيارا كذلك أرواحهم يحسبونها قائمة بحقوق الله التي فرضها عليها و إنها المتصرفة عن أمر الله محبة لله و شوقا إلى مرضاته ليراها حيث أمرها فإذا كشف لها الغطاء و احتد بصرها وجدت نفسها كالسراب في شكل الماء فلم تر قائما بحقوق الله إلا خالق الأفعال و هو الله تعالى فوجدت الله عين ما تخيلت أنه عينها فذهبت عينها عنه و بقي المشهود الحق بعين الحق كما فنى ماء السراب عن السراب و السراب مشهود في نفسه و ليس بماء كذلك الروح موجود في نفسه و ليس بفاعل فعلم عند ذلك أن المحب عين المحبوب و أنه ما أحب سواه و لا يكون إلا كذلك و ألطف من هذا النحول في الأرواح فلا يكون و أما النوع المتعلق من النحول بكنائفهم فهو ما يتعلق به الحس من تغير ألوانهم و ذهاب لحوم أبدانهم لاستيلاء جولان أفكارهم في أداء ما كلفهم المحبوب أداءه مما افترضه عليهم فبذلوا المجهود ليتصفوا بالوفاء بالعهود إذ كانوا عاهدوا الله على ذلك و عقدوا عليه في إيمانهم به و برسوله و سمعوه يقول آمرا يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و قال أَوْفُوا بِعَهْدِي و لا تنقضوا الميثاق و قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا فهذا سبب نحول أجسامهم و من نعوت المحبين الذبول و هو نعت صحيح في أرواحهم و أجسامهم أما في أجسامهم فسببه ترك ملاذ الأطعمة الشهية التي لها الدسم و الرطوبة و هي مستلذة للنفوس و تورث في الأجسام نضرة النعيم فلما رأوا رضي الله عنهم أن الحبيب كلفهم القيام بين يديه و مناجاته ليلا عند تجليه و نوم النائمين و رأوا أن الرطوبات الحاصلة في أجسامهم تصعد منها أبخرة إلى الدماغ تخدر الحواس و تغمرها فيغلبهم النوم عما في نفوسهم من القيام بين يدي محبوبهم لمناجاته في خلواتهم حين ينامون ثم إن تلك الأبخرة

تورث قوة في أبدانهم تؤدي تلك القوة الجوارح إلى التصرف في الفضول الذي حجر عليهم التصرف فيه محبوبهم فتركوا الطعام و الشراب إلا قد ر ما تمس الحاجة إليه من ذلك فقلت الرطوبة في أجسامهم فزالت عنهم نضرة النعيم و ذبلت شفاههم و استرخت أبدانهم و راح نومهم و تقوى سهرهم فنالوا مقصودهم من القيام بين يديه و وجدوا المعونة على ذلك بما تركوه فذلك هو ذبول الأجسام و أما ذبول أرواحهم فإن لهم نعيما بالمعارف و العلوم لأن لهم نسبة إلى أرواح الملإ الأعلى ليأنسوا بالجنس رغبة في المعاونة لما سمعوا الله تعالى يقول وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى فتخيلوا أنهم المخاطبون بذلك و ليس الأمر كذلك فإن الذين خوطبوا بذلك هم الذين يليق بهم أن يتعاونوا على الإثم و العدوان و لذلك أردف بالنهي فقال وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا الله و هذا ليس من صفات الملإ الأعلى فلما عرفوا غلطهم في ذلك عدلوا عن هذه الآية إلى قوله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا أي احبسوا نفوسكم مع الله فلما فارقوا الجنس بهذه الآية ذبلت أرواحهم و قد كانت في نضرة النعيم بمجالسة الجنس لأنها تعلقت بمن لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلم تعرف بينها و بينه مناسبة مثلية فتتعلق بها فقالت لها المعرفة بالله هو ما خاطبك سبحانه إلا بلسانك و لحنك و لغتك و ما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان الذين أنت منهم فارجع إلى مفهوم ما خاطبك به فإنه لم يخرجه عن حقيقة مدلوله و لا تنال بجهلك النسبة إليه من ذلك فإن تلك الصفة التي خاطبك بها تطلبه بذاتها لأنه وصف نفسه بها و لا تكون صفاته إلا بمناسبة خاصة منا إليه فإذا تعلقت أنت بتلك الصفة و لزمتها بالضرورة تحصلك عنده فتعلم عند ذلك صورة نسبتها إليه علم ذوق و تجل إلهي فيزيد ذبولك حتى تصير كالنقطة المتوهمة كما قال بعضهم

أصبحت فيك من الضنا كالنقطة المتوهمة

و هي التي لا وجود لها إلا في الوهم فهذا نعتهم في الذبول و قد ر وينا في خبر مؤيد بكشف أن إسرافيل ع و هو من أرفع الأرواح العلوية يتضاءل في نفسه كل يوم لاستيلاء عظمة الله على قلبه سبعين مرة حتى يصير كالوضع كما يحشر المتكبرون في نفوسهم على عباد الله يوم القيامة كأمثال الذر ذلة و صغارا و ذلك لما ظهروا به في الدنيا من التعاظم و التكبر فهذا نعت ذبولهم في أرواحهم و أجسامهم و من نعوت المحبين أيضا الغرام و هو الاستهلاك في المحبوب بملازمة الكمد قال تعالى إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً أي مهلكا لملازمة شهود المحبوب فإن الغريم هو الذي لزمه الدين و به سمي غريما و مقلوبة أيضا الرغام و هو اللصوق بالتراب فإن الرغام التراب يقال رغم أنفه إذ كان الأنف محل العزة قوبل بالرغام في الدعاء فألصقوه بالتراب فيكون الغرام حكمه في المغرم من المقلوب فهو موصوف بالذلة لأن التراب أذل الأذلاء و لهذا وصفت الأرض بأنها ذلول على طريق المبالغة لكون الأذلاء يطئونها و لما لازم الحب قلوب المحبين و الشوق قلوب المشتاقين و الأرق نفوس الأرقين و كل صفة للحب موصوفها منه سمي صاحب هذه الملازمات كلها مغرما و سميت صفته غراما فهو

اسم يعم جميع ما يلزم المحب من صفة الحب فليس للمحب صفة أعظم إحاطة من الغرام و من نعوت المحبين الشوق و هو حركة روحانية إلى لقاء المحبوب و حركة طبيعية جسمانية حسية إلى لقاء المحبوب إذا كان من شكله ذلك المحبوب فإذا لقيه أي محبوب كان فإنه يجد سكونا في حركة فيتحير لما ذا ترجع تلك الحركة مع وجود اللقاء و يراها تتزيد و يدركه معها خوف في حال الوصلة فيجد الخوف متعلقة توقع الفرقة و يجد الحركة الاشتياقية تطلب استدامة حالة الوصلة و لذلك يهيج باللقاء كما قيل في الشوق

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

و قال الآخر فيما ذكرناه من الخوف في حال الوصلة

وأبكي إن ناءوا شوقا إليهم وأبكي إن دنوا خوف الفراق

هذا جزاء من أحب غير عينه و جعل وجود عين محبوبه فيما هو خارج عنه فلو أحب الله لم تكن هذه حالته فمحب الله لا يخاف فرقة و كيف يفارق الشيء لازمه و هو في قبضته لا يبرح و بحيث يراه محبوبه و هو أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمى أين الفراق و ما في الكون إلا هو يقول الله تعالى من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا الحديث فهكذا ينبغي أن تعرف يا أخي قدر من أحبك لله أو لنفسه إذا كان الحق مع غناه عن العالم إذا أحبه عبده سارع إليه بالوصلة و قربه و أدنى مجلسه و جعله من خواص جلسائه فأنت أولى بهذه الصفة إذا أحبك شخص فقد أعطاك السيادة عليه و جعل نفسه محلا لتحكمك فيه فينبغي لك إن كنت عاقلا أن تعرف قدر الحب و قدر من أحبك و لتسارع إلى وصلته تخلقا بأخلاق الله مع محبته فإنه من بدأك بالمحبة فتلك يده عليك لا تكافئها أبدا و ذلك لأن كل ما يفعله من الحب بعد ابتدائه معه فإنما هو نتيجة عن ذلك الحب الذي أحبك ابتداء و من نعوت المحبين الهيام و هم المهيمون الذين يهيمون على وجوههم من غير قصد جهة مخصوصة و المحبون لله أولى بهذه الصفة فإن الذي يحب المخلوق إذا هام على وجهه فهو لقلقه و يأسه من مواصلة محبوبه و محب الله متيقن بالوصلة و قد علم أنه سبحانه لا يتقيد و لا يختص بمكان يقصد فيه لأن حقيقة الحق تأبى ذلك و لذلك قال فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله و قال وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ بمحبة مهيم في كل واد و في كل حال لأن محبوبه الحق فلا يقصده في وجه معين بل يتجلى له في أي قصد قصده على أي حالة كان فهم أحق بصفة الهيمان من محبي المخلوقين فهو تعالى المشهود عند المحبين من كل عين و المذكور بكل لسان و المسموع من كل متكلم هكذا عرفه العارفون و بهذه الحقيقة تجلى للمحبين و من نعوت المحبين الزفرات و هي نار نور محرقة يضيق القلب عن حملها فتخرج منضغطة لتراكمها مما يجده المحب من الكمد فيسمع لخروجها صوت تنفس شديد الحرارة كما يسمع لصوت النار صوت يسمى ذلك الصوت زفرة و لا يكون ذلك إلا في الجسم الطبيعي

خاصة و قد يكون في الصورة المتجسدة و لهذا تتصف الصورة المتجسدة عن المعنى المجرد إذا ظهر فيها و قيل هذه صورته بالغضب و الرضي كالأجسام الطبيعية كما قال ص عن نفسه إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر و إذا كان الجناب الإلهي الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قد وصف نفسه بالرضى و الغضب في هاتين الصفتين و في أمثالهما مما وصف الحق بها نفسه و من تلك الحقيقة ظهرت في العالم و لهذا قلنا إن الله سبحانه علمه بنفسه علمه بالعالم لا يكون إلا هكذا فكل حقيقة ظهرت في العالم و صفة فلها أصل إلهي ترجع إليه لو لا ذلك الأصل الإلهي يحفظ عليها وجودها ما وجدت و لا بقيت و لا يعلم ذلك إلا الآحاد من أهل الله فإنه علم خصوص قال تعالى وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ثم ورد في الخبر ما هو أشد من هذا لمن عقل عن الله و هو ما ورد في الحديث الصحيح من قول الأنبياء في القيامة أن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله فهذا أشد من ذلك حيث اتصف غضبه بالحدوث و الزوال و في ذلك المقام يقول محمد ص فيمن بدل من أصحابه بعده سحقا سحقا لاقتضاء الحال و الموطن فإن صاحب السياسة يجري في أحكامه بحسب الأحوال و المواطن و من نعوت المحبين الكمد و هو أشد حزن القلب لا يجري معه دمع إلا أن صاحبه يكون كثير التأوه و التنهد و هو حزن يجده في نفسه لا على فائت و لا تقصير و هذا هو الحزن المجهول الذي هو من نعوت المحبين ليس له سبب إلا الحب خاصة و ليس له دواء إلا وصال المحبوب فيفنيه شغله به عن الإحساس بالكمد و إن لم تقع الوصلة بالمحبوب اتصال ذوات فيكون المحبوب ممن يأمره فيشغله القيام بأوامره و فرحه بذلك عن الكمد فأكثر ما يكون الكمد إذا لم يقع بينه و بين المحبوب ما يشغله عن نفسه و ليس للمحب صفة تزول مع الاشتغال غير الكمد و نعوت المحبة كثيرة جدا مثل الأسف الوله البهت الدهش الحيرة الغيرة و الخرس السقام القلق الخمود البكاء التبريح و الوجد و السهاد و ما ذكره المحبون في أشعارهم من ذلك و كلامنا في هذا الباب ما يختص بحب الله لعباده و حب العباد لله لا غير ذلك فالله سبحانه قد ذكرا قواما بأنه يحبهم لصفة قامت بهم أحبهم لأجلها كما سلب محبته عن قوم لصفات قامت بهم ذكر ذلك في كتابه و عن لسان رسول الله ص انتهى الجزء الثالث عشر و مائة بانتهاء السفر الخامس عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فمن ذلك الاتباع لرسوله ص فيما شرع قال تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فاعلم إن لله محبتين أو تعلقين محبته لعباده الذي هو خصوص إرادة التعلق الأول حبه إياهم ابتداء بذلك الحب وفقهم للاتباع اتباع رسله سلام الله على جميعهم ثم أنتج لهم ذلك الاتباع تعلقين من المحبة لأن الاتباع وقع من طريقين من جهة أداء الفرائض و التعلق الآخر من جهة ملازمة النوافل قال ص فيما يرويه عن

ربه عز و جل أنه قال الحديث و فيه و ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه و لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا و مؤيدا و إذا كان الحق سمع العبد و قواه في النوافل فكيف بالحب الذي يكون من الحق له بأداء الفرائض و هو أن يكون الحق يريد بإرادة هذا العبد المجتبى و يجعل له التحكم في العالم بما شاء بمشيئته تعالى الأولية التعلق التي بها و فقه فاندرج هذا التعلق في الأول و هو قوله وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و كل صفة ذكرها الحق أنه يحب من أجلها من قامت به فما حصلت له تلك الصفة إلا بالاتباع فإن رسول الله ص سنها و ذلك عن الله فإنه ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى و إنه يفعل به و بنا فنفى أن يكون الفعل له و لنا كما يراه بعضهم و هو قوله ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ فهو قوله ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و معنى الاتباع أن نفعل ما يقول لنا فإن قال اتبعوني في فعلي اتبعناه و إن لم يقل فالذي يلزمنا الاتباع فيما يقول فينتج لنا الاتباع فيما أمرنا به و نهانا عنه و الوقوف عند حدوده أن نتبعه في أفعاله في خلقه و هي المسماة كرامة و آية أي علامة على صدق الاتباع و الرسل أيضا تابعون فإنه يقول ع إن أتبع إلا ما يوحى إلي فيكون ما يظهر عليه من الاتباع في فعل الله نتيجة اتباعه لأوامر الله آية و يكون لنا ذلك كرامة و هو الفعل بالهمة و التوجه من غير مباشرة فيظهر على يد هذا العبد من خرق العوائد مما لا ينبغي أن يكون إلا على ذلك الوجه من غير سبب إلا مجرد الإرادة إلا لله تعالى فإن ذلك الفعل إذا ظهر عن سبب موضوع ظاهر لم يكن من هذا الباب كطيران الطائر بسبب ظاهر و إن كان لا يمسكه إلا الله أي الله الذي وضع له أسباب الإمساك في الهواء و الإنسان إذا اخترق الهواء و مشى فيه بمجرد الإرادة لا بسبب ظاهر معتاد أشبه فعل الحق في تكوين الأشياء بالإرادة فهذا الفارق بينه و بين وقوع ذلك بالأسباب و أصله التحقق بالاتباع و المتبع في التشريع إنما هو الله و المتبع في الفعل بالإرادة إنما هو الله و الكل بعناية الله و مشيئته لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و من ذلك حبه سبحانه التوابين فالتواب صفته و من أسمائه تعالى يقول عز و جل أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ فما أحب إلا اسمه و صفته و أحب العبد لاتصافه بها و لكن إذا اتصف بها على حد ما أضافها الحق إليه و ذلك أن الحق يرجع على عبده في كل حال يكون العبد عليه مما يبعده من الله و هو المسمى ذنبا و معصية و مخالفة فإذا أقيم العبد في حق من أساء إليه من أمثاله و أشكاله فرجع عليه بالإحسان إليه و التجاوز عن إساءته فذلك هو التواب ما هو الذي رجع إلى الله فإنه لا يصح أن يرجع إلى الله إلا من جهل إن الله معه على كل حال و ما خاطب الحق بقوله تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إلا من غفل عن كون الله معه على كل حال كما قال وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فإن رجعت إليه من حيث حساب أو سؤال فذلك رجوع في الحقيقة من حال أنت عليها لحال ما أنت عليها و لما كانت الأحوال كلها بيد الله أضيف الرجوع إلى الله على هذا الوجه فالراجع إلى الله إنما يرجع من المخالفة إلى الموافقة و من

المعصية إلى الطاعة فهذا معنى حب التوابين فإذا كنت من التوابين على من أساء في حقك كان الله توابا عليك فيما أسأت من حقه فرجع عليك بالإحسان فهكذا فلتعرف حقائق الأمور و تفهم معاني خطاب الله عباده و تميز بين المراتب فتكون من العلماء بالله و بما قاله و جاء ذكره لهذه المحبة في التوابين عقب ذكر الأذى الذي جعله في المحيض و كذلك قال ع إن الله يحب كل مفتن تواب أي مختبر يريد أن يختبره الله بمن يسيء إليه من عباد الله فيرجع عليهم بالإحسان إليهم في مقابلة إساءتهم و هو التواب لا إن الله يختبر عباده بالمعاصي حاشا الله أن يضاف إليه مثل هذا و إن كانت الأفعال كلها لله من حيث كونها أفعالا و ما هي معاصي إلا من حيث حكم الله فيها بذلك فجميع أفعال الله حسنة من حيث ما هي أفعال فافهم ذلك و من ذلك حبه للمتطهرين قال تعالى وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فالتطهير صفة تقديس و تنزيه و هي صفته تعالى و تطهير العبد هو أن يميط عن نفسه كل أذى لا يليق به أن يرى فيه و إن كان محمودا بالنسبة إلى غير و هو مذموم شرعا بالنسبة إليه فإذا ظهر نفسه من ذلك أحبه الله تعالى كالكبرياء و الجبروت و التفخر و الخيلاء و العجب فمنها صفات لا تدخل القلب جملة واحدة للطابع الإلهي الذي على القلوب و هو قوله كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فيظهر في ظاهره الكبرياء و الجبروت على من استحق من قومه إما في زعمه و تخيله و إما في نفس الأمر و هو في قلبه معصوم من ذلك الكبرياء و الجبروت لأنه يعلم عجزه و ذلته و فقره لجميع الموجودات و أن قرصة البرغوث تؤلمه و المرحاض يطلبه لدفع ألم البول و الخراءة عنه و يفتقر إلى كسيرة خبز يدفع بها عن نفسه ألم الجوع فمن صفته هذه كل يوم و ليلة كيف يصح أن يكون في قلبه كبرياء و جبروت و هذا هو الطبع الإلهي على قلبه فلا يدخله شيء من ذلك و أما ظهور ذلك على ظاهره فمسلم و لكن جعل الله لها مواطن يظهر فيها بهذه الأوصاف و لا يكون مذموما و جعل لها مواطن يذمه فيها فمن طهر ذاته عن أن ترى عليه هذه النعوت في غير مواطنها فهو متطهر و يحبه الله كما نفى محبته عن كل مختال فخور فإنه لا يظهر بهذه الصفة إلا من هو جاهل و الجهل مذموم و لهذا نهى الله نبيه ص أن يكون جاهلا و قال لنوح ع إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فإنه لا يخلو أن يفتخر على مثله أو على ربه و خالقه فإن افتخر على مثله فقد افتخر على نفسه و الشيء لا يفتخر على نفسه ففخره و اختياله جهل و محال أن يفتخر على خالقه لأنه لا بد إن يكون عارفا بخالقه أو غير عارف بأن له خالقا فإن عرف و افتخر عليه فهو جاهل بما ينبغي أن يكون لخالقه من نعوت الكمال و إن لم يعرف كان جاهلا فما أبغضه الله و لم يحبه إلا لجهله إذ لم يكن هذا في غير موطنه إلا لجهله و الجهل موت و العلم حياة و هو قوله تعالى أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ يعني بالعلم وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ و ذلك نور الايمان و الكشف الذي أوحى الله به إليه أو امتن به عليه فالمتطهر من مثل هذه النعوت محبوب لله فافهم و من ذلك حبه المطهرين قال الله تعالى وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ و هم الذين طهروا غيرهم كما طهروا نفوسهم فتعدت طهارتهم إلى

غيرهم فقاموا فيها مقام الحق نيابة عنه فإنه المطهر على الحقيقة و الحافظ و العاصم و الواقي و الغافر فمن منع ذاته و ذات غيره إن يقوم بها ما هو مذموم في حقها عند الله فقد عصمها و حفظها و وقاها و سترها عن قيام أمثال هذه بها فهو مطهر لها بما علمها من علم ما ينبغي لينفر عنه بنور العلم و حياته ظلمة الجهالة و موتها فيكون في ميزانه يوم القيامة و من الأنوار التي تسعى بين يديه و هو محبوب عند الله مخصوص بعناية ولاية إلهية و استخلاف و الولاة الخلفاء من المقربين ممن استخلفهم عليهم لأنهم موضع مقصور من استخلفهم دون غيرهم و كل إنسان وال على جوارحه فما فوق ذلك و قد أعلمه الله بما هي الطهارة التي يطهر بها رعاياه و من ذلك حبه للصابرين و هو قوله وَ اللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ و هم الذين ابتلاهم الله فحبسوا نفوسهم عن الشكوى إلى غير الله الذي أنزل بهم هذا البلاء فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ ما ضَعُفُوا عن حمله لأنهم حملوه بالله و إن شق عليهم لا بد من ذلك و إن لم يشق عليهم فليس ببلاء وَ ما اسْتَكانُوا لغير الله في إزالته و لجئوا إلى الله في إزالته كما قال العبد الصالح مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فرفع الشكوى إليه لا إلى غيره فأثنى الله عليه بأنه وجده صابرا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ مع هذه الشكوى فدل إن الصابر يشكو إلى الله لا إلى غيره بل يجب عليه ذلك لما في الصبر إن لم يشك إلى الله من مقاومة القهر الإلهي و هو سوء أدب مع الله و الأنبياء ع أهل أدب و هم على علم من الله فإنك تعلم أن صبرك ما كان إلا بالله ما كان من ذاتك و لا من حولك و قوتك فإن الله يقول وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ فبأي شيء تفتخر و هو ليس لك فما ابتلى الله عباده إلا ليلجئوا في رفع ذلك إليه و لا يلجئوا في رفعه إلى غيره فإذا فعلوا ذلك كانوا من الصابرين و هو محبوب الله و من أسمائه تعالى النعتية الصبور فما أحب إلا من رأى خلعته عليه ثم إن هنا سرا و أقامك فيه مقامه فإن الصبر لا يكون إلا على أذى و قد عرفنا إن في خلقه من يؤذي الله و رسوله و نعتهم لنا لنعرفهم فندفع ذلك الأذى عنه تعالى بمقاتلتهم أو بتعليمهم إن كانوا جاهلين طالبين العلم و قد سمي نفسه صبورا و قد رفع إلينا ما أوذي به و عرفنا بهم لنذب عنه و ندفع الأذى مع الاتصاف بالصبور لنعلم أنا إذا شكونا إليه ما نزل من البلاء و سألناه في رفعه عنا و سؤالنا إياه لا يزول عنا اسم الصبر فلا تزول عنا محبته كما لم يزل عنه اسم الصبور بتعريفه إيانا من أذاه حتى ندفع عنه فإنه ورد في الصحيح ليس أحد أصبر على أذى من الله فاجعل بالك لما نبهناك عليه و من ذلك حب الشاكرين فوصف الحق نفسه في كتابه إنه يحب الشاكرين و الشكر نعمته فإنه شاكِرٌ عَلِيمٌ فما أحب من العبد إلا ما هو صفة له و نعت و الشكر لا يكون إلا على النعم لا على البلاء كما يزعم بعضهم ممن لا علم له بالحقائق لأنه تعالى أبطن نعمته في نقمته و نقمته في نعمته فالتبس على من لا علم له بالحقائق أي بحقائق الأمور فتخيل أنه يشكر على البلاء و ليس بصحيح كشارب الدواء المكروه و هو من جملة البلاء و لكن هو بلاء على من يهلك به و هو المرض الذي لأجله استعمله فالألم هو عدو هذا الدواء إياه يطلب و لكن لما قام البلاء بهذا المحل الواجد للألم ورد

عليه المنازع الذي يريد إزالته من الوجود و هو الدواء فوجد المحل لذلك كراهة و علم أنه في طي ذلك المكروه نعمة لأنه المزيل للألم فشكر الله تعالى على ما فيه من النعمة و صبر على ما يكره من استعماله لعلمه بأنه طالب ذلك الألم حتى يزيله فما سعى إلا في راحة هذا المحل فتفطن لهذا فلهذا كان شاكرا فلما شكره على ما في هذا المكروه من النعمة الباطنة زاده نعمة أخرى و هي العافية و إزالة المرض و تصبره الدواء الكرة عليه و لذلك قال لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ فزاده العافية و كذلك أيضا لما أوذى الحق و سعينا في إزالة ذلك المؤذي بأن آذيناه أو سسناه حتى رجع عن الأمر الذي كان يؤذي الحق به فإن كنا قد آذينا هذا المؤذي بقتال و أمثاله كان ذلك للحق بمنزلة شرب الدواء الذي يكرهه المريض في الحال و يراه نعمة لما فيه من إزالة ذلك الأمر المؤذي و إنما قلنا ذلك لأن الكل من فعله و قضائه و قدره و قد أوحى الله لنبيه داود أن يبني له بيتا يعني بيت المقدس فكلما بناه تهدم فقال له ربه فيما أوحى إليه أنه لا يقوم على يديك فإنك سفكت الدماء فقال له يا رب ما كان ذلك إلا في سبيلك فقال صدقت ما كان إلا في سبيلي و مع هذا أ ليسوا عبيدي فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء فقال يا رب اجعله مني فأوحى الله إليه أنه يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان ع فهذا عين ما نبهتك عليه إن تفطنت و من هنا تعرف الأمر على ما هو عليه و أن مبني الأمر الإلهي أبدا على هو لا هو فإن لم تعرفه كذا فما عرفته وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فهذا عين ما قلناه من أنه هو لا هو و هنا حارت عقول من لم يشاهد الحقائق على ما هي عليه فلما أزال العبد هذا الأذى عن جناب الحق و إن كان فيه ما في استعمال الدواء شكره الله على ذلك و الشكر يطلب المزيد فطلب من عباده سبحانه بشكره أن يزيدوه فزادوه في العمل و هو قوله ع أ فلا أكون عبدا شكورا فزاد في العبادة لشكر الله له شكرا فزاد الحق في الهداية و التوفيق في موطن الأعمال حتى إلى الآخرة حيث لا عمل و لا ألم على السعداء و أما التنبيه على استعمال الدواء الكرة في إماطة الأذى عن الله فقد أبان عنه الحق في قوله في قبضه نسمة عبده المؤمن فوصف نفسه تعالى بأنه يكره مساءة عبده لكون العبد يكره الموت و لا بد له منه مع أنه وصفه نفسه بأنه كاره لذلك فهذا عين كراهة ما يجده المريض في شرب الدواء لأن مرتبة العلم تعطي ذلك فإنه وقوع خلاف المعلوم محال فلا بد من وجوب وجود العالم لما تعطيه الحقائق الإلهية و أين الإمكان من الوجوب فاشحذ فؤادك و اعلم فَإِنَّ اللهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ فاردف وصفه نفسه بالشكر وصفه بالعلم فزد في عملك تكن قد جازيت ربك على شكره إياك على ما عملت له و ذلك العمل هو الصوم فإنه له و دفع الأذى عنه و هو قوله هل واليت في وليا أو عاديت في عدوا و هو قوله وجبت محبتي للمتحابين في و المتزاورين في و المتجالسين في و المتباذلين في و الله يجعلنا ممن أنعم عليه فرأى نعمة الله عليه في كل حال فشكر و من ذلك حب المحسنين و هو قوله وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و الإحسان صفته و هو المحسن المجمل فصفته أحب و هي الظاهرة في نفسه و

الإحسان الذي به يسمى العبد محسنا هو أن يعبد الله كأنه يراه أي يعبده على المشاهدة و إحسان الله هو مقام رؤيته عباده في حركاتهم و تصرفاتهم و هو قوله أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فشهوده لكل شيء هو إحسانه فإنه بشهوده يحفظه من الهلاك فكل حال ينتقل فيه العبد فهو من إحسان الله إذ هو الذي نقله تعالى و لهذا سمي الإنعام إحسانا فإنه لا ينعم عليك بالقصد إلا من يعلمك و من كان علمه عين رؤيته فهو محسن على الدوام فإنه يراك على الدوام لأنه يعلمك دائما و ليس الإحسان في الشرع إلا هذا و قد قال له فإن لم تكن تراه فإنه يراك أي فإن لم تحسن فهو المحسن و هذا تعليم النبي ص لجبريل بحضور الصحابة من باب قولهم إياك أعني فاسمعي يا جارة فالمخاطب غير مقصود بذلك العلم فإنه عالم به و المقصود به من حضر من السامعين و بهذا فسره رسول الله ص فقال في هذا الحديث هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم و من ذلك حب المقاتلين في سبيل الله بوصف خاص قال تعالى إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ يريد لا يدخله خلل فإن الخلل في الصفوف طرق الشياطين و الطريق واحدة و هي سبيل الله و إذا قطع هذا الخط الظاهر من النقط و لم يتراص لم يظهر وجود للخط و المقصود وجود الخط و هذا معنى الرص لوجود سبيل الله فمن لم يكن له تعمل في ظهور سبيل الله فليس من أهل الله و كذلك صفوف المصلين لا تكون في سبيل الله حتى تتصل و يتراص الناس فيها و حينئذ يظهر سبيل الله في عينه فمن لم يفعل و أدخل الخلل كان ممن سعى في قطع سبيل الله و إزالته من الوجود فأراد الله من عباده في مثل هذا أن يجعلهم من الخالقين و لذلك قال فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و لا يكون السبيل إلا هكذا كالخط الموجود من النقط المتجاورة التي ليس بين كل نقطتين حيز فارغ لا نقطة فيه و حينئذ تظهر صورة الخط كذلك الصف لا يظهر فيه سبيل الله حتى يتراص الناس فيه فهو يطلب الكثرة و هو في جناب الله تراص أسمائه تبارك و تعالى فيظهر عن تراصها سبيل الخلق فيكون الحي و إلى جانبه العليم و لا يكون بينهما فراغ لاسم آخر و يكون إلى جانبه المريد و يكون إلى جانبه القائل و يكون إلى جانبه القادر و يكون إلى جانبه الحكم و إلى جانبه المقيت و إلى جانبه المقسط و إلى جانبه المدبر و إلى جانبه المفصل و إلى جانبه الرازق و إلى جانبه المحيي فهكذا يكون صف الأسماء الإلهية لإيجاد سبيل الخلق الذي يكون بهذا التراص وجوده فإذا ظهرت هذه السبيل و ليست بزائدة على تراص هذه الأسماء فاتصف الخلق بهذه الأسماء لأنها بتراصها و هو حالها عن طريق الخلق فلا تزال ظاهرة في الخلق لا تعقل إلا هكذا فالعالم حي عالم مريده قائل قادر حكم مقيت مقسط مدبر مفصل هكذا إلى بقية الأسماء الإلهية و هو المعبر عنه في الطريق بالتخلق بالأسماء فتظهر في العبد كما تظهر في إيجاد الطريق المستقيم بتراصها فإن دخلها في الكون خلل زال سبيل الله و ظهرت سبل الشياطين التي تتخلل خلل الصفوف كما ورد في الخبر فاجعل بالك لما نبهتك عليه فإذا قام العبد بأسماء الحق مقام الأسماء في إيجاد الخلق و قاتل بهذه الصفة الأعداء الذين هم بمنزلة

الشياطين التي تتخلل خلل الصف فبالضرورة ينصرون لأنه لم يبق هناك خلل يدخل منه العدو فأحب الله من هذه صفتهم و كذا الإنسان وحده هو صف في كل ما هو فيه متحرك فتكون حركاته كلها لله لا يتخللها شيء لغير الله فلا يقاومه أحد فإن الأعداء أبصارهم إليه محدقة ينظرون في حركاته و أفعاله عسى يجدون خللا يدخلون عليه منه فيقطعون بينه و بين الله بقطع سبيل الله و كل فعل خط فإنه مجموع أسماء إلهية و صفات محمودة و الأفعال كثيرة فيكثف الأمر و يعظم و تظهر صور المركبات في العالم إذ كل خطين فما زاد سطح و كل سطحين جسم و كل جسم فمركب من ثمانية و هو صورة كمال ظهرت عن ذات و سبع صفات فغاية التركيب الجسم و ليس وراءه مرتبة و قد قام على ثمانية بلا خلاف بين الجميع و ما زاد على هذا فهو أجسم أي أكثر سطوحا و إذا كان أكثر سطوحا كان أكثر خطوطا و إذا كان أكثر خطوطا كان أكثر نقطا فلم يزد على ما تركب منه الجسم الذي هو أول الأجسام مادة غير ما قبله الأول أو كان به الجسم الأول فمن تراص في صفة كان خلاقا قال تعالى فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأثبت لهم هذا الوصف و جعل نفسه أحسن لا وليته في ذلك إذ لولاه ما ظهرت أعيان هؤلاء الخالقين فأثبت ما أثبت الله و لا تزله فتحرم فائدة العلم بموافقة الحق فتكون من المخالفين فتكون من الجاهلين فمن كان بهذه الصفة كان محبوبا لله تعالى و من كان محبوبا لم يد ر أحد ما يعطيه محبه إذ لنفسه يعطي و قد تعرضت هنا مسألة يحب بيانها و هي أن الله أحب أولياءه و المحب لا يؤلم محبوبه و ليس أحد بأشد ألما في الدنيا و لا بلاء من أولياء الله رسلهم و أنبيائهم و أتباعهم المحفوظين المعانين على أتباعهم فمن أي حقيقة استحقوا هذا البلاء مع كونهم محبوبين فلنقل إن الله قال يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و البلاء أن لا يكون أبدا إلا مع الدعوى فمن لم يدع أمرا ما لا يبتلى بإقامة الدليل على صدق دعواه فلو لا الدعوى ما وقع البلاء غير أن الرسول ما يطالب بالدليل فإنه ما ادعى و لهذا يقال ليس على النافي إقامة دليل و ليس الأمر كذلك بل عليه الدليل إذا ادعى النفي فإن ادعى النفي في أمر ما فذلك ثبوت عين الدعوى فيطالب النافي من حيث دعواه على إقامة لدليل لأنه مثبت و لما أحب الله من أحب من عباده رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا في نفوسهم حبا لله فادعوا أنهم من محبي الله فابتلاهم الله من كونهم محبين و أنعم عليهم من كونهم محبوبين فإنعامه دليل على محبته فيهم فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و ابتلاؤه إياهم لما ادعوه من حبهم إياه فلهذا ابتلى الله أحبابه من المخلوقين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و من ذلك حب الجمال هو نعت إلهي ثبت في الصحيح أن رسول الله ص قال إن الله جميل يحب الجمال فنبهنا بقوله جميل أن نحبه فانقسمنا في ذلك على قسمين فمنا من نظر إلى جمال الكمال و هو جمال الحكمة فأحبه في كل شيء لأن كل شيء محكم و هو صنعة حكيم و منا من لم تبلغ مرتبته هذا و ما عنده علم بالجمال إلا هذا الجمال المقيد الموقوف على الغرض و هو في الشرع موضع قوله اعبد الله كأنك تراه فجاء بكاف الصفة فتخيل هذا الذي لم يصل إلى فهمه أكثر من

هذا الجمال المقيد فقيده به كما قيده بالقبلة فأحبه لجماله و لا حرج عليه في ذلك فإنه أتى بأمر مشروع له على قدر وسعه و لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و بقي علينا حبه تعالى للجمال فاعلم إن العالم خلقه الله في غاية الإحكام و الإتقان كما قال الإمام أبو حامد الغزالي من أنه لم يبق في الإمكان أبدع من هذا العالم فأخبر أنه تعالى خلق آدم على صورته و الإنسان مجموع العالم و لم يكن علمه بالعالم تعالى إلا علمه بنفسه إذ لم يكن في الوجود إلا هو فلا بد أن يكون على صورته فلما أظهره في عينه كان مجلاه فما رأى فيه إلا جماله فأحب الجمال فالعالم جمال الله فهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فقد أحبه بحب الله و ما أحب إلا جمال الله فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها و إنما يضاف إلى صانعه فجمال العالم جمال الله و صورة جماله دقيق أعني جمال الأشياء و ذلك أن الصورتين في العالم و هما مثلا شخصان ممن يحبهما الطبع و هما جاريتان أو غلامان قد اشتركا في حقيقة الإنسانية فهما مثلان و كمال الصورة التي هي أصول من كمال الأعضاء و الجوارح و سلامة المجموع و الآحاد من العاهات و الآفات و يتصف أحدهما بالجمال فيحبه كل من رآه و يتصف الآخر بالقبح فيكرهه كل من رآه فما هو الجمال الذي انطلق عليه اسم الجمال حتى أحبه كل من رآه فقد وكلناك في علم ذلك إلى نفسك و نظرك فهذا إذا وقع حب الشخص من مجرد الرؤية خاصة لا بعد الصحبة و المعاشرة فدبروا نظر تعثر إن شاء الله على عين الأمر في وصف الحق نفسه بأنه جميل و بحبه للجمال مع خلقه المكروه و المضار و ما لا يلائم الطباع و لا يوافق الأغراض فهذا قد ذكرنا طرفا من الصفات التي يحب الله من اتصف بها و هي كثيرة جدا فقد نبهناك بما ذكرناه على مأخذها و كيف يتصرف الإنسان فيها فلنذكر طرفا من نعوت الحب الذي ينبغي أن يكون المحب عليها إن شاء الله و بها يسمى محبا فهي كالحدود للحب فمن ذلك أنه موصوف بأنه مقتول تألف سائر إليه بأسمائه طيار دائم السهر كامن الغم راغب في الخروج من الدنيا لي لقاء محبوبه متبرم بصحبة ما يحول بينه و بين لقاء محبوبه كثير التأوه يستريح إلى كلام محبوبه و ذكره بتلاوة ذكره موافق لمحاب محبوبه خائف من ترك الحرمة في إقامة الخدمة يستقل الكثير من نفسه في حق ربه و يستكثر القليل من حبيبه يعانق طاعة محبوبه و يجانب مخالفته خارج عن نفسه بالكلية لا يطلب الدية في قتله يصبر على الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوبه من تدبيره هائم القلب مؤثر محبوبه على كل مصحوب محو في إثبات قد وطأ نفسه لما يريده به محبوبه متداخل الصفات ما له نفس معه كله له يعتب نفسه بنفسه في حق محبوبه ملتذ في دهش جاوز الحدود بعد حفظها غيور على محبوبه منه يحكم حبه فيه على قدر عقله جرحه جبار لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب و لا النقص بجفائه ناس حظه و حظ محبوبه غير مطلوب بالآداب مخلوع النعوت مجهول الأسماء كأنه سأل و ليس بسال لا يفرق بين الوصل و الهجر هيمان متيم في إدلال ذو تشويش خارج عن الوزن يقول عن نفسه إنه عين محبوبه مصطلم مجهود لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا أو قلت كذا مهتوك الستر سره علانية

فضيحة الدهر لا يعلم الكتمان لا يعلم أنه محب كثير الشوق و لا يدري إلى من عظيم الوجد و لا يدري فيمن لا يتميز له محبوبه مسرور محزون موصوف بالضدين مقامه الخرس حاله يترجم عنه لا يحب العوض سكران لا يصحو مراقب متحر لمراضيه مؤثر في المحبوب الرحمة به و الشفقة لما يعطيه شاهد حاله ذو أشجان كلما فرغ نصب لا يعرف التعب روحه عطية و بدنه مطية لا يعلم شيئا سوى ما في نفس محبوبه قرير العين لا يتكلم إلا بكلامه هم المسمون بحملة القرآن لما كان المحبون جامعين جميع الصفات كانوا عين القرآن كما قالت عائشة و قد سألت عن خلق رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآن لم تجب بغير هذا و سئل ذو النون عن حملة القرآن من هم فقال هم الذين أمطرت عليهم سحاب الأشجان و أنصبوا الركب و الأبدان و تسربلوا الخوف و الأحزان و شربوا بكأس اليقين و راضوا أنفسهم رياضة الموقنين فكان قرة أعينهم فيما قل و زجا و بلغ و كفا و ستر و وارى كحلوا أبصارهم بالسهر و غضوها عن النظر و ألزموها العبر و أشعروها الفكر فقاموا ليلهم أرقا و استهلت آماقهم نسقا صحبوا القرآن بأبدان ناحلة و شفاه ذابلة و دموع زائلة و زفرات قاتلة فحال بينهم و بين نعيم المتنعمين و غاية آمال الراغبين فاضت عبراتهم من وعيده و شابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت أقدامهم و كان وعيده نصب قلوبهم و من ألطف ما روينا في حال المحب عن شخص من المحبين دخل على بعض الشيوخ فتكلم الشيخ له على المحبة فما زال ذلك الشخص ينحل و يذوب و يسيل عرقا حتى تحلل جسمه كله و صار على الحصير بين يدي الشيخ بركة ماء ذاب كله فدخل عليه صاحبه فلم ير عند الشيخ أحدا فقال له أين فلان فقال الشيخ هو ذا و أشار إلى الماء و وصف حاله فهذا تحليل غريب و استحالة عجيبة حيث لم يزل ينحف عن كثافته حتى عاد ماء فكان أولا حيا بماء فعاد الآن يحيي كل شيء لأن الله قال وَ جَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فالمحب على هذا من يحيا به كل شيء (و أخبرني) والدي رحمه الله أو عمي لا أدري أيهما أخبرني أنه رأى صائدا قد صاد قمرية حمامة أيكة فجاء ساق حر و هو ذكرها فلما نظر إليها و قد ذبحها الصائد طار في الجو محلقا إلى أن علا و نحن ننظر إليه حتى كاد يخفى عن أبصارنا ثم إنه ضم جناحيه و تكفن بهما و جعل رأسه مما يلي الأرض و نزل نزولا له دوي إلى أن وقع عليها فمات من حينه و نحن ننظر إليه هذا فعل طائر فيا أيها المحب أين دعواك في محبة مولاك (و حدثنا) محمد بن محمد عن هبة الرحمن عن أبي القسم بن هوازن قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنونا و هو جالس يتكلم في المسجد في المحبة و جاء طير صغير قريبا منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سأل منه الدم و مات هذا فعل الحب في الطائر قد أفهمه الله قول هذا الشيخ فغلب عليه الحال و حكم عليه سلطان الحب موعظة للحاضرين و حجة على المدعين لقد أعطانا الله منها الحظ الوافر إلا أنه قوانا عليه و الله إني لأجد من الحب ما لو وضع في ظني على

السماء لانفطرت و على النجوم لانكدرت و على الجبال لسيرت هذا ذوقي لها لكن قواني الحق فيها قوة من ورثته و هو رأس المحبين إني رأيت فيها في نفسي من العجائب ما لا يبلغه وصف واصف و الحب على قدر التجلي و التجلي على قدر المعرفة و كل من ذاب فيها و ظهرت عليه أحكامها فتلك المحبة الطبيعية و محبة العارفين لا أثر لها في الشاهد فإن المعرفة تمحو آثارها لسر تعطيه لا يعرفه إلا العارفون فالمحب العارف حي لا يموت روح مجرد لا خبر للطبيعة بما يحمله من المحبة حبه إلهي و شوقه رباني مؤيد باسمه القدوس عن تأثير الكلام المحسوس برهان ذلك هذا الذي ذاب حتى صار ماء لو لم يكن ذا حب ما كان هذا حاله فقد كان محبا و لم يذب حتى سمع كلام الشيخ فثار كامن حبه فكان منه ما كان فحب لا حكم له في المحب حتى يثيره كلام متكلم حب طبيعي لأن الطبيعة هي التي تقبل الاستحالة و الإثارة إذ قد كان موصوفا بالحب قبل كلام الشيخ و لم يذب هذا الذوبان الذي صيره ماء بعد ما كان عظما و لحما و عصبا فلو كان إلهي الحب ما أثرت فيه كلمات الحروف و لا هزت روحانيته هذه الظروف فاستحى من دعواه في الحب و قام في قلبه نار الحياء فما زال يحلله إلى أن صار كما حكي فلا يلحق التغيير في الأعيان و التنقل في أطوار الأكوان إلا صاحب الحب الطبيعي و هذا هو الفرقان بين الحب الروحاني الإلهي و بين الحب الطبيعي و الحب الروحاني وسط بين الحب الإلهي و الطبيعي فيما هو إلهي يبقى عينه و بما هو طبيعي يتغير الحال عليه و لا يفنيه فالفناء أبد من جهة الحب الطبيعي و بقاء العين من جانب الحب الإلهي جبريل لما كان حبه روحانيا و هو روح و له وجه إلى الطبيعة من حيث جسميته لأن الأجسام الطبيعية الخارجة عن العناصر لا تستحيل بخلاف الأجسام العنصرية فإنها تستحيل لأنها عن أصول مستحيلة و الطبيعة لا تستحيل في نفسها لأن الحقائق لا تنقلب أعيانها فغشي على جبريل و لم يذب عين جوهر جسمه كما ذاب صاحب الحكاية فغشي عليه من حيث ما فيه من حب الطبيعة و بقي العين منه من حيث حبه الإلهي فالمحب الإلهي روح بلا جسم و المحب الطبيعي جسم بلا روح و المحب الروحاني ذو جسم و روح فليس للمحب الطبيعي العنصري روح يحفظه من الاستحالة فلهذا يؤثر الكلام في المحبة في المحب الطبيعي و لا يؤثر في المحب بالحب الإلهي و يؤثر بعض تأثير في المحب بالحب الروحاني حدثنا محمد بن إسماعيل اليمني بمكة قال حدثنا عبد الرحمن بن علي قال أنا أبو بكر بن حبيب العامري قال أنا علي بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال أخبرنا بكران بن أحمد قال سمعت يوسف بن الحسين قال كنت قاعدا بين يدي ذي النون و حوله ناس و هو يتكلم عليهم و الناس يبكون و شاب يضحك فقال له ذو النون ما لك أيها الشاب الناس يبكون و أنت تضحك فأنشأ يقول

كلهم يعبدون من خوف نار و يرون النجاة حظا جزيلا

ليس لي في الجنان و النار رأى أنا لا أبتغي بحبي بديلا

فقيل له فإن طردك فما ذا تفعل فقال

فإذا لم أجد من الحب وصلا رمت في النار منزلا و مقيلا

ثم أزعجت أهلها ببكائي بكرة في ضريعها و أصيلا

معشر المشركين نوحوا على أنا عبد أجبت مولا جليلا

إن لم أكن في الذي ادعيت صدوقا فجزاني منه العذاب الوبيلا

و خدمت أنا بنفسي امرأة من المحبات العارفات بإشبيلية يقال لها فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي خدمتها سنين و هي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس و تسعين سنة و كنت أستحي أن أنظر إلى وجهها و هي في هذا السن من حمرة خديها و حسن نعمتها و جمالها تحسبها بنت أربع عشرة سنة من نعمتها و لطافتها و كان لها حال مع الله و كانت تؤثرني على كل من يخدمها من أمثالي و تقول ما رأيت مثل فلان إذا دخل علي دخل بكله لا يترك منه خارجا عني شيئا و إذا خرج من عندي خرج بكله لا يترك عندي منه شيئا و سمعتها تقول عجبت لمن يقول إنه يحب الله و لا يفرح به و هو مشهوده عينه إليه ناظرة في كل عين لا يغيب عنه طرفة عين فهؤلاء البكاءون كيف يدعون محبته و يبكون أما يستحيون إذا كان قربه مضاعفا من قرب المتقربين إليه و المحب أعظم الناس قربة إليه فهو مشهوده فعلى من يبكي إن هذه لأعجوبة ثم تقول لي يا ولدي ما تقول فيما أقول فأقول لها يا أمي القول قولك قالت إني و الله متعجبة لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تخدمني فو الله ما شغلتني عنه فذلك اليوم عرفت مقام هذه المرأة لما قالت إن فاتحة الكتاب تخدمها فبينا نحن قعود إذ دخلت امرأة فقالت لي يا أخي إن زوجي في شريش شذونة أخبرت أنه يتزوج بها فما ذا ترى قلت لها و تريدين أن يصل قالت نعم فرددت وجهي إلى العجوز و قلت لها يا أم ألا تسمعين ما تقول هذه المرأة قالت و ما تريد يا ولدي قلت قضاء حاجتها في هذا الوقت و حاجتي أن يأتي زوجها فقالت السمع و الطاعة إني أبعث إليه بفاتحة الكتاب و أوصيها أن تجيء بزوج هذه المرأة و أنشأت فاتحة الكتاب فقرأتها و قرأت معها فعلمت مقامها عند قراءتها الفاتحة و ذلك إنها تنشيها بقراءتها صورة مجسدة هوائية فتبعثها عند ذلك فلما أنشأتها صورة سمعتها تقول لها يا فاتحة الكتاب تروحي إلى شريش و تجيئني بزوج هذه المرأة و لا تتركيه حتى تجيء به فلم يلبث إلا قدر مسافة الطريق من مجيئه فوصل إلى أهله و كانت تضرب بالدف و تفرح فكنت أقول لها في ذلك فتقول لي إني أفرح به حيث اعتنى بي و جعلني من أوليائه و اصطنعني لنفسه و من أنا حتى يختارني هذا السيد على أبناء جنسي و عزة صاحبي لقد يغار على غيرة ما

أصفها ما ألتفت إلى شيء باعتماد عليه عن غفلة إلا أصابني ببلاء في ذلك الذي التفت إليه ثم أرتني عجائب من ذلك فما زلت أخدمها بنفسي و بنيت لها بيتا من قصب بيدي على قدر قامتها فما زالت فيه حتى درجت و كانت تقول لي أنا أمك الإلهية و نور أمك الترابية و إذا جاءت والدتي إلى زيارتها تقول لها يا نور هذا ولدي و هو أبوك فبريه و لا تعقيه أخبرنا يونس بن يحيى بمكة سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال أخبرنا أبو بكر بن الغزال قال أخبرنا أبو الفضل بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا عثمان بن محمد العثماني قال حدثنا محمد ابن إبراهيم المذكر حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت ذا النون يقول خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فبينا أنا أطوف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة و إذا هو يبكي و يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك و بحت بسري إليك و اشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك و لمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول

ذوقتني طعم الوصال فزدتني شوقا إليك مخامر الأحشاء

ثم أقبل يخاطب نفسه فقال أمهلك فما ارعويت و ستر عليك فما استحييت و سلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت على النعاس و منعتني حلاوة مناجاتك لمقرة عيني لمة ثم أنشأ يقول

روعت قلبي بالفراق فلم أجد شيئا أمر من الفراق و أوجعا

حسب الفراق بأن يفرق بيننا و لطالما ما قد كنت منه مروعا

قال ذو النون فأتيت إليه فإذا به امرأة (حكاية) محب أذاع سر محبوبه أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف حدثنا عبد الرحمن بن علي أخبرنا الحمدان بن ناصر و ابن عبد الباقي و حدثني أيضا عنهما يونس بن يحيى قالا أخبرنا حمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا أحمد بن محمد المتوكلي حدثنا أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا علي بن القاسم الشاهد قال سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة ثم انقطع عنه زمانا ثم حضر عنده و قد اصفر لونه و نحل جسمه و ظهرت آثار العبادة عليه و الاجتهاد فقال له ذو النون يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك و اجتهادك من المواهب التي منحك بها و وهبها لك و اختصك بها فقال الفتى يا أستاذ و هل رأيت عبدا اصطنعه مولاه من بين عبيده و اصطفاه و أعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسر إليه سرا أيحسن أن يفشي ذلك السر ثم أنشأ يقول

من سارروه فأبدى السر مجتهدا لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

و باعدوه فلم يسعد بقربهم و أبدلوه من الإيناس إيحاشا

لا يصطفون مذيعا بعض سرهم حاشى ودادهم من ذلكم حاشا

يقول لا يصح لاجتهاد في سر المحبوب المحب بل ينتظر أمر محبوبه فإن أمره بإذاعته أذاعه و إن لم فالأصل الكتمان و لقد منحني الله سرا من أسراره بمدينة فاس سنة أربع و تسعين و خمسمائة فاذعته فإني ما علمت أنه من الأسرار التي لا تذاع فعوتبت فيه من المحبوب فلم يكن لي جواب إلا السكوت إلا أني قلت له تول أنت أمر ذلك فيمن أودعته إياه إن كانت لك غيرة عليه فإنك تقدر و لا أقدر و كنت قد أودعته نحوا من ثمانية عشر رجلا فقال لي أنا أتولي ذلك ثم أخبرني أنه سله من صدورهم و سلبهم إياه و أنا بسبتة فقلت لصاحبي عبد الله الخادم إن الله أخبرني أنه فعل كذا و كذا فقم بنا نسافر إلى مدينة فاس حتى نرى ما ذكر لي في ذلك فسافرت فلما جاءتني تلك الجماعة وجدت الله قد سلبهم ذلك و انتزعه من صدورهم فسألوني عنه فسكت عنهم و هذا من أعجب ما جرى لي في هذا الباب فلله الحمد حيث لم يعاقبني بالوحشة التي قالها هذا الشاب لذي النون و لما كان طريق الله ذوقا تخيل هذا الشاب أن الذي عامله به الحق هكذا يعامل به جميع الخلق فذوقه صحيح و حكمه في ذلك على الله ليس بصحيح و هذا يقع في الطريق كثيرا إلا من المحققين فإنه لا يقع لهم مثل هذا لمعرفتهم بمراتب الأمور و حقائقها و هو علم عزيز المنال (و روينا) عن ذي النون من حديث محمد بن يزيد عن ذي النون قال قلت لامرأة متى يحوي الهموم قلب المحب قالت إذا كان للتذكار مجاورا و للشوق محاضرا يا ذا النون أ ما علمت إن الشوق يورث السقام و تجديد التذكار يورث الحزن ثم قالت

لم أذق طيب طعم وصلك حتى زال عني محبتي للأنام

قال فأجبتها

نعم المحب إذا تزايد وصله و علت محبته بعقب وصال

فقالت أوجعتني أوجعتني أ ما علمت أنه لا يوصل إليه إلا بترك من دونه قلت لو قالت لي مثل هذا قلت لها إذا كان ثم (و حدثنا) غير واحد منهم ابن أبي الصيف عن عبد الرحمن بن علي قال أخبرنا إبراهيم بن دينار قال حدثنا إسماعيل بن محمد إنا عبد العزيز بن أحمد أخبرني أبو الشيخ عبد الله بن محمد قال سمعت أبا سعيد الثقفي يحكي عن ذي النون قال كنت في الطواف فسمعت صوتا حزينا و إذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة و هي تقول

أنت تدري يا حبيبي يا حبيبي أنت تدري

و نحول الجسم و الروح يبوحان بسري

يا عزيزي قد كتمت الحب حتى ضاق صدري

قال ذو النون فشجاني ما سمعت حتى انتحبت و بكيت و قالت إلهي و سيدي و مولاي بحبك لي إلا غفرت لي قال فتعاظمني ذلك و قلت يا جارية أما يكفيك أن تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي فقالت إليك يا ذا النون أما علمت إن لله قوما يحبهم قبل أن يحبوه أما سمعت الله يقول فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له فقلت من أين علمت أني ذو النون فقالت يا بطال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك ثم قالت انظر من خلفك فأدرت وجهي فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها قلت يقرب حديث هذه الجارية من حال موسى ع مع ربه انظر إلى الجبل لله تعالى ميادين تسمى ميادين المحبة كلها ثم يختص كل ميدان منها باسم من نعوت المحبة مثل ميدان الوجد و ميدان الشوق و كل حال يكون فيه جولان و حركة فله ميدان هذا أمر كلي و كذلك أيضا للمعارف حضرات و مجالس ما هي ميادين إلا إذا أشهدك سبحانه في معرفته تفرقة في أعيان الأكوان فإن شاهدت أنه العين الظاهرة فيها بأسمائها فتلك ميادين الأسرار و إن شاهدت معيته للأكوان بأسمائه فتلك ميادين الأنوار و إن اختلط عليك الأمر فترى أمرا فتقول هو هو ثم ترى أمرا فتقول ما هو هو ثم ترى أمرا فتقول لا أدري أ هو هو أم لا هو هو فتلك ميادين الحضرة و لكل عين كون علامة يعرفها من جال في هذه الميادين فيعرف بتلك العلامة من قامت به في عالم الشهادة في هذه الهياكل المظلمة بالطبع المنورة بالمعرفة فمن هناك يسمونهم بأسمائهم مثل حال هذه الجارية و روينا من حديث موسى بن علي الإخميمي عن ذي النون أنه لقي رجلا باليمن كان قد رحل إليه في حكاية طويلة و فيها ثم قال له ذو النون رحمك الله ما علامة المحب لله فقال له حبيبي إن درجة الحب درجة رفيعة قال فإنا أحب أن تصفها لي قال إن المحبين لله شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عز جلال الله فصارت أبدانهم دنياوية و أرواحهم حجبية و عقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة و تشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حبا له لا طمعا في جنة و لا خوفا من نار فشهق الفتى شهقة كانت فيها نفسه قلنا كان هذا القائل من العارفين فإنه ذكر ما يدل على ذلك و هي ثلاثة ألقاب ليس في الكون إلا هي فقال أبدانهم دنياوية لأنه قال وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ فلا بد أن يترك له من حقائقه من يكون معه في الدنيا إذ كان الإنسان مجموع العالم و ليس إلا بدنه لأنه أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و هو عرق بدني فلو مشى بكله لكان ناقص الحال و الثاني عقولهم سماوية لأن العقول صفات تقييد فإن العقل يقيد إذ كان من العقال و السموات محال الملائكة المقيدة بمقاماتها فقالت وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فلا تتعداه قد حبسه فيه من أوجده له و لهذا فسره بأن قال تسرح بين صفوف الملائكة فهم بعقولهم في السموات و ما في الكون المركب الا سماء و أرض و الثالث أرواحهم حجبية لأنه لما سوى سبحانه الصورة البدنية احتجب بل حجبها عن ظهوره في عينها و نفخت فيه من روحي

فظهرت أرواحهم عن هذا الروح الحجابي فهم مشاهدون أصلهم عالمون بأنه حجاب ليعلموا من هو الظاهر في أعيانهم و من المسمى فلانا و لم سمي و هنا أسرار دقيقة و حكايات المحبين العارفين كثيرة انتهى الجزء الرابع عشر و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل) نختم به هذا الباب يسمى عندنا مجالي الحق للعارفين المحبين في منصات الأعراس لإعطاء نعوت المحبين في المحبة فمن ذلك منصة و مجلى نعت المحب بأنه مقتول و ذلك لأنه مركب من طبيعة و روح

و الروح نور و الطبيعة ظلمة و كلاهما في عينه ضدان

و الضدان متنافران و المتنافران متنازعان كل واحد يطلب الحكم له و أن يرجع الملك إليه و المحب لا يخلو إما أن تغلب الطبيعة عليه فيكون مظلم الهيكل فيحب الحق في الخلق فيدرج النور في الظلمة اعتمادا على الأصل في قوله وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ و النهار نور فعلم أنهما متجاوران و إن كانا ضدين و أن أحدهما يجوز أن يكون مبطونا في الآخر فما يضرني أن أحب الحق في الخلق لا جمع بين الأمرين و إما إن غلب عليه الروح فيكون منور الهيكل فيحب الخلق في الحق لقوله حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فأحببته في النعم عن أمره فمشهوده الحق و مهما وقعت الغيرة بين الضدين و رأى كل ضد ان مطلوبه ربما يتخلص لضده يقول أقتله حتى لا يظهر به ضدي دوني فإن قتلته الطبيعة مات و هو محب للاكوان و إن قتله الروح كان شهيدا حيا عند ربه يرزق فهو مقتول بكل حال كل محب في العالم و إن كان لا يشعر بذلك منصة و مجلى نعت المحب بأنه تألف و ذلك أنه خلقه الله من اسمه الظاهر و الباطن فجعله عالم غيب و شهادة و خلق له عقلا يفرق به بين حكم الاسمين لإقامة الوزن بين العالمين في ذاته ثم تجلى له في اسمه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فحيره فلم يعطه هذا التجلي إقامة الوزن و لا سيما و قد قال له وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فتلف من حيث لم ير حالا توجب العدل و إقامة الوزن فخرج عن حد التكليف إذ لا يكلف إلا عاقل لما تقيد بعقله فهذا نعت المحب بأنه تألف منصة و مجلى نعته بأنه سائر إليه بأسمائه و ذلك أنه تجلى له في أسماء الكون و تجلى له في أسمائه الحسنى فتخيل في تجليه بأسماء الكون أنه نزول من الحق في حقه و لم يك ذلك من أفقه فلما تخلق بأسمائه الحسنى غلبه ما جرت عليه طريقة أهل الله من التخلق و هو يتخيل أن أسماء الكون خلقت له لا لله و أن منزلة الحق فيها بمنزلة العبد في أسمائه الحسنى فقال لا أدخل عليه إلا بأسمائي و إذا خرجت إلى خلقه أخرج إليهم بأسمائه الحسنى تخلقا فلما دخل عليه بما يظن أنها أسماؤه و هي أسماء الكون عنده رأى ما رأته الأنبياء من الآيات في إسرائها و معارجها في الآفاق و في أنفسهم فرأى إن الكل أسماؤه تعالى و أن العبد لا اسم له حتى إن اسم العبد ليس له و إنه متخلق به كسائر الأسماء الحسنى فعلم إن السير إليه و الدخول عليه

و الحضور عنده ليس إلا بأسمائه و أن أسماء الكون أسماؤه فاستدرك الغلط بعد ما فرط ما فرط فجبر له هذا الشهود ما فاته حين فرق بين العابد و المعبود و هذا مجلى عزيز في منصة عظمى كانت غاية أبي يزيد البسطامي دونها فإن غايته ما قاله عن نفسه تقرب إلي بما ليس لي فهذا كان حظه من ربه و رآه غاية و كذلك هو فإنه غايته لا الغاية و هذه طريقة أخرى ما رأيتها لأحد من الأولياء ذوقا إلا للأنبياء و الرسل خاصة من هذا المجلى وصفوه سبحانه بما يسمى في علم الرسوم صفات التشبيه فيتخيلون إن الحق وصف نفسه بصفات الخلق فتأولوا ذلك و هذا المشهد يعطي أن كل اسم للكون فأصله للحق حقيقة و هو للخلق لفظا دون معنى و هو به متخلق فافهم منصة و مجلى

نعت المحب بأنه طيار علم صحيح ما عليه غبار

هذا بيت غير مقصود هو ما ذكرناه من أسماء الكون كان يتخيل أن تلك الأسماء وكره فلما تبين له أنه في غير وكره ظهر فطار عن كونه و كره و حلق في جو كونه اسما حقه فهو في كل نفس يطير منه إلى نفس آخر لأن عين الأسماء كلها لمن هو كل يوم في شأن فما من يوم و إلا و المحب يطير فيه من شأن إلى شأن هذا يعطيه شهوده منصة و مجلى نعت المحب بأنه دائم السهر لما رأى أن المحبوب لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ علم إن ذلك من مقام حبه لحفظ العالم و دعاه إلى هذا النظر كون الحق يتجلى في الصور و للصور أحكام و من أحكام بعض الصور النوم و رآه في مثل هذه الصورة لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ من حيث هذه الصورة فعلم إن ذلك من مقام حبه لحفظ العالم و إذا كان المحب جليس محبوبه و محبوبه بهذه الصفة فالنوم عليه حرام فالمحب يقول مع الفراق إن النوم عليه حرام فكيف مع الشهود و المجالسة قال بعضهم في سهر الفراق

النوم بعدكم علي حرام من فارق الأحباب كيف ينام

فالنوم مع المشاهدة أبعد و أبعد منصة و مجلى نعت المحب بأنه كامن الغم أي غمه مستور لا ظهور له فسبب ذلك قوله تعالى وَ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثم يرى في شهوده أنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه إذ هو محركها بما تتحرك فيه و يرى في شهوده ما يقابل الكون به خالقه من سوء الأدب و ما لا ينبغي أن يوصف به مما مدلوله العدم فيريد أن يتكلم و يبدي ما في نفسه من الغيرة التي تقتضيها المحبة ثم يرى أن ذلك بإذنه لأنه ممن يرى الله قبل الأشياء مقام أبي بكر فيسكن و لا يتمكن له أن يظهر غمه لأن الحب حكم عليه بأن ذلك الذي يعامل به المحبوب لا يليق به و يرى أنه سلط خلقه عليه بما أنطقهم به و ما عذرهم و أرسل الحجاب دونهم فكمن غم هذا المحب في الدنيا فإنه في الآخرة لا غم له و لهذا يطلب الخروج من الدنيا منصة و مجلى نعت المحب بأنه راغب في الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه هو لما ذكرناه في

هذا الفصل قبله لأن النفس من حقيقتها طلب الاستراحة و الغم تعب و كمونه أتعب و الدنيا محل الغموم و الذي تختص به هذه المنصة رغبته في لقاء محبوبه و هو لقاء خاص عينه الحق إذ هو المشهود في كل حال و لكن لما عين ما شاء من المواطن و جعله محلا للقاء مخصوص رغبنا فيه و لا نناله إلا بالخروج من الدار التي تنافي هذا اللقاء و هي الدار الدنيا خير النبي ص بين البقاء في الدنيا و الانتقال إلى الأخرى فقال الرفيق الأعلى فإنه في حال الدنيا في مرافقة أدنى و ورد في الخبر أنه من أحب لقاء الله يعني بالموت أحب الله لقاءه و من كره لقاء الله كره الله لقاءه فلقيه في الموت بما يكرهه و هو أن حجبه عنه و تجلى لمن أحب لقاه من عباده و لقاء الحق بالموت له طعم لا يكون في لقائه بالحياة الدنيا فنسبة لقائنا له بالموت نسبة قوله سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و الموت فينا فراغ لأرواحنا من تدبير أجسامها فأرادوا حب هذا المحب أن يحصل ذلك ذوقا و لا يكون ذلك إلا بالخروج من دار الدنيا بالموت لا بالحال و هو أن يفارق هذا الهيكل الذي وقعت له به هذه الألفة من حين ولد و ظهر به بل كان السبب في ظهوره ففرق الحق بينه و بين هذا الجسم لما ثبت من العلاقة بينهما و هو من حال الغيرة الإلهية على عبيده لحبه لهم فلا يريد أن يكون بينهم و بين غيره علاقة فخلق الموت و ابتلاهم به تمحيصا لدعواهم في محبته فإذا انقضى حكمه ذبحه يحيى ع بين الجنة و النار فلا يموت أحد من أهل الدارين فهذا سبب رغبتهم في الخروج من الدنيا إلى لقاء المحبوب لأن الغيرة نصب و يحيي الموت بالذبح حياة خاصة كما حكمنا بعد الموت فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا منصة و مجلى نعت المحب بأنه متبرم بصحبة ما يحول بينه و بين لقاء محبوبه هذا النعت أعم من الأول في المحب فإن العارف ما يحول بينه و بين لقاء محبوبه إلا العدم و ما هو ثم و ليس الوجود سواه فهو شاهده في كل عين تراه فليس بين المحب و المحبوب إلا حجاب الخلق فيعلم أن ثم خالقا و مخلوقا فلم يقدر على رفع صحبة هذه الحقيقة فإنها عينه و الشيء لا يرتفع عن نفسه و نفسه تحول بينه و بين لقاء محبوبه فهو متبرم بنفسه لكونه مخلوقا و صحبته لنفسه ذاتية لا ترتفع أبدا فلا يزال متبرما أبدا فلهذا يتبرم لأنه يتخيل أنه إذا فارق هذا الهيكل فارق التركيب فيرجع بسيطا لا ثاني له فينفرد بأحديته فيضربها في أحدية الحق و هو اللقاء فيكون الحق الخارج بعد الضرب لا هو فهذا يجعله يتبرم و العارف المحب لا يتبرم من هذا لمعرفته بالأمر على ما هو عليه كما ذكرناه في رسالة الاتحاد منصة و مجلى نعت المحب بأنه كثير التأوه و هو قوله إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ وصف الحق من كونه اسمه الرحمن أن له نفسا ينفس به عن عباده و في ذلك النفس ظهر العالم و لذلك جعل تكوين العالم بقول كُنْ و الحرف مقطع الهواء فالهواء يولده ما هو هو لأنه لا يظهر الحرف إلا عند انقطاع الهواء و الهواء نفس و لهذا الهواء في العناصر هو نفس الطبيعة و لهذا يقبل الحروف و هو ما يظهر فيه من الأصوات عند الهبوب و الظاهر من تلك الأصوات حرف الهاء و الهمزة و هما أقصى المخارج مخارج الحروف فإنهما مما يلي القلب و هما أول حروف الحلق بل حروف الصدر فهما أول حرف يصوره

المتنفس و ذلك هو التأوه لقربه من القلب الذي هو محل خروج النفس و انبعاثه فيظهر عنه جميع الحروف كما يظهر العالم بالتكوين عن قول كُنْ و هو سر عجيب سأذكره في باب النفس بفتح الفاء إن شاء الله فإذا تجلى الحق من قلب المحب و نظرت إليه عين البصيرة لأن القلب وسع الحق و رأى ما يقع من الذم على هذه النشأة الطبيعية و هي تحتوي على هذه الأسرار الإلهية و إنها من نفس الرحمن ظهرت في الكون فذمت و جهل قدرها فكثر منه التأوه لهذه القادحة لما يرى في ذلك من الوضوح و الجلاء و الناس في عماية عن ذلك لا يبصرون فيتأوه غيرة على الله و شفقة على المحجوبين لكون النبي ص جعل كمال الايمان في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه فلهذا يتأسف على من حرمه الله هذا الشهود و يتأوه لحبه في محبوبه من أجل ما يراه من عمى الخلق عنه و من شأن المحب الشفقة على المحبوب لأن الحب يعطي ذلك منصة و مجلى نعت المحب بأنه يستريح إلى كلام محبوبه و ذكره بتلاوة ذكره قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ فسمى كلامه ذكرا فاعلم إن أصل وجود الكون لم يكن عن صفة إلهية إلا عن صفة الكلام خاصة فإن الكون لم يعلم منه إلا كلامه و هو الذي سمع فالتذ في سماعه فلم يتمكن له إلا أن يكون و لهذا السماع مجبول على الحركة و الاضطراب و النقلة في السامعين لأن السامع عند ما سمع قول كن انتقل و تحرك من حال العدم إلى حال الوجود فتكون فمن هنا أصل حركة أهل السماع و هم أصحاب وجد و لا يلزم فيمن فإن الوجد لذاته يقتضي ما يقتضي و إنما المحبوب يختلف فالحب و الوجد و الشوق و جميع نعوت الحب وصف للحب كان المحبوب ما كان إلا أني اختصصت في هذا الكتاب الحب المتعلق بالله الذي هو المحبوب على الحقيقة و إن كان غير مشعور به في مواطن عند قوم و مشعورا به عند قوم و هم العارفون فما أحبوا إلا الله مع كونهم يحبون أرواحهم و أهليهم و أصحابهم فاعلم ذلك حتى إن بعض الصالحين حكى لنا عنه أنه قال إن قيسا المجنون كان من المحبين لله و جعل حجابه ليلى و كان من المولهين و أخذت صدق هذا القول من حكايته التي قال فيها لليلى إليك عني فإن حبك شغلني عنك و ما قربها و لا أدناها و من شأن الحب أن يطلب المحب الاتصال بالمحبوب و هذا الفعل نقيض المحبة و من شأن المحب أن يغشى عليه عند فجأة ورود المحبوب عليه و يدهش و هذا يقول لها إليك عني و ما دهش و لا فنى فتحقق عندي بهذا الفعل صدق ما قاله هذا العارف في حق قيس المجنون و ليس ببعيد فلله ضنائن من عباده فمن هناك استراح المحبون إلى كلام المحبوب و ذكره و القرآن كلامه و هو ذكر فلا يؤثرون شيئا على تلاوته لأنهم ينوبون فيه عنه فكأنه المتكلم كما قال فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ و التالي إنما هو محمد ص فأهل القرآن هم أهل الله و خاصته فهم الأحباب المحبون منصة و مجلى نعت المحب بأنه موافق لمحاب محبوبه هذا ما يكون إلا من نعوت المحبين لله خاصة لكونه تعالى لا يحد و لا يتقيد و هو المتجلي في الاسم القريب كما يتجلى في الاسم البعيد فهو البعيد القريب قال المحب وكل ما يفعل المحبوب محبوب فإذا فعل البعد كان محبوبه البعد عن المحبوب

لأنه محبوب المحبوب فإنه أحبه لحب المحبوب لا بنفسه و لا يحبه بحب المحبوب لا بنفسه حتى يكون المحبوب صفة له و إذا كان المحبوب من صفات المحب قام به و إذا قام به فهو في غاية الوصلة في عين البعد أوصل منه به في القرب لأنه في القرب بصفة نفسه لا بصفة محبوبه لأنه لا يقوم بالمحل علتان لمعلول واحد هذا لا يصح فما يحب القرب إلا لنفسه كما لا يحب البعد إلا بمحبوبه فهو في حب البعد أتم منه محبة في حب القرب و لنا في هذا المعنى

هوى بين الملاحة و الجمال يقاسيه القوي من الرجال

و يضعف عنه كل ضعيف قلب تقلب في النعيم و في الدلال

و تقليبي مع الهجران عندي ألذ من العناق مع الوصال

فإني في الوصال عبيد نفسي و في الهجران عبد للموالي

و شغلي بالحبيب بكل وجه أحب إلي من شغلي بحالي

ففي هذا الشعر ايثار مآثره المحبوبة و يتضمن ما أشرنا إليه في كلامنا قبله و أما قولنا إن المحبوب صفة المحب فيما ذكرناه فهو قوله تعالى فإذا أحببته كنت سمعه و بصره فجعل عينه سمع العبد و بصره فأثبت أنه صفته فما أحب المحب البعد إلا بمحبوبه و هذا غاية الوصلة في عين البعد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه خائف من ترك الحرمة في إقامة الخدمة و ذلك أنه لا يخاف من هذا إلا عارف متوسط لم يبلغ التحقيق في المعرفة إلا أنه يشعر به من غير ذوق سوى ذوق الشعور و هو محب و المحب مطيع لمحبوبه في جميع أوامره و تحقيق الأمر يعطي أن الآمر عين المأمور و المحب عين المحبوب إلا إن الظاهر يظهر بحسب ما تعطيه حقيقة المظهر و بالمظاهر تظهر التنوعات في الظاهر و تختلف الأحكام و الأسامي و بها يظهر الطائع و العاصي فالذي هو في مقام الشعور و لم يحصل في حد أن ينزل الأشياء منازلها في الظاهر يخاف أن يصدر منه ما يناقض الحرمة في خدمته إذ يقول ليس إلا هو كما يذهب إلى ذلك من يرى الأعيان عينا واحدة و لكن لا يعرف كيف فلا يزال يسيء الأدب لأنه أخذ ذلك عن غير ذوق و هذا مذهب من يرى أن المدبر أجسام الناس روح واحدة و أن عين روح زيد هو عين روح عمرو و فيه من الغلط ما قد ذكرناه في غير هذا الموضع و هو أنه يلزم ما يعلمه زيد لا يجهله عمرو لأن العالم من كل واحد عين روحه و هو واحد و الشيء الواحد لا يكون عالما بالشيء جاهلا به فيخاف المحب إن صدرت منه قلة حرمة بهفوة و غلط أن يستند فيها بعد وقوعها إلى ما ذكرناه فيحصل في قلة المبالاة بما يظهر عليه من ذلك و المحبة تأبى إلا حرمة المحبوب و إن كان المحب مدلا بحبه لغلبة الحب عليه و أنه يرى نفسه عين محبوبه فيقول أنا من أهوى و من أهوى أنا فهذا سبب خوفه لا غير (منصة و

مجلى) نعت المحب أن يستقل الكثير من نفسه في حق ربه و يستكثر القليل من حبيبه و ذلك أنه يفرق بين كونه محبا لما يرى في نفسه من الانكسار و الذلة و الدهش و الحيرة التي هي أثر الحب في المحبين و يرى نخوة المحبوب و تيهه و رياسته و إعجابه عليه فيرى أنه إذا أعطاه جميع ما يملكه فهو قليل لما أعطاه من نفسه و أن حق محبوبه أعظم عنده من حق نفسه بل لا يرى لنفسه حقا و إن كان في الحقيقة ما يسعى إلا في حق نفسه هكذا تعطيه المحبة كان لبعض الملوك مملوك يحبه اسمه إياس فدخل على الملك بعض جلسائه و رأى قدمي المملوك في حجر الملك و الملك يكبسهما فتعجب فقال إياس يا هذا ما هذه أقدام إياس هذه قلب الملك في حجره يكبسه هذا معنى قولنا إن المحب في حق نفسه يسعى فإنه له في ذلك الفعل لذة عظيمة لا ينالها إلا بذلك الفعل فالمحبوب ممتن عليه إذ أمكنه مما تقع للمحب به لذة من المحبوب فيرى المحب أي شيء جاء من المحبوب فهو كثير فهو إنعام سيد على عبد و أي شيء كان من المحب في حق المحبوب و لو كان تلف الروح و المهجة في رضاه لكان قليلا لأنه طاعة عبد لسيد محسان و ما قدروا الله حق قدره فالمحبوب غني فقليله كثير و المحب فقير فكثيره قليل و لكن و إن كان هذا نعت المحب عندهم فهو نعت محب ناقص المعرفة كثير الحب على عماية لأن المحب إذا كان المخلوق ليس له حتى يستقل أو يستكثر و أما إذا كان المحب الله فإنه يستكثر القليل من عبده و هو قوله فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و أما استقلاله الكثير في حق أحبابه من عباده فإن ما عند الله ما له نهاية و دخول ما لا نهاية له في الوجود محال فكل ما دخل في الوجود فهو متناه فإذا أضيف ما تناهي إلى ما لا يتناهى ظهر كأنه قليل أو كأنه لا شيء و إن كان كثيرا و هنا نظر يطول فاقتصرنا (منصة و مجلى) نعت المحب يعانق طاعة محبوبه و يجانب مخالفته قال شاعرهم

تعصى الإله و أنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

المحب عبد و العبد من وقف عند أوامر سيده و تجنب مخالفة أوامره و نواهيه فلا يراه حيث نهاه و لا يفقده حيث أمر لا يزال ماثلا بين يديه فإذا أمره رأى هذا المحب أنه قد امتن عليه حيث استعمله و أمره و إن هذا من عنايته به و إن فقد رؤيته و مشاهدته فيما شغله به فهو في نعيم و لذة بكونه يتصرف في مراسيم سيده و عن إذنه فإن كان المحب الله فأمر المحبوب له دعاؤه و رغبته فيما يعن له و يحبه ثم إنه يكره أشياء فيدعوه بصفة النهي مثل قوله لا تُزِغْ قُلُوبَنا و لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً و لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا به فهذا سؤال بصفة نهي فقد وقع منه الأمر و النهي لسيده و إجابة الحق هذا العبد من حيث هو محب لهذا العبد كالطاعة من العبد لأوامر سيده و مجانبة مخالفته (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه خارج عن نفسه بالكلية اعلم أن نفس الشخص الذي يتميز به عن كثير من المخلوقات إنما هو إرادته

فإذا ترك إرادته لما يريد به محبوبه فقد خرج عن نفسه بالكلية فلا تصرف له فإذا أراد به محبوبه أمرا ما و علم هذا المحب ما يريده محبوبه منه أو به سارع أو تهيأ لقبول ذلك و رأى أن ذلك التهيؤ و المسارعة من سلطنة الحب الذي تحكم فيه فلم ير المحبوب في محبه من ينازعه فيما يريده به أو منه لأنه خرج له عن نفسه بالكلية فلا إرادة له معه و لكن مع وجود نفسه و طلبه الاتصال به و إن لم يكن كذلك فهو في مرتبة الجماد الذي لا إرادة له فما له لذة إلا اللذة التي متعلقها التذاذ محبوبه بما يراه منه في قبوله المحب الله أوحى الله إلى موسى يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك يعني الدنيا و الآخرة لأنه العين المقصودة و هو رأس الأحباء محمد ص فالكل في تسخير هذه النشأة الإنسانية الأفلاك و ما تحتوي عليه و الكواكب و ما في سيرها هذا في الدنيا و أما في الآخرة فما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر حتى نهاية الأمر و هو التجلي الإلهي يوم الزور الأعظم فهذا معنى خروج المحب عن نفسه بالكلية في كل ما يمكن أن يحتاج إليه المحبوب و ما لا حاجة للمحبوب به و لا يعود عليه منه لذة و ابتهاج فلا يدخل تحت هذا الباب (منصة و مجلى) نعت المحب لا يطلب الدية في قتله لأنا قد وصفناه أولا بأنه مقتول قتل المحب شهادة فقتله حياته و الحي لا دية فيه إنما يؤدي القتيل الذي يموت فله شرعت الدية المحب الله كون العبد محبوبا إرادته نافذة لا إرادة للمحب تنازع إرادته المقتول لا إرادة له و من كان بإرادة محبوبه فلا إرادة له و إن كان مريدا و لا دية له لأن الحي لا دية فيه و الحياة الذاتية له و هو حب الفرائض إذا أداها أحبه الله ففي النوافل يكون سمع العبد و بصره و في الفرائض يكون العبد سمع الحق و بصره و لهذا ثبت العالم فإن الله لا ينظر إلى العالم إلا ببصر هذا العبد فلا يذهب العالم للمناسبة فلو نظر إلى العالم ببصره لاحترق العالم بسبحات وجهه فنظر الحق العالم ببصر الكامل المخلوق على الصورة هو عين الحجاب الذي بين العالم و بين السبحات المحرقة (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه يصبر على الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوبه من تدبيره الإنسان مجموع الطبع و النور فالطبع يطلبه و النور يطلبه و كلف النور أن يغتبن و يترك كثيرا مما ينبغي له و تطلبه حقيقته لما يطلبه الطبع من المصالح و أمر النور الذي هو الروح أن يوفيه حقه و هو قوله ص لمن قال له من أبر قال أمك ثلاث مرات ثم قال له في الرابعة ثم أباك فرجح بر الأم على بر الأب و الطبيعة الأم و هو قوله ص إن لنفسك عليك حقا و هي النفس الحيوانية و لعينك عليك حقا فهذا كله من حقوق الأم التي هي طبيعة الإنسان و أبوه هو الروح الإلهي و هو النور فإذا ترك أمورا كثيرة من محابه من حيث نوريته فإنه يتصف بأنه مضرور و هو مأمور بالصبر فهذا معنى يصبر على الضراء و إن كانت حقيقته تنفر من ذلك و لكن أمر الله أوجب ثم قال له في صبره وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ فإن الله تسمى بالاسم الصبور فكأنه قال له أنا على عزة جلالي قد وصفت نفسي بأني أوذى و إني أحلم و أصبر و تسميت بالصبور و أنا غير مأمور و لا محجور علي فأدخلت نفسي تحت محاب خلقي و تركت ما ينبغي لي لما ينبغي لخلقي إيثارا لهم و رحمة

مني بهم فأنت أحق بأن تصبر على الضراء بي أي بسبب أمري و بسبب كوني صبورا على أذى خلقي حين وصفوني بما لا يقتضيه جلالي و هذا من كون الله محبا في هذا المجلى و أما كونه كذلك لما كلفه محبوبه من تدبير نشأته الطبيعية فإذا كان المحبوب الخلق و المحب الحق فصورة التكليف ما يطلبه العبد من سيده إذا عرف أنه محبوب لسيده من تدبير مصالحه بشرط الموافقة لأغراضه و محابه فيفعل الحق معه ذلك فهذا ذلك المعنى الذي نعت به المحب (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه هائم القلب لما كان القلب سمي بذلك لكثرة تصرفاته و تقليبه كثرت وجوهه و توجهاته و هذه صفة الهائم و لا سيما إذا كان الحق يظهر له في كل وجه يتوجه إليه و في كل مصرف يتصرف فيه فإنه ناظر إلى عين محبوبه في كل وجه المحب الله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ما ترددت في شيء أنا فاعله كثرة الوجوه في الأمر الواحد تؤدي إلى التردد أيها يفعل و كلها رضي المحبوب فنحن لا نعرف الأرضى و هو يعرف الأرضى في حقنا غير أنا نعرف الأرضي ما بين النوافل و الفرائض فنقول الفرائض أرضى و لكن إذا اجتمعت بحكم التخيير كالكفارة التي فيها التخيير لا يعرف الأرضي إلا بتعريف مجدد و كذلك الأرضي في النوافل لا يعرف إلا بتوقيف و النوافل كثيرة و ما منها إلا مرضي من وجه و أرضى من وجه فلا بد من تعريف جديد ففي مثل هذا يكون المحب هائم القلب أي حائرا في الوجوه التي يريد أن يتقلب فيها (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مؤثر محبوبه على كل مصحوب لما كان العالم كله كل جزء منه عنده أمانة للإنسان و قد كلف بأداء الأمانة و أماناته كثيرة و لأدائها أوقات مخصوصة له في كل وقت أمانة منها ما نبه عليه أبو طالب من أن الفلك يجري بأنفاس الإنسان بل بنفس كل متنفس و المقصود الإنسان بالذكر خاصة لأنه بانتقاله ينتقل الملك و يتبعه حيث كان فلا يزال العالم يصحبه الإنسان لهذه العلة ثم إن الإنسان مفتقر لهذه الأمانات التي عند العالم و مع افتقاره إليها فإن المحبين من رجال الله العارفين شغلوا نفوسهم بما أمرهم به محبوبهم فهم ناظرون إليه حبا و هيما ناقد تيمهم بحبه و هيمهم بين بعده و قربه فمن هنا نعتوا بأنهم آثروه على كل مصحوب لأنه صاحبهم لقوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كل من في العالم يصحبه أيضا لأجل الأمانة التي بيده فيؤثر الإنسان لمحبته لله جناب الله على كل مصحوب قيل لسهل ما القوت قال الله قيل له ما نريد إلا ما تقع به الحياة قال الله فلم ير إلا الله فلما ألحوا عليه و قالوا له إنما نريد ما به عمارة هذا الجسم فلما رآهم ما فهموا عنه عدل إلى جواب آخر فقال دع الديار إلى بانيها إن شاء عمرها و إن شاء خربها يقول ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الهيكل الخاص و لا بد تشتغل هي بما كلفها المحبوب الذي هو عين حياتها و وجودها و أي بيت أسكنها فيه سكنته هذا إن كان يقول بعدم التجريد عن النشأة الطبيعية كما نقول و كما أعطاه الكشف و إن كان يقول بالتجريد عن الطبيعة و ارتفاع العلاقة فهو على كل حال ممن يؤثر الله على كل مصحوب المحب الله آثر الإنسان من كونه محبوبه على جميع العالم فأعطاه الصورة الكاملة و لم يعطها لأحد من أصناف

العالم و إن كان موصوفا بالطاعة و التسبيح لله فقد آثره على كل مصحوب قال تعالى وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً أعطاه جميع الأسماء كلها الإلهية فسبحه بكل اسم إلهي له بالكون تعلق و مجده و عظمه لا اسم القصعة و القصيعة الذي ذهب إليه من لا علم له بشرف الأمور و لذلك قالت الملائكة نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ و لا يقدس و لا يسبح إلا بأسمائه فأعلمهم بأن لله أسماء في العالم ما سبحته الملائكة و لا قدسته بها و قد علمها آدم فلما أحضر ما أحضره من خلقه مما لا علم للملائكة به ف فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ التي تسبحونى بها و تقدسوني قالُوا لا عِلْمَ لَنا فقال لآدم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ علموا إن لله أسماء لم يكن لهم بها علم يسبحه بها هؤلاء الذين خلقهم و علمها آدم فسبح الله بها كما قال للملائكة لما طافت به بالبيت ما كنتم تقولون قالت الملائكة كنا نقول في طوافنا به قبلك سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فقال لهم آدم و أنا أزيدكم لا حول و لا قوة إلا بالله أعطاها الله إياه من كنز من تحت العرش لم تكن الملائكة تعلم ذلك فلو أراد المفسر بقوله حتى القصعة و القصيعة الاسم الإلهي المتوجه على الصغير و الكبير فسبحه الصغير في تصغيره بما لا يسبحه به الكبير في تكبيره أصاب و إنما قصد لفظة القصعة و القصيعة و لا شرف في مثل هذا فإنه راجع لما يصطلح عليه إذ لها في كل لسان اسم مركب من حروف لا يشبه الاسم الآخر فليس المراد إلا ما تقع به الفائدة التي يماثل بها قول الملائكة في فخرها على الإنسان إنها مسبحة و مقدسة فاراها الله تعالى شرف آدم من حيث دعواها و هو ما ذكرناه ليس غيره و ما ثم في المخلوقات أشرف من الملك و مع هذا فقد فضل عليه الإنسان الكامل بعلم الأسماء فهو في هذه الحضرة و هذا المقام أفضل فهذا حد إيثار الحق له (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه محو في إثبات أما إثباته فظهر في تكليفه و من العبادات الفعلية في صلاته فقسمها بينه و بين عبده فأثبته و أما محوه في هذا الإثبات فقوله وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ و قوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ و قوله إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ و قوله وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ الله رَمى و قوله مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فهذا في غاية البيان من كتاب الله محو في إثبات فالمحب ما له تصرف إلا فيما يصرف فيه قد حبره حبه الآن يريد سوى ما يريده به و الحقيقة في نفس الأمر تأبى إلا ذلك و كل ما يجري منه فهو خلق لله و هو مفعول به لا فاعل فهو محل جريان الأمور عليه فهو محو في إثبات المحب الله محو في إثبات لا تقع العين إلا على فعل العبد فهذا محو الحق و لا يعطي الدليل العقلي و الكشف إلا وجود الحق لا وجود العبد و لا الكون فهذا إثبات الحق فهو محو في عالم الشهادة إثبات في حضرة الشهود (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه قد وطأ نفسه لما يريده به محبوبه و ذلك أن الحب لما حال بينه و بين رؤية الأسباب و لم يبق له نظر إلا إلى جناب محبوبه تعالى جهل ما يحتاج العالم إليه فيه و لا بد له في نفس الأمر أن يؤدي إليه ما يطلبه به من حقوقه كما قال ص و لزورك عليك حق فأتى بما يدخل فيه جميع العالم و هو الزيارة و هذا من جوامع كلمه فوطأ هذا المحب نفسه لما

يريده به محبوبه فعلم ما للعالم من الحقوق عليه من جهة ما أراده به محبوبه من تصريفه فيما صرفه و الحق حكيم فلا يحركه إلا في العمل الخاص و أداء الحق الخاص فيما يطلبه به من كان من العالم في ذلك الوقت فيعرف العالم من الله فيربح شهود الحق و هو قول الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فشاهد عين العالم في شهود الله المحب الله لما كان في نفس الأمر أن الحق سبحانه لا تقبل ذاته التصريف فيها و جعل في نفوس العالم الافتقار إليه فيما فيه بقاؤهم و مصالحهم و تمشية أغراضهم فكأنه قد وطأ نفسه لجميع ما يريدونه منه و ما يريدونه به و لهذا إذا سألوه فيما لم يجيء وقته قال لهم سَنَفْرُغُ لَكُمْ فهو الفاعل في كل حال و ليست ذاته بمحل لظهور الآثار فقد وقعت التوطئة أنه مهيأ لما يحتاج إليه الكون لا لنفسه و له في كل ما أوجده تسبيح هو غذاء ذلك الموجود فلهذا أخبر سبحانه أنه ما من شيء إلا و هو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قد ذكرناه في مقام الفتوة (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه متداخل الصفات و ذلك أن المحب يطلب الاتصال بالمحبوب و يطلب اتباع إرادة المحبوب و قد يريد المحبوب ما يناقض الاتصال فقد تداخلت صفات المحب في مثل هذا المحب الله هو الأول من عين ما هو آخر فدخلت آخريته على أوليته و دخلت أوليته على آخريته و ما ثم إلا عينه فأوليته عينه و آخريته عبده و هو محبوبه فقد تداخلت صفاته في صفات محبوبه فإن قلت عبد لم تخلص و إن قلت سيد لم تخلص و أنت صادق في الأمرين فهذا حكم التداخل (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ما له نفس مع محبوبه يقول ما هو مستريح مع محبوبه لأنه مراقب محبوبه في كل نفس يرى أين محابه فيتصرف فيها فلا يربح ذا عناء ببذل المجهود في رضي المحبوب و رضاه مجهول فلا راحة للمحب فهذا معنى قولهم ما له نفس أي لا يستريح من التنفيس و هو إزالة الكرب و الشدة و هذا نعت المحب الصادق في حبه المحب الله قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و لا يتصرف إلا في حق عباده و لا يقصد من عباده إلا أحبابه و ينتفع الباقي بحكم التبعية يأكلون فضلات موائدهم فشغله بمصالحهم دنيا و آخرة غير أنه موصوف بأنه لا يمسه لغوب يقول تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ و هو قوله أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ يعني في كل نفس هو تعالى في خلق جديد في عباده و هو قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و قال في أهل السعادة لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ مع كونهم في كل حال يتصرفون في حق الله لا في حق نفوسهم ثم إن ذلك يعود عليهم لا يقصدونه من أجل عوده عليهم بل الحقائق تعطي ذلك فلهذا وصف المحب بأنه لا نفس له مع محبوبه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه كله لمحبوبه و ذلك أنه مجموع و بحكم جمعيته ظهر عينه فآحاده لله إذ الأحدية لله و ليس المجموع سوى هذه الآحاد فكله لله فإن كل واحد من المجموع إذا ضربته في الواحد الحق كان الخارج من ذلك واحد الحق فهذا معنى كله لمحبوبه و هو واحد المجموع لأن المجموع له أحدية و على هذا يخرج إذا كان المحب الله فالكل في حق الله مع أحديته إنما ذلك الأسماء الإلهية و هي التسعة و التسعون فظهرت الكثرة في الأسماء فصح

اسم الكل و آحاد هذا الكل عين كل اسم على حدة يطلب من العبد ذلك الاسم حقيقة واحدة يظهر سلطانه فيها و لا تكون إلا واحدة فتضرب الواحد في الواحد فيظهر في الشاهد واحد العبد و هو المحبوب فكله لله لأن الأسماء كلها تظهر أحكامها في العبد و الأسماء لله فالكل للعبد المحبوب عند الله فما في الحضرة الإلهية شيء إلا للعبد المحبوب فَإِنَّ اللهَ بذاته غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فهو غني عن الكثرة و عن الدلالة عليه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه يعتب نفسه بنفسه في حق محبوبه و ذلك أن المحب يرى أنه يعجز عما لمحبوبه عليه من الحقوق التي أوجبها حبه عليه و لا علم له بطريق الإحاطة بمحاب محبوبه فيجهد في أنه يعمل بقد ر ما علم من ذلك ثم يقول لنفسه لو صدقت في حبك لكشف لك عن جميع محابه فإنك في دار التكليف و هي دار محصورة و محاب الحبيب فيها معينة بخلاف الآخرة فإنك مسرح العين فيها لأنها كلها محابه فلا عتاب هناك فلهذا عتب المحب هنا نفسه بنفسه في حق محبوبه المحب الله وصف نفسه بالتردد في حق حبه للعبد المؤمن إذ من حق المحبوب أن لا يعمل له المحب ما يكرهه و المحبوب يكره الموت و الحق يكره مساءته من حيث ما هو محبوب له فهذا معنى العتب و لا بد له من الموت لما سبق من العلم و لكن لجهل العبد بما له في اللقاء من الخير بخلاف المحبين فإنهم يحبون الموت لا للراحة بل للالتقاء مع المحبوب و من المحبين من يغلب عليه رضي المحبوب و يرى أنه لا يحصل ذلك على حالة يعرف بها قد ر حب المحب إلا بوجود التحجير و تميز ما يرضى مما يسخط و لا يكون له ذلك إلا في دار التكليف و أما في الآخرة فلا تحجير فيقع التساوي فيرتفع تميز قد ر المحب في تصرفه من غير المحب فيكره بعض المحبين الموت لهذا المعنى و هذا لصدقهم في المحبة و المحب الله أيضا في هذه الحقيقة و قد قضى بالموت على الجميع و كان غرض هذه الطائفة المخصوصة التي تريد التمييز أن لا يرتفع عنها التحجير لتعلم قد ر محبتها لسيدها على غيرها من الطوائف و يأبى سبق العلم بالكائن إلا أن يكون فهذا القد ر يسمى عتبا في حق الحق يميزه قوله تعالى فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ لا بل يميزه و يختا ر خاصة و الذي يفهم أيضا من قوله وَلَوْ شاءَ فهذا و أمثاله موجب العتب لا الإرادة و لا العلم فإن الحكم لهما فتفطن لما ذكرناه فكل ذلك أسرا ر إلهية غا روا عليها أصحابنا لما رأوا من عظيم قد رها و هو كما قالوه غير إن هذا الذي أبرزنا منها بالنظر إلى ما عندنا من العلم بالله قشر فهذا سبب أقدامنا على إبرا زه و لما فيه من المنفعة في حق العباد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ملتذ في دهش الدهش سببه فجأة المحبوب و هو المعبر عنه بالهجوم و سيأتي له باب في هذا الكتاب و لما كان الحق دعا قلوب العباد إليه و شرع لهم الطريق الموصلة المشروعة و تعرف إليهم بالدلالات فعرفوه و تحبب إليهم بالنعم فأحبوه فلما تجلى لهم على غير موعد عند ما دخلوا عليه و هم غير عا رفين بأنهم في حال دخول عليه فجئهم تجليه فعرفوه بالعلامة فدهشوا لفجأة التجلي و التذوا لعلمهم بالعلامة في نفوسهم أنه حبيبهم و مطلوبهم فهذا التذاذهم في دهش المحب الله وصف نفسه بالاختيا ر وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و

إنه لو شاء فعل و إنه لا مكره له و هو الصادق في قوله و ما حكم به على نفسه و هو أيضا المقيت فقد ترتبت الأمور ترتيب الحكمة ف لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ فهو في كل حال يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي فعل حكيم عالم بالمراتب فتأتيه أسئلة السائلين و ما يوافق توقيت الإجابة في عين ما سألوه فيه و قد تقرر أنه لا مكره له و لا بد من التوقف عند هذا السؤال لمناقضته إذا أجابه ترتيب الحكمة فهذا المقدار يسمى دهشا و أما التذاذه فإن السائل في ذلك محبوب فهو يحب سؤاله و دعاءه كما قد ورد في الخبر أن شخصين محبوب لله و بغيض سألا الله في حاجة فأوحى الله للملك أن يقضي حاجة البغيض مسرعا حتى يشتغل عن سؤاله لكونه يبغضه و يبغض صوته و يقول للملك توقف عن حاجة فلان فإني أحب أن أسمع صوته و سؤاله فإني أحبه فهذا مقضي الحاجة على بغض و هذا غير مقضي الحاجة مع حب و عناية فلو كشف لهذا المحبوب هذا السر في وقت تأخر الإجابة ما وسعه شيء من الفرح بذلك فالتوقف عن الإجابة كتوقف الداهش لصدق قوله في أنه لا مكره له و الالتذاذ علمه بأنه لا بد من وصوله إلى ما طلب و فرحه به فسبحان العزيز الحكيم (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه جاوز الحدود بعد حفظها هذا معين في أحباء أهل بدر فإنهم ممن جاوزوا الحدود بعد حفظها فقال لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم و أما في غير المعينين في العموم و هم معينون في الخصوص و قد عين الحق صفتهم فهو ما ذكر الله سبحانه في قوله أذنب عبد ذنبا فعلم إن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب فقال في الرابعة أو في الثالثة اعمل ما شئت فقد غفرت لك فأباح له و أخرجه من التحجير في الدنيا إذ كان الله لا يأمر بالفحشاء فما عصى الله صاحب هذه الصفة بل تصرف فيما أباحه الله له و قد كان قبل هذه الصفة من أهل الحدود فجاوزها بعد حفظها فهذا أعطاه شرف العلم مع وجود عقل التكليف بخلاف صاحب الحال فإن حكم صاحب الحال حكم المجنون الذي ارتفع عنه القلم فلا يكتب لا له و لا عليه و هذا يكتب له و لا عليه فهذا قدر ما بين العلم و الحال فما أشرف العلم فالمحب إذا كان صاحب علم هو أتم من كونه صاحب حال فالحال في هذه الدار الدنيا نقص و في الآخرة تمام و العلم هنا تمام و في الآخرة تمام و أتم المحب الله لما علم من عباده المحبين له أنهم غير مطالبين لله ما أوجبه لهم على نفسه جاوزوا الحدود بعد حفظها فأعطاهم ما أوجبه على نفسه و هو حفظها ثم أعطاهم بغير حساب و هو مجاوزته الحدود فإن الحد الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف و مجاوزة الحدود الزيادة في قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى و هو حفظ الحد وَ زِيادَةٌ و هي ما جاوز الحد هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه غيور على محبوبه منه و هذا أحق ما يوجد في حق من يحب الله و هذا مقام الشبلي أداه إلى ذلك تعظيم محبوبه في نفسه و حقارة قدره فرأى أنه لا يليق بذلك الجناب العزيز إدلال المحبين فإن المحبين لهم إدلال في الحضرة الإلهية إلا المحبين الموصوفين بالغيرة فإنهم لا إدلال لهم لما غلب عليهم من التعظيم فهم الموصوفون بالكتمان

و سببه الغيرة و الغيرة من نعوت المحبة فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين و هذا مقام رسول الله ص فإنه وصف نفسه بأنه أغير من سعد بعد ما وصف سعدا بأنه غيور فإني ببنية المبالغة في غيرة سعد ثم ذكر أنه ص أغير من سعد فستر محبته و ما لها من الوجد فيه بالمزاح و ملاعبة الصغير و إظهار حبه فيمن أحبه من أزواجه و أولاده و أصحابه هذا كله من باب الغيرة و قوله إِنَّما أَنَا بَشَرٌ فلم يجعل عند نفسه أنه من المحبين فجهلته طبيعته و تخيلت أنه معها لما رأته يمشي في حقها أو يؤثرها و لم تعلم بأن ذلك عن أمر محبوبه إياه بذلك فقيل إن محمدا ص يحب عائشة و الحسن و الحسين و ترك الخطبة يوم الجمعة و نزل إليهما لما رآهما يعثران في أذيالهما و صعد بهما و أتم خطبته هذا كله من باب الغيرة على المحبوب إن تنتهك حرمته و إن هذا ينبغي أن يكون الأمر عليه تعظيما للجناب الأقدس أن يعين ثم لا يظهر ذلك الاحترام من الكون فسدل ستر الغيرة في قلوب عباده المحبين المحب الله قال ص في هذا الحديث و الله أغير مني و من غيرته حرم الفواحش ليفتضح المحبون في دعواهم محبته فغار أن يدعي فيه الكاذب دعوى الصادق و لا يكون ثم ميزان يفصل بين الدعوتين فحرم الفواحش فمن ادعى محبته وقف عند حدوده فتبين الصادق من الكاذب و الكل بالله قائم فغار على محبوبه منه فأضاف الأفعال إليه لا إلى العبد حتى لا ينسب نقص للعبد (منصة و مجلى) نعت الحب بأنه يحكم حبه فيه على قدر عقله لأن عقله قيده فعقله قيده و ما خاطب تعالى إلا العقلاء و هم الذين تقيدوا بصفاتهم و ميزوها عن صفات خالقهم فلما وقع التباين حصل التقييد فكان العقل و لهذا أدلة العقول تميز بين الحق و العبد و الخالق و المخلوق فمن وقف مع عقله في حال حبه لم يتمكن أن يقبل من سلطان الحب إلا ما يقتضيه دليله النظري و من وقف مع قبول عقله لا مع نظر عقله فقبل من الحق ما وصف به نفسه تحكم فيه سلطان الحب بحسب ما قبله عقله من ذلك فالعقل بين النظر و القبول فحكم الحب في العقل الناظر و القابل ليس على السواء فافهم فإن هنا أسرارا المحب الله نسبة العقل إلينا نسبة العلم إليه فلا يكون إلا ما سبق به علمه كما لا يكون منا إلا قدر ما اقتضاه عقلنا فحكم حبه في خلقه لا يجاوز علمه و حكم حبنا فيه لا يجاوز عقلنا نظرا أو قبولا فافهم (منصة و مجلى) نعت الحب بأنه مثل الدابة جرحه جبار (حكي) أن خطافا راود خطافة كان يحبها في قبة لسليمان ع و كان سليمان ع في القبة فسمعه و هو يقول لها لقد بلغ مني حبك أن لو قلت لي أهدم هذه القبة على سليمان لفعلت فاستدعاه سليمان ع و قال له ما هذا الذي سمعته منك فقال يا سليمان لا تعجل علي إن للمحب لسانا لا يتكلم به إلا المجنون و أنا أحب هذه الأنثى فقلت ما سمعت و العشاق ما عليهم من سبيل فإنهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم و العقل فضحك سليمان و رحمه و لم يعاقبه فهذا جرح قد جعله جبارا و أهدره و لم يؤاخذه به كذلك المحب لله كل ما أعطاه إدلال الحب و صدق المودة من الخلل في ظاهر الأمر لا يؤاخذ به المحب فإن ذلك حكم الحب و الحب مزيل للعقل و ما يؤاخذ الله إلا العقلاء لا المحبين

فإنهم في أسره و تحت حكم سلطان أحب المحب الله جرحه جبار و هو الصادق و توعد على الخطيئة بما توعد به ثم عفا و لم يؤاخذ من غير توبة من العاصي بل امتنانا منه و فضلا فأهدر ما كان له أن يأخذ به كان ما اجترحه المسيء جبارا و ما توعده به الحق من وقوع الانتقام به جبار لأنه عفا عنه من غير سبب البهيمة لا تقصد ضرر العباد و لا تعقل فجرحها جبار المحب محكوم عليه فغيره هو القاتل فجرحه جبار فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب و لا النقص بجفائه هذا الحكم لا يكون إلا في محب أحبه لذاته عن تجل تجلى له فيه من اسمه الجميل فلا يزيد بالبر و لا ينقص بالإعراض بخلاف حب الإحسان و النعم فإنه يقبل الزيادة و النقص و هو الحب المعلول قالت المحبة لو قطعتني إربا إربا لم أزدد فيك إلا حبا يعني أنه لا ينقص حبنا لذلك و هو قول المرأة المحبة يقال إن هذا قول رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرجال حالا و مقاما و قد فصلت و قسمت رضي الله عنها و هو أعجب الطرق في الترجمة عن الحب

أحبك حبين حب الهوى　　و حبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى　　فشغلي بذكرك عمن سواك
و أما الذي أنت أهل له　　فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا و لا ذاك لي　　و لكن لك الحمد في ذا و ذاك

(و قالت الأخرى جارية عتاب الكاتب)

يا حبيب القلوب من لي سواكا　　ارحم اليوم زائرا قد أتاكا
أنت سؤلي و بغيتي و سروري　　قد أبى القلب أن يحب سواكا
يا منايا و سيدي و اعتمادي　　طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سؤلي من الجنان نعيما　　غير أني أريدها لأراكا

(و لنا في هذا النعت)

نعيمك أو عذابك لي سواء　　فحبك لا يحول و لا يزيد
فحبي في الذي تختار مني　　و حبك مثل خلقك لي جديد

هذا ميزان الاعتدال و هو الميزان الإلهي لا تؤثر فيه العوارض و لا يتأثر بالأحوال المحب الله لا ينتفع بالطاعة و لا يتضرر بالمخالفة من أحبه من عباده لم تضره الذنوب و لا قدحت في منزله بل بشره فقال عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ فقدم العفو على السؤال عندنا و على العتاب عند غيرنا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ فقدم المغفرة على الذنب و ليس يذنب عنده و إنما ذكره لتعرف العناية الإلهية بإحبابه لا ذنب لمحبوب و لا حسنة لمحب عند نفسه و مع هذا كله فإنه مقام خفي غير جلي سريع التفلت في المحب يتصور فيه المطالبة مع الأنفاس مدعية حافظ لميزانه إن أخل به قامت الحجة عليه من الجانبين فلا يحفظه إلا ذو معرفة تامة و ذو حب صادق قوي السلطان ثابت الحكم (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه غير مطلوب بالآداب إنما يطلب بالأدب من كان له عقل و صاحب الحب ولها ن مدله العقل لا تدبير له فهو غير مؤاخذ في كل ما يصد ر عنه إذا كان المحب الله فهو الكبير المالك مشرع الآداب في العقلاء مؤدب أوليائه كما قال ص إن الله أدبني فأحسن أدبي و السيد لا يقال يتأدب مع غلامه و إنما يقال السيد يعطي ما يستحقه العبد المحبوب عنده المكرم لديه منة منه و فضلا فالسيد غير مطالب بالأدب مع عبده و إن كان محبوبا له (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ناس حظه و حظ محبوبه استفرغه الحب فأنساه المحبوب و أنساه نفسه و هذا هو حب الحب و الحقيقة الإلهية التي صد رت منها هذه الحقيقة لا تنقال نعم تنقال إلا أنها من الأسرار التي لا تذاع فمن كشفها عرفها و لا يجوز له أن يعرف بها و آيتها من كتاب اللهَ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و من نسي صورته نسي نفسه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مخلوع النعوت المحب لا نعت له يقيد به و لا صفة فإنه بحيث يريد محبوبه أن يقيمه فيه فنعته ما يراد به و ما يراد به لا يعرفه فهو مخلوع النعوت المحب الله هو كامل لذاته لا يكمل بالزائد فلا نعت له و لا صفة لأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ف سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مجهول الأسماء قال الشاعر

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

فهذا مثل قولهم فيه إنه مخلوع النعوت فالعبودية له ذاتية فما له اسم معين سوى ما يسميه به محبوبه فبأي اسم سماه و دعاه به أجابه و لباه فإذا قيل للمحب ما اسمك يقول سل المحبوب فما سماني به فهو اسمي لا اسم لي أنا المجهول الذي لا يعرف و النكرة التي لا تتعرف المحب الله لا اسم له يدل على ذاته و إنما المألوه الذي هو محبوبه نظر إلى ما له فيه من أثر فسماه بآثا ره فقبل الحق ما سماه به فقال المألوه يا الله قال الله له لبيك قال المربوب يا رب قال له الرب لبيك قال المخلوق له يا خالق قال الخالق لبيك قال المرزوق يا رزاق قال الرزاق لبيك قال الضعيف يا قوي قال القوي أجبتك فأحوالنا تدعوه دعاء تحقيق فيتخذها أسماء و لهذا تختلف ألفاظها و تركيب حروفها بحسب اللسان و المعنى الموجب للاسم معقول عند المخلوقين فيقول العربي يا الله للذي يقول له الفارسي أي خداي و يقول له الرومي أيشا و

يقول له الأرمني أي اصفاج و يناديه التركي أي تنكري و يناديه الإفرنجي أي كريطور و يقول له الحبشي واق فهذه ألفاظ مختلفة لمعنى واحد مقصود من كل مخلوق فلهذا قلنا إنه مجهول الأسماء إذ الأسماء دلائل فالمحبوب بأي اسم دعا محبه أجابه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه كأنه سأل و ليس يسأل و هذا النعت يسمى البهت و السبات و لا يكون له هذا إلا في حال الاستغراق فيما عنده من حب محبوبه حتى إن محبوبه ربما يكون بإزائه و لا يعرفه به و يناديه و لا يعرف صوته مع نظره إليه فهو كالسالي في حاله و هو في غاية الهيمان فيه المحب الله يقول فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و يطالبهم بأنفاسهم أن يكون تنفسهم بذكره و إنه سَمِيعُ الدُّعاءِ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه لا يفرق بين الوصل و الهجر لشغله بما عنده من محبوبه فهو مشهوده دائما أو يكون كما قال القائل

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فهو في الحالتين صاحب شكوى فما تغير عليه الحال في عذاب دائم و أما نحن فعلى المذهب الأول ما لنا شغل إلا به فهو مشهودنا لا نعرف غيره و لا نشهد سواه و لنا في ذلك

شغلي بها وصلت ليلا و إن هجرت فما أبالي أطال الليل أم قصرا

المحب الله الكلمة الإلهية واحدة قال تعالى وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ لا تفريق عنده فبعده عين قربه و قربه عين بعده فهو البعيد القريب ما عنده وصل بنا فيقبل الفصل و لا هجر فيقبل الوصل

فعين الوصل عين الهجر فيه و ما يدريه إلا من رآه

(منصة و مجلى) نعت المحب بأنه متيم في إدلال المتيم الذي تعبده الحب و أذله مع إدلال يجده عنده و لا يعرف سببه سوى ما تعطي الحقائق من أن المحب يعطي المحبوب سيادته عليه فكأنه ولاة و من حالته هذه فلا بد أن تشم منه رائحة إدلال في إذلال و خضوع و هذا يعطيه مقام الحب المحب الله عبدي جعت فلم تطعمني ظمئت فلم تسقني مرضت فلم تعدني من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا فضاعف التقريب من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ فتضاعف الأجر إدلال و السؤال سؤال (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ذو تشويش و سبب ذلك جهله بما في نفس المحبوب فلا يدري بأي حالة يكون معه أما إذا كان الحق محبوبه فإنه قد عرف ذلك بما شرع له فلا يبقى عليه تشويش في قلبه إلا فيما منحه من الأسرار و ما حاباه به من اللطائف و هو يحب أن يحببه إلى خلقه حتى تجتمع الهمم و القلوب كلها عليه و لا يتمكن له ذلك إلا بإذاعة أسراره لأن النفوس مجبولة على حب المنح و الهبات و العطايا ثم إنه لا يعلم هل يرضى إذاعة تلك الأسرار به أم لا فهذا سبب تشويش قلوب المحبين لله المحب الله نفذ الأمر الإلهي بأن يؤمن من سبق

علمه فيه إنه لا يؤمن و قوله و علمه واحد فمن أي حقيقة قال آمرا من علم أنه لا يمتثل أمره فقد عرضه للمعصية وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فمن هنا صدر التشويش في العالم و اختلاف الأغراض و المنازعات (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه خارج عن الوزن التصرفات على الوزن المعتبر في الحكمة يطلب الفكر الصحيح و المحب لا فكرة له في تدبير الكون و إنما همه و شغله بذكر محبوبه قد أفرط فيه الخيال فلا يعرف المقادير فإن كان محبوبه الله لما وسعه قلبه فذلك الخارج عن الوزن فلا يزنه شيء ألا ترى إلى التلفظ بذكره و هي لفظة لا إله إلا الله لا تدخل الميزان و لما دخلت بطاقتها من حيث ما هي مكتوبة في الميزان لصاحب السجلات طاشت السجلات و ما وزنها شيء و لو وضعت أصناف العالم ما وزنتها و هي لفظة من قائل لم يتصف بالمحبة فما ظنك بقول محب فما ظنك بحاله فما ظنك بقلبه الذي هو أوسع من رحمة الله وسعته إنما كانت من رحمة الله فهذا من أعجب ما ظهر في الوجود إن اتساع القلب من رحمة الله و هو أوسع من رحمة الله يقول أبو يزيد لو أن العرش و ما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بها فكيف حال المحب المحب الله تعالى عن الموازنة محبوب الحق عند الحق لأن المحب لا يفارق محبوبه و ما عند الله باق فالمحبوب باق و ما يبقى ما يوازنه ما يفنى (منصة و مجلى) نعت المحب بكونه يقول عن نفسه إنه عين محبوبه لاستهلاكه فيه فلا يراه غير إله قال قائلهم في ذلك أنا من أهوى و من أهوى أنا و هذه حالة أبي يزيد المحب الله أحب بعض عباده فكان سمعه و بصره و لسانه و جميع قواه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مصطلم مجهود لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا لم قلت كذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله ص عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته و لا لشيء لم أفعله لم لم تفعله لأنه كان يرى تصريف محبوبه فيه و تصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم لا بل يستلذ لأن المحب مصطلم بنار تحرق كل شيء تجده في قلبه ما سوى محبوبه غيرة فهو يبذل المجهود و لا يرى أنه وفى و لا يخطر له أنه تحرك فيما يرضي محبوبه المحب الله في هذا الموطن لا تتحرك ذرة إلا بإذنه فكيف يقول لم و ما فعل إلا هو يقول الحق لمحبوبه أنا يدك اللازم له لكل محبوب تجل لا يكون لغيره فما يجتمع عنده اثنان و لا يصح فهذا الاصطلام و نعته بالمجهود ما نسب إليه من التردد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مهتوك الستر سره علانية فضيحة الدهر لا يعلم الكتمان قال المحب الصادق

من كان يزعم أن سيكتم حبه ... حتى يشكك فيه فهو كذوب

الحب أغلب للفؤاد بقهره ... من أن يرى للستر فيه نصيب

و إذا بدا سر اللبيب فإنه ... لم يبد إلا و الفتى مغلوب

إني لأحسد ذا هوى متحفظا ... لم تتهمه أعين و قلوب

الحب غلاب لا يبقي سترا إلا هتكه و لا سرا إلا أعلنه زفراته متصاعدة و عبراته متتابعة تشهد عليه جوارحه بما تحمله من الأسقام و السهر و تنم به أحواله إن تكلم تكلم بما لا يعقل ما له صبر و لا جلد همومه مترادفة و غمومه متضاعفة المحب الله إذا أحب الله العبد أوحى إلى الملك أن ينادي به في السموات إن الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فتقبله البواطن و إن أنكرته الظواهر من بعض الناس فلأغراض قامت بهم فإنهم في هذا الشأن مثل سجودهم لله كل من في العالم ساجد لله وَكَثِيرٌ من النَّاسِ ما قال كلهم و هكذا حب هذا العبد في قلوبهم و إن وضع له القبول في الأرض فتحبه بقاع الأرض كلها و جميع ما فيها و كثير من الناس على أصلهم في السجود لله سواء (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه لا يعلم أنه محب كثير الشوق لا يدري لمن عظيم الوجد لا يدري فيمن لا يتميز له محبوبه القرب المفرط حجاب فيجد آثار الحب و قد لبسته صورة محبوبه مما يحكم في خياله فيطلبه من خارج فلا يجد ما عانق من صورته في نفسه لكثافة الظاهر عن لطف الباطن المحب مع المعنى الذي يأخذه من المحبوب و يرفعه في نفسه و ذلك المعنى المرفوع عند المحب منه هو الذي يقلقه و يزعجه فهو فيه و لا يدرى أنه هو فيه فلا يطلبه إلا به اللطيف يغيب عن الحواس يقول و لا يعقل ما يقول و لا بقوله قلبي عند محبوبي

ضاع قلبي أين أطلبه ما أرى جسمي له وطنا

و لا بقوله محبوبي في قلبي لا أدري في أي الحالتين هو أصدق بجمع بين الضدين هو عندي ما هو عندي المحب الله تجلى الله لآدم و يداه مقبوضتان فقال يا آدم اختر أيتهما شئت قال اخترت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم و ذريته الحديث فآدم في القبضة و آدم خارج القبضة هكذا صورة المحبوب مع المحب هو فيه ما هو فيه فنعوته كثيرة لا تحصى و ليس لها حد فيبلغ بالبحث و الاستقصاء غير أن مشارب الحب متنوعة باختلاف المحبوب فإن عقلت عني فقد رميت بك على الطريق فإياك و التشبيه فالحب و الجد و الشوق و الكمد حقيقة واحدة لها نسب مختلفة لاختلاف المتعلق فهي نعوت تحكم سلطانها فيمن قامت به لا يرجع منها إلى المحبوب نعت و لا له فيها حكم إلا أن يكون محبا فافهم و هذا القدر كاف على الإيجاز في نعت المحبين في الجانبين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب التاسع و السبعون و مائة في معرفة مقام الخلة)

بخلة الكون يسد الخلل بخلة الحق فأكرم به

من نعت حق و رسولي هدى و ما له في الخلق من مشبه

إن عجزت عنه نفوس الورى فأنت من عالمه قم به

الخلة نعت إلهي يقول قائلهم

و تخللت مسلك الروح مني و بذا سمي الخليل خليلا

يعضده حال الحلاج و زليخا انكتب بدم زليخا يوسف حيث وقع و بدم الحلاج الله الله حيث وقع فأنشد

ما قد لي عضو ولا مفصل إلا و فيه لكم ذكر

إذا تخللت المعرفة بالله أجزاء العارف من حيث ما هو مركب فلا يبقى فيه جوهر فرد إلا و قد حلت فيه معرفة ربه فهو عارف به بكل جزء فيه و لولا ذلك ما انتظمت أجزاؤه و لا ظهر تركيبه و لا نظرت روحانيته طبيعته فبه تعالى انتظمت الأمور معنى و حسا و خيالا و كذلك أشكال خيال الإنسان لا تتناهى و ما ينتظم منها شكل إلا بالله و يكون حكمها في تلك الحضرة في المعرفة بالله حكم ما ذكرناه في الصورة الحسية و الروحانية هكذا في كل موجود فإذا أحس الإنسان بما ذكرناه و تحقق به وجودا و شهودا كان خليلا من حصل في هذا المقام كان حاله في العالم نعت الحق فبه يرزق مع كفر النعم و يملي ليزداد ذلك الشخص إثما فيظهر عظم المغفرة و سلطان العفو و التجاوز (حكاية) نزل ضيف من غير ملة إبراهيم ع بإبراهيم ع فقال له إبراهيم ع وحد الله حتى أكرمك و أضيفك فقال يا إبراهيم من أجل لقمة أترك ديني و دين آبائي فانصرف عنه فأوحى الله إليه يا إبراهيم صدقك لي سبعون سنة أرزقه و هو يشرك بي فتريد أنت منه أن يترك دينه و دين آبائه لأجل لقمة فلحقه إبراهيم ع و سأله الرجوع إليه ليقربه و اعتذر إليه فقال له المشرك يا إبراهيم ما بدا لك فقال إن ربي عتبني فيك و قال لي أنا أرزقه منذ سبعين سنة على كفره بي و أنت تريد منه أن يترك دينه و دين آبائه لأجل لقمة فقال المشرك أ و قد وقع هذا مثل هذا ينبغي أن يعبد فأسلم و رجع مع إبراهيم ع إلى منزله ثم عمت كرامته خلق الله من كل وارد ورد عليه فقيل له في ذلك فقال تعلمت الكرم من ربي رأيته لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم فأوحى الله إليه أنت خليلي حقا قال رسول الله ص المرء على دين خليل فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه و كل خليل بالمقارن مقتد

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم و لا تصحب الأردى فتردى مع الردي

قيل لبعضهم من أحب الناس إليك قال أخي إذا كان خليلي علامة الخليل أن يسد خلة صاحبه بما أمكنه فإذا لم يستطع قاسمه في همه كما قيل

خليلي من يقاسمني همومي ويرمي بالعداوة من رماني

(وقال الآخر)

ما أنا إلا لمن بغاني أرى خليلي كما يراني

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و قد قلنا بأن الخليل على دين خليله و هؤلاء الموصوفون بأنهم أعداء الله مع كون الله يحسن إليهم فذلك لجهلهم به و حجب الأسباب دونه في أعينهم فلا يعلمون إلا ما شاهدوه فمن أراد تحصيل هذا المقام و أن يكون خليلا للرحمن يجمع بين الآية في قوله لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مع جهل الأعداء به إن الإحسان منه تعالى و هو محسن إليهم مع عداوتهم و لم يجعل في قلوبهم الشعور بذلك فينبغي للإنسان الطالب مقام الخلة أن يحسن عامة لجميع خلق الله كافرهم و مؤمنهم طائعهم و عاصيهم و أن يقوم في العالم مع قوته مقام الحق فيهم من شمول الرحمة و عموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أن ذلك الإحسان منه و يوصل الإحسان إليهم من حيث لا يعلمون فمن عامل الخلق بهذه الطريقة و هي طريقة سهلة فإني دخلتها و ذقتها فما رأيت أسهل منها و لا ألطف و ما فوق لذتها لذة فإذا كان العبد بهذه المثابة صحت له الخلة و إذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فدعا الله لهم في نفسه بينه و بين ربه هكذا تكون حالة الخليل فهو رحمة كله و لو لا الرحمة الإلهية ما كان الله يقول وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها و ما كان الله يقول حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أ ليس هذا كله إبقاء عليهم و لو لا ما سبقت الكلمة و كان وقوع خلاف المعلوم محالا ما تألمت ذرة في العالم فلا بد من نفوذ الكلمة ثم يكون المال للرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فهو في الدنيا يرزق مع الكفر و يعافي و يرحم فكيف مع الايمان و الاعتراف في الدار الآخرة على الكشف كما كان في قبض الذرية فعقابهم و عذابهم تطهير و تنظيف كأمراض المؤمنين و ما ابتلوا به في الدنيا من مقاساة البلايا و حلول الرزايا مع إيمانهم ثم دخول بعض أهل الكبائر النار مع إيمانهم و توحيدهم إلى أن يخرجوا بالشفاعة ثم إخراج الحق من النار من لم يعمل خيرا قط حتى الساكنين في جهنم لهم فيها حال يستعذبونها و بهذا سمي العذاب عذابا فالخليل على عادة خليله و هو قوله ص المرء على دين خليله أي على عادة خليله قال إمرؤ القيس

كدينك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

يقول كعادتك فمن كانت عادته في خلق الله ما عودهم الله من لطائف مننه و أسبغ عليهم من جزيل نعمه و أعطف بعضهم على بعض فلم يظهر في العالم غضب لا تشوبه رحمة و لا عداوة لا تتخللها مودة فذلك يستحق اسم الخلة لقيامه بحقها و استيفائه شروطها لو لم يكن من عظيم الرجاء في شمول الرحمة إلا قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فإذا استقرت الرحمة في العرش الحاوي على جميع أجسام العالم فكل ما يناقضها أو يريد رفعها من الأسماء و الصفات فعوارض لا أصل لها في البقاء لأن الحكم للمستولي و هو الرحمن ف إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فابحث على صفات إبراهيم ع و قم بها عسى الله أن يرزقك بركته فإنه بالخلة قام بها ما هي أوجبت له الخلة فلهذا دللناك على التخلق بأخلاق الله و قد قال ص بعثت لأتمم مكارم الأخلاق و معنى هذا أنه لما قسمت الأخلاق إلى مكارم و إلى سفساف و ظهرت مكارم الأخلاق كلها في الشرائع على الأنبياء و الرسل و تبين سفسافها من مكارمها عند الجميع و ما في العالم على ما يقوم عليه الدليل و يعطيه الكشف و المعرفة إلا أخلاق الله فكلها مكارم فما ثم سفساف أخلاق فبعث رسول الله ص بالكلمة الجامعة إلى الناس كافة و أوتي جوامع الكلم و كل نبي تقدمه على شرع خاص فأخبر ص أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق لأنها أخلاق الله فالحق ما قيل فيه إنه سفساف أخلاق بمكارم الأخلاق فصار الكل مكارم أخلاق فما ترك ص في العالم سفساف أخلاق جملة واحدة لمن عرف مقصد الشرع فأبان لنا مصارف لهذا المسمى سفساف أخلاق من حرص و حسد و شره و بخل و فزع و كل صفة مذمومة فأعطانا لها مصارف إذا أجريناها على تلك المصارف عادت مكارم أخلاق و زال عنها اسم الذم و كانت محمودة فتمم الله به مكارم الأخلاق فلا ضد له كما أنه لا ضد للحق و كل ما في الكون أخلاقه فكلها مكارم و لكن لا تعرف و ما أمر الله باجتناب ما يجتنب منها إلا لاعتقادهم فيها إنها سفساف أخلاق و أوحى إلى نبيه أن يبين مصارفها ليتنبهوا فمنا من علم و منا من جهل فهذا معنى قوله إنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق و به كان خاتما

(الباب الثمانون و مائة في معرفة مقام الشوق و الاشتياق و هو من نعوت المحبين العشاق)

شوق بتحصيل الوصال يزول ... و الاشتياق مع الوصال يكون

إن التخيل للفراق يديمه ... عند اللقاء فربه مغبون

من قال هون صعبة قلنا له ... ما كل صعب في الوجود يهون

هو من صفات العشق لا من غيره ... و العشق داء في القلوب دفين

ما حكم هذا النعت إلا هاهنا ... و هناك يذهب عينه و يبين

يقول بعض العشاق

فأبكي إن نأوا شوقا إليهم وأبكي إن دنوا خوف الفراق

الشوق يسكن باللقاء فإنه هبوب القلب إلى غائب فإذا ورد سكن و الاشتياق حركة يجدها المحب عند اجتماعه بمحبوبه فرحا به لا يقدر يبلغ غاية وجده فيه فلو بلغ سكن لأنه لا يشبع منه فإن الحس لا يفي بما يقوم في النفس من تعلقها بالمحبوب فهو كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا قال ع منهومان لا يشبعان طالب علم و طالب دنيا من حيث ما هو محب في تحصيل كل واحد منهما و ما للعلم غاية ينتهي إليها فلهذا لا يشبع و كذلك الدنيا فإنها مشتهي النفوس و الشهوة تطلبها و قد تجلى ذلك المشتهي في صورة قريبة تسمى دنيا فتعلقت الشهوة بها ثم تنتقل إلى الآخرة في الجنة فتتبعها الشهوة فلا تشبع أبدا لأنها صورة لا يتناهى أمدها و لو لا الشهوة ما طابت الجنة فالشوق ما سكن و الاشتياق ما بقي و لنا في هذا الباب

ليس يصفو عيش من ذاق الهوى دون أن يلقى الذي يعشقه

فإذا أبصره يكمه ذلك المعنى الذي يقلقه

و هو معنى حكمه مختلف عند من يعرف ما أطلقه

لما كان الحب لا يتعلق إلا بمعدوم كما قدمناه في باب المحبة كذلك الشوق لا يصح أن يتعلق بحاضر و إنما متعلقة غائب غير مشهود له في الحال و لذا كان الشوق من أوصاف المحبة و لهذا يطرد و ينعكس فيقال كل محب مشتاق و كل مشتاق محب و من ليس بمشتاق فليس بمحب و من ليس بمحب فليس بمشتاق و قد ورد خبر لا علم لي بصحته إن الله تعالى ذكر لمشتاقين إليه و قال عن نفسه إنه أشد شوقا إليهم كما يليق بجلاله فشوقه إليهم أن ينيلهم الراحة بلقاء من اشتاقوا إليه و الوقت المقدر الذي لا يتبدل لم يصل فلا بد من تأخر وجود ما وقع الشوق الإلهي إليه هذا إن صح الخبر و لا علم لي به لا من الكشف و لا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور و قد اتصفت الجنة بالاشتياق إلى علي و سلمان و عمار و بلال و تكلم الناس في ذلك من حيث اشتقاق أسماء هؤلاء من العلو و السلامة و العمران و الاستبلال و لكن ما هو محقق فإن الشوق أمر ذوقي و لو خطر لي هذا الخبر حين رأيت الجنة لسألتها عن شوقها لهؤلاء دون غيرهم فإنها أعرف بالسبب الذي أداها إلى الشوق لهؤلاء الأربعة و كذلك النبي ص قد رأيته مرارا و سألته عن أشياء و ما خطر لي أن أسأله عن شوق الجنة لهؤلاء بل غلني ما كان أهم علي منه و الشوق علم ذوق يعرفه كل مشتاق من نفسه

(الباب الأحد و الثمانون و مائة في معرفة مقام احترام الشيوخ)

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم بها أدبا لله بالله

هم الأدلاء و القربى تؤيدهم على الدلالة تأييدا على الله

الوارثون هم للرسل أجمعهم فما حديثهم إلا عن الله

كالأنبياء تراهم في محاربهم لا يسألون من الله سوى الله

فإن بدا منهم حال تولهم عن الشريعة فاتركهم مع الله

لا تتبعهم و لا تسلك لهم أثرا فإنهم طلقاء الله في الله

لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه و لو جاء بالإنباء عن الله

و لما رأينا في هذا الزمان جهل المريدين بمراتب شيوخهم قلنا في ذلك

جهلت مقادير الشيوخ أهل المشاهد و الرسوخ

و استنزلت ألفاظهم جهلا و كان لها الشموخ

الشيوخ نواب الحق في العالم كالرسل ع في زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء ع غير أنهم لا يشرعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة في العموم ما لهم التشريع و لهم حفظ القلوب و مراعاة الآداب في الخصوص هم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة فالطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن الإنساني خاصة و العالم بعلم الطبيعة يعرفها مطلقا و إن لم يكن طبيبا و قد يجمع الشيخ بين الأمرين و لكن حظ الشيخوخة من العلم بالله أن يعرف من الناس موارد حركاتهم و مصادرها و العلم بالخواطر مذمومها و محمودها و موضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود و يعرف الأنفاس و النظرة و يعرف ما لهما و ما يحويان عليه من الخير الذي يرضى الله و من الشر الذي يسخط الله و يعرف العلل و الأدوية و يعرف الأزمنة و السن و الأمكنة و الأغذية و ما يصلح المزاج و ما يفسده و الفرق بين الكشف الحقيقي و الكشف الخيالي و يعلم التجلي الإلهي و يعلم التربية و انتقال المريد من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة و يعلم متى يترك التحكم في طبيعة المريد و يتحكم في عقله و متى يصدق المريد خواطره و يعلم ما للنفس من الأحكام و ما للشيطان من الأحكام و ما تحت قدرة الشيطان و يعلم الحجب التي تعصم الإنسان من إلقاء الشياطين في قلبه و يعلم ما تكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد و يفرق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الروحاني و بين الفتح الإلهي و يعلم بالشم أهل الطريق الذين يصلحون له من الذين لا يصلحون و يعلم التحلية التي يحلي بها نفوس المريدين الذين هم عرائس

الحق و هم له كالماشطة للعروس تزينها فهم أدباء الله عالمون بآداب الحضرة و ما تستحقه من الحرمة و الجامع لمقام الشيخوخة إن الشيخ عبارة عمن جمع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته و سلوكه و كشفه إلى أن ينتهي إلى الأهلية للشيخوخة و جميع ما يحتاج إليه المريد إذا مرض خاطره و قلبه بشبهة وقعت له لا يعرف صحتها من سقمها كما وقع لسهل في سجود القلب و كما وقع لشيخنا حين قيل له أنت عيسى بن مريم فيداويه الشيخ بما ينبغي و كذلك إذا ابتلي من يخرج ليسمع من الحق من خارج لا من نفسه بمحرم يؤمر بفعله أو ينهى عن واجب فيكون الشيخ عارفا بتخليصه من ذلك حتى لا يجري عليه لسان ذنب مع صحة المقام الذي هو فيه فهم أطباء دين الله فمهما نقصهم شيء مما يحتاجون إليه في التربية فلا يحل له أن يقعد على منصة الشيخوخة فإنه يفسد أكثر مما يصلح و يفتن كالمتطبب يعل الصحيح و يقتل المريض فإذا انتهى إلى هذا الحد فهو شيخ في طريق الله يجب على كل مريد حرمته و القيام بخدمته و الوقوف عند مراسمه لا يكتم عنه شيئا مما يعلم أن الله يعلمه منه يخدمه ما دامت له حرمة عنده فإن سقطت حرمته من قلبه فلا يقعد عنده ساعة واحدة فإنه لا ينتفع به و يتضرر فإن الصحبة إنما تقع المنفعة فيها بالحرمة فمتى ما رجعت الحرمة له في قلبه حينئذ يخدمه و ينتفع به فإن الشيوخ على حالين شيوخ عارفون بالكتاب و السنة قائلون بها في ظواهرهم متحققون بها في سرائرهم يراعون حدود الله و يوفون بعهد الله قائمون بمراسم الشريعة لا يتأولون في الورع آخذون بالاحتياط مجانبون لأهل التخليط مشفقون على الأمة لا يمقتون أحدا من العصاة يحبون ما أحب الله و يبغضون ما أبغض الله ببغض الله لا تأخذهم في الله لومة لائم يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ المجمع عليه يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ و يعفون عن الناس يوقرون الكبير و يرحمون الصغير و يميطون الأذى عن طريق الله و طريق الناس يدعون في الخير بالأوجب فالأوجب يؤدون الحقوق إلى أهلها يبرون إخوانهم بل الناس أجمعهم لا يقتصرون بالجود على معارفهم جودهم مطلق الكبير لهم أب و المثل لهم أخ و كفؤ و الصغير لهم ابن و جميع الخلق لهم عائلة يتفقدون حوائجهم إن أطاعوا رأوا الحق موفقهم في طاعتهم إياه و إن عصوا سارعوا بالتوبة و الحياء من الله و لاموا نفوسهم على ما صدر منهم و لا يهربون في معاصيهم إلى القضاء و القدر فإنه سوء أدب مع الله هينون لينون ذوو مقة رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً في نظرهم رحمة لعباد الله كأنهم يبكون الهم عليهم أغلب من الفرح لما يعطيه موطن التكليف فمثل هؤلاء هم الذين يقتدي بهم و يجب احترامهم و هم الذين إذا رؤوا ذكر الله و طائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديد ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ تسلم لهم أحوالهم و لا يصحبون و لو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى إن يظهر لا يعول عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع فإنه لا طريق لنا إلى الله إلا ما شرعه فمن قال بأن ثم طريقا إلى الله خلاف ما شرع فقوله زور فلا يقتدى بشيخ لا أدب له و إن كان صادقا في حاله و لكن يحترم و اعلم أن حرمة الحق في حرمة الشيخ و عقوقه في

عقوقه هم حجاب الحق الحافظون أحوال القلوب على المريدين فمن صحب شيخا ممن يقتدي به و لم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق في قلبه و الغفلة عن الله و سوء الأدب عليه يدخل عليه في كلامه و يزاحمه في رتبته فإن وجود الحق إنما يكون للادباء و الباب دون غير الأدباء مغلق و لا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيوخ قال بعض أهل الله في مجالس أهل الله من قعد معهم في مجالسهم و خالفهم في شيء مما يتحققون به في أحوالهم نزع الله نور الايمان من قلبه فالجلوس معهم خطر و جليسهم على خطر و اختلف أصحابنا في حق المريد مع شيخ آخر خلاف شيخه هل حاله معه من جانب الحق مثل شيخه أم لا فكلهم قالوا بوجوب حرمته عليه و لا بد هذا موضع إجماعهم و ما عدا هذا فمنهم من قال حاله معه على السواء من حاله مع شيخه و منهم من فصل و قال لا تكون الصورة واحدة إلا بعد أن يعلم المريد أن ذلك الشيخ الآخر ممن يقتدي به في الطريق و أما إذا لم يعرف ذلك فلا و لهذا وجه و للآخر وجه النبي ص يقول للمرأة إنما الصبر عند الصدمة الأولى و كانت قد جهلت أنه رسول الله ص و المريد لا يقصد إلا الحق فإذا ظهر مقصوده حيث ظهر قال به و أخذه فإن الرجال إنما يعرفون بالحق لا يعرف الحق بهم و الأصل إنه كما لم يكن وجود العالم بين الهين و لا المكلف بين رسولين مختلفي الشرائع و لا امرأة بين زوجين كذلك لا يكون المريد بين شيخين إذا كان مريد تربية فإن كانت صحبة بلا تربية فلا يبالي بصحبة الشيوخ كلهم لأنه ليس تحت حكمهم و هذه الصحبة تسمى صحبة البركة غير أنه لا يجيء منه رجل في طريق الله فالحرمة أصل في الفلاح

(الباب الثاني و الثمانون و مائة في معرفة مقام السماع)

خذها إليك نصيحة من مشفق ... ليس السماع سوى السماع المطلق

و احذر من التقييد فيه فإنه ... قول يفند كل عند محقق

أن السماع من الكتاب هو الذي ... يدريه كل معلم و مطرق

إن التغني بالقرآن سماعنا ... و الحق ينطق عند كل منطق

و الله يسمع ما يقول عبيده ... من قوله فسماعه بتحقق

أصل الوجود سماعنا من قول كُنْ ... فبه نكون و نحن عين المنطق

انظر إلى تقديمه في آية ... تعثر على العلم الشريف المرهق

فالسمع أشرف ما تحقق عارف ... بتعلق و تحقق و تخلق

قال تعالى سَمِيعٌ عَلِيمٌ و قال سَمِيعٌ بَصِيرٌ فقدمه على العلم و البصر أول شيء علمناه من الحق و تعلق به منا القول منه و السماع منا فكان عنه الوجود و كذلك نقول في هذا الطريق كل سماع لا يكون عنه وجد و عن ذلك الوجد وجود فليس بسماع فهذه رتبة السماع التي يرجع إليها أهل الله و يسمعون فقوله تعالى للشيء قبل كونه كن هو الذي يراه أهل السماع في قول القائل و تهيؤ السامع المقول له كن للتكوين بمنزلة الوجد في السماع ثم وجوده في عينه عن قوله كن كما قال تعالى كُنْ فَيَكُونُ بمنزلة الوجود الذي يجده أهل السماع في قلوبهم من العلم بالله الذي أعطاهم السماع في حال الوجد فمن لم يسمع سماع وجود فما سمع و لهذا جعل القوم الوجود بعد الوجد و لما لم يصح الوجود أعني وجود العالم إلا بالقول من الله و السماع من العالم لم يظهر وجود طرق السعادة و علم الفرق بينها و بين طرق الشقاء إلا بالقول الإلهي و السماع الكوني فجاءت الرسل بالقول جميعهم من قرآن و توراة و إنجيل و زبور و صحف فما ثم إلا قول و سماع غير هذين لم يكن فلو لا القول ما علم مراد المريد ما يريده منا و لو لا السمع ما وصلنا إلى تحصيل ما قبل لنا فبالقول تتصرف و عن القول تتصرف مع السماع فهما مرتبطان لا يصح استقلال واحد منهما دون الآخر و هما نسبتان فبالقول و السماع نعلم ما في نفس الحق إذ لا علم لنا إلا بإعلامه و إعلامه بقوله و لا يشترط في القول الآلة و لا في السماع بل قد يكون بآلة و بغير آلة و أعني بآلة القول اللسان و آلة السماع الأذن فإذا علمت مرتبة السماع في الوجود و تميزه عن غيره من النسب فاعلم أن السماع عند أهل الله مطلق و مقيد فالمطلق هو الذي عليه أهل الله و لكن يحتاجون فيه إلى علم عظيم بالموازين حتى يفرقوا بين قول الامتثال و بين قول الابتلاء و ليس يدرك ذلك كل أحد و من أرسله من غير ميزان ضل و أضل و المقيد هو السماع المقيد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله و هو الذي يريدونه غالبا بالسماع لا السماع المطلق فالسماع على هذا الحد ينقسم على ثلاثة أقسام سماع إلهي و سماع روحاني و سماع طبيعي فالسماع الإلهي بالأسرار و هو السماع من كل شيء و في كل شيء و بكل شيء و الوجود عندهم كله كلمات الله و كلماته لا تنفد و لهم في مقابلة هذه الكلمات إسماع لا تنفد تحدث لهم هذه الأسماع في سرائرهم بحدوث الكلمات و هو قوله ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ فمنهم من أعرض بعد السماع و منهم من وقف عند ما سمع و هذا مقام لا يعلمه كل أحد و ما في الوجود إلا هو و لكن يجهل و لا يعلم و هو يتعلق بأسماء الله تعالى على كثرتها فلكل اسم لسان و لكل لسان قول و لكل قول منا سمع و العين واحد من القائل و السامع فإن كان نداء أجبنا و امتثلنا و كان من قوله إن قال لنا ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فكما قال و سمعنا أمرنا عند ما جعل فينا قوة القول أن نقول فيسمع هو تعالى فمنا من يقول به كما قال إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فكلام صاحب هذا المقام كله نيابة و منا من يقول بنفسه في زعمه و ما هو كذلك في نفس الأمر فإن الله عند لسان كل قائل فكما أنه ليس في الوجود إلا الله كذلك ما ثم

قائل و لا سامع إلا الله و كما قسمنا قولنا بين من يقول بالله و يقوله بنفسه كذلك سماعنا منا من يسمع بربه و هو قوله كنت سمعه الذي يسمع به و منا من يسمع بنفسه في زعمه و الأمر على خلافه فهذا هو السماع الإلهي و هو سار في جميع المسموعات و أما السماع الروحاني فمتعلقه صريف الأقلام الإلهية في لوح الوجود المحفوظ من التغيير و التبديل فالوجود كله رق منشور و العالم فيه كتاب مسطور فالأقلام تنطق و آذان العقول تسمع و الكلمات ترتقم فتشهد و عين شهودها عين الفهم فيها بغير زيادة و لا ينال هذا السماع إلا العقول التي ظهرت لمستوي و لما كان السماع أصله على التربيع و كان أصله عن ذات و نسبة و توجه و قول فظهر الوجود بالسماع الإلهي كذلك السماع الروحاني عن ذات و يد و قلم و صريف قلم فيكون الوجود للنفس الناطقة في سماع صريف هذه الأقلام في ألواح القلوب بالتقليب و التصريف و كذلك السماع الطبيعي مبناه على أربعة أمور محققة فإن الطبيعة مربعة معقولة من فاعلين و منفعلين فأظهرت الأركان الأربعة أيضا فظهرت النشأة الطبيعية على أربعة أخلاط و أربع قوى قامت عليها هذه النشأة و كل خلط منها يطلب بذاته من يحركه لبقائه و بقاء حكمه فإن السكون عدم فأوجد في نفوس العلماء حين سمعوا صريف الأقلام ما ينبغي أن يحرك به هذه النشأة الطبيعية فأقاموا لها أربع نغمات لكل خلط من هذه الأخلاط نغمة في آلة مخصوصة و هي المسماة في الموسيقى و هو علم الألحان و الأوزان بالبم و الزير و المثنى و المثلث كل واحد من هذه يحرك خلطا من هذه الأخلاط ما بين حركة فرح و حركة بكاء و أنواع الحركات و هذا لها بما هي نشأة طبيعية لا بما هي روحانية فإن الحركة في النشأة الطبيعية و السماع الطبيعي لا يكون معه علم أصلا و إنما صاحبه يجد طربا في نفسه أو حزنا عند سماع هذه النغمات من هذه الآلات و من أصوات القوالين و لا يجد معها علما أصلا فإنه ليس هذا حظ السماع الطبيعي مع الحال الصحيح و الوجد الصحيح الذي يطلبه الطبع و هو سماع الناس اليوم و السماع الروحاني يكون معه علم و معرفة في غير مواد جملة واحدة و السماع الإلهي يكون معه علم و معرفة في مواد و في غير مواد عام التعلق يجده في السماع الطبيعي و الروحاني لكن بالسمع الإلهي الذي يخص الطبع و العقل خاصة و منهم من يعلم ذلك و منهم من لا يعلمه مع كونه يجده و لا يقدر على إنكار ما يجد فسماع الحق مطلق كما أن وجوده مطلق و تمييزه عسير و للنغمات في الكلام الإلهي و القول أصل تستند إليه و هو أقوى الأصول و لهذا لها القوة و التأثير في الطباع فلا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه عند ورود النغمة و تعلق السمع بها إذا صادفت محلها ذلك الطرب أو الأثر الذي يجده السامع في نفسه فسلطانها قوي و ذلك لقوة أصلها الذي تستند إليه فإن الأسماء الإلهية و إن كانت لعين واحدة فمعلوم عند أهل الله ما بينها من التفاوت و لما كان التفاوت معقولا فيها و علم ذلك بآثارها علمنا أن الحقائق الإلهية التي استندت إليها هذه النغمات أقوى من الذي استند إليه الكلام فإنا نسمع قارئا يقرأ أو منشدا ينشد شعرا فلا نجد في نفوسنا حركة

لذلك بل ربما تبرم من ذلك في أوقات لأنه جاء على غير الوزن الطبيعي فإذا سمعنا تلك الآية أو الشعر من صاحب نغمة و في حقها في الميزان أصابنا وجد و حركنا و وجدنا ما لم نكن نجد فلهذا فرقنا بين ما استندت إليه النغمات الطبيعية و بين ما استند إليه القول هذا ميزان المحسوس و أما ميزان العقل فينظر حكمة الترتيب الإلهي في العالم فإن كان من أهل السماع الإلهي فينظر ترتيب الأسماء الإلهية فيكون سماعه من هناك و إن كان من أهل السماع الروحاني فينظر ترتيب آثارها في العالم الأعلى و الأسفل فيجد في كل مسموع فإن المسموعات كلها نغم عنده فمنهم من تكون له حركة محسوسة و منهم من لا تكون له و أما الحركة الروحانية فلا بد منها و لله طائفة خرجت عن الحركات الروحانية إلى الحركات الإلهية و هو قول الجنيد وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ و لكن في الحال التي تحسبها جامدة فتنسب الحركة إلى هذا الشخص نسبتها إلى الجناب الأقدس في فرحه بتوبة عبده و تبشبشه لمن أتى بيته فهذه أحوال إلهية يجب الايمان بها و لا يعقل لها كيفية إلا من خصه الله بها و كانت حركته في سماعه إلهية و هي من العلوم التي تنال و لا تنقال و ليس الخير بالنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة يشبه هذا الفرح و لا التبشبش لأن هذا الفرح عن سبب كوني ظهر وجوده سمع الحق عليه و النزول إلى السماء الدنيا عن أمر يتوقع لا عن أمر واقع فالأول يلحق بباب السماع و الثاني لا يلحق به فاعلم ذلك و قد ربطنا السماع بما يجب له و حققناه و لم نترك منه فصلا و لا قسما إلا ذكرناه بأوجز عبارة ليوقف عنده و حكاياته كثيرة لا يحتاج إلى إيرادها فإن كتابنا هذا مبناه على تحقيق أصول الأمور لا على الحكايات فإن الكتب بها مشحونة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الثمانون و مائة في معرفة مقام ترك السماع)

الله الله لا عقل يصوره ... و الوهم يعبده في صورة البشر

فالشرع يطلقه وقتا و يحصره ... و الكون يثبته في سائر الصور

ترك السماع مقام ليس يدركه ... إلا القوي من الأقوام في الخبر

إن قال كن فلمن و العين واحدة ... و لم يكن غيره في العين و الأثر

فما لكن عند هذا القول من أثر ... بل عين كن لم تكن إن كنت ذا نظر

و لم يقل بسماع القول غير فتى ... متيم بمعاني الآي و الصور

لو لا الكلام لما كان السماع و قد ... جاء الكلام فكن منه على حذر

السماع المطلق لا يمكن تركه و الذي يتركه الأكابر إنما هو السماع المقيد المتعارف و هو الغناء قيل لسيدنا أبي السعود ابن الشبلي البغدادي ما تقول في السماع فقال هو على المبتدئ حرام و المنتهي لا يحتاج إليه فقيل له فلمن فقال لقوم متوسطين أصحاب قلوب و جاءت امرأة إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب بين يديك بالدف فقال لها إن كنت نذرت و إلا فلا فهو و إن كان مباحا فالتنزيه عنه عند الأكابر أولى و كان أبو يزيد البسطامي يكرهه و لا يقول به و قيل لابن جريج فيه فقال ليتني أخرج منه رأسا برأس لا علي و لا لي و أما مذهبنا فيه فإن الرجل المتمكن من نفسه لا يستدعيه و إذا حضر لا يخرج بسببه و هو عندنا مباح على الإطلاق لأنه لم يثبت في تحريمه شيء عن رسول الله ص فإن كان الرجل ممن لا يجد قلبه مع ربه إلا فيه فواجب عليه تركه أصلا فإنه مكر إلهي خفي ثم إن كان يجد قلبه فيه و في غيره و على كل حال و لكنه يجده في النغمات أكثر فحرام عليه حضوره و لا أعني بالنغمات المسموعة في الشعر فقط و إنما أعني بوجود النغمة في الشعر و في غيره حتى في القرآن إذا وجد قلبه فيه لحسن صوت القارئ و لا يجد قلبه فيه عند ما يسمعه من قارئ غير طيب الصوت فلا يعول على ذلك الوجد و لا على ما يجد فيه من الرقة في الجناب الإلهي فإنه معلول و تلك رقة الطبيعة فإن كان عارفا بالتفصيل و يفرق بين سماعه الإلهي و الروحاني و الطبيعي ما يلتبس عليه و لا يخلط و لا يقول في سماع الطبيعة إنه سماعه بالله فمثل هذا لا يحجر عليه و تركه أولى و لا سيما إن كان ممن يقتدى به من المشايخ فيستتر به المدعي الكاذب أو الجاهل بحاله و إن لم يقصد الكذب

(الباب الرابع و الثمانون و مائة في معرفة مقام الكرامات)

بعض الرجال يرى كون الكرامات ... دليل حق على نيل المقامات

و أنها عين بشرى قد أتتك بها ... رسل المهيمن من فوق السموات

و عندنا فيه تفصيل إذا علمت ... به الجماعة لم تفرح بآيات

كيف السرور الاستدراج يصحبها ... في حق قوم ذوي جهل و آفات

و ليس يدرون حقا أنهم جهلوا ... و ذا إذا كان من أقوى الجهالات

و ما الكرامة إلا عصمة وجدت ... في حال قول و أفعال و نيات

تلك الكرامة لا تبغي بها بدلا ... واحذر من المكر في طي الكرامات

اعلم أيدك الله أن الكرامة من الحق من اسمه البر و لا تكون إلا للأبرار من عباده جَزاءً وِفاقاً فإن المناسبة تطلبها و إن لم يقم طلب ممن ظهرت عليه و هي على قسمين حسية و معنوية فالعامة ما تعرف الكرامة إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر و الأخبار بالمغيبات الماضية و الكائنة و الآتية و الأخذ من الكون و المشي على الماء و اختراق الهواء و طي الأرض و الاحتجاب عن الأبصار و إجابة الدعاء في الحال فالعامة لا تعرف الكرامات إلا مثل هذا و أما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله و العامة لا تعرف ذلك و هي أن تحفظ عليه آداب الشريعة و أن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق و اجتناب سفسافها و المحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها و المسارعة إلى الخيرات و إزالة الغل و الحقد من صدره للناس و الحسد و سوء الظن و طهارة القلب من كل صفة مذمومة و تحليته بالمراقبة مع الأنفاس و مراعاة حقوق الله في نفسه و في الأشياء و تفقد آثار ربه في قلبه و مراعاة أنفاسه في خروجها و دخولها فيتلقاها بالأدب إذا وردت عليه و يخرجها و عليها خلعة الحضور فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر و لا استدراج بل هي دليل على الوفاء بالعهود و صحة القصد و الرضي بالقضاء في عدم المطلوب و وجود المكروه و لا يشاركك في هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون و أهل الله المصطفون الأخيار و أما الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر الخفي ثم إنا إذا فرضناها كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة أو تنتج استقامة لا بد من ذلك و إلا فليست بكرامة و إذا كانت الكرامة نتيجة استقامة فقد يمكن أن يجعلها الله حظ عملك و جزاء فعلك فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها و ما ذكرناه من الكرامات المعنوية فلا يدخلها شيء مما ذكرناه فإن العلم يصحبها و قوة العلم و شرفه تعطيك أن المكر لا يدخلها فإن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلهي فإنها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة و العلم يعصمك من العجب بعملك فإن العلم من شرفه أنه يستعملك و إذا استعملك جردك منه و أضاف ذلك إلى الله و أعلمك أن بتوفيقه و هدايته ظهر منك ما ظهر من طاعته و الحفظ لحدوده فإذا ظهر عليه شيء من كرامات العامة ضج إلى الله منها و سأل الله ستره بالعوائد و أن لا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم لأن العلم هو المطلوب و به تقع المنفعة و لو لم يعمل به فإنه لا يستوي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فالعلماء هم الآمنون من التلبيس فالكرامة من الله تعالى بعباده إنما تكون للوافدين عليه من الأكوان و من نفوسهم لكونهم لم يروا وجه الحق فيهما فأسنى ما أكرمهم به من الكرامات العلم خاصة لأن الدنيا موطنه و أما غير ذلك من خرق العادات فليست الدنيا بموطن لها و لا يصح كون ذلك كرامة إلا بتعريف إلهي لا بمجرد خرق العادة و إذا لم تصح إلا بتعريف إلهي فذلك هو العلم فالكرامة الإلهية إنما هي ما يهبهم من العلم به عز و جل سئل أبو يزيد عن طي الأرض فقال ليس بشيء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة و ما هو عند الله بمكان و سئل

عن اختراق الهواء فقال إن الطير يخترق الهواء و المؤمن عند الله أفضل من الطير فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر و هكذا علل جميع ما ذكرناه ثم قال إلهي إن قوما طلبوك لما ذكروه فشغلتهم به و أهلتهم له اللهم مهما أهلتني لشيء فأهلني لشيء من أشيائك يقول من أسرارك فما طلب إلا العلم لأنه أسنى تحفة و أعظم كرامة و لو قامت عليك به الحجة فإنه يجعلك تعترف و لا تحاج فإنك تعلم ما لك و ما عليك و ما له و ما أمر الله تعالى نبيه ص أن يطلب منه الزيادة من شيء إلا من العلم لأن الخير كله فيه و هو الكرامة العظمى و البطالة مع العلم أحسن من الجهل مع العمل و أسباب حصول العلم كثيرة و لا أعني بالعلم إلا العلم بالله و الدار الآخرة و ما تستحقه الدار الدنيا و ما خلقت له و لأي شيء وضعت حتى يكون الإنسان من أمره على بصيرة حيث كان فلا يجهل من نفسه و لا من حركاته شيئا و العلم صفة إحاطية إلهية فهي أفضل ما في فضل الله كما قال وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً بِرَحْمَةٍ مِنَّا فاعلم أن العلم من معدن الرحمة فقد أعلمتك ما هي الكرامة و إنها التعريف الإلهي بأن هذا الذي أتحفك به كرامة منه لا ينقص لك حظا من آخرتك و لا هو جزاء لشيء من عملك إلا لمجرد قدومك و إن قدومك عليه لم يكن إلا لجهلك به حيث لم تره في أول قدم كما اتفق لأبي يزيد لما خرج في طلب الحق من بسطام في أول أمره فلقيه بعض الرجال فقال له ما تطلب يا أبا يزيد قال الله قال له الذي تطلبه تركته ببسطام فتنبه أبو يزيد كيف يطلبه و هو تعالى يقول وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فلا علم و لا إيمان فإذا حرمك الله تحصيل علم مشاهدته فلا أقل من الايمان به فلهذا قلنا ما قدم عليه إلا من جهله فلما لم يكن لهذه الطائفة هم إلا به و يطلبه كانوا وافدين عليه فأتحفهم بما أتحفهم به و عرفهم إن ذلك جائزة الوفود خاصة و مهما لم يعلموا ذلك منه بإعلامه إياهم و إلا فيخاف من المكر الإلهي في ذلك أو نقص حظ أخروي يتمنون في الآخرة أنهم لم يعطوا شيئا من ذلك في الدنيا

(الباب الخامس و الثمانون و مائة في معرفة مقام ترك الكرامات)

ترك الكرامة لا يكون دليلا ... فاصغ لقولي فهو أقوم قيلا

إن الكرامة قد يكون وجودها ... حظ المكرم ثم ساء سبيلا

فاحرص على العلم الذي كلفته ... لا تتخذ غير الإله بديلا

ستر الكرامة واجب متحقق ... عند الرجال فلا تكن مخذولا

و ظهورها في المرسلين فريضة ... و بها تنزل وحيه تنزيلا

كما إن الآيات و الكرامات واجب على الرسول إظهارها من أجل دعواه كذلك يجب على الولي التابع سترها هذا مذهب الجماعة لأنه غير مدع و لا ينبغي له الدعوى فإنه ليس بمشرع و ميزان الشرع موضوع في العالم قد قام به علماء الرسوم أهل الفتاوى في دين الله فهم أرباب التجريح و التعديل و هذا الولي مهما خرج عن ميزان الشرع الموضوع مع وجود عقل التكليف عنده سلم له حاله للاحتمال الذي في نفس الرحمن في حقه و هو أيضا موجود في الميزان المشروع فإن ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود و لا بد و لا يعصمه ذلك الاحتمال الذي في نفس الأمر من أن يكون من العبيد الذين أبيح لهم فعل ما حرم على غيرهم شرعا فأسقط الله عنهم المؤاخذة و لكن في الدار الآخرة فإنه قال في أهل بدر ما قد ثبت من إباحة الأفعال لهم و كذلك في الخبر الوارد افعل ما شئت فقد غفرت لك و لم يقل أسقطت عنك الحد في الدنيا فالذي يقيم عليه الحد مأجور و هو في نفسه غير مأثوم كالحلاج و من جرى مجراه ثم إن ترك الكرامة قد يكون ابتداء من الله و هو أنه عز و جل لا يمكن هذا الولي في نفسه من شيء من ذلك جملة واحدة مع كونه عنده من أكابر عباده و أعني خرق العوائد الظاهرة لا العلم بالله و قد يكون هذا الولي أعطاه الله تعالى في نفسه التمكن من ذلك فيترك ذلك كله لله فلا يظهر عليه منه شيء أصلا و قد رأينا ممن هو على هذا القدم جماعة كما قال سيدنا أبو السعود بن الشبل عاقل زمانه و قد سأله بعض من لا يكتمه من حاله شيئا هل أعطاك الله التصرف و هو أصل الكرامات فقال نعم منذ خمس عشرة سنة و تركناه تظرفا فالحق يتصرف لنا يريد رضي الله عنه أنه امتثل أمر الله في اتخاذه عز و جل وكيلا فقال له السائل ما ثم فقال الصلوات الخمس و انتظار الموت الرجل مثل ساعي الطير فم مشغول و قدم تسعى و كان يقول ما أعجبني فيما قيل إلا قوله

وأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون أخمصك الحشر

هكذا هو الرجل و إلا فلا يدعى أنه رجل و في حين تقييدي هذا الوجه من هذه النسخة خاطبني الحق في سرى من اتخذني وكيلا فقد ولاني و من ولاني فله مطالبتي و على إقامة الحساب فيما ولاني فيه فانعكس الأمر و تبدلت المراتب هذا صنع الله مع عباده الذين ارتضاهم و اصطفاهم و ما فوق هذا الامتنان امتنان ترتقي الهمة إلى طلبه فالعبد المحقق لا تخرجه هذه الرتبة عن علمه بقدره فما يتخذ الله وكيلا إلا من كان الحق قواه و جوارحه إذ يستحيل تبدل الحقائق فالعبد عبد و الرب رب و الحق حق و الخلق خلق فإذا ظهر خرق عادة على مثل هذا فما هي كرامة عندنا لأن الكرامة تعود على من ظهرت عليه و إنما يتفق لمن هذا مقامه مثل ما اتفق لنا في مجلس حضرنا فيه سنة ست و ثمانين و خمسمائة و قد حضر عندنا شخص فيلسوف ينكر النبوة على الحد الذي يثبتها المسلمون و ينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد و أن الحقائق لا تتبدل و كان زمان البرد و الشتاء و بين أيدينا منقل عظيم يشتعل نارا فقال

المنكر المكذب إن العامة تقول إن إبراهيم ع ألقى في النار فلم تحرقه و النار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للإحراق و إنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم الخليل عبارة عن غضب نمرود عليه و حنقه فهي نار الغضب و كونه ألقى فيها لأن الغضب كان عليه و كونها لم تحرقه أي لم يؤثر فيه غضب الجبار لما ظهر به عليه من الحجة بما أقامه من الأدلة فيما ذكر من أفول الأنوار و أنها لو كانت آلهة ما أفلت فركب له من ذلك دليلا فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين ممن كان له هذا المقام و لم تكن فإن أريتك أنا صدق ما قاله الله تعالى في النار أنها لم تحرق إبراهيم و أن الله جعلها عليه كما قال بردا و سلاما و أنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم ع في الذب عنه لا إن ذلك كرامة في حقي فقال المنكر هذا لا يكون فقال له أ ليست هذه هي النار المحرقة قال نعم قال تراها في نفسك ثم ألقى النار التي في المنقل في حجر المنكر و بقيت على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده فلما رآها ما تحرقه تعجب ثم ردها إلى المنقل ثم قال له قرب يدك أيضا منها فقرب يده فأحرقته فقال له هكذا كان الأمر و هي مأمورة تحرق بالأمر و تترك الإحراق كذلك و الله تعالى الفاعل لما يشاء فأسلم ذلك المنكر و اعترف فمثل هذا يظهر على تارك الكرامات فإنه يقيمها في زمانه نيابة عن الرسول ص في المعجزة و الآية على صدقه فجاء بها لإقامة الدليل على صدق الشارع و الدين لا على نفسه إنه ولي لله بخرق هذه العادة فهذا معنى ترك الكرامات و لها رجال و هم الملامية خاصة و أما الصوفية فيظهرون بها و هي عند الأكابر من رعونات النفوس إلا على حد ما ذكرناه

(الباب السادس و الثمانون و مائة في معرفة مقام خرق العادات)

خرق العوائد أقسام مقسمة ... أتى بها النظر الفكري محصورة

منها معينة بالحق قائمة ... كالمعجزات على الإرسال مقصورة

و ما سواها من الأقسام محتمل ... و ليس للعلم في تعيينه صوره

و كلها في كتاب الله بينة ... فقف عليه تجدها فيه مسطورة

بشرى و سحر و مكر أو علامته ... و كلها في كتاب الله مذكوره

فهذه خمسة أقسامها انحصرت ... للناظرين و في الأكوان مشهورة

اعلم أن مقام خرق العادات على وجوه كثيرة منها ما يكون عن قوى نفسية فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله تعالى الأمر فيها و قد تكون عن حيل طبيعية معلومة كالفلقطيرات و غيرها و بابها معلوم عند العلماء و قد تكون عن نظم حروف بطوالع و ذلك لأهل الرصد و قد تكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائي لا في نفس الأمر و

قد تكون في نفس الأمر على قدر قوة ذلك الاسم و هذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله و ثم خرق عوائد مختصة بالجناب الإلهي ليس للعبد فيها تعمل و لا قوة و لكن يظهرها الله عليه أو تظهر عنه بأمر الله و إعلامه و هي على مراتب منها ما تسمى معجزة و لها شروط و نعت خاص معلوم و منها ما تسمى آية لا معجزة و منها ما تكون كرامة و منها ما تكون مؤيدة و منها ما تكون منبهة و باعثة و منها ما يكون جزاء و منها ما يكون مكرا و استدراجا و كلها لها علامات عند أهل الله مع كون هؤلاء لا علم لهم بشيء من ذلك بخلاف الصنف الأول فإنهم على علم ما يصدر منهم و ما من شيء مما ذكرناه في الصنف الثاني المضاف عمله إلى الله تعالى إلا و الاحتمال يدخله هل هو عن عناية أولا عن عناية إلا المعجزة و الآية فإنها عن عناية و لا بد إنها الصدق المخبر و المؤيدة كذلك و ما عدا هذين فيتطرق إليه الاحتمال كما ذكرنا ثم نرجع إلى ما تقضي به طريقنا إن خرق العادة في الأولياء لا يكون إلا لمن خرق العادة في نفسه بإخراجها عن حكم ما تعطيه حقيقتها و هو تصرفها في المباح أو ما يلقي إليها الشيطان بالتزيين من إتيان المحظور أو ترك الواجب فمن خرق في نفسه هذه العادة خرق الله له عادة في الكون بأمر يسمى كلاما على الخاطر أو مشيا في الهواء أو ما كان و قد ذكرنا فصول هذه الكرامات و بينا مراتبها و ما ينتجها في كتاب مواقع النجوم ما سبقنا إليه في علمنا أعني إلى ترتيبه لا إلى علم ما فيه و هو كتاب صحيح الطريق عظيم الفائدة صغير الجرم بنيناه على المناسبة فإن المناسبة أصل وجود العالم و خرق العوائد من العالم و قد جعل الله آياته في العالم معتادة و غير معتادة فالمعتادة لا يعتبرها إلا أهل الفهم عن الله خاصة و ما سواهم فلا علم لهم بإرادة الله فيها و قد ملأ الله القرآن من الآيات المعتادة من اختلاف الليل و النهار و نزول الأمطار و إخراج النبات و جرى الجواري في البحر و اختلاف الألسنة و الألوان و المنام بالليل و النهار لابتغاء الفضل و كل ما ذكر في القرآن أنه آية لقوم يعقلون و يسمعون و يفقهون و يؤمنون و يعلمون و يوقنون و يتفكرون و مع هذا كله فلا يرفع بذلك أحد من الناس رأسا إلا أهل الله و هم أهل القرآن خاصة الله و أما الآيات الغير المعتادة و هي خرق العوائد فهي التي تؤثر في نفوس العامة مثل الزلازل و الرجفات و الكسوف و نطق حيوان و مشي على ماء و اختراق هواء و إعلام بكوائن في المستقبل تقع على حد ما أعلم و الكلام على الخواطر و الأكل من الكون و إشباع القليل من الطعام الكثير من الناس هذا تعتبره العامة خاصة و متى لم يكن خرق العادة عن استقامة أو منبها و باعثا على الرجوع إلى الله و يرجع و ليس له فيه تعمل فهو مكر و استدراج من حيث لا يعلم و هذا هو الكيد المتين تحف الله مع المخالفات و فيه سر عجيب للعارفين لو لا ما في إذاعته من الضرر في العموم لذكرناه و ما كل ما يدرى يقال و ليس خرق العوائد إلا أول مرة فإذا عاد ثانية صار عادة و أما في الحقيقة فالأمر جديد أبدا و ما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة و إنما هو أمر يظهر زي مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة و انحجب الناس عن هذه الحقيقة و قد نبهتك

على ما هو الأمر عليه إن كنت تعقل ما أقول فالألوهة أوسع من أن تعيد و لكن الأمثال حجب على أعين العمي الذين يَعْلَمُونَ ظاهِراً من الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ و هو وجود عين المثل الثاني هُمْ غافِلُونَ ف هُمْ فِي لَبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ فالممكنات غير متناهية و القدرة نافذة و الحق خلاق فأين التكرار إذ لا يعقل إلا بالإعادة فالإعادة خرق العادة

(انتهى النصف الأول من الجزء الثاني من الفتوحات المكية و يليه النصف الثاني

أوله الباب السابع و الثمانون و مائة في معرفة مقام المعجزة)

الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
والدين أبي عبدالله محمّد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

بقية

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب السابع و الثمانون و مائة في معرفة مقام المعجزة و كيف يكون هذا المعجز كرامة لمن كان له معجزا لاختلاف الحال)

ما كان معجزة فلا سبيل إلى ظهوره مرة أخرى إلى الأبد

لا في ولي و لا في غيره فإذا حققت قولي فلا تعدل عن الرشد

و لو تحدي به خلق لأكذبه صدق المقدم في الأدنى و في البعد

لذلك اختلفت في الأنبياء فلم يظهر لها أثر من بعد في أحد

اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يكون كرامة لولي أم لا فالجمهور أجاز ذلك إلا الأستاذ أبا إسحاق الأسفرايني فإنه منع من ذلك و هو الصحيح عندنا إلا أنا نشترط أمرا لم يذكره الأستاذ و هو أن نقول إلا إن قام الولي بذلك الأمر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة به فهو واقع عندنا بل قد شهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي على ما قلناه و لو تنبه لذلك الأستاذ لقال به و لم ينكره فإنه ما خرج عن بابه فإن الذي وقع فيه الخلاف أنه هل يكون كرامة لولي و هذا ليس بكرامة لولي إلا إن الذين أجازوا ذلك قالوا بشرط أن لا يظهر عليه بالطريق التي ظهرت على يد الرسول الذي بها سميت معجزة و جوزوا أن الولي لو تحدي بذلك على ولايته لجاز أن يخرق الله له تلك العادة و الكاذب لو تحدي بها على كذبه و هو صادق في أنه كاذب فجائز أن يخرق الله له تلك العادة على صدقه أنه كاذب فإن الفارق عندهم حاصل و هو وجه يقال و الصحيح ما ذهب إليه الأستاذ و هو الذي يعطيه الدليل النظري إلا أن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه و أما إن أطلقه فلا سبيل إلى ما قاله الأستاذ و هذا التفصيل الذي ذكرناه يقتضيه الدليل النظري للطائفتين على أنا ما رأينا أحدا تنبه إلى هذا في علمنا و لا ذكره و الله أعلم و الإعجاز على ضربين الضرب الواحد أن يأتي بأمر لا يكون مقدور البشر و لا يقدر عليه إلا الله و ذلك عزيز أعني الوصول إلى العلم به كإحياء الموتى لا يقدر عليه إلا الله و لكن الوصول إليه على طريق العلم أنه حي في نفس الأمر عزيز فإنا رأينا عصا موسى ع حية و عصى السحرة حيات و لم تفرق العامة بين الحياتين فلهذا قلنا إن الوصول إلى علم ذلك عزيز و الضرب الآخر

و هو الذي يمكن أن يكون أقرب و هو الصرف فيدعي في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة إذا أتيت أنا به على صدق دعواي فإن الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته فكل من في قدرته ذلك يجد في نفسه العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على إتيان ما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه و هذا أرفع للبس من الأول فهذا معنى الأمر المعجز و مع هذا فقد وقع و عرف أنه معجزة و حصل العلم به عند الناظر بصدق هذا الرسول و ما رزق الايمان به وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فتعلم أن الايمان لا تعطيه إقامة الدليل بل هو نور إلهي يلقيه الله في قلب من شاء من عباده و قد يكون عقيب الدليل و قد لا يكون هناك دليل أصلا كما قال تعالى وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء السادس عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثامن و الثمانون و مائة في معرفة مقام الرؤيا و هي المبشرات)

بالصدق رؤيا الرجال الصادقين و من ... يصاحب الضد لم تصدق له رؤيا

الصدق بالعدوة القصوى منازله ... و ضده ضده بالعدوة الدنيا

هي النبوة إلا أنها قصرت ... عن نسخ شرع و هذي رتبة عليا

إني رأيت سيوفا للهوى انتضيت ... و في يميني سيف للهوى دنيا

فما تركت لها عينا و لا أثرا ... بذلك السيف في الأخرى و في الدنيا

اعلم أيدك الله أن للإنسان حالتين حالة تسمى النوم و حالة تسمى اليقظة و في كلتا الحالتين قد جعل الله له إدراكا يدرك به الأشياء تسمى تلك الإدراكات في اليقظة حسا و تسمى في النوم حسا مشتركا فكل شيء تبصره في اليقظة يسمى رؤية و كل ما تبصره في النوم يسمى رؤيا مقصورا و جميع ما يدركه الإنسان في النوم هو مما ضبطه الخيال في حال اليقظة من الحواس و هو على نوعين إما ما أدرك صورته في الحس و إما ما أدرك أجزاء صورته التي أدركها في النوم بالحس لا بد من ذلك فإن نقصه شيء من إدراك الحواس في أصل خلقته فلم يدرك في اليقظة ذلك الأمر الذي فقد المعنى الحسي الذي يدركه به في أصل خلقته فلا يدركه في النوم أبدا فالأصل الحس و الإدراك به في اليقظة و الخيال تبع في ذلك و قد يقوى الأمر على بعض الناس فيدركون في اليقظة ما كانوا يدركونه في النوم و ذلك نادر و هو لأهل هذا الطريق من نبي و ولي هكذا عرفناه فإذا علمت هذا فاعلم أيضا أن النبوة خطاب الله تعالى أو كلام الله تعالى كيفما شئت قلت لمن شاء من عباده في هاتين الحالتين من يقظة و منام و هذا الخطاب الإلهي المسمى نبوة على ثلاثة أنواع نوع يسمى وحيا و نوع

يسمعه كلامه من وَراءِ حِجابٍ و نوع بوساطة رسول فيوحي ذلك الرسول من ملك أو بشر بإذن الله ما يشاء لمن أرسله إليه و هو كلام الله إذ كان هذا الرسول إنما يترجم عن الله كما قال تعالى وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فالوحي منه ما يلقيه إلى قلوب عباده من غير واسطة فأسمعهم في قلوبهم حديثا لا يكيف سماعه و لا يأخذه حد و لا يصوره خيال و مع هذا يعقله و لا يدري كيف جاء و لا من أين جاء و لا ما سببه و قد يكلمه من وراء حجاب صورة ما يكلمه به و قد يكون الحجاب بشريته و قد يكون الحجاب كما كلم موسى من الشَّجَرَةِ . . . من جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ له لأنه لو كلمه من الأيسر الذي هو جهة قلبه ربما التبس عليه بكلام نفسه فجاءه الكلام من الجانب الذي لم تجر العادة أن تكلمه نفسه منه و قد يكلمه بوساطة رسول من ملك كقوله نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ يعني بالقرآن الذي هو كلام الله و قد يكون بوساطة بشر و هو قوله فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فأضاف الكلام إلى الله و ما سمعته الصحابة و لا هذا الأعرابي إلا من لسان رسول الله ص و ليست النبوة بأمر زائد على الإخبار الإلهي بهذه الأقسام و القرآن خبر الله و هو النبوة كلها لأنه الجامع لجميع ما أراد الله أن يخبر به عباده و صح في الحديث أنه من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة و هي لا تكون إلا في حال النوم قالت عائشة في الحديث الصحيح أول ما بديء به رسول الله ص من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح و سبب ذلك صدقه ص فإنه ثبت عنه أنه قال أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا فكان لا يحدث أحدا ص بحديث عن تزوير يزوره في نفسه بل يتحدث بما يدركه بإحدى قواه الحسية أو بكلها ما كان يحدث بالغرض و لا يقول ما لم يكن و لا ينطق في اليقظة عن شيء يصوره في خياله مما لم ير لتلك الصورة بجملتها عينا في الحس فهذا سبب صدق رؤياه و إنما بديء الوحي بالرؤيا دون الحس لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس لأن الحس طرف أدنى و المعنى طرف أعلى و ألطف و الخيال بينهما و الوحي معنى فإذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس فلا بد أن يعبر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس و الخيال من حقيقته أن يصور كل ما حصل عنده في صورة المحسوس لا بد من ذلك فإن كان ورود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا و إن كان في حال اليقظة سمي تخيلا أي خيل إليه فلهذا بديء الوحي بالخيال ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج فكان يتمثل له الملك رجلا أو شخصا من الأشخاص المدركة بالحس فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بإدراك هذا الملك و قد يدركه الحاضرون معه فيلقي على سمعه حديث ربه و هو الوحي و تارة ينزل على قلبه ص فتأخذه البرحاء و هو المعبر عنه بالحال فإن الطبع لا يناسبه فلذلك يشتد عليه و ينحرف له مزاج الشخص إلى أن يؤدي ما أوحى به إليه ثم يسري عنه فيخبر بما قيل له و هذا كله موجود في رجال الله من الأولياء و الذي اختص به النبي من هذا دون

الولي الوحي بالتشريع فلا يشرع إلا النبي و لا يشرع إلا رسول خاصة فيحلل و يحرم و يبيح و يأتي بجميع ضروب الوحي و الأولياء ليس لهم من هذا الأمر إلا الإخبار بصحة ما جاء به هذا الرسول و تعيينه حتى يكون هذا التابع على بصيرة فيما تعبده به ربه على لسان هذا الرسول إذ كان هذا الولي لم يدرك زمانه حتى يسمع منه كما سمع أصحابه فصار هذا الولي بهذا النوع من الخطاب بمنزلة الصاحب الذي سمع من لفظ رسول الله ص ما شرع و لذلك جاء في القرآن أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي و هم هؤلاء الذين ذكرناهم فرب حديث صحيح من طريق رواية الثقات عندنا ليس بصحيح في نفس الأمر فنأخذه على طريق غلبة الظن لا على العلم و هذه الطائفة التي ذكرناها تأخذه من هذا الطريق فنكون من عدم صحة ذلك الخبر الصحيح عندنا على بصيرة أنه ليس بصحيح في نفس الأمر و بالعكس و هو أن يكون الحديث ضعيفا من أجل ضعف الطريق من وضاع فيه أو مدلس و هو في نفس الأمر صحيح فتدرك هذه الطائفة صحته فتكون فيه على بصيرة فهذا معنى قوله تعالى أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي و هم هؤلاء فهم ورثة الأنبياء لاشتراكهم في الخبر و انفراد الأنبياء بالتشريع قال تعالى يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فجاء بمن و هي نكرة لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ فجاء بما ليس بشرع و لا حكم بل بإنذار فقد يكون الولي بشيرا و نذيرا و لكن لا يكون مشرعا فإن الرسالة و النبوة بالتشريع قد انقطعت فلا رسول بعده و لا نبي أي لا مشرع و لا شريعة فاعلم ذلك فلنرجع إلى ما بوبنا عليه ثبت عن رسول الله ص أنه قال إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات فقالوا يا رسول الله و ما المبشرات فقال رؤيا المسلم و هي جزء من أجزاء النبوةهذا حديث حسن صحيح من حديث أنس بن مالك حدثنا به إمام المقام بالحرم المكي الشريف تجاه الركن اليماني الذي فيه الحجر الأسود سنة أربع و ستمائة شيخنا مكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني البزار و غيره عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكرخي الهروي قال أخبرني أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي و أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي و أبو بكر أحمد بن أبي حاتم العورجي التاجر قالوا أخبرنا محمد بن عبد الجبار الجراحي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله ص و ذكر هذا الحديث قال و في الباب عن أبي هريرة و حذيفة و ابن عباس و أم كرز فأخبرص أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فقد بقي للناس من النبوة هذا و غيره و مع هذا لا يطلق اسم النبوة و لا النبي إلا على المشرع خاصة فحجر هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوة و ما حجر النبوة التي ليس فيها هذا الوصف الخاص و إن كان حجر الاسم فنتأدب و نقف حيث وقف ص بعد علمنا بما قال و ما أطلق و ما حجر فنكون

على بينة من أمرنا و إذا علمت هذا فلنقل إن الرؤيا ثلاث منها بشرى و هي ما نحن بصدده في هذا الباب و رؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيرتقم في خياله فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك لأنه تصوره في يقظته فبقي مرتسما في خياله فإذا نام و انصرفت الحواس إلى خزانة الخيال أبصرت ذلك و سيأتي علم ذلك كله و صورته و الرؤيا الثالثة من الشيطان و روينا في هذا حديثا صحيحا من حديث أبي عيسى الترمذي قال حدثنا نصر بن علي حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ص إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب و أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا و رؤيا المسلم جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة و الرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى و رؤيا من تحزين الشيطان و رؤيا مما يحدث الرجل به نفسه و إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم و ليتفل و لا يحدث به الناس الحديث و قال فيه حديث صحيح و في حديث أبي قتادة عن رسول الله ص إذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات و ليستعذ بالله من شرها فإنها لا تضره و هو حديث حسن صحيح و في الحديث الصحيح عن النبي ص أن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدث بها وقعت فاعلم إن لله ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح و هو دون السماء الدنيا و بيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه و غيره و صور ما يحدث من تلك الصور من الأكوان فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة إدراك لا يحجبه المحسوسات في يقظته عن إدراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه و ذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الأذن الإلهي ما يشاء الحق أن يريه هذا النائم أو الغائب أو الفاني أو القوي من المعاني متجسدة في الصور التي بيد هذا الملك فمنها ما يتعلق بالله و ما يوصف به من الأسماء فيدرك الحق في صورة أو القرآن أو العلم أو الرسول الذي هو على شرعه فهنا يحدث للرائي ثلاث مراتب أو إحداهن المرتبة الواحدة أن تكون الصورة المدركة راجعة للمرئي بالنظر إلى منزلة ما من منازله و صفاته التي ترجع إليه فتلك رؤيا الأمر على ما هو عليه بما رجع إليه و المرتبة الثانية أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى حال الرائي في نفسه و المرتبة الثالثة أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى الحق المشروع و الناموس الموضوع أي ناموس كان في تلك البقعة التي ترى تلك الصورة فيها في ولاة أمر ذلك الإقليم القائمين بناموسه و ما ثم مرتبة رابعة سوى ما ذكرناه فالأولى و هي رجوع الصورة إلى عين المرئي فهي حسنة كاملة و لا بد لا تتصف بشيء من القبح و النقص و المرتبتان الباقيتان قد تظهر الصورة فيهما بحسب الأحوال من الحسن و القبح و النقص و الكمال فلينظر إن كان من تلك الصورة خطاب فبحسب ما يكون الخطاب يكون حاله و بقدر ما يفهم منه في رؤياه و لا يعول على التعبير في ذلك بعد الرجوع إلى عالم

الحس إلا إن كان عالما بالتعبير أو يسأل عالما بذلك و لينظر أيضا حركته أعني حركة الرائي مع تلك الصورة من الأدب و الاحترام أو غير ذلك فإن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته لتلك الصورة فإنها صورة حق بكل وجه و قد يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة و قد لا يشاهده و ما عدا هذه الصورة فليست إلا من الشيطان إن كان فيه تحزين أو مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته فلا يعول على ما يرى من ذلك و مع هذا و كونها لا يعول عليها إذا عبرت كان لها حكم و لا بد يحدث لها ذلك من قوة التعبير لا من نفسها و هو أن الذي يعبرها لا يعبرها حتى يصورها في خياله من المتكلم فقد انتقلت تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان إلى خيال العابر لها و ما هي له حديث نفس فيحكم على صورة محققة ارتسمت في ذاته فيظهر لها حكم أحدثه حصول تلك الصورة في نفس العابر كما جاء في قصة يوسف مع الرجلين و كانا قد كذبا فيما صوراه فكان مما حدثا به أنفسهما فتخيلاه من غير رؤيا و هو أبعد في الأمر إذ لو كان رؤيا لكان أدخل في باب التعبير فلما قصاه على يوسف حصل في خيال يوسف ع صورة من ذلك لم يكن يوسف حدث بذلك نفسه فصارت حقا في حق يوسف و كأنه هو الرائي الذي رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل و قاما له مقام الملك الذي بيده صور الرؤيا فلما عبر لهما رؤياهما قالا له أردنا اختبارك و ما رأينا شيئا فقال يوسف قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ فخرج الأمر في الحس كما عبر ثم إن الله تعالى إذا رأى أحد رؤيا فإن صاحبها له فيما رآه حظ من الخير و الشر بحسب ما تقتضي رؤياه أو يكون الحظ في ناموس الوقت في ذلك الموضع و أما في الصورة المرئية فلا فيصور الله ذلك الحظ طائرا و هو ملك في صورة طائر كما يخلق من الأعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية و إنما جعلها في صورة طائر لأنه يقال طار له سهمه بكذا و الطائر الحظ قال الله عز و جل قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أي حظكم و نصيبكم معكم من الخير و الشر و بجعل الرؤيا معلقة من رجل هذا الطائر و هي عين الطائر و لما كان الطائر إذا اقتنص شيئا من الصيد من الأرض إنما يأخذه برجله لأنه لا يد له و جناحه لا يتمكن له الأخذ به فلذلك علق الرؤيا برجله فهي المعلقة و هي عين الطائر فإذا عبرت سقطت لما قيلت له و عند ما تسقط ينعدم الطائر لأنه عين الرؤيا فينعدم بسقوطها و يتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال إما عرض أو جوهر أو نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا و ذلك الطائر و منه خلقت هذه الحالة و لا بد سواء كانت جسما أو عرضا أو نسبة أعني تلك الصورة كما خلق آدم من تراب و نحن من ماء مهين حتى إذا دلت الرؤيا على وجود ولد فذلك الولد مخلوق من عين تلك الرؤيا ماء في صلب أبيه و إن كان الماء قد نزل في الرحم تصورت فيه تلك الرؤيا ولد فهو ولدا رؤيا و إن لم تتقدم له رؤيا فهو على أصل نشأته كما هو سائر الأولاد فاعلم ذلك فإنه سر عجيب و كشف صحيح و كل ولد يكون عن رؤيا ترى له تمييزا على غيره و يكون أقرب إلى الأرواح

من غيره إن جعلت بالك هكذا تبصره و كل مخلوق من حالة أو عرض أو نسبة من ولاية أو غيرها يكون عن رؤيا يكون له ميز على من ليس عن رؤيا و انظر ذلك في رؤيا آمنة أم رسول الله ص يبدلك صحة ما ذكرناه فكان ص عين رؤيا أمه ظهرت في ماء أبيه بتلك الصورة التي رأته أمه و لذلك كثرت المرائي فيه ص فتميز عن غيره و لا يعرف ما قلناه إلا أهل العلم بصورة الكشف و هو من أسرار الله في خلقه و إن أردت تأنيسا لما ذكرناه فانظر في علم الطبيعة إذا توحمت المرأة و هي حامل على شيء خرج الولد يشبه ذلك الشيء و إذا نظرت عند الجماع أو تخيل الرجل صورة عند الوقاع و إنزال الماء يكون الولد على خلق صورة ما تخيل و لذلك كانت الحكماء تأمر بتصوير صور الفضلاء من أكابر الحكماء في الأماكن بحيث تنظر إلى تلك الصورة المرأة عند الجماع و الرجل فتنطبع في الخيال فتؤثر في الطبيعة فتخرج تلك القوة التي كانت عليها تلك الصورة في الولد الذي يكون من ذلك الماء و هو سر عجيب في علم الطبيعة و انظر في تكوين عيسى ع عن مشاهدة مريم جبريل في صورة بشر كيف جمع بين كونه روحا يحيي الموتى و بين كونه بشرا إذا كان الروح به تحيا الأجسام الطبيعية و أقوى من ذلك ما فعله السامري من قبضة أثر جبريل لما علم أن الروح تصحبه الحياة حيث حل فرمى ما قبضه في العجل فخار العجل بذلك الأثر المقبوض من وطء الروح و لو رماه في شكل فرس لصهل أو في شكل إنسان نطق فإن الاستعداد لما ظهر بالحياة إنما كان للقابل و من هنا تعرف صورة الظاهر في المظاهر و أن المظاهر تعطي باستعدادها في الظاهر فيها ما يظهر به من الصور الحاملة و المحمولة و لهذا أظهر الله هذه الحكمة لتقف من ذلك على ما هو الأمر عليه ثم إن تسمية النبي ص لها بشرى و مبشرة لتأثيرها في بشرة الإنسان فإن الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها في باطنها مما تتخيله من صورة تبصرها أو كلمة تسمعها إما بحزن أو فرح فيظهر لذلك أثر في البشرة لا بد من ذلك فإنه حكم طبيعي أودعه الله في الطبيعة فلا يكون إلا هكذا (تكملة) للرؤيا مكان و محل و حال فحالها النوم و هو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة الموجبة للراحة لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة في حال اليقظة من الحركة و إن كان في هواها قال تعالى وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً يقول و جعلنا النوم لكم راحة تستريح به النفوس و هو على قسمين قسم انتقال و فيه بعض راحة أو نيل غرض أو زيادة تعب و القسم الآخر قسم راحة خاصة و هو النوم الخالص الصحيح الذي ذكر الله أنه جعله راحة لما تعبت فيه هذه الآلات و الجوارح و الأعضاء البدنية في حال اليقظة و جعل زمانه الليل و إن وقع بالنهار كما جعل النهار للمعاش و إن وقع بالليل و لكن الحكم للغالب فأما قسم الانتقال فهو النوم الذي يكون معه الرؤيا فتنقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه ليرى ما تقرر في خزانة الخيال الذي رفعت إليه الحواس ما أخذته من المحسوسات و ما صورته القوة المصورة التي هي من بعض خدم هذه الخزانة لترى هذه النفس الناطقة التي ملكها الله هذه المدينة ما استقر في خزانتها كما جرت العادة في الملوك إذا دخلوا خزائنهم في أوقات خلواتهم

ليطلعوا على ما فيها و على قد ر ما كمل لهذه النشأة من الآلات التي هي الجوارح و الخدام الذين هم القوي الحسية يكون الاختزان فثم خزانة كاملة لكمال الحياة و ثم خزانة ناقصة كالأكمه فإنه لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الألوان و الخرس لا ينتقل إلى خزانة الخيال صور الأصوات و لا الحروف اللفظية هذا كله إذا عدمها في أصل نشأته و أما إذا طرأت عليه هذه الآفات فلا فإنه إذا انتقل بالنوم إلى باطن النشأة و دخل الخزانة وجد صور الألوان التي اختزنها فيها قبل طرق الآفة و كذلك كل ما أعطته قوة من قوى الحس الذين هم جباة هذه المملكة و لله تجل في هذه الخزانة في صورة طبيعية بصفات طبيعية مثل قوله ص رأيت ربي في صورة شاب و هو ما يراه النائم في نومه من المعاني في صور المحسوسات لأن الخيال هذه حقيقته أن يجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسدا و ذلك لأن حضرته تعطي ذلك و ما ثم في طبقات العالم من يعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية فإنها تجمع بين النقيضين و فيها تظهر الحقائق على ما هي عليه لأن الحق في الأمور أن تقول في كل أمر تراه أو تدركه بأي قوة كان الإدراك إن ذلك الذي أدركته هو لا هو كما قال وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فلا تشك في حال الرؤيا في الصورة التي تراها أنها عين ما قيل لك إنه هو و ما تشك في التعبير إذا استيقظت أنه ليس هو و لا تشك في النظر الصحيح أن الأمر هو لا هو قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فكل عين متصفة بالوجود فهي لا هي فالعالم كله هو لا هو و الحق الظاهر بالصورة هو لا هو فهو المحدود الذي لا يحد و المرئي الذي لا يرى و ما ظهر هذا الأمر إلا في هذه الحضرة الخيالية في حال النوم أو الغيبوبة عن ظاهر المحسوسات بأي نوع كان و هي في النوم أتم وجودا و أعمه لأنه للعارفين و العامة و حال الغيبة و الفناء و المحو و شبه ذلك ما عدا النوم لا يكون للعامة في الإلهيات فما أوجد الله شيئا من الكون على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه إلا هذه الحضرة فلها الحكم العام في الطرفين كما للممكن قبول النقيضين فيكون له ذلك ذوقا فإن الذي يستحيل عليه العدم و إن كان له العلم بالعدم لا يكون علمه ذاتيا و هو الذي يسمى ذوقا بخلاف الممكن فإن العدم له ذوق و الذي يستحيل عليه الوجود و العلم به لا ذوق له في الوجود رأسا و الممكن له في الوجود ذوق فأوجد الله هذه الحضرة الخيالية ليظهر فيها الأمر الذي هو الأصل على ما هو عليه فاعلم أن الظاهر في المظاهر مظاهر الأعيان هو الوجود الحق و أنه ما هو لما ظهر به من الأشكال و النعوت التي أعيان الممكنات عليها و جعل هذه الحضرة كالجسر بين الشطين للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط فجعل النوم معبرا و جعل المشي عليه عبورا قال تعالى إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ و جعل إدراك ذلك في حالة تسمى راحة و هي النوم من حقيقة قوله وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فأضاف العمل إليه و ذكر في الخلق أنه بيديه و بأيد و بيده و بقوله ثم أعلمنا أنه و إن اتصف بالعمل إنه لم يؤثر فيه تعب فقال وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ و قال وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ فمن هذه الحقيقة ظهرت الأعمال العظيمة المحرجة المتعبة في

النوم الذي هو راحة البدن أي الطبيعة مستريحة في هذه الحال من الحركات الحسية الظاهرة فهذا هو العمل العظيم في راحة من حيث لا يشعر إنه في راحة و لا سيما إذا رأى في النوم أمورا هائلة مفزعة فإذا استيقظ وجد الراحة فعلم أنه كان في راحة من حيث لا يشعر و منهم من يعلم في النوم أنه في النوم و الناس فيه على طبقات و إنما سمينا هذه الحالة بانتقال لأن المعاني تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس المواد كظهور الحق في صور الأجسام و العلم في صورة اللبن و ما أشبه ذلك و الانتقال الثاني انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس و لكن له في هذه الحضرة ثبوته الذي له في حضرة اليقظة فإنه سريع التبدل في هذه الحضرة كما يتبدل في اليقظة في صور مختلفة في باطنه لا في ظاهره فباطنه في اليقظة هي هذه الحضرة و جعل الليل لباسا لها فإن الليل لا يعطي للناظر في نظرة سوى نفسه فهو يدرك و لا يدرك به فإنه غيب و ظلمة و الغيب و الظلمة يدركان و لا يدرك بهما و الضوء يدرك و يدرك به و هو حال اليقظة فلهذا تعبر الرؤيا و لا يعبر ما أدركه الحس فإذا ارتقى الإنسان في درج المعرفة علم أنه نائم في حال اليقظة المعهودة و أن الأمر الذي هو فيه رؤيا إيمانا و كشفا و لهذا ذكر الله أمورا واقعة في ظاهر الحس و قال فاعتبروا و قال إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً أي جوزوا و اعبروا مما ظهر لكم من ذلك إلى علم ما بطن به و ما جاء له قال ع الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا و لكن لا يشعرون و لهذا قلنا إيمانا و قد ذكرنا هذا المقام مستوفى في باب المعرفة من هذا الكتاب و قد تقدم و هو الباب السابع و السبعون و مائة فالوجود كله نوم و يقظته نوم فالوجود كله راحة و الراحة رحمة ف وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فإليها المال تقول الملائكة لله وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً و هنا سر إن بحثت عليه انتهيت إليه و هو رحمته بالأسماء الحسنى في ظهور آثارها فمنتهى علمه منتهى رحمته ثم أرجع و أقول و إن حصل في الطريق تعب فهو تعب في راحة كالأجير يحمل التعب أو يستلذه لما يكون في نفسه من راحة الأجرة التي لأجل حصولها عمل فيحجبه عن التعب وجود راحة الأجرة فإذا قبضها دخل في راحة النوم بالليل فركدت جوارحه عن الحركة فوجد الراحة فانتقل من راحة الأجرة إلى راحة النوم فعلى التحقيق أن صور العالم للحق من الاسم الباطن صور الرؤيا للنائم و التعبير فيها كون تلك الصور أحواله فليس غيره كما أن صور الرؤيا أحوال الرائي لا غيره فما رأى إلا نفسه فهذا هو قوله إنه ما خلق السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و هو عينه و هو قوله في حق العارفين وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ أي الظاهر فهو الواحد الكثير فمن اعتبر الرؤيا يرى أمرا هائلا و يتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه و لهذا ان رسول الله ص إذا أصبح في أصحابه سألهم هل رأى أحد منكم رؤيا لأنها نبوة فكان يحب أن يشهدها في أمته و الناس اليوم في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان رسول الله ص يعتني بها و يسأل كل يوم عنها و الجهلاء في هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع في النوم لم يرفعوا به رأسا و قالوا بالمنامات يريد أن يحكم هذا خيال و ما هي إلا رؤيا فيستهونوا بالرائي إذا اعتمد عليها و هذا كله

لجهله بمقامها و جهله بأنه في يقظته و تصرفه في رؤيا و في منامه في رؤيا في رؤيا فهو كمن يرى أنه استيقظ في نومه و هو في منامه و هو قوله ع الناس نيام فما أعجب الأخبار النبوية لقد أبانت عن الحقائق على ما هي عليه و عظمت ما استهونه العقل القاصر فإنه ما صدر إلا من عظيم و هو الحق فهذا معنى قولنا في التقسيم إنه قسم الانتقال و أما القسم الآخر من النوم فهو قسم الراحة و هو النوم الذي لا يرى فيه رؤيا فهو لمجرد الراحة البدنية لا غير فهذا هو حال الرؤيا و بقي معرفة المكان و المحل فأما المحل فهو هذه النشأة العنصرية لا يكون للرؤيا محل غيرها فليس للملك رؤيا و إنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة و محلها في العلم الإلهي الاستحالات في صور التجلي فكل ما نحن فيه رؤيا الحق في راحة ارتفاع الإعياء و التعب لا غير و أما المكان فهو ما تحت مقعر فلك القمر خاصة و في الآخرة ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة و ذلك لأن النوم قد يكون في جهنم في أوقات و لا سيما في المؤمنين من أهل الكبائر و ما فوق فلك الكواكب فلا نوم و أعني به هذا النوم الكائن المعروف في العرف و أما الذي ذهبنا إليه أولا في معرفة حال النوم فذلك أمر آخر قد بيناه و صورة مكانه هكذا فانظر إلى ما صورناه في الهامش و هو هذا هذا صورة مكان الرؤيا و هو يشبه بالقرن و هو الصور أعلاه واسع و أسفله ضيق مقلوب النشء فإن الذي يلي الرأس منه هو الأعلى و هو الأوسع و الذي هو الأضيق منه هو الأسفل و هو الذي بعد عن الأصل فذلك القرن مكان الرؤيا فإذا خرج عن هذا الصور خرج عن مكان الرؤيا المعلومة في العرف فلا يرى بعد هذا رؤيا لأنه لا تقوم به صفة نوم فهو في راحة الأبد و هذا القدر كاف فيما نرومه من التعريف بمقام الرؤيا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و الذي سكتنا عنه عظيم لأن الفكر يعجز عن تصوره من أكثر الناس وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ كما إن أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ و إلى العلم يرجع الفقه و العقل في قوله لا يَفْقَهُونَ و لا يَعْقِلُونَ انتهى الجزء السابع عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(أبواب الأحوال)

(الباب التاسع و الثمانون و مائة في السالك و السلوك)

إن السلوك هو الطريق الأقوم فإذا استقمت فأنت فيه السالك

اشتق من سلك اللآلي لفظه فحسامه عضب المضارب باتك

لا تمنعنك عن السلوك مضايق من خلفهن أرائك و درانك

لا يسلكن لغاية و نهاية طرق المحال بمشبتيها فاتك

اعلم وفقك الله أن السلوك انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى و انتقال بالصورة من عمل مشروع على طريق القربة إلى الله إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بفعل و ترك فمن فعل إلى فعل أو من ترك إلى ترك أو من فعل إلى ترك أو من ترك إلى فعل و ما ثم خامس للصورة و انتقال بالعلم من مقام إلى مقام و من اسم إلى اسم و من تجل إلى تجل و من نفس إلى نفس و المنتقل هو السالك و هو صاحب مجاهدات بدنية و رياضات نفسية قد أخذ نفسه بتهذيب الأخلاق و حكم على طبيعته بالقدر الذي يحتاج إليه من الغذاء الذي يكون به قوام مزاجها و اعتدالها و لا يلتفت إلى جوع العادة و الراحة المعتادة فإن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا وُسْعَها فإذا بذلت الوسع في طاعة الله لم يقم عليها حجة غير إن السالكين في سلوكهم على أربعة أقسام منهم سالك يسلك بربه و سالك يسلك بنفسه و سالك يسلك بالمجموع و سالك لأسألك فيتنوع السلوك بحسب قصد السالك و رتبته في العلم بالله فأما السالك الذي يسلك بربه فهو الذي يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه فإن عينه ثابتة و لهذا أعاد الضمير عليه لوجوده في قوله كنت سمعه فهذه الهاء هي عينك الذي الحق سمعها و بصرها و ما سلكت إلا بهذه القوي و هذه القوي قد أخبر الحق أنه لما أحبك كان سمعك و بصرك فهو قواك فبه سلكت في طاعته التي أمرك بأن تعمل نفسك فيها و تحلى ذاتك بها و هي زينة الله و هو سبحانه الجميل و الزينة جمال فهو جمال هذا السالك فزينته ربه فبه يسمع و به يبصر و به يسلك و لا مانع من ذلك و لهذا قال قُلْ من حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ لما أحبهم حين تقربوا إليه بنوافل الخيرات زينهم به فكان قواهم التي سلكوا بها ما كلفهم من الأعمال و هو قوله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و هي كلمة تطلبها المجازاة فاستعانوا بالله على عبادته بأن كان قواهم كما أنه بوجود أعيانهم و إن كان وجودهم قد استفادوه منه لم يتمكن خلق الأعمال التي هي محاب الله إلا في وجود أعيانهم فحصل لديهم ضرب من الإعانة على إيجاد الأعمال التي لا تقوم بنفسها فلما عملوا بها و ما زالوا يطلبون الاستعانة منه على ذلك جَزاءً وِفاقاً أعانهم بنفسه بأن قال لهم بي تسمعون و تبصرون و تبطشون و غير ذلك من القوي التي هم عليها ليست غير الحق بأخبار الحق و الناس في عماية لا يعرفون من هذه صورته فكثيرا ما يسيئون الأدب على من هذه صفته فتكون إساءة ذلك الأدب مع الله فالاحتياط تعظيم عباد الله فإنه ما من شخص إلا و يمكن أن يكون هو ذلك العبد فإن الأمر غيب ما هو بمحسوس حتى يتميز إلا عند أهله فوجب مراعاة كل مؤمن على كل مكلف فإنه إذا فعل ذلك أحرز الأمر و استبرأ لنفسه و لا يقال له لم فعلت كذا فإنه قصد جميل فإن وافق محله و إلا فقد و في الأمر حقه لقصده احترام الجناب الإلهي لما دخل في المسألة من الإمكان لكل شخص شخص و هذا لا يكون إلا للادباء من أهل الله و القسم الآخر السالك بنفسه و هو المتقرب إلى ربه ابتداء بالفرائض و نوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق من أتى بهما لتحصيل المحبتين فهو يجهد فيما كلفه الحق و يبذل استطاعته و قوته فيما أمره به ربه و نهاه من عبادة ربه في قوله فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وإن كانوا قد سمعوا هذا الخبر الإلهي و اعتقدوه إيمانا به و لكن ما حصل لهم هذا ذوقا فيكون الحق قواهم فهم سالكون بنفوسهم في جميع مراتب السلوك من حال و عمل و مقام و اسم و تجل و ما يصح فيه الانتقال من أمر إلى أمر و هذا هو سلوك الأدباء من أهل الله و ذلك أن الله كلف عباده فعلموا إن ثم حقيقة تقتضي أن تكون المخاطبة بالتكليف و ما ثم إلا هم فيعلمون أنهم المرادون و إن لم يتعين عندهم بأي حقيقة توجه عليهم الخطاب فيسلكون بنفوسهم في العموم مع علمهم بأن الأمر لا بد فيه من نسبة خاصة أو عين موجودة تستحق التكليف فيبذلون المجهود و يوفون بالعقود و إن جهلوا المقصود إلى أن يفتح الله لهم كما فتح لمن سلك بربه و أما السالك بالمجموع فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه و بصره و علم سلوكه أولا بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين فلما علم أن الحق سمعه و علم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع و رأى ثبوت هذا الضمير و عاين على من عاد فعلم أن نفسه و عينه هي السميعة بالله و الناظرة بالله و المتحركة بالله و الساكنة بالله و إنها المخاطبة بالسلوك و الانتقال فسلك بالمجموع و أما القسم الرابع و هو سالك لأسألك فهو إنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها و لا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة و يكون كالمحل لها فيبدو له أنه سالك بالمجموع فإذا تبين له أن بالمجموع ظهر السلوك بأن له أن المظهر لا وجود له عينا و أن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر و رأى الحق يقول وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و كذلك لو قال و ما رمى لصح كما صح في الطرف الأول فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لأسألك ثم اعلم أن السالكين الذين ذكرناهم على مراتب فمنهم السالك منه إليه و منهم السالك منه إليه فيه و منهم السالك منه إليه فيه به و منهم السالك منه لا فيه و لا إليه و منهم السالك إليه لا منه و لا فيه و منهم السالك لا منه و لا إليه و لا فيه و هو موصوف بالسلوك و بأنه سالك و منهم السالك من غير سفر و منهم السالك المسافر و هو في الباب الذي يلي هذا الباب فكل مسافر سالك و ما كل سالك مسافر كما سنذكره إن شاء الله بعد هذا الباب في باب المسافر و أنواع السلوك كثيرة و ما ذكرنا منها إلا القليل فأما السالك منه إليه فهو المنتقل من تجل إلى تجل و أما السالك إليه منه فيه فهو السالك من اسم إلهي إلى اسم إلهي في اسم إلهي و أما السالك منه إليه فيه به فهو السالك باسم إلهي من اسم إلى اسم في اسم و أما السالك منه لا فيه و لا إليه فهو الذي خرج من عند الله في الكون إلى الكون و أما السالك إليه لا منه و لا فيه فهو الفار إليه في الكون من الكون كفرار موسى ع و أما السالك لا منه و لا فيه و لا إليه فهو المنتقل في الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة و هم الزهاد غير العارفين و كلما ذكرناه قد يكون على التقسيم الذي تقدم في حرف الباء من أنه سلك بربه أو بنفسه إلى نهاية التقسيم فيه و للسلوك مراتب و أسرار يطول النظر فيها و يخرجنا عن المقصود في هذا الكتاب من الاقتصاد و الاقتصار على الضروري من العلم الذي يحتاج

إليه أهل طريق الله أن يبينه لهم من فتح عليه به من أمثالنا و هذا الكتاب مع طوله و اتساعه و كثرة فصوله و أبوابه ما استوفينا فيه خاطرا واحدا من خواطرنا في الطريق فكيف الطريق و لا أخللنا بشيء من الأصول التي يعول عليها في الطريق فحصرناها مختصرة العبارة بين إيماء و إيضاح

(الباب التسعون و مائة في معرفة المسافر و هو الذي أسفر له سلوكه عن أمور مقصودة له

و غير مقصودة و هو مسافر بالفكر و العمل و الاعتقاد)

إلى أين أو من أين أنت مسافر و ذاك لعمر الله أمر ينافر

قضية معقول الدليل و شرعه فلا تك ممن للاله يسافر

و لا تخله من كل كون فإنه هو العين إلا أنه العبد حائر

ففيه فسافر لا إليه و لا تكن جهولا فكم عقل عليه يثابر

اعلم أيدك الله أن المسافر في طريق الله رجلان مسافر بفكره في المعقولات و الاعتبارات و مسافر بالأعمال و هم أصحاب اليعملات فمن أسفر له طريقه عن شيء فهو مسافر و يجب عليه قصر الصلاة على الله و هو مخير في الصوم و من لم يسفر له طريقه عن شيء فهو سالك متصرف في طرق مدينته و شوارعها غير مسافر فليصم و ليتم صلاته فلنذكر حالة المسافر في الطريق و الله المؤيد و الموفق إن شاء الله المسافر من سافر بفكره في طلب الآيات و الدلالات على وجود صانعه فلم يجد في سفره دليلا على ذلك سوى إمكانه و معنى إمكانه هو أن ينسب إليه و إلى جميع العالم الوجود فيقبله أو العدم فيقبله فإذا تساوى في حقه الأمران لم تكن نسبة الوجود إليه من حيث ذاته بأولى من نسبة العدم فافتقر إلى وجود المرجح الذي رجح له أحد الوصفين على الآخر فلما وصل إلى هذا المنزل و قطع هذه المنهلة و أسفرت له عن وجود مرجحه أحدث سفرا آخر في علم ما ينبغي لهذا الصانع الذي أوجده فأسفر له الدليل على انفراده بصفات التنزيه تنزيه ما هو عليه هذا الممكن من الافتقار و أن هذا المرجح واجب الوجود لنفسه لا يجوز عليه ما جاز على هذا الممكن ثم انتقل مسافرا إلى منزلة أخرى فأسفر له عن أن هذا الواجب الوجود لنفسه يستحيل عليه العدم لثبوت قدمه و أنه من ثبت قدمه استحال عدمه لأنه لو كان عدمه لنفسه لما كان واجب الوجود لنفسه و لو انعدم ينعدم فلا بد أن يكون ذلك المعدم له وجودا أو عدما محال أن يكون عدما فبقي أن يكون وجودا و إذا كان وجودا فلا بد أن يكون المعدم شرطا أو ضدا و أن كل واحد من هذين إما أن يكون واجب الوجود أيضا لنفسه فمن المحال وجود هذا الذي دل الدليل على وجوب وجوده لنفسه ثم يساق الدليل على مساق

الأدلة في المعقولات ثم يسافر في منزلة أخرى إلى أن ينفي عنه كل ما يدل على حدوثه فيحيل أن يكون هذا المرجح جوهرا متحيزا أو جسما أو عرضا أو في جهة ثم يسافر في علم توحيده بوجود العالم و بقائه و صلاحه إذ لو كان معه إله آخر لم يوجد العالم على تقدير الاتفاق و الاختلاف كما يعطيه النظر ثم ينتقل مسافرا أيضا إلى منزلة تعطيه العلم بما يجب لهذا المرجح من العلم بما أوجده و خلقه و الإرادة لذلك و نفوذها و عدم قصورها و عموم تعلق قدرته بإيجاد هذا الممكن و حياة هذا المرجح لأنها الشرط في ثبوت هذه النعوت له و إثبات صفات الكمال من الكلام و السمع و البصر بأنه لو لم يكن على ذلك لكان مئوفا لأن القابل لا حد الضدين إذا عرى عن أحدهما لم يعر عن الآخر فإذا عرف هذا سافر إلى منزلة أخرى يعلم منها و تسفر له عن إمكان بعثة الرسل ثم يسافر فيعلم أنه قد بعث رسلا و أقام لهم الدلالة على صدقهم فيما ادعوه من أنه بعثهم و لما تقرر هذا و كان هو ممن بعث إليه هذا الرسول فآمن به و صدقه و اتبعه فيما رسم له حتى أحبه الله فكشف له عن قلبه و طالع عجائب الملكوت و انتقش في جوهر نفسه جميع ما في العالم وفر إلى الله مسافرا من كل ما يبعده منه و يحجبه عنه إلى أن رآه في كل شيء فلما رآه في كل شيء أراد أن يلقي عصا التسيار و يزيل عنه اسم المسافر فعرفه ربه أن الأمر لا نهاية له لا دنيا و لا آخرة و أنك لا تزال مسافرا كما أنت على ذلك لا يستقر بك قرار كما لم تزل تسافر من وجود إلى وجود في أطوار العالم إلى حضرة أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ثم لم تزل تنتقل من منزلة إلى منزلة إلى أن نزلت في هذا الجسم الغريب العنصري فسافرت به كل يوم و ليلة تقطع منازل من عمرك إلى منزلة تسمى الموت ثم لا تزال مسافرا تقطع منازل البرازخ إلى أن تنتهي إلى منزلة تسمى البعث فتركب مركبا شريفا يحملك إلى دار سعادتك فلا تزال فيها تتردد مسافرا بينها و بين كثيب المسك الأبيض إلى ما لا نهاية له هذا سفرك بهيكلك و أما في المعارف فمثل ذلك و كذلك لا تزال مسافرا بالأعمال البدنية و الأنفاس من عمل إلى عمل ما دام التكليف فإذا انتهت مدة التكليف فلا تزال مسافرا سفرا ذاتيا تعبده لذاته لا بأمره سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا فسافر به من الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ليريه من آياته و قد ذكرنا هذا السفر في جزء لنا سميناه الأسفار عن نتائج الأسفار و قال تعالى في المسافرين أَ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و قال أَ وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا و يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فهذا معنى المسافر

(الباب الحادي و التسعون و مائة في معرفة السفر و الطريق و هو توجه القلب إلى الله بالذكر عن مراسم الشرع بالعزائم لا بالرخص ما دام مسافرا)

توجه القلب بالأذكار مرتحلا على مراسم دين الله عنوان

على التحقق إن القلب في سفر عزما و فيه دلالات و برهان

و كل متصف بالسير راحته معدومة العين و الأحوال سلطان

الرب ينزل من عرش إلى فلك أدنى أتاك به وحي و فرقان

إليك وحدك دون الخلق كلهم و في تنزله للكون تبيان

على محبته فينا و صورته تدعوه مني فلا يحجبك إنسان

و أنت حق و ذاك الحق أنزله في مظهر قيدته فيه أركان

اعلم أيدك الله أن السفر حال المسافر و الطريق هو ما يمشي فيه و يقطعه بالمعاملات و المقامات و الأحوال و المعارف لأن في المعارف و الأحوال الأسفار عن أخلاق المسافرين و مراتب العالم و منازل الأسماء و الحقائق و لهذا استحقت هذا اللقب و قد مشى الكلام في السالك و السلوك بما قد وقفت عليه و الإنسان لما كان مجموع العالم و نسخة الحضرة الإلهية التي هي ذات و صفات و أفعال احتاج إلى مطرق يطرق له السلوك عليها و السفر فيها ليرى العجائب و يقتني العلوم و الأسرار فإنه سفر تجارة فكان امطرق الشارع و الطريق المطرقة الشريعة فمن سافر في هذه الطريق وصل إلى الحقيقةفثم سفر بحق و سفر بخلق فالسفر بالحق على نوعين سفر ذات و سفر صفة و الإنسان الكامل يسافر هذه الأسفار كلها فيسافر بربه عن كشف إلهي و معية محققة يكون فيها مع الحق كما هو الحق معنا أينما كنا و قد عين سبحانه لنفسه أماكن كما يليق بجلاله و وصف نفسه بتردده فيها فإذا كان العبد معه سافر بسفره فيسفر له إنه هو كما أسفر له أنه ليس هو فالسفر الرباني من العماء إلى العرش فيظهر في العرش بالاسم الرحمن ثم ينزل معه بالاسم الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا ثم ينزل بالاسم الإله إلى الأرض ثم يصحبه بالهوية مع كل واحد من الكون ثم يسافر معه بالصحبة في سفر الكون ثم يختلف معه بالخلافة في الأهل ثم يسافر صحبة القرآن في سفره من كونه صفة الله إلى السماء الدنيا ثم يصحبه في سفره ثلاثا و عشرين سنة ثم يصحب الأسماء الإلهية في سفرها في الكون ثم يصحبه الكون في سفره من العدم إلى الوجود ثم يصحب الأنبياء في سفرهم فيصحب آدم في سفره من الجنة إلى الأرض ثم يصحبه في سفره في سبعمائة عمرة و ثلاثمائة حجة ثم يصحب إدريس في سفره إلى المكان العلي ثم يصحب نوحا في سفره في سفينة نجاته إلى الجودي ثم يصحب إبراهيم ع في جميع أسفاره و كذلك كل نبي و ملك كأسفار جبريل إلى كل نبي و رسول و كسفر ميكائيل و الملائكة بالعروج و النزول و سفر السياحين منهم و سفر الكواكب في سيرها و سفر الأفلاك في حركاتها و سفر العناصر في استحالاتها و سفر التجلي في صوره إلى أن يقف على حقائق هذا كله ذوقا من نفسه لا يرتاب و لا يشك و يجرد من ذاته في كل سفر ما يناسب صاحب ذلك السفر من حق و خلق فهذا هو سفر العارفين و طرق العلماء بالله الراسخين

(الباب الثاني و التسعون و مائة في معرفة الحال)

الحال مليهب الرحمن من منح عناية منه لا كسب و لا طلب

تغير الوصف برهان عليه فكن على ثبات فإن الحال تنقلب

و لا تقولن إن الحال دائمة فإن قوما إلى ما قلته ذهبوا

أبو عقال إمام سيد سند في الحال كان له في حاله عجب

دامت عليه إلى وقت البدور من المئين أيامها ما أسدلت حجب

و زاد ميقات موسى في إقامته على المئين كذا جاءت به الكتب

الحال عند الطائفة ما يرد على القلب من غير تعمل و لا اجتلاب فتتغير صفات صاحبه له و اختلف في دوامه فمنهم من قال بدوامه و منهم من منع دوامه و إنه لا بقاء له سوى زمان وجوده كالعرض عند المتكلمين ثم يعقبه الأمثال فيتخيل أنه دائم و ليس كذلك و هو الصحيح لكنه يتوالى من غير أن يتخلل الأمثال ما يخرجه عنه فمنهم من أخذه من الحلول فقال بدوامه و جعله نعتا دائما غير زائل فإذا زال لم يكن حالا و هذا قول من يقول بدوامه قال بعضهم ما أقامني الله منذ أربعين سنة في أمر فكرهته قال الإمام أشار إلى دوام الرضي و هو من جملة الأحوال هذا الذي قاله الإمام يحتمل و لكنه في طريق الله بعيد و إنما الذي ينبغي أن يقال في قول هذا السيد إنه أقام أربعين سنة ما أقامه الله في ظاهره و لا في باطنه في حال مذموم شرعا بل لم تزل أوقاته عليه محفوظة بالطاعات و ما يرضى الله و لقد لقيت شخصا صدوقا صاحب حال على قدم أبي يزيد البسطامي بل أمكن في شغله له إدلال في أدب فقال لي يوما لي خمسون سنة ما خطر لي في نفسي خاطر سوء يكرهه الشرع فهذه عصمة إلهية فيكون كلام ذلك السيد من هذا القبيل و الأحوال مواهب لا مكاسب اعلم أن الحال نعت إلهي من حيث أفعاله و توجهاته على كائناته و إن كان واحد العين لا يعقل فيه زائد عليه قال تعالى عن نفسه كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و أصغر الأيام الزمن الفرد الذي لا يقبل القسمة فهو فيه في شئون على عدد ما في الوجود من أجزاء العالم الذي لا ينقسم كل جزء منه بهذا الشرط فهو في شأن مع كل جزء من العالم بأن يخلق فيه ما يبقيه سوى ما يحدثه مما هو قائم بنفسه في كل زمان فرد و تلك الشئون أحوال المخلوقين و هم المحال لوجودها فيهم فإنه فيهم يخلق تلك الشئون دائما فلا يصح بقاء الحال زمانين لأنه لو بقي زمانين لم يكن الحق في حق من بقي عليه الحال خلاقا و لا فقيرا إليه و كان يتصف بالغنى عن الله و هذا محال و ما يؤدي إلى المحال محال و هذا مثل قول القائلين بأن العرض لا يبقى زمانين و هو الصحيح و الأحوال أعراض تعرض للكائنات من الله يخلقها فيهم عبر عنها بالشأن الذي هو فيه

دنيا و آخرة هذا أصل الأحوال الذي يرجع إليه في الإلهيات فإذا خلق الله الحال لم يكن له محل إلا الذي يخلقه فيه فيحل فيه زمان وجوده فلهذا اعتبره من اعتبره من الحلول و هو النزول في المحل و قد وجد ثم إنه ليس من حقيقته أن يبقى زمانين فلا بد أن ينعدم في الزمان الثاني من زمان وجوده لنفسه لا ينعدم بفاعل يفعل فيه العدم لأن العدم لا ينفعل لأنه ليس شيئا وجوديا و لا بانعدام شرط و لا بضد لما في ذلك كله من المحال فلا بد أن ينعدم لنفسه أي العدم له في الزمان الثاني من زمان وجوده حكم لازم و المحل لا بقاء له دونه أو مثله أو ضده فيفتقر في كل زمان إلى ربه في بقائه فيوجد له الأمثال أو الأضداد فإذا أوجد الأمثال يتخيل أن ذلك الأول هو على أصله باق و ليس كذلك و إذا كان الحق كل يوم في شأن و كل شأن عن توجه إلهي و الحق قد عرفنا بنفسه أنه يتحول في الصور فلكل شأن يخلقه بصورة إلهية فلهذا ظهر العالم على صورة الحق و من هنا نقول إن الحق علم نفسه فعلم العالم فمثل هذا اعتبر من اعتبر الحال من التحول و الاستحالة فقال بعدم الدوام فلا يزال العالم مذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة و الوجود في أحوال تتوالى عليه الله خالقها دائما بتوجهات إرادية تصحبها كلمة الحضرة المعبر عنها بكن فلا تزال الإرادة متعلقة و هو المتوجه و لا تزال كن و لا يزال التكوين هكذا هو الأمر في نفسه حقا و خلقا و قد يطلقون الحال و يريدون به ظهور العبد بصفة الحق في التكوين و وجود الآثار عن همته و هو التشبه بالله المعبر عنه بالتخلق بالأسماء و هو الذي يريده أهل زماننا اليوم بالحال و نحن نقول به و لكن لا نقول بأثره لكن نقول إنه يكون العبد متمكنا منه بحيث لو شاء ظهوره لظهر به لكن الأدب يمنعه لكونه يريد أن يتحقق بعبوديته و يستتر بعبادته فلا ينكر عليه أمر بحيث إذا رىء في غاية الضعف ذكر الله عند رؤيته فذلك عندنا ولي الله فيكون في الكون مرحمة و هو قول النبي صلى الله عليه و سلم في أولياء الله إنهم الذين إذا رأوا ذكر الله من صبرهم على البلاء و محنة الله لهم الظاهرة فلا يرفعون رءوسهم لغير الله في أحوالهم فإذا رىء منهم مثل هذه الصفة ذكر الله بكونه اختصهم لنفسه و من لا علم له بما قلناه يقول الولي صاحب الحال الذي إذا رىء ذكر الله هو الذي يكون له التكوين و الفعل بالهمة و التحكم في العالم و القهر و السلطان و هذه كلها أوصاف الحق فهؤلاء هم الذين إذا رأوا ذكر الله و هذا قول من لا علم له بالأمور و إن مقصود الشارع إنما هو ما ذكرناه و أما هذا القول الآخر فقد ينال التحكم في العالم بالهمة من لا وزن له عند الله و لا قيمة و ليس بولي و إنما سئل النبي و أجاب بهذا عن أولياء الله فقيل له من أولياء الله فقال الذين إذا رأوا ذكر الله لما طحنتهم البلايا و شملتهم الرزايا فلا يتزلزلون و لا يلجئون لغير الله رضي بما أجراه الله فيهم و أراده بهم فإذا رأتهم العامة على مثل هذا الصبر و الرضي و عدم الشكوى للمخلوقين ذكرت العامة الله و علمت أن لله بهم عناية و أصحاب الآثار قد يكونون أولياء و قد تكون تلك الآثار التكوينية عن موازين معلومة عندنا و عند من يعرف همم النفوس و قوتها و انفعال أجرام العالم لها و من خالط العزابة و رأى ما هم عليه من عدم

التوفيق مع كونهم يقتلون بالهمة و يعزلون و يتحكمون لقوة هممهم و أيضا لما في العالم من خواص الأسماء التي تكون عنها الآثار التكوينيات عند من يكون عنده علم ذلك مع كون ذلك الشخص مشركا بالله فما هو من خصائص أولياء الله تعالى التأثير في الكون فما بقي إلا ما ذكرناه

(الباب الثالث و التسعون و مائة في معرفة المقام)

إن المقام من الأعمال يكتسب له التعمل في التحصيل و الطلب
به يكون كمال العارفين و ما يردهم عنه لا ستر و لا حجب
له الدوام و ما في الغيب من عجب الحكم فيه له و الفصل و الندب
هو النهاية و الأحوال تابعة و ما يجليه إلا الكد و النصب
إن الرسول من أجل الشكر قد ورمت أقدامه و علاه الجهد و التعب

اعلم أن المقامات مكاسب و هي استيفاء الحقوق المرسومة شرعا على التمام فإذا قام العبد في الأوقات بما تعين عليه من المعاملات و صنوف المجاهدات و الرياضات التي أمره الشارع أن يقوم بها و عين نعوتها و أزمانها و ما ينبغي لها و شروطها التمامية و الكمالية الموجبة صحتها فحينئذ يكون صاحب مقام حيث أنشأ صورته كما أمر كما قيل له أَقِيمُوا الصَّلاَةَ فأقاموا نشأتها صورة كاملة فخرجت طائرا ملكا روحا مقدسا فلم يكن له استقرار دون الحق ثم ينتقل هذا العبد إلى مقام آخر لينشئ أيضا صورته و بهذا يكون العبد خلاقا هذا معنى المقام و لم يختلف أحد من أهل الله أنه ثابت غير زائل كما اختلفوا في الحال و ليس الأمر عندنا على إطلاق ما قالوه بل يحتاج إلى تفصيل في ذلك و ذلك لاختلاف حقائق المقامات فإنها ما هي على حقيقة واحدة فمن المقامات ما هو مشروط بشرط فإذا زال الشرط زال كالورع لا يكون إلا في المحظور أو المتشابه فإذا لم يوجد أحدهما أو كلاهما فلا ورع و كذلك الخوف و الرجاء و التجريد الذي هو قطع الأسباب و هو ظاهر التوكل عند العامة و من المقامات ما هو ثابت إلى الموت و يزول كالتوبة و مراعاة التكليفات المشرعة و من المقامات ما يصحب العبد في الآخرة إلى أول دخول الجنة كبعض المقامات المشروطة من الخوف و الرجاء و من المقامات ما يدخل معه الجنة كمقام الأنس و البسط و الظهور بصفات الجمال فالمقام هو ما يكون للعبد فيه إقامة و ثبات و هو عنده لا يبرح فإن كان مشروطا و جاء شرطه أظهره ذلك الوقت لوجود شرطه فهو عنده معد فلذلك قيل فيه إنه ثابت لا أنه يستعمل في كل وقت فافهم

(الباب الرابع و التسعون و مائة في معرفة المكان)

نفي المقام هو المكان و إنه للبثربي بسورة الأحزاب

من كان فيه يكون مجهولا لذا ما ناله أحد بغير حجاب

رب المكان هو الذي يدعى إذا دعي الرجال بسيد الأحباب

و له الوسيلة لا تكون لغيره و هو المقدم من أولي الألباب

و هو الإمام و ما له من تابع و هو المصرف حاجب الحجاب

قال تعالى يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ و قال تعالى في إدريس وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا و المكان نعت إلهي في العموم و الخصوص أما في العموم فقوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و أما في الخصوص فقوله وسعني قلب عبدي المؤمن و أما عموم العموم فإن يكون بحيث أنت و هو قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فذكر الأينية و المكان في الذوات كالمكانة في المراتب و المكان عند القوم منزلة في البساط هي لأهل الكمال الذين جازوا المقامات و الأحوال و الجلال و الجمال فلا صفة لهم و لا نعت و لا مقام كأبي يزيد اعلم أن عبور المقامات و الأحوال هو من خصائص المحمديين و لا يكون إلا لأهل الأدب جلساء الحق على بساط الهيبة مع الأنس الدائم لأصحابه الاعتدال و الثبات و السكون غير إن لهم سرعة الحركات في الباطن في كل نفس ف تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ إن تجلى لهم الحق في صورة محدودة أطرقوا فرأوه في إطراقهم مقلبا أحوالهم على غير الصورة التي تجلى لهم فيها فأورثهم الإطراق فهم بين تقييد و إطلاق لا مقام يحكم عليهم فإنه ما ثم فهم أصحاب مكان في بساط النشأة و هم أصحاب مكانة في عدم القرار فهم من حيث مكانتهم متنوعون و من حيث مكانهم ثابتون فهم بالذات في مكانهم و هم بالأسماء الإلهية في مكانتهم فمن الأسماء لهم المقام المحمود و المكانة الزلفى في اليوم المشهود و الزور و الوفود و من الذات لهم المكان المحدود و المعنى المقصود و الثبات على الشهود و حالة الوجود و رؤيته في كل موجود في سكون و خمود يشهدونه في العماء بالعين التي يشهدونه بها في الاستواء بالعين التي يشهدونه بها في السماء الدنيا بالعين التي يشهدونه بها في الأرض بالعين التي يشهدونه بها في المعية بالعين التي يشهدونه بها في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هذا كله من نعوت المكان و أما شهودهم من حيث المكانة فتختلف عيونهم باختلاف النسب فالعين التي يشهدونه بها في كذا ليست العين التي يشهدونه بها في أمر آخر و المشهود في عين واحدة و الشاهد من عين واحدة و النظرة تختلف باختلاف المنظور إليه فمنا من يرى اختلاف النظر لاختلاف المنظور و منا من يرى اختلاف المنظور لاختلاف النظر و كل له شرب معلوم فالمكان يطلب فرغ ربك و المكانة تطلب كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ

الثَّقَلانِ فجاء بلفظ الثقلين أعلاما من خاطب و من يريد و نحن مركبون من ثقيل و خفيف فالخفيف للمكانة و الثقيل للمكان الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فثبتت الرحمة فلم تزل و أثرت في النزول إلى السماء الدنيا فما نزل ليسلط عذابا و إنما نزل ليقبل تائبا و يجيب داعيا و يغفر لمستغفر و يعطي سائلا فذكر هذا كله و لم يذكر شيئا من القهر لأنه نزل من عرش الرحمن فالمكان رحمة حيث كان لأن فيه استقرار الأجسام من تعب الانتقال إلا تراهم في حال العذاب كيف وصفهم بالانتقال بتبديل الجلود و التبديل انتقال إلى أن يفرغ الميقات و الأمر الحقيقي للمكانة فإنه لا يصح الثبوت على أمر واحد في الوجود فالمكان ثبوت في المكانة كما نقول في التمكين أنه تمكين في التلوين لا أن التلوين يضاد التمكين كما يراه من لا علم له بالحقائق و للتمكين باب يرد بعد هذا إن شاء الله

(الباب الخامس و التسعون و مائة في معرفة الشطح)

الشطح دعوى في النفوس بطبعها لبقية فيها من آثار الهوى

هذا إذا شطحت بقول صادق من غير أمر عند أرباب النهي

اعلم أيدك الله أن الشطح كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته التي أعطاه الله من المكانة عنده أفصح بها عن غير أمر إلهي لكن على طريق الفخر بالراء فإذا أمر بها فإنه يفصح بها تعريفا عن أمر إلهي لا يقصد بذلك الفخر قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم و لا فخر يقول ما قصدت الافتخار عليكم بهذا التعريف لكن أنبأتكم به لمصالح لكم في ذلك و لتعرفوا منة الله عليكم برتبة نبيكم عند الله و الشطح زلة المحققين إذا لم يؤمر به فيقولها كما قالها عليه السلام و لهذا بين فقال و لا فخر فإني أعلم أني عبد الله كما أنتم عبيد الله و العبد لا يفتخر على العبد إذا كان السيد واحدا و كذا نطق عيسى فبدأ بالعبودية و هو بمنزلة قوله عليه السلام و لا فخر فقال لقومه في براءة أمه و لما علم من نور النبوة التي في استعداده أنه لا بد أن يقال فيه إنه ابن لله فقال إِنِّي عَبْدُ اللهِ فبدأ في أول تعريفه و شهادته في الحال الذي لا ينطق مثله في العادة فما أنا ابن لأحد فأمي طاهرة بتول و لست بابن لله كما أنه لا يقبل الصاحبة لا يقبل الولد و لكني عبد الله مثلكم آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا فنطق بنبوته في وقتها عنده و في غير وقتها عند الحاضرين لأنه لا بد له في وقت رسالته أن يعلم بنبوته كما جرت عادة الله في الأنبياء قبله فهم مأمورون بكل ما يظهر عليهم و منهم من الدعاوي الصادقة التي تدل على المكانة الزلفى و التميز عن الأمثال و الأشكال بالمرتبة المثلى عند الله وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أي محلا و علامة على زيادات الخير عندكم أَيْنَ ما كُنْتُ يعني في كل حال من الأحوال ما تختص البركة بسببي فيكم في حال دون حال و ذكرها كلها بلفظ الماضي و هو يريد الحال و الاستقبال فما كان منه في الحال فنطقه شهادة ببراءة أمه و تنبيها و تعليما لمن يريد أن يقول فيه أنه ابن الله فنزه الله و هو نظير براءة أمه مما نسبوا إليها فهو في جناب

الحق تنزيه و في جناب الأم تبرئة و يدل لفظ الماضي فيه و أَيْنَ ما كُنْتُ أن يكون له التعريف بذلك من الله كما كان لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم لما قال كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين فعلم مرتبته عند الله و آدم ما وجدت صورته البدنية و أعلم عيسى بلفظ الماضي أن الله آتاه الكتاب و أوصاه بالصلاة و الزكاة ما دام في عالم التكليف و التشريع و هو قوله ما دُمْتُ حَيًّا يريد حياة التكليف في ظاهر الأمر عند السامعين و يريد عندنا هذا و أمرا آخر و هو قوله تعالى في عيسى إنه كلمة الله و الكلمة جمع حروف و سيأتي علم ذلك في باب النفس بفتح الفاء فأخبر أنه آتاه الكتاب يريد الإنجيل و يريد مقام وجوده من حيث ما هو كلمة و الكتاب ضم حروف رقمية لإظهار كلمة أو ضم معنى إلى صورة حرف يدل عليه فلا بد من تركيب فلهذا ذكر أن الله أعطاه الكتاب مثل قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و يريد بالوصية بالصلاة و الزكاة العبادة كما تدل على العمل هي على العبادة أدل لأنها لا تفتقر في كونها عبادة إلى بيان و إذا أريد بها العمل احتيج إلى تعيين ذلك العمل و بيان صورته حتى يقيم نشأته هذا المكلف به فإذا كانت العبادة دل على أنه لا يزال حيا أينما كان و إن فارق هذا الهيكل بالموت فالحياة تصحبه لأنها صفة نفسية له و لا سيما و قد جعله روح الله ثم ذكر أنه بر بوالدته أي محسن إليها فأول إحسانه أنه برأها مما نسب إليها في حالة لا يشكون في أنه صادق في ذلك التعريف ثم تمم فقال وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا فإن الجبروت و هو العظمة يناقض العبودة و هو قوله إنه عبد الله و يريد بقوله جَبَّارًا أي لا أجبر الأمة التي أرسل إليها بالكتاب و الصلاة و الزكاة إنما أنا مبلغ عن الله لا غير لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ فأكون جبارا فأجبر و أبلغ عن الله كما قال يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ و ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ فقوله مذكر و المذكر لا يكون إلا لمن كان على حالة منسية و لو لم يكن كذلك لكان معلما لا مذكرا فدل أنه لا يذكرهم إلا بحال إقرارهم بربوبيته تعالى عليهم حين قبض الذرية من ظهر آدم في الميثاق الأول ثم قال وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ بما نطقت فيكم به من أني عبد الله فسلمت من انتساب وجودي إلى سفاح أو نكاح وَيَوْمَ أَمُوتُ فأسلم من وقوع القتل الذي ينسب إلى من يزعم أنه قتلني و هو قول بني إسرائيل إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ (عِيسَى) ابْنَ مَرْيَمَ فأكذبهم الله فقال وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ فقال لهم إن السلام عليه يوم يموت سالما من القتل إذ لو قتل قتل شهادة و الشهيد حي غير ميت و لا يقال فيه إنه ميت كما ورد النهي عن ذلك عندنا و كذلك لم يزل الأمر فأخبر أنه يموت و لا يقتل فذكر السلام عليه يوم يموت ثم ذكر أن السلام عليه يوم يبعث حيا يعني في القيامة و هو موطن سلامة الأبرياء من كل سوء مثل الأنبياء و غيرهم من أهل العناية فهو صاحب سلامة في هذه المواطن كلها و ما ثم موطن ثالث ما هي إلا حياة دنيا و حياة أخرى بينهما موت فهذه كلها لو لم تكن عن أمر إلهي لكانت من قائلها شطحات فإنها كلمات تدل على الرتبة عند الله على طريق الفخر بذلك على الأمثال و الأشكال و حاشا أهل الله أن يتميزوا عن الأمثال أو يفتخروا و لهذا كان

الشطح رعونة نفس فإنه لا يصدر من محقق أصلا فإن المحقق ما له مشهود سوى ربه و على ربه ما يفتخر و ما يدعي بل هو ملازم عبوديته مهيا لما يرد عليه من أوامره فيسارع إليها و ينظر جميع من في الكون بهذه المثابة فإذا شطح فقدا تحجب عما خلق له و جهل نفسه و ربه و لو انفعل عنه جميع ما يدعيه من القوة فيحيي و يميت و يولي و يعزل و ما هو عند الله بمكان بل حكمه في ذلك حكم الدواء المسهل أو القابض يفعل بخاصية الحال لا بالمكانة عند الله كما يفعل الساحر بخاصية الصنعة في عيون الناظرين فيخطف أبصارهم عن رؤية الحق فيما أتوا به و كل من شطح فعن غفلة شطح و ما رأينا و لا سمعنا عن ولي ظهر منه شطح لرعونة نفس و هو ولي عند الله إلا و لا بد أن يفتقر و يذل و يعود إلى أصله و يزول عنه ذلك الزهو الذي كان يصول به فذلك لسان حال الشطح هذا إذا كان بحق هو مذموم فكيف لو صدر من كاذب فإن قيل و كيف صورة الكاذب في الشطح مع وجود الفعل و الأثر منه قلنا نعم ما سألت عنه أما صورة الكاذب في ذلك فإن أهل الله ما يؤثرون إلا بالحال الصادق إذا كانوا أهل الله و ذلك المسمى شطحا عندهم حيث لم يقترن به أمر إلهي أمر به كما تحقق ذلك عن الأنبياء عليهم السلام فمن الناس من يكون عالما بخواص الأسماء فيظهر بها الآثار العجيبة و الانفعالات الصحيحة و لا يقول إن ذلك عن أسماء عنده و إنما يظهر ذلك عند الحاضرين أنه من قوة الحال و المكانة عند الله و الولاية الصادقة و هو كاذب في هذا كله و هذا لا يسمى شطحا و لا صاحبه شاطحا بل هو كذب محض ممقوت فالشطح كلمة صادقة صادرة من رعونة نفس عليها بقية طبع تشهد لصاحبها يبعده من الله في تلك الحال و هذا القدر كاف في حال معرفة الشطح

(الباب السادس و التسعون و مائة في معرفة الطوالع)

لا تنظرن إلى طوالع نوره فطوالع التوحيد ما لا تبصر
لو أبصرتها كان شرك ثابتا فبه المحنك ذو الحجى يتحير
إن المجرب للأمور هو الذي بمجنه يلقى فلا يتأثر
و بمجنه نصر الإله فعينه فبه يراه و عينه لا تبصر
الطمس رفع الحكم ليس ذهابه فهي الوجود و ما سواها مظهر

الطوالع عند الطائفة المصطلح عليها أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين فتطمس سائر الأنوار و هذه أنوار الأدلة النظرية لا أنوار الأدلة الكشفية النبوية فالطوالع تطمس أنوار الكشف و ذلك أن التوحيد المطلوب من الله الذي طلبه من عباده و أوجب النظر فيه إنما هو توحيد المرتبة و هو كونه إلها خاصة فلا إله غيره و على هذا يقوم الدليل الواضح و عند بعض العقول فضول من أجل القوي التي هي

آلاته فتعطيه في بعض الأمزجة أمزجة تراكيها فضولا يؤديه ذلك الفضول إلى النظر في ذات الله و قد حجر الشرع التفكر في ذات الله فزل هذا العقل في النظر في ذلك و تعدى و ظلم نفسه فأقام الأدلة على زعمه و هي أنوار الطوالع على إن ذات الإله لا ينبغي أن تكون كذا و لا أن تكون على كذا و نفت عنه جميع ما ينسب إلى المحدثات حتى يتميز عندها فجعلته محصورا غير مطلق بما دلت عليه أنوار أدلته ثم عدلت بعد ذلك إلى الكلام في ذوات صفاته فاختلف في ذلك أشعة أنوارهم أعني طرق بما دلتهم على ما ذكر في علم النظر ثم عدلوا إلى النظر في أفعاله فاختلفوا في ذلك بحسب اختلاف أشعة أنوارهم مما قد ذكر و سطر و ليس هذا الكتاب بمحل لما تعطيه أدلة الأفكار فإنه موضوع لما يعطيه الكشف الإلهي فلهذا لم نسردها على ما قررها أهلها في كتبهم ثم عدلوا إلى النظر في السمعيات و هو علمنا الذي يعول عليه في الحكم الظاهر و نأخذ بالكشف الإلهي عند التعمل بالتقوى فيتولى الله تعليمنا بالتجلي فنشهد ما لا تدركه العقول بأفكارها مما ورد به السمع و أحاله العقل و تأوله عقل المؤمن و سلمه المؤمن الصرف فجاءت أنوار الكشف بأن هذه الذات التي حجر التفكر فيها فرأيناها على النقيض مما دلت عليه العقول بأفكارها فيشاهد صاحب الكشف يمين الحق و يده و يديه و العين و الأعين المنسوبة إليه و القدم و الوجه ثم من النعوت الفرح و التعجب و الضحك و التحول من صورة إلى صورة هذا كله شاهدوه فالله الذي يعبده المؤمنون و أهل الشهود من أهل الله ما هو الذي يعبده أهل التفكر في ذات الله فحرموا العلم لكونهم عصوا الله و رسوله في أن فكروا في ذات الله و تعدوا مرتبة الكلام و النظر في كونه إلها واحدا إلى ما لا حاجة لهم به و قد فعل ذلك من ينتمي إلى الله كأبي حامد و غيره و هي مزلة قدم و إن كان جعل ذلك سترا له فإنه قد نبه في مواضع على خلاف ما أثبته و بالجملة أساء الأدب فمن حكم على نفسه فكره و نظره و أدخل عقله تحت سلطان نظره في ذلك و تخيل أنه على نور من ربه في نظره فطمس بأنوار أدلته أعين أنوار ما جاء به أهل الشهود و الكشف فما جاء من ذلك عن رسول و نبي في كتاب أو سنة و كان صاحب هذه الأنوار النظرية مؤمنا صادقا في إيمانه تأول ذلك في حق الرسول حتى لا يرجع عن النظر بنور فكره لأن اعتماده عليه و هو الذي أنشأ في نفسه ربا يعبده كما ينبغي لنظره فعبد عقله ثم إنه نقل الأمر في التأويل لقصوره من التشبيه بالأجسام لحدوثها إلى التشبيه بالمعاني المحدثة أيضا فما انتقل من محدث إلا إلى محدث فكان فضيحة الدهر عند المؤمنين و الذين شاهدوا الأمر على ما هو عليه و أصل ذلك كله أنه نتيجة عن معصية الله إذ قد نهاه رسول الله ص الذي لا ينطق عن الهوى عن التفكر في ذات الله فلم يفعل جعلنا الله و إياكم من أهل الشهود و الوجود فيا ليت هذا المؤمن إذا لم يكن من أهل الشهود أن يسلم الأمر إلى الله على علم الله فيه و لا يتعدى و أما إذا جاء بمثل هذه العلوم غير الرسول عند هذا الناظر كفره و زندقه و جهله و بهذا بعينه آمن به لما جاءه به الرسول فأي حجاب أعظم من هذا الحجاب فيقول له الأمر على كذا فيقول هذا

كفر فإذا قلت له كذا ورد في الصحيح عن النبي ع ما هو قولي سكت و قال بعد أن جاء عن النبي ص فله تأويل ننظر فيه فلا يقبله ذلك القبول لو لا رائحة هذا النظر الذي يرجوه في تأويله فما أبعده عن الحق المبين و قد يريد أصحابنا بالطوالع طوالع أنوار الشهود فتطمس أنوار الأدلة النظرية فما كان ينفيه عقلا مجردا عاد يثبته كشفا و لم يبق لذلك النور الفكري في عقله عينا و لا أثرا و لا جعل له عليه سلطانا فهذا معنى الطوالع

(الباب السابع و التسعون و مائة في معرفة الذهاب)

قلوب العاشقين لها ذهاب إذا هي شاهدت من لا تراه

و ذا من أعجب الأشياء فينا نراه و ما نراه إذا نراه

دليلي إذ يقول رميت عبدي فلا تعجب فما الرامي سواه

كذا قد جاء في القرآن نصا لأمر في حنين قد دهاه

معنى الذهاب و هي غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة المحبوب و ذلك يا ولي أن القلب و الباطن لا يتمكن للعارف فكيف للمحب أن يمر عليه نفس و لا حال لا يكون المحبوب فيه مشهودا له بعين قلبه و وجوده و ما بقي حجاب إلا في الحس بإدراكه المحسوسات حيث يراها ليست عين محبوبه فيحجبه فيطلب اللقاء لأجل هذا الحجاب فإذا ذهب المحسوس عن حسه في ظاهر الصورة كما يذهب في حق النائم انصرف الحس إلى الخيال فرأى مثال محبوبه في خياله و قرب من قلبه فرآه من غير مثال لأن الخيال ما بينه و بين المعنى واسطة و لا درجة كما أنه ليس بينه و بين المحسوس واسطة و لا درجة فهو واسطة العقد إليه ينزل المعنى و إليه يرتفع المحسوس فهو يلقي الطرفين بذاته فإذا انتقل العارف أو المحب من المحسوس إلى الخيال قرب من معنى المحبوب فشاهده في الخيال ممثلا ذا صورة و شاهده و هو في الخيال لما عدل بنظره إلى حضرة المعاني المجاورة لحضرة الخيال عاين المعنى مجردا عن المثال و الصورة ثم نظر إلى المثال و إلى المحسوس فعلم أنه لو تصور هذا المعنى في المحسوس لكان جميع صور المحسوسات صورته فغاب هذا المشاهد عن شهود كل محسوس إنه غير صورة محبوبه بل كل محسوس صورة محبوبه و لا بد فذهب عنه صورة المحسوس إنها غير صورة محبوبه فصار يشاهده في كل شيء فهذا هو الذهاب و منه المذهب الذي هو الطريق سمي مذهبا للذهاب فيه فهذا المحب ذاهب في صور المحسوسات كلها إنها صورة عين محبوبه فلا يزال في اتصال دائم في عالم الحس و في حضرة الخيال و في حضرة المعاني فله الذهاب في هذه الحضرات كلها و صارت مذهبا له حتى نفسه في جملة الصور و لهذا يقول

أنا من أهوى و من أهوى أنا

و مثل هذا قلنا في قصيدة

أنا محي أنا حبيبي أنا فتاي أنا فتاتي

و قد قلنا في هذا الباب أيضا من قصيدة

فإنني ما عشقت غيري فعين فصلى هو اتصالي

(الباب الثامن و التسعون و مائة في معرفة النفس بفتح الفاء)

نفس الأكوان من نفسه و هو وحي الحق في جرسه

و كلام الحق شاهده أثر في الكون من نفسه

إن موسى قبل أبصره في اشتعال النار في قبسه

معدن الراحات فيه فمن ناظر فيه و في حرسه

كان رسول الله ص قبل أن يعرف بعصمته من الناس و هو قوله وَاللهُ يَعْصِمُكَ من النَّاسِ إذا نزل منزلا يقول من يحرسنا الليلة مع كونه يعلم أن الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ و قال ع لما اشتد عليه كرب ما يلاقي من الأضداد إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فكانت الأنصار اعلم أن الموجودات هي كلمات الله التي لا تنفد قال تعالى في وجود عيسى ع إنه كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هو عيسى ع فلهذا قلنا إن الموجودات كلمات الله من حيث الدلالة السمعية إذ كان لا يصدقنا كل أحد فيما ندعي فيه الكشف أو التعريف الإلهي و الكلمات المعلومة في العرف إنما تتشكل عن نظم الحروف من النفس الخارج من المتنفس المتقطع في المخارج فيظهر في ذلك التقاطع أعيان الحروف على نسب مخصوصة فتكون الكلمات و بعد أن نبهتك على هذا لتجعل بالك لما نورده في هذا الباب فاعلم أن الله سبحانه ما استواء على عرشه إلا بالاسم الرحمن أعلاما بذلك أنه ما أراد بالإيجاد إلا رحمة بالموجودين و لم يذكر غيره من الأسماء و ذكر الاستواء على أعظم المخلوقات إحاطة من عالم الأجسام فإن الآلام ليس محلها إلا التركيب و أما البسائط فلا تقبل في ذاتها قيام معنى بها بل هي عين المعنى يدل على شمول الرحمة للعالم و إن طرأت عوارض البلايا فإنها رحمة كما ذكرنا في شرب الدواء الكرية ليس المقصود منه عذاب من شربه و لا إيلامه و إنما المقصود من استعماله ما يؤول إليه من استعمله من الراحة و العافية ثم اعلم بعد هذا أن الحق تسمى بالظاهر و الباطن فالظاهر للصور التي يتحول فيها و الباطن للمعنى الذي يقبل ذلك التحول و الظهور في تلك الصور فهو عالم الغيب من كونه

الباطن و الشهادة من كونه الظاهر و قد أعلمتك أن العالم نسخة إلهية على صورة حق و لذلك قلنا علم الله بالأشياء علمه بنفسه فلذلك حكمنا عليه بالصورة و بذا وردت الأسماء الإلهية و ورد في الصحيح أن الله خلق آدم على صورته و هو الإنسان الكامل المختصر الظاهر بحقائق الكون كله حديثه و قديمه و جعل سبحانه النفس يخرج من القلب للأمر الذي قد علم و قررناه فيجد المخارج إذا قصد المتنفس الكلام و إن لم يقصد الكلام كان النفس بالحرف الهاوي خاصة و ما هو عندنا من الحروف و هو يهوى على ثلاث مراتب هويا ذاتيا يعبر عنه بالألف و هو المسمى عند القراء الحرف الهاوي فإذا مر بالأرواح العلوية في هويه حدث له منها واو العلة و هو امتداد الهواء من المتنفس عن ضم الحرف و هو إشباع حركة الضم و إذا مر بالأجسام الطبيعية السفلية في هويه حدث له من ذلك ياء العلة و هو امتداد الهواء من المتنفس عن خفض الحرف و هو إشباع حركة الخفض لأن الخفض من العالم الأسفل و ما لهذا النفس في هويه أكثر من هذه الثلاث المراتب فاعلم ذلك فحدثت رسالة الملك بالواو المضموم ما قبلها و حدثت رسالة البشر بالياء المكسور ما قبلها و كان الألف على الأصل عن الله و هو سبب الأسباب كلها و لما ذكر الله عن نفسه أنه الظاهر و أنه الباطن و أن له كلاما و كلمات ذكر أن له نفسا من الاسم الرحمن الذي به استوى على العرش فاسأل به خبيرا و هو العارف من عباد الله من نبي و غيره ممن شاء الله من عباده لأنه قال يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشاءُ فنكر الأمر و لم يعرفه فهو نكرة في معرفة يعلمها هو لا غيره لأن الأمور معينة عنده مفصلة ليس في حقه إجمال و لا يصح و لا مبهم مع علمه بالمجمل في حق من يكون في حقه الأمر مجملا و مبهما و غير ذلك فلما علمنا أن له نفسا و أنه الباطن و أن له كلاما و أن الموجودات كلماته علمنا أن الله ما أعلمنا بذلك إلا لنقف على حقائق الأمور بأنا على الصورة فنقبل جميع ما تنسبه الألوهة إليها على ألسنة رسلها و كتبها المنزلة و جعل النطق في الإنسان على أتم الوجود فجعل له ثمانية و عشرين مقطعا للنفس يظهر في كل مقطع حرفا معينا ما هو عين الآخر ميزه المقطع مع كونه ليس غير النفس فالعين واحدة من حيث إنها نفس و كثيرة من حيث المقاطع و جعلها ثمانية و عشرين لأن العالم على ثمانية و عشرين من المنازل التي تجول السيارة فيها و في بروجها و هي أمكنتها من الفلك المستدير كأمكنة المخارج للنفس لإيجاد العالم و ما يصلح له و لكل عالم أعطت هذه المقاطع التي أظهرت أعيان الحروف ثم قسم هذه المقاطع إلى ثلاثة أقسام قسم أقصى عن الطرف الأقصى الآخر فالأقصى الواحد يسمى حروف الحلق و هو على طبقات و الأقصى الثاني حروف الشفتين و ما بينهما حروف الوسط فإن الحضرة الإلهية على ثلاث مراتب باطن و ظاهر و وسط و هو ما يتميز به الظاهر عن الباطن و ينفصل عنه و هو البرزخ فله وجه إلى الباطن و وجه إلى الظاهر بل هو الوجه عينه فإنه لا ينقسم و هو الإنسان الكامل أقامه الحق برزخا بين الحق و العالم فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقا و يظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقا و جعله على ثلاث مراتب

عقل و حس و هما طرفان و خيال و هو البرزخ الوسط بين المعنى و الحس فلما عرفنا الله أنه باطن و ظاهر و له نفس و كلمة و كلمات نظرنا ما ظهر من ذلك و لم ينسب إلى ذاته النفس و ما يحدث عنه فقلنا عين النفس هو العماء فإن نفس المتنفس المقصود بالعبارة عنه ما يتنزل منزلة الريح و إنما يتنزل منزلة البخار فالنفس هذا حقيقته حيث كان فكان عنه العماء كما يحدث العماء عن بخار رطوبات الأركان فيصعد و يعلو فيظهر منه العماء أولا ثم بعد ذلك يكثف و الهواء يحمله و الريح تسوقه فما هو عين الهواء و إنما هو عين البخار و لذلك جاء في صفة العماء الذي كان فيه ربنا قبل خلق الخلق إنه عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فذكر أن له الفوق و هو كون الحق فيه و التحت و هو كون العالم فيه فلم يكن ثم غير نفس الحق ففيه يكون الهواء و جرت الرياح ما بين زعزع و رخاء و هي الحروف الشديدة و الرخوة و ظهر عن هذا النفس أصوات الرعود كالحروف المجهورة و هبوب النسيم و هي الحروف المهموسة و ظهرت الطباق في الأفلاك كالحروف المطبقة من تنفس الإنسان بالقول إذا قصده و هو في الإلهيات إذا أردناه أن نقول له كن فالحروف المطبقة في النفس الإلهي وجود سبع سماوات طباقا و كل موجود في العالم على جهة الانطباق و أبرز في هذا النفس الإلهي افتتاح الوجود بالكون إذ كان و لا شيء معه و جعلها في المتنفس حقيقة الحروف المنفتحة ثم لما أوجد العالم و فتح صورته في العماء و هو النفس الذي هو الحق المخلوق به مراتب العالم و أعيانه و أبان منازله جعل منه عالم الأجسام كالحروف المنسفلة لأنها من جانب الطبيعة و هو حد الكون الظلم و جعل منه عالم الأرواح و هو الحروف المستعلية في المتنفس بالنفس الإنساني و كل ذلك كلمات العالم فتسمى في الإنسان حروفا من حيث آحادها و كلمات من حيث تركيبها كذلك أعيان الموجودات حروف من حيث آحادها و كلمات من حيث امتزاجاتها و جعل في النفس الإلهي علة الإيجاد من جانب الرحمة بالخلق ليخرجهم من شر العدم إلى خير الوجود فكان بالحرف الهاوي ثم أبان لهم أيضا بوجود ما يؤدي إلى السعادة ببعثة الرسول الملكي و البشرى إرسال رحمة فكانت حروف اللين في المتنفس الإنساني ثم أوجد في هذا النفس الصوت عند خروجه من الباطن إلى الظاهر بطريق الوحي الذي شبهه رسول الله ص سلسلة على صفوان فكان في تنفس الإنسان حروف الصفير ثم انفش ذلك النفس الإلهي على أعيان العالم الثابتة و لا وجود لها فكان مثل ذلك في الكلام الإنساني حروف التفشي ثم إن النفس الإلهي استطالت عليه الأكوان بالدعوى و التحكم حيث عددت و كثرت ما هو أحدي العين و هو في نفس المتنفس الإنساني الحرف المستطيل و هو الضاد وحده لأنه طال حتى أدرك مخرج اللام ثم إن هذا النفس الإلهي في إيجاد الشرائع قد جعل طريقا مستقيما و خارجا عن هذه الاستقامة المعينة و يسمى ذلك تحريفا و هو قوله يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ ما عَقَلُوهُ مع كونه إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ يقول و إن تعدد فالنفس يجمعه فسمى ذلك التحريف في نفس المتنفس الإنساني الحرف المنحرف فخالط أكثر الحروف و هو

اللام و ليس لغيره هذه المرتبة و هو كبعض الأحكام الذي تجتمع فيه الشرائع ثم إنه ظهر في النفس الإلهي في الصور الأمثال فلم يقع التمييز فتخيل فيه التكرار و الحقيقة تعطي أنه لا تكرار فظهر في عالم الحروف البشرية الحرف المكرر و هو الراء فإذا كان النفس يحمل الروائح فيعرف أن خروجه على المشام و هو المسمى في الحروف في النطق الإنساني حروف الغنة لأنها من الخيشوم و تمت مراتب الحروف بكمالها و الحمد لله انتهى الجزء الثامن عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

و قد رأينا من رجال الروائح جماعة و كان عبد القادر الجيلي منهم يعرف الشخص بالشم أخبرني صاحبي أبو البدر عنه إن ابن قائد الأواني جاء إليه و كان ابن قائد يرى لنفسه حظا في الطريق فأخذ عبد القادر يشمه نحو ثلاث مرات ثم قال له لا أعرفك فكان ذلك تربية في حقه فعلت همة ابن قائد إلى أن التحق بالإفراد و النفس أبدا أكثر ما يظهر حكمه في المحبين العشاق هو مقامهم و مرتبتهم و يضيفون ذلك إلى نفس الرياح لا إلى نفس الأرواح كما قال بعضهم

ناشدتك الله نسيم الصبا	من أين هذا النفس الطيب
هل أودعت برداك عند الضحى	مكان ألقت عقدها زينب
أو ناسمت رياك روض الحمى	و ذيلها من فوقها تسحب
فهات أ تحفني بأخبارها	فعهدك اليوم بها أقرب

هذه الأبيات على لطافتها و رقتها من أكثف ما قيل في عشق الأرواح لأن نسيم الأرواح ألطف من نسيم الرياح لأنها بعيدة المناسبة عن عالم الطبيعة و الرياح ليست كذلك فالأرواح إذا تنسمت لا تسوق إلا طيبا فإنها تهب من الحضرة الذاتية من الغيب الأقدس فلا تأتي إلا بكل طيب و طيبة و الرياح ليست كذلك لأنها من عالم الطبيعة فإن مرت على خبيث جاءت بخبيث و إن مرت بطيب جاءت بطيب و نسيم الأرواح إذا مر بخبيث رده طيبا و إذا مر بطيب زاده طيبا فلو كان هذا القائل عاشقا حقيقة لا يتكلم بدعوى زور لم يجعل الطيب من زينب و إن كانت طيبة فلو ذكر أن طيبها زاد به طيب المكان طيبا و جعل محبوبته تنم بأسرارها الرياح فليست بمنيعة الحمى و عالم الطبيعة يخترقها و هو الريح و أخذ يهجو الريح حيث تعجب من أين له هذا النفس الطيب فلو ساق الطيب بطريق المفاضلة بأن يقول من أين هذا النفس الأطيب فإنه لم يكن الريح بأمر زائد على نفس محبوبته إذا حققت لأنها عين الطيب حيث ظهر طيب و سألني بعض

أصحابي أن أشرح له هذه الأبيات لو قالها عارف من المحبين الإلهيين فأجبته إلى ذلك فأنا أشرحها إن شاء الله ثم أعود إلى الكلام على تحقيق النفس في هذا الباب فنقول وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ قوله يخاطب نسيم الصبا ناشدتك الله اعلم أن الصبا هي ريح القبول و الصبا الميل و الميل قبول و سميت الصبا قبولا لأن العرب لما أرادت أن تعرف الرياح حتى تجعل لها أسماء تذكرها بها لتعرف فاستقبلت مطلع الشمس فكل ريح هبت عليها من جهة مطلع الشمس استقبلته إذ كان وجهها إلى تلك الجهة فسمتها قبولا و ما أتى إليها من الريح عن دبر في حال استقبالها ذلك سمته دبورا و هي الريح الغربية و ما أتاها منها في هبوبها عن الجانب الأيمن سمته جنوبا و عن جانب الشمال سمته شمالا و كل ريح بين جهتين من هذه الجهات تهب سمتها نكباء من النكوب و هو العدول أي عدلت عن هذه الأربع الجهات و النسيم أول هبوب الريح و الشيء المستلذ إذا فاجأك ابتداء فهو ألذ من استصحابه مثل قوله أحلى من الأمن عند الخائف الوجل و لهذا نعيم الجنان جديد في كل نفس فلذلك ما ناشد إلا النسيم لالتذاذه به و جعله نسيم الصبا لأنها ريح شرقية قبول فأعطته الريح من إخبارها بما جاءت به من طيبها ما يعطيه قبولها لو أقبلت و رؤيتها لو طلعت عليه كما تطلع الشمس لأن الصبا ريح شرقية و الشروق طلوع الشمس و الإشراق ضوء الشمس و قوله ناشدتك أي طالبتك مقسما بالله و الناشد الطالب فهو كالمستفهم و هذا يدلك على قلة معرفته بمحبوبه حيث جعل له أمثالا لقوله من أين هذا النفس الطيب فإنه ثم من له أنفاس طيبة فلو استفرغ في شغله بمحبوبه و لم ير مشهودا له سواه ما استفهم إذ كل من استفهم فقد أحضر ذلك في ذهنه فهذا شاعر أحضر الاشتراك في ذهنه فشهد على نفسه بنقصان المعرفة إن كان عارفا و نقصان المحبة إن كان محبا عاشقا فإن أراد من المحبوب كثرة وجوهه و تجليه في أعيان متعددة كالاسماء الإلهية لله مع كونه ذاتا واحدة و مع هذا فله تسعة و تسعون اسما فما فوق ذلك فيريد في أي اسم كان لما هبت هذه الريح و هي نسمة قبول إلهي لطيفة المحبوب أورثت في القلب لطفا و رقة بهبوبها فاستفهم الريح لما جاءت به من الطيب المستلذ فقال

هل أودعت برداك عند الضحى مكان ألقت عقدها زينب

اعلم أن هذا البيت من أدل دليل على أنه ليس بمحب و أن هذا القول هو إلى هجاء المحبوب أقرب منه إلى الثناء و المدح و ذلك أنه لما جاءته الريح بهذا النفس الطيب أضاف ذلك الطيب إلى ما حصل للمكان الذي ألقت عقدها زينب فيه فهو ثناء على العقد فإنه يريد أن عقدها كان عنبرية ذا طيب فطاب المكان بذلك العقد و ما ذكر أن العقد إنما اكتسب الطيب من روائح زينب أو عرفها أو أنفاسها فلو سلك في كلامه إن طيب المكان مما تنفست فيه زينب فلو قال مثل ما قلنا

هل أودعت برداك عند الضحى طيب مكان طيبت زينب

أنفاسه من طيب أنفاسها فطيبها من طيبه أعجب

و لنا في هذا المعنى في غير هذا الروي

ما الطيب في المسك إلا طيب رياها و النور في الشمس إلا من محياها

الخلد مأوى الحسان الحور تسكنه و ذاتها لجنان الخلد مأواها

و أما قوله بعد هذا

أو ناسمت رياك روض الحمى و ذيلها من فوقه تسحب

فهذا مثل الأول جعل الطيب للروض من ذيل زينب لما سحبته على ذلك المكان طاب من طيب ذيلها و طيب ذيلها من طيب طيبت ثيابها به مثل العقد سواء فما ذكر ما يدل على أن طيب هذه الأماكن من طيب أنفاسها و إذا كان هذا فلا يطيب إلا من ليس بطيب أو ليس له ذلك الطيب و لذا قلنا لو قال النفس الأطيب لا الطيب لكان أشعر و أثبت في المدح ثم قوله للنسيم

فهات أتحفني بأخبارها فعهدك اليوم بها أقرب

كلام غير محقق فإن نسيم الريح ما له عهد قريب إلا بالمكان و روض الحمى لا بزينب و الطيب للمكان من العقد و للروض من الذيل فلم ينقل هذا النسيم شيئا من طيبها المختص بذاتها و لو كانت مشهودة للنسيم حين هب على المكان و الروض بقوله و ذيلها فذكر ما يدخله الاحتمال في الحال فإنه يحتمل أن يكون الحال في قوله و ذيلها أي في حال مرورها أكسبت هذا الروض الطيب من ذيلها و يحتمل أن يكون شهود الريح لها في حال مرورها على روض الحمى و هذا بعيد و الأول أقرب فإنه لو مر بها مشاهدا لها في حال انسحاب ذيلها على الروض لنقل طيب ذيلها لا طيب الروض من ذيلها فدل أنه ما شاهدها نسيم الريح و إذا لم يشاهدها فليس عهده بها قريبا و إنما عهده قريب بالمكان الذي مرت عليه ثم فيه من النقص بقوله أقرب وصفها بالأمر العام في كل طيب إذ المكان الذي يبقى فيه الطيب إنما يكون قريب العهد بالطيب في جلوسه فيه أو مروره عليه و هذا ليس بمخصوص بها بل لو قال إن طيبها في المكان لا يزول بعد أن اكتسبه منها و أنه بها بعيد عهد و مع هذا فالطيب باق لقوة سلطانه لكان أشعر و النسيم ما نقل إليه إلا طيب المكان و الروض فكان ينبغي أن يصدق فكان يقول فعهدك اليوم به أقرب يعني بالمكان أو بكل واحد منهما يعني الروض و المكان أو يقول بهم أقرب فكذب بقوله بها أقرب ثم إنه لا يلزم طيب المكان و لا طيب الروض من إلقاء العقد و لا من طيب الذيل قد يكون طيب الروض من الزهر و طيب المكان من أمر آخر مع وجود العقد فيه و انسحاب الذيل على الروض فهو قاصر بكل وجه فهذا شعر لطيف اللفظ مليح و هو بالمعنى ليس بشيء لأن جمال

الشعر و الكلام أن يجمع بين اللفظ الرائق و المعنى الفائق فيحار الناظر و السامع فلا يدرى اللفظ أحسن أو المعنى أو هما على السواء فإنه إذا نظر إلى كل واحد منهما أذهله الآخر من حسنه و إذا نظر فيهما معا حيراه فما يستحسن مثل هذا الشعر إلا ذو قلب كثيف فإن اللفظ لطيف و المعنى كثيف و إذا كان المعنى قبيحا عند الصحيح النظر لم يحجبه حسن اللفظ عن قبح المعنى فإن مثاله عندي مثال من نجب صورة في غاية الحسن منقوشة في جدار مزينة بأنواع الأصبغة تامة الخلق لا روح لها فإن المعنى للفظ كالروح للصورة هو جمالها على الحقيقة انظر في إعجاز القرآن تجده كما ذكرنا حسن النظم مع توفير المعنى و حسن مساقه و جمع المعاني بعضها إلى بعض في اللفظ الحسن النظم الوجيز مع وجود تكرار القصة الموجب للملل و لا تجد هذا في القرآن فتجد مع تكرار القصة الواحدة مثل قصص الأمم كآدم و موسى و نوح و غيرهم مما تكرر بزيادة لفظ أو نقصه ما تجد إخلالا في المعنى جملة واحدة و سبب ذلك أنه قول حق ما فيه تزوير و لما أتينا على تنبيه ما في قول هذا الشاعر مع كونه لم يخرج عن حقيقة هذا الباب في ذلك فإنه باب النفس بفتح الفاء و الشعر من الكلام فهو من باب الأنفاس فثم أنفاس يخرج معها تحقيق المعاني على ما هي عليه في تركيب بعضها مع بعض و ثم أنفاس بالعكس فلنرجع إلى النفس الرحماني الذي ظهر عنه حروف الكائنات و كلمات العالم على مراتب مخارج الحروف من نفس المتنفس الإنساني الذي هو أكمل النشآت كلها في العالم و هي ثمانية و عشرون حرفا لكل حرف اسم عينه المقطع مقطع نفسه فأولها الهاء و آخرها الواو و منها حروف مفردة المخرج كالحرف المستطيل و المنحرف و المكرر و منها مشتركة في المخرج كحروف الصفير و إن كان بين المشترك تفاوت فهو قريب بعضها من بعض يجد اللافظ الصحيح اللفظ في حال التلفظ بها الفرق بين الحرفين المشتركين كالطاء و التاء و الدال فهذه الثلاثة و إن كانت من مخرج واحد فهو على التقارب لا على التحقيق و لهذا اختلفت الألقاب عليه لاختلاف أحوالها في المخارج فيكون للحرف الواحد ألقاب متعددة لدرجات له في النفس عند التكوين منه في مقطع الحرف يمتاز به عن الذي يقاربه في المخرج الذي أوجب له أن يقال فيه إنه مشترك كحرف الصاد غير المعجمة مثلا فإنه من الحروف المهموسة و يشارك الكاف في الهمس و هو من حروف الصفير فهو يشارك الزاي في الصفير و هو من الحروف المطبقة فهو يشارك الطاء في الإطباق و هو من الحروف الرخوة فهو يشارك العين في الرخاوة و هو من الحروف المستعلية فهو يشارك القاف في الاستعلاء فهذا حرف واحد اختلف عليه ألقاب كثيرة لظهوره في مراتب متعددة قابل بذاته كل مرتبة صالح لها فاختلفت الاعتبارات فاختلفت الأسماء كذلك نقول في العقل الأول عقلا لمعنى يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلما يخالف المعنى الذي لأجله نسميه روحا يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلبا

والعين واحدة والحكم مختلف لذا تنوعت الأرواح والصور

كذلك الحق أصل الوجود الواحد الأحد الذي لا يقبل العدد فهو و إن كان واحد العين فهو المسمى بالحي القيوم العزيز المتكبر الجبار إلى تسعة و تسعين اسما لعين واحدة و أحكام مختلفة فما المفهوم من الاسم الحي هو المفهوم من الاسم المريد و لا القادر و لا المقتدر كما قلنا في حرف الصاد و كذلك سائر الحروف فخرجت الحروف من نفس المتنفس الإنساني الذي هو أكمل النشآت و به ظهرت و بنفسه جميع الحروف فكان على الصورة الإلهية بالنفس الرحماني و ظهور حروف الكائنات و عالم الكلمات سواء و كلها النفس الإنساني ثمانية و عشرين حرفا محققة لما صدر من النفس الرحماني أعيان الكلمات الإلهية ثمانيا و عشرين كلمة لكل كلمة وجوه فصدر عن نفس الرحمن و هو العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق فكان العماء كالنفس الإنساني و ظهور العالم في امتداده في الخلأ بحسب مراتب الكائنات كالنفس الإنساني من القلب و امتداده إلى الفم و ظهور الحروف في الطريق و الكلمات كظهور العالم من العماء الذي هو نفس الحق الرحماني في المراتب المقدرة في الامتداد المتوهم لا في جسم و هو الخلأ الذي ملأه العالم فكما كان أول حرف ظهر من أعيان العالم من هذا النفس لما طلب الخروج إلى الغاية و هو نهاية الخلأ كما كان غاية امتداد النفس إلى الشفتين فظهرت الهاء أولا و الواو آخرا و ليس وراء ذلك حرف يعقل فكان أجناس العالم منحصرة و أشخاصه لا تتناهى وجودا فإنها تحدث ما دام السبب موجودا و السبب لا ينقضي فإيجاد أشخاص النوع لا ينقضي فأما حصر العالم على عدد الحروف من أجل النفس في ثمانية و عشرين لا تزيد و لا تنقص فأول ذلك العقل و هو القلم و هو قول النبي ص إنه أول ما خلق الله العقل و في خبر آخر أول ما خلق الله القلم الحديث فكان أول خلق خلقه الله من النفس الذي هو العماء القابل لفتح صور العالم فيه العقل و هو القلم ثم النفس و هو اللوح ثم الطبيعة ثم الهباء ثم الجسم ثم الشكل ثم العرش ثم الكرسي ثم الأطلس ثم فلك الكواكب الثابتة ثم السماء الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ثم كرة النار ثم كرة الهواء ثم كرة الماء ثم التراب ثم المعدن ثم النبات ثم الحيوان ثم الملك ثم الجن ثم البشر ثم المرتبة و المرتبة هي الغاية في كل موجود كما أن الواو غاية حروف النفس و قصدت ذكر أسماء العالم لا ترتيب وجوده كما قصد في أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ حصر الحروف لا ترتيب وجودها في المخارج و لكل موجود مما ذكرنا مرتبة و أحكام و نسب معلومة عند العلماء بالله و كل واحد له مقام معلوم يتميز به لا يكون للآخر كما أن له أمورا يشترك فيها مع غيره خلقا و حكما فأما في الخلق فكأشخاص النوع الواحد و أنواع الجنس الواحد مثل الأفلاك تشترك في الاستدارة الفلكية و في الجسمية من حيث التركيب و ما ذكرنا إلا ما يختص بعالم الدنيا كما أنه ما ذكرنا من الحروف إلا ما يختص بالنفس الإنساني اليوم إذ لا نتكلم إلا في وجود فإنا لا نحيط بالله علما فتكلمنا على قدر ما أعطانا من العلم به و ليس في الإمكان أبدع مما خلق لأنه الصادق و قد قال إنه خلق العالم على صورته و أكمل منه

فلا يكون فأكمل من هذا العالم فلا يكون و قد وقعت لنا واقعة في هذا الباب من الحق قد تقدم ذكرها ثم لتعلم أن أقرب شبه بالنفس بل هو عين النفس حروف العلة و هو الألف و الواو المضموم ما قبلها و الياء المكسور ما قبلها و ليست هذه الثلاثة الحروف من الحروف الصحاح المحققة في الحرفية هي أجل من ذلك و إطلاق الحرف عليها بطريق المجاز و ما يدل عليها إلا الحرف إذا انفتح و أشبع الفتحة أو ضم فأشبع الضمة أو كسر فأشبع الكسرة فذلك الدليل على إبراز هذه الحروف كما كان العالم من أجل حدوثه الذي هو بمنزلة إشباع الحركات في الحروف دليلا على وجود الحق سواء فافهم ما ذكرناه و ثم إن الحروف لها خواص هي عليها أعطتها لها المخارج فهي في النفس مجموعة إذ هو يجمعها و في أعيان الحروف و الكلمات مفترقة فإذا جرى النفس من أول الحروف إلى غايتها فإنه يفعل كل حرف يتأخر وجوده لتأخر مخرجه عند انقطاع النفس ما يفعله كل حرف في مخرج تقدمه فهو يحوي على قوة كل حرف تقدمه لأن النفس مر في خروجه على تلك المخارج إلى أن انقطع عند هذا المخرج فنقل معه مرتبة كل حرف فظهرت في قوة الحرف المتأخر و آخر الحروف الواو ففي الواو قوة جميع الحروف كما إن الهاء أقل في العمل من جميع الحروف فإن لها البدو فكلمة هو جمعت جميع قوى الحروف في عالم الكلمات فلهذا كانت الهوية أعظم الأشياء فعلا و كذلك الإنسان آخر غاية النفس و الكلمات الإلهية في الأجناس ففي الإنسان قوة كل موجود في العالم فله جميع المراتب و لهذا اختص وحده بالصورة فجمع بين الحقائق الإلهية و هي الأسماء و بين حقائق العالم فإنه آخر موجود فما انتهى لوجوده النفس الرحماني حتى جاء معه بقوة مراتب العالم كله فيظهر بالإنسان ما لا يظهر بجزء جزء من العالم و لا بكل اسم اسم من الحقائق الإلهية فإن الاسم الواحد ما يعطي ما يعطي الآخر مما يتميز به فكان الإنسان أكمل الموجودات و الواو أكمل الحروف و كذا هي في العمل عند من يعرف العمل بالحروف فكل ما سوى الإنسان خلق إلا الإنسان فإنه خلق و حق فالإنسان الكامل هو على الحقيقة الحق المخلوق به أي المخلوق بسببه العالم و ذلك لأن الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم عليها فما خلق ما تقدم عليها إلا لأجلها و ظهور عينها و لو لا ما ظهر ما تقدمها فالغاية هو الأمر المخلوق بسببه ما تقدم من أسباب ظهوره و هو الإنسان الكامل و إنما قلنا الكامل لأن اسم الإنسان قد يطلق على المشبه به في الصورة كما تقول في زيد إنه إنسان و في عمرو إنه إنسان و إن كان زيد قد ظهرت فيه الحقائق الإلهية و ما ظهرت في عمرو فعمرو على الحقيقة حيوان في شكل إنسان كما أشبهت الكرة الفلك في الاستدارة و أين كمال الفلك من الكرة فهذا أعني بالكامل فحاز الإنسان جميع المراتب برتبته كما حازت الواو جميع قوى الحروف فدل أن الواو كانت المطلوبة بالكلام لتوجد فوجد بسببها جميع ما وجد في الطريق باستعداد المخارج من الحروف حتى انتهى إلى الواو ثم لتعلم أن نفس المتنفس لم يكن غير باطن المتنفس فصار النفس ظاهرا و هو أعيان الحروف و الكلمات فلم يكن الظاهر بأمر زائد على الباطن فهو

عينه و استعداد المخارج لتعيين الحروف في النفس استعداد أعيان العالم الثابتة في نفس الرحمن فظهر عين الحكم الاستعدادي الذي في العالم الظاهر في النفس فلهذا قال تعالى لنبيه ص وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و قال للنفس المطمئنة ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً كما قال طَوْعاً وَكَرْهاً أي إن لم ترجعي راضية من ذاتك و إلا أجبرت على الرجوع إلى ربك فتعلم أنك ما أنت أنت و إذا رجعت راضية فهي النفس العالمة المرضية عند الله فدخلت في عباده فلم تنسب و لا انتمت إلى غيره ممن اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ و دخلت في جنته أي في كنفه و ستره فاستترت هذه النفس به فكان هو الظاهر و هي غيب فيه فهي باطنة إذ كانت هي عين النفس و النفس باطن فقامت للرحمن بهذا النعت من الدخول في الستر المضاف إليه بقوله جَنَّتِي مقام الروح للجسم الصوري فإنه ستر عليه فالجسم المشهود و الحكم للروح فالظاهر الحق و الحكم للروح و هو استعداد العالم الذي أظهر الاختلاف في الحق الظاهر فهذا معنى قوله وَادْخُلِي جَنَّتِي و أضافه إلى نفسه

فالرب و المربوب مرتبطان ثنى الوجود به و ليس بثان

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله إلا الذي قالوه في العمران

و القمران يريدون أبا بكر و عمر و الشمس و القمر وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ فأثبت بالضمير و نفى بالفعل الذي هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له اسم في العمران و أثبته ضمير التثنية و هو قولهم العمران فسبحان من أخفى عنه حكمته فيه فظهر في الوجود العليم الذي لا يعلم كالرامي الذي ما رمى فالحروف ليست غير النفس و لا هي عين النفس و الكلمة ليست غير الحروف و ما هي عين الحروف

و الجمع حال لا وجود لعينه و له التحكم ليس للآحاد

(وصل) و اعلم أن الله لما قال قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فجعل الأسماء الحسنى لله كما هي للرحمن غير أن هنا دقيقة و هي أن الاسم له معنى و له صورة فيدعي الله بمعنى الاسم و يدعي الرحمن بصورته لأن الرحمن هو المنعوت بالنفس و بالنفس ظهرت الكلمات الإلهية في مراتب الخلأ الذي ظهر فيه العالم فلا ندعوه إلا بصورة الاسم و له صورتان صورة عندنا من أنفاسنا و تركيب حروفنا و هي التي ندعوه بها و هي أسماء الأسماء الإلهية و هي كالخلع عليها و نحن بصورة هذه الأسماء التي من أنفاسنا مترجمون عن الأسماء الإلهية و الأسماء الإلهية لها صور من نفس الرحمن من كونه قائلا و منعوتا بالكلام و خلف تلك الصور المعاني التي هي لتلك الصور كالأرواح فصور الأسماء الإلهية التي يذكر الحق بها نفسه بكلامه وجودها من نفس الرحمن فله الأسماء

الحسنى و أرواح تلك الصور هي التي للاسم الله خارجة عن حكم النفس لا تنعت بالكيفية و هي لصور الأسماء النفسية الرحمانية كالمعاني للحروف و لما علمنا هذا و أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى و خيرنا بين الله و الرحمن فإن شئنا دعوناه بصورة الأسماء النفسية الرحمانية و هي الهمم الكونية التي في أرواحنا و إن شئنا دعوناه بالأسماء التي من أنفاسنا بحكم الترجمة و هي الأسماء التي يتلفظ بها في عالم الشهادة فإذا تلفظنا بها أحضرنا في نفوسنا أما الله فننظر المعنى و أما الرحمن فننظر صورة الاسم الإلهي النفسي الرحماني كيفما شئنا فعلنا فإن دلالة الصورتين منا و من الرحمن على المعنى واحد سواء علمنا ذلك أو لم نعلمه و لما كان ذكر أسمائه عين الثناء عليه ذكرنا في هذا الباب ما هو فينا مثل كلمة كن منه و ذلك البسملة يقول أهل الله إن بسم الله منا في إيجاد الأفعال بمنزلة كن منه و لما كان القرآن ذكرا و جامعا لأسمائه صور أو معاني جعلنا التلاوة في هذا الباب من جملة الأذكار فلا نذكر من الأذكار إلا ما يختص بالقرآن فنذكره بكلامه من حيث علمه بذلك لا من حيث علمنا فيكون هو الذي يذكر نفسه لا نحن و لما كان دعاؤنا بأسمائه القرآنية و كنا ذاكرين تالين وجب علينا التعوذ و هو من الذكر فيعيذنا و سقنا من الأذكار الحمد لله و سبحان الله و الله أكبر و لا إله إلا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله فلنذكر فهرست ما أنا ذاكره في هذا الباب من فصول ما يتكلم عليه مما يختص بالنفس الإلهي و مراتب الذاكرين من العالم في الذكر لأن الذاكرين هم أعلى الطوائف لأنه جليسهم و لهذا ختم الله بذكرهم صفات المقربين من أهل الله ذكرانهم و إناثهم فقال تعالى إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ و ما ذكر بعد الذاكرات شيئا و الذكر من نعوت كونه متكلما و هو نفس الرحمن الذي ظهرت فيه حقائق حروف الكائنات و كلمات الحضرة

(ذكر فهرست الفصول و هي خمسون فصلا)

(الفصل الأول) في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن و به أوجد العالم من كونه أحب ذلك (الفصل الثاني) في كلام الله و كلماته (الفصل الثالث) في ذكر التعوذ (الفصل الرابع) في الذكر بالبسملة (الفصل الخامس) في كلمة الحضرة و هي كلمة كن (الفصل السادس) في الذكر بالحمد (الفصل السابع) في الذكر بالتسبيح (الفصل الثامن) في الذكر بالتكبير (الفصل التاسع) في الذكر بالتهليل (الفصل العاشر) في الذكر بالحوقلة (الفصل الحادي عشر) في الاسم البديع و توجهه على إيجاد العقل و العقول و هو القلم الأعلى و من الحروف على الهمزة و تفاصيل الهمزة و من المنازل على الشرطين و الإمداد الإلهي النفسي و مراتبه الذاتية و الزائدة (الفصل الثاني عشر) في الاسم الباعث

و توجهه على إيجاد اللوح المحفوظ و هو النفس الكلية و هو الروح المنفوخ منه في الصور المسواة بعد كمال تعديلها فيهبها الله بذلك النفخ أي صورة شاء و توجهه على إيجاد الهاء من الحروف و هاء الكنايات و توجهه على إيجاد البطين من المنازل (الفصل الثالث عشر) في الاسم الباطن و توجهه على خلق الطبيعة و ما يعطيه من أنفاس العالم و حصرها في أربع حقائق و افتراقها و اجتماعها و توجهه على إيجاد العين المهملة و إيجاد الثريا من المنازل (الفصل الرابع عشر) في الاسم الآخر و توجهه على خلق الجوهر الهبائي الذي ظهر فيه صور الأجسام و ما يشبه هذا الجوهر في عالم التركيب و إيجاد الحاء المهملة من الحروف و إيجاد الدبران من المنازل المقدرة (الفصل الخامس عشر) في الاسم الظاهر و توجهه على إيجاد الجسم الكل و إيجاد الغين المعجمة من الحروف و إيجاد الميسان و هي الهقعة من المنازل (الفصل السادس عشر) في الاسم الحكيم و توجهه على إيجاد الشكل و حرف الخاء المعجمة و التحية من المنازل (الفصل السابع عشر) في الاسم المحيط و توجهه على إيجاد العرش و العروش المعظمة و المكرمة و الممجدة و حرف القاف من الحروف و الذراع من المنازل (الفصل الثامن عشر) في الاسم الشكور و توجهه على إيجاد الكرسي و القدمين و حرف الكاف و النثرة (الفصل التاسع عشر) في الاسم الغني و توجهه على إيجاد الفلك الأطلس فلك البروج و حدوث الأيام بوجود حركته و استعانته بالاسم الدهر على ذلك و حرف الجيم و الطرف (الفصل العشرون) في الاسم المقدر و توجهه على إيجاد فلك الكواكب الثابتة و الجنات و تقدير صور الكواكب في مقعر هذا الفلك و كونه أرض الجنة و سقف جهنم و حرف الشين المعجمة و الجبهة (الفصل الحادي و العشرون) في الاسم الرب و توجهه على إيجاد السماء الأولى و البيت المعمور و سدرة المنتهى و إبراهيم الخليل و يوم السبت و حرف الياء بالنقطتين من أسفل و الخرثان من المنازل المقدرة و خانس هذه السماء و كوكبها (الفصل الثاني و العشرون) في الاسم العليم و توجهه على إيجاد السماء الثانية و خانسها و يوم الخميس و موسى ع و حرف الضاد المعجمة و الصرفة من المنازل (الفصل الثالث و العشرون) في الاسم القاهر و توجهه على إيجاد السماء الثالثة و خانسها و يوم الثلاثاء و حرف اللام و العوا (الفصل الرابع و العشرون) في الاسم النور و توجهه على إيجاد السماء الرابعة و هي قلب جسم العالم المركب و إيجاد الشمس و حدوث الليل و النهار في عالم الأركان و روح إدريس ع و قطبيته و حرف النون و السماك الأعزل و يوم الأحد و نفخ الروح الجزئي عند كمال تصوير النطف (الفصل الخامس و العشرون) في الاسم المصور و توجهه على إيجاد السماء الخامسة و خانسها و التصوير و الحسن و الجمال و يوسف ع و حرف الراء و الغفر و يوم الجمعة (الفصل السادس و العشرون) في الاسم المحصي و توجهه على إيجاد السماء السادسة و خانسها و عيسى ع و الاعتدال و حرف الطاء المهملة و الزبانا و يوم الأربعاء (الفصل السابع و العشرون) في الاسم المتين و توجهه على إيجاد السماء الدنيا و

القمر و آدمع و المد و الجزر و حرف الدال المهملة و الإكليل و يوم الإثنين (الفصل الثامن و العشرون) في الاسم القابض و توجهه على إيجاد الأثير و ما يظهر فيه من ذوات الأذناب و الاحتراقات و من الحروف حرف التاء المنقوطة باثنتين من فوق و القلب من المنازل (الفصل التاسع و العشرون) في الاسم الحي و توجهه على إيجاد ما ظهر في ركن الهواء و حرف الزاي من الحروف و من المنازل الشولة (الفصل الثلاثون) في الاسم المحيي و توجهه على إيجاد ما ظهر في الماء و حرف السين المهملة و النعائم (الفصل الحادي و الثلاثون) في الاسم المميت و توجهه على إيجاد التراب و حرف الصاد المهملة و البلدة (الفصل الثاني و الثلاثون) في الاسم العزيز و توجهه على إيجاد المعادن و حرف الظاء المعجمة و الذابح (الفصل الثالث و الثلاثون) في الاسم الرزاق و توجهه على إيجاد النبات و حرف الثاء المعجمة بثلاث و من المنازل بلع (الفصل الرابع و الثلاثون) في الاسم المدل و توجهه على إيجاد الحيوان و حرف الذال المعجمة و من المنازل السعود (الفصل الخامس و الثلاثون) في الاسم القوي و توجهه على إيجاد الملائكة و حرف الفاء و الأخبية (الفصل السادس و الثلاثون) في الاسم اللطيف و توجهه على إيجاد الجن حرف الباء المعجمة بواحدة و الفرع المقدم (الفصل السابع و الثلاثون) في الاسم الجامع و توجهه على إيجاد الإنسان و حرف الميم و المؤخر (الفصل الثامن و الثلاثون) في الاسم رفيع الدرجات و توجهه على تعيين الرتب و المقامات و المنازل و حرف الواو و من المنازل الرشاء (الفصل التاسع و الثلاثون) في النقل و أين مقامه في الأنفاس (الفصل الأربعون) في معرفة الجلي و الخفي من الأنفاس و هو بمنزلة الإدغام و الإظهار في الكلام (الفصل الحادي و الأربعون) في الاعتدال و الانحراف في النفس و هو بمنزلة الفتح و الإمالة و بين اللفظين (الفصل الثاني و الأربعون) في الاعتماد على الناقص و الميل إليه و هو في الكلام معرفة الوقف على هاء التأنيث و هو من باب الأنفاس أيضا (الفصل الثالث و الأربعون) في الإعادة و هي التكرار و أين هو في النفس (الفصل الرابع و الأربعون) في اللطيف من النفس يرجع كثيفا و ما سببه و الكثيف يرجع لطيفا من النفس و ما سببه و عليه مبني أصوات الملاحن (الفصل الخامس و الأربعون) في الاعتماد على أصناف المحدثات و هو في باب النفس الإنساني الوقف على أواخر الكلم في اللسان (الفصل السادس و الأربعون) في الاعتماد على العالم من حيث ما هو كتاب مسطور في رق الوجود المنشور في عالم الأجسام الكائن من الاسم الظاهر (الفصل السابع و الأربعون) في الاعتماد على الوعد قبل كونه و هو الاعتماد على المعدوم لصدق الوعد و هو في الأنفاس السكوت على الساكن قبل الهمزة (الفصل الثامن و الأربعون) في الاعتماد على الكائنات و ما يظهر منها من الفتوح و هو الأينية في الطريق و كيف يرجع المعلول صحيحا و الصحيح عليلا (الفصل التاسع و الأربعون) فيما يعدم و يوجد مما يزيد على الأصول التي هي بمنزلة النوافل مع الفرائض (الفصل الخمسون) في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقا و خلقا و حيوانا

و نطقا و به تمام باب النفس على الاقتصاد و الاختصار إن شاء الله ثم اللواحق و هي الأقسام الإلهية التي نفس الله بها عن عباده و هي من نفس الرحمن (الفصل الأول) في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن ورد في الحديث الصحيح كشفا الغير الثابت نقلا عن رسول الله ص عن ربه جل و عز أنه قال ما هذا معناه كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني و لما ذكر المحبة علمنا من حقيقة الحب و لوازمه مما يجده المحب في نفسه و قد بينا أن الحب لا يتعلق إلا بمعدوم يصح وجوده و هو غير موجود في الحال و العالم محدث و الله كان و لا شيء معه و علم العالم من علمه بنفسه فما أظهر في الكون إلا ما هو عليه في نفسه و كأنه كان باطنا فصار بالعالم ظاهرا و أظهر العالم نفس الرحمن لإزالة حكم الحب و تنفس ما يجد المحب فعرف نفسه شهودا بالظاهر و ذكر نفسه بما أظهره ذكر معرفة و علم و هو ذكر العماء المنسوب إلى الرب قبل خلق الخلق و هو ذكر العام المجمل و إن كلمات العالم بجملتها مجملة في هذا النفس الرحماني و تفاصيله غير متناهية و من هنا يتكلم من يرى قسمة الجسم عقلا إلى ما لا يتناهى مع كونه قد دخل في الوجود و كل ما دخل في الوجود فهو متناهو القسمة لم تدخل في الوجود فلا تتصف بالتناهي و هؤلاء هم الذين أنكروا الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا ينقسم و كذلك العماء و إن كان موجودا فتفاصيل صور العالم فيه على الترتيب دنيا و آخرة غير متناه التفصيل و ذلك أن النفس الرحماني من الاسم الباطن يكون الإمداد له دائما و الذكر له في الإجمال دائما فهو في العالم كآدم في البشر و لما عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها أعلمنا بهذا أن العماء من حيث ما هو نفس رحماني قابل لصور حروف العالم و كلماته هو حامل الأسماء كلها و كلمات الله ما تنفد فذكر الله لا ينقطع و الرحمن يذكر الله بأسمائه و هو أيضا مسمى بها فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و يذكر نفسه من كونه متكلما و مفصلا فذكر الرحمن مجمل و ذكر الله مفصل (الفصل الثاني) في كلام الله و كلماته الكلام و القول نعتان لله فبالقول يسمع المعدوم و هو قوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ و بالكلام يسمع الموجود و هو قوله تعالى وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً و قد يطلق الكلام على الترجمة في لسان المترجم و ينسب الكلام إلى المترجم عنه في ذلك فالقول له أثر في المعدوم و هو الوجود و الكلام له أثر في الموجود و هو العلم و الموصوف بالتبديل في قوله يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ ما عَقَلُوهُ و قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ هو في الترجمة فإنها تقبل التبديل و المعاني تابعة للكلام فلا يفهم من الأمر الذي حرف به و بدل المعنى الذي يفهم من الأصل و لذلك ألحق التبديل و التحريف بالأصل و إن كان لا يقبل التحريف و لا التبديل لأنه كلام إلهي لا يحكى و لا يوصف بالوصف الذاتي فإذا وقع التجلي في أي صورة كانت فلا يخلو أن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام في العرف أو لا تكون فإن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام فكلامها من جنس الكلام المنسوب إليها لحكم الصورة على التجلي مثل قوله عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ و قالَتْ نَمْلَةٌ و إن كان مما لا ينسب إليه الكلام في العرف فلا يخلو إما أن تكون ممن

ينسب إليها القول بالإيمان مثل قوله هذا كِتَابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ و قوله قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و قوله يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ و قوله قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ و إما أن لا تكون ممن نسب إليه قول و لا نطق و هو الذي نسب إليه التسبيح الذي لا يفقه و ما قال لا يسمع إذ الكلام أو القول هو الذي من شأنه أن يتعلق به السمع و التسبيح لو كان قولا أو كلاما لنفى عنه سمعنا و إنما نفى عنه فقهنا و هو العلم و العلم قد يكون عن كلام و قول و قد لا يكون فإذا تجلى في مثل هذه الصور فيكون النطق بحسب ما يريده المتجلي مما يناسب تسبيح تلك الصورة لا يتعداه فيفهم من كلام ذلك المتجلي تسبيح تلك الصورة و هو علم عجيب قليل من أهل الله من يقف عليه فيكون الكلام المنسوب إلى الله عز و جل في مثل هذه الصور بحسب ما هي عليه هذا إذا وقع التجلي في المواد النورية و الطبيعية فإن وقع التجلي في غير مادة نورية و لا طبيعية و تجلى في المعاني المجردة فيكون ما يقال في مثل هذا إنه كلام فمن حيث أثره في المتجلي له لا من حيث إنه تكلم بكذا و تلك الآثار كلها من طبقات الكلام الذي تقدم تسمى كلمات الله جمع كلمة و هي أعيان الكائنات قال تعالى وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هو عين عيسى لم يلق إليها غير ذلك و لا علمت غير ذلك فلو كانت الكلمة الإلهية قولا من الله و كلاما لها مثل كلامه لموسى ع لسرت و لم تقل يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا فلم تكن الكلمة الإلهية التي ألقيت إليها إلا عين عيسى روح الله و كلمته و هو عبده فنطق عيسى ببراءة أمه في غير الحالة المعتادة ليكون آية فكان نطقه كلام الله في نفس الرحمن فنفس الله عن أمه بذلك ما كان أصابها من كلام أهلها بما نسبوها إليه مما طهرها الله عنه و من هنا قالت المعتزلة إن المتكلم من خلق الكلام و فيما ليس من شأنه أن يتكلم فذلك كلام الله مثل الجماد و النبات و حالة عيسى إلا القائلين بالشكل الغريب فيجعلون مثل هذا من الأشكال الحادثة في الكون فقد بينا لك معنى كلام الله و كلماته و كلام الله تعالى علمه و علمه ذاته و لا يصح أن يكون كلامه ليس هو فإنه كان يوصف بأنه محكوم عليه للزائد على ذاته و هو لا يحكم عليه عز و جل و كل ذي كلام موصوف بأنه قادر على أن يتكلم متمكن في نفسه من ذلك و الحق لا يوصف بأنه قادر على أن يتكلم فيكون كلامه مخلوقا و كلامه قديم في مذهب الأشعري و عين ذاته في مذهب غيره من العقلاء فنسبة الكلام إلى الله مجهولة لا تعرف كما أن ذاته لا تعرف و لا يثبت الكلام للاله إلا شرعا ليس في قوة العقل إدراكه من حيث فكره فافهم أن النفس للرحمن و الكلام لله و القول و هو انتهاء النفس إلى عين كلمة من الكلمات فيظهر عينها بعد بطونها و تفصيلها بعد إجمالها فإن قلت فائدة الكلام الإسماع و ما في الوجود إلا الله و هو متكلم فمن أسمع قلنا ليس من شرط السامع أن يكون موجودا فإنه يقول للمعدوم في حال عدمه كن فيكون المعدوم عند ما يتعلق بسمعه الثبوتي كلام الله و أمره بالوجود و كذلك المرئي علة رؤيته جواز رؤيته الوجود بل الاستعداد و التهيؤ سواء كان موجودا أو معدوما و الجواب الآخر كما أنه تكلم من حيث ما هو منعوت بالكلام يسمع كلامه من كونه

سميعا و هما نسبتان مختلفتان فإن قلت ففائدة سماع الكلام حصول العلم و هو عالم لذاته قلنا ما كل كلام موضوع لحصول ما لا يعلم فإن المتكلم يثني على نفسه بما هو عالم به إنه عليه فلا يستفيد بل هو للابتهاج بالكمال الذاتي فالحق لم يزل متكلما و إن حدث في الكون فلا يدل على حدوثه في نفس الأمر قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ يعني عندهم و إن كان قد تكلم به مع غيره قبل هذا مثل ما في التوراة و غيرها مما هو في القرآن هذا إذا قلنا إنه يريد كلام الله الذي هو صفة له و إن كان الظاهر أن السامع إنما سمع كلام المترجم عن الله كما قال إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده

فلنذكر فصول الأذكار الإلهية ما تيسر منها من المذكورة في القرآن فنبدأ بالتعوذ من أجل أنه من أذكار القرآن (الفصل الثالث في ذكر التعوذ) قال تعالى فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ و قال ص و أعوذ بك منك و الحق هنا هو الذاكر بالقرآن نفسه فالتعوذ يكون باسم إلهي من اسم إلهي و هو الذي نبه عليه ص بقوله و أعوذ بك منك فإن كان التالي أعني الذاكر بالقرآن ممن للشيطان عليه سبيل حينئذ يجب عليه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاستعاذة الحق بما هو عليه من صفات التقديس و التنزيه مما ينسب إليه مما لا يليق به كما قال تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ فوقع العياذ برب العزة عَمَّا يَصِفُونَ يريد مما يطلق عليه مما لا ينبغي لجلاله من الصاحبة و الولد و الأنداد فهذا كله عياذ إلهي لأنه كلامه و أما الاستعاذة به منه فهو ما ورد من تجليه في صورة تنكر فيتعوذ المتجلي له منها بتجل في صورة يعرف و هو عين الصورة الأولى و الثانية و قد بينا لك في هذا الكتاب أنه الظاهر في مظاهر الأعيان فهو المستعيذ به منه و من هذا الباب قوله أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك هو قوله إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ و قوله إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ فيتعوذ بالناصر من الخاذل و بالنافع من الضار و هو القائل على لسان العبد ما ظهر عنه من التعوذ (الفصل الرابع في ذكر البسملة) البسملة قولك بسم الله و هو للعبد كلمة حضرة الكون للتكوين بمنزلة كلمة الحضرة في قوله كُنْ فينفعل عن العبد بالبسملة إذا تحقق بها ما ينفعل عن كن فكأنه يقول بسم الله يكون ظهور الكون فهو إخبار عن حقيقة اقترن بها صدق محبوب كان الحق سمعه و لسانه فيكون عنه ما يكون عن كن و هو قوله فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فبإذني متعلق بقوله فتنفخ وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي أي بأمري لما كنت لسانك و بصرك تكونت عنك الأشياء التي ليست بمقدورة لمن لا أقول على لسانه فالتكوين في الحالين لي فبسم الله عين كن (الفصل الخامس في كلمة الحضرة الإلهية) و هي كلمة كُنْ لله تجل في صور تقبل القول و الكلام بترتيب الحروف كما له تجل في غير هذا قد ذكرناه في التجلي الإلهي الذي خرجه مسلم في الصحيح قال تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ فقولنا هو كونه متكلما أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فكن عين ما تكلم به فظهر عنه

الذي قيل له كن فأضاف التكوين إلى الذي يكون لا إلى الحق و لا إلى القدرة بل أمر فامتثل السامع في حال عدمه شيئية و ثبوته أمر الحق بسمع ثبوتي فأمره قدرته و قبول المأمور بالتكوين استعداده فظهرت الأعيان في النفس الرحماني ظهور الحروف في النفس الإنساني و الشيء الذي يكون إنما هو الصورة الخاصة كظهور الصورة المنقوشة في الخشب أو الصورة في الماء المهين أو الصورة في الضلع أو الصورة في الطين أو الصورة فإن قلت عن وجود صدقت و إن قلت لم أكن صدقت

فلو رأيت الذي رأينا ما قلت إلا أنا هو أنتا
فاعلم بأن الذي سمعتا من قول كن منه قد خلقتا
فظاهر الأمر كان قول و باطن الأمر أنت كنتا
و الشكل عين الذي بدا لي و هو الوجود الذي رأيتا
قد أثبت الشيء قول ربي لو لم يكن ذاك ما وجدتا
فالعدم المحض ليس فيه ثبوت عين فقل صدقتا
لو لم تكن ثم يا حبيبي إذ قال كن لم تكن سمعتا
فأي شيء قبلت منه الكون أو كون عين أنتا

فكلمة الحضرة كلمات كما قال وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ فلم يكرر فعين الأمر عين التكوين و ما ثم أمر إلهي إلا كن و كن حرف وجودي عند سيبويه من واجب الوجود لا يقبل الحوادث فالأمر في نفسه صعب تصوره من الوجه الذي يطلبه الفكر سهل في غاية السهولة من الوجه الذي قرره الشرع فالفكر يقول ما ثم شيء ثم ظهر شيء لا من شيء و الشرع يقول و هو القول الحق

بل ثم شيء فصار كونا و كان غيبا فصار عينا

انظر إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ يعني السحاب الكائن من الأبخرة هنا الصاعدة للحرارة التي فيها و الأبخرة نفس عنصري و ليس بشيء زائد على السحاب و لم يكن سحابا في المتنفس بل هو شيء فظهر سحابا فتكاثف ثم تحلل ماء فنزل فتكون بخارا فصعد فكان سحابا فانظر إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ من خِلالِهِ و أَنْزَلْنا من الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً فينشئه سَحاباً فَيَبْسُطُهُ في السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً و هو تعدد الأعيان فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ من خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ به من يَشاءُ من عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ فيما في السحاب من الماء يثقل فينزل كما صعد بما فيه من الحرارة فإن الأصغر

يطلب الأعظم فإذا ثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلا فحك وجه الأرض فتقوت الحرارة التي في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود يطلب الركن الأعظم فوجد السحاب متراكما فمنعه من الصعود تكاثفه فأشعل الهواء فخلق الله في تلك الشعلة ملكا سماه برقا فأضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوؤه مع بقاء عينه فزال كونه برقا و بقي العين كونا يسبح الله ثم صدع الوجه الذي يلي الأرض من السحاب فلما ما زجه كان كالنكاح فخلق الله من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك ما لم يكن البرق خلبا فكل برق يكون على ما ذكرناه لا بد أن يكون الرعد يعقبه لأن الهواء يصعد مشتعلا فيخلقه ملكا يسميه برقا و بعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد مسبحا بحمد ربه لما أوجده وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ و ثم بروق و هي ملائكة يخلقها الله في زمان الصيف من حرارة الجو لارتفاع الشمس فتنزل الأشعة الشمسية فإذا أحرقت ركن الأثير زادت حرارة فاشتعل الجو من أعلى و ما ثم سحاب لأن قوة الحرارة تلطف الأبخرة الصاعدة عن كثافتها فلا يظهر للسحاب عين و هنالك حكم الشين المعجمة من الحروف و لهذا سمي حرف التفشي فخلق الله من ذلك الاشتعال بروقا خلبا لا يكون معها رعد أصلا و هذه كلها حوادث ظهرت أعيانها عن كلمة كن في أنفاس و إنما جئنا بمثل هذا تأنيسا لك لتعلم ما فتح الله من الصور و الأعيان في هذا النفس العنصري المسمى بخار التكون لك عبرة إن كنت ذا بصر فتجوز بالنظر في هذا إلى تكوين العالم من النفس الرحماني الظاهر من محبة الله أن يعرفه خلقه فما في العالم أو ما هو العالم سوى كلمات الله و كلمات الله أمره و أمره واحدة و هو كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ لأنه ما ثم أسرع من لمح البصر فإنه زمان التحاظه هو زمان التحاقه بغاية ما يمكن أن ينتهي إليه في التعلق و كذلك قوة السمع دون ذلك فتدبر يا أخي كلام الله و هذا القرآن العزيز و تفاصيل آياته و سورة و هو أحدي الكلام مع هذا التعداد و هو التوراة و الفرقان و الإنجيل و الزبور و الصحف فما الذي عدد الواحد أو وحد العدد انظر كيف هو الأمر فإنك إذا علمته علمت كلمة الحضرة و إذا علمت كلمة الحضرة علمت اختصاصها من الكلمات بكلمة كن لكل شيء مع اختلاف ما ظهر و من الحروف الظاهرة بالكاف و النون و من الحروف الباطنة بالواو و كيف حكم العارض على الثابت بمساعدته عليه فرده غيبا بعد ما كان شهادة فإن السكون هو الحاكم من النون و هو عرض لأن الأمر الإلهي عرض له فسكنه فوجد سكون الواو فاستعان عليها بها كما يستعين العبد بربه على ربه فلما اجتمع ساكنان و أرادت النون الاتصال بالكاف لسرعة نفوذ الأمر حتى يكون أقرب من لمح بالبصر كما أخبر فزالت الواو من الوسط فباشرت الكاف النون فلو بقيت الواو لكان في الأمر بطء فإن الواو لا بد أن تكون واو علة لأجل ضمة الكاف فلا يصل النفس إلى النون الساكنة بالأمر إلا بعد تحقق ظهور واو العلة فيبطئ الأمر و هي واو علة فيكون الكون عن علتين الواو

والأمر الإلهي وهو لا شريك له وإذا جاز أن يبطىء المأمور عن التكوين زمانا واحدا وهو قد ر ظهور الواو لو بقيت ولا تحذف لجاز أن يبقى المأمور أكثر من ذلك فيكون أمر الله قاصرا فلا تنفذ إرادته وهو نافذ الإرادة فحذف الواو من كلمة الحضرة لا بد منه و السرعة لا بد منها فظهور الكون عن كلمة الحضرة بسرعة لا بد منه فظهر الكون فظهرت الواو في الكون لتدل أنها كانت في كن وإنما زالت لأمر عارض فعملت في الغيب فظهرت في الكون لما ظهر الكون بصورة كن قبل حذف الواو ليدل على أن الواو لم تعدم وإنما غابت لحكمة ما ذكرناه فليس الكون بزائد على كن بواوها الغيبية فظهر الكون على صورة كن وكن أمره وأمره كلامه وكلامه علمه وعلمه ذاته فظهر العالم على صورته فخلق آدم على صورته فقبل الأسماء الإلهية وقد بينا ما فيه الكفاية للعاقل في كلمة الحضرة والله يضرب الأمثال لعباده (الفصل السادس في الذكر بالتحميد) الحمد ثناء عام ما لم يقيده الناطق به بأمر وله ثلاث مراتب حمد الحمد وحمد المحمود نفسه وحمد غيره له وما ثم مرتبة رابعة في الحمد ثم في الحمد بما يحمد الشيء نفسه أو يحمده غيره تقسيمان إما أن يحمده بصفة فعل وإما أن يحمده بصفة تنزيه وما ثم حمد ثالث هنا وأما حمد الحمد له فهو في الحمدين بذاته إذ لو لم يكن لما صح أن يكون لها حمد

فحمد الحمد يعطي الحمد فيه ولولا الحمد ما كان الحميد

ثم إن الحمد على المحمود قسمان القسم الواحد أن يحمد بما هو عليه وهو الحمد الأعم والقسم الثاني أن يحمد على ما يكون منه وهو الشكر وهو الأخص فانحصرت أقسام التحميدات والمحامد وتعيين الكلمات التي تدل على ما ذكرناه لا تتناهى فإن النبي ص يقول في المقام المحمود فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن وقال لا أحصي ثناء عليك لأن ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود ولما كان كل عين حامدة و محمودة في العالم كلمات الحق الظاهرة من نفس الرحمن ونفس الرحمن ظهور الاسم الباطن والحكم الغيب وهو الظاهر والباطن رجعت إليه عواقب الثناء فلا حامد إلا الله ولا محمود إلا الله وحمد الحمد صفته لأن الحمد صفته وصفته عينه إذ لا يتكثر

ولا يكمل بالزائد تعالى الله فحمد الحمد هو فليس إلا هو

فما حمد الله إلا الإله و محموده عينه لا سواه

فمن حمد الله على هذا النحو فقد حمده ومن نقصه من ذلك شيئا فهو بقد ر ما نقصه فإن كنت حامد الله فلتحمده بهذا الحضور و هذا التصور فيكون الجزاء من الله لمن هذا حمده عينه فافهم الفصل السابع) في الذكر بالتسبيح التسبيح التنزيه فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ هذا أمر سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ خبر التسبيح قسم من أقسام الحمد ولهذا أن الحمد يملأ الميزان على الإطلاق وسبحان

الله و غير ذلك من الأذكار تحت حيطة الحمد فإذا ظهر التسبيح فانظر كيف تسبحه فإن الجهل يتخلل هذا المقام تخللا خفيا لا يشعر به فإنه كما قال ص لحسان بن ثابت لما أراد أن يهجو قريشا ينافح بذلك عن رسول الله ص لما هجته قريش و هو منها فنفسها هجت و لم تعلم بذلك و علم بذلك رسول الله ص فإنه العالم الأتم و قد علم رسول الله ص أن الذي انبعث إليه حسان بن ثابت من هجاء قريش إن ذلك مما يرضى الله لحسن قصده في ذلك و ما علم ذلك رسول الله ص إلا لما رأى روح القدس الذي يجيئه قد جاء إلى حسان بن ثابت يؤيده من حيث لا يشعر ما دام ينافح عن عرض رسول الله ص و إنما أقر الله ذلك أعلاما لقريش بأن أعمالهم تعود عليهم إذ كان الهجاء مما عملته لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما (كَسَبَتْ) عملت ليعلموا صدق رسول الله ص فقال له رسول الله ص إني منهم فانظر ما تقول و كيف تقول و ائت أبا بكر فإنه أعرف بالأنساب فيخبرك حتى لا تقول كلاما يعود على رسول الله ص فتكون قد وقعت فيما وقعوا فيه فقال له حسان بن ثابت و الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين لأنه لا يعلق بها شيء من العجين و هكذا باب التسبيح فإنه تنزيه و التنزيه عبارة عن العدم ليس بتنزيه و إنما يكون التنزيه عن كل صفة تدل على الحدوث لاتصافه بالقدم و صفات الحدوث إنما هي للمحدثات و هنا زلت الاقدام في العلم بالمحدثات ما هي المحدثات و ما في الوجود إلا الله فإن الموجودات كلمات الله و بها يثنى على الله فإذا نزه المنزه ربه و لا ينزهه إلا عما هو صفة للمحدث و المحدث ليس له من نفسه شيء و لا عينه له و إنما هي لمن أظهرها فإذا نزه الحق عن شيء لا يثنى عليه إلا به و بأمثاله فقد تركت من الثناء عليه ما كان ينبغي لك أن تثني عليه به فإذا سبحته فتحقق عن أي شيء تنزهه إذ ما ثم إلا هو فإن نفس الرحمن هو جوهر الكائنات و لهذا وصف الحق نفسه بما هو من صفات المحدثات مما تحيله الأدلة النظرية العقلية و احذر أن تسبحه بعقلك و اجعل تسبيحه منك بالقرآن الذي هو كلامه فتكون حاكيا لا مخترعا و لا مبتدعا فإن كان هناك ما يقدح كنت أنت بريء الساحة من ذلك إذ ما سبحه إلا كلامه و هو أعلم بنفسه منك و هو يحمد ذاته بأتم المحامد و أعظم الثناء كما قال ص أنت كما أثنيت على نفسك و قد أثنى على نفسه بما يقول فيه دليل العقل إنه لا يجوز عليه ذلك و ينزهه عنه و هذا غاية الذم و تكذيب الحق فيما نسبه إلى نفسه و علمك بأنك أعرف به منه فاحذر أن تنزهه عن أمر ثبت في الشرع أنه وصف له كان ما كان و لا تسبحه تسبيحة واحدة بعقلك جملة واحدة و قد نصحتك فإن الأدلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الإلهيات فسبح ربك بكلام ربك و بتسبيحه لا بعقلك الذي استفاده من فكره و نظره فإنه ما استفاد أكثر ما استفاد إلا الجهل فتحفظ مما ذكر لك فإنه داء عضال قليل فيه الشفاء فذم بذم الله و امدح بمدح الله و ارحم برحمة الله و ألعن بلعنة الله تفز بالعلم و تملأ يديك من الخير و التسبيح ثناء كل موجود في العالم لا غير التسبيح و هذا هو الذي أضل العقلاء و هو من المكر الإلهي الخفي و غابت عقولهم عن قوله تعالى بحمده و

هو ما ذكرناه فقال تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و ما قال يحمد و لا يكبر و لا يهلل فإنها كلها ثناء بإثبات وجودي و التسبيح ثناء بعدم فدخله المكر الإلهي فأثر في العقول المفكرة فجاء العارفون فوجدوا الله قد قيد تسبيح كل شيء بحمده المضاف إليه فسبحوه بما أثنى على نفسه فما استنبطوا شيئا بخلاف الناظرين بعقولهم في الإلهيات و لهذا قال وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ لأنهم نسوا بحمده حجتهم عن ذلك أدلة عقولهم إذ ستر الله عنها ذلك بستر أفكارهم فلم يؤاخذهم على ذلك لقوله إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً مع ما فيه من سوء الأدب من وجه لما كان الشفيع فيهم عند الله قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و فيه غلطوا فقبل الله فيهم سؤال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فعفا عنهم فيما توقفوا فيه أو أحالوه مما أثبته الحق لنفسه من استواء و معية و ظرفية و نزول و غير ذلك مما لا يحصى كثرة مما نطقت به كتبه و رسله فقد أفهمتك كيف تسبح ربك و ألقيت بك على الطريق فاذكرني عند ربك (الفصل الثامن) في الذكر بالتكبير قال تعالى وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ و ذكر الله القرآن فاذكره بالقرآن لا تكبره بتكبيرك إذ قد أمرك أن تكبره فقال وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً عن الولد و الشريك و الولي و لا تغفل في هذا التكبير عن قوله من الذل فقيده فإنه يقول إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ فما نصرناه من ذل فلهذا قال وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ من الذُّلِّ فإنه قد دعاك إلى نصرته ليوفي الصورة التي خلقك عليها حقها لأنه يقول أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فمن إعطائه الصورة التي خلقك عليها خلقها الذي هو عين حقها أن يطلب منها نصرته فإنه الناصر فقال كُونُوا أَنْصارَ اللهِ و الناصر هو الولي فلهذا قيده فإذا كبرته عن الولي فاعلم عن أي ولي تكبره و كذلك أيضا الشريك في الملك و على هذه المسألة تبتني مسألة العبد هل يملك أو لا يملك فمن رأى شركة الأسباب التي لا يمكن وجود المسببات إلا بها لم يثبت الشريك في الملك لأن السبب من الملك و هو كالآلة و الآلة يوجد بها ما هو ملك للموجد كما هي الآلة ملك للموجد و ما تملك الآلة شيئا فلهذا قيد التكبير عن الشريك في الملك لا في الإيجاد لأن الله تعالى أوجد الأشياء على ضربين ضرب أوجده بوجود أسبابه مثل صنائع العالم كالتابوت للنجار و الحائط للبناء و جميع صنائع العالم و الكل صنعته تعالى و الإضافة إلى النجار و إن كان النجار ما استقل في عمل التابوت بيده فقط بل بآلات متعددة من الحديد و غير ذلك فهذه أسباب التجارة و ما أضيف عمل التابوت إلى شيء منها بل أضيف التابوت من كونه صنعة لصانعه و لم يصنع إلا بالآلة ثم ثم إضافة أخرى و هو إن كان النجار صنع في حق نفسه أضيف التابوت إليه لأنه ملكه و هو قوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و إن كان الخشب لغيره فالتابوت من حيث صنعته يضاف إلى النجار و من حيث الملك يضاف للمالك لا إلى النجار فالنجار آلة للمالك و الله ما نفى إلا الشريك في الملك لا الشريك في الصنعة أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ و أما الضرب الثاني فهو ما أوجده لا بسبب و هو إيجاده أعيان الأسباب الأول فإذا كبرت ربك عن الولي و الشريك فقيده في ذلك بما قيده الحق و لا تطلق فيفتك

خير كثير و علم كبير و كذلك قوله و كبره أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فإن الولد للوالد ليس بمتخذ لأنه لا عمل له فيه على الحقيقة و إنما وضع ماء في رحم صاحبته و تولى إيجاد عين الولد سبب آخر و المتخذ الولد إنما هو المتبني كزيد لما تبناه رسول الله ص فقال لنا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً لأنه لو اتخذ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ فكان يتبنى ما شاء فما فعل فعل من لم يتخذ ولدا و قوله تعالى لَمْ يَلِدْ ذلك ولد الصلب فليس له تعالى ولد و لا تبنى أحدا فنفى عنه الولد من الجهتين لما ادعت طائفة من اليهود و النصارى أنهم أبناء الله و أرادوا التبني فإنهم عالمون بآبائهم و قالوا في المسيح إنه ابن الله إذ لم يعرفوا له أبا و لا تكون عن أب لجهلهم بما قال الله من تمثل الملك لمريم بَشَراً سَوِيًّا و جعله الحق تعالى روحا إذ كان جبريل روحا فما تكون عيسى إلا عن اثنين فجبريل وهب لها عيسى في النفخ فلم يشعروا لذلك كما ينفخ الروح في الصورة عند تسويتها فما عرفوا روح عيسى و لا صورته و إن صورة عيسى مثل تجسد الروح لأنه عن تمثل فلو تفطنت لخلق عيسى لرأيت علما عظيما تقصر عنه أفهام العقلاء فإذا كبرت ربك فكبره كما كبر نفسه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا و هم الذين يكبرونه عما لم يكبر نفسه في قوله يفرح بتوبة عبده و يتبشبش إلى من جاء إلى بيته و يباهي ملائكته بأهل الموقف و يقول جعت فلم تطعمني فأنزل نفسه منزلة عبده فإن كبرته بأن تنزهه عن هذه المواطن فلم تكبره بتكبيرة بل أكذبته فهؤلاء هم الظالمون على الحقيقة فليس تكبيره إلا ما كبر به نفسه فقف عند حدك و لا تحكم على ربك بعقلك (الفصل التاسع في الذكر بالتهليل) هذا هو ذكر التوحيد بنفي ما سواه و ما هو ثم فإن لم يكن ثم و نفيت النفي فقد أثبت فإن الله تعالى يقول وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فما عبد فيما عبد إلا الله و هذا التوحيد على ستة و ثلاثين أعني الواردة في القرآن من حيث ما هو كلام الله فمنه ما هو توحيد الواحد و لهذا يرى بعض العلماء الإلهيين إن الله هو الذي وحد الواحد و لو لا توحيده لم يكن ثم من يقال فيه إنه واحد فوحدانيته أظهرت الواحد و منه ما هو توحيد الله و هو توحيد الألوهية و منه ما هو توحيد الهوية و لنذكر هذا كله في هذا الفصل و ما له تعالى في هذا التهليل من الأسماء الإلهية و لا نزيد على ما ورد في القرآن من ذلك و هو ستة و ثلاثون موضعا و هي عشر درجات الفلك الذي جعل الله إيجاد الكائنات عند حركاته من أصناف الموجودات من عالم الأرواح و الأجسام و النور و الظلمة فهذه الستة و ثلاثون حق الله مما يكون في العالم من الموجودات فإنها مما تكون في عين التلفظ الإنساني بالقرآن فهو كالعشر فيما سقت السماء و هو المسمى الأعلى من قوله سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فالتهليل عشر الذكر و هو زكاته لأنه حق الله فهو عشر ثلاثمائة و ستين درجة فمن ذلك (التوحيد الأول) و هو قوله تعالى وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ فهذا توحيد الواحد بالاسم الرحمن الذي له النفس فبدأ به لأن النفس لولاه ما ظهرت الحروف و لو لا الحروف ما ظهرت الكلمات فنفى الألوهية عن كل أحد وحده الحق تعالى إلا أحديته فأثبت الألوهية لها بالهوية التي

أعاد على اسمه الواحد و أول نعت نعته به الرحمن لأنه صاحب النفس و سمي مثل هذا الذكر تهليلا من الإهلال و هو رفع الصوت أي إذا ذكر بلا إله إلا الله ارتفع الصوت الذي هو النفس الخارج به على كل نفس ظهر فيه غير هذه الكلمة و لهذا قال رسول الله ص أفضل ما قلته أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله و ما قالها إلا نبي لأنه ما يخبر عن الحق إلا نبي فهو كلام الحق فارفع الكلمات كلمة لا إله إلا الله و هي أربع كلمات نفي و منفي و إيجاب و موجب و الأربعة الإلهية أصل وجود العالم و الأربعة الطبيعية أصل وجود الأجسام و الأربعة العناصر أصل وجود المولدات و الأربعة الأخلاط أصل وجود الحيوان و الأربع الحقائق أصل وجود الإنسان فالأربعة الإلهية الحياة و العلم و الإرادة و القول و هو عين القدرة عقلا و القول شرعا و الأربع الطبيعة الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة و الأربعة العناصر الأثير و الهواء و الماء و التراب و الأربعة الأخلاط المرتان و الدم و البلغم و الأربع الحقائق الجسم و التغذي و الحس و النطق فإذا قال العبد لا إله إلا الله على هذا التربيع كان لسان العالم و نائب الحق في النطق فيذكره العالم و الحق بذكره و هذه الكلمة اثنا عشر حرفا فقد استوعبت من هذا العدد بسائط أسماء الأعداد و هي اثنا عشر ثلاث عقود العشرات و المئين و الآلاف و من الواحد إلى التسعة ثم بعد هذا يقع التركيب بما لا يخرجك عن هذه الآحاد إلى ما لا يتناهى فقد ضم ما يتناهى و هو هذه الاثنا عشر ما لا يتناهى و هو ما يتركب منها فلا إله إلا الله و إن انحصرت في هذا العدد في الوجود فجزاؤها لا يتناهى فبها وقع الحكم بما لا يتناهى فبقاء الوجود الذي لا يلحقه عدم بكلمة التوحيد و هي لا إله إلا الله فهذا عمل نفس الرحمن فبها و لهذا ابتدأ به في القرآن و جعله توحيد الأحد لأن عن الواحد الحق ظهر العالم (التوحيد الثاني) من نفس الرحمن الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فهذا توحيد الهوية و هو توحيد الابتداء لأن الله فيه مبتدأ و نعته في هذه الآية بصفة التنزيه عن حكم السنة و النوم لما يظهر به من الصور التي يأخذها السنة و النوم كما يرى الإنسان ربه في المنام على صورة الإنسان التي من شأنها أن تنام فنزه نفسه و وحدها في هذه الصورة و إن ظهر بها في الرؤيا حيث كانت فما هي ممن تأخذها سنة و لا نوم فهذا هو النعت الأخص بها في هذه الآية و قدم الحي القيوم لأن النوم و السنة لا يأخذ إلا الحي القائم أي المتيقظ إذ كان الموت لا يرد إلا على حي فلهذا قيل في الحق إنه الحي الَّذِي لا يَمُوتُ كذلك النوم و السنة و السنة أول النوم كالنسيم للريح فإن النوم بخار و هو هواء و النسيم أوله و السنة أول النوم فلا يرد إلا على متصف باليقظة فهذا توحيد التنزيه عمن من شأنه أن يقبل ما نزه عنه هذا الإله الحي القيوم و لو لا التطويل لذكرنا تمام الآية بما فيها من الأسماء الإلهية (التوحيد الثالث) من نفس الرحمن و هو الم الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و هذا توحيد حروف النفس و هو الألف و اللام و الميم و قد ذكرنا من حقائق هذه الحروف في الباب الثاني من هذا الكتاب ما فيه غنية و هذا التوحيد أيضا توحيد الابتداء و له من أسماء الأفعال منزل الكتاب بالحق من الله المسمى بالحي القيوم فبين أنه

منزل الكتاب بالحق من الله المسمى بالحي القيوم فبين أنه منزل الأربعة الكتب يصدق بعضها بعضا لأن أكثر الشهود أربعة و الكتب الإلهية وثائق الحق على عباده و هي كتب مواصفة و تحقيق بما له عليهم و ما لهم عليه مما أوجبه على نفسه لهم فضلا منه و منة فدخل معهم في العهدة فقال أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ فأدخلنا تحت العهد أعلاما بأنا جحدنا عبوديتنا له إذ لو كنا عبيدا لم يكتب علينا عهده فإنا بحكم السيد فلما أيقنا بخروجنا عن حقيقتنا و ادعينا الملك و التصرف و الأخذ و العطاء كتب بيننا و بينه عقودا و أخذ علينا العهد و الميثاق و أدخل نفسه معنا في ذلك ألا ترى العبد المكاتب لا يكاتب إلا أن ينزل منزلة الأحرار فلو لا توهم رائحة الحرية ما صحت مكاتبة العبد و هو عبد فإن العبد لا يكتب عليه شيء و لا يجب له حق فإنه ما يتصرف إلا عن إذن سيده فإذا كان العبد يوفي حقيقة عبوديته لم يؤخذ عليه عهد و لا ميثاق ألا ترى العبد الآبق يجعل عليه القيد و هو الوثاق لإباقه فهذا بمنزلة الوثائق التي تتضمن العهود و العقود التي لا تصح بين العبد و السيد فمن أصعب آية تمر على العارفين كل آية فيها أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أو العهود فإنها آيات أخرجت العبيد عن عبوديتهم لله (التوحيد الرابع) من نفس الرحمن قوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هذا توحيد المشيئة و وصف الهوية بالعزة و هو قوله وَ لَمْ يُولَدْ فهو عزيز الحمى إذ كان هو الذي صورنا في الأرحام من غير مباشرة إذ لو باشر لضمه الرحم كما يضم القابل للصورة و لو لم يكن هو المصور لما صدقت هذه النسبة و هو الصادق فإنه ما أضاف التصوير إلى غيره فقال كَيْفَ يَشاءُ أي كيف أراد فظهر في هذه الكيفية أن مشيئته تقبل الكيفية مع نعته بالعزة ثم بالحكمة و الحكيم هو المرتب للأشياء التي أنزلت منازلها فالتصوير يستدعيه إذ كان هو المصور لا الملك مع العزة التي تليق بجلاله فحير العقول السليمة التي تعرف جلاله و أما أهل التأويل فما حاروا و لا أصابوا أعني في خوضهم في التأويل و إن وافقوا العلم فقد ارتكبوا محرما عليهم يسألون عنه يوم القيامة هم و كل من تكلم في ذاته تعالى و نزهة عما نسبه إلى نفسه و رجح عقله على إيمانه و حكم نظره في علم ربه و لم يكن ينبغي له ذلك و هو قوله تعالى كذبني ابن آدم و لم يكن ينبغي له

و ذكر بعض ما كذبه فيه لا كله و أبقى له ضربا من الرجاء حيث أضافه إليه في الحديث الذي يقول فيه عبدي فإن قال ابن آدم و هو الأصح في الرواية فأبعده عن نفسه و أضافه إلى ظاهر آدم ع لأن المعصية بالظاهر وقعت و هو القرب من الشجرة و الأكل و نسي و لم يجد له عزما و هو عمل الباطن فبرأ باطنه منها وَ كانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً مجتبى كما قال تعالى (التوحيد الخامس) من نفس الرحمن و هو قوله شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ هذا توحيد الهوية و الشهادة على الاسم المقسط و هو العدل في العالم و هو قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فوصف نفسه بإقامة الوزن في التوحيد أعني توحيد الشهادة بالقيام بالقسط و جعل ذلك للهوية و كان

الله الشاهد على ذلك من حيث أسماؤه كلها فإنه عطف بالكثرة و هو قوله وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ فعلمنا حيث ذكر الله و لم يعين اسما خاصا إنه أراد جميع الأسماء الإلهية التي يطلبها العالم بالقسط إذ لا يزن على نفسه فلم يدخل تحت هذا إلا ما يدخل في الوزن فهذا توحيد القسط و قد روينا في ذلك حديثا ثابتا و هو ما حدثناه يونس بن يحيى عن أبي الوقت عبد الأول الهروي عن ابن المظفر الداودي عن أبي محمد الحموي عن الفربري عن البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ص قال قال الله عز و جل أنفق أنفق عليك و قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و النهار و قال أ رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغض ما في يده وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ و بيده الميزان يخفض و يرفع خرجه مسلم أيضا عن أبي هريرة و قال بيمينه لم يقل يده و قال بيده الأخرى و هو حديث صحيح فإذا قام العبد بالقسط في تهليل ربه صدقه ربه فقال مثل قوله فهذا من تزكية الله عبده حدثنا غير واحد منهم ابن رستم مكين الدين أبو شجاع الأصفهاني إمام المقام بالحرم المكي الشريف و عمر بن عبد المجيد الميانشي عن أبي الفتح الكرخي عن التزياقي أبي نصر عن عبد الجبار بن محمد عن المحبوبي عن أبي عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن إسماعيل بن محمد عن جحادة عن عبد الجبار بن عباس عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي سعيد و أبي هريرة أنهما شهدا على النبي ص قال من قال لا إله إلا الله و الله أكبر صدقه ربه و قال لا إله إلا أنا و أنا أكبر و إذا قال لا إله إلا الله وحده قال يقول الله لا إله إلا أنا و أنا وحدي و إذا قال لا إله إلا الله له الملك و له الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك و لي الحمد و إذا قال لا إله إلا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا و لا حول و لا قوة إلا بي و كان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار فمن أعطى الحق من نفسه لربه و لغيره و لنفسه من نفسه بإقامة الوزن على نفسه في ذلك فلم يترك لنفسه و لا لغيره عليه حقا جملة واحدة قام في هذا المقام بالقسط الذي شهد به لربه فإنها شهادة أداء الحقوق من يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ و ما كان له من حق تعين له عند غيره أسقطه و لم يطالب به إذ كان له ذلك ف وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله ثم يؤيد ما ذكرناه في إعطاء الحق في هذه الشهادة قوله بعد قوله قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فشهد الله لنفسه بتوحيده و شهد لملائكته و أولي العلم أنهم شهدوا له بالتوحيد فهذا من قيامه بالقسط و هو من باب فضل من أتى بالشهادة قبل أن يسألها فإن الله شهد لعباده أنهم شهدوا بتوحيده من قبل أن يسأل منه عباده ذلك و بين في هذه الآية أن الشهادة لا تكون إلا عن علم لا عن غلبة ظن و لا تقليد إلا تقليد معصوم فيما يدعيه فتشهد له بأنك على علم كما نشهد نحن على الأمم أن أنبياءها بلغتها دعوة الحق و نحن ما كنا في زمان التبليغ و لكنا صدقنا الحق فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب الايكة و قوم موسى و شهادة خزيمة و ذلك لا يكون إلا لمن هو في إيمانه على علم بمن آمن به لا على تقليد و حسن ظن فاعلم ذلك

(التوحيد السادس) من نفس الرحمن هو قوله الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ هذا أيضا توحيد الابتداء و هو توحيد الهوية المنعوت بالاسم الجامع للقضاء و الفصل فمن رحمة الله أنه قال لَيَجْمَعَنَّكُمْ فما نجتمع إلا فيما لا نفترق فيه و هو الإقرار بربوبيته سبحانه و إذا جمعنا من حيث إقرارنا له بالربوبية فهي آية بشرى و ذكر خير في حقنا بسعادة الجميع و إن دخلنا النار فإن الجمعية تمنع من تسرمد الانتقام لا إلى نهاية لكن يتسرمد العذاب و تختلف الحالات فيه فإذا انتهت حالة الانتقام و وجدان الآلام أعطى من النعيم و الاستعذاب بالعذاب ما يليق بمن أقر بربوبيته ثم أشرك ثم وحد في غير موطن التكليف و التكليف أمر عرض في الوسط بين الشهادتين لم يثبت فبقي الحكم للأصلين الأول و الآخر و هو السبب الجامع لنا في القيامة فما جمعنا إلا فيما اجتمعنا

فإذا استعذبوا العذاب أريحوا من أليم العذاب و هو الجزاء

قال أبو يزيد الأكبر البسطامي

و كل ما آربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

لم يقل بالألم و لنا في هذا الباب نظم كثير (التوحيد السابع) من نفس الرحمن هو قوله ذلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ هذا توحيد الرب بالاسم الخالق و هو توحيد الهوية فهذا توحيد الوجود لا توحيد التقدير فإنه أمر بالعبادة و لا يأمر بالعبادة إلا من هو موصوف بالوجود و جعل الوجود للرب فجعل ذلك الاسم بين الله و بين التهليل و جعله مضافا إلينا إضافة خاصة إلى الرب فهي إضافة خصوص لنوحده في سيادته و مجده و في وجوب وجوده فلا يقبل العدم كما يقبله الممكن فإنه الثابت وجوده لنفسه و يوحد أيضا في ملكه بإقرارنا بالرق له و لنوحده توحيد المنعم لما أنعم به علينا من تغذيته إيانا في ظلم الأرحام و في الحياة الدنيا و لنوحده أيضا فيما أوجده من المصالح التي بها قوامنا من إقامة النواميس و وضع الموازين و مبايعة الأئمة القائمة بالدين و هذه الفصول كلها أعطاها الاسم الرب فوحدناه و نفينا ربوبية ما سواه قال يوسف لصاحبي السجن أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْواحِدُ الْقَهَّارُ (التوحيد الثامن) من نفس الرحمن قوله تعالى اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ هذا توحيد الاتباع و هو من توحيد الهوية فهو توحيد تقليد في علم لأنه نصب الأسباب و أزال عنها حكم الأرباب لما قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى الله زُلْفى فلو قالوا ما نتخذهم و أبقوا العبودية لجناب الله تعالى لكان لهم في ذلك مندوحة بوضع الأسباب الإلهية المقررة في العالم فأمر ص أن يعرض عن الشرك لا عن السبب فإنه قال في مصالح الحياة الدنيا وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ فعلل و لام العلة في القرآن كثير و هذا أيضا فيه ما في السابع من توحيد الاسم الرب و عمم إضافة جميعنا إليه و هنا خصص به الداعي فكأنه توحيد في مجلس محاكمة فيدخل فيه توحيد المقسط لإقامة

الوزن في الحكم بين الخصماء بين ذلك قوله وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ و خص به الداعي لمجيئه بالتوحيد الإيماني لا التوحيد العقلي و هو توحيد الأنبياء و الرسل لأنها ما وحدت عن نظر و إنما وحدت عن ضرورة علم وجدته في نفسها لم تقدر على دفعه فترك المشركين و آلهتهم و انفرد بغار حرا يتحنث فيه من غير معلم إلا ما يجده في نفسه حتى فجئه الحق و هو قوله اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ أي أنه لا يقبل الشريك فأعرض عنهم حتى يستحكم الايمان و أقمه بنفس الرحمن فاجعل له أنصارا و آمرك بقتال المشركين لا بالإعراض عنهم (التوحيد التاسع) من نفس الرحمن هو قوله إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ توحيد الهوية في الاسم المرسل و هو توحيد الملك و لهذا نعته بأنه يحيي و يميت إذ الملك هو الذي يحيي و يميت و يعطي و يمنع و يضر و ينفع فمن أعطى أحيا و نفع و من منع أضر و أمات و من منع لا عن بخل كان منعه حماية و عناية و جودا من حيث لا يشعر الممنوع و كان الضرر في حقه حيث لم يبلغ إلى نيل غرضه لجهله بالمصلحة فيما حماه عنه النافع و مات هذا الممنوع لكونه لم تنفذ إرادته كما لا تنفذ إرادة الميت فهذا منع الله و ضرره و إماتته فإنه المنعم المحسان فأرسل الرسل بالتوحيد تنبيها لإقرارهم في الميثاق الأول فقال وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ فمن وحده بلسان رسوله لا من لسانه جازاه الله على توحيده جزاء رسوله فإن وحده لا بلسان رسوله بل بلسان رسالته جازاه مجازاة إلهية لا تعرف يدخل تحت قوله ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر انتهى

الجزء التاسع عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(التوحيد العاشر) من نفس الرحمن قوله وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ هذا توحيد الأمر بالعبادة و هو من أعجب الأمور كيف يكون الأمر فيما هو ذاتي للمأمور فإن العبادة ذاتية للمخلوقين ففيم وقع الأمر بالعبادة فأما في حق المؤمنين فأمرهم إن يعبدوه من حيث أحدية العين لما قال في حق طائفة قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فما هي هذه الطائفة التي أمرت أن تعبد إلها واحدا فلا تنظروا في الأسماء الإلهية من حيث ما تدل على معان مختلفة فتعبدهم معانيها فتكون عبادتهم معلولة حيث رأوا أن كل حقيقة منهم مرتبطة بحقيقة إلهية يتعلق افتقارها القائم بها إليها و هي متعددة فإن حقيقة الطلب للرزق إنما تعبد الرزاق و حقيقة الطلب للعافية إنما تعبد الشافي فقيل لهم لا تعبدوا إلا إلها واحدا و هو أن كل اسم إلهي و إن كان يدل على معنى يخالف الآخر فهو أيضا يدل على عين واحدة تطلبها هذه النسب المختلفة و أما من حمل العبادة هنا على الأعمال فلا معرفة له باللسان فالعمل صورة و العبادة روح لتلك الصورة العملية التي أنشأها المكلف و أما غير المؤمنين و هم المشركون فهم الذين

نسبوا الألوهة إلى غير من يستحقها و وضعوا اسمها على غير مسماها و ادعوا الكثرة فيها كما ادعوا الكثرة في الإنسانية فدعواهم فيها صحيحة و ما عرفوا بطلانها في الإلهية و لذلك تعجبوا من توحيدها فقالوا أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ و ما علموا إن جعل الألوهة في الكثيرين أعجب فقيل لهم و إن كنتم ما عبدتم كل من عبدتموه إلا بتخيلكم إن الألوهة صفته فما عبدتم غيرها ليس الأمر كذلك فإنكم شهدتم على أنفسكم إنكم ما تعبدونها إلا لتقربكم إلى الله زلفى فأقررتم مع شرككم إن ثم إلها كبيرا هذه الآلهة خدمتكم إياها تقربكم من الله فهذه دعوى بغير برهان و هو قوله وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ و هذه أرجى آية للمشرك عن نظر جهد الطاقة و تخيله في شبهه أنها برهان فيقوم له العذر عند الله فإذ و قد اعترفوا أنهم عبدوا الشريك ليقربهم إلى الله زلفى فتح القائل على نفسه باب الاعتراض عليه بأن يقال له و من أين علمتم إن هذه الحجارة أو غيرها لها عند الله من المكانة بحيث أن جعلها معبودة لكم كما قال فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ فالذين عبدوا من ينطق و يدعي الألوهة أقرب حالا من عبادة من لا يسمع و لا يبصر و لا يغني عنهم شيئا و هذا قول إبراهيم لأبيه و هو الذي قال فيه تعالى وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ و أبوه من قومه و هذه و غيرها من الحجة التي أعطاه الله فأمرهم الله أن لا يعبدوا إلا إلها واحدا لا إله إلا هو في نفس الأمر سبحانه أي هو بعيد أن يشرك في ألوهته فهذا توحيد الأمر (التوحيد الحادي عشر) من نفس الرحمن قوله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ هذا توحيد الاستكفاء و هو من توحيد الهوية لما قال الله تعالى وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى فأحالنا علينا بأمره فبادرنا لامتثال أمره فمنا من قال لو لا إن الله قد علم إن لنا مدخلا صحيحا في إقامة ما كلفنا من البر و التقوى ما أحالنا علينا و منا من قال التعاون الذي أمرنا به على البر و التقوى أن يرد كل واحد منا صاحبه إلى ربه في ذلك و يستكفي به فيما كلفه و هو قوله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ خطاب تحقيق وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ خطاب ابتلاء فإذا سمع القوم اللذين قالوا إن لنا مدخلا محققا في العمل و لهذا أمرنا بالتعاون ما قاله من جعله خطاب ابتلاء أو حمله على الرد إلى الله في ذلك لما علمنا أن نقول وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ و هو قول موسى لقومه مع أنهم ما طلبوا معونة الله إلا و عندهم ضرب من الدعوى و لكن أعلى من أصحاب المقام الأول و أقرب إلى الحق فتولوا عنهم في هذا النظر و لم يقولوا به فكيف حالهم مع من هو مشهده وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ فقال تعالى لهم فَإِنْ تَوَلَّوْا عما دعوتموهم إليه فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ أي في الله الكفاية لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فإذا كان رب العرش و العرش محيط بعالم الأجسام و أنت من حيث جسميتك أقل الأجسام فاستكف بالله الذي هو رب مثل هذا العرش و من كان الله حسبه انقلب بِنِعْمَةٍ من اللَّهِ وَ فَضْلٍ لم يمسسه سوء و جاء في ذلك بما يرضى الله وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ على من جعله حسبه و الفضل الزيادة أي ما يعطيه على موازنة عمله

بل أزيد من ذلك مما يعظم عنده إذا رآه ذوقا و من أعجب ما رأيت من بعض الشيوخ من أهل الله ممن كان مثل أبي يزيد في الحال و ربما أمكن منه فيه فقعدت مع هذا الشخص يوما بجامع دمشق و هو يذكر لي حاله مع الله و ما يجري له معه في وقائعه فقال لي إن الحق ذكر له عظم ملكه قال الشيخ فقلت له يا رب ملكي أعظم من ملكك فقال لي كيف تقول و هو أعلم فقلت له يا رب لأن مثلك في ملكي فإنك لي تجيبني إذا دعوتك و تعطيني إذا سألتك و ما في ملكك مثلك قال فقال لي صدقت و ما رأيت أحدا ذهب إلى ما يقا رب هذا المذهب أو هو هو سوى محمد بن علي الترمذي الحكيم فإنه يقول في هذا المقام مقام ملك الملك و قد شرحناه في مسائل الترمذي في هذا الكتاب التي سأل عنها أهل الله في كتاب ختم الأولياء ثم بكى هذا الشيخ أدبا مع الله و يقول يا أخي هو يجزئني عليه و يباسطني فكنت أقول له إذا كان يفرح بتوبة عبده كما قاله عنه رسوله ص فكيف يكون نظره إلى العارفين به (التوحيد الثاني عشر) من نفس الرحمن هو قوله حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ به بَنُوا إِسْرائِيلَ هذا توحيد الاستغاثة و هو توحيد الصلة فإنه جاء بالذي في هذا التوحيد و هو من الأسماء الموصولة و جاء بهذا ليرفع اللبس عن السامعين كما فعلت السحرة لما آمنت برب العالمين فقالت رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ لرفع اللبس من أذهان السامعين و لهذا توعدهم ثم تمم و قال وَ أَنَا من الْمُسْلِمِينَ لما علم إن الإله هو الذي ينقاد إليه و لا ينقاد هو لأحد قال على ابن أبي طالب أهللت بما أهل به رسول الله ص و هو لا يعرف بما أهل به فقيل منه مع كونه أهل على غير علم محقق فأحرى إذا كان على علم محقق فاعلم بذلك فرعون ليعلم قومه برجوعه عما كان ادعاه فيهم من أنه ربهم الأعلى فأمره إلى الله فإنه آمن عند رؤية البأس و ما نفع مثل ذلك الايمان فرفع عنه عذاب الدنيا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ و لم يتعرض للآخرة ثم إن الله صدقه في إيمانه بقوله آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ فدل على إخلاصه في إيمانه و لو لم يكن مخلصا لقال فيه تعالى كما قال في الأعراب الذين قالوا آمنا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ في قُلُوبِكُمْ فقد شهد الله لفرعون بالإيمان و ما كان الله ليشهد لأحد بالصدق في توحيده إلا و يجازيه به و بعد إيمانه فما عصى فقبله الله إن كان قبله طاهرا و الكافر إذا أسلم وجب عليه إن يغتسل فكان غرقه غسلا له و تطهيرا حيث أخذه الله في تلك الحالة نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى و جعل ذلك عبرة لِمَنْ يَخْشى و ما أشبه إيمانه إيمان من غرغر فإن المغرغر موقن بأنه مفارق قاطع بذلك و هذا الغرق هنا لم يكن كذلك لأنه رأى البحر يبسا في حق المؤمنين فعلم أن ذلك لهم بإيمانهم فما أيقن بالموت بل غلب على ظنه الحياة فليس منزلته منزلة من حضره الموت فقال إِنِّي تُبْتُ الْآنَ و لا هو من الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ وَ أَمْرُهُ إِلَى الله تعالى و لما قال الله له فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً كما كان قوم يونس فهذا إيمان موصول و قدم الهوية لبعيد ضميريه عليه ليلحق بتوحيد الهوية (التوحيد الثالث عشر) من نفس الرحمن هو قوله فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ الله وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا

هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ هذا توحيد الاستجابة و هو توحيد الهو و هو توحيد غريب فإن قوله فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا يعني المدعين لَكُمْ يعني الداعين فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ فالضمير في فاعلموا يعود على الداعين و هم عالمون بأنه إنما أنزل بعلم الله و لو أراد المدعين لقال فيعلموا بالياء كما قال يستجيبوا بياء الغيبة ثم قال وَأَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَأي و اعلموا أنه لا إله إلا هو كما علمتم أنه إنما أنزل بعلم الله ثم قال فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و قد كانوا مسلمين و هذا كله خطاب الداعين إن كانت هل على بابها و إن كانت هنا مثل ما هي في قوله هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ اعتمادا على قرينة الحال فأخرجت عن الاستفهام و إلا فما هذا خطاب الداعين إلا أن يكون مثل قولهم إياك أعني فاسمعي يا جارة فالخطاب لزيد و المراد به عمرو و لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ من قَبْلِكَ و معلوم أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في ماله فعلمنا بقرائن الأحوال أنه المخاطب و المراد غيره لا هو و حكمة ذلك مقابلة الإعراض بالإعراض لأنهم أعرضوا عن قبول دعوة الداعين فأعرض الله عنهم بالخطاب و المراد به هم فأسمعهم في غيرهم و أما فائدة العلم في ذلك فهي إن تقول لما علم الله أن قوما لا يؤمنون ارتفعت الفائدة في خطابهم و كان خطابهم عبثا فأخبرهم الله تعالى أن نزول الخطاب بالدعوة لمن ليس يقبله في علم الله أنه إنما أنزل بعلم الله أي سبق في علم الله إنزاله فلا بد من إنزاله لأن تبدل المعلوم محال كما قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ لأنه سبق في علم الله أن تكون خمس صلوات في العمل و خمسون في الأجر فما زال يحط من الخمسين بعلم الله إلى أن انتهى إلى علم الله بإثبات الخمس فنع النقص من ذلك و قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و هكذا يكون الله علمه في الأشياء سابق لا يحدث له علم بل يحدث التعلق لا العلم و لو حدث العلم لم تقع الثقة بوعده لأنا لا ندري ما يحدث له فإن قلت فهذا أيضا يلزم في الوعيد قلنا كذا كنا نقول و لكن علمنا أنه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه و بما تواطئوا عليه من كل ما هو محمود فيعاملهم بذلك في شرعهم كذا سبق علمه وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ و مما يتمدح به أهل هذا اللسان بل هو مدح في كل أمة التجاوز عن إنفاذ الوعيد في حق المسيء و العفو عنه و الوفاء بالوعد الذي هو في الخير و هو الذي يقول فيه شاعر العرب

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى و منجز موعدي

فكان إنزال الوعيد بعلم الله الذي سبق بإنزاله و لم يكن في حق قوم إنفاذه في علم الله و لو كان في علم الله لنفذ فيهم كما ينفذ الوعد الذي هو في الخير لأن الإيعاد لا يكون إلا في الشر و الوعد يكون في الخير و في الشر معا يقال أوعدته في الشر و وعدته في الشر و الخير و قال تعالى وَ ما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فمما بين لهم تعالى التجاوز عن السيئات في حق من أساء من عباده و الأخذ بالسيئة من شاء من عباده و لم يفعل ذلك في الوعد بالخير فأعلمنا ما في علمه فكما هو واحد في ألوهيته هو واحد في أمره فما أنزل إلا

بعلم الله سواء نفذ أو لم ينفذ (التوحيد الرابع عشر) ن نفس الرحمن و هو قوله وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَتابِ هذا توحيد الرجعة و هو توحيد الهوية أخبر أنهم يكفرون بالرحمن لأنهم جعلوا هذا الاسم إذ لم يكن عندهم و لا سمعوا به قبل هذا فلما قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ ما الرَّحْمنُ . . . وَ زادَهُمْ هذا الاسم نُفُوراً فإنهم لا يعرفون إلا الله الذين يعبدون الشركاء ليقربوهم إلى الله زلفى و لما قيل لهم اعبدوا الله لم يقولوا و ما الله و إنما أنكروا توحيده و قد نقل إنهم كانوا يعرفونه مركبا الرحمن الرحيم اسم واحد كبعلبك و رامهرمز فلما أفرده و بغير نسب أنكروه فإنه يقال في النسب بعلي فقال لهم الداعي الرحمن هو ربي و لم يقل هو الله و هم لا ينكرون الرب و لما كان الرحمن له النفس و بالنفس حياتهم فسره بالرب لأنه المغذي و بالغذاء حياتهم فلا يفرقون من الرب و يفرقون من الله و لهذا عبدوا الشركاء ليشفعوا لهم عند الله إذ بيده الاقتدار الإلهي و الأخذ الشديد و هو الكبير عندهم المتعالي فهم معترفون مقرون به فتلطف لهم بالعبارة بالاسم الرب ليرجعوا فهو أقرب مناسبة بالرحمن قال لموسى و هارون فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و الترجي من الله واقع كما قالوا في عسى فإنهما كلمتا ترج و لم يقل لهما لعله يتذكر أو يخشى في ذلك المجلس و لا بد و لا خلصه للاستقبال الأخراوي فإن الكل يخشونه في ذلك الموطن فجاء بفعل الحال الذي يدخله الاحتمال بين حال الدنيا و بين استقبال التأخير للدار الآخرة و ذلك لا يكون مخلصا للمستقبل إلا بالسين أو سوف فالذي ترجى من فرعون وقع لأن ترجيه تعالى واقع فآمن فرعون و تذكر و خشي كما أخبر الله و أثر فيه لين قول موسى و هارون و وقع الترجي الإلهي كما أخبر فهذا يدلك على قبول إيمانه لأنه لم ينص إلا على ترجى التذكر و الخشية لا على الزمان إلا أنه في زمان الدعوة و وقع ذلك في زمان الدعوة و هو الحياة الدنيا و أمر نبيه أن يقول بحيث يسمعون قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ في أمركم وَ إِلَيْهِ مَتابِ أي مرجعي في أمركم عسى يهديكم إلى الايمان فما أغلظ لهم بل هذا أيضا من القول اللين لتتوفر الدواعي من المخاطبين للنظر فيما خاطبهم به إذ لو خاطبهم بصفة القهر و هو غيب لا عين له في الوقت إلا مجرد إغلاظ القول لنفرت طباعهم و أخذتهم حمية الجاهلية لمن نصبوهم آلهة فأبقى عليهم و هو قوله تعالى وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و لم يقل للمؤمنين و كان سبب نزولها أن دعا على رعل و ذكوان و عصية شهرا كاملا في كل صلاة بأن يأخذهم الله فعتبه الله في ذلك و فيه تنبيه على رحمة الله بعباده لأنهم على كل حال عباده معترفون به معتقدون لكبريائه طالبون القربة إليه لكنهم جهلوا طريق القربة و لم يوفوا النظر حقه و لا قامت لهم شبهة قوية في صورة برهان فكانوا يدخلون بها في مفهوم قوله وَ مَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلها آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به و يريد بالبرهان هنا في زعم الناظر فإنه من المحال أن يكون ثم دليل في نفس الأمر على إله آخر و لم يبق إلا أن تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد أنها برهان و ليس في قوته أكثر من هذا (التوحيد الخامس عشر) من نفس الرحمن هو قوله يُنَزِّلُ

الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ هذا توحيد الإنذار و هو توحيد الإنابة استوى في هذا التنزل في التوحيد رسل البشر و المرسلون إليهم فإن الملائكة هي التي نزلت بالإنذار من أجل أمر الله لهم بذلك و الروح هنا ما نزلوا به من الإنذار ليحيى بقبوله من قبله من عباده كما تحيي الأجسام بالأرواح فحييت بهذا الروح المنزل رسل البشر فأنذروا به فهذا توحيد عظيم نزل من جبار عظيم بتخويف و تهديد مع لطف خفي في قوله فَاتَّقُونِ أي فاجعلوني وقاية تدفعون بي ما أنذرتكم به هذا لطفه ليس معناه فخافوني لأنه ليس لله وعيد و بطش مطلق شديد ليس فيه شيء من الرحمة و اللطف و لهذا قال أبو يزيد و قد سمع قارئا يقرأ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ فقال بطشي أشد فإن بطش المخلوق إذا بطش لا يكون في بطشه شيء من الرحمة بل ربما ما يقدر أن يبلغ في المبطوش به ما في نفسه من الانتقام منه لسرعة موت ذلك الشخص و لما كانت الرحمة منزوعة عن بطشه قال بطشي أشد و سبب ذلك ضيق المخلوق فإنه ما له الاتساع الإلهي و بطش الله و إن كان شديدا ففي بطشه رحمة بالمبطوش به و بطش المخلوق ليستريح من الضيق و الحرج الذي يجده في نفسه بما يوقعه بهذا به المبطوش فيطلب في بطشه الرحمة بنفسه في الوقت و قد لا ينالها كلها بخلاف الحق تعالى فإن بطشه لسبق العلم يأخذ هذا المبطوش به للسبب الموجب له لا غير و المنتقم لغيره ما هو كالمنتقم لنفسه (التوحيد السادس عشر) من نفس الرحمن و هو قوله فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى هذا توحيد الأبدال فإنه أبدل الله من الرحمن و هذا في المعنى بدل المعرفة من النكرة لأنهم أنكروا الرحمن و في اللفظ بدل المعرفة من المعرفة و هو من توحيد الهوية القائمة بأحكام الأسماء الحسنى لا إن الأسماء الحسنى تقوم معانيها بها بل هي القائمة بمعاني الأسماء كما هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ كذلك هو قائم بكل اسم بما يدل عليه و هذا علم غامض و لهذا قال في هذا التوحيد يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى لما قال وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فالأخفى عن صاحب السر هو ما لا يعلمه مما يكون لا بد أن يعلمه خاصة و ما تسمى إلا بأحكام أفعاله من طريق المعنى فكلها أسماء حسني غير أنه منها ما يتلفظ بها و منها ما يعلم و لا يتلفظ بها لما هو عليه حكمها في العرف من إطلاق الذم عليها فإنه يقول فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها و قدم الفجور على التقوى عناية بنا إلى الخاتمة و الغاية للخير فلو أخر الفجور على التقوى لكان من أصعب ما يمر علينا سماعه فالفجور يعرض للبلاء و التقوى محصل للرحمة و قد تأخر التقوى فلا يكون إلا خيرا و قال تعالى اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و لا يشتق له منه اسم لما ذكرناه فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى في العرف و حسن غيرها مبطون مجهول في العرف إلا عند العارفين بالله و يندرج في هذا العلم بسبب الألف و اللام التي هي للشمول جميع ما ينطلق عليه اسم السر و ما هو أخفى من ذلك السر و من السر النكاح قال تعالى وَلكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا أي نكاحا فإن الله أيضا يعلمه و إن كانت الآية تدل بظاهرها على ما يحدث المرء به نفسه لقوله وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ

فإنه يعلم ذلك و يعلم ما تحدث به نفسك و هو قوله وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ و مع هذا فإن الألف و اللام لها حكم في مطلق اسم السر فيعلم ما ينتجه النكاح و هو قوله تعالى وَيَعْلَمُ ما في الْأَرْحامِ فإنه الخالق ما فيها أَ لا يَعْلَمُ من خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ لعلمه بالسر الْخَبِيرُ لعلمه بما هو أخفى و من هذه الحضرة نصب الأدلة على معرفته و جعل في نفوس العلماء تركيب المقدمات على الوجه الخاص و الشرط الخاص فأشبهت المقدمات النكاح من الزوجين بالوقاع ليكون منه الإنتاج فالوجه الخاص الرابط بين المقدمتين و هو أن واحدا من المقدمتين يتكرر فيهما ليربط بعضهما ببعض من أجل الإنتاج و الشرط الخاص أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساويا لها حتى يدخل هذا المطلوب تحت الحكم و لو كان الحكم أخص لم ينتج و خرج عنه كقولهم كل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فالحادث هنا هو الحكم و المقدمة الأخرى و الأجسام لا تخلو عن الحوادث فالحوادث هو الوجه الخاص الجامع بين المقدمتين فانتج إن الجسم حادث و لا بد فالحكم أعم لأن العلة الحوادث القائمة به و الحكم كونه حادثا و ما كل حادث يقال فيه إنه لا يخلو عن الحوادث فهذا حكم أعم من العلة فالنتيجة صحيحة ثم الاستفصال في تصحيح المقدمتين معلوم الطريق في ذلك و إنما قصدنا التمثيل لا معرفة حدوث الأجسام و لا غيرها و إذا علمت أن الإيجاد لا يصح إلا على ما قررناه و هو بمنزلة السر في النكاح ينتقل إلى العلم بما هو أخفى من السر كما تنتقل مما ضربت لك به المثل إلى كون الحق أوجد العالم على هذا المساق و ظهر العالم عن ذات موصوفة بالقدرة و الإرادة فتعلقت الإرادة بإيجاد موجود ما و هو التوجه مثل اجتماع الزوجين فنفذ الاقتدار فأوجد ما أراد فكان أخفى من السر لجهلنا بنسبة هذا التوجه إلى هذه الذات و نسبة الصفات إليها لأنها مجهولة لنا لا تعرف فيعرف التوجه و الصفة من حيث عينه و عين الصفة و يجهل كيفية النسبة لجهلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب فهذا توحيد الموجد للأشياء مع كثرة النسب فهو واحد في كثير فأوقع الحيرة هذا العلم في هذا المعلوم إلا لمن كشف الله عن عينه غطاء الستر فأبصر الأمر على ما هو عليه فحكم بما شاهد و اختلفوا هل يجوز وقوع مثل هذا أو لا يجوز (التوحيد السابع عشر) من نفس الرحمن هو قوله وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي هذا توحيد الاستماع و هو توحيد الإنابة و قوى بالجمع إذ قد قرئ و أنا اخترناك فكثر ثم أفرد فقال إِنَّنِي و إن كلمة تحقيق فالإنية هي الحقيقة و لما كان حكم الكناية بالياء يؤثر في صورة الحقيقة نظرت من في الوجود على صورتها فوجدت نونا من النونات فقالت لها قني بنفسك من أجل كناية الياء لئلا تؤثر في صورة حقيقتي فيشهد الناظر و السامع التغيير في الحقيقة أن الياء هي عين الحقيقة فجاءت نون الوقاية فحالت بين الياء و نون الحقيقة فأحدثت الياء الكسر في النون المجاورة لها فسميت نون الوقاية لأنها وقت الحقيقة بنفسها فبقيت الحقيقة على ما كانت عليه لم يلحقها تغيير فقال إِنَّنِي أَنَا الله و لو لا نون الوقاية لقال إني أنا الله فغيرها و تغيير الحقيقة بالضمير في الآن هو مقام

تجليه في الصور يوم القيامة و ما ثم إلا صورتان خاصة لا ثالثة لهما صورة تنكر و صورة تعرف و لو كان ما لا يتناهى من الصور فإنها محصورة في هذا الحكم إما أن تنكر أو تعرف لا بد من ذلك فإذا قرئ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ كان أحق بالآية و أنسب و أنفى للتغيير فإنه ما زال التوحيد يصحبها إلى آخر الآية في قوله فَاعْبُدْنِي و إذا قرئ بالجمع ظهر التغير بالانتقال في العين الواحدة من الكثير إلى الواحد فمساق الآية يقوي و أنا اخترناك لأنه عدد أمورا تطلب أسماء مختلفة فلا بد من التغيير و التجلي في كل صورة يدعى إليها و كان جملة ما تحصل من الصور في هذه الواقعة لموسى على ما روى اثنتي عشرة ألف صورة يقول له في كل صورة يا موسى ليتنبه موسى على أنه لو أقيم لصورة واحدة لا تسق الكلام و لم يقل في كل كلمة يا موسى فاعلم ذلك فإن هذا التوحيد في هذه الآية من أصعب ما يكون لقوله و أنا اخترناك فجمع ثم أفرد ثم عدد ما كلم به موسى ع فهذا توحيد الجمع على كل قراءة غير أن قوله و أنا اخترناك قرأ بها حمزة على رب العزة في المنام فقال له ربه و أنا اخترناك فهي قراءة برزخية فلهذا جمع لأنه تجل صوري في منام فلا بد أن تكون القراءة هكذا فإذا أفردتها بعد الجمع فلأحدية الجمع لا غير (التوحيد الثامن عشر) من نفس الرحمن هو قوله إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً هذا توحيد السعة من توحيد الهوية و هو توحيد تنزيه لئلا يتخيل في سعته الظرفية للعالم من أجل الاسم الباطن و الظاهر و نفس الرحمن و الكلمات التي لا تنفد و القول فقال إن سعته علمه بكل شيء لا أنه طرف لشيء و سبب هذا التوحيد لما جاء في قصة السامري و قوله عن العجل لما نبذ فيه ما قبضه من أثر الرسول فكان العجل ظرفا لما نبذ فيه فلما خار العجل قال هذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسى فقال الله إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ إله واحد لا تركيب فيه وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أي هو عالم بكل شيء أكذب السامري في قوله ثم نصب لهم الدلالة على كذب السامري مع كون العجل خار فقال مثل ما قال إبراهيم في الأصنام أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا أي إذا سئل لا ينطق و الله يكون متصفا بالقول وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً أي لا ينتفعون به لأنه قال لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً و من لا يدفع الضرر عن نفسه كيف يدفع عن غيره و إذا حرقه و نسفه لم ينتفع به فإنه لو أبقاه دخلت عليهم الشبهة بما يوجد في الحيوان من الضرر و النفع و في إقامة هذه الأدلة أمور كبار قال تعالى عن اليهود إنهم قالوا يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ و قالوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ و قال إِنَّمَا قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و أصمنا عن إدراك هذا القول إلا بطريق الايمان و أعمانا عن توجهه على إيجاد الأشياء بما نصب من الأسباب فأنزل المطر فنزل و حرثت الأرض و بذر الحب و انبسطت الشمس و طلع الحب و حصد و طحن و عجن و خبز و مضغ بالأسنان و ابتلع و نضج في المعدة و أخذه الكبد فطبخه دما ثم أرسل في العروق و انقسم على البدن فصعد منه بخار فكان حياة ذلك الجسم من أجل ذلك النفس فهذه أمهات الأسباب مع تحريك الأفلاك و سير الكواكب و إلقاء الشعاعات على مطارح الأنوار مع نظير النفس الكلية بإذن الله

مع إمداد العقل لها هذه كلها حجب موضوعة أمهات سوى ما بينها من دقائق الأسباب فيحتاج السمع إلى شق هذه الحجب كلها حتى يسمع قول كُنْ فخلق في المؤمن قوة الايمان فسرت في سمعه فأدرك قول كن و سرت في بصره فشاهد المكون للأسباب و فعل هذا كله من نفس الرحمن ليرحم بها من عبد غير الله إذا استوفى منه حقوق الشركاء الذين يتبرءون منهم يوم القيامة فإذا استوفى حقوقهم بالعقوبة و الانتقام رجع الأمر إليه على الانفراد و انقضت الأيام التي استوجب الشركاء فيها حقوقهم فلما انفرد و رجع الأمر إليه رحمهم فيما هو حق له بهذه الحجب التي ذكرناها لعلمه بما وضع و بأنه أنطق ألسنتهم بما قالوه و خلق في نفوسهم ما تخيلوه فسبحانه من حكم عدل لطيف خبير يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي لا إله إلا هو فَعَّالٌ لما يُرِيدُ (التوحيد التاسع عشر) من نفس الرحمن هو قوله وَما أَرْسَلْنا من قَبْلِكَ من رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ هذا توحيد الاقتدار و التعريف و هو من توحيد الإنابة و هو توحيد عجيب و مثل هذا يسمى التعريض أي كذا فكن أنت مثل قوله ما يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ من قَبْلِكَ و جاء بالعبادة و لم يذكر الأعمال المعينة فإنه قال لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً و ذلك تعيين الأعمال و هي التي ينتهي فيها مدة الحكم المعبر عنه بالنسخ في كلام علماء الشريعة و ما ثم من الأعمال العامة السارية في كل نبوة إلا إقامة الدين و الاجتماع عليه و كلمة التوحيد و هو قوله تعالى شَرَعَ لَكُمْ من الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ و بوب البخاري على هذا باب ما جاء أن الأنبياء دينهم واحد و ليس إلا التوحيد و إقامة الدين و العبادة ففي هذا اجتمعت الأنبياء ع و اختصاص هذا الوحي بالأنابة دل على أنه كلام إلهي بحذف الوسائط فما أوحي إليهم منهم فإنه لا يقول إنا إلا من هو متكلم فإن قيل فقد قال إنه ينزل بمثل هذا الملائكة فهذا لا يبعد أن تأخذه الرسل من وجهين إذا نزلت به الملائكة يكون على الحكاية كما قال

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا

فرفع السين من الناس على الحكاية فلو كان هذا السامع انتجاعهم لنصب السين فهذا قوله أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ و نزلت به الملائكة و إذا ورد مثل هذا معرى عن القرائن أو النص عليه حمل على ما هو الأصل عليه فما يقول أنا إلا المتكلم ألا ترى ما ذكرناه في الحديث المتقدم إن الله يصدق عبده في موطن كما يحكي عنه في موطن فقال في التصديق إذا قال العبد لا إله إلا الله و الله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا و أنا أكبر فهو القائل بالأنابة لا غيره و أما حكايته ما قال فهو قوله لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا بهذا اللفظ عينه فإن حكي على المعنى فمثل قوله عن فرعون يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً فإنه قالها بلسان القبط و وقعت الترجمة عنه باللسان العربي و المعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعرف الأمور إذا وردت حتى يعلم قول الله من قول ما يحكيه لفظا أو معنى كل إنسان بما هو عليه

فقول الله وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لما آتَيْتُكُمْ من كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا و انتهى كلام الله ثم حكى معنى قولهم مترجما عنهم أَقْرَرْنا و كذلك قوله وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا إلى هنا قول الله آمَنَّا حكاية وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إلى هنا قول الله إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ حكاية فإذا ذكرت فاعلم بلسان من تذكر و إذا تلوت فاعلم بلسان من تتلو و ما تتلو و عمن تترجم (التوحيد العشرون) من نفس الرحمن هو قوله وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فنادى في الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ من الظَّالِمِينَ هذا توحيد الغم و هو توحيد المخاطب و هو توحيد التنفيس كما نفس الرحمن عن محمد ص بالأنصار فقال إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فكانت الأنصار التي تكونت من ذلك النفس الرحماني و هي كلمات الحق كما نفس الله عن يونس بالخروج من بطن الحوت فعامل قومه بما عاملهم به من كونه كشف عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلا بهم فآمنوا أرضاه الله في أمته فنفعها إيمانها و لم يفعل ذلك مع أمة قبلها إذ كان غضبه لله و من أجله و ظنه بربه أنه لا يضيق عليه و كذلك فعل ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله به عليه ذوقا كما قيل أحلى من الأمن عند الخائف الوجل فدل على أن يونس كان محبوبا لله حيث خص قومه من أجله بما لم يخص به أمة قبلها و عرفنا بذلك فقال فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ فأمد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الألم عند رؤية العذاب فإنه معلوم من النفوس الإنسانية أن ليالي الأنس و الوصال قصار و إن كانت في نفس الأمر لها مدة طويلة و ليالي الهجران و العذاب طوال و إن كانت في نفس الأمر قصارى كما ذكروا في تفسير أيام الدجال أنه أول يوم كسنة لشدة فجأة البلاء يطول عليهم ثم كشهر ثم كجمعة فإذا استصحبوه كان كسائر الأيام المعلومة التي لا يطولها حال و لا يقصرها حال و كما قيل في يوم القيامة إن مقداره خمسون ألف سنة لهول المطلع و ما يرى الخلق فيه من الشدة و هو عند الآمنين الذين لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ في الامتداد كركعتي الفجر و أين زمان ركعتي الفجر من زمان خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فلما اشتد البلاء على قوم يونس و كانت اللحظة الزمانية عندهم في وقت رؤية العذاب كالسنة أو أطول ذكر أنه تعالى جعل في مقابلة هذا الطول الذي وجدوه في نفوسهم إن متعهم إلى حين فبقوا في نعيم الحياة الدنيا زمانا طويلا لم يكن يحصل لهم ذلك لو لا هذا البلاء فانظر ما أحسن إقامة الوزن في الأمور و قد قيل إن الحين الذي جعله غاية تمتعهم أنه القيامة و الله أعلم و رأينا من رأى منهم رجلا رأينا أثر رجله في الساحل و كان أمامي بقليل فلم ألحقه فاكتلت طول قدمه في الرمل ثلاثة أشبار و ثلثي شبر و كان من قوم يونس و بعث إلينا بكلام عن حوادث تحدث بالأندلس حيث كنا سنة خمس

و ثمانين و سنة ست و ثمانين و خمسمائة فما ذكر شيئا إلا رأيناه وقع كما ذكر فانظر في هذه العناية الإلهية بهذا النبي و ما جاء به من الاعتراف في توحيده

(التوحيد الحادي و العشرون) من نفس الرحمن فَتَعالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ هذا توحيد الحق و هو توحيد الهوية قال تعالى ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ و هو قوله أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً فلا إله إلا هو من نعت الحق فالأمر الذي ظهر فيه وجود العالم هو الحق و ما ظهر إلا في نفس الرحمن و هو العماء فهو الحق رب العرش الذي أعطاه الشكل الإحاطي لكونه بكل شيء محيطا فالأصل الذي ظهر فيه صور العالم بكل شيء من عالم الأجسام محيط و ليس إلا الحق المخلوق به فكأنه لهذا القبول كالظرف يبرز منه وجود ما يحوي عليه طبقا عن طبق عينا بعد عين على الترتيب الحكمي فأبرز ما كان فيه غيبا ليشهده فيوحده مع صدوره عنه فيحار إن عدده فما ثم غيره و إن وحده فيرى إن عينه ليس هو فأوجد طرفين و واسطة لتميز الأعيان في العين الواحدة فتعددت الصور و ما تعددت الخشبية و لا العودية فالعودية في كل صورة بحقيقتها من غير تبعيض و هذه الصورة ما هي هذه الصورة و ليس ثم شيء زائد على العودية فقيل ما ثم شيء فقال وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ قيل فأين هو قال في عين التمييز فلا أقدر على إنكار التمييز و لا أقدر أثبت سوى عين واحدة ف لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

(التوحيد الثاني و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ هذا توحيد الخبء و هو من توحيد الهوية لما كان الخبء النباتي تخرجه الشمس من الأرض بما أودع الله فيها من الحرارة و مساعدة الماء بما أعطى الله فيه من الرطوبة فجمع بين الحرارة و منفعل البرودة حتى لا تستقل الشمس بالفعل فظهرت الحياة في الحي العنصري و كان الهدهد دون الطير قد خصه الله بإدراك المياه كان يرى للماء السلطنة على بقية العناصر تعظيما لنفسه و حماية لمقامه حيث اختص بعلمه ليشهد له بالعلم بأشرف الأشياء حيث كان العرش المستوي عليه الرحمن على الماء فكان يحامي عن مقامه و وجد قوما يعبدون الشمس و هي على النقيض من طبع الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي و علم أنه لو لا حرارة الشمس ما خرج هذا الخبء و أنها مساعدة للماء فأدركته العيرة في المنافر فوشى إلى سليمان ع بعابديها و زاد للتغليظ بقوله من دون الله ينبهه على موضع الغيرة و الشمس و إن أخرجت خبء الأرض بحرارتها فهي تخبأ الكواكب بإشراقها و تظهر المحسوسات الأرضية بشروقها فلها حالة الخبء و الإظهار و بها حد الليل و النهار فزاحمت مَنْ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ فابتلى الله الماء فأصبح غورا و ابتلى الشمس فأمست آفلة ففجر العيون فأظهر خبء الماء وَ فارَ التَّنُّورُ فأظهر خبء الشمس فأخرج الخبء في السموات و الأرض فوسع كُلَّ

شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فاستوى على العرش العظيم إذ حكم على فلك الشمس بدورته و على الماء باستقراره و جريته فهما في كل درجة في خبء و ظهور فوحده الظهور بظهوره و وحده الخبء بسدل ستوره فعلم سبحانه ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ فهو اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (التوحيد الثالث و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله وَهُوَ اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هذا توحيد الاختيار و هو من توحيد الهوية لما كان العالم كلمات الله تعالى كانت نسبة هذه الكلمات إلى النفس الرحماني الطاهرة فيه نسبة واحدة فكان يعطي هذا الدليل أنه لا يكون في العالم تفاضل و لا مختار بفضل عند الله على غيره و رأينا الأمر على غير هذا خرج في الوجود عاما في الموجودات فقال تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ من الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا و قال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و قال وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ مع كونها يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ فما ثم آية أحق بما هو الوجود عليه من التفاضل من هذه الآية حيث قال يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ فظهر الاختلاف عن الواحد في الطعم بطريق المفاضلة و الواقع من هذا كثير في القرآن من تفضيل كل جنس بعضه على بعض حتى القرآن و هو كلام الله يفضل على سائر الكتب المنزلة و هي كلام الله و القرآن نفسه يفضل بعضه على بعض مع نسبته إلى الله أنه كلامه بلا شك فآية الكرسي سيدة آي القرآن و هي قرآن و آية الدين قرآن فما أعجب هذا السر فعلمنا من هذا أن الحكمة التي يقتضيها النظر العقلي ليست بصحيحة و أن حكمة الله في الأمور هي الحكمة الصحيحة التي لا تعقل و إن كانت لا تعلم فما تجهل لكن لا تعين بمجرد فكر و لا نظر بل يُؤْتِي الْحِكْمَةَ من يَشاءُ وَمن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و لقد رأيت في حين تقييدي لهذا التوحيد الذي يعطي التفاضل واقعة عجيبة أعطيت رقا منشورا عرضه فيما يعطي البصر ما يزيد على العشرين ذراعا و أما طوله فلا أحققه و هو على هذا الشكل المصور في الهامش و هو جلد واحد جلد كبش تنظره فتراه أبيض عند القراءة و تنظر إليه في غير قراءة فتراه أخضر فإذا قرأته تراه جلدا و إذا لم تقرأه تراه شقة لا أدري حريرا أو كتانا و هو صداق أهلي فيقال لي هذا صداق إلهي لأهلك و لا أسأل عن الزوج و لا أعلم أنها خرجت عن عصمة نكاحي و أنا فارح بهذا الأمر مسرور غاية السرور ثم يؤتى بسرقة حرير خضراء تنبعث من الكتاب كأنها منه تكونت فيها ألف دينار ذهبا عينا كل دينار ثقيل لا أدري ما وزنه فيقال قسمه على أهلها خمسة دنانير لكل شخص فأول ما آخذ أنا منها خمسة دنانير عليها نور ساطع أعظم من ضياء أضوأ كوكب في السماء له شعاع و

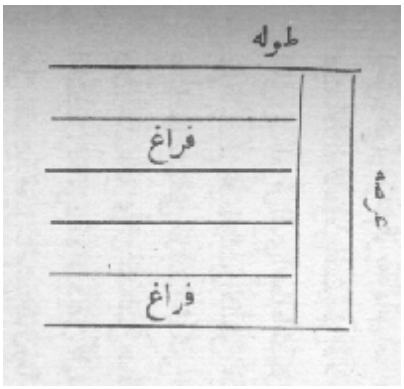

أرى نفس ذلك الكتاب هو عين أهلي ما كتابها غيرها و أنا بكل جسمي راقد عليها متكئ فكنت أنظر إلى رقم ذلك الكتاب فأجده بخط زين الدين عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن المعروف بابن الأستاذ قاضي مدينة حلب كتبه عن إملاء القاضي الكبير بهاء الدين بن شداد و الصداق من أوله إلى آخره مسجع الألفاظ تسجيعا واحدا على روى الراء المفتوحة و الهاء فضبطت منه بعد البسملة الحمد لله الذي جعل قرآنه و فرقانه و توراته و إنجيله و زبوره رقوم هذا الكتاب المكنون و سطوره و أودعه كل آية في الكتب و سورة و أظهره في الوجود في أحسن صوره و جعل إعلامه في العالم العلوي و السفلي مشهورة و آياته غير متناهية و لا محصورة و كلماته بكل لسان في كل زمان و غير زمان مذكوره هكذا على هذا الروي إلى آخره إن كان له آخر بخط مثل الذر فلما رددت إلى حسي وجدتني أكتب هذا الفصل من فصول التوحيد و إذا به توحيد الاختيار فعلمت أن ذلك عين هذا الفصل و أن لأهلي من هذا الفصل أوفر حظ و أعظم نصيب فلما رأينا التفاضل و الاختيار وقع في العالم حتى في الأذكار الإلهية المشروعة كما ذكرنا علمنا إن ثم أمرا معقولا ما هو عين النفس و لا هو غير النفس الذي تتكون فيه الكلمات و هي أعيان الكائنات فإذا بذلك عين المشيئة فيها ظهر هذا التفضيل في الواحد و التفضيل في المتساوي و الواحد لا يتصف بالتفضيل و المتساوي لا ينعت بالتفضيل فعلمنا أن سر الله مجهول لا يعلمه إلا هو فوجدناه توحيد الاختيار في حضرة السر لا إله إلا هو له الحمد في الأولى و هو حمد الإجمال و الآخرة و هو حمد التفصيل فتميزت المحامد في العين الواحدة فكان حمدها عينها فما أعجب مقام هذا التوحيد لمن شاهده و تعجبت من اسم أهلي في الواقعة و اسمها مريم و معنى هذا الاسم معلوم في اللسان الذي فيه سميت و هي محررة لله حاملة لروح الله محل لكلمة الله مثنى عليها بكلام الله مبرأة بشهادة ما سقط من التمر في هزها جذع النخلة اليابس و نطق ابنها في المهد بأنه عبد الله و هما شاهدان عدلان عند الله فكانت كلها لله و بالله و عن الله و لهذا غبطها زكريا نبي الله فتمنى مثلها على الله فأعطاه يحيى حصورا مثلها لم يجعل له سميا من قبل من أنبياء الله فخصه بالأولية من أسماء الله فانظر في بركة هذا الاسم في وجود الله بين عباد الله فهذا ما كان إلا من اختيار الله وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ بل هي لله و الله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (التوحيد الرابع و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ هذا توحيد الحكم بالتوحيد الذي إليه رجوع الكثرة إذ كان عينها و هو توحيد الهوية فنهى كونه أن يدعو مع الله إلها فنكر المنهي عنه إذ لم يكن ثم إذ لو كان ثم لتعين و لو تعين لم يتنكر فدل على أنه من دعا مع الله إلها آخر فقد نفخ في غير ضرم و استسمن ذا ورم و كان دعاؤه لحما علي وضم ليس له متعلق يتعين و لا حق يتضح و يتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض فلم يبق إلا من له الوجود المحض فكل شيء يتخيل فيه أنه شيء فهو هالك في عين شيئيته عن نسبة الألوهية إليه لا عن شيئيته فوجه الحق

باق و هو ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ و الآلاء الجسام فما دعا من دعا إلا إلى معروف فما هو الذي نكر فما هو عين ما ذكر فالحق الخالص من كان في ذاته يعلم فلا يجهل و يجهل فلا يحاط به علما فعلم من حيث إنه لا يحاط به علما و جهل من حيث إنه لا يحاط به علما فعلم من حيث جهل فالعلم به عين الجهل به فما ثم من يقبل الأضداد في وصفه إلا الله (التوحيد الخامس و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله هَلْ من خالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ من السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ هذا توحيد العلة و هو من توحيد الهوية لو لم يوحد بالعلة كما يوحد بغيرهما لم يكن إلها لأن من شأن الإله أن لا يخرج عنه وجود شيء إذ لو خرج عنه لم يكن له حكم فيه و قد قال وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فلا بد أن يكون له توحيد العلة و هو أن يعبد بهذا التوحيد لسبب لكون العابد في أصل كونه مفتقرا إلى سبب فلم يخرج عن حقيقته و سببه رزقه الذي به بقاء عينه فتخيله المحجوب في الأسباب الموضوعة و هو تخيل صحيح أنه في الأسباب الموضوعة لكن بحكم الجعل لا بحكم ذاتها فجاعل كونها رزقا هو الله الذي يَرْزُقُكُمْ من السَّماءِ بما ينزل منها من أرزاق الأرواح وَ الْأَرْضِ بما يخرج منها من أرزاق الأجسام فهو الرازق الذي بيده هذا الرزق غير أن الحجب لما أرسلها الله على بعض أبصار عباد الله و لم يدركوا إلا مسمى الرزق لا مسمى الرازق قالوا هذا فقيل لهم ما هو هذا هو في هذا مجعول من الذي خلقكم فكما خلقكم هو رزقكم فلا تعدلوا به ما هو له و منه فأنتم و من اعتمدتم عليه سواء فلا تعتمدوا على أمثالكم فتعتمدوا على الكثرة و الاعتماد على الكثرة يؤدي إلى عدم حصول ما وقع فيه الاعتماد إذ كل واحد من الكثيرين يقول غيري يقوم له بذلك فلا يقوم له شيء فيدعوه الحال الصحيح إلى التفرغ و التجرد إلى واحد على علم من ذلك الواحد أنه تجرد إليه و تفرغ مما سواه فتعين القيام به عليه فادى إلى حصول المطلوب من وراء حجاب في حق قوم و على الشهود و الكشف في حق آخرين و هم أهل الله و خاصته (التوحيد السادس و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ هذا توحيد التعجب و هو توحيد الله لا توحيد الهوية فقوله يَسْتَكْبِرُونَ أي يستعظمون ذلك و يتعجبون منه كيف يصح في الكون لا إله إلا الله و الشيء لا يكون إلا على صور تواحدة و عين واحدة و الصور كثيرة مختلفة بالحد و الحقيقة و بيدها المنع و العطاء و ذلك لله أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ أي الكثرة في عين الواحد ما سَمِعْنا بِهذا في آبائِنَا الْأَوَّلِينَ فما أنكروه و لا ردوه بل استعظموه و استكبروه و تعجبوا كيف تكون الأشياء شيئا واحدا و استكبروا مثل هذا الكلام من مثل هذا الشخص حيث علموا أنه منهم و ما شاهد إلا ما شاهدوه فمن أين له هذا الذي ادعاه فحجبهم الحس عن معرفة النفس و الاختصاص الإلهي فامتثلوا أمر الله من حيث لا يشعرون لأنه الآمر عباده بالاعتبار و هو التعجب فقال إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ و قال فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ فاعتبروا كما أمروا فهم من أولي الأبصار و قولهم إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ لما جاءهم التعريف بهذا على يدي

واحد منهم و لم يعرفوا العناية الإلهية و الاختصاص الرباني و الاختلاق لم يكن فيما تعجبوا منه لأنه لو أحالوه بالكلية ما تعجبوا و إنما نسبوا الاختلاق لمن جاء به إذ كان من جنسهم و مما يجوز عليه ذلك حتى يتبين لهم برؤية الآيات فيعلمون أنه ما اختلق هذا الرسول و أنه جاءه من عند الله الذي عبد هؤلاء هذه المسماة آلهة عندهم على جهة القربة إلى الله الكبير المتعالي فأنزلوهم بمنزلة الحجة للملك و أعطوهم اسمه كما يعطي اسم الولاية لكل وال و إن كان الوالي هو الله فالولاة كثيرون فكأنه أخبرهم عن الله أنه ما ولي هؤلاء الذي يعبدون بل آباؤكم نصبوهم آلهة هذا الإله الذي أدعوكم إليه تعرفونه و أنه اسمه الله لا تنكرونه و أنتم القائلون ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فسميتموه فسموا آلهتكم فتعرفوا عند ذلك الأمر الحق بيد من هو هل هو بأيديكم أو بيدي يقول الرسول فلما عرفوا قوله و تحققوه علموا أنهم في فضيحة لأنهم إذا سموهم لم يسموهم الله و لا عقلوا من أسمائهم مسمى الله فإنهم عارفون بأسمائهم فقالوا مثل ما قال قوم إبراهيم لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ فتلك الحجة الإلهية عليهم منهم فما حاجهم إلا بهم وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ (التوحيد السابع و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ هذا توحيد الإشارة فما في الكون مشار إليه إلا هو فَأَنَّى تُصْرَفُونَ لأن الإشارة لا تقع من المشير إلا لأمر حادث عنده و إن لم يكن في عينه في نفس الأمر حادثا و لكنه يعلم أنه حدث عنده و ما يحدث أمر عند من يحدث عنده إلا و لا بد أن يجهل أمره عند ما يحدث عنده لشغله بحدوثه عنده و أثره فيه فيشير إليه في ذلك الوقت و في تلك الحالة رفيقه و هو على نوعين إذ ما له رفيق سوى اثنين إما عقله السليم و إما شرعه المعصوم و ما ثم إلا هذا لأنه ما ثم من يقول له في هذه الإشارة ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إلا أحد هذين القرينين إما العقل السليم أو الشرع المعصوم و ما عدا هذين فإنه يقول له خلاف ما قال هذان القرينان فيقول له هذا الدهر و تصرفه و يقول الآخر هذه الطبيعة و أحكامها و يقول الآخر هذا حكم الدور فيصرفه كل قائل إلى ما يراه فهو قول هذين القرينين فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ف فَيُضِلُّ اللهُ من يَشاءُ وَيَهْدِي من يَشاءُ بالقرآن وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ الخارجين عن حكم هذين القرينين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (التوحيد الثامن و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ هذا توحيد الصيرورة و هو من توحيد الهوية و هو على الحقيقة مقام الايمان لأن المؤمن من اعتدل في حقه الخوف و الرجاء و استوت فيهما قدماه فلم يحكم فضله في عدله و لا عدله في فضله فكما تجلى في شديد العقاب تجلى في الطول الأعم المؤيد بغافر الذنب و قابل التوب و لم يجعل للشديد العقاب مؤيدا و ذلك للدعوى في الشدة فوكل إلى ما ادعاه فهو غير معان و من لم يدع فهو معان فإنها ولاية في الخلق و لأنه جاء بالشدة في العقاب و لم يجيء في الطول مثل هذه الصفة فلهذا شدد أزره بغافر الذنب و قابل التوب فأشار إلى ذوي الأفهام من عباده بإعانة ذي الطول بغافر الذنب و قابل التوب

على الشديد العقاب إلى ترك الدعوى فإن الشديد في زعمه أنه لا يقاوم و لو علم أن ثم من يقاومه ما ادعى ذلك فنبه تعالى عباده على ترك الدعوى فيكون الحق يتولى أمورهم بنفسه و عصمهم في حركاتهم و سكناتهم ليقفوا عند ذلك و يعلموا أنه الحق (التوحيد التاسع و العشرون) من نفس الرحمن هو قوله ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ هذا توحيد الفضل و هو من توحيد الهوية لأنه جاء بعد قوله إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ فيكون هذا التوحيد شكرا لما تفضل به الله على الناس مع قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ أراد في المنزلة فإن الجرم يعلمه كل أحد و لكن ما تفطن الناس لقوله تعالى أَكْبَرُ من خَلْقِ النّاسِ من كونهم ناسا و لم يقل أكبر من آدم و لا من الخلفاء فإنه ما خلق على الصورة من كونه من الناس إذ لو كان كذلك لما فضل الناس بعضهم بعضا و لا فضلت الرسل بعضهم بعضا ففضل الصورة لا يقاومها فضل فقوله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ إذ كان الفاضل ممن له أيضا هذا الاسم و المراد بالفضل العام و الخاص فوحده بلسان العموم و الخصوص فظهر توحيد الفضل من حضرة الكرم و البذل (التوحيد الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله هُوَ الْحَيُّ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ هذا توحيد الحياة و هو توحيد الكل و هو من توحيد الهوية الخالصة و الحياة شرط في كل متنفس فلهذا هذا العالم حي بما فيه من الأبخرة الصاعدة منه فتوحيد الحياة توحيد الكل فإنه ما ثم إلا حي فإنه ما ثم إلا الحق و هو المسبح نفسه بما أعطى الرحمن في نفسه من الكلام الإلهي فقال سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ و ما ثم إلا العالم و ما من شيء من العالم إلا و هو مسبح بحمده و لا ثناء أكمل من الثناء بالأحدية فإن فيها عدم المشاركة فالتوحيد أفضل ثناء و هو لا إله إلا الله فلهذا قلنا إنه توحيد الحياة و توحيد الكل و هو إخلاص التوحيد لله من الله و من العالم (التوحيد الحادي و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ هذا توحيد البركة لأنه في السورة التي ذكر فيها أنه أنزله في لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ و هي لَيْلَةُ الْقَدْرِ الموافقة ليلة النصف من شعبان المخصوصة بالآجال و لهذا نعت هذا التوحيد بأنه يُحْيِي وَ يُمِيتُ و هو قوله فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أي محكم فتظهر الحكم فيه التي جاءت بها الرسل الإلهيون و نطقت بها الكتب الإلهية رحمة بعباد الله عامة و خاصة فكل موجود يدركها و ما كل موجود يعلم من أين صدرت فهي عامة الحكم خاصة العلم إذ كانت الاستعدادات من القوابل مختلفة فأين نور الشمس من نور السراج في الإضاءة و مع هذا فأخذ الشمس من السراج اسمه و افتقر إليه مع كونه أضوأ منه و جعل نبيه في هذا المقام سراجا منيرا و به ضرب الله المثل في نوره الذي أنار به السموات و الأرض فمثل صفته بصفة المصباح ثم ذكر ما أوقع به التشبيه مما ليس في الشمس من الإمداد و الاعتدال مع وجود الاختلاف بذكر الشجرة من التشاجر الموجود في العالم لاختلاف الألسنة و الألوان التي جعل

الله فيها من الآيات في خلقه و ذكر المشكاة و ما هي للشمس فلنور السموات و الأرض الذي هو نور الله مشكاة يعرفها من وحده بهذا التوحيد المبارك الذي هو توحيد البركة و في هذه المشكاة مصباح و هو عين النور الذي تحفظه هذه المشكاة من اختلاف الأهواء و حكمها فيما يقع في السرج من الحركة و الاضطراب و إذا تقوت الأهواء أدى إلى طفئ السرج كذلك يغيب الحق بين المتنازعين و يخفى و يحصل فيه الحيرة لما نزلت ليلة القدر تلاحا رجلان فارتفعت فإنها لا تقبل التنازع و لما كانت الأنبياء لا تأتي إلا بالحق و هو النور المبين لذلك قال ع عند نبي لا ينبغي تنازع فلا ينازع من عنده نور ثم إن لهذا المصباح الذي ضرب به المثل زجاجة فللنور الإلهي زجاجة يعرفك هذا التوحيد ما هي تلك الزجاجة و ليس ذلك للشمس و الزجاجة تشبه الكوكب الدري فإذا كان المحل الذي ظهر فيه المصباح مشبه بالكوكب الدري الذي هو الشمس فكيف يكون قدر السراج في المنزلة و هو صاحب المنزل ثم قال في هذا السراج إنه اسْتَوْقَدَ أي يتوقد و يضيء من شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ فلا بد للنور الإلهي من حقيقة بها يقع التشبيه بالشجرة كما جاء في اختلاف الأسماء الإلهية من الضار النافع و المعز المذل و المحيي المميت و أسماء التقابل ثم إن هذه الشجرة لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ فوصفها بالاعتدال فلهذا كان السراج المذكور الذي وقع به التشبيه هو السراج الذي في المشكاة و الزجاجة فيكون محفوظا عن الحركة و الاضطراب لكون الشجرة لا شرقية و لا غربية فهذا كله لا يوجد في غير السراج و لا بد أن يعتبر هذا كله في النور الإلهي (التوحيد الثاني و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ اللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ هذا توحيد الذكرى و هو توحيد الله فاعلم أن الإنسان لما جبله الله على الغفلات رحمة به فيغفل عن توحيد الله بما يطالعه في كل حين من مشاهدة الأسباب التي يظهر التكوين عندها و ليس ثمة إدراك يشهد به عين وجه الحق في الأسباب التي يكون عنها التكوين و هو لاستيلاء الغفلة و هذا الغطاء يتخيل أن التكوين من عين الأسباب فإذا جاءته الذكرى على أي وجه جاءته علم بمجيئها إنها تدل لذاتها على أنه لا إله إلا الله و أن تلك الأسباب لو لا وجه الأمر الإلهي فيها أو هي عين الأمر الإلهي ما تكون عنها شيء أصلا فلما كان هذا التوحيد بعد ستر رفعته الذكرى أنتج له أن يسأل ستر الله للمؤمنين و المؤمنات فإن لرفع الستر و وجود الكشف عند الرفع أو العلم بأنه عين الستر لا غيره لذة لا يقدر قدرها فهي من منن الله على عبده (التوحيد الثالث و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ هذا توحيد العلم و هو من توحيد الهوية و هو توحيده من حيث التفرقة لأنه ميز بين الغيب و الشهادة و جمع بين العلم و الرحمة و هذا لا يكون إلا في العلم اللدني و هو العلم الذي ينفع صاحبه قال في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا و هو قوله الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ ثم قال وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً من قوله عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فعلم الرحمة يكون معه اللين و

العطف و هو الذي من لدنه و الغصن اللدن هو الرطيب وَيُؤْتِ من لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً فعظمه وَ ما أَرْسَلْناكَ و ما أرسل إلا بالعلم إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ فجعل إرساله رحمة فهو علم يعطي السعادة في لين فَبِما رَحْمَةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُمْ فالعلم و إن كان شريفا فإن له معادن أشرفها ما يكون من لدنه فإن الرحمة مقرونة به و لها النفس الذي ينفس الله به عن عباده ما يكون من الشدة فيهم (التوحيد الرابع و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ هذا توحيد النعوت و هو من توحيد الهوية المحيطة فله النعوت كلها نعوت الجلال فإن صفات التنزيه لا تعطي الثبوت و الأمر وجودي ثابت فلهذا قدم الهوية و أخرها حتى إذا جاءت نعوت السلب و حصلت الحيرة في قلب السامع منعت الهوية بإحاطتها أن يخرج السامع إلى العدم فيقول فما ثم شيء وجودي إذ قد خرج عن وجود العقل و الحس فيلحقه بالعدم فتمنعه الهوية فإن الضمير لا بد أن يعود على أمر مقرر فافهم (التوحيد الخامس و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ هذا توحيد الرزايا و الرجوع فيها إلى الله ليزول عنه ألمها إذ رأى ما أصيب فيه قد حصل بيد من يحفظ عليه وجوده و لهذا أثنى الله على من يقول إذا أصابته مصيبة إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ فهم لله في حالهم و هم إليه راجعون عند مفارقة الحال فمن حفظ عليه وجوده و حفظ عليه ما ذهب منه و كان ما حصل عنده أمانة إلى وقتها فما أصيب و لا رزئ فتوحيد الرزايا أنفع دواء يستعمل و لذلك أخبر بما لهم منه تعالى في ذلك فقال أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ من رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ و الرحمة لا يكون معها ألم وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ يقول الذين تبين لهم الأمر على ما هو عليه في نفسه فسمين مصيبة في حقه لنزولها به و في حق من ليس له هذا الذوق لنزول ألمها في قلبه فيتسخط فيحرم خيرها (التوحيد السادس و الثلاثون) من نفس الرحمن هو قوله رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا هذا توحيد الوكالة و هو من توحيد الهوية في هذا التوحيد ملك الله العالم الإنساني جميع ما خلقه له من منافعه و أمره أن يوكل الله في ذلك ليتفرغ الإنسان لما خلق له من عبادة ربه في قوله وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و أين هذا المقام من قوله وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فجعل الإنفاق بأيديهم و الملك لله و في هذا القدر الذي أمرهم به من الإنفاق فيه أمرهم أن يتخذوه وكيلا فلا تنافر بين المقامين فالملك لله و الإنفاق للعبد بحث الأمر و ما أطلق له في ذلك و في الإنفاق أمر الله أن يوكل الله في ذلك لعلمه بمواضع الإنفاق و المصارف التي ترضي رب المال في الإنفاق فنزل الشرائع أبانت له مصارف المال فأنفق على بصيرة بنظر الوكيل فمن أنفق فيما لم يأمره الوكيل بالإنفاق فيه فعلى المنفق قيمة ما استهلك من مال من استخلفه فيه و لا شيء له فإنه مفلس بحكم الأصل فلا حكم عليه فأعطاه هذا التوحيد رفع الحكم عنه فيما أتلف من مال من استخلفه و هذا آخر تهليل ورد في القرن الذي وصل إلينا و هو ستة و ثلاثون مقاما قد ذكرناها بكمالها مبينة إلهية قرآنية ذكر الله بها نفسه و أمرنا أن نذكره بها فامتثلنا

فلما ذكرناه بها علمنا من لدنه علما و كان ذكرها رحمةمنه بنا فهذا قد أدينا العشر الواجب علينا مكملا فوقع في يد الحق فيتولى تربيته إلى وقت اللقاء و رد الأمانات إلى أهلها وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الفصل العاشر في الذكر بالحوقلة) و هو قول لا حول و لا قوة إلا بالله و هو ذكر كل حامل بقدر ما حمل فالذاكرون به على طبقات كما أنهم في الصورة على طبقات فمن كان أكثر دخولا كان أكثر دؤبا على هذا الذكر و الذي حاز الكمال فيها كان شرطه أن لا يفتر من هذا الذكر بالقول كما أنه لا يفتر عنه بشاهد الحال و هو كل مكلف في العالم و العالم كله مكلف و ما كلف به من العالم و من العالم ما هو مجبور فيما كلف حمله و هو المعبر عنه بفرائض الأعيان و فرائض الكفاية ما لم يقم واحد به فيسقط الفرض عن الباقي و من العالم ما لم يجبر في الحمل و إنما عرض عليه فإن قبله فما قبله إلا لجهله بقدر ما حمل من ذلك كالإنسان لما عرضت عليه الأمانة و حملها كانَ لذلك ظَلُوماً لنفسه جَهُولًا بقدرها و السموات و الأرض و الجبال لما عرضت عليهن أبين أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها لمعرفتهن بقدر ما حملوا فلم يظلموا أنفسهم وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فما وصف أحد من المخلوقات بظلمه لنفسه إلا الإنسان فكان خلق السموات و الأرض أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ في المنزلة فإنهن كن أعلم بقدر الأمانة من الإنسان فبهذا كن أيضا أكبر من خلق الناس في المنزلة من العلم فإنهن ما وصفن بالجهل كما وصف الإنسان و كذلك لما أمرنا بالإتيان أمر وجوب فإن لم يجبن جيء بهن على كره ف قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ لعلمهن بأن الذي أمرهن قادر على الإتيان بهن على كره منهن فقلن أتينا طائعين فالإتيان حاصل و الطوع في معرض الاحتمال أن يكن صدقن في دعواهن فإن كان الحق القائل فما كذبا بل صدقا و إن كان القول بالواسطة فيحتمل ما قلناه فالعالم منا إذا قال لا حول و لا قوة إلا بالله يقولها على امتثال الأمر الإلهي و الاقتداء فالاقتداء قوله و إياك نستعين إذا كان الحق المتكلم و هي الاستعانة بالأسباب التي لا يمكن رفعها و لا وجود المسبب إلا بوجودها و الأمر قوله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا على حمل هذه المشقات بلا حول و لا قوة إلا بالله انتهى الجزء العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الفصل الحادي عشر في الاسم الإلهي) البديع و توجهه على كل مبدع و على إيجاد العقل الأول و هو القلم و توجهه على إيجاد الهمزة من الحروف و مراتبها و توجهه على إيجاد الشرطين من المنازل و توجهه بالإمداد الإلهي النفسي بفتح الفاء الذاتي منه و الزائد و سبب زيادته قال الله تعالى بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لكونهما ما خلقا على مثال متقدم و أول ما خلق الله العقل و هو القلم فهو أول مفعول إبداعي ظهر عن الله تعالى و كل خلق على غير مثال فهو مبدع بفتح الدال و خالقه مبدعه بكسر الدال فلو كان العلم تصور المعلوم كما يراه بعضهم في حد العلم لم يكن ذلك المخلوق مبدعا بفتح الدال لأنه على مثال في نفس من أبدعه أوجده عليه مطابقا له و ذلك الذي في

نفس الحق منه على قول صاحب هذا الحد للعلم لم يزل واجب الوجود في نفس الحق فلم يبتدعه في نفسه كما يفعله المحدث إذا ابتدع و لا وجد في العين إلا على الصورة التي قامت في نفس المصور لمثلها لا لها إذ ليس محلا لما يخلقه فما هو بديع و هو بديع فليس في نفسه صورة ما أبدع و لا تصورها و هذه مسألة مشكلة فإن من المعلومات ما يقبل التصور و منها ما لا يقبل التصور و هو معلوم فما حد العلم تصور المعلوم و كذلك الذي يعلم قد يكون ممن يتصور لكونه ذا قوة متخيلة و قد يكون ممن يعلم و لا يتصور لكونه لا يجوز عليه التمثل فهو تصور من خارج و لا يقبل الصورة في نفسه لما صوره من خارج لكن يعلمه و اعلم أولا أن الإبداع لا يكون إلا في الصور خاصة لأنها التي تقبل الخلق فتقبل الابتداع و أما المعاني فليس شيء منها مبتدعا لأنها لا تقبل الخلق فلا تقبل الابتداع فهي تعقل ثابتة الأعيان هذه هي حضرة المعاني المحققة و ثم صور تقبل الخلق و الابتداع تدل عليها كلمات هي أسماء لها فيقال تحت هذا الكلام أو لهذه الكلمة معنى تدل عليه و يكون ذلك المعنى الذي تتضمنه تلك الكلمة صورة لها وجود عيني ذو شكل و مقدار كلفظ زيد فهذه كلمة تدل على معنى يفهم منها و هو الذي وضعت له و هو شخص من الأناسي ذو قامة منتصبة و طول و عرض و جهات فمثل هذا يسمى معنى لهذه الكلمة فهذا المعنى يقبل الخلق و لسنا نريد بالمعاني إلا ما لا يقبل الخلق و كل ما لا يقبل الخلق فإنه لا يقبل المثل فلا يقبل المثل إلا الصورة خاصة المادية و غير المادية و أعني بالمادية المركبة و هي الأجسام على تنوع ضروبها و أعني بغير المادية كالبسائط التي لا جزء لها سوى عينها و لكنها تقبل المجاورة فتقبل التركيب فينشأ لذلك صور مختلفة إلى ما لا يتناهى فالأول منها و إن كان صورة فهو المبدع و الثاني ليس بمبدع فإنه على مثاله و لكنه مخلوق فهو بالخلق الأول بديع و بالخلق الثاني المماثل للخلق الأول خالق فأول ما خلق الله العقل أظهره في نفس الرحمن في العماء في أول درجته التي هي في نفس الإنسان المخلوق على صورة الهمزة فهي أول مبدع من حروف تنفس الإنسان و لها وجوه و أحكام مثل ما للعقل في النفس فمن ذلك الإمداد الإلهي الذي في قوله لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و في قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ و الزيادة حيث وقعت من الخير و الشر و لا تعقل الزيادة إلا بعد عقل الأصل فإذا علم مقداره علم الزائد لئلا يتخيل في الزائد أنه أصل فأقل الزيادة مثل الأصل إلى رابع درجة و ليس فوقها زيادة و كل زيادة زائدة على الزيادة مثل الأصل سواء مثاله الأصل وجود عين العقل و الزائد وجود النفس و هو على قدر العقل ثم الطبيعة و هي على قدر العقل ثم الهباء و هو على مقدار العقل ثم الجسم الكل و هو الرابع و ليس وراءه شيء إلا الصور و كذلك المد الطبيعي بمنزلة العقل مثل مد الألف من قال و شبهه فهذا سار في كل موجود فإن له من الحق إمدادا به بقاؤه فما زاد على ما به بقاؤه و ظهور عينه فلسبب آخر و لما كان العقل أول موجود جعل سببا لكل إمداد إلهي في الوجود كذلك الهمزة في النفس الإنساني أوجبت الإمداد في الصوت سواء تأخرت أو تقدمت و تنتهي الزيادة في ذلك على المد الطبيعي إلى

أربع مراتب كل زيادة على قدر الأصل التي هي الألف الطبيعية في كل ممدود مثال ذلك آامن في قراءة أبي عمرو و آاامن في قراءة ابن عامر و الكسائي و آاااامن في قراءة عاصم و آاااامن في قراءة ورش و حمزة و كذلك جاء و جاءء و جاااء و جاااء على ما ذكرناه فهذا الإمداد الإلهي قبل الموجب له و بعده هو بحسب المعرفة بالله فمن لم يعرف الله بدليل العالم عليه كان الإمداد متقدما على العلم بالله من حيث لا يعلم العبد فهو يتقلب في نعمة الله و لا علم له بالمنعم من هو على التعيين و من عرف العالم بالله كان الإمداد متأخرا لأنه علم الله فرآه قبل إمداده و إن كان علمه به من إمداده و لكن ذلك هو المد الطبيعي فالإمداد في النفس الرحماني إيجاد النعم على التضعيف بالزيادة منها وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ كما هو في النفس الإنساني مد الصوت طلبا للوصول إلى الموجب أو خروجا من عند الموجب بالإمداد الإلهي لعين الحرف المطلوب و هو العين المقصود بذلك النعيم من الكائنات كما يطلب الوصول إلى حرف الميم بالمد من آامن و إلى حرف الدال من آدم فاعلم ذلك و كذلك توجه هذا الاسم على إيجاد الشرطين من المنازل ليبين بذلك عين البروج المقدرة في الفلك الأطلس إذ ليس لها علامة تعرف بها فجعل لها هذه المنازل علامة على تلك المقادير تقطع في هذا الفلك الأطلس الجواري الخنس الكنس فيعرف بالمنازل كم قطعت من ذلك الفلك و لهذه المنازل أيضا و كل كوكب في الفلك المكوكب قطع في هذا الأطلس لكن لا يبلغ عمر الشخص الواحد إلى الشعور به و قد نقل إلينا أن بعض أهرام مصر وجد تاريخ عمله و النسر في الأسد و هو اليوم في الجدي فانظر ما مر عليها من السنين و يقول أصحاب تسيير الكواكب إن هذه الكواكب الثابتة تقطع في كل ستين سنة من الفلك درجة واحدة و نقلت عن بعضهم مائة سنة فمتى يدرك الحس انتقاله كما يدرك انتقال الجواري الخنس الكنس ثم إنا نعود إلى كلامنا في العقل الأول و منزلته في النفس الرحماني منزلة الهمزة من حروف الإنسان فنقول إن الله لما خلق الملائكة و هي العقول المخلوقة من العماء و كان القلم الإلهي أول مخلوق منها اصطفاه الله و قدمه و ولاه على ديوان إيجاد العالم كله و قلده النظر في مصالحه و جعل ذلك عبادة تكليفه التي تقربه من الله فما له نظر إلا في ذلك و جعله بسيطا حتى لا يغفل و لا ينام و لا ينسى فهو أحفظ الموجودات المحدثة و أضبطه لما علمه الله من ضروب العلوم و قد كتبها كلها مسطرة في اللوح المحفوظ عن التبديل و التحريف و مما كتب فيه فأثبته علم التبديل أي علم ما يبدل و ما يحرف في عالم التغيير و إلا حالة فهو على صورة علم الله لا يقبل التبديل فلما ولاه الله ما ولاه أعطاه من أسمائه المدبر و المفصل من غير فكر و لا روية و هو في الإنسان الفكر و التفكر فإذا انفرد بذلك في نفسه كان له حكم و إذا دبر مع غيره كان له حكم يقال له في عالم الإنسان المشاورة يقول تعالى لنبيه ص آمرا وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فحكم التدبير الذي يدبر به ولايته على أقسام سواء انفرد بالتدبير أو طلب المشاركة بحكم المشورة و السبب الموجب للمشورة كون الحق له وجه خاص في كل موجود لا يكون لغير ذلك

الموجود فقد يلقى إليه الحق سبحانه في أمر ما ما لا يلقيه لمن هو أعلى منه طبقة كعلم الأسماء لآدم مع كون الملإ الأعلى عند الله أشرف منه و مع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم و قد ذكرنا في هذا الكتاب دليل تفضيل الملإ الأعلى من الملائكة على أعلى البشر أعطاني ذلك الدليل رسول الله ص في رؤيا رأيتها و قبل تلك الرؤيا ما كنت أذهب في ذلك إلى مذهب جملة واحدة و إذا كان هذا فقد ينفرد في أمور نصبها في العالم بما هو مدبر و مفصل لا عن فكر فإنه ليس من أهل الأفكار و قد يشاركه في تدبيره عقل آخر مثل النفس الكلية التي أذكرها في الفصل الذي يلي هذا إن شاء الله فمثل هذا هو حظ المشورة في عالم الخلق و سبب ذلك توفية الألوهة ما تستحقه لما علم أن لله تعالى في كل موجود وجها خاصا يلقى إليه منه ما يشاء مما لا يكون لغيره من الوجوه و من ذلك الوجه يفتقر كل موجود إليه و إن كان عن سبب فإن قلت فقد أعلمه الله علمه في خلقه حين قال له اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة قلنا الجواب على هذا من وجهين الوجه الواحد و إن علم ما يكون فمن جملة ما أعلمه به من الكون مشورته و مشاركة غيره له في تدبيره كما نعلم أن الله يعلم ما يكون من خلقه و لكنه قال وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و أعلم من الله فلا يكون و قد جاء مثل هذا في حق الله و الوجه الآخر في الجواب و هو إنا قد علمنا إن لله في كل كائن وجها يخصه و ذلك الوجه الإلهي لا يتصف بالخلق و قال للقلم اكتب علمي في خلقي و ما قال له اكتب علمي في الوجه الذي مني لكل مخلوق على انفراده فهو سبحانه يعطي بسبب و هو الذي كتبه القلم من علم الله في خلقه و يعطي بغير سبب و هو ما يعطيه من ذلك الوجه فلا تعرف به الأسباب و لا الخلق فوقعت المشورة ليظهر عنها أمر يمكن أن يكون من علم ذلك الوجه فيلقي إليه من شاوره في تدبيره علما قد حصل له من الله من حيث ذلك الوجه الذي لم يكتب علمه و لا حصل في خلقه و لهذا قال الله لرسوله فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ يعني على إمضاء ما اتفقتم عليه في المشورة أو ما انفردت به دونهم و قوله فَتَوَكَّلْ عَلَى الله في مثل هذا ما لم يقع الفعل فإن العزم يتقدم الفعل فقيل له توكل على الله فإنه ما يدري ما لم يقع الفعل ما يلقي الله في نفسك من ذلك الوجه الخاص الإلهي الخارج عن الخلق و هو الأمر الإلهي فإن له الخلق و الأمر فما كان من ذلك الوجه فهو الأمر و ما كان من غير ذلك الوجه فهو الخلق و كذلك جرى الأمر في حركات الكواكب فيعطي كل كوكب في الدرجة الفلكية على انفراده من الحكم ما لا يعطيه إذا اجتمع معه في تلك الدرجة كوكب آخر أو أكثر فاجتماعهم بمنزلة المشورة و عدم اجتماعهم بمنزلة ما ينفرد به فيكون عن الاجتماع ما لا يكون عن الانفراد ف أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها مما تنفرد به و مما لا تنفرد به فذلك ما يحدث من الاجتماع فإنه خارج عن الأمر الذي تنفرد به كل سماء ثم في الاجتماعات أحوال مختلفة فيكون ما يحدث بحسب اختلاف الأحوال و الأحوال هنالك في القرانات كالأغراض عندنا فكل يقول بحسب غرضه و نظره قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ ثم ينزل الأمر إلى النفس الإنساني فيكون حكم الحرف الواحد خلاف

حكمه إذا اجتمع مع غيره فالقاف في ق مفرد يدل على الأمر بالوقاية فإذا اجتمع مع لام جاء منه صورة تسمى قل فحدث للقاف أمر بالقول و أين هو من الأمر بالوقاية و كذلك لو اجتمع بحرف الميم ظهر من هذا الاجتماع صورة قم فحدث للقاف أمر بالقيام و هكذا ما زاد على حرف من حروف متصلة لإبراز كلمة أو منفصلة لإبراز كلمات فتحدث أمور لحدوث هذه

الكلمات فيقول السيد لعبده قل فيحدث في العبد القول فيقول أو قم فيقوم فيظهر من المأمور حركة تسمى قياما عن ظهور صورة ذلك الاجتماع فهكذا تحدث الكائنات في النفس الرحماني فتظهر أعيان الكلمات و هو المعبر عنها بالعالم فالكلمة ظهورها في النفس الرحماني و الكون ظهورها في العماء فبما هو للنفس يسمى كلمة و أمر أو بما هو في العماء يسمى كونا و خلقا و ظهور عين فجاء بلفظة كن لأنها لفظة وجودية فنابت مناب جميع الأوامر الإلهية كما نابت الفاء و العين و اللام الذي هو فعل في الأوزان مناب جميع الأوزان و جميع الموزونات من الأسماء و الأفعال فهي حروف وزن الكلمة و وزن عين الموجود فكن قامت مقام قل و قم و خذ و قص و اخرج و ادخل و اقترب و جميع ما يقع به الأمر فيكون إن كان أمر قيام فقيام و إن كان أمر قعود فقعود إلى جميع الأعيان فتحدث الكلمة في النفس فيحدث الكون في العماء على الميزان صلة في ذلك و هذه الصلة في أنواع ما يحدثه التدبير على الانفراد و بالمشورة في الكون فأما ما يحدث من ذلك على الانفراد و هو إذا حكم على المدبر اسمان الهيان أو خاطران في حق أصحاب الخواطر و هو في الإلهيات التردد و لا يخلو هذا المدبر في هذه الحال و غيرها من الأحوال أن يكون تحت حكم اسم إلهي من الأسماء السبعة المتحكمة في النفس و ما يظهر فيه من الكلمات و هو الاسم الجامع و النافع و العاصم و هو الواقي و السريع و الستار و هذه الخمسة الأسماء هي التي تعطي مقام العبودية في العالم و الاسم البصير و البارئ و هما اللذان يعطيان مقام الحرية في الاسم الجامع فمنه يكون الإمداد لأهل الفضائل و هم الذين يثابرون على مكارم الأخلاق و من هذا الاسم قال رسول الله ص بعثت لأتمم مكارم الأخلاق و يمد أيضا أهل الجمع و الوجود و الحماية و ترك المؤاخذة بالجرائم فيذبون عن أصحابها ما يريد بهم الاسم المنتقم و المعاقب فهو معطي الأمان و هو قوله تعالى يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ و فعله أبدا لا يكون إلا فيمن هو في مقام العبودية و أما الاسم الإلهي النافع فمنه يكون الإمداد للعلماء بالله على مراتبهم و أكثر ما يكون إمداده فيهم في علماء الأرواح و هو قوله تعالى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً أي نور هداية و يمد أيضا أهل الجود من أصناف الكرماء خاصة و هم الذين يجودون بالعطاء قبل السؤال من كل ما يقع به المنفعة للمعطي إياه و هو مختص العطاء و إمداد هذا الاسم بالذين أقامهم الله في مقام العبودية و العبودة فإن رجال الله على إحدى حالتين إما حال عبودية أو حال حرية و قد تقدم لك باب العبودية و باب الحرية في هذا الكتاب و أما

الاسم الواقي فهو الاسم العاصم من أمر الله فمنه يكون الإمداد للصديقين و أصحاب الأسرار و أهل النظر و الأفكار في مباحثهم في المناظرات لاستخراج الفوائد في مجالس أهل الله من غير منازعة و لا يمد هذا الاسم إلا لأرباب مقام العبودية و أهل الاستكفاء بالله و هم المتوكلون على الله توكل لعبد على سيده لا توكل الابن على أبيه و لا الميت على غاسله و لا الأجير على من آجره و لا توكل الموكل على وكيله و أما الاسم السريع فإنه مثل الواقي في أنه لا يمد إلا أهل هذا التوكل الخاص و من هو في مقام العبودية و يكون إمداده للمنفقين بالخلف و هو قوله تعالى وَما أَنْفَقْتُمْ من شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ و يمد أيضا أهل البقاء لأهل الفناء و عنه يأخذون و إليه يلجئون و أما الاسم الستار و هو الغفار و الغفور و الغافر فهو في الإمداد مثل السريع و الواقي في العبد و المتوكلين و من هذا الاسم يكون الإمداد لأهل الاكتساب و القائلين بالأسباب مع الاعتماد على الله غير أنهم و إن اعتمدوا على الله فما في ظاهرهم الاكتفاء بالله و هكذا كل ذي سبب و إن كان من المتوكلين فما كل متوكل يظهر منه الاكتفاء بالله في ظاهره و هذا الاسم يمد أيضا أصحاب المنازل و المنازلات و لهم أبواب في هذا الكتاب نحوا من مائتي باب ترد فيما بعد إن شاء الله و أما الاسم الباري فمنه يكون الإمداد للأذكياء المهندسين أصحاب الاستنباطات و المخترعين الصنائع و الواضعين الأشكال الغريبة عن هذا الاسم يأخذون و هو الممد للمصورين في حسن الصورة في الميزان و أعجب ما رأيت من ذلك في قونية من بلاد يونان في مصور كان عندنا اختبرناه و أفدناه في صنعته من صحة التخيل ما لم يكن عنده فصور يوما حجلة و أخفى فيها عيبا لا يشعر به و جاء بها إلينا ليختبرنا في ميزان التصوير و كان قد صورها في طبق كبير على مقدار صورة الحجلة في الجرم و كان عندنا بازي فعند ما أبصرها أطلقه من كان في يده عليها فركضها برجله لما تخيل أنها حجلة في صورتها و ألوان ريشها فتعجب الحاضرون من حسن صنعته فقال لي ما تقول في هذه الصورة فقلت له هي على غاية التمام إلا أن فيها عيبا خفيا و كان قد ذكره للحاضرين فيما بينه و بينهم فقال لي و ما هو هذه أوزانها صحيحة قلت له في رجليها من الطول عن موازنة الصورة قدر عرض شعيرة فقام و قبل رأسي و قال بالقصد فعلت ذلك لأجربك فصدقه الحاضرون و قالوا إنه ذكر ذلك لهم قبل أن يوقفني عليها فتعجبت من وقوع البازي عليها و طلبه إياها و يمد أيضا هذا الاسم أرباب الجود في وقت المسغبة خاصة لا المنفقين على الإطلاق من غير تقييد و هذا الاسم لا ينظر من الرجال إلا لمن أقيم في مقام الحرية ما بينه و بين من أقيم في العبودية إمداد و أما الاسم البصير فإنه يمد أهل الحرية و العبودة و إمداد أهل الحرية أكثر و نظره إليهم أعظم و هذا الاسم و الاسم الباري يمدان أهل الفصاحة و العبارات و لهما إعجاز القرآن و حسن نظم الكلام الرائق هذا لهذين الاسمين و يمد هذا الاسم البصير أصحاب المنازل و المنازلات في بصائرهم و هم الذين تعملوا في اكتسابها الذين أكلوا من تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ما أنزلوها بطرق العناية من غير عمل لأن أهل هذا المقام على

نوعين فطائفة نزلت هذه المنازل عن تعمل و اكتسبتها و طائفة نزلتها بالإنزال الإلهي عناية من غير تعمل و لا تقدم عمل بل باختصاص إلهي و يمد أيضا هذا الاسم أهل التفرقة و هم الذين يميزون ما تعطيه أعيان المظاهر في الظاهر باستعداداتها و هو مقام عجيب لا يعرفه أكثر أهل التفرقة و أكثر علم أهل التفرقة العلم بمعاني الأسماء الإلهية من حيث معانيها لا من وجه دلالتها على الذات فهذا حصر ما تعطيه هذه الأسماء و حصر من تعطيه و منتهى العالم في هذا الباب الذي شاهدناه كشفا ألفا من العالمين لا زائد على ذلك و الذي شاهدناه ذوقا و جاريناهم قدما بقدم و سابقناهم و سبقناهم في حضرتين حضرة النكاح و حضرة الشكوك ستة عشر عالما من ثماني حضرات و باقي العالم كشفا و تعريفا لا ذوقا فدخلنا في كل ما ذكرناه في هذه الإمدادات الإلهية ذوقا مع عامة أهل الله و زدنا عليهم باسم إلهي و هو الآخر أخذنا منه الرئاسة و روح الله الذي يناله المقربون من قوله تعالى فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ و نلت هذه المقامات في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين و خمسمائة في مدة يسيرة في حضرة النكاح مع أهل الصفاء و في حضرة الشكوك مع أهل القهر و الغلبة من أجل الاختلال في الشروط و هي المواثيق التي أخذت على العالم بالله فمنا من غدر و منا من وفى فكنا ممن وفى بحمد الله و هذه علوم غريبة و أذواق عزيزة لقينا من أربابها رجالا بالمغرب و رجالا بالإسكندرية و رجلين أو ثلاثة بدمشق و رجلا بسيواس كان قد نقصه من هذا المقام شيء قليل فعرضه علينا فأتممناه له حتى تحقق به في زمان يسير و كان غريبا لم يكن من أهل البلاد كان من أهل أخلاط و لكل طائفة ممن ذكرنا ممن هم تحت إحاطة هذه الأسماء الإلهية التميز في ثلاث حضرات حضرة عليا و حضرة وسطي و حضرة سفلي و حضرة مشتركة فلا تخلو هذه العقول المدبرة أن تكون في إحدى هذه الحضرات في زمان مرور الخواطر عليها أو الأسماء المتقابلة أو المتقاربة فالمتقابلة كالضار و النافع أو المعز و المذل أو المحيي و المميت و مثل المقاربة كالعليم و الخبير أو القدير و القاهر أو الكبير و العظيم و ما جرى هذا المجرى في عالم الخلق و الأمر و ها أنا إن شاء الله أذكر ما يحدث من حكم ذلك كله في العالم تفصيل أما تفصيل ما ذكرناه فهو أن نقول بعد أن تعلم أن كل من ذكرنا من هؤلاء الطبقات فإنما هم أهل الأنفاس خاصة من أهل الله لا غيرهم إن المدبر من عالم الأنفاس إذا أراد تنفيذ أمر ما برزخي يطلب تنفيذه حكمين و الأمر واحد فإن الاسم الجامع و النافع و البصير و القائلين بالجود على مسغبة ينظرون إلى الحكم الأسهل فيحكمون به على ذلك الأمر و العلماء بالله يجعلون التوحيد بين الحكمين و يحكم بالأسهل من الحكمين و أما الباري و السريع و الواقي و الغفور فإنهم يسلكون طريق التحقيق في ذلك فيعطي كل حكم حقه لا يراعى جانبا دون جانب و لا يحكمون بذلك إلا المكملون من رجال الله فإن كان أحد الحكمين برزخيا و الآخر سفليا فالاسم الجامع و النافع و البصير يحكمون بما فيه رفع الحرج غير أن الاسم البصير و أهل الجود يجعلان التوحيد بين الحكمين

حتى يرفعان الاشتراك و بقية الأسماء السبعة و جميع الطبقات الخارجين عن طبقات هؤلاء الأسماء الثلاثة يسلكون مسلك الاعتدال فيوفون الحقوق على ما تعطي المراتب مثال الأول البرزخي أن ترى الحق في صورة يدركها الحس فالمحققون يعطون الألوهية حقها و يعطون الحضرة التي ظهر الحق فيها بهذه الصورة حقها و الطائفة الأخرى تحكم على الحق بالصورة و تقول لو لا أنه على حقيقة تقبلها ما صح أن يظهر بها إذ لم تكن غيره في وقت التجلي و أما الذين جعلوا التوحيد بين الحكمين فقالوا الحق على ما هو عليه في نفسه و هذه الصورة ظهرت بالحق لا إن الحق ظهر بها و جعلوا التوحيد فاصلا بين الحق و الصورة و هكذا في الحالة الثانية و مثال ذلك في الحالة الثانية هو تجلى من يقول في رؤيته جميع الأكوان ما رأيت إلا الله من حيث إن البرزخ لا يتعين فيه الصور إلا من عالم الطبيعة و هو المحسوس و الحكم كما قررناه فإن كان الأمر بين حكم برزخي و صورة عليا كرؤية الحق في صورة ملك فالجامع و البصير و النافع يرفعون الحرج فيما وقع فيه التشبيه و يوفون حق أحد الحكمين و هو الحكم الذي يلي جانب العزة و أصحاب الجود الإلهي يعتبرون التوحيد فيبرزونها مع رفع الحرج فالتوحد مثل قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و رفع الحرج تمام الآية وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ مرتبة أخرى إذا ظهر أمران الهيان في صورتين مختلفتين و الأمران برزخيان فالحكم الإلهي في ذلك و هو أن ترى صورة الحق في البرزخ و صورة الملك في البرزخ على صورة إنسيين كصورة موسى و هارون مثلا أو ترى الحق في صورة شخصين معا في رؤيا واحدة في عالم البرزخ مثل أن ترى الحق في صورة شاب و شيخ في حال واحدة و لا شك إنها الحق ليس غيره فحكم العلم من العلماء بالله و أهل الجود الإلهي في هذه الواقعة أن هذا إمداد إلهي لهذه الصورة التي ظهر فيها الحق و أهل الجود أيضا و الفضلاء أصحاب الزيادات من العلم الإلهي مع الاسم البصير من الأسماء الإلهية يزيلون الحق ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و يتأولون الصورة بما يليق بها و ما بقي من الأسماء الإلهية و الطبقات من أهل الله أرباب المقامات و التحقيق يتركون الحق حقا بما يليق به و الصورة صورة بما يليق بها و هو الأولى عندي مرتبة أخرى نبي من الأنبياء كعيسى روح الله و كلمته يظهر حقا من كونه كلمة الله و ظهر ملكا من كونه روح الله فالحكم في هذه الواقعة عند العلماء بالله و أهل الجود من أهل الله يلحقون الملك بذلك النبي و ينزهون الحق عن تلك الصورة و أما الراسخون في العلم و هم أهل الزيادات و يوافقهم أيضا أهل الجود الإلهي يقولون الجناب الإلهي أقبل للصور من العالم فيلحقون بصورة ذلك النبي و يبقون صورة الملك على ما هي عليه لا يتأولونها و لا سيما في عيسى فإنه تمثل لأمه بشرا سويا حين أعطاها عيسى و أما الاسم الإلهي البصير فإنه يسقط صورة الحق من ذلك تنزيها و يبقى ما بقي على حاله مرتبة أخرى ملك من الملائكة ظهر في صورة محسوسة و ظهر في مقام حق و قال أنا الحق كما سمع موسى الخطاب من الشجرة إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فحكم العلماء العارفون و أهل الجود الإلهي يقولون في الصورة المحسوسة إنها ملك و في مقام الحق أنه حق

و أما أهل الزيادات من العلماء بالله و أهل الجود الإلهي يوافقونهم على حكمهم أيضا يحكمون على الحق بالملكية و الاسم البصير الإلهي يسقط بحكمه الحق من أجل ما دخله من التشبيه و يبقى ما بقي على ما هو عليه و جميع أهل الله يقولون لما كان الحق يقبل الصور لم يبعد على الصور أن تدعى فيه و تقول أنا الحق فالذي يعتمد عليه في هذه المسألة أن يعطي الحق من جهة الشرع حقه لا من جهة العقل و يعطي الحس حقه و يعطي الملك حقه و مع هذا فلا بد عند غير المحققين أن يصحبوا التوحيد بين الحكمين مخافة الاشتراك و المحقق لا يبالي فإنه قد عرف ما ثم مرتبة أخرى إذا كانت إحدى الصورتين علوية و الأخرى برزخية فالأسماء الثلاثة الجامع و البصير و النافع يرفعون الحرج في الصورة البرزخية و غيرها و لا يعطون كل ذي حق حقه من الصورتين و اعلم أن جميع ما ذكرناه هو حكم العقل في الأمور فتارة يعطي التشديد فيها و تارة يعطي اليسر فيها و تارة يعطي كل ذي حق حقه فيكون في كل حكم بحسب ما يتجلى له الحق فيه سواء كان ذلك في الإلهيات أو في الطبيعيات أو فيما تركب منهما في الجمع و الفرق و الفناء و البقاء و الصحو و السكر و الغيبة و الحضور و المحو و الإثبات إفصاح بما هو الأمر عليه اعلم أن الأمر حق و خلق و أنه وجود محض لم يزل و لا يزال و إمكان محض لم يزل و لا يزال و عدم محض لم يزل و لا يزال فالوجود المحض لا يقبل العدم أزلا و أبدا و العدم المحض لا يقبل الوجود أزلا و أبدا و الإمكان المحض يقبل الوجود لسبب و يقبل العدم لسبب أزلا و أبدا فالوجود المحض هو الله ليس غيره و العدم المحض هو المحال وجوده ليس غيره و الإمكان المحض هو العالم ليس غيره و مرتبته بين الوجود المحض و العدم المحض فبما ينظر منه إلى العدم يقبل العدم و بما ينظر منه إلى الوجود يقبل الوجود فمنه ظلمة و هي الطبيعة و منه نور و هو النفس الرحماني الذي يعطي الوجود لهذا الممكن فالعالم حامل و محمول فبما هو حامل هو صورة و جسم و فاعل و بما هو محمول هو روح و معنى و منفعل فما من صورة محسوسة أو خيالية أو معنوية إلا و لها تسوية من جانب الحق و تعديل كما يليق بها و بمقامها و حالها و ذلك قبل التركيب أعني اجتماعها مع المحمول الذي تحمله فإذا سواها الرب بما شاءه من قول أو يد أو يدين أو أيد و ما ثم سوى هذه الأربعة لأن الوجود على التربيع قام و عدله و هو التهيؤ و الاستعداد للتركيب و الحمل تسلمه الرحمن فوجه عليه نفسه و هو روح الحق في قوله فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و هو عين هذا النفس قبلته تلك الصورة و اختلف قبول الصور بحسب الاستعداد فإن كانت الصورة عنصرية و اشتعلت فتيلتها بذلك النفس سميت حيوانا عند ذلك الاشتعال و إن لم يظهر لها اشتعال و ظهر لها في العين حركة و هي عنصرية سميت نباتا و إن لم يظهر لها اشتعال و لا حركة أعني في الحس و هي عنصرية سميت معدنا و جمادا فإن كانت الصورة منفعلة عن حركة فلكية سميت ركنا و هي على أربع مراتب ثم انفعلت عن هذه الأركان صورة مسواة معدلة سميت سماء و هي على سبع طبقات فوجه الرحمن عز و جل نفسه على هذه الصور فحييت

حياة لا يدركها الحس و لا ينكرها الايمان و لا النفس و لذلك لم يقبل الاشتعال فكل موضع كان في هذه السموات قبل الاشتعال سمي نجما فظهرت النجوم و تحركت أفلاكها بها فكانت كالحيوان فيما اشتعل منها و كالنبات فيما تحرك منها و إن كانت الصورة عن حركة معنوية و قوة عملية و توجه نفسي سميت جسما كلا و عرشا و كرسيا و فلكا فلك برج و فلك منازل و توجه الرحمن بنفسه على هذه الصور فما قبل منها الاشتعال سمي نجوما و هي له كالحدق في وجه الإنسان و ما لم يقبل الاشتعال سمي فلكا فإن كانت الصورة عقلية انبعثت انبعاثا ذاتيا عن عقل مجرد تطلب باستعدادها ما تحمله توجه الرحمن عليها عند تسويتها التي سواها ربها بنفسه فما اشتعل منها سمي نور علم و ما تحرك منها و لم يشتعل سمي عملا و الذات الحاملة لهاتين القوتين نفسا فإن كانت الصورة الإلهية فلا تخلو إما أن تكون جامعة فهي صورة الإنسان أو غير جامعة فهي صورة العقل فإذا سوى الرب الصورة العقلية بأمره و صور الصورة الإنسانية بيديه توجه عليهما الرحمن بنفسه فنفخ فيهما روحا من أمره فأما صورة العقل فحملت في تلك النفخة بجميع علوم الكون إلى يوم القيامة و جعلها أصلا لوجود العالم و أعطاه الأولية في الوجود الإمكاني و أما صورة الإنسان الأول المخلوق باليدين فحمل في تلك النفخة علم الأسماء الإلهية و لم يحملها صورة العقل فخرج على صورة الحق و فيه انتهى حكم النفس إذ لا أكمل من صورة الحق و دار العالم و ظهر الوجود الإمكاني بين نور و ظلمة و طبيعة و روح و غيب و شهادة و ستر و كشف فما ولي من جميع ما ذكرناه الوجود المحض كان نورا و روحا و ما ولي من جميع ما ذكرناه العدم المحض كان ظلمة و جسما و بالمجموع يكون صورة فإن نظرت العالم من نفس الرحمن قلت ليس إلا الله و إن نظرت في العالم من حيث ما هو مسوى و معدل قلت المخلوقات وَما رَمَيْتَ من كونك خلقا إِذْ رَمَيْتَ من كونك حقا وَلكِنَّ الله رَمى لأنه الحق فبالنفس كان العالم كله متنفسا و النفس أظهره و هو للحق باطن و للخلق ظاهر فباطن الحق ظاهر الخلق و باطن الخلق ظاهر الحق و بالمجموع تحقق الكون و بترك المجموع قيل حق و خلق فالحق للوجود المحض و الخلق للإمكان المحض فما ينعدم من العالم و يذهب من صورته فمما يلي جانب العدم و ما يبقى منه و لا يصح فيه عدم فمما يلي جانب الوجود و لا يزال الأمران حاكمين على العالم دائما فالخلق جديد في كل نفس دنيا و آخرة فنفس الرحمن لا يزال متوجها و الطبيعة لا تزال تتكون صورا لهذا النفس حتى لا يتعطل الأمر الإلهي إذ لا يصح التعطيل فصور تحدث و صور تظهر بحسب الاستعدادات لقبول النفس و هذا أبين ما يمكن في إبداع العالم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الفصل الثاني عشر) من هذا الباب في الاسم الإلهي الباعث و توجهه على إيجاد اللوح المحفوظ و هو النفس الكلية و هو الروح المنفوخ منه في الصور المسواة بعد كمال تعديلها فيهبها الله بذلك النفخ أية صورة شاء من قوله في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ و توجهه على إيجاد الهاء من الحروف و هاء الكنايات و توجهه على إيجاد البطين من المنازل المقدرة

اعلم أن هذه النفس هي اللوح المحفوظ و هو أول موجود انبعاثي و أول موجود وجد عند سبب و هو العقل الأول و هو موجود عن الأمر الإلهي و السبب فله وجه إلى الله خاص عن ذلك الوجه قبل الوجود و هو و كل موجود في العالم له ذلك الوجه سواء كان لوجوده سبب مخلوق أو لم يكن و اعلم أن الأسباب منها خلقية و منها معنوية نسبية فالأسباب الخلقية كوجود مخلوق ما على تقدم وجود مخلوق قبله له إلى وجوده نسبة ما بأي وجه كان إما بنسبة فعلية أو بنسبة بخاصية لا بد من ذلك و حينئذ يكون سببا و إلا فليس بسبب و قد يكون ذلك الأثر في غير مخلوق كقوله أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ فالسؤال سبب في وجود الإجابة كان المجيب ما كان و من هذه الحقيقة نزل قوله تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ أي أحدثت بعض هذه الأمور السؤالات و أما السبب المعنوي فهو من جهة المسبب بفتح الباء اسم مفعول و من المسبب اسم فاعل فمن جهة المسبب اسم المفعول استعداده لقبول الأثر فيه إذ لو لم يكن فيه استعداد لما وقع فيه الأثر فذلك الاستعداد أمنع من المحال فما يكون و مع هذا فله استعداد في قبول الفرض فيه فلهذا نفرض المحال في بعض المسائل و إن كان لا يقبل الوجود لنستخرج من ذلك الفرض علما لم يكن عندنا فلو لا استعداده لقبول الفرض ما تمكن للعقل أن يفرضه فالممكن أقبل لعين الوجود و السبب الذي من جهة المسبب اسم فاعل فما ذكر الله تعالى إِنَّما قَوْلُنا فأثبت عينه و قوله إِذا أَرَدْناهُ فأثبت الإرادة و التعلق بالمراد فلا بد من هذا شأنه أن يكون عالما حيا له اقتدار على ما يريد تكوينه فهذه كلها استعدادات نسبية معنوية إلا العين الذي هو المسبب فإنه سبب وجودي لا يكون علة لكن هو شرط و لا بد و لما خلق الله هذا العقل الأول قلما طلب بحقيقته موضع أثر لكتابته فيه لكونه قلما فانبعث من هذا الطلب اللوح المحفوظ و هو النفس فلهذا كانت أول موجود انبعاثي لما انبعثت من الطلب القائم بالقلم و لم يكن في القوة العقلية الاستقلال بوجود هذا اللوح فتأيد بالاسم الباعث و بالوجه الخاص الذي انبعثت عنه هذي النفس فالقى العقل إليها جميع ما عنده إلى يوم القيامة مسطرا منظوما و هو موجود ثالث بين اللوح و القلم مرتبته و بعد اللوح وجوده و جعل الله في القلم الإلقاء لما خلق فيه و جعل في اللوح القبول لما يلقى إليه فكان ما ألقى إليه و ما ضمه اللوح من الكلمات المخلوقة في ذات القلم و اللوح بعد فراغه من الكتابة مائتي ألف آية و تسعا و ستين ألف آية و مائتي آية و هو ما يكون في الخلق إلى يوم القيامة من جهة ما تلقيه النفس في العالم عند الأسباب و أما ما يكون من الوجوه الخاصة الإلهية في الموجودات فذلك يحدث وقت وجوده لا علم لغير الله به و لا وجود له إلا في علم الله و هذا جميع ما حصله العقل من النفس الرحماني من حيث ما كلمه به ربه تعالى كما كلم موسى ربه باثنتي عشرة ألف كلمة في كل كلمة يقول له يا موسى و صورة التلقي الإلهي للعقل تجل رحماني عن محبة من المتجلي و المتجلي له و من هذا المقام جعل الله بين الزوجين المودة و الرحمة ليسكن إليها و جعل الزوجة مخلوقة من عين الزوج و نفسه كما قال وَمن آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا

إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ أي علامة و دليلا لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيعلمون أنه الحق و فائدة هذا التفكر أن الإنسان إذا تزوج بالمرأة و وجد السكون إليها و جعل الله بينهما المودة و الرحمة علم أن الله يريد التحامهما فإذا ارتفع السكون من أحدهما إلى صاحبه أو منهما و زالت المودة و هي ثبوت هذا السكون و بهذا سمي الحب ودا لثبوته و تسمى بالودود لثبوت حبه من أحب من عباده و زالت الرحمة من بينهما أو من أحدهما بصاحبه فأعرض عنه فيعلم أن الله قد أراد طلاقهما فيبادر لذلك فيفوز عند الله بهذا المقام فإن لج و عاند يحرم القرب الإلهي فإن الحضرة الإلهية لا تقبل اللجاج و المعاندة و قد ثبت في الشرع ما ثبت و ما يعرف ما قلناه إلا أهل التفكر من عباد الله فإن الله ما جعله آية إلا لهم فجعل سبحانه سبب حصول هذه العلوم في ذات العقل التجلي و منه تلقى ذلك و كان سبب التجلي الحب فإنه أصل سبب وجود العالم و السماع سبب كونه و قد بينا هذا في باب السماع و المحبة و أما صورة تلقي النفس ما عندها من العلوم فهو على وجهين هي و كل موجود عن سبب و يختلف باختلاف تنوع الأسباب الوجه الواحد إذا كان التلقي لكل موجود عند سبب من وجهه الخاص به فلا يكون إلا عن تجل إلهي سواء علمه المتجلي له أو لم يعلمه فإن علمه كان من العلماء بالله و إن لم يعلمه كان من أهل العناية و هو لا يشعر إنه معتنى به فإن أكثر الناس لا يعلمون حديث هذا الوجه الخاص و لا يعرفونه فإنه علم خاص لا يعطيه الله إلا لمن اختصه و اصطنعه لنفسه من عباده و أما الوجه الآخر من التلقي فهو ما يستفيده من السبب و لا تحصى طرقه فإن الأسباب مختلفة فأين سببية العقل فيما يظهر على النفس من توجهه و تلقيها من سببية السماء فيما يظهر على الأرض من النبات من توجهها عليها بما تلقيه من الغيث فيها و تلقيها لذلك و لكل حركة فلكية و نظر كوكب في العالم العلوي و إمداد الطبيعة كل ذلك أسباب لوجود زهرة تظهر على وجه الأرض أين هذا من توجه سببية العقل فلهذا قلنا ما تنحصر أسبابه مع كونها منحصرة في نفس الأمر فمن النفس إلى آخر ركن في العالم و بعض المولدات ما بين النفس و آخر ركن من الأفلاك و الكواكب و الحركات في وجود عين تلك الزهرة و الورقة أثر و حكم عن أمر إلهي قد يعلمه السبب الحادث و قد لا يعلمه و هي أسباب ذاتية كلها و منها عرضية كإلقاء المدرس الدرس على الجماعة فهذا من الأسباب العرضية و هو كل ما كان للسبب فيه إرادة و ما عدا ذلك فهو ذاتي فالعلاقة التي بين الأسباب و المسببات لا تنقطع فإنها الحافظة لكون هذا سببا و هذا مسببا عنه و لما أوجد الله هذه النفس الكلية من نفس الرحمن بعد العقل كوجود الهاء بعد الهمزة أو الهمزة بعد الهاء في النفس الإنساني المخلوق على الصورة فهو في النفس الرحماني نفس كلية و في النفس الإنساني هاء و ضمير و كناية فهي تعود من حيث ما هي ضمير على من أوجدها فإنها عين الدلالة عليه فافهم فإن الدلالة لا تكون إلا في الثاني فإنه يطلب الأول و ليس الأول يطلب الثاني بحكم الدلالة و لهذا قال رسول الله ص من عرف نفسه عرف ربه و هو الثاني فإنه

موضع الدلالة و قال في الأول فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فنزهه عن الدلالة و لهذا لا يصح أن يكون علة و إليه الدلالة بقوله ص كان الله و لا شيء معه فهو غني عن الدلالة و في هذه الرتبة أوجد الله البطين من المنازل التي تنزلها الجواري و الكواكب البطيئة الحركة و أعطى الله هذه النفس قوتين قوة علمية و قوة عملية فبالقوة العلمية تظهر أعيان الصور و بالقوة العلمية تعلم المقادير و الأوزان و من الوجه الخاص يكون القضاء و القدر لهذا و لا يعرف ذلك إلا بعد وقوعه إلا من عرفه الله بذلك فحكم القضاء و القدر لا يعرف إلا مما ذكرناه بخلاف المقادير و الأوزان فإن ذلك في علم النفس و نسبة هذه النفس إلى كل صورة في العالم نسبة واحدة من غير تفاضل إلا أن الصور تقبل من ذلك بحسب استعداداتها التي هي عليا في ذاتها فيظهر التفاضل و أما هناك فلا تفاضل إلا بينها و بين العقل و لما بينت لك حصر الآيات في الكلام الإلهي الظاهرة في النفس الرحماني كالآيات في القرآن العزيز و في الكتب المنزلة و الصحف المرسلة فإن لها سورا تجمع تلك الآيات و تفصل بعضها من بعض كما جاءت سور القرآن و هي منازله المعلومة الجامعة للآيات كما الآيات جامعات للكلمات كما الكلمات جامعة للحروف كما هي الحروف ظروف المعاني فسور هذه الآيات عشر سور من غير زيادة و لا نقصان فمنها سورة الأصل و هي السورة التي تتضمن كل آية تدل على عين قائمة بنفسها في العالم الحاملة غيرها السورة الثانية سورة المحمول و هي تتضمن كل آية تدل على عين لا تقوم بنفسها بل تفتقر إلى محل و عين يظهر وجودها بذلك المحل و قد تكون تلك العين لازمة و قد تكون عرضية على قدر ما تعطيه حقيقتها و السورة الثالثة سورة الدهر و الرابعة سورة الاستواء و له أصلان الأصل الأول ظرفية العماء و الأصل الثاني ظرفية العرش فالأول ظرفية المعاني و الثاني ظرفية السور و السورة الخامسة سورة الأحوال و السورة السادسة سورة المقدار و السورة السابعة سورة النسب و السورة الثامنة سورة التوصيل و الأحكام و العبارات و الإشارات و الإيماء و ما يقع به الإفهام بين المخاطبين و هو نطق العالم و قول كل قائل و هي الأسماء الإلهية التي علم الله آدم فمنها ما كانت الملائكة تعلمه و ما اختص آدم إلا بالكل و ما عرض من المسميات إلا ما كانت الملائكة تجهله و السورة التاسعة سورة الآثار الوجودية و السورة العاشرة سورة الكائنات و هي الانفعالات الإلهية و الكونية فهذه عشر تتضمن هذه الآيات فمن علمها كشفا علم الحق و الخلق و من علمها دلالة لم يكمل في علمها كمال أصحاب الكشف و لا تقل هذا رمز بل هذا كله تصريح و إيضاح يعرفه كل عاقل إذا حقق النظر فيه أن الآيات كلها محصورة في هذه السور قديما و حديثا و النفس الكلية هي التي ظهرت عنها معرفة هذه السور لأنها كانت محل إلقاء القلم الإلهي إليها فهي أول منكوح لناكح كوني و كل ما دونها فهو من عالم التولد العقل أبوه و النفس أمه فافهم و لا تلحق بمن قال الله فيهم إنهم لفي لَبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ و هم الذين أعرضوا عن كل ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و قد قلنا في مرتبتنا في هذا

أنا في خلق جديد كل يوم في مزيد

و أنا من حيث حبي بين وجد و وجود

شاكرا شكر محب قائل هل من مزيد

فأنا واحد وقتي في وجودي و شهودي

يا رفيع الدرجات في منازل السعود

ارفع اللهم عني في معارج الصعود

كل ستر في طريقي في هبوطي و صعودي

و اجعل اللهم حظي في اسمك الله الودود

(الفصل الثالث عشر) في الاسم الإلهي الباطن و توجهه على خلق الطبيعة و ما تعطيه من أنفاس العالم و حصرها في أربع حقائق و افتراقها و اجتماعها و توجهها على إيجاد العين المهملة من الحروف و إيجاد الثريا من المنازل المقدرة اعلم أن الطبيعة في المرتبة الثالثة عندنا من وجود العقل الأول و هي معقولة الوجود غير موجودة العين فمعنى قولنا مخلوقة أي مقدرة لأن الخلق التقدير و ما يلزم من تقدير الشيء وجوده قال الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت و بعض الناس يخلق ثم لا يفري

و هو من الثلاثي لأنه قصد المدح و ليس من الرباعي فإن الرباعي لا يقال إلا في معرض الذم و الهجاء فما كل من قدر أمرا أوجده و من هذه الحقيقة الإلهية ظهر في الوجود النظري عند العلماء فرض المحال في العلوم فهو يقدر ما لا يصح وجوده و قد يقدر ما يصح وجوده و لا يوجد و كذلك قال هذا العربي و بعض الناس يعد بالخير و لا يفعله و أنت أيها الملك ما ترى مصلحة إلا و تفعلها فالخالق له معنيان المقدر و الموجد فمن خلق فقد قدر أو أوجد فقدر سبحانه مرتبة الطبيعة أنه لو كان لها وجود لكان دون النفس فهي و إن لم تكن موجودة العين فهي مشهودة للحق و لهذا ميزها و عين مرتبتها و هي للكائنات الطبيعية كالاسماء الإلهية تعلم و تعقل و تظهر آثارها و لا تجهل و لا عين لها جملة واحدة من خارج كذلك الطبيعة تعطي ما في قوتها من الصور الحسية المضافة إليها الوجودية و لا وجود لها من خارج فما أعجب مرتبتها و ما أعلى أثرها فهي ذات معقولة مجموع أربع حقائق يسمى أثر هذه الأربع في الأجسام المخلوقة الطبيعية حرارة و يبوسة و برودة و رطوبة و هذه آثار الطبيعة في الأجسام لا عينها كالحياة و العلم و الإرادة و القول في النسب الإلهية و ما في

الوجود العيني سوى ذات واحدة فالحياة تنظر إلى الحرارة و العلم ينظر إلى البرودة و الإرادة تنظر إلى اليبوسة و القول ينظر إلى الرطوبة و لهذا وصفه باللين فقال فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً فهو يقبل اللين و الخشونة و الإرادة يبوسة فإنه يقول فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ و قال وجدت برد أنامله فعلمت فلهذا جعلنا العلم للبرودة في الطبيعة و كذلك الحياة للحرارة فإن الحي الطبيعي لا بد من وجود الحرارة فيه و أما الذي تعطيه من أنفاس العالم فهو ما تقع به الحياة في الأجسام الطبيعية من نمو و حس لا غير ذلك و كل نفس غير هذا فما هو من الطبيعة بل علته أمر آخر و هي الحياة العقلية حياة العلم و هي عين النور الإلهي و النفس الرحماني ثم لتعلم أن مسمى النفس من هذه الحقيقة الوجودية لا يكون إلا إذا كانت للرحمن و ما يماثله من الأسماء الإلهية و قد تكون حقيقة لأسماء أخر تقتضي النقيض فلا تكون عند ذلك نفسا من التنفيس في حق ذلك الكائن منه فهو و إن كان حقيقة فكونه نفسا باعتبار خاص يقع به التنفيس إما في حق من ينفس الله عنه من الكائنات ما يجده من الضيق و الحرج و إما في حق من هو صفته من حيث نفوذ إرادته و أما إذا لم ينظر من هذه الجهة فهو عبارة عن حياة من وصف به من حيث حقيقته لا غير أ لا ترى النفس الحيواني يرفع وجوده فيه اسم الموت به سمي نفسا فإن الموت صفة مكروهة من حيث الألفة المعهودة إذ كان الموت مفرقا فيكون مكروها عنده فإذا نظر من يلقاه في ذلك الموت و هو الله فيكون تحفة عند ذلك و يكون اسم النفس به أحق في هذا الشهود و لما كان لها وجود أعيان الصور لهذا كان لها من الحروف العين المهملة لأن الصورة الطبيعية لا روح لها من حيث الطبيعة و إنها روح للصور الطبيعية من الروح الإلهي و كان لها وجود الثريا و هي سبع كواكب لأن الطبيعة في المرتبة الثالثة و هي أربع حقائق كما تقدم فكان من المجموع سبعة و ظهرت عنها الثريا و هي سبعة أنجم كما كان للعقل ثلاث نسب و وجوه فوجدت عنه الكثرة التي ذكرها بعض أهل النظر في سبب صدور الكثرة عن العقل الأول مع كونه واحدا فكان الشرطين ثلاثة أنجم و النفس مثل العقل في ذلك فكان البطين ثلاثة أنجم و من كون النفس ثانية كان البطين في المرتبة الثانية من الشرطين و عن هذه السبعة التي ظهرت في الطبيعة ظهرت المسبعات في العالم و هي أيضا السبعة الأيام أيام الجمعة اعتبر ذلك محمد بن سيرين رحمه الله جاءته امرأة فقالت له أريت البارحة القمر في الثريا فقال أنا قمر هذا الزمان في هذه البلدة و الثريا سبعة أنجم و بعد سبعة أقبر فإن الثريا من الثرى و هو اسم للأرض فمات إلى سبعة أيام فانظر ما أعجب هذا و بينا أنا أقيد هذه المسألة من الكلام في الطبيعة إذ غفوت فرأيت أمي و عليها ثياب بيض حسنةفحسرت عنها ذيلها إلى أن بد إلى فرجها فنظرت إليه ثم قلت لا يحل لي أن أنظر إلى فرج أمي فسترته و هي تضحك فوجدت نفسي قد كشفت في هذه المسألة وجها ينبغي أن يستر فسترته بألفاظ حسنة بعد كشفه قبل إن أرى هذه الواقعة فكانت أمي الطبيعة و الفرج ذلك الوجه الذي ينبغي ستره و الكشف إظهاره في هذا الفصل و التغطية بذلك الثوب الأبيض الحسن ستره بألفاظ و

عبارات حسنة ثم إني أيضا كما أنا في كلامي على الطبيعة في هذا الفصل أخذتني سنة فرأيت كأني على فرس عظيم و قد جئت إلى ضحضاح من الماء أرضه حجارة صغار فأردت عبوره فرأيت أمامي رجلا على فرس شهباء يعبر و إذا فيه مثل الساقية عميقة مردومة بتلك الحجارة لا يشعر بها حتى يغرق فيها و إذا بذلك الفارس قد غرق فيها فرسه و قد نشب إلى أن وصل الماء إلى كفل فرسه ثم خلص إلى الجانب الآخر فنظرت من أين أعبر فوجدت مبنيا عليه مجازا ذا أدراج من الجهتين للرجالة لا يمكن للفرس أن يصعد عليه فيصعد فيه بإدراج متقاربة جدا و أعلاه عرض شبر و ينزل من الجانب الآخر بإدراج فركضت جنب فرسي و الناس يتعجبون و يقولون ما يقدر فرس على عبوره و أنا لا أكلمهم ففهم الفرس عني ما أريده منه فصعد برفق فلما وصل إلى أعلاه و أراد الانحدار توقف و خفت عليه و على نفسي من الوقوع فنزلت من عليه و عبرت و أخذت بعنانه و ما زال من يدي فعبر الفرس و تخلصنا إلى الجانب الآخر و الناس يتعجبون فسمعت بعض الناس يقولون لو كان الايمان بالثريا لنالته رجال من فارس فقلت و لو كان العلم بالثريا لنالته العرب و الايمان تقليد فكم بين عالم و بين من يقلد عالما فقالوا صدق فالعربي له العلم و الايمان و العجم مشهود لهم بالإيمان خاصة في دين الله و رددت إلى نفسي فوجدتني في مسألة في الطبيعة تطابق هذه الرؤيا فتعجبت من هاتين الواقعتين في هذا الفصل و نظرت في كواكب المنازل من كوكب واحد كالصرفة إلى اثنين كالذراع إلى ثلاثة كالبطين إلى أربعة كالجبهة إلى خمسة كالعوا إلى ستة كالدبران إلى سبعة كالثريا إلى تسعة كالنعائم و لم أر للثمانية وجودا في نجوم المنازل فعلمت أنه لما لم تكن للثمانية صورة في نجوم المنازل لهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت و لا يعيش أو يكون معلولا لا ينتفع بنفسه فإنه شهر يغلب على الجنين فيه برد و يبس و هو طبع الموت و له من الجواري كيوان و هو بارد يابس فلذلك لم أر للثمانية وجودا في المنازل ثم علمت أن السيارة لا نزول لها و لا سكون بل هي قاطعة أبدا و قد يكون مرورها على عين كواكب المنزلة و قد يكون فوقها و تحتها على الخلاف الذي في حد المنزلة ما هو فسميت منزلة مجازا فإن الذي يحل فيها لا استقرار له و إنه سابح كما كان قبل وصوله إليها في سباحته فراعى المسمى ما يراه البصر من ذلك فإنه لا يدرك الحركة ببصره إلا بعد المفارقة فبذلك القدر يسميها منزلة لأنه حظ البصر فغلبه و اعلم أن الطبيعة هذا حكمها في الصور لا يمكن أن تثبت على حالة واحدة فلا سكون عندها و لهذا الاعتدال في الأجسام الطبيعية العنصرية لا يوجد فهو معقول لا موجود و لو كانت الطبيعة تقبل الميزان على السواء لما صح عنها وجود شيء و لا ظهرت عنها صورة ثم نشأة الصور الطبيعية دون العنصرية إذا ظهرت أيضا لا تظهر و الطبيعة معتدلة أبدا بل لا بد من ظهور بعض حقائقها على بعض لأجل الإيجاد و لو لا ذلك ما تحرك فلك و لا سبح ملك و لا وصفت الجنة بأكل و شرب و ظهور في صور مختلفة و لا تغيرت الأنفاس في العالم جملة واحدة و أصل ذلك في العلم الإلهي كونه تعالى كُلَّ

يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و اليوم الزمن الفرد و الشأن ما يحدث الله فيه فمن أين يصح أن تكون الطبيعة معتدلة الحكم في الأشياء و ليس لها مستند في الإلهيات فهذا قد أبنت لك وجود الطبيعة انتهى الجزء الحادي و العشرون و مائة (الفصل الرابع عشر في الاسم الإلهي) الآخر و توجهه على خلق الجوهر الهبائي الذي ظهرت فيه صور الأجسام و ما يشبه هذا الجوهر في عالم المركبات و توجهه على إيجاد حرف الحاء المهملة من الحروف و إيجاد الدبران من المنازل اعلم أن هذا الجوهر مثل الطبيعة لا عين له في الوجود و إنما تظهره الصورة فهو معقول غير موجود الوجود العيني و هو في المرتبة الرابعة من مراتب الوجود كما هو الحاء المهملة في المرتبة الرابعة من مخارج الحروف في النفس الإنساني غير أن الحرف له صورة لفظية في القول محسوسة للسمع و ليس لهذا الجوهر الهبائي مثل هذا الوجود و هذا الاسم الذي اختص به منقول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أما نحن فنسميه العنقاء فإنه يسمع بذكره و يعقل و لا وجود له في العين و لا يعرف على الحقيقة إلا بالأمثلة المضروبة كما أن كون الحق نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لم يعرف بحقيقته و إنما عرفنا الحق به بضرب المثل فقال مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ الآية فذكر الأمور التي تنبغي للمصباح المشبه به نور السموات و الأرض و هو الذي أنارت به العقول العلوية و هو قوله السموات و الصور الطبيعية و هو قوله و الأرض كذلك هذا المعقول الهبائي لا يعرف إلا بالمثل المضروب و هو كل أمر يقبل بذاته الصور المختلفة التي تليق به و هو في كل صورة بحقيقته و تسميه الحكماء الهيولى و هي مسألة مختلف فيها عندهم و لسنا ممن يحكى أقوالهم في أمر و لا أقوال غيرهم و إنما نورد في كتابنا و جميع كتبنا ما يعطيه الكشف و يمليه الحق هذا طريقة القوم كما سئل الجنيد عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهم عنه فقيل له أعد الجواب فإنا ما فهمنا فقال جوابا آخر فقيل له و هذا أغمض علينا من الأول فأمله علينا حتى ننظر فيه و نعلمه فقال إن كنت أجريه فأنا أمليه أشار إلى أنه لا تعمل له فيه و إنما هو بحسب ما يلقى إليه مما يقتضيه وقته و يختلف الإلقاء باختلاف الأوقات و من علم الاتساع الإلهي علم أنه لا يتكرر شيء في الوجود و إنما وجود الأمثال في الصور يتخيل أنها أعيان ما مضى و هي أمثالها لا أعيانها و مثل الشيء ما هو عينه و اعلم أن هذا المعقول الرابع من وجود العقل فيه تظهر العين التي تقبل حكم الطبيعة و هو الجسم الكل الذي يقبل اللطيف و الكثيف و الكدر و الشفاف و هو الذي يأتي ذكره في الفصل الثاني بعد هذا و هذا المعقول إنما قيدنا مرتبته بأنها الرابعة من حيث نظرنا إلى قبوله صورة الجسم خاصة و إنما بالنظر إلى حقيقته فليست هذه مرتبته و لا ذلك الاسم اسمه و إنما اسمه الذي يليق به الحقيقة الكلية التي هي روح كل حق و متى خلى عنها حق فليس حقا و لهذا قال ع لكل حق حقيقة فجاء باللفظ الذي يقتضي الإحاطة إذا تعرى عن القرائن المقيدة و هو لفظة كل كمفهوم العلم و الحياة و الإرادة فهي معقولة واحدة في الحقيقة فإذا نسب إليها أمر خاص لنسبة خاصة حدث لها اسم ثم إنه إذا نسب ذلك الأمر الخاص إلى ذات معلومة الوجود و

إن لم يعلم حقيقتها فنسب إليها ذلك الأمر الخاص بحسب ما تقتضيه تلك الذات المعينة فإن اتصفت تلك الذات بالقدم اتصف هذا الأمر بالقدم و إن اتصفت بالحدوث اتصف هذا الأمر بالحدوث و الأمر في نفسه لا يتصف بالوجود إذ لا عين له و لا بالعدم لأنه معقول و لا بالحدوث لأن القديم لا يقبل الاتصاف به و القديم لا يصح أن يكون محلا للحوادث و لا يوصف بالقدم لأن الحادث يقبل الاتصاف به و الحادث لا يوصف بالقديم و لا يصح أن يكون القديم حالا في المحدث فهو لا قديم و لا حادث فإذا اتصف به الحادث سمي حادثا و إذا اتصف به القديم سمي قديما و هو قديم في القديم حقيقة و حادث في المحدث حقيقة لأنه بذاته يقابل كل متصف به كالعلم يتصف به الحق و الخلق فيقال في علم الحق إنه قديم فإن الموصوف به قديم فعلمه بالمعلومات قديم لا أول له و يقال في علم الخلق إنه محدث فإن الموصوف به لم يكن ثم كان فصفته مثله إذ ما ظهر حكمها فيه إلا بعد وجود عينه فهو حادث مثله و العلم في نفسه لا يتغير عن حقيقته بالنسبة إلى نفسه و هو في كل ذات بحقيقته و عينه و ما له عين وجودية سوى عين الموصوف فهو على أصله معقول لا موجود و مثاله في الحس البياض في كل أبيض و السواد في كل أسود هذا في الألوان و كذلك في الأشكال التربيع في كل مربع و الاستدارة في كل مستدير و التثمين في كل مثمن و الشكل بذاته في كل متشكل و هو على حقيقته من المعقولية و الذي وقع عليه الحس إنما هو المتشكل لا الشكل و الشكل معقول إذ لو كان المتشكل عين الشكل لم يظهر في متشكل مثله و معلوم أن هذا المتشكل ليس هو المتشكل الآخر فهذا مثل مضروب للحقائق الكلية التي اتصف الحق و الخلق بها فهي للحق أسماء و هي للخلق أكوان فكذلك هذا المعقول الرابع لصور الطبيعة يقبل الصور بجوهره و هو على أصله في المعقولية و المدرك الصورة لا غيرها و لا تقوم الصورة إلا في هذا المعقول فما من موجود إلا و هو معقول بالنظر إلى ما ظهرت فيه صورته موجود بالنظر إلى صورته ألا ترى الحق تعالى ما تسمى باسم و لا وصف نفسه بصفة ثبوتية إلا و الخلق يتصف بها و ينسب إلى كل موصوف بحسب ما تعطيه حقيقة الموصوف و إنما تقدمت في الحق لتقدم الحق بالوجود و تأخرت في الخلق لتاخر الخلق في الوجود فيقال في الحق إنه ذات يوصف بأنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير و يقال في الإنسان المخلوق إنه حي عالم قادر متكلم سميع بصير بلا خلاف من أحد و العلم في الحقيقة و الكلام و جميع الصفات على حقيقة واحدة في العقل ثم لا ينكر الخلاف بينهم في الحكم فإن أثر القدرة يخالف أثر غيرها من الصفات و هكذا كل صفة و العين واحدة ثم حقيقة الصفة الواحدة واحدة من حيث ذاتها ثم يختلف حدها بالنسبة إلى اختصاص الحق بها و إلى اتصاف الخلق بها و هذه الحقيقة لا تزال معقولة أبدا لا يقدر العقل على إنكارها و لا يزال حكمها موجودا ظاهرا في كل موجود

فكل موجود لها صورة فيه و لا صورة في ذاتها

فحكمها ليس سوى ذاتها و ذلك الحكم من آياتها

تجتمع الأضداد في وصفها فنفيها في عين إثباتها

فالمعنى القابل لصورة الجسم هو المذكور المطلوب في هذا الفصل و هو المهيا له و الجسم القابل للشكل هو هباء لأنه الذي يقبل الأشكال لذاته فيظهر فيه كل شكل و ليس في الشكل منه شيء و ما هو عين الشكل و الأركان هباء للمولدات و هذا هو الهباء الطبيعي و الحديد و أمثاله هباء لكل ما تصور منه من سكين و سيف و سنان و قدوم و مفتاح و كلها صور أشكال و مثل هذا يسمى الهباء الصناعي فهذه أربعة عند العقلاء و الأصل هو الكل و هو الذي وضعنا له هذا الفضل و زدنا نحن حقيقة الحقائق و هي التي ذكرناها في هذا الفصل التي تعم الخلق و الحق و ما ذكرها أحد من أرباب النظر إلا أهل الله غير أن المعتزلة تنبهت على قريب من ذلك فقالت إن الله قائل بالقائلية و عالم بالعالمية و قادر بالقادرية لما هربت من إثبات صفة زائدة على ذات الحق تنزيها للحق فنزعت هذا المنزع فقاربت الأمر و هذا كله أعني ما يختص بهذا الفصل من حكم الاسم الآخر الظاهر التي هي كلمة النفس الرحماني و هو الذي توجه على الدبران من المنازل و كواكبه ستة و هو أول عدد كامل فهو أصل كل عدد كامل فكل مسدس في العالم فله نصيب من هذه الكمالية و عليه أقامت النحل بيتها حتى لا يدخله خلاء و من أهل الله من يراه أفضل الأشكال فإنه قارب الاستدارة مع ظهور الزوايا و جعله أفضل لأن الشكل المسدس كبيوت النحل لا يقبل الخلل مع الكثرة فيظهر الخلو و المستدير ليس كذلك و إن أشبهه غيره في عدم قبول الخلل كالمربع فإنه يبعد عن المستدير و الاستدارة أول الأشكال التي قبل الجسم و جعل بعضها في جوف بعض لأن الخلأ مستدير و لو لم يكن كذلك ما استدار الجسم لأنه ما ملأ إلا الخلأ فلا يقبل استدارة أخرى من خارج فإنه ما ثم خلاء غير ما عمره الجسم فلو عمر بعض الخلأ لم يقبل سوى الشكل المسدس و إنما وصف بالكمال لأنه يظهر عن نصفه و ثلثه و سدسه فيقوم من عين أجزائه (الفصل الخامس عشر) من النفس الرحماني في الاسم الإلهي الظاهر و توجهه على إيجاد الجسم الكل و من الحروف على حرف الغين المعجمة و من المنازل على رأس الجوزاء و هي الهقعة و تسمى الميسان اعلم أن الله تعالى لما جعل في النفس القوة العملية أظهر الله بها صورة الجسم الكل في جوهر الهباء فعمر به الخلأ و الخلأ امتداد متوهم في غير جسم و لما رأينا هذا الجسم الكل لم يقبل من الأشكال إلا الاستدارة علمنا أن الخلأ مستدير إذ كان هذا الجسم عمر الخلأ فالخارج عن الجسم لا يتصف بخلاء و لا ملا ثم إن الله فتح في هذا الجسم صور العالم و جعل هذا الجسم لما أوجده مستديرا لما عمر به جميع الخلأ كانت حركته في خلائه فما هي حركة انتقال عنه و إنما حركته فيه بكله كحركة الرحى تنظر في حركتها بجميعها فتجدها لم تنتقل عن موضعها و تنظر إلى حركة كل جزء منها فتجده منتقلا

عن حيزه إلى حيز آخر بحركة الكل و هكذا كل حركة مستديرة فهي متحركة ساكنة لأنها ما أخلت حيزها بالانتقال من حيث جملتها و لا سكنت فتتصف بالسكون و هذا لا يكون إلا في المستدير و أما غير المستدير فلا يسمى لشكله فلكا أي مستديرا و هذا هو أول الصور الطبيعية فأظهرت الطبيعة فيه حكمها فقبل الحرارة و الرطوبة و البرودة و اليبوسة بحكم التجاوز في النقيضين خاصة فتحرك بغلبة الحرارة عليه فإن الاعتدال لا يظهر عنه شيء أصلا و لهذا وصف الحق نفسه بالرضا و الغضب و الرحمة و الانتقام و الحلم و القهر فالاعتدال لا يصح معه وجود و لا تكوين ألا ترى أنه لو لا التوجه الإلهي على إيجاد كون ما ما وجد و لو لا ما قال له كن ما تكون فلما كانت كمية الحرارة أكثر من غيرها في الجسم أعطته الحركة و ما ثم خلاء إلا ما عمره هذا الجسم و لا بد له من الحركة فتحرك في مكانه و هي حركة الوسط لأنه ليس خارجه خلاء فيتحرك إليه و الحركة تطلبها الحرارة و هي حركة في الجميع من انتقال و أظهر الله صور العالم كله في هذا الجسم على استعدادات مختلفة في كل صورة و إن جمعها جسم واحد و حاكم واحد فقبلت الصور الأرواح من النفس الرحماني كما قبلت الحروف المعاني عند خروجها لتدل على المعنى الذي خرجت له و ظهر حكم الزمان بالحركة فظهرت الصور بالترتيب فقبلت التقدم و التأخر الزماني و ظهر حكم الأسماء الإلهية بوجود هذه الصور و ما تحمله و قد ذكرنا في عقلة المستوفز ترتيب وجود العالم كيف كان و لله كما ذكرنا فيه وجه خاص و في كل ما وجد فيه و عن ذلك الوجه الخاص وجد و لا يعرف السبب قط ذلك الوجه الخاص الذي لمسببه المنفعل عنه و لا عقل و لا نفس إلا الله خاصة و هو رقيقة الجود فتحرك بالوجود الإلهي لا بفعل النفس و هي حركة النفس الرحماني لإيجاد الكلمات فسوى العرش و وحد فيه الكلمة الرحمانية ثم أوجد صورة الكرسي و انقسمت فيه الكلمة و تدلت إليه القدمان و لهذا التدلي انقسمت الكلمة فله الخلق و الأمر و كان انقسامها إلى حكم و خبر ثم أدار الفلك الأطلس بتوجه خاص لحكمة أخفاها عمن شاء و أظهرها و قسمه على اثني عشر مقدارا فعمت المقادير و جعلها بروجا لأرواح ملكية على طبائع مختلفة سمي كل برج باسم ذلك الملك الذي جعل ذلك المقدار برجاله يسكنه كالأبراج الدائرة بسور البلد و كمراتب الولاة في الملك و هي البروج المعلومة عند أهل التعاليم و لكل برج ثلاث وجوه فإن العقل الأول له ثلاث وجوه و إن كان واحدا و ما من حقيقة تكون في الأول إلا و لا بد أن يتضمنها الثاني و يزيد بحكم لا يكون للأول إذا كان المتقدم غير الله و أما الله فهو مع كل شيء فلا يتقدمه شيء و لا يتأخر عنه شيء و ليس هذا الحكم لغير الله و لهذا له إلى كل موجود وجه خاص لأنه سبب كل موجود و كل موجود واحد لا يصح أن يكون اثنين و هو واحد فما صدر عنه إلا واحد فإنه في أحدية كل واحد و إن وجدت الكثرة فبالنظر إلى أحدية الزمان الذي هو الظرف فإن وجود الحق في هذه الكثرة في أحدية كل واحد فما ظهر منه إلا واحد فهذا معنى لا يصدر عن الواحد إلا واحد و لو

صدر عنه جميع العالم لم يصدر عنه إلا واحد فهو مع كل واحد من حيث أحديته و هذا لا يدركه إلا أهل الله و تقوله الحكماء على غير هذا الوجه و هو مما أخطأت فيه و جعل الله لكل وال ساكن في هذا البرج أحكاما معلومة عن دورات محصورة ليس هذا الفصل موضع حصرها و لا تعيينها ثم فتح الله صورة الفلك المكوكب و بعده الأرض و الماء و الهواء و النار عن حركة فلك البروج و شعاعات كواكب الفلك المكوكب ثم علا الدخان من نار الأركان لما كانت نارا مركبة فأظهر في ذلك الدخان صور السموات أفلاكا مستديرة و جعل في كل فلك كوكبا كما سيأتي ذكر ذلك كله إن شاء الله تعالى و عن هذا الاسم الإلهي أوجد في النفس الإنساني الغين المعجمة و منزلة الهقعة (الفصل السادس عشر) في الاسم الإلهي الحكيم و توجهه على إيجاد الشكل و حرف الخاء المعجمة و منزله النحية من المنازل و تسمى الهنعة الشكل القيد و به سمي ما تقيد به الدابة في رجلها شكالا و المتشكل هو المقيد بالشكل الذي ظهر به يقول الله كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ أي ما يعمل إلا ما يشاكله و إلى هذا يرجع معناه يقول ذلك الذي ظهر منه يدل على أنه في نفسه عليه و العالم كله عمل الله فعمله على شاكلته فما في العالم شيء لا يكون في الله و العالم محصور في عشر لكمال صورته إذ كان موجودا على صورة موجدة فجوهر العالم لذات الموجد و عرض العالم لصفاته و زمانه لأزله و مكانه لاستوائه و كمه لأسمائه و كيفه لرضاه و غضبه و وضعه لكلامه و إضافته لربوبيته و أن يفعل لإيجاده و أن ينفعل لإجابته من سأله فعمل العالم على شاكلته فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا و إنه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فالعالم على صراط مستقيم اعوجاج القوس استقامته فلا تحجب ألا ترى الخلأ حكم على الجسم بالاستدارة فأظهره فلكا مستديرا فتلك شاكلته فحكمت عليه شاكلة الموطن جبريل ظهر في صورة دحية فجهل فقيل فيه إنسان و هو ملك و علم من علمه ملكا و الصورة إنسان فلم يؤثر علم الملكية منه في صورة إنسانيته و لم يؤثر الجهل بها فيها فالأشكال مقيدة أبدا هذا ما أعطاه الاسم الحكيم مرتب الأمور مراتبها و منزل الأشياء مقاديرها و ظهر من النفس الإنساني في المخارج حرف الخاء المعجمة و من المنازل النحية و ما من شيء ظهر في تفاصيل العالم إلا و في الحضرة الإلهية صورة تشاكل ما ظهر أي يتقيد بها و لولا هي ما ظهر ألا ترى الفلك الأطلس كيف ظهر من الحيرة في الحق لأن المقادير فيه لا تتعين للتماثل في الأجزاء كالاسماء و الصفات للحق لا تتعدد فالحيرة ما ظهرت إلا في الفلك الأطلس حيث قيل إن فيه بروجا و لا تتعين فوضع على شكل الحيرة و وضع الفلك المكوكب بالمنازل على شكل الدلالات على ما وقعت فيه الحيرة فاستدل بالمنازل على ما في الأطلس من البروج فهو على شكل الدلالة و جعل تنوع الأحكام بنزول السيارة في المنازل و البروج بمنزلة الصور الإلهية التي يظهر فيها الحق فبما للاطلس فيها من الحكم تجهل و يقال ليس لله صورة بالدلالة العقلية و بما للمنازل فيها من الدلالات تعلم و يقال هذا هو الحق فانظر حكم الإشكال ما فعل و منه الإشكال في المسائل فإنه يعطي

الحيرة في المعلوم و شكل الشيء شبهه و الشكل يألف شكله الشكل يألف شكله و الضد يجهل ضده و الدنيا للامتزاج و الآخرة للتخليص فهي على شكل القبضتين (الفصل السابع عشر) في الاسم المحيط و توجهه على إيجاد العرش و العرش الممجدة و المعظمة و المكرمة و حرف القاف و من المنازل الذراع اعلم أن العرش أحاط بالعالم لاستدارته بما أحاط به من العالم و كل ما أحاط به فيه الاستدارة ظاهرة حتى في المولدات و انظر في تشبيه النبي ص في الكرسي أنه في جوف العرش كحلقة في فلاة من الأرض فشبهه بشكل مستدير و هو الحلقة و الأرض و كذلك شبه السموات في الكرسي كحلقة و الأركان الكرية في جوف الفلك الأدنى كذلك ثم ما تولد عنها لا يكون أبدا في صورته إلا مستديرا أو مائلا إلى الاستدارة معدنا كان أو نباتا أو حيوانا و ذلك لأن الحركة دورية فلا تعطي إلا ما يشاكلها فالعرش أعظم الأجسام من حيث الإحاطة فهو العرش العظيم جرما و قدرا و بحركته أعطى ما في قوته لمن هو تحت إحاطته و قبضته فهو العرش الكريم لذلك و بنزاهته أن يحيط به غيره من الأجسام كان له الشرف فهو العرش المجيد ثم إنه ما استوى عليه الاسم الرحمن إلا من أجل النفس الرحماني و ذلك أن المحاط به في ضيق من علمه بأنه محاط به من حيث صورته فأعطاه النفس الرحماني روحا من أمره فكان مجموع كل موجود في العالم صورته و روحه المدبر له و جعل روحه لا داخلا في الصورة و لا خارجا عنها لأنه غير متحيز فانتفى المشروط و الشرط فإن النفس الذي صدرت عنه الأرواح لا داخل في العالم و لا خارج عنه فإذا نظر الموجود في كونه محاطا به ضاق صدره من حيث صورته و إذا نظر في نفسه من حيث روحانيته نفس الله عنه ذلك الضيق بروحه لما علم أنه لا توصف ذاته بأنه محاط به إحاطة العرش بالصور فزال عنه و أورثه ذلك الابتهاج و السرور و الفرح بذاته من حيث روحه فلهذا كان الاستواء بالاسم الرحمن و إحاطة هذا العرش من الإحاطة الإلهية بالعلم في قوله أحاط بكل شيء علما فهو من ورائهم محيط و ليس وراء الله مرمى لرام و وراء العالم الله فهو المنتهى و ما له انتهاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم فالكلمة في العرش من النفس الرحماني واحدة و هو الأمر الإلهي لإيجاد الكائنات فالنفس سار إلى منتهى الخلأ فبه حيي كل شيء فإن العرش على الماء فقبل الحياة بذاته فخلق الله تعالى منه كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ بما يرونه من حياة الأرض بالمطر و حياة الأشجار بالسقي حتى الهواء إن لم يكن فيه مائية و إلا أحرق و اعلم أن هذا العرش قد جعل الله له قوائم نورانية لا أدري كم هي لكني أشهدتها و نورها يشبه نور البرق و مع هذا فرأيت له ظلا فيه من الراحة ما لا يقدر قدرها و ذلك الظل ظل مقعر هذا العرش يحجب نور المستوي الذي هو الرحمن و رأيت الكنز الذي تحت العرش الذي خرجت منه لفظة لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فإذا الكنز آدم صلوات الله عليه و رأيت تحته كنوزا كثيرة أعرفها و رأيت طيورا حسنة تطير في زواياه فرأيت فيها طائرا من أحسن الطيور فسلم علي فالقى لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد

الشرق و كنت بمدينة مراكش حين كشف لي عن هذا كله فقلت و من هو قيل لي محمد الحصار بمدينة فاس سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق فخذه معك فقلت السمع و الطاعة فقلت له و هو عين ذلك الطائر تكون صحبتي إن شاء الله فلما جئت إلى مدينة فاس سألت عنه فجاءني فقلت له هل سألت الله في حاجة فقال نعم سألته أن يحملني إلى بلاد الشرق فقيل لي إن فلانا يحملك و أنا أنتظرك من ذلك الزمان فأخذته صحبتي سنة سبع و تسعين و خمسمائة و أوصلته إلى الديار المصرية و مات بها رحمه الله فإن قلت و الملائكة الحافون من حول العرش ما بقي لهم خلاء يتصرفون فيه و العرش قد عمر الخلأ قلنا لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش و بين الاستواء على العرش فإنه من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال و الانفصال ثم إن الملائكة الحافين من حول العرش فما هو هذا الجسم الذي عمر الخلأ و إنما هو ذلك العرش الذي يأتي الله به للفصل و القضاء يوم القيامة و هذا العرش الذي استوى عليه هو عرش الاسم الرحمن أ ما سمعته يقول وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ من حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ عند الفراغ من القضاء فذلك يوم القيامة تحمله الثمانية الأملاك و ذلك بأرض الحشر و نسبة العرش إلى تلك الأرض نسبة الجنة إلى عرض الحائط في قبلة رسول الله ص و هو في صلاة الكسوف و هذا من مسائل ذي النون المصري في إيراد الواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع و من عرف المواطن هان عليه سماع مثل هذا (الفصل الثامن عشر) في الاسم إلهي الشكور و توجهه على إيجاد الكرسي و القدمين و من الحروف حرف الكاف و من المنازل النثرة قال تعالى وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قال بعض أهل المعاني يريد العلم و نقلوه لغة إلا أنه في هذه الآية ليس إلا جسم محسوس هو في العرش كحلقة ملقاة في فلاة إلا أنه كالعرش لا حركة فيه و من هذا الكرسي تنقسم الكلمة الإلهية إلى حكم و خبر و هو للقدمين الواردين في الخبر كالعرش لاستواء الرحمن و له ملائكة قائمون به لا يعرفون إلا الرب تعالى فإن ظرفية العماء للرب و العرش للرحمن و الكرسي لضمير الكناية عن الله تعالى و هذه الثلاثة الأسماء هي أمهات الأسماء و إذا تتبعت القرآن العزيز وجدت هذه الأسماء الثلاثة الله و الرب و الرحمن دائرة فيه و له ما بين سماء و سماء كرسي سوى هذا الكرسي الأعظم و سمي منسوبا أي لا يعقل إلا هكذا بخلاف غيره من الموجودات و من هنا كان للرب الذي لا يعقل إلا مضافا و غيره الذي هو الاسم الله و الرحمن قد ورد غير مضاف إلا الرب فلا يرد حيث ورد إلا مضافا فإنه يطلب المربوب بذاته ربنا رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ رَبُّ السَّماواتِ رَبُّ الْمَشْرِقِ فأثرت هذه الحقيقة في المرتبة المكانية الذي هو الكرسي فورد منسوبا و النسبة إضافة و جاء في الدرجة الثالثة و هي أول الأفراد و لما كان الرب الثابت فكذلك الكرسي حكم عليه الاسم الإلهي بالثبوت فالثبوت أيضا الموصوف به العرش يؤذن بأن الاسم الرحمن ثابت الحكم في كل ما يحوي عليه و هو قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فمال الكل إلى الرحمة و إن تخلل الأمر

آلام و عذاب و علل و أمراض مع حكم الاسم الرحمن فإنما هي أعراض عرضت في الأكوان دنيا و آخرة من أجل أن الرحمن له الأسماء الحسنى و من الأسماء الضار و المذل و المميت فلهذا ظهر في العالم ما لا تقتضيه الرحمة و لكن لعوارض و في طي تلك العوارض رحمة و لو لم يكن إلا تضاعف النعيم و الراحة عقيب زوال حكمه و لهذا قيل أحلى من الأمن عند الخائف الوجل فما تعرف لذات النعم إلا بأضدادها فوضعت لاقتناء العلوم التي فيها شرف الإنسان فكانت كالطريق الموصلة أو الدليل الموصل إلى مدلوله ذوقا و حصول العلم بالأذواق أتم منه بطريق الخبر أ لا ترى الحق وصف نفسه على ألسنة رسله بالغضب و الرضاء و من هاتين الحقيقتين ظهر في العالم اكتساب العلوم من الأذواق الظاهرة كالطعوم و أشباهها و الباطنة كالآلام من الهموم و الغموم مع سلامة الأعضاء الظاهرة من كل سبب يؤدي إلى ألم فانظر ما أعجب هذا فثبت العرش لثبوت الرحمة السارية التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فلها الإحاطة و هي عين النفس الرحماني فبه ينفس الله كل كرب في خلقه فإن الضيق الذي يطرأ أو يجده العالم كونه أصلهم في القبضة و كل مقبوض عليه محصور و كل محصور محجور عليه و الإنسان لما وجد على الصورة لم يحتمل التحجير فنفس الله عنه بهذا النفس الرحماني ما يجده من ذلك كما كان تنفسه من حكم الحب الذي وصف به نفسه في قوله أحببت أن أعرف فأظهره في النفس الرحماني فكان ذلك التنفس الإلهي عين وجود العالم فعرفه العالم كما أراد فعين العالم عين الرحمة لا غيرها فاشحذ فؤادك فما يكون العالم رحمة للحق و يكون الحق يسرمد عليه الألم أ لله أكرم و أجل من ذلك فانظر ما أعجب ما أعطاه مقام الكرسي من انقسام الكلمة الإلهية فظهر الحق و الخلق و لم يكن يتميز لو لا الكرسي الذي هو موضع القدمين الواردتين في الخبر و عن هذا الاسم وجد في النفس الإنساني حرف الكاف و في فلك المنازل منزلة النثرة لما وجد فلكها (الفصل التاسع عشر) في الاسم الغني و توجهه على إيجاد الفلك الأطلس و هو فلك البروج و استعانته بالاسم الدهر و إيجاد حرف الجيم من الحروف و الطرف من المنازل اعلم أن هذا الاسم جعل هذا الفلك أطلس لا كوكب فيه متماثل الأجزاء مستدير الشكل لا تعرف لحركته بداية و لا نهاية و ما له طرف بوجوده حدثت الأيام السبعة و الشهور و السنون و لكن ما تعينت هذه الأزمنة فيه إلا بعد ما خلق الله في جوفه من العلامات التي ميزت هذه الأزمنة و ما عين منها هذا الفلك سوى يوم واحد و هي دورة واحدة عينها مكان القدم من الكرسي فتعينت من أعلى فذلك القدر يسمى يوما و ما عرف هذا اليوم إلا الله تعالى لتماثل أجزاء هذا الفلك و أول ابتداء حركته و كان ابتداء حركته و أول درجة من برج الجوزاء يقابل هذا القدم و هو من البروج الهوائية فأول يوم في العالم ظهر كان بأول درجة من الجوزاء و يسمى ذلك اليوم الأحد فلما انتهى ذلك الجزء المعين عند الله من هذا الفلك إلى مقارنة ذلك القدم من الكرسي انقضت دورة واحدة هي المجموع قابلت أجزاء هذا الفلك كلها من الكرسي موضع القدم منه فعمت تلك الحركة كل درجة و

دقيقة و ثانية و ما فوق ذلك في هذا الفلك فظهرت الأحياز و ثبت وجود الجوهر الفرد المتحيز الذي لا يقبل القسمة من حركة هذا الفلك ثم ابتدأ عند هذه النهاية بانتقال آخر في الوسط أيضا إلى أن بلغ الغاية مثل الحركة الأولى بجميع ما فيه من الأجزاء الأفراد التي تألف منها لأنه ذو كميات و تسمى هذه الحركة الثانية يوم الإثنين إلى أن كمل سبع حركات دورية كل حركة عينتها صفة إلهية و الصفات سبع لا تزيد على ذلك فلم يتمكن أن يزيد الدهر على سبعة أيام يوما فإنه ما ثم ما يوجبه فعاد الحكم إلى الصفة الأولى فأدارته و مشى عليه اسم الأحد و كان الأولى بالنظر إلى الدورات أن تكون ثامنة لكن لما كان وجودها عن الصفة الأولى عينها لم يتغير عليها اسمها و هكذا الدورة التي تليها إلى سبع دورات ثم يبتدئ الحكم كما كان أول مرة عن تلك الصفة و يتبعها ذلك الاسم أبد الآبدين دنيا و آخرة بحكم العزيز العليم فيوم الأحد عن صفة السمع فلهذا ما في العالم إلا من يسمع الأمر الإلهي في حال عدمه بقوله كُنْ و يوم الإثنين وجدت حركته عن صفة الحياة و به كانت الحياة في العالم فما في العالم جزء إلا و هو حي و يوم الثلاثاء وجدت حركته عن صفة البصر فما في العالم جزء إلا و هو يشاهد خالقه من حيث عينه لا من حيث عين خالقه و يوم الأربعاء وجدت حركته عن صفة الإرادة فما في العالم جزء إلا و هو يقصد تعظيم موجدة و يوم الخميس وجدت حركته عن صفة القدرة فما في الوجود جزء إلا و هو متمكن من الثناء على موجدة و يوم الجمعة وجدت حركته عن صفة العلم فما في العالم جزء إلا و هو يعلم موجدة من حيث ذاته لا من حيث ذات موجدة و قيل إنما وجد عن صفة العلم يوم الأربعاء و هو صحيح فإنه أراد علم العين و هو علم المشاهدة و الذي أردناه نحن إنما هو العلم الإلهي مطلقا لا العلم المستفاد و هذا القول الذي حكيناه أنه قيل ما قاله لي أحد من البشر بل قاله لي روح من الأرواح فأجبته بهذا الجواب فتوقف فالقى عليه أن الأمر كما ذكرناه و يوم السبت وجدت حركته عن صفة الكلام فما في الوجود جزء إلا و هو يسبح بحمد خالقه و لكن لا نفقة تسبيحه إن اللّٰه كانَ حَلِيماً غَفُوراً فما في العالم جزء إلا و هو ناطق بتسبيح خالقه عالم بما يسبح به مما ينبغي لجلاله قادر على ذلك قاصد له على التعيين لا لسبب آخر فمن وجد عن سبب مشاهدة عظمة موجدة حي القلب سميع لأمره فتعينت الأيام أن تكون سبعة لهذه الصفات و أحكامها فظهر العالم حيا سميعا بصيرا عالما مريدا قادرا متكلما فعمله على شاكلته كما قال تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ و العالم عمله فظهر بصفات الحق فإن قلت فيه إنه حق صدقت فإن اللّٰه قال وَلكِنَّ اللّٰه رَمى و إن قلت فيه إنه خلق صدقت فإنه قال إِذْ رَمَيْتَ فعرى و كسى و أثبت و نفى فهو لا هو و هو المجهول المعلوم وَلِلّٰهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و للعالم الظهور بها في التخلق فلا يزاد في الأيام السبعة و لا ينقص منها و ليس يعرف هذه الأيام كما بيناها إلا العالم الذي فوق الفلك الأطلس لأنهم شاهدوا التوجهات الإلهيات من هناك على إيجاد هذه الأدوار و ميزوا بين التوجهات فانحصرت لهم في سبعة ثم عاد الحكم فعلموا النهاية في ذلك و أما من

تحت هذا الفلك فما علموا ذلك إلا بالجواري السبعة و لا علموا تعيين اليوم إلا بفلك الشمس حيث قسمته الشمس إلى ليل و نها ر فعين الليل و النها ر اليوم ثم إن الله تعالى جعل في هذا الفلك الأطلس حكم التقسيم الذي ظهر في الكرسي لما انقسمت الكلمة فيه بتدلي القدمين إليه و هما خبر و حكم و الحكم خمسة أقسام وجوب و حظر و إباحة و ندب و كراهة و الخبر قسم واحد و هو ما لم يدخل تحت حكم واحد من هذه الأحكام فإذا ضربت اثنين في ستة كان المجموع اثني عشر ستة إلهية و ستة كونية لأنها على الصورة فانقسم هذا الفلك الأطلس على اثني عشر قسما عينها ما ذكرناه من انقسام الكلمة في الكرسي و أعطى لكل قسم حكما في العالم متناهيا إلى غاية ثم تدور كما دارت الأيام سواء إلى غير نهاية فأعطى قسما منها اثنتي عشر ألف سنة و هو قسم الحمل كل سنة ثلاثمائة و ستون دورة مضروبة في اثني عشر ألفا فما اجتمع من ذلك فهو حكم هذا القسم في العالم بتقدير العزيز العليم الذي أوحى الله فيه من الأمر الإلهي الكائن في العالم ثم تمشي على كل قسم بإسقاط ألف حتى تنتهي إلى آخر قسم و هو الحوت و هو الذي يلي الحمل و العمل في كل قسم بالحساب كالعمل الذي ذكرناه في الحمل فما اجتمع من ذلك فهو الغاية ثم يعود الدور كما بدأكما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فالمتحرك ثابت العين و المتجدد إنما هي الحركة فالحركة لا تعود عينها أبدا لكن مثلها و العين لا تنعدم أبدا فإن الله قد حكم بإبقائها فإنه أحب أن يعرف فلا بد من إبقاء أعين العارفين و هم أجزاء العالم و هذا الفلك هو سقف الجنة و عن حركته يتكون في الجنة ما يتكون و هو لا ينخزم نظمه فالجنة لا تفني لذاتها أبدا و لا يتخلل نعيمها ألم و لا تنغيص و إن كانت طبائع أقسام هذا الفلك مختلفة فما اختلفت إلا لكون الطبيعة فوقه فحكمت عليه بما تعطيه من حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة إلا أنه لما كان مركبا و لم يكن بسيطا لم يظهر فيه حكم الطبيعة إلا بالتركيب فتركب الناري من هذه الأقسام من حرارة و يبوسة و تركب الترابي منها من برودة و يبوسة و تركب الهوائي منها من حرارة و رطوبة و تركب المائي منها من برودة و رطوبة فظهرت على أربع مراتب لأن الطبيعة لا تقبل منها إلا أربعة تركيبات لكونها متضادة و غير متضادة على السواء فلذلك لم تقبل إلا أربع تركيبات كما هي في عينها على أربع لا غير و إن كانت الطبيعة في الحقيقة اثنين لأنها عن النفس و النفس ذات قوتين علمية و عملية فالطبيعة ذات حقيقتين فاعلتين من غير علم فهي تفعل بعلم النفس لا بعلمها إذ لا علم لها و لها العلم فهي فاعلة بالطبع غير موصوفة بالعلم فهي من حيث الحرارة و البرودة فاعلة ثم انفعلت اليبوسة عن الحرارة و الرطوبة عن البرودة فكما كانت الحرارة تضاد البرودة كان منفعل الحرارة يضاد منفعل البرودة فلهذا ما تركب من المجموع سوى أربع فظهر حكمها في أقسام هذا الفلك بتقدير العزيز العليم ثم جعلها على التثليث كل ثلث أربع فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان المجموع اثني عشر فلكل برج ثلاثة أوجه مضروبة في أربعة أبراج كان المجموع اثني عشر وجها و الأربعة الأبراج قد عمت تركيب الطبائع لأنها منحصرة في ناري و ترابي و هوائي

و مائي فإذا ضربت ثلاث مراتب في اثني عشر وجها كان المجموع ستة و ثلاثين وجها و هو عشر الدرج أي جزء من عشرة و العشرة آخر نهاية الأحقاب و الحقبة السنة فأرجو أن يكون المال إلى رحمة الله في أي دار شاء فإن المراد أن تعم الرحمة الجميع حيث كانوا فيحيي الجميع بعد ما كان منه من لا يموت و لا يحيا و ذلك حال البرزخ و اعلم أن هذا الفلك يقطع بحركته في الكرسي كما يقطعه من دونه من الأفلاك و لما كان الكرسي موضع القدمين لم يعط في الآخرة إلا دارين نارا و جنة فإنه أعطى بالقومين فلكين فلك البروج و فلك المنازل الذي هو أرض الجنة و هما باقيان و ما دون فلك المنازل يخرب نظامه و تبدل صورته و يزول ضوء كواكبه كما قال يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ و قال فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ فما ذكر من السموات إلا المعروفة بالسموات و هي السبع السموات خاصة و أما مقعر فلك المنازل فهو سقف النار و من فعل هاتين القدمين في هذا الفلك ظهر في العالم من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ بتقدير العزيز لوجود حكم الفاعلين من الطبيعة و القوتين من النفس و الوجهين من العقل و الحرفين من الكلمة الإلهية كن من الصفتين الإلهية في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هي الصفة الواحدة وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و هي الصفة الأخرى فمن نزه فمن لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و من شبه فمن وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فغيب و شهادة غيب تنزيه و شهادة تشبيه فافهم إن كنت تفهم و اعلم ما الحقيقة التي حكمت على الثنوية حتى أشركوا و هم المانية مع استيفائهم النظر و بذل الاستطاعة فيه فلم يقدروا على الخروج من هذه الاثنينية إلى العين الواحدة و ما ثم إلا الله وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به فلم يعذر لأنه نزل عن هذه الدرجة فقلد فنجا صاحب النظر و هلك المقلد فإنه استند إلى أمر محقق في الصفة و الكلمة وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ فلم يسمع وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ و ختم على قلبه فلم يعلم أنه إله واحد لأنه لم يشاهد تقليب قلبه وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فلم يدرك فردية الكلمة بالواو التي بين الكاف و النون فمنعته الغشاوة من إدراكها فلم يشاهد إلا اثنين الكاف و النون لفظا و خطا و الكاف كافان كاف كن و هي كاف الإثبات و كاف لم يكن و هي كاف النفي و في هذه الكاف طلعت لنا الشمس سنة تسعين و خمسمائة فأثبتنا نفي التشبيه بطلوع الشمس في لم يكن و من لم تطلع له فيه شمس قال بالتعطيل و الشمس طالعة و لا بد في لم يكن نصف القرص منها ظاهر و النصف فيها مستتر و الغشاوة منعت هذا الرائي أن يدرك طلوعها فقال بالتعطيل و هو النفي المطلق فما من ناظر إلا و له عذر و الله أجل من أن يكلف نفسا ما ليس في وسعها

فكلهم في رحمة الله خالد موحده أو ذو الشريك و جاحد

و من هذا الاسم وجد حرف الجيم و الطرف من المنازل و سيأتي الكلام على كل واحد من هذه الحروف و المنازل في بابها (الفصل العشرون في الاسم المقدر) و توجهه على إيجاد فلك المنازل و الجنات و تقدير صور الكواكب في مقعر هذا الفلك و كونه أرض الجنة و

سقف جهنم و له حرف الشين المعجمة من الحروف و منزلة جبهة الأسد قال تعالى وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ . . . ذِلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فالمنازل مقادير التقاسيم التي في فلك البروج عينها الحق تعالى لنا إذ لم يميزه البصر بهذه المنازل و جعلها ثماني و عشرين منزلة من أجل حروف النفس الرحماني و إنما قلنا ذلك لأن الناس يتحيلون أن الحروف الثمانية و العشرين من المنازل حكم هذا العدد لها و عندنا بالعكس بل عن هذه الحروف كان حكم عدد المنازل و جعلت ثماني و عشرين مقسمة على اثني عشر برجا ليكون لكل برج في العدد الصحيح قدم و في العدد المكسور قدم إذ لو كان لبرج من هذه البروج عدد صحيح دون كسر أو مكسور دون صحيح لم يعم حكم ذلك البرج في العالم بحكم الزيادة و النقص و الكمال و عدم الكمال و لا بد من الزيادة و النقص لأن الاعتدال لا سبيل إليه لأن العالم مبناه على التكوين و التكوين بالاعتدال لا يصح فلا بد من عدد مكسور و صحيح في كل برج فكان لكل برج منزلتان و ثلث فثم برج يكون له منزلتان صحيحتان و ثلث منزلة كسر و ثم برج يكون له منزلة صحيحة في الوسط و يكون في آخره كسر و في أوله كسر فيلفق من الكسرين منزلة صحيحة مختلفة المزاج و ثلث منزلة و إنما قلنا مختلفة المزاج فإن كل منزلة على مزاج خاص فإذا جمع جزء منزلة إلى جزأي منزلة أخرى ليكمل بذلك عين منزلة لأن المنزلة مثلثة كالبرج له ثلاثة وجوه و من وجوه منازله سبعة وجوه فكل برج ذو سبعة أوجه و له من نفسه ثلاثة أوجه فكان المجموع عشرة أوجه فالمنزلة الصحيحة ذات مزاج واحد و المنزلة الكائنة من منزلتين بمنزلة المولد من اثنين يحدث له مزاج آخر ليس هو في كل واحد من الأبوين و فيه سر عجيب و هو أحدية المجموع فإن لها من الأثر ما ليس لاحدية الواحد ألا ترى أن العالم ما وجد إلا بأحدية المجموع و أن الغني لله ما ثبت إلا بأحدية الواحد فهذا الحكم يخالف هذا الحكم بلا شك فالثريا لها مزاج خاص و قد أخذ الحمل منها ثلثها و جاء الثور يحتاج إلى منزلتين و ثلث فأخذ منزلة الدبران صحيحة بمزاج واحد أحدي و بقي له منزلة و ثلث لم يجد منزلة صحيحة ما يأخذ فأخذ ثلثي الثريا و أضاف إلى ذلك ثلثي الهقعة فكملت له منزلة واحدة بأحدية المجموع فتعطيه هذه المنزلة عين حكم الثريا و عين حكم الهقعة ثم يأخذ الثلث الثاني من الهقعة فلا يعمل من الهقعة إلا بالثلث الوسط و أما الثلث الأول المضاف إلى ثلثي الثريا لكمال المنزلة فإنه يحدث لهذا الثلث و يحدث لثلث الثريا بكمال و صورة منزلة ما هي عين واحدة منهما حكم ليس هو لثلثي أحدهما و لا لثلث الآخر فهذا هو السبب الذي يكون لأجله للبرج ثلاثة أوجه فمنه برج خالص و برج ممتزج و هل كل برج يكون من ثلثين و ثلثين و هي بروج معلومة يعينها لك تقسيم المنازل عليها و قد تكون المنزلة المركبة قامت من منزلة سعيدة و نحسة فتعطي بالمجموع سعدا و لا يظهر لنحس الأخرى أثر و قد تعطي نحسا و لا يظهر لسعد الأخرى أثر بخلاف المنزلة الصحيحة فإنها تجري على ما خلقت له فإن الله أعطاها خلقها كما أعطى للمركبة خلقها فكل علامة و دليل على برج لا بد فيه من

التركيب و يكون بالتثليث فإن الدليل أبدا مثلث النشأة لا بد من ذلك مفردان و جامع بينهما و هو الوجه الثالث لا بد من ذلك في كل مقدمتين من أجل الإنتاج كل أ ب و كل ب ج فتكررت الباء فقام الدليل من ألف با جيم فالوجه الجامع الباء لأنه تكرر في المقدمتين فانتج كل ألف جيم و هو كان المطلوب الذي ادعاه صاحب الدعوى فإنه ادعى أن كل ألف جيم فنوزع فساق الدليل بما اعترف به المنازع فإنه سلم إن كل أ ب و سلم أن كل ب ج فثبت عنده صحة قول المدعي أن كل أ ج فمن هنا ظهرت البراهين في عالم الإنسان و عن هذه التقاسيم التي أعطت المنازل في البروج و بعد أن علمت هذا فاعلم أن هذا الفلك الأطلس لما قام له الكرسي مقام العرش و فوق الأطلس الكرسي و العرش أعطت هذه الثلاثة وجود فلك المنازل كما أعطت المقدمات المركبة من ثلاث النتيجة و كما حملت النتيجة قوى الثلاث اللاتي في المقدمتين حمل فلك الكواكب قوة الأطلس و الكرسي و العرش و الكرسي هو الوجه الجامع بين المقدمتين لأنه الوسط بين العرش و الأطلس فله وجه إلى كل واحد منهما فمن قوة العرش اتحدت أو توحدت فيه الكلمة الإلهية فكان أهل الجنة و هم أهل هذا الفلك المكوكب يقولون للشيء كن فيكون و من قوة الكرسي كان لكل إنسان فيه زوجتان لأنه موضع القدمين و من قوة الفلك الأطلس غابت إنسانيته في ربه فتكونت عنه الأشياء و لا تتكون إلا عن الله و غابت الربوبية في إنسانيته فالتذ بالأشياء و تنعم و أكل و شرب و نكح فهو خلق حق فجهل كما أن الفلك الأطلس مجهول فلهذا قلنا إن هذا الفلك قد حصل قوة ما فوقه لأنه مواد عنه و هكذا كل ما تحته أبدا المولد يجمع حقائق ما فوقه حتى ينتهي إلى الإنسان و هو آخر مولد فتجمع فيه قوى جميع العالم و الأسماء الإلهية بكمالها فلا موجود أكمل من الإنسان الكامل و من لم يكمل في هذه الدنيا من الأناسي فهو حيوان ناطق جزء من الصورة لا غير لا يلحق بدرجة الإنسان بل نسبته إلى الإنسان نسبة جسد الميت إلى الإنسان فهو إنسان بالشكل لا بالحقيقة لأن جسد الميت فاقد في نظر العين جميع القوي و كذلك هذا الذي لم يكمل و كماله بالخلافة فلا يكون خليفة إلا من له الأسماء الإلهية بطريق الاستحقاق أي هو على تركيب خاص يقبلها إذ ما كل تركيب يقبلها و هذا من الأسرار الإلهية التي تجوزها العقول و هي محال كونها و لما خلق الله هذا الفلك كون في سطحه الجنة فسطحه مسك و هو أرض الجنة و قسم الجنات على ثلاثة أقسام للثلاثة الوجوه التي لكل برج جنات الاختصاص و هي الأولى و جنات الميراث و هي الثانية و جنات الأعمال و هي الثالثة ثم جعل في كل قسم أربعة أنهار مضروبة في ثلاثة يكون منها اثنا عشر نهرا و منها ظهر في حجر موسى اثنتا عشرة عينا لاثنتي عشرة سبطا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ النهر الواحد نهر الماء الذي هو غير آسن يقول غير متغير و هو علم الحياة و نهر الخمر و هو علم الأحوال و نهر العسل و هو علم الوحي على ضروبه و لهذا تصعق الملائكة عند ما تسمع الوحي كما يسكر شارب الخمر و نهر اللبن و هو علم الأسرار و اللب الذي تنتجه الرياضات و التقوى فهذه أربعة علوم و

الإنسان مثلث النشأة نشأة باطنة معنوية روحانية و نشأة ظاهرة حسية طبيعية و نشأة متوسطة جسدية برزخية مثالية و لكل نشأة من هذه الأنها ر نصيب كل نصيب نهر لها مستقل يختلف مطعمه باختلاف النشأة فيدرك منه بالحس ما لا يدركه بالخيال و يدرك منه بالخيال ما لا يدركه بالمعنى و هكذا كل نشأة فللإنسان اثنا عشر نهرا في جنة الاختصاص أربعة و في جنة الميراث مثلها و في جنة الأعمال مثلها لمن له جنة عمل إما من نفسه و إما ممن أهدى له من الأعمال شيئا فيحصل للإنسان من العلوم في كل جنة بحسب حقيقة تلك الجنة و بحسب مأخذ النشآت منه فإنها تختلف مأخذها و تختلف العلوم و تختلف الجنات فتختلف الأذواق و نفس الرحمن فيها دائم لا ينقطع تسوقه ريح تسمى المثيرة و في الجنة شجرة ما يبقى بيت في الجنة إلا دخل فيه منها تسمى المؤنسة يجتمع إلى أصلها أهل الجنة في ظلها يتحدثون بما ينبغي لجلال الله بحسب مقاماتهم في ذلك بطريق الإفادة فيحصل بينهم لكل واحد علم لم يكن يعرفه فتعلو منزلته بعلو ذلك العلم فإذا قاموا من تحت تلك الشجرة وجدوا لهم درجات و منازل لم يكونوا يعرفونها في جناتهم فيجدون من اللذة بها ما لا يقدر قدره فيتعجبون و لا يعرفون من أين ذلك فتهب عليهم الريح المثيرة من نفس الرحمن تخبرهم أن هذه الدرجات التي حصلتموها هي منازلكم في منازل العلم الذي اكتسبتموه تحت الشجرة المؤنسة في ناديكم هذه منازله فيحصل لكل واحد منزل يعلمه فلا يمر لهم نفس إلا و لهم فيه نعيم مقيم جديد فهذا ما يحوي عليه سطح هذا الفلك و أمثال هذا و وجدت هذه الجنان بطالع الأسد و هو برج ثابت فلها الدوام و له القهر فلهذا يقول أهله للشيء كن فلا يأبى إلا أن يكون لأنه ليس في البروج من له السطوة مثله فله القهر على إبراز الأمور من العدم إلى الوجود و أما مقعر هذا الفلك فجعله الله محلا للكواكب الثابتة القاطعة في فلك البروج و لها من الصور فيه ألف صورة واحدي و عشرون صورة و صور السبعة الجواري في السموات السبع فمبلغ الجميع ألف و ثمان و عشرون صورة كلها تقطع في فلك البروج بين سريع و بطيء و يوم كل كوكب منها بقدر قطعه فلك البروج فأسرعها قطعا القمر فإن يومه ثمانية و عشرون يوما من أيام الدورة الكبرى التي تقدر بها هذه الأيام و هي الأيام المعهودة عند الناس كما أشار إلى ذلك تعالى في قوله وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ يعني هذه الأيام المعروفة فأقصر أيام هذه الكواكب يوم القمر و مقداره ثمانية و عشرون يوما مما تعدون و أطول يوم لكوكب منه مقداره ست و ثلاثون ألف سنة مما تعدون و يوم ذي المعارج من الأسماء الإلهية خمسون ألف سنة و يوم الاسم الرب كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ و لكل اسم إلهي يوم فإذا أردت أن تعرف جميع أيام صور الكواكب أعني مقدارها من الأيام المعروفة فاضرب ألفا و أحدا و عشرين في ستة و ثلاثين ألف سنة فما خرج فذلك حصر أيام الكواكب من الأيام المعروفة فإن يوم كل واحد منها ست و ثلاثون ألف سنة ثم تضيف إلى المجموع أيام الجواري السبعة فما اجتمع فهو ذلك ثم تأخذ هذا المجموع و تضربه فيما اجتمع من سنى البروج و

سنى ما اجتمع من ضرب ثلاثمائة و ستين في مثلها فما خرج لك من المجموع فهو عدد الكوائن في الدنيا من أول ما خلقها الله إلى انقضائها فاعلم ذلك و المجموع من ضرب ثلاثمائة و ستين في مثلها مع سنى البروج مائتا ألف و سبعة آلاف و ستمائة و في هذا المجموع تضرب ما اجتمع من عدد أيام الكواكب كلها فهذا تقدير الكواكب التي وقتها و قدرها العزيز العليم فيبقى في الآخرة في دار جهنم حكم أيام الكواكب التي في مقعر هذا الفلك و الجواري السبعة مع انكدارها و طمسها و انتثارها فتحدث عنها في جهنم حوادث غير حوادث إنارتها و ثبوتها و سير أفلاكها بها و هي ألف و ثمانية و عشرون فلكا كلها تذهب و تبقي السباحة للكواكب بذاتها مطموسة الأنوار و يبقى في الآخرة في الجنة حكم البروج و حكم مقادير العقل عنها يحدث في الجنان ما يحدث و يثبت و أما كثيب المسك الأبيض الذي في جنة عدن الذي تجتمع فيه الناس للرؤية يوم الزور الأعظم و هو يوم الجمعة فأيامه من أيام أسماء الله و لا علم لي و لا لأحد بها فإن لله أسماء استأثر بها في علم غيبه فلا تعلم فلا تعلم أيامها فعدن بين الجنات كالكعبة بيت الله بين بيوت الناس و الزور الأعظم فيه كصلاة الجمعة و الزور الخاص كالصلوات الخمس في الأيام و الزور الأخلص الأخص كمساجد البيوت لصلاة النوافل فتزور الحق على قدر صلاتك و تراه على قدر حضورك فأدناه الحضور في النية عند التكبير و عند الخروج من الصلاة و أعظمه استصحاب الحضور إلى الخروج من الصلاة و ما بينهما في كل صلاة فهنا مناجاة و هناك مشاهدة و هنا حركات و هناك سكون و لهذا الاسم من الحروف الشين المعجمة و من المنازل الجبهة انتهى الجزء الثاني و العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الفصل الحادي و العشرون) في الاسم الرب و توجهه على إيجاد السماء الأولى و البيت المعمور و السدرة و الخليل و يوم السبت و حرف الياء بالنقطتين من أسفل و الخرتان و كيوان قال الله تعالى وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فما طلب الزيادة من العلم إلا من الرب و لهذا جاء مضافا لاحتياج العالم إليه أكثر من غيره من الأسماء لأنه اسم لجميع المصالح و هو من الأسماء الثلاثة الأمهات فجاء رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ و رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و رَبُّ الْمَشارِقِ و الْمَشْرِقَيْنِ و الْمَشْرِقِ و رب المغارب و المغرب و المغربين و هو المتخذ وكيلا و هذا الاسم أعطى السدرة نبقها و خضرتها و نورها منه و من الاسم الله و أعطى الاسم الرحمن من نفسه عرفها كما قال في الجنة عَرَّفَها لَهُمْ يعني بالنفس من العرف و هي الرائحة و من الاسم الله أصولها و زقومها لأهل جهنم و قد جلل الله هذه السدرة بنور الهوية فلا تصل عين إلى مشاهدتها فتحدها أو تصفها و النور الذي كساها نور أعمال العباد و نبقها على عدد نسم السعداء لا بل على عدد أعمال السعداء لا بل هي أعيان أعمال السعداء و ما في جنة الأعمال قصر و لا طاق إلا و غصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه و في ذلك الغصن

من النبق على قد ر ما في العمل الذي هذا الغصن صورته من الحركات و ما من ورقة في ذلك الغصن إلا و فيها من الحسن بقد ر ما حضر هذا العبد مع الله في ذلك العمل و أوراق الغصن بعدد الأنفاس في ذلك العمل و شوك هذه السد رة كله لأهل الشقاء و أصولها فيهم و الشجرة واحدة و لكن تعطي أصولها النقيض مما تعطيه فروعها من كل نوع فكل ما وصفنا به الفروع حد النقيض في الأصول و هذا كثير الوقوع في علم النبات كما حكي أن أبا العلا بن زهر و كان من أعلم الناس بالطب و لا سيما بعلم الحشائش و أبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة و كان دون ابن زهر في معرفة الحشائش إلا أنه كان أفضل منه في العلم الطبيعي و كان يتخيل في زعمه أنه أعلم من ابن زهر في علم الحشائش فركبا يوما فمرا بحشيشة فقال ابن زهر لغلامه اقطع لنا من هذه الحشيشة و أشا ر إلى حشيشة معينة فأخذ شيئا منها و فتلها في يده و قربها من أنفه كأنه يستنشقها ثم قال لأبي بكر انظر ما أطيب ريح هذه الحشيشة فاستنشقها أبو بكر فرعف من حينه فما ترك شيئا يمكن في علمه أن يقطع به الرعاف مما هو حاضر إلا و عمله و ما نفع حتى كاد يهلك و أبو العلا يتبسم و يقول يا أبا بكر عجزت قال نعم فقال أبو العلا لغلامه استخرج لي أصول تلك الحشيشة فجاء بها فقال له يا أبا بكر استنشقها فاستنشقها أبو بكر فانقطع الدم عنه فعلم فضله عليه في علم الحشائش و أسعد الناس بهذه السد رة أهل بيت المقدس كما أن أسعد الناس بالمهدي أهل الكوفة كما أنه أسعد الناس برسول الله ص أهل الحرم المكي كما أنه أسعد الناس بالحق أهل القرآن و إذ أكل أهل السعادة من هذه الشجرة زال الغل من صدورهم و مكتوب على ورقها سبوح قدوس رب الملائكة و الروح و إلى هذه السد رة تنتهي أعمال بنى آدم و لهذا سميت سد رة المنتهى و للحق فيها تجل خاص عظيم يقيد الناظر و يحير الخاطر و إلى جانبها منصة و تلك المنصة مقعد جبريل عليه السلام و فيها من الآيات ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر كما قال رسول الله ص فيها إنها غشيها من نور الله ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها إنما ينظر الناظر إليها فيد ركه البهت و أوجد الله في هذه السماء البيت المعمور المسمى بالضراح و هو على سمت الكعبة كما ورد في الخبر لو سقطت منه حصاة لوقعت على الكعبة و هذا البيت في هذه السماء و السماء ساكنة لا حركة فيها و لهذا لا ينتقل البيت من سمت الكعبة لأن الله جعل هذه السموات ثابتة مستقرة هي لنا كالسقف للبيت و لهذا سماها السقف المرفوع إلا أنه في كل سماء فلك و هو الذي تحد ثه سباحة كوكب ذلك السماء فالكواكب تسبح في أفلاكها لكل كوكب فلك فعدد الأفلاك بعدد الكواكب يقول تعالى كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و أجرام السموات أجرام شفافة و هي مسكن الملائكة و الأفلاك لو لا سباحة الكواكب ما ظهر لها عين في السموات فهي فيها كالطرق في الأرض تحدث كونها طريقا بالماشي فيها فهي أرض من حيث عينها طريق من حيث المشي فيها و هذا البيت له بابان يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون على الباب الذي يقابله و لا

يعودون إليه أبدا يدخلون فيه من الباب الشرقي لأنه باب ظهور الأنوار و يخرجون من الباب الغربي لأنه باب ستر الأنوار المذهبة فيحصلون في الغيب فلا يدري أحد حيث يستقرون و هؤلاء الملائكة يخلقهم الله في كل يوم من نهر الحياة من القطرات التي تقطر من انتفاض جبريل لأن الله قد جعل له في كل يوم غمسة في نهر الحياة و بعدد هؤلاء الملائكة في كل يوم تكون خواطر بنى آدم فما من شخص مؤمن و لا غيره إلا و يخطر له سبعون ألف خاطر في كل يوم لا يشعر بها إلا أهل الله و هؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور يجتمعون عند خروجهم منه مع الملائكة الذين خلقهم الله من خواطر القلوب فإذا اجتمعوا بهم كان ذكرهم الاستغفار إلى يوم القيامة فمن كان قلبه معمورا بذكر الله مستصحبا كانت الملائكة المخلوقة من خواطره تمتاز عن الملائكة التي خلقت من خواطر قلب ليس له هذا المقام و سواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي فالقلوب كلها من هذا البيت خلقت فلا تزال معمورة دائما و كل ملك يتكون من الخاطر يكون على صورة ما خطر سواء و خلق الله في هذه السماء كوكبا و أوحى فيها أمرها و أسكنها إبراهيم الخليل و جعل لهذا الكوكب حركة في فلكه على قدر معلوم و من أعجب المسائل مسألة هذه الحركات فإنها من خفي العلم فإنه يعطي أنه لا يستحيل مؤثر فيه بين مؤثرين لأن مثل هذه الحركة لهذا الكوكب يكون عن حكمين مختلفين حكم قسري و حكم إرادي أو طبيعي و ذلك له مثال ظاهر و هو أنه إذا كان حيوان على جسم قاصدا جهة بحركته من هذا إلا لجسم و تحرك الجسم إلى غير تلك الجهة فتحرك الحيوان إلى جهة حركة هذا الجسم مع حركته إلى النقيض فيجمع بين حركتين متقابلتين معا في زمان واحد فهو يقطع في ذلك الجسم الذي هو عليه و الجسم يقطع به في جسم آخر فيقطع الحيوان فيه بحكم التبعية كنملة على ثوب مطروح في الأرض تمشي فيه مشرقة و يجذب جاذب ذلك الثوب إلى جهة الغرب فتكون متحركة إلى جهة الشرق في الآن الذي تتحرك فيه بتحرك الثوب إلى جهة الغرب فهي حركة قهرية لها غالبة عليها و هاتان حركتان متقابلتان في آن واحد فانظر هل لاجتماع الضدين وجود في هذه المسألة أم لا فإن الكواكب تقطع في الفلك في رأى العين من الغرب إلى الشرق و الفلك الأكبر المحيط يقطع بها من الشرق إلى الغرب فالكوكب متحرك من الشرق إلى الغرب في الآن الذي هو فيه متحرك من الغرب إلى الشرق ففلكه الذي تحدثه حركته شرقا عين فلكه الذي تحدثه حركته غربا فهذه مثل مسألة الجبر في عين الاختيار فالعبد مجبور في اختياره و من هذه المسألة تعرف أفعال العباد لمن هي منسوبة بحكم الخلق هل ينفرد بها أحد القادرين أو هل هي لقادرين لكل قادر فيها نسبة خاصة بها وقع التكليف و من أجلها كان العقاب و الثواب و قد ذكرنا ما لهذا الفلك من الأثر في قلوب العارفين و ذكر غيرنا و ذكرنا ما له من الأثر في عالم الخلق من الكون و الفساد و هو عالم الأركان و المولدات كل ذلك من هذا النفس الرحماني لأنه يعطي الحركات و الحركة سبب الوجود ألا ترى الأصل لولا توجه الإرادة و هي حركة معنوية و القول و هو حركة معنوية و

بها سميت اللفظة لفظة لهذه الحركة ما ظهر وجود و من هذا الفلك أعطى الله وجود يوم السبت و هو يوم الأبد فليله في الآخرة لا انقضاء له و نهاره أيضا في المحل الثاني لا انقضاء له و فيه تحدث الأيام السبعة و منها السبت و هذا من أعجب الأمور أيضا أن الأيام التي منها السبت تحدث في يوم السبت فهو من جملة الأيام و فيه يظهر الأيام و لهذا مستند في الحقيقة الإلهية و ذلك أن الترمذي خرج في غريب الحسان عن أبي هريرة عن رسول الله ص قال لما خلق الله آدم و نفخ فيه الروح عطس فقال له الحق قل الحمد لله فقال الحمد لله فحمد الله بإذنه فقال له يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك هذه الزيادة ليست من الترمذي ثم رجعنا إلى حديث الترمذي يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا و عليك السلام و رحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحيتك و تحية بينك و بينهم فقال الله له و يداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يدي ربي و كلتا يمين ربي يمين مباركة و بسطها و إذا فيها آدم و ذريته الحديث فهذا آدم في تلك القبضة في حال كونه خارجا عنها و هكذا عين هذه المسألة و إذا نظرت وجدت العالم مع الحق بهذه المثابة موضع حيرة هو لا هو ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فختم بما به بدأ فيا ليت شعري من الوسط فإنه وسط بين نفي و هو قوله وَما رَمَيْتَ و بين إثبات و هو قوله وَلكِنَّ اللهَ رَمى و هو قوله ما أنت إذ أنت لكن الله أنت فهذا معنى قولنا في كلامنا في الظاهر و المظاهر و إنه عينه مع اختلاف صور المظاهر فنقول في زيد إنه واحد مع اختلاف أعضائه فرجله ما هي يده و هي زيد في قولنا زيد و كذلك أعضاؤه كلها و باطنه و ظاهره و غيبه و شهادته مختلف الصور و هو عين زيد ما هو غير زيد ثم تضاف كل صورة إليه و يؤكد بالعين و النفس و الكل و الجمع و في هذا الفلك عين الموت و معدن الراحة و سرعة الحركة في ثبات و طرح الزينة و الأذى و له حصل هذا الكوكب في برج الأسد و هو نقيضه في الطبع و نظيره في الثبوت و من هنا يعرف قول من قال إن المثلين ضدان هل أخطأ أو أصاب و إذا نزل الكوكب في البرج هل يمتزج الحكم فيكون للمجموع حكم ما هو لكل واحد منهما على انفراد أو يغلب حكم المنزلة و البرج على الكوكب النازل فيه أو يغلب حكم الكوكب على البرج أو يتصف أحدهما بالأكثر في الحكم و الآخر بالأقل مع وجود الحكمين فعندنا لا يحكم واحد في آخر و إن حكم جمعيتهما يظهر في المحكوم فيه و لكل واحد منهما قوة في ذلك المحكوم فيه بذلك الحكم لأنه عنهما صدر ذلك الحكم من حالة تسمى الاجتماع كما يكون ذلك في الاقترانات بين الكواكب و هذا نوع من الاقتران و ليس باقتران و لكنه نزول في منزل (الفصل الثاني و العشرون في الاسم العليم) و توجهه على إيجاد السماء الثانية و خانسها و يوم الخميس و موسى عليه السلام و حرف الضاد المعجمة و الصرفة من المنازل قال الله تعالى آمرا لنبيه صلى الله عليه و سلم وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً الكلام في كون هذه السماء و باقي السموات و الأفلاك كما تقدم غير أني أشير إلى ما يختص به كل سماء خاصة من الحكم فأما هذه السماء فأوحى الله

فيها أمرها و تفصيل أمر كل سماء يطول و قد ذكرنا من ذلك طرفا جيدا في التنزلات الموصلية فمن أمرها حياة قلوب العلماء بالعلم و اللين و الرفق و جميع مكارم الأخلاق و لذلك لم ينبه أحد من سكان السموات من أرواح الأنبياء عليهم السلام رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة فرض الله على أمته صلى الله عليه و سلم خمسين صلاة غير موسى عليه السلام فإنه قال له راجع ربك فإنه كان أعلم منه بهذه الأمور لذوقه مثله في بنى إسرائيل و ما ابتلي به منهم فتكلم عن ذوق و خبرة فكل شيخ لا يتكلم في العلوم عن ذوق و مجلى إلهي لا عن كتب و نقل فليس بعالم و لا أستاذ فلولاه لكان الفرض علينا في الصلاة خمسين صلاة مع كونه أرسله الله رحمة للعالمين و من كثر تكليفه قلت رحمته فقيض الله له في مدرجة إسرائه موسى عليه السلام فخفف الله عن هذه الأمة به صلى الله عليه و سلم فهذا ما كان إلا من حكم أمر هذه السماء الذي أوحى الله فيها أمرها و لها من الأيام يوم الخميس فكل سر يكون للعارفين و علم و تجل فمن حقيقة موسى من هذه السماء و كل أثر يظهر في الأركان و المولدات يوم الخميس فمن كوكب هذه السماء و حركة فلكها مجملا من غير تفصيل و لها الضاد المعجمة و من المنازل الصرفة فأما وجود الحروف المذكورة في كل سماء فلتلك السماء أثر في وجودها و أما قولنا إن لها من المنازل الصرفة أو كذا لكل سماء فلسنا نريد أن لها أثرا في وجود المنزلة كما أردنا بالحرف و إنما أريد بذلك أن هذا الكوكب الخاص بهذا الفلك أول ما أوجده الله و تحرك أوجده في المنزلة التي نذكرها له بعينها فهي منزلة سعده حيث ظهر فيها وجوده فهذا معنى قولي له من المنازل كذا و لكل سماء و فلك أثر في معدن من المعادن السبعة يختص به و ينظر إلى ذلك المعدن بقوته (الفصل الثالث و العشرون) في الاسم القاهر توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء الثالثة فأظهر عينها و كوكبها و فلكه و جعلها مسكن هارون عليه السلام و بهذا الاسم الإلهي أوحى فيها أمرها و كان وجود كوكبها حركة فلكه في منزلة العوا يوم الثلاثاء فمن الأمر الموحى فيها إهراق الدماء و الحميات و عن حركة هذا الفلك ظهر حرف اللام من الحروف اللفظية فكل علم و سر من الأسرار الإلهية يظهر على العارفين يوم الثلاثاء فهو من هذه السماء من روح هارون و كل أثر في الأركان و المولدات فمن أمر هذا الفلك و حركة كوكبه فإن الله لما أوحى في كل سماء أمرها أوحى بالاسم الإلهي الخاص بذلك فذلك الاسم هو الممد لها (الفصل الرابع و العشرون) في الاسم النور و توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء الرابعة و هي قلب العالم و قلب السموات فأظهر عينها يوم الأحد و أسكن فيها قطب الأرواح الإنسانية و هو إدريس عليه السلام و سمى الله هذه السماء مكانا عليا لكونها قلبا فإن التي فوقها أعلى منها فأراد علو مكانة المكان فلهذا المكان من المكانة رتبة العلو و أوجدها في منزلة السماك و أظهر كوكبها و فلكه و كون حرف النون عنها و أظهر بحركة كوكبها الليل و النهار فقسم اليوم فتقسم فيه الحكم الإلهي في العالم فجعل كل واحد منهما أنثى و الآخر ذكر الإنتاج ما يظهر في الأركان من

المولدات فكل ما ولد و ظهر من الآثار عموما في الأيام كلها بالنهار فأمه النهار و أبوه الليل و ما ظهر من ذلك بالليل فأمه الليل و أبوه النهار فَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ إذا كان النهار أنثى وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ إذا كان الليل أنثى و قد بينا ذلك في كتاب الشأن فكل ما ظهر من العلم و الآثار في المولدات يوم الأحد فمن هذه السماء و ساكنها لا بل في كل يوم و في كل العالم الذي تحت حيطته و لا يخنس كوكبها (الفصل الخامس و العشرون) في الاسم المصور توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء الخامسة و فلكها و كوكبها و كان ظهور ذلك في منزلة الغفر و أوحى فيها إظهار صور الأرواح و الأجسام و العلوم في العالم العنصري و اختصت بالأثر الكامل بطريق التولية بيوم الجمعة و أسكن فيها يوسف عليه السلام و عنها ظهر حرف الراء (الفصل السادس و العشرون) في الاسم المحصي قال تعالى وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً يريد موجودا و توجه هذا الاسم الإلهي على إيجاد السماء السادسة و كوكبها و فلكها يوم الأربعاء في منزلة الزبانا و أسكن فيها عيسى عليه السلام فكل ما ظهر في يوم الأربعاء في العالم العنصري من الآثار الحسية و المعنوية و ما يحصل للعارفين في قلوبهم من ذلك فمن وحي هذه السماء و منها ظهر حرف الطاء المهملة

(الفصل السابع و العشرون) في الاسم المبين توجه هذا الاسم على إيجاد السماء الدنيا و كوكبها و فلكه يوم الإثنين في منزلة الإكليل و عن حركة هذا الفلك حرف الدال المهملة و له كل حكم يظهر في العالم يوم الإثنين روحا و جسما و هذا كله بنهار ذلك اليوم لا بليله فإن ليلة كل يوم ما هي الليلة التي يكون ذلك اليوم في صبيحتها و لا الليلة التي تكون بغروب شمسه في ذلك اليوم و قد ذكرنا ذلك في كتاب الشأن و إنما ليلته التي لذلك اليوم هي في أول ساعة من الليل الذي هو حاكم في أول ساعة من النهار فذلك يوم تلك الليلة و تلك الليلة ليلة ذلك اليوم فهذا أريد اعلم أن هذه السماء الدنيا أوحى الله فيها أمرها و أسكنها آدم و هو الإنسان الفرد أصل هذا النوع و هو قوله تعالى خَلَقَكُمْ من نَفْسٍ واحِدَةٍ إلا أنه جعله الله أعني الإنسان سريع التغيير في باطنه كثير الخواطر يتقلب في باطنه في كل لحظة تقلبات مختلفة لأنه على الصورة الإلهية و هو سبحانه كل يوم في شأن فمن المحال ثبوت العالم زمانين على حالة واحدة بل يتغير عليه الأحوال و الأعراض في كل زمان فرد و هو الشئون التي هو الحق فيها لمن علم ما قال الله و لا يظهر سلطان ذلك إلا في باطن الإنسان فلا يزال يتقلب في كل نفس في صور تسمى الخواطر لو ظهرت إلى الأبصار لرأيت عجبا و أسرع الحركات الفلكية حركة هذا الفلك بكوكبه الذي هو القمر فهو أسرع سير في قطع فلك المنازل من غيره من السيارة و له في كل يوم منزلة فيقطع الفلك في ثمانية و عشرين يوما فكان ظهور الأثر في الكون سريعا لسرعة الحركة فناسب آدم في سرعة خواطره فأسكنه هذه السماء و جعل نسم بنيه عن يمينه و يساره أسودة يرى شخوصها أهل الكشف و عن يمينه عليون و عن يساره السفل فلا يخفى عنه من أحوال بنيه شيء و اعلم أن هذه الحقيقة التي جعلته يسمى إنسانا

مفردا هي في كل إنسان و لكن كانت في آدم أتم لأنه كان و لا مثل له ثم بعد ذلك انتشأت منه الأمثال فخرجت على صورته كما انتشا هو من العالم و من الأسماء الإلهية فخرج على صورة العالم و صورة الحق فوقع الاشتراك بين الأناسي في أشياء و انفرد كل شخص بأمر يمتاز به عن غيره كما هو العالم فبما ينفرد به الإنسان يسمى الإنسان المفرد و بما يشترك به يسمى الإنسان الكبير و لما كان آدم أبا البشر كانت منه رقيقة إلى كل إنسان و نسبة و لما كان هو من العالم و من الحق بمنزلة بنيه منه كانت فيه رقيقة من كل صورة في العالم تمتد إليه لتحفظ عليه صورته و رقيقة من كل اسم إلهي تمتد إليه لتحفظ عليه مرتبته و خلافته فهو يتنوع في حالاته تنوع الأسماء الإلهية و يتقلب في أكوانه تقلب العالم كله و هو صغير الحجم لطيف الجرم سريع الحركة فإذا تحرك حرك جميع العالم و استدعى بتلك الحركة توجه الأسماء الإلهية عليه لترى ما أراد بتلك الحركة فتقضي في ذلك بحسب حقائقها و لم يكن في الأفلاك أصغر من فلك سماء الدنيا فأسكنه الله فيها للمناسبة و لصغر هذا الفلك كان أسرع دورة فناسب سرعة الخواطر التي في الإنسان فأسكنه فيه من حيث إنه إنسان مفرد خاصة لا من حيث اشتراكه ثم إنه جعل الله له من بنيه في كل سماء شخصا و هو عيسى و يوسف و إدريس و هارون و يحيى و موسى و إبراهيم عليهم السلام فهو ناظر إليهم في كل يوم بما هو أب لهم و هم ناظرون إليه من حيث ما هم في منازل معينة لا من حيث هم أبناء له و هذا الإنسان المفرد يقابل بذاته الحضرة الإلهية و قد خلقه الله من حيث شكله و أعضاؤه على جهات ستة ظهرت فيه فهو في العالم كالنقطة من المحيط و هو من الحق كالباطن و من العالم كالظاهر و من القصد كالأول و من النشء كالآخر فهو أول بالقصد آخر بالنشء و ظاهر بالصورة و باطن بالروح كما أنه خلقه الله من حيث طبيعته و صورة جسمه من أربع فله التربيع من طبيعته إذ كان مجموع الأربعة الأركان و أنشأ جسده ذا أبعاد ثلاثة من طول و عرض و عمق فأشبه الحضرة الإلهية ذاتا و صفات و أفعالا فهذه ثلاث مراتب مرتبة شكله و هو عين جهاته و مرتبة طبيعته و مرتبة جسمه ثم إن الله جعل له مثلا و ضدا و ما ثم سوى هذه الخمسة و اختص بالخمسة لأنه ليس في الأعداد من له الاسم الحفيظ إلا هي و هي تحفظ نفسها و غيرها بذاتها و هو قوله تعالى وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما فثنى و هو قولنا تحفظ نفسها و غيرها فأما كونه ضدا فبما هو عاجز جاهل قاصر ميت أعمى أخرس ذو صمم فقير ذليل عدم و بما هو مثل ظهوره بجميع الأسماء الإلهية و الكونية فهو مثل للعالم و مثل للحضرة فجمع بين المثليتين و ليس ذلك لغيره من المخلوقين فهو حي عالم مريد قادر سميع بصير متكلم عزيز غني إلى جميع الأسماء الإلهية كلها و الأسماء الكونية فله التخلق بالأسماء فله حالات خمس يقابل بها كل ما سواه بحسب ما ينظرون إليه إذ هو الكلمة الجامعة و أعطاه الله من القوة بحيث إنه ينظر في النظرة الواحدة إلى الحضرتين فيتلقى من الحق و يلقي إلى الخلق فمنهم الناظر إليه من حيث شكله فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالشكل و منهم الناظر إليه من حيث طبيعته

فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالطبع كما يمده الحق في شكله من اسمه المحيط و في طبيعته من حياته و علمه و إرادته و قدرته و منهم من ينظر إليه من حيث جسمه فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالجسم كما يمده الحق من حضرته بما يظهر في ذاته و صفاته و أفعاله و منهم الناظر إليه كفا حالا منازعة فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالمكافحة كما يمده الحق من اسمه البعيد و المعز إن كان ذليلا و المذل إن كان عزيزا و منهم الناظر إليه من حيث إنه مثل له في المرتبة فإنه بالمرتبة كان خليفة و قد شورك فيها فقال هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ و قال يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فهم نواب الحق في عباده فيمدهم من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بتلك المثلية كما يمده الحق من صورته بجميع أسمائه و ليس إلا هذه و قد قسم الله خلقه إلى شقي و سعيد و جعل مقر عباده في دارين دار جهنم و هي دار كل شقي و دار جنان و هي دار كل سعيد و سموا هؤلاء أشقياء لأنهم أقيموا فيما يشق عليهم و هو المخالفة و سموا هؤلاء سعداء لأنهم أقيموا فيما يسهل عليهم و هو المساعدة و الموافقة فمن كان مع الله على مراد الله فيه و في خلقه لم يشق عليه شيء مما يحدث في العالم (حكي) عن رابعة رضي الله عنها أنه ضرب رأسها ركن جدار فأدماها فما التفتت فقيل لها في ذلك فقالت شغلني بموافقة مراده فيما جرى شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال فما شق عليها ما جرى فلو شق عليها لتعذبت في نفسها منها فالأشقياء ليس لهم عذاب إلا منهم لأنهم أقيموا في مقام الاعتراض و التعليل لأفعال الله في عباده و لأي شيء كان كذا و لو كان كذا كان أحسن و أليق و نازعوا الربوبية و شاقوا الله و رسوله فشقاؤهم شقاقهم فهي دار الأشقياء بدخولها في هذه الحال فإذا طال عليهم الأمد تغير الحال لأن طول الأمد له حكم بقوله تعالى فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فإذا طال الأمد على الأشقياء و علموا أن ذلك ليس بنافع قالوا فالموافقة أولى فتبدلت صورهم فأثر ذلك التبديل هذا الحكم فزالت المشاقة فارتفع العذاب عن بواطنهم فاستراحوا في دارهم و وجدوا في ذلك من اللذة ما لا يعلمه إلا الله لأنهم اختاروا ما اختار الله لهم و علموا عند ذلك أن عذابهم لم يكن إلا منهم فحمدوا الله على كل حال فأعقبهم ذلك أن يحمدوا الله المنعم المتفضل ثم إن لهذا الإنسان المفرد الذي هو آدم و لكل إنسان أقيم فيما هو منفرد به نظر آخر إلى منازل السعداء و هي التي عينها الفلك المكوكب و هي منازل الجنان و منازل النار فان الجنة مائة درجة و النار مائة درك على عدد الأسماء الإلهية فهي بحكم الاشتراك تسعة و تسعون اسما ينالها كل إنسان بما هو مشارك غيره و الاسم الموفي مائة و هو وتر الغيب كما كانت التسعة و التسعون و نر الشهادة لأن الله وتر يحب الوتر فالاسم الموفي مائة مفرد منه يتجلى الحق للإنسان المفرد إذا كان مع الأمر الذي يسمى به إنسانا مفردا و إذا كان مع هذا الاسم الفرد كانت منازله ثمانيا و عشرين منزلة لأن حروف نفسه ثمانية و عشرون حرفا ظهر منها في مقام الجمع و الوجود علامات تدل على الحق و هي خمس آلاف علامة و

ثمانمائة علامة و ثمان و ثلاثون علامة و هذه كلها منا زل في هذه المنا زل و لهذا يقال يوم القيامة لقا رئ القرآن اقرأ و ا رق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ و لهذا تمدح أبو يزيد بأنه ما مات حتى استظهر القرآن و ينبغي لقا رئ القرآن إذا لم يكن من أهل الكشف و لا من أهل التعليم الإلهي أن يبحث و يسأل علماء الرسوم أي شيء يثبت عندهم أو رأوه أنه كان قرآنا و نسخ لفظه من هذا المصحف العثماني و لا يبالي إذا قالوا له كذا و كذا صحيحا كان الطريق إلى ذلك أو غير صحيح فينبغي إن يحفظه فإنه يزيد بذلك درجات و قد اختلفت المصاحف فهذا ينفعه و لا يضره فإن هذا الذي بأيدينا هو قرآن بلا شك و نعلم أنه قد سقط منه كثير فلو كان رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الذي جمعه لوقفنا عنده و قلنا هذا وحده هو الذي تتلوه يوم القيامة إذا قيل لقا رئ القرآن اقرأ و ا رق و الاحتياط فيما قلناه و لكن لا أريد بذلك أنه يصلي به و إنما يحفظه خاصة فإنه ليس بمتواتر مثل هذا و ما نا زع أحد من الصحابة في مصحف عثمان إنه قرآن فإذا حصل الإنسان بما انفرد به في منزلة من هذه المنا زل فإنها تعطيه حقيقة ما هي عليه مما وضعها الله له من الأمور الظاهرة في أفعال العباد في حركاتهم و سكونهم و تصرفاتهم و ما منعني من تعيينها إلا ما يسبق إلى القلوب الضعيفة من ذلك و وضع الحكمة في غير موضعها فإن الحافظين أسرار الله قليلون و إذا وفى الإنسان المفرد علم هذه الأمور و دخل الجنات الثمانية و رأى الكثيب الأبيض و عاين درجات الناس في الرؤية و تميز مراتبهم و منا زلهم في ذلك و نظر إلى التكوينات الجنانية و الرقائق الممتدة إليها من فلك البروج علم إن لله أسرارا في خلقه فأراد أن يعرفه آثار ذلك فا رتقى بنفسه إلى هذا الفلك و دا رمعه دورة واحدة لكل برج حتى أكمل اثنتي عشرة دورة و نظر بحلوله في كل دورة ما يعطي من الأثر في جنات النعيم و في جهنم و في عالم الدنيا و في البرزخ و في يوم القيامة و في أحوال الكائنات العرضيات في العالم و الخاصة بجسد الإنسان و روحه و المولدات و ربما نشير إلى شيء من هذه الأسرار متفرقا في هذا الكتاب في المنا زل منه إن شاء الله تعالى و جميع الأسماء الإلهية المختصة بهذا الإنسان الموصوف بهذه الصفة التي ينزل بها هذه المنا زل معلومة محصاة و هي الرفيع الدرجات الجامع اللطيف القوي المذل رزاق عزيز مميت محي حي قابض مبين محص مصور نور قاهر عليم رب مقدر غني شكور محيط حكيم ظاهر باطن باعث بديع و لكل اسم من هذه الأسماء روحانية ملك تحفظه و تقوم به و تحفظها لها صور في النفس الإنساني تسمى حروفا في المخارج عند النطق و في الخط عند الرقم فتختلف صورها في الكتابة و لا تختلف في الرقم و تسمى هذه الملائكة الروحانيات في عالم الأرواح بأسماء هذه الحروف فلنذكرها على ترتيب المخارج حتى تعرف رتبتها فأولهم ملك الهاء ثم الهمزة و ملك العين المهملة و ملك الحاء المهملة و ملك العين المعجمة و ملك الخاء المعجمة و ملك القاف و هو ملك عظيم رأيت من اجتمع به و ملك الكاف و ملك الجيم و ملك الشين المعجمة و ملك الياء و ملك الضاد المعجمة و ملك اللام و ملك النون و

ملك الراء و ملك الطاء المهملة و ملك الدال المهملة و ملك التاء المعجمة باثنتين من فوقها و ملك الزاي و ملك السين المهملة و ملك الصاد المهملة و ملك الظاء المعجمة و ملك الثاء المعجمة بالثلاث و ملك الذال المعجمة و ملك الفاء و ملك الباء و ملك الميم و ملك الواو و هذه الملائكة أرواح هذه الحروف و هذه الحروف أجساد تلك الملائكة لفظا و خطا بأي قلم كانت فبهذه الأرواح تعمل الحروف لا بذواتها أعني صورها المحسوسة للسمع و البصر المتصورة في الخيال فلا يتخيل أن الحروف تعمل بصورها و إنما تعمل بأرواحها و لكل حرف تسبيح و تمجيد و تهليل و تكبير و تحميد يعظم بذلك كله خالقه و مظهره و روحانيته لا تفارقه و بهذه الأسماء يسمون هؤلاء الملائكة في السموات و ما منهم ملك إلا و قد أفادني و كذلك هذه الكواكب التي ترونها إنما هي صور لها أرواح ملكية تدبرها مثل ما لصورة الإنسان فبروحه يفعل الإنسان و كذلك الكوكب و الحرف لو لا الروح ما ظهر منه فعل فإن الله سبحانه ما يسوي صورة محسوسة في الوجود على يد من كان من إنسان أو ريح إذا هبت فتحدث أشكالا في كل ما تؤثر فيه حتى الحية و الدودة تمشي في الرمل فيظهر طريق فذلك الطريق صورة أحدثها الله يمشي هذه الدودة أو غيرها فينفخ الله فيها روحا من أمره لا يزال يسبحه ذلك الشكل بصورته و روحه إلى أن يزول فتنتقل روحه إلى البرزخ و ذلك قوله كُلُّ من عَلَيْها فانٍ و كذلك الأشكال الهوائية و المائية لو لا أرواحها ما ظهر منها في انفرادها و لا في تركيبها أثر و كل من أحدث صورة و انعدمت و زالت و انتقل روحها إلى البرزخ فإن روحها الذي هو ذلك الملك يسبح الله و يحمده و يعود ذلك الفضل على من أوجد تلك الصورة الذي كان هذا الملك روحها فما يعرف حقائق الأمور إلا أهل الكشف و الوجود من أهل الله و لهذا نبه الله قلوب الغافلين ليتنبهوا على الحروف المقطعة في أوائل السور فإنها صور ملائكة و أسماؤهم فإذا نطق بها القارئ كان مثل النداء بهم فأجابوه فيقول القارئ ألف لام ميم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة مجيبين ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف تاليا فيقولون صدقت إن كان خيرا و يقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا و أخبر بحق فيستغفرون له و هم أربعة عشر ملكا ألف لام ميم صاد راء كاف هاء ياء عين طاء سين حاء قاف نون ظهروا في منازل من القرآن مختلفة فمنازل ظهر فيها واحد مثل ق ن ص و منازل ظهر فيها اثنان مثل طس يس حم و هي سبعة أعني الحواميم طه و منازل ظهر فيها ثلاثة و هم الم البقرة و الم آل عمران و الر يونس و هود و يوسف و إبراهيم و الحجر و طسم الشعراء و القصص و العنكبوت و لقمان و الروم و السجدة و منها منازل ظهر فيها أربعة هم المص الأعراف و المر الرعد و منازل ظهر فيها خمسة و هي مريم و الشورى و جميعها ثمان و عشرون سورة على عدد منازل السماء سواء فمنها ما يتكرر في المنازل و منها ما لا يتكرر فصورها مع التكرار تسعة و سبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان و إن الايمان بضع و سبعون شعبة أرفعها لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و البضع من واحد إلى تسعة فقد

استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحرف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب و تكون هذه الأرواح الملكية التي هذه الحروف أجسامها تحت تسخيره و بما بيدها من شعب الايمان تمده و تحفظ عليه إيمانه و هذا كله من النفس الرحماني الذي نفس الله به عن خلقه و اعلم أن هذه الحروف الأربعة عشر التي في أوائل السور كل حرف منها له ظاهر و هو صورته و له باطن و هو روحه و لكل حرف ليلة من الشهر أعني الشهر الذي يعرف بالقمر فإذا مشى القمر و قطع في سيره أربع عشرة منزلة أعطى في كل حرف من هذه الحروف من حيث صورها قوتين من حيث ذاته و من حيث نوره و أعطاه قوتين أخريين من حيث المنزلة التي نزل بها و من حيث البرج الذي لتلك المنزلة و لكن بقدر ما لتلك المنزلة من البرج فيصير في ذلك الحرف أربع قوى فيكون عمله أقوى من عمل كل واحد من أصحاب هذه القوي و يكون عمله في ظهور أعيان المطلوب فإذا أخذ القمر في النقص فقد أخذ في روحانية هذه الحروف إلى أن يكملها بكمال المنازل فتلك ثمان و عشرون و القوي مثل القوي إلا أنه يكون العمل غير العمل فالعمل الظاهر في المنافع و العمل الثاني في دفع المضار و في قوة النور الذي للقمر لهذا الحرف مراتب بحسب المنزلة و البرج الذي تكون فيه الشمس و اتصالات القمر بالمنزلة في تسديسها و تربيعها و تثليثها و مقابلتها و مقارنتها فتختلف الأحكام باختلاف ذلك هذا للحرف من قوة النور القمري فالعمل بالحروف يحتاج إلى علم دقيق فهذه القوي تحصل للحرف من سير القمر و قد ذكرنا حرف كل منزلة و أما لام ألف فمرتبته مرتبة الجوزهر و هو من الحروف المركبة أنزلوه منزلة الحرف الواحد لكمال نشأة الحروف و لهذا الحرف ليلة السرار الذي يكون للقمر فإن كسف القمر الشمس فذلك أسعد الحالات و أقواها في العمل بلام ألف و إن لم يكسفها ضعف عمله بقدر ما نزل عنها و كذلك اتصالات القمر بالخمسة لها أثر في الحرف على ما وقع عليه اتصاله بذلك الكوكب من الأحكام الخمسة كما كان حاله مع الشمس و يعتبر العامل أيضا شرف القمر و هبوطه و كونه خالي السير و بعيد النور و كونه مع الرأس و كونه مع الذنب لأن الله ما قدر هذا القمر مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ و اختصه بالذكر سدى بل ذلك لحكمة إلهية يعلمها من أوتي الحكمة التي هي الخير الكثير الإلهي فإن الستة الباقية قدرها أيضا منازل في نفس الأمر و ما حصها بالذكر فلما دخل القمر في الذكر كان له من القوة الإلهية و الشرف في الولاية و الحكم الإلهي ما ليس لغيره فإنه ما ذكر إلا بالحروف و بها نزل إلينا الذكر فكان نسبته إلى الحروف أتم من نسبة غيره فصار إمداده للحروف إمدادين إمداد جزاء و شكر لأن بها حصل له الذكر و إمدادا طبيعيا كإمداد سائر الستة لهذه الحروف و إنما ذكرنا ما يختص بالقمر دون سائر الستة لأنا في سماء الدنيا و هو موضع القمر و هو في ليلة السرار بارد رطب و في ليلة الإبدار حار رطب لما فيه من النور فهو مائي هوائي و فيما بينهما بحسب ما فيه من النور فإن النور له الشرف و لما اجتمع النار مع النور في الإحراق و قوة الفعل في بقية العناصر لهذا افتخر إبليس على

آدم و تكبر عليه فإن النار لا يقبل التبريد بخلاف بقية الأركان فإن الهواء يسخن و كذلك الماء و كذلك التراب فللنار في نفس الأركان أثر ليس لواحد منها في النار أثر و كذلك الماء له أثر في الهواء و التراب فيبرد الهواء و يزيد في رطوبته و يرطب التراب و يزيد في برودتها و ليس للهواء و التراب في هذين العنصرين أثر فأقوى الأركان النار و بعده الماء فالحرارة للنار و البرودة للماء و لهذا جعلهما فاعلين و الاثنين الآخرين منفعلين رطوبة الهواء و يبوسة التراب سبحان الخبير العليم الخلاق مرتب الأمور و مقدرها لا إله إلا هو العزيز الحكيم و في ليلة تقييدي لهذا الفصل و هي الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة سبع و عشرين و ستمائة الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفي عشرين من شباط رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهية و باطنها شهودا محققا ما رأيتها قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا فحصل لي من مشاهدة ذلك من العلم و اللذة و الابتهاج ما لا يعرفه إلا من ذاقه فما كان أحسنها من واقعة لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ و صورتها مثالا في الهامش كما هو فمن صوره لا يبدله و الشكل نور أبيض في بساط أحمر له نور أيضا في طبقات أربع صورة و أيضا روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع فمجموع الهوية ثمانية في طرفين مختلفين من بساط واحد فأطراف البساط ما هي البساط و لا غير البساط فما رأيت و لا علمت و لا تخيلت و لا خطر على قلبي صورة ما رأيت في هذه الهوية ثم إنها لها حركة خفية في ذاتها أراها و أعلمها من غير نقلة و لا تغير حال و لا صفة (الفصل الثامن و العشرون) في الاسم الإلهي القابض و توجهه على إيجاد ما يظهر في الأثير من ذوات الأذناب و الاحتراقات و وجود حرف التاء المعجمة باثنتين من فوقها من الحروف و له من المنازل منزلة القلب الأثير ركن النار و هذه الأركان وجودها قبل وجود هذه الأفلاك من حيث ما تقول سماوات لا من حيث ما هي أفلاك و هو متصل بالهواء و الهواء حار رطب فبما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الأذناب و ذلك لسرعة اندفاعها تظهر في رأى العين تلك الأذناب و إذا أردت تحقيق هذا فانظر إلى شرر النار إذا ضرب الهواء النار بالمروحة و غيرها يتطاير منها شرر أمثال الخيوط في رأى العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب و جعلها الله من زمان بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ فإن الشياطين و هم كفار الجن لهم عروج إلى السماء الدنيا يسترقون السمع أي ما تقوله الملائكة في السماء و تتحدث به مما أوحى الله به فيها فإذا سلك الشيطان أرسل الله عليه شِهاباً رَصَداً ثاقبا و لهذا يعطي ذلك الضوء العظيم الذي تراه و يبقى ذلك الضوء في أثره طريقا و رأيت مرة طريقه قد بقي ضوؤه ساعة و أزيد من ساعة و أنا بالطواف رأيته أنا و جماعة الطائفين بالكعبة و تعجب الناس من ذلك و ما رأينا قط ليلة أكثر منها ذوات أذناب الليل كله إلى أن أصبح حتى كانت تلك الكواكب لكثرتها و تداخل بعضها على بعض كما يتداخل شرر النار تحول بين أبصارنا و بين رؤية الكواكب فقلنا ما

هذا إلا لأمر عظيم فبعد قليل وصل إلينا أن اليمن ظهر فيه حادث في ذلك الوقت الذي رأينا هذا و جاءتهم الريح بتراب شبيه التوتياء كثير إلى أن عم أرضهم و علا على الأرض إلى حد الركب و خاف الناس و أظلم عليهم الجو بحيث إن كانوا يمشون في الطرق في النهار بالسرج و حال تراكم الغمام بينهم و بين نور الشمس و كانوا يسمعون في البحر بزبيد دويا عظيما و ذلك في سنة ستمائة أو تسع و تسعين و خمسمائة الشك مني فإني ما قيدته حين رأيت ذلك و ما قيدته في هذا المكان إلا في سنة سبع و عشرين و ستمائة و لذلك أصابني الشك لبعد الوقت لكنه معروف عند الخاص و العام من أهل الحجاز و اليمن و رأينا في تلك السنة عجائب كثيرة و في تلك السنة حل الوباء بالطائف حتى ما بقي فيها ساكن حل بهم من أول رجب إلى أول رمضان سنة تسع و تسعين و خمسمائة عن تحقيق و كان الطاعون الذي نزل بهم إذا كانت علامته في أبدانهم ما يتجاوزون خمسة أيام حتى يهلك فمن جاز خمسة أيام لم يهلك و امتلأت مكة بأهل الطائف و بقيت ديارهم مفتحة أبوابها و أقمشتهم و دوابهم في مراعيها فكان الغريب في تلك المدة إذا مر بأرضهم فتناول شيئا من طعامهم أو قماشهم أو دوابهم إذ لم يكن هناك حافظ يحفظه أصابه الطاعون من ساعته و إذا مر و لم يتناول شيئا سلم فحمى الله أموالهم في تلك المدة لمن بقي منهم و لمن ورثهم و تابوا و ورثوا البنات في تلك السنة و سكنت الفتن التي كانت بينهم فلما نجاهم الله من ذلك و رفعه عنهم و استمر لهم الأمان عادوا إلى ما كانوا عليه من الإدبار و هذه الكواكب ذوات الأذناب ما تحدث في الأثير و إنما يحدث منه في الهواء تشعله فهو على الحقيقة هواء محترق لا مشتعل هذا هو الأثير فهو كالصواعق فإنها أهوية محترقة لا شعلة فيها فما تمر بشيء إلا أثرت فيه و لا يحدث في هذا الركن شيء سوى ما ذكرناه إلا أنه في نفس الأمر ملك كريم له تسبيح خاص و سلطان قوي و السماء الدنيا في غاية من البرودة لولا أن الله حال بيننا و بين برد هذه السماء بهذه النار التي بين الهواء و بين السماء ما كان حيوان و لا نبات و لا معدن في الأرض لشدة البرد فسخن الله عالم الأرض و الماء و الهواء بما ترميه الكواكب من الشعاعات إلى الأرض بوساطة هذا الأثير فسخن العالم فتسري فيه الحياة و ذلك بتقدير العزيز العليم لا إله إلا هو رب كل شيء و مليكه (الفصل التاسع و العشرون) في الاسم الإلهي الحي و توجهه على إيجاد ما يظهر في ركن الهواء و له من الحروف حرف الزاي و من المنازل منزلة الشولة قال الله تعالى فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ فجعلها مأمورة يعلمنا أنها تعقل و لا يسمى الهواء ريحا إلا إذا تحرك و تموج فإن اشتدت حركته كان زعزعا و إن لم تشتد كان رخاء أي ريحا لينة و الريح ذو روح يعقل كسائر أجسام العالم و هبوبه تسبيحه تسري به الجواري و يطفئ السرج و يشعل النيران و يحرك المياه و الأشجار و يموج البحار و يزلزل الأرض و يلعب بالأغصان و يزجي السحاب و هو ركن أقوى من الماء و الماء أقوى من النار و النار أقوى من الحديد و الحديد أقوى من الجبال و الجبال أقوى من الأرض و ما ثم شيء

أقوى من الهواء إلا الإنسان حيث يقدر على قمع هواه بعقله الذي أوجده الله فيه فيظهر عقله في حكمه على هواه فإنه لقوة الصورة التي خلق عليها الرئاسة له ذاتية و لكونه ممكنا الفقر و الذلة له ذاتية فإذا غلب فقره على رياسته فظهر بعبوديته و لم يظهر لربوبية الصورة فيه أثر لم يكن مخلوق أشد منه و هكذا أخبر صلى الله عليه و سلم على ما حدثناه محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسى قال حدثنا عمر بن عبد المجيد الميانشي حدثنا عبد الملك ابن قاسم الهروي حدثنا محمود بن القاسم الأزدي حدثنا عبد الجبار بن محمد الجراحي حدثنا محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال ابن آدم تصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله هذا حديث غريب ففي هذا الحديث علم جوارح الإنسان بالأشياء و لهذا وصفها الله تعالى يوم القيامة بأنها تشهد فقال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ فالهواء موجود عظيم و هو أقرب الأركان نسبة إلى نفس الرحمن فهو أحق بهذا الباب و الهواء هو نفس العالم الكبير و هو حياته و له القوة و الاقتدار و هو السبب الموجب لوجود النغمات بتحريك الآلات من حركات الأفلاك و أغصان الأشجار و تقاطع الأصوات فيؤثر السماع الطبيعي في الأرواح فيحدث فيها هيمان و سكر و طرب فالهواء إذا تحرك أقوى المؤثرات الطبيعية في الأجسام و الأرواح و قد جعل الله هذا الركن أصل حياة العالم الطبيعي كما جعل الماء أصل الصور الطبيعية فصورة الهواء من الماء و روح الماء من الهواء و لو سكن الهواء لهلك كل متنفس و كل شيء في العالم متنفس فإن الأصل نفس الرحمن و جعله الله لطيفا ليقبل سرعة الحركة فإن العالم المتنفس يحتاج في وقت إلى نفس كثير و في وقت إلى نفس قليل ألا ترى الإنسان في زمان الصيف إذا حمي بدنه حرك الهواء بالمروحة ليبرد عنه ما يجده من الحرارة لما في الهواء من برودة الماء من حيث صورته و إن كانت له حركة خفية و لكن لا تكفي المحرور كما أنه إذا كثر بحيث أن يتأذى منه الإنسان طلب التستر عنه لأنه ليس في قوة الحيوان تقليله الهواء إلا إذا كان الإنسان هو الذي يثير حركة الهواء فإنه يقدر على تقليله بضعف حركة السبب الذي به أثاره و أما إذا كان السبب خارجا عن حكم الإنسان فإنه لا يقدر على تقليله و الهواء هو الذي يسوق الأرواح إلى المشام من طيب و خبيث و فيه تظهر صور الحروف و الكلمات فلو لا الهواء ما نطق ناطق و لا صوت مصوت و لما كان

البارئ متكلما و وصف نفسه بالكلام وصف نفسه بأن له نفسا و إن كان ليس كمثله شيء و لكن نبه عباده العارفين أن علمه بالعالم علمه بنفسه و وصف نفسه سبحانه بأنه ينفخ الأرواح فيعطي الحياة في الصور المسواة فجاء بالنفخ الذي يدل على النفس فحياة العالم بالنفخ الإلهي من حيث إن له نفسا فلم يكن في صور العالم أحق بهذه الحياة من الهواء فهو الذي خرج على صورة النفس الرحماني الذي ينفس الله به عن عباده ما يجدونه من الكرب و الغم الذي تعطيه الطبيعة و بعد أن عرفتك بمنزلة الهواء من العالم فلنذكر ما يحدث فيه فمما يحدث فيه صور الجنين في النكاح و الثمر في اللقاح قال تعالى وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ و هذا معروف بالمشاهدة في تلقيح الثمار فالهواء ينكح بما يحمله من روائح الذكورية و العقيم منه ما عدا اللواقح و اللواقح من الرياح ليست مخصوصة بالثمر و إنما هي كل ريح تعطي الصور و العقيم كل ريح تذهب بالصور فالهواء الذي يشعل النار من الرياح اللواقح و الذي يطفئ السرج من الريح العقيم و إن كانت واحدة في العين فما هي واحدة عند من يرى تجديد العالم في كل نفس فإنهم في لبس من خلق جديد و أصل هذا في العلم الإلهي أن اللواقح ما تعطيه الربوبية من وجود أعيان المربوبين و العقيم سبحات الوجه المذهبة أعيان الكائنات من خلقه و مما وجد من العالم في الهواء البرد و الثلج و الجليد إذا غلب عليه برد الماء فتشكل البرد من استدارته و جليده من اليبوسة التي تعطيه برد التراب و الثلج دون الجليد في اليبوسة و المطر من رطوبته و ما يزيده الماء من رطوبته فإنه يزيد في كميتها و يتكون في هذا الهواء في الجبال التي ذكر الله أمرها في قوله وَيُنَزِّلُ من السَّمَاءِ من جِبالٍ فِيها من بَرَدٍ و قد بيناها فيما قبل من هذا الكتاب تغلب الرطوبة في الهواء بما يزيده في رطوبته الماء و تعطيه النار من الحرارة ما يزيد في كمية حرارة الهواء فيحدث في الجو في هذه الجبال تعفين لأن هذه الأركان مركبة من الأربع الحقائق الطبيعية كل ركن منها و هذا سبب قبولها صور الكائنات فيها و لو لم يكن كذلك ما قبلت المولدات فإذا تعفن ما تعفن من ذلك كون الله في ذلك التعفين حيوانات هوائية جوية على صور حيات بيض و حيوانات للاستدارة أما هذه المستديرة فرأيناها و أما الحيات البيض فرأينا من رآها و قد وقفنا على ذكرها في بعض كتب الأنواء و إن البزاة البلنسية إذا علت في الجو في أوقات و وقعت بشيء منها نزلت بها على مرأى من أصحابها و ممن رآها والدي و قد نزل بها البازي من الجو في أيام السلطان محمد بن سعد صاحب شرق الأندلس و هذا الصنف المستدير الذي عايناه من ذلك التكوين يسمى بالأندلس بالشلمندار و أكثر ما ينزل في الكوانين مع المطر و فيه خواص إذا لعق باللسان لكن خرجت عني معرفة تلك الخواص في هذا الوقت و هو مجرب عندنا و مما يحدث في هذا الركن مما يلي ركن النار منه الصواعق و هي هواء محترق و البروق و هو هواء مشتعل تحدثه الحركة الشديدة و الرعود و هو هبوب الهواء تصدع أسفل السحاب إذا تراكم و هو تسبيح إذ كل صوت في العالم تسبيح لله تعالى حتى الصوت بالكلمة القبيحة هي قبيحة و هي تسبيحة بوجه يعلمه أهل الله

في أذواقهم لمن عقل عن الله و هذا الملك المسمى بالرعد هو مخلوق من الهواء كما خلقنا نحن من الماء و ذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد تسبيح ذلك الملك و في ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صوته و يذهب كما يذهب البرق و ذوات الأذناب فهذه حوادث هذا الركن في العالم العنصري و له حرف الزاي و هو من حروف الصفير فهو مناسب له لأن الصفير هواء بشدة و ضيق و له الشولة و هي حارة فافهم (الفصل الثلاثون) في الاسم الإلهي المحيي و توجهه على إيجاد ما يظهر في ركن الماء و له حرف السين المهملة من الحروف و له من المنازل المقدرة منزلة النعائم قال تعالى وَجَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ و قال تعالى وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ من السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ به وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ به الْأَقْدامَ فأعاد الضمير من به الاقدام على المطر و الرجس بالسين القذر عند القراء و هو هنا القذر المعنوي لأنه مضاف إلى الشيطان فلا يدل إلا على ما يلقيه من الشبه و الجهالات و الأمور التشكيكية ليقذر بها محل هذا القلب فيذهب الله ذلك بما في الماء المنزل من الحياة العلمية بالبراهين و الكشف فإذا زال ذلك القذر الشبهي بهذا الماء المنزل من عند الله زال الوسخ الجهلي و ارتفع الغطاء عن القلب فنظر بعينه في ملكوت السموات و الأرض فربط ذاته بما أعطاه العلم فعلم ما أريد به في كل نفس و وقت فعامله بما أعطاه العلم المنزل الذي ظهره به في ذلك الماء الذي جعل نزوله في الظاهر علامة على فعله في الباطن فكان من مواطنه مقابلة الأعداء فأداه ما عاينه و ربط قلبه به إن ثبتت قدمه يوم الزحف عند لقاء الأعداء فما ولوا مدبرين و أنزل الله نصره و هو تثبيت الاقدام فهذا ما أعطاه الله في الماء من القوة الإلهية حيث أنزله منزلة الملائكة بل أتم من الملائكة و إنما قلنا بل أتم فإن الله جعل الماء سبب تثبيت أقدام المجاهدين المؤمنين فقال وَيُثَبِّتَ به الْأَقْدامَ فأنزله منزلة المعين على ما يريد و قال في الملائكة إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ لما علم من ضعفهم أعلمهم أن الله معهم من حيث أنيته ليتقوى جأشهم فيما يلقونه في قلوب المؤمنين المجاهدين أن يثبتوا و يصابروا العدو و لا ينهزموا و هذه من لمات الملائكة فقال لهم فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا أي اجعلوا في قلوبهم إن يثبتوا ثم أعانهم فقال سَأُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ أخبرهم بذلك ليلقوا في نفوس المجاهدين هذا الكلام فإنه من الوحي فيجد المجاهد في نفسه ذلك الإلقاء و هو وحي الملك في لمته فانظر كم بين مرتبة الماء و مرتبة هؤلاء الملائكة و الماء و إن كان من الملائكة فهو ملك عنصري و أصله في العنصر من نهر الحياة الطبيعية الذي فوق الأركان و هو الذي ينغمس فيه جبريل كل يوم غمسة و ينغمس فيه أهل النار إذا خرجوا منها بالشفاعة فهذا الماء العنصري من ذلك الماء الذي هو نهر الحياة و هذه الملائكة التي تقوى قلوب المجاهدين و تثبتهم و توحي إليهم قوله سَنُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ هم الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور الذي في السماء السابعة المخلوقين من قطرات ماء نهر الحياة في انتفاض الروح الأمين من انغماسه و لهذا قرن الملائكة بالمجاهدين في التثبيت مع الماء المنزل لنثبت به الاقدام فقد أبان الله

في هذه عن مرتبة الماء من مراتب الملائكة ليعقلها العالمون من عباد الله وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ فجعل الله من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ و هذا الركن هو الذي يعطي الصور في العالم كله و حياته في حركاته ثم إن هذا الركن جعله الله مالحا لما فيه من مصالح العالم فإنه بما فيه من الملوحة يصفي الجو من الوخم و العفونات التي تطرأ فيه من أبخرة الأرض و أنفاس العالم و ذلك أن الأرض بطبعها ما تعطي التعفين لأنها باردة يابسة فيحصل فيها من الماء رطوبات عرضية تكثر فإذا كثرت و سخنتها أشعة الكواكب مثل الشمس و غيرها بمرور هذه الأشعة على الأثير ثم بما في جو الأرض من حركات الهواء المنضغط فإن الحركة سبب موجب لظهور الحرارة و يظهر ذلك في الحمامات في الأرض الكبريتية فإذا تضاعفت كمية الحرارة على هذه الرطوبات صعدت بها علوا بخارا فمن هنالك يطرأ التعفين في الجو فيذهب ذلك التعفين ما في البحر من الملوحة فيصفو الجو و ذلك من رحمة الله بخلقه فلا يشعر بذلك إلا العلماء من عباد الله ثم إن الله جعل للبقاع في الماء حكما و أصل ذلك الحكم من الماء هذا هو العجب فجعل من الأرض سباخا تعطي ماء مالحا إذا عظم ذلك منها و تعطي فعاما و مرا و زعاقا كما تعطي أيضا عذبا فراتا كل ذلك بجعل الله تعالى و أصل هذا كله مما أعطى الماء الأرض من الرطوبات و أعطاها الهواء و الحركات من الحرارة و تختلف أمزجة الأرض فمن الماء عذب فرات لمصالح العباد فيما يستعملونه من الشرب و غير ذلك و منه ملح أجاج لمصالح العباد فيما يذهب به من عفونات الهواء فما من ركن إلا و قد جعله الله مؤثرا و مؤثرا فيه أصل ذلك في العلم الإلهي وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ و كل مؤثر فيه من العالم فمن الإجابة الإلهية و أما اسم الفاعل من ذلك فهو معلوم عند كل أحد فما نبهنا إلا على ما يمكن أن يغفل عنه أكثر الناس كما قال في أشياء وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ثم إن الله عز و جل ما جعل التكوينات التي هي دواب البحر في البحر الملح إلا في العذب منه خاصة فلو لا وجود الهواء فيه و الماء العذب ما تكون فيه حيوان ألا ترى البخار الصاعد من الأنهار و البحار و لا سيما في زمان البرد ذلك هو النفس يصعد من الأرض و من البحر كما يخرج النفس من المتنفس يطلب ركنه الأعظم فيستحيل ماء و يلحق بعنصره منه على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج و إليه يرجع بعضه أصله في العلم الإلهي إن الله كان و لا شيء و أوجد الأشياء و أظهر فيها الدعاوي بما جعل فيها من استحالات بعضها إلى بعض و بما أعطاها من القوي التي تفعل بها و قال بعد هذا كله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فجعل صعود البخار من الماء و هو ماء استحال هواء يسمى بخارا ليقع الفرق بين الهواء الأصلي و بين الهواء المستحيل ثم يصير غما ما متراكما ثم ينزل ماء كما كان أول مرة فعاد إلى أصله الذي خرج منه ثم يعود الدور فلهذا شبهناه بالدولاب و قلنا إنه يرجع و ذلك بتقدير العزيز العليم انتهى

الجزء الثالث و العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الفصل الحادي و الثلاثون) في الاسم إلهي المميت و توجهه على إيجاد ما يظهر في الأرض و له حرف الصاد المهملة و من المنازل البلدة قال تعالى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ و قال وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا و هي أول مخلوق من الأركان ثم الماء ثم الهواء ثم النار ثم السموات و أخبر تعالى عنها بأمور تقضي أنها تعقل فوصفها بالقول و الإباية و قال لها و قالت له و نعتها بالطاعة و الأخذ بالأحوط ليدل بذلك على علمها و عقلها و جعلها محلا لتكوين المعادن و النبات و الحيوان و الإنسان و جعلها حضرة الخلافة و التدبير فهي موضع نظر الحق و سخر في حقها جميع الأركان و الأفلاك و الأملاك و أنبت فِيها من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ من كل ذكر و أنثى و ما جمع لمخلوق بين يديه سبحانه إلا لما خلق منها و هي طينة آدم عليه السلام خمرها بيديه و هو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و أقامها مقام العبودية فقال الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا و جعل لها مرتبة النفس الكلية التي ظهر عنها العالم كذلك ظهر عن هذه الأرض من العالم المولدات إلى مقعر فلك المنازل و هذا الركن لا يستحيل إلى شيء و لا يستحيل إليه شيء و إن كان بهذه المثابة بقية الأركان و لكنه في هذا الركن أظهر حكما منه في غيره و اعلم أن كل معلوم يدخله التقسيم فإنه يدخل في الوجود الذهني لا بد من ذلك و قد يكون هذا الداخل في الوجود الذهني ممن يقبل الوجود العيني و قد يكون ممن لا يقبل الوجود العيني كالمحال و الذي يقبل الوجود العيني لا يخلو إما أن يكون قائما بنفسه و هو المقول عليه لا في موضوع و إما أن لا يكون فأما قسم ما يكون قائما بنفسه فلا يخلو إما أن يكون متحيزا أو غير متحيز و أما قسم لا في موضوع غير متحيز فلا يخلو إما أن يكون واجب الوجود لذاته و هو الله تعالى و إما أن يكون واجبا بغيره و هو الممكن و هذا الممكن إما أن يكون متحيزا أو غير متحيز و القسمة فيما هو قائم بنفسه من الممكنات فغير المتحيز كالنفوس الناطقة المدبرة لجوهر العالم النوراني و الطبيعي و العنصري و المتحيز إما أن يكون مركبا ذا أجزاء و إما أن لا يكون ذا أجزاء فإن لم يكن ذا أجزاء فهو الجوهر الفرد و إن كان ذا أجزاء فهو الجسم و أما القسم الذي هو في موضوع و هو الذي لا يقوم بنفسه و لا يتحيز إلا بحكم التبعية فلا يخلو إما أن يكون لازما للموضوع أو غير لازم في رأى العين و أما في نفس الأمر فلا شيء مما لا يقوم بنفسه يكون باقيا في نفس الأمر زائدا على زمان وجوده لكن منه ما تعقبه الأمثال و منه ما يعقبه ما ليس بمثل فأما الذي يعقبه الأمثال فهو الذي يتخيل أنه لازم كصفرة الذهب و سواد الزنجي و أما الذي لا تعقبه الأمثال فهو المسمى بالعرض و اللازم يسمى صفة و ليست المعلومات التي لها وجود عيني سوى ما ذكرنا و اعلم أن العالم واحد بالجوهر كثير بالصورة و إذا كان واحدا بالجوهر فإنه لا يستحيل و كذلك الصورة أيضا لا تستحيل لما يؤدي إليه من قلب الحقائق فالحرارة لا تكون برودة و اليبوسة لا تكون رطوبة و البياض لا يستحيل سوادا و التثليث لا يصير تربيعا لكن الحار قد يوجد بارد إلا في زمان كونه حارا و كذلك البارد

قد يوجد حار إلا في زمان كونه باردا و كذلك الأبيض قد يكون أسود بمثل ما ذكرنا و المثلث قد يكون مربعا فبطلت الاستحالة فالأرض و الماء و الهواء و الأفلاك و المولدات صور في الجوهر فصور تخلع عليه فيسمى بها من حيث هيأة و هو الكون و صور تخلع عنه فيزول عنه بزوالها ذلك الاسم و هو الفساد فما في الكون استحالة يكون المفهوم منها أن عين الشيء استحال عينا آخر إنما هو كما ذكرنا و العالم في كل زمان فرد يتكون و يفسد و لا بقاء لعين جوهر العالم لو لا قبول التكوين فيه فالعالم يفتقر على الدوام أما افتقار الصور فلبروزها من العدم إلى الوجود و أما افتقار الجوهر فلحفظ الوجود عليه إذ من شرط وجوده وجود تكوين ما هو موضوع له لا بد من ذلك و كذلك حكم الممكن القائم بنفسه الذي لا يتحيز هو موضوع لما يحمله من الصفات الروحانية و الإدراكات التي لا بقاء لعينه إلا بها و هي تتجدد عليه تجدد الأعراض في الأجسام و صورة الجسم عرض في الجوهر و أما الحدود إنما محلها الصور فهي المحدودة و لا بد أن يوجد في حدها الجوهر الذي تظهر فيه و بهذا القدر يسمون الصور جوهرا لكونهم يأخذون الجوهر في حد الصورة و بالجملة فالنظر في هذه الأمور من غير طريق الكشف الإلهي لا يوصل إلى حقيقة الأمر على ما هي عليه لا جرم أنهم لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ و لهذا عدلت الطائفة السعيدة المؤيدة بروح القدس إلى التجرد عن أفكارها و التخلص عن قيد قواها و اتصلت بالنور الأعظم فعاينت الأمر على ما هو عليه في نفسه إذ كان الحق عز و جل بصرها فلم تشاهد إلا حقا كما قال الصديق ما رأيت شيئا ألا رأيت الله قبله فيرى الحق ثم يرى أثره في الكون و هو الوقوف على كيفية الصدور فكأنه عاين الممكنات في حال ثبوتها عند ما رش على ما رش منها من نوره الأعظم فاتصفت بالوجود بعد ما كانت تنعت بالعدم فمن هذا مقامه فقد ارتفع عنه غطاء العمي و الحيرة فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . . . إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ فما جعل العلم إلا في الشهود فالحاكم يحكم بغلبة ظنه و الشاهد يشهد بعلم لا بظن ثم اعلم أن أجسام العالم تنقسم إلى لطيف و كثيف و شفاف و كدر و مظلم و منور و إلى كبير و صغير و إلى مرئي و غير مرئي فالوجود كله عطاء

ليس عند الله منع كل ما منه عطاء

فإذا ما قيل منع لم يكن الا عطاء

فإنا ما بين شيئين غطاء و وطاء

و أنا لكل ما في الكون من خير وعاء

فالرجل الذي رأى الحق حقا فاتبعه و حكم الهوى و قمعه فإذا جاع جوع اضطرار و حضر بين يديه أشهى ما يكون من الأطعمة تناول منه بعقله لا بشهوته و دفع به سلطان ضرورته ثم أمسك عن الفضل غنى نفس و شرف همةفذلك سيد الوقت فاقتد به و ذلك صورة الحق أنشأها الله صورة جسدية بعيدة المدى لا يبلغ مداها و لا يخفى طريق هداها و هذا هو طبع الأرض فهي الذلول التي لا تقبل الاستحالة فيظهر فيها أحكام الأركان و لا يظهر لها حكم في شيء تعطي جميع المنافع من ذاتها هي محل كل خير فهي أعز الأجسام لا تزاحم المتحركات بحركتها لأنها لا تفارق حيزها يظهر فيها كل ركن سلطانه و هي الصبور القابلة الثابتة الراسية سكن ميدها جبالها التي جعلها الله أوتادها لما تحركت من خشية الله آمنها الله بهذه الأوتاد فسكنت سكون الموقنين و منها تعلم أهل اليقين يقينهم فإنها الأم التي منها أخرجنا و إليها نعود و منها نخرج تارة أخرى لها التسليم و التفويض هي ألطف الأركان معنى و ما قبلت الكثافة و الظلمة و الصلابة إلا لستر ما أودع الله فيها من الكنوز لما جعل الله فيها من الغيرة فحار السعاة فيها فلم يخرقوها و لا بلغوا جبالها طولا أعطاها صفة التقديس فجعلها طهورا في أشرف الحالات و ذلك عند الاضطرار لما أقامها مقامه مثل الظمآن يرى السراب فيحسبه ماء فإذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً يعني ماء وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فما وجد الله إلا عند الضرورة كذلك طهارة الأرض لا تكون إلا لفاقد الماء على ما كان من الأحوال فانظر ما أشرف منزلها ثم أنزلتها منزلة النقطة من المحيط فهي تقابل بذاتها كل جزء من المحيط و ينظر إليها كل جزء من المحيط فكل خط منها يخرج إلى المحيط على السواء و الاعتدال لأنها ما تعطي إلا بحسب صورتها و كل خط من المحيط إليها يقصد فلو زالت زال المحيط و لو زال المحيط لم يلزم زوالها فهي الدائمة الباقية في الدنيا و الآخرة أشبهت نفس الرحمن في التكوين و اعلم أن الله تعالى قد جعل هذه الأرض بعد ما كانت رتقا كالجسم الواحد كما كانت السماء ففتق رتقها و جعلها سبعة أطباق كما فعل بالسموات و جعل لكل أرض استعداد انفعال لأثر حركة فلك من أفلاك السموات و شعاع كوكبها فالأرض الأولى و هي التي نحن عليها للفلك الأول من هناك ثم تنزل إلى أن تنتهي إلى الأرض السابعة و السماء الدنيا و لذلك قال ع فيمن غصب شبرا من الأرض طوقه الله به من سبع أرضين لأنه إذا غصب شيئا من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا إلى منتهى الأرض و لو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل معقول هذا الخبر و كذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض طهر الله بسجدته إلى سبع أرضين و قال تعالى أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً أي كل واحدة منهما مرتوقة ثم قال فَفَتَقْناهُما يعني فصل بعضها من بعض حتى تميزت كل واحدة عن صاحبتها كما قال خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً و مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ الظاهر يريد طباقا ثم قال يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ أي بين السموات و الأرض و لو كانت أرضا واحدة لقال بينهما هذا هو الظاهر و هو الذي يعطيه الكشف و الأمر النازل بينهن هذا الأمر الإلهي الذي يكون بين

السماء الدنيا و الأرض التي نحن عليها ينزل من السماء ثم يطلب أرضه و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فذلك الأمر هو الذي ينزل إلى أرضه بما أوحى الله فيه على عامر تلك الأرض من الصور و الأرواح و جعل هذه الأرض سبعة أقاليم و اصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال لكل بدل إقليم يمسك الله وجود ذلك الإقليم به فالإقليم الأول ينزل الأمر إليه من السماء الأولى من هناك و تنظر إليه روحانية كوكبه و البدل الذي يحفظه على قلب الخليل عليه السلام و الإقليم الثاني ينزل الأمر إليه من السماء الثانية و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام و الإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب هارون و يحيى عليهما السلام بتأييد محمد عليه الصلاة و السلام و الإقليم الرابع ينزل الأمر إليه من قلب الأفلاك كلها و تنظر إليه روحانية كوكبها الأعظم و البدل الذي يحفظه على قدم إدريس عليه السلام و هو القطب الذي لم يمت إلى الآن و الأقطاب فينا نوابه و الإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظ الله به ذلك الإقليم على قلب يوسف عليه السلام و يؤيده محمد صلى الله عليه و سلم و الإقليم السادس ينزل الأمر إليه من السماء السادسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله و يحيى عليهما السلام و الإقليم السابع ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا و ينظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام و اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بحرم مكة خلف حطيم الحنابلة وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم و سلموا علينا و تحدثت معهم فذلك سيد الوقت فاقتد به و ذلك صورة الحق أنشأها الله صورة جسدية بعيدة المدى لا يبلغ مداها و لا يخفى طريق هداها و هذا هو طبع الأرض فهي الذلول التي لا تقبل الاستحالة فيظهر فيها أحكام الأركان و لا يظهر لها حكم في شيء تعطي جميع المنافع من ذاتها هي محل كل خير فهي أعز الأجسام لا تزاحم المتحركات بحركتها لأنها لا تفارق حيزها يظهر فيها كل ركن سلطانه و هي الصبور القابلة الثابتة الراسية سكن ميدها جبالها التي جعلها الله أوتادها لما تحركت من خشية الله آمنها الله بهذه الأوتاد فسكنت سكون الموقنين و منها تعلم أهل اليقين يقينهم فإنها الأم التي منها أخرجنا و إليها نعود و منها نخرج تارة أخرى لها التسليم و التفويض هي ألطف الأركان معنى و ما قبلت الكثافة و الظلمة و الصلابة إلا لستر ما أودع الله فيها من الكنوز لما جعل الله فيها من الغيرة فحار السعاة فيها فلم يخرقوها و لا بلغوا جبالها طولا أعطاها صفة التقديس فجعلها طهورا في أشرف الحالات و ذلك عند الاضطرار لما أقامها مقامه مثل الظمآن يرى السراب فيحسبه ماء فإذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً يعني ماء وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فما وجد الله إلا عند الضرورة كذلك طهارة الأرض لا تكون إلا لفاقد الماء على ما كان من الأحوال فانظر ما أشرف منزلها ثم أنزلتها منزلة النقطة من المحيط فهي تقابل بذاتها كل جزء من

المحيط و ينظر إليها كل جزء من المحيط فكل خط منها يخرج إلى المحيط على السواء و الاعتدال لأنها ما تعطي إلا بحسب صورتها و كل خط من المحيط إليها يقصد فلو زالت زال المحيط و لو زال المحيط لم يلزم زوالها فهي الدائمة الباقية في الدنيا و الآخرة أشبهت نفس الرحمن في التكوين و اعلم أن الله تعالى قد جعل هذه الأرض بعد ما كانت رتقا كالجسم الواحد كما كانت السماء ففتق رتقها و جعلها سبعة أطباق كما فعل بالسموات و جعل لكل أرض استعداد انفعال لأثر حركة فلك من أفلاك السموات و شعاع كوكبها فالأرض الأولى و هي التي نحن عليها للفلك الأول من هناك ثم تنزل إلى أن تنتهي إلى الأرض السابعة و السماء الدنيا و لذلك قال ع فيمن غصب شبرا من الأرض طوقه الله به من سبع أرضين لأنه إذا غصب شيئا من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا إلى منتهى الأرض و لو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل معقول هذا الخبر و كذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض طهر الله بسجدته إلى سبع أرضين و قال تعالى أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً أي كل واحدة منهما مرتوقة ثم قال فَفَتَقْناهُما يعني فصل بعضها من بعض حتى تميزت كل واحدة عن صاحبتها كما قال خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً و من الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ الظاهر يريد طباقا ثم قال يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ أي بين السموات و الأرض و لو كانت أرضا واحدة لقال بينهما هذا هو الظاهر و هو الذي يعطيه الكشف و الأمر النازل بينهن هذا الأمر الإلهي الذي يكون بين السماء الدنيا و الأرض التي نحن عليها ينزل من السماء ثم يطلب أرضه و هو قوله وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فذلك الأمر هو الذي ينزل إلى أرضه بما أوحى الله فيه على عامر تلك الأرض من الصور و الأرواح و جعل هذه الأرض سبعة أقاليم و اصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال لكل بدل إقليم يمسك الله وجود ذلك الإقليم به فالإقليم الأول ينزل الأمر إليه من السماء الأولى من هناك و تنظر إليه روحانية كوكبه و البدل الذي يحفظه على قلب الخليل عليه السلام و الإقليم الثاني ينزل الأمر إليه من السماء الثانية و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام و الإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب هارون و يحيى عليهما السلام بتأييد محمد عليه الصلاة و السلام و الإقليم الرابع ينزل الأمر إليه من قلب الأفلاك كلها و تنظر إليه روحانية كوكبها الأعظم و البدل الذي يحفظه على قدم إدريس عليه السلام و هو القطب الذي لم يمت إلى الآن و الأقطاب فينا نوابه و الإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظ الله به ذلك الإقليم على قلب يوسف عليه السلام و يؤيده محمد صلى الله عليه و سلم و الإقليم السادس ينزل الأمر إليه من السماء السادسة و تنظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله و يحيى عليهما السلام و الإقليم السابع ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا و ينظر إليه روحانية كوكبها و البدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه

السلام و اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بحرم مكة خلف حطيم الحنابلة وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم و سلموا علينا و تحدثت معهمفما رأيت فيما رأيت أحسن سمتا منهم و لا أكثر شغلا منهم بالله ما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية و كان فارسيا (وصل) و اعلم أن الفرق الذي بين مزاج العنصر الواحد و امتزاجه بعضه ببعضه أو امتزاجه بعنصر آخر كامتزاج الماء بالتراب فيحدث اسم الطين فما هو تراب و ما هو ماء و الامتزاج في العنصر الواحد كالنيل و الإسفيداج إذا مزجا بالسحق و اختلطت أجزاؤهما و امتزجت امتزاجا لا يمكن الفصل بينهما يحدث بينهما لون آخر ما هو لواحد منهما و يحدث لهذا الامتزاج حكم في آخر الأفعال الطبيعية و كالماء العذب و الماء الملح إذا امتزجا حدث بينهما طعم آخر ما هو ملح و لا عذب فهذا ما أعطاه الامتزاج في العنصر الواحد و كذلك الماء بما هو بارد إذا أعطت النار فيه التسخين بحيث أن لا تبقيه باردا و لا تبلغ به درجتها في السخانة فيكون فاترا حارا و لا باردا فهذا امتزاج لا يشبه امتزاج العنصر بعضه في بعضه و لا امتزاج العنصرين و أما المزاج فهو ما كان به وجود عين العنصر و هو المسمى بالطبع فيقال طبع الماء أو مزاج الماء أن يكون باردا رطبا و النار حارة يابسة و الهواء حارا رطبا و التراب باردا يابسا فما ظهرت أعيان هذه الأركان إلا بهذا المزاج الطبيعي فكل مزاج طبيعي و ليس الامتزاج كذلك فبالامتزاج الذي ذكرناه في عنصر الماء نعلم قطعا إن أجزاء الماء الملح مجاورة أجزاء الماء العذب و أجزاء النيل مجاورة أجزاء الإسفيداج مجاورة بالعقل لا يدركها الحس و لا يفصلها و لكن في الامتزاج يحدث للطبيعة حكم في هذه الصور الظاهرة من الامتزاج كتركيب الأدوية فكل عقار فيه له نفع على حدة ثم إذا مزج الكل كان بهذه المثابة و كان للطبيعة في المجموع حكم و لا بد فإذا جعل الكل في إناء واحد و صب على الجميع ماء واحد أعطى كل عقار في كل جوهر من ذلك الماء قوة فيكون في الجوهر الواحد من الماء قوة كل واحد من العقاقير ما لم تتضاد القوي فهذا و إن كان امتزاجا فما هو مثل ذلك الامتزاج و لا بلغ حكمه حكم المزاج فهذه حالة معقولة بين المزاج و بين الامتزاج لا يقال فيه مزاج و لا امتزاج و كذلك الأرض و إن كانت سبعة طباق فقد يعسر في الحس الفصل بينهن مع علمنا بأن كل واحدة منهن لا تكون بحيث الأخرى كما لا يكون الجوهر بحيث جوهر آخر و عرضه يكون بحيث موضوعة و حامله فهكذا يكون كون الأشياء و فسادها و ما يلحقها من التغيير انتهى الجزء الثالث و العشرون و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل) و أما ما يلحق الأجسام العنصرية من لواحق الطبيعة في الأجسام فكثير فمن ذلك حركة العنصر و سكونه هل هو مخالف لحركة الفلك و سكونه لو فرض سكونه أو هل سكونه كسكون السماء الذي لا يقول به إلا أهل هذا الشأن منا فأما حركة الفلك و هو من

الأجسام الطبيعية فإنه يتحرك بمحرك ليس هو و هكذا كل متحرك في العالم و ساكن ما هو متحرك لذاته و لا ساكن لذاته بل بمحرك و مسكن و ذلك المحرك له لا بد أن يكون محركا له بذاته أو محركا له بما هو يريد تحريكه فأما من يرى أن محركه يحركه لذاته فهو القائل بخلق الحركة في الجسم و الحركة تعطي لذاتها فيمن قامت به التحرك فهي محركة المتحرك لذاتها و السكون مثل ذلك و إن كان المحرك بما هو يريد تحريكه فقد يحركه بواسطة و بغير واسطة أي بواسطة لا تتصف بأنها مريدة لتحريكه و لو كانت ذا إرادة كالمجبور فيمن كان ذا إرادة أو تحريك الغصن بتحريك الريح التي تحدثه حركة المروحة من حركة يد الذي يروحه بها و بغير واسطة كإنسان هز عصا في يده فاضطربت أو يكون المتحرك هو المتحرك بالإرادة في ذاته كتحرك الإنسان في الجهات التحرك الإرادي فالفلك عندنا متحرك تحرك الإنسان في الجهات لأنه يعقل و يكلف و يؤمر كما قال عليه السلام في ناقته إنها مأمورة و قال عليه السلام في الشمس إنها تستأذن في الطلوع و حينئذ تطلع فيؤذن لها فإذا جاء وقت طلوعها من مغربها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مغربها فذلك حين لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها فالفلك متحرك بالإرادة ليعطي ما في سمائه من الأمر الإلهي الذي يحدث أشياء في الأركان و المولدات و بتلك الحركات الفلكية يظهر الزمان فالزمان لا يحكم في مظهره و إنما يحكم فيما دونه فلا حكم للزمان في حركات الفلك لأنه المظهر عينه و للحوادث الظاهرة و الطارئة في الأفلاك و السموات و العالم العلوي أسباب غير الزمان و حركات الفلك مرتبة متتالية الأجزاء على طريقة واحدة كتحرك الرحى فكل جزء لا يفارق مجاوره و حركة الأركان ليست كذلك فإن حركة العنصر متداخلة بعضها في بعض يزول كل جزء عن الجزء الذي كان يجاوره و يعمر أحيازا غير أحيازه التي كان فيها فأسباب حركة العنصر تخالف أسباب حركة الفلك لأن حركة الفلك ما تعرف سوى ما تعطيه في الأركان من التحريك و شعاعات كواكبها بما أودع الله فيها من العقل و الروح و العلم تعطي في أشخاص كل نوع من المولدات على التعيين من معدن و نبات و حيوان و جن و ملك مخلوق من عمل أو نفس بقول من تسبيح و ذكر أو تلاوة و ذلك لعلمها بما أودع الله لديها و هو قوله تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فمن لا كشف له يرى أن ذلك كله الكائن عن سريانها إنها مسخرات في حركاتها لإيجاد هذه الأمور كتحريك الصانع للآلات لإيجاد صورة ما يريد إيجادها كالصورة في الخشب و غيره و لا تعرف الآلات شيئا من ذلك و لا ما صدر عنها و إن كانت تلك الصور لا تظهر إلا بهذه الآلات هكذا يزعم من يذهب إلى غير ما ذهبنا إليه و ذهب إليه أهل الله من أهل الكشف و الوجود و نحن نقول إن آلة النجار ربما تعلم أكثر مما يعلم الصانع بها فإنها حية ناطقة عالمة بخالقها مسبحة بحمد ربها عالمة بما خلقت له عند أهل الكشف فإن المكاشف إذا كشف الله عن بصره و سمعه تناديه أشجار الأرض و نجمها بمنافعها و مضارها كما قالت الأحجار لداود عليه السلام يقول كل حجر يا داود خذني فأنا أقتل جالوت و قال له

الحجر الآخر خذني فإني أجعل الكسرة في ميمنة عسكره فقد علم كل حجر ما خلق له فأخذ داود تلك الأحجار فوقع الأمر كما ذكرت و لما لم يبلغ بعض الناس هذه الدرجة و لا طولع بها أنكرها و لم يكن ينبغي له ذلك فما من متحرك في العالم إلا و هو عالم بما إليه يتحرك إلا الثقلين فقد يجهلون ما يتحركون إليه بل يجهلون إلا من شاء الله من أهل الكشف من مريد و غيره قال الله للسماء و الأرض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و إتيان الأرض حركة و انتقال لما دعيت إليه فجاءت طائعة فكل جزء في الكون عالم بما يراد منه فهو على بصيرة حتى أجزاء بدن الإنسان فما يجهل منه إلا لطيفته المكلفة الموكلة إلى استعمال فكرها أو تنظر بنور الايمان حتى يظهر ذلك النور على بصرها فيكشف ما كان خبرا عندها فإذا كانت حركة العنصر تخالف حركة الفلك بالتداخل و بما يطرأ عليها من السكون في بعض أجزاء العنصر لا في كله فنعلم قطعا إن حكم الحركة في العنصر يخالف حكم حركة الفلك فحكم حركة العنصر أي عنصر كان فإن كان بين عنصرين كالهواء و الماء أو لا يكون بين عنصرين كالنار و الأرض فحركة الهواء العنصري يظهر فيه من الأثر بحسب ما يباشر منه ما فوقه و ما تحته و كذلك عنصر الماء و أما حركة النار فلا تؤثر فيه إلا الهواء و حركة الأرض لا تؤثر فيه إلا الماء و الهواء و بهذا يفارق هذا العنصر عنصر النار فإذا أثر النار التسخين فيما عداه من الأركان فيأخذ أمرين إما بوساطة شعاع الكوكب الأعظم و هو الشمس فإن شعاعها يمر على الأثير فيكتسب زيادة كميات في حرارته أو بوساطة النار المحمولة في الفحم أو الحطب و هذه الآثار التي تظهر في العنصر من غيره إن لم يكن له إمداد من العنصر الذي ظهر عنه ذلك الأثر و الأغلب عليه حكم العنصر الذي ظهر فيه الأثر فأفسده فهذا من أنواع الكون و الفساد الظاهر في أجسام العناصر ثم لتعلم إن التحقيق في الحركة و السكون أنهما نسبتان للذوات الطبيعية المتحيزة المكانية أو القابلة للمكان إن كانت في الإمكان و ذلك أن المتحيز لا بد له من حيز يشغله بذاته في زمان وجوده فيه فلا يخلو ما أن يمر عليه زمان ثان أو أزمنة و هو في ذلك الحيز عينه فذلك المعبر عنه بالسكون أو يكون في الزمان الثاني في الحيز الذي يليه و في الزمن الثالث في الحيز الذي يلي الحيز الثاني فظهوره و أشغاله لهذه الأحياز حيزا بعد حيز لا يكون إلا بالانتقال من حيز إلى حيز و لا يكون ذلك إلا بمنقل فإن سمي ذلك الانتقال حركة مع عقلنا إنه ما ثم إلا عين المتحيز و الحيز و كونه شغل الحيز الآخر المجاور لحيزه الذي شغله أولا فلا يمنع و من ادعى أن ثم عينا موجودة تسمى حركة قامت بالمتحيز أوجبت له الانتقال من حيز إلى حيز فعليه بالدليل فما انتقل إلا بمنقل أما إن كان ذا إرادة فبإرادته أو بمنقل غيره نقله من حيز إلى حيز و كذلك الاجتماع و الافتراق نسبتان للمتحيزات فالاجتماع كون متحيزين متجاورين في حيزين لا يعقل بينهما ثالث و الافتراق أن يعقل بينهما ثالث أو أكثر فاعلم ذلك ثم إن الزمان و المكان من لواحق الأجسام الطبيعية أيضا غير أن الزمان أمر متوهم لا وجود له تظهره حركات الأفلاك أو حركات المتحيزات إذا اقترن

بها السؤال بمتى فالحيز و الزمان لا وجود له في العين أيضا و إنما الوجود لذوات المتحركات و الساكنات و أما المكان فهو ما تستقر عليه المتمكنات لا فيه فإن كانت فيه فتلك الأحياز لا المكان فالمكان أيضا أمر نسبي في عين موجودة يستقر عليها المتمكن أو يقطعه بالانتقالات عليه لا فيه فإن اتصلت المتحيزات بطريق المجاورة على نسق خاص لا يكون فيه تداخل فذلك الاتصال فإن توالت الانتقالات حالا بعد حال فذلك التتابع و التتالي من غير أن يتخللها فترة فإن دخل بعضها على بعض و لم يفصل الداخل بين المتصلين فذلك الالتحام فما دخل في الوجود منه وصف بالتناهي و ما لم يدخل قيل فيه إنه لا يتناهى إن فرض متتاليا أبدا و إن أعطت هذه الانتقالات استحالة كان الكون و الفساد فانتقال الشيء من العدم إلى الوجود يكون كونا و إزالة ما ظهر عنه من صورة الكون يسمى فسادا فإذا انتقل من وجود إلى وجود يسمى متحركا و أما ما يلحق هذه الأجسام من الألوان و الأشكال و الخفة و الثقل و اللطف و الكثافة و الكدورة و الصفا و اللين و الصلابة و ما أشبه ذلك من لواحقه فإنه يرجع إلى أسباب مختلفة فأما الألوان فعلى قسمين منها ألوان تقوم بنفس المتلون و منها ألوان تظهر لناظر الرائي و ما هي في عين المتلون لاختلاف الأشكال و ما يعطيه النور في ذلك الجسم فإنه بالنور يقع الإدراك و كذلك الأشكال مثل الألوان ترجع إلى أمرين إلى حامل الشكل و إلى حس المدرك له و أما ما عداه مما ذكرناه من لواحق الأجسام فهي راجعة إلى المدرك لذلك لا إلى أنفسها و لا إلى الذات الموصوفة التي هي الأجسام الطبيعية هذا عندنا فإن اللطيفة كالهواء لا تضبط صورة النور و الجسم الكثيف يظهره و رأينا من لا يحجبه الكثائف و صورتها عنده صورة اللطائف في نفوذ الإدراك فإذا ما هي كثائف إلا عند من ليس له هذا النفوذ فمنا من لا يحجبه الجدران و لا يثقله شيء فصار مال هذه الأوصاف إلى المدرك و لو كانت لذوات الأجسام لوقع التساوي في ذلك كما وقع التساوي في كونها أجساما فإذا ليس حكم اللواحق يرجع إلى ذوات الأجسام عندنا و أما عند الطبيعيين فإنهم و إن اختلفوا فما هم على طريقنا في العلم بهذا و اعلم أن الشيء الواحد العين إذا ظهرت عنه الآثار المختلفة فإن ذلك من حيث القوابل لا من حيث عينه و من هنا إذا حققت هذه المسألة يبطل قول الحكيم لا يصدر عن الواحد إلا واحد و صورة ذلك في العنصر الذي نحن بصدده إن النار بما هي نار لا يتغير حكمها من حيث ذاتها و تجد آثارها مختلفة الحكم فتنير أجساما و لا تنير أجساما مع أن إنارتها بالاشتعال فالهواء لها مساعد و تعقد أشياء و تسيل أشياء و تسود و تبيض و تسخن و تحرق و تنضج و تذيب الجوامد و هي على حقيقة واحدة و استعداد القوابل مظهر اختلاف الآثار منها في الحكم

فالعين واحدة و الحكم مختلف ويدرك العلم ما لا يدرك البصر

و اعلم أن الأشياء بآحادها لها حكم و بامتزاجاتها تحدث لها أحكام لم تكن و لا لواحد منها و لا يدرى على الحقيقة من هو المؤثر من أحد الممتزجين هل هو لواحد أو هل لكل واحد فيه قوة و الذي حدث لا يقدر على إنكاره فإنا نعرف سواد المداد حدث بعد أن لم يكن من امتزاج الزاج و العفص فهل الزاج صبغ العفص و هو المؤثر و العفص هو المؤثر فيه اسم مفعول و لو كان ذلك لبقي الزاج على حاله إذا كان غير ممتزج و ينصبغ ماء العفص و المشهود خلاف ذلك و كذلك القول في العفص فلم يبق إلا حقيقة المزج و هي التي أحدثت السواد ما هو لواحد بعينه حقيقة ما قلناه في الإلهيات سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلانِ و يأتي الله يوم القيامة للفصل و القضاء و بيده الميزان يخفض و يرفع الله و لا عالم هل يتصف بوقوع هذا الفعل فظهر بالعالم ما لم يظهر و لا عالم فليس الحكم على السواء فقال النبي صلى الله عليه و سلم كان الله و لا شيء معه و لم يقل و هو الآن على ما عليه كان كيف يقول ذلك صلى الله عليه و سلم و هو أعلم الخلق بالله و هو الذي جاء من عند الله بقوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلانِ و فرغ ربك من كذا و كذا و ينزل ربنا إلى السماء و قد كان و لا سماء و لا عالم هل كان يوصف بالنزول إلى من أو من أين و لا أين ثم أحدث الأشياء فحدثت النسب فاستوى و نزل و أخذ الميزان فخفض و رفع بذا وردت الأخبار التي لا ترده العقول السليمة من الأهواء و الايمان بها واجب و الكيف غير معقول فهو الواحد الواجد الأحد الماجد الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لو لا وجود النفس و استعدادات المخارج في المتنفس ما ظهر للحروف عين و لو لا التأليف ما ظهر للكلمات عين فالوجود مرتبط بعضه ببعض فلو لا الحرج و الضيق ما كان للنفس الرحماني حكم فإن التنفيس هو إزالة عين الحرج و الضيق فالعدم نفس الحرج و الضيق فإنه يمكن أن يوجد هذا المعدوم فإذا علم الممكن إمكانه و هو في حال العدم كان في كرب الشوق إلى الوجود الذي تعطيه حقيقته ليأخذ بنصيبه من الخير فنفس الرحمن بنفسه هذا الحرج فأوجده فكان تنفيسه عنه إزالة حكم العدم فيه و كل موجود سوى الله فهو ممكن فله هذه الصفة فنفس الرحمن هو المعطي صور الممكنات الوجود كما أعطى النفس وجود الحروف فالعالم كلمات الله من حيث هذا النفس كما قال وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و هو عين عيسى عليه السلام و أخبر أن كلمات الله لا تنفد فمخلوقاته لا تزال توجد و لا يزال خالقا و كذلك لما رأينا في هذه الأجسام العنصرية أمورا مختلفة الصور مختلفة الأشكال مختلفة المزاج و مع هذا ما يخرجها ذلك الاختلاف عن حقيقة كونها يجمعها حد واحد و حقيقة واحدة كأشخاص الحيوان على اختلاف أنواعه و أشكاله كالطير لا يخرجه ما ظهر فيه من اختلاف المقادير و الأشكال و الألوان عن كونه طيرا فعلمنا إن هذا الاختلاف ما هو لكونه إنسانا و لا لكونه طيرا فإن الإنسانية في كل واحد واحد من أشخاصها مع ظهور الاختلاف فلا بد لذلك من حقائق أخر معقولة أوجبت لها ذلك الاختلاف فبحثنا عن ذلك في العلم الإلهي الذي هو مطلوبنا إذ كان الوجود مرتبطا به فوجدناه

تعالى لا يكرر تجليا و يظهر في صورة ينكر فيها و في صورة يعرف فيها و هو الله تعالى في الصورتين الأولى و الآخرة و في كل صور التجلي فقامت صور التجلي في الألوهة مقام اختلاف أحوال صور أشخاص النوع في النوع فعلمنا أن تغير أشخاص النوع من هذه الحقيقة الإلهية فعلمنا إنا ما علمنا من الحق إلا ما أشهدنا و أن الله تجلى للنوع من حيث ما هو نوع فلم يتغير عن نوعيته كما لم يزل إلها في ألوهته ثم يظهر لذلك النوع في صور مختلفة اقتضتها ذاته تعالى فظهر في أشخاص النوع اختلاف صور على وزنها و مقدارها فلو لا أنه في استعداد هذا النوع المتغير بالشخص في الأشكال و الألوان و المقادير التي لا تخرجه عن نوعيته لما قبل هذا التغيير و لكان على صورة واحدة و إذا كان الكثيف مع كثافته مستعد القبول الصور المختلفة بصنعة الصانع فيه كالخشب و ما تصور منه بحسب ما يقوم في نفس الصانع من الصور المختلفة فاللطيف أقبل للاختلاف كالماء و الهواء فما كان ألطف كان أسرع بالذات لقبول الاختلاف فتبين لك أن اختلاف صور العالم من أعلاه لطفا إلى أسفله كثافة لا يخرج كل صورة ظهر فيها عن كونه نفس الرحمن قال تعالى وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً فالأرض واحدة و أين صورة النجم من صورة الشجر على اختلاف أنواعها من صورة الإنسان من صور الحيوان و كل ذلك من حقيقة عنصرية ما زالت عنصريتها باختلاف ما ظهر فيها فاختلاف العالم بأسره لا يخرجه عن كونه واحد العين في الوجود فزيد ما هو عمرو و هما إنسان فهما عين الإنسان لا غيره فمن هنا تعرف العالم من هو و صورة الأمر فيه إن كنت ذا نظر صحيح وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ما ثم إلا النفس الناطقة و هي العاقلة و المفكرة و المتخيلة و الحافظة و المصورة و المغذية و المنمية و الجاذبة و الدافعة و الهاضمة و الماسكة و السامعة و الباصرة و الطاعمة و المستنشقة و اللامسة و المدركة لهذه الأمور و اختلاف هذه القوي و اختلاف الأسماء عليها و ليست بشيء زائد عليها بل هي عين كل صورة و هكذا تجده في صور المعادن و النبات و الحيوان و الأفلاك و الأملاك فسبحان من أظهر الأشياء و هو عينها

فما نظرت عيني إلى غير وجهه ... وما سمعت أذني خلاف كلامه

فكل وجود كان فيه وجوده ... و كل شخيص لم يزل في منامه

فتعبير رؤيانا لها في منامنا ... فمن لام فليلحق به في ملامه

ومما يتعلق بهذا الباب و بباب ركن الماء ما يظهر فيهما من السخانة عن الشعاعات النورية المنفهقة من ذات الشمس أين أصلها في العلم الإلهي فإن الأجسام الأرضية و المائية إذا اتصلت بها أشعة الأنوار الشمسية و الكوكبية يرى بعض الأجسام يسخن عند انبساط الشعاع عليه و بعض الأجسام على برده لا يقبل التسخين مع اختراق الشعاعات ذلك الجسم كدائرة الزمهرير و ما علا من الجو لا أثر لحر

الشعاعات فيه. فاعلم إن للوجه الإلهي سبحات محرقات لو لا الحجب لأحرقت العالم فلا تخلو هذه الحجب إما أن تكون من العالم و لا شك أن السبحات لو لم تنبسط على الحجب لما كانت حجبا عنها و لو اقتضت السبحات الإحراق احترقت الحجب ثم لا تخلو الحجب أن تكون كثيفة أو لطيفة فإن كانت لطيفة لم تحجب كما لم يحجب الهواء اتصال شعاع الشمس بالأجسام الأرضية و إن كانت كثيفة كالجدران و أشباهها فلا خفاء إن الجدار يسخن بشعاع الشمس إذا كان متراص الأجزاء غير مخلخل ثم إن النور لا تحجبه الظلمة لأنه ينفرها فلا تجتمع به لكن تجاوره من خلف الحجاب الموجد للظلمة التي تباشر النور فالظلمة تجاور الشعاع و الموجد للظلمة يقبل انبساط الشعاع عليه فلا تكون الظلمة حجابا بهذا الاعتبار و قد ثبت كونها حجابا و كون النور حجابا على نور الوجه و النور يتقوى بالنور لا يحجبه فافهم حقيقة سبحات الوجه و إنها دلائل ذاتية إذا ظهرت أحرقت نسبا لا أعيانا فتبين أنها عين تلك الأعيان أعني الوجه فزال الجهل الذي كانت ثمرته إن العالم ما هو عين الوجه فبقي العالم على صورته لم تذهبه السبحات بل أثبتته و أبانت عن وجه الحق ما هو فكان الحجاب معنويا فاحترقت النسبة (الفصل الثاني و الثلاثون) في الاسم الإلهي العزيز و توجهه على إيجاد المعادن و له حرف الظاء المعجمة و من المنازل سعد الذابح اعلم أن الذات لما اختصت بسبع نسب تسمى صفات إليها يرجع جميع الأسماء و الصفات و قد ذكرنا رجوعها إليها في كتاب إنشاء الجداول كما ذكرها من تقدم قبلنا غير أني زدت على من تقدم بإلحاق الاسم المجيب مع الاسم الشكور لصفة الكلام فإن المتقدمين قبلنا ما ألحقوا بالاسم الشكور الاسم المجيب و كانت السموات سبعا و السيارة سبعة و الأرضون سبعة و الأيام سبعة جعل الله تكوين المعادن في هذه الأرض عن سباحة هذه السبعة الدراري بسبعة أفلاكها في الفلك المحيط فأوجد فيها سبعة معادن و لما كان الاسم العزيز المتوجه على إيجادها و لم يكن لها مشهود سواه عند وجودها أثر فيها عزة و منعا فلم يقو سلطان الاستحالة التي تحكم في المولدات و الأمهات من العناصر يحكم فيها بسرعة الإحالة من صورة إلى صورة مثل ما يحكم في باقي المولدات فإن الاستحالة تسرع إليهم و يظهر سلطانها فيهم بزيادة و نقص و خلع صورة منهم و عليهم و هذا يبعد حكمه في المعادن فلا تتغير الأحجار مع مرور الأزمان و الدهور إلا عن بعد عظيم و ذلك لعزتها التي اكتسبتها من الاسم الإلهي العزيز الذي توجه على إيجادها من الحضرة الإلهية ثم إن هذا الاسم طلب بإيجادها رتبة الكمال لها حتى تتحقق بالعزة فلا يؤثر فيها دونه اسم إلهي نفاسة منه لأجل انتسابها إليه و علم العلماء بأن وجودها مضاف إليه فلم يكن القصد بها إلا صورة واحدة فيها عين الكمال و هو الذهبية فطرأت عوارض لها في الطريق من الاسم الضار و إخوانه فأمرض أعيانهم و عدل بهم عن طريقهم حكمت عليهم بذلك المرتبة التي مروا عليها و لا يتمكن لاسم أن يكون له حكم في مرتبة غيره فإن صاحب المنزل أحق بالمنزل و هم أرباب الأدب الإلهي و معلمو

الأدب فبقي الاسم العزيز في هذه المرتبة يحفظ عين جوهر المعدن و صاحب المرتبة من الأسماء يتحكم في صورته لا في عين جوهره و للأسماء الإلهية في المولدات و العناصر سدنة من الطبائع و من العناصر يتصرفون في هذه الأمور بحكم صاحب المرتبة الذي هو الاسم الإلهي و هم المعدن و حرارته و برد الشتاء و حرارة الصيف و الحرارة المطلقة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة و لكل واحد مما ذكرناه حكم يخصه يظهر في جوهر المولدات و العناصر فيسخف و يكثف و يبرد و يسخن و يرطب و يبس و رتبة الكمال من تعتدل فيه هذه الأحكام و تتمانع و لا يقوى واحد منهم على إزالة حكم صاحبه فإذا تنزه الجوهر عن التأثير فخلع صورته عنه و منع نفسه من ذلك فذلك حكم رتبة الكمال و ليس إلا الذهب في المعدن و أما سائر الصور فقامت بها أمراض و علل أخرجتهم عن طريق الكمال فظهر الزئبق و الأسرب و القزدير و الحديد و النحاس و الفضة كما ظهر الياقوت الأصفر و الأكهب في جوهر الياقوت و لما فارقت المعدن الذي هو موطنها في ركن الأرض بقيت على مرضها ظاهرة بصورة الاعتلال دائما فالحاذق النحرير من علماء الصنعة إذا عرف هذا و أراد أن يلحق ذلك المعدن برتبة الكمال و لا يكون ذلك إلا بإزالة المرض و ليس المرض إلا زيادة أو نقصا في الجوهر و ليس الطب إلا زيادة تزيل حكم النقص أو نصا يزيل حكم الزيادة و ليس الطبيب إلا أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد فينظر الحاذق من أهل النظر في طب المعادن ما الذي صيره حديدا أو نحاسا أو ما كان و حال بينه و بين الذهبية أن يصل إلى منزلتها و يظهر صورتها فيه فيفوز بدرجة الكمال و يجوز صفة العزة و المنع عن التأثير فيه و تساعد هذا الطبيب سباحة الأنوار السبعة في أفلاكها أعني الدراري و هي القمر و الكاتب و الزهرة و الشمس و الأحمر و المشتري و كيوان بما في قوتها لما يعطيه بعضها من اختلاف الزمان و حكم كل زمان يخالف حكم الذي يليه من وجه و يوافقه من وجه و يخالفه من جميع الوجوه و لا يمكن أن يوافقه من جميع الوجوه إذ لو وافقه لكان عينه و لم يكن اثنان و هما اثنان بلا شك فالموافقة من جميع الوجوه لا تكون و لكرور هذه الأزمان و توالي الجديدين أثر في الأركان و أثر في عين الولد في تسوية جوهره و تعديله فإذا سواه و عدله و هو أن يصيره جوهرا قابلا لأي صورة يريد الحق أن يركبه فيها و الصور مختلفة فاختلفت المعادن كما اختلف النبات بالصورة كما اختلف الحيوان بالصورة و هو من حيث الجوهر الطبيعي واحد العين و لهذا يعمه من حيث جوهره حد واحد و ما تختلف الحدود فيه إلا من أجل الصورة و كذلك في الآباء و الأمهات بل جوهر العالم كله واحد بالجوهرية و العين تختلف بالصور و ما يعرض له من الأعراض فهو المجتمع المفترق و الواحد الكثير صورة الحضرة الإلهية في الذات و الأسماء فيرد الحاذق الجوهر المعلول الذي عدلت به علته عن طريق الكمال إلى طريقه ليتمكن من تدبيره و حفظ بقاء صحته عليه و يحفظه مما بقي له في طريقه من منازل التغييرات الحائلة بينه و بين رتبة الكمال و إنما فعل الله هذا بهذا الجوهر في الطريق و سلط عليه من

يعله و يمرضه حتى يحول بينه و بين بلوغه إلى رتبة الكمال العدني لمصالح هذا النوع الإنساني لعلمه بأنه يحتاج إلى آلات و أمور لا بد له منها و لا يكون له هذه الآلات إلا بقيام هذه الأمراض بهذا الجوهر و عدوله عن الطريق و حال الله سبحانه بين الأطباء و بين العلم بإزالة هذه الأمراض من هذا الجوهر إلا الأمناء منهم الذين علم الله منهم أنهم يبقون الحكمة على ما وضعها الله في العالم فيبقى الحديد حديدا لما فيه من المنافع التي لا تكون في الذهب و لا في غيره من المعادن كما قال تعالى وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ يريد أنه أنزله عن رتبة الكمال لأجل ما فيه من منافع الناس فلو صح من مرضه لطغى و ارتفع و لم توجد تلك المنافع و بقي الإنسان الذي هو العين المقصودة معطل المنافع المتعلقة بالحديد التي لا تكون إلا فيه ففيه كما قال الله بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ و هكذا سائر المعادن فيها منافع للناس و قد ظهرت و استعملها الإنسان فانظر ما أشد عناية الله بهذا النوع الإنساني و هو غافل عن الله كافر لنعمه متعرض لنقمه و لما علم الله أن في العالم الإنساني من حرمه الله الأمانة و رزقه إذاعة الأسرار الإلهية و سبق في علمه أن يكون لهذا الذي هو غير أمين رزقه في علم التدبير رزقه الشح به على أبناء جنسه بخلا و حسدا و نفاسة أن يكون مثله غيره فترك العمل به غير مأجور فيه و لا موافق لله ثم إن الله كثر المعادن و لم يجعل لهذا الإنسان أثرا إلا فيما حصل بيده منها و ما عسى أن يملك من ذلك فيظهر في ذلك القدر تدبيره و صنعته ليعلم العقلاء الحكماء أنه غير أمين فيما أعطاه الله فإنه ما أذن له في ذلك من الله ثم إن الله جعل للملوك رغبة في ذلك العلم فإذا ظهر به من ليس بأمين عندهم سألوه العلم فإن منعهم إياه قتلوه حسدا و غيظا و إن أعطاهم علم ذلك قتلوه خوفا و غيرة و لما علم العالم أن ما له مع الملوك إلا مثل هذا لم يظهر به عندهم و لا عند العامة لئلا يصل إليهم خبره لا أمانة و إنما ذلك خوفا على نفسه فلا يظهر في هذه الصنعة عالم بها جملة واحدة و المتصور فيها بصورة العلم يعلم في نفسه أنه ما عنده شيء و أنه لا بد أن يظهر للملك دعواه الكاذبة فيأمن غائلته في الغالب من القتل و يقنع بما يصل إليه من جهته من الجاه و المال للطمع الذي قام بذلك الملك فما ظهر عالم بهذه الصنعة قط و لا يظهر غيرة إلهية مع كونه قد رزقه الله الأمانة في نفسه و من هذا الاسم الإلهي وجود الأحجار النفيسة كاليواقيت و اللآلي من زبرجد و زمرد و مرجان و لؤلؤ و بلخش و جعل في قوة الإنسان إيجاد هذا كله أي هو قابل إن يتكون عنه مثل هذا و يسمى ذلك في الأولياء خرق عادة و الحكايات في ذلك كثيرة و لكن الوصول إلى ذلك من طريق التربية و التدبير أعظم في المرتبة في الإلهيات ممن يتكون عنه في الحين بهمته و صدقه فإن الشرف العالي في العلم بالتكوين لا في التكوين لأن التكوين إنما يقوم مقام الدلالة على إن الذي تكون عنه هذا بالتدبير عالم و صاحب خرق العادة لا علم له بصورة ما تكون عنه بكيفية تكوينها في الزمن القريب و العالم يعلم ذلك (الفصل الثالث و الثلاثون) في الاسم الإلهي الرزاق و توجهه على إيجاد النبات من المولدات و له من الحروف الثاء المعجمة بالثلاث و له من المنازل سعد بلع قال تعالى

إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ و قال أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ فجعلها للعلماء تذكرة فجاء بالاسم الرزاق بهذه البنية للمبالغة لاختلاف الأرزاق و هي مع كثرتها و اختلافها منه لا من غيره و إن المرزوقين مختلف قبولهم للأرزاق فما يتغذى به حيوان ما قد لا يصلح أن يكون لحيوان آخر لأن المراد بتناول الرزق بقاء المرزوق فإذا أكل ما فيه حتفه فما تغذى به و ما هو رزق له و إن كان به قوام غيره فلذلك تسمى ببنية المبالغة في ذلك و نعت هذا الرزاق بذي القوة المتين و لو نعت به الله لقال ذا القوة المتين فنصب و لا يتمكن نعت الاسم الله من حيث دلالته فإنه جامع للنقيضين فهو و إن ظهر في اللفظ فليس المقصود إلا اسما خاصا منه تطلبه قرينة الحال بحسب حقيقة المذكور بعده الذي لأجله جاء الاسم الإلهي فإذا قال طالب الرزق المحتاج إليه يا الله ارزقني و الله هو المانع أيضا فما يطلب بحاله إلا الاسم الرزاق فما قال بالمعنى إلا يا رزاق ارزقني و من أراد الإجابة في الأمور من الله فلا يسأله إلا بالاسم الخاص بذلك الأمر و لا يسأل باسم يتضمن ما يريده و غيره و لا يسأل بالاسم من حيث دلالته على ذات المسمى و لكن يسأل من حيث المعنى الذي هو عليه الذي لأجله جاء و تميز به عن غيره من الأسماء تميز معنى لا تميز لفظ و اعلم أن الأرزاق منها معنوي و منها حسي و المرزوقين منهم معقول و منهم محسوس و رزق كل مرزوق ما كان به بقاؤه و نعيمه إن كان ممن يتنعم و حياته إن كان ممن يوصف بأنه حي و ليست الأرزاق لمن جمعها و إنما الأرزاق لمن تغذى بها يحكي أنه اجتمع متحرك و ساكن فقال المتحرك الرزق لا يحصل إلا بالحركة و قال الساكن الرزق يحصل بالحركة و السكون و بما شاء الله و قد فرغ الله منه فقال المتحرك فأنا أتحرك و أنت اسكن حتى أرى من يرزق فتحرك المتحرك فعند ما فتح للباب وجد حبة عنب فقال الحمد لله غلبت صاحبي فدخل عليه و هو مسرور فقال له يا ساكن تحركت فرزقت و رمى بحبة العنب إلى الساكن فأخذها الساكن فأكلها و حمد الله و قال يا متحرك سكنت فأكلت و الرزق لمن تغذى به لا لمن جاء به فتعجب المتحرك من ذلك و رجع إلى قول الساكن و المقصود من هذه الحكاية أن الرزق لمن تغذى به فأول رزق ظهر عن الرزاق ما تغذت به الأسماء من ظهور آثارها في العالم و كان فيه بقاؤها و نعيمها و فرحها و سرورها و أول مرزوق في الوجود الأسماء فتأثير الأسماء في الأكوان رزقها الذي به غذاؤها و بقاء الأسماء عليها و هذا معنى قولهم إن للربوبية سرا لو ظهر لبطلت الربوبية فإن الإضافة بقاء عينها في المتضايفين و بقاء المضافين من كونهما مضافين إنما هو بوجود الإضافة فالإضافة رزق المتضايفين و به غذاؤهما و بقاؤهما متضايفين فهذا من الرزق المعنوي الذي يهبه الاسم الرزاق و هو من جملة المرزوقين فهو أول من تغذى بما رزق فأول ما رزق نفسه ثم رزق الأسماء المتعلقة بالرزق الذي يصلح لكل اسم منها و هو أثره في العالم المعقول و المحسوس ثم نزل في النفس الإلهي بعد الأسماء فوجد الأرواح الملكية فرزقها التسبيح ثم نزل إلى العقل الأول

فغذاه بالعلم الإلهي و العلم المتعلق بالعالم الذي دونه و هكذا لم يزل ينزل من عين ما يطلب ما به بقاؤه و حياته إلى عين حتى عم العالم كله بالرزق فكان رزاقا فلما وصل إلى النبات و رأى ما يحتاج إليه من الرزق المعين فأعطاه ما به غذاؤه فرأى جل غذائه في الماء فأعطاه الماء له و لكل حي في العالم و جعله رزقا له ثم جعله رزقا لغيره من الحيوان فهو و الحيوان رزق و مرزوق فيرزق فيكون مرزوقا و يرزق به فيكون رزقا و هكذا جميع الحيوان يتغذى و يتغذى به فالكل رزق و مرزوق و إنما أعطى الماء رزقا لكل حي لأنه بارد رطب و العالم في عينه غلبت عليه الحرارة و اليبوسة و سبب ذلك أن العالم مقبوض عليه قبضا لا يتمكن له الانفكاك عنه لأنه قبض إلهي واجب على كل ممكن فلا يكون إلا هكذا و الانقباض في المقبوض يبس بلا شك فغلب عليه اليبس فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس ما يلين به و يرطب فتراه محتاجا من حيث يبسه إلى الرطوبة و أما احتياجه إلى البرودة فإن العالم مخلوق على الصورة و رأى أن من خلق على صورته مطلق الوجود يفعل ما يريد فأراد أن يكون بهذه المثابة و يخرج عن القبض عليه فيكون مسرح العين غير مقبوض عليه في الكون و الإمكان يأبى ذلك و الصورة تعطيه القوة لهذا الطلب و لا ينال مطلوبه فيدركه الغبن فيحمى فتغلب الحرارة عليه فيتأذى فيخاف الانعدام فيجنح إلى طلب البرودة ليسكن بها ما يجده من ألم الحرارة و يحيي بها نفسه و يبس القبض الذي هو عليه يطلب الرطوبة فنظر الاسم الرزاق في غذاء يحيا به يكون باردا ليقابل به الحرارة و سلطانها و يكون رطبا فيقابل به سلطان اليبس فوجد الماء باردا رطبا فجعل منه كل شيء حي في كل صنف صنف بما يليق به قال تعالى وَجَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ أي يصدقون بذلك و إنما قرن به الايمان لجواز خلافه عقلا الذي هو ضد الواقع من أنه لو غلب عليه خلاف ما غلب عليه أهلكه فلا بد أن تكون حياته في نقيض ما غلب عليه ألا ترى لو غلب عليه البرد و الرطوبة هلك و لم يكن له حياة إلا الحرارة و اليبس فكان يقال في تلك الحال و جعلنا من النار كل شيء حي و لو غلب عليه البرد و اليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحال و جعلنا من الهواء كل شيء حي و لو أفرطت فيه الحرارة و الرطوبة لكانت حياته بالتراب و كان يقال لتلك الحالة و جعلنا من التراب كل شيء ثم هذا ما يحتمله التقسيم في هذا لو كان فلما كان الواقع في العالم غلبة الحرارة و اليبوسة عليه لما ذكرناه من سبب الصورة و القبض ثار عليه سلطان الحرارة و اليبس فلم تكن له حياة إلا ببارد رطب فكان الماء فقال وَجَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ و ينظرون في قولنا من الماء فيعلمون طبع الماء و أثره و فيمن يؤثر و ما ذا يدفع به فيعلم إن العالم موصوف بنقيض ما يقتضيه الماء فيحكم عليه به فيعلم الناظر من طبع الدواء ما يقابل به طبع المرض الذي نزل بهذا المريض فنفس الرحمن عنه ما كان يجده هذا المريض فهذا من النفس الرحماني فالأرزاق كلها عند المحقق أدوية لأن العالم كله يخاف التلف على نفسه لأن عينه ظهر عن عدم و قد تعشق بالوجود فإذا قام به من يمكن عنده إذا غلب

عليه إن يلحقه بالعدم سارع إلى طلب ما يكون به بقاؤه و إزالة حكم مرضه أو توقع مرضه فذلك رزقه الذي يحيا به و دواؤه الذي فيه شفاؤه أي نوع كان في الشخصيات و كل ما يقبل النمو فهو نبات و الذي ينمو به هو رزقه ثم إن الرزق على نوعين في الميزان الموضوع في العالم لإقامة العدل و هو الشرع النوع الواحد يسمى حراما و النوع الآخر يسمى حلالا و هو بقية الله التي جاء نصها في القرآن قال تعالى بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فهذه هي التي بقيت للمؤمنين من قوله خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً و الايمان لا يقع إلا بالشرع و جاء هذا القول في قصة شعيب صاحب الميزان و المكيال فهذا علم مستفاد من الإعلام الإلهي و الرزاق هو الذي بيده هذا المفتاح فرزق الله عند بعض العلماء جميع ما يقع به التغذي من حلال و حرام فإن الله يقول وَ ما من دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُها و هو ظاهر لا نص و قال فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَ اللهُ يَرْزُقُ من يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ و قد نهانا عن التغذي بالحرام فلو كان رزق الله في الحرام ما نهانا عنه فاذن ما هو الحرام رزق الله و إنما هو رزق و رزق الله هو الحلال و هو بقية الله التي أبقاها لنا بعد وقوع التحجير و تحريم بعض الأرزاق علينا و لتعلم من جهة الحقيقة أن الخطاب ليس متعلقة إلا فعل المكلف لا عين الشيء الممنوع التصرف فيه فالكل رزق الله و المتناول هو المحجور عليه لا المتناول بفتح الواو فإن الرزاق لا يعطيك إلا رزقك و ما يعطي الرزاق لا يطعن فيه فلهذا علق الذم بفعل المكلف لا بالعين التي حجر عليه تناولها فإن المالك لها لم يحجر عليه تناولها و الحرام لا يملك و هذه مسألة طال الخبط فيها بين علماء الرسوم و أما قوله فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالًا طَيِّباً من العامل في الحال فظاهر الشرع يعطي أن العامل رزقكم فإن من هنا في قوله مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ للتبيين لا للتبعيض فإنه لا فائدة للتبعيض فإن التبعيض محقق مدرك ببديهة العقل لأنه ليس في الوسع العادي أكل الرزق كله و إذا كانت للتبيين و هي متعلقة بكلوا فبين إن رزق الله هو الحلال الطيب فإن أكل ما حرم عليه فما أكل رزق الله فتدبر و انظر ما به حياتك فذلك رزقك و لا بد و لا يصح فيه تحجير و سواء كان في ملك الغير أو لم يكن و هذه إشارة في تلخيص المسألة و هي التي يطلبها الاسم الرزاق فإن المضطر لا حجر عليه و ما عدا المضطر فما تناول الرزق لبقاء الحياة عليه و إنما تناوله للنعيم به و ليس الرزق إلا ما تبقي به حياته عليه فقد نبهت خاطرك إلى فيصل لا يمكن رده من أحد من علماء الشريعة فإن الله يقول فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ بعد التحجير و قال إِلَّا ما اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ و ذلك هو الرزق الذي نحن بصدده و هو الذي يعطيه الرزاق جعلنا الله من المرزوقين الذين لا يكونون أرزاقا فإن الله أنبتنا من الأرض نباتا (وصل) ثم اعلم أن الحركات في النبات على ثلاثة أقسام و أن الرأس من النبات هو الذي يطلب الحركات فحيثما توجه من الجهات نسب إليها فإذا قابل غيرها كان نكسا في حقه ثم اعتبر العلماء الجهات بوجود الإنسان و جعلوا الاستقامة في نشأته و حركته إلى جهة رأسه فسموا حركته مستقيمة و كل نبات إنما يتحرك إلى جهة رأسه فكل حركة تقابل

حركة الإنسان على سمتها تسمى منكوسة و ذلك حركة الأشجار و إذا كانت الحركة بينهما يقابل المتحرك برأسه الأفق كانت حركته أفقية فالنبات الذي لا حس له و له النمو حركته كلها منكوسة بخلاف شجر الجنة فإن حركة نبات الجنة مستقيمة لظهور حياتها فإنها الدار الحيوان و النبات الذي له حس على قسمين منه ما له الحركة المستقيمة كالإنسان و منه من له الحركة الأفقية كالحيوان و بينهما وسائط فيكون أول الإنسان و آخر الحيوان فلا يقوي قوة الإنسان و لا يبقى عليه حكم الحيوان كالقرد و النسناس كما بين الحيوان و النبات وسط مثل النخلة كما بين المعدن و النبات وسط مثل الكمأة فحركة النبات منكوسة و منها مخلقة و غير مخلقة فالمخلقة تسمى شجرا و هو كل نبات قام على ساق و غير المخلقة يسمى نجما و هو كل نبات لم يقم على ساق بل له الطلوع و الظهور على وجه الأرض خاصة و هو قوله تعالى وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ أي ما قام على ساق من النبات و ما لم يقم على ساق فتمام الخلق في النبات القيام على ساق فلذلك كان النجم غير مخلق كما جاء في خلق الإنسان و من خلق من نطفة في قوله تعالى ثُمَّ من مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ و يدخل الكل في حكم أعطى كل شيء خلقه فأعطى غير المخلقة خلقها كما أعطى المخلقة خلقها كما أنه من كمال الوجود وجود النقص فيه و لما حكم العلماء على حركة النبات على ما قررناه من الانتكاس ما وفوا النظر حقه بل حركته عندنا مستقيمة فإنه ما تحرك إلا للنمو و ما تحرك حيوان و لا إنسان هذه الحركة التي لنموه إلا من كونه نباتا و لا يقال في النبات إنه مختلف الحركات من حيث هو نبات و إنما تختلف الحركات إذا كانت لغير النمو مثل الحركات في الجهات فإن الحركات في الجهات من المتحرك إنما ذلك نسبة إرادة التحرك لذلك الجسم من المحرك و قد يكون المحرك عين المتحرك مثل حركة الاختيار و قد تكون الحركة في المتحرك عن متحرك آخر و لذلك الآخر آخر حتى ينتهي إلى المحرك أو المتحرك بالقصد لما ظهر من هذه الحركات و أما الحركة للزيادة في الأجسام فمن كون الجسم نباتا في حيوان كان أو في غيره فهي حركة واحدة و هي حركة عن أصل البزرة التي عنها ظهر الجسم بحركة النماء فيتسع في الجهات كلها بحسب ما يعطيه الإمداد في تلك الجهة فقد تكون حركته إلى جهة اليمين تعطي نموا أقل من حركته إلى الفوق و كذلك ما بقي و قد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم أن النشأة تقوم على عجب الذنب فإذا أظهرت الرجل و الساق و الفخذ و المقعدة فعن حركة منكوسة و ما ظهر من عجب الذنب إلى وجود الرأس فعن حركة مستقيمة و ما ظهر في الاتساع عن جهة اليمين و الشمال و الخلف و الأمام فعن حركة أفقية و كل ذلك عندنا حركة مستقيمة و إنما الحركة المنكوسة عندنا كل حركة في متحرك يكون بخلاف ما يقتضيه طبعه و ذلك لا يكون إلا في الحركة القهرية لا في الحركة الطبيعية فإذا تحرك كل جسم نحو أعظمه فتلك حركته الطبيعية المستقيمة كحركة اللهب نحو الأثير و جسم الحجر نحو الأرض فإذا تحرك الجسم الناري نحو الأرض و السفل و تحرك الحجر نحو العلو كانت الحركة منكوسة و هي الحركة

القسرية فإذا انتهى النمو في الجسم بحيث أن لا يقبله الجسم من الوجه الذي لا يقبله ثم تحرك ذلك الجسم في ذلك الوجه فما حركته حركة إنبات و نمو كالجسم الذي قد تناهي في الطول إلى غايته فيه على التعيين فما له حركة نمو في تلك الجهة فإذا تحرك إلى جهة الطول تحرك بكله لا للطول بل للانتقال من مكانه إلى مكان الطول سفلا أو علوا و انظر فيما حررناه في حركة النبات في أنها ليست بحركة منكوسة فإذا البذرة تمد فروعا إلى جهة الفوق و تمد فروعا إلى جهة التحت و غذاؤها ليس أخذ النبات له من الفروع التي في التحت المسماة أصولا و إنما أخذ النبات الغذاء من البذرة التي ظهرت عنها هذه الفروع و لهذا يحصل اليبس في بعض فروع التحت كما يحصل في الفروع الظاهرة الحاملة الورق و الثمر مع وجود النمو و الحياة في باقي العروق و الفروع كما ينقسم الدم من الكبد في العروق إلى سائر الأعضاء علوا و سفلا فالذي الفتوحات (۴-ج)، جلد ۲، ص: ۴۶۵ ينبغي أن يقال في الحركات المعنوية و الحسية إنها ثلاث حركات حركة من الوسط و هي التي تعطي ما ظهر عن الأصل الذي منه تنشأ الأجسام الطبيعية و حركة إلى الوسط و هي الإمداد الإلهي و حركة في الوسط و هي ما به بقاء عين الأصل و ما من نبات إلا و هو دواء و داء أي فيه منفعة و مضرة بحسب قبول الأمزجة البدنية و ما هي عليه من الاستعداد فيكون المضر لبعض الأمزجة عين ما هو نافع لمزاج غيرها فلو كان لعينه لم يختلف حكمه و إنما كان للقابل و القابل نبات كما هو نبات فما أثر بضرره و لا نفعه إلا في نفسه من كونه نباتا و إن كثرت أشخاصه و تميزت بالشخصية و إنما نبهنا بهذا على أعيان أشخاص العالم و ما أثر بعضه في بعضه و العين واحدة بالحد الذاتي كثير بالصور العرضية و قد أعلمتك في غير موضع من هو عين العالم الظاهر و أنه غير متغير الجوهر و لمن هو الحكم الذي ظهر به التغيير في هذه العين و أنه مثل ظهور التغيير في صور المرآة لتغيير هيأت الرائي و قد يكون لتغيير المتجليات في أنفسها و المرآة محل ظهور ذلك لعين الرائي فالعماء الذي هو النفس الإلهي هو القابل لهذه الصور كلها فاعلم ذلك وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الرابع و الثلاثون» في الاسم الإلهي المذل و توجهه على إيجاد الحيوان و له من الحروف الذال المعجمة و من المنازل سعد السعود قال تعالى وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ و قال وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فدخل الحيوان في ذلك و هذا حكم الاسم المذل في العالم بالتسخير حتى في المسخر له جعل الله بعضه مسخر البعض من الاسم المذل فإن أصل الكل مخلوق من الأرض و هي الذلول بالجعل الإلهي كما هي العزيزة بالأصالة و جعل علة تسخير بعضها لبعض مع كون العالم مسخرا لنا رفعة لبعضنا على بعض بالدرجة التي يحتاج إليها المسخر المفعول قال تعالى وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا فاعلم أيدك الله بروح منه أني ما أتكلم في هذه الموجودات في هذا النفس الإلهي إلا من حيث حكم الاسم الإلهي الذي أذكره مع ذلك الموجود من العالم خاصة و بعض ما له فيه من الأثر فاعلم أن التسخير قد

يكون إذلالا و قد يكون للقيام بما يحتاج إليه ذلك المسخر له بالحال و هذا الفرقان بين التسخيرين بما تعطيه حقيقة المسخر و المسخر له فالعبد الذي هو الإنسان مسخر لفرسه و دابته فينظر منها في سقيها و علفها و تفقد أحوالها مما فيه صلاحها و صحتها و حياتها و هي مسخرة له بطريق الإذلال لحمل أثقاله و ركوبه و استخدامه إياها في مصالحه و هكذا في النوع الإنساني برفع الدرجات بينهم فبالدرجة يسخر بعضهم بعضا فتقتضي درجة الملك أن يسخر رعيته فيما يريده بطريق الإذلال للقيام بمصالحه لافتقاره إلى ذلك و تقتضي درجة الرعايا و السوقة أن تسخر الملك في حفظها و الذب عنها و قتال عدوها و الحكم فيما يقع بينها من المخاصمات و طلب الحقوق فهذه سخرية قيام لا سخرية إذلال اقتضتها درجة السوقة و درجة الملك و المذل من الأسماء هو الحاكم في الطرفين ثم يأتي الكشف في هذه المسألة بأمر عجيب ينطق به القرآن و يشهده العيان فقال وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ و قال وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ و قال لقمان لابنه يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ فإنه في الأرض و هو في السماء و هو في الصخرة و معنا أينما كنا فإن الخالق لا يفارق المخلوق و المذل لا يفارق الإذلال إذ لو فارقه لفارقه هذا الوصف و زال ذلك الاسم و قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أي يتذللوا إلي و لا يتذللون إلي إلا حتى يعرفوا مكانتي و عزتي فخلقهم باسم المذل لأنه خلقهم لعبادته و وصف نفسه بأنه القيوم القائم عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ و قال وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما فوصف نفسه بأنه يحفظ ما في السموات و ما في الأرض فبالدرجة يكون حافظا لما يطلبه العالم من حفظ الوجود عليه و بالدرجة يكون العالم محفوظا له فإذا علمت أن السيد يسخر عبده بالدرجة و العبد يسخر سيده بالحال و ما يفعل ذلك السيد للعبد بطريق الجبر من العبد و الإذلال و إنما يفعله لثبوت سيادته عليه فما سخره للعبد إلا حظ نفسه ألا ترى أنه يزول عن السيد اسم السيد إذا باع عبده أو هلك فانظر في حكم هذا الاسم ما أعجبه و إنما اختص بالحيوان لظهور حكم القصد فيه و لأنه مستعد للاباية لما هو عليه من الإرادة فلما توجه عليه الاسم المذل صار حكمه تحت حكم من لا إرادة له و لا قدرة لما تعطي هاتان الصفتان من العزة لمن قامتا به فأصحب الله من شاء صفة الافتقار و الفاقة و الحاجة فذل لكل ذلول يرى أن له عنده حاجة يفتقر إليه فيها و ينحط عن رتبة عزه بسببها فربط الله الوجود على هذا و كان به صلاح العالم فليس في الأسماء من أعطى الصلاح العام في العالم و لا من له حكم في الحضرة الإلهية مثل هذا الاسم المذل فهو ساري الحكم دائما في الدنيا و الآخرة فمن أقامه الحق من العارفين في مشاهدته و تجلى له فيه و منه فلا يكون في عباد الله أسعد منه بالله و لا أعلم منه بأسرار الله على الكشف و هذا القدر من الإيماء في هذا الفصل كاف في علم التسخير الإلهي و الكوني فإنه ألحق السيد بالعبيد و ألحق العبيد بالسيد وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الخامس و

الثلاثون» في الاسم الإلهي القوي و توجهه على إيجاد الملائكة و له من الحروف حرف الفاء و من المنازل المقدرة سعد الأخبية قال الله تعالى عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ و قال في الملائكة وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و قال لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و إِلَّا ما آتاها و الأمر تكليف فظهرت القوة في الملائكة بإمداد الاسم القوي فإنه بقوته أمدهم و ليس في العالم المخلوق أعظم قوة من المرأة لسر لا يعرفه إلا من عرف فيم وجد العالم و بأي حركة أوجده الحق تعالى و أنه عن مقدمتين فإنه نتيجة و الناكح طالب و الطالب مفتقر و المنكوح مطلوب و المطلوب له عزة الافتقار إليه و الشهوة غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات و ما الذي ينظر إليها من الحضرة الإلهية و بما ذا كانت ظاهرة القوة و قد نبه الله على ما خصها به من القوة في قوله في حق عائشة و حفصة وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ أي تتعاونا عليه فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ أي ناصره وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ هذا كله في مقاواة امرأتين و ما ذكر إلا الأقوياء الذين لهم الشدة و القوة فإن صالح المؤمنين يفعل بالهمة و هو أقوى الفعل فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق فأنزل الملائكة بعد ذكره نفسه وَجِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ منزلة المعينين و لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فدل أن نظر الاسم القوي إلى الملائكة أقوى في وجود القوة فيهم من غيرهم فإنه منه أوجدهم فمن يستعان عليه فهو فيما يستعان فيه أقوى مما يستعان به فكل ملك خلقه الله من أنفاس النساء هو أقوى الملائكة فإنه من نفس الأقوى فتوجه الاسم الإلهي القوي في وجود القوة على إيجاد ملائكة أنفاس النساء أعطى للقوة فيهم من سائر الملائكة و إنما اختصت الملائكة بالقوة لأنها أنوار و أقوى من لنور فلا يكون لأن له الظهور و به الظهور و كل شيء مفتقر إلى الظهور و لا ظهور له إلا بالنور في العالم الأعلى و الأسفل قال تعالى اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وقيل إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما قيل له أ رأيت ربك فقال صلى الله عليه و سلم نوراني أراه و قال لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه و السبحات الأنوار فهي المظهرة للأشياء و المغنية لها و لما كان الظل لا يثبت للنور و العالم ظل و الحق نور فلهذا يفنى العالم عن نفسه عند التجلي فإن التجلي نور و شهود النفس ظل فيفني الناظر المتجلي له عن شهود نفسه عند رؤية الله فإذا أرسل الحجاب ظهر الظل و وقع التلذذ بالشاهد و هذا الفصل علم فيه عظيم لا يمكن أن ينقال و لا سره أن يذاع من علمه علم صدور العالم علم كيفية وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السادس و الثلاثون» في الاسم الإلهي اللطيف و توجهه على إيجاد الجن و له من الحروف حرف الباء المعجمة بواحدة و من المنازل المقدم من الدالي قال الله تعالى في الجان إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ من حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ فوصفهم باللطافة و خلقهم الله من مارِجٍ من نارٍ و المرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد و لهذا يظهر لها لهب و هو اشتعال الهواء فهو حار رطب و الشياطين من الجن هم الأشقياء المبعدون من رحمة الله منهم خاصة و السعداء بقي عليهم اسم الجن و هم خلق بين الملائكة و البشر الذي هو الإنسان و هو عنصري و لهذا تكبر فلو

كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر و كان مثل الملائكة و هو برزخي النشأة له وجه إلى الأرواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب و التشكل و له وجه إلينا به كان عنصريا و ما رجا فأعطاه الاسم اللطيف أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم و لا يشعر به و لو لا تنبيه الشارع على لمة الشيطان و وسوسته في صدور الناس ما علم غير أهل الكشف إن ثم شيطانا و من حكم هذا الاسم اللطيف في الشياطين من الجن قوله تعالى لإبليس وَاسْتَفْزِزْ من اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ قال إبليس فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ يعني الذين اصطنعهم الحق لنفسه فجعل من لطفه لإبليس متعلقا يتعلق به في موطن خاص يعرفه العارفون بالله ثم أخبر الله أن الشيطان يعدهم الفقر لقوله تعالى وَعِدْهُمْ فأدرج الرحمة من حيث لا يشعر بها و لو شعر إبليس بهذا الاستدراج الرحماني ما طلب الرحمة من عين المنة و لكن حجبته قرائن الأحوال عن اعتبار الحق صفة الأمر الإلهي فالاسم اللطيف أورث الجان الاستتار عن أعين الناس فلا تدركهم الأبصار إلا إذا تجسدوا و جعل سماعهم القرآن إذا تلي عليهم أحسن من سماع الإنس فإن الإنسان وجد عن الاسم الجامع فما انفرد بخلق الاسم اللطيف الإلهي دون مقابله من الأسماء فلما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الرحمن فما قال في آية منها فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلا قالت الجن و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب ثم تلاها بعد ذلك صلى الله عليه و سلم على الإنس من أصحابه فلم يظهر منهم من القول عند التلاوة ما ظهر من الجن فقال صلى الله عليه و سلم لأصحابه إني تلوت هذه السورة على الجن فكانوا أحسن استماعا لها منكم و ذكر الحديث و يقول الله عز و جل آمرا وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا و أخبر عن الجن فقال وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً من الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ من بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ وَآمِنُوا به يَغْفِرْ لَكُمْ من ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ من عَذابٍ أَلِيمٍ و ما قال الله و لا روى عن أحد من الإنس أنه قال مثل هذا القول فأثر فيهم الاسم اللطيف هذه الآثار في المؤمنين منهم و الشياطين و هل حكي عن أحد من كفار الإنس قول مثل قول إبليس و هو قوله بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ لما قال الله له إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ فقطع يأسه منهم أن يكون له عليهم سلطان و حكم فيهم فهم المعصومون و المحفوظون في الباطن و في الظاهر من الوقوع عن قصد انتهاك حرمة الله فخواطر المعصومين و المحفوظين كلها ما بين ربانية أو ملكية أو نفسية و علامة ذلك عند المعصوم أنه لا يجد ترددا في أداء الواجب بين فعله و تركه و يجد التردد بين المندوب و المكروه و لا في ترك واجب تركه لا يجد فيه التردد لأن التردد في مثل هذين هو من خاطر الشيطان فمن وجد من نفسه هذه العلامة علم أنه معصوم فقوله لَأُغْوِيَنَّهُمْ عن تخلق من قوله فَبِما

أَغْوَيْتَنِي و التزيين الذي جاء به من قوله وَعِدْهُمْ فإنه يتضمنه فما خرج في أفعاله في العباد عن الأمر اللطيف الذي تجعله قرائن الأحوال وعيدا و تهديدا و للظاهر تعلق بالحكم لاستواء الرحمن على العرش و اتساع الرحمة و عمومها حيث لم تبق شيئا إلا حكمت عليه و من حكمها كان قوله وَاسْتَفْزِزْ من اسْتَطَعْتَ الآيات فتدبر يا ولي حكم هذا الاسم في الجان مؤمنهم و كافرهم إن لم تكن من أهل الكشف و الوجود فتتبع ما ذكر الله في القرآن من أخبارهم و حكايات أفعالهم و أقوالهم مؤمنهم و كافرهم و من أثر الاسم اللطيف لطف إبليس في آدم في قوله هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى فصدقه و هو الكذوب و لم يكن كذبه إلا في قوله أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ثم علل فقال خَلَقْتَنِي من نارٍ فجمع بين الجهل و الكذب فإنه ما هو خير منه لا عند الله و لا في النشأة و فضل بين الأركان و لا فضل بينها في الحقائق فتلطف في الإغواء تلطف المستدرج في الاستدراج و الماكر في المكر و الخادع في الخداع

إن اللطيف من الأسماء معلوم و لطفه ظاهر في الخلق موسوم

هو اللطيف فما يبدو لناظرنا وكيف يدرك لطف الذات معدوم

لطف اللطيف بنا نعت له و لنا فاللطف في عينه عليه محكوم

ثم اعلم أن نسبة الأرواح النارية في الصورة الجرمية أقرب مناسبة للتجلي الإلهي في الصور المشهودة للعين من الجسم الإنساني و ما قرب من النسب إلى ذلك الجناب كان أقوى في اللطافة من الأبعد فلا تزال صورة الروح الناري مجهولة عند البشر لا تعلم إلا بإعلام إلهي فإنه إعلام لا يدخله ما يخرجه عن الصدق و كذلك إعلام الأرواح الملكية و أما لو وقع الإعلام من الجن لم نثق به لأنه عنصري الأصل و كل موجود عنصري يقبل الاستحالة مثل أصله و الموجود عن الطبيعة من غير وساطة لا يقبل الاستحالة فلهذا لا يدخل أخباره الكذب فلطافته أخفته حتى جهلت صورته فإن قلت فالأرواح الملكية جعلت لها الاسم الإلهي القوي مع وجود هذا اللطف فيها من الاسم الإلهي اللطيف قلنا صدقت لتعلم أني ما قصدت الاسم الإلهي المعين في إيجاد صنف من أصناف الممكنات إلا لكون ذلك الاسم هو الأغلب عليه و حكمه أمضى فيه مع أنه ما من ممكن يوجد إلا و للأسماء الإلهية المتعلقة بالأكوان فيه أثر لكن بعضها أقوى من بعض في ذلك الممكن المعين و أكثر حكما فيه فلهذا ننسبه إليه كما نسبت يوم السبت لصاحب السماء السابعة و الأحد لصاحب السماء الرابعة و هكذا كل يوم لصاحب سماء و مع هذا فلكل صاحب سماء في كل يوم حكم و أثر لكن صاحب اليوم الذي ننسبه إليه أكثر حكما و أقواه فيه من غيره فاعلم هذا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السابع و الثلاثون» في الاسم الإلهي الجامع و توجهه على إيجاد الإنسان و له من الحروف حرف الميم و له من المنازل المقدرة الفرع المؤخر الاسم الجامع هو الله و لهذا جمع الله لنشأة جسد

آدم بين يديه فقال لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و أما خلق الله السماء بأيد فتلك القوة فإن الأيد القوة قال تعالى داوُدَ ذَا الْأَيْدِ أي صاحب القوة ما هو جمع يد و قد جاء في حديث آدم قوله اخترت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فلما أراد الله كمال هذه النشأة الإنسانية جمع لها بين يديه و أعطاها جميع حقائق العالم و تجلى لها في الأسماء كلها فحازت الصورة الإلهية و الصورة الكونية و جعلها روحا للعالم و جعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم كما أنه إذا فارق منه ما فارق كان فراقه لذلك الصنف من العالم كالخدر لبعض الجوارح من الجسم فتتعطل تلك الجارحة لكون الروح الحساس النامي فارقها كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان فالدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه فلما كان له هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته فصحت له الخلافة و تدبير العالم و تفصيله فإذا لم يحز إنسان رتبة الكمال فهو حيوان تشبه صورته الظاهرة صورة الإنسان و كلامنا في الإنسان الكامل فإن الله ما خلق أولا من هذا النوع إلا الكامل و هو آدم عليه السلام ثم أبان الحق عن مرتبة الكمال لهذا النوع فمن حازها منه فهو الإنسان الذي أريده و من نزل عن تلك الرتبة فعنده من الإنسانية بحسب ما تبقي له و ليس في الموجودات من وسع الحق سواه و ما وسعه إلا بقبول الصورة فهو مجلى الحق و الحق مجلى حقائق العالم بروحه الذي هو الإنسان و أعطى المؤخر لأنه آخر نوع ظهر فأوليته حق و آخريته خلق فهو الأول من حيث الصورة الإلهية و الآخر من حيث الصورة الكونية و الظاهر بالصورتين و الباطن عن الصورة الكونية بما عنده من الصورة الإلهية و قد ظهر حكم هذا في عدم علم الملائكة بمنزلته مع كون الله قد قال لهم إنه خليفة فكيف بهم لو لم يقل لهم ذلك فلم يكن ذلك إلا لبطونه عن الملائكة و هم من العالم الأعلى العالم بما في الآخرة و بعض الأولى فإنهم لو علموا ما يكون في الأولى ما جهلوا رتبة آدم عليه السلام مع التعريف و ما عرفه من العالم إلا اللوح و القلم و هم العالون و لا يتمكن لهم إنكاره و القلم قد سطره و اللوح قد حواه فإن القلم لما سطره سطر رتبته و ما يكون منه و اللوح قد علم علم ذوق ما خطه القلم فيه قال الله تعالى لإبليس أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ من الْعالِينَ على طريق استفهام التقرير بما هو به عالم ليقيم شهادته على نفسه بما ينطق به فقال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فاستكبر عليه لا على أمر الله و ما كان من العالين فأخذه الله بقوله وَكانَ من الْكافِرِينَ نعمة الله عليه حين أمره بالسجود لآدم و ألحقه بالملإ الأعلى في الخطاب بذلك فحرمه الله لشؤم النشأة لعنصرية و لو لا إن الله تعالى جمع لآدم في خلقه بين يديه فحاز الصورتين و إلا كان من جملة الحيوان الذي يمشي على رجليه و لهذا قال صلى الله عليه و سلم كمل من الرجال كثيرون و لم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون و مريم ابنة عمران فالكمل هم الخلائف و استخدم الله له العالم كله فما من حقيقة صورية في العالم الأعلى و الأسفل إلا و هي ناظرة إليه نظر كمال أمينة على سر أودعها الله إياه لتوصله إليه و قولي صورية أي لها صورة معينة في العالم تحوز مكانها و مكانتها و هذا القدر

من الإشارة إلى حكم هذا الاسم الإلهي الجامع في هذا النوع كاف في حصول الغرض من نفس الرحمن فإنه حاز العماء كله و لهذا كان له حرف الميم من حيث صورته و هو آخر الحروف و ليس بعده إلا الواو الذي هو للمراتب فيدخل فيه الحق و الخلق لعموم الرتبة فلنذكرها في الفصل الذي يلي هذا الفصل و أي اسم لها فنقول «الفصل الثامن و الثلاثون» في الاسم الإلهي رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ و توجهه على تعيين المراتب لا على إيجادها لأنها نسب لا تتصف بالوجود إذ لا عين لها و لها من الحروف حرف الواو و من المنازل المقدرة الرشاء و هو الحبل الذي للفرع و هذه صورته في الهامش اعلم أن المراتب كلها إلهية بالأصالة و ظهرت أحكامها في الكون و أعلى رتبة إلهية ظهرت في الإنسان الكامل فأعلى الرتب رتبة الغني عن كل شيء و تلك الرتبة لا تنبغي إلا لله من حيث ذاته و أعلى الرتب في العالم الغني بكل شيء و إن شئت قلت الفقر إلى كل شيء و تلك رتبة الإنسان الكامل فإن كل شيء خلق له و من أجله و سخر له لما علم الله من حاجته إليه فليس له غنى عنه و الحاجة لا تكون إلا لمن بيده قضاؤها و ليس إلا الله الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فلا بد أن يتجلى لهذا الإنسان الكامل في صورة كل شيء ليؤدي إليه من صورة ذلك الشيء ما هو محتاج إليه و ما يكون به قوامه و لما اتصف الله لعباده بالغيرة أظهر حكمها فأبان لهم أنه المتجلي في صورة كل شيء حتى لا يفتقر إلا إليه خاصة فقال عز و جل يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ فافهم و تحقق ركون الناس إلى صور الأسباب و افتقارهم إليها و أثبت الله افتقار الناس إليه لا إلى غيره ليبين لهم أنه المتجلي في صور الأسباب و أن الأسباب التي هي الصور حجاب عنه ليعلم ذلك العلماء لعلمهم بالمراتب و اعلم أن لكل اسم من الأسماء مرتبة ليست للآخر و لكل صورة في العالم رتبة ليست للصورة الأخرى فالمراتب لا تتناهى و هي الدرجات و فيها رفيع و أرفع سواء كانت إلهية أو كونية فإن الرتب الكونية إلهية فما ثم رتبة إلا رفيعة و تقع المفاضلة في الرفعة و من هنا تعرف مال الثقلين عرفان ذوق فإن ما لهم لا بد أن يكون إلى مرتبة إلهية و ما عدا الثقلين فما لهم معروف عند العلماء الإلهيين و مال الثقلين لا يعلم مرتبته إلا الخصوص من العلماء بالله و إنما كان لها الواو لأن الواو لها الستة من مراتب العدد و هي أول عدد كامل و الكمال في العالم إنما كان بالمرتبة فأعطيناه الواو و من المنازل الرشاء و هو الحبل و الحبل الوصل و به يكون الاعتصام كما هو بالله فأنزل الحبل منزلته فلو لا إن رتبة الحبل أعطت ذلك ما ثبت قوله وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ كما قال وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ فافهم أين جعل رتبة الحبل و بأي اسم قرنه و إلى أي اسم أضافه و اعلم أنه لو لا الصور ما تميزت الأعيان و لو لا المراتب ما علمت مقادير الأشياء و لا كانت تنزل كل صورة منزلتها كما قالت عائشة أنزلوا الناس منازلهم و بالرتبة علم الفاضل و المفضول و بها ميز بين الله و العالم و بها ظهرت حقائق ما هي عليه الأسماء الإلهية من عموم التعلق و خصوصه فلنذكر في هذا الفصل مناسبة الأسماء الإلهية التي ذكرناها للحروف التي عيناها و المنازل التي

أوردناها ليرتبط الكل بعضه ببعضه فكما جمع العماء صور الموجودات الذي هو النفس الإلهي كذلك جمع الحروف النفس الإنساني كما جمع الفلك المنازل المقدرة لنزول الدراري فيها المبينة مقادير البروج في الفلك الأطلس فنقول إني ما قصدت بهذا المساق ترتيب إيجاد العالم وإنه وجد هذا بعد هذا فإن ترتيب إيجاد العالم قد ذكرناه في هذا الكتاب وإنه على خلاف ما يقوله حكماء الفلاسفة وإنما قصدنا معرفة ما أثرت الأسماء الإلهية في الممكنات في ممكن ممكن منها سواء تقدم على المذكور قبله أو تأخر ورتبة الموجودات على ما هي الآن عليه في وصفها وتقييدها وذكرنا المنازل على ما هي الآن عليه في وضعها وترتيب الحروف على مخارجها ولا يلزم من هذا ترتيبها في الكلمات المؤلفة منها فقد تكون الكلمة الأولى من حروف الوسط مثل كلمة كن وقبلها حروف مخارجها متقدمة عليها فتنظر الاسم الإلهي الذي يقتضي أن يكون له الأثر في العالم ابتداء فتجده البديع لأنه لم يتقدم العالم عالم يكون هذا على مثاله فالبديع له الحكم في ابتداء العالم على غير مثال وليس المبدئ كذلك والمعيد يطلب المبدئ ما يطلب البديع والبديع له الحكم في النشأة الآخرة فينا كما كان له الحكم في النشأة الدنيا فإنها على غير مثال هذه النشأة وهو قوله تعالى وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى يعني أنها كانت على غير مثال سبق وقال كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ أي على غير مثال فالبديع حيث كان حكمه ظاهر نفي المثال وما انتفى عنه المثال فهو أول فأعطيناه أول الزمان اليومي وهو الذي ظهر بوجود الشمس في الحمل وأوله الشرطين وأعطيناه من الحروف الهاء فإنها أول حرف ظهر في المخرج الأول والاسم أعطى العين الموجودة والعين الموجودة ظهر بها الزمان الذي هو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى فإن كان الموجود ذا نفس في مادة أعطى الحرف وترتيب المنازل بحلول الشمس لإظهار أعيان الفصول التي بها قوام المولدات فالحروف تحكم على الكلمات والكواكب تحكم على فصول الزمان والأسماء تحكم في الموجودات والأعيان مقسمة بين فاعل ومنفعل فإذا فهمت هذا نسبت كل اسم إلهي إلى متعلقة غالبا وإن كان لغيره فيه حكم وقد تقدم الكلام في مثل هذا ومتعلقة موجود ما أو حكم في موجود ثم ربط الوجود بعضه ببعضه بين فاعل ومنفعل وجوهر وعرض ومكان وزمان وإضافة وغير ذلك من تقاسيم الأشياء فيه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل التاسع والثلاثون» في النقل في الأنفاس اعلم أن المراد بالنقل أن ينقل حكم الآخر إلى الأول ويجعل محله من الأول آخرا وقد كان في الآخر أولا ويزيل من الآخر عين ما ظهر فيه هذا الحكم والعين واحدة فإنه قال هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ والهوية واحدة العين وانتقل الحكم من آخر إلى أول في عين واحدة ولا يكون هذا النقل الخاص في هذا الباب إلا نقل الموجود من حال شدة إلى حال رخاء ومن عسر إلى يسر فالنقل تسهيل طريق إلى وجود الرحمة وهذا النقل يظهر في ثلاث مراتب المرتبة الأولى أن يظهر في الصور الممثلة على صورة المحسوس فيكون لها حكم المحسوسات وليست بمحسوسات وهي من وجه محسوسات فينتقل إليها ذلك الحكم

ليعلم أن للظهور في صورة ما من الموجود المنزه عن التأثير حكم الصورة التي ظهر فيها فانتقل الحكم إلى الذي كان لا يقبله قبل هذا لظهوره بالصورة التي هذا الحكم لها كما انتقل حكم البشر إلى الروح لما ظهر بصورة البشر فأعطى الولد الذي هو عيسى و ليس ذلك من شأن الأرواح و لكن انتقل حكم الصورة إليها بقبوله للصورة فمن ظهر في صورة كان له حكمها و من هنا تعرف مرتبة الإنسان الكامل الذي خلقه الله على صورته و لتلك الصورة حكم فتبع الحكم الصورة فلم يدع الألوهية لنفسه أحد من خلق الله إلا الإنسان الذي ظهر بأحكام الأسماء و النيابة فكان ملكا مطاعا كفرعون و غيره و قد يظهر حكم النقل في مرتبة المعرفة و هي المرتبة الثانية قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه و ذلك بنقل الحكم الذي كان لنفسه إلى ربه لما علم أنه ما في الوجود إلا الله و المرتبة الثالثة الانتقال في جميع المراتب فينتقل حكم المنزلة للنازل فيها كانت المنزلة ما كانت مما تحمد أو تذم و إذا انتقل الحكم انتقل الحكم فيها بحسب ما تقرر في العرف و الوضع العادي و الشرعي ألا ترى الروح الجني إذا لبس صورة الحية و الحكم فيها منا القتل قتلناه لصورته و لو علمنا أنه جان ما قتلناه كما انتقل حكم الصورة في الجان فحكمت عليه أنه حية عاملناه فحكمنا في تلك الصورة روينا حديثا عن شخص من جن وفد نصيبين الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لهؤلاء الوفد من الجن لما كان لهم الظهور في أي صورة شاءوا فحكم عليهم إنه من تصور في غير صورته فقتل فلا عقل فيه و لا قود فإنه من قتل حية أو عقربا لا يقتل به و لا تؤخذ فيه دية فمن ظهر في صورة من هذا حكمه انسحب عليه هذا الحكم «الفصل الأربعون» في الجلي و الخفي من الأنفاس فالجلي ما ظهر و الخفي ما استتر و لا يكون الاستتار و الخفاء إلا في الأمثال و أما في غير الأمثال فلا لأن غير المثل لا يقبل صورة من ليس مثله ألا ترى قوله عليه السلام حين قال إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده لأنه قال فيه إنه خلقه على صورته فجعله مثلا ثم نفى أن يماثل ذلك المثل فقال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء فنفى أن يماثل المثل فاستتر الحق بصورة العبد في قوله سمع الله لمن حمده فإن المترجم عنه اسم مفعول يستتر بظهور المترجم اسم فاعل في باب المماثلة له فيما يطلبه من الأمور التي لا صورة لها في المترجم لهم من حيث ما يعرفها المترجم عنه في لسانه فيظهر المترجم عنه بصورة المترجم عنه المعنوية و بصورة المترجم لهم المحسوسة فيظهر بالصورتين فإنه سماه عبدا و هو عبد قائل عن حق فكان لسانه لسان حق في قوله سمع الله لمن حمده و ما زال عن كونه عبدا في ذلك فالله تعالى يظهرنا وقتا و يستر نفسه فيما هو له و وقتا يظهر نفسه و يسترنا بحسب المواطن حكمة منه فالكامل من أهل الله ينظر مراد الله في الوقائع فأي عين أراد الله ظهورها أظهر و أي عين أراد الله سترها سترها و الأدب يقضي بأمر كلي أن ما حسن عرفا و شرعا نسبة للحق فأظهر الحق فيه و جلاه للبصائر و الأبصار و ما قبح عرفا و شرعا نسبه إلى

نفسه إن شاء و أظهر نفسه فيه و جلاه أو نسبه إلى الشيطان إن شاء و أظهر عين الشيطان فيه و جلاه فيكون باطنه حقا لقوله فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها و كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ و لكن مع هذا كله لا بد إن لم يكن مثلا يصيره مثلا و حينئذ يستره و إلا فما يستتر فإنه ما ثم مثل إلا الإنسان فهو يقبل الاستتار و ما عدا الإنسان فلا يقبله فإنه ليس بمثل فإذا أردت أن تستر في الحق صيرته مثلا و حينئذ يقبل الستر بالصيرورة فالأسباب كلها خلاف إلا الإنسان قال الله تعالى من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ فحلاه باسمه و كان ظاهرا فستره إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ فأظهره بكاف الخطاب ثم ستره وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى كما أنه ميز و عين و فرق فقال أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ حكما وَإِلَى الرَّسُولِ عينا فمن أهل الله من يقيم مثل هذا إذا ورد نشأة ذات روح و جسد فيستر بالحركة المحسوسة فعل الروح بصرا و يستر بالمحرك فعل الجسد بصيرة و فيها يكون الإنسان خالقا و يكون الحق أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و من أهل الله من لا يرى إلا الله فلا ستر عنده و من أهل الله من لا يرى إلا الخلق فلا ظهور عنده و كل مصيب و أهل الأدب هم الكمل فيحكمون في هذا الأمر بما حكم الله من ستر و تجل و إخفاء و إظهار كما قدمنا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الحادي و الأربعون» في الاعتدال و الانحراف من النفس اعلم أن أهل الله في هذا الباب على ثلاثة أقسام قسم يرى أن الحق لا يميل و لا يمال إليه و هم الذين يحدون الحب بالميل الدائم من المحب للمحبوب و قسم يرى أن خلق الإنسان على الصورة يعطي الاعتدال و إن لم يكن الاعتدال فما هو على الصورة فيميل حيث مال الحق مثل قوله تعالى وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً في شرع خاص فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ثم قال ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ به فجعل هذا التعريف وصية ليعمل بها و هذا عين الميل عن قوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و عن قوله ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها فأهل الاعتدال هم القائمون بين الانحرافين و أهل الانحراف عن هذا الاعتدال هم الذين يثبتون في الأفعال الكونية علوا و سفلا حقا بلا خلق و هم طائفة و طائفة أخرى يثبتونها خلقا بلا حق حقيقة من الطائفتين لا على طريق المجاز و هم الذين يقولون إنه ما صدر عن الحق إلا واحد و عن الترجيح في رفع التجريح و النظر في الخطاب الإلهي ففي أي موضع جعل الحكم لأحد الانحرافين جعلناه و في أي موضع عدل إلى الاعتدال عدلنا و هذا نعت الأدباء مع الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الثاني و الأربعون» في الاعتماد على الناقص و الميل إليه هذا باب الاعتماد على الأسباب كلها إلا السبب الإنساني الكامل فإنه من اعتمد عليه فما اعتمد على ناقص لظهوره بالصورة و ما عداه من الأسباب فهو ناقص عن هذه المرتبة نقص المرأة عن الرجل بالدرجة التي بينهما و إن كملت المرأة فما كمالها كمال الرجل لأجل تلك الدرجة فمن جعل الدرجة كون حواء وجدت من آدم فلم يكن لها ظهور إلا به فله عليها درجة السببية فلا تلحقه فيها أبدا و هذه قضية في عين و نقابلها بمريم في

وجود عيسى فإذا الدرجة ما هي سبب ظهورها عنه و إنما المرأة محل الانفعال و الرجل ليس كذلك و محل الانفعال لا يكون له رتبة أن يفعل فلها النقص و مع النقص يعتمد عليها و يمال إليها لقبولها الانفعال فيها و عندها فما وضع الله الأسباب سدى إلا لنقول بها و نعتمد عليها اعتمادا إلهيا أعطت الحكمة الإلهية ذلك مع نظرنا إلى الوجه في كل منفعل بها سواء شعر السبب بذلك الوجه أو لم يشعر فالحكيم الإلهي الأديب من ينزل الأسباب حيث أنزلها الله فمن يشاهد الوجه الخاص في كل منفعل يقول إن الله يفعل عندها لا بها و من لا يشاهد الوجه الخاص يقول إن الله يفعل الأشياء بها فيجعل الأسباب كالآلة يثبتها و لا يضيف إليها كالنجار الذي لا يصل إلى عمل صورة تابوت أو كرسي إلا بآلة القدوم و المنشار و غيرهما من الآلات مما لا يتم فعله إلا بها لا عندها فتثبتها و لا تضيف صنعة التابوت إليها و إنما يثبت ذلك للنجار صاحب التدبير و العلم بما ظهر عنه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الثالث و الأربعون» في الإعادة الإعادة تكرار الأمثال أو العين في الوجود و ذلك جائز و ليس بواقع أعني تكرار العين للاتساع الإلهي و لكن الإنسان في لَبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ فهي أمثال يعسر الفصل فيها لقوة الشبه فالإعادة إنما هي في الحكم مثل السلطان يولي واليا ثم يعزله ثم يوليه بعد عزله فالإعادة في الولاية و الولاية نسبة لا عين وجودي ألا ترى الإعادة يوم القيامة إنما هي في التدبير فإن النبي صلى الله عليه و سلم قد ميز بين نشأة الدنيا و نشأة الآخرة و الروح المدبر لنشأة الدنيا عاد إلى تدبير النشأة الآخرة فهي إعادة حكم و نسبة لا إعادة عين فقدت ثم وجدت و أين مزاج من يبول و يغوط و يتمخط من مزاج لا يبول و لا يغوط و لا يتمخط و الأعيان التي هي الجواهر ما فقدت من الوجود حتى تعاد إليه بل لم تزل موجودة العين و لا إعادة في الوجود لموجود فإنه موجود و إنما هي هيأت و امتزاجات نسبية و أما قولنا بالجواز في الإعادة في الهيئة و المزاج الذي ذهب فلقوله ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ و ما شاء فإن المخبر عن الله فرق بين نشأة الدنيا و نشأة الأخرى و فرق بين نشأة أهل السعادة و نشأة أهل الشقاء فنشأة أهل السعادة لها اللطف و الرقة و لا سيما للمتشرعين المنكسرة قلوبهم الناظرين إلى الرسول دائما بعين حق مع شهود بشريته و إنه من الجنس و من عادة الجنس الحسد إذا ظهر التفوق و قد ارتفع عن هؤلاء و لهم فتح البركات من السماء و الأرض كما لأهل الشقاء فتح العذاب و الزيادة لما زادوا هنا من المرض في قلوبهم عند ورود الآيات الإلهية لإثبات الشرائع فكلاهما أهل فتح و لكن بما ذا فاعلم ذلك فإنه في علم الأنفاس دقيق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الرابع و الأربعون» في اللطيف من النفس يرجع كثيفا و ما سببه و الكثيف يرجع لطيفا و ما سببه كالملحن في الرفع و الخفض في صوته اعلم أن اللطف من المحال أن يرجع كثافة فإن الحقائق لا تنقلب و لكن اللطيف يرجع كثيفا كالحار يرجع باردا و البارد حارا فاعلم أن الأرواح لها اللطافة فإذا تجسدت و ظهرت بصورة الأجسام كثفت في عين الناظر إليها و الأجسام لها الكثافة شفافها و غير شفافها فإذا تحولت في الصور

في عين الرائي أو احتجبت مع الحضور فقد تروحنت أي صار لها حكم الأرواح في الاستتار و تتنوع الصور عليها كما تتنوع عليها الأعراض بحمرة الخجل و صفرة الوجل و هو انموذج منبئ أن لها قوة التحول في الصور إذا قامت بها أسباب ذلك فأما سبب كثافة الأرواح و هي من عالم اللطف فلكونهم خلقوا من الطبيعة و إن كانت أجسامهم نورية فمن نور الطبيعة كنور السراج فلهذا قبلوا الكثافة فظهروا بصور الأجسام الكثيفة كما أثر فيهم الخصام حكم الطبيعة لما فيها من التقابل و التضاد و الضد و المقابل منازع لمقابله كقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما حكى الله عنه ما كانَ لِي من عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ فوصفهم بالخصومة فمن هذه الحقيقة التي أورثتهم الخصومة تجسدوا في صور الأجسام الكثيفة و أما الكثيف يرجع لطيفا فسببه التحليل فإن الكثائف من عالم الاستحالة و كل ما يقبل الاستحالة يقبل الصور المختلفة و المتضادة و أظهر ما يكون ذلك في أهل التلحين فالصوت بما هو صوت لا تتبدل صورته فيغلظه الملحن في موضع و يرققه في موضع بحسب الرتبة التي يقصدها ليؤثر بذلك في طبيعة السامعين ما شاء من فرح و سرور و انبساط أو حزن و هم و انقباض و لهذا جعلوا ذلك في الموسيقى في أربعة في البم و الزير و المثنى و المثلث فإن المحل الذي يريدون أن تؤثر فيه هذه الأصوات مركب من مشاكلتها من مرتين و دم و بلغم فيهيج سماع هذا الصوت ما يشاكله من الأخلاط التي هو عليها السامع فيكون الحكم بسبب معين يقصده الملحن حتى يكون له ذلك سببا إلى معرفة الأصل في قوله تعالى إِنَما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ فهو قصد الملحن أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فأتى بالكلام الذي هو الصوت الممتد و المنقطع في المخارج لإظهار أعيان الحروف التي تقع بها الفائدة عند السامع ألا ترى إلى صوت السنانير و إن لم يكن لهم حروف تتقطع في نفسها يغيرون أصواتهم لتغير أحوالهم ليعرفوا السامع ما يقصدونه بذلك الصوت فعند الجوع يرق صوت السنور و يخفى و يلطف و عند الهياج يغلظ و يجهل و يتتابع فيعلم من صوته أنه هائج أو أنه جائع فيؤثر ذلك في نفس السامع بحسب قبوله إما رقة و حنانا فيطعمه و إما غير ذلك ثم إن في هذا الباب يظهر تجلى الحق في الصور التي ينكر فيها أو يرى فيها في النوم فيرى الحق في صورة الخلق بسبب حضرة الخيال فإن الحضرات تحكم على النازل فيها و تكسوه من خلعها ما تشاء أين هذا التجلي من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و من سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فالحكم للحضرة و الموطن لأن الحكم للحقائق و المعاني توجب أحكامها لمن قامت به و إذا كان هذا الحكم في العلم الإلهي فظهوره في أعيان المحدثات أقرب مأخذ الوجود المناسبة الإمكانية وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الخامس و الأربعون» في الاعتماد على أصل المحدثات أصل المحدثات هو ما ترجع إليه بعد فراغها من النظر في ذاتها و هو في قول الشارع من عرف نفسه عرف ربه و قد تكون المعرفة بالله الحاصلة بعد المعرفة بالنفس علما بالعجز عن البلوغ إلى ذلك فيحصل لهم العلم بأنه ثم من لا يعلم فترك العلامة علامة فقد تميز عن خلقه بسلب لا بإثبات و قد تكون المعرفة

به من كونه إلها فيعلم ما تستحقه المرتبة فيجعلون ذلك صفة لمن قامت به تلك المرتبة و ظهر فيها فيكون علمهم بما تقتضيه الرتبة علمهم بصاحبها إذ هو المنعوت بها فهو المنعوت بكل ما ينبغي لها أن توصف به و على الحقيقة يعلم أن هذا علم بالمرتبة لا به لكن يعلم أنه ما في وسع الممكن أكثر من هذا في باب النظر و إقامة الأدلة فإن كشف الله عن بصر الممكن بتجل يظهر له به الحق يعلم عند ذلك ما هو الأمر عليه فيكون بحسب ما يعلمه و من أهل النظر من يروم هذا الحكم الذي ذهب إليه صاحب التجلي و لكن لا يقوى فيه لأنه خائف من الغلط في ذلك لعدم الذوق فهو يرومه و لا يظهر به و المعتمدون على هذا الأصل على طبقات لاختلافهم في أحوالهم فمنهم من يعتمد عليه في كل شيء عند ظهور ذلك الشيء و منهم من يعتمد عليه في الأشياء قبل ظهور الأشياء و منهم من ترده الأشياء إليه فيعتمد عليه بعد أن كان يعتمد على الأشياء و ذلك كله راجع إلى استعداداتهم و اعلم أن هذا الباب يتضمن علم السكون و الحركة أي علم الثبوت و الإقامة و علم التغيير و الانتقال قال تعالى وَلَهُ ما سَكَنَ أي ما ثبت فإن نعت القديم ثابت و نعت المحدثات يثبت لثبوتها و يزول لزوالها و يتغير عليها النعت لقبولها التغيير لأنها كانت معدومة فوجدت فقبلت الوجود فلم تثبت على حالة العدم فلما كان أصلها قبول التنقل من حال إلى حال تغيرت عليها النعوت فلم تثبت الأعلى التغيير لا على نعت معين و السكون أيضا لما كان عدم الحركة لا يصح فيه دعوى أضافه الحق إليه و الحركة لما كانت الدعوى تصحبها أي تصحب لمن ظهر بها لم يقل تعالى إنه له ما تحرك فإن الدعوى تدخلها من المحركين و الوجه الثبوت لا العدم فله الثبوت و للعالم الزوال و إن ثبت فإن ذلك ليس من نفسه و إنما ذلك من مثبته قال النبي صلى الله عليه و سلم لما بلغه قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال هذا أصدق بيت قالته العرب و إن كانت الأشياء موجودة فهي في حكم العدم لجواز ذلك عليها و إن لم يقع و الاعتماد لا نشك أنه سكون إلى من يعتمد عليه لا بد من ذلك و لا يعتمد إلا على من له ثبوت الوجود و لا يقبل التغيير و لا الانتقال من حال الثبوت و من علم أنه يقبل الانتقال من الثبوت لا يعتمد عليه لأنه يخون المعتمد عليه ذلك الاعتماد لارتباطه بمن لا ثبوت له فلا يعتمد على محدث إلا عن كشف و إعلام إلهي فيكون اعتمادنا على من له نعت الثبوت كاعتمادنا على الشرائع فيما يجب الايمان به فلولا التعريف الإلهي بما أظهره من الآيات على صدقه لم نثبت على ذلك كما لا نثبت على الحكم ثبوت من لا ينتقل لجواز النسخ و كل ذلك شرع يجب الايمان به فإن النسخ لما كان عبارة عن انتهاء مدة ذلك الحكم أعقبه حكم آخر لا أن الأول استحال بل انقضى لانقضاء مدته لارتباطه في الأصل بمدة يعلمها الله معينة و إن لم نعلم نحن ذلك فلا نعتمد على سبب محدث عادي إلا بإعلام من الله إنه يثبت حكمه كالإيمان الذي تثبت معه السعادة فيعتمد عليه فنقول إن السعادة مرتبطة بالإيمان بالله و بما جاء من عنده لإعلام الحق بذلك و لا يعتمد عليه في بقائه بالشخص الذي نراه مؤمنا فإنه قد يقوم به أمر عارض يحول بينه و بين الايمان الذي

يعطي السعادة فتنتفي السعادة عنه لانتفاء الايمان بخلاف العلم فإن العلم له الثبوت و لا تؤثر فيه الغفلات فإنه لا يلزم العالم الحضور مع علمه في كل نفس لأنه وال مشغول بتدبير ما ولاة الله عليه فيغفل عن كونه عالما بالله و لا يخرجه ذلك عن حكم نعته بأنه عالم بالله مع وجود الضد في المحل من غفلة أو نوم و لا جهل بعد علم أبدا إلا إن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم لتطرق الشبه على صاحبه و إن وافق العلم و إنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة و ذلك ليس إلا علم الأذواق فذلك الذي نقول فيه إنه علم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السادس و الأربعون» في الاعتماد على العالم من كونه هو الكتاب المسطور في رق الوجود المنشور في عالم الأجرام الكائن من الاسم الله الظاهر اعلم أن هذا الاعتماد لا يصح إلا أن يكون صاحبه صاحب علم بتعريف إلهي و ذلك أن العالم إنما جئنا به بهذه اللفظة لنعلم إنا نريد به جعله علامة و لما ثبت أن الوجود عين الحق و أن ظهور تنوع الصور فيه علامة على أحكام أعيان الممكنات الثابتة فسميت تلك الصور الظاهرة بالحكم في عين الحق ظهور الكتاب في الرق عالما و أظهرها الاسم الإلهي الظاهر بل ظهر بها فهذا باب يتميز فيه الحق من الخلق و أن تنوع الصور لم يؤثر في العين الظاهرة فيها هذه الصور كما لا يتغير الجوهر عن جوهريته بما يظهر عليه من الأحوال و الأعراض فإن ذلك الظاهر حكم المعنى المبطون الذي لا وجود له إلا بالحكم في عين الناظر فأحكامه لا موجودة و لا معدومة و إن كانت ثابتة فيعتمد على العالم بأنه علامة لا على الله فإن الله غني عن العالمين و إنما هو علامة على ثبوت المعاني التي لها هذه الأحكام الظاهرة في عين حق فالعالم علامة على نفسه و هكذا كل شيء فلا شيء أدل من الشيء على نفسه فإنها دلالة لا تزول و الدلالات الغريبة تزول و لا تتبعت فمن اعتمد على العالم من هذا الوجه فقد اعتمد على أمر صحيح لا يتبدل و لا يكون الاعتماد على الحقيقة إلا عليه على هذا الوجه فإن الحق إذا كان كل يوم في شأن فلا يدرى ما يكون ذلك الشأن فلا يقدر على الاعتماد على من لا يعلم ما في نفسه فالكامل من أهل الله من يتنوع لتنوع الشئون فإن الحق ما يظهر في الوجود إلا بصور الشئون فيكون اعتماد هذا الشخص اعتمادا إلهيا أي هو متصف في ذلك بنعت الحق في قبوله الشئون التي تظهر للعالم بها و هذا من العلم المضنون به على غير أهله فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل السابع و الأربعون» في الاعتماد على الوعد قبل كونه و هو الاعتماد على المعدوم لصدق الوعد اعلم أن هذا الباب ما نفس الله به عن عباده و هو نفس الرحمن فإن الخبر الصدق إذا لم يكن حكما لا يدخله نسخ و قد ورد بطريق الخبر الوعد و الوعيد فجاء نفس الرحمن بثبوت الوعد و نفوذه و التوقف في نفوذ الوعيد في حق شخص شخص و ذلك لكون الشريعة نزلت بلسان قوم الرسول صلى الله عليه و سلم فخاطبهم بحسب ما تواطئوا عليه فمما تواطئوا عليه في حق المنعوت بالكرم و الكمال إنفاذ الوعد و إزالة حكم الوعيد فقال أهل اللسان في ذلك على طريق المدح

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

و قد ورد في الصحيح ليس شيء أحب إلى الله من أن يمدح و المدح بالتجاوز عن المسيء غاية المدح فالله أولى به تعالى و الصدق في الوعد مما يتمدح به قال تعالى فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ فذكر الوعد و أخبر عن الإيعاد في تمام الآية بقوله إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ و قال في الوعيد بالمشيئة و في الوعد بنفوذه و لا بد و لم يعلقه بالمشيئة في حق المحسن لكن في حق المسيء علق المشيئة بالمغفرة و العذاب فيعتمد على وعد الله فلا ظهور له إلا بوجود ما وعد به و هو بعد ما وجد و الاعتماد عليه لا بد منه لما يعطيه التواطؤ في اللسان و صدق الخبر الإلهي بالدليل و الله عند ظن عبده به فليظن به خيرا و الظن هنا ينبغي أن يخرج مخرج العلم كما ظهر ذلك في قوله عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا . . . وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ من اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ أي علموا و تيقنوا و قال أهل اللسان في ذلك قلت لهم ظنوا بالغي مدجج أي تيقنوا و اعلموا فإن الظن لما كانت مرتبته برزخية لها وجه إلى العلم و إلى نقيضه ثم دلت قرائن الأحوال على وجه العلم فيه حكمنا عليه بحكم العلم و أنزلناه منزلة اليقين مع بقاء اسم الظن عليه لا حكمه فإن الظن لا يكون إلا بنوع من ترجيح يتميز به عن الشك فإن الشك لا ترجيح فيه و الظن فيه نوع من الترجيح إلى جانب العلم و كذا قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأبان أن في الظن ترجيحا و لا بد إما إلى جانب الخير و إما إلى جانب الشر و الله عند ظن عبده به و لكن ما وقف هنا لأن رحمته سبقت غضبه فقال معلما فليظن بي خيرا على جهة الأمر فمن لم يظن به خيرا فقد عصى أمر الله و جهل ما يقتضيه الكرم الإلهي فإنه لو وقع التساوي من غير ترجيح كالشك لكان من أهل من يقول إن عدله لا يؤثر في فضله و لا فضله في عدله فلما كان الظن يدخله الترجيح أمرنا الحق أن نرجح به جانب الخير في حقنا ليكون عند ظننا به فإنه رحيم فمن أساء الظن بأمر فإن العائد عليه سوء ظنه لا غير ذلك و الله يجعلنا من أهل العلم و إن قضى علينا بالظن فنظن الخير بالله و قد فعل بحمد الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الثامن و الأربعون» في الاعتماد على الكنايات و ما يظهر منها من الفتوح و هي المعبر عنها بالإنية في الطريق و كيف يعتل الصحيح و يصح المعتل اعلم أيدك الله أن كل ما سوى الله فإنه معتل بالذات صحيح بالعرض فإن الصحة تعرض للمحدث إذا أحبه الله حب سبب كحبه لأصحاب التقرب بالنوافل فيكون الحق سمعهم و بصرهم فيزول عنه المرض و الاعتلال و يصح فينفذ بصره في كل مبصر و سمعه في كل مسموع و أما الصحيح بالذات المعتل بالعرض فهو الذي يرى أن الوجود ليس سوى عين الحق فهو من حيث عينه لا تقوم به العلل غير أنه لما ظهر في أعين الناظرين إليه في صور مختلفة حكمت عليه بذلك أحكام أعيان الممكنات ظهر معتلا بحكم العرض الذي عرض لا عين الناظرين إليه و هو في نفسه على ما هو عليه كما يعرض للنور في عين الناظر صور الألوان و هو في نفسه غير متلون فهذا قد عاد الصحيح معتلا و أما الاعتماد

على الكنايات لأنها أعرف المعارف و الاعتماد لا يكون إلا على معروف لأجل التعيين فلو كان منكرا لم يتميز و لم يتعين فيكون الاعتماد على غير معتمد و الأسماء لا تقوى قوة الكنايات فلا يخيب المعتمد على الكنايات و قد يخيب المعتمد على الأسماء لأنها لا تقوى قوة الكنايات في المعرفة و أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة لأنه لا يتغير و الأسماء قد تنتقل و تستعار فمن اعتمد على الاسم في حال كونه معارا أو منتقلا يخيب المعتمد عليه فالمستعار كالاشتعال الذي هو اسم مخصوص نعت من نعوت أحوال النار المركبة فاستعير للشيب في قوله وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً و أما الانتقال فمثل قوله حِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فنقل اسم المريد لمن ليس من شأنه أن يريد فإن اعتمد على هذا الاسم في حال نقله خاب المعتمد عليه و الكنايات ليست كذلك و لها فتوح المكاشفة بالحق و فتوح الحلاوة في الباطن كما للأسماء فتوح العبارة

«الفصل التاسع و الأربعون» فيما يعدم و يوجد مما يزيد على الأصول كالنوافل مع الفرائض اعلم أنه لا يسمى بالزائد من تطلبه الذات لكمال حقيقتها فما زاد على أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فهو زائد و هو إذا عدم لم يتأثر المعدوم عنه بعدمه و إن وجد لم يزد الموجود فيه في ذاته شيئا لم يكن عليه مثل الأحوال عند أصحاب المقامات إن وجدت فيهم لم يزد ذلك في مكانتهم و إن عدمت لم ينقص عدمها من مكانتهم و لذلك هي مواهب «الفصل الخمسون» في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقا مشبها و خلقا و حياة و نطقا و ما نفس به من الأقسام الإلهية اعلم أن الإمداد الإلهي للموجودات لا ينقطع فإذا قصر فمن القابل لا من جانب الممد فإن أضيف عدم الإمداد في أمر معين إلى جانب الحق فذلك القصر إمداد المصلحة في حق ذلك الممنوع فإنه العالم بمصالح المخلوقات و لهذا ينبغي للعلماء بالله أن لا يعينوا عند سؤالهم حاجة بعينها و ليسألوا ما لهم فيه الخير من غير تعيين فكم من سائل عين فلما قضيت حاجته لحكمة يعلمها الله أدركه الندم بعد ذلك على ما عين و تمنى أنه لم يعين فالإمداد تنفس رحماني و الإمداد الإلهي في الموجودات طبيعي و مزاد فالطبيعي ما تمس الحاجة إليه لقوام ذاته و دفع ألم يقوم به و المزاد ما يزيد على هذا مما لا يحتاج في نفسه إليه هذا إذا كان من أهل الله القائلين بالري عند الشرب و من لا يقول بالري فما ثم إمداد مزاد بل كله طبيعي و المزاد على قسمين و هو ما يمده به الحق مما يحتاج إليه الغير و فيه يقول الله آمرا نبيه صلى الله عليه و سلم وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و هذا المزادان كان عن طلب من الغير و هو الموجب للزيادة مثل ما هو في نفس القاري في ء آمن و آدم أو يكون و إن كان إمداد من الله لهذا العبد ليمد به من يعلم الله أنه محتاج إليه ليشرف الواسطة بذلك فيجد هذا العبد في نفسه علما لا يقتضيه حاله فيعلم أن المراد به التعليم و الإمداد للغير و مثاله في نفس القاري جاء و شاء و دابة و طامة و هو الموجب للزيادة في الإمداد فدابة و طامة صورتان تدبرهما روح واحدة و هو التضعيف و الهمزة نصف حرف عند

بعضهم و هو الاسم الظاهر و الألف نصف حرف و هو الاسم الباطن فالمجموع حرف واحد و هو السبب الموجب لزيادة الإمداد لما يعلم الممد من حاجته إلى ذلك أو لطلبه و على كل حال فنفس الرحمن فيه موجود و الزيادة في الإمداد على قدر الحاجة أو الطلب فيفضل بعضه على بعض فالمفضول قصر و جزر عن المد إلا طول الأفضل فاعلم ذلك فالمد إمداد محسوس ظاهر و الجزر إمداد معنوي يطلق عليه اسم النقيض فاعلم ذلك «وصل» إذا اجتمع عارفان في حضرة شهودية عند الله ما حكمهما و هذه مسألة سألني عنها شيخنا يوسف بن يخلف الكومي سنة ست و ثمانين و خمسمائة فقلت له يا سيدي هذه مسألة تفرض و لا تقع إلا إذا كان التجلي في حضرة المثل كرؤيا النائم و كحال الواقعة و أما في الحقيقة فلا لأن الحضرة لا تسع اثنين بحيث أن يشهد معها غيرها بل لا يشهد عينها في تلك الحضرة فأحرى أن يشهد عينا زائدة و لكن يتصور هذا في تجلى المثال فإذا اجتمعا فلا يخلو كل واحد منهما أن يجمعهما مقام واحد أعلى أو أدنى أو متوسط أو لا يجمعهما فإن جمعهما مقام واحد فلا يخلو إما أن يكون ذلك المقام مما يقتضي التنزيه أو التشبيه أو المجموع و على كل حال فحكم التجلي من حيث الظهور واحد و من حيث ما يجده المتجلي له مختلف الذوق لاختلافهما في أعيانهما لأن هذا ما هو هذا لا في الصورة الطبيعية و لا الروحانية و لا في المكانية و إن كان هذا مثل لهذا و لكن هذا ما هو هذا فغايتهما إما أن يتحقق كل واحد منهما بمعرفته بنفسه و نفس هذا غير هذا فيحصل من العلم لهذا ما لم يحصل لهذا فنعلم أنهما و إن اجتمعا في عين الفرق أو يتحقق الواحد بمعرفته بنفسه و يفنى الآخر عن مشاهدة ذاته فيختلفان في عين الجمع أو يعطي الواحد ما يعطي المراد و يعطي الآخر ما يعطي المريد فعلى كل وجه هما مختلفان في الوجود متفقان في الحال و الشهود فإن اقتضى المقام التنزيه لكل واحد منهما فغاية تنزيه كل واحد منهما أن ينزهه عن صورة ما هو عليها في نفسه فهما مختلفان بلا شك و إن كانا مثلين و إن اقتضى ذلك المقام التشبيه فالحال مثل الحال و كذلك إن اقتضى المجموع فإن المجموع إنما هو جميع طرفين في حضرة وسطي فالحال الحال فلا يجتمعان أبدا في الوجود و إن اجتمعا في الشهود و إن لم يجمعهما مقام واحد و كان كل واحد في مقام ليس للآخر و ظاهر بصورة ما هي لصاحبه و إن اجتمعا في الصورة إلا أنهما أعطيا من القوة بحيث أن يشهد كل واحد منهما حضور صاحبه في بساط ذلك المشهود لكون المشهود تجلى في صورة مثالية و هذا التجلي و الشهود هو الذي يجمع فيه صاحبه بين الخطاب و الشهود إن شاء المشهود و أما في غير هذه الحضرة فلا يجتمع شهود و خطاب و لا رؤية غير و حكمهما إذا كانا بهذه المثابة حكم من جمعهما مقام واحد في معرفته بنفسه أو فناء أحدهما أو يقام أحدهما مرادا و الآخر مريدا فيخبر المريد عن قهر و شدة و يخبر المراد عن لين و عطف و ما ثم إلا هذا و لا يخبر واحد منهما عما حصل لصاحبه فإن الإلقاء لكل واحد منهما إنما يكون بالمناسب الذي يقتضيه المزاج الخاص به الذي كان سبب اختلاف صور

أرواحهما في أصل النشأة فإذا رجع إلى أصحابه من هذه حاله يقول و إن كان أحدهما في المغرب و الآخر في المشرق لأصحابه في هذه الساعة أشهد فلان و عاينته و عرفت صورته و من حليته كذا و كذا فيصفه بما هو عليه من الصفات فمن لا علم له بالحقائق منهما فإنه يقول و أعطاه الحق مثل ما أعطاني و الأمر ليس كذلك فإن كل واحد منهما لم يحصل له إسماع ما للآخر و ذلك لافتراقهما في المناسب كما قدمنا و إن كان من أهل الحقائق و المعرفة التامة و يقال له فما حصل له فيقول لا أدري فإني لا أعرف إلا ما تقتضيه صورتي و ما أنا هو فإن الحق لا يكرر صورة «وصل» و لما كان هذا الباب يضم كل ذي نفس حقا و خلقا احتجنا أن نبين فيه ما نفس الرحمن به عن نفسه لما وصف نفسه بأنه أحب أن يعرف و معلوم أن كل شيء لا يعلم شيئا إلا من نفسه و هو يحب أن يعرفه غيره و لا يعرفه ذلك الغير إلا من نفسه فإن لم يكن العارف على صورة المعروف فإنه لا يعرفه فلا يحصل المقصود الذي له قصد الوجود فلا بد من خلقه على الصورة لا بد من ذلك و هو تعالى الجامع للضدين بل هو عين الضدين ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ فخلق الإنسان الكامل على هذه المنزلة فالإنسان عين الضدين أيضا لأنه عين نفسه في نسبته إلى النقيضين ف هُوَ الْأَوَّلُ بجسده وَ الْآخِرُ بروحه وَ الظَّاهِرُ بصورته وَ الْباطِنُ بموجب أحكامه و العين واحدة فإنه عين زيد و هو عين الضدين فزيد هو عين الأخلاط الأربعة المتضادة و المختلفة ليس غيره و ذو الروح النفسي و المركب الطبيعي و هنا قال الخراز عرفت الله بجمعه بين الضدين فقال صاحبنا تاج الدين الأخلاطي حين سمع هذا منا لا بل هو عين الضدين و قال الصحيح فإن قول الخراز يوهم أن ثم عينا ليست هي عين الضدين لكنها تقبل الضدين معا و الأمر في نفسه ليس كذلك بل هو عين الضدين إذ لا عين زائدة فالظاهر عين الباطن و الأول و الآخر و الأول عين الآخر و الظاهر و الباطن فما ثم إلا هذا فقد عرفتك بالنشأة الإنسانية أنها على الصورة الإلهية و سيرد الكلام في خلق الإنسان من حيث مجموعه الذي به كان إنسانا في الباب الحادي و الستين و ثلاثمائة في فصل المنازل في منزل الاشتراك مع الحق في التقدير «وصل» الأقسام الإلهية من نفس الرحمن الواردة في القرآن و السنة فإن بها نفس الله عن المقسوم له ما كان يجده من الحرج و الضيق الذي يعطيه في الموجودات قوله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و إرادته مجهولة التعلق لا يعرف مرادها إلا بتعريف إلهي فإذا أكده بالقسم عليه و الإيلاء كان أرفع للحرج من نفس المقسوم له كما نفس الله عن المؤمنين غير الموقنين بقسمه على الرزق و ما وعد به من الخير المطلق و المقيد بالشروط لمن وقعت منه و وجدت فيه أنه لحق مثل ما إنكم تنطقون فنفس الله عنهم بذلك و حصل لهم اليقين و ما بقي لهم بعد إلا الاضطراب الطبيعي فإن الآلام الطبيعية المحسوسة ما في وسع الإنسان رفعها إذا حصلت بخلاف الآلام النفسية فإنه في وسعه رفعها فوقع التنفيس بالقسم إن الرزق من الله لا بد منه و بقي في قلب بعض الموقنين بذلك من الحرج تعيين وقت حصوله ما وقع به التعريف و لو وقع لم يرفع الاضطراب الطبيعي فلما علم

الحق أنه لا ينفس في تعيين الأوقات لذلك لم يوقع بها التعريف فإن الطبع أملك و الحس أقوى في الذوق من النفس و سبب ذلك أن المحسوس على صورة واحدة لا تتبدل و النفس تقبل التحول في الصور فلذلك لا يرتفع حكم الطبع في وجود الآلام الحسية لثبوته و ترتفع الآلام النفسية لسرعة تبدلها في الصور و لا يفنى أحد عن الآلام الطبيعية إلا بوارد إلهي أو روحاني قوي يرفع عنه ألم الطبع إن قام به و يكون موجب ذلك الوارد إما أمر محسوس أو معقول لا يتقيد كورود غائب عليه يحبه فيفنيه شغله بما حصل له من الفرح بوروده عن ألم الجوع و العطش الذي كان يجده قبل رؤية هذا الغائب أو السماع بقدومه فهذا موجب محسوس و الموجب المعقول معلوم عند العلماء فظهر في الأقسام الإلهية نفس الرحمن غاية الظهور و أعطى هذا القسم عند العلماء تعظيم المقسوم به إذ لا يكون القسم إلا بمن له مرتبة في العظمة فعظم الله بالقسم جميع العالم الموجود منه و المعدوم إذ كانت أشخاصه لا تتناهى فإنه أقسم به كله في قوله فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَما لا تُبْصِرُونَ و هو الموجود الغائب عن البصر و المعدوم و دخل في هذا القسم المحدث و القديم غير أنه لما علم الله عظمته في قلوب عباده موحدهم و مشركهم و مؤمنهم و كافرهم و قد أقسم لهم بالمحدثات و بغير نفسه و علم أنه قد تقرر عندهم أنه لا يكون القسم إلا بعظيم عند المقسم فبالضرورة يعتقد العالم تعظيم المحدثات و لا سيما و قد أيد ذلك في بعض المحدثات بقوله وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ الله و هي محدثات فَإِنَّها من تَقْوَى الْقُلُوبِ و من صفات الحق الغيرة فحجر من كونه غيورا علينا أن نقسم بغيره مع اعتقادنا عظمة الغير بتعظيم الله فهذا التحجير دواء نافع لما أورثه القسم بالمحدثات في القلوب الضعيفة البصائر عن إدراك الحقائق من العلل و الأمراض و الأقسام كثيرة و لا فائدة في ذكرها مع ما ذكرناه من الأمر الجامع لها فهو يغني عن تفصيلها فإن الكتاب يطول بذكرها و كل إنسان إذا وقف على قسم منها عرف فيما وقع و ما نفس الله به و عمن نفس الله به من أول وهلة و إنما ينبغي لنا أن نذكر ما يغمض على بعض الأفهام أو أكثرها لحصول الفوائد العزيزة المنال عند أكثر الناس «وصل» و من نفس الرحمن تشريع الاجتهاد في الحكم في الأصول و الفروع و مراعاة الاختلاف و ثبوت الحكم من جانب الحق بإثباته إياه أنه حكم شرعي في حق المجتهد تحرم عليه مخالفته مع التقابل في الأحكام فقرر الحكمين المتقابلين و جعل المجتهدين في ذلك مأجورين فشرع المجتهد من الشرع الذي أذن الله فيه لهذه الأمة المحمدية أن يشرعه و لا أدري هل خصت به أو لم يزل ذلك فيمن قبلها من الأمم و الظاهر أنه لم يزل في الأمم فإن نفس الرحمن يقتضي العموم و لا سيما و قد جاء في القرآن ما يدل على أن ذلك لم يزل في الأمم في قوله تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها و ما ابتدعوها إلا باجتهاد منهم و طلب مصلحة عامة أو خاصة و أثنى على من رعاها حق رعايتها و ذكر هذا في بني إسرائيل و كذلك في قوله في الأصول وَمن يَدْعُ مَعَ الله إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به يعني في زعمه فإنه في نفس الأمر ليس إلا إله واحد و لهذا قرر صلى الله عليه و سلم حكم المجتهد سواء أصاب أو أخطأ بعد توفيته

حق الاجتهاد جهد طاقته و ما رزقه الله من قوة النظر في ذلك و قرر له الأجر مرة واحدة إن أخطأ و مرتين إن أصاب فاعلم أن المجتهد قد يخطئ ما هو الأمر عليه في نفسه و مع هذا قد تعبده به و أعطاه على ذلك أجر الاجتهاد لما فيه من المشقة لأنه من الجهد و الجهد بذل الوسع خاصة فإن الله ما كلف عباده إلا وسعهم في نفس الأمر و لم يخص صلى الله عليه و سلم في الاجتهاد فرعا من أصل بل عم فمن خصص ذلك بالفروع دون الأصول فهو من الاجتهاد أيضا تخصيص ذلك و تعميمه و كلاهما مأجور في اجتهاده «وصل» و من نفس الرحمن أيضا قوله تعالى حكاية عن معصوم في قوله عن الخطاء و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها فأخرج و ضيق المتسع فنفس الله بتمام الآية و التعريف بقوله إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فقوله اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ بالألف و اللام اللذين للعهد و هو هذا الصراط الذي عليه الرب أن يكون مشهودا لنا في وقت مشي الحق فيه بنا فإنه صراط من أنعم عليه و من غضب الله عليه و أصله في السبيل التي فرقته عن سبيله و هو الصراط الذي هو عليه حجبته عن شهوده فلا يشهده إلا سعيد و إن لم يشهده و آمن به و جعله كأنه يشهده فهو سعيد و معلوم أن تصرف كل دابة قد يتعلق به لسان حمد أو ذم لأمور عرضية في الطريق عينتها الأحوال و أحكام الأسماء و الأصل محفوظ في نفس الأمر تشهده الرسل سلام الله عليهم و الخاصة من عباد الله «وصل» و من نفس الرحمن الذي نفس الله به عن عباده المؤمنين بالرسل قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فنفس الله بذلك عن قلوب كان قد قام بها إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات و إن كان القائل بذلك قد قصد التنزيه لكنه ممن اجتهد فأخطأ أن قال ذلك عن اجتهاد فله الأجر فإن الأمر لا يتغير عما هو عليه في نفسه و لا يؤثر فيه حكم المجتهد لا بالإصابة و لا بالخطإ و إذا لم يتغير الأمر في نفسه بتغير الاجتهاد فالحكم له فلا يكون منه في العقبي إلا الخير فإنه الخير المحض الذي لا شر فيه فما عند المجتهدين من التغيير من جهته إلا ما تغيروا به من نفوسهم ف إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ و ما غيروا به أنفسهم فذلك تغيير الله بهم لأنهم ما خرجوا عما أعطاهم الله فإن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا ما آتاها فما آتاها في هذا الوقت إلا ما سماه تغييرا فهو معهم في حال تغيرهم إلى أن ينقضي مدته فيبدو لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ و هو مشاهدة ما هو الأمر عليه في نفسه فنفس الله عنهم بما بدا لهم منه و ما يبدو من الخير إلا الخير كما قال المعتزلي الذي كان يقول بإنفاذ الوعيد فيمن مات عن غير توبة فلما مات و هو على هذا الاعتقاد و حصل له بعد الموت شهود الأمر على ما هو به رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال وجدنا الأمر أهون مما كنا نعتقده و أخبر أنه رحم و لم ينفذ فيه الوعيد الذي كان يعتقد نفوذه في أمثاله و ليس إنباء الحق عباده يوم القيامة بما عملوه من الجرائم و اجترحوه من الآثام على جهة التوبيخ و التقرير و إنما ذلك على طريق الإعلام باتساع رحمة الله حيث نالها لاتساعها من لا يستحقها و ذلك بشفاعة أعيان تلك الأفعال المسماة جرائم فإن فاعلها لما

كان سببا في إيجاد أعيانها من كونها أفعالا و أقام نشأتها و هي معصية في حقه لكنها نشأة مطيعة مسبحة ربها عز و جل تستغفر للسبب الموجب لوجودها فيجيب الله دعاءها و استغفارها لصاحبها فإنه لا علم لها بأنها معصية أو طاعة فإنها غير مكلفة بذلك و لا خلقت له فيقبل الله شفاعتها فيه فيكون ما له إلى الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و ما في العالم إلا من هو منشئ صور أعمال منعوتة في الشرع بطاعة و معصية و لا طاعة و لا معصية فإذا انتشأت فلا غذاء لها إلا التسبيح بحمد الله و هنا أعني في هذه الحضرة تتساوى أعمال الطاعة و المعصية فإن كونها طاعة و معصية ما هو عينها و إنما ذلك حكم الله فيها و هي مقبولة السؤال عند الله فإنها من أصناف المعتنى بهم المفطورين على تعظيم الله تعالى و الثناء عليه بما هو أهله و لو لا أنه ما كان معنا أينما كنا ما ظهرت أعيان هذه الأعمال إذ هو منشئها فينا بنا أو عندنا على حسب ما يعطيه نظر كل ناظر فقل كيف شئت و هذا القدر كاف في باب النفس الرحماني و ما رأيت أحدا ممن غير من أهل هذا الشأن تكلم عليه مثلنا و لا فصله تفصيلنا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب التاسع و التسعون و مائة في السر»

السر تثبيت المراتب فافتكر ... فهو الدليل على ثبوت الواحد

بالفرد صح وجودنا في عيننا ... في غائب إن كان أو في شاهد

إن الإشارة بالحقيقة تيمت ... وهي الدليل على انتفاء الواجد

و الحال يطلبه المراد بكونه ... فيه بحكم لا يكون بزائد

و العالم النحرير إن قامت به ... صفة العلوم فحكمه كالفاقد

اعلم أن السر عند الطائفة على ثلاث مراتب سر العلم و سر الحال و سر الحقيقة فأما سر العلم و سر الحال فهو حقيقة العلماء بالله لا بغيره من الأسماء فإن سر العلم بالله هو جمع الأضداد بالحكم في العين الواحدة من حيث ما هو منسوب إليه كذا مما له ضد من ذلك بعينه ينسب إليه ضده و هذا سر لا يعلمه إلا من وجده في نفسه فاتصف به فحكم على عينه بحكم حكم عليه أيضا بضده من حيث حكم ضده لا من نسبة أخرى و لا من إضافة و لهذا جعله الله سر العلم لأن العلم كل علم حصل عن دلالة لأنه مشتق من العلامة و لذلك أضيف العلم إلى الله بالأشياء لأنه علم نفسه فعلم العالم فهو دليل و علامة على العالم كما كان العالم علامة عليه في علمنا به و هو قوله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه فجعلك لك دليلا عليه فعلمته كما كانت ذاته دليلا عليك له فعلمك فأوجدك فهذا من

خفي سر العلم الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا كان الحق سمع العبد و بصره و علمه علمته به و جعلته دليلا و علامة على نفسه و هذا هو سر الحال و منه نفخ عيسى في الصورة التي أنشأها من الطين فكانت طيرا و بسر العلم دعاء إبراهيم عليه السلام الأطيار فاتته سعيا فإن كان قوله بِإِذْنِي العامل فيه تنفخ فهو سر الحال و إن كان العامل فيه فيكون فهو سر العلم و هذا لا يعلمه إلا صاحبه و هو عيسى عليه السلام و سر العلم أتم من سر الحال لأن سر العلم هو لله و هو الذي ظهر به إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه ما زاد على إن دعاهن و لم يذكر نفخا فكان كقوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و سر الحال لا يكون إلا من نعوت الخلق ليس من نعوت الحق فسر العلم أتم و حكمه أعم فالحال من جملة معلومات العلم و ممن هو تحت إحاطته و لو كان الحال أتم من العلم لكان الحق قد أمر نبيه بطلب الأنقص و يكون الحق قد ترك وصفه بالأتم و هذا محال فليس الشرف إلا لسر العلم و أما سر الحقيقة فهو إن تعلم أن العلم ليس بأمر زائد على ذات العالم و أنه يعلم الأشياء بذاته لا بما هو مغاير لذاته أو زائد على ذاته فسر الحقيقة يعطي أن العين و الحكم مختلف و سر الحال يلبس فيقول القائل بسر الحال أنا الله و سبحاني و أنا من أهوى و من أهوى أنا و سر العلم يفرق بين العلم و العالم فبسر العالم تعلم أن الحق سمعك و بصرك و يدك و رجلك مع نفوذ كل واحد من ذلك و قصوره و أنك لست هو عينه و بسر الحال ينفذ سمعك في كل مسموع في الكون إذا كان الحق سمعك حالا و كذلك سائر قواك و بسر الحقيقة تعلم أن الكائنات لا تكون إلا لله و إن الحال لا أثر له فإن الحقيقة تأباه فإن السبب و إن كان ثابت العين و هو الحال فما هو ثابت الأثر فللحقيقة عين تشهد بها ما لا يشهد بعين الحال و تشهده عين الحال و عين العلم و للعلم عين يشهد بها ما لا يشهده بعين الحال و تشهد ما يشهده عين الحال فعين الحال أبدا تنقص عن درجة عين العلم و عين الحقيقة و لهذا لا تتصف الأحوال بالثبوت فإن العلم يزيلها و الحقيقة تأباها و لذلك الأحوال لا تتصف بالوجود و لا بالعدم فهي صفات لموجود لا تتصف بالعدم و لا بالوجود فبالحال يقع التلبيس في العالم و بالعلم يرتفع التلبيس و كذلك بالحقيقة فهذا سر العلم و سر الحال و سر الحقيقة قد علمت الفرقان بينهم في الحكم هذا معنى السر عند الطائفة فإذا ثبت أمر في العالم كان ما كان و ظهر حكمه فسره معناه إذا ظهر لمن ظهر له بطل عنده ذلك الثبوت الذي كان يحكم به قبل هذا على ذلك الأمر في كل أمر يكون له ثبوت في العالم و بهذه المثابة ثبوت الأسباب كلها في العالم فسر الربوبية إما المربوب و إما النسب أو الصفات التي من شأن من نسبت إليه أو قامت به عند من يرى أنها صفات أن يكون ربا فليس هو رب بالذات على هذا النحو هذا معنى قول سهل بن عبد الله للربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية و كذلك قوله أيضا إن للربوبية سرا لو ظهر لبطل العلم و إن للعلم سرا لو ظهر لبطلت النبوة و إن للنبوة سرا لو ظهر لبطلت الأحكام فسر الحق لو ظهر لبطل الاختصاص و النبوة اختصاص فتبطل النبوة ببطلان الاختصاص و يبطل حكم العلم من حيث إنه صفة للذات

حتى أعطاه حكم العالم و هو الحال فيبطل العلم لا يبطل العالم و سر النبوة إزالة رفيع الدرجات لأنه ما ثم على من و المعارج للأنبياء إنما هي في هذه الدرجات فسر النبوة الإخبار بما هو الأمر عليه و ما هو الأمر عليه لا يقبل التبديل و إذا لم يقبل التبديل بطل الحكم فإن الحكم يثبت التخيير و التخيير يناقض التبديل فإذا بطل التخيير بطل الحكم فبطل معنى النبوة فهذا سرها فمن ظهر له أسرار هذه الأمور و علمها علم الحق فيها و لم يبطل عنده شيء فهو أقوى الأقوياء في التمكن الإلهي فهو عبد في مقام سيد و سيد في صورة عبد

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الموفي مائتين في حال الوصل»

لو فاتنا ما فات لم تك صورة و الوصل فينا درك ذاك الفائت
ما فات إلا كوننا لم نبغه فإذا ابتغينا كان ثبت الثابت
و به تفاضلت الرجال فمنهم حي و ذاك الحي عين المائت
و الميت منا ليس يعرف موته و الناطق المعصوم عين الصامت

اعلم أن الوصل في اصطلاح القوم إدراك الفائت و هو إدراك السالف من أنفاسك و هو قوله تعالى يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ و العلة في ذلك أن كل حال له نفس يتضمن ذلك النفس جميع ما سلف من أنفاس ذلك المتنفس من حيث ما كانت عليه تلك الأنفاس من الأحكام فله فائدة المجموع و ما يتميز به من غيره و هو قول الطائفة لو أن شخصا أقبل على الله دائما ثم أعرض عنه طرفة عين كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله و هذه المسألة حيرت العارفين بالوصل إذا صح لم يعقبه الفصل هذا هو الحق فإن الحق سبحانه لا يقبل وصله الانفصال و لا تجلى لشيء ثم انحجب عنه لأن العالم بما هو به عالم لا يكون بخلاف حكم علمه فالحق مع الكون في حال الوصل دائما و بهذا كان إلها و هو قوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ أي على أي حال كنتم من عدم و وجود و كيفيات فهكذا هو في نفس الأمر و الذي يحصل لأهل العناية من أهل الله أن يطلعهم الله و يكشف عن بصائرهم حتى يشهدوا هذه المعية و ذلك هو المعبر عنه بالوصل أعني شهود هذا العارف فقد اتصل العارف بشهود ما هو الأمر عليه فلا يتمكن أن ينقلب هذا الوصل فصلا كما لا ينقلب العلم جهلا فإنه يعطيك هذا المشهد الكيفية فيه على ما هي عليه فهذا يا أخي معنى الوصل عند الطائفة في اصطلاحهم جعلنا الله و إياكم من أهل الوصل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الحادي و مائتان في حال الفصل»

الفصل فوت الرجاء إن كنت تعقله و دع يفوتك فالمرجو قد حصلا

من غير ما هو مرجو لطالبه و هو الدليل لعبد الله إذن كملا

لا بد منا و منه و الدليل لنا الفرق ما بين من يدري و من جهلا

اعلم أن الفصل عند الطائفة فوت ما ترجوه من محبوبك و عندنا الفصل هو تميزك عنه بعد كونه سمعك و بصرك فإن وقع لك التمييز قبل هذا فليس هو الفصل المذكور في هذا الباب فإن المراد به هنا الفصل الذي يكون عن الوصل و هذا هو الذوق و قبل الذوق قد يخطر للعبد من الرجاء أن يكون الحق فيتفق أن يطلع على إحالة هذه الكينونة فيكون أيضا هذا من الفصل المبوب عليه في هذا الباب و ما ثم أعلى من هذا الرجاء ثم ينزل من هذا إلى ما يرجوه من التحقق بالأسماء و الصفات و النعوت في الأكوان علوها و سفلها فكل ما فاتك من هذه الأمور فهو فصل أيضا من هذا الباب و لكن من شرط هذا الفصل و الوصل أن يكون من مقام المحبة و إن كانت من طريق الإرادة فإن المحبة و إن كانت عين الإرادة فهي تعلق خاص كالشهوة لها تعلق خاص و هي إرادة و كذلك العزم حال خاص في الإرادة و الهم و النية و القصد كل ذلك أحوال للإرادة و اعلم أن الرجاء من صفات المؤمنين من حيث ما هو مؤمن و الفعل تابع له فهو من أحوال المؤمنين ما هو من أحوال العارفين فإنهم على بصيرة من أمرهم فلا رجاء عندهم و هكذا نعت كل من هو من أمره على بصيرة كما قال لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً وكَما يَئِسَ الْكُفَّارُ من أَصْحابِ الْقُبُورِ فالفصل الذي يكون للعارفين ما هو فوت ما يرجى و إنما هو تحقيق ما يقع به التمييز بين الحقائق و لا يكون ذلك إلا للعلماء بترتيب الحكمة في الأمور فيعطي كل ذي حق حقه كما فصل كل شيء بما يتميز به عن أن يشترك مع غيره فأما في الأسماء الإلهية فبما تدل عليه من حيث ما هي عدد فلما قبلت الكثرة احتيج إلى الفصل إما في ذات المسمى من نسبة معانيها إليه و إما من حيث ما تظهر فيه آثارها فيحدث لها الكثرة من المؤثر فيه لا من اسم الفاعل الذي هو المؤثر فتكون الآثار تكثر النسب إلى العين الواحدة فذلك الفصل في الآثار لا في الأسماء و لا في المسمى و لا في المؤثر فيه فهذا تحقيق الفصل في المعرفة عند العارفين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الثاني و مائتان في حال الأدب»

أدب الشريعة أن تقوم برسمها فتكون مكتوبا من الأدباء

فإذا فنيت من القيام و أنت في جهد فأنت به من الخدماء

و إذا دفعت لكل طالب حقه ما يستحق لحقت بالأمناء

و أتيت بالشرع المطهر حكمه و بذاك قالوا جملة القدماء

اعلم أن الأدب على أقسام أما أدب الشريعة فهو أن لا يتعدى بالحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو في مكان أو في وضع أو في إضافة أو في حال أو في مقدار أو في مؤثر أو في مؤثر فيه و انحصرت أقسام محل ظهور أدب الشريعة فأما أدبها في الذوات القائمة بأنفسها فبحسب ما هي عليه من معدن و نبات و حيوان و إنسان و عروض و ما يقبل التغيير منه و ما لا يقبل التغيير و ما يقبل الفساد و ما لا يقبل الفساد فيعلم حكم الشرع في ذلك كله فيجريه فيه بحسبه و أما آدابها في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب و حظر و ندب و كراهة و إباحة و أما الآداب الزمانية فما يتعلق بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف و منه ما يضيق وقته و منه ما يتسع و أما الآداب المكانية كمواضع العبادات مثل بيوت الله الذي أَذِنَ الله فيها أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ و أما الآداب الوضعية فهي أن لا يسمى الشيء بغير اسمه ليتغير عليه حكم الشرع بتغير الاسم فيحلل ما كان محرما أو يحرم ما كان محللا كما قال عليه السلام سيأتي على الناس زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها و ذلك ليستحلوها بالاسم كما سئل مالك عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له إنه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه لأجل الاسم حكم التحريم كما سموا الخمر نبيذا أو ربا أو تزيزا فاستحلوها بالاسم و أما أدب الإضافة فمثل قول خضر فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا و قوله فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا للاشتراك بين ما يحمد و يذم و قوله فَأَرَادَ رَبُّكَ لتخليص المحمدة فيه فيكتسب الشيء الواحد بالنسبة ذما و بالإضافة إلى جهة أخرى حمدا و هو عينه و تغير الحكم بالنسبة و أما آداب الأحوال كحال السفر في الطاعة و حاله في المعصية فيختلف الحكم بالحال و حال السفر أيضا من حال الإقامة في صوم رمضان و فطره و المسح على الخفين في التوقيت و عدم التوقيت و أما الآداب في الأعداد فهو ما يتعلق بعدد أفعال الطهارة و مقاديرها و الزكاة و عدد الصلوات و ما لا يزاد فيه و لا ينقص بحسب حكم الشرع في ذلك و كذلك توقيت ما يغتسل به و يتوضأ به كالمد و الصاع هذا أدبه في العدد و أما الأدب في المؤثر كحكمه في القاتل و الغاصب و كل ما أضيف إليه فعل ما من الأفعال و أما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قود أهل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر و كالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب هذا قسم أدب الشريعة و أما قسم أدب الخدمة فأما أن يكون أعلى إلى أدنى أو من أدنى إلى أعلى فأما خدمة الأعلى إلى من هو دونه فالقيام بمصالحه و مراعاتها و التنبيه في ذلك على ما وقعت فيه الغفلة و التعريف بما جهل منها و تعيينه أوقاتها و أمكنتها و حالاتها و إيضاح مبهماتها و الإفصاح عن مشكلاتها بإقامة أعلامها كالأستاذ مع التلميذ و العالم مع الجاهل و السلطان مع الرعية و أما خدمة الأدون من

هو أعلى منه فبامتثال أوامره و نواهيه و الوقوف عند مراسمه و حدوده و المبادرة إلى محابه و المسارعة إلى مراضيه و مراقبة إشاراته و موافقة أغراضه هذا قسم أدب الخدمة و أما قسم أدب الحق فهو إعطاؤه ما يستحقه مما ينبغي له و إعطاؤه ما يستحقه مني كما أنه أعطاني خلقي حين أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فإذا أعطيته ما يستحقه بما هو هو و أعطيته ما يستحقه منك بما أنت له فقد قمت بآداب الحق في إعطائه كل شيء خلقه هذا قسم آداب الحق و أما قسم آداب الحقيقة فحاله أن يراه في الأشياء عينها لا هي ثم يحكم على ما يراه من الزيادة و النقص بما أعطته استعدادات الأشياء فينسب ذلك إليها لا إليه كما لا كان أو نقصا أو موافقا أو مخالفا لا يحاشي شيئا فإن حال الحقيقة يعطي ما قلناه فإذا كان حالك في كل مقام ما ذكرناه فقد قمت بالأدب و أخذت الخير أجمعه بكلتا يديك و ملأتهما خيرا و هذا غاية وسع المخلوق وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و الكلام على الأحوال لا يحتمل البسط و تكفي فيه الإشارة إلى المقصود و مهما بسطت القول فيه أفسدته وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الثالث و مائتان في حال الرياضة»

إذا هذب الإنسان أخلاق نفسه و أخرجها عن طبعها و مرادها
و ذاك محال عندنا كونه فما يرى راضها من راضها بعنادها
فإن كنت ذا علم فإن مصارفا لها عينت بالشرع عند فسادها

اعلم أن الرياضة عند القوم من الأحوال و هي قسمان رياضة الأدب و رياضة الطلب فرياضة الأدب عندهم الخروج عن طبع النفس و رياضة الطلب هي صحة المراد به أعني بالطلب و عندنا الرياضة تهذيب الأخلاق فإن الخروج عن طبع النفس لا يصح و لما كان لا يصح بين الله لذلك الطبع مصارف فإذا وقفت النفوس عندها حمدت و شكرت و لم تخرج بذلك عن طبعها فرياضتها اقتصارها على المصارف التي عينها لها خالقها فإن عين الشيء المزاجي ليس غير مزاجه فلو خرج الشيء عن طبعه لم يكن هو و لهذا يكون قول من قال رياضة الطلب صحة المراد به فإنه إذا كان الشيء مرادا به أمر ما و المريد لذلك الأمر هو موجد ذلك الشيء و قد عينه له و عرفه به و إن ذلك القدر يريد منه فتصرف فيه بطبعه على ذلك الحد كان صاحب رياضة لأنه لو تصرف في نقيض ما أريد منه لكان تصرفه فيه بطبعه أيضا فما كان التهذيب فيه إلا صرفه عن الإطلاق في التصرف إلى التقييد فإن أراد صاحب القول في رياضة الأدب أنه الخروج عن طبع النفس بمعنى ما كان لها فيه التصرف مطلقا صار مقيدا فحمل هذا الشخص نفسه على ما قيدها به خالقها من

التصرف فيه و دخلت تحت التحجير بعد ما كانت مسرحة فهو الذي ذكرناه و إن أراد غير ذلك فليس إلا ما قلناه و ذلك أن الرياضة تذليل النفس و إلحاقها بالعبودية و لذا سميت الأرض أرضا و ذلولا فالرياضة عندنا من صير نفسه أرضا أي مثل الأرض يطؤها البر و الفاجر و لا يؤثر عندها تمييزا بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضي سيده و تحمل الفاجر حمل الله إياه بكونه يرزقه على كفره بنعمه و جحده إياها و نسيان رب النعمة فيها و إلى الرياضة يرجع مسمى الرضي على الحقيقة إن تفطنت لأن النفس تطلب بذاتها الكثير من الخير لأن الأصل على ذلك فإن الله تعالى ما طلب إلا الممكنات و هي غير متناهية و لا أكثر مما لا يتناهى و ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود دفعة و لكن يدخل قليلا قليلا لا إلى نهاية فإذا نسبت إليه ما توجه إليه طلبه من الكثرة ثم رضي من ذلك باليسير و التدريج لعلمه أن ما لا يتناهى لا يمكن حصوله في الوجود رضي بذلك القدر الذي يدخل منه فمتعلق الرضي لا يكون إلا بالقليل و لا يكون مخلوق بأعظم قدرا من خالقه و إذا كانت هذه صفة الحق فهي بالعبد أولى فما عند الله لا يتناهى و مطلب هذا العبد من الله ما عنده و لا يتمكن دخوله في الوجود إلا قليلا قليلا لا إلى نهاية فرضي بذلك القدر العبد و هو قليل بالنسبة إلى متعلق علمه بما عند الله فرضي عن الحق و رضي الحق عنه فوقع الاقتصار من العالم بما لا يتناهى على ما أعطى من ذلك مما يتناهى رياضة منه عن مطلق تعلق علمه من ذلك إذ قد علم أيضا أن ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود فحقيقة الرياضة ترجع إلى هذا لأن الآدمي لما خلق على الصورة زهت نفسه و تخيلت أن التحجير لا يصح على من له العزة و ما علمت أن العزة تحجير فإن العزة حمى و الحمى تحجير فعين ما ادعت به الإطلاق ذلك بعينه قيدها فلما أشهدها الحق حضرة عزه و نفوذ اقتداره و مع نفوذ اقتداره لم يعطه الإمكان من نفسه إلا قدر ما يحصل منه في الوجود انكسرت النفس و صار ما كانت تصول به أورثها ما أشهدها ذلة و انكسارا فإنها تقبل الذلة لجهلها فارتاضت و الحق لعلمه على عزه فرياضة العلم أنفع الرياضات فما أزالها العلم عن الصورة و لكن أولا جهلت ما هي الصورة عليه و ما هي الحقائق عليه فما أشرف العلم لو لم يكن من شرف العلم إلا تجلى الحق في صورة تنكر ثم تحوله في صورة تعرف و هو هو في الأولى و الثانية و إن موطن تلك المشاهدة لا يتمكن في نفس الأمر إلا أن تكون مقيدة لأن الذي يشهد و هو عين العبد مقيد بإمكانه فلا يتمكن له شهود الإطلاق و لا بد من الشهود فظهر له المشهود مقيدا بالصورة و مقيدا بالتحول في الصور و لأنه مقيد بالوجوب الذاتي فالكل في عين التقييد إن عقلت عنا و إنما تقيد بالتحول ليفتح له في نفسه العلم بأن الأمر لا يتناهى و ما لا يتناهى لا يدخل تحت التقييد فإنه من قبل التحول إلى صورة من صورة قبل التحول إلى صور لا نهاية لها أو إلى صور لا يمكن لذلك المتحول أن يتجاوزها إلى غيرها فخرج عن حد التقييد بالتقييد ليعلم

أن مشهوده مطلق الوجود فيكون شهوده أيضا مطلقا إطلاق مشهوده فأفاده التحول من صورة إلى صورة علما لم يكن عنده فعلم عند ذلك أن الله هو الحق المبين فأعلى رياضة العبد العالم أن لا ينكره في صورة و لا يقيده بتنزيه بل له التنزيه على الإطلاق عن تنزيه التقييد

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الرابع و مائتان في التحلي بالحاء المهملة»

لو لا التحلي لما كنا بحضرته مستخلفين على نور بأنبائه

إن التخلق بالأسماء حلية من صافي المسمى فصافاه بأسمائه

كمثل طيفور إذ صحت خلافته و الأمر جاء بها في عين إنبائه

نفاه مملوكه سبعا لمصلحة عادت عليه و هذا من أشيائه

فإنه سأل الرحمن ما وقعت به الأمور على ترتيب نعمائه

فالله يرزقني صدقا و يفتح لي بابا و يمنحني شكر آلائه

اعلم أن التحلي بالحاء المهملة في اصطلاح الطائفة التشبه بأحوال الصادقين في أقوالهم و أفعالهم و هذا في الطريق عندنا مدخول و من أسماء الله الصادق و أن الصادقين من أحوالهم التحلي بالحاء المهملة فلا بد من معرفة ما يتحلى به فهل تحلوا بما هو لغيرهم فتزينوا بما ليس لهم فهم لابسو أثواب زور أو تحلوا بما هو لهم فهم صادقون و التحلي عندنا هو التزين بالأسماء الإلهية على الحد المشروع بحيث أن يعسر التمييز و هم الذين إذا رؤوا ذكر الله كعرش بلقيس لما قامت لها شبهة بعد المسافة فقالت كَأَنَّهُ هُوَ و لو شاهدت الاقتدار الإلهي لعلمت أنه هو كما كان هو من غير زيادة و إذا حصل الإنسان في هذا المقام بهذا التحلي و لم يحجبه هذا التحلي في حال تزينه به و أنه له حقيقة ما استعاره بل ذلك ملكه و ما له و لا منعه عن شهود عبوديته لربه و إن نسبة ما ظهر به مما هو نعت لخالقه ما كان تشبها و إنما كان تزينا فذلك التحلي و يقول الحكماء في هذه الحالة إنه التشبه بالإله جهد الطاقة و هذا القول إذا حققته جهل من قائله لأن التشبه في نفس الأمر لا يصح فمن قامت به صفة فهي له و هو مستعد لقيامها به فباستعداد ذاته اقتضاها فما تشبه أحد بأحد بل الصفة في كل واحد كما هي في الآخر و إنما حجب الناس التقدم و التأخر و كون الصورة واحدة فلما رأوها في المتقدم ثم رأوها في المتأخر قالوا إن المتأخر تشبه بالمتقدم في هذه الصورة و ما علموا أن حقيقتها في المتأخر حقيقتها في المتقدم و لو كان الأمر كما قالوه لزاحمت العبودية الربوبية و لبطلت الحقائق فما تحلى العبد إلا بما هو له و لا ظهر الحق إلا بما هو له لا من صفات التنزيه و لا من صفات التشبيه كل ذلك له

و لو لم يكن الأمر كذلك لكان ما وصف نفسه به من ذلك كذبا و تعالى الله بل هو كما وصف نفسه من العزة و الكبرياء و الجبروت و العظمة و نفي المماثلة كما وصف نفسه بالنسيان و المكر و الخداع و الكيد و الفرح و المعية و غير ذلك فالكل صفة كمال لله تعالى فهو موصوف بها كما تقتضيه ذاته و أنت موصوف بها كما تقتضيها

ذاتك و العين واحدة و الحكم مختلف و العبد يعبد و الرحمن معبود

فليس التحلي في الحقيقة تشبه فإنه محال في نفس الأمر و ما قال به إلا من لا معرفة له بالحقائق و كذلك كنا لَوْلا أَنْ من الله عَلَيْنا فتعين علينا أن نبين للخلق ما بينه الحق لنا هكذا أخذ العهد علينا فيما يجوز لنا الإبانة عنه و الإفصاح به و أما ما أخذ الله علينا العهد على كتمانه فنشاهده من الخلق و لا نخبرهم بما هو فهم بحكم ما يتخيلون و نحن بحكم ما نعلم و لو عرفناهم بذلك ما قبلوا لأن استعدادهم لا يعطي القبول كما قال وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فما حجبناه عنهم إلا رحمة بهم فإن الله سبحانه لم يترك منفعة لعباده إلا و قد أبانها لهم و اختلف استعدادهم في القبول و ما أبان الله عن نفسه بما أبان مما وصف به نفسه مما تنزهه عنه العقول بأدلتها إلا ليعلم أنه ما ثم شيء من الموجودات و لا عين خارج عنه بل كل صفة تظهر في العالم لها عين في جناب الحق و الكل مرتبط به و كيف لا يرتبط به و هو ربه و موجدة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الخامس و مائتان في التخلي بالخاء المعجمة»

لو لا المراتب في المشروع ما ظهرت حقائق الحق و الأعيان تشهده
كيف التخلي و ما في الكون من أحد سواه و هو الذي في الكون نعبده
و ذاك يمنعنا من أن نقيده فنحن نعدمه وقتا و نوجده
فكل ما في وجود الكون من عرض على اعتقاداتنا فالله موجدة
فأشهده إن كنت ذا عين و معرفة في كل شيء و إن الشيء يفقده

اعلم أن التخلي بالخاء المعجمة عند القوم اختيار الخلوة و الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق و عندنا التخلي عن الوجود المستفاد لأنه في الاعتقاد هكذا وقع و في نفس الأمر ليس إلا وجود الحق و الموصوف باستفادة الوجود هو على أصله ما انتقل من إمكانه فحكمه باق و عينه ثابتة و الحق شاهد و مشهود فإنه تعالى لا يصح أن يقسم بما ليس هو لأن المقسوم به هو الذي ينبغي له العظمة فما أقسم

بشيء ليس هو و قد ذكرنا ذلك في باب النفس بفتح الفاء فمما أقسم به وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ فهو الشاهد و المشهود و هو ما استفاد الوجود بل هو الموجود فإن قلت فمن هذا الذي جهل هذا الأمر حتى تعلمه و لا يقبل الإعلام إلا موجود قلنا الجواب عليك من نفس اعتقادك فإنك المؤمن بأنه تعالى قال للشيء كُنْ فما خاطب و لا أمر إلا من يسمع و لا وجود له عندك في حال الخطاب فقد أسمع من لا وجود له فهو الذي يعلمه ما ليس عنده فيعلمه و هو في حال عدمه يقبل التعليم كما سمع الخطاب عندك فقبل التكوين و ما هو عندنا قبوله للتكوين كما هو عندك و إنما قبوله للتكوين أن يكون مظهرا للحق فهذا معنى قوله فَيَكُونُ لا أنه استفاد وجودا إنما استفاد حكم المظهرية فيقبل التعليم كما قبل السماع لا فرق و لقد نبهتك على أمر عظيم إن تنبهت له و عقلته فهو عين كل شيء في الظهور ما هو عين الأشياء في ذواتها سبحانه و تعالى بل هو هو و الأشياء أشياء فبعض المظاهر لما رأت حكمها في الظاهر تخيلت أن أعيانها اتصفت بالوجود المستفاد فلما علمنا أن ثم في الأعيان الممكنات من هو بهذه المثابة من الجهل بالأمر تعين علينا مع كوننا على حالنا في العدم مع ثبوتنا أن نعلم من لا يعلم من أمثالنا ما هو الأمر عليه و لا سيما و قد اتصفنا بأنا مظهر فتمكنا بهذه النسبة من الإعلام لمن لا يعلم فأفدناه ما لم يكن عنده فقبله فمما أعلمناه أنه ما استفاد وجودا بكونه مظهرا فتخلى عن هذا الاعتقاد لا عن الوجود المستفاد لأنه ليس ثم فلهذا عدلنا في التخلي أنه التخلي عن الوجود المستفاد و أما أهل السلوك الذين لا علم لهم بذلك و لا بمن هو الظاهر المشهود و لا بمن هو العالم فآثروا الخلوة لينفردوا بالحق لما حجبتهم الكثرة المشهودة في الوجود عن الله جنحوا إلى التخلي و هذا مما يدلك على أنهم ما تركوا الأشياء من حيث صورها فإنه لا يتمكن لهم ذلك فإنهم في خلوتهم لا بد أن يشاهدوا صور ما تخلوا فيه من جدار و باب و سقف و آلات قام بيت الخلوة منها و وطاء و غطاء و مأكول و مشروب فالصور لا يتمكن له التخلي عنها فلم يبق الهرب إلا مما يطرأ من هذه الصور من الكلام المفهوم لا من الأفعال لأن صاحب الخلوة لو كانت معه الحيوانات لم يزل في خلوة و لا يشغله عن مطلوبه إلا أن يخاف من ضررها كذلك أيضا لو كان في الجدار ميل لخاف من تهدمه و سقوطه عليه فإذا ما اختار التخلي إلا لأجل الكلام الذي تتكلم الناس به فلو فهم ما يتكلم الناس به على الوجه الذي وضعه الحق فيهم لزاد علما بما لم يكن عنده و لو صلى صلاة واحدة أعني ركعة واحدة لما طلب التخلي فإنه إذا سمع قول العبد سمع الله لمن حمده و إن ذلك القول لله لسرت الحقيقة في جميع ما يسمع فكلام الناس كله يفيد العارفين علما بالله و لهذا من كرامات الصالحين أن يسمعهم الله نطق الأشياء فلو لم يفدهم ذلك علما لم يكن ذلك إكراما من الله بهم فمن رزق الفهم عن الله استوت عنده الخلوة و الجلوة بل ربما تكون الجلوة أتم في حقه و أعظم فائدة فإنه في كل لحظة يزيد علوما بالله لم تكن عنده

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب السادس و مائتان في حال التجلي بالجيم»

للغيب نور على البصائر يظهر ما كان في السرائر

لكل قلب من كل شخص أحضره الحق في المحاضر

فشاهد الأمر كيف يجري و عاين الحكم في المقادر

فعنده أول و ظاهر و عندنا باطن و آخر

قسمه كالصلاة فينا عينا لعين فاشكر و بادر

ما بين عبد حبيس عجز و بين رب عليه قادر

بفضله قد سرى إلينا ما يحمد الله في الضمائر

اعلم أن التجلي عند القوم ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب و هو على مقامات مختلفة فمنها ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة عن المواد من المعارف و الأسرار و منها ما يتعلق بأنوار الأنوار و منها ما يتعلق بأنوار الأرواح و هم الملائكة و منها ما يتعلق بأنوار الرياح و منها ما يتعلق بأنوار الطبيعة و منها ما يتعلق بأنوار الأسماء و منها ما يتعلق بأنوار المولدات و الأمهات و العلل و الأسباب على مراتبها فكل نور من هذه الأنوار إذا طلع من أفق و وافق عين البصيرة سالما من العمي و الغشي و الصدع و الرمد و آفات الأعين كشف بكل نور ما انبسط عليه فعاين ذوات المعاني على ما هي عليه في أنفسها و عاين ارتباطها بصور الألفاظ و الكلمات الدالة عليها و أعطته بمشاهدته إياها ما هي عليه من الحقائق في نفس الأمر من غير تخيل و لا تلبيس فمنها أنوار نسعى بها و منها أنوار نسعى إليها و منها أنوار نسعى منها و منها أنوار تسعى بين أيدينا و منها أنوار تكون خلفنا يسعى بها من يقتدي بنا و منها أنوار تكون عن إيماننا تؤيدنا و منها أنوار تكون عن شمائلنا تقينا و منها أنوار تكون فوقنا تنزل علينا لتفيدنا و منها أنوار تكون تحتنا نملكها بالتصرف فيها و منها أنوار نكونها هي أبشارنا و في أبشارنا و أشعارنا و في أشعارنا و هي غاية الأمر فأما أنوار المعاني المجردة عن المواد فكل علم لا يتعلق بجسم و لا جسماني و لا متخيل و لا بصورة و لا نعلمه من حيث تصوره بل نعقله على ما هو عليه و لكن بما نحن عليه و لا يكون ذلك إلا حتى أكون نورا فما لم أكن بهذه المثابة فلا أدرك من هذا العلم شيئا و هو قوله في دعائه صلى الله عليه وسلم واجعلني نورا و الله يقول اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فما أنارت إلا به كما قال وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها يعني أرض المحشر يقول ما ثم شمس و عدم النور ظلمة و لا

بد من الشهود فلا بد من النور و هو يوم يأتي فيه الله للفصل و القضاء فلا يأتي إلا في اسمه النور فتشرق الأرض بنور ربها و تعلم كل نفس بذلك النور ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ لا بها تجده محضرا يكشفه لهاذلك النور و لو لا ما هي النفوس عليه من الأنوار ما صحت المشاهدة إذ لا يكون الشهود إلا باجتماع النورين و من كان له حظ في النور كيف يشقى شقاء الأبد و النور ليس من عالم الشقاء و ما من نفس إلا و لها نور تكشف به ما عملت فما كان من خير سرت به و ما كان من سوء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً و لهذا ختم الآية بقوله وَ اللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ حيث جعل لهم أنوارا يدركون بها و قد علموا أن النور لا حظ له في الشقاء فلا بد أن يكون المال إلى الملائم و حصول الغرض و ذلك هو المعبر عنه بالسعادة لأنه قال كل نفس فعم و ما خص نفسا من نفس و ذكر الخير و الشر فالوجود نور و العدم ظلمة فالشر عدم و نحن في الوجود فنحن في الخير و إن مرضنا فإنا نصح فإن الأصل جابر و هو النور و هكذا صفة كل نور إنما جاء ليظهر ما طلع عليه فلا تدرك الأشياء إلا بك و به فلهذا لا يصح نتيجة أي لا تكون إلا بين اثنين أصلها الاقتدار الإلهي و قبول الممكن للانفعال لو نقص واحد من هاتين الحقيقتين لما ظهر للعالم عين فقد أعطيناك أمرا كليا في هذه الأنوار فلا تتكلف بسطها مخافة التطويل و الأحوال لا تحتمل الإسهاب فلنذكر مبهمات الأنوار فأما النور الذي نسعى به فهو ما تقدم ذكره من أنوار المعلومات التي اكتفينا بذكر واحد منها ليكون تنبيها و أنموذجا لما سكتنا عنه و أما النور الذي بين أيدينا فهو نور الوقت و الوقت ما أنت به فنوره ما أنت به فانظر فيه كيفما كان فهو مشهودك الحاكم عليك و القائم بك و هو عين الاسم الإلهي الذي أنت به قائم في الحال لا حكم له في ماض و لا مستأنف و أما النور الذي عن يمينك فهو المؤيد لك و المعين على ما يطلبه منك النور الذي بين يديك و هو الذي طلبت من الله في حال صلاتك في قولك وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و الصلاة نور و هي النور الذي بين يديك فهو وقتك الذي أنت به فلما قلت وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أيدك بالنور من عن يمينك فإن اليمين القوة يقول الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

و أما النور الذي عن يسارك فهو نور الوقاية و الجنة من الشبه المضلة المؤثرة في النفوس الجهالات و الالتباس و التشكيك الذي يخطر للناظر الباحث في الاعتقاد في الله و فيما أخبر به عن نفسه و هو على نوعين نور إيمان و نور دليل و نور الدليل على نوعين نور نظر فكري و نور نظر كشفي فيعلم الأمر على ما هو عليه في نفسه فهذا فائدة النور الذي يأتي عن الشمال و أما النور الذي خلفنا فهو النور الذي يَسْعى بين يدي من يقتدي بنا و يتبعنا على مدرجتنا فهو لهم من بين أيديهم و هو لنا من خلفنا فيتبعنا على بصيرة من أجل ذلك النور الذي يخرجهم عن التقليد قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي فهو بالنور الذي بين يديه يدعو على بصيرة و الداعي المتبع له

يدعو بالنور الذي خلفه ليكون هذا المتبع أيضا على بصيرة فيما يدعو إليه مثل من اتبعه و بذلك النور يرى من خلفه مثل ما يرى من بين يديه و هذا مقام نلته سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بمدينة فاس في صلاة العصر و أنا أصلي بجماعة بالمسجد الأزهر بجانب عين الجبل فرأيته نورا يكاد يكون أكشف من الذي بين يدي غير أني لما رأيته زال عني حكم الخلف و ما رأيت لي ظهرا و لا قفا و لم أفرق في تلك الرؤية بين جهاتي بل كنت مثل الأكرة لا أعقل لنفسي جهة إلا بالفرض لا بالوجود و كان الأمر كما شاهدته مع أنه كان قد تقدم لي قبل ذلك كشف الأشياء في عرض حائط قبلتي و هذا كشف لا يشبه هذا الكشف و أما النور الذي من فوقي فهو تنزل نور إلهي قدسي بعلم غريب لم يتقدمه خبر و لا يعطيه نظر و هذا النور هو الذي يعطي من العلم بالله ما ترده الأدلة العقلية إذا لم يكن لها إيمان فإن كان لها إيمان نوراني قبلته بتأويل لتجمع بين الأمرين و أما النور الذي من تحتنا فهو النور الذي يكون تحت حكمنا و تصريفنا لا يقترن معه فينا أمر إلهي نقف عنده فلا نصرفه إلا فيه و أما الأنوار التي نسعى بها فهي أنوار المعية من جانب الحق في قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ لذلك قلنا من جانب الحق فإنه لا يختص بهذه المعية شيء من خلق الله دون غيره و لها الاسم الحفيظ و المحيط فإن لله مع بعض عباده معية اختصاص مثل معيته مع موسى و هارون في قوله إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى فهذه بشرى لهما حتى لا يخافا فإنهما قالا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى أي يتقدم و يرتفع بالحجة إذ له الملك و السلطان فآمنهما الله مما خافا منه و من هنا تعرف مرتبة محمد صلى الله عليه و سلم و علوها على رتبة غيره من الرسل فإن الله أخبر عن محمد صلى الله عليه و سلم في حال خوف الصديق عليه و على نفسه فقال لصاحبه يؤمنه و يفرحه إِذْ هُما فِي الْغارِ و هو كنف الحق عليهما لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا فقام النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الإخبار مقام الحق في معيته لموسى و هارون و ناب منابه هكذا تكون العناية الإلهية فهذا هو النور الذي يسعى به و هو لا يزال ساعيا فلا يزال الحق معه حافظا و ناصرا لا خاذلا و لهذا وقع الإخبار لنا من الله على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم أنا إذا أتينا بنوافل الخيرات لا بفرائضها أحبنا الحق فكان سمعنا الذي نسمع به و رجلنا التي نسعى بها إلى جميع قوانا و أعضائنا فهذا ما أعطت النوافل فينا من الحق فأين أنت مما تعطيه الفرائض فكم بين عبودية الاضطرار و عبودية الاختيار تقع المشاركة مع الحق في عبودة الاختيار في أحاديث نزوله في الخطاب إلى عبده مثل الشوق و الجوع و العطش و المرض و أشباه ذلك و عبودة الاضطرار لا تقع فيها مشاركة فهي مخلصة للعبد فمن أقيم فيها فلا مقام فوقها يقول الله لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فعين القربة هنا هو عين البعد من المقام فافهم و أما النور الذي نسعى منه فهو نور الحقيقة سواء علمها أو لم يعلمها فيكشفها بهذا النور و يكشف أنه سعى منه ثم ينكشف له النور الذي يسعى إليه و هو الشريعة فصاحب هذا المقام هو المعصوم المحفوظ المعتنى به العالم الذي لا يجهل لاتصافه بالعلم

الذي لا جهل فيه فإن ثم عبيدا يسعون من نور الشريعة إلى نور الحقيقة و يخاف عليهم و هؤلاء الذين يسعون على كشف من نور الحقيقة إلى نور الشريعة آمنون من هذا المكر الإلهي فهم على بصيرة من أمرهم و هؤلائك تحت خطر عظيم يمكن أن يعصموا فيه و يمكن أن يخذلوا فاعلم ذلك و أما أنوار المولدات فهي أنوار تعطيه بذاتها علما صحيحا من العلم بالله يكشف بها نسبة الحق و صورته في صور أعيان المعادن و النبات و الحيوان و هم لا يعلمون و ما زاد الإنسان على هؤلاء إلا بكشفه ذلك فالمولدات في هذا المقام بمنزلة قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و الإنسان فيه بمنزلة لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا و إِنَّني مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى فإنه صورة كل شيء في نفس الأمر فمن علمه و كشفه بهذا النور كان من أهل الاختصاص فهو يرى الأشياء أعيانا بصورة حقية و أخبرني من أثق بنقله في هذه المسألة إن شخصا كان بدمشق له هذا المقام لا يزال رأسه بين ركبتيه فإذا نظر إلى الأشياء في رفع رأسه لا يزال يقول أمسكوه أمسكوه و الناس لا يعلمون ما يقول فيرمونه بالتوله و أما أنا فذقته لله الحمد على ذلك و أما أنوار الأسماء فهي التي تظهر مسمياتها حقا و خلقا مما يتعلق بالذات و الصفات و الأفعال في الإلهيات منها ما يتعلق بأجناس الممكنات و أشخاصها منها من الأسماء التي وضعها الحق لها و بلغتها الرسل لا ما وقع عليه الاصطلاح و هذه الأنوار التي كانت لآدم عليه السلام حين علم جميع الأسماء بالوضع الإلهي لا بالاصطلاح و في ذلك تكون الفضيلة و الاختصاص فإن لله أسماء أوجد بها الملائكة و جميع العالم و لله أسماء أوجد بها جامع حقائق الحضرة الإلهية و هو الإنسان الكامل ظهر ذلك بالنص في آدم و خفي في غيره فقال للملائكة في فضل آدم و في فضل هذا المقام و قد أحضر للملائكة المسميات أعني أعيانهم أَنْبِئُوني بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أي بالأسماء الإلهية التي صدروا عنها فلم يعلموا ذلك ذوقا فإن علوم الأكابر ذوقا فإنه عن تجل إلهي فقال الله يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فأنبأهم آدم بأسمائهم الإلهية التي أوجدتهم و أسندوا إليها في إيجاد أعيانهم لا أسماء الاصطلاح الوضعي الكوني فإنه لا فائدة فيه إلا بوجه بعيد أضربنا عن ذكره حين علمنا أنه لم يكن المقصود فإنا ما نتكلم و لا نترجم إلا عما وقع من الأمر لا عما يمكن فيه عقلا و هذا الفرق بين أهل الكشف فيما يخبرون به و هم أهل البصائر و بين أهل النظر العقلي و الفائدة إنما هي فيما وقع لا فيما يمكن فإن ذلك علم لا علم و ما وقع فهو علم محقق و أما أنوار الطبيعة فهي أنوار يكشف بها صاحبها ما تعطيه الطبيعة من الصور في الهباء و ما تعطيه من الصور في الصورة العامة التي هي صورة الجسم الكل و هذه الأنوار إذا حصلت على الكمال تعلق علم صاحبها بما لا يتناهى و هو عزيز الوقوع عندنا و أما عند غيرنا فهو ممنوع الوقوع عقلا حتى إن ذلك في الإله مختلف فيه عندهم و ما رأينا أحدا حصل له على الكمال و لا سمعنا عنه و لا حصل لنا و إن ادعاها إنسان فهي دعوى لا يقوم عليها دليل أصلا مع إمكان حصول ذلك و أنوار الطبيعة مندرجة في كل ما سوى الحق و هي نفس الرحمن الذي نفس الله به عن الأسماء الإلهية و أدرجها

الله في الأفلاك و الأركان و ما يتولد من الأشخاص إلى ما لا يتناهى و أما أنوار الرياح فهي أنوار عنصرية أخفاها شدة ظهورها فغشيت الأبصار عن إدراكها و ما شاهدتها إلا في الحضرة البرزخية و إن كان الله قد أتحفنا برؤيتها حسا بمدينة قرطبة يوما واحدا اختصاصا إلهيا و ورثا نبويا محمديا و هذه الأنوار الرياحية لها سلطان و قوة على جميع بنى آدم إلا أهل الله فإن هذه الأنوار تندرج في أنوارهم اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس و ذلك لضعف نور البصر و إذا غشيت هذه الأنوار من شاء الله من العامة لا تغشاه إلا كالسحاب المظلم و إذا غشيت أهل الله لا تغشاهم إلا و هي أنوار على هيأتها و أما أنوار الأرواح فمنا من يجعلها أنوار العقول و منا من يجعلها أنوار الرسل و لها القوة و السلطان و النفوذ في الكون لا يقف لها شيء غير أن لها حدودا تقف عندها لا تتعداها إذا شاهدها العبد يكشف بها ما غاب من العلوم المضنون بها على غير أهلها و هي أنوار سبوحية قدوسية تنزل من الحق المخلوق به إلى سدرة المنتهى و تطرح شعاعاتها على قلوب العارفين أهل الشهود التام فقلوبهم مطارح شعاعات هذه الأنوار و ليس في هذا الصنف الإنساني أكمل منهم في العلم فإن هذه الأنوار لا يقف لها حجاب إلا المشيئة الإلهية خاصة و قليل من عباد الله من تطرح على قلبه هذه الأنوار شعاعاتها على الكشف و هي مجالي الصادقين من عباد الله تعالى و أما أنوار الأنوار فهي السبحات التي لو كشف الحق الحجاب الذي يسترها عنا لاحترقنا هي أشعة ذاتية إذا انبسطت ظهرت أعيان الممكنات فالممكنات هي الحجاب بيننا و بينها و هذا هو النور العظيم لا الأعظم إليه الإشارة بقوله تعالى في حق أهل الكتب الإلهية المنزلة بالأعمال المشروعة بقوله وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ و هم الموسويون وَالْإِنْجِيلَ و هم العيسويون وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ من رَبِّهِمْ و هم أصحاب الصحف و ما بقي من الكتب لَأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ و هي علوم خارجة عن الكسب وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ و هي علوم دخلت تحت الكسب فهي من علوم التحت و الفوق و إنه إذا كان النور بهذه الصفة لم يكن من تحتنا بل يكون هو الذي يصرفنا و أما النور الذي يكون من تحتنا فهو الذي نحكم عليه و هو المعبر عنه بالأكل من تحت الأرجل و أما النور الذي هو عين ذاتنا فهو كما دعا فيه صلى الله عليه و سلم و اجعلني نورا فهو عين ذاته و رواية و اجعل لي نورا هو جميع ما ذكرنا من الأنوار و أما قوله اجعلني نورا فهو مشاهدة نور ذاته إذ لا يشهد إلا به فإن ذاته ما قبلت هذه الأنوار من هذه الجهات الست إلا لعدم إدراكها نور نفسها الذي قال في ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه و اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و مثله بما مثله و هو أنت عين ذلك الممثل و المثل فتشاهد الأنوار منفهقة منك يتنور بذاتك عالم سماواتك و أرضك فما تحتاج إلى نور غريب تستضيء به فأنت المصباح و الفتيلة و المشكاة و الزجاجة و إذا عرفت هذا عرفت الزيت و هو الإمداد الإلهي و عرفت الشجرة و إذا كانت الزجاجة كالكوكب الدري و هو الشمس هنا فما ظنك بالمصباح الذي هو عين ذاتك فلا يكن يا أخي

دعاؤك أبدا إلا أن يجعلك الله نورا و هنا سر عجيب أنبهك عليه من غير شرح لأنه لا يحتمل الشرح و هو أن الله يضرب الأمثال لنفسه و لا تضرب له الأمثال فيشبه الأشياء و لا تشبهه الأشياء فيقال مثل الله في خلقه مثل الملك في ملكه و لا يقال مثل الملك في ملكه مثل الله في خلقه فإنه عين ما ظهر و ليس ما ظهر هو عينه فإنه الباطن كما هو الظاهر في حال ظهوره فلهذا قلنا هو مثل الأشياء و ليست الأشياء مثله إذ كان عينها و ليست عينه و هذا من العلم الغريب الذي تغرب عن وطنه و حيل بينه و بين سكنه فأنكرته العقول لأنها معقولة غير مسرحة و هذا انموذج من تجلى أنوار الأنوار و أما أنوار المعاني المجردة عن المواد فلا تنقال فإنه لو انقالت لدخلت في المواد لأن العبارات من المواد و قد قلنا إنها مجردة لذاتها عن المواد لا إنها تجردت لأنها لو تجردت لكسوناها المواد إذا شئنا و لم تمتنع لأنها قد كانت فيها فهي تعلم خاصة و لا تقال و لا تحكي و لا تقبل التشبيه و لا التمثيل و أما أنوار الأرواح فهي أنوار روح القدس الجامع فمن أرسل من هذه الأرواح كان ملكا و من لم يرسل بقي عليه اسم الروح مع الاسم الخاص به العلم في الطائفتين المرسلين و غير المرسلين فهو روح خالص لم يشبه ما يخرجه عن نفسه و هو روح ذو روح في روحيته و ليس إلا الأرواح المهيمة و أرواح الأفراد منا تشبهها بعض شبه فلا يقع التجلي في أنوار أرواح إلا للافراد و لهذا قال الخضر لموسى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً لأنه من الأفراد و إن الأنبياء يقع لهم التجلي في أنوار الأرواح الملائكة و ليس للافراد هذا التجلي بل هو مخصوص بالأنبياء و الرسل و هو قول خضر أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا لأنه ليس له هذا التجلي الملكي ثم نبهه على أنه ما فعل الذي فعل عن أمره فإنه ليس له أمر و ما هو من أهل الأمر و هو مقام غريب في المقامات لو أن الله تعالى يبيح لنا كشفه للخلق لظهر علم لا يقوم له كون هذا قد ظهر من أثره ثلاث مسائل من شخص قد شهد الله عند نبيه بعدالته و زكاه و صار تبعا له و بين له ما قد سمعت و أدخل نفسه في أتباعه تحت شرطه و هو مثل موسى كليم الله و نجيه و أين كلامه مع ربه من كلامه مع الخضر فاختلف التجلي في الكلام و مع هذا لم يصبر لأنه قدم الاستثناء و لم يقدمه لما أنكر عليه فإنه من شأن النبي أن يكون متبعا كما هو متبع سواء و كذلك قال إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ ما قال أن أفعل أو أقول إلا ما أشهد ما قال هكذا فكل مقام له مقال و لسان و أما أنوار الرياح فهي تجليات الاسم البعيد و هي تجليات لا ينبغي أن يذكر اسمها و لا تكون إلا لأهل الإلهام و للتجلي في أنوار الملائكة في هذا مدخل و لكن في الباطن لا في الظاهر خاصة و هم ملائكة اللمات و الإلهام خاصة و الإلقاء في هذا التجلي على النفوس و من هذا التجلي تكون الخواطر و هي رياحية كلها لأن الرياح تمر و لا تثبت فإن قال أحد بثبوتها فليست ريحا و لذلك توصف بالمرور و تسمى بالخواطر و هي من راح يروح و الرائح ما هو مقيم و أما التجلي في الأنوار الطبيعية فهو التجلي الصوري المركب فيعطي من المعارف بحسب ما ظهر فيه من الصور و هو يعم من الفلك إلى أدنى الحشرات و هو السماء و العالم فهو تجل في السماء و العالم و من هذا التجلي

تعرف المعاني و اللغات و صلاة كل صورة و تسبيحها و هو كشف جليل نافع مؤيد فيه يرى المكاشف موافقة العالم و أنه ما ثم مخالفة و من هنا يرى كل شيء يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و صاحب هذا المقام يرى على الشهود صور أعماله تكون حية مسبحة لله ذات روح ينفخ فيها صاحب هذا المقام و إن كانت في ظاهر الكون مخالفة و معصية فإنها مخالفة صحيحة إلا أنها حية ناطقة تستغفر لصاحبها لأنه سوى نشأتها مخلقة و قد تمدح الله بأنه خلق فسوى و من تسوية نشأتها مخلقة إنه لم يخرجها عن كونها معصية فلو أخرجها عن كونها معصية كانت غير مخلقة و شقي صاحبها و كان تسبيحها لعنة صاحبها فإنه أباح ما حرم الله فخرج عن الايمان بذلك فلاحظ له في الإسلام إلا أن يجدد إسلامه و يتوب و هذا تنبيه لم يزل أصحابه يكتمونه غيرة منهم و ضعفا و التنبيه عليه أولى لأنها نصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فلا توجد أبدا معصية مخلقة إلا من مؤمن و من أعطى الشيء خلقه فقد جرى على السنن الإلهي فإن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فأعطى المعصية خلقها و الطاعة خلقها فهكذا تكون صفة المؤمن و أما أنوار الأسماء فإنها تعين أسماء المعلومات فهو نور ينبسط على المعدومات و الموجودات فلا يتناهى امتداد انبساطها و تمشي العين مع انبساطها فينبسط نور عين صاحب هذا المقام فيعلم ما لا يتناهى كما لا يجهل ما لا يتناهى بتضاعف الأعداد و هذا علامة من يكون الحق بصره فالأسماء كلها موجودة و المسميات منها ما هي معدومة العين لذاتها و منها ما هي متقدمة العدم لذاتها و هي التي تقبل الوجود و الأحوال لا تقبل الوجود مع إطلاق الاسم على كل ذلك فللأسماء الإحاطة و الإحاطة لله لا لغيره فمرتبة الأسماء الإلهية و ما فضل آدم الملائكة إلا بإحاطته بعلم الأسماء فإنه لو لا الأسماء ما ذكر الله شيئا و لا ذكر الله شيء فلا يذكر إلا بها و لا يذكر و يحمد إلا بها فما زاحم صفة العلم في الإحاطة إلا القول و القول كله أسماء ليس القول غير الأسماء و الأسماء علامات و دلائل على ما تحتها من المعاني فمن ظهر له نور الأسماء فقد ظهر له ما لا يمكن ذكره لا أقول غير ذلك و لو لا أن الحق أطلق لفظة الكل على الأسماء في صفة علم آدم لقلنا من المحال أن يظهر انبساط نور الأسماء على المسميات لعين و لكن من فهم قول الله تعالى ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ و أشار علم ما التزمناه من الأدب و ما أراد الله بلفظة كل في هذا التشريف و أما أنوار المولدات و الأمهات و العلل و الأسباب فهو تجل إلهي من كونه مؤثرا و من كونه مجيبا إذا سئل و غافرا إذا استغفر و معطيا إذا سئل و بهذا التجلي و هذه الأنوار تعلم قوله إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ و قوله أيضا عز و جل من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و قوله تبارك و تعالى إن الصدقة تقع بيد الرحمن و قوله وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً و قوله عليه السلام إن الله يفرح بتوبة عبده فافهم

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب السابع و مائتان في حال العلة»

إن العليل إلى الطبيب ركونه مهما أحس بعلة في نفسه

فتراه يعبده و ما هو ربه حذرا عليه أن يحل برمسه

فسألت ما سبب الركون فقيل لي ما كان إلا كونه من جنسه

اعلم أن العلة عند القوم تنبيه من الحق و من تنبيهات الحق قوله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و في رواية يصححها الكشف و إن لم تثبت عند أصحاب النقل على صورة الرحمن فارتفع الإشكال و هو الشافي من هذه العلة يقول تعالى لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فعلمنا أن كل رواية ترفع الإشكال هي الصحيحة و إن ضعفت عند أهل النقل و إذا كان الله هو الشافي و المعافي فهو الطبيب كما قال الصديق الطبيب أمرضني فسبب حنين صاحب العلة إلى الطبيب ما ذكرناه في الشعر و هو خلقه على الصورة ثم أيد هذا الخبر و هذا النظر الكشفي قول الله تعالى مرضت فلم تعدني و لما فسر قال مرض فلان فأنزل نفسه فيما أصاب فلانا عناية منه بفلان و هذه كلها علل لمن عقل عن الله فالعلة إثبات السبب و الحق عين السبب إذ لولاه ما كان العالم فهو الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ الشافي فإذا كان هو عين العلة في قوله منك من قوله أعوذ بك منك فما شفاه إلا منه إذ لا شافي إلا الله فهو الشافي من كل علة فإن الله وضع الأسباب فلا يقدر على رفعها و وضع الله لها أحكاما فلا يمكن ردها و هو مسبب الأسباب فخلق الداء و الدواء و ما جعل الشفاء إلا له خاصة فالشفاء علة لإزالة المرض و ما كل علة شفاء فكل مسبب سبب و ما كل سبب مسبب لكن قد يكون مسبب الحكم لا مسبب العين كقوله أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فالعلة إذا كانت بمعنى السبب لها حكم و إذا كانت بمعنى المرض لها حكم فهي بمعنى المرض داء و هي بمعنى السبب حكمة فالعلة تنبيه من الحق لعبده على كل حال فوقتا ينبهه من رقدة غفلته بأمر ينزل به و ذلك هو الداء و المرض فإذا فقد العافية أحس بالألم فعلم أن مصيبة نزلت به فشرع الله له أن يقول إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ و لا يرجع إلا من خرج و وقتا ينبهه من رقدة غفلته بحكمة تظهر له في نفسه من غير أن يكون ذا مرض نفساني فإذا كان الحق عين علته فلا يكون إلا من تجل إلهي فجأة فإن لله فجآت على قلوب عباده ترد عليهم من غير استدعاء و لا تقدم سبب معين عنده و إن كان عن سبب في نفس الأمر و لكن لا علم له بذلك غير أن القوم ما عدلوا إلى هذا الاسم الذي هو العلة إلا لما رأوا العلة مرتبطة بمعلولها و المعلول مربوطا بعلته و علموا أن العالم ملك لله و الملك مربوط حقيقة وجوده ملكا بالملك و الملك الله و الملك لا يكون ملكا على نفسه فهو مربوط بالملك فلما ظهر التضايف في كون العالم مربوبا و مملوكا عدلوا إلى اسم العلة و لم يعدلوا إلى اسم السبب و لا إلى اسم الشرط و لما كان بعض

التنبيهات الإلهية آلاما و نوازل تكرهها النفوس بالطبع عدلوا إلى اسم يجمع التنبيهات كلها فعدلوا إلى العلة فإن المرض يسمى علة و هو من أقوى المنبهات في الرجوع إلى الله لما يتضمنه من الضعف ثم إن الله جعل الأسباب حجبا عن الله و ركنت النفوس إليها و نسي الله فيها و انتقل الاعتماد عليها من الخلق و العلة و إن كانت عين السبب و لكن لاختلاف الاسم حكم فالعلة على النقيض من السبب فإنها منبهة بذاتها على الله فكان اسم العلة بالمنبه أولى فكل سبب لا يردك إلى الله و لا ينبهك عليه و لا يحضره عندك فليس بعلة

فدائي هو الداء العضال لأنه ينبهني في كل حال على نفسي

فما علتي غيري و ما علتي أنا ولست بذي فصل ولست بذي جنس

و لست على علم فاعرف من أنا و لست على جهل بذاتي و لا لبس

فما أنا من تعني و لا أنا غيره و لكنني في الطرح في الضرب كالأس

و لما كانت العلة التنبه الإلهي فتنبيهات الحق لا تنحصر إلا من طريق ما و هو أن التنبيه الإلهي لا يخلو ما أن يكون من خارج أو من داخل فإن كان من خارج فقد يثبت و قد لا يثبت و إن كان من داخل فإنه يثبت و لا بد كإبراهيم بن أدهم فإنه نودي من قربوس سرجه فالتفت نحوه فإذا النداء من قلبه فتخيل أنه من قربوس سرجه و كصاحب القنبرة العمياء حين انشقت لها الأرض عن سكرجتين ذهب و فضة في الواحدة ماء و في الأخرى سمسم فأكلت من السمسم و شربت من الماء فكانت القنبرة العمياء نفسه مثلت له في هذه الصورة لأنها كانت في حال عمى من المخالفة مع ما هو عليه من نعمة الله فعلم ذلك فرجع إلى الله فهذه أمثلة ضربت لهم فالصورة تظهر من خارج و الأمر عنده في حاله و لذلك ثبتوا و قد يكون التنبيه الإلهي من واقعة و من الواقعة كان رجوعنا إلى الله و هو أتم العلل لأن الوقائع هي المبشرات و هي أوائل الوحي الإلهي و هي من داخل فإنها من ذات الإنسان فمن الناس من يراها في حال نوم و منهم من يراها في حال فناء و منهم من يراها في حال يقظة و لا تحجبه عن مدركات حواسه في ذلك الوقت و إنما سميت علة لأنها تورث ألما في النفس على ما فاته من الحق الذي خلق له و يتوهم أنه لو مات في حال المخالفة كيف يكون وجهه عند الله و لو غفر له أ ما كان يستحيي منه حيث عصاه بنعمته و من نعمته عليه أنه أمهله و لم يؤاخذه بما كان منه كما قلنا في نظم لنا

يا من يراني و لا أراه كم ذا أراه و لا يراني

فقال لي بعض إخواني كيف تقول إنه لا يراك و أنت تعلم أنه يراك فقلت له في الحال مرتجلا

يا من يراني مجرما و لا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما و لا يراني لائذا

فلو لم يكن في المخالفة إلا الاستحياء لكان عظيما بل هو أعظم من العقوبة فالمغفرة أشد على العارفين من العقوبة فإن العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء فهو بمنزلة من استوفى حقه و الغفران ليس كذلك فإنك تعرف أن الحق عليك متوجه و أنه أنعم عليك بترك المطالبة فلا تزال خجلا ذا حياء أبدا و لهذا إذا غفر الله للعبد ذنبه حال بينه و بين تذكره و أنساه إياه فإنه لو تذكره لاستحيا و لا عذاب على النفوس أعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء إنه لم يكن شيئا كما قالت الكاملة يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا هذا حياء من المخلوق كيف نسبوا إليها ما لا يليق ببيتها و لا بأصلها و لهذا قالوا ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فبرأها الله مما نسبوا إليها لما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف الحياء من الله فيما يتحققه العبد من مخالفة أمر سيده فإن قلت و هل يمكن أن يعصى على الكشف قلنا لا قيل فقول أبي يزيد لما قيل له أ يعصي العارف و العارف من أهل الكشف فقال وَكانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً فجوز قلنا هكذا يكون أدب العارفين مع الحق في أجوبتهم حيث قال إن كان الله قدر عليهم في سابق علمه ذلك فلا بد منه و هي معصية فلا بد من الحجاب كما قال صلى الله عليه و سلم إذا أراد الله إنفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قدره ردها عليهم ليعتبروا و كذلك حال العارف إذا أراد الله وقوع المخالفة منه و معرفته تمنعه من ذلك فيزين الله له ذلك العمل بتأويل يقع له فيه وجه إلى الحق لا يقصد العارف به انتهاك الحرمة كما فعل آدم كالمجتهد يخطئ فإذا وقع منه المقدور أظهر الله له فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما فعل بآدم فإنه عصى بالتأويل فإذا تحقق بعد الوقوع أنه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الظاهر بأنه عاص و هو عاص عند نفسه و أما في حال وقوع الفعل منه فلا لأجل شبهة التأويل كالمجتهد في زمان فتياه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة و في ثاني حال يظهر له بالدليل أنه أخطأ فيكون لسان الظاهر عليه أنه مخطئ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فإن كان العارف ممن قيل له على لسان الشارع افعل ما شئت فقد غفرت لك فما عصى لا ظاهرا و لا باطنا عند الله و إن كان لسان الظاهر عليه بالمعصية لأنه لم يدرك نسخ ذلك بالإباحة من الشارع فلسان الظاهر كمجتهد مخطئ بري إصابة غيره من المجتهدين خطأ اعتمادا منه على دليله فمن كان هذا مقامه فما فعل فعلا يوجب له الحياء مع لسان الظاهر عليه بالمعصية فمن تنبيهات الحق التوفيق لإصابة الأدلة كما هي في نفس الأمر ليكون على بصيرة و هو المعتنى به في أول قدم فإذا أورثته العلة علة طهرته فإذا وقع التطهير أنسي ما كان عليه من المخالفة و شغل بما توجه إليه مبسوطا لا مقبوضا و لذلك قال بعضهم في حد التوبة أن تنسى ذنبك و معنى ذلك عند هذا القائل إن الله تعالى إذا قبل توبتك أنساك ذنبك فلم يذكرك إياه فإنك إن ذكرته أحصرته بينك و بين

الحق و هو قبيح الصورة فجعلت بينك و بين الحق صورة قبيحة تؤذن بالبعد فهذا فائدة النسيان لما قال الله لنبيه عليه الصلاة و السلام لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ لم يزل جبريل ينزل عليه في صورة دحية و كان أجمل أهل زمانه يقول له بصورة الحال يا محمد ما بيني و بينك إلا صورة الحسن و الجمال فإن جبريل كان بينه و بين الله و كان من جمال دحية إنه لما ورد إلى المدينة و خرج الناس إليه نساء و رجالا فما رأته حامل إلا ألقت ما في بطنها لما أدركها في نفسها مما رأته من حسن صورته فالله ينسى التائبين من العارفين ذنوبهم السالفة و لهذا غفرت أي سترت عنهم و الستر على نوعين إما أن تستر عنهم جملة واحدة و إما أن تبدل بحسنة فتحسن صورة تلك السيئة بالتوبة فتظهر له حسنة كما قال يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ أي يرد قبحها حسنا فمن تنبيهات الحق قوله تعالى فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ فإذا علموا ذلك أسرعوا في الرجعة إلى الله و سارعوا إليها فهذا قد أبنت لك معنى حال العلة عند الطائفة و ما تؤثر في الرجال

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الثامن و مائتان في حال الانزعاج»

إذا انتبه القلب السليم من النوم ... تحرك تحريك انزعاج من الوجد

إلى طلب الأنس الذي قد أقامه ... فأول ما يلقي التحقق بالزهد

فيدعي بعبد و هو سيد وقته ... و شتان ما بين السيادة و العبد

فيفني به عنه ليبقى بربه ... نزيها عن الفصل المقوم و الحد

مع الحد للعهد الذي كان بينهم ... و ذلك برهان على كرم الود

اعلم أن الانزعاج عند الطائفة حال انتباه القلب من سنة الغفلة و التحرك للانس و الوجد فالانزعاج حكم العلة على هذا أي العلة أورثته هذا الانزعاج و هو اندفاع النفس من حال صح لها إلى أصلها الذي خرجت عنه لأنه من ذلك الأصل دعاها و الأصل ظاهر فهو اندفاع بشهوة شديدة و قوة و لهذا الانزعاج أسباب مختلفة فمنهم من تزعجه الرغبة و منهم من تزعجه الرهبة و منهم من يزعجه التعظيم فأما انزعاجه للانس و الوجد فقد يكون فهما و قد يكون لقاء و قد يكون إلقاء و قد يكون تلقيا فمن ذلك ما يكون عن خاطر إلهي و عن خاطر ملكي و عن خاطر شيطاني و عن خاطر نفسي و لكن لا يكون لهذا الولي عن النفس و الشيطان إلا بفهم يرزقه الله فيه عناية من الله لا إن الشيطان له عليه سلطان بل الشيطان في خدمته و هو لا يشعر و ساع بما يلقي إليه في سره في ارتقاء درجة هذا

الولي من حيث لا يعلم الشيطان و هذا من مكر الله الخفي بإبليس لأنه يسعى في ترقي درجات العارفين من حيث يتخيل أنه ينزلهم عنها و إذا كان الأمر على هذا فلنقل إن حال العلة إذا تحقق في العبد أظهر في النفس انزعاجا و لا بد و انزعاجه أولا إنما هو ليفارق الحال التي كان عليها لما كشف الله عن بصيرته بالعلة فرأى نفسه في محل البعد فانزعج لذلك رغبة في مفارقة ذلك الموطن من غير تعيين حضرة من حضرات القرب فإذا فارق ذلك الموطن بقدم واحدة و زال عن شهوده أخذ نفسه ساعة و استراح و هو ما يجده المريد من اللذة و حلاوة التوبة التي تهون عليه ركوب الشدائد و تسهل عليه صعوبة طريقه يجد كل أحد هذا من نفسه في هذا الحال لا يقدر على إنكاره فإذا فارق موطن المخالفة بانزعاجه و استراح حينئذ يتهدى على نفسه و يفتح عينيه و يعلم أنه قد تخلص مما كان فيه فحينئذ يقوم له ما يؤثر عنده الانزعاج إليه فأول الانزعاج أبدا في هذا الطريق إنما هو منه و في ثاني حال يظهر حكم الانزعاج إليه فإن أقيم له في أول نظرة ما يستحقه جلال الله من التعظيم أو كان هذا الرجل ممن تقدم له العلم بالله من حيث الأدلة النظرية فيكون انزعاجه تعظيما لله لا رغبة فيما عنده بل ينزعج لأداء حق ما تعين عليه لله تعالى و ما تعطيه مرتبة العبد من سيده فما هو مشغول بما ينعم عليه و يرغبه فيه من لذات نفسه بل يرى ما لله عليه من الحقوق فيجهد نفسه في أداء ذلك و هو قوله اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ فيعلم أن أحدا لا يطيق ذلك و أن قدر الله أجل و أعلى و أنزه أن يقدره أحد فيؤديه ذلك إلى النظر في نفسه و ما آتاه الله من القوة في ذلك لما علم أن قدر الله ليس في وسع المخلوق القيام به و سمع الله يقول لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و قال إِلَّا ما آتاها و قال ما اسْتَطَعْتُمْ فانزعج إلى القيام بحق الله على قدر الاستطاعة و ما في وسعه و يتفاضل عباد الله في ذلك على نوعين على قدر ما يكشف لهم من جلال الله و على قدر أمزجتهم فإن الله قد جعل نفس الإنسان و عقله بحكم مزاج جسده فإن نفس الإنسان لا تدرك شيئا إلا بوساطة هذه القوي التي ركب الله في هذه النشأة فهي للنفس كالآلة فإن كانت الآلة مستقيمة على الوزن الصحيح ظهر حسن الصنعة بها إذا كانت النفس عالمة بالصنعة و علمهم على قدر ما يكشف لهم الحق من ذلك في سرائرهم فمنهم من يكشف له فيما تطلبه الذات و منهم من يكشف له فيما تطلبه الأسماء من حيث الدلالات النظرية و منهم من يكشف له فيما تطلبه الأسماء من حيث ما جاءت به الشرائع من المقابل و المقارن فمنهم من يقام على رأس الستين ألفا من المنازل الإلهية و منهم من يقام على رأس مائة ألف و عشرين ألفا من هذه المنازل و منهم من يقام على رأس تسعين ألفا منحصرة في ستة مقامات لا سابع لها و لا يشارك عبد في شيء من هذه المنازل بل يكون فيها كل إنسان منفردا و هو قول الطائفة إن الله لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ فهم و إن اجتمعوا في العدد فما لهم اجتماع في الذوق لأنهم لم يجتمعوا في المزاج و لو اجتمعوا في المزاج و هو محال ما تميزوا و لكان العين واحدة و ثم موطن يعطي الظهور في صاحب المنزل الذي كان

على رأس الستين ألفا خلاف هذا و هو في تلك الدرجة عينها فيكون له بدل الستين ألفا عدد آخر يكون مبلغه ثلاثة آلاف ألف و يكون لصاحب التسعين ألفا أربعة ألف ألف و خمسمائة ألف و يكون لصاحب المائة ألف و عشرين ألفا ستة آلاف ألف و هذا لا يكون إلا لأهل الصعود الذين قال الله فيهم إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ و كل من أسرى به سواء كان إسراء روحانيا أو بالجسم فإن له من المنازل هذا العدد الكثير و أما العدد الذي هو أقل منه فذلك للمريدين الذين هم في مقام التربية لا غير و أما حصرهم في ستة لا غير فمن طريقين الطريقة الواحدة نشأتهم القائمة على ست جهات يأتي الشيطان من الأربعة منها و تبقي الاثنان لا سبيل للشيطان عليهما و من هناك يكون مال الناس إلى عموم الرحمة و شمولها لهاتين الجهتين و أما الستة المعنوية فالصفات الستة التي هي النسب الإلهية التي يتعلق الممكن بها و النسبة السابعة ما هي متوجهة على الممكن و إنما ظهرت لصحة هذه الستة خاصة لا لأمر آخر و هي نسبة كونه حيا إذ بهذه النسبة ثبتت الستة و لما كانت الحدود تحفظ الأشياء و لا سيما الحدود الذاتية جعلت خمسة لما كانت الخمسة لها الحفظ فاتسعت الحدود فأعطيت الحدود مقام الخمسة و لتكون الأعيان تامة كاملة النشأة ما فيها نقص و هذا كله إذا لاح للعبد على بعد انزعج إلى طلبه ليحصله إذ كان فيه تعظيم جناب الحق الذي هو مقصود هذا العبد فهذا حكم من أزعجه التعظيم و أما حكم من أزعجته الرغبة فيما عند الله فإن مشهده وَ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى و مشهد صاحب التعظيم وَ اللهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى فاعلم أن انزعاج الرغبة بحسب ما تعشق به و رغب فيه و هو على نوعين متخيل و غير متخيل و المتخيل على نوعين النوع الواحد ما أدركه ببعض حواسه أو بجملتها أو أدركه من طريق الخبر فحمله على المعهود من صفة الجنة و ما فيها و غير المتخيل هو ما رغبة فيه من حيث الإجمال و هو ما تحوي عليه الجنة أو تتضمنه مما لا عين رأته و لا أذن سمعته و لا خطر على قلب بشر فقد سمع أن فيها هذا فمثل هذا لا يمكن تخيله فكلما تخيله فقد خطر على قلب بشر فليس ذلك و من طبع النفس إنها تحب أن تعلم ما لم تكن تعلم فهي تحب المزيد بالطبع إلا أنه يختلف تعلقها بما تستزيد منه فالذي تعشق به منه تطلب المزيد لا من غيره فإن كان الراغب صاحب محبة لله فلا يخلو إما أن يكون عالما بالله أو غير عالم بالله من المحال أن يكون غير عالم بالله لأنه محب و المحب يطلب بذاته محبوبا يتعلق به من قام به حتى يسمى محبا فلا بد أن يكون عالما به غير أن العلماء به على مراتب منهم مؤمنون خاصة فعلموه من جهة الخبر و الأخبار متقابلة فحار المحب فلم ينضبط له صورة في محبوبه و منهم من رجح في الخبر ما أعطاه الخيال فأحب محدودا متصورا تعلق به فمثل هذا يزعجه طلب الوجد و الأنس و الوصال و الرؤية و الحديث على الطريقة المعهودة في الأشكال و الأجناس و هو يتجلى فيها و منهم العلماء به من حيث التجلي بالعلامة فهم فيه بحسب علامتهم و منهم العلماء به عن نظر فكري فلا يقيدوه و يؤمنوا بكل تجل يعطي التقييد و التحديد فيفوتهم من الله

خير كثير فمحبوبهم أقرب إليهم من حَبْلِ الْوَرِيدِ و لكن لا يعلمون أنه هو فمحبوبهم لا يزال ظاهرا لهم و هم لا يعرفونه و هذه الطائفة على نوعين طائفة تقول إنا نطمع أن نرى محبوبنا و طائفة تقول محال رؤية محبوبنا لكن ليس بمحال علمنا به إذ ليست الرؤية مطلوبة لذاتها و إنما هي طريق إلى حصول علم عند الرائي بالمرئي فبأي وجه حصل فهو ذاك و قد علمناه و من علمنا به أن رؤيته من حيث إدراك البصر محال فيئسوا من ذلك فهم في نعيم الياس و الآخرون في نعيم الطمع فالطائفتان يجتمعان في الانزعاج للفهم عنه تعالى مما خاطبهم به في المسمى قرآنا أو حديثا نبويا أو مما ظهر في العالم من آثار القدرة المؤدية إلى عظمته و كبريائه و لطفه و حنانه كل آية و سورة و صورة بما تعطي فيتفاضلون في الفهم فيطلبون المزيد من العلم و هم الأكابر و منهم من يقول قد رويت فلا يطلب المزيد و رأيت منهم جماعة و هم أجهل الطوائف و رأيت أئمة من الأشاعرة على هذه القدم يرون أنهم يعرفون الله كما يعلم نفسه سبحانه من غير مزيد فهؤلاء مستريحون بجهلهم قد يئسنا من فلاحهم و يجتمعان أيضا في الانزعاج إلى اللقاء فمنهم من ينزعج إلى لقائه و منهم من ينزعج إلى لقاء ما يريد منه و يجتمعان أيضا في الانزعاج إلى الإلقاء و إلى التلقي و ينقسمون في ذلك على أقسام فمنهم المتلقي عموما و هو الكبير من الرجال و منهم المتلقي من الملك و من الله المعرض عما يجيء به غير الخاطر الإلهي و غير الملك و منهم من يتلقى الخاطر النفسي مضافا إلى هذين الخاطرين و منهم من يرجح تلقي الخاطر الشيطاني على الملكي و النفسي لكونه مقابلا لأنه إلقاء عدو محض فيلقي خلاف الحق فيريد هذا المتلقي أن يقف على خلاف الحق من حيث ما هو خلاف عند الشيطان و لهذا ألقاه و هذا المتلقي حق كله لأنه نور كله بل هو عين النور فيعرف أن إبليس جهل ما عنده من الحق حيث تخيل أنه ليس بحق فأخذه هذا المتلقي حقا من صورة شيطانية فلم يحصل ما أعطاه الشيطان في صورة ملك و لا في صورة نفس إنسانية و زال حكم الشيطان منه حين قبله هذا المتلقي فإن الشيطان يظن أنه لوهمه أن الذي ألقى إليه أمري وجود و هو عدم عند الشيطان و ما علم مرتبة هذا المتلقي و أنه ما تلقى منه إلا أمرا وجوديا فإذا رآه قد تعشق به عند أخذه و لم ير له انحطاط مرتبة و لا أثر جهل تعجب و نظر من أين أتى عليه في أمره و ما الذي صير ذلك المعدوم موجودا فعلم أن الجهل إنما قام به لا بالمتلقي و أنه هو الذي ألقى إليه الأمر الوجودي على أنه موهوم الوجود لا محقق فرأى أنه قد سعى في مزيد علو رتبته بما أفاده من العلم و هو لا يريد ذلك بل قصد ما يليق به فما علم أنه لعنه الله محل للوجود و إنما تخيل أنه محل لإيهام الوجود لا لتحققه فيكون هذا المتلقي في هذا التلقي خلاقا و هذا أكمل مراتب الأخذ في التلقي و أما انزعاج الرهبة فمثل الرغبة إما رهبة منه و هو قوله و أعوذ بك منك و إما رهبة مما يكون منه من عذاب حسي أو عذاب حجاب و هو عذاب الجهل أو التزين و ليس في الحجب أكثف و لا أقوى من حجاب التزين لأن من زين له جهله فمن المحال طلب الحاصل في زعمه لأنه حاصل عنده و ليس بحاصل في نفس الأمر فمن

أراد أن يعتصم من التزين فليقف عند ظاهر الكتاب و السنة لا يزيد على الظاهر شيئا فإن التأويل قد يكون من التزين فما أعطاه الظاهر جرى عليه و ما تشابه منه وكل علمه إلى الله و آمن به فهذا متبع ليس للتزين عليه سبيل و لا يقوم عليه حجة عند الله فإن كان من أهل البصائر فهو يدعو إلى الله على بصيرة و يتكلم على بصيرة فقد بريء من التزين فهو صاحب علم صحيح و كان من أهل الزينة لا من أهل التزين فالانزعاج إلى الله قد يكون رهبة من هذا أيضا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب التاسع و مائتان في المشاهدة»

إذا أشهدت فأثبت يا غلام ... يصح لك المكانة و المقام

فتشهده بعقلك في حجاب ... و مشهده قوي لا يرام

و تشهده به في كل شيء ... و ليس له الوراء و لا الأمام

تؤم به و تقصده و ما هو ... بمقصود لنا و هو الإمام

و تسكن عند رؤيته سكونا ... يكون به التحقق و السلام

المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد و رؤيته في الأشياء و حقيقتها اليقين من غير شك قالت بلقيس كَأَنَّهُ هُوَ و هو كان لم يكن غيره فطلبنا عين السبب الموجب لجهلها به حتى قالت كَأَنَّهُ هُوَ فعلمنا إن ذلك حصل لها من وقوفها مع الحركة المعهودة في قطع المسافة البعيدة و هذا القول الذي صدر منها يدل عندي أنها لم تكن كما قيل متولدة بين الإنس و الجان إذ لو كانت كذلك لما بعد عليها مثل هذا من حيث علمها بأبيها و ما تجده في نفسها من القوة على ذلك حيث كان أبوها من الجان على ما قيل فهذا شهود حاصل و عين مشهودة و علم ما حصل لأن متعلق العلم المطلوب هنا إنما هو نسبة هذا العرش المشهود إليها كما هو في نفس الأمر و لم تعلم ذلك كما إن أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم لما رأت جبريل في صورة دحية ما قالت كأنه هو و إنما قالت هو دحية و لم يكن في نفس الأمر دحية و هذا على النقيض من قصة بلقيس و اشتركا في الشهود و عدم العلم بالمشهود من حيث نسبته لا من حيث ما شوهد و السبب في هذا الجهل أنهم ما علموا من دحية إلا الصورة الجسدية لا غير فما علموا دحية على الحقيقة و إنما علموا صورة الجسم التي انطلق عليها اسم دحية و على الحقيقة ما انطلق الاسم إلا على الجملة فتخيلوا لما شاهدوا الصورة أن الكل تابع لهذه الصورة و ليس الأمر كذلك فإن البصر يقصر عن إدراك الفارق بين القوتين في الشبه إذا حضر أحدهما دون الآخر فلو حضرا معا عنده لفرق بينهما بالمكان و

المسألة في نفسها شديدة الغموض و لا سيما في العلم الإلهي لأن النفس الناطقة التي هي روح الإنسان المسماة زيد إلا يستحيل عليها إن تدبر صورتين جسميتين فصاعدا إلى آلاف من الصور الجسمية و كل صورة هي زيد عينها ليست غير زيد و لو اختلفت الصور أو تشابهت لكان المرئي المشهود عين زيد كما تقول في جسم زيد الواحد مع اختلاف أعضائه في الصورة من رأس و جبين و حاجب و عين و وجنة و خد و أنف و فم و عنق و يد و رجل و غير ذلك من جميع أعضائه أي شيء شاهدت منه تقول فيه رأيت زيدا و تصدق كذلك تلك الصور إذا وقعت و يدبرها روح واحد إلا إن الخلل وقع هنا عند الرؤية لعدم اتصال الصور كاتصال الأعضاء في الجسم الواحد فلو شاهد الاتصال الذي بين الصور لقال في كل صورة شهدها هذا زيد كما يفعل المكاشف إذا شاهد نفسه في كل طبقة من طباق الأفلاك لأن له في كل فلك صورة تدبر تلك الصور روح واحدة و هي روح زيد مثلا و هذا شهود حق في خلق قالت الطائفة في المشاهدة إنها تطلق بإزاء ثلاثة معان منها مشاهدة الخلق في الحق و هي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد كما قدمناه و منها مشاهدة الحق في الخلق و هي رؤية الحق في الأشياء و منها مشاهدة الحق بلا الخلق و هي حقيقة اليقين بلا شك فأما قولهم رؤية الأشياء بدلائل التوحيد فإنهم يريدون أحدية كل موجود ذلك عين الدليل على أحدية الحق فهذا دليل على أحديته لا على عينه و أما إشارتهم إلى رؤية الحق في الأشياء فهو الوجه الذي له سبحانه في كل شيء و هو قوله إِذا أَرَدْناهُ فذلك التوجه هو الوجه الذي له في الأشياء فنفى الأثر فيه عن السبب إن كان أوجده عند سبب مخلوق و أما قولهم حقيقة اليقين بلا شك و لا ارتياب إذا لم تكن المشاهدة في حضرة التمثل كالتجلي الإلهي في الدار الآخرة الذي ينكرونه فإذا تحول لهم في علامة يعرفونه بها أقروا به و عرفوه و هو عين الأول المنكور و هو هذا الآخر المعروف فما أقروا إلا بالعلامة لا به فما عرفوا إلا محصورا فما عرفوا الحق و لهذا فرقنا بين الرؤية و المشاهدة و قلنا في المشاهدة إنها شهود الشاهد الذي في القلب من الحق و هو الذي قيد بالعلامة و الرؤية ليست كذلك و لهذا قال موسى رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ و ما قال أشهدني فإنه مشهود له ما غاب عنه و كيف يغيب عن الأنبياء و ليس يغيب عن الأولياء العارفين به فقال له لَنْ تَرانِي و لم يكن الجبل بأكرم على الله تعالى من موسى و إنما أحاله على الجبل لما قد ذكر سبحانه في قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و الجبل من الأرض و موسى من الناس فخلق الجبل أكبر من خلق موسى من طريق المعنى أي نسبة الأرض و السماء إلى جانب الحق أكبر من خلق الناس من حيث ما فيهم من سماء و أرض فإنها في السماء و الأرض معنى و صورة و هما في الناس معنى لا صورة و الجامع بين المعنى و الصورة أكبر في الدلالة ممن انفرد بأحدهما و لهذا قال وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فالحمد لله الذي جعلنا من القليل الذي يعلم ذلك فجمع الجبل بين الصورة و المعنى فهو أكبر من جبل موسى المعنوي إذ هو نسخة من العالم كما هو

كل إنسان فإذا كان الجامع بين الأمرين و هو الأقوى و الأحق باسم الجبل صار دكا عند التجلي فكيف يكون موسى حيث جبليته التي هي فيه معنى لا صورة و لما كانت الرؤية لا تصح إلا لمن يثبت لها إذا وقعت و الجبل موصوف بالثبوت في نفسه و بالإثبات لغيره إذ كان الجبل هو الذي يسكن ميد الأرض و يقال فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد و الأمور العظام فلهذا أحاله على الجبل الذي من صفاته الثبوت فإن ثبت الجبل إذا تجليت إليه فإنك ستراني من حيث ما فيك من ثبوت الجبل

فرؤية الله لا تطاق فإنها كلها محاق

فلو أطاق الشهود خلق أطاقه الأرض و الطباق

فلم تكن رؤيتي شهودا و إنما ذلك انفهاق

قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم أ رأيت ربك قال نوراني أراه و ذلك أن الكون ظلمة و النور هو الحق المبين و النور و الظلمة لا يجتمعان كما لا يجتمع الليل و النهار بل كل واحد منهما يغطي صاحبه و يظهر نفسه فمن رأى النهار لم ير الليل و من رأى الليل لم ير النهار فالأمر ظاهر و باطن و هو الظاهر و الباطن فحق و خلق فإن شهدت خلقا لم ترحقا و إن شهدت حقا لم ترخلقا فلا تشهد خلقا و حقا أبدا لكن يشهد هذا في هذا و هذا في هذا شهود علم لأنه غشاء و مغشي

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب العاشر و مائتان في المكاشفة»

إذا الحق أعطاك أسماءه فخذها أمانة من قد فهم

بأن الأمانة محمولة و حاملها جاهل قد ظلم

فإن أنت أفهمت مقصوده فأنت المكاشف فلتلتزم

بأحكامها فمتى ما دعي بها فأجب أمره و احتشم

من أجل التصرف فيها و لم يكن ينبغي لك أن تحتكم

فإنك عبد و أسماؤه ربوبية عرضت فاحترم

مقام الأمانة أوردها إلى ربها أولا و اعتصم

بما زادك الحال في أمرها و حقق إشارتها و اغتنم

فهذي مكاشفة ترتضي و صاحبها سيد قد عصم

اعلم أن المكاشفة عند القوم تطلق بإزاء الأمانة بالفهم و تطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال و تطلق بإزاء تحقيق الإشارة اعلم أن المكاشفة متعلقها المعاني و المشاهدة متعلقها الذوات فالمشاهدة للمسمى و المكاشفة لحكم الأسماء و المكاشفة عندنا أتم من المشاهدة إلا لو صحت مشاهدة ذات الحق لكانت المشاهدة أتم و هي لا تصح فلذلك قلنا المكاشفة أتم لأنها ألطف فالمكاشفة تلطف الكثيف و المشاهدة تكثف اللطيف و بقولنا هذا تقول طائفة كبيرة من أهل الله مثل أبي حامد و ابن فورك و المنذري و قالت طائفة بالنقيض و إنما قلنا إنها أتم لأنه ما من أمر تشهده إلا و له حكم زائد على ما وقع عليه الشهود لا يدرك إلا بالكشف فإن أقيم لك ذلك الأمر في الشهود من حيث ذاته صحب ذلك المشهود حكم و لا بد لا يدرك إلا بالكشف هكذا أبدا فالمكاشفة إدراك معنوي فهي مختصة بالمعاني و مثال ذلك إذا شاهدت متحركا يطلب بالكشف محركه لأنه يعلم أن له محركا كشفا و لهذا يتعلق العلم بمعلومين و يتعلق البصر الذي هو للمشاهدة بمعلوم واحد فيدرك بالكشف ما لا يدرك بالشهود و يفصل الكشف ما هو مجمل في الشهود فالمكاشفة كما قلنا على ثلاثة معان مكاشفة بالعلم و مكاشفة بالحال و مكاشفة بالوجد فأما مكاشفة العلم هي تحقيق الأمانة بالفهم و هو أن تعرف من المشهود لما تجلى لك ما أراد بذلك التجلي لك لأنه ما تجلى لك إلا ليفهمك ما ليس عندك فالمشاهدة طريق إلى العلم و الكشف غاية ذلك الطريق و هو حصول العلم في النفس و كذلك إذا خاطبك فقد أسمعك خطابه و هو شهود سمعي فإن المشاهدة آنذا للقوى الحسية لا غير و الكشف للقوى المعنوية فما أسمعك إلا لتفهم عنه و إذا أفهمك بأي نوع تجلى لك من إدراك صور الحواس فإنما ذلك الفهم أمانة منه عندك لتلك الأمانة أهل لا ينبغي لك أن تودعها إلا لأهلها و إن لم تفعل فأنت خائن و قال عليه السلام المجالس بالأمانة أي لا تحدث بما وقع في المجالس إلا لمن أعطاك الله الفهم منها من ينبغي أن تتحدث معه بما وقع فيها فذلك أهلها و إذا حدثك إنسان و رأيته يلتفت فاعلم إن ذلك الحديث أمانة أودعها إياك فحظ المشاهدة ما أبصرت و ما سمعت و ما طعمت و ما شممت و ما لمست و حظ الكشف ما فهمت من ذلك كله و ما فهمت فهو أمانة و إذا كان أمانة حكم عليك الأمر الإلهي بأدائها إلى أهلها أو ردها و ردها أن تتناساها إذ ما قد علمت لا تقدر على جهله فتجعل نفسك كأنك ما أبصرت و ما سمعت و هذا باب صعب جدا على العارفين يحتاج إلى أدب و حفظ و مراعاة حد فإنه ليس بينه و بين الكذب إلا حجاب واحد و كذلك الخيانة ليس بينه و بينها إلا حجاب واحد و مراعاة الحد تحول بينك و بين الخيانة و الكذب فأما علم هذا فهو إذا سألك من يكرم عليك عما تحملته أمانة من شهود بصرك أو سمعك أو ما كان من قوى حواسك و السائل ليس من أهله و معنى ليس من أهله أن الذي أعطاك هذه الأمانة علمت منه لمن أراد أن

توصلها إليه فإن أجبت السائل لكرامته عليك فقد خنت و إن لم تجب و عدلت في الجواب إلى أمر آخر يقنع به السائل و لو عرف ما سترت عنه عز عليه ذلك فقد كذبت كمسألة الخليل في الكذبات الثلاث أثرت عنده في القيامة فاستحيا من الله أن يكلمه في فتح باب الشفاعة مع القصد الجميل في ذلك و الصدق في دلالة اللفظ و لكن لم يكن ذلك مقصود المخاطب فسمي كذبا فانظر ما أخطر هذا الموضع و إن قلت ما عندي خبر كذبت أشد من التعريض و الحق أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ و جواب الصادقين عن ذلك الذين آثروا الحق على غيره أن يقولوا للسائل إن الذي سألت عنه لنا وجوه في الجواب عنه فلا أدري عن أي وجه سألت لتعلمه فإن قال لك فصل الوجوه قل له أنت ابن لي عن مقصودك فإذا قال لك مقصوده من الجواب فإن كان مما يدخل في الأمانة فقل له إنه أمانة أخذ علينا العهد في حفظها و حق الله أحق أن يراعى و لا تستحي في ذلك منه و إن كرم عليك أو كان ذا سلطان و لا يكون السموأل اليهودي المحجوب أوفى منك و أنت العارف المشاهد حتى ضرب به المثل في الوفاء و إن ذكر هذا السائل وجه مطلوبه من حيث لا تعلق له بالأمانة فأجبه و لا بد لينتفع و لا تعطه ما ليس في وسعه حمله فيعود وباله عليك فهذا معنى قولهم تحقيق الأمانة بالفهم و أما المكاشفة بالحال و هي تحقيق زيادة الحال فاعلم إن كل متصف بصفة في كل وقت فإن تلك الصفة هي حاله في ذلك الوقت أي صفة كانت و لهذا لا يأتي الحال إلا بعد تمام الكلام أي لو لم تذكر لأفاد الكلام دونها فإن كانت هي المقصودة بالإخبار عنها فما أفاد الكلام بالنظر إلى قصد المخبر تقول رأيت زيدا فاستقل الكلام و تم ثم بعد ذلك زدت راكبا فتقول رأيت زيدا راكبا أي في حال ركوبه فإن كان مقصودك التعريف برؤيتك إياه راكبا فما تم الكلام بهذا الاعتبار أي ما حصلت الفائدة التي اعتبرتها و قصدتها و لكن حصلت فائدة بالجملة و هي رؤية زيد أنك رأيته و لم تذكر على أي حالة فهذا معنى تحقيق زيادة الحال أن يتحقق إن الحال زائدة على ما تقع به الفائدة مطلقا من غير نظر إلى قصد و هذا راجع إلى الأول الذي هو تحقيق الأمانة بالفهم فلو لقيك أحد سألك هل رأيت زيدا فقلت له رأيته ثم زدت حالا لم يسألك عنها فقلت له مسافرا و كان في نفسه عند سؤاله هل رأيت زيدا حتى يعلم أنه في البلد فيجتمع به فلما قلت له مسافرا أعلمته بهذه الزيادة التي هي زيادة الحال بسفره فارحته من طلب الاجتماع به إذ لا يتمكن له ذلك مع كونه ليس في البلد فهذا و أمثاله من زيادة الحال و أما في طريق أهل الله فزيادة الحال هي أن تشهد ذاتا ما على حال ما فتطلع من ذلك الحال إلى ما يؤول إليه أمره لأجل ذلك الحال فسمى مثل هذا زيادة الحال و مكاشفة بالحال مثال ذلك أن تشاهد ذاتا ما على حال خاص من حركة أو سكون أو صفة ملائمة طبع الناظر أو غير ملائمة فتعرف من ذلك الحال أمرا زائدا و هو أن ذلك الحال يؤدي في حق المدرك له ودا أو بغضا أو كراهة أو ما كان فهذه زيادة الحال التي أعطاك و بهذا يقع العلم بالمنزلة عند الله قال بعضهم إني لأعرف متى يحبني ربي فقيل له و من أين لك معرفة ذلك فقال هو عرفني به

فقيل له أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم قال قوله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و أنا في هذه الساعة في حال اتباع لما شرع و هو صادق القول فأعطاني الحال إن الله محب لي في هذه الساعة لكوني مجلى لما أحب و هو تعالى ناظر إلى محبوبه و محبوبه ما أنا عليه فأضاف تعلق المحبة التي تصيرني محبوبا بالاتباع و أما المكاشفة بالوجد و هي تحقيق الإشارة أعني إشارة المجلس لا الإشارة التي هي نداء على رأس البعد لأنه لا يبلغ مداها الصوت و ذلك أن مجالس الحق على نوعين النوع الواحد لا يتمكن فيه إلا الخلوة به تعالى فهذا لا تقع فيه الإشارة و ذلك إذا جالسته من حيث هو له على علمه به و النوع الثاني ما تمكن فيه المشاركة في المجلس و هو إذا تجلى للعبد في صورة أمكن أن تحضر في تلك المجالسة جماعة قلوا أو كثروا و لو كان واحدا زائدا على هذا الجليس ففي مثل هذا المجلس تكون الإشارة فإن الجليس الآخر فما زاد لا يمكن أن يجتمعا على قدم واحدة حتى لو اطلع كل واحد من الجلساء على حال الآخر مع الله ما احتمله و كفر به و أنكره و قال هذا إبليس فلا بد إذا وقع الإفهام من الله لكل جليس له في هذه الحضرة و المجلس الصوري أن يكون بالإشارة لا بالتصريح فيفهم كل إنسان من تلك الإشارة ما في وسعه فالكلمة عنده تعالى واحدة و بالنظر إلى الجلساء كلمات كثيرة فينصرف كل جليس راضيا يزعم أنه أخص من الباقين و لله رجال أعطاهم من الفهم و الاتساع و حفظ الأمانة أن يفهموا عن الله في مثل هذه المجالس جميع إشارات كل مشار إليه و هم الذين يعرفونه في تجلي الإنكار و الشاهدون إياه في كل اعتقاد و الحمد لله الذي جعلنا منهم إنه ولي ذلك و هذا القدر كاف انتهى السفر السابع عشر بانتهاء الباب العاشر و مائتين

(«بسم الله الرحمن الرحيم»)

«الباب الحادي عشر و مائتان في اللوائح»

لوائح الحق ما تبدو لأسرار ... من السمو و من حال إلى حال

و قد تكون بما يبدو لناظره ... من غير جارحة بالعلم و الحال

من النعوت التي يعطيك شاهدها ... دليلها إنها في الآل كالآل

اعلم أن اللوائح عند القوم ما يلوح إلى الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال و عندنا ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية و السبحات الوجهية من جهة الإثبات لا من جهة السلب و ما يلوح من أنوار الأسماء الإلهية عند مشاهدة آثارها فيعلم بأنوارها أما السمو من حال إلى حال هو أن لا يرجع إلى الحال الذي انتقل عنه في الحال الذي هو فيه إذا انتقل عنه إلى ما هو فوقه و المراد بذلك ما يأتي به الحال من الواردات الإلهية و المعرفة بالله و هي المنازل ما هي الكرامات فإن الأحوال قد تعود مرارا و لكن لا يحمد

صاحبها فيها إلا إذا زادته علما بالله لم يكن عنده لا بد من ذلك و تلك الزيادة هي اللائحة فإن لم ترقه تلك الزيادة في الحال فليست بلائحة مع صحة الحال و الحال كونك باقيا أو فانيا أو صاحيا أو سكران أو في جمع أو تفرقة أو في غيبة أو في حضور و الأحوال معروفة و هي الأبواب التي ذكرناها في هذا الفصل و فيها أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً يرقى به عنده منزلة لم تكن له و هذه الأحوال لا يختص بها البشر و لا موطن الدنيا بل هي دائمة أبدا في الدنيا و الآخرة و هي لكل مخلوق فاللوائح كأنها مبادي الكشوف و لهذا قد تثبت و قد يسرع زوالها إلا أنه لا بد لها فيمن تلوح له من زيادة علم يرقى به درجة عند الله تعالى هذا يشترط في اللوائح و قلنا من شرط اللائحة أن يكون الإدراك بالبصر لا بالبصيرة في الحال الذي لا يتقيد البصر بالجارحة المقيدة بالجهة المخصوصة بل بحقيقة البصر المنسوب إلى النفس الناطقة ثم يزاد إلى ذلك أمر آخر و هو أن يكون الحق بصره فهو الشاهد له و البينة من ربه على إن بصره لم يتقيد بالجارحة و قد صح هذا المقام عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كما صح عنه لما سئل عن رؤية ربه بعينه المقيدة ذات الطبقات فقيل له هل رأيت ربك أراد السائل رؤية البصر المقيدة بالجارحة فقال نوراني أراه أي نور هذا الإدراك يضعف عن ذلك النور الإلهي و إن كان للبصر المقيد إدراك في النور الإلهي على حد مخصوص فإن النور الإلهي كما قيل التشبيه بالمصباح الوارد في القرآن على الصفات المخصوصة المذكورة كذلك يقبل إدراك البصر إياه إذا حصل تلك الشرائط كلها فتدبرها في نفسك و يخرج قوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ على وجهين الوجه الواحد أنه نفى أن تدركه الأبصار على طريق التنبيه على الحقائق و إنما يدركه المبصرون بالأبصار لا الأبصار و الوجه الثاني لا تدركه الأبصار المقيدة بالجارحة كما قررنا فإذا لم تتقيد أدركته و هو عين النور الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح و هو النور الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلا يقبل التشبيه لأنه لا صفة له و كل من له صفة فإنه يقبل التشبيه لأن الصفات تتنوع في القابلين لها بحسب ما تعطيه حقيقة الموصوف كالعلم يتصف به الحق و السمع و البصر و القدرة و الإرادة و القول و غير ذلك من الصفات و يتصف بها المخلوق و معلوم أن نسبتها إلى المخلوق لا تكون على حد نسبتها إلى الخالق بل نسبتها إلى البشر تخالف نسبتها إلى الملك و كلاهما مخلوقان فاعلم ذلك فهذه اللوائح التي تلوح للبصر مشاهد ذاتية ثبوتية ما هي سلبية فإن الوصف السلبي ليس من إدراك البصر بل ذلك من إدراك العقول و ما يدرك بالعقل لا يدخل في اللوائح و أما ما يلوح من أنوار الأسماء الإلهية عند مشاهدة آثارها فتعلم بأنوارها أي تظهرها أنوارها فالاسم الإلهي روح لأثره و أثره صورته و البصر لا يقع من الاسم إلا على أثره الذي هو صورته كما تقع على صورة زيد الجسمية و يصح أن يقال رأى زيدا من غير تأويل و يصدق مع كون زيد له روح مدبرة غيب فيه لها صورة و هي جسديتها فأثر الأسماء الإلهية صور الأسماء فمن شاهد الآثار فقد صدق في أنه شاهد الأسماء فلوائحها أن تجمع بين نسبة ذلك الأثر

المشهود و بين الاسم الذي هو روح صورة ذلك الأثر كما ترى شخصا و لكن لا تعرف أنه زيد المطلوب عندك و يراه آخر ممن يعرفه فيعرف أنه رأى زيدا فهذا العارف هو صاحب اللوائح و الآخر ليس هو من أصحاب اللوائح لأنه ما لاح له ارتباط الاسم بهذه الصورة و الفرق بين الشخصين المدركين معلوم فما كل من رأى علم ما رأى فهذه اللوائح الحالية لمن أراد معرفتها على الاختصار و الاقتصاد وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني عشر و مائتان في التلوين»

إن التلون من حال إلى حال دليل صدق على العالي من الحالي

ضد العاطل

فمن تحقق بالأنفاس يعرفه بالحال فيه كمثل الحال في الحال

الوقت

فالفعل ماض و آت ثم بينهما فعل يسمى بفعل الآن و الحال

حال أهل النحو

فالحال زائلة و الحال دائمة و هو الصحيح الذي قد قيل في الحال

حال أهل النظر

اعلم أن التلوين عند أكثر الجماعة مقام ناقص و هو تلون العبد في أحواله و أنشدوا في ذلك

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

إلى أن قال بعضهم علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة فلو لم يزد بظهور الاستقامة لكان قد نبه على علم غامض محقق فلما زاد هذه اللفظة أفسد الأمر و التحق في حده بالقائلين بنقصه و قالت طائفة بل التلوين هو علامة على صاحبه بأنه متحقق محقق كامل إلهي و هو الذي أرتضيه و هو مذهبي و به أقول و على قدر تمكنه في التلوين يكون كماله و بهذا نحد التمكين فنقول التمكين في التلوين هو التمكين فمن لم يتمكن لم يتلون الأمر عنده و آيته من كتاب اللهِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فنكر و قالت هذه الطائفة في التلوين بزيادة لو سكتت عنها لكان أولى إذ ليس للتقييد بها تلك الفائدة و هو قولها لأن في التلوين إظهار قدرة القادر فيكشف منه العبد الغيرية و هذه الزيادة إجمالية تدل على ما ذهبنا إليه و التلوين نعت إلهي و كل نعت إلهي كمال إذ لا يتصور في ذلك الجناب نقص أصلا بوجه و لا نسبة و ما

تكمل المقامات و الأمر إلا أن تكون من النعوت الإلهية فإن الكمال لله على الإطلاق و هو قوله في استشهادنا يَسْئَلُهُ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و ليس التلوين غير هذا فيدخل في مذهبنا مذهب الجماعةفإنه أعم و أكبر إحاطة و لا يدخل مذهبنا في مذهبهم اعلم أنه من علم إن الاتساع الإلهي لا يقتضي أن يكون شيء في الوجود مكررا علم إن التلوين هو الصحيح في الكون فإنه دليل على السعة الإلهية فمن لم يقف من نفسه و لا من غيره على اختلاف آثار الحق فيه في كل نفس فلا معرفة له بالله و ما هو من أهل هذا المقام و هو من أهل الجهل بالله و بنفسه و بالعالم فليبك على نفسه فقد خسر حياته و ما أورثهم هذا الجهل إلا التشابه فإن الفارق قد يخفى بحيث لا يشعر به فلا أقل أن يعلم أن ثم ما لا يشعر به فيكون عالما بأنه متلون في نفسه و لا يعرف فيما تلون و لا ما ورد عليه قال تعالى وَ أُتُوا به مُتَشابِهاً أي يشبه بعضه بعضا فيتخيل إن الثاني عين الأول و ليس كذلك بل هو مثله و الفارق بين المثلين في أشياء يعسر إدراكه بالمشاهدة إلا من شاهد الحق أو تحقق بمشاهدة الحرباء فلا دليل من الحيوانات على نعت الحق ب كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ أدل من الحرباء فما في العالم صفة و لا حال تبقي زمانين و لا صورة تظهر مرتين و العلم يصحب الأول و الآخر ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ فلون و وحد الهوية في الكثرة فمن لم يقدر على تقرير الوحدة في الكثرة جعل هذه الصفات نسبا و إضافات لوجوه مختلفة و هذا مذهب النظار و أما الطائفة فأقرت الهوية و الوحدة و جعلت الوجه الذي هو منه أول هو عينه منه آخر و ظاهر و باطن صرح بذلك أبو سعيد الخراز فرجال الله ما أثبتوا للحق إلا ما هم عليه و لا يثبت في الكون و في جميع المخلوقات إلا ما هو الحق عليه فارتبط الكل بالكل و ضرب الواحد في الواحد فلم يتضاعف بل هو عين ما ضرب و كذلك ما يضرب في الواحد أو يضرب الواحد فيه من واحد أو كثرة لا يتضاعف بل هو عين ما ضرب فهكذا الأمر فالتلوين ضرب الواحد في الكثرة فلا يظهر سوى عين تلك الكثرة المضروب فيها الواحد أو المضروبة في الواحد و الحق واحد بلا شك و ضرب الشيء في الشيء نسبته إليه و نحن كثيرون عن عين واحدة جلت و تعالت انتسبت إليها إيجادا و انتسبنا إليها وجودا فمن عرف نفسه خلقا و موجودا عرف الحق خالقا موجدا فإذا نظرت إلى أحدية العالم ضربت الواحد في الواحد و إذا نظرت إلى العالم ضربت الواحد في الكثير و العالم أثر أسمائه و الأثر كما قدمنا صورة الاسم في اللوائح فما ضربت أحدية الحق إلا في صور أسمائه فما زلت عنه فلم يخرج بعد الضرب إلا هو و الأسماء كثيرة كذا ورد الخبر الإلهي فيها من التسعة و التسعين فما فوقها مما يعلم و مما لا يعلم و العين واحدة و الألوان مراتب و التلوين نسبة إليها فإن قلت واحد صدقت و إن قلت كثيرون صدقت فإن أسماء الله كثيرة لمعان مختلفة و الله الهادي

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«الباب الثالث عشر و مائتان في حال الغيرة»

شعر في المعنى

إن التغير حال كونه خطر ما بين علم و حكم يذهب الناس

إن قال ما ذا بحكم رده علم من الحقيقة ردا فيه إفلاس

كذاك ذو الكم ممن فهو أجهل من لم يهده في ظلام الليل نبراس

و ضنة الحق أولى أن تنزهه عنها فليس لذاك الحكم إيناس

اعلم أنه لما كانت الغيرة عند الطائفة على ثلاثة مقامات غيرة في الحق و غيرة على الحق و غيرة من الحق كان لها ثلاثة أحوال بحسب ما تنسب إليه من أجل التجانس فأما الغيرة فأصلها مشاهدة الغير إذا ثبت أن ثم غيرا فإذا ثبت صح ما قلناه عنهم من التفاصيل و أعني بثبوته عين وجود الغير لا عين معقوليته فإنه معقول بلا شك و لكن هل هو موجود العين هذا الغير المعقول أم لا فمن قال بالظاهر في المظاهر لم يقل بوجود الغير مع ثبوت حكمه و حاله المعبر عن ذلك بالغيرة و هو أثر استعداد المظاهر في الظاهر و الغير موجب الكثرة عينا أو حالا لا بد من ذلك و الكثرة معقولة بلا شك و لكن هل لها وجود عيني أم لا فيه نظر فمن قال إن هذه الكثرة الظاهرة في العين أحوال مختلفة قائمة بعين واحدة لا وجود لها إلا في تلك العين فهي نسب فلا حقيقة لها عينية في الوجود العيني و من قال إن لها أعيانا لم يقل بالعين الواحدة و لا بالظاهر في المظاهر لأن الكثير مشهود لا الكثرة فالكثرة معقولة و الكثير موجود مشهود فمن هنا ظهر حكم حال الغيرة في الأشياء و اتصف بالغيرة إلا له و الشيء لا يكون غير نفسه إلا إذا كان الشيء أشياء فيكون كل شيء غيرا للشيء الآخر و الحق ليس بأشياء فلا يقبل الغير و قد اتصف بأنه غيور و من غيرته حرم الفواحش فتدبر ما ذكرناه حتى تعرف ما الفاحشة و ما الفعل المسمى فاحشة و غير فاحشة فالغير على الحقيقة ثابت لا ثابت هو لا هو فأما حال الغيرة في الحق و هي الغيرة التي تكون عند رؤية المنكر و الفواحش و هي التي اتصف الحق بها و الملأ الأعلى و الرسل و صالحو المؤمنين على إن الغيرة مركوزة في الطبع فلا بد منها إلا أنها تنقسم إلى محمود و مذموم و كلامنا في المحمود منها و هي الغيرة في الحق و هي من أشكل المسائل فإنه تعالى من غيرته حرم الفواحش ثم إذا وقعت الفواحش في الكون لم نره يسرع بالأخذ عليها لا دنيا و لا آخرة فعلمنا إن ثم مانعا أقوى يمنع من ذلك يكون ذلك المانع أعظم إحاطة و تكون نسبته إلى الغيرة نسبة العلم الإلهي إلى القدرة الإلهية فإن القدرة و إن تعلقت بما لا يتناهى من الممكنات فلا تشك أن العلم أكثر إحاطة منها لأنه يتعلق بها و بالممكنات و الواجبات و المستحيلات و الكائنات و غير الكائنات مع ما يعطي الدليل أن ما لا

يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى كذلك السبب الموجب لترك المؤاخذة على ما يقع عمن يأتي ما وقعت عليه الغيرة و لا بد أن يكون أقوى من حال الغيرة هذا كله في حق الحق و أما في حق المخلوق فلا بد من تغيير النفس و هو مكلف بها في الحق لا بد من ذلك و مذموم من لم يجد ذلك من المكلفين فإنه مخاطب بتغييره من يده بالفعل إلى لسانه بالقول إلى وجود ذلك في النفس و هو أضعف الايمان في الزمان لا في نفس الغيور فحال الغيرة هو ما يجده الغيور من اختلاف الأمر عليه في نفسه عند وقوع ما لا يرضى الله سواء وقع ذلك منه أو من غيره بل من هذه صفته هو معصوم فإن من وقع منه ما يوجب الغيرة و لا يغار و إذا رأى ذلك من الغير أدركته الغيرة فليست بغيرة حقية إلهية و إنما هي غيرة نفسية لا قربة فيها إلى الله تعالى تلك هي الغيرة الإلهية الصحيحة و لكن لا يشعر بها كثير من أهل الله إلا من عرف الحق حق معرفته فإن الله هو الغيور الأعظم في الغيرة من المخلوق و هو الفاعل للأمر الذي يوجب الغيرة و لا يؤاخذ على ذلك أخذ عموم فكذلك من توجد منه الغيرة في حق زيد لفعل خاص و إذا وقع منه ذلك الفعل لا يجد غيرة فلهذا قلنا صاحب هذا الحال أحق و أقرب للاتصاف بالنعت الإلهي بالغيرة من الذي يغار مطلقا في حق نفسه و غيره و من أجل ذلك سمي معصوما أو محفوظا فلم يقع منه ما يوجب الغيرة و هو السعيد في العموم المثنى عليه في الشرع و الآخر يذم كما يذم الجبار من المخلوقين و إن كان الجبروت وصفا إلهيا كذلك خصوص الغيرة لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بذلك بل تعم غيرته في الحق و حينئذ يحمده الله تعالى و يثني عليه فقد نبهتك على سر من أسرار الغيرة لتستريح إليه إن تفطنت له و لا تستعمله فتشقى بل كن لله غيورا في الحق مطلقا من غير تقييد و أما حال الغيرة على الحق و هي كتمان السرائر و الأسرار و تلك حالة الأخفياء الأبرياء من الملامية المجهولين المجهولة مقاماتهم فلا يظهر عليهم أمر إلهي يعرف به إن لله عناية بهم فأحوالهم تستر مقامهم لحكمة الموطن فإنهم لا يظهرون في محل النزاع إذ كان سيدهم و هو الله تعالى قد نوزع في ألوهيته في هذه الدار و هذه الطائفة متحققة بسيدها فمنعهم ذلك التحقق أن يظهروا في الموطن الذي استتر سيدهم فيه فجروا مع العامة على ما هي العامة عليه من ظاهر الطاعات التي لم تجر العادة في العرف أن يسموا بها أنهم من أهل الله لأنهم ما ظهر منهم ما يتميزون به عن العامة من الأفعال كما ظهر من بعض الأولياء من خرق العوائد في الأحوال أو من تتبع تغيير المنكرات إذا بدت تغييرا يتميز به عن التغيير العام بحيث أن يشار إليه فيه فهذه حال الغيرة على الحق و أما حال الغيرة من الحق و هي ضنته بأوليائه حيث سترهم عن سائر عباده فحبب إليهم الستر و وفقهم للمعرفة بحكم الموطن فاتصفوا بصفة سيدهم فكانوا عنده خلف حجب العوائد فهم ضنائن الله و عرائسه فهم عنده كهو عندهم فما يشاهدون سواه و لا ينظر هو إلا إليهم فمن أراد أن يعرفهم فليسلك مسلك الغيرة على الحق فينتظم في سلكهم و أما قول بعضهم في الغيرة على الحق أن يذكر بالسنة الغافلين فكل لسان ذكره فليس بغافل بل له ثمرة صحيحة ينالها الذاكر و هو

اللسان و إن لم تقرن به نية من نفس صاحب ذلك اللسان فما ذكره ذاكر بغفلة قط بل ذلك من قوله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ مثل هؤلاء فصاحب هذا القول لا حظ له في الرجولة و كذلك قول الآخر أغار على ذلك الجمال الأنزه عن نظر مثلي يا ليت شعري و أي نظر لك و أين الموجود الذي له نظر من ذاته و هل ينظره إلا هو يا أيها المشرك أما تستحيي أن تقول مثل هذا القول فحال الغيرة من الحق أن تكون حقا و تقوم فيها بنسبتها إلى الحق فتنظر ما الغيرة منه فتكون على ذلك و مع هذا على كل وجه فإنه يطلب ثبوت الغير و التفرقة بين الأشياء و التميز فتحفظ في ذلك من إثبات وجود عين زائدة أو من نفي عيون كثيرة في غير وجود عيني فأثبت الكثرة في الثبوت و أنفها من الوجود و أثبت الوحدة في الوجود و أنفها من الثبوت فاعلم ذلك

«الباب الرابع عشر و مائتين في حال الحرية»

إذا كان حال الفتى عينه ... فذلك حر و إن لم يكن

و إن كان ما لم يكن لم يكن ... بأكوانه كائن يستكن

فحرية العبد معلولة ... و لا رق إلا لمن قال كن

فيا أيها الحر لا تفتقر ... فجنبك من فقره قد وهن

و لا بد منه فما ذا ترى ... و لا بد منك فقد آن إن

أضم غناه إلى فقرنا ... و ذلك عندي من أقوى الجنن

اعلم أن الحرية عند الطائفة الاسترقاق بالكلية من جميع الوجوه فتكون حرا عن كل ما سوى الله و هي عندنا إزالة صفة العبد بصفة الحق و ذلك إذا كان الحق سمعه و بصره و جميع قواه و ما هو عبد إلا بهذه الصفات التي أذهبها الحق، بوجوده مع ثبوت عين هذا الشخص و الحق لا يكون مملوكا فكان هذا المحل حرا إذ لا معنى له من عينه ما لم يكن موصوفا بهذه الصفات و هي الحق عينها لا صفات الحق عينها فثبت عين الشخص بوجود الضمير في قوله كنت سمعه فهذه الهاء عينه و الصفة عين الحق لا عينه فثبتت الحرية لهذا الشخص فهو محل لأحكام هذه الصفات التي هي عين الحق لا غيره كما يليق بجلاله فنعته سبحانه بنفسه لا بصفته فهذا الشخص من حيث عينه هو و من حيث صفته لا هو

فوصفك معدوم و عينك ظاهر ... و أنت له آل كما هو آخر

و أنت له ملك و لست بعبده ... فما أنت مزجور و لما أنت هو زاجر

و على الحقيقة لا يقال في الحق إنه حر لكن يقال إنه ليس بعبد إذ كان لا يعرف إلا بالنعت السلبي لا بالنعت الثبوتي النفسي لكن للمظاهر حكم فيه من حيث ما هو ظاهر فيها فينسب إليه جميع ما ينسب إلى المظهر من نعوت نقص عرفي و نعوت كمال و تمام

و ليس إلا الحق لا غيره فعينه الظاهر نعت العبيد

و لا تقل بأنه عينهم بل قل كما قلته لا تزيد

و ألسنة الشرائع الإلهية بهذا نطقت حقيقة لا مجازا و الأدلة العقلية النظرية تنفي مثل هذا عن الجناب الإلهي و إذا وردت به الشرائع فإن فحول علمائهم يتأولون مثل هذا العدم الكشف إذ لم يكن الحق بصرهم

تقلدوا الفكر على قصوره و ما استضاءوا ساعة بنوره

فسبحان من أخفى عن العين ذاته و أظهرها في خلقه بصفاتهم

فلا حر و لا عبد فأين العهد و الوعد فلله وجود الأمد من قبل و من بعد

و اعلم أن الحر من ملك الأمور بأزمتها و لم تملكه و صرفها و لم تصرفه و هذا غير موجود في الجنابين فإن الله يقول ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و طلب منا الإجابة لما دعانا فحصل التصريف من جانب الحق و من جانب العبد فلو لا دعاء العبد و سؤاله ما كان الحق مجيبا و الإجابة نعته فقد ظهر من العبد صورة تصرف في الحق و قد ظهر من الحق تصرف في العبد لا صورة تصرف فهذا القدر بين الحق و العبد و لا يكون حرا مطلق الحرية من هذا نعته ففي الحقيقة ليس للحرية وجود عين فإن الإضافات تمنع من ذلك لكن حقيقة الحرية في غنى الذات عن العالمين مع ظهور العالم عنه لذاته لا لأمر آخر فهو غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فهو حر و العالم مفتقر إليه فالعالم عبيد فلا حرية لهم أبدا فإذا طلبتهم الألوهة بما كلفتهم به من الأحكام التي لا ظهور للالوهية إلا بها ظهرت الإضافات فصار الأمر موقوفا من الطرفين كل طرف على صاحبه فامتنعت الحرية أن تقوم بواحد من المضافين فمن قد قال إن الحق معروف فلا يدري كما من قال إن الحق مجهول فلا يدري فهذا حال الحرية قد استوفيناه مختصرا قريب المأخذ و المتناول

«الباب الخامس عشر و مائتان في معرفة اللطيفة و أسرارها»

إذا عزت عن الشرح المعاني فتلك لطائف الرحمن فينا

يشاربها إلينا من بعيد فنحيي من إشارتها سنينا

و إن الله يمنحها قلوبا يهيمها الهوى حينا فحينا

وما ذاك الهوى المذموم لكن هو الحب الذي منه ابتلينا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن أهل الله يطلقون لفظ اللطيفة على معنيين يطلقونه و يريدون به حقيقة الإنسان و هو المعنى الذي البدن مركبه و محل تدبيره و آلات تحصيل معلوماته المعنوية و الحسية و يطلقونه أيضا و يريدون به كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة و هي من علوم الأذواق و الأحوال فهي تعلم و لا تنقال لا تأخذها الحدود و إن كانت محدودة في نفس الأمر و لكن ما يلزم من له حد و حقيقة في نفس الأمر أن يعبر عنه و هذا معنى قول أهل الفهم أن الأمور منها ما يحد و منها ما لا يحد أي تتعذر العبارة عن إيضاح حقيقته وحده للسامع حتى يفهمه و علوم الأذواق من هذا القبيل ثم يتوسعون في اللطائف فيسمون كل معنى دقيق عزيز المثال و إن قيل ينفرد به أفراد الرجال لطيفة و من الأسماء الإلهية الاسم اللطيف و من حكم هذا الاسم الإلهي إيصال أرزاق العباد المحسوسة و المعنوية المقطوعة الأسباب من حيث لا يشعر بها المرزوق و هو قوله تعالى وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ و من الاسم اللطيف قوله عليه السلام في نعيم الجنة فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فاعلم وفقك الله أن اللطيفة التي تحصل للعبد من الله من حيث لا يشعر إذا أوصلها العبد بهمته لتلميذه أو لمن شاء من عباد الله من حيث لا يشعر ذلك الشخص عن قصد من الشيخ حينئذ يقال فيه إنه صاحب لطيفة و لا يصح هذا إلا للمتخلق بالاسم الإلهي اللطيف فإن وقع الشعور بها فليس بصاحب لطيفة و إن وقع للتلميذ أو للموصل إليه ذلك المعنى أنه وصل إليه من هذا الشيخ عن علم محقق لا عن حسبان و لا حسن ظن و لا تخمين فذلك الشيخ ليس بصاحب لطيفة في تلك المسألة فإنه من شأن صاحب هذا المقام العزة و المنع أن يشعر به إن ذلك من عنده على تفصيل ما وقع منه الإيصال لا على الإجمال كما تعلم أن الرزاق هو الله على الإجمال و لكن ما تعرف كيف إيصال الرزق للمرزوق على التفصيل و التعيين الذي يعلمه الحق من اسمه اللطيف فإن علم فمن حكم اسم آخر إلهي لا من الاسم اللطيف و ليس ذلك بلطيفة فلا بد من الجهل بالإيصال و لهذا المعنى سميت حقيقة الإنسان لطيفة لأنها ظهرت بالنفخ عند تسوية البدن للتدبير من الروح المضاف إلى الله في قوله فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و هو النفس الإلهي و قد مضى بابه فهو سر إلهي لطيف ينسب إلى الله على الإجمال من غير تكييف فلما ظهر عينه بالنفخ عند التسوية و كان ظهوره عن وجود لا عن عدم فما حدث إلا إضافة التولية إليه بتدبير هذا البدن مثل ظهور الحرف عن نفس المتكلم و أعطى في هذا المركب الآلات الروحانية و الحسية لإدراك علوم لا يعرفها إلا بوساطة هذه الآلات و هذا من كونه لطيفا أيضا فإنه في الإمكان العقلي فيما يظهر لبعض العقلاء من المتكلمين أن يعرف ذلك الأمر من غير وساطة هذه الآلات و هذا ضعيف في النظر فإنا ما نعني بالآلات إلا المعاني القائمة بالمحل فنحن نريد السمع و البصر و الشم لا الأذن و العين و الأنف و هو لا يدرك

المسموع إلا من كونه صاحب سمع لا صاحب أذن و كذلك لا يدرك المبصر إلا من كونه صاحب بصر لا صاحب حدقة و أجفان فإذا إضافات هذه الآلات لا يصح ارتفاعها و ما بقي لما ذا ترجع حقائقها هل ترجع لأمور زائدة على عين اللطيفة أو ليست ترجع إلا إلى عين اللطيفة و تختلف الأحكام فيها باختلاف المدركات و العين واحدة و هو مذهب المحققين من أهل الكشف و النظر الصحيح العقلي فلما ظهر عين هذه اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان كان هذا أيضا عين تدبيرها لهذا البدن من باب اللطائف لأنه لا يعرف كيف ارتباط الحياة لهذا البدن بوجود هذا الروح اللطيف لمشاركة ما تقتضيه الطبيعة فيه من وجود الحياة التي هي الروح الحيواني فظهر نوع اشتراك فلا يدرى على الحقيقة هذه الحياة البدنية الحيوانية هل هي لهذه اللطيفة الظاهرة عن النفخ الإلهي المخاطبة المكلفة أو للطبيعة أو للمجموع إلا أهل الكشف و الوجود فإنهم عارفون بذلك ذوقا إذ قد علموا أنه ما في العالم إلا حي ناطق بتسبيح ربه تعالى بلسان فصيح ينسب إليه بحسب ما تقتضيه حقيقته عند أهل الكشف و أما ما عدا أهل الكشف فلا يعلمون ذلك أصلا فهم أهل الجماد و النبات و الحيوان و لا يعلمون أن الكل حي و لكن لا يشعرون كما لا يشعرون بحياة الشهداء المقتولين في سبيل الله قال تعالى وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ ثم إن تدبير هذه اللطيفة هذا البدن لبقاء الصحبة لما اقتنته من المعارف و العلوم بصحبة هذا الهيكل و لا سيما أهل الهياكل المنورة و هنا ينقسم أهل الله إلى قسمين قسم يقول بالتجريد عند مفارقة هذا البدن فإنها تكتسب من خلقها و علومها و معارفها أحوالا و هيأت يعلمون بها في عالم التجريد من أخواتها فتطلب درجة الكمال و هذا الصنف و إن كان من أهل الله فليس من أهل الكشف بل الفكر عليه غالب و النظر العقلي عليه حاكم و القسم الآخر من أهل الله و هم أهل الحق لا يبالون بالمفارقة متى كانت لأنهم في مزيد علم أبدا دائما و إنهم ملوك أهل تدبير لمواد طبيعية أو عنصرية دنيا و برزخا و آخرة و هم المؤمنون القائلون بحشر الأجساد و هؤلاء لهم الكشف الصحيح فإن اللطيفة الإلهية لم تظهر إلا عن تدبير و تفصيل و هيكل مدبر هو أصل وجودها مدبرة فلا تنفك عن هذه الحقيقة و من تحقق ما يرى نفسه عليه في حال النوم في الرؤيا يعرف ما قلناه فإن الله ضرب ما يراه النائم في نومه مثلا و ضرب اليقظة من ذلك النوم مثلا آخر للحشر و الأول ما يؤول إليه الميت بعد مفارقة عالم الدنيا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ فنحن في ارتقاء دائم و مزيد علم دنيا و برزخا و آخرة و الآلات مصاحبة لا تنفك في هذه المنازل و المواطن و الحالات عن هذه اللطيفة الإنسانية ثم إن الشقاء لهذه اللطيفة أمر عارض يعرض لها كما يعرض المرض في الدنيا لها لفساد هذه الأخلاط بزيادة أو نقص فإذا زيد في الناقص أو نقص من الزائد و حصل الاعتدال زال المرض و ظهرت الصحة كذلك ما يطرأ عليها في الآخرة من الشقاء ثم المال إلى السعادة و هي استقامة النشأة في أي دار كان من جنة أو نار إذ

قد ثبت أنه لكل واحد من الدارين ملؤها فالله يجعلنا ممن حفظت عليه صحة مزاج معارفه و علومه فهذا طرف من حقيقة مسمى اللطيفة الإنسانية بل كل موجود من الأجسام له لطيفة روحانية إلهية تنظر إليه من حيث صورته لا بد من ذلك و فساد الصورة و الهيئة موت حيث كان و أما اصطلاحهم اللطيفة على المعنى الآخر الذي هو كل إشارة تلوح في الفهم لا تسعها العبارة فاعلم إن أهل الله قد جعلوا الإشارة نداء على رأس البعد و بوحا بعين العلة و لكن في التقسيم في الإشارات يظهر فرقان و ذلك أن الإشارة التي هي نداء على رأس البعد فهو حمل ما لا تبلغه العبارة كما إن الإشارة للذي لا يبلغه الصوت لبعد المسافة و هو ذو بصر فيشار إليه بما يراد منه فيفهم فهذا معنى قولهم نداء على رأس البعد فكل ما لا تسعه عبارة من العلوم فهو بمنزلة من لم يبلغه الصوت فهو بعيد عن المشير و ليس ببعيد عما يراد منه فإن الإشارة قد أفهمته ما يفهمه الكلام أو يبلغه الصوت و قد علمت قطعا أن المشير إذا كان الحق فإنه بعيد عن الحد الذي يتميز به العبد فهذا بعد حقيقي لا بد منه و لا يكون الأمر إلا هكذا فلا بد من الإشارة و هي اللطيفة فإنه معنى لطيف لا يشعر به ثم إنه و إن لم يكن بعد فهو بوح بعين العلة و ذلك أن الأصم يكون قريبا من المتكلم و لكن قربه لا تقع به الفائدة لأنه لا يصل إليه الصوت لعلة الصمم فيشير إليه مع القرب كما يقول الحق على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا غاية القرب مع وجود العلة و ظهورها و أكثر من هذا القرب ما يكون فإنه هو مع قوله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين ففرق و فصل و أين هذا ممن جعل قوله قوله و أنه المتكلم و القائل لا هو فهذا قرب معلول فهو قولهم و بوح بعين العلة و لهذا سميت لطيفة لأنها أدرجت الرب في العبد فقال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و كان المتكلم محمدا صلى الله عليه و سلم بكلام الله و قال تعالى كنت سمعه و بصره و لسانه و هذا من ألطف ما يكون ظهور رب في صورة خلق عن إعلام إلهي لا تعرف له كيفية و لا تنفك عنه بينية ف لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ثم إنه من هذا الباب حنين الأمهات إلى أولادها و عطفها عليهم و الحنين إلى الأوطان و الشوق إلى الآلاف و هي مناسبات في الجملة بين الأمرين إذا أراد الشخص أن يعرف عللها لم يقدر على ذلك و لكن يقارب إلا من حصل له التعريف الإلهي فذلك عالم بما هو الأمر عليه تلقاه من أصل الوجود بل من عين الوجود إذ الحق هو الوجود ليس إلا

«الباب السادس عشر و مائتان في معرفة الفتوح و أسراره»

إن الفتوح هو الراحات أجمعها ... و هو العذاب فلا تفرح إذا وردا

حي ترى عين ما يأتي به فإذا ... رأيته فاتخذ ما شئته سندا

الريح بشرى من الرحمن بين يدي ... ما شاء من رحمة فيها إذا قصدا

وقد تكون عذابا ما استعد له كريح عاد بنقل ثابت شهدا

فالمكر منه خفي فاستعد له عسى تحوز بذاك الفوز والرشدا

اعلم أيدنا الله وإياك بما أيد به الخاصة من عباده أن الفتوح عند الطائفة على ثلاثة أنواع النوع الواحد فتوح العبارة في الظاهر قالوا وذلك سببه إخلاص القصد وهو صحيح عندي وقد ذقته وهو قوله عليه السلام أوتيت جوامع الكلام ومنه إعجاز القرآن وقد سألت في الواقعة عن هذه المسألة فقيل لي لا تخبر إلا عن صدق وأمر واقع محقق من غير زيادة حرف أو تزوير في نفسك فإذا كان كلامك بهذه الصفة كان معجزا وأما النوع الثاني من الفتوح فهو فتوح الحلاوة في الباطن قالت الطائفة هو سبب جذب الحق بإعطافه وأما النوع الثالث فهو فتوح المكاشفة بالحق قالت الطائفة هو سبب المعرفة بالحق والجامع لذلك كله إن كل أمر جاءك من غير تعمل ولا استشراف ولا طلب فهو فتوح ظاهرا كان أو باطنا وله علامة في الذائق الفتوح وهي عدم الأخذ من فتوح الغير أو نتائج الفكر ومن شرط الفتوح أن لا يصحبه فكر ولا يكون نتيجة فكر وكان شيخنا أبو مدين يقول في الفتوح أطعمونا لَحْماً طَرِيًّا كما قال الله تعالى لا تطعمونا القديد أي لا تنقلوا إلينا من الفتوح إلا ما يفتح به عليكم في قلوبكم لا تنقلوا إلينا فتوح غيركم يرفع بهذا همة أصحابه لطلب الأخذ من الله تعالى فاعلموا يا إخواننا أن مقام الفتوح محتاج إلى ميزان حقيقي وهو مقام فيه مكر خفي واستدراج فإن الله قد ذكر الفتح بالبركات من السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وذكر الفتح بالعذاب هذا حتى لا يفرح العاقل بالفتح عند فتح الباب حتى يرى ما يفتح له قال بعضهم عند الموت هذا باب كنت أقرعه منذ كذا وكذا سنة هو ذا يفتح لي ولا أدري بما ذا قالت عاد هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا حجبتهم العادة قيل لهم بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ به رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ فلا تغتر بالفتح إذا لم تدر ما ثمة وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ولما كان الفتح الإلهي على نوعين في العالم فتح عن قرع وفتح ابتداء لا عن قرع فأما فتح القرع فيعلم أهل الله بما ذا يفتح فإن القرع هو دليلهم على ما يفتح به وليس مطلوب القوم بالفتوح هذا النوع وإنما مطلوبهم بالفتوح ما يكون ابتداء من غير تعمل لذلك وإن كان يطلبه العمل من العبد الذي هو عليه بحكم التضمن ولكن ما يخطر للعبد العامل ذلك جملة واحدة فيكون الفتح في حقه إذا ورد ابتداء وإذا ورد الفتح على اختلاف ضروبه كما قررناه تعين على هذا العبد إقامة الوزن بالقسط كما أمره الله في قوله وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ فيقيم الوزن هذا العبد بين حاله الذي هو عليه وبين الفتح فإن كان الفتح مناسبا للحال فهو نتيجة حاله فيقيم عند ذلك وزنا آخر وهو أن ينظر في مقدار الفتح وقوة الحال فإن ساواه فهو نتيجة بلا شك فليحذر هذا العبد مكر الله في هذا الفتح فإنه نتيجة في غير موطنها فربما عجلت له عطيته وانقلب إلى الدار الآخرة صفر اليدين فإن كان الفتح مما يعطي أدبا وترقيا فليس بمكر بل هو عناية من الله تعالى بهذا العبد حيث زاده فتحا يؤديه إلى زيادة خير عند الله تعالى

و إن أقام الوزن بين مقدار الفتح و قوة الحال و رأى الفتح فوق الحال فينزل منه مقدار قوة الحال و ما زاد فذلك هو الفتوح الذي ذكرته الطائفة هذا أصل ينبغي أن بعلم و يتحقق و له شواهد يعلمها الذائق له و إن لم يدخل الفتح في ميزان الحال جملة واحدة و بقي حاله موفورا عليه كان ذلك الفتح هو الفتح المطلوب عند القوم و بعد أن تقرر هذا فلنذكر كل نوع من أنواع الفتوح أما الفتوح في العبارة فإنه لا يكون إلا للمحمدي الكامل من الرجال و لو كان وارثا لأي نبي كان و أقوى مقام صاحب هذا الفتح الصدق في جميع أقواله و حركاته و سكونه إلى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه و جليسه ما في باطنه من حركة ظاهرة لا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصور كلاما في نفسه و يرتبه بفكره ثم ينطق به بعد ذلك بل زمان نطقه زمان تصوره لذلك اللفظ الذي يعبر به عما في نفسه زمان قيام ذلك المعنى في نفسه و صورته و ليس لغير صاحب هذا الفتح هذا الوصف و يكون التنزل على صاحب هذا الفتح من المرتبة التي نزل فيها القرآن خاصة من كونه قرآنا لا من كونه فرقانا و لا من كونه كلام الله فإن كلام الله لا يزال ينزل على قلوب أولياء الله تلاوة فينظر الولي ما تلي عليه مثل ما ينظر النبي فيما أنزل عليه فيعلم ما أريد به في تلك التلاوة كما يعلم النبي ما أنزل عليه فيحكم بحسب ما يقتضيه الأمر هكذا هو الشأن و لهذا التنزل في قلب الولي حلاوة نذكرها في النوع الثاني من الفتح فلا تقع التلاوة لصاحب هذا الفتح إلا من كون المتلو قرآنا لا غير فيفتح الله له في العبارة فيعرب بقلمه أو بلفظه عما في نفسه بحيث أن يوضح المقصود عند السامع إذا كان السامع ممن ألقى السمع و من علامة صاحب هذا الفتح عند نفسه استصحاب الخشوع و توالي الاقشعرار عليه في جسده بحيث أن يحس بأجزائه قد تفرقت فإن لم يجد ذلك في نفسه فيعلم أنه ليس ذلك الرجل المطلوب و لا هو صاحب هذا الفتح و هذا فتح ما رأيت له في عمري فيمن لقيته من رجال الله أثرا في أحد و قد يكون في الزمان رجال لهم هذا الفتح و لم ألقهم غير أني منهم بلا شك عندي و لا ريب فلله الحمد على ذلك و سيرد في فصل المنازل في منزل القرآن فرقان ما بين أسمائه فإنه القرآن و الفرقان و النور و الهدى و غير ذلك من الأسماء الموضوعة له و مهما تصور المتكلم المعبر عما في نفسه ما يتكلم به قبل العبارة و يرتب التعبير عن الأمر في نفسه و يحسنه و يتمعنه بحيث أن يحسن عند كل من يسمع تلك العبارة فليس هو بصاحب فتح فإنه من شأن الفتوح أن يفجأ و يأتي بغتة من غير شعور هكذا كل فتوح يكون في هذا الطريق ثم إنه من حقيقة صاحب هذا الفتح شهود ما يعبر عنه و شهود من يسمع منه و بما يسمع منه فيعطيه من العبارة ما يليق بذلك السمع الخاص فإن لم يكن بهذا الوصف فليس هو بصاحب فتح في العبارة و هذا معنى قولنا إن سببه الإخلاص النوع الثاني من الفتوح الذي هو فتح الحلاوة في الباطن و هو سبب جذب الحق بإعطافه فهذه الحلاوة و إن كانت معنوية فإن أثرها عند صاحبها يحس به كما يحس ببرد الماء البارد و صورة الإحساس بها كصورة الإحساس بكل محسوس و طريقها في الحس من الدماغ ينزل إلى محل الطعم

فيجدها ذوقا فيجد عند حصول هذا الذوق استرخاء في الأعضاء و المفاصل و خدرا في الجوارح لقوة اللذة و استفراغا لطاقته و من أصحاب هذا الفتح من تدوم معه هذه الحلاوة ساعة و يوما و أكثر من ذلك ليس لبقائها زمان مخصوص فإنه اختلف علينا بقاؤها فوقتا نزلت علينا في قضية فدامت معنا ساعة ثم ارتفعت ثم نزلت في واقعة أخرى فدامت أياما ليلا و نهارا و حينئذ ارتفعت فإذا ارتفعت زال ذلك الخدر من الجوارح و هذه الحلاوة لا يمكن أن يشبهها لذة من اللذات المحسوسة لأنها غريبة لكونها معنوية في غير مادة محسوسة فما تشبه حلاوة العسل و لا حلاوة الجماع و لا حلاوة شيء محسوس كما أنها أيضا لا تشبه حلاوة حصول العلوم المعشوقة للطالب بل هي أعلى و أجل و أثرها في الحس أعظم من أثر الحلاوة المركبة في المواد المحسوسة كحلاوة كل حلو و تميزها عن لذات المعاني إنما هو بما لها من الأثر في الحس فافهم ذلك و لما سماني الحق عبدا بأسمائه و فتح لي في هذه الحلاوة ما رأيت أشد أثرا منها في الاسم العزيز فلما ناداني بيا عبد العزيز و معنى ذلك أن يقام الإنسان عبدا في كل اسم إلهي ليحصل الفرقان بين الحقائق لتحصيل العلوم الإلهية وجدت لهذا النداء من الحلاوة ما لم أجد لغيره من الأسماء و نظرت في سبب ذلك فوجدت إن مقام العزة يقتضي أن يكون الأمر كذلك و هذه الحلاوة و إن تميزت عن حلاوة المحسوسات و المعاني فهي متنوعة في نفسها فحلاوة أمر ما منها خلاف حلاوة أمر آخر يجد الذائق الفرق بينهما كحلاوة السكر يجد الإنسان الفرق بينها و بين حلاوة العسل و إن اشتركا في الحلاوة و كذلك الأمر هنا و لا تحصل هذه الحلاوة لا حد من أهل الله إلا بالعطف الإلهي فإذا ورد العطف الإلهي على العبد رزقه الله وجدان هذه الحلاوة في باطنه فيجذبه إليه تعالى لأن النفس مجبولة على الميل إلى كل ما تستلذه و من أشد حلاوة من هذا الفتح مر علي في هذا الزمان لما تلي علي نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ فلم أجد لذة أعظم من لذة وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فهذه أعظم بشرى وردت علي ثم إنه تليت على مرتين في زمانين متتابعين فزادني إعجابا بها تكرار التلاوة علي بها و تكرار التلاوة فينا مثل تكرار نزول الآية أو السورة على الرسول مرتين كما جاء في نزول سورة و المرسلات و غيرها إنها نزلت مرتين فإذا عطف الحق على عبده بهذه الحلاوة فجذبه إليه بها ليمنحه علما لم يكن عنده فإن لم يجد علما فليس بجذب و لا تلك حلاوة فتح فذلك من علامات فتح الحلاوة و إنما يفعل الحق ذلك لتكون حركة العبد معلولة لأنه معلول في الأصل و ذلك لإقامة حجة الله عليه فإن العبد يزهو بالقوة الإلهية التي عنده فربما يرى أن له تنزيها بانجذابه إلى الحق دون غيره من العبيد و يزعم أن ذلك إيثار منه لجناب الحق فجعل الله انجذابه عن حلاوة فإن زها كما قلنا قامت الحجة علينا بأنه ما أخذ به إلى الحق إيثار جناب الحق بل وجدان الحلاوة و الالتذاذ فلنفسه سعى و لله المنة وحده لا منة لاحد على الله و له الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ لا حجة لاحد على الله و كل من قال بغير هذا من أهل الله فإنما قالها شطحا لا حقيقة لغلبة الحال عليه فهو لسان حاله لا لسانه فإذا أفاق قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ

إِلَيْكَ فإن قلت فما معنى الجذب هنا مع كونه معه قلنا ليس أحد مع الحق من حيث ما هو الحق لنفسه و إنما هم مع الحق من حيث ما أقامه الحق فيه فيكون من الحق الجذب بهذه الحلاوة من الحال التي أقامه الحق فيها لحال آخر يفيده فيه علما لم يكن عنده ذوقا هكذا على الدوام إلى ما لا نهاية له و سماه جذبا لأن العبد لا بد أن يتعشق بحاله و يألفه فلا ينجذب عنه إلا بما هو أعجب إليه منه فلهذا فتح له في الحلاوة لتخلصه مما وقف معه فإذا انجذب إلى الحق صحبه حاله الذي كان عليه أيضا لأنه لا يفارقه إذ المعلوم لا يجهل فبقي حكم الجذب إنما متعلقة أن لا يتركه يقف مع حاله فيقتصر عليه فيحدث له التشوق إلى تحصيل أمر آخر ليس عنده مع صحبته لما كان عليه من الحال فاعلم ذلك و ليس كل أهل الله على هذا القدم الذي ذكرناه و إنما هذا الذي ذكرناه حال الأكابر منهم فإن جماعة من أهل الله يشغلهم ما رجعوا إليه عما كانوا عليه فإن الله قد رفع بعضهم على بعض و فضل كل صنف بعضه على بعض فقال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و اعلم أن أصل وجدان هذه الحلاوة فينا من الجناب الإلهي من الحلاوة الإلهية التي يتضمنها صريح قوله عليه السلام لله أفرح بتوبة عبده الحديث فمن هناك نشأت هذه الحلاوة في باطن أهل الله فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق و لا يعرف هذا إلا العارفون بالله المنعوت في الشرع لا المدلول عليه بالعقل و هكذا جميع ما يأتي من مثل هذا الباب و ليس للضحك الإلهي و لا التبشبش مدخل في هذه الحلاوة بل ذلك للفرح فلا تخلط و لا تقس فإن طريق الله لا تدرك بالقياس فما كل أمر يشبه أمرا له حكم ذلك المشبه ليس الأمر كذلك و إنما له منه حكم ما وقع الشبه به كالحمصة تشبه اللؤلؤة في الاستدارة و ما لكل واحدة منهما حكم الأخرى كما تختلف العلل أيضا مع أحدية المعلول إذا كان المعلول محمولا كالاستدارة التي وقع التمثيل بها و هي أمر محمول في المستدير كان المستدير ما كان فعلة استدارة الفلك ليست علة استدارة اللؤلؤ فاختلفت العلل لاختلاف محال المعلول و المعلول الاستدارة فاحذر من القياس في العلم الإلهي بل إن تحققت الأمور لم يصح وجود القياس أصلا و إنما هو من الأمور التي غلط فيها أهل النظر في إن حملوا حكم المقيس عليه على المقيس فهذا قد بينا في هذا النوع من الفتح قدر ما تقع به الكفاية لمن أراد تحصيله ذوقا من نفسه فإذا ذاقه علم ما يحتمله من البسط و أما النوع الثالث من الفتوح و هو فتوح المكاشفة الذي هو سبب معرفة الحق اعلم أولا أن الحق أجل و أعلى من أن يعرف في نفسه لكن يعرف في الأشياء فالمكاشفة سبب معرفة الحق في الأشياء و الأشياء على الحق كالستور فإذا رفعت وقع الكشف لما وراءها فكانت المكاشفة فيرى المكاشف الحق في الأشياء كشفا كما يرى النبي صلى الله عليه و سلم من وراءه من خلف ظهره فارتفع في حقه الستر و انفتح الباب مع ثبوت الظهر و الخلف فقال إني أراكم من خلف ظهري و قد ذقنا هذا المقام و لله الحمد فلا يعرف الحق في الأشياء إلا مع ظهور الأشياء و ارتفاع حكمها فأعين العامة لا تقع إلا على حكم الأشياء

و الذين لهم فتوح المكاشفة لا تقع أعينهم في الأشياء إلا على الحق فمنهم من يرى الحق في الأشياء و منهم من يرى الأشياء و الحق فيها و بينهما فرقان فإن الأول ما تقع عينه عند الفتح الأعلى الحق فيراه في الأشياء و الثاني تقع عينه على الأشياء فيرى الحق فيها لوجود الفتح و أصل ظهور هذا الفتح من الجناب الإلهي حالة قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ فيرفع الابتلاء حجاب الدعوى الذي كان يدعيه الكون فيكون الكشف و هو التعلق الخاص من العلم الإلهي بما وقع الأمر عليه فعلم صدق دعوى الكون من كذبه فمن هذه الصفة الإلهية ظهر فتح المكاشفة إذ لا يظهر في الوجود حكم إلا و له أصل في الجناب الإلهي إليه استناده و لا يصح أن يكون الأمر إلا هكذا فإنه قد ذكرنا في غير ما موضع أن علم الله بالأشياء من علمه بنفسه فخرج العالم على صورته فلا يشذ عنه حكم أصلا فهو سبحانه رب كل شيء و مليكه فالأشياء مرتبطة به في كل حال و ما هو في كل حال مرتبط بالأشياء و لهذا غلط من غلط من أصحابنا و من بعض النظار في أنهم عرفوا الله ثم عرفوا الأشياء فهم عرفوا الله من حيث إنه واجب الوجود لذاته و أنه لا يصح أن يكون ثم واجب الوجود لذاته فصحت أحدية واجب الوجود هذا كله صحيح لا نزاع فيه عند المنصف و لكن ليس المقصود إلا علم كونه ربا لهذا العالم هذا لا يعرفه ما لم تتقدم له معرفته بالعالم هذا ما يعطيه علم الكمل من رجال الله من أهل الحق و لهذا قال عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه ما قال من عرف ربه عرف نفسه لأنه من حيث نفسه واجب الوجود و له الغني المطلق فلا التفات للغني المطلق إلى غير ذاته إذ لو التفت لم يصح ما قرره فلا يعلم أنه بإله للعالم فإذا أراد أن يعلم أنه إله العالم نظر في العالم فرأى فيه حقيقة الافتقار بإمكانه إلى المرجح فلم يجد إلا هذا الواجب الوجود لذاته الذي أثبته بدليله قبل أن ينظر في هذه المسألة الأخرى فأضافه إليه فقال هذا الواجب هو رب هذا العالم و بغير هذا الطريق في النظر فلا يعرف أنه إله العالم ثم إن أهل النظر انحجبوا عما ثبت في نفوسهم من افتقارهم حين صرفوا النظر إلى معرفة واجب الوجود لذاته فإن ثبت عندهم بالدليل أظهر لهم إمكانهم و افتقارهم من حيث لا يشعرون أن ذلك الواجب الوجود هو الهم فقالوا علمنا بالله متقدم على علمنا بالعالم و صدقوا ما قالوا علمنا بإلهنا أنه إلهنا متقدم على علمنا بنا فلم يشعروا بما وقعوا فيه من الغلط و علمت بذلك الأنبياء فجعلت العالم دليلا عليه و أعظم فتح المكاشفة في مثل هذه المسألة أن يرى الحق فيكون عين رؤيته إياه عين رؤيته العالم للارتباط المحقق فيكشف العالم من رؤيته الله تعالى و لكن هذه الدقيقة ليست لأهل النظر لأن النظر ليس في قوته ذلك و إنما هو من خصائص الكشف هذا أبلغ ما يمكن أن تحقق به هذه المسألة من تقدم العلم بالله من كونه إلها للعالم على العلم بالعالم فهذا لا يعرف إلا من فتوح المكاشفة و ما رأيت أحدا من المتقدمين من أهل الله تعالى نبه في هذا الفتوح الكشفي على هذه المسألة على التعيين فاحمد الله تعالى حيث أجرى على لساني الإبانة عن هذه المسألة فإنه ما كان في نفسي أن أشير إليها فأحرى أن أصرح بها و

إنما الغيرة غلبت علي و الحرص على نصح العباد الذين أمرني الحق بنصحهم على التخصيص أداني إلى شرح هذا القد ر في فتوح المكاشفة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع عشر و مائتان في معرفة الرسم و الوسم و أسرارهما»

الرسم ما أعطيته من أثر و الوسم ما دل عليه الخبر

إن ديارا قد عفي رسمها ما فيها للعاقل من معتبر

و الوسم للتمييز إن كنت ذا معرفة و صح منك النظر

و عنهما أخبرنا قوله سيماهم في وجههم من أثر

في أزل كان لهم كل ما أظهره رب القضاء و القدر

فسلم الأمر إلى علمه و كن به في حزب من قد شكر

فإنه أولى بنا لا تكن في حزب من يجحد أو من كفر

اعلم أن الوسم و الرسم عند الطائفة نعتان يجريان في الأبد بما جريا في الأزل يريدون بما سبق في علم الله لا أنهما جريا في الأزل و يستبين تحقيق الإشارة إليهما فالوسم بالواو من السمة و هي العلامة الإلهية على العبد أو في العبد تكون دلالة على أنه من أهل الوصول و التحقق و أما الرسم بالراء فهو أثر الحق على العبد الظاهر عليه عند رجوعه من حال ما قد ادعاه أو مقام فيصدقه هذا الأثر للظاهر عليه في دعواه فاعلموا أيدنا الله و إياكم بروح منه أن الوسم فينا كالاسماء لله دلالات عليه ليعرف بها فلما كثرت المعاني و تعددت نسبتها جعل للذات المنسوبة إليها هذه المعاني أسماء بإزاء كل معنى اسما يدل عليه و يعرف به لتحصيل الفوائد من العلماء بذلك المتعلقة بها فجعل الله لكل حال و مقام علامة تسمى وسما تدل على ذلك المقام و الحال دلالة ترفع الإبهام و الإجمال و الاشتراك و تكون تلك الدلالة نعتا لذلك المعنى الذي له الحكم من هذه الذات فلا يزال يجري في الأبد أي يظهر دائما كما لم يزل في الأزل و هنا نكتة بديعة و ذلك إنا قد قدمنا إن العالم على صورة الحق و من علمه بنفسه تعلق العلم بالعالم فكان العالم مشهودا للحق أزلا و إن لم يكن موجودا و الوسم من جملة العالم على حكمه و مرتبته فهو مشهود له أزلا يجري بحسب ما هو عليه في الأبد هذا هو تحقيق شأنه و كذلك الرسم فجميع ما هو العالم عليه في الأبد إنما هو على صورة ما ظهر به في الأزل إذ لا يختلف شهود الحق فيه و قد كان مشهودا له في الأزل حيث لم يكن موجودا عينيا فقد شاهد هذا الرسم و الوسم أزلا يجريان في العالم كما هما في الأبد عليه فافهم ذلك و ليس الوسم و لا الرسم بجعل

جاعل في الأصل بل ظهرا هنا في الأبد بجعل جاعل و هو الله تعالى و لا بد لكل حال و مشهد و مقام من أثر فيمن قام به ذلك لأثر هو الرسم فالأثر من حيث ظهوره في المؤثر فيه بفتح الثاء يسمى رسما و هو بعينه من حيث إنه دلالة على صدق صاحب ذلك الحال أو المشهد أو المقام أو ما كان يسمى وسما فعين مسمى الوسم هو عين مسمى الرسم و يختلفان من حيث الحكم فالوسم عين الرسم من وجه و ليس هو عينه من وجه إذا اعتبرت الحكم فالرسم في الجناب الإلهي الذي صدر عنه هذا الرسم في الكون هو كون الحق يظهر فيه أثر الإجابة عند سؤال السائلين إذ لا يكون مجيبا إلا عن سؤال فلما أوجب السؤال الإجابة كانت الإجابة أثرا في المجيب فهذا هو الرسم الإلهي و دليلنا عليه وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و لما كان الأمر في نفسه بهذه المثابة في الجناب الإلهي ظهر في العالم الأثر أيضا إذ لو لم يكن كذلك لظهر في العالم أمر لا مستند له في الجناب الإلهي فيناط به الجهل به إذ قد تقرر أن علمه بالعالم علمه بنفسه فلهذه الحقيقة الإلهية استناد الرسم و الوسم و قد يكون قول الطائفة في الوسم و الرسم بما جريا في الأزل حكمهما في الجناب الإلهي إذ كان العالم ظاهرا بصورة حق و لا يحتمل البسط في هذا الباب أكثر من هذا و أما التفصيل فيه فيطول بطول العالم و العالم لا يتناهى الأثر فيه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن عشر و مائتان في معرفة القبض و أسراره على الاختصار و الإجمال»

للقبض أسباب و لكنها تعلم أوقاتا و قد تجهل

فكل ما تعلم أسبابه فحكمه السبب الأول

و كل ما تجهل أسبابه فلا تقل أدنى و لا أفضل

فأفضل القبض إليه الذي يعرفه الأمثل فالأمثل

كقبضه الظل إليه و ذا عليه أهل الله قد عولوا

اعلم أن الطائفة قالت في القبض إنه عبارة عن حال الخوف في الوقت فإن الأسف في الماضي و الخوف و الحذر في المستقبل و القبض للمعنى الحاصل في الوقت و بعضهم نزع في القبض إلى نتائجه فقال القبض وارد يرد على القلب يوجب إشارة إلى عتاب أو زجر باستحقاق تأديب و قال بعضهم القبض حال ينتجه الخوف و قد يكون الخوف مشعورا به و قد لا يكون فاعلموا أيدكم الله أن القبض في الجناب الإلهي الذي عنه صدر القبض في الكون هو ما اتصف به الحق سبحانه من صفات المخلوقين و لا سيما في قوله و وسعني قلب عبدي ثم تجليه لكل معتقد فيه في صورة اعتقاده فيه فصار الحق كأنه محصور مقبوض عليه بالاعتقادات و هي العلامة التي بين الله و بين

عامة عباده و لو لم يكن كذلك لم يكن إلها و هو إله العالم بلا شك فلا بد من اتصافه بهذه السعة و العالم متباين الاستعداد و لا بد له من الاستناد فلا يزال يعبد كل جزء من العالم الله من حيث استعداده فلا بد أن يتجلى له الحق بحسب استعداده للقبول فما من شيء إلا و هو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِفقد قبض بكلتا يديه على ما اعتقده وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فلو كان تسبيحهم راجعا إلى أمر واحد لم يجهل أحد تسبيح غيره و قد قال الله إن تسبيح الأشياء لا يفقه فدل على إن كل شيء يسبح إلهه بما تقرر عنده منه مما ليس عند الآخر و لما كان في قضية العقل إن الله عز و جل لا يكون محصورا و في قضية الوقوع وجود الحصر وصف نفسه في آخر الآية بأنه حليم فلم يؤاخذ مع القدرة من زعم أن الحق على وصف كذا خاصة و ما هو على وصف كذا و وصف نفسه في آخر هذه الآية بأنه غفور لما ستر به قلوبهم عن العلم به إلا من شاء من عباده فإنه أعطاه العلم به على الإجمال و قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لأنه عين كل شيء بدليل العلامة التي ثبتت عنه و الشيء لا يكون مثلا لعينه لأنه عين كل شيء في كل ظل و كل فيء و كل طائفة سوى أهل الله قد نزهته أن يكون كذا و لهذا أخبر عنهم فقال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ أي ينزه بِحَمْدِهِ أي بالثناء عليه و التنزيه البعد و ما ذكر الله أنه أمرهم بتسبيحه بل أخبر أنهم يسبحون بحمده فاجعل بالك لقول الله في تلاوتك لما يقوله ربك عن نفسه و ما يقوله العالم عنه و فرق و لا تحتج فيه إلا بما قاله عن نفسه لا بما يحكيه من قول العالم فيه تكن من أهل القرآن الذين هم أهل الله و خاصته و حقيقة حال القبض الإلهي في إخباره تعالى عن نفسه ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن يكره الموت و أنا أكره مساءته و لا بد له من لقائي فوصف نفسه بالكراهة و كل كاره فحاله القبض فافهم ما نبهتك عليه تعثر على الحق و قد حصل في هذا الخبر أمران موجبان للقبض و هما التردد و الكراهة و الغضب المنسوب إليه و الغضب حكم قبض بلا شك و لكن لما كان الجناب الإلهي في اعتقاد العامة يضيق المجال فيه الذي وسعه الشارع لم نقدر على إيضاح الأمر على ما هو عليه ذلك الجناب الإلهي إذ له الاتساع الذي لا ينبغي إلا له و من أسمائه الواسع و هو من أعظم الأسماء إحاطة و هو الاسم الذي يتضمن الأسماء الإلهية التي تطلبها الأكوان كلها لاتساعه و هي أكثر من أن تحصى كثرة و أعيانها معلومة عند أهل الله تعالى في قوله عز و جل يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى الله فمن كحل عين بصيرته بكحل الكشف علم ما قلناه و كل أثر و خبر ورد فيه القهر الإلهي فإنه من باب القبض الإلهي و من هناك ظهر القبض فينا فمن وفى مقام القبض حالا و ذوقا كان قبضه إلهيا بلا شك و أما القبض الذي هو عن حال الخوف كما يراه بعضهم فذلك قبض خاص يتعلق بالنفس و سواء خاف صاحبه على نفسه أو على غيره فإن كان خوفه على غيره صحبه الإشفاق إذ كان آمنا على نفسه و كخوف الأنبياء على أممهم يوم القيامة فهم و أمثالهم ممن يحزنهم الفزع الأكبر من أجل أممهم و هم ممن لا يحزنهم الفزع الأكبر من أجل أنفسهم و القبض حال خوف أبدا إلا القبض المجهول سببه فإنه أيضا مجهول

الخوف فإذا ورد القبض المجهول على قلب العارف سكن تحته و لم يتحرك رأسا حتى ينقدح له السبب فيعمل عند ذلك بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك السبب من الأثر فيه في أي جانب ظهر من حق و خلق و هو من المقامات المستصحبة إلى أول قدم يلقيه في الجنة فيرتفع عنه و لا يتصف به أبدا كما يرتفع بعض حكم الأسماء الإلهية الموجودة هنا و في الآخرة بانقضاء مدة حكمها فلا تجد قابلا فترتفع بارتفاع حكمها إذ كانت عين حكمها و من هنا تعلم أن أعيان الأسماء الإلهية هي أعيان أحكامها و لذلك تبقي أعيانها ما بقيت أحكامها و تفني بفناء أحكامها فلو كانت الأسماء الإلهية راجعة إلى ذات المسمى موجودة قائمة بها لم يصح فناؤها و لا فناء أحكامها و لو كانت أيضا راجعة إلى ذات المسمى لكان حكمها كذلك فلم يبق أن تكون إلا لنسب و إضافات لا وجود لها في عينها فلذلك قلنا إنها عين أحكامها فتزول بزوال الحكم و تثبت بثبوته

«الباب التاسع عشر و مائتان في معرفة البسط و أسراره»

البسط حال و لكن ليس يدريه إلا الإله الذي أقامنا فيه

له التحكم في الأكوان أجمعها به الوجود الذي تبدو معانيه

و ليس يحجبه عنا سوى قدر و هو الذي عن عيون الخلق يخفيه

البغي حكم له إن كنت ذا نظر جاء الكتاب به لو كنت تدريه

في عالم الخلق هذا الحكم ليس له في عالم الأمر هذا في تجليه

اعلم وفقك الله أن البسط عند الطائفة عبارة عن حال الرجاء في الوقت و قال بعضهم القبض و البسط أخذ وارد الوقت بحكم قهر و غلبة و البسط عندنا حال حكم صاحبه أن يسع الأشياء و لا يسعه شيء حقيقة البسط لا تكون إلا لرفيع المنزلة رفيع الدرجات فينزل بالحال إلى حال من هو في أدنى الدرجات فيساويه و هو في الجناب الإلهي في مثل قوله تعالى وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً و أعظم في النزول من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ و لأجل هذا البسط قال من قال إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ و هذا القول تصديق قوله تعالى وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ و من البسط الإلهي قوله تعالى يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ و لو لا البسيط الإلهي ما تمكن لأحد من خلق الله أن يتخلق بجميع الأسماء الإلهية و أعظم تعريف في البسط الإلهي إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ و يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ فلما تمكن مثل هذا البسط في قلوب العباد ربما أثر في قلوبهم بغيا فتعدوا منزلتهم فلما علم الحق أنه ربما أثر ذلك مرضا في قلوب بعض العباد جعل دواءه تمام الآية و هو قوله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فأنزل الداء و الدواء و هذا من نشر رحمته لأن الأدنى في مرتبة تقتضي أن لا

يكون صاحب بسط فإن انبسط فليس له إلا أن يجول في غير ميدانه فيكون البسط من الأدنى سوء أدب و لما علم الحق هذا أمر عباده بالتخلق بمكارم الأخلاق و أثنى عليهم بها و جعل ذلك من أعظم أعمال العباد فظهروا بها عن الأمر الإلهي فكان بسطهم عبادة و قربة إلى الله و هذا من نشر رحمته و اتساع مغفرته و عموم تفضله فبسط العباد بسط عن قبض و بسط الحق لا عن قبض بل له البسط ابتداء ثم بعد ذلك يكون القبض الإلهي و هو قوله صلى الله عليه و سلم إن رحمة الله سبقت غضبه رحمته و بسطه أوجد الخلق و لا يكون حكم القبض و البسط إلا مع ثبوت الأغيار و لولا الأغيار لم يتحقق بسط و لا قبض فتحقق ذلك و اعلم أن أعظم بسط العبد أن يكون خلاقا فإن تأدب في هذا البسط فهو المذكور الداخل في عموم قوله تعالى فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأضاف الحسن إلى الخالقين غير إن الله أحسن الخالقين إذ كان هذا النعت من خصوص وصف الإله لأنه قال تعالى في الرد على عبدة الأوثان أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ فنفى الخلق عن الخلق فلو لم يرد عموم نفي الخلق عن الخلق لم تقم به حجة على من عبد فرعون و أمثاله ممن أمر من المخلوقين أن يعبد من دون الله و لم يكن هؤلاء ممن يدخل في عموم الخالقين من قوله أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فإنهم لم يتصفوا بالإحسان في الخلق فإن الإحسان في العباد أن تعبد الله كأنك تراه فتعلم من هو الخالق على الحقيقة فلما كان هذا النعت من خصوص وصف الإله و قد أضاف الخلق إلى الخلق انفرد هو بالنظر إلى ما أثبت من الخلق للخلق بالأحسن في ذلك فقال أحسن الخالقين و هو معنى قوله تعالى فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و البركة الزيادة فزاد أحسن في قوله أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و ما أحسن قوله تعالى أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ و لم يقل أ أنتم تخلقون منه و لا فيه و إنما قال تخلقونه فأراد عين إيجاده منيا خاصة و الاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أي صورة شاء من الجنس أو غيره و هو قوله في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ فهو الاسم المصور و هنا أسرار من علوم الطبيعة لما جعل الله فيها من الاشتراك في التكوين فهل هي سبب من جملة الأسباب التي تفعل لعينها بذاتها فيكون الحق يفعل بها لا عندها أو تكون من الأسباب التي يفعل الحق مسببها عندها لا بها و يتفاوت هنا نظر النظار و أما أهل الكشف فيعلمون ذلك ابتداء عند الكشف من غير نظر لعلمهم بمرتبة الطبيعة و أن منزلتها منزلة جميع الحقائق و الحقائق لا تتبدل فيجرونها مجراها و ينزلونها منزلتها فبسط العلماء بالله هو عين العلم بالله فإذا علموا علموا من انبسط و من له البسط و علموا من انقبض و من له القبض فيبقى عندهم كل أمر على أصله و حقيقته لا تبديل عندهم في ذلك و لا تحويل لأنهم على سنة الله فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا فأهل سنة الله لهم البسط المحقق لأن البسط نشر و النشر ظهور و لو لا الظهور ما أدركت الأشياء

فبسط العارفين على يقين و بسط الخلق تخمين و حدس

إذا خشعت الأصوات للرحمن فكيف يكون الحال مع الجبار

خشوع حياء لا خشوع مهانة و هيبة إجلال و قبض تأدب

قال تعالى وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً حكم اقتضاه الموطن و اعلم أيها الولي الحميم أن الخلق كان في قبض الحق للحق فلما انبسط ظهر للعالم قال الله تعالى لآدم و يداه مقبوضتان يا آدم اختر أيتهما شئت فقال آدم اخترت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم و ذريته و لو فتح الأخرى لكان فيها سائر العالم فانظر إلى كون الإنسان في اليمين الحق إذ علم آدم أن بين اليدين فرقانا و لذلك قال أدبا و كلتا يدي ربي يمين مباركة فاختار القوة نظرا إلى نفسه لما علم أنه على الصورة و أنه خليفة فعلم إن القوة له فاختار الأقوى بأدب و لما كان الخلق مطويا في الحق لم ير نفسه و هو مشهود لله فلما كان البسط الإلهي ظهر العالم لنفسه فرأى نفسه و رأى من كان في قبضته عن شهود نفسه فعلم من أين صدر و كيف صدر و ما علم هل له رجوع أم لا فقيل له وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و علم أن الرجوع إنما هو رد إلى الأصل و قد علم أصل الوجود فعلم إلى أين يرجع و قد كان في الأصل لا يعلم نفسه فعلم أنه يرجع إلى منزله لا بعلم نفسه مع ظهور عينه كما لم يشهد نفسه إذ كان في قبضة موجدة فيكون مال العارفين و رجوعهم مع ثبوت عينهم إلى أن الحق عينهم لا هم و هذا مقام لا يكون إلا للعارفين فهم مقبوضون في حال بسطهم و لا يصح لعارف قط إن يكون مقبوضا في غير بسط و لا مبسوطا في غير قبض و ما سوى العارف إذا كان في حال قبض لا يكون له حال بسط و إذا كان في حال بسط لا يكون له حال قبض فالعارف لا يعرف إلا بجمعه بين الضدين فإنه حق كله كما قال أبو سعيد الخراز و قد قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين لأنه شاهد جمعهما في نفسه و قد علم أنه على صورته و سمعه يقول هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ و بهذه الآية احتج في ذلك ثم نظر إلى العالم فرآه إنسانا كبيرا في الجرم و رآه قد جمع بين الضدين فإنه رأى فيه الحركة و السكون و الاجتماع و الافتراق و رأى فيه الأضداد و هو أيضا على صورة العالم كما هو على صورة الحق فانظر ما أعجب هذه اللفظة من أبي سعيد و لهذا المقام كان يشير ذو النون المصري في مسائله من إيراد الكبير على الصغير و إدخال الواسع في الضيق من غير إن يوسع الضيق أو يضيق الواسع و قد ذكرنا هذه المسألة في معرفة الخيال من باب المعرفة من هذا الكتاب مستوفاة فبسط العلماء بالله من البسط المنسوب إلى الحق بل هو عين البسط المنسوب إلى الحق لأنهم إليه رجعوا

فلم يكن البسط الإله فهم أهل محو و إن أثبتوا

و هذا القدر كاف في تحقيق البسط من العلم الإلهي

«الباب العشرون و مائتان في معرفة الفناء و أسراره»

إن الفناء أخو العدم وله التسلط إن حكم
هو عن كذا لا غيره فبعن له فينا قدم
ثم الفناء عن الفناء حجاب ما ينفي الظلم
فشبيهه بل عينه ما قيل في عدم العدم
هي لفظة ما تحتها عين و لكن تحتكم
ما زال تطلبه الرجاء ل فمن يقوم به عصم
فيه إذا سلطانه يمضيه تحصين الحكم

اعلم أن الفناء عند الطائفة يقال بإزاء أمور فمنهم من قال إن الفناء فناء المعاصي و من قائل الفناء فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك و قال بعضهم الفناء فناء عن الخلق و هو عندهم على طبقات منها الفناء عن الفناء و أوصله بعضهم إلى سبع طبقات فاعلموا أيدنا الله و إياكم بروح القدس أن الفناء لا يكون إلا عن كذا كما إن البقاء لا يكون إلا بكذا و مع كذا فعن للفناء لا بد منه و لا يكون الفناء في هذا الطريق عند الطائفة إلا عن أدنى بأعلى و أما الفناء عن الأعلى فليس هو اصطلاح القوم و إن كان يصح لغة فأما الطبقة الأولى في الفناء فهي إن تفني عن المخالفات فلا تخطر لك ببال عصمة و حفظا إلهيا و رجال الله هنا على قسمين القسم الواحد رجال لم يقد ر عليهم المعاصي فلا يتصرفون إلا في مباح و إن ظهرت منهم المخالفات المسماة بالمعاصي شرعا في الأمة إلا إن الله وفق هؤلاء فكانوا ممن أذنبوا فعلموا إن لهم ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب فقيل لهم على سماع منهم لهذا القول اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم و كأهل بد ر ففنيت عنهم أحكام المخالفات فما خالفوا فإنهم ما تصرفوا إلا فيما أبيح لهم فإن الغيرة الإلهية تمنع أن ينتهك المقربون عنده حرمة الخطاب الإلهي بالتحجير و هو غير مؤاخذ لهم لما سبقت لهم به العناية في الأزل فأباح لهم ما هو محجور على الغير و سائر من ليس له هذا المقام لا علم له بذلك فيحكم عليه بأنه ارتكب المعاصي و هو ليس بعاص بنص كلام الله المبلغ على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم و كأهل البيت حين أذهب الله عنهم الرجس و لا رجس أرجس من المعاصي و طهرهم تطهيرا و هو خبر و الخبر لا يدخله النسخ و خبر الله صدق و قد سبقت به الإرادة الإلهية فكل ما ينسب إلى أهل البيت مما يقدح فيما أخبر الله به عنهم من التطهير و ذهاب الرجس فإنما ينسب إليهم من حيث اعتقاد الذي ينسبه لأنه رجس بالنسبة إليه و ذلك الفعل عينه ارتفع حكم الرجس عنه في

حق أهل البيت فالصورة واحدة فيهما و الحكم مختلف و القسم الآخر رجال اطلعوا على سر القدر و تحكمه في الخلائق و عاينوا ما قدر عليهم من جريان الأفعال الصادرة منهم من حيث ما هي أفعال لا من حيث ما هي محكوم عليها بكذا أو كذا و ذلك في حضرة النور الخالص الذي منه يقول أهل الكلام أفعال الله كلها حسنة و لا فاعل إلا الله فلا فعل إلا لله و تحت هذه الحضرة حضرتان حضرة السدفة و حضرة الظلمة المحضة و في حضرة السدفة ظهر التكليف و تقسمت الكلمة إلى كلمات و تميز الخير من الشر و حضرة الظلمة هي حضرة الشر الذي لا خير معه و هو الشرك و الفعل الموجب للخلود في النار و عدم الخروج منها و أن نعم فيها فلما عاين هؤلاء الرجال من هذا القسم ما عاينوه من حضرة النور بادروا إلى فعل جميع ما علموا أنه يصدر منهم و فنوا عن الأحكام الموجبة للبعد و القرب ففعلوا الطاعات و وقعوا في المخالفات كل ذلك من غير نية لقرب و لا انتهاك حرمة فهذا فناء غريب أطلعني الله عليه بمدينة فاس و لم أر له ذائقا مع علمي بأن له رجالا و لكن لم ألقهم و لا رأيت أحدا منهم غير أني رأيت حضرة النور و حكم الأمر فيها غير أنه لم يكن لتلك المشاهدة فينا حكم بل أقامني الله في حضرة السدفة و حفظني و عصمني فلي حكم حضرة النور و إقامتي في السدفة و هو عند القوم أتم من الإقامة في حضرة النور فهذا معنى قول بعضهم في الفناء إنه فناء المعاصي «و أما النوع الثاني» من الفناء فهو الفناء عن أفعال العباد بقيام الله على ذلك من قوله أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ فيرون الفعل لله من خلف حجب الأكوان التي هي محل ظهور الأفعال فيها و هو قوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ أي ستره واسع و الأكوان كلها ستره و هو الفاعل من خلف هذا الستر وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ و المثبتون من المتكلمين أفعال العباد خلقا لله يشعرون و لكن لا يشهدون لحجاب الكسب الذي أعمى الله به بصيرتهم كما أعمى بصيرة من يرى الأفعال للخلق حين أوقفه الله مع ما يشاهده ببصره فهذا لا يشعر و هو المعتزلي و ذلك لا يشهد و هو الأشعري فالكل عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً «و أما النوع الثالث» فهو الفناء عن صفات المخلوقين بقوله تعالى في الخبر المروي النبوي عنه كنت سمعه و بصره و كذا جميع صفاته و السمع و البصر و غير ذلك من أعيان الصفات التي للعبد أو الخلق قل كيف شئت و عرف الحق أن نفسه هي عين صفاتهم لا صفته فأنت من حيث صفاتك عين الحق لا صفته و من حيث ذاتك عينك الثابتة التي اتخذها الله مظهرا أظهر نفسه فيها لنفسه فإنه ما يراه منك إلا بصرك و هو عين نظرك فما رآه إلا نفسه و أفناك بهذا عن رؤيته فناء حقيقة شهودية معلومة محققة لا يرجع بعد هذا الفناء حالا إلى حال يثبت لك أن لك صفة محققة ليست عين الحق و صاحب هذا الفناء دائما في الدنيا و الآخرة لا يتصف في نفسه و لا عند نفسه بشهود و لا كشف و لا رؤية مع كونه يشهد و يكشف و يرى و يزيد صاحب هذا الفناء على كل مشاهد وراء و مكاشف أنه يرى الحق كما يرى نفسه لأنك رأيته به لا بك و هذا مشهد عزيز لم أر له بالحال ذائقا فإنه دقيق فمن زعم

أنه ذاقه ثم رجع بعد ذلك إلى حسه و نفسه و أثبت لنفسه صفة ليست هي عين الحق التي علمها فليس عنده خبر بما قاله و لا يعرف من شاهد و لا ما شاهد ثم إن صاحب هذا الفناء مهما فرق بين صفاته في حال الفناء فرأى غير ما سمع و سمع غير ما سعى و سعى غير ما شم و طعم و طعم غير ما علم و علم غير ما قدر و ميز و فرق بين هذه النسب و ادعى أنه صاحب هذا النوع من الفناء فليس هو و إذا توحدت عنده العين فسمع بما به رأى بما به تكلم بما به علم و سعى و شم و طعم و أحس و لم يختلف عليه الإدراك باختلاف الحكم فهو صاحب هذا الفناء ذوقا صحيح الحال «و أما النوع الرابع» من الفناء فهو الفناء عن ذاتك و تحقيق ذلك أن تعلم أن ذاتك مركبة من لطيف و كثيف و أن لكل ذات منك حقيقة و أحوالا تخالف بها الأخرى و أن لطيفتك متنوعة الصور مع الآنات في كل حال و أن هيكلك ثابت على صورة واحدة و إن اختلفت عليه الأعراض فإذا فنيت عن ذاتك بمشهودك الذي هو شاهد الحق من الحق و غير الحق و لا تغيب في هذه الحال عن شهود ذاتك فيه فما أنت صاحب هذا الفناء فإن لم تشهد ذاتك في هذا الشهود و شاهدت ما شاهدت فأنت صاحب هذا النوع من الفناء و إنما قلنا شاهدت ما شاهدت و لم نخصص شهود الحق وحده فإن صاحب هذا الفناء قد يكون مشهوده كونا من الأكوان و هو حال يعصم ذات الإنسان من التأثر أخبرني الأستاذ النحوي عبد العزيز بن زيدان بمدينة فاس و كان ينكر حال الفناء و كان يختلف إلينا و كانت فيه إنابة فلما كان ذات يوم دخل علي و هو فارح مسرور فقال لي يا سيدي الفناء الذي تذكره الصوفية صحيح عندي بالذوق قد شاهدته اليوم قلت له كيف قال أ لست تعلم أن أمير المؤمنين دخل اليوم من الأندلس إلى هذه المدينة قلت له بلى قال اعلم إني خرجت أتفرج مع أهل فاس فأقبلت العساكر فلما وصل أمير المؤمنين و نظرت إليه فنيت عن نفسي و عن العسكر و عن جميع ما يحسه الإنسان و ما سمعت دوي الكوسات و لا صوت طبل مع كثرة ذلك و لا البوقات و لا ضجيج الناس و لا رأيت ببصري أحدا من العالم جملة واحدة سوى شخص أمير المؤمنين ثم إنه ما أزاحني أحد عن مكاني و وقفت في طريق الخيل و ازدحام الناس و ما رأيت نفسي و لا علمت أني ناظر إليه بل فنيت عن ذاتي و عن الحاضرين كلهم بشهودي فيه و لما انحجب عني و رجعت إلى نفسي أخذتني الخيل و ازدحام الناس فازالوني عن موضعي و ما تخلصت من الضيق إلا بشدة و أدرك سمعي الضجيج و أصوات الكوسات و البوقات فتحققت إن الفناء حق و أنه حال يعصم ذات الفاني من أن يؤثر فيه ما فنى عنه هذا يا أخي فناء في مخلوق فما ظنك بالفناء في الخالق فإن شاهدت في هذا الفناء تنوع ذاتك اللطيفة و لم تشاهد معها سواها ففناؤك عنك بك لا بسواك فأنت فإن عن ذاتك و لست فانيا عن ذاتك فإنك لك بك مشهود من حيث لطيفتك و إنك لك بك مفقود من حيث هيكلك فإن شاهدت مركبك في حال هذا الفناء فمشهودك خيال و مثال ما هو عينك و لا غيرك بل حالك في هذا الفناء حال النائم صاحب الرؤيا

«و أما النوع الخامس من الفناء» و هو فناؤك عن كل العالم بشهودك الحق أو ذاتك فإن تحققت من تشهد منك علمت أنك شاهدت ما شاهدته بعين حق و الحق لا يفنى بمشاهدة نفسه و لا العالم فلا تفني في هذه الحال عن العالم و إن لم تعلم من يشهد منك كنت صاحب هذا الحال و فنيت عن رؤية العالم بشهود الحق أو بشهود ذاتك كما فنيت عن ذاتك بشهود الحق أو بشهود كون من الأكوان فهذا النوع يقرب من الرابع في الصورة و إن كان يعطي من الفائدة ما لا يعطيه النوع الرابع المتقدم «و أما النوع السادس من الفناء» فهو إن تفني عن كل ما سوى الله بالله و لا بد و تفني في هذا الفناء عن رؤيتك فلا تعلم أنك في حال شهود حق إذ لا عين لك مشهودة في هذا الحال و هنا يطرأ غلط لبعض الناس من أهل هذا الشأن و أبينه لك إن شاء الله حتى يتخلص لك المقام و إن الله ألهمني لهذا البيان و ذلك أن صاحب هذا الحال إذا فنى عن كل ما سوى الله بشهود الله فيما يقول فلا يخلو في شهوده ذلك إما أن يرى الحق في شئونه أو لا يراه في شئونه فإنه لا يزال في شئون إذ لا غيبة له عن العالم و لا عن أثر فيه فإن شاهده في شئونه فما فنى عن كل ما سوى الله و إن شاهده في غير شئونه بل في غناه عن العالم فهو صحيح الدعوى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و هذا المشهد كان للصديق فإنه قال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فأثبت أنه رآه و لا شيء ثم أقيم في مشهد آخر فرأى صدور الشيء عنه و قد كان رآه و لا شيء فجعل تلك الرؤية قبل هذا الشهود فقال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فقد أبنت لك الأمر على ما هو عليه «و أما النوع السابع من الفناء» فهو الفناء عن صفات الحق و نسبها و ذلك لا يكون إلا بشهود ظهور العالم عن الحق لعين هذا الشخص لذات الحق و نفسه لا لأمر زائد يعقل و لكن لا من كونه علة كما يراه بعض النظار و لا يرى الكون معلولا و إنما يراه حقا ظاهرا في عين مظهر بصورة استعداد ذلك المظهر في نفسه فلا يرى للحق أثرا في الكون فما يكون له دليل على ثبوت نسبة و لا صفة و لا نعت فيفنيه هذا الشهود عن الأسماء و الصفات و النعوت بل إن حققه يرى أنه محل التأثر حيث أثر فيه استعداد الأعيان الثابتة من أعيان الممكنات و مما يحقق هذا كونه تعالى وصف نفسه في كتابه و على ألسنة رسله بما وصف به المخلوقات المحدثات و إما أن تكون هذه الصفات في جنابه حقا ثم نعتنا بها و إما أن تكون لنا حقا و نعت نفسه بها توصلا لنا و خبره بها صدق لا كذب و إن كنا نحن فيها الأصل فهو مكتسب و إن كان هو الأصل فقد كسبنا إياها و هذه من أغمض نتائج العلم بالله فإنه أضاف إليه نعوت المحدثات كلها بأخبار قديم أزلي فمنها ما أشار به في أخباره بأنه مكتسب لبعضها مثل قوله وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و منها ما ذكره و لم يقيد باكتساب و لا غيره و من هذا الباب أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ و ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و اسئلوني أعطكم و استغفروني أغفر لكم و فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و أما قولهم الفناء عن الفناء فما هو نوع ثامن و إنما هو الفاني إذا لم يعلم في فنائه إنه فإن فذلك الفناء عن الفناء كصاحب الرؤيا الذي لا يعلم أنه في رؤيا فهو حال تابع في كل نوع يقوم من أنواع الفناء و حال الفناء لا ينال

بتعمل أي لا يقصد و أدناه درجة حكمه في المتفكر فإذا استغرق الإنسان الفكر في أمر ما من أمور الدنيا أو في مسألة من العلم فتحدثه و لا يسمعك و تكون بين يديه و لا يراك و ترى في عينه جمودا في تلك الحالة فإذا عثر على مطلوبه أو طرأ أمر يرده إلى إحساسه حينئذ يراك و يسمعك فهذه أدنى درجاته في العالم و سبب ذلك ضيق المحدث فإنه لا شيء أوسع من حقيقة الإنسان و لا شيء أضيق منها فأما اتساع القلب فإنه لا يضيق عن شيء و لكن عن شيء واحد و أما ضيقه فإنه لا يسع خاطرين معا فإنه أحدي الذات فلا يقبل الكثرة فهو من حيث هذه الحقيقة في الحكم الإلهي في معنى قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و في الرتبة الأخرى في قوله فأحببت إن أعرف و هذا القدر كاف في معرفة هذا الباب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و العشرون و مائتان في معرفة البقاء و أسراره»

إذا رأيت قيام الله جل على ... كل النفوس بما فيها من الأثر

ذاك البقاء الذي قال الرجال به ... و أنت باق به إن كنت ذا نظر

فكن به لا تكن بالفكر متصفا ... فإنما الغير مشتق من الغير

و أين غير و ما في الكون أجمعه ... سوى الوجود الذي تدعوه بالبشر

فإنه اسم يعم الكون أجمعه ... عينا و علما فلا تخرج عن الصور

اعلم أن البقاء عند بعض الطائفة بقاء الطاعات كما كان الفناء فناء المعاصي عند صاحب هذا القول و عند بعضهم البقاء بقاء رؤية العبد قيام الله على كل شيء و هذا قول من قال في الفناء إنه فناء رؤية العبد فعله بقيام الله تعالى على ذلك و عند بعضهم البقاء بقاء بالحق و هو قول من قال في الفناء إنه فناء عن الخلق اعلم أن نسبة البقاء عندنا أشرف في هذا الطريق من نسبة الفناء لأن الفناء عن الأدنى في المنزلة أبدا عند الفاني و البقاء بالأعلى في المنزلة أبدا عند الباقي فإن الفناء هو الذي أفناك عن كذا فله القوة و السلطان فيك و البقاء نسبتك إلى الحق و إضافتك إليه أعني البقاء في هذا الطريق عند أهل الله فيما اصطلحوا و الفناء نسبتك إلى الكون فإنك تقول فنيت عن كذا و نسبتك إلى الحق أعلى فالبقاء في النسبة أولى لأنهما حالان مرتبطان فلا يبقى في هذا الطريق إلا فإن و لا يفنى إلا باق و الموصوف بالفناء لا يكون إلا في حال البقاء و الموصوف بالبقاء لا يكون إلا في حال الفناء ففي نسبة البقاء شهود حق و في نسبة الفناء شهود خلق لأنك لا تقول فنيت عن كذا إلا مع تعقلك من فنيت عنه و نفس تعقلك إياه هو نفس شهودك إياه إذ لا بد من إحضاره في نفسك لتعقل حكم الفناء عنه و كذلك البقاء لا بد من شهود من أنت باق به و لا يكون البقاء في هذا الطريق إلا بالحق فلا بد من شهود

الحق فإنه لا بد من إحضارك إياه في قلبك و تعقلك إياه فحينئذ تقول بقيت بالحق و هذه النسبة أشرف و أعلى لعلو المنسوب إليه فحال البقاء أعلى من حال الفناء و إن تلازما و كانا للشخص في زمان واحد فلا خفاء عند ذي نظر سليم في الفرق بين النسبتين في الشرف و المنزلة «شرح هذا المقام يتضمنه شرح باب الفناء» و ذلك أن ننظر في كل نوع من أنواع الفناء إلى السبب الذي أفناك عن كذا فهو الذي أنت باق معه هذا جماع هذا الباب إلا أن هنا تحقيقا لا يكون إلا في الفناء و ذلك أن البقاء نسبة لا تزول و لا تحول حكمه ثابت حقا و خلقا و هو نعت إلهي و الفناء نسبة تزول و هو نعت كياني لا مدخل له في حضرة الحق و كل نعت ينسب إلى الجانبين فهو أتم و أعلى من النعت المخصوص بالجانب الكوني إلا العبودة فإن نسبتها إلى الكون أتم و أعلى من نسبة الربوبية و السيادة إليه فإن قلت فالفناء راجع إلى العبودة و لازم قلنا لا يصح أن يكون كالعبودة فإن العبودة نعت ثابت لا يرتفع عن الكون و الفناء قد يفنيه عن عبودته و عن نفسه فحكمه يخالف حكم العبودة و كل أمر يخرج الشيء عن أصله و يحجبه عن حقيقته فليس بذلك الشرف عند الطائفة فإنه أعطاك الأمر على خلاف ما هو به فألحقك بالجاهلين و البقاء حال العبد الثابت الذي لا يزول فإنه من المحال عدم عينه الثابتة كما أنه من المحال اتصاف عينه بأنه عين الوجود بل الوجود نعته بعد أن لم تكن و إنما قلنا هذا لأن الحق هو الوجود و لا يلزم أن تكون الصفة عين الموصوف بل هو محال و العبد باقي العين في ثبوته ثابت الوجود في عبودته دائم الحكم في ذلك إِنْ كُلُّ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ فنحن عنده و هو عندنا فالحق النفاد و البقاء بمن ألحقته هذه الآية و النفاد فناء و البقاء نعت الوجود من حيث جوهره و الفناء نعت العرض من حيث ذاته بل نعت سائر المقولات ما عدا الجوهر و قد أومأنا إلى ما فيه غنية لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ لخطاب الحق وَهُوَ شَهِيدٌ

«الباب الثاني و العشرون و مائتان في معرفة الجمع و أسراره»

إذا سمعت بحق أو نظرت به ... فهو السميع البصير الواحد الأحد

و أنت لا فيه و الأعيان قائمة ... و النفس و العقل و الأرواح و الجسد

فإن أخذت بجمع الجمع تصحبه ... به فأنت هناك السيد الصمد

و إن علمت بهذا و اتصفت به ... حالا عليك جميع الأمر ينعقد

اعلم أن الجمع عند بعض الطائفة إشارة من أشار إلى حق بلا خلق و قال أبو علي الدقاق الجمع ما سلب عنك و قالت طائفة منهم الجمع ما أشهدك الحق من فعله بك حقيقة و قال قوم الجمع مشاهدة المعرفة و حجته إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قال بعضهم الجمع إثبات الخلق قائما

بالحق و جمع الجمع الفناء عن مشاهدة كل شيء سوى الحق و قال بعضهم الجمع شهود الأغيار بالله و جمع الجمع الاستهلاك بالكلية و فناء الإحساس بما سوى الله عند غلبات الحقيقة و قال بعضهم الجمع مشاهدة تصريف الحق الكل و من نظم القوم في الجمع و الفرق

جمعت و فرقت عني به ففرط التواصل مثنى العدد

فهذا قد ذكرنا بعض ما وصل إلينا من قولهم في الجمع و جمع الجمع و الجمع عندنا أن تجمع ما له عليه مما وصفت به نفسك من نعوته و أسمائه و تجمع مالك عليك مما وصف الحق به نفسه من نعوتك و أسمائك فتكون أنت أنت و هو هو و جمع الجمع أن تجمع ما له عليه و ما لك عليه و ترجع الكل إليه وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ فما في الكون إلا أسماؤه و نعوته غير أن الخلق ادعوا بعض تلك الأسماء و النعوت و مشي الحق دعواهم في ذلك فخاطبهم بحسب ما ادعوه فمنهم من ادعى في الأسماء المخصوصة به تعالى في العرف و منهم من ادعى في ذلك و في النعوت الواردة في الشرع مما لا يليق عند علماء الرسوم إلا بالمحدثات و أما طريقنا فما ادعينا في شيء من ذلك كله بل جمعناها عليه غير أنا نبهنا أن تلك الأسماء حكم آثار استعداد أعيان الممكنات فيه و هو سر خفي لا يعرفه إلا من عرف إن الله هو عين الوجود و أن أعيان الممكنات على حالها ما تغير عليها وصف في عينها و يكفي العاقل السليم العقل قولهم الجمع فإنه لفظ مؤذن بالكثرة و التمييز بين الأعيان الكثيرة فمن حيث التمييز كان الجمع عين التفرقة و ليست التفرقة عين الجمع إلا تفرقة أشخاص الأمثال فإنه جمع و تفرقة معا و إن الحد و الحقيقة بجمع الأمثال كالإنسانية و أشخاص ذلك النوع يتصفون بالتفرقة فزيد ليس بعمرو و إن كان كل واحد منهما إنسانا و هكذا جميع الأمثال و أشخاص النوع الواحد قال تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على وجوه كثيرة قد علم الله ما يؤول إليه قول كل متاول في هذه الآية و أعلاها قولا أي ليس في الوجود شيء يماثل الحق أو هو مثل للحق إذ الوجود ليس غير عين الحق فما في الوجود شيء سواه يكون مثلا له أو خلافا هذا ما لا يتصور فإن قلت فهذه الكثرة المشهودة قلنا هي نسب أحكام استعدادات الممكنات في عين الوجود الحق و النسب ليست أعيانا و لا أشياء و إنما هي أمور عدمية بالنظر إلى حقائق النسب فإذا لم يكن في الوجود شيء سواه فليس مثله شيء لأنه ليس ثم فافهم و تحقق ما أشرنا إليه فإن أعيان الممكنات ما استفادت إلا الوجود و الوجود ليس غير عين الحق لأنه يستحيل أن يكون أمرا زائدا ليس الحق لما يعطيه الدليل الواضح فما ظهر في الوجود بالوجود إلا الحق فالوجود الحق و هو واحد فليس ثم شيء هو له مثل لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان فالجمع على الحقيقة كما قررناه أن تجمع الوجود عليه فيكون هو عين الوجود و تجمع حكم ما ظهر من العدد و التفرقة على أعيان الممكنات إنها عين استعداداتها فإذا علمت هذا فقد علمت معنى الجمع و جمع الجمع و وجود الكثرة و ألحقت الأمور بأصولها و ميزت بين الحقائق و أعطيت كل شيء

حكمه كما أعطى الحق كل شيء خلقه فإن لم تفهم الجمع كما ذكرناه فما عندك خبر منه و أما إشارات الطائفة التي سردناها فإن لهم في ذلك مقاصد أذكرها إن شاء الله مع معرفتهم بما ذهبنا إليه أو معرفة الأكابر منهم و أما قول من قال منهم إن الجمع حق بلا خلق فهو ما ذهبنا إليه أن الحق هو عين الوجود غير أنه ما تعرض لما أعطته استعدادات أعيان الممكنات في وجود الحق حتى اتصف بما اتصفت به و أما قول الدقاق في الجمع إنه ما سلب عنك فإنه يقتضي مقامه أن يريد سلب ما وقعت فيه الدعوى منك و هو له كالتخلق بالأسماء الحسنى و نسبة الأفعال إليك و هي له هذا يعطيه حال الدقاق لا الكلام فإنه لو قال غيره هذه الكلمة ربما قالها على أنه يريد بقوله ما سلب عنك عين الوجود فإنه الذي سلب عنك إذ كان عين الوجود و أما قول الآخر إن الجمع ما أشهدك الحق من فعله بك حقيقة فإنه يريد أنك محل لجريان أفعاله و الأمر في الحقيقة بالعكس بل هو المنعوت بحكم آثار استعدادات أعيان الممكنات فيه إلا أن يريد بقوله من فعله بك أي بك ظهر الفعل و لم يتعرض لذكر فيمن ظهر الأثر فقد يمكن أن يريد ذلك و هو ما ذهبنا إليه و ما تعطيه الحقائق فلو علمنا من هو صاحب هذا القول حكمنا عليه بحاله كما حكمنا علي الدقاق لمعرفتنا بمقامه و حاله و أما قول من قال الجمع مشاهدة المعرفة فاعلم إن المعرفة بالله تعطي أن للعبد نسبة إلى العمل صحيحة أثبتها الحق و لذلك كلفه بالأعمال و للحق تعالى نسبة إلى العمل أثبتها الحق لنفسه و شرع لعبده أن يقول في عمله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قال موسى كليم الله و أعلم الخلق بالله رسل الله فقال لقومه اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا و لا فرق عندنا بين ما يقوله الله أو يقوله رسول الله من نعت الله في الصحة و النسبة إليه و قال الله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي ثم فصل سبحانه و بين ما يقول العبد و يقول الله فنسب القول إلى العبد نسبة صحيحة و القول عمل و هو طلب العون من الله في عمله ذلك فصحت المشاركة في العمل فهذا قد جمعت في العمل بين الله و بين العبد فهذا معنى الجمع فقد قررت إن عين العبد مظهر بفتح الهاء و أن الظاهر هو عين الحق و أن الحق أيضا عين صفة العبد و بالصفة وجد العمل و الظاهر هو العامل فإذا ليس العمل إلا لله خاصة قلنا و عند ما قررنا ما ذكرته قررنا أيضا أن عين العبد لها استعداد خاص مؤثر في الظاهر و هو الذي أدى إلى اختلاف الصور في الظاهر الذي هو عين الحق فذلك الاستعداد جعل الظاهر أن يقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يخاطب ذلك الظاهر بأثر استعداد هذا العين المصلية حكم الاسم المعين أن يعينه على عمله فإن عين الممكن إذا كان استعداده يعطي عجزا و ضعفا ظهر حكمه في الظاهر فقول الظاهر هو لسان عين الممكن بل قول الممكن بلسان الظاهر كما أخبر الحق أنه قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فأعطت المعرفة أن تجمع العمل على عامله لما وقع في ذلك من الدعاوي بما قد ذهب إليه أصحاب النظر القائلين بإضافة الأفعال إلى العباد مجردة و القائلين بإضافة الأفعال إلى الله مجردة و الحق بين الطائفتين أي بين القولين فللعبد إلى العمل نسبة على صورة ما قررناها من أثر استعداد

عين الممكن في الظاهر و للحق نسبة إلى العمل على صورة ما قررناه من قبول الظاهر لتأثير العين فيه فإن العبد قال على لسان أثره في الظاهر إِيَاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَاكَ نَسْتَعِينُ و هذا مذهبنا في الجمع فإن كان صاحب القول في الجمع أراد أنه مشاهدة المعرفة و يعرف معنى مشاهدة المعرفة فهو على ما قلناه فنحن إنما تكلمنا على معنى مشاهدة المعرفة لا على مقام قائلها إذ لهذه اللفظة وجوه نازلة عما ذهبنا إليه في شرحها فشرحناها على أتم الوجوه و أكملها و هو الذي الأمر عليه في نفسه و من أجل بعض تلك الوجوه اعترضنا على قائل هذه اللفظة في مختصر هذا الكتاب و إلى ما قررناه و ذهبنا إليه في الجمع ترجع أقوال الجماعة التي ذكرناها و حكيناها في أول الباب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و العشرون و مائتان في معرفة حال التفرقة»

إذا اجتمعت فقد أثبت تفرقة كما تحققت قرآنا و فرقانا
و العين واحدة و الحكم مختلف و قد أقمت على ما قلت برهانا
فالجمع و الفرق حال ناقص أبدا فاعدل و كن واحدا إن كنت إنسانا
و ألزم طريقة جبريل و صاحبه إذ قررا لك إسلاما و إيمانا
و تم جاء بما قد صح بعدهما فقررا لك إحسانا و إحسانا
فتلك أربعة لا خامس لها سوى المؤيد جل الحق سبحانا

اعلم أن التفرقة عند بعض القوم إشارة من أشار إلى خلق بلا حق و عند أبي علي الدقاق الفرق ما ينسب إليك و عند بعضهم الفرق ما أشهدك الحق من أفعالك أدبا و عند بعضهم الفرق مشاهدة العبودية و قيل الفرق إثبات الخلق و قيل التفرقة شهود الأغيار لله و قيل التفرقة مشاهدة تنوع الخلق في أحوالهم و مستند مقام التفرقة من العلم الإلهي نعت الحق سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و هو انقضاء المدة التي سبق في علم الله مقدارها و هو زمان الحياة الدنيا في كل شخص شخص و اعلم أن أصل الأشياء كلها التفرقة و أول ما ظهرت في الأسماء الإلهية فتفرقت أحكامها بتفرق معانيها حتى لو نظر الإنسان فيها من حيث دلالتها كلها على العين مع الفرقان المعلوم بين معانيها التي يعقل فيها من أنه سميت هذه العين بكذا لكذا و لا سيما إذا كانت الأسماء تجري مجرى النعوت على طريق المدح و التفرقة أظهر و بالتفرقة تعرف إلينا سبحانه فقال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قال أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ففرق بين من يخلق و من لا يخلق و حدود الأشياء أظهرته التفرقة بين الأشياء و بالتفرقة ظهرت المقامات و الأحوال و كثرت مراتب الخلق و تميزت بها فلله ثمانون عبدا حققهم بحقائق

الايمان و لله مائة عبد حققهم بحقائق النسب الإلهية و الأسماء و لله ستة آلاف عبد و يزيدون حققهم بحقائق النبوة المحمدية و لله ثلاثمائة عبد حققهم بحقائق الأخلاق الإلهية ففرق عز و جل بين عباده بالمراتب و عين الجمع هو عين التفرقة إذ هو دليل على الكثرة و إنما سمي جمعا من أجل العين الواحدة التي تجمع هذه التفرقة فقول من قال في التفرقة إنها إشارة من أشار إلى خلق بلا حق فمشهوده ما أعطته الحدود و الحدود لم يكن لها ظهور إلا في الخلق إذ كان الحق لا يعرف لأنه الغني عن العالمين أي هو المنزه عن إن تدل عليه علامة فهو المعروف بغير حد المجهول بالحد و الحدود أظهرت التفرقة بين الخلق و كل إنسان من أهل الذوق لا يتعدى في أخباره منزلة شهوده و ذوقه لأنهم أهل صدق لا يخبرون أبدا إلا عن شهود لا عن خبر و أما قول الدقاق الفرق ما نسبت إليك فهو ما ذكرناه فإنه ما نسب إليك إلا الحدود إذ الحق لا ينسب إليه حد و جميع ما ينسب إلى العبد فما له إلى الفناء و العدم و ما ينسب إلى الحق فما له إلى البقاء و الوجود فكن ممن ينسب إلى الحق و لا ينسب إلى الخلق و هو معنى قوله تعالى ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ فوصف بالنفاد ما نسبه إلينا و ما لفظة تدل على كل شيء كذا قاله سيبويه وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ فمن كان عند الله منا صح له البقاء و من كان عند الخلق صح له النفاد ألا ترى من هو عبد لغير الله من المماليك إذا جاء الموت ارتفع الملك إذا كان للسيد عليه فنفد فكل ما نسب إلى المخلوق فإنه ينفد بالموت أو بالشهادة و كل ما ينفد فقد فارق من كان عنده و هذا لا يوجد في الحق فإنه لا يفارقه شيء لأنه معنا و إليه تصير الأمور فهذا معنى قوله الفرق ما ينسب إليك و أما قول من قال الفرق ما أشهدك الحق من أفعالك أدبا يشير إلى الأفعال التي لا يعطي الأدب أن تنسب إلى الله و إن كانت من الله لا إلى الأفعال التي تنسب إلى الله أدبا و حقيقة و أفعال العباد لا بقاء لها عند العبد سوى زمان وجودها خاصة و تزول عنه في الزمان الذي يلي زمان وجودها فهذا معنى قول الدقاق فاجتمعا في المعنى غير أن هذا القائل خصص بعض الأفعال بقوله أدبا فإذا نسبت أعيان هذه الأفعال إلى الله اتصفت بالبقاء لا لأعيانها بل لكونها مشهودة لله وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ كما يبقى الفعل عندك ما دام مشهودا لك فإذا لم تشهده زال عينه عن شهودك و لهذا قال ما أشهدك الحق من أفعالك و لم يتعرض لما يشهدك كما أنه لم يتعرض إلى المحمود من أفعالك مع كونه ينسب إليك فقال أدبا و أما قول من قال الفرق مشاهدة العبودية فإنه نسب العبد إلى الصفة القائمة به و لا ينبغي أن تنسب إلا إلى الله و العبودية صفة للعبد فمن شاهد عبوديته كان لمن شاهد و لهذا ينسب عباد الله إلى العبودة لا إلى العبودية فهم عبيد الله من غير نسبة بخلاف نسبتهم إلى العبودية فإن الحق لا يقبل نسبة العبودية لأنه عين صفة العبد لا عين العبد فمن شاهد العبودية فلم يشاهد كونه عبدا لله ففرق بين ما ينسب إلى الصفة و بين ما يضاف إلى الله قال أهل اللسان رجل بين الخصوصية و الخصوصة و بين العبودية و العبودة و العبودية نسبة إليها و العبودة نسبة إلى السيد و أما قول من قال الفرق إثبات الخلق فهو كما تقدم في

معنى قولهم إشارة إلى خلق بلا حق غير أن بينهما فرقانا فإنه قال إثبات الخلق و لم يقل وجود الخلق لأن عين وجود الخلق عين وجود الحق و الخلق من حيث عينه هو ثابت و ثبوته لنفسه أزلا و اتصافه بالوجود أمر حادث طرأ عليه قد عرفناك بما يعقل من هذه اللفظة فقوله إثبات الخلق أي في الأزل وقع الفرق بين الله و الخلق فليس الحق هو عين الأعيان الثابتة بخلاف حال اتصافها بالوجود فهو تعالى عين الموصوف بالوجود لا هي فلهذا قال هذا القائل في الفرق إنه إثبات الخلق و أما قول من قال إن الفرق شهود الأغيار لله أراد من أجل الله فهذه لام العلة فيشاهد في عين وجود الحق أحكام الأعيان الثابتة فيه فلا يظهر إلا بحكمها و لهذا ظهرت الحدود و تميزت مراتب الأعيان في وجود الحق فقيل أملاك و أفلاك و عناصر و مولدات و أجناس و أنواع و أشخاص و عين الوجود واحد و الأحكام مختلفة لاختلاف الأعيان الثابتة التي هي أغيار بلا شك في الثبوت لا في الوجود فافهم و أما قول من قال التفرقة شهود تنوعهم في أحوالهم يريد ظهور أحكامهم في وجود الحق فإنها متنوعة و الحق لا يقبل التنوع فثبت إن ذلك حكم الأعيان و المشهود لهذا العبد التنوع فالمشهود له الأعيان ففرق بينها و بين الوجود و أما قول من قال في التفرقة

جمعت و فرقت عني به ففرط التواصل مثنى العدد

فإنه أراد ظهور الواحد في مراتب الأعداد فظهرت أعيان الاثنين و الثلاثة و الأربعة إلى ما لا يتناهى بظهور الواحد و هذه غاية الوصلة أن يكون الشيء عين ما ظهر و لا يعرف أنه هو كما رأيت النبي صلى الله عليه و سلم في المنام و قد عانق أبا محمد ابن حزم المحدث فغاب الواحد في الآخر فلم نر إلا واحدا و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فهذه غاية الوصلة و هو المعبر عنه بالاتحاد أي الاثنين عين للواحد ما في الوجود أمر زائد كما إن زيدا هو عين عمرو بل عين أشخاص هذا النوع الإنساني في الإنسانية فهو هو من حيث الإنسانية و ليس هو هو من حيث الشخصية فانعطاف الواحد بنفسه على مرتبة الاثنين هو عين ظهور الاثنين و ما ثم سوى عين الواحد و هكذا ما بقي من الأعداد التي لا تتناهى فتحقق معنى التفرقة إن كنت ذا لب سليم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و العشرون و مائتان في معرفة عين التحكم»

عين التحكم عند القوم التصرف لإظهار الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء و هذا ضرب من الشطح و قريب منه لما يتوهم من دخول النفس فيه إلا أن يكون عن أمر إلهي فلا مؤاخذة على صاحبه فيه

مهما تحكم عارف في خلقه عن غير أمر فالرعونة قائمه

ترك التحكم نعت كل محقق لزم الحياء و لو أتته راغمه

ما للرجال الصم أعيان الورى المصطفين له نفوس حاكمة

بل هم عبيد لم يزالوا خشعا في كل حال فالشهادة دائمة

إن التحكم في الحجاب مقامه خلف الستور المرسلات المظلمة

فإذا كان عن أمر إلهي بتعريف فالإنسان فيه عبد ممتثل أمر سيده بطريق الوجوب فإن عرض عليه عين التحكم من غير أمر عرض الأمانة و قبله فليس هناك بل مرتبته مرتبته في قبول الأمانة المعروضة التي قال الله فيمن حملها إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا ظلوما لنفسه جهولا بقد ر ما تحمل لأنه جهل ما في علم الله فيه هل هو مما يؤدي الأمانة إلى أهلها أم لا فعين التحكم مخصوص بالرسل في إظها ر المعجزات و التحدي بها عن الأمر الإلهي فإنهم مرسلون بالدلالات على أنهم رسل اللهفهم مخبرون بالحال أنهم المصطفون الأخيا ر لا بالقصد ثم قد يقع منهم بعد ثبوت الرسالة قول خا رج عن مقتضى الدلالة و لا يكون منهم إلا عن أمر إلهي يؤذن ذلك القول بمرتبة القائل عند الله مثل قوله صلى الله عليه و سلم أنا سيد الناس يوم القيامة فلما كان في قوة هذا اللفظ إظها ر الخصوصية عند الله و من هو مشغول بالله ما عنده فراغ لمثل هذا و من شغل أهل الله بالله امتثال أمر الله فأخبر عليه السلام حين عم فقال و لا فخر أي ما قصدت الفخر أي هكذا أمرت أن أعرفكم فإن العا رف كيف يفتخر و المعرفة تمنعه و مشاهدة الحق تشغله و لا يظهر مثل هذا ممن ليس بمأمور به إلا عن رعونة نفس أو فناء لغلبة حال يستغفر الله من ذلك إذا فا رقه ذلك الحال الذي أفناه و قد يظهر مثل هذا من صاحب الغيرة خاصة و هو مذهب شيخنا أبي مدين و قد ظهر منه مثل ذلك من باب الغيرة فلا يدل على إظها ر الخصوصية و ذلك بأن يرى الإنسان دعوة الرسل ترد و يتوقف في تصديقها و لا سيما عند من ينفي النبوة التي نثبتها فيقوم هذا العبد مقام وجود الرسول فيدعي ما يدعيه الرسول من إقامة الدلالة على صدق الرسول في رسالته نيابة عنه فيأتي بالأمر المعجز على طريق التحدي للرسول لا لنفسه فيظهر منه ذلك و هذا لا يدل على مقام الخصوصية عند الله فهو خا رج عن عين التحكم و ليس بخا رج من حيث ما هو تحكيم لكنه خا رج من حيث ما هو تحكيم خاص و قد يكون عين التحكيم في رجل يكون له مقام الإدلال مع الحق و يكون عنده تعريف إلهي بمقامه المعلوم كالملائكة في قوله تعالى عنهم وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ فأثنوا على أنفسهم بعد معرفتهم و تعريفهم بمقامهم فلا ينقصهم هذا الثناء و لا يحط مرتبتهم و إذا لم يؤثر عين التحكيم في المقام فلا بأس به و تركه أعلى لأنه على كل حال فراغ و ما وقع مثل هذا من جبريل إلا لكونه معلما رسول الله صلوات الله عليهما و المعلم ينبه التلميذ بمرتبته لتعلو همته ليلحق بمعلمه و منهم من يبلغ في التحكيم أن يقسم على الله في أمر فيبر الحق قسمه و مع هذا يستغفر الله فلو لا إن فيه را ئحة ما استغفر و الحكايات في التحكيم عن الصالحين كثيرة و

لا سيما ما يحكى عن عبد القادر الجيلي رحمه الله كان ببغداد أدركناه بالسن و كالذي سجد و حلف أن لا يرفع رأسه من سجدته حتى ينزل الغيث فأبر الله قسمه و كالذي وقف على رأس بئر و قد عطش و لم يكن له حبل و لا ركوة فقال لئن لم تسقني لأغضبن ففاض الماء على فم البئر فسئل على من تغضب فقال على نفسي فامنعها الماء و أما عين التحكيم عندنا فأمر هين في شهود المعرفة فإن التحكيم للظاهر في المظهر فما تحكم إلا من له التحكم فمهما ظهر الظاهر به دل على إن استعداد المظهر أعطى هذا فيفرق بينه و بين ما يعطيه مظهر آخر من عدم التحكيم و هذه طريقة انفردنا بإظهارها في الوجود لأنها تقرب على أهل الله مأخذ الأمور و لا تستعظم شيئا مما ظهر فإنه ما ظهر إلا ممن له الْأَمْرُ من قَبْلُ وَمن بَعْدُ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و العشرون و مائتان في معرفة الزوائد»

اعلم أن الزوائد في اصطلاح الصوفية من أهل الله تعالى زيادات الايمان بالغيب و اليقين

إذا ما أنزلت بالنور سورة يزيد المؤمنون بها سرورا
فعلم الغيب أنفس كل علم و كان العلم أجمعه حضورا
و إدراك الغيوب بلا دليل سوى الرحمن لا يعطي ثبورا
و ما للغيب عند الحق عين و لو جلى لك الاسم الخبيرا
لقد حجب العباد و كل عقل بحتى نعلم الجلد الصبورا

قال الله تعالى وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ من يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ فلا بد من الزوائد في الفريقين و هي الشئون التي الحق عليها و فيها في كل يوم أي في كل نفس الذي هو أصغر الأيام غير إن الزوائد التي اصطلح عليها أهل الله هي ما تعطي من ذلك سعادة خاصة و علما بغيب يزيده يقينا مثل قوله رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي يقول بلى آمنت و لكن وجوه الأحياء كثيرة متنوعة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته عن كن و منهم من أوجدته بيدك و منهم من أوجدته بيديك و منهم من أوجدته ابتداء و منهم من أوجدته عن خلق آخر فتنوع وجود الخلق و إحياء الخلق بعد الموت إنما هو وجود آخر في الآخرة فقد يتنوع و قد يتوحد فطلبت العلم بكيفية الأمر هل هو متنوع أو واحد فإن كان واحدا فأي واحد هو من هذه الأنواع فإذا أعلمتني به اطمأن قلبي و سكن بحصول ذلك الوجه و الزيادة من العلم مما أمرت بها قال تعالى آمرا وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فأحاله على الكيفية بالطيور الأربعة التي هي مثال الطبائع

الأربع إخبارا بأن وجود الآخرة طبيعي يعني حشر الأجساد الطبيعية إذ كان ثم من يقول لا تحشر الأجسام و إنما تحشر النفوس بالموت إلى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله إبراهيم أن الأمر ليس كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه أعلاما أن الطبائع لو لم تكن مشهودة معلومة مميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعي إلا من شيء معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضها إلى بعض فأظهر الجسم على هذا الشكل الخاص فأبان لإبراهيم بإحالته على الأطيار الأربعة وجود الأمر الذي فعله الحق في إيجاد الأجسام الطبيعية و العنصرية إذ ما ثم جسم إلا طبيعي أو عنصري فأجسام النشأة الآخرة في حق السعداء طبيعية و أجسام أهل النار عنصرية لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ فلو فتحت خرجوا عن العناصر بالترقي و أما حشر الأرواح التي يريد أن يعقلها إبراهيم من هذه الدلالة التي أحاله الحق عليها في الطيور الأربعة فهي في الإلهيات كون العالم يفتقر في ظهوره إلى إله قادر على إيجاده عالم بتفاصيل أمره مريد إظهار عينه حي لثبوت هذه النسب التي لا تكون إلا لحي فهذه أربعة لا بد في الإلهيات منها فإن العالم لا يظهر إلا ممن له هذه الأربعة فهذه دلالة الطيور له عليه السلام في الإلهيات في العقول و الأرواح و ما ليس بجسم طبيعي كما هي دلالة على تربيع الطبيعة لإيجاد الأجسام الطبيعية و العنصرية ثم قوله فَصُرْهُنَّ أي ضمهن و الضم جمع عن تفرقة و بضم بعضها إلى بعض ظهرت الأجسام ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ و هو ما ذكرناه من الصفات الأربع الإلهيات و هي أجبل لشموخها و ثبوتها فإن الجبال أوتاد ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً و لا يدعى إلا من يسمع و له عين ثابتة فأقام له الدعاء بها مقام قوله كن في قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فزاد يقينه طمأنينة بعلمه بالوجه الخاص من الوجوه الإمكانية و من الزوائد وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ فتزيد علما لم يكن عندك بعلمك إياه الحق تعالى تشريفا منحك إياه التقوى فمن جعل الله وقاية حجبه الله عن رؤية الأسباب بنفسه فرأى الأشياء تصدر من الله و قد كان هذا العلم مغيبا عنك فأعطاك العلم به زيادة الايمان بالغيب الذي لو عرض على أغلب العقول لردته ببراهينها فهذه فائدة هذا الحال و من الزوائد أن تعلم أن حكم الأعيان ليس نفس الأعيان و أن ظهور هذا الحكم في وجود الحق و ينسب إلى العبد بنسبة صحيحة و ينسب إلى الحق بنسبة صحيحة فزاد الحق من حيث الحكم حكما لم يكن عليه و زاد العين إضافة وجود إليه لم تكن يتصف به أزلا فانظر ما أعجب حكم الزوائد و لهذا عمت الفريقين فزادت السعيد إيمانا و زادت الشقي رجسا و مرضا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و العشرون و مائتان في معرفة الإرادة»

الإرادة عند القوم لوعة يجدها المريد من أهل هذه الطريقة تحول بينه و بين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده

لوعة في القلب محرقة هي بدء الأمر لو علموا

فلهذا حن صاحبها للذي عنه العباد عموا

فإذا يبدو لناظره يعتريه البهت و الصمم

فتراه دائما أبدا بلهيب النار يصطلم

كل شيء عنده حسن و بهذا كلهم حكموا

و الإرادة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإرادة و ذلك قوله أريد أن لا أريد فأراد محو الإرادة من نفسه و قال هذا القول في حال قيام الإرادة به ثم تمم و قال لأني أنا المراد و أنت المريد يخاطب الحق و ذلك أنه لما علم إن الإرادة متعلقها العدم و المراد لا بد أن يكون معدوما لا وجود له و رأى أن الممكن عدم و إن اتصف بالوجود لذلك قال أنا المراد أي أنا المعدوم و أنت المريد فإن المريد لا يكون إلا موجودا و أما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله و هي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية فتحصل له المعرفة بالله ذوقا و تعليما إلهيا فيما لا يمكن ذوقه و هو قوله وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قالت المشايخ في الإرادة إنها ترك ما عليه العادة و قد تكون عادة زيد ما هي عادة عمرو فيترك عمرو عادته بعادة زيد لأنها ليست عادة له ثم اعلم في مذهبنا إنك إذا علمت أن الإرادة متعلقها العدم و علمت إن العلم بالله مراد للعبد و علمت أنه لا يحصل العلم به على ما يعلم الله به نفسه لأحد من المخلوقين مع كون الإرادة من المخلوقين لذلك موجودة فالإرادة للعبد ما دام في هذا المقام لازمة لازم حكمها و هو التعلق بالمعدوم و العلم بالله كما قلنا لا يصح وجوده فالعبد حكم الإرادة فيه أتم من كونها فيمن يدرك ما يريد فليست الإرادة الحقيقية إلا ما لا يدرك متعلقها فلا يزال عينها متصفا بالوجود ما دام متعلقها متصفا بالعدم فإن الإرادة إذا وجد مرادها أو ثبت زال حكمها و إذا زال حكمها زال عينها و ينبغي للإرادة فينا أن لا تزول فإن مرادها لا يكون و أما من يتكون عن إرادته ما يريد فلا تصحبه الإرادة وجودا و إنما بقيت الإرادة هناك لأن متعلقها آحاد الممكنات و آحادها لا تتناهى فوجودها هناك لا يتناهى و لكن يختلف تعلقها باختلاف المرادات و الذي يشير إليه أهل الله في تحقيق الإرادة أنها معنى يقوم بالإنسان يوجب له نهوض القلب في طلب الحق المشروع ليتصف به بالعمل ليرضى الله بذلك فيكون ممن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ فصاحب الإرادة يسعى في إن يكون بهذه المثابة ثم ما زاد على هذا مما يناله أهل الله من الفتوح و الكشف و الشهود و أمثال هذه الأحوال فذلك من الله ليست مطلوبة لصاحب الإرادة التي يقتضيها طريق الله إنما جل إرادتهم إن يكونوا على حال مع الله يرضى الله في أقوالهم و أفعالهم و أحوالهم إيثار الجناب الحق لا رغبة في نعيم ينالونه

بذلك و لا فرارا من ضده دنيا و لا آخرة بل هم على ما شرع لهم و لله الأمر فيهم بما يشاء لا تخطر لهم حظوظ نفوسهم بخاطر هذا أتم ما توجبه الإرادة في المريد و إن خطر لهم حظ في ذلك فما خرجوا عن حكم الإرادة و لكن يكون صاحب الحظ النفسي ناقص المقام بالنظر إلى الأول مع كونه صاحب إرادة كما قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ مع أن النبوة موجودة فما زالوا من النبوة مع فضل بعضهم على بعض و أما معنى قول الطائفة في الإرادة إنها لوعة يجدها المريد تحول بينه و بين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده فصحيح غير أنه ثم أمر تعطيه المعرفة بالله إذا حصل له العلم بالله من طريق الكشف و التعليم الإلهي فلا يبقى شيء يتصف به العبد يحجبه عن مقصوده إذا كان مقصوده الحق فهو يشهده في كل عين و في كل حال و لا ينال هذا المقام إلا من رضي الله عنه و من علامات صاحب هذا المقام معانقة الأدب إلا أن يسلب عنه عقله بهذه المشاهدة فلا يطالب بالأدب كالبهاليل و عقلاء المجانين لأنه طرأ عليهم أمر إلهي ضعفوا عن حمله فذهب بعقولهم في الذاهبين و حكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود و نعت استقامة و بقي من حالته هذه حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل و شرب و نكاح و كلام من غير تقييد و لا مطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف و بقائه عليهم كما يكشف الحيوان و كل دابة حياة الميت على النعش و هو يخور و يقول سعيدهم قدموني قدموني و يقول الشقي إلى أين تذهبون بي و يشاهدون عذاب القبر و يرون ما لا يراه الثقلان كذلك هذا الذي ذهب الله بعقله فيه حكمه حكم الحيوان و كل دابة و كما هو الميت على حكم ما مات عليه كذلك هذا البهلول هو على حكم ما ذهب عنده عقله فهو معدود في الأموات بذهاب عقله معدود في الأحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضي الله عنهم كمسعود الحبشي و علي الكردي و جماعة رأيناهم بهذه المثابة بالشام و بالمغرب و هم من عباد الله على مثل هذا الحال نفعنا الله بهم و مهما رد على من هذه حاله عقله و هو في الحياة الدنيا فإنه من حينه يلازم الآداب الشرعية و يعانقها و من أبقى عليه عقله كان عند القوم أتم و أعلى قيل للشيخ أبي السعود بن الشبل ما تقول في هؤلاء المجانين من أهل الله فقال رضي الله عنه هم ملاح و لكن العاقل أملح يشير إلى أن العناية بمن أبقى عليه عقله أتم فهذا أصل ما يرجع إليه مجموع أقوال أهل الله في الإرادة المصطلح عليها عندهم و إن اختلفت عباراتهم فهم بين أن ينطقوا في ذلك بأمر كلي أو بأمر جزئي بحسب ذوقه و ما يترجح عنده في حاله فإنهم لا يتعدون في العبارة عن الشيء ما يعطيه ذوقهم و لا يتصنعون و لا يتعملون و لا يأخذون شيئا في تحقيق ذلك عن فكرهم بل ما يتعدى نطقهم ذوقهم و وجودهم فهم أهل صدق و علم محقق لا تدخله شبهة عندهم و من فكر فليس منهم و يصيب و يخطئ و ليس صاحب الفكر بصاحب حال و لا ذوق و أما أهل الاعتبار فيكون منهم أصحاب أذواق و يعتبرون عن ذوق لا عن فكر و قد يكون الاعتبار عن فكر فيلتبس على الأجنبي بالصورة فيقول في كل واحد إنه

معتبر و من أهل الاعتبار و ما يعلم أن الاعتبار قد يكون عن فكر و عن ذوق و الاعتبار في أهل الأذواق هو الأصل و في أهل الأفكار فرع و صاحب الفكر ليس من أهل الإرادة إلا في الموضع الذي يجوز له الفكر فيه إن كان ثم مما لا يمكن أن يحصل الأمر المفكر فيه إلا به بفتح الكاف فحينئذ يأخذه من بابه و هل ثم أمر بهذه المثابة لا يمكن أن ينال من طريق الكشف و الوجود أم لا فنحن نقول ما ثم و نمنع من الفكر جملة واحدة لأنه يورث صاحبه التلبيس و عدم الصدق و ما ثم شيء إلا و يجوز أن ينال العلم به من طريق الكشف و الوجود و الاشتغال بالفكر حجاب و غيرنا يمنع هذا و لكن لا يمنعه أحد من أهل طريق الله بل مانعة إنما هو من أهل النظر و الاستدلال من علماء الرسوم الذين لا ذوق لهم في الأحوال فإن كان لهم ذوق في الأحوال كأفلاطون الإلهي من الحكماء فذلك نادر في القوم و تجد نفسه يخرج مخرج نفس أهل الكشف و الوجود و ما كرهه من كرهه من أهل الإسلام إلا لنسبته إلى الفلسفة لجهلهم بمدلول هذه اللفظة و الحكماء هم على الحقيقة العلماء بالله و بكل شيء و منزلة ذلك الشيء المعلوم و الله هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ و من يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و الحكمة هي علم النبوة كما قال في داود عليه السلام و إنه ممن آتاه الله الملك و الحكمة فقال وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ و الفيلسوف معناه محب الحكمة لأن سوفيا باللسان اليوناني هي الحكمة و قيل هي المحبة فالفلسفة معناه حب الحكمة و كل عاقل يحب الحكمة غير أن أهل الفكر خطؤهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم سواء كان فيلسوفا أو معتزليا أو أشعريا أو ما كان من أصناف أهل النظر فما ذمت الفلاسفة لمجرد هذا الاسم و إنما ذموا لما أخطئوا فيه من العلم الإلهي مما يعارض ما جاءت به الرسل عليهم السلام بحكمهم في نظرهم بما أعطاهم الفكر الفاسد في أصل النبوة و الرسالة و لما ذا تستند فتشوش عليهم الأمر فلو طلبوا الحكمة حين أحبوها من الله لا من طريق الفكر أصابوا في كل شيء و أما ما عدا الفلاسفة من أهل النظر من المسلمين كالمعتزلة و الأشاعرة فإن الإسلام سبق لهم و حكم عليهم ثم شرعوا في أن يذبوا عنه بحسب ما فهموا منه فهم مصيبون بالأصالة مخطئون في بعض الفروع بما يتأولونه مما يعطيهم الفكر و الدليل العقلي من أنهم إن حملوا بعض ألفاظ الشارع على ظاهرها في حق الله مما أحالته أدلة العقول كان كفرا عندهم فيؤولونه و ما علموا إن لله قوة في بعض عباده تعطي حكما خلاف ما تعطي قوة العقل في بعض الأمور و توافق في بعض و هذا هو المقام الخارج عن طور العقل فلا يستقل العقل بإدراكه و لا يؤمن به إلا إذا كانت معه هذه القوة في الشخص فحينئذ يعلم قصوره و يعلم أن ذلك حق فإن القوي متفاضلة تعطي بحسب حقائقها التي أوجدها الله عليها فقوة السمع لو عرض عليها حكم البصر أحالته و البصر كذلك مع غيره من القوي و العقل من جملة القوي بل هو المستفيد من جميع القوي و لا يفيد العقل سائر القوي شيئا و من صح له حكم الإرادة المصطلح عليها عند أهل الله عرف هذه المقامات كلها و المراتب كشفا و عرف صورة الغلط في الأشياء و أنه واقع في

النسب و الوجوه و كل غالط إنما غلط في النسبة حيث نسبها إلى غير جهتها فيأخذها أهل الله فيجعلون تلك النسبة في موضعها و يلحقونها بمنسوبها و هذا معنى الحكمة فأهل الله من الرسل و الأولياء هم الحكماء على الحقيقة و هم أهل الخير الكثير جعلنا الله من أهل الإرادة وممن جمع بين العادة و ترك العادة من حيث ما تعطيه الشهادة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و العشرون و مائتان في معرفة حال المراد»

إن المراد هو المجذوب بالحال في كل حال على حل و ترحال

يمشي به و هو في بيضاء في دعة على المقامات من حال إلى حال

عناية منه و الرحمن يحرسه بعينه فهو في نعمى و إقبال

اعلموا أن المراد في اصطلاح القوم هو المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له فهو يجاوز الرسوم و المقامات من غير مشقة بل بالتذاذ و حلاوة و طيب تهون عليه الصعاب و شدائد الأمور و ينقسم المرادون هنا إلى قسمين القسم الواحد أن يركب الأمور الصعبة و تحل به البلايا المحسوسة و النفسية و يحس بها و يكره ذلك الطبع منه غير أنه يرى و يشاهد ما له في ذلك في باطن الأمر عند الله من الخير مثل العافية في شرب الدواء الكريهة فيغلب عليه مشاهدة ذلك النعيم الذي في طي هذا البلاء فيلتذ بما يطرأ عليه من مخالفة الغرض و هو العذاب النفسي و من الآلام المحسوسة لأجل هذه المشاهدة كعمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه من أصحاب هذا المقام فقال في ذلك ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت أن لله علي فيها ثلاث نعم النعمة الواحدة حيث لم تكن تلك المصيبة في ديني و النعمة الثانية حيث لم تكن مصيبة أكبر منها إذ في الجائز أن يكون ذلك و النعمة الثالثة ما عند الله لي فيها من تكفير الخطايا و رفع الدرجات فاشكر الله تعالى عند حلول كل مصيبة و هنا فقه عجيب في طريق القوم تعطيه الحقائق لمن عرف طريق الله فإن البلاء لا يقبل الشكر و النعمة لا تقبل الصبر فإن شكر من قام به البلاء فليس مشهوده إلا النعم فيجب عليه الشكر و إن صبر من قامت به النعماء فليس مشهوده إلا البلاء و هو ما فيها من تكليف طلب الشكر عليها من الله و ما كلفه من حكم التصرف فيها فمشهوده يقتضي له الصبر و الحق سبحانه يردف عليه النعم و هو في شهوده ينظر ما لله عليه فيها من الحقوق فيجهد نفسه في أدائها فلا يلتذ بما يحسب الناس أنه به ملتذ فيصبر على ترادف النعماء عليه فهو صاحب بلاء فليس المعتبر إلا ما يشهده الحق في وقته فهو بحسب وقته إما صاحب شكر أو صاحب صبر فهذا حال القسم الواحد من المرادين و أما القسم الآخر فلا يحس بالشدائد المعتادة بل يجعل الله فيه من القوة ما يحمل بها تلك الشدائد التي يضعف عن حملها غيرها من القوي كالرجل الكبير ذي القوة فيكلف ما يشق على الصغير أن يحمله فما عنده خبر من ذلك بل يحمله من غير

مشقة فإنه تحت قوته و قدرته و يحمله الصغير بمشقة و جهد فهذا ملتذ بحمله فارح بقوته يفتخر بها لا يجد ألما و لا يحس به كما قال أبو يزيد في بعض مناجاته

أريدك لا أريدك للثواب و لكني أريدك للعقاب

و كل ما آربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فطلب اللذة بما جرت العادة به أن يثمر عذابا خرقا للعادة فما طلب العذاب يقول أهل الله ليس العجب من ورد في بستان و إنما العجب من ورد في قعر النيران يقول صاحب هذا الكلام ليس العجب ممن يلتذ بما جرت العادة أن يلتذ به الطبع و إنما العجب أن يلتذ بما جرت العادة أن يتألم به الطبع ذكر أن بعض المحبين جنى جناية فجلده الحاكم مائة جلدة فما أحس بتسع و تسعين منها فما استغاث فلما كان في السوط المكمل مائة استغاث فقيل له في ذلك فقال العين التي كنت أعاقب من أجلها كانت تنظر إلي فكنت أتنعم بالنظر إليها فما كنت أحس بمواقع السوط من ظهري فلما كان في السوط الموفي مائة غابت عني فأحسست بموقع السوط فاستغثت و رأيت المرأة الصالحة بمكة فاطمة بنت التاج ضربها أبوها ضربا مبرحا من غير جناية فما أحست بذلك و كانت تحس بشيء يحول بين ظهرها و مواقع السياط فيقع السوط في ذلك الحائل و تسمع وقع السوط بإذنها و تتعجب حيث لا تحس به و قد جرى لنا مثل هذا في بدايتنا في حكاية طويلة فهذا المراد قد يعطيه الله اللذة دائما بكل شيء يقوم به من بلاء و نعمة فإن النعيم ليس بشيء زائد على عين اللذة القائمة بالشخص كما إن البلاء ليس بشيء زائد على وجود عين الألم و أما الأسباب الموجبة لهما فغير معتبرة عندنا فليس صاحب البلاء إلا من قام به الألم و ليس صاحب النعمة سوى من قامت به اللذة و يكون السبب ما كان معتادا أو غير معتاد و هذا القسم قد يجعل الله فيه إن يكون مرادا له في نفسه جميع ما يريد الله أن ينزله به فإذا أعطاه الله مرادة و لا بد من ذلك فإن ذلك مراد لله تعالى فإنه يتلذذ بوقوع مراده فتكون الشدائد و المكاره المضادة مرادة له فتحل به فيحملها بما عنده و ما جعل الله فيه من القوة فقد يكون حال المراد بهذه المثابة و أهل البداية في هذا الطريق كلهم عند حصول التوبة ملتذون بكل شدة تطرأ عليهم فهي شدة عند غيرهم و هي ملذوذة هينة عندهم و لهذا أهل النهاية من العارفين يحنون إلى البداية لأجل هذا اللذة فإنهم لا يجدونها في النهاية فإنهم أهل تمييز متحققون بالحق فهم أهل غضب و رضي فيحنون إلى البداية لأجل ما فيها من الالتذاذ و كلما كمل الرجل أعطاه الله التمييز في الأمور و حققه بالحقائق إذ الموطن يعطي ذلك فلو كان مزاج الدنيا على مزاج الجنة لم يعط إلا نعيما مجردا أو على مزاج النار لم يعط إلا ألما فلما كان ممتزجا وقتا هكذا و وقتا هكذا كان العارفون بحسب الموطن و إذا علمت هذا فاعلم أنه يكون أيضا من أحوال المراد رفع التمني و الطمع و الإخلاص من نفسه

مع المبالغة في الأعمال فيشاهدها من حيث ما هو محل لجريانها ويجعلها من جملة الأقدار الجارية عليه وذلك لفنائه عما ينسب إليه من الحول والقوة فليس له مقام ولا يحكم عليه حال فإنه لا يرى المقام ولا الحال لنظره إلى رب المقام والحال بعين رب المقام والحال متفرج في جريان الأقدار عليه وظهورها فيه وهو مع نفسه كأنه لا داخل فيها ولا خارج عنها «وصل» وأما كون هذا الشخص سمي مرادا ليس معناه أنه مراد لما أريد به وإنما معناه أنه محبوب فإن المحبوب لا يكون معذبا بشيء فلا بد أن يحول المحب بين ما يؤلم محبوبه وبين محبوبه وإن لم يفعل ذلك فليس بمحب ولا ذلك محبوبا وكذا وقع أن الله ما ابتلى من ابتلى من عباده المحبوبين عنده من كونهم محبوبين وإنما رزقهم من جملة ما رزقهم أن جعلهم محبين له فلما ادعوا محبته ابتلاهم من كونهم محبين لا من كونهم محبوبين فافهم فالمحبوب له الإدلال والمحب له الخضوع فالمراد هو المحبوب فلا يذوق بلاء وأما المراد الذي يكون مرادا لما أريد به فإنه لا بد أن يرزق الإرادة لما أريد به فلا يقع له إلا ما هو مراد له وقد ذكرناه وما كل مراد لما أريد به يكون له إرادة فيما أريد به فمن يكون له إرادة ذلك فهو المراد المصطلح عليه في هذا الطريق فالمراد لما أريد به هو حال يعم الخلق أجمعه ما فيه اختصاص ومن يكون له إرادة فيما أريد به فذلك خصوص وهو المطلوب بهذه اللفظة وهذا الاسم في هذا الطريق عند أهل الله فيكون مرادا مريدا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فإن الكلام في باب الإرادة والمراد والمريد يطول

«الباب الثامن والعشرون ومائتان في حال المريد»

فاعلم يا ولي وفقك الله أنه

ليس المريد الذي قامت إرادته ... به ولكنه من ينقضي غرضه

فإن أراد أمورا ليس يدركها ... فإن حاكمه في صرفه مرضه

وليس إذ ذاك من أهل الطريق ولا ... في حكمه جوهر في الكون أو عرضه

لفظة المريد عند المحققين من أهل الله تطلق بإزاء المنقطع إلى الله المؤثر جناب الله الساعي في محاب الله ومراضيه وقد يطلقونها بإزاء المتجرد عن إرادته وأعظم مراتب المريد عندهم وعندنا إن يكون نافذ الإرادة لا عن كشف فإن كان عن كشف فليس بمريد وإنما هو عالم بما يكون كما أنه ليس من شرط المراد أن تكون له إرادة فيما يقع في الوجود به وبغيره أن يكون ما يقع مشهودا له في إرادته فيريده قبل وقوعه بل قد لا يكون ذلك وليس بشرط وإنما حاله إن الأمر إذا وقع في الوجود يرضى به ويلتذ بوقوعه ولا يرده بخاطره ولا يكرهه فاعلم أنه من أعلمه الله مراده فيما يكون عناية منه فإنه مطلوب بالتأهب لذلك ولا سيما فيما يقع به لا بغيره فيتلقاه بالصفة التي يطلبها

ذلك الواقع شرعا من رضي أو صبر أو شكر فإن كان مع هذا الإعلام يكون مريدا لذلك فتلك إرادة موافقة و يكون مريدا لقيام الإرادة به لا لنفوذ إرادته فإنه لا ينبغي في الطريق أن يسمى مريدا إلا من تنفذ إرادته و هو الله أو من أعطاه الله ذلك من خلقه و ما سمعنا إنه نال هذا المقام أحد من خلق الله فإنه قد صح عندنا كشفا و نقلا إنه لا مقام أعلى من مقام محمد صلى الله عليه و سلم و مع هذا قد سأل الله في أشياء منها أن لا يجعل الله بأس أمته بينها فلم يقبل سؤاله في ذلك قال صلى الله عليه و سلم فمنعنيها فإذا لم يكمل مقام نفوذ الإرادة له صلى الله عليه و سلم فكيف يناله غيره فإنه ممن انفرد الله به فمن أطلعه الله على مراداته فما أراد إلا ما يقع فيظهر نفوذ إرادته و ما يعلم الناس ما هو مشهوده الذي أشهده الحق فهم يتخيلون أن ذلك المراد الواقع من أثر همته و ليس كذلك فالمريد من انقطع إلى الله تعالى عن نظر و استبصار و طلب مرضاة الله و تجرد عن إرادته إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله لا ما يريده الخلق فيقول هذا المريد فلما ذا أتعني و أريد ما لا أعلم أنه يقع أم لا يقع فإنه لا علم لي بما في علم الله تعالى من ذلك فإن وقع ما أريد فلكونه مراد الله فبما ذا أفرح و إن لم يقع فلا بد من انكسار الخيبة فاستعجل الهم و ربما ينجر معه عدم الرضي لعدم وقوع المراد فالأولى إن لا يريد إلا ما يريده الحق كان ما كان على الإجمال فمتى وقع تلقيته بالقبول و الرضي فيتجرد عن إرادته فلا يبقى له إرادة الأعلى هذا الحكم و أما الذي يطلعه الله من المريدين على مراد الله في العالم فإن ذلك قد يكون على أحد طريقين الطريق الواحدة بأخبار إلهي و كشف لما يكون و الطريق الثانية أن يرزقه الله علم ما تعطيه حقائق الأشياء و ترتيبها الإلهي الذي رتبت عليه فيريد عند ذلك أمرا ما فلا تخطئ له إرادة بل يقع مراده على حسب ما تعلق به فهذا مريد بالحق كما كان سميعا بصيرا بالحق إذ كان الحق سمعه و بصره فتكون أيضا إرادته و مهما أخطأت إرادته فليس بمريد على الحقيقة إذ لا فائدة في إن لا يكون مريدا إلا من قامت به الإرادة و إنما الفائدة في إن لا يكون مريدا إلا من تنفذ إرادته فالمريد في هذه الطريقة يحمل المشاق و الشدائد و المكاره مشاق و شدائد و مكاره غير ملتذ بها بل يحملها من أجل الله أو أجل ما له فيها أي في حملها من السعادة الأبدية أعلاها و أن يشكر الله فعله فيكون ممن أثنى الله عليه فيتجرع الغصص و يصبر عليها لعلمه بما في طي ذلك من الخير الإلهي و قد يكون بعض رجال الله مريدا من وجه مرادا من وجه فتختلف أحواله فتختلف أحكامه فإذا التذ بالواقع المكروه كان مرادا و إذا تألم بالواقع المحبوب كان مريدا فكيف حاله بالمكروه فهذا حال المريد قد بيناه مفصلا لمن يعقل من أهل الله وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و العشرون و مائتان في حال الهمة»

إذا كنت في همة فاتئد فإن الوجود لها مستعد

و لا تفتحن بها مغلقا و لا تك ممن بها يستبد

و لا تركنن إليها و كن كما أنت في باطن المعتقد

نريد بباطن المعتقد كون الله هو الفاعل للأشياء لا أثر فيها لهمة مخلوق و لا لسبب ظاهر و لا باطن لعلمه بأن الأسباب إنما جعلها الله ابتلاء ليتميز من يقف عندها ممن لا يرى وقوع الفعل إلا بها ممن لا يرى ذلك و يرى الفعل لله من ورائها عندها لا بها اعلم أن الهمة يطلقها القوم بإزاء تجريد القلب للمنى و يطلقونها بإزاء أول صدق المريد و يطلقونها بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام فيقولون الهمة على ثلاث مراتب همة تنبه و همة إرادة و همة حقيقة فاعلم إن همة التنبه هي تيقظ القلب لما تعطيه حقيقة الإنسان مما يتعلق به التمني سواء كان محالا أو ممكنا فهي تجرد القلب للمنى فتجعله هذه الهمة أن ينظر فيما يتمناه ما حكمه فيكون بحسب ما يعطيه العلم بحكمه فإن أعطاه الرجوع عن ذلك رجع و إن أعطاه العزيمة فيه عزم فيحتاج صاحب هذه الهمة إلى علم ما تمناه و أما همة الإرادة و هي أول صدق المريد فهي همة جمعية لا يقوم لها شيء و هذه الهمة توجد كثيرا في قوم يسمون بإفريقية العزابية يقتلون بها من يشاءون فإن النفس إذا اجتمعت أثرت في أجرام العالم و أحواله و لا يعتاض عليها شيء حتى أدى من علم ذلك ممن ليس عنده كشف و لا قوة إيمان أن الآيات الظاهرة في العالم على أيدي بعض الناس إنما ذلك راجع إلى هذه الهمة و لها من القوة بحيث أن لها إذا قامت بالمريد أثرا في الشيوخ الكمل فيتصرفون فيهم بها و قد يفتح على الشيخ في علم ليس عنده و لا هو مراد به بهمة هذا المريد الذي يرى أن ذلك عند هذا الشيخ فيحصل ذلك العلم في الوقت للشيخ بحكم العرض ليوصله إلى هذا الطالب صاحب الهمة إذ لا يقبله إلا منه و ذلك لأن هذا المريد جمع همته على هذا الشيخ في هذه المسألة و الحكايات في ذلك مشهورات مذكورة و أثر هذه الهمة في الإلهيات قول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فمن جمع همته على ربه إنه لا يغفر الذنب إلا هو و أن رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ كان مرحوما بلا شك و لا ريب قال تعالى وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدٰاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ من الْخاسِرِينَ لأنهم ظنوا أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون فلهذا قلنا إنه لا بد من علم ما تتعلق به هذه الهمة فإن تعلقت بمحال لم يقع و عاد وبالها على صاحبها فأثر في نفسه بهمته و إن تعلقت بما ليس بمحال وقع و لا بد و هنا من هذه الطائفة تعلقت بالمحال و هو نفي العلم عن الله ببعض أعمال العباد فعذبهم الله بأعمالهم فظنهم أرداهم و هذه مسألة لا يمكننا أن أو فيها حقها لاتساعها و ما يدخل فيها مما لا ينبغي أن يقال و لا يذاع غير أن لها النفوذ حيث وجدت فإذا لم تجتمع و دخلها خلل فليس لها هذا الحكم فلو إن هؤلاء الذين ظنوا بربهم أنه لا يعلم كثيرا مما يعملون يظنون أن الله لا يؤاخذ على الجريمة لما هو عليه من الصفح و التجاوز و تحجبهم جمعيتهم على هذا عن بطشه تعالى و شديد عقابه لم يؤاخذهم فإن ظنهم أنما تعلق بممكن و

أما همة الحقيقة التي هي جمع الهمم بصفاء الإلهام فتلك همم الشيوخ الأكابر من أهل الله الذين جمعوا هممهم على الحق و صيروها واحدة لاحدية المتعلق هربا من الكثرة و طلبا لتوحيد الكثرة أو للتوحيد فإن العارفين أنفوا من الكثرة لا من أحديتها في الصفات كانت أو في النسب أو في الأسماء و هم متميزون في ذلك أي هم على طبقات مختلفة و إن الله يعاملهم بحسب ما هم عليه لا يردهم عن ذلك إذ لكل مقام وجه إلى الحق و إنما يفعل ذلك ليتميز الكثير الاختصاص بالله الذي اصطنعه الله لنفسه من عباد الله عن غيره من العبيد فإن الله أنزل العالم بحسب المراتب لتعمير المراتب فلو لم يقع التفاضل في العالم لكان بعض المراتب معطلا غير عامر و ما في الوجود شيء معطل بل هو معمور كله فلا بد لكل مرتبة من عامر يكون حكمه بحسب مرتبته و لذلك فضل العالم بعضه بعضا و أصله في الإلهيات الأسماء الإلهية أين إحاطة العالم من إحاطة المريد من إحاطة القادر فتميز العالم عن المريد و المريد عن القادر بمرتبة المتعلق فالعالم أعم إحاطة فقد زاد و فضل على المريد و القادر بشيء لا يكون للمريد و لا للقادر من حيث إنه مريد و قادر فإنه يعلم نفسه تعالى و لا يتصف بالقدرة على نفسه و لا بالإرادة لوجوده إذ من حقيقة الإرادة أن لا تتعلق إلا بمعدوم و الله موجود و من شأن القدرة أن لا تتعلق إلا بممكن أو واجب بالغير و هو واجب الوجود لنفسه فمن هناك ظهر التفاضل في العالم لتفاضل المراتب فلا بد من تفاضل العامرين لها فلا بد من التفاضل في العالم إذ هو العامر لها الظاهر بها و هذا مما لا يدرك كشفا بل إدراكه بصفاء الإلهام فيكشف المكاشف عمارة المراتب بكشفه للعامرين لها و لا يعلم التفاضل إلا بصفاء الإلهام الإلهي فقد نبهناك على معرفة الهمة بكلام مبسوط في إيجاز فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي ثلاثين و مائتان في الغربة»

تغرب عن الأوطان و الحال و الحق عساك تحوز الأمر في مقعد الصدق
و كن نافذا في كل أمر ترومه و لا تدهشن إن جاءك الحق بالحق
و لولا وجود الفتق في الأرض و السما لما دارت الأفلاك من شدة الرتق
كذاك سماوات العقول و أرضها و أعني بها الطبع المؤثر في الخلق
فدارت بأفلاك القوي ثم أبرزت معارفها للسامعين من النطق

اعلم أن الغربة عند الطائفة يطلقونها و يريدون بها مفارقة الوطن في طلب المقصود و يطلقونها في اغتراب الحال فيقولون في الغربة الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه و الغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدهش أما غربتهم عن الأوطان بمفارقتهم إياها فهو لما عندهم

من الركون إلى المألوفات فيحجبهم ذلك عن مقصودهم الذي طلبوه بالتوبة و أعطتهم اليقظة و هم غير عا رفين بوجه الحق في الأشياء فيتخيلون إن مقصودهم لا يحصل لهم إلا بمفا رقة الوطن و أن الحق خا رج عن أوطانهم كما فعل أبو يزيد البسطامي لما كان في هذا المقام خرج من بسطام في طلب الحق فوقع به رجل من رجال الله في طريقه فقال له با أبا يزيد ما أخرجك عن وطنك قال طلب الحق قال له الرجل إن الذي تطلبه قد تركته ببسطام فتنبه أبو يزيد و رجع إلى بسطام و لزم الخدمة حتى فتح له فكان منه ما كان فهؤلاء هم السائحون فجعل الله سياحة هذه الأمة الجهاد في سبيل الله و اعلم أن هذا الأمر ليس باختيا ر العبد و إنما صاحب هذا الأمر يطلب وجود قلبه مع ربه في حاله فإذا لم يجده في موضع يقول ربما إن الله تعالى لم يقد ر أن يظهر إلى قلبي في هذا الموضع فيرحل عنه رجاء الحصول لما علم إن الله تعالى قد رتب أمورا و اقتضى علمه أزلا أنه لا يكون كذا إلا بموضع كذا و بطالع كذا و بسبب كذا فلما حكم عليه هذا الإمكان و فقد قلبه في بعض المواطن عن وجود متقدم أولا عن وجود رحل عن ذلك الموطن رجاء حصول البغية هذا سبب اغترابهم عن الأوطان و أمثاله فإن بعضهم قد يفا رق وطنه لما كان فيه من العزة فإذا رأى أنه قد زاد عزا بالزهد و التوبة أو لم يكن مذكورا فاشتهر بالتوبة و الخير فأورثه عزا في قلوب الناس فوقع الإقبال عليه بالتعظيم فيفر و يغترب عن وطنه إلى مكان لا يعرف فيه لمعرفته بنفسه مع ربه فإن تعظيم الناس للشخص سم قا تل مؤثر فيه أثرا يؤديه إلى الهلاك و هذا أيضا من الأسباب المؤدية إلى مفا رقة الموطن و الاغتراب عن الأهل فحيث وجد قلبه مع الله أقام أخبرني شيخي أبو الحسين ابن الصائغ الزاهد المحدث بسبتة قال سمعت شيخنا أبا عبد الله محمد بن رزق رحمه الله في سياحة كنا معه فيها اقرأ عليه بعض أجزاء الحديث و كان صاحب رواية يقول مررت في سياحتي بمسجد خراب في فلاة من الأرض فقلت أدخل اركع فيه ركعتين فدخلته فوجدت قلبي فقعدت فيه سنتين فأين زمان ركعتين من سنتين فمطلوبهم بالغربة عن الأوطان وجود القلب مع الله فحيثما وجدوه قاموا في ذلك الموضع قال بعضهم كنت ما را إلى مكة فرأيت في الطريق شابا تحت شجرة و هو يصلي في البرية وحده فقلت له ألا تمشي إلى مكة فقال لي كنت أسير إلى مكة عام أول فلما مررت بهذه الشجرة وجدت قلبي فلي هنا سنة لا أبرح من هذا الموضع إلا إن فقدت قلبي قال فبعد سنة مررت بذلك الموضع و بتلك الشجرة فلم أجد الشاب فمشيت غير بعيد فإذا بالشاب قائم يصلي فسلمت عليه فعرفني فقلت له رأيتك قد تركت تلك السمرة فقال لي لما فقدت قلبي أخذت في طريقي الذي نويت أولا أريد مكة فانتهيت إلى هذا الموضع فوجدت قلبي فإنا به أيضا مقيم فقلت له من أين طعامك و شرابك قال من عنده يجيئني به في الوقت الذي يريد أن يغذيني قال فتركته و انصرفت و ما أدري ما انتهى إليه أمره بعد ذلك فقد يطلبون بالغربة وجود قلوبهم مع الله و أما غربة العا رفين عن أوطانهم فهي مفا رقتهم لإمكانهم فإن الممكن وطنه الإمكان

فيكشف له أنه الحق و الحق ليس وطنه الإمكان فيفارق الممكن وطن إمكانه لهذا الشهود و لما كان الممكن في وطنه الذي هو العدم مع ثبوت عينه سمع قول الحق له كن فسارع إلى الوجود فكان ليرى موجدة فاغترب عن وطنه الذي هو العدم رغبة في شهود من قال له كن فلما فتح عينه أشهده الحق أشكاله من المحدثات و لم يشهد الحق الذي سارع إلى الوجود من أجله و في هذه الحال قلت

إذا ما بدا الكون الغريب لناظري حننت إلى الأوطان حن الركائب

يقول فأردت الرجوع إلى العدم فإني أقرب إلى الحق في حال اتصافي بالعدم مني إليه في حال اتصافي بالوجود لما في الوجود من الدعوى و طلب حالة الفناء عن الحق للبقاء بالحق هو أن يرجع إلى حالة العدم التي كان عليها فهذه غربة أيضا موجودة واقعة عن وطن بغير اختيار العبد و من غربة العارفين بالله غربتهم عن صفاتهم عند وجودهم الحق عين صفاتهم و هذه غربة حقيقية فإن الصفة مضافة إليهم بكلام الله و هو الصادق فهم أهل صفة و لكن ما هي تلك الصفة و إلى من تضاف حقيقة فإن العالم يضاف إلى الله بأنه عبد الله كما إن الله مضاف إلى العالم فإنه رب العالمين فإضافة العبد مستندة إلى إضافة الحق فأول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة فكانت الدنيا وطننا و اتخذنا فيها أوطانا فاغتربنا عنها بحالة تسمى سفرا أو سياحة إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى البرزخ فعمرناه مدة الموت فكان وطننا ثم اغتربنا عنه بالبعث إلى أرض الساهرة فمنا من جعلها وطنا أعني القيامة و منا من لم يجعله وطنا فإنه ظرف زماني و الإنسان في تلك الأرض كالماشي في سفره بين المنزلتين و يتخذ بعد ذلك أحد الموطنين إما الجنة و إما النار فلا يخرج بعد ذلك و لا يغترب و هذه هي آخر الأوطان آخر الأوطان التي ينزلها الإنسان ليس بعدها وطن مع البقاء الأبدي و أما قولهم في الغربة إنها الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه فتلك غربة أخرى و ذلك أن أصحاب الأحوال لا شك أن لهم النفوذ و التحكم و بها يكون خرق العوائد لهم المشهورة في العالم فإذا اطلعوا على إن الحال لا أثر له فيما ظهر له من الفعل عند قيامه بهم فيما أعطاه الكشف لم يرضوا به فاغتربوا عنه و قالوا الوقوف معه وبال على صاحبه فيرون أن الغربة عنه غاية السعادة و أنه من أعظم حجاب يحجب به الإنسان و أنه موضع المكر و الاستدراج فإن العاقل لا يقف في مواطن إمكان المكر فيها بل ينبغي له أن لا يقف إلا في موضع يكون على بصيرة فيه كما فعل موسى في غربة الوطن ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي من الْمُرْسَلِينَ﴾ فاغترب بجسمه عن وطنه خوفا منهم فلو كان مثل خروج محمد صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة مهاجرا لم يكن خوفه منهم بل كان مشهوده خوفه من الله أن يسلطهم عليه فوهب له مع الرسالة التي كانت له قبل هجرته السيادة على العالمين فإن الهجرة كانت له مطلوبة و هي الاغتراب عن وطنه

فعلامة صدق المريد في غربته عن وطنه حصول مقصوده فإذا لم يحصل فخلل في غربته إذا طلبه وجده فليس بصادق و إذا فارقه بالكلية ظاهرا و باطنا فلا بد من حصول المقصود فمن تعلق قلبه بوطنه في حال غربته فما اغترب الغربة المطلوبة و أما الغربة عن الحق التي هي من حقيقة الدهش عن المعرفة فاعلم إن الإمكان موطنه غير موطن الوجوب بل هما موطنان للواجب و الممكن و موطن الممكن العدم أو لا و هو موطنه الحقيقي فإذا اتصف بالوجود فقد اغترب عن وطنه بلا شك و كان في حال سكناه في وطنه مشاهدا للحق فإنه جار له إذ وصف العدم له أزلا وصف الوجود لله أزلا فاغترب عن وطنه بالوجود ففارق مجاورة الحق و لزم الحدوث بهذه الغربة و الحق غير متصف بهذه الصفة و لم يتصف الحق بالحدوث أزلا في حال عدمه فاغترب عن الحق بحدوثه و لما حصل له الوجود الحادث و وقعت المشاركة في الوجود بينه و بين الحق دهش فإنه رأى ما لا يعرفه فإنه عرف نفسه متميزا عن الحق بحال العدم فلما فارق هذا الحال بالوجود أدركه الدهش عن المعرفة الأولى و هذه الغربة حال رجلين رجل لم يأنس بهذا المقام و لا وصل إليه بطريق استدراج و ترق من حال إلى حال بل أتاه بغتة فجاءه ما لم يعهده و لا ألفه فرأى نفسه تضعف عن حمله فيخاف من عدم عينه فيدهش عن تحصيل تلك المعرفة و يرجع إلى حسه عاجلا فيتغرب عن الحق في تلك الرجعة و رأينا من أهل هذا المقام أبا العباس أحمد العصاد المعروف بمصر بالحريري و ما رأينا غيره و أما الرجل الآخر فهو رجل ما من معرفة ترد عليه إلا و تدهشه لعظيم ما يرى مما هو أعلى مما حصل له و أمكن فيتغرب عن الحق الذي كان بيده و يحصل من هذه المعرفة حقا يقوم به إلى وقت تجل آخر يعطي فيه معرفة تدهشه لما ذكرناه فيتغرب أيضا عن الحق الذي حصل له في هذه المعرفة دائما أبدا دنيا و آخرة و أما العارفون المكملون فليس عندهم غربة أصلا و إنهم أعيان ثابتة في أماكنهم لم يبرحوا عن وطنهم و لما كان الحق مرآة لهم ظهرت صورهم فيه ظهور الصور في المرآة فما هي تلك الصور أعيانهم لكونهم يظهرون بحكم شكل المرآة و لا تلك الصور عين المرآة لأن المرآة ما في ذاتها تفصيل ما ظهر منهم و ما هم فما اغتربوا و إنما هم أهل شهود في وجود و إنما أضيف إليهم الوجود من أجل حدوث الأحكام إذ لا تظهر إلا من موجود فمرتبة الغربة ليست من منازل الرجال فهي منزلة أدنى ينزلها المتوسطون و المريدون و أما الأكابر فما يرون أنه اغترب شيء عن وطنه بل الواجب واجب و الممكن ممكن و المحال محال فتعين وطن كل مستوطن و لو قامت غربة بهم لانقلبت الحقائق و عاد الواجب ممكنا و الممكن واجبا و المحال ممكنا و الأمر ليس كذلك و الغربة عند العلماء بالحقائق في هذا المقام غير موجودة و لا واقعة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الثلاثون و مائتان في المكر»

يستدرج العاقل في عقله من حيث لا يعلمه الماكر

و مكره عاد عليه و ما يدري بذاك الفطن الخابر

فمن أراد الأمن من مكره ليحصل الباطن و الظاهر

يحقق الميزان من شرعه فيعلم الرابح و الخاسر

اعلم أن المكر يطلقه أهل الله على إرداف النعم مع المخالفة و إبقاء الحال مع سوء الأدب و إظهار الآيات من غير أمر و لا حد و اعلم أنه من المكر عندنا بالعبد أن يرزق العبد العلم الذي يطلب العمل و يحرم العمل به و قد يرزق العمل و يحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم إن المتصف به ممكور به و لقد رأيت في واقعة و أنا ببغداد سنة ثمان و ستمائة قد فتحت أبواب السماء و نزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام و سمعت ملكا يقول ما ذا نزل الليلة من المكر فاستيقظت مرعوبا و نظرت في السلامة من ذلك فلم أجدها إلا في العلم بالميزان المشروع فمن أراد الله به خيرا و عصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده و شهود حاله و هذه حالة المعصوم و المحفوظ فأما إرداف النعم مع المخالفة فهو موجود اليوم كثير في المنتمين إلى طريق الله و عاينت من الممكور بهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم إلا الله و هو أمر عام و أما إبقاء الحال مع سوء الأدب فهو في أصحاب الهمم و هم قليلون على أنا رأينا منهم جماعة بالمغرب و بهذه البلاد و هو أنهم يسيئون الأدب مع الحق بالخروج عن مراسمه مع بقاء الحال المؤثرة في العالم عليهم مكرا من الله فيتخيلون أنهم لو لم يكونوا على حق في ذلك لتغير عليهم الحال نعوذ بالله من مكره الخفي قال تعالى سَنَسْتَدْرِجُهُمْ من حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ و قال وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ و قال إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَ أَكِيدُ كَيْداً و هو من كاد من أفعال المقاربة أي كاد إن يكون حقا لظهوره بصفة حق فهو كالسحر المشتق من السحر الذي له وجه إلى الليل و وجه إلى النهار فيظهر للممكور به وجه النهار منه فيتخيل أنه الحق نعوذ بالله من الجهل و اعلم أن المكر الإلهي إنما أخفاه الله عن الممكور به خاصة لا عن غير الممكور به و لهذا قال من حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ فأعاد الضمير على المضمر في سَنَسْتَدْرِجُهُمْ و قال وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فمضمرهم هو المضمر في مكروا فكان مكر الله بهؤلاء عين مكرهم الذي اتصفوا به وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ ثم قد يمكر بهم بأمر زائد على مكرهم فإنه أرسله سبحانه نكرة فقال وَ مَكَرْنا مَكْراً فدخل فيه عين مكرهم و مكر آخر زائد على مكرهم و قد يكون المكر الإلهي في حق بعض الناس من الممكور بهم يعطي الشقاء و هو في العامة و قد يكون يعطي نقصان الحظ و هو المكر بالخاصة و خاصة الخاصة لسر إلهي و هو أن لا يأمن أحد مكر الله لما ورد في ذلك من الذم الإلهي في قوله فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ و من خسر فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ فأخفى المكر الإلهي و أشده سترا في المتأولين و لا سيما إن كانوا من أهل الاجتهاد و ممن يعتقد

أن كل مجتهد مصيب و كل من لا يدعوا إِلَى الله عَلى بَصِيرَةٍ و علم قطعي فما هو صاحب أتباع لأن المجتهد مشرع ما هو متبع إلا على مذهبنا فإن المجتهد إنما يجتهد في طلب الدليل على الحكم لا في استنباط الحكم من الخبر بتأويل يمكن أن يكون المقصود خلافه فإذا أمكن فليس صاحبه ممن هو على بصيرة و إن صادف الحق بالتأويل فكان صاحب أجرين بحكم الاتفاق لا بحكم القصد فإنه ليس على بصيرة و إن لم يصادف الحق كان له أجر طلب الحق فنقص حظه فهذا مكر إلهي خفي بهذا العالم المتأول فإنه من المتأهلين أن يدعو إِلَى الله عَلى بَصِيرَةٍ بتعليم الله إياه إذا كان من المتقين فمكر العموم الإلهي في إرداف النعم على أثر المخالفات و زوالها عند الموافقات فلا يؤخذ بها فإن كان من علماء عامة الطريق فيرى إن ذلك من حكم قوة الصورة التي خلق عليها فيدعي القهر و التأثير في الحكم الإلهي بالوعيد و يرى أن عموم الحكمة أن يعطي الأسماء الإلهية حقها فيرى أن الاسم الغفار و الغفور و أخواته ليس له حكم إلا في المخالفة فإن لم تقم به مخالفات لم يعط بعض الأسماء الإلهية حقها في هذه الدار و يحتج لنفسه بقول الله يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و كذلك يفعل و هذا النظر كله لا يخطر له عند المخالفة و إنما يخطر له ذلك بعد وقوع المخالفة فلو تقدمها هذا الخاطر لمنع من المخالفة فإنه شهود و الشهود يمنعه من انتهاك الحرمة الشرعية و لهذا ورد الخبر إذا أراد الله إنفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه و قدره ردها عليهم ليعتبروا فمنهم من يعتبر و منهم من لا يعتبر كما قال وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فمنهم من عبده و منهم من أشرك به فما يلزم نفوذ حكم العلة في كل معلول فلو أبقى عليهم عقلهم ما وقع منهم ما وقع كذلك لو كان المشهود له عند إرادة وقوع المخالفة للأسماء الإلهية لمنعه الحياء من المسمى أن ينتهك حرمة خطابه في دار تكليفه فالمخالف يقاوم القهر الإلهي و من قاوم القهر الإلهي هلك فإذا أردف النعم على من هذه حالته تخيل أن ذلك بقوة نفسه و نفوذ همته و عناية الله به حيث رزقه من القوة ما أثر بها في الشديد العقاب و غاب عن الحليم و عن الإمهال و عدم الإهمال فإن لم يقصد انتهاك الحرمة بقوة ما هو عليه من حكم اسم إلهي فليس بمكور به مثل عصاة العامة عن غفلة و ندامة بعد وقوع مخالفة فالصبر على إرداف النعم لما في طيها من المكر الإلهي أعظم من الصبر على الرزايا و البلايا فإن الله يقول لعبده مرضت فلم تعدني ثم قال في تفسير ذلك أما إن فلانا مرض فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده كما يجده الظمآن المضطر عند ما يسفر له السراب عن عدم الماء فيرجع إلى الله بخلاف النعم فإنها أعظم حجاب عن الله إلا من وفقه الله و أما مكر الله بالخاصة فهو مستور في إبقاء الحال عليه مع سوء الأدب الواقع منه و هو التلذذ بالحال و الوقوف معه و ما يورث من الإدلال فيمن قام به و الهجوم على الله و عدم طلب الانتقال منه و ما قال الله لنبيه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و ما أسمعنا ذلك إلا تنبيها لنقول ذلك و نطلبه من الله و لو كان خصوصا بالنبي لم

يسمعنا أو كان يذكر أنه خاص به كما قال في نكاح الهبة فللحال لذة و حلاوة في النفس يعسر على بعض النفوس طلب الانتقال من الأمر الذي أورثه ذلك الحال بل لا يطلب المزيد إلا منه و جهل أن الأحوال مواهب و أما المكر الذي في خصوص الخصوص و هو في إظهار الآيات و خرق العوائد من غير أمر و لا حد الذي هو ميزانها فإنه لما وجب على الأولياء سترها كما وجب في الرسل إظهارها إذ أمكن الولي منها و أعطى عين التحكيم في العالم يطلب الممكور به لنقص حظ عن درجة غيره يريد الحق ذلك به و جعل فيهم طلبا لطريق إظهارها من حيث لا يشعر أن ذلك مكر إلهي يؤدي إلى نقص حظ فوقع الإلهام في النفس بما في إظهار الآيات على أيديهم من انقياد الخلق إلى الله عز و جل و إنقاذ الغرقى من بحار الذنوب المهلكة و أخذهم عن المألوفات و إن ذلك من أكبر ما يدعى به إلى الله و لهذا كان من نعت الأنبياء و الرسل و يرى في نفسه أنه من الورثة و أن هذا من ورث الأحوال فيحجبهم ذلك عما أوجب الله على الأولياء من ستر هذه الآيات مع قوتهم عليها و غيبهم عن ما أوجب الله على الرسل من إظهارها لكونهم مأمورين بالدعاء إلى الله ابتداء و الولي ليس كذلك إنما يدعو إلى الله بحكاية دعوة الرسول و لسانه لا بلسان يحدثه كما يحدث لرسول آخر و الشرع مقرر من عند العلماء به فالرسول على بصيرة في الدعاء إلى الله بما أعلمه الله من الأحكام المشروعة و الولي على بصيرة في الدعاء إلى الله بحكم الاتباع لا بحكم التشريع فلا يحتاج إلى آية و لا بينة فإنه لو قال ما يخالف حكم الرسول لم يتبع في ذلك و لا كان على بصيرة فلا فائدة لإظهار الآية بخلاف الرسول فإنه ينشئ التشريع و ينسخ بعض شرع مقرر على يد غيره من الرسل فلا بد من إظهار آية و علامة تكون دليلا على صدقه إنه يخبر عن الله إزالة ما قرره الله حكما على لسان رسول آخر أعلاما بانتهاء مدة الحكم في تلك المسألة فيكون الولي مع خصوصيته قد ترك واجبا فنقصه من مرتبته ما يعطيه الوقوف مع ذلك الواجب و العمل به فلا شيء أضر بالعبد من التأويل في الأشياء فالله يجعلنا على بصيرة من أمرنا و لا يتعدى بنا ما يقتضيه مقامنا و الذي أسأل الله تعالى أن يرزقنا أعلى مقام عنده يكون لأعلى ولي فإن باب الرسالة و النبوة مغلق و ينبغي للعالم أنه لا يسأل في المحال و بعد الأخبار الإلهي يغلق هذا الباب فلا ينبغي أن نسأل فيه فإن السائل فيه يضرب في حديد بارد إذ لا يصدر هذا السؤال من مؤمن أصلا قد عرف هذا و يكفي الولي من الله أن جعله على بصيرة في الدعاء إلى الله تعالى من حيث ما يقتضيه مقام الولاية و الاتباع كما جعل الرسول يدعو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ من حيث ما يقتضيه مقام الرسالة و التشريع و يعصمنا من مكره و لا يجعلنا من أهل النقص و يرزقنا المزيد و الترقي دنيا و آخرة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثلاثون و مائتان في مقام الاصطلام»

للاصطلام على القلوب تحكم و له على كل النعوت تقدم

يعطي التحير في العقول وجوده و هو السبيل من الإله الأقوم

من قال زدني فيك تحيرا ذاك المؤمل و النبي الأعلم

لولاه ما عرف الإله و لا درت الباب أهل الله أين هم هم

الاصطلام في اصطلاح القوم و له يرد على القلب سلطانه قوي فيسكن من قام به تحته و هو أن العبد إذا تجلى له الحق في سره في صورة الجمال أثر في نفسه هيبة فإن الجمال نعت الحق تعالى و الهيبة نعت العبد و الجمال نعت الحق و الأنس نعت العبد فإذا اتصف العبد بالهيبة لتجلى الجمال فإن الجمال مهوب أبدا كان عن الهيبة أثر في القلب و خدر في الجوارح حكم ذلك الأثر اشتعال نار الهيبة فيخاف لذلك سطوته فيسكن و علا منه فيه في الظاهر خدر الجوارح و موتها فإن تحرك من هذه صفته فحركته دورية حتى لا يزول عن موضعه فإنه بخيل إليه إن تلك النار محيطة به من جميع الجهات فلا يجد منفذا فيدور في موضعه كأنه يريد الفرار منه إلى أن يخف ذلك عنه بنعت آخر يقوم به و هو حال ليس هو مقام و لما كان هذا الاصطلام نعت الشبلي كان يدور لضعفه و خوفه غير إن الله كانت له عناية منه فكان يرده إلى إحساسه في أوقات الصلوات فإذا أدى صلاة الوقت غلب عليه حال الاصطلام بسلطانه فقيل للجنيد عنه فقال أ محفوظ عليه أوقات الصلوات فقيل نعم فقال الجنيد الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب فما أحسن قول الجنيد لسان ذنب فإنه أخيذ وقته فليس بصاحب ذنب و الغريب يشهده تاركا للصلاة و من أعجب حكم الاصطلام الجمع بين الضدين فإن الخدر ينفي الحركة فهو مخدور الجوارح بل هو محرك يدار به و هو صاحب خدر هكذا يحسه من نفسه وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الثلاثون و مائتان في الرغبة»

رغبت عنه و فيه من أجل ما يقتضيه

مقام من هو مثلي في كل ما يرتضيه

لله سيف حسام للكل إذ ينتضيه

الرغبة في اصطلاح القوم على ثلاثة أنحاء رغبة محلها النفس متعلقها الثواب و رغبة محلها القلب متعلقها الحقيقة و رغبة محلها السر متعلقها الحق فأما الرغبة النفسية فلا تكون إلا في العامة و في الكمل من رجال الله لعلمهم بأن الإنسان مجموع أمور أنشأه الله عليها طبيعية و روحانية و إلهية فعلم إن فيه من يطلب ثواب ما وعد الله به فرغب فيه له إثباتا للحكم الإلهي و أما العامة فلا علم لها بذلك فيشترك الكامل و العامي في صورة الرغبة و يتميز في الباعث كل واحد عن صاحبه كالخوف يوم الفزع الأكبر يشترك فيه الرسل عليهم

السلام و هم أعلى الطوائف و العوام و هم المذنبون و العصاة فالرسل عليهم السلام خوفا على أممها لا على أنفسها فإنهم الآمنون في ذلك الموطن و العامة تخاف على نفوسها فيشتركان في الخوف و يفترقان في السبب الموجب له كان بعض الكمل قد برد ماء في الكوز ليشربه فنام فرأى في الواقعة المبشرة حوراء من أحسن ما يكون من الحور العين قد أقبلت فقال لها لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان ثم تناولت الكوز و هو ينظر إليها فكسرته فكانت له فلما استيقظ وجد الكوز مكسورا فترك خزفه في موضعه لم يرفعه حتى عفي عليه التراب تذكرة له فعلم إن فيه من يطلب ربه و فيه من يطلب تلك الجارية و لذلك استفهمها فأعطى كل ذي حق حقه فلم يكن ظلوما لنفسه فإن من المصطفين من عباد الله من يكون ظالما لنفسه أي من أجل نفسه يظلم نفسه بأنه لا يوفيها حقها لنزوله في العلم عن رتبة من يعلم أن حقائقه التي هو عليها لا تتداخل و لا تتعدى كل حقيقة مرتبتها و لا تقبل إلا ما يليق بها فلا تقبل العين إلا السهر و النوم و ما يختص بها و لا تقبل من الثواب إلا المشاهدة و الرؤية و الأذن لا تقبل في الثواب إلا الخطاب إذ ليس الشهود للسمع و الكامل يسعى لقواه على قدر ما تطلبه و هو إمام ناصح لرعيته ليس بغاش لها فإن ظلمها فإنما يظلمها لها في زعمه و ذلك لجهله بما علم غيره من ذلك كسلمان الفارسي و أخيه في الله أبي الدرداء في حالهما فرجح رسول الله صلى الله عليه و سلم سلمان فإنه كان يعطي كل ذي حق حقه فيصوم و يفطر و يقوم و ينام و كان أبو الدرداء مع كونه مصطفى ظالما لنفسه يصوم فلا يفطر و يقوم فلا ينام و أما الرغبة القلبية في الحقيقة فإن الحقيقة في الوجود التلوين و المتمكن في التلوين هو صاحب التمكين ما هو المقابل للتلوين لأن الحقيقة تعطي أن يكون الأمر هكذا لأن الله كل يوم في شأن فهو في التلوين فهذا القلب يرغب في شهود هذه الحقيقة و جعل الله محلها القلب ليقرب على الإنسان تحصيلها لما في القلب من التقليب و لم يجعلها في العقل لما في العقل من التقييد فربما يرى أنه يثبت على حالة واحدة لو كانت هذه الرغبة في العقل بخلاف كونها في القلب فإنه يسرع إليه التقليب فإنه بين أصابع الرحمن فلا يبقى على حالة واحدة في نفس الأمر فيثبت على تقليبه في أحواله بحسب شهوده و ما يقلبه الأصابع فيه و أما الرغبة السرية التي متعلقها الحق فنعني بالحق هنا ما يظهر للخلق في الأعمال المشروعة فيرغب السر في هذا الحق لما يندرج في ذلك أو يظهر به من المعارف الإلهية التي تتضمنها الأحكام المشروعة و لا تكشف إلا بالعمل بها فإن الظاهر أقوى من الباطن حكما أي هو أعم لأن الظاهر له مقام الخلق و الحق و الباطن له مقام الحق بلا خلق إذ الحق لا يبطن عن نفسه و هو ظاهر لنفسه فمن علم ذلك رغب سره في الحق فإن الله ربط العالم به و أخبر عن نفسه أن له نسبتين نسبة إلى العالم بالأسماء الإلهية المثبتة أعيان العالم و نسبة غناه عنه فمن نسبة غناه عنه يعلم نفسه و لا نعلمه فلم يبطن عن نفسه و من نسبة ارتباط العالم به للدلالة عليه علم أيضا نفسه و علمناه فعم الظاهر النسبتين فكان أقوى في الحكم من الباطن فرغب السر في الحق لعلمه بأن

مدرك نسبة الغني لا يدركها إلا هو فقطع يأسه و أراح نفسه و طلب ما ينبغي له أن يطلب فنفخ في ضرم و لم يكن لحما علي و ضم جعلنا الله ممن رأى الحق حقا فاتبعه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الثلاثون و مائتان في الرهبة»

الرهبة الخوف من سبق و تقليب ... و من وعيد لصدق المخبر الصادق

دل الدليل عليه من مضايفة ... فالراهب الخائف المسارع السابق

يسير في ظلمة عمياء غاسقة ... سير المريب و سير الواله العاشق

يسرى بهمته خوفا فتبصره ... يخاف في سيره من فجأة الطارق

الرهبة عند القوم تقال بإزاء ثلاثة أوجه رهبة من تحقيق الوعيد و رهبة من تقليب العلم و رهبة من تحقيق أمر السبق فالأول إذا جاء الوعيد بطريق الخبر و الخبر لا يدخله النسخ فهو ثابت و الثاني تقليب العلم ف يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ و الثالث ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و أما الرهبة المطلقة من غير تقييد بأمر ما معين فهي كل خوف يكون بالعبد حذرا أن لا يقوم بحدود ما شرع له سواء كان حكما مشروعا إلهيا أو حكما حكميا كما قال تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها أي هم شرعوها لأنفسهم ما أوجبناها عليهم ابتداء فاعتبرها الحق و آخذهم بعدم مراعاتها فما كتبها الله عليهم إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فأثنى على المراعين لها ليحسن القصد و النية في ذلك و في الكلام تقديم و تأخير كأنه يقول فما رعوها حق رعايتها إلا ابتغاء رضوان الله يعني المراعين لها و في شرعنا من هذه الرهبانية من سن سنة حسنة و هذا هو عين الابتداع و لما جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي في قيام رمضان قال نعمت البدعة هذه فسماها بدعة و مشت السنة على ذلك إلى يومنا هذا فلما اقترن بالأعمال المشروعة وجوب القيام بحقها كالنذر خاف المكلف فقامت الرهبة به فأدته إلى مراعاة الحدود فسمي راهبا و سميت الشريعة رهبانية و مدح الله الرهبان في كتابه فمن الناس من علق رهبته بالوعيد فخاف من نفوذه كالمعتزلي القائل بإنفاذ الوعيد فيمن مات عن غير توبة فاعلم إن هنا نكتة أنبهك عليها و ذلك أنه من المحال أن يأتي مؤمن بمعصية توعد الله عليها فيفزع منها إلا و يجد في نفسه الندم على ما وقع منه و قد قال صلى الله عليه و سلم الندم توبة و قد قام به الندم فهو تائب فسقط حكم الوعيد لحصول الندم فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة و لا يرضى بها و هو في حال عمله إياها فهو من كونه كارها لها مؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح و هو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فغايته إن يكون من الذين خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً فقال تعالى عقيب هذا القول عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ و عسى من الله واجبة و رجوعه عليهم إنما هو بالمغفرة و يرزقهم الندم

عليها و الندم توبة فإذا ندموا حصلت توبة الله عليه فهو ذو عمل صالح من ثلاثة أوجه الايمان بكونها معصية و كراهته لوقوعها منه و الندم عليها و هو ذو عمل سيئ من وجه واحد و هو ارتكابه إياها و مع هذا الندم فإن الرهبة تحكم عليه سواء كان عالما بما قلناه أو غير عالم فإنه يخاف وقوع مكروه آخر منه و لو مات على تلك التوبة فإن الرهبة لا تفارقه و ينتقل تعلقها من نفوذ الوعيد إلى العتاب الإلهي و التقرير عند السؤال على ما وقع منه فلا يزال مستشعرا و هو نوع من أنواع الوعيد فإن الله يقول فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ فلا بد أن يوقف عليه فهو يرهب من هذا التوبيخ برؤية ذلك العمل القبيح الذي لا بد له من رؤيته و لم يتعرض الحق في هذه الآية للمؤاخذة به فالرؤية لا بد منها فإن كان ممن غفر له يرى عظيم ما جنى و عظيم نعمة الله عليه بالمغفرة هذا يعطيه الخبر الإلهي الصدق الذي لا يدخله الكذب فإنه محال على الجناب الإلهي فإن نظر العالم إلى أن خطاب الحق لعباده إنما يكون بحسب ما تواطئوا عليه و هذا خطاب عربي لسائر العرب بلسان ما اصطلحوا عليه من الأمور التي يتمدحون بها في عرفهم و من الأمور التي يذمونها في عرفهم فعند العرب من مكارم الأخلاق أن الكريم إذا وعد وفى و إذا أوعد تجاوز و عفا و هي من مكارم أخلاقهم و مما يمدحون بها الكريم و نزل الوعيد عليهم بما هو في عرفهم لم يتعرض في ذلك لما تعطيه الأدلة العقلية من عدم النسخ لبعض الأخبار و لاستحالة الكذب بل المقصود إتيان مكارم الأخلاق قال شاعرهم

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

مدح نفسه بالعفو و التجاوز عمن جنى عليه بما أوعد على ذلك من العقوبة بالعفو و الصفح و مدح نفسه بإنجاز ما وعد به من الخير يقال في اللسان وعدته في الخير و الشر و لا يقال أوعدته بالهمز إلا في الشر خاصة و الله يقول وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ أي بما تواطئوا عليه و التجاوز و العفو عند العرب مما تواطئوا على الثناء به على من ظهر منه فالله أولى بهذه الصفة فقد عرفنا الله أن وعيده ينفذه فيمن شاء و يغفر لمن شاء و مع هذه الوجوه فلا يتمكن زوال الرهبة من قلب العبد من نفوذ الوعيد لأنه لا يدري هل هو ممن يؤاخذ أو ممن يعفى عنه و قد قدمنا ما يجده المخالف عقيب المخالفة من الندم على ما وقع منه و هو عين التوبة فالحمد لله الذي جعل الندم توبة و وصف نفسه تعالى بأنه التواب الرحيم أي الذي يرجع على عباده في كل مخالفة بالرحمة له فيرزقه الندم عليها فيتوب العبد بتوبة الله عليه لقوله ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ و أما الرهبة الثانية التي هي لتحقيق تقليب العلم فيخاف من عدم علمه بعلم الله فيه هل هو ممن يستبدل أم لا قال تعالى وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ فقد أعطى السبب و هو التولي و قد أعطى العلامة و هو عدم التولي عن الذكر لا عن الله فإن التولي عن الله لا يصح و لهذا قال لنبيه فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا

كيف يتولى عمن هو بالمرصاد و الكل في قبضته و بعينه و لما كان مشهده تقليب العلم بتقليب المعلوم فإن العلم يتعلق به بحسب ما هو عليه فتغير التعلق لتغير المتعلق لا لتغير العلم فرهبته من تقليب العلم عين رهبته مما يقع منه فإن العلم لا حكم له في التقليب على الحقيقة و إنما التقليب لموجد عين الفعل الذي يوقع الرهبة في القلب و هو كونه قادرا و يتعلق العلم بذلك الانقلاب و المنقلب إليه قال تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ أي إذا ظهر منكم عند الابتلاء بالتكليف ما يكون منكم من مخالفة أو طاعة يتعلق العلم مني عند ذلك به كان ما كان و حضرة تقليب العلم قوله يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ فذكر المحو بعد الكتابة و يثبت ما شاء مما كتبه وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ و هي السابقة التي لا تتبدل و لا تمحى فلما علم عز و جل ما يمحو من ذلك بعد كتابته و ما يثبت أضيف التقليب إلى العلم و التحقيق ما ذكرناه من تغيير التعلق و عدم التقليب في العلم و أما قوله تعالى عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فما أراد هنا تعلق علمه تعالى بأنهم يختانون أنفسهم و إنما المستقبل هنا بمعنى الماضي فإن اللسان العربي يجيء فيه المستقبل ببنية الماضي إذا كان متحققا كقوله تعالى أَتى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ و شبهه و قد كان الحق كلفهم قبل هذا التعريف أن لا يباشر الصائم امرأته ليلة صومه فمنهم من تعدى حد الله في ذلك فلما علم الله ذلك عفا عمن وقع منه ذلك و أحل له الجماع ليلة صومه إلا أن يكون معتكفا في المسجد فما خفف عنهم حتى وقع منهم ذلك و من من شأنه مثل هذا الواقع فإنه لا يزال يتوقع منه مثله فأبيح له رحمة به حتى إذا وقع منه ذلك كان حلالا له و مباحا و تزول عنه صفة الخيانة فإن الدين أمانة عند المكلف و أما الرهبة لتحقيق أمر السبق فلقوله تعالى ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و قوله لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ و إن كان يسوغ في هذه الآية أن كلمات الله عبارة عن الموجودات كما قال في عيسى إنه كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ فنفى أن يكون للموجودات تبديل بل التبديل لله و لا سيما و ظاهر الآية يدل على هذا التأويل و هو قوله فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ أي ليس لهم في ذلك تبديل و هذه بشرى من الله بأن الله ما فطرنا إلا على الإقرار بربوبيته فما يتبدل ذلك الإقرار بما ظهر من الشرك بعد ذلك في بعض الناس لأن الله نفى عنهم أن يكون لهم تبديل في ذلك بل هم على فطرتهم و إليها يعود المشرك يوم القيامة عند تبري الشركاء منهم و إذا لم يضف التبديل إليهم فهي بشرى في حقهم بما لهم إلى الرحمة و إن سكنوا النار فبحكم كونها دارا لا كونها دار عذاب و آلام بل يجعلهم الله على مزاج ينعمون به في النار بحيث لو دخلوا الجنة بذلك المزاج تألموا لعدم موافقة مزاجهم لما هي عليه الجنة من الاعتدال فمن حقت عليه كلمة الله بأمر فإنه يعمل في غير معمل و يطمع في غير مطمع قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمن يعمل بعمل أهل الجنة حتى يقرب منها بعمله فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخل النار و كذلك الآخر ثم قال و إنما الأعمال بالخواتم فذكر في هذا الحديث لمن هي السابقة و أن الخاتمة هي عين حكم السابقة و لهذا كان بعضهم يقول

أنتم تخافون من الخاتمة و أنا أخاف السابقة و إنما سميت سابقة من أجل تقديمها على الخاتمة فهذا معنى موجود لم يظهر حكمه إلا بعد زمان فهو من بعض ما يمكن أن يستند إليه القائل بالكمون و الظهور و لا سيما و الشارع قد نبه عليه في الحديث بقوله في عمل أهل النار أعمال السعداء فقال فيما يبدو للناس و كذلك في عمل أهل الجنة أعمال الأشقياء فيما يبدو للناس و الذي عندهم و هم فيه في بواطنهم خلاف ما يبدو للناس فعلم الله ذلك منهم فهذا معنى ما ظهر له حكم في الظاهر مع وجوده عندهم و المراؤون من هذا القبيل غير أن هنا بشرى فيما يذهب إليه و ذلك أن العلماء قد علموا إن الحكم للسابق فإن اللاحق متأخر عنه و لهذا السابق يحوز قصب السبق و قصب السبق هنا آدم و ذريته و قد تجارى غضب الله و رحمته في هذا الشأو فسبقت رحمته غضبه فحازتنا ثم لحق الغضب فوجدنا في قبضة الرحمة قد حازتنا بالسبق فلم ينفذ للغضب فينا حكم التأييد بل تلبس بنا للمشاهدة بعض تلبس لما جمعنا مجلس واحد أثر فينا بقدر الاستعداد منا لذلك فلما انفصلت الرحمة من الغضب من ذلك المجلس أخذتنا الرحمة بحيازتها إيانا و فارقنا غضب الله فحكمه فينا أعني بنى آدم غير مؤيد و في غيرنا من المخلوقين ما أدري ما حكمه فيهم من الشياطين و الله أعلم و صاحب هذا الذوق ما يرهب السابقة فإن رحمة الله لا يخاف منها إلا في دار التكليف فرهبة السبق إنما متعلقها سبق مخصوص لا سبق الرحمة و ذلك السبق عرضي ليس بدائم إذا كان سبق شقاوة لأنه ليس له أصل يعضده فإن أصله غضب الله و هو لا حق لا سابق و أما سبق السعادة فما هو عرضي فيزول لأن له أصلا يعضده و يقويه و هو رحمة الله التي سبقت غضبه و لهذا السبق الجزئي العرضي السعادي يبقى و الشقاوي لا يبقى فاعلم ذلك وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الثلاثون و مائتان في التواجد و هو استدعاء الوجد»

إن التواجد لا حال فتحمده ... و لا مقام له حكم و سلطان

يزري بصاحبه في كل طائفة ... و ما له في طريق القوم ميزان

بل ذمه القوم لما كان منقصة ... والنقص ما فيه في التحقيق رجحان

و كل ما هو فيه من يقوم به ... فإنه كله زور و بهتان

اعلم أن التواجد استدعاء الوجد لأنه تعمل في تحصيل الوجد فإن ظهر على صاحبه بصورة الوجد فهو كاذب مراء منافق لا حظ له في الطريق و لهذا لم تسلمه الطائفة إلا لمن أعلم الجماعة التي يكون فيها إنه متواجد لا صاحب وجد و لا يسلم له ذلك إلا إذا اتفق أن يعطي الحال بقرينته أن يوافق أهل الوجد في حركاتهم عن إشارة من شيخ يكون له حكم في الجماعة أو حرمة عندهم فإن خرج عن هذه

الشروط فلا يجوز له أن يقوم متواجدا و لا أن يظهر عليه من ذلك أثر و كل وجد يكون عن تواجد فليس بوجد فإن من حقيقة الوجد أن يأتي على القلب بغتة يفجأه و هو الهجوم على الحقيقة فالوجد كسب فهو له و التواجد تكسب و اكتساب الوجد عن التواجد اكتساب لا كسب و هذه بشرى من الله حيث جعل المخالفة اكتسابا و الطاعة كسبا فقال لَها يعني للنفس ما كَسَبَتْ فأوجبه لها و قال في الاكتساب وَ عَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ فما أوجب لها إلا الأخذ بما اكتسبته فالاكتساب ما هو حق لها فتستحقه فتستحق الكسب و لا تستحق الاكتساب و الحق لا يعامل إلا بالاستحقاق فالعفو من الله يحكم على الأخذ بالجريمة فالتواجد الذي عند أهل الله إظهار صورة وجد من غير وجد على طريق الموافقة لأهل الوجد مع تعريفه لمن حضر أنه ليس بصاحب وجد لا بد من هذا و مع هذا الصدق فتركه أولى لأن مراعاة حق الله أولى من مراعاة الخلق إذ مراعاة الخلق إن لم تكن عن مراعاة مر الحق بها و إلا فهي مداهنة و المداهنة نعت مذموم لا ينبغي لأهل الله أن تتصف بشيء لا يكون للحق فيه أمر بوجوب إن كان فعلا أو يكون لذلك الفعل نعت إلهي في النعوت فتستند إليه فيه و لو كان مذموما في الخلق فإنه محمود في جانب الحق لظهور الحق به لأمر يقتضيه الحكم فمستنده الإلهي قول نوح لقومه فَإِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ و قول الله إِنّا نَسِيناكُمْ . . . كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا فوصف نفسه بالنسيان و يظهر حكم مثل هذا المقصود من ألحق به هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ فموضع الاستشهاد من هذا الموافقة في الصورة فانسحب الاسم عليه في الجناب الإلهي كما انسحب عليه في الجناب الكوني و لم يكن الغرض كون ذلك الأمر محمودا أو مذموما و إنما المراد ظهور الموافقة الإلهية فلما رأى أهل الله ظهور الموافقة الإلهية سامحوا في التواجد و اشترطوا التعريف لما يعطيه مقام الصدق الذي عليه اعتماد القوم فإن قلت فهذه الموافقة الإلهية و النبوية إنما وقعت في دارين و مجلسين مختلفين و التواجد في مجلس واحد قلنا صدقت فيما ذكرته في عين ما استشهدنا به فنحن ما قصدنا إلا الموافقة فإن أردت حصول الأمر من الجانبين في وقت واحد فذلك موجود في مكر الله بالماكرين من حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ فلا يكون ذلك إلا في الدنيا فإنهم في الآخرة يعرفون أن الله مكر بهم في الدنيا بما بسط لهم فيها مما كان فيه هلاكهم فهنا وقع المكر بهم حيث وقع المكر منهم بل في بعض الوقائع أو أكثرها بل كلها إن عين مكرهم هو مكر الله بهم وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ و لما دخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجده و أبا بكر يبكيان في قضية أسارى بدر فقال لهما عمر بن الخطاب اذكر إلى ما أبكاكما فإن وجدت بكاء بكيت و إن لم أجده تباكيت أي أوافقكما في إرسال الدموع و التباكي كالتواجد إظهار صورة من غير حقيقة فهي صورة بلا روح غير أن لها أصلا معتبرا ترجع إليه و هو ما ذكرناه فإن قلت فكيف تعطي الحقائق إظهار حكم معنى في الظاهر من غير وجود ذلك المعنى فيمن ظهر عليه حكمه قلنا هذا موجود في الإلهيات في قوله وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا

يَرْضَهُ لَكُمْ و الرضي إرادة و قد نفى أن يكون مرضيا عنده فقد نفى أن يكون مرادا له فقد ظهر حكم معنى نفاه الحق عن نفسه فكذلك حكم الوجد في التواجد مع نفي الوجد عنه و لمسألة الرضي معنى دقيق ذكرناه في كتاب المعرفة و هو جزء لطيف فلينظر هناك و إنما جئنا به هنا صورة لم نذهب به مذهب التحقيق الذي لنا في الأشياء و إنما أخرجناه مخرج البرهان الجدلي الموضوع لدفع حجة الخصم لا لإقامة البرهان على الحق فالوجد الظاهر في التواجد هو حكم وجد متخيل في نفس المتواجد فهو حكم محقق في حضرة خيالية و قد بينا أن الخيال حضرة وجودية و أن المتخيلات موصوفة بالوجود فما ظهر المتواجد بصورة حكم الوجد إلا لهذا الوجد المتخيل في نفسه فما ظهر إلا عن وجود فله وجه إلى الصدق و لهذا يجب على المتواجد التعريف بتواجده ليعلم السامع من أهل المجلس أن ذلك عن الوجد المتخيل لا عن الوجد القائم بالنفس في غير حضرة الخيال له في و الخيال حكم صحيح في الحس كصاحب الصفراء إذا كان في موضع يتخيل السقوط منه فيسقط فهذا سقوط عن تخيل ظهر حكمه في الحس و كذلك المتواجد قد يحكم عليه الوجد المتخيل بحيث أن يفنيه عن الإحساس كما يفنى صاحب الوجد الصحيح و لكن بينهما فرقان في النتيجة قد ذكرناه في شرح ما لا يعول عليه في الطريق فإن نتيجة الوجد الصحيح مجهولة و نتيجة الوجد الخيالي إذا حكم مقيدة معلومة يعلمها صاحبها إن كان من أهل هذا الشأن فإنه ما ينتج له إلا ما يناسب خياله في الوجد و هو معلوم و الوجد الصحيح مصادفة من حيث لا يشعر صاحبه فلا يدري بما يأتيه به و قد ذكرنا في التواجد ما فيه غنية وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الثلاثون و مائتان في الوجد»

إذا أفناك عنك ورود أمر فذاك الوجد ليس به خفاء

له حكم و ليس عليه حكم نعم و له التلذذ و الفناء

و ذا من أعجب الأشياء فيه فإن مزاجه عسل و ماء

اعلم أن الوجد عند الطائفة عبارة عما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده و شهود الحاضرين و قد يكون الوجد عندهم عبارة عن ثمرة الحزن في القلب قال الأستاذ و بالجملة فهو حسن الوجد حال و الأحوال مواهب لا مكاسب و لهذا كان وجد المتواجد إذا أورثه التواجد الوجد لانفعال نفسه لما يجتلبه مكتسبا و الحال لا يكتسب عند القوم فلذلك لا يعول على وجد المتواجد فنظير الوجد في الأحوال عند القوم كمجيء الوحي إلى الأنبياء يفجؤهم ابتداء كما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يزل يتحنث في غار حرا حتى فجأه الوحي و لم يكن ذلك مقصودا له فكذلك أهل الوجد إنما هم في سماع من الحق في كل ناطق في الوجود و

ما في الكون إلا ناطق فهم متفرغون للفهم عن الله في نطق الكون و سواء كان ذلك في نغم أو غير نغم و بصوت أو غير صوت فيفجؤهم أمر إلهي و هم بهذه المثابة فيفنيهم عن شهودهم أنفسهم و عن شهودهم أنهم أهل وجد و عن شهود كل محسوس فإذا حصل لهم ذلك فذلك هو الوجد عند القوم و لا بد لصاحبه من فائدة يأتي بها فإن جاء بغير فائدة و لا مزيد علم فذلك نوم القلب من حيث لا يشعر فإن الذي يأتيه في تلك الفجاة إنما يأتيه من الله ليفيده علما بما ليس عنده مما تشرف به نفسه و تكمل و تربى على غيرها من النفوس فإنه لا يرد الأعلى نفس طاهرة زكية هذا حكمه في هذا الطريق و أما الوجد العام فهو ما ذكرناه في حده في أول الباب فلا يشترط فيه طهارة و لا غيرها إلا في هذا الطريق و لما كان يظهر في العموم مع عدم الطهارة لهذا لا يكون الوجد شاهد صدق إلا على نفسه إنه وجد خاصة لا أنه وجد في الله و لهذا يلتبس على الأجانب فلا يفرقون بين أهل الله فيه و بين المتصورين بصورة أهل الله و إن كانوا ليسوا منهم فالحال الحال و لهذا أهل الله في السماع المقيد بالنغم من شرطهم أن يكونوا على قلب واحد و أن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم فلا يحضرون إلا مع الأمثال أو مع المؤمنين بأحوالهم المعتقدين فيهم و مستنده الإلهي كون الحق نعت نفسه بأن قاتل نفسه بادره بنفسه و إن كان ما بادره إلا به و لكن هكذا ورد في النعوت الإلهية فنقره و لا بد فإنه أراد الله بذلك المحل أمرا ما فيما كلفه به فجاء ذلك الأمر الإلهي الشرعي لمجيء زمانه و وقته فصادف المحل على غير ما تعطيه حقيقة ذلك الوارد بالوارد الذي فجأه الحاكم على المحل مع علمنا أنه ما نفذ فيه إلا علم الله فيه و لكن تعمير المراتب أدى إلى اختلاف المذاهب فصار الحق هنا صاحب وجد و موجدة على من قتل نفسه مبادرا كما جاء عنه في غضبه على من غضب عليه ففني المقام الإلهي هنا عن شهود نفسه بأنه غني عن العالمين إذ المقامات تتجاور و لا تتداخل فكل مقام له حكم و قد بين الله لعباده في أخباره الصادقة في كتبه و على ألسنة رسله ما هو عليه بما ينسب إليه فمن الآداب أن تنسب إليه ما نسبه إلى نفسه و إن ردته الأدلة العقلية فإن بالدليل العقلي أيضا قد علمنا إن بعض الكون لا يعرفه على حد ما يعرف نفسه فهو المجهول المعروف لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فإن قلت فالمصادفة تقضي بعدم العلم بما صادف فأين مستنده الإلهي فنقول في قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ مع علمه بما يكون منهم فبتلك النسبة تجري هنا و قد وردت و الوجد يفنى كما يفنى الفناء و الغيبة و لا بد لصاحب هذه الأحوال ممن يحضرون معه و يتصفون بالبقاء معه و الشهود له و إن لم يكونوا بهذه المثابة فما هو المطلوب بهذه الألفاظ و اختلفوا في الوجد هل يملك أم لا يملك فذكر القشيري عن بعضهم أنه كان يملك وجده و كان إذا ورد عليه و عنده من يحتشمه و يلزم الأدب معه أمسك وجده فإذا خلا بنفسه أرسل وجده و جعل ذلك كرامة له أنتجها احترام من يجب احترامه و عندنا إن الوجد لا يملك و ذلك الذي أرسله ما هو عين ما ورد عليه مع حضور من احترمه فإن المعدوم ما له عين

يملكها المحدث فلما خلا ذلك الرجل ظهر حكم الوجد فيه في ذلك الوقت فتخيل أنه مالك لوجده كما يملك القاعد قيامه أي بما هو مستعد للقيام لا إن القيام وجد فيه فلم يقم فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثلاثون و مائتان في الوجود»

وجود الحق عين وجود وجدي فإني بالوجود فنيت عنه

و حكم الوجد أفنى الكل عني ولا يدرى لعين الوجد كنه

و وجدان الوجود بكل وجه بحال أو بلا حال فمنه

اعلم أن الوجود عند القوم وجدان الحق في الوجد يقولون إذا كنت صاحب وجد و لم يكن في تلك الحال الحق مشهودا لك و شهوده هو الذي يفنيك عن شهودك و عن شهودك الحاضرين فلست بصاحب وجد إذ لم تكن صاحب وجود للحق فيه و اعلم أن وجود الحق في الوجد ما هو معلوم فإن الوجد مصادفة و لا يدرى بما تقع المصادفة و قد يجيء بأمر آخر فلما كان حكمه غير مرتبط بما يقع به السماع كان وجود الحق فيه على نعت مجهول فإذا رأيتم من يقرر الوجد على حكم ما عينه السماع المقيد و المطلق فما عنده خبر بصورة الوجد و إنما هو صاحب قياس في الطريق و طريق الله لا تدرك بالقياس فإنه كل يوم في شأن و كل نفس في استعداد فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ و اعلم أنه إنما اختلف وجود الحق في الوجد عند الواجدين لحكم الأسماء الإلهية و لحكم الاستعدادات الكونية فكل نفس من الكون له استعداد لا يكون لغيره و صاحب النفس بفتح الفاء هو الموصوف بالوجد فيكون وجده بحسب استعداده و الأسماء الإلهية ناظرة رقيبة و ليس بيد الكون من الله إلا نسب أسمائه و نسب عنايته فوجود الحق في الوجد بحسب الاسم الإلهي الذي ينظر إليه و الأسماء الإلهية راجعة إلى نفس الحق و قد شهد روح الله بشهادة تعم الكون في الله فقال تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ على الوجهين الوجه الواحد أن تكون النفس هنا نفس عيسى عينه أو تكون نفس الحق فإذا جهل العبد ما هي عليه نفسه من حكم الاستعداد الذي به يقبل الوجود الحق الخاص فهو بما ينظر إليه من الأسماء الإلهية في المستأنف أجهل فإذا ظهر لصاحب الوجد وجود الحق عند ذلك الظهور يعلم ما تجلى له من الأسماء فيخبر عند رجوعه عن وجود معين و شهود محقق و أما غير صاحب الوجد فحكمه بحسب الحال التي يقام فيها و الضابط لباب العلم بالله أنه لا يعلم شيء من ذلك إلا بإعلام الله في المستأنف و أما في الحال و الماضي فإعلام الله به وقوعه مشهود المن وقع به عن ذوق لا عن نقل إلا أن يكون الناقل مقطوعا بصدقه و يكون القول أيضا في الباب نصا جليا لا يحتمل إن لم يكن بهذه المثابة و إلا فلا يعلم أصلا و إن وقع العلم به من شخص في وقت فبحكم

المصادفة و مثل هذا لا يسمى علما عند أحد من أهل النظر و إن كان الشارع قد سماه علما في قصة ابن عمر أو من كان من الصحابة في حديث الفاتحة فقال ليهنك العلم مع كونه مصادفة و اعلم أن الذي يتقيد به وجود الحق في صاحب الوجد إنما هو بحسب الوجد و الوجد ليس بمعلوم وروده لمن ورد عليه حتى ينزل به فوجود الحق في كل صاحب وجد بحسب وجده ثم إن الوجد عند العارفين يخرج عن حكم الاصطلاح بل يرسلونه في العموم فما عندهم صاحب وجد صحيح كان فيمن كان إلا و للحق في ذلك الوجد وجود يعرفه العارفون بالله فيأخذون عن كل صاحب وجد ما يأتي به في وجده من وجوده و إن كان صاحب ذلك الوجد لا يعرف أن ذلك وجود الحق فإن العارف يعرفه فيأخذ منه ما يأتي به صاحب كل وجد من وجود و أن الحق تجلى في ذلك الوجد بصورة ما قيده به هذا المخبر عن وجود ما وجده في وجده و هذا ذوق عزيز هو حق في نفس الأمر معتبر مقطوع به عند أرباب هذا الشأن لا عند كلهم و قد أنبأ الحق عن نفسه في ذلك بتغير الصور و النعوت عليه لتغير أحوال العباد و معلوم أنه ما تغيرت أحوال الكون في الثقلين إلا لتغير حكم الأسماء و تغيرت الصور و التجليات لتغير أحوال الكون فالأمر منه بدأ و إليه يعود فللعبد أثر بوجه ما قرره الحق له فلا يرفع عنه حكم ما قرره الحق و من فعل ذلك فقد نازع الحق و هو القهار في مقابلة المنازعين فالعلماء بالله يقهرون بالله و لا يتجلى لهم الله في اسم قاهر و لا قهار في نفوسهم و إنما يرونه في هذا الاسم في صورة الأغيار فيعرفونه منهم لا من نفوسهم لأنهم محفوظون من المنازعة بينهم و بين أشكالهم فكيف بينهم و بين الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثلاثون و مائتان في الوقت»

الوقت ما أنت موصوف به أبدا فلا تزال بحكم الوقت مشهودا

فالله يجعل وقتي منه مشهده فإن في الوقت مذموما و محمودا

له الشئون من الرحمن و هي بنا تقوم شرعا و إيمانا و توحيدا

اعلم أن القوم اصطلحوا على إن حقيقة الوقت ما أنت به و عليه في زمان الحال و هو أمر وجودي بين عدمين و قيل الوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم و قيل الوقت ما يقتضيه الحق و يجريه عليك و قيل الوقت مبرد يسحقك و لا يمحقك و قيل الوقت كل ما حكم عليك و مدار الكل على أنه الحاكم و مستند الوقت في الإلهية وصفه نفسه تعالى إنه كل يوم في شأن فالوقت ما هو به في الأصل إنما يظهر وجوده في الفرع الذي هو الكون فتظهر شئون الحق في أعيان الممكنات فالوقت على الحقيقة ما أنت به و ما أنت به هو عين استعدادك فلا يظهر فيك من شئون الحق التي هو عليها إلا ما يطلبه استعدادك فالشأن محكوم عليه بالأصالة فإن حكم

استعداد الممكن بالإمكان أدى إلى أن يكون شأن الحق فيه الإيجاد ألا ترى أن المحال لا يقبله فأصل الوقت من الكون لا من الحق و هو من التقدير و لا حكم للتقدير إلا في المخلوق فصاحب الوقت هو الكون فالحكم حكم الكون كما قررنا في ظهور الحق في أعيان الممكنات بحسب ما تعطيه من الاستعداد فتنوعه بها و هو في نفسه الغني عن العالمين و لما كانت أذواق القوم في الوقت تختلف لذلك اختلفت عباراتهم عنه و الوقت حقيقة كل ما عبروا به عنه و هكذا كل مقام و حال ليس يقصدون في التعبير عنه الحد الذاتي و إنما يذكرونه بنتائجه و ما يكون عنه مما لا يكون إلا فيمن ذلك المقام أو الحال نعته و صفته فمن أحكامه فيهم و في غيرهم أن الله قد رتب لهم أمورا معتادة يتصرفون فيها بحكم العادة مما لا جناح عليهم فيها أو مما قد اقترن به خطاب من الحق بأنه قربة فيختارون لأنفسهم فعل ذلك على جهة القربة إن كان من القرب أو على كونه مرفوع الحرج فيصادفهم من الحق أمر لم يكن في خاطرهم و لا اختاروه لأنفسهم فيعلمون إن الوقت أعطى ذلك الأمر و أن الله اختاره لهم فإنه القائل وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ أي يقدر و يوجد ثم قال وَيَخْتارُ و نفى أن تكون لهم الخيرة فقال ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ و عندنا إن ما هنا اسم و هو في موضع نصب على أنه مفعول بقوله وَيَخْتارُ الذي كان لهم الخيرة يعني فيه فإذا علم العبد ذلك سلم الحكم فيه لله و استسلم و كان بحكم وقت ما يمضيه الله فيه لا بحكم ما يختاره لنفسه في المنشط و المكره و يرى أن الكل له فيه خير فيعامله الله في كل ذلك بخير فإن كان وقته يعطي نعمة و كان عقده مع الله مثل هذا رزقه الشكر عليها و القيام بحق الله فيها و أعين عليها و إن كان بلاء رزق الصبر عليه و الرضاء به و جعل الله له مخرجا من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ كرجل يريد أن يسبح الله مائة ألف تسبيحة فيحتاج إلى زمان طويل في ذلك مع ما فيه من التعب و التفرغ إليه من الحضور فيعثر على خبر صدق أن النبي صلى الله عليه و سلم جعل قول الإنسان سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات و الحمد لله مثل ذلك و الله أكبر مثل ذلك و لا إله إلا الله مثل ذلك أفضل مما أراده هذا العبد فقال هذا القول الذي جاءه بحكم المصادفة و إن لم يكن عنده منه خبر و ترك ما كان يريد أن يذكره و علم إن الذي اختار الله له بهذا التعريف في هذا الوقت أعظم مما اختاره لنفسه و قد وقع هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم مع عجوز مر عليها و الحديث مشهور فإذا اقتضى الحق أمرا و كان له بك عناية أجراه عليك و رزقك القيام بحقه فالعاقل من أهل الله من يرى أن الخير كله الذي يكون للعبد هو فيما اقتضاه الحق فيما شرع لعباده و بعث به رسوله صلى الله عليه و سلم فمن استعمله الله في اقتضاء الحق المشروع فما بعد عناية الله به من عناية لمن عقل عن الله فالوقت المعلوم من جانب الحق هو عين ما خاطبك به الشرع في الحال فكن بحسب قول الشارع في كل حال تكن صاحب وقت و هو علامة على أنك من السعداء عند الله و هذا عزيز الوجود في أهل الله هو لآحاد منهم من أهل المراقبة لا يغفلون

عن حكم الله في الأشياء و هنا زلت أقدام طائفة من أهل الحضور مع الله في كل شيء فهم لا يغفلون عن الله طرفة عين و لكنهم يغفلون عن حكم الله في الأشياء أو في بعضها أو أكثرها فمن لم يغفل عن حكم الله في الأشياء فما غفل عن الله فقد جمعوا بين الحضور مع الله و مع حكمه فهم أكثر علما و أعظم سعادة و هم أصحاب الوقت الذي يعطي السعادة و بعض رجال الله علم إن الله لا يعدم الأشياء القائمة بأنفسها بعد وجودها و لا يتصف بإعدام أحوالها و لا أعراضها بعد وجودها و إنما الأشياء تكون على أحوال فتزول تلك الأحوال عنها فيخلع الله عليها أحوالا غيرها أمثالا كانت أو أضدادا مع جواز إعدام الأشياء بمسكه الإمداد بما به بقاء أعيانها لكن قضى القضية أن لا يكون الأمر إلا هكذا و لذلك قال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ و لكن ما فعل فإن الإرادة و المشيئة ما تحدث له إذ ليس محلا للحوادث فمشيئته أحدية التعلق لكنه في الأشياء بين أن يجمعها أو يفرقها كلا أو بعضا و هي الأكوان فالوقت على الحقيقة عند الكامل جمع و تفرقة دائما و من الناس من يشهد التفرقة خاصة في الجمع و لا يشهد جمع التفرقة فيتخيل إن ذلك عين الوقت فإذا سئل عن الوقت يشبهه بالمبرد فيقول الوقت مبرد يسحقك و لا يمحقك يقول يفرق جمعيتك و لا يذهب عينك فمن عرف الوقت و أن الحكم له فيه سكن تحت ما حكم به عليه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الثلاثون و مائتان في الهيبة»

إن الجمال مهوب حيثما كانا لأن فيه جلال الملك قد بأنا

الحسن حليته و اللطف شيمته لذاك نشهده روحا و ريحانا

فالقلب يشهده يسطو بخالقه و العين تشهده بالذوق إنسانا

اعلم أن الهيبة حالة للقلب يعطيها أثر تجلى جلال الجمال الإلهي لقلب العبد فإذا سمعت من يقول إن الهيبة نعت ذاتي للحضرة الإلهية فما هو قول صحيح و لا نظر مصيب و إنما هي أثر ذاتي للحضرة إذا تجلى جلال جمالها للقلب و هي عظمة يجدها المتجلي له في قلبه إذا أفرطت تذهب حاله و نعته و لا تزيل عينه فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ذلك التجلي دَكًّا فما أعدمه و لكن أزال شموخه و علوه و كان نظر موسى في حال شموخه و كان التجلي له من الجانب الذي لا يلي موسى فلما صار دكا ظهر لموسى ما صير الجبل دكا ف خَرَّ مُوسى صَعِقاً لأن موسى ذو روح له حكم في مسك الصورة على ما هي عليه و ما عدا الحيوان فروحه عين حياته لا أمر آخر فكان الصعق لموسى مثل الدك للجبل لاختلاف الاستعداد إذ ليس للجبل روح يمسك عليه صورته فزال عن الجبل اسم الجبل و لم يزل عن موسى بالصعق اسم موسى و لا اسم الإنسان فأفاق موسى و لم يرجع الجبل جبلا بعد دكه لأنه ليس له روح يقيمه فإن حكم الأرواح في

الأشياء ما هو مثل حكم الحياة لها فالحياة دائمة في كل شيء و الأرواح كالولاة وقتا يتصفون بالعزل و وقتا يتصفون بالولاية و وقتا بالغيبة عنها مع بقاء الولاية فالولاية ما دام مدبرا لهذا الجسد الحيواني و الموت عزله و النوم غيبته عنه مع بقاء الولاية عليه فإذا علمت إن الهيبة عظمة و أن العظمة راجعة لحال المعظم بكسر الظاء اسم فاعل علمت أنها حالة القلب فهو نعت كياني و مستندة في الإلهية من العلوم التي لا تنقال و لا تذاع و لا يعرفه إلا من علم إن الوجود هو الحق و أنه المنعوت بكل نعت قال تعالى وَ مَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا من تَقْوَى الْقُلُوبِ يعني تلك العظمة و لما كانت العظمة تعطي الحياء و الحياء نعت إلهي فإن الله يستحيي من ذي الشيبة يوم القيامة لعظيم حرمة الشيب عنده تعالى فقد نعت نفسه بأن بعض الأشياء تعظم عنده كما قال وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ فقد قامت به العظمة لذلك الذي هان على الجاهل بقدره من الافتراء على بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الألفاظ لما كانت محجورة من الشارع علينا فلا نطلقها إلا حيث أمرنا بإطلاقها فوقع الفرق بين الهيبة و العظمة فنطلق العظمة في ذلك و لا نطلق الهيبة و لا الخوف و لا القبض فاعلم ذلك و الله سبحانه يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأربعون و مائتان في الأنس»

الأنس بالأنس لا بالصور يجمعنا فاحذر فإنك ممكور و مخدوع

لا تقف ما لست تدريه و تجهله فإن ودك مفروق و مجموع

أنت الإمام و لكن فيك حكمته تعطي بأنك مخلوق و مصنوع

فكيف يأنس من تفني شواهده أكوانه و هو في الأسماع مسموع

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الأنس عند القوم ما تقع به المباسطة من الحق للعبد و قد تكون هذه المباسطة على الحجاب و على الكشف و الأنس حال القلب من تجلى الجمال و هو عند أكثر القوم من تجلى الجمال و هو غلط من جملة ما غلطوا فيه لأن لهم أغاليط في العبارة لعدم التمييز بين الحقائق فما كل أهل الله رزقوا التمييز و الفرقان مع الشهود الصحيح و لكن الشأن في معرفة ما هو هذا الذي وقع عليه الشهود و قد رأينا جماعة ممن شهد حقا و لكن ما عرف ما شهد و حمله على خلاف طريقه فلا بد مع التجلي من تعريف إلهي إما بصفاء الإلهام و إما بما شاءه الحق من أنواع التعريف و للانس بالله علامة عند صاحبه فإنه موضع يغلط فيه كثير من أهل الطريق فيجدون أنسا في حال ما يكون عليه فيتخيل إن ذلك آنس بالله فإذا فقد ذلك الحال فقد الأنس بالله فعندنا و عند الجماعة أن أنسه كان بذلك الحال لا بالله لأن الأنس بالله إذا وقع لم يزل موجودا عنده في كل حال و لذلك يقول القوم من أنس بالله في الخلوة و فقد ذلك الأنس في

الملإ فأنسه كان بالخلوة لا بالله و اعلم أنه لا يصح الأنس بالله عند المحققين و إنما يكون الأنس باسم إلهي خاص معين لا بالاسم الله و هكذا جميع ما يكون من الله لعباده لا يصح أن يكون من حكم الاسم الله لأنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء الإلهية فلا يقع أمر لشخص معين في الكون إلا من اسم معين بل و لا يظهر في الكون كله أعني في كل ما سوى الله شيء يعمه إلا من اسم خاص معين لا يصح أن يكون الاسم الله فإنه من أحكامه أيضا الغني عن العالمين كما أنه من أحكامه ظهور العالم و حبه سبحانه لذلك الظهور و الغني عن العالم لا يفرح بالعالم و الله يفرح بتوبة عبده فالاسم الله تعلم مرتبته و لا يتمكن ظهور حكمه في العالم لما فيه من التقابل و هذه مسألة عظيمة جليلة القدر صعبة التصور في الإلهيات فإن الشيء إذا اقتضى أمرا لذاته فمن المحال أن تتصف الذات بالغنى عن ذلك الأمر كما لا تتصف بالافتقار إليه و قد ورد الغني عن العالمين فإن جعلناه غنيا عن الدلالة كأنه يقول ما أوجدت العالم ليدل علي و لا أظهرته علامة على وجودي و إنما أظهرته ليظهر حكم حقائق أسمائي و ليست لي علامة على سوائي فإذا تجليت عرفت بنفس التجلي و العالم علامة على حقائق الأسماء لا علي و علامة أيضا على أني مستنده لا غير فالعالم كله ذو أنس بالله و لكن بعضه لا يشعر أن الأنس الذي هو عليه هو بالله لأنه لا بد أن يجد أنسا بأمر ما بطريق الدوام أو بطريق الانتقال بأنس يجده بأمر آخر و ليس لغير الله في الأكوان حكم فأنسه لم يكن إلا بالله و إن كان لا يعلم و الذي ينظر فيه أنه آنس به فذلك صورة من صور تجليه و لكن قد يعرف و قد ينكر فيستوحش العبد من عين ما أنس به و هو لا يشعر لاختلاف الصور فما فقد أحد الأنس بالله و لا استوحش أحد إلا من الله و الأنس مباسطة و الاستيحاش انقباض و أنس العلماء بالله إنما هو أنسهم بنفوسهم لا بالله إذ قد علموا أنهم ما يرون من الله سوى صورة ما هم عليه و لا يقع أنس عندهم إلا بما يرون و غير العارفين لا يرون الأنس إلا بالغير فتدركهم الوحشة عند انفرادهم بنفوسهم و كذلك الاستيحاش إنما يستوحشون من نفوسهم لأن الحق مجلاهم فهم بحسب ما يرونه فيهم بل فيه من أحوالهم فيقع الحكم فيهم بالأنس أو بالوحشة و حقيقة الأنس إنما تكون بالمناسب فمن يقول بالمناسبة يقول بالأنس بالله و من يقول بارتفاع المناسبة يقول لا أنس بالله و لا وحشة منه و كل واحد بحسب ذوقه فإنه الحاكم عليه و من له الإشراف من أمثالنا على المقامات و المراتب ميز و عرف كل شخص من أين تكلم و من نطقه و أنه مصيب في مرتبته غير مخطئ بل لا خطأ مطلقا في العالم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الأربعون و مائتان في معرفة الجلال»

إن الجلال على الضدين ينطلق و هو الذي بنعوت القهر أشهده

له العلو و لا علو يماثله له النزول فكل الخلق يجحده

إني بكل الذي قد قلت أعرفه وليس غير الذي قد قلت أقصده

اعلم أن الجلال نعت إلهي يعطي في القلوب هيبة و تعظيما و به ظهر الاسم الجليل و حكم هذا الاسم من أعجب الأحكام فإن له حكم لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ و له حكم قوله على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم مرضت فلم تعدني و جعت فلم تطعمني و ظمئت فلم تسقني فأنزل نفسه منزلة من هذه صفته من الافتقار إلى العبيد و كذلك نزوله في قوله وسعني قلب عبدي و من هذا الباب فرحه بتوبة عبده و تعجبه من الشاب الذي لا صبوة له و تبشبشه بالذي يأتي إلى المسجد للصلاة هذا كله و أمثاله من نعوت التنزيه و التشبيه يعطيه حكم الجلال و الاسم الإلهي الجليل و لهذا قلنا إنه يدل على الضدين كالجون ينطلق على الأبيض و الأسود و كذلك القرء ينطلق على الحيض و الطهر و من حضرة الجلال نزل قوله تعالى وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ فمن وصفه إنما وصف نفسه و لا يعرف منه إلا نفسه لأن رب العزة لا يعينه وصف و لا يقيده نعت و لا يدل على حقيقته اسم خاص و إن لم يكن الحكم ما ذكرناه فما هو رب العزة فإن العزيز هو المنيع الحمى و من يوصل إليه بوجه ما من وصف أو نعت أو علم أو معرفة فليس بمنيع الحمى و لذلك عم بقوله سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و لحضرة الجلال السبحات الوجهية المحرقة و لهذا لا يتجلى في جلاله أبدا لكن يتجلى في جلال جماله لعباده فيه يقع التجلي فيشهدونه مظهر ما ظهر من القهر الإلهي في العالم

إن الجليل هو الذي لا يعرف و هو الذي في كل حال يوصف

فهو الذي يبدو فيظهر نفسه في خلقه و هو الذي لا يعرف

و الجلال لا يتعلق به إلا العلماء بالله و ما له أثر إلا فيهم و ليس للمحيين إليه سبيل هذا إذا كان بمعنى العلو و العزة و إنه إذا كان بالمعنى الذي هو ضد العزة و العلو فإن المحيين يتعلقون به كما يتعلق به العارفون و حضرته من العماء إلى قوله وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ و أما قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فذلك من أسمائه المؤثرة فينا خاصة و الحافظة لنا و الرقيبة علينا و أما الأسماء التي تختص بالعالم الخارج عن الثقلين فأسماء أخر ما هي الأسماء التي معنا أينما كنا و قد بينا في شرح الأسماء الحسنى معنى الاسم الجليل على الوجهين مختصرا في جزء لنا في شرحها وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الأربعون و مائتان في الجمال»

جميل و لا يهوى جلي و لا يرى و تشهده الألباب من حيث لا تدري

و لا تدرك الأبصار منه سوى الذي تنزهه عنه عقول ذوي الأمر

فإن قلت محجوب فلست بكاذب و إن قلت مشهود فذاك الذي أدري

فما ثم محبوب سواه و إنما سليمي و ليلى و الزيانب للستر

فهن ستور مسدلات و قد أتى بذلك نظم العاشقين مع النثر

كمجنون ليلى و الذي كان قبله كبشر و هند ضاق من ذكرهم صدري

اعلم أن الجمال الإلهي الذي تسمى الله به جميلا و وصف نفسه سبحانه بلسان رسوله إنه يحب الجمال في جميع الأشياء و ما ثم إلا جمال فإن الله ما خلق العالم إلا على صورته و هو جميل فالعالم كله جميل و هو سبحانه يحب الجمال و من أحب الجمال أحب الجميل و المحب لا يعذب محبوبه إلا على إيصال الراحة أو على التأديب لأمر وقع منه على طريق الجهالة كما يؤدب الرجل ولده مع حبه فيه و مع هذا يضربه و ينتهره لأمور تقع منه مع استصحاب الحب له في نفسه فمآلنا إن شاء الله إلى الراحة و النعيم حيث ما كنا فإن اللطف الإلهي هو الذي يدرج الراحة من حيث لا يعرف من لطف به فالجمال له من العالم و فيه الرجاء و البسط و اللطف و الرحمة و الحنان و الرأفة و الجود و الإحسان و النقم التي في طيها نعم فله التأديب فهو الطبيب الجميل فهذا أثره في القلوب و أثره في الصور ما يقع به العشق و الحب و الهيمان و الشوق و يورث الفناء عند المشاهدة و من هذه الحضرة تنتقل صورة تجليه فيها إلى المشاهد فينصبغ بها انتقال فيض كظهور نور الشمس في الأماكن و يسمى ذلك النور شمسا و إن لم يكن مستديرا و لا في فلك ثم يفيض الإنسان من تلك الصورة التي ظهر فيها عن الفيض الإلهي على جميع ملكه في رده إلى قصره فينصبغ ملكه كله بصورة جمال لم يكن فلا يفقد الإنسان في ملكه صورة ما شاهدها من ربه في رؤيته فهو عند العلماء بالله تجل دائم دنيا و آخرة لا ينقطع و عند العامة في الجنة خاصة لكونهم لا يعرفون الله معرفة العارفين و ليس لتجلى الجلال في الجنة حكم أصلا و إنما محله الدنيا و البرزخ و القيامة و به تبقي النار و الشقاء في الأشقياء مدة بقائهم فيه إلى أن يرتفع الشقاء و تغلب الرحمة فلا يبقى لتجلى الجلال في التعلق حكم و تنفرد به الملائكة بطريق الهيبة و العظمة و الخوف و الخشوع و الخضوع و الله أعلم

«الباب الثالث و الأربعون و مائتان في الكمال»

ليس الكمال الذي بالنقص تعرفه إن الكمال الذي بالنقص موصوف

العلم يشهده و العين تنكره لأنه عدم و النقص معروف

لو لم يكن لم تكن عين و لا صفة و لا وجود و لا حكم و تصريف

أ لا ترى التستري الحبر أثبته و هو الصواب الذي ما فيه تحريف

أراد بقول سهل أن لكذا سرا لو ظهر بطل كذا اعلم أن الكمال الذي لا يقبل الزيادة لا يكون إلا لله من كونه غنيا عن العالمين و أما الكمال الذي يقبل الزيادة فمثل قوله وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ كما أمر نبيه أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فالكمال هو وقوف الإنسان على الصورة الرحمانية بطريق الإحاطة لذلك عند مقابلة النسخة حرفا حرفا فيؤثر و لا يتأثر و لا يميل و لا يؤثر عدل في فضل و لا فضل في عدل بل يرتفع الفضل و العدل و يبقى الوجود و الشهود و قبول القوابل بحسب استعدادها روحا و جسما فلا ينسب إليه من حيث هو حكم أصلا و جميع النسب تتصف به القوابل و هو على الوجه الواحد الذي يليق به لا يقبل التغير و لا التأثر كما لا يقبل النور من حيث ذاته و عينه ألوان الزجاج مع أنك تنظر إلى النور أحمر و أصفر و أخضر متنوعا بتنوع ألوان الزجاج فالنور ما انصبغ بالألوان و لكن هكذا تشهده العين و العلم يقضي بأنه على صورته التي كان عليها ما تأثر في عينه بشيء من ذلك إلا تنظر إليه في المساحة الهوائية التي بين موضع الزجاج و موضع النور المنعكس المتلون هل ترى في النور في هذه المساحة لونا من تلك الألوان مع كونه قد انبسط على الزجاج و حينئذ عمر المساحة الهوائية التي بين ما يظهر من الألوان و بين الزجاج و كقوس قزح فالكامل من لا يقبل الزائد و نحن في مزيد علم دنيا و آخرة فالنقص بنا منوط فكمالنا بوجود النقص فيه فلنا كمال واحد و للحق كمالان كمال مطلق و كمال يقول به حَتَّى نَعْلَمَ فنسختنا من كمال حتى نعلم لا من الكمال المطلق فافهم فإنه سر عجيب في العلم الإلهي فنشهده تعالى من كونه إلها لا من كونه ذاتا وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الأربعون و مائتان في الغيبة»

أغيب عنه و لي عين تشاهده في حضرة الغيب و الغياب ما حضروا
ما في الوجود سواه في شهادته و غيبه فانظروا في الغيب و افتكروا
فتلك غيبة من هاتيك حالته فغيبة القلب حال ليس تعتبر
عمن تغيب و ما في الكون من أحد سوى الوجود فلا عين و لا أثر

اعلم أن الغيبة عند القوم غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل القلب بما يرد عليه و إذا كان هذا فلا تكون الغيبة إلا عن تجل إلهي و لا يصح أن تكون الغيبة على ما حدوه عن ورود مخلوق فإنه مشغول غائب عن أحوال الخلق و بهذا تميزت الطائفة عن غيرها فإن الغيبة موجودة الحكم في جميع الطوائف فغيبة هذه الطائفة تكون بحق عن خلق حتى تنسب إليه على جهة الشرف و المدح و

أهل الله في الغيبة على طبقات و إن كانت كلها بحق فغيبة العارفين غيبة بحق عن حق و غيبة من دونهم من أهل الله غيبة بحق عن خلق و غيبة الأكابر من العلماء بالله غيبة بخلق عن خلق فإنهم قد علموا أن الوجود ليس إلا الله بصور أحكام الأعيان الثابتة الممكنات و لا يغيبه إلا صورة حكم عين في وجود حق فيغيب عن حكم صورة عين أخرى تعطي في وجود الحق ما لا تعطي هذه و الأعيان و أحكامها خلق فما غاب إلا بخلق عن خلق في وجود حق فالعامة مصيبة لبعض هذه المسألة فإنها ينقصها منها في وجود حق و غيبتها إنما هي بخلق عن خلق مثل الكمل من رجال الله و ما في الأعيان عين يكون حكمها مشاهدة للكل فلا تتصف بالغيبة و لما لم تكن ثم عين لها وصف الإحاطة بالحضور مع الكل و إن ذلك من خصائص الإله فلا بد من الغيبة في العالم و الحضور و قد أومأنا إلى ما فيه كفاية في هذا الباب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الأربعون و مائتان في الحضور»

و هو الحضور مع الله جل ثناؤه و تقدست أسماؤه مع الغيبة هكذا هو عند القوم

حضوري مع الحق في غيبتي حضوري به فهو الحاضر

هو الباطن الحق في غيبتي وعند حضوري هو الظاهر

فإن فته فأنا أول و إن فاتني فأنا الآخر

اعلم أنه لا تكون غيبة إلا بحضور فغيبتك من تحضر معه لقوة سلطان المشاهدة كما أن سلطان البقاء يفنيك لأنه صاحب الوقت و الحكم و التفصيل في الحضور في أهله كما ذكرناه في الغيبة سواء فكل غائب حاضر و كل حاضر غائب لأنه لا يتصور الحضور مع المجموع و إنما هو مع آحاد المجموع لأن أحكام الأسماء و الأعيان تختلف و الحكم للحاضر فلو حضر بالمجموع لتقابلت و أدى إلى التمانع و فسد الأمر فلا يصح الحضور مع المجموع لا عند من يرى حضوره بحق و لا عند من يرى حضوره بخلق فإن حكم الأعيان مثل حكم الأسماء في التقابل و الاختلاف و ظهور السلطان فتدبر ما ذكرناه تجد العلم إن شاء الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الأربعون و مائتان في السكر»

السكر أقعدني على العرش المحيط المستدير

و أنا بقاع قرقر من كل ما يغني فقير

و السكر من خمر الهوى و السكر من نظر المدير

قد قال قبلي شاعر و هو العليم به الخبير

فإذا سكرت فإنني رب الخورنق و السرير

و إذا صحوت فإنني رب الشويهة و البعير

قال تعالى وَأَنْهَارٌ من خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ و هو علم الأحوال و لهذا يكون لمن قام به الطرب و الالتذاذ و أما حدهم له بأنه غيبة بوارد قوي فما هو غيبة إلا عن كل ما يناقض السرور و الطرب و الفرح و تجلى الأماني صورا قائمة في عين صاحب هذا الحال و رجال الله تعالى في حال السكر على مراتب نذكرها إن شاء الله فسكر طبيعي و هو ما تجده النفوس من الطرب و الالتذاذ و السرور و الابتهاج بوارد الأماني إذا قامت الأماني له في خياله صورا قائمة لها حكم و تصرف يقول شاعرهم

فإذا سكرت فإنني رب الخورنق و السرير

فإنه كان يرى ملكه لذينك غاية مطلوبه فلما سكر قامت له صورة الخورنق و السرير ملكا له يتصرف فيه في حضرة تخيله و خياله أعطاه إياه حال السكر فإن له أثرا قويا في القوة المتخيلة قالوا فقون من أهل الله مع الخيال لهم هذا السكر الطبيعي فإنهم لا يزالون يراقبون ما تخيلوا تحصيله من الأمور المطلوبة لهم من الله حتى يتقوى عندهم ذلك و يحكم عليهم مثل

قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه و قوله صلى الله عليه و سلم أيضا إن الله في قبلة المصلي و قول الصاحب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و قد سأله صلى الله عليه و سلم عن حقيقة إيمانه حين قال أنا مؤمن حقا فقال رضي الله عنه كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا يعني في يوم القيامة فجاء بما تعطيه حضرة الخيال فإذا تقوى مثل هذا التخيل أسكر النفس و قامت له صورة ما تخيل ينظر إليها بعينه و يخبر عنها كرؤية صاحب الرؤيا سواء و تلقي إليه و يصغي إليها و هو لا يعلم أنه يخاطب و يشاهد صورة خيالية بل يقطع أن ذلك شهود حسي فإذا صحا من ذلك السكر ارتفع عنه ذلك الأمر من حيث صورته مع بقاء تخيله عند بعض الناس ممن يتذكر ذلك في الذهن كما يرتفع عنه صورة ما رأى في النوم بالانتباه و من أهل هذا المقام من يبقي الله له تلك الصورة المتخيلة في حال صحوه فيثبتها له محسوسة بعد ما كانت متخيلة كالجنة التي خيلها إبليس في الخيال المنفصل لسليمان عليه السلام ليفتنه بها و لا علم لسليمان عليه السلام بذلك فسجد شكرا لله تعالى حيث أتحفه بها فأبقاها الله له جنة محسوسة يتنعم بها و رجع إبليس خاسرا لأنه أراد بذلك فتنته و ما علم أن أهل الله إذا وقع لهم مثل هذا أنه يحدث ذلك عبادة لله عندهم هذا و المخيل عدو فكيف حالهم إذا كان خيالهم منهم و ليسوا بأعداء نفوسهم فإنهم يسعون في خلاصها و نجاتها فإذا كان سكرهم الطبيعي أثمر لهم مثل هذا فما ظنك بما فوقه من مراتب الإسكار

و أما السكر العقلي فهو شبيه بالسكر الطبيعي في رد الأمور إلى ما تقتضيه حقيقته لا إلى ما يقتضيه الأمر في نفسه و يأتي الخبر الإلهي عن الله لصاحب هذا المقام بنعوت المحدثات إنها نعت لله فيأبى قبولها على هذا الوجه لأنه في سكرة دليله و برهانه فيرد ذلك الخبر لما يقتضيه نظره مع جهله بذات الحق و هل تقبل هذا النعت أو لا تقبله بل تخيل أنها لا تقبله فيمد رجله هذا العقل لسكره في غير بساطه فوقع في الحق بسكره و يعذره الحق في ذلك لأن السكران غير مؤاخذ بما ينطق فجرد عن الله ما نسبه الحق لنفسه فإذا صحا هذا العاقل عن سكره بالإيمان لم يرد الخبر الصدق و القول الحق و قال إن الحق أعلم بنفسه و بما ينسبه إليه من العقل فإن العقل مخلوق و المخلوق لا يحكم على الخالق فإنه ما من مصنوع إلا و يجهل صانعه فإن الشقة تجهل صانعها و هو الحائك كذلك الأركان مع الأفلاك و كذلك الأفلاك مع النفس و النفس مع العقل و كذلك العقل مع الله و غاية ما علم من علم منهم افتقاره إليه و استناده في وجوده إلى صانعه و لا يحكم عليه بشيء و لا سيما إن أخبر الصانع عن نفسه بأمور فليس للمصنوع إلا قبولها فإن ردها فلسكر قام به فخمره الذي يشرب إنما هو دليله و برهانه و يقويه على ذلك ما تعطيه بعض الأخبار الإلهية من النعوت في حقه الموافقة لبرهانه و دليله فهذا سكر عقلي فالسكر الطبيعي سكر المؤمنين و السكر العقلي سكر العارفين و بقي سكر الكمل من الرجال و هو السكر الإلهي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم زدني فيك تحيرا و السكران حيران فالسكر الإلهي ابتهاج و سرور بالكمال و قد يقع في التجلي في الصور سكر بحق قال بعضهم

و أسكر القوم دور كأس و كان سكرى من المدير

فمن أسكره الشهود فلا صحو له البتة و كل حال لا يورث طربا و بسطا و إدلالا و إفشاء أسرار إلهية فليس بسكر و إنما هو غيبة أو فناء أو محق و لا يقاس سكر القوم في طريق الله على سكر شارب الخمر فإنه ربما أورث بعض من يشربه غما و بكاء و فكرة و ذلك لما يقتضيه مزاج ذلك الشارب و يسمونه سكران و مثل هذا لا يكون في سكر الطريق و قليل من الناس من يفرق بين الحيوان و السكران و عندنا في العلم الطبيعي أن شارب الخمر إذا أورثه غما و بكاء و حزنا و فكرة و إطراقا لما يقتضيه طبعه و مزاجه فليس بسكران و لا هو صاحب سكر فإن بعض الأمزجة لا تقبل السكر و لا أثر له فيها فغيبة السكران ليست عن إحساسه و إنما غيبته عن مقابل الطرب لا غير و نظير هؤلاء الذين لا يطربون نظير أصحاب الفكرة و الغيبة و الفناء و يفارق السكر سائر الغيبات لأن الصحو لا يكون إلا عن سكر و السكر يتقدم صحوه و ليس الحضور مع الغيبة كذلك و لا الفناء مع البقاء كذلك لكنه مثل الصعق مع الإفاقة و النوم مع اليقظة فإن النوم مقدم على الانتباه و الغشية متقدمة على الإفاقة و إنما ذكرنا هذا التفصيل من أجل مذهبهم في حد السكر أنه غيبة بوارد قوي

فأطلقوا عليه اسم الغيبة فيتخيل من لا ذوق له أن حكمه حكم الغيبة فيقيس فيخطئ في تربيته للمريد إن كان من المتشيخين فيلتبس عليه الأمر فلا يفرق في حال المريد بين سكره و غيبته و فنائه و السكران في هذا الطريق لا يغيب عن إحساسه فإن غاب كما يراه الحنفيون في سكر شارب الخمر فقد انتقل عندنا من حال السكر إلى حال فناء أو غيبة أو محق و لم يعقب سكره صحو بل انتقل من حال سكر إلى حال فناء أو غيره من الأحوال المغيبة عن بعضه أو كله و لا يتخيل أن السكر لما كان على هذه المراتب المتميزة أنه يمكن أن يكون لصاحب هذه الحال سكران أو يجمعها كلها لما هو عليه من الحقائق كما قررنا في بعض المسائل من جمع الإنسان لأمور كثيرة لحقائق تطلبها منه و لا سيما و قد أنشد بعض من أسكره الخمر و الهوى فقال

سكران سكر هوى و سكر مدامة فتى يفيق فتى به سكران

فأخبر أنه قام به سكران و سكر هل الله ليس كذلك فإن المعرفة تمنع منه فإن السكران الإلهي لا يتمكن أن يكون له السكر العقلي فإن الشهود يمنع من ذلك و السكران بالسكر العقلي لا يتمكن له أن يتمكن منه السكر الطبيعي فإن دليله ينفيه فإنه إذا كان يرد حكم السكر الإلهي فكيف يقبل حكم السكر الطبيعي و إنما السكران من أهل الله يرتقي في سكره من سكر إلى سكر لا يجمع بينهما مثل ما قال هذا الشاعر و ما استشهد به في الطريق إلا صاحب قياس لا صاحب ذوق فمن أسكره السكر الطبيعي ثم جاءه السكر العقلي فإن السكر الطبيعي يفارق المحل بالضرورة و يزول حكمه عن صاحبه و ما هو الأمر في هذه الإسكارات بالتدريج قد يوهب الإنسان السكر ابتداء أعني السكر الإلهي فلا يمكن أن يكون له ذوق السكر العقلي أبدا لكنه قد يكون له العلم به و بمرتبته من غير أن يكون له أثر فيه و هو الذوق و قد يوهب السكر العقلي ابتداء ذوقا فلا يتمكن له أن يكون له ذوق في السكر الطبيعي لكن قد ينتقل إلى السكر الإلهي ذوقا فيزول عنه حكم السكر العقلي ذوقا و حالا و يبقى له العلم به من طريق الذوق لأنه قد تقدمه ذوقه قبل أن ينتقل فهكذا هو الأمر في سكر أهل الطريق في الإلهيات و أما في غير الإلهيات فقد يمكن أن يجمع بين السكرين في الصورة و إذا حققت الأمر فيه وجدته على خلاف ذلك فإنه قد يتخيل في الإنسان أنه إذا علم شيئا فهو صاحب ذوق له و ليس الأمر كذلك فإن الذوق لا يكون إلا عن تجل و العلم قد يحصل بنقل الخبر الصادق الصحيح فهكذا فلتعرف طريق الله يا ولي فقد أعطيتك ميزان الأمور في هذه المقامات و أريتك مستندها و ما تجد هذا البيان في غير هذا الكتاب في كلام هذه الطائفة إلا أن تكون إشارات منهم إلى ذلك في بعض ما ينقل عنهم فإنهم عالمون به ضرورة إذا كانوا أصحاب ذوق و هم أصحاب ذوق إذ لا يكون منهم إلا من هو صاحب ذوق فالطبع يشهده فيسكر و العقل يشهده فيسكر و السر يشهده فيسكر و لا تجتمع هذه الإسكارات أبدا لا حد في وقت واحد و إن كان الكل من أهل الله كما أن الظالم

لنفسه ما هو مقتصد فيما هو ظالم و لا سابق فيما هو مقتصد مع كون كل واحد منهم مصطفى من ورثة الكتاب الإلهي بل يعطي الكشف الصحيح أنه لا يكون ظالما لنفسه من ذاق الاقتصاد و كذا ما بقي من غير تقييد فإن حكم الأذواق في الأمور و حصول العلم عنها ما هو مثل حكم سائر الطرق فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

«الباب السابع و الأربعون و مائتان في الصحو»

الصحو يأتي بعين العلم و الأدب إن لم يكن صيلما للحكم و السبب

و وارد الصحو أقوى عند طائفة من وارد السكر إذ يغني عن الطرب

و اللهو تحيا به كل النفوس و ما في وارد الصحو من لهو و من لعب

لذاك قواه أقوام و أضعفه قوم و عندي فحكم الوقت للنسب

اعلم أن الصحو عند القوم رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي و اعلم أنهم قد جعلوا في حد السكر أنه وارد قوي و كذلك الصحو أنه وارد قوي و ما قالوا إنه أقوى و ذلك أن المحل الموصوف بالسكر و الصحو لهذين الواردين مع استوائهما في القوة فيتمانعان بل وارد السكر أولى فإنه صاحب المحل فله المنع و لكن لا يتمكن لورود وارد على محل إلا بنسبة و استعداد من المحل يطلب بتلك النسبة أو الاستعداد ذلك الوارد المناسب و إن تساوت الواردات فإذا جاء الوارد و في المحل غيره فوجد النسبة و الاستعداد يطلبه حكم عليه و أزال عنه حكم الوارد الآخر الذي كان فيه لا لقوته و ضعف الآخر بل للنسبة و الاستعداد و اعلم أنه لا يكون صحو في هذا الطريق إلا بعد سكر و أما قبل السكر فليس بصاح و لا هو صاحب صحو و إنما يقال فيه ليس بصاحب سكر بل يكون صاحب حضور أو بقاء و غير ذلك ثم اعلم أن صحو كل سكران بحسب سكره على ميزان صحيح فلا بد أن يأتي بعلم محقق استفاده في غيبة سكره فإن كان صحوه صيلما فما كان قط سكران سكر الطريق إذ العلم شرط في الصاحي من السكر هكذا هو طريق أهل الله لأن الجود الإلهي ما فيه بخل و لا في قدرته عجز فإذا صحا كتم ما ينبغي أن يكتم و أذاع ما ينبغي أن يذاع و قوله في حال صحوه مقبول لأنه شاهد عدل و قول السكران و إن كان شاهد عدل فإنه لا يقبل إذا ناقض قول الصاحي و إن كان حقا و لكن إذا قيل الحق في غير موطنه لم يقبل و ربما عاد وباله على قائله مع كونه حقا إذ كل قول حق لا يكون محمودا عند الله و هذا معلوم مقرر في شرع الله في العموم و الخصوص كالشبلي و الحلاج فقال الشبلي شربت أنا و الحلاج من كأس واحد فصحوت و سكر فعربد فحبس حتى قتل و الحلاج في الخشبة مقطوع الأطراف قبل أن يموت فبلغه قول الشبلي فقال هكذا يزعم الشبلي لو شرب ما شربت لحل به مثل ما حل بي أو قال مثل

قولي فقبلنا قول الشبلي و رجحناه على قول الحلاج لصحوه و سكر الحلاج فالصحو بالله و السكر بالله لا بد فيه من علم بالله و ما لا يعطي علما فليس بصحو الطريق و لا سكره و قد تقدم تقسيم السكر فذلك التقسيم يرد على الصحو فإنه لكل سكر صحو إن لم يمت صاحب السكر في حال سكره فيكون صحوه في البرزخ و منهم من يبقى على سكره في البرزخ إلى البعث و اعلم أنه إن تقدم للعبد سكر طبيعي أو عقلي ثم أزالهما أو أحدهما السكر الإلهي فالسكر الإلهي صحو من هذا السكر الذي كان في المحل و إن لم يتقدم لصاحب السكر الإلهي في المحل سكر عقلي و لا طبيعي فليس سكره الإلهي بصحو بل هو حال سكر ورد عليه و معنى الصحو أنه ينكشف له حق الله في الأمور التي استفادها في حال سكره فيعلم عند صحوه ما ينبغي أن يذاع منها في العموم و الخصوص و ما ينبغي أن يستر فإن كان قد أذاع منها في حال سكره شيئا فيعطيه الصحو أن يستغفر الله من ذلك و عذره مقبول و إنما يستغفر لأن السكران لا بد أن يبقى فيه من الإحساس ما يكون معه الطرب فلو لم يبق معه إحساس لكان مثل النائم يرتفع عنه القلم أي لا يلزمه الاستغفار و هذا الفرق بين السكران و المجنون و إن كان كل واحد منهما من أهل الإحساس فإن المجنون ارتفع عنه الحكم و لم يرتفع عن السكران و من حاله الاستغفار مما ظهر منه ما هو مثل حال من لم يقع منه ما يوجب الاستغفار فإن الاستغفار عندنا في طريق الله يكون في مقامين المقام الواحد ما ذكرناه و هو أن يبدو منه ما ينبغي أن يكون مستورا فيجب عليه الاستغفار من ذلك و قد يقع الاستغفار ممن لم يبد منه شيء يوجب الاستغفار فيستغفر من هذا مقامه أي يطلب أن يستره الله في كنف عنايته أن يحكم عليه حال من شأنه إذا لم يستره الله في كنف عنايته أن يبدو منه بحكم ذلك الحال ما ينبغي أن يستر و هذا هو المقام الثاني الذي لأهل الاستغفار فيبتدءون بطلب الستر من الله عن حكم حال يوجب عليهم الاعتذار من وقوعه و هذا هو استغفار الأكابر من الرجال المعصومين و لذلك ما سمع من نبي قط في حال نزول الوحي عليه كلام حتى يسرى عنه فإذا صحا حينئذ يخبر بما يجب و لهذا ما نقل عن نبي قط أنه ندم على ما قاله مما أوحي إليه فيه و أما ما كان عن نظر من غير وارد وحي فقد يمكن أن يرجع عن ذلك و يندم على ما جرى منه في ذلك و قد وقع منه مثل هذا في أسارى بدر و سوق الهدى في حجة الوداع و غير ذلك و لما كان في الصحو انكشاف لمراتب الأمور قدمناه في الفضيلة على السكر أي صاحبه مقبول الحكم لمعرفته بالمواطن و إن كان السكران صاحب حق ألا ترى الصحو في السماء إذا أصحت أي زال غيمها و انكشفت لتعطي الشمس من حرارتها لما يخرج من الأرض من النبات و تسخين العالم لأن لها أثرا في ذلك كما أعطى الغيم ما في قوته من الرطوبة في الأرض لأجل ذلك النبات فأفاد حال السكر و حال الصحو في الطبيعة فإذا لم تقع فائدة عند السكران في الطريق و لا عند الصاحي منه

فما هو من أهل الطريق بل يكون كالصحو الذي معه القحط المسمى صيلما و هو الذي أشرنا إليه في الأبيات في أول هذا الباب فصحو السكر كله أدب و علم و الناس فيه متفاضلون تفاضلهم في السكر

فكل سكر له احتكام وكل صحو له ثبات

و اعلم أن من الصاحين من يصحو بربه و منهم من يصحو بنفسه و الصاحي بربه لا يخاطب في صحوه إلا ربه و لا يسمع إلا منه فلا يقع له عين إلا على ربه في جميع الموجودات و هو على أحد مقامين إما أن يكون يرى الحق من وراء حجاب الأشياء بطريق الإحاطة مثل قوله وَاللهُ من وَرائِهِمْ مُحِيطٌ و إما أن يرى الحق عين الأشياء و هنا ينقسم رجال الله على قسمين قسم يرى الحق عين الأشياء في الأحكام و الصور و قسم يرى الحق عين الأشياء من حيث ما هو قابل لحكم الصور و أحكامها لا من حيث عين الصور فإن الصور من جملة أحكام الأعيان الثابتة فتختلف أحوال رجال الله في صحوهم بالله و أما من صحا بنفسه فإنه لا يرى إلا أشكاله و أمثاله و يقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خاصة و لا يعطي مقامه و لا حاله أن يتم الآية ذوقا و إن تلاها و هو قوله وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و صاحب الذوق الأول يقول وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ذوقا و تلاوة فيرى صاحب صحو النفس أن الحق في عزلة عنه كما يراه من جعله في قبلته إذا صلى و لا يراه أنه هو المصلي و هذا القدر من الإشارة في معرفة الصحو كاف و الصحو و السكر من الألفاظ المحجورة المختصة بالأكوان فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الأربعون و مائتان في الذوق»

لكل مبدأ مجلى في تجليه ذوق ينبئ عن معنى تخلية

إن التجلي بالأسماء يحكمها وذلك الحكم من أعلى توليه

إذا تدلى إلى أمر يعن له كان الدنو إلينا في تدليه

لما تلقاه قلبي في منازله كان الترقي به إلى تجليه

اعلم أن الذوق عند القوم أول مبادي التجلي و هو حال يفجأ العبد في قلبه فإن أقام نفسين فصاعدا كان شربا و هل بعد هذا الشرب رى أم لا فذوقهم في ذلك مختلف فيه و قد ذكر عن بعضهم أنه شرب فارتوى نقل عنه ذلك و نقل عن أبي يزيد أن الري محال و كل نطق بحاله و لكل صاحب قول وجه عندنا صحيح في الطريق و عندنا في هذه المسألة تفصيل يرد إن شاء الله فيما بعد في باب الشرب أو الري أو في باب عدم الري إن ذكرنيه الله فابحث عليه في آخر هذه الأبواب من هذا الكتاب اعلم أن قولهم أول مبادئ التجلي إعلام أن

لكل تجل مبدأ هو ذوق لذلك التجلي و هذا لا يكون إلا إذا كان التجلي الإلهي في الصور أو في الأسماء الإلهية أو الكونية ليس غير ذلك فإن كان التجلي في المعنى فعين مبدئه عينه ما له بعد المبدأ حكم يستفيده الإنسان بالتدريج كما يستفيد معاني تلك الصورة المتجلي فيها أو معاني الأسماء كلها كل اسم منها فيرى في المبدأ ما لا يراه من ذلك الاسم بعد ذلك و صاحب المعنى مبدأ كل شيء عينه فلا يستفيد منه بعد هذه الإفادة الكلية فله التفصيل في التعبير عن ذلك الأمر الواحد و هو المراد بقولنا في صدر هذا الكتاب

حتى بدت للعين سبحة وجهه وإلى هلم لم تكن إلا هي

فكان مبدؤها عينها و كل ما نأتي به بعد ذلك في جميع كلامنا إنما هو تفصيل لذلك الأمر الكلي تتضمنه تلك النظرة في تلك العين الواحدة و أكثر الناس على خلاف هذا الذوق و لهذا لا ينتظم كلامهم و يطلب الناظر فيه أصلا يرجع إليه جميع أقوالهم فلا يجد و كلامنا مرتبط بعضه بعضه لأنه عين واحدة و هذا تفصيلها و يعرف ما قلناه من يعرف مناسبة آي القرآن في نسق بعضها إلى بعض فيعرف الجامع بين الآيتين و إن كان بينهما بعد ظاهر فذلك صحيح و لكن لا بد من وجه جامع بين الأسين مناسب هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات لأنه نظم إلهي و ما رأينا أحدا ذهب إلى النظر في هذا إلا الرماني من النحويين فإن له تفسير للقرآن أخبرني من وقف عليه أنه نحا في القرآن هذا المنحى و ما وقفت عليه لكني رأيت بمراكش ببلاد المغرب أبا العباس السبتي صاحب الصدقات يسلك هذا المسلك و فاوضته فيه و كان من أصحاب الموازين ثم اعلم أن الذوق يختلف باختلاف التجلي فإن كان التجلي في الصور فالذوق خيالي و إن كان في الأسماء الإلهية و الكونية فالذوق عقلي فالذوق الخيالي أثره في النفس و الذوق العقلي أثره في القلب فيعطي حكم أثر ذوق النفس المجاهدات البدنية من الجوع و العطش و قيام الليل و ذكر اللسان و التلاوة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله و رمى ما تملكه اليدان كان وحده لا تكون له عائلة و لا شيخ فإن كان بين يدي شيخ معتبر يربيه فيرمي ما بيده بين يدي ذلك الشيخ و يخرج عنه بالكلية ظاهرا و باطنا و لا يبقى له ملكا و إن كره ذاك بباطنه لضعفه أو أدركته فيه مشقة فلا ينظر بإخراج ذلك من يده الالتذاذ بذلك بل إذا أخرجه عن مشقة أخرجه بنظر صحيح ثابت لا يتمكن له في نفسه إزالة ما نواه في ذلك و إذا أخرجه عن يده بلذة فما أخرجه بعقله فإن ارتفعت اللذة يمكن أن يدركه الندم بخلاف الكارة فإنه إذا أخرجه مع الكرة ثم بدا له في نفسه بالعناية الإلهية ما أزال الكرة عنه انتقل إلى حالة الالتذاذ بذلك فهو أثبت في المقام و هكذا كان خروجنا عما بأيدينا و لم يكن لنا شيخ نحكمه في ذلك و لا نرميه بين يديه فحكمنا فيه الوالد رحمه الله لما شاورناه في ذلك فإنا تركنا ما بأيدينا و لم نسند أمره إلى أحد لأنا لم نرجع على يد شيخ و لا كنت رأيت شيخا في الطريق بل خرجت عنه خروج الميت عن أهله و ما

له فلما شاورنا الوالد و طلب منا الأمر في ذلك حكمناه في ذلك و لم أسأل بعد ذلك ما صنع فيه إلى يومي هذا هذا ما يعطي حكم ذوق النفس و لا بد منه لكل طالب و أصله إتيان أبي بكر بجميع ما يملكه إلى النبي صلى الله عليه و سلم حين قال له ائتني بما عندك و أتاه عمر بشطر ماله فإنه صلى الله عليه و سلم ما حد لهم في ذلك و لو حد لهم في ذلك ما تعدى أحد منهم ما حده له رسول الله صلى الله عليه و سلم و إنما أراد صلى الله عليه و سلم أن تتميز مراتب القوم عندهم فقال لأبي بكر ما تركت لأهلك فقال الله و رسوله و هذا غاية الأدب حيث قال و رسوله فإنه لو قال الله لم يتمكن له أن يرجع في شيء من ذلك إلا حتى يرده الله عليه من غير واسطة حالا و ذوقا فلما علم ذلك قال و رسوله فلو رد إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من ماله شيئا قبله لأهله من رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه تركه لأهله فما حكم فيه إلا من استنابه رب المال فانظر ما أحكم هذا و ما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الأمور و تخيل عمر أنه يسبق أبا بكر في ذلك اليوم لأنه رأى إتيانه بشطر ماله عظيما ثم قال لعمر بن الخطاب ما تركت لأهلك قال شطر مالي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بينكما ما بين كلمتيكما قال عمر فعلمت أني لا أسبق أبا بكر أبدا و الإنسان ينبغي أن يكون عالي الهمة يرغب في أعلى المراتب عند الله و يوفي كل مرتبة حقها فلم يرد رسول الله صلى الله عليه و سلم على أبي بكر شيئا من ماله تنبيها للحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد علم منه الرفق و الرحمة فلو رد شيئا من ذلك عليه تطرق الاحتمال في حق أبي بكر أنه خطر له رفق رسول الله صلى الله عليه و سلم فعوض رسول الله صلى الله عليه و سلم أهل أبي بكر بما يقتضيه نظره صلى الله عليه و سلم و جاءه عبد الرحمن بن عوف بجميع ماله فرده عليه كله و قال أمسك عليك مالك فإنه ما دعاه إلى ذلك و لو دعاه إلى ذلك لقبله منه كما قبله من أبي بكر و يعطي حكم ذوق العقل الرياضات النفسية و تهذيب الأخلاق فتتضمن الرياضة المجاهدات البدنية و لا تتضمن المجاهدة الرياضات و الرياضات أتم في الحكم فإن النبي صلى الله عليه و سلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق فمن جبل عليها فهو منور الذات مقدس و من لم يجبل عليها فإن الرياضة تلحقه بها و تحكم عليه و الرياضة تذليل الصعب من الأمور فمن ذلل صعبا فقد راضه و أزال عن النفس جموحها فإنها تحب الرئاسة و التقدم على أشكالها و الرياضة تمنع النفس من هذا الخاطر و سلطانه و لا ترى لها شفوفا على غيرها لاشتراكها معهم في العبودية و إحاطة القبضة بالكل فبما ذا ترأس فتمتثل أمر الله من حيث إنها مخاطبة من عند الله بذلك و تود أن يكون كل مخاطب من العبيد مسارعا إلى امتثال أمر سيده إيثار الجنابة ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس فيكون لها بذلك مزية على غيرها لا يقتضي مقام الرياضة ذلك فإن الرياضة خروج عن الأغراض النفسية مطلقا من غير تقييد و أما الذوق الذي مبدؤه نفس عينه كما قدمنا فلا يحتاج إلى رياضة و لا مجاهدة فإن الرياضة لا

تكون إلا في صعب الانقياد كثير الجموح أو منعوت بالجموح و المجاهدة إحساس بالمشقة و هذه العين التي ذكرناها ما تركت صعبا فتحكم عليه الرياضات فهو ذلول في نفسه أعطته ذلك مشاهدة تلك العين دفعة و أما الإحساس بالمشقات البدنية فذلك حس الطبع لا حس النفس فهو صاحب لذة في مشقة يحكم فيها بحكم ما عين الله له من الحقوق حيث قال له على لسان المبين عنه و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم إن لعينك عليك حقا و لنفسك عليك حقا و لزورك عليك حقا و لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فالذائق لهذه العين حكمه ما شرع له ليس له و لا عنده رياضة في قبول ذلك أصلا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و الذوق يعطيك بعد ذلك التجلي العلم و منه تحقيق ميزانه و مرتبته فيتأدب معه بما يستحقه في النظر إليه فإنه نظير العين فيما لا مساغ لها فيه و هو الذي يورث عندك الظماء إذا لم تكن مؤمنا فإن كنت مؤمنا فالإيمان يعطيك الظماء و يشتد عطشك و يقل على قدر إيمانك و من ليس بمؤمن لا ظمأ عنده البتة لشرب التجلي و إن أدركه العطش للعلم فمن حيث النظر الفكري و أما لعلوم التجلي فليس إلا الايمان و لا يحصل إيمان إلا و الظماء يصحبه فيزيد بالذوق فافهم

«الباب التاسع و الأربعون و مائتان في الشرب»

الشرب بين مقام الذوق و الري ... مثل القضية بين النشر و الطي

إن الحقوق التي للحق قائمة ... عليك فاحذر إذا ما كنت في الغي

أنت الغني به إذ كان عينكم ... فلا سبيل إلى مطل و لا لي

غيلان لم يك مثلي في محبته ... إذا تناظرت العشاق في مي

وصل الوفاء و هجر المطل من شيمي ... فإنني حاتمي الأصل من طي

اعلم أيدك الله أن الشرب هو ما تستفيده في النفس الثاني مضافا إلى ما استفدته في نفس الذوق بالغا ما بلغ على مذهب من يرى الري و من لا يراه و اعلم أن الشرب قد يكون عن عطش و قد يكون عن التذاذ لا عن عطش كشرب أهل الجنة بعد شربهم من الحوض الذي قام لهم مقام الذوق فشربهم من الحوض عن ظمأ ثم لا يظمئون بعد ذلك أبدا فإن أهل الجنة لا يظمئون فيها و هم يشربون فيها شرب شهوة و التذاذ لا شرب ظمأ و لا دفع ألمه و اعلم أن الشرب يختلف باختلاف المشروب فإن كان المشروب نوعا واحدا فإنه يختلف باختلاف أمزجة الشاربين و هو استعدادهم فمن الناس من يكون مشروبه ماء و منهم من يكون مشروبه لبنا و منهم من يكون مشروبه خمرا و منهم من يكون مشروبه عسلا بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم فإن هذه الأصناف صور علوم مختلفة قد ذكرناها في جزء لنا

سميناه مراتب علوم الوهب و دليلنا على ما قلناه إنها علوم رؤيا النبي صلى الله عليه و سلم فإنه قال أريت كأني أوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظافري ثم أعطيت فضلي عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم فهذا علم تجلى في صورة لبن كذلك تتجلى العلوم في صور المشروبات و لما كانت الجنة دار الرؤية و التجلي و ما ذكر الله فيها سوى أربعة أنها رأنها رٌ من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنها رٌ من لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنها رٌ من خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنها رٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى علمنا قطعا إن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور ماء و لبن و خمر و عسل و لكل تجل صنف مخصوص من الناس و أحوال مخصوصة في الشخص الواحد فمنه ما هو لأصحاب المنابر و هم الرسل و منه ما هو لأصحاب الأسرة و هم الأنبياء و منه ما هو لأصحاب الكراسي و هم الورثة الأولياء العارفون و منه ما هو لأصحاب المراتب و هم المؤمنون و ما ثم صنف خامس و كل صنف يفضل بعضه على بعضه كما قال الله في ذلك تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قوله فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ فإن الأعمال كانت هنا في زمن التكليف مقسمة على أربع جهات و لذلك لما علم إبليس بهذه الجهات قال ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ من خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ و لم يذكر بقية الجهات لأنه لم يقترن بها عمل فإنها للتنزل الإلهي و الوهب الرباني الرحماني الذي له العزة و المنع و السلطان فالعلوم و إن كثرت فإن هذه الأربعة تجمعها و هي مجال إلهية في منصات ربانية في صور رحمانية و هي في حق قوم مع الأنفاس دائما و هم الذين لا يقولون بالري و في حق قوم إلى أمد معين عينه لهم قوله تعالى يوم الزور و الرؤية ردوهم إلى قصورهم و هم الذين يقولون بالري في هذه المشروبات كلها و في بعضها و المتنوع في الكل من الناس من يكون مشروبه واحدا مما ذكرناه لا ينتقل عنه أبدا و منهم من يتنوع في المشروبات و هو الأتم و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحب مزج الماء باللبن فيشربه و مزج العسل باللبن و ما بقي إلا الخمر و ليست دار الدنيا بمحل لإباحته في شرع محمد صلى الله عليه و سلم الذي مات عليه فلم يمكن لنا أن نضرب به المثل بالفعل كما ضرب النبي صلى الله عليه و سلم بالفعل بشرب اللبن بالماء و شرب العسل باللبن فشربه رسول الله صلى الله عليه و سلم خالصا و ممزوجا بما هو حلال له و لذلك أيضا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في اللبن إذا شربه اللهم بارك لنا فيه و زدنا منه لأنه تقوم معه صورة ضرب المثل به في العلم في حديث الرؤيا الصحيح و هو مأمور بطلب الزيادة من العلم بقوله وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فكان اللبن مذكرا له بطلب الزيادة منه وكان يقول في سائر الأطعمة اللهم بارك لنا فيه و أطعمنا خيرا منه و كان صلى الله عليه و سلم إذا شرب ماء زمزم تضلع منه و كان يحب الحلوى و العسل فهذه كلها أعني المشروبات وضعها الله ضرب أمثلة لأصناف علوم تتجلى للعارفين في صور هذه المحسوسات و خص الخمر بالجنة دون الدنيا و قرن به اللذة للشاربين منه و لم يقل ذلك في غيره من المشروبات و ذلك لأنه ما في المشروبات من يعطي الطرب و

السرور التام و الابتهاج إلا شرب الخمر فيلتذ به شاربه و تسري اللذة في أعضائه و تحكم على قواه الظاهرة و الباطنة و ما في المشروبات من له سلطان و تحكم على العقل سوى الخمر فهو للعلم الإلهي الذوقي الذي تمجه العقول من جهة أفكارها و لا يقبله إلا الايمان كما أن علم العلماء في علم هذا الطريق تهمة لأن علم هذا الطريق له أثر فيها فهو الحاكم المؤثر في غيره من أصناف العلوم و لا يؤثر فيه غيره لقوة سلطانه لأنه مؤثر في العقل و العقل أقوى ما يكون و كذلك يزيل حكم الوهم و الوهم سلطان قوي و ليس يزيل حكمه من المشروبات إلا الخمر فلا يقف لقوة سلطانه عقل و لا وهم و أعظم قوة من هاتين في الإنسان ما يكون ألا ترى إلى السكران يلقي نفسه في المهالك التي يقضي العقل و الوهم باجتنابها فحكم العلم المشبه به في العلوم حكمه فلو أبيح في هذه الشريعة مع ما أعطى الله هذه الأمة من الكشف و الفتوح و الإمداد في العلوم و ثبوت القدم فيها لظهرت أسرار الحق على ما هي عليه و بطلت أشياء كثيرة كان الشرع من علم اللبن قد قررها فهذا التجلي في صورة الخمر لا يحصل في الدنيا إلا للامناء فيلتذون به في بواطنهم و لا يظهر عليهم حكمه و هو ما أشار إليه سهل بن عبد الله التستري بقوله إن للربوبية سرا لو ظهر لبطلت النبوة و إن للنبوة سرا لو ظهر لبطل العلم و إن للعلم سرا لو ظهر لبطلت الأحكام فلو وقع التجلي في صورة الخمر و ظهر هذا العلم في العموم و لم يكن الإنسان في طبعه و مزاجه على مزاج أهل الجنة لظهرت الأسرار بإظهاره إياها في العالم فادى ظهورها إلى فساد لقوة سلطانه في الالتذاذ و الابتهاج و الفرح و مغيب حكم العقول عن شاربه و لهذا ضرب الله مثلا فيمن حصل له هذا التجلي في الدنيا و لم يظهر عليه حكمه مثل الأنبياء و أكابر الأولياء كالخضر و المقربين من عباده فخلق بعض الأجسام البشرية هنا على مزاج لا يقبل السكر ليعلم أن ثم لله عبادا حصل لهم هذا التجلي الإلهي في صورة الخمر و هم على استعداد يعطي الكتمان و عدم الإفشاء و اعلم أن من أعطاه الله المعاني مجردة عن الخطاب أو النصوص في الخطاب فهو عن تجليه في صورة الماء غير الآسن و هو العلم الإلهي الذي لا تعلق له بالطبيعة و من إعطاء الله العلم بأسرار الشرع و أحكامه و علم حكمة قوله وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ و عرف ميزان الأحكام بعلم الأوقات و الأحوال فيحرم في شرع ما يحل في غيره فذلك من علم تجليه في صورة اللبن أعني الحليب منه الذي لم يتغير طعمه بعقده أو مخضه أو تربيبه و من أعطاه الله العلم بالكمال و الأحوال و الجمال فإنه عن تجلى العلم في صورة الخمر و من أعطاه الله العلم بطريق الوحي و الايمان و صفاء الإلهام و عم علمه كل شيء مما يصح أن يعلم حتى يعلم أنه ما لا يصح أن يعلم لا يعلم فلذلك العلم عن التجلي في صورة العسل فإذا كان شربه شيئا من هذه المشروبات أو كلها كان محصلا لما شرب كالنبي الذي قال فعلمت علم الأولين و الآخرين و لم يذكر أنه اختص به فلما لم يذكر الاختصاص

أبقى الباب غير مغلق لمن أراد الدخول منه إلى نيل هذا المقام فالواجب على كل عاقل أن يتعرض لنفحات الجود الإلهي فإن لله نفحات فتعرضوا لها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخمسون و مائتان في الري»

الري قال به قوم و ليس لهم علم بأن وجود الري معدوم

لو كان ري تناهي الأمر وانقطعت أمداده و زيادات و تعليم

فالأمر ليس له حد يحيط به لكنه الرزق في الأشخاص مقسوم

الري ما يحصل به الاكتفاء و يضيق المحل عن الزيادة منه اعلم أنه لا يقول بالري إلا من يقول بأن ثم نهاية و غاية وهم المكشوف لهم عالم الحياة الدنيا و نهاية مدتها و هم أهل الكشف في اللوح المحفوظ المعتكفون على النظر فيه أو من كان كشفه في نظرته ما هو الوجود عليه ثم يسدل الحجاب دونه و يرى التناهي إذ كل ما دخل في الوجود متناه و ليس لصاحب هذا الكشف من الكشف الأخروي شيء فمن رأى الغاية قال بالري و علق همته بالغاية و هؤلاء هم الذين قال فيهم شيخنا أبو مدين إنه من رجال الله من يحن في نهايته إلى البداية و ذلك لأن الله ما كشف لهم عن حقيقة الأمر على ما هو عليه كالقائلين برجوع الشمس في طول النهار و ما هو رجوع في نفس الأمر و القائلون بالري هم القائلون بالدور لما يرونه من تكرار أيام الجمعة و الشهور و الذين لا يقولون بالري هم الذين يسمون النهار و الليل الجديدين و ليس عندهم تكرار جملة واحدة فالأمر له بدء و ليس له غاية لكن فيه غايات بحسب ما تتعلق به همم بعض العارفين فيوصلهم الله إلى غاياتهم و من هناك يقع لهم التجديد فيه لا عليه فيفوتهم خير كثير من الحكم و علم كبير في الإلهيات بل يفوتهم من علم الطبيعة خير كثير فإن تركيبها لا نهاية له في الدنيا و الآخرة و يحجبهم عن عدم الري قوله تعالى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فسماه رجوعا و ذلك لكونه شغلهم عنه بالنظر في ذواتهم و ذوات العالم عند صدورهم من الله فإذا وفوا النظر فيما وجد من العالم تعلقوا بالله فتخيلوا أنهم رجعوا إليه من حيث صدورهم عنه و ما علموا أن الحقيقة الإلهية التي صدروا عنها ما هي التي رجعوا إليها بل هم في سلوك دائما إلى غير نهاية و إنما نظروا لكونهم رجعوا إلى النظر في الإله بعد ما كانوا ناظرين في نفوسهم لما لم يصح أن يكون وراء الله مرمى و سبب الري الحقيقي أنه لما لم يتمكن أن يقبل من الحق إلا ما يعطيه استعداده و ليس هناك منع فحصل الاكتفاء بما قبله استعداد القابل و ضاق المحل عن الزيادة من ذلك فقال صاحب هذا الذوق ارتويت فما يقول بالري إلا من هو واقف مع وقته و ناظر إلى استعداده وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الخمسون و مائتان في عدم الري»

و قال به قوم

عدم الري دليل واضح أن أحكام التناهي لا تكون

قال بالري رجال غلطوا و رأوا أن الذي قيل يهون

و هم لو عرفوا مقداره و رأوا ما يقتضي كن فيكون

لم يقولوا مثل هذا و أتوا للذي أنكره يعتذرون

أمر الله تعالى نبيه أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و من طلب الزيادة فما ارتوى و ما أمره إلى وقت معين و لا حد محدود بل أطلق فطلب الزيادة و العطاء دنيا و آخرة يقول النبي صلى الله عليه و سلم في شأن يوم القيامة فأحمده يعني إذا طلب الشفاعة بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن فالله لا يزال خلاقا إلى غير نهاية فينا فالعلوم إلى غير نهاية و ليس غرض القوم من العلم إلا ما يتعلق بالله كشفا و دلالة و كلمات الله لا تنفد و هي أعيان موجوداته فلا يزال طالب العلم عطشانا أبدا لا رى له فإن الاستعداد الذي يكون عليه يطلب علما يحصله فإذا حصل أعطاه ذلك العلم استعداد العلم آخر كوني أو إلهي فإذا علم بما حصل له أن ثم أمرا يطلبه استعداده الذي حدث له بالعلم الحاصل عن الاستعداد الأول يعطش إلى تحصيل ذلك العلم فطالب العلم كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا و التكوين لا ينقطع فالمعلومات لا تنقطع فالعلوم لا تنقطع فأين الري فما قال به إلا من جهل ما يخلق فيه على الدوام و الاستمرار و من لا علم له بنفسه لا علم له بربه قال بعض العارفين النفس بحر لا ساحل له يشير إلى عدم النهاية و كلما دخل في الوجود أو اتصف بالوجود فهو متناه و ما لم يدخل في الوجود فلا نهاية له و ليس إلا الممكنات فلا يصح أن يعلم إلا محدث فإن المعلوم لم يكن ثم كان ثم يكون آخر أيضا فلو اتصف المعلوم بالوجود لتناهى و اكتفى به فلا تعلم من الله إلا ما يكون منه و يوجده فيك إما إلهاما أو كشفا عن حدوث تحل و هذا كله معلوم محدث فلا علم لأحد إلا بمحدث ممكن مثله و الممكنات لا تتناهى لأنها غير داخلة في الوجود دفعة واحدة بل توجد مع الآنات فلا يعلم الله إلا الله و لا يعلم الكون المحدث إلا محدثا مثله يكونه الحق فيه قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و هو كلامه و حدث فيهم فتعلق علمهم به فما تعلق إلا بمحدث و ذلك الذي يتخيله من لا علم له من أنه علم الله فلا صحة له لأنه لا يعلم الشيء إلا بصفته النفسية الثبوتية و علمنا بهذا محال فعلمنا بالله محال فسبحان من لا يعلم إلا بأنه لا يعلم فالعالم بالله لا يتعدى رتبته و يعلم ما يعلم أنه ممن لا يعلم وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

«الباب الثاني و الخمسون و مائتان في المحو»

للمحو حكم إلهي يقول به في سورة الرعد و البرهان يحمله

المحو يثبته الإثبات و هو له ضد و هل بوجود الضد تعقله

المحو ثبت و لكن حكمه عدم فابحث على عالم به يفصله

اعلم أن المحو عند الطائفة رفع أوصاف العادة و إزالة العلة و ما ستره الحق و نفاه قال تعالى يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ فثبت المحو و هو المعبر عنه بالنسخ عند الفقهاء فهو نسخ إلهي رفعه الله و محاه بعد ما كان له حكم في الثبوت و الوجود و هو في الأحكام انتهاء مدة الحكم و في الأشياء انتهاء المدة فإنه تعالى قال كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فهو يثبت إلى وقت معين ثم يزول حكمه لا عينه فإنه قال يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فإذا بلغ جريانه الأجل زال جريانه و إن بقي عينه فالعادة التي في العموم يمحوها الله عن الخصوص فمنهم من تمحى عن ظاهره و منهم من تمحى عن باطنه و تبقي عليه أوصاف العادة و هو الكامل مع كونه صاحب محو كما أنه يكون المسخ في القلوب و هو اليوم كثير «و كان في بنى إسرائيل» ظاهرا بالصورة فمسخهم الله قردة و خنازير و جعل ذلك في هذه الأمة في باطنها تمييزا لها و لكن لا تقوم الساعة حتى يظهر في صورها شيء من ذلك مع خسف و قذف كذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و من العادة الركون إلى الأسباب و العلل فصاحب المحو يزول عنه الركون إلى الأسباب لا الأسباب فإن الله لا يعطل حكم الحكمة في الأشياء و الأسباب حجب إلهية موضوعة لا ترفع أعظمها حجابا عينك فعينك سبب وجود المعرفة بالله تعالى إذ لا يصح لها وجود إلا في عينك و من المحال رفعك مع إرادة الله أن يعرف فيمحوك عنك فلا تقف معك مع وجود عينك و ظهور الحكم منه كما محا الله رسول الله صلى الله عليه و سلم في حكم رميه مع وجود الرمي منه فقال وَما رَمَيْتَ فمحاه إِذْ رَمَيْتَ فأثبت السبب وَلكِنَّ اللهَ رَمى و ما رمى إلا بيد رسول الله صلى الله عليه و سلم و في الصحيح كنت سمعه و بصره و يده فازالة العلة في المحو إنما هي في الحكم لا في العين إذ لو زالت العلة و السبب لزال و هو لا يزول فمن الحكمة إبقاء الأسباب مع محو العبد من الركون إليها على حكم نفي أثرها في المسببات فالأسباب ستور و حجب و لا يكون محو أبدا إلا فيما له أثر و إلا فليس بمحو وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الخمسون و مائتان في معرفة الإثبات و هو أحكام العادات و إثبات المواصلات»

إلى حضرة الإثبات أعملت همتي من المحو لما أن دعاني إمامها

فلما أتينا حضرة لم نزل بها بهاد و حاد خلفها و أمامها

إلى أن تراءت بين سلع و حاجر و قد ساقها شوقا إلى غرامها

الإثبات هو الأمر المقرر الذي عليه جميع العالم فمن طلب من غير نبي أو مشد لنبي رفع حكم العوائد فقد أساء الأدب و جهل و أما هذا الذي يسمونه خرق عادة هو عادة إذ كان ثبوت خرق العادة عادة فما محوت العادات إلا بإثباتها غير أن صاحب الإثبات لا بد أن تكون له وصلة بالحق و لهذا يثبت أحكام العادات فإن صاحبه وضعها و من شرط الصحبة الموافقة فكيف يصحبه و يكون مواصلا له و يحكم عليه بإزالة ما يرى الحكمة في ثبوته و لا سيما و قد علم صاحب هذا المقام أن الله حكيم عليم بما يجريه و يثبته فيثبت ما أثبته صاحبه و إن لم يفعل و طلب غير ذلك فهو منازع و من نازعك فما هو بصاحب لك و لا أنت بصاحب له إن نازعته و كان إلى العناد أقرب فصاحب الإثبات دائم المواصلة مع الحق فإنه يثبت أحكام العادات لأنه يشهده فيها فلا يمكن له مع هذا أن يطلب رفع أحكامها و لا محوها فهذا مقام الإثبات على غاية الإيجاز و البيان وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الخمسون و مائتان في معرفة الستر و هو ما سترك عما يفنيك»

والله ما تسدل الأستار و الكلل إلا من أجل الذي تحظى به المقل

و قد يكون حذارا من تأملها أو للذي يقتضيه الطبع و الملل

إذا نظرت الذي يحويه من عبر أساسا لها قامت الأغراض و الملل

لولا الستور التي تخفى ضنائنها لم يدر ما كان لي أ فيها و لا أمل

والله ما ترسل الأستار و الكلل إلا لأمر عظيم خطبه جلل

الستر غطاء الكون و الوقوف مع العادات و نتائج الأعمال و قد أعلمناك أن الأسباب حجب إلهية لا يصح رفعها إلا بها فعين رفعها سد لها و حقيقة محوها إثباتها و الستر رحمة عامة إلهية في حق العامة لما قدر عليهم من المخالفة لأوامره فلا بد لهم من إيقاعها و مع الكشف و التجلي فلا تقع أبدا فلا بد من الستر و لهذا أهل التجلي العلمي رفع عنهم الحجر فلم يبق في حقهم تحجير بل أبيح لهم ما شاءوه في تصرفهم فإنه ورد في صحيح الخبر أن الله يقول لمن أذنب فعلم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك فأباح لمن هذه صفته ما حجره على غيره و من المحال أن يأمره بإتيان ما حجر عليه الإتيان به ف إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ فأسدل الستور دون أهل الحجر هذا حكمه في العامة و أما في الخاصة فقول القائل

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه

فجعلك عين ستره عليك و لو لا هذا الستر ما طلبت الزيادة من العلم به فأنت المتكلم و المخاطب من خلف ستر الصورة التي كلمك منها فانظر في بشريتك تجدها عين سترك الذي كلمك من ورائه فإنه يقول وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ و قد يكلمك منك فأنت حجاب نفسك عنك و ستره عليك و من المحال أن تزول عن كونك بشرا فإنك بشر لذاتك و لو غبت عنك أو فنيت بحال يطرأ عليك فبشريتك قائمة العين فالستر مسدل فلا تقع العين إلا على ستر لأنها لا تقع إلا على صورة و هذا لما تقتضيه الألوهية من الغيرة و الرحمة فأما الغيرة فإنه يغار أن يدركه غير فيكون محاطا لمن أدركه و هو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و المحاط فلا يكون محيطا لمن أحاط به و أما الرحمة فإنه علم أن المحدثات لا تبقي لسبحات وجهه بل تحترق بها فسترهم رحمة بهم لا بقاء عينهم ثم إن الله أيضا أسدل للعالمين ستور نتائج أعمالهم بقوله إن عمل كذا ينتج لعامله كذا فيقف العامل مع النتيجة لا رغبة فيها إذا كان من أهل الخصوص و إنما يرغب من يرغب فيها ليصحح بها و بشهودها عمله الذي كلفه به سيده و أما العامة فلرغبتها فيها و تعشقها بها فلما جعل الله علامات تدل على صحة الأعمال في العاملين رغبت الخاصة في مشاهدة نتائج الأعمال ليكونوا على بصيرة في أمورهم إذ كان مطلوبهم و همهم القيام بما أشهدهم عليه من الحقوق و ليست الحقوق سوى الأعمال التي كلفهم و قد يسدل الستر خوفا من نفوذ العين و إصابته و يدخل في هذا سدل الحجب من أجل السبحات الوجهية المحرقة أعيان الممكنات و أما في حق بعض الناس ممن ليست له تلك القدم في العلم بالله فلا يعلم أن لله تجليا في كل نفس ما هو على صورة التجلي الأول فلما غاب عنه هذا الإدراك ربما استصحب تجليا و دام عليه شهوده و الطبع يطلبه بحقيقته فيدركه الملل و الملل في هذا المقام عدم احترام بالجناب الإلهي فإنهم في لَبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ مع الأنفاس و هم يتخيلون أن الأمر ما تغير فسدل الستر من أجل الملل الذي يؤدي إلى عدم الاحترام لما حرمهم الله العلم بهم و بالله فهم يتخيلون أنهم هم في كل نفس و هم هم من حيث جوهريتهم لا من حيث ما يتصفون به و لا تقل إن الأمر ليس كذلك هذا من الأسرار الإلهية التي قد حجب الله عن إدراكها خلقا كثيرا من أهل الله أرباب فتوح المكاشفة فكيف حال غيرهم فيها فالستر لا بد منه إذ لا بد منك فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الخمسون و مائتان في معرفة المحق و هو فناؤك في عينه و في معرفة محق المحق و هو ثبوتك في عينه»

فناء الكون في الأعيان محق و عين الكون حق ثم خلق

فإن قام الدليل على وجودي يقوم بذات من يبغيه محق

و إني بالذي يحويه كوني من أسماء الحقيقة في شق

هذا المحق و أما محق المحق فهو

إن محق المحق إبدار و هو في التحقيق انذار

فإذا أبصرت طلعته في لم تدركه أبصار

قال للحداد حين أتى دونه حجب و أستار

من أنا فقال خالقنا و دليلي فيك آثار

اعلم أن المحق ظهورك في الكون به بطريق الاستخلاف و النيابة عنه فلك التحكم في العالم و محق المحق ظهورك بطريق الستر عليه و الحجاب فأنت تحجبه في محق المحق فيقع شهود الكون عليك خلقا بلا حق لأنهم لا يعلمون أن الله أرسلك سترا دونهم حتى لا ينظرون إليه فمحق المحق يقابل المحق ما هو مبالغة في المحق و إنما هو مثل عدم العدم فإذا أقيم العبد في خروجه عن حضرة الحق إلى الخلق بطريق التحكيم فيهم من حيث لا يشعرون و قد يشعرون في حق بعض الأشخاص من هذا النوع كالرسل عليهم السلام الذين جعلهم الله خلائف في الأرض يبلغون إليهم حكم الله فيهم و أخفى ذلك في الورثة فهم خلفاء من حيث لا يشعر بهم و لا يتمكن لهذا الخليفة المشعور به و غير المشعور به أن يقوم في الخلافة إلا بعد أن يحصل معاني حروف أوائل السور سور القرآن المعجمة مثل الم ألف لام ميم و غيرها الواردة في أوائل بعض سور القرآن فإذا أوقفه الله على حقائقها و معانيها تعينت له الخلافة و كان أهلا للنيابة هذا في علمه بظاهر هذه الحروف و أما علمه بباطنها فعلى تلك المدرجة يرجع إلى الحق فيها فيقف على أسرارها و معانيها من الاسم الباطن إلى أن يصل إلى غايتها فيحجب الحق ظهوره بطريق الخدمة في نفس الأمر فيرى مع هذا القرب الإلهي خلقا بلا حق كما يرى العامة بعضهم بعضا فيحكم في العالم عند ذلك بما تقتضيه حقيقته بما هو نسخة كونية للمناسبة التي بينه و بين العالم فلا يعلم العالم هذا القرب الإلهي و هذا هو محق المحق الذي يصل إليه رجال الله فهو يشهد الله بالله و يشهد الكون بنفسه لا بالله و يكون في هذا المقام متحققا من حروف أوائل السور المعجمة بالألف و الراء خاصة مع علمه بما بقي منها غير أن الحكم فيه للالف و الراء في هذا المقام حيثما وقعا من السور و أما حكمه في العالم في هذا المقام فمن باقي هذه الحروف من لام و ميم و صاد و كاف و هاء و ياء و عين و طاء و سين و حاء و قاف و نون فبهذه الحروف يظهر في العالم في مقام محق المحق و بالألف و الراء يظهر في المحق و هم الأولياء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه و سلم إذا رأوا ذكر الله و ذلك لأن عين تجليهم بهذين الحرفين في الصورة الظاهرة عين تجلى الحق فمن رآهم رأى الحق فهم إذا رأوا ذكر الله

لتحققهم بصفته فهم يشاهدون الحق فيه إذا تجلى لهم في صورة حق و لقد رأيته في هذا التحلي و رأيت كثيرين من أهل الله لا يعرفونه و ينكرونه و تعجبت من ذلك حتى أعلمت بأنهم و إن كانوا من أهل الله من حيث إنهم عاملون بأوامر الله لا عالمون فهم أهل إيمان و لما كان بين رتبة الألف من هذه الحروف و بين الراء ثلاث مراتب لذلك لم تقو الراء قوة الألف فإن الألف لا تحمل الحركة و لا تقبلها و الراء ليست كذلك و اعلم أن محق المحق أتم عند أهل الله في الدنيا و المحق أتم في الآخرة و محق المحق لا يفوز به إلا أخص أهل الله و هو للعقول المنورة هيا كلها و المحق يفوز به الخصوص و هو للنفوس المنورة جعلنا الله ممن محق محقه فانفرد به حقه و هذه التي تسمى خلوة الحق فإنه لا يشهد و لا يرى و إن علمه بعض الناس فلا يكون مشهودا له و من هذه الحقيقة اتخذ أهل الله الخلوة للانفراد لما رأوه تعالى اتخذها للانفراد بعبده و لهذا لا يكون في الزمان إلا واحد يسمى الغوث و القطب و هو الذي ينفرد به الحق و يخلو به دون خلقه فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخص في زمان واحد و هذه الخلوة الإلهية من علم الأسرار التي لا تذاع و لا تفشي و ما ذكرناها و سميناها إلا لتنبيه قلوب الغافلين عنها بل الجاهلين بها فإني ما رأيت ذكرها أحد قبلي و لا بلغني مع علمي بأن خاصة أهل الله بها عالمون و قد ورد خبر صحيح في التنبيه على هذا يوم القيامة حيث الجمع الأكبر في انفراد العبد مع ربه وحده فيضع كنفه عليه و يقرره على ما كان منه ثم يقول له إني سترتها عليك في الدنيا و أنا أسترها عليك هنا ثم يأمر به إلى الجنة فنبه على الانفراد بالله و نبهناك نحن على الانفراد الإلهي بالعبد و ذلك العبد عين الله في كل زمان لا ينظر الحق في زمانه إلا إليه و هو الحجاب الأعلى و الستر الأزهى و القوام الأبهى

«الباب السادس و الخمسون و مائتان في معرفة الإبدار و أسراره»

بدر الرجوع إلى بدر السلوك عمى ... فانظر بهل و بلم و ثم كيف و ما

فإن تعالى وجود عن مطالبها ... لا فرق بين استوى فيه و بين عما

من لا يؤثر في توحيده نسب ... ذاك الذي حار في توحيده القدماء

و ما رأينا لعقل في تقلبه ... في حضرة الذات في توحيده قدما

اعلم أنه لا يقال في مذكور هل هو موجود أم لا حتى يكون خفي الوجود و من كان وجوده ظاهرا لكل عين فإنه يرتفع عنه طلب هل فإنه استفهام و الاستفهام لا يكون إلا عن جهالة بحال ما استفهم عنه و كذلك لا يقال لم إلا في معلول و لا يقال ما إلا في محدود و لا يقال كيف إلا في قابل للأحوال و الحق منزه عن هذه الأمور المعقولة من هذه المطالب فهو منزه الذات عن هذه المطالب بل لا يجوز عليه لا في حق من يرى أن الوجود هو الله و لا في حق من لا يراه فإن الذي يرى أن الوجود هو الله فيرى أن حكم ما ظهر به الحق إنما هو أحكام أعيان

الممكنات فما وقعت هذه المطالب إلا على مستحقها فإنه ما طلبت عين الحق إلا من حيث ظهورها بحكم عين الممكن فعين الممكن هو المطلوب و التبس على الطالب و أما من لا يرى أن عين الوجود هو الحق فلا تجوز عليه المطالب ثم نرجع فنقول أما الإبدار الذي نصبه الله مثالا في العالم لتجليه بالحكم فيه فهو الخليفة الإلهي الذي ظهر في العالم بأسماء الله و أحكامه و الرحمة و القهر و الانتقام و العفو كما ظهر الشمس في ذات القمر فأنار ه كله فسمي بدرا فرأى الشمس نفسه في مرآة ذات البدر فكساه نورا سماه به بدرا كما رأى الحق في ذات من استخلفه فهو يحكم بحكم الله في العالم و الحق يشهده شهود من يفيده نور العلم قال تعالى إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و علمه جميع الأسماء و اسجد له الملائكة لأنه علم أنهم إليه يسجدون فإن الخليفة معلوم أنه لا يظهر إلا بصفة من استخلفه فالحكم لمن استخلفه قال الحق لأبي يزيد في بعض مكاناته مع الحق اخرج إلى الخلق بصفتي فمن رآك رآني و من عظمك عظمني فتعظيم العبيد لتعظيم سيدهم لا لنفوسهم فهذا سر الإبدار فنصب الله صورة البدر مع الشمس مثلا للخلافة الإلهية و أن الحق يرى نفسه في ذات من استخلفه على كمال الخلقة فإنه لا يظهر له إلا في صورته و على قدره و من يرى أن الحق مرآة العالم و أن العالم يرى نفسه فيه جعل العالم كالشمس و الحق كالبدر و كلا المثلين صحيح واقعو اعلم أن الله قصد ضرب الأمثال للناس فقال كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الآية فالعالم كله بما فيه ضرب مثل ليعلم منه أنه هو فجعله دليلا عليه و أمرنا بالنظر فيه فمما ضرب الله في العالم من المثل صورة القمر مع الشمس فلا يزال الحق ظاهرا في العالم دائما على الكمال فالعالم كله كامل و جعل الله للعالم وجهين ظاهرا و باطنا فما نقص في الظاهر من إدراك تجليه أخذه الباطن و ظهر فيه فلا يزال العالم بعين الحق محفوظا أبدا و لا ينبغي أن يكون إلا هكذا و أحوال العالم مع الله على ثلاث مراتب مرتبة يظهر فيها تعالى بالاسم الظاهر فلا يبطن عن العالم شيء من الأمر و ذلك في موطن مخصوص و هو في العموم موطن القيامة و مرتبطة يظهر فيها الحق في العالم في الباطن فتشهده القلوب دون الأبصار و لهذا يرجع الأمر إليه و يجد كل موجود في فطرته الاستناد إليه و الإقرار به من غير علم به و لا نظر في دليل فهذا من حكم تجليه سبحانه في الباطن و مرتبطة ثالثة له فيها تجل في الظاهر و الباطن فيدرك منه في الظاهر قدر ما تجلى به و يدرك منه في الباطن قدر ما تجلى به فله تعالى التجلي الدائم العام في العالم على الدوام و تختلف مراتب العالم فيه لاختلاف مراتب العالم في نفسها فهو يتجلى بحسب استعدادهم فمن فهم هذا علم أن الإبدار لا يزال فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الخمسون و مائتان في معرفة المحاضرة و هي حضور القلب بتواتر البرهان و مجاراة الأسماء الإلهية بما هي عليه من الحقائق التي تطلبها الأكوان»

محاضرة الأسماء في حضرة الذات دليل على الماضي دليل على الآتي

أقول بها و الكون يعطي وجودها لوجدان آلام و وجدان لذات

فلو لا وجود المحو ما صح عندنا و لا عند من يدري وجود لإثبات

المحاضرة صفة أهل الاعتبار و النظر المأمور به شرعا فما يفرغون من نظر في دليل بعد إعطائه إياهم مدلوله إلا و يظهر الله لهم دليلا آخر فيشتغلون بالنظر فيه إلى أن يوفي لهم ما هو عليه من الدلالة فإذا حصلوا مدلوله أراهم الحق دليلا آخر هكذا دائما و هو قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ فذكر أنه يريهم آيات ما جعل ذلك آية واحدة ثم قال حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ و هو عثورهم على وجه الدليل و حصول المدلول و هذه مسألة تختلف فيها فتوح المكاشفة فمنهم من يعطي الدليل و مدلوله كشفا و لا يعطي أبدا ذلك المدلول دون دليله حتى زعم بعض العلماء به أن علوم الوهب التي من شأنها أن لا تدرك في النظر إلا بالدليل العقلي لا توهب لمن وهبت إلا بأدلتها فإنها بها مرتبطة ارتباطا عقليا و منهم من يقول إنه قد يعطي الله ما يشاء من العلوم التي لا تدرك في العقل إلا بالأدلة بغير دليلها لأن المقصود ما هو الدليل و إنما المقصود مدلوله فإذا حصل بوجه من الحق من غير الدليل الذي يرتبط به في النظر العقلي فلا حاجة للدليل إذ قد علمنا أن الدليل يقابل حصول المدلول في النفس و إنهما لا يجتمعان و هذا غلط و إنما الذي لا يجتمع مع المدلول النظر في الدليل لا عين الدليل فإن الناظر في الدليل فاقد واجد و محصل للمدلول و قد تكون المحاضرة من العبد مع الأسماء الإلهية و الكونية من حيث إن الأسماء الكونية قد وسم الحق بها نفسه و الأسماء الإلهية قد وسم الكون بها نفسه و استحق الجناب أن الأسماء جميعها و هذا مما يقوي حديث خلق العالم على الصورة فإذا حضرت الأسماء الحسنى و أسماء الكون و جرت في ميدان المفاخرة فإن الله يستهزئ بالمنافقين و بأهل الاستهزاء بالجناب الإلهي و يمكر سبحانه بالماكرين و يعجب ممن قهر الطبيعة على قوتها في الحكم و هذا كله سمات المحدثات و قد وسم الحق بها نفسه كما وسمها بكونه قديرا و خلاقا و عليما و غير ذلك فالكل عند طائفة أصل للأصل النسبي الذي أوجد العالم و بعضهم فرق فجعل خلاف الأسماء الحسنى أصلا في الكون منقولا في الجناب الإلهي و حكم هذه المحاضرة في كل شخص بحسب ما يتقوى عنده و يعطيه النظر فتختلف أحوال أهل الله في ذلك و هو قوله إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و التفكر في ذات الله محال فلا يبقى إلا التفكر في الكون و متعلق الفكرة الأسماء الحسنى و سمات المحدثات فالأسماء كلها أصل في الكون على هذا النظر فإذا وقف على محاضرة الأسماء و مناظرتها علم من أثر في وجود الكون بعد أن لم يكن هل أثر فيه الحق الوجود أو استعداده أو المجموع هذه فائدة المحاضرة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الخمسون و مائتان في معرفة اللوامع و هي ما ثبت من أنوار التجلي وقتين و قريبا من ذلك»

لمعت أنوار توحيدي عند تغريدي بتجريدى

كلما أبدت لوامعها أذنت فينا بتحديدي

كل محدود يؤول إلى حل تركيب و تبديد

فصله من جنسه علم ظاهر بنقص توحيدي

اللوامع فوق الذوق فإنها تزيد على المبدأ و دون الشرب فإن الشرب قد ينتهي إلى الري و قد لا ينتهي فإذا ثبتت أنوار التجلي وقتين و قريبا من ذلك فهي اللوامع و هذا لا يكون في التجلي الذاتي و إنما يكون في تجلى المناسبات فإذا تجلى في المناسبات دام بقد ر ثبوت تلك المناسبة و المناسبات صغيرة الزمان قصيرة في الثبوت لأن الشئون الإلهية لا تتركها و ما سوى الأعيان القائمة بأنفسها أعراض سريعة الزوال و إنما ثبتت وقتين و قريبا من ذلك لأن الوقت الأول لظهورها و الوقت الثاني لإفادة ما تعطيه مما لمعت له فإن المحل يدهش عند لمعانها و هو حديث عهد بالتجلي الذي فارقه فتتربص هذه اللوامع حتى يزول الدهش و التعلق بما كان عليه فيقبل ما أتته به هذه اللوامع و أعني بتربصها تواليها فإذا حصل القبول مضى حكمها فزالت و جاء غيرها مثلها أو خلافها و صاحبها أبدا سريع الرجوع إلى عالم الحس و لا ترد هذه اللوامع إلا بعلوم إلهية لا تعلق لها بعلوم الكون فهي إلهية مجردة هذه ميزانها فإن وجد الإنسان علما يكون في حاله فما هي لوامع لأن ضروب التجلي كثيرة متنوعة الحكم فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الخمسون و مائتان في معرفة الهجوم و البوادة فالهجوم ما يرد على قلب بفوت الوقت من غير تصنع منك و البوادة ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة و هو إما موجب فرح أو ترح»

نور البوادة فجآت الغيوب على قلب تقلب في ظلمائه زمنا

و واردات هجوم الكشف تورثها حالا فتلحقه بحالة الزمنا

لو أنها وردت لروح نشأتنا ما دبرت روحنا نفسا ولا بدنا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن البوادة و الهجوم و الصحو و السكر و الذوق و الشرب و أمثالها إنما هي واردات الغيب ترد على القلوب فتؤثر فيها أحوالا مختلفة فيمن قامت به ويسمون ذلك الحال بالوارد و ليس للعبد تعمل في تحصيل هذه الواردات مع أنها ما ترد إلا على قلب مستعد لقبولها فإذا ورد الوارد على القلب فجأة من غير تصنع فيعطيه ذلك الوارد حسرة فوت الوقت فإنه منبه لمن غفل

عن حكم وقته فيه فلم يتأدب مع وارد وقته أراد الحق أن ينبهه عناية منه به فبعث إليه هذا الوارد رسولا من الله يكشف له عن فوت وقته وإنه ممن أساء الأدب مع الله فيندمه على ما كان منه من فوت الوقت فيجبر له هذا الندم فضيلة ما فاته من وقته حتى يكون كأنه ما فاته شيء وهذا غلط عظيم فيتزين وقته بزينة ندمه كما كان يتزين بزينة أدبه معه لو حضر معه ولم يفته فهذه فائدة الهجوم يجبر الوقت الذي فإنه ولنا في ذلك

بادر لجبر الذي قد فات من عمرك ولتتخذ زادك الرحمن في سفرك

وأما البوادة فهي أيضا فجأة إلهية تفجأ القلوب من حضرة الغيب بحكم الوقت ولا تأتي في اصطلاحهم هذه البوادة إلا أن تعطي فرحا في القلب أو حزنا فتضحك وتبكي وهو قول أبي يزيد ضحكت زمانا وبكيت زمانا يريد أنه كان في حكم البوادة ثم قال وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي يعرف بانتقاله من تأثر حال البوادة فيه إلى حال العظمة ولا تكون البوادة إلا فيمن يتصف ومن لا وصف له لا بديهة له غير أنه لما كانت البوادة من حضرة الهو لم يعرف متى تأتي فإذا وردت إنما ترد فجأة وبغتة فتعطي ما وردت به وتنصرف وأما البديهة التي تعرفها الناس فليست تتقيد بفرح ولا ترح فما هي التي اصطلح عليها القوم وهي عينها إلا أن القوم ما سموا بديهة إلا ما أوجب فرحا أو ترحا وأما إذا لم يوجب ذلك فأحوالهم فيها أحوال الناس غير أن أهل الطريق يعلمون أن البوادة إذا وردت لا يخطئ حكمها البتة ولها الإصابة في كل ما ترد به ولهذا إذا سأل الشيوخ تلاميذهم عن مسألة على تعليم الأخذ عن الله لا يتركونه يفكر في الجواب فيكون جوابهم نتيجة فكر وإنما يقولون لا تجب إلا بما يخطر لك فيما سألت عنه عند السؤال فتنظر إلى قلبك ما ألقى فيه عند ورود السؤال فاذكره ببادئ الرأي فإن لم يفعل فلا يقبل منه الجواب وإن أصاب عن فكر ونظر فإن الله لا يغفل في كل نفس عن قلب أحد من عباده بل هو الرقيب عليه فيهبه في كل نفس بحسب ما يريده سبحانه فأصحاب القلوب المراقبين قلوبهم من أجل آثار ربهم فيها يجيبون بورود الوارد في كل نفس فيعملون بمقتضاه إن وافق الميزان الشرعي الذي قد شرع لسعادتهم وإن لم يوافق طريق السعادة فإن لهم لهذا الوارد أخذا مخصوصا فيأخذونه تنبيها من الحق وتعريفا لا مؤثرا في ظاهرهم ولا باطنهم فهذا قد بينا معنى البوادة والهجوم عند القوم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي ستين ومائتان في معرفة القرب وهو القيام بالطاعات وقد يطلقونه ويريدون به قرب قاب قَوْسَيْنِ وهما قوسا الدائرة إذا قطعت بخط أَوْ أَدْنى»

إذا قطعت بخط أكرة فبدا قوسان ذلك قرب الحق فاعتبروا

إلى حقيقة أدنى منهما فإذا ما حزته لاح ما يقضي به النظر

إن المعارج للأرواح نسبتها خلاف نسبة ما يسرى به البصر

قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فوصف نفسه بالقرب من عباده و المطلوب بالقرب إنما هو أن يكون صفة العبد فيتصف بالقرب من الحق اتصاف الحق بالقرب منه كما قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و الرجال يطلبون أن يكونوا مع الحق أبدا في أي صورة تجلى و هو لا يزال متجليا في صور عباده دائما فيكون العبد معه حيث تجلى دائما كما لا يخلو العبد عن أينية دائما و الله معه أينما كان دائما فأينية الحق صورة ما يتجلى فيها فالعارفون لا يزالون في شهود القرب دائمين لأنهم لا يزالون في شهادة الصور في نفوسهم و في غير نفوسهم و ليس إلا تجلى الحق و أما القرب الذي هو القيام بالطاعات فذلك القرب من سعادة العبد بالفوز من شقاوته و سعادة العبد في نيل جميع أغراضه كلها و لا يكون له ذلك إلا في الجنة و أما في الدنيا فإنه لا بد من ترك بعض أغراضه القادحة في سعادته فقرب العامة و القرب العام إنما هو القرب من السعادة فيطيع ليسعد و قرب العارفين ما ذكرناه فهو يتضمن السعادة و زيادة و لولا الأسماء الإلهية و حكمها في الأكوان ما ظهر حكم القرب و البعد في العالم فإن كل عبد في كل وقت لا بد أن يكون صاحب قرب من اسم إلهي صاحب بعد من اسم آخر لا حكم له فيه في الوقت فإن كان حكم ذلك الاسم الحاكم في الوقت المتصف بالقرب منه يعطي للعبد فوزا من الشقاء و حيازة لسعادته فذلك هو القرب المطلوب عند القوم و هو كل ما يعطي العبد سعادة و إن لم يعط ذلك فليس بقرب عند القوم و إن كان قربا من وجه آخر لا من حيث ما وقع عليه الاصطلاح أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه في هذا الباب أن الله يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا و مؤيدا و قال سبحانه في الخبر الصحيح من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و من تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا و من أتاني يسعى أتيته هرولة و قال تعالى وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ و قال في حق الميت وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ و معناه عندنا لا تميزون يقول تبصرون و لكن لا تعرفون ما تبصرون فكأنكم لا تبصرون اعلم أن القرب من الله على ثلاثة أنحاء قرب بالنظر في معرفة الله جهد الاستطاعة أصاب في ذلك أو أخطأ بعد بذل الوسع في الاجتهاد في ذلك فقد يعتقد المجتهد فيما ليس ببرهان أنه برهان فيجازيه الله مجازاة أصحاب البراهين الصحيحة و قد نبه سبحانه على ما يفهم منه ما ذكرناه و هو قوله وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به و قد رأى بعض العلماء أن الاجتهاد يسوغ في الفروع و الأصول فإن أخطأ فله أجر و إن أصاب فله أجران و النوع الآخر قرب بالعلم و النوع الثالث قرب بالعمل و ينقسم على قسمين قرب بأداء الواجبات و قرب بالمندوبات في عمل

الظاهر و الباطن فأما قرب العلم فأعلاه توحيد الله في الوهته فإنه لا إله إلا هو فإن كان عن شهود لا عن نظر و فكر فهو من أولي العلم الذين ذكرهم الله في قوله شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ لأن الشهادة إن لم تكن عن شهود و إلا فلا فإن الشهود لا يدخله الريب و لا الشكوك و إن وحده بالدليل الذي أعطاه النظر فما هو من هذه الطائفة المذكورة فإنه ما من صاحب فكر و إن أنتج له علما إلا و قد يخطر له دخل في دليله و شبهة في برهانه يؤديه ذلك إلى التحير و النظر في رد تلك الشبهة فلذلك لا يقوى صاحب النظر في علم ما يعطيه لنظر قوة صاحب الشهود و هذا الصنف إذا قضى الله عليه بدخول النار لأسباب أوجبت له ذلك فهو الذي يخرجه الحق من النار بعد شفاعة الشافعين و أما قرب العمل فهو علم ظاهر و هو ما يتعلق بالجوارح و علم باطن و هو ما يتعلق بالنفس فأعم الأعمال الباطنة الايمان بالله و ما جاء من عنده لقول الرسول لا للعلم بذلك و عمل الايمان يعم جميع الأفعال و التروك فما من مؤمن يرتكب معصية ظاهرة أو باطنة إلا و له فيها قربة إلى الله من حيث إيمانه بها إنها معصية فلا يخلص أبد المؤمن عمل سيئ دون أن يخالطه عمل صالح قوله تعالى فيمن هذه صفته عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ و ما ذكر لهم قربة فما تاب هنا في هذه الآية عليهم ليتوبوا و إنما هو رجوع بالعفو و التجاوز و عسى من الله واجبة عند جميع العلماء فالشرط المصحح لقبول جميع الفرائض فرض الايمان ثم يتقرب العبد بأداء الفرائض فمن حصل له هنا ثمرتها كان سمعا للحق و بصرا فيريد الحق بإرادته على غير علم منه أن مراده مراد لله وقوعه فإن علم فليس هو صاحب هذا المقام هذا ميزان أداء الفرائض و هو أحب ما يتقرب به إلى الله و أما قرب النوافل فإنه أيضا يحبه الله و محبة الله أعطته أن يكون الحق سمعه و بصره هذا ميزانها في قرب النوافل و لما كانت المحبة لها مراتب متميزة في المحب قيل محب و أحب و قد وصف الله نفسه بأحب في قوله بأحب إلي من أداء ما افترضته عليه و في النوافل قال أحببته من غير مفاضلة و افترض عليه الايمان به و بما جاء من عنده فالمؤمن له مرتبة الحب و الأحب و أما عمل الجوارح فإنه قرب أيضا و لا بد أن تجني الجارحة ثمرتها أي ثمرة عملها في حق كل إنسان من غير تقييد و لكن هم في ذلك على طبقات مختلفة في أي دار كانوا أو من أي صنف كانوا و سواء قصد القرب بذلك العمل أو لم يقصد فإن العمل يطلب ميزانه و قد وقع من الجارحة فهو حق لها و النية حق للنفس حتى أنه لو ذكر الله بيمين فاجرة يقتطع بها حق امرئ لكان للجارحة أجر ذكر الله لما جرى على اللسان و على النفس وزر ما نوته من ذلك و التنبيه على ما ذكرناه كون حكم ظاهر الشرع أسقط عنه بيمينه حق الطالب فإذا كان أثرها في الظاهر بهذه القوة في الدنيا فما ظنك بما تجنيه تلك الجارحة الذاكرة ربها في الأخرى فإن الجارحة لا خبر لها بما نوته النفس من ذلك فحظها النطق بذكر الله لا تدري أن ذلك الذكر يعود منه وبال على النفس أم لا و لا تدري هل هو مشروع أم غير مشروع و لذلك إذا شهدت الجوارح و الجلود بما وقع منها من الأعمال على النفس المدبرة لها ما تشهد

بوقوع معصية و لا طاعة و إنما شهادتها بما عملته و الله يعلم حكمه في ذلك العمل و لهذا إذا كان يوم القيامة تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و لم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة و لا معصية فإن مرتبتهم لا تقتضي ذلك فالإنسان من حيث هيكله سعيد كله و من حيث نفسه إن كان مؤمنا فهو صاحب تخليط و أما قرب الله منه فعلى نوعين النوع الواحد قرب رحمة و عطف و تجاوز و مغفرة و إحسان و النوع الآخر قرب لا يمكن كشفه لكن نومئ إليه فنقول لا يخلو الحق مع كل عبد عند ما يتجلى له أن يظهر له في مادة أو في غير مادة فإن تجلى له في مادة و هي الصورة تبع القرب تلك المادة في مجلس الشهود و حضرة الرؤية و إن تجلى له في غير مادة كان قرب المنزلة و المرتبة كقرب الوزير و القاضي و الوالي و صاحب الحسبة من الملك فإنه قرب متفاضل و قد يدني مجلس الأدون ليسار ره بأمر ينفذ في مرتبته و يكون الأعلى أبعد منه مجلسا في ذلك المجلس و لا يقتضي قربه في ذلك المجلس بأنه أعلى رتبة من الأعلى منه فإن حكم المواد يخالف حكم النفوس في الصورة و إذا علمت هذا فقد قربت من العلم بقرب الحق و القرب بين الاثنين على حد واحد فمن قرب منك فقد اتصفت بأنك منه قريب و في نفس الأمر ليس للبعد من الله سبيل و إنما البعد أمر إضافي يظهر في أحكام الأسماء الإلهية فزمان حكم الاسم الإلهي في الشخص هو زمان اتصافه بالقرب من البعد و قرب العبد منه و الاسم الإلهي الذي ما له حكم الوقت في الشخص هو منه بعيد كيف يتصف بالبعد عنك أو تتصف بالبعد منه من أنت في قبضته ألم يفتح لآدم يده اليمنى تعالى و كلتا يديه يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم و ذريته و هل يؤبد شقاء من هو في يمين الحق لا و الله و كانت القبضة الأخرى جميع العالم فانظر في اختيار آدم يمين الحق للتمييز مع كونه يعرف أن كلتي يدي ربه يمين مباركة و ليس إلا ما ذكرناه و لو لا ما كان التجلي لآدم في صورة مادية ما اتصفت اليدان بالقبض و البسط و قد نبهتك على معرفة القرب حتى تشهده من نفسك مع الله إن كنت من أهل التجلي في هذه الدار و إذا وقع التجلي في المواد جاءت الحدود بغير شك فجاء الشبر و الذراع و الباع و السعي و الهرولة بحسب ما يقتضيه الحال فإن قرب المواد تابع للأحوال فعلى قدر الحال يكون القرب في المادة بين القريبين ليعلم بذلك القرب أن حاله أعطى ذلك فهو ترجمان عن الأحوال و أما القرب من الله بحيازة الصورة فليس ذلك إلا للخلفاء خاصة سواء كانوا رسلا أو لم يكونوا فإن الرسالة ليست بنعت إلهي و إنما هي نسبة بين مرسل و مرسل إليه لينوب عنه فيما يريد أن يبلغه إلى هذا الشخص المرسل إليه فالرسول خليفة و نائب في التبليغ خاصة و تتمة الخلافة و النيابة إنما هي في الحكم بما تقتضيه حقائق الأسماء الإلهية من القهر و الإرعاد و الإبراق و الأخذ و الرحمة و العفو و التجاوز و الانتقام و الحساب و المصادرة و ما ثم أصعب في الإلهيات من المصادرة إذا لم تقع عن حساب أو تجاوز في الأخذ حد الاستحقاق و ذلك في قوله لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ و الأخذ و التجاوز بعد التقرير و الحساب و السؤال في قوله وَ هُمْ يُسْئَلُونَ و

قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فقرب بالصورة على نوعين في الخلافة النوع الواحد خلافة عن تعريف إلهي بمنشور و خلافة لا عن تعريف إلهي مع نفوذ الأحكام منه و لا يسمى مثل هذا القرب على طريق الأدب بلسان الأدباء خلافة و لا هو خليفة و بالحقيقة هو خليفة و تلك خلافة فالخلفاء متفاضلون أيضا فيها و الخلافة بغير التعريف أتم في القرب المعنوي فإن الخليفة بالتعريف و الأمر الظاهر يبعد من المستخلف في الصورة فإن حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فمن حكم في العالم بنفسه و نفذ حكمه فيه من غير أمر إلهي و لا استخلاف بتعريف و لا منشور فهو أقرب من الصورة الإلهية ممن عقدت له الخلافة عن أمر إلهي بتعريف و منشور لكنه أقرب إلى السعادة المطلوبة له من ذلك الذي لم يقترن بخلافته أمر إلهي و القرب إلى السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله و هذا القدر كاف في معرفة القرب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الستون و مائتان في معرفة البعد»

اعلم أن البعد هو الإقامة على المخالفة و يطلق أيضا على البعد منك

البعد منك دنو وتر و شفع و تو
لما رأيت إماما يقول للقوم سووا
صفوفكم في صلاة لها العلا و الدنو
علمت إن وجودي له البقاء و السمو

و اعلم أن البعد يختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال و أن الأحوال و جميع ما ذكرناه فيما يكون قربا إذا لم يكن صفة للعبد فعدمه عين البعد هذا هو الجامع لهذا الباب الذي أشار إليه القوم و أما حكم البعد عندنا فقد يكون على خلاف ما قرروه بعدا مع تقريرنا ما قرروه بعدا أنه بعدا بلا شك إلا إنا زدنا فيه أمورا أغفلتها الجماعة لا أنهم جهلوا ما نذكره إلا أنهم ما ذكروه في معرفة البعد و أدخلوه في باب القرب و ذلك أن القرب اجتماع و البعد افتراق و ما يقع به الاجتماع غير ما يقع به الافتراق فالبعد غير القرب فإذا اجتمع أمران في شيء ما فذلك غاية القرب لأن عين كل واحد منهما عين الآخر فيما وقع فيه الاجتماع فإذا تميز كل واحد من العينين عن صاحبه بنعت لا يكون عليه الآخر فقد تميز عنه و إذا تميز عنه فذلك البعد لأنه ليس عينه من حيث ما هو عليه مما وقع له به الافتراق و يظهر ذلك في حدود الأشياء و إذا وقع البعد اختلف الحكم و قد يكون البعد بنعت عرضي كالمكان و الزمان و الحد و المقدار و الأكوان و الألوان في حق من تطلب ذاته هذه النعوت فإذا عقل أمران لا اجتماع بين واحد منهما مع الآخر و افترقا من جميع الوجوه كلها

فذلك غاية البعد فلا أبعد من العالم من الله لأنه ما ثم من حيث ذاته شيء يجمع بينهما و هذا موجود في قوله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و كان الله و لا شيء معه ثم ننزل في درجة البعد دون هذا فنقول العبد لا يكون سيدا لمن هو عبد له فلا شيء أبعد من العبد من سيده فالعبودية ليست بحال قربة و إنما يقرب العبد من سيده بعلمه أنه عبد له و علمه بأنه عبد له ما هو عين عبوديته فعبوديته تقتضي البعد عن السيد و علمه بها يقضي بالقرب من السيد قال الله لأبي يزيد البسطامي لما حار في القرب و ما عرف بما ذا يتقرب إليه فقال له الحق في سره يا أبا يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فنفى سبحانه عن نفسه هاتين الصفتين الذلة و الافتقار و ما نفاه عنه فإنه صفة بعد منه فمن قامت به تلك الصفة التي تقتضي البعد فهو بحيث هي و هي تقتضي البعد و قال أبو يزيد لربه في وقت آخر بم أتقرب إليك فقال له الحق اترك نفسك و تعال و إذا ترك نفسه فقد ترك حكم عبوديته لما كانت العبودية عين البعد من السيادة فالعبد بعيد من السيد فطلب منه في الذلة و الافتقار القرب بالعبودية و طلب منه في ترك النفس القرب بالتخلق بأخلاق الله و هو ما يكون به الاجتماع فالتجلي في غير مادة تجلى البعد و في المواد تجلى القرب و أما البعد من الأسماء الإلهية فكل اسم لا بكون العبد تحت حكمه في الوقت و اعلم أن الأسماء الإلهية إذا ظهر بها العبد عن الأمر الإلهي فهو في قرب النيابة عن الله لا في قرب الحقيقة و إذا ظهر ببعضها عن غير أمر إلهي فهو في عين البعد المستعاذ منه في قوله صلى الله عليه و سلم و أعوذ بك منك لأن حقيقة المخلوق لا تمكن في حال شهوده لمخلوقيته أن يكون خالقا و الكبرياء و الجبروت صفة للحق فإذا قامت بالعبد فقد قام به الحق فاستعاذ منه و ما ثم أعظم منه يستعاذ به فاستعاذ به فأين كبرياء الحق و جبروته من صفته بأنه يفرح بتوبة عبده و يصف نفسه بجوع عبده و عطشه و مرضه فبمثل هذا استعاذ و من مثل ذلك الآخر استعاذ و المنعوت بهما واحد العين و هو الله فاستعاذ به منه فقال و أعوذ بك منك و هذا غاية ما يصل إليه تعظيم المحدث إذا عظم جناب الله و أما بعد المخالفة فهو بعد العبد عن سعادته و عن الأسماء الإلهية التي تقتضي الموافقة في القرب بالطاعات و إن كان في المخالفة قريبا من الأسماء الإلهية التي تطلب الأكوان من حيث التكليف فإنها محصورة في عفو و مؤاخذة فهو قريب بالمؤاخذة منه فالمخالفة تطلب الرحمة و تتعرض للعقوبة و هو سبحانه على مشيئته في ذلك فلم يبق في بعد المخالفة إلا البعد عن سعادته إما بنقصان حظ عن غيره أو مؤاخذة بالجريمة و أما البعد منك الذي ذكرته الطائفة فهو قوله لأبي يزيد اترك نفسك و تعال و من ترك نفسه بعد عنها و قد بينا لك في هذا الباب معنى هذا القول وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الستون و مائتان في معرفة الشريعة»

الشريعة التزام العبودية بنسبة الفعل إليك

إن الشريعة حد ما له عوج عليه أهل مقامات العلى درجوا

علوا معارج من عقل و من همم لحضرة دخلوا فيها و ما خرجوا

جاءوا بأمر عظيم القدر منه وما عليهم في الذي جاءوا به حرج

الشريعة السنة الظاهرة التي جاءت بها الرسل عن أمر الله و السنن التي ابتدعت على طريق القربة إلى الله كقوله تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها و قول الرسول صلى الله عليه و سلم من سن سنة حسنة فأجاز لنا ابتداع ما هو حسن و جعل فيه الأجر لمن ابتدعه و لمن عمل به و أخبر أن العابد لله بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله معين أنه يحشر أمة وحده بغير إمام يتبعه فجعله خيرا و ألحقه بالأخيار كما قال في إبراهيم إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ و ذلك قبل إن يوحى إليه و قال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن كان على مكارم الأخلاق فهو على شرع من ربه و إن لم يعلم ذلك و سماه النبي صلى الله عليه و سلم خيرا في حديث حكيم بن حزام و إنه كان يتبرر في الجاهلية بأمور من عتق و صدقة و صلة رحم و كرم و أمثال ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم لما سأله عن ذلك أسلمت على ما أسلفت من خير فسماه خيرا و جازاه الله به فالشريعة إن لم تفهم هكذا و إلا فما فهمت الشريعة و أما تتمة مكارم الأخلاق فهي تعريتها مما نسب إليها من السفسفة فإن سفساف الأخلاق أمر عرضي و مكارم الأخلاق أمر ذاتي لأن السفساف ليس له مستند إلهي فهو نسبة عرضية مبناها الأغراض النفسية و مكارم الأخلاق لها مستند إلهي و هو الأخلاق الإلهية فتتمة النبي صلى الله عليه و سلم مكارم الأخلاق ظهر في تبيينه مصارفها فعين لها مصارف تكون بها مكارم أخلاق و تعرى بذلك عن ملابس سفساف الأخلاق فما في الكون إلا شريعة ثم اعلم أن الشريعة أتت بلسان ما تواطأت عليه الأمة التي شرع الله لها ما شرع فمنه ما كان عن طلب من الأمة و منه ما شرعه ابتداء من الأحكام و لهذا كان يقول صلى الله عليه و سلم اتركوني ما تركتكم فإن كثيرا من الشريعة نزل بسؤال من الأمة لو لم يسألوه ما نزل و أسباب الأحكام دنيا و آخرة معلومة عند العلماء بأسباب النزول و الحكم يقال شرعت الرمح قبله أي قصدته به مستقبلا و الشريعة من جملة الحقائق فهي حقيقة لكن تسمى شريعة و هي حق كلها و الحاكم بها حاكم بحق مثاب عند الله لأنه حكم بما كلف إن يحكم به و إن كان المحكوم له على باطل و المحكوم عليه على حق فهل هو عند الله كما هو في الحكم أو كما هو في نفس الأمر فمنا من يرى أنه عند الله كما هو في الحكم و منا من يرى أنه عند الله كما هو في نفس الأمر و في هذه المسألة نظر يحتاج إلى سبر أدلة فإن العقوبة قد أوقعها الله في رمى المحصنات و إن صدقوا إذ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ و قال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا فيها فقال لَوْلا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ كما قرر في الحكم فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ

الْكاذِبُونَ فقوله أولئك هل يريد بهذه الإشارة هذه القضية الخاصة أو يريد عموم الحكم في ذلك فجلد الرامي إنما كان لرميه و لكونه ما جاء بأربعة شهداء و قد يكون الشهداء شهداء زور في نفس الأمر و تحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل و له الأجر التام في الأخرى مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا و على شهود الزور و المفتري العقوبة في الأخرى و إن حكم الحق في الدنيا بقوله و شهادة شهود الزور فيه و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما أنا بشر و إنكم لتختصمون إلي و لعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لأخيه و جعله له حقا مع كونه معاقبا عليه في الآخرة كما يعاقب على الغيبة و النميمة مع كونهما حقا فما كان حق في الشرع تقترون به السعادة و لما كان الشريعة عبارة عن الحكم في المشروع له و التحكم فيه بها كان المشروع له عبدا فالتزم عبوديته لكون الحكم لا يتركه يرفع رأسه بنفسه فما له من حركة و لا سكون إلا و للشرع في ذلك حكم عليه بما يراه فلذلك جعلت الطائفة الشريعة التزام العبودية فإن العبد محكوم عليه أبدا و أما قولهم بنسبة الفعل إليك فإنك إن لم تفعل ما يريده السيد منك و إلا فما وجب عليك الأخذ به و لذلك رفع القلم عمن لا عقل له و يكفي هذا القدر في علم الشريعة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الستون و مائتان في معرفة الحقيقة و هي سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه أنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها»

إن الحقيقة تعطي واحدا أبدا و العقل بالفكر ينفي الواحد الأحدا
فالذات ليس لها ثان فيشفعها و الكون يطلب من آثاره العددا
و الكل ليس سوى عين محققة لا أهل فيها و لا أبا و لا ولدا

أعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف و التماثل و التقابل إن لم تعرف الحقيقة هكذا و إلا فما عرفت فعين الشريعة عين الحقيقة و الشريعة حق و لكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها و حقيقتها ما تنزل في الشهود منزلة شهود عينها في باطن الأمر فتكون في الباطن كما هي في الظاهر من غير مزيد حتى إذا كشف الغطاء لم يختل الأمر على الناظر قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنا مؤمن حقا فادعى حق الايمان و هو من نعوت الباطن فإنه تصديق و التصديق محله القلب فآثاره في الجوارح إذا كان تصديق له أثر فإن كان تصديق ما له أثر فلا يلزم ظهوره على الجوارح كما قال و الفرج يصدق ذلك أو يكذبه فنسب الصدق إلى الفرج و هو عضو ظاهر فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم فما حقيقة إيمانك فقال كأني أنظر إلى عرش ربي

بارزا و قد كان صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله إن عرش ربه يبرز يوم القيامة فجعله هذا السامع مشهود الوقوع في خياله فقال كأني أنظر إليه أي هو عندي بمنزلة من أشاهده ببصري فلما أنزله منزلة الشهود البصري و الوجود الحسي عرفنا إن الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه فما ثم حقيقة تخالف شريعة لأن الشريعة من جملة الحقائق و الحقائق أمثال و أشباه فالشرع ينفي و يثبت فيقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فنفى و أثبت معا كما يقول وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و هذا هو قول الحقيقة بعينه فالشريعة هي الحقيقة فالحقيقة و إن أعطت أحدية الألوهة فإنها أعطت النسب فيها فما أثبتت إلا أحدية الكثرة النسبية لا أحدية الواحد فإن أحدية الواحد ظاهرة بنفسها و أحدية الكثرة عزيزة المنال لا يدركها كل ذي نظر فالحقيقة التي هي أحدية الكثرة لا يعثر عليها كل أحد و لما رأوا أنهم عاملون بالشريعة خصوصا و عموما و رأوا أن الحقيقة لا يعلمها إلا الخصوص فرقوا بين الشريعة و الحقيقة فجعلوا الشريعة لما ظهر من أحكام الحقيقة و جعلوا الحقيقة لما بطن من أحكامها لما كان الشارع الذي هو الحق قد تسمى بالظاهر و الباطن و هذان الاسمان له حقيقة فالحقيقة ظهور صفة حق خلف حجاب صفة عبد فإذا ارتفع حجاب الجهل عن عين البصيرة رأى أن صفة العبد هي عين صفة الحق عندهم و عندنا إن صفة العبد هي عين الحق لا صفة الحق فالظاهر خلق و الباطن حق و الباطن منشا الظاهر فإن الجوارح تابعة منقادة لما تريد بها النفس و النفس باطنة العين طاهرة الحكم و الجارحة ظاهرة الحكم لا باطن لها لأنه لا حكم لها فينسب الاعوجاج و الاستقامة للماشي بالممشي به لا إلى من مشى به و الماشي بالخلق إنما هو الحق و ذكر أنه على صراط مستقيم فالاعوجاج قد يكون استقامة في الحقيقة كاعوجاج القوس فاستقامته التي أريد لها اعوجاجه فما في العالم إلا مستقيم لأن الآخذ بناصيته هو الماشي به و هو على صراط مستقيم فكل حركة و سكون في الوجود فهي إلهية لأنها بيد حق و صادرة عن حق موصوف بأنه على صراط مستقيم بأخبار الصادق فإن الرسل لا تقول على الله إلا ما تعلمه منه فهم أعلم الخلق بالله و ليس للكون معذرة أقوى من هذه فمن رحمة الرسل بالخلق تنبيه الخلق على مثل هذا و لما حكاها الحق عنه يسمعنا مقالته علمنا إن ذلك من رحمته بنا حيث عرفنا بمثل هذا فكان تعريفه إيانا بما قاله رسوله بشرى من الله لنا من قوله لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و كانت البشرى من كلمات الله و لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ و من باب الحقيقة كونه عين الوجود و هو الموصوف بأن له صفات من كون الموجودات ذات صفات ثم أخبر أنه من حيث عينه عين صفات العبد و أعضائه فقال كنت سمعه فنسب السمع إلى عين الموجود السامع و أضافه إليه و ما ثم موجود إلا هو فهو السامع و السمع و هكذا سائر القوي و الإدراكات ليست إلا عينه فالحقيقة عين الشريعة فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الستون و مائتان في معرفة الخواطر و الخواطر ما يرد على القلب»

و الضمير من الخطاب من غير إقامة و هو من الواردات التي لا تعمل لك فيها فإذا أقامت فهي حديث نفس ما هي خواطر

إذا كان واردنا خاطرا يمر بنا ثم لا يرجع
فما في الوجود سوى خاطر و ما فيه رد و لا مدفع
تجدد أعياننا كلما تجدد أعراضنا فاسمعوا
فما ثم عين سوى واحد و آخر في أثره يتبع

اعلم أن لله سفراء إلى قلب عبده يسمون الخواطر لا إقامة لهم في قلب العبد إلا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به إليه من غير إقامة لأن الله خلقهم على صورة رسالة ما أرسلوا به فكل خاطر عينه عين رسالته فعند ما يقع عليه عين القلب فهمه فأما يعمل بمقتضى ما أتاه به أو لا يعمل و جعل الله بينه و بين هذا القلب طرقا خمسة عليها تمشي هذه الخواطر إلى القلب و هذه الطرق أحدثها الله لما أحدث الشرائع فلو لا الشرائع ما أحدثها و جعلها كالهالة للقمر محيطة به فسمى الطريق الواحد وجوبا و فرضا و سمي الثاني ندبا و الثالث حظرا و الرابع كراهة و الخامس إباحة و خلق الملك الموكل بالقلب يحفظه عن أمر الله بذلك و عين له من الطرق طريق الوجوب و الندب و جعل في مقابلته شيطانا أقعده إلى جانبه عن غير أمر الله المشروع حسدا منه لما رأى من اعتناء الله بهذه النشأة الإنسانية دونه و شفوفه عليه و علم ما يفضي إليه من السعادة إذا قام بحق ما شرع له من فعل و ترك و جعل مثل ذلك على طريق الحظر و الكراهة سواء و جعل على طريق الإباحة شيطانا لم يجعل هناك ملكا في مقابلته و جعل قوى النفس كلها و جبلتها مستفرغة لذلك الطريق و أمرها الله بحفظ ذاتها من ذلك الطريق من الشيطان و جعل الله في هذه النفس الإنسانية صفة القبول تقبل بها على كل من يقبل إليها و قبل إحداث الشرائع من آدم إلى زماننا إلى انقضاء الدنيا لم يكن ثم شيء مما ذكرناه من ملك حافظ و شيطان منازع مناقض بل كان الأمر كما يؤول إليه عند ارتفاع الشرائع من الله إلى عبده و من العبد إلى الله من غير تحجير و لا حكم من هذه الأحكام بل يتصرف بحسب ما تعطيه إرادته و مشيئته ثم خلق الله لهذه النفس الإنسانية صفة المراقبة لمن يرد من هذه الطرق عليها و أوحى إليها إلهاما أن بينه و بينها سفراء يأتون إليها من هذه الطرق و لا إقامة لهم عندها و قد أنشأنا ذواتهم من صورة رسالتهم حتى إذا رأيتهم علمت بالمشاهدة ما بعثهم الله به إليك فتيقظ و لا تغفل عنهم فإنهم يمرون بساحتك و لا يثبتون و يقول الحق قلت لهؤلاء السفرة إني أوجدت في هذا المرسل إليه صفتين صفة سميتها الغفلة و صفة سميتها اليقظة و الانتباه فإن وجدتموه متصفا باليقظة فهو الغرض المقصود و إن وجدتموه متصفا بالغفلة فاقرعوا عليه بابه فإنه يتيقظ فإن لم يتيقظ فإنكم لا تفوتونه فإني جعلت له بصرا حديدا يدرك به صورتكم

فيعلم ما بعثكم به و إن لم يتيقظ لنقركم فاتركوه و تعالوا إلينا و قد ملك الله هذا الملك الموكل بالحفظ و القرين الملازم و النفس قوة التصور و التشكل لما يرون فيشكلون أمثاله حتى كأنه هو و ليس هو و جعل هذه الأمثال في المرتبة الثانية فصاعدا في المراتب لا قدم لهم في المرتبة الأولى فالمرتبة الأولى لها الصدق و لا تخطئ فلا تعمل النفس بمقتضى ذلك الخاطر الأول فتخطئ و لا تكذب أبدا و أما التي على صورة الخواطر الأول فقد تصدق و تخطئ بحسب قوة التصوير و حفظ أجزاء الصورة و كذلك النظرة الأولى و الحركة الأولى و السماع الأول و كل أول فهو إليه صادق فإذا أخطأ فليس بأول و إنما ذلك حكم الصورة التي وجدت في المرتبة الثانية و أكثر مراقبة الأمور الأول لا يكون إلا في أهل الزجر و قد رأيناه منهم و في أهل الله خاصة فهو في أهل الله رتبة عاصمة و حافظة من الخطاء و الكذب و هو في الزاجر قوة مراقبة و علم و شهود و اسم هذا الخاطر الأول عندهم الهاجس و نقر الخاطر و السبب الأول فما يمر من هؤلاء السفرة الكرام البررة على هذه الطرق المعينة لهذا القلب يلقي من هو عليه من ملك و شيطان و نفس فيأخذه من بادر إليه من هؤلاء بالتلقي فإن أخذه الملك و هو مما يقتضي وجود عمل سعادي أوحى إليه الملك في سره اعمل كذا و كذا فيقول له الشيطان لا تعمله و أخره إلى وقت كذا طمعا منه في إن لا يقع منه ما يؤدي إلى سعادته و هو ما يجده الإنسان من التردد في فعل الخير و تركه و في فعل الشر و تركه و كذلك إذا جاءه على طريق الإباحة فذلك التردد في فعل المباح و تركه إنما هو بين النفس و الشيطان لا بين الملك و الشيطان فإن لمة الملك و لمة الشيطان المقابلة إنما تكون في الأربعة الطرق من الأحكام و أما في المباح فلمة الشيطان خاصة و ما له منازع إلا النفس و إنما كان للنفس المباح دون غيره لأنها جبلت على جلب المنافع و دفع المضار و الأمر أبدا يتقدم النهي في لمة الملك و الشيطان فصاحب الأمر في الشر هو الشيطان فله التقدم و صاحب الأمر في الخير إنما هو الملك فله التقدم فلا يرد نهي إلا بعد أمر و لا عكس في مثل هذا في هذه الحضرة و أصله في الإنسان من آدم عليه السلام فإن الأمر تقدمه بسكنى الجنة و الأكل منها حيث شاء ثم نهاه عن قرب شجرة مشار إليها إن تقربها فوقع التحجير و النهي في قوله حَيْثُ شِئْتُما لا في الأكل فما حجر عليه الأكل و إنما حجر عليه القرب منها الذي كان قد أطلقه في حيث شئتما فما أكلا منها حتى قربا فتنا و لا منها فأخذا بالقرب لا بالأكل و كان له بعد المؤاخذة الإلهية ما أعطته خاصية تلك الشجرة لمن أكل من ثمرها من الخلد و الملك الذي لا يبلى و كان ذريته فيه لما وقع منه ما وقع ثم أهبط للخلافة و حواء للنسل لأنها محل التكوين فخرجت الذرية بعد أن تاب الله عليه بكله و ذريته فيه و أسعد الله الكل فله النعيم في أي دار كان منهم ما كان بعد عقوبة و آلام تقوم بهم دنيا و آخرة فأما الدنيا فالكل لا بد من ألم أدناه استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند المفارقة للرحم و سخانته فيضر به الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالألم فيبكي فإن مات فقد أخذ بحظه من البلاء ثم يعيش فلا بد له في

الحياة الدنيا من الآلام فإن الحيوان مجبول على ذلك فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد من ألم السؤال فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فإذا دخل الجنة ارتفع ذلك عنه أعني حكم الآلام و صحبه النعيم دائما و إذا دخل النار صحبه الألم ما شاء الله فإذا نفذت مشيئته فيه بما كان من الآلام أعقبه فيها نعيما بالعناية التي أدركته و هو في صلب أبيه آدم لما تاب عليه ليأخذ حظه من الألم و اللذة كما أخذ أبوه فله نصيب من توبة أبيه و بقيت أسماء الانتقام في حق من شاء الله من سوى هذا المسمى إنسانا تحكم بحسب حقائقها فإن رحمته ما سبقت غضبه إلا في هذه النشأة الإنسانية و أما ما عداها فمن كون رحمته وسعت كل شيء لا من السبق فللإنسان دون غيره الرحمة الواسعة و الرحمة السابقة فتطلبه الرحمة من وجهين و ليس لغير الإنسان هذا الحكم من الرحمة فهي أشد عناية بالإنسان منها بغيره ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من معرفة الخواطر فنقول و بعد أن أعلمتك بحقائقها فتختلف آثارها في النفس باختلاف من يتعرض لها في طريقها فإن لم يتعرض لها أحد ممن ذكرنا فذلك خاطر العلم لا يكون خاطر عمل البتة و هو الخاطر الرباني و خواطر الأعمال و التروك تكون ملكية و شيطانية و نفسية لا غير ذلك و كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ فَمالِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً فأحرى قديما فألهمها فجورها عملا أو تركا لمجيئه على يد شيطان و تقواها عملا أو تركا لمجيئه على يد ملك فمن راقب خواطره من طرقها فقد أفلح فإنه يعلم من يأخذها و من يتعرض إليها من القاعدين لها كل مرصد و من غفل عن طرقها و ما شعر بها حتى وجدها في المحل كما تجدها العامة عمل بمقتضاها و هو عمل الجاهل بالشيء فإن كان خيرا فبحكم المصادفة و إن كان شرا فكذلك لأن الخاطر الأول الذي أتاه بالعلم بمن يأتي بعده من الخواطر و على يد من يأتيه لم يشعر به و لا علمه و لا شاهده ففاته حكمه فلما فجئته هذه الخواطر العملية على حين غفلة و عدم تيقظ و مراقبة لطرقها عمل بمقتضاها فكان خيره و شره مصادفة و رأيت ابن الحجازي المحتسب بمدينة فاس و لم يكن صاحب علم بالشريعة يوفقه الله لإصابة الحكم و أعرف من صلاحه أنه ما فاتته تكبيرة الإحرام خلف الإمام في الصلوات كلها بجامع القرويين إلى أن مات فكانت أحكامه في حسبته تجري على السداد إلها ما من الله فكان يقول إني لأعجب من أمري ما اشتغلت بعلم أحكام الشريعة و أوأفق حكم الشرع في جميع أحكامي و لم يقدر أحد من علماء الشريعة يأخذ عليه في حكم لم يقل به مجتهد هذا وحده رأيته من عامة الناس معتنى به و لم يكن من أهل الطريق بل كان حريصا على الدنيا مكبا عليها كسائر عامة الناس لكن كان منور الباطن و لا يشعر بذلك و الخواطر كلها خطابات إلهية ما هي تجليات و لهذا ينشئها الله صورا تحدث في العماء الذي هو النفس الإلهي فمن شهدها و لا يرزقه الله علما بما ذكرناه يتخيل أن الخواطر تجل إلهي لما يرى من الصورة و هذا هو السبب في تسميتها خواطر و إنها لا تثبت كما لا تثبت صورة الحرف في الوجود بعد نطق اللسان به فما له سوى زمان النطق به ثم ينعدم و يبقى في فهم السامع مثال صورته

فيتخيل إن الخاطر باق كما تخيل ذو النون في قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فقال كأنه الآن في أذني فما ذلك هو الكلام الذي سمع و إنما ذلك الباقي مما أخذ الفهم من صورة الكلام فثبت في النفس و القليل من أهل الله من يفرق بين الصورتين و لما كانت الخواطر من الخطاب الإلهي لذلك دعا من دعا من أهل الله الخلق إِلَى الله عَلى بَصِيرَةٍ فإن الدعاء على بصيرة لا يكون إلا بالتعريف الإلهي و التعريف الإلهي لا يكون إلا كلاما لا غير ذلك ليرتفع الإشكال و لو كان التكوين عن غير كلمة كن لم يكن له ذلك الإسراع في قوله فيكون بفاء التعقيب و هي جواب الأمر لأن الذي يكون كان على بصيرة لأنه خطاب فلو كان غير خطاب لم يكن له هذا الحكم و لكن أين النفوس المراقبة العالمة المحسة التي تعرف الأمر على ما هو عليه و غاية الناظر في هذا الأمر أن يجعل ما هو خطاب حق في النفس إن ذلك المعبر عنه بالعلم الضروري خلقه الله في محل هذا الشخص لا غير و صاحب الكشف الصحيح يدري أن الله ما خلق له العلم الضروري بالأمر إلا بعد إسماعه إياه كلامه فيعلم عند ذلك ما أراد الحق بذلك الخطاب فذلك العلم هو العلم الضروري و لكن ما يشعر به إلا أهل الشعور من أصحاب الأسرار الإلهية من أهل الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الستون و مائتان في معرفة الوارد»

تعشقت بالصادر الوارد تعشق شفعي بالواحد

و أسماؤه كلها ورد سراعا لتخفى على الراصد

و تعطي بآثارها همة إلى كل قلب لها قاصد

الوارد عند القوم و عندنا ما يرد على القلب من كل اسم إلهي فالكلام عليه بما هو وارد لا بما ورد فقد يرد بصحو و بسكر و بقبض و ببسط و بهيبة و بأنس و بأمور لا تحصى و كلها واردات غير أن القوم اصطلحوا على أن يسموا الوارد ما ذكرناه من الخواطر المحمودة فاعلم يا أخي أن الوارد بما هو وارد لا يتقيد بحدوث و لا قدم فإن الله قد وصف نفسه مع قدمه بالإتيان و الورود إتيان و الوارد قد تختلف أحواله في الإتيان فقد يرد فجأة كالهجوم و البوادة و قد يرد غير فجأة عن شعور من الوارد عليه بعلامات و قرائن أحوال تدل على ورود أمر معين يطلبه استعداد المحل و كل وارد إلهي لا يأتي إلا بفائدة و ما ثم وارد الإلهي كونيا كان أو غير كوني و الفائدة التي تعم كل وارد ما يحصل عند الوارد عليه من العلم من ذلك الورود و لا يشترط فيه ما يسره و لا ما يسوءه فإن ذلك ما هو حكم الوارد و إنما حكم الوارد ما حصل من العلم و ما وراء ذلك فمن حيث ما ورد به لا من حيث نفسه فيأتي الله يوم القيامة للفصل و القضاء بين الناس فمن الناس من يقضي له بما فيه سعادته و من الناس من يقضي له بما فيه شقاوته و الإتيان واحد و القضاء واحد و المقضي به مختلف و

الوارد لا يخلو ما أن يكون متصفا بالصدور في حال وروده فيكون واردا من حيث من ورد عليه صادرا من حيث من صدر عنه فلا بد أن يكون هذا الوارد محدثا من الله و إن لم يتصف بالصدور في حال وروده فإنه وارد قديم و الورود نسبة تحدث له عند العبد الوارد عليه فالواحد صادر وارد و الآخر وارد لا غير و ما ثم قديم يرد غير الأسماء الإلهية فإن وردت من حيث العين فلا تختلف في الورود و إن وردت من حيث الحكم فتختلف باختلاف الأحكام فإنها مختلفة الحقائق إلا ما تكون عليه من دلالتها على العين فلا تختلف و سواء كان الوارد قديما أو محدثا فإن الذي ورد به لا بد أن يكون محدثا و هو الذي يبقى عند الوارد عليه و ينصرف الوارد و لا بد من انصرافه و سبب ذلك بقاء الحرمة عليه فإنه لا بد من وارد آخر يرد عليه فلا بد من القبول عليه من هذا الشخص و الإعراض عمن يكون هناك فيقع عدم وفاء باحترام الوارد الأول فلهذا يرحل بعد أداء ما ورد به فإذا ورد الوارد الثاني وجده مفرغا له فاستقبله و ما ثم خاطر يجذبه عنه بتعلقه به فكل وارد يصدر عنه بحرمته و حشمته فيثني عليه خيرا عند الله فيكون ذلك الثناء سعادته و الواردات على الحقيقة إذا كانت محدثة فما هي سوى عين الأنفاس و الذي ترد به من الأمور و الأحكام هي التي تعرفها أهل الطريق بالواردات فإن الأنفاس هي الحاملة لصور هذه الواردات فليست الواردات المحدثة فإنها بأنفسها بل هي صور الأنفاس فتختلف صورها باختلاف أحكام الأسماء الإلهية فيها فالوارد لها كالتحيز للعرض بحكم التبعية للجوهر فيه فالجوهر هو المتحيز لا العرض كذلك النفس هو الوارد لا الصورة و الفائدة في الصورة كالرسالة في الرسول فوارد بعلم و وارد بعمل و وارد جامع لهما و وارد بحال و وارد بعلم و حال و وارد بعمل و حال و وارد بعلم و عمل و حال و ذلك كوارد الصحو و السكر و أمثاله و هو أقوى الواردات و إذا كان الوارد غير محدث فهو المعبر عنه بارتفاع الوسائط بين الله و بين عبده فهو تجل من الوجه الخاص الذي لكل مخلوق فما ينقال ما يعطيه و لا ما يحصل له فيه و قليل من أهل الله من يكون له ذلك و ليس في الواردات مثله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الستون و مائتان في معرفة الشاهد و هو بقاء صورة المشاهد في نفس المشاهد

اسم فاعل فصورة المشهود في القلب هي عين الشاهد و به يقع النعيم للمشاهد»

مشاهدة الحق من علمنا تحصيل شاهدها في القلوب

فيدركها بعيون الحجى موفقة خلف ستر الغيوب

و يطلعه بدر تم علا على شمسه في مهب الجنوب

و لما كان الشاهد حصول صورة المشهود في النفس عند الشهود فيعطي خلاف ما تعطيه الرؤية فإن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي و الشهود يتقدمه علم بالمشهود و هو المسمى بالعقائد و لهذا يقع الإقرار و الإنكار في الشهود و لا يكون في الرؤية إلا الإقرار ليس فيها إنكار و إنما سمي شاهدا لأنه يشهد له ما رآه بصحة ما اعتقده فكل مشاهدة رؤية و ما كل رؤية مشاهدة و لكن لا يعلمون فما يرى الحق إلا الكمل من الرجال و يشهده كل أحد و لا يكون عن الرؤية شاهد و قال الله تعالى في إثبات الشاهد أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ و في هذه الآية وجوه كلها مقصودة لله فيكون العبد على كشف من الله لما يريده به أو منه و ذلك لا يكون له إلا بأخبار إلهي و إعلام بالشيء قبل وقوعه و هو قول الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله ثم إن ذلك الأمر لا يكون له عين إلا من اسم إلهي تكون له أثر ذلك الاسم فيقوم الاسم في قلب العبد و يحضر فيه فيشهده العبد ثم يرى ظهور ذلك الأثر و وجوده في نفسه أو في الآفاق الذي تقدم له به لإعلام الإلهي فيسمى ذلك الاسم شاهدا حيث شهده هذا العبد متعلق ذلك الأثر المعلوم عنده و هذا لا يكون إلا للكمل من الرجال فهم أصحاب شهود في كل أثر يشهدون لهم به بعد العلم به الإلهي على طريق الخبر و إنما قلنا في الوجوه إنها مقصودة لله فليس يتحكم على الله و لكنه أمر محقق عن الله و ذلك أن الآية المتلفظ بها من كلام الله بأي وجه كان من قرآن أو كتاب منزل أو صحيفة أو خبر إلهي فهي آية على ما تحمله تلك اللفظة من جميع الوجوه أي علامة عليها مقصودة لمن أنزلها بتلك اللفظة الحاوية في ذلك اللسان على تلك الوجوه فإن منزلها عالم بتلك الوجوه كلها و عالم بأن عباده متفاوتون في النظر فيها و أنه ما كلفهم من خطأ به سوى ما فهموا عنه فيه فكل من فهم من الآية وجها فذلك الوجه هو مقصود بهذه الآية في حق هذا الواجد له و ليس يوجد هذا في غير كلام الله و إن احتمله اللفظ فإنه قد لا يكون مقصودا للمتكلم به لعلمنا بقصور علمه عن الإحاطة بما في تلك اللفظة من الوجوه فإن كان من أهل الله الذين يقولون ما في الوجود متكلم إلا الله و هم أهل السماع المطلق منه فتكون تلك الوجوه كلها مقصودة لأن المتكلم الله و الشخص المقول على لسانه تلك الكلمة مترجم كما قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده فالمتكلم هنا هو الله و المترجم العبد و لهذا كان كل مفسر فسر القرآن و لم يخرج عما يحتمله اللفظ فهو مفسر و من فسره برأيه فقد كفر كذا ورد في حديث الترمذي و لا يكون برأيه إلا حتى يكون ذلك الوجه لا يعلمه أهل ذلك اللسان في تلك اللفظة و لا اصطلحوا على وضعها بإزائه و هنا إشارة نبوية في قوله فقد كفر و لم يقل أخطأ فإن الكفر الستر و من لا يرى متكلما إلا الله من أهل الله و قد جعل هذا التفسير لهذه الآية مضافا إلى رأيه فقد ستر الله عن بعض عباده في هذا الوجه مع كونه حقا لإضافته إلى رأى المفسر لأن أهل اللسان ما اصطلحوا على وضع ذلك اللفظ بإزاء ذلك الوجه و لا استعاروه له لا بد من هذا الشرط و المتكلم الله به و بالوجه و الإصابة حق إذا أضيفت إلى الحق فلذلك قال عليه السلام فقد كفر

و لم يقل أخطأ و لله أن يستر ما شاء و إضافة الخطاء إليه محال فإنه لا يقبله لإحاطة علمه بكل معلوم و يكفي هذا القدر في معرفة الشاهد عند القوم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الستون و مائتان في معرفة النفس بسكون الفاء و هو عندهم ما كان معلولا من أوصاف العبد

و هو المصطلح عليه في الغالب»

النفس من عالم البرازخ فكل سر منها يبين
مقامها في العلوم شامخ و كل صعب بها يهون
و روحها في العماء راسخ يمده روحه الأمين
منسوخها بالنكاح ناسخ و سره في الورى دفين
سامي العلى مجدها و باذخ سبحانه ما يشأ يكون

اعلم أنه لما كان الغالب في اصطلاح القوم بالنفس أنه المعلول من أوصاف العبد اقتصرنا على الكلام فيه خاصة في هذا الباب فإنهم قد يطلقون النفس على اللطيفة الإنسانية و سنومئ في هذا الباب إن شاء الله إلى النفس و لكن بما هي علة لهذا المعلول فاعلم إن لفظة النفس في اصطلاح القوم على الوجهين من عالم البرازخ حتى النفس الكلية لأن البرزخ لا يكون برزخا إلا حتى يكون ذا وجهين لمن هو برزخ بينهما و لا موجود إلا الله و قد جعل ظهور الأشياء عند الأسباب فلا يتمكن وجود المسبب إلا بالسبب فلكل موجود عند سبب وجه إلى سببه و وجه إلى الله فهو برزخ بين السبب و بين الله فأول البرازخ في الأعيان وجود النفس الكلية فإنها وجدت عن العقل و الموجد الله فلها وجه إلى سببها و لها وجه إلى الله فهي أول برزخ ظهر فإذا علمت هذا فالنفس التي هي لطيفة العبد المدبرة هذا الجسم لم يظهر لها عين إلا عند تسوية هذا الجسد و تعديله فحينئذ نفخ فيه الحق من روحه فظهرت النفس بين النفخ الإلهي و الجسد المسوي و لهذا كان المزاج يؤثر فيها و تفاضلت النفوس فإنه من حيث النفخ الإلهي لا تفاضل و إنما التفاضل في القوابل فلها وجه إلى الطبيعة و وجه إلى الروح الإلهي فجعلناها من عالم البرازخ و كذلك المعلول من أوصاف العبد من عالم البرازخ فإنه من جهة النفس مذموم عند القوم و أكثر العلماء و من كونه مضافا إلى الله من حيث هو فعله محمود فكان من عالم البرازخ بين الحمد و الذم لا من حيث السبب بل الذم فيه من حيث السبب لا عينه فكل وصف يكون لنفس العبد لا يكون الحق للنفس في ذلك الوصف مشهودا عند وجود عينه فهو معلول فلذلك قيل فيه إنه نفس أي ما شهد فيه سوى نفسه و ما رآه من الحق كما يراه بعضهم فيكون الحق مشهودا له فيه و

كذلك إذا ظهر عليه هذا الوصف لعلة كونية لا تعلق لها بالله في شهودها و لا خطر عندها نسبة ذلك إلى الله فهو معلول لتلك العلة الكونية التي حركت هذا العبد لقيام هذا الوصف به كمن يقوم مريد العرض من أعراض الدنيا لا يحركه قولا أو فعلا إلا ذلك الغرض و حبه لا يخطر له جانب الحق في ذلك بخاطر فيقال هذه حركة معلولة أي ليس لله فيها مدخل في شهودك كما قال تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا يعني فداء أسارى بدر فأرسل الخطاب عاما في أعراض الدنيا وَ اللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ فالعرض القريب هو السبب الظاهر الأول الذي لا تعرف العامة مشهودا سواه و الأمر الأخروي غيب عنها و عن أصحاب الغفلة لأنه مشهود بعين الايمان و قد يغيب الإنسان في وقت عن معرفة كونه مؤمنا لشغله بشهود أمر آخر لغفلته و لو مات على تلك الحالة لمات مؤمنا بلا شك مع غفلته فإن الغافل من إذا استحضر حضر و الجاهل ليس كذلك لا يحضر إذا استحضر فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الستون و مائتان في معرفة الروحو هو الملقي إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص»

الروح روحان روح الياء و الأمر و الحكم يثبت بين النهي و الأمر
و ما سواه فأخبار منبئة أن الكوائن بين السر و الجهر
و عالم البرزخ الأعلى يخلصه عناية حاله من قبضة الأسر

قال تعالى وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا و قال يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ و قال نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ من الْمُنْذِرِينَ فذكر الإنذار و هكذا في قوله يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ لِيُنْذِرَ و كذلك يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا فما جاء إلا بالإعلام و فيه ضرب من الزجر حيث ساق الإعلام بلفظة الإنزال فهو إعلام بزجر فإنه البشير النذير و البشارة لا تكون إلا عن إعلام فغلب في الإنزال الروحاني باب الزجر و الخوف لما قام بالنفوس من الطمأنينة الموجبة إرسال الرسل ليعلموهم أنهم عن الدنيا إلى الآخرة منقلبون و إلى الله من نفوسهم راجعون و أما قولنا روح الياء فأردنا قوله وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي بياء الإضافة إلى نفسه ينبهه على مقام التشريف أي أنك شريف الأصل فلا تفعل إلا بحسب أصلك لا تفعل فعل الأراذل و روح الأمر قوله وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ أي من أين ظهر فقيل له قُلِ الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّي فما كان سؤالا عن الماهية كما زعم بعضهم فإنهم ما قالوا ما الروح و إن كان السؤال بهذه الصيغة محتملا و لكن قوي الوجه الذي ذهبنا إليه في السؤال ما جاء في الجواب من قوله من أَمْرِ رَبِّي و لم يقل هو كذا فعلوم الغيب تنزل بها الأرواح على قلوب العباد فمن عرفهم تلقاهم بالأدب و أخذ منهم بالأدب و من لم يعرفهم أخذ علم الغيب و لا يدري ممن كالكهنة و أهل الزجر و أصحاب الخواطر و أهل الإلهام يجدون العلم بذلك في قلوبهم و لا يعرفون من جاءهم به و

أهل الله يشاهدون تنزل الأرواح على قلوبهم و لا يرون الملك النازل إلا أن يكون المنزل عليه نبيا أو رسولا فالولي يشهد الملائكة و لكن لا يشهدها ملقية عليه أو يشهدون الإلقاء و يعلمون أنه من الملك من غير شهود فلا يجمع بين رؤية الملك و الإلقاء منه إليه إلا نبي أو رسول و بهذا يفترق عند القوم و بتميز النبي من الولي أعني النبي صاحب الشرع المنزل و قد أغلق الله باب التنزل بالأحكام المشروعة و ما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه و أبقى لهم التنزل الروحاني بالعلم بها ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله بها كما كان من اتبعوه و هو الرسول و لذلك قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فهو أخذ لا يتطرق إليه تهمة عندهم و لهذا قال القشيري في الثناء على علم أهل الله ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة لأن غيرهم من العلماء ما هم على بصيرة لا في الفروع و لا في الأصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل و أما في الأصول فلما يتطرق إلى الناظر صاحب الدليل إلى دليله من الدخل عليه فيه و الشبه من نفسه أو من نفس غيره فيتهم دليله لهذا الدخل و قد كان يقطع به و أهل البصائر من الله لا يتصفون بهذا في علمهم و ذلك العلم هو حق اليقين أي حق استقراره في القلب أن لا يزلزله شيء عن مقره و هذا القدر كاف في علم الروح الملقي و أما كيفية الإلقاء فموقوفة على الذوق و هو الحال و لكن أعلمك أنه بالمناسبة لا بد أن يكون قلب الملقي إليه مستعدا لما يلقى إليه و لولاه ما كان القبول و ليس الاستعداد في القبول و إنما ذلك اختصاص إلهي نعم قد تكون النفوس تمشي على الطريق الموصلة إلى الباب الذي يكون منه إذا فتح هذا الإلقاء الخاص و غيره فإذا وصلوا إلى هذا الباب وقفوا حتى يروا بما ذا يفتح في حقهم فإذا فتح خرج الأمر واحد العين و قبله من خلف الباب بقدر استعدادهم الذي لا تعمل لهم فيه بل اختص الله كل واحد باستعداد و هناك تتميز الطوائف و الأتباع من غير الأتباع و الأنبياء من الرسل و الرسل من الأتباع المسلمين في العرف أولياء فيتخيل من لا علم له أن سلوكهم إلى الباب سبب به وقع الكسب لما حصل لهم عند الفتح و لو كان ذلك لتساوى الكل و ما تساوى فما كان ذلك إلا بالاستعداد الذي هو غير مكتسب و من هنا أخطأ من قال باكتساب النبوة من النظار و لا يقول باكتسابها إلا من يرى أنها ليست من الله و إنما هي فيض من العقل و الأرواح العلوية على بعض النفوس المنعوتة بالصفاء و التخلص من أسباب الطبيعة فانتقش فيها صور ما في العالم لصفائها و صفاؤها مكتسب فما حصله صفاؤها فهو مكتسب و هذا غلط بل الصفاء صحيح و نقش صور ما في العالم صحيح في نفس من لها هذه الصفة من الاطلاع و كون هذا الشخص دون غيره من أهل الصفاء مثله رسولا و نبيا و صاحب تشريع دون غيره اختصاص إلهي ينقشه في نفسه ما في صور العالم فإن اللوح المحفوظ هو العالم لما ذكرناه ففيه منقوش صورة الرسول و رسالته و صورة النبي و نبوته و صورة الولي و ولايته فإذا صفت النفس و انتقش فيها ما في اللوح لم يلزم أن يكون رسولا بل انتقش فيها من يكون رسولا و تميزت الأشياء عندها و هذا خلاف ما توهموه مما يحصل بصفاء النفوس

فانتقشت فيها المراتب و أصحابها علوا و سفلا و أما حكم الاستعداد الذي يقبل الإلقاء بالمناسبة التي هي الحبل الإلهي الحاصل في القلب الموجود بالاستعداد إذا اتصل بحضرة الحق نزل الإلقاء عليه و هو الطريق فيتنور القلب بما حصل فيه من علم الغيب و لا سيما إذا كان من العلم بالله الذي لا تعلق له بالكون كالعلم بأنه غني عن العالمين و بتنزيهه عن الأوصاف و ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و مثال الاستعداد و التنزل و الحبل المتصل مثل الفتيلة إذا بقي فيها النار خرج من ذلك النار شبه دخان يطلب الصعود بطبعه إلى فوق و يكون هناك سراج موقد فيضع الفتيلة الخارج منها الدخان تحت السراج و على سمته بحيث يتصل ذلك الدخان بسرعة فيتصل برأس الفتيلة فتتقد الفتيلة فتظهر صورة السراج المنير الذي منه نزل النور إليها و ينظر هل انتقص من السراج شيء أو هل حل منه فيه شيء فلا تجد مع وجود الصورة كأنه هو فمن علم سر هذا علم معنى قوله إن الله خلق آدم على صورته و علم إن الاستعداد إذا كان على المقابلة و صحة المناسبة و تعلقت الهمة الخاصة به أنه ينزل عليه بحسب ذلك و يكون النور الحاصل في الفتيلة في العظم الجرمي و الصغر بحسب كبر جرمها و صغره و تكون إضاءته بحسب صفائها و صفاء دهنها و تكون إقامته فيها بحسب كثرة دهنها و قلته فإنه الممد لبقائه فإن فهمت ما قلناه في هذا التشبيه فقد علمت علما لا يعلمه إلا العلماء بالله و تحققت إلقاء الروح على القلب علم الغيب كيف يكون و أي قلب يقبل ذلك و ما يكون عليه من الصفات و تعلم أن همة الأدنى تؤثر في الأعلى إذا تعلقت به كما وقع الجواب من الله للعبد إذا دعاه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الستون و مائتان في معرفة علم اليقين و هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل و لا الشبهة و معرفة عين اليقين و هو ما أعطته المشاهدة و الكشف و معرفة حق اليقين و هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك الشهود»

علم اليقين بعينه و بحقه تبدو دلائله على الأكوان

لو لا وجود العين في ملكوته ما قام توحيد على برهان

فانظر إلى حق اليقين و عينه في عالم الأرواح و الأبدان

تجد الذي عنه تكون سره في كل ما يبدو من الأعيان

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أنا قد علمنا علما يقينا لا تدخله شبهة إن في العالم بيتا يسمى الكعبة ببلده يسمى مكة لا يتمكن لأحد الجهل بهذا و لا أن يدخله شبهة و لا يقدح في دليله دخل فاستقر العلم بذلك فأضيف إلى اليقين الذي هو الاستقرار إن لله بيتا يسمى

الكعبة بقرية تسمى مكة تحج الناس إليه في كل سنة و يطوفون به ثم شوهد هذا البيت عند الوصول إليه بالعين المحسوسة فاستقر عند النفس بطريق العين كيفيته و هيأته و حاله فكان ذلك عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين و حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم فتح الله عين بصيرته في كون ذلك البيت مضافا إلى الله مطافا به مقصودا دون غيره من البيوت المضافة إلى الله فعلم علة ذلك و سببه بإعلام الله لا بنظره و اجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار و لا كل علم و لا كل عين فلذلك صحت الإضافة فلو كان علم اليقين و عينه و حقه نفس اليقين ما صحت الإضافة لأن الشيء الواحد لا يضاف إلى نفسه لأن الإضافة لا تكون إلا بين مضاف و مضاف إليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها و من لم يفرق بين اليقين و العلم و يقول إن العلم هو اليقين و قد ورد في كتاب الله مضافا احتاج إلى طلب وجه في ذلك تصح له به الإضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال قد يكون المعنى واحدا و يدل عليه لفظان مختلفان فيضاف أحد اللفظين إلى الآخر فإنهما غير إن بلا شك في الصورة مع أحدية المعنى و لفظة العلم ما هي لفظة اليقين فأضيف العلم إلى اليقين لهذا التغاير فصحت الإضافة في الألفاظ لا في المعنى و إنما احتال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الألفاظ في الموضوعات من المعاني فلو علم ذلك لعلم أن مدلول لفظة العلم غير مدلول لفظة اليقين و إذا تقرر هذا فقد علمت معنى علم اليقين و عينه و حقه ثم بعد هذا فاعلم إن اليقين في هذه المسألة هو المطلوب و لهذا أضيفت هذه الثلاثة إليه و كان مدارها عليه فمن ثبت له القرار عند الله في الله بالله مع الله فلا بد له من علامة على ذلك تضاف إلى اليقين لأنها مخصوصة به و لا تكون علامة إلا عليه فذلك هو علم اليقين و لا بد من شهود تلك العلامة و تعلقها باليقين و اختصاصها به فذلك هو عين اليقين و لا بد من وجوب حكمة في هذه العين و في هذا العلم فلا يتصرف العلم إلا فيما يجب له التصرف فيه و لا تنظر العين إلا فيما يجب لها النظر إليه و فيه فذلك هو حق اليقين الذي أوجبه على العلم و العين و أما اليقين فهو كل ما ثبت و استقر و لم يتزلزل من أي نوع كان من حق و خلق فله علم و عين و حق أي وجوب حكمه إلا الذات الإلهية فيقينها ما له سوى حق اليقين و صورة حقها أي الوجوب علينا منها السكوت عنها و ترك الخوض فيها لأنها لا تعلم فما ثم علم يضاف إلى اليقين و لا يشهد فلا تضاف العين إلى اليقين و لها الحكم على العالم كله بترك الخوض فيها فلها الحق فأضيف إليها فلا يضاف إلى اليقين إلا ما يقبله فإن كان مما تدل عليه علامة أضيف إليه العلم و إن لم يكن فلا يضاف إليه و إن كان مما يشهد أضيفت إليه العين و إن لم يكن فلا تضاف إليه و إن كان ممن له في نفس الأمر حكم واجب على أحد من المخلوقين حتى على نفسه مثل قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أضيف إليه الحق فقيل حق اليقين لوجوبه و إن لم

يكن شيء مما ذكرناه فلا يضاف إلى شيء مما تقدم فقد أعطيتك أمرا كليا في هذه المسألة في كل متيقن فلك النظر في حقيقة ذلك اليقين و هذا القدر كاف وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر الثامن عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الباب السبعون و مائتان في معرفة منزل القطب و الإمامين من المناجاة المحمدية»

منزلة القطب و الإمامة منزلة ما لها علامة
يملكها واحد تعالى عن صفة السير و الإقامة
يعلوه في لونه اصفرار في أيمن الخد منه شامة
خفية ما لها نتو أيده الله بالسلامة
توجه الله بالمعالي في عالم الأمر في القيامة

اعلم أيدك الله بروح منه أن ممن تحقق بهذا المنزل من الأنبياء صلوات الله عليهم أربعة محمد و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق عليهم السلام و من الأولياء اثنان و هما الحسن و الحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم و إن كان لمن عدا هؤلاء المذكورين منه شرب معلوم على قدر مرتبته من الإمامة فاعلم إن الأقطاب و الصالحين إذا سموا بأسماء معلومة لا يدعون هناك إلا بالعبودية إلى الاسم الذي يتولاهم قال تعالى وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ فسماه عبد الله و إن كان أبوه قد سماه محمدا و أحمد فالقطب أبدا مختص بهذا الاسم الجامع فهو عبد الله هناك ثم إنهم يفضل بعضهم بعضا مع اجتماعهم في هذا الاسم الذي يطلبه المقام فيختص بعضهم باسم ما غير هذا الاسم من باقي الأسماء الإلهية فيضاف إليه و ينادي في غير مقام القطبية كموسى صلى الله عليه و سلم اسمه عبد الشكور و داود عليه السلام اسمه الخاص به عبد الملك و محمد صلى الله عليه و سلم اسمه عبد الجامع و ما من قطب إلا و له اسم يخصه زائد على الاسم العام الذي له الذي هو عبد الله سواء كان القطب نبيا في زمان النبوة المقطوع بها أو وليا في زمان شريعة محمد صلى الله عليه و سلم و كذلك الإمامان لكل واحد منهما اسم يخصه ينادى به كل إمام في وقته هناك فالإمام الأيسر عبد الملك و الإمام الأيمن عبد ربه و هما للقطب الوزيران فكان أبو بكر رضي الله عنه عبد الملك و كان عمر رضي الله عنه عبد ربه في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أن مات صلى الله عليه و سلم فسمى أبو بكر عبد الله و سمي عمر عبد الملك و سمي الإمام الذي ورث مقام عمر عبد ربه و لا يزال الأمر على ذلك إلى يوم القيامة و كان الحسن و الحسين رضي الله عنهما أمكن الناس في هذا المقام من غيرهما ممن اتصف به و جرت السنة الإلهية في القطب إذا ولي المقام أن يقوم في مجلس من مجالس القربة و التمكين و ينصب له فيه تخت عظيم لو

نظر إلى بهائه الخلق لطاشت عقولهم فيقعد عليه و يقف بين يديه الإمامان اللذان قد جعلهما الله له و يمد يده للمبايعة الإلهية و الاستخلاف و تؤمر الأرواح الملكية و الجن و البشر الروحاني بمبايعته واحدا بعد واحد فإنه جل جناب الحق أن يكون مصدرا لكل وارد و أن يرد عليه إلا واحد بعد واحد فكل روح يبايعه في ذلك المقام يسأله أعني يسأل الروح القطب عن مسألة من المسائل فيجيبه أمام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم فيعرفون في ذلك الوقت أي اسم إلهي يختص به و قد أفردنا لهذه المبايعة كتابا كبيرا سميناه مبايعة القطب في حضرة القرب و ذكرنا فيه معاني مسائل كثيرة مما سئل عنها فأجاب و لا تبايعه إلا الأرواح المطهرة المقربة و لا يسأله من الأرواح المبايعة من الملائكة و الجن و البشر إلا أرواح الأقطاب الذين درجوا خاصة فذكرنا في ذلك الكتاب سؤالاتهم و جوابه عليها موفى و هكذا هي حالة كل قطب يبايع في زمانه فلنذكر في هذا الباب من بعض أحواله العامة لكل قطب دون الأحوال الخاصة به ليعلم الواقف على كتابي هذا صاحب الذوق المشاهد إياه أنا ما عدلنا في كتابنا هذا عن الطريقة التي لا يجهلها كل عارف من أهل هذا الشأن فلو ذكرنا الحال الخاص به ربما كان يقول هذه دعوى فلنبدأ أولا بحال الإمام الأقصى ثم الإمام الأدنى ثم القطب فأما الإمام الأقصى و هو عبد ربه فإن حاله البكاء شفقة على العالم لما يراهم عليه من المخالفات و ينظر إلى توجه الأسماء الإلهية التي تقتضي العقاب و الأخذ و لا يتجلى له من الأسماء الإلهية ما تقتضيه المخالفات من العفو و التجاوز فلهذا يكثر بكاؤه فلا يزال داعيا لعباد الله رحيما بهم سائلا الله سبحانه أن يسلك بهم طريق الموافقات و لقد عاينت في بعض سياحاتي هذا الإمام فما رأيت ممن رأيت من الصالحين أشد خوفا منه على عباد الله و لا أعظم رحمة فقلت له لم لا تأخذك الغيرة لله فقال إني لا أريد أن يغار لله من أجلي و لكن أريد أن يسأل الله من أجلي ليرحمني و يتجاوز فلا أحب لعباد الله إلا ما أحبه لنفسي و لا ينبغي للصادق مع الله أن يتصور في صورة حال لا يعطيه مقامه و لهذا الإمام قوة سلطان على الشياطين الملازمين أهل الخير و الصلاح ليصرفوهم عن طريقهم فإذا وقع نظر الشيطان على هذا الإمام و هو عند بعض الصالحين يحتال كيف يصرفه عن طريقته يذوب كما يذوب الرصاص في النار فيناديه الإمام باسمه عسى يسلم فيدبرها ربا فلا يزال ذلك الصالح محفوظا من إلقاء هذا الصنف من الشياطين إليه ما يخرجه عن صلاحه ما دام هذا الإمام حاضرا ناظرا إليه و إن كان ذلك الصالح لا يعرفه و لا يعرف ما جرى و قد عاينا هذا الطائفة فيدفع الله عن عباده بهذا الإمام الشرور التي تختص بالصالحين من عباده خاصة عناية منه بهم و من خاصية هذا الإمام التصديق بكل خبر مخبر به عن الله سواء كان ذلك المخبر صادقا في أخباره أو مفتريا فإن هذا الإمام يصدقه لكونه ناظرا إلى الاسم الإلهي الذي يتولى هذا المخبر في أخباره فإن كان صادقا فإخباره عن كشف محقق فيستوي هو و الإمام في ذلك و إن لم يكن له كشف و أخبر عما وقع عنده و هو لا يدري من أوقعه و يقصد الكذب فإن هذا الإمام يصدقه في أخباره و المخبر معاقب من الله محروم بقصده الكذب و هو في نفس الأمر ليس كذلك فوبال قصده عاد عليه فعذب إن آخذه الله بذلك و من أحوال هذا الإمام أن يسأل دائما الانتقال إلى مقام المشاهدة من الأحوال و مقام

الصلاح من المقامات و له اطلاع دائم إلى الجنان و إنما خصه الله بهذا الاطلاع إبقاء عليه فيقابل ما هو عليه من البكاء و الحزن المؤدي إلى القنوط بما يراه و يطلعه الله عليه من سرور الجنان و نعيم أهله فيه و يعاين اشتياق أهله إليه و انتظارهم لقدومه فيكون ذلك سببا لاعتداله و مقام هذا الإمام الإحسان الأول و هو قول جبريل عليه السلام لرسول الله عليه الصلاة و السلام ما الإحسان و جوابه صلى الله عليه و سلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه و الذي بعده ليس لهذا الإمام و بيد هذا الإمام مصالح العالم و ما ينتفعون به و هو يربي الأفراد و يغذيهم بالمعارف الإلهية و يقسم المعارف على أهلها بميزان محقق على قدر ما يرى فيه صلاح ذلك العارف لتحيا بتلك المعرفة نفسه و له السيادة على الثقلين و الحكم و التصرف فيهما بما تعطيه المصلحة لهم و من خصائص هذا الإمام الإقامة على كل ما يحصل له من الأحوال و المقامات و ليس ذلك لكل أحد فما يتصف بحال فينتقل عنه و لا بمقام و غير هذا الإمام إذا انتقل إلى مقام أو حال حكم عليه سلطان ذلك المقام و الحال و غيبه عما انتقل عنه و هذا الإمام ليس كذلك فإن المقام الذي انتقل عنه محفوظ عليه لا يغيب عنه قوة إلهية خصه الله بها و لروحه من الأجنحة مائتا جناح و أربعة أجنحة أي جناح نشر منها طار به حيث شاء و له قدم في المرتبة الثالثة و الأولى و يدعى في بعض الأحايين بالبر الرحيم و كانت بدايته من المرتبة الثالثة و نهايته إلى المرتبة الأولى فكان طريقته من غايته إلى بدايته بخلاف السلوك المعروف فرجع القهقري بقطع المقامات و الدرجات و المنازل فمن نهايته إلى بدايته تسعة عشر منزلا فيها منزل البداية و النهاية فتم منزل درجاته مائة و اثنتان و عشرة و تسعون و عشرون و ثلاثة و أربعة و ثلاثون و خمسة و أربعون و ستة و خمسون و سبعة و ستون و ثمانية و سبعون و ثمانون و تسعة و مائتان و لما كانت المراتب أربعا لا زائد عليها و كل مرتبة تقتضي أمورا لا نهاية لها من علوم و أسرار و أحوال فالمرتبة الأولى إيمان و الثانية ولاية و الثالثة نبوة و الرابعة رسالة و الرسالة و النبوة و إن انقطعت في هذه الأمة بحكم التشريع فما انقطع الميراث منهما فمنهم من يرث نبوة و منهم من يرث رسالة و نبوة معا و إذ قد ذكرنا ما لهذا الإمام الأقصى فلنذكر ما للإمام الأدنى و هو عبد الملك فنقول وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ إن لهذا الإمام من جهة روحانيته من الأجنحة تسعين جناحا أي جناح نشر منها طار به حيث شاء و كانت بدايته و نهايته في المرتبة الثانية ليس له قدم في باقي المراتب الثلاثة فلم يكن له منازل و لا درجات و لا مقامات يقطعها و لهذا الإمام الشدة و القهر و له التصرف بجميع الأسماء الإلهية التي تستدعي الكون مثل الخالق و الرازق و الملك و البارئ على بعض وجوهه و غير ذلك و ليس له تصرف بأسماء التنزيه بخلاف الإمام الذي تقدم ذكره و يلجأ إليه في الشدائد و النوازل الكبار فيفرجها الله على يده فإن الله قد جعل له عليها سلطانا و له الكرم و ليس له الإيثار لنزاهته عن الحاجة إلى ما يقع به الإيثار و له الإنعام على الخلق من حيث لا يشعرون و لقد أنعم على هذا ببشارة بشرني بها و كنت لا أعرفها في حالي و كانت حالي فأوقفني عليها و نهاني عن الانتماء إلى من لقيت من الشيوخ و قال لي لا تنتم إلا لله فليس لأحد ممن لقيته عليك يد مما أنت فيه بل الله تولاك بعنايته فاذكر فصل من لقيت إن شئت و لا تنتسب إليهم و انتسب إلى ربك و كان حال هذا

الإمام مثل حالي سواء لم يكن لأحد ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلا لله هكذا نقل لي الثقة عندي عنه و أخبرني الإمام بذلك عن نفسه عند اجتماعي به في مشهد برزخي اجتمعت به فيه لله الحمد و المنة على ذلك و ولاة أمور الخلق راجعون إلى هذا الإمام فيولي و يعزل و يدفع الله به الشرور و له سلطان قوي على الأرواح النارية من الشياطين المبعودين من رحمة الله و يجتمع مع الإمام الأول الأقصى في درجة واحدة من خمس درجات و ينفرد عنه الإمام الأقصى بأربع درجات و قد ذكرنا من أحواله في جزء لنا في معرفة القطب و الإمامين ما فيه كفاية فلنقتصر على ما قد ذكرناه رغبة في الاختصار و إذ قد ذكرنا من أحوال الإمامين هذا القدر فلنذكر أيضا من حديث القطب ما تقع به الكفاية في هذه العجالة إن شاء الله فأما القطب و هو عبد الله و هو عبد الجامع فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلقا و تحققا و هو مرآة الحق و مجلى النعوت المقدسة و مجلى المظاهر الإلهية و صاحب الوقت و عين الزمان و سر القدر و له علم دهر الدهور الغالب عليه الخفاء محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا تعتريه شبهة و لا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له و يوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي يضع الموازين و يتصرف على المقدار المعين الوقت له ما هو للوقت هو لله لا لغيره حاله العبودية و الافتقار يقبح القبيح و يحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة و الأشخاص تأتيه الأرواح في أحسن الصور يذوب عشقا يغار لله و يغضب لله لا تتقيد له المظاهر الإلهية بالتدبير بل له الإطلاق فيها فتظهر له في تدبير المدبر روحانيته من البشر المحسوس من خلف حجاب الشهادة و الغيب لا يرى من الأشياء إلا وجه الحق فيها يضع الأسباب و يقيمها و يدل عليها و يجري بحكمها ينزل إليها حتى تحكم عليه و تؤثر فيه لا يكون فيه ربانية بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما إن كان صاحب دنيا و ثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم و إن لم يكن له دنيا و كان على ما يفتح له لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة إلى بعض ما تحتاج إليه طبيعته بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشفيع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه و ينصرف لا يجلس عن حاجته إلا من ضرورة فإذا لم يجب لجأ إلى الله في حاجة طبيعته لأنه مسئول عنها لكونه واليا عليها ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأله فإن شاء أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الإلحاح في السؤال و الشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء تتكون عن همتهم و طرحهم الأسباب عن نفوسهم فهم ربانيون و القطب منزه عن الحال ثابت في العلم مشهود فيه فيتصرف به فإن أطلعه الحق على ما يكون أخبر بذلك على جهة الافتقار و المنة لله لا على جهة الافتخار لا تطوي له أرض و لا يمشي في هواء و لا على ماء و لا يأكل من غير سبب و لا يطرأ عليه شيء مما ذكرناه من خرق العوائد و ما تعطيه الأحوال إلا نادرا لأمر يراه الحق فيفعله لا يكون ذلك مطلوبا للقطب بجوع اضطرارا لا اختيارا و يصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه و التعشق به فإنه لا يتحقق له و لا لغيره من العارفين عبوديته أكثر مما يتحقق له في النكاح لا في أكل و لا في شرب و لا في لباس لدفع مضرة و لا يرغب في النكاح للنسل بل

لمجرد الشهوة و إحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع و التناسل في ذلك للأمر الطبيعي لحفظ بقاء النوع في هذه الدار فإن نكاح صاحب هذا المقام كنكاح أهل الجنة لمجرد الشهوة إذ هو التجلي الأعظم الذي خفي عن الثقلين إلا من اختصه الله به من عباده و على هذا يجري نكاح البهائم لمجرد الشهوة لكن غاب عن هذه الحقيقة كثير من العارفين فإنه من الأسرار التي لا يقف عليها إلا القليل من أهل العناية و لو لم يكن فيه من الشرف التام الدال على ما تستحقه العبودية من الضعف إلا ما يجد فيه من قهر اللذة المفنية له عن قوته و دعواه فهو قهر لذيذ إذ القهر مناف للالتذاذ به في حق المقهور لأن اللذة في القهر من خصائص القاهر لا من خصائص المقهور إلا في هذا الفعل خاصة و قد غاب الناس عن هذا الشرف و جعلوه شهوة حيوانية نزهوا نفوسهم عنها مع كونهم سموها بأشرف الأسماء و هو قولهم حيوانية أي هي من خصائص الحيوان و أي شرف أعظم من الحياة فما اعتقدوه قبحا في حقهم هو عين المدح عند العارف المكمل هذا مضى بسبيله و أما حب القطب الجمال المقيد المندرج في الجمال المطلق فذلك لقربه في المناسبة إلى الجمال فلا يحتاج فيه إلى غور بعيد و قوة يشق بها حجاب قبح الطبع إلى إدراك الجمال الإلهي المودع في ذلك القبح فالجمال المقيد يعطيه بأول وهلة مقصوده حتى يتفرغ إلى أمر آخر آكد عليه من مقاومة القبح الطبيعي لإدراك الجمال المطلق إذا لا نفاس عزيزة في دار التكليف و يريد أن لا يكون له نفس إلا و قد تلقاه بأحسن أدب و صرفه بأحسن خلعة و زينة و قد غاب عن هذا القدر من المعرفة جماعة من العارفين و أنفت نفوسهم من ذلك لمشاركة أهل الأغراض من العامة فيه و ما علموا إن هذا الرجل له مشاهدة الجمال المطلق في الجمال المقيد و في غيره بخلاف العامة و اعلم أن القطب هو الرجل الكامل الذي قد حصل الأربعة الدنانير الذي كل دينار منها خمسة و عشرون قيراطا و بها توزن الرجال فمنهم ربع رجل و نصف و ثمن و سدس و نصف سدس و ثلاثة أرباع و رجل كامل فالدينار الواحد للمؤمن الكامل و الدينار الثاني للولي الخاص و الدينار الثالث للنبوتين و الدينار الرابع للرسالتين أعني الأصلية بحكم الأبوة و الوراثة بحكم البنوة فمن حصل الثاني كان له الأول و من حصل الثالث كان له الثاني و الأول و من حصل الرابع حصل الكل و القطب من الرجال الكمل و إنما قلنا من الرجال الكمل من أجل الأفراد فإنهم مكملون و من أحوال القطب تقرير العادات و الجري عليها و لا يظهر عليه خرق عادة دائما كما يظهر على صاحب الحال و لا يكون خرق العادة مقصودا له بل تظهر منه و لا تظهر عنه إذ لا اختيار له في ذلك كما قال العارف أبو السعود بن الشبل في الرجل يتكلم على الخاطر و ما هو مع الخاطر فيكون في حقه بحكم الاتفاق الوجودي و في حق الله بحكم الإرادة و القصد فقد بينا بحمد الله الضروري الخاص من أحوال القطب و بينا رتبته لمن جهلها و أن الرجولية ليست فيما يتخيله الجهال من عامة الطريق بطريق الله فينحجبون بالحال عما يقتضيه العلم و المقام فيقولون كل علم لا يكون بالحال فليس بشيء فقل له لا تقل ذلك يا أخي فإنه خلاف الأمر و إنما الصحيح أن تقول كل علم لا يكون عن ذوق فليس بعلم أهل الله فأراك لا تفرق بين الحال و الذوق و ما ثم علم قط إلا عن ذوق لا يكون غير هذا و المتمكن في العبودة لا حال له البتة يخرجه عن عبودته فلو لم يكن في الأحوال

من النقص إلا أنها تخرج العبد عن مقامه إلى ما لا يستحقه و لا هو حق له حتى أنه لو مات في حال الحال لمات صاحب نقص و حشر صاحب نقص فليست الأحوال من مطالب الرجال لكن الأذواق مطالبهم و هي لهم لما يحصل لهم فيها من العلوم بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر فيها فالله يجعلنا ممن فهم ففهم عن الله مراده وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و في هذا الباب من العلوم علم ما يستند إليه من الحضرة الإلهية و علم نسبة بنى آدم إلى الله من أسماء مخصوصة و علم ما يتقى و يحذر من العالم الروحاني و علم رجعة العالم الروحاني من أين و إلى أين و علم الصدور البشري

«الباب الأحد و السبعون و مائتان في معرفة منزل عند الصباح يحمد القوم السري

من المناجاة المحمدية و هو أيضا من منازل الأمر»

ما لفظة يقولها كل الورى عند الصباح يحمد القوم السري

ما ذا ترى في قولهم يا من يرى كل الأنام في الإمام و الورا

قد خاب في إنبائه من افترى على الإله عالما بما جرى

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن هذا المنزل منزل علم السري و أهله و يتضمن معرفة عالم الخلق و الظلال و منه يعرف كسوف القمر أهل الكشف و أنه من الخشوع الطارئ عن القمر من التجلي و يتعلق بهذا المنزل علم ها روت و ما روت من علم السحر و علم طلوع الأنوار اعلم وفقك الله للقبول أن الأنوار على قسمين أنوار أصلية و أنوار متولدة عن ظلمة الكون كنور قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ و كقوله عز و جل فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً ينظر إلى ذلك وَ من آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها ليكون له على النور ولادة و النور المتكلم عليه في هذا المنزل هو النور المولد الزماني و هذا المنزل مخصوص بالإمام الواحد من الإمامين اللذين للقطب و هو المسمى بعبد ربه و تارة يكون هذا النور ذكرا و تارة يكون أنثى فإذا غشى الليل النهار فالمتولد منه هو النور المطلوب و هذا النور المولد الذي شرعنا فيه هو نور العصمة للنبي و الحفظ للولي و هو يعطي الحياء و الكشف التام فإنه يكشف و يكشف به و النور الأصلي يكشف و لا يكشف به لأنه يغلب على نور الأبصار فتزول الفائدة التي جاء لها النور و لهذا تلجأ نفوس العارفين بالأنوار و مراتبها إلى هذا النور المولد من الظلمة للمناسبة التي بيننا و بينه من خلق أرواحنا فإن الأرواح الجزئية متولدة عن الروح الكلي المضاف إلى الحق و الأجسام الطبيعية الظلمانية بعد تسويتها و حصول استعدادها للقبول فيظهر بينهما في الجسم الروح الجزئي الذي هو روح الإنسان ينفلق عنه الجسم كانفلاق الصباح من فالق الإصباح في الليل فتقع المناسبة بين هذا النور و بين روح الإنسان فلذلك يأنس به و يستفيد منه و هكذا أجرى الله العادة و لم يعط من القوة أكثر من هذا و لو شاء لفعل و هكذا جرت

المظاهر الإلهية المعبر عنها بالتجليات فإن النور الأصلي مبطون فيها غيب لنا و الصور التي يقع فيها التجلي محل لظهور المظهر فتقع الرؤية منا على المظاهر و لهذا هي المظاهر مقيدة بالصور ليكون الإدراك منا بمناسبة صحيحة فإن المقصود من ذلك حصول الفائدة به و بما يكون منه و هذا منزل عال كبير القدر العالم به متميز على أبناء جنسه و هو سار في الأشياء فكما أنه سبحانه ذكر أنه فالِقُ الْإِصْباحِ كذلك هو فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى بما يظهر منهما فما وقعت الفوائد إلا بمثل هذا النور و كانت الأنبياء عليهم السلام تتخذه وقاية تتقي به حوادث إلا كون التي هي ظلم الأغيار و كما تبين لك قدر هذا النور المولد و منزلته فلنبين ما يتخذ له وقاية و ذلك أن الوقاية لا تكون إلا من أجل الأمور التي يكرهها الإنسان طبعا و شرعا و هي أمور مخصوصة بعالم الخلق و التركيب الطبيعي لا بعالم الأمر و قد بينا في هذا الكتاب و غيره ما نريده بعالم الأمر و عالم الخلق و الكل لله تعالى قال عز و جل أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ فخصه بالاسم الرب دون غيره و لما كان عالم الخلق و التركيب يقتضي الشر لذاته لهذا قال عالم الأمر الذي هو الخير الذي لا شر فيه حين رأى خلق الإنسان و تركيبه من الطبائع المتنافرة و التنافر هو عين التنازع و النزاع أمر مؤد إلى الفساد قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ من غير تعرض لمواقع الأحكام المشروعة و كذلك وقع مثل ما قالوه و رأوا الحق سبحانه يقول وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و قال وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ فكرهوا ما كره الله و أحبوا ما أحب الله و جرى حكم الله في الخلق بما قدره العزيز العليم فما ظهر من عالم التركيب من الشرور فمن طبيعته التي ذكرتها الملائكة و ما ظهر منه من خير فمن روحه الإلهي الذي هو النور المولد فصدقت الملائكة و لذلك قال وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ و إذا كان عالم الخلق بهذه المثابة فواجب على كل عاقل أن يعتصم بهذا النور المذكور في هذا المنزل فالشرور كلها مضافة إلى عالم الخلق و الخير كله مضاف إلى عالم الأمر و اعلم أن الطبيعة لما تألفت و اجتمعت لظهور عالم الخلق بعد أن كانت متنافرة ليظهر بذلك شرف هذا النور بما يكون فيه من الخير مع تولده من هذا التركيب لقوته و غلبة عالم الأمر على نشأته دخلت في الوجود الحسي فسميت جسما و حيوانا و نباتا و جمادا و ما من شيء من هذا كله إلا و الفساد و التغيير موجود فيه في كل حال و لولا هذا النور الاعتصامي لهلك عالم الخلق جملة واحدة فأمر الله سبحانه أن يلجأ إليه بالدعاء في دفع هذه المكاره كلها فيؤيد الله هذا الروح بما يعطيه من هذا النور من الاسم الرب ليدفع به ما تقع له به المضرة من جانب ظلمة الطبع و اعلم أن مسمى الشر على الحقيقة و مسمى الخير إنما هو راجع إما لوضع إلهي جاءت به ألسن الشرائع و إما لملاءمة مزاج فيكون خيرا في حقه أو منافرة مزاج فيكون شرا في حقه و إما لكمال مقرر اقتضاه الدليل فيكون خيرا أو نقص عن تلك الدرجة فيكون شرا و إما لحصول غرض فيكون خيرا في نظره أو عدم حصوله فيكون شرا في نظره فإذا رفع الناظر نظره عن هذه الأشياء كلها لم تبق إلا أعيان موجودات لا تتصف

بالخير ولا بالشر هذا هو المرجوع إليه عند الإنصاف والتحقيق ولكن ما فعل الله سبحانه إلا ما قد حصل في الوجود من كمال ونقص وملاءمة ومنافرة وشرائع موضوعة بتحسين وتقبيح وأغراض موجودة في نفوس تنال وقتا ولا تنال وقتا وما خلا الوجود من هذه المراتب وكلام المتكلم إنما هو بما حصل في الوجود لا بالنظر الآخر المنسوب إلى جانب الحق ثم أصل هذا الأمر كله إنما هو من جانب وجود واجب الوجود لذاته وهو الخير المحض الذي لا شر فيه ومن جانب العدم المطلق الذي في مقابلة الوجود المطلق وهذا العدم هو الشر المحض الذي لا خير فيه فما ظهر من شر في العالم فهذا أصله لأنه عدم الكمال أو عدم الملاءمة أو عدم حصول الغرض فهي نسب وما ظهر من خير فالوجود المطلق فاعله ولذلك قال قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ وما هو موصوف بأنه عندك فليس هو عينك والإعدام والإيجاد بين إرادته سبحانه وقدرته ولهذا قلنا إن الخير فعل الحق ولم نقل في الشر فعلا وإنما قلنا إن ذلك العدم المطلق أصله فحررنا العبارة عنه ليعرف العاقل الناظر في كتابي هذا ما أردناه وإذ قد تبين هذا الأصل النافع في هذا الباب فلنتقل ومما يلجأ إليه في دفع ما يكره من الأفعال ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان من علم السحر الذي مزجوه بما أنزل على الملكين هاروت وما روت من علم الحق فعلم الحق من ذلك هو العلم بالأمور التي تسمى معجزات فإن الحق معجز وهو النور الذي يستند إليه وعلم الباطل من ذلك علم الخيال الذي قال فيه يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى ولهذا سمي السحر سحرا مأخوذ من السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة فالسحر له وجه إلى الظلمة وليس ظلاما خالصا وله وجه إلى الضوء وليس ضوءا خالصا كذلك السحر له وجه إلى الحق وهو ما ظهر إلى بصر الناظر فإنه حق وله وجه إلى الباطل لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر فلهذا سمته العرب سحرا وسمي العامل به ساحرا إلا العالم به ولهذا سمي كيدا من كاد يكيد أي كاد يقارب الحق قال تعالى إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا أي يقاربون الحق فيما يظهر لكم وكاد من أفعال المقاربة تقول العرب كاد العروس يكون أميرا أي قارب إن يكون أميرا قال تعالى إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ أي فعلوا ما يقارب الحق في الصورة الظاهرة للبصر فإذا لم يكن حقا فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ أي كيف تصرفون عن معرفة هذه الحقائق ومما يتعلق بهذا العلم من الشر مقلوب الحمد ولهذا قال فَلا تَكْفُرْ فإن مقلوب الحمد كفر وهو الذم إذ الحمد هو الثناء على المحمود بما هو عليه من الخلال وبما يكون منه مما تعطيه مكارم الأخلاق والذم في مقابلة ما ذكرناه قال تعالى فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما أي من المعلمين ما يُفَرِّقُونَ به بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ والله قد كره ذلك وقد ذمه وندب إلى الألفة وانتظام الشمل ولما علم سبحانه أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاما للشياطين ومع هذا فقد ورد في الخبر النبوي أنه صلى الله عليه وسلم قال ما خلق الله حلالا أبغض إليه من الطلاق لأنه رجوع إلى العدم إذ كان بائتلاف

الطبائع ظهر وجود التركيب و بعدم الائتلاف كان العدم فكانت الأسماء الإلهية معطلة التأثير فمن أجل هذه الرائحة كره الفرقة بين الزوجين فعدم عين الاجتماع أي هذه الحالة ارتفعت بافتراق هذين الزوجين و إن بقيت أعيانهما و إن كان الاجتماع و الافتراق و الحركة و السكون الحاصل من ذلك راجع إلى نسب معقولة لا أعيان موجودة كما يراه بعضهم و بهذا النور الخاص بهذا المنزل يندفع جميع ما ذكرناه من الشرور و ما لم نذكره مما ينطلق عليه اسم شر بالإضافة إلى ما قررناه من الكمال و الملاءمة و غير ذلك و هذا القدر من السحر الذي يعطي التفرقة هو الذي يدفعه سبب وجود هذا النور في هذا المنزل خاصة و عند الخروج من هذه السدف و الظلم بالإدلاج فيها حتى يطلع لك الصباح و تشرق الأنوار و ذلك عالم الآخرة حيث كان حينئذ تحمد مسعاك و ما فاتك بذلك السهر في سيرك من لذة النوم و الاضطجاع و السكون فوضعوا لذلك لفظا مطابقا و هو قولهم عند الصباح يحمد القوم السري و الصباح عبارة عن هذا النور و من حصل له هذا النور كان الناس فيه بين غابط و حاسد فالغابط من طلب من الله أن يكون له مثل ما حصل لهذا من هذه الحال من غير إن يسلب ذلك عن صاحبه و الحاسد من يطلب زوال هذا الأمر من صاحبه و لا يتعرض في طلبه لنيله جملة واحدة فإن طلب مع طلب إزالته من ذلك نيله فبه يقع الاشتراك بين الغابط و الحاسد و ما يقع به الاشتراك غير ما يقع به الامتياز فطلب نيل ذلك محمود و هو الغبط و طلب إزالته مذموم و هو الحسد فلذلك فصلنا فيه هذا التفصيل و إن كان الشرع قد أطلق لفظ الحسد في موضع الغبط فقال صلى الله عليه و سلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق فهو ينفق منه و يفرقه يمينا و شمالا و في هذا سر و تنبيه على فضل الكرم و العطاء لغير عوض فإنه من أعطى لعوض فهو شراء ليس بكرم إذ الكريم من لا يطلب المعاوضة فلذا قال يمينا و شمالا و لو عني بالشمال الإنفاق في معصية من زنا أو غيره فليس بكرم لأنه يحصل به عوضا هو أحب إليه من المال فإن قيل إن العوض له لازم فإن الثناء بالكرم لازم لذي الكرم قلنا هذا لا يقع إلا من الجاهل لأن الثناء الحسن من لوازم الكرم سواء طلبه أو لم يطلبه فاشتغاله بطلب الحاصل جهل فإن الحاصل لا يبتغى و اللازم للشيء لا بد له منه و إلا فليس بلازم فإن فعل ذلك التحق بأصحاب الأعواض و لم يتصف عند ذلك بالكرم و لا لبسه و الرجل الآخر رجل آتاه الله علما فهو يبثه في الناس أي يفرقه فيهم الحديث كما قاله عليه السلام فإنا أوردناه من جهة المعنى و بعض ألفاظه صلى الله عليه و سلم فسماه حسدا و قد يسمى الشيء باسم الشيء بما يقاربه أو يكون منه بسبب و بعد أن فصلنا ما أردنا ارتفع الإشكال فيما قصدناه و نحن إنما أردنا ما أراد الله تعالى بقوله وَمِن شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ و ليس الشر في طلب نيل مثله و إنما الشر في طلب زواله ممن هو عنده و لما قلنا إن عبد الرب له خمس درجات و إنه يزيد على عبد الملك بأربع درجات كان هذا المنزل على خمس درجات و الدرجة السادسة التي لهذا المنزل فيها خلاف بين أهل هذا

الشأن فمنهم من جعلها درجة مستقلة بنفسها لكنها فاصلة بين مقامين من المقامات الإلهية وليس هو مذهبنا ومنهم من جعلها درجة سادسة في عين هذا المقام وهو مذهبنا وهذه الدرجة تتضمن منزلا واحدا من منازل الغيب بالإجماع من أهل هذا الشأن وقيل ثلاث منازل بخلاف بينهم فأما ابن برجان فانفرد دون الجماعة بإظهار المنزل الثاني في هذه الدرجة من منازل الغيب ولم أعلم ذلك لغيره وله وجه في ذلك ولكن فيه بعد عظيم وإن كنا نحن قد ذهبنا إلى هذا المذهب في بعض كتبنا ولكن ليس في وجوده تلك القوة وإنما يظهر عند صنعة التحليل والكلام على المفردات من علم هذا الطريق وهو مما يتعلق بمعرفة الهوية ولهذه الدرجة تسعة عشر منزلا من منازل الشهادة كل منزل من هذه المنازل يمنع ملكا من التسعة عشر الذين على النار فلا يصيب صاحب هذه الدرجة من النار شيء قال تعالى عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ فلوجود هذه المنازل في هذه الدرجة جعلت ملائكة النار تسعة عشر ولا نعكس فنقول من أجل هؤلاء الملائكة جعلت هذه المنازل تسعة عشر فإن الأمر لم يكن كذلك ولم تكن هذه المنازل بحكم الجعل بخلاف الملائكة فإن هذه الدرجة اقتضت هذه المنازل لذاتها وقال في الملائكة وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً فكانوا بحكم الجعل وكانوا في عالم الشهادة لأن النار محسوسة مشهودة وتتضمن هذه الدرجة السادسة من العلوم علم الأسماء الإلهية المتعلقة بالكون ولها صورة في العموم من حيث الإيجاد وفي الخصوص من حيث السعادة واعلم أنه ما من منزل من هذه المنازل التي في هذا الكتاب إلا وله هذه الدرجة وتختلف آثارها باختلاف المنازل إلا منزلا واحدا من منازل القهر وسيأتي ذكره إن شاء الله وكنا قد ذكرنا في كتاب هياكل الأنوار هذا المنزل وما يختص به وما يعطيه هيكله فلينظر هناك وهو الهيكل الثاني عشر ومائة وهذه العجالة تضيق عن أسرارها في كل منزل من هذه المنازل المودعة فيه أعني في هذا الكتاب وكذلك المنازلات والفرق بين المنزل والمنازلات ما نبينه لك وذلك أن المنزل عبارة عن المقام الذي ينزل الحق فيه إليك أو تنزل أنت فيه عليه ولتعلم الفرق بين إليك وعليه والمنازلة أن يريد هو النزول إليك ويجعل في قلبك طلب النزول عليه فتتحرك الهمة حركة روحانية لطيفة للنزول عليه فيقع الاجتماع به بين نزولين نزول منك عليه قبل إن تبلغ المنزل ونزول منه إليك أي توجه اسم إلهي قبل أن يبلغ المنزل فوقوع هذا الاجتماع في غير المنزلين يسمى منازلة وهنا يكون لصاحب هذه الحالة أحد ثلاثة أمور إما تحصل الفائدة عند اللقاء المطلوبة لذلك الاسم من هذا العبد ولهذا العبد من ذلك الاسم فينفصل عنه الاسم إلى مسماه ويرجع العبد إلى مقامه الذي منه خرج وإما أن يحكم عليه الاسم الإلهي بالرجوع إلى ما منه خرج ويكون ذلك الاسم الإلهي معه إلى أن يوصله إلى ما منه خرج وإما أن يأخذه الاسم الإلهي معه ويعرج به إلى مسماه وأي الأمرين حصل من هذا الذي ذكرنا فيسمى عندنا هذا المنزل الذي رجعا إليه بهذه الصفة الخاصة منزل المنازلات لأنه يعطي من الأحكام خلاف ما يعطيه إذا لم يكن نزوله عن منازلة

يعرف هذا أهل الأذواق و أهل الشرب و الري و قد جعلنا في هذا الكتاب من المنازلات ما تقف عليه إن شاء الله و اعلم أن المنازل لا ينطلق عليها هذا الاسم إلا عند النزول فيها فإن أقام فيها و لم ينتقل عنها حدث لها اسم الموطن لاستيطانه فيها و اسم المسكن لسكونه إليها و عدم انتقاله إلى منزل إلا أنه لا بد له أن ينتقل في نفس هذا المنزل في دقائقه بحيث لا يخرج عنه كمثل الذي يتصرف في بيوت الدار التي هو ساكنها فما دام العارف مستصحبا لاسم واحد إلهي مع اختلاف تصرفه فيه كان موطنا له من حيث الجملة و من المحال أن يقيم أحد نفسين على حالة واحدة فلا بد له من الانتقال في كل نفس و لهذا منع بعضهم من أهل الله أن يكون الاسم موطنا أو مسكنا لأنه تخيل أن لكل نفس و كل حال اسما إلهيا و لم ير أن الاسم الإلهي قد يكون له حكم أو يكون له أحكام كثيرة مختلفة فيكون موطنا لهذا الشخص ما دام يتصرف تحت أحكامه فأما قولهم من المحال بقاؤه نفسين على حكم واحد على إن يكون واحد نعتا لحكم فصحيح و أما أن أرادوا استحالة بقائه نفسين على حكم واحد على طريق الإضافة إضافة الحكم إلى الواحد فليس بصحيح فإن الوجوه لهذا الاسم الإلهي فالغفار يستره عن كذا و كذا و كذا و كذا بحسب المطالب التي تطلبه في كل نفس مما يصح أن يستره عنها الاسم الغفار على التتالي و التتابع من غير أن يتخللها ما يطلب اسما آخر و لهذا صحت فيه المبالغة لأنه يكثر منه ذلك و هكذا الخلاق و الرزاق و جميع الأسماء التي لها حكم في الكون إذا توالى على الإنسان ما يطلب هذا الاسم و لا بد فالأسماء الإلهية منازل بوجه و مساكن و مواطن بوجه و قد بينا في هذا الباب على طريق الإشارة و ضيق الوقت ما تقع به الفائدة لصاحب الذوق و ما نودع كل باب مما عندنا فيه إلا نقطة من بحر محيط هذا بالنظر إلى ما عندنا فيه فكيف هو بالنظر إلى ما هو عليه في نفسه هو البحر الذي لا ساحل له و هذا المنزل من منازل الأمر و هذه المنازل الأمرية و إن كانت سبعة في العدد فمن حيث الأمهات و إنما هي أكثر من ذلك و لا بد لنا أن نفرغنا إليها من حصرنا إياه حتى يعلم إلى كم تنتهي من جناب الحق فإن فيها فوائد جمة هي مثبوتة في كتبنا و الله سبحانه يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل من العلوم علم إخراج المغيبات بالأسماء الإلهية و علم الخلق و علم الغيب الداخل في الشهادة و علم الشبه و علم نفث الروح في الروع

«الباب الثاني و السبعون و مائتان في معرفة منزل تنزيه التوحيد»

بتنزيه توحيد الإله أقول و ذلك نور ما لديه أقول
و تنزيهه ما بين ذات و رتبة و إن الذي يدري به لقليل
تنزه عن تنزيه كل منزه فمن شاء قولا فليقل بيقول

فإن وجود الحق في حرف غيبه فحرف حضور ما عليه قبول

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن المراد بلفظة تنزيه التوحيد أمران الواحد أن يكون التوحيد متعلق التنزيه لا الحق سبحانه و الأمر الآخر أن يكون التنزيه مضافا إلى التوحيد على معنى أن الحق تعالى قد ينزه بتنزيه التوحيد إياه لا بتنزيه من نزهة من المخلوقين بالتوحيد مثل حمد الحمد فإن قيام الصفة بالموصوف ما فيها دعوى و لا يتطرق إليها احتمال و الواصف نفسه أو غيره بصفة ما يفتقر إلى دليل على صدق دعواه فيتعلق بهذا فصول تدل عليها آيات من الكتاب منها هل يصح الإضمار قبل الذكر في غير ضرورة الشعر أم لا فالشاعر يقول جزى ربه عني عدي بن حاتم فأضمر قبل الذكر و لكن الشعر موضع الضرورة و من فصول هذا المنزل الأمر بتوحيد الله فلا يكون فيه توحيد الحق نفسه و يتعلق به التقليد في التوحيد لأن الأمر لا يتعلق بمن يعطيه الدليل ذلك إلا أن يكون متعلق الأمر الاستدلال لا التعريف على طريق التسليم أو الاستدلال بالتنبيه على موضع الدلالة مثل قوله إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ و كقوله لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا و كقوله لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ و من فصول هذا المنزل قوله تعالى ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً لعدم الكفاءة إذ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ فلو كانت الكفاءة موجودة لجاز ذلك قال عز و جل وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ فجعل الكفاءة بالدين و قوله لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فجعله من قبيل الإمكان فقال لَاصْطَفى و الاصطفاء جعل و المجعول ينافي الكفاءة للجاعل و أين مرتبة الفاعل من المفعول و من فصول هذا المنزل التنزيه أن يكون مدركا بالمقدمات التي تنتج وجوده أو المعرفة به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و من فصول هذا المنزل إنه لا يكون مقدمة لإنتاج شيء للتركيب الذي يتصف به المقدمات و السبب الرابط في المقدمات فيستدعي المناسبة و المناسبة بين الخلق و الحق غير معقولة و لا موجودة فلا يكون عنه شيء من حيث ذاته و لا يكون عن شيء من حيث ذاته و كل ما دل عليه الشرع أو اتخذه العقل دليلا إنما متعلقة الألوهة لا الذات و الله من كونه إلها هو الذي يستند إليه الممكن لإمكانه فلنذكر ما يتعلق بفصول هذا المنزل على الاختصار إن شاء الله اعلم أن هذا المنزل هو الرابع من منزل العظمة في حق أصحاب البدايات و هو الحادي عشر و العاشر و مائة في حق الأكابر الروحانيين و لما كانت الحضرة الإلهية تنقسم إلى ثلاثة أقسام ذات و صفات و أفعال كان هذا المنزل أحدها و هو الثالث منها و لما كانت الصفات على قسمين صفة فعل و صفة تنزيه كان هذا المنزل صفة التنزيه منهما فأما تنزيه التوحيد فهو أن هذا التوحيد الذي ننسبه إلى جناب الحق منزه أن ينسب إلى غير الحق فهو المنزه على الحقيقة لا الحق و إنما قلنا هذا لأنه يجوز أن يوصف به غير الحق فيما يعطيه اللفظ كما وقعت المشاركة في إطلاق لفظة الوجود و العلم و القدرة و سائر الأسماء في حق الحق و الخلق فهذا المنزل ينزه هذا التوحيد المنسوب إلى الله أن يوصف به غيره فإنه توحيد الذات من جميع الوجوه و لا يوصف بهذا التوحيد غيره لا في

اللفظ و لا في المعنى و كانت ذات الحق المنسوب إليها هذا التوحيد لا يتعلق بها تنزيه لأنه لا يجوز عليها فتبعد عن وصفها الذي يجوز عليها إذ كانت في نفس الأمر منزهة لا بتنزيه منزه و أما إذا كان تنزيه التوحيد متعلقة الحق سبحانه فيكون منزها من حيث ذاته بلسان عين هذا الوصف الذي هو التوحيد له كثناء لسان صفة الكرم بالكريم لقيامه به لا بقول القائل و دليل الناظر إنه سبحانه واحد فقد كان له هذا الوصف و لا أنت و له هذا الوصف و أنت أنت و إذا كان هذا الأمر على هذا الحد فما ثم موجود يصح أن يضمر قبل الذكر إلا من يستحق الغيب المطلق الذي لا يمكن أن يشهد بحال من الأحوال فيكون ضمير الغيب له كالاسم الجامد العلم للمسمى يدل عليه بأول وهلة من غير أن يحتاج إلى ذكر متقدم مقرر في نفس السامع يعود عليه هذا الضمير فلا يصح أن يقال هو إلا في الله خاصة فإذا أطلق على غير الله فلا يطلق إلا بعد ذكر متقدم معروف بأي وجه كان مما يعرف به فيقال هو و عين محل هذا الضمير مشهود عند من لا يصح أن يقال فيه هو لحضوره عنده فيزول عنه اسم الهو بالنظر إلى ذلك و يثبت له اسم الهو بالنظر إلى من غاب عنه فإن قيل إذا صح ما قررته فإنه سبحانه مشهود لنفسه فيزول عنه الهو بالنظر إلى شهوده نفسه فإذا الهو ليس له بمنزلة الاسم العلم كما زعمت قلنا و إن شهد نفسه فإن الهوية معلومة غير مشهودة و هي التي ينطلق عليها اسم الهو هذا على مذهبنا و هو مذهب أهل الحق كيف و ثم طائفة تقول إنه لا يعلم نفسه فلا يزال الهو له منا و منه قال تعالى في أول سورة الإخلاص لنبيه عليه السلام قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فابتدأ بالضمير و لم يجر له ذكر متقدم يعود عليه في نفس القرآن و إن كانت اليهود قد قالت له انسب لنا ربك فربما يتوهم صاحب اللسان أن هذا الضمير يعود على الرب الذي ذكرته اليهود و لتعلم إن هذا الضمير لا يراد به الرب الذي ذكرته اليهود لأن الله يتعالى أن يدرك معرفة ذاته خلقه و لذلك قال هُوَ اللهُ و ما ذكر في السورة كلها شيئا يدل على الخلق بل أودع تلك السورة التبري من الخلق فلم يجعل المعرفة به نتيجة عن الخلق فقال تعالى وَلَمْ يُولَدْ و لم يجعل الخلق في وجوده نتيجة عنه كما يزعم بعضهم بأي نسبة كانت فقال تعالى لَمْ يَلِدْ و نفى التشبيه بأحدية كل أحد بقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ و أثبت له أحدية لا تكون لغيره و أثبت له الصمدانية و هي صفة تنزيه و تبرئة فارتفع إن يكون الضمير يعود على الرب المذكور المضاف إلى الخلق في قولهم له صلى الله عليه و سلم انسب لنا ربك فأضافوه إليه لا إليهم و لما نسبه صلى الله عليه و سلم بما أنزل عليه لم يضفه لا إليه و لا إليهم بل ذكره بما يستحقه جلاله فإذا ليس الضمير في هو الله يعود على من ذكر و أين المطلق من المقيد فهوية المقيد ليست هوية المطلق فهوية المقيد نسبة تتعلق بالكون فتتقيد به إذ تقيد الكون بها فيقال خالق و مخلوق و قادر و مقدور و عالم و معلوم و مريد و مراد و سميع و مسموع و بصير و مبصر و مكلم و مكلم و الحي ليس كذلك فهو هويته لا تعلق له بالكون و ليس القيوم كذلك فإذا عرفت ما ذكرناه عرفت أن الإضمار قبل الذكر لا يصح إلا على الله و بعد الذكر تقع فيه المشاركة قال تعالى الله

الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فأعاد الضمير على الله المذكور في أول الآية و اعلم أن التوحيد الذي يؤمر به العبد أن يعلمه أو يقوله ليس هو التوحيد الذي يوحد الحق به نفسه فإن توحيد الأمر مركب فإن المأمور بذلك مخلوق و لا يصدر عن المخلوق إلا ما يناسبه و هو مخلوق عن مخلوق فهو أبعد في الخلق عن الله من الذي وجد عنه هذا التوحيد على كل مذهب من نفاة الأفعال عن المخلوقين و مثبتيها لأن النفاة قائلون بالكسب و غير النفاة قائلون بالإيجاد فكيف يليق بالجناب العزيز ما هو مضاف إلى الخلق و إن كنا تعبدنا به شرعا فنقرره في موضعه و نقوله كما أمرنا به على جهة القربة إليه مع ثبوت قدمنا فيما أشهدنا الحق من المعرفة به من كونه لا يعرف في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و فيما ذكره في سورة الإخلاص و في عموم قوله بالتسبيح الذي هو التنزيه رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و العزة تقتضي المنع أن يوصل إلى معرفته و من أسرار هذا المنزل قوله لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فإن كان لو حرف امتناع و لكنه امتناع شيء لامتناع غيره فهو عدم لعدم فإذا جاء حرف لا بعد لو كان لو حرف امتناع لوجود و لم يأت في هذه الآية لا فنفى الإرادة أن تتعلق باتخاذ الولد و لم يقل إن يلد ولدا فإنه يقول لَمْ يَلِدْ و الولد المتخذ يكون موجود العين من غير أن يكون ولدا فيتبنى بحكم الاصطفاء و التقريب في المنزلة أن ينزله من نفسه منزلة الولد من الوالد الذي يكون له عليه ولادة و الحقيقة تمنع من الولادة و التبني لأن النسبة مرتفعة عن الذات و النسبة الإلهية من الله لجميع الخلق نسبة واحدة لا تفاضل فيها إذا لتفاضل يستدعي الكثرة فلهذا أتى بلفظة لو و لم يجعل بعدها لفظة لا فكان حرف امتناع أي لم يقع ذلك و لا يقع لامتناع الذات إن توصف بما لا تستحقه و لهذا قال ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً بعد قوله تعالى وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا فوصفه بالعلو عن قيام هذا الوصف لعظمة الرب المضاف إلى المربوب بالذكر فكيف بالرب من غير إضافة لفظية فكيف بالاسم الله فكيف بالذات من غير اسم فأعظم من هذا التنزيه ما يكون و أما نفي الكفاءة و المثل فربما يتوهم من لا معرفة له بالحقائق أنه لو وجدت الكفاءة جاز وقوع الولد بوجود الصاحبة التي هي كفؤ فليعلم إن الكفاءة مشروعة لا معقولة و الشرع إنما لزمها من الطرف الواحد لا من الطرفين فمنع المرأة أن تنكح ما ليس لها بكفء و لم يمنع الرجل أن ينكح ما ليس بكفء له و لهذا له أن ينكح أمته بملك اليمين و ليس للمرأة أن ينكحها عبدها و الحق ليس بمخلوق و هو الوالد لو كان له ولد و الكفاءة من جهة الصاحبة لا تلزم فارتفع المانع لوجود الولد لا لعدم الكفاءة بل لما تستحقه الذات من ارتفاع النسب و النسب و لما تستحقه أحدية الألوهة إذا لولد شبيه بأبيه فبطل مفهوم من حمل ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً على جواز ذلك إذ كان متخذا و كان المفهوم منه و من نفي الكفء و المثل ما ذكرناه و لما كان التنزيه للذات على ما قررناه بطل أن تكون المعرفة به القائمة بنا نتيجة عن معرفتنا بنا لاستنادنا إليه من حيث إمكاننا و إن ذلك لا يتضمن معرفة ذاته بالصفة الثبوتية النفسية التي هو عليها بالأصح من ذلك إلا الاستناد لذات منزهة عما ينسب إلينا مجهولة عندنا ما ينسب إليها من حيث نفسيتها فلا

يعرف سبحانه أبدا و إذا كانت المعرفة به من النزاهة و العلو بهذا الحد فأحرى إن يكون وجوده معلولا لعلة تتقدمه في الرتبة أو مشروطا بشرط متقدم أو محققا لحقيقة حاكة أو مدلولا لدليل يربطه به وجه ذلك الدليل فلا جامع سبحانه بيننا و بينه من هذه الجوامع الأربعة فالتحقت المعرفة به منا بوجوده في النزاهة و الرفعة عن الإدراك لها و كما لم يصح أن ينتجه شيء فلا تكون هويته أيضا من حيث هويته لا من حيث مرتبته تنتج شيئا إذ لو ارتبط به شيء من حيث هويته لارتبطت هويته بذلك الشيء فلا يصح أن يكون علة لمعلول و لا شرطا لمشروط و لا حقيقة لمحقق و لا دليلا لمدلول و لا سيما و قد قال سبحانه لَمْ يَلِدْ مطلقا و ما قيد فلو كان حقيقة لولد محققا و لو كان دليلا لولد مدلولا و لو كان علة لولد معلولا و لو كان شرطا لولد مشروطا فهو سبحانه المستند المجهول الذي لا تدركه العقول و لا تفصل إجماله الفصول فهذا أيضا وجه من وجوه تنزيه التوحيد و أما ما يتعلق بالواحد و الأحد من التوحيد في أحديته فإن لفظ الأحدية جاءت ثابتة الإطلاق على من سواه فقال وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً و إن كان المفهوم منه بالنظر إلى تفسير المعاني على طريق أهل الله أنه لا يعبد من حيث أحديته لأن الأحدية تنافي وجود العابد فكأنه يقول لا يعبد إلا الرب من حيث ربوبيته فإن الرب أوجدك فتعلق به و تذلل له و لا تشرك الأحدية مع الربوبية في العبادة فتتذلل لها كما تتذلل للربوبية فإن الأحدية لا تعرفك و لا تقبلك فيكون تعبد في غير معبد و تطمع في غير مطمع و تعمل في غير معمل و هي عبادة الجاهل فنفى عبادة العابدين من التعلق بالأحدية فإن الأحدية لا ثبت إلا لله مطلقا و أما ما سوى الله فلا أحدية له مطلقا فهذا هو المفهوم من هذه الآية عندنا من حيث طريقنا في تفسير القرآن و يأخذ أهل الرسوم من ذلك قسطهم أيضا تفسيرا للمعنى فيحملون الأحد المذكور على ما اتخذوه من الشركاء و هو تفسير صحيح أيضا فالقرآن هو البحر الذي لا ساحل له إذ كان المنسوب إليه يقصد به جميع ما يطلبه الكلام من المعاني بخلاف كلام المخلوقين و إذا علمت هذا علمت المراد بقوله جل ثناؤه لنبيه عليه السلام قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ أي لا يشارك في هذه الصفة و أما الواحد فإنا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الأحدية فلم أجده و ما أنا منه على يقين فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية و يكون اسما للذات علما لا يكون صفة كالأحدية فإن الصفة محل الاشتراك و لهذا أطلقت لاحدية على كل ما سوى الله في القرآن و لا يعتبر كلام الناس و اصطلاحهم و إنما ينظر ما ورد في القرآن الذي هو كلام الله فإن وجد في كلام الله لفظ الواحد كان حكمه حكم لاحدية للاشتراك اللفظي فيه و إن كان لا يوجد في كلام الله لفظ الواحد يطلق على الغير فيلحقه بخصائص ما تستحقه الذات و يكون كالاسم الله الذي لم يتسم به أحد سواه ومما يتعلق بهذا المنزل من التنزيه الخاص به ما يحصل من المعارف التي ذكرناها في كتاب مواقع النجوم في التجلي الصمداني و لا نريد بذلك ما أراد العارف أبو عبد الله البستي في كتابه الذي جعله في عبد الرب و عبد الصمد فإن الصمد الذي نريده لا يضاف و لا

يضاف إليه فإن المتضايفين لا بد أن يكون لهما بينية فيكون بينهما نسبة رابطة بها يصح أن تكون الإضافة محققة لهما فالصمد الذي أراده البستي بعبد الصمد هو الذي يلجأ إليه و يتعلق به و يقابل بالتوجه و لهذا نهت الشريعة للمصلي إذا استتر بأصطوانة أو عصا أو مؤخرة رحل أو ما هو مثلها أن يصمد إليها صمدا و لكن ينحرف عنها قليلا يمينا أو شمالا و ليس من أوصاف التنزيه من يصمد إليه و لكنه من أوصاف الكرم فالصمدية المطلقة عن هذا التقييد هي التي تستحق أن تكون صفة تنزيه إذ لا تعلق للكون بها و هي المطلوبة في هذا المنزل و شرحها في اللغة مذكور الأسماء الإلهية و اعلم أن هذا المنزل و إن كان يطلب الأحدية و التنزيه من جميع الوجوه فإنه يظهر في الكشف الصوري المقيد بالظاهر كالبيت القائم على خمسة أعمدة عليها سقف مرفوع محيط به حيطان لا باب فيها مفتوح فليس لأحد فيه دخول بوجه من الوجوه لكن خارج البيت عمود قائم ملصق إلى حائط البيت يتمسح به أهل الكشف كما يقبلون و يتمسحون بالحجر الأسود الذي جعله الله خارج البيت و جعله يمينا له و أضافه إليه لا إلى البيت كذلك هذا العمود لا يضاف إلى هذا المنزل و إن كان منه إلا أنه ليس هو خاصا به فإنه موجود في كل منزل إلهي و كأنه ترجمان بيننا و بين ما تعطيه المنازل من المعارف و قد نبه على ذلك ابن مسرة الجبلي في كتاب الحروف له و هذا العمود له لسان فصيح يعبر لنا عما تحويه المنازل فنستفيد منه علم ذلك و من المنازل ما ندخل فيه و نمشي في زواياه فنجد الأمر على حد ما عرفناه فيه و من المنازل ما لا سبيل لنا إلى الدخول فيه مثل هذا المنزل فنأخذ من هذا العمود التعريف بحكم التسليم فإنه قد قام الدليل لنا على عصمته فيما يخاطبنا به في عالم الكشف كالرسول في عالم الحس فهو لسان حق و من الناس من يلحقه بأعمدة البيت فإن بعض الحائط عليه و لا يظهر لنا منه إلا وجه واحد و سائره مستور في الحائط فيقول بعض المكاشفين إن البيت قائم على ستة أعمدة فلا تناقض بين مثبتي الخمسة و الستة في قيام البيت عليها فقد بينا لك ذلك حتى لا تتخيل أن الحق في أحد القولين و مع إحدى الطائفتين فكل طائفة منهما صادقة فلهذا أخبرتك بكيفية ذلك و هكذا جميع ما يظهر للناس أنهم اختلفوا فيه فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به بل هم في شغلهم أصح و أحق من أهل الحس فيما يدركونه بحواسهم و اعلم أن الدخول لهذا المنزل من الدينار الثاني الذي للرجولية و النهاية فيه إلى الدينار الرابع و هو تمام الرجولية التي بها يسمى الشخص رجلا كما قد قدمناه في ترتيب الايمان و الولاية و النبوة و الرسالة و لا خامس لها يكون خامس خمسة بل قد يكون لها خامس أربعة فاعلم ذلك و إذا تفطنت إلى ما فصله الحق تعالى عرفت أنت تفصيله فيما أجمله في قوله وَلا أَدْنى من ذلِكَ يعني الاثنين وَلا أَكْثَرَ يعني السبعة فما فوقها من الأفراد ففصل الحق بقوله ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ و لم يقل و لا أربعة إلا هو خامسهم فعرفنا من أدنى ذلك و أكثر أنه يريد الأفراد يشفعها بما ليس منها فتحققنا إن الغيرة حكمت هنا فلم تثبت لأحد فردية إلا

شفعتها هوية الحق حتى لا تكون الأحدية إلا له فلا يشفع فرديته مخلوق و يشفع هو فردية المخلوقين و لذلك قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و لم يقل و أنتم معه لأنه مجهول المصاحبة فيعلم سبحانه كيف يصحبنا و لا نعرف كيف نصحبه فالمعية له ثابتة فينا منفية عنا فيه فلم يقل و لا أربعة إلا هو خامسهم و لا اثنين إلا هو ثالثهما لأن الغيرة لا تتعلق بالشفعية في الأكوان لأن الشفع لها حقيقة و إنما تتعلق بالوترية إذا نسبت إلى الأكوان و هي لا تستحقها فنوترها بالحق ليكون الظهور له تعالى في الأشياء و هذا من أقوى الدلائل على وصفه تعالى بالغيرة لأنها مشتقة من رؤية الغير لأنه يستدعي المشاركة و الله بريء من مشاركة الغير فهو بريء أن يكون غير الأحد أو يكون أحد غير إله قال صلى الله عليه و سلم لا أحد أو كما قال أغير من الله فوصفه بالغيرة و حكمها في هذا المقام قوي فهذا قد ذكرنا نبذا مما يعطيه هذا المنزل على ضيق الوقت وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل من العلوم علم الأحدية و الفرق بينها و بين الوحدانية و علم النسب الإلهي يقول الله تعالى يوم القيامة اليوم أضع نسبكم و أرفع نسبي أين المتقون و علم البسائط و العلم الضروري و علم التماثل وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

(الباب الثالث و السبعون و مائتان في معرفة منزل الهلاك للهوى و النفس من المقام الموسوي)

هلاك الخلق في الريح إذا ما هب في اللوح

و لاذ بغير مولاه إله الجسم و الروح

و وعر مسلكا سهلا بما قد جاء في نوح

و في لوط فيا نفسي على ما قلته نوحي

و لو لا العشق آداه بريق من سنا يوحي

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأفلاك و عمرها بالأملاك و قدر للكواكب السبعة السيارة فيها منازل تجري فيها إلى أجل مسمى تعين الزمان بجريانها و سباحتها و خلق المكانة قبل الأمكنة و مد منها رقائق إلى أمكنة مخصوصة في السموات السبعة و الأرض ثم أوجد المتمكنات في أمكنتها على قدر مكاناتها فكان من تقدير الله العزيز العليم إن خلق عقلا من العقول أعلاما بما أودعه فيه من صفة القدرة لا من صفة غيرها خصه بذلك على أبناء جنسه و ذلك من الاسم الظاهر الذي يختص بهذا العقل فالقى إليه ذلك بضرب من القهر سار فيه مودة لها ثلج و برد و سرور فتفجرت فيه خمسة أنهار من العلم من الاسم الأول و الآخر الذي يختص به هذا العقل ثم جرت هذه الأنهار في الاسم الباطن الذي له فتقدست أوليته على سائر الأوليات و آخريته على سائر الآخريات و كذلك ظاهره و باطنه و

صد ر عن أم الكتاب الذي عنده حضرة تسمى أم الجمع أدخلني الحق إياها فرأيتها و رأيت ظاهرها و باطنها و عاينت مكان هذا العقل منها نكتة سوداء مستورة نقية ما بين حمرة و صفرة و عاينت الرقيقة التي بين المكانة و هذا المكان المعين و رأيت موسى و ها رون و يوسف عليهم السلام ناظرين إلى هذا العقل و فرع سبحانه من هذه الحضرة الجامعة التي اختصها لنفسه حضرات لا يعلم عد دها إلا الله في السماء و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى إلى حد الاستواء كل هذه الحضرات للحق إليها نظر خاص رفعها بذلك على غيرها فلها عند من يعرفها ممن عرفه الحق بها حرمة و بروا كرام تسمى هذه الحضرات مقامات التنزيه إذا دخلتها الروحانيات العلى اكتسبت من أحوال التنزيه الإلهي ما لا يعلم قد ره إلا الله و حصل لهم من الخضوع و الخشوع و الذلة و الافتقا ر ما لم يكن لهم قبل دخولهم و من هذه الحضرات و في هذه المقامات يحصل لهم رؤية وجه الحق في كل شيء على التمام و الكمال لكن من الرجال من يشاهد ها و من الرجال من يعطيهم هذه الحال و لا يعرفها و لا يد ري في أي رتبة حصلت له على قد ر ما سبق به علم الله فيه فمنهم و منهم فلنرجع إلى ذلك العقل الذي ذكرناه الذي له أثر انفعال بمكانته في هذا المنزل و نذكر ما كان له و ما كان عنه و بسببه مما يختص بهذا المنزل عند كل من شاهده و شخص سبحانه مقام الصدق و الصفاء و عين فيه اثنتين و سبعين مرقاة كل مرقاة منها تعطي علوما لمن يرقى فيها للصفاء الذي استلزمته هذه الصورة فهي علوم كشف إلى أن ينتهي إلى ذروتها فتقابله حضرة الأم بذاتها فتعطيه من التنزيه الإلهي و الثناء بالوحدانية و الصدق و القهر و النصر و الإخلاص و الذلة و لما أدخلني الله هذه المراقي رأيته سبحانه قد حجبها عن الأعين بظلمة الطبيعة حجابا لا يرفع فليس اليوم لراق فيها قدم موضوعة لكنه يكاشف بها من خلف ظلمة الطبع و لا يحصل له فيها قدم كذا رأيته و رأيت معي من حقائق العا رفين جملة كثيرة على مراتب مختلفة من عال و أعلى و هم فيها بهذه المثابة فأمر لهذا العقل المخصوص بهذا المنزل أن يرقى فيما شخصه مما ذكرناه و اجتمعت العقول إليه و أنا أنظر ما يصنع و ما يقول لأستفيد منه ثم رأيته شخص و لم يتكلم و لا أد ري بأمر إلهي أشخص فرأيت عليه حين رجع أثر كآبة و قهر و انزعاج فعلمت أنه في مقام انذا ر من الإنذا رات الحق للأرواح روى في خبر أن جبريل و ميكائيل عليهما السلام قعدا يبكيان فأوحى الله إليهما ما هذا البكاء فقالا إنا لا نأمن من مكرك فأوحى الله إليهما كذلك فلتكونا فلما ألقى إلينا ما ألقى إليه بخشوع و ذلة و اتفق إني اطلعت على اليسا ر فرأيت الهوى و الشهوة و هما يتناجيان و قد أعطى الله من القوة النافذة لهذا الهوى ما يظهر بها على أكثر العقول إلا أن يعصم الله تعالى فوقف الهوى في ذلك الموقف و قال أنا الإله المعبود عند كل موجود و أعرض عن العقل و ما جاء به من النقل فأتبعته الشياطين و الشهوة بين يديه حتى توسط بجبوحة النا ر ففرش له فراش من القطران و اعتمد على أمر تخيل أنه ينجيه من عذاب الله فحال الله بينه و بين من اعتمد عليه و استند إليه فهلك و من تبعه

بنعيم السعداء و كان مشهدا كريما هائلا مفزعا ما صدقنا التخلص منه أنا و كل عارف حضره معنا في ذلك اليوم ثم إني أردت أن أحيط بما في هذا المنزل من المراتب و الحقائق و الأسرار و العلوم فأخذ بيدي ذلك العقل صاحب هذا المنزل و بسببه ظهر هذا المنزل و قال لي هذا منزل الهلاك و مصرع الهلاك فرأيت فيه خمسة أبيات في البيت الأول أربع خزائن على الخزانة الأولى ثلاثة أقفال و على الثانية مثل ذلك و على الثالثة ستة أقفال و على الرابعة ثلاثة أقفال فأردت فتحها فقال لي سر حتى ترى ما في كل بيت من الخزائن و بعد ذلك تفتح أقفالها و تعرف ما فيها ثم أخذ بيدي و قمنا فخرجنا إلى البيت الثاني فدخلته فرأيت فيه أربع خزائن على الخزانة الأولى ستة أقفال و على الخزانة الثانية ثلاثة أقفال و على الخزانة الثالثة أربعة أقفال و على الخزانة الرابعة ستة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت فدخلت البيت الثالث فرأيت فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى خمسة أقفال و على الخزانة الثانية أربعة أقفال و على الخزانة الثالثة ستة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت و كل ذلك أدخل من باب و أخرج من باب آخر فدخلت البيت الرابع و إذا فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى سبعة أقفال و على الخزانة الثانية خمسة أقفال و على الثالثة خمسة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا منها فدخلت البيت الخامس فرأيت فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى سبعة أقفال و على الخزانة الثانية ثلاثة أقفال و على الخزانة الثالثة خمسة أقفال ثم أخذ بيدي و خرجنا نطلب البيت الأول لنفتح تلك الأقفال فنبصر ما تحوي عليه تلك الخزائن من الودائع فدخلت البيت الأول إلى الخزانة الأولى فرأيت معلقا على كل قفل مفتاحه و بعض الأقفال عليه مفتاحان و ثلاثة فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح تحوي تلك المفاتيح على أربعمائة حركة فمددت يدي و فتحت ذلك القفل ثم رأيت على القفل الثالث كذلك ثلاثة مفاتيح تحوي على أربعمائة حركة ففتحت الثالث و رجعت إلى الثاني و عليه مفتاحان و هو قفل مطبق فهما قفلان في قفل واحد يحوي على أربع حركات في حركتين فلما فتحت الأقفال و أطلعت في الخزائن بدا لي من صور العلوم على قدر حركات مفاتيح تلك الخزانة لا تزيد و لا تنقص فرأيت علوما مهلكة ما اشتغل بها أحد إلا هلك من علوم العقل المخصوصة بأرباب الأفكار من الحكماء و المتكلمين فرأيت منها ما يؤدي صاحبها إلى الهلاك الدائم و رأيت منها ما يؤدي صاحبه إلى هلاك ثم ينجو غير أنه ليس لنور الشرع فيها أثر البتة قد حرمت صاحبها السعادة فيها من علوم البراهمة كثير و من علوم السحر و غير ذلك فحصلت جميع ما فيها من العلوم لنجتنبها و هي أسرار لا يمكن إظهارها و تسمى علوم السر و كان ممن اختص بها من الصحابة رضي الله عنهم حذيفة بن اليمان خصه بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فلذلك كان بين الصحابة يقال له صاحب علم السر و به كان يعرف أهل النفاق حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استحلفه يوما بالله هل في من ذلك شيء قال لا و لا أقوله لأحد بعدك و كان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة بحضور

حذيفة حتى يرى حذيفة يقول بالصلاة عليها فإن صلى حذيفة صلى عمر و إلا فلا فمن علمها ليحذرها فقد سعد و من علمها يعتقدها و يعمل عليها فقد شقي فلما حصلتها و أحطت بها علما و نزهت نفسي بما عصمني الله به من العناية الإلهية عن العمل بها و الاتصاف بأثرها شكرت الله على ذلك و في هذه المقامات هلك كثير من سالكي هذه الطريقة لأنهم يرون علوما تتعشق بها النفوس و يكونون بها أربابا و يكونون بها أشياخا و النفوس تطلب الشفوف و الرئاسة على أبناء جنسها فيخرجون بها فيستعملونها في عالم الملك فيضلون و يضلون ف أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ثم إني انتقلت إلى الخزانة الثانية فرأيت على قفلين منها مفاتيح و القفل الثالث لا مفتاح عليه فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح تحوي على عشر حركات ففتحته ثم جئت القفل الثاني فوجدت عليه مفتاحا واحدا يحوي على أربع حركات فأخذته و فتحت به القفل ثم جئت إلى القفل الثالث فلم أر عليه مفتاحا فحرت و لم أدر كيف أصنع فقيل لي اقرأ على كل قفل لا مفتاح له إن ربك هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ثم قيل لي هذا القفل مفتاحه من مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو فقلت ذلك فانفتح القفل و انفتحت الخزانة فرأيت صور العلوم على عدد حركات المفاتيح و رأيت صورة علم زائد على ما رأيت من الصور التي ظهرت على عدد حركات المفاتيح فقلت ما هذا العلم فقال العلم الساري في المعلومات و العلوم فجميع العلوم معلومات بهذا العلم لا بأنفسها فعلمت إن أبا المعالي الجويني لما قال إذ بالعلم يعلم العلم كما يعلم به سائر المعلومات و أراد أن العلم الذي به يعلم معلوم ما به يعلم نفس العلم و ليس الأمر كما زعم بل يعلم العلم بهذا العلم الساري فتكون العلوم به معلومة و هو لا بعلم فاعلم ذلك فهذا هو الذي أعطاه الكشف كشف المعاني لا كشف الصور و هذه العلوم التي رأيت في هذه الخزانة الثانية علوم القدرة و الاقتدار و العلوم التي تتكون عنها الأشياء و تظهر بها الأعيان المضافة إلى الأكوان و هي أعيان أفعال منسوبة إلى العباد فهذا المنزل يحكم عليها بالهلاك بسبب العلم الساري الذي صحبها و هو هلاك إضافة و نسبة لا هلاك عين فالذي هلك إنما هو نسبة هذه الأفعال إلى العباد فيعطيه هذا المنزل أن هذه النسبة ليست بصحيحة و هو عين هلاكها و أطلعه العلم الساري إنها أفعال الله فأعيان أفعال العباد بريئة من الهلاك فحصلت من هذه الحركة علوم التكوين و سر قوله كُنْ الساري في كل متكون ثم إني انتقلت إلى الخزانة الثالثة التي عليها ستة أقفال و مفاتيحها على أقفالها فعلى القفل الأول مفتاح واحد يحوي على حركة واحدة و على الثاني مفتاحان يحويان على حركتين و على الثالث مفتاحان يحويان على عشر حركات و على الرابع مفتاح واحد يحوي على ثلاثين حركة و على الخامس مفتاح واحد يحوي على خمس حركات و على السادس مفتاحان يحويان على حركتين فأخذت المفاتيح و فتحت الأقفال فلما انفتحت الخزانة رأيت جهنم تحطم بعضها بعضا و في وسطها روضة خضراء و رأيت رجلا قد أخرج من النار و وقف به في تلك الروضة ساعة ثم رد إلى النار فيعذب بستة أنواع من

العذاب ثم يعاد إلى الروضة ساعة ثم يخرج منها إلى النار فيعذب بستة أنواع من العذاب فحصلت من علم ما يتقى به ذلك العذاب المؤلم و النار المحرقة من ماء شربته من تلك الروضة كانت في تلك الشربة عصمتي ثم انتقلت إلى الخزانة الرابعة فرأيت على القفل الأول منها مفتاحا واحدا له ست حركات هندسية و على القفل الثاني ثلاثة مفاتيح تحوي الثلاثة المفاتيح على أربعمائة حركة بصنعة معلومة و على القفل الثالث و هو قفلان في قفل يعرف بالقفل المطبق مفتاحان يحويان على حركتين في أربع حركات ففتحت الأقفال فرأيت بقية علوم الخزانة الأولى من هذا البيت غير أن تلك العلوم التي في الخزانة الأولى من هذا البيت يتعلق إهلاكها بأعيان الصفات و هذه العلوم التي في الخزانة الرابعة يتعلق إهلاكها بأعيان الذوات الموصوفين بتلك الصفات الهالكة فحصلت علومها أيضا لأتقيها و أجتنب الأفعال التي تطلبها بالخاصية و صور العلوم فيها أيضا على قدر ما تحويه المفاتيح من الحركات و هكذا هي علوم هذا المنزل كلها عددها على عدد حركات مفاتيحها و لها تفاصيل و أحوال أضربنا عن ذكرها مخافة التطويل ثم انتقلنا إلى البيت الثاني لاطلع أيضا على ما في خزائنه و هي أربع خزائن فجئت الخزانة الأولى فإذا عليها ستة أقفال على القفل الأول مفتاح واحد يحوي على أربعين حركة و لم أر للقفل الثاني مفتاحا ففتحته بالاسم و رأيت على القفل الثالث مفتاحا واحدا يحوي على حركة واحدة و فتحت القفل الرابع بمفتاحين وجدتهما عليه يحويان على تسعمائة حركة كل حركة لا تشبه الأخرى و فتحت القفل الخامس بمفتاحين وجدتهما عليه يحويان على خمسين حركة هندسية و جئت القفل السادس فلم أر عليه مفتاحا ففتحته بالاسم و قد يظهر لبعض المكاشفين الداخلين هذا المنزل هذا القفل السادس و عليه مفتاحان يحويان على عشر حركات و عدم المفتاح أصح من وجوده لهذا القفل في حضرة الخطاب الفهواني و الذي يرى له المفتاح فإنما يراه من اللوح المحفوظ فلما فتحت هذه الخزانة رأيت صور العلوم المخزونة فيها على عدد حركات المفاتيح سواء لا ينقص و لا يزيد و هي علوم الفناء عن الأمر الذي يستند إليه من لا معرفة له بربه سبحانه و تعالى فحصلت جميع ما فيها من العلوم من علوم الفناء و كأنها تدل على حصر الأمور التي يستند إليها ثم خرجت من هذه الخزانة و جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها ثلاثة أقفال على القفل الأول مفتاح و على الثاني مفتاحان و على الثالث مفتاح تحوي هذه المفاتيح على مائة و خمس و عشرين حركة ففتحت الخزانة فإذا علوم من صور علوم لا تؤخذ إلا عنه فهي مآخذ عزيزة المثال فحصلتها كلها في لحظة واحدة ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها أربعة أقفال على القفل الأول و الثالث و الرابع مفتاح مفتاح تحوي هذه المفاتيح على إحدى و سبعين حركة و القفل الثاني لا مفتاح له ففتحت تلك الأقفال بالمفاتيح و الاسم فإذا صور العلوم التي أضل بها السامري قَوْمَهُ وَ ما هَدى فحصلتها لأتقي شرها و أخذت بها مصرفا مرضيا عند الله لا تبعة فيه ثم جئت الخزانة الرابعة و عليها ستة أقفال على القفل الأول و الثاني و الرابع و الخامس

مفتاح مفتاح و الثالث لا مفتاح له و السادس عليه مفتاحان يحوي جميع المفاتيح على ثلاثمائة و تسع و ستين حركة ففتحت الأقفال بالاسم الإلهي و المفاتيح فرأيت صور العلوم التي تحويه و هي العلوم التي تنال بالكسب لا بطريق الوهب و هي العلوم المدركة بالفكر فحصلتها بطريق العمل حتى لا تبرح مكتسبة ثم إني خرجت إلى البيت الثالث فدخلته فرأيت فيه ثلاث خزائن فقصدت الخزانة الأولى فإذا عليها خمسة أقفال على القفل الثاني ثلاثة مفاتيح و القفل الخامس لا مفتاح له و بقية الأقفال عليها مفتاح مفتاح ففتحتها بالاسم و المفاتيح فرأيت فيها صور علوم الاصطلام و هي من علوم الأحوال فحصلتها من طريقها و خرجت عنها و قصدت الخزانة الثانية فرأيت عليها أربعة أقفال القفل الثاني و الرابع لا مفتاح عليه و القفل الأول عليه مفتاحان يحويان على خمسين حركة و القفل الثالث عليه مفتاح يحوي على مائتي حركة ففتحتها بالاسم و المفاتيح فإذا هي تحوي على علوم الخوف و المجاهدة و أحوال الشوق و الاشتياق و علم السعير من جهنم لا علم الزمهرير و علم ما يكون عنه نضج الجلود في جهنم إذ لا يكون عن النار و لا عن الزمهرير بل عذاب متولد بينهما من مجاورة كل واحد منهما لصاحبه فيتولد من امتزاجهما حالة ثالثة ليس هي عين واحد منهما تلك الحالة الحادثة هي العذاب الذي به ينضج الجلود في جهنم و علم تبديلها من أي حضرة تبدل و هو مشهد عظيم فإن التبديل قد ورد النص به في الجلود و السموات و الأرض و نفاه عن الخلق فقال لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ و نفاه عن القول الإلهي فقال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و قال لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ كل هذا تتضمنه هذه الخزانة ثم جئت الخزانة الثالثة فرأيت عليها ستة أقفال فيها شبه بأقفال الخزانة التي خرجت منها إلى هذه فالقفل الثاني لا مفتاح له و القفل الأول له مفتاحان و القفل الثالث عليه ثلاثة مفاتيح و القفل الرابع و الخامس لكل واحد منهما مفتاح و القفل السادس عليه مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على ألف و مائتو سبع و ثلاثين حركة ففتحتها بالاسم و المفاتيح فإذا فيها صور علوم الارتقاءات و المعارج و معرفة اليوم الذي مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ و لكن إذا كانت الارتقاءات و المعارج من المريدين لا من المرادين فتكون عن شوق و مجاهدة و رياضة و مكابدة ثم جئت إلى البيت الرابع فدخلته فإذا فيه ثلاث خزائن الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال القفل الثاني منها لا مفتاح عليه و القفل الأول له مفتاح فيه ست حركات و القفل الثالث يحوي مفتاحه على أربعين حركة و بقية الأقفال تحوي على ستمائة حركة و ست حركات فجميع حركات مفاتيحها ستمائة و اثنان و أحركة ففتحتها فإذا فيها علم النكاح و كيف يصحب الإنسان زوجته إذا كانت لا تعينه على طاعة ربه و يقف على قوله وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ و هل يستعين الإنسان في عبادة ربه في وضوئه بغيره من صب الماء عليه إذا توضأ فإن بعض العلماء كره ذلك و قد رأى النفيس ابن وهبان السلمي في واقعته كراهة ذلك من النبي صلى الله عليه و سلم و أخبرني به فمن هذه الخزانة يعرف ذلك ثم جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها خمسة أقفال القفل الثاني

منها مطبق و القفل الثالث لا مفتاح له و الأول له مفتاح و كذلك الثاني و الخامس و أما الرابع فله ثلاثة مفاتيح تحوي هذه المفاتيح على أربعمائة و ثمان و سبعين حركة ففتحتها فإذا هي تناسب التي قبلها و تزيد عليها بأمور ليست فيها ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها خمسة أقفال القفل الأول لا مفتاح له و الثاني و الثالث و الرابع ذو مفتاح مفتاح و الخامس مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على ست و أربعين حركة ففتحتها فإذا هي معرفة الحجارة التي توقد بها النار في الآخرة و كيف تكون الحجارة تقبل الوقود و هي يابسة و اليابس لا يقبل الوقود في علم الطبائع و هل يجوز ما طبعه أمر ما أن يزال عنه طبعه مع بقاء عينه و ذاته فإن في هذا العلم زل كثير و جهل ممن أثبت ذلك و نفاه و كلتا الطريقتين غير محمودتين و لا صحيحتين و كل واحد منهما أثبته من غير وجهه و نفاه من غير وجهه قال تعالى يا نارُ كُونِي بَرْداً و شبه هذا ثم جئت البيت الخامس فرأيت فيه ثلاث خزائن الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال القفل الأول و الثاني و الثالث و الرابع لكل واحد منها مفتاحان و الخامس و السادس لكل واحد مفتاح و السابع لا مفتاح له تحوي هذه المفاتيح على مائة و ثلاث عشرة حركة ففتحتها فإذا فيها علوم الحس و المحسوس و الخيال و المتخيل و الفكر و ما يفكر فيه و الحافظ و المحفوظ و العقل و المعقول و جميع القوي التي تدرك بها العلوم و معرفة الجماعات و الأنوار و الاستشرافات و مجاري الأرواح في طرق السموات و مجاري الطبيعة في الحيوانات و النبات و الجماد و ما يختص به عالم الأنفاس من العلوم و يقف على نفس الرحمن الذي أتى من قبل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها ثلاثة أقفال على الأول و الثالث مفتاح مفتاح و على الثاني مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على أربعين حركة ففتحتها فإذا فيها علم الأسباب العامة في الوجود و الخاصة بأهل الله و أسباب النزول المضافة إلى الله التي يعتمد عليها و يوصل إلى الله من يعتمد عليها و طرد من يتركها من باب الله و من سعادته و هي علوم شريفة زهد فيها أكثر الناس فشقي و استعملها بعض الناس فسعد و تحوي على علم الشرائع المنزلة لا علم الشريعة الحكمية ثم جئت الخزانة الثالثة فرأيت عليها خمسة أقفال القفل الأول عليه مفتاح و كذلك بقية الأقفال و تحوي أقفالها على أربعمائة و أربع و ثلاثين حركة ففتحتها فإذا فيها صور علوم الالتفاف التفاف الأرواح بالأجساد و التفاف أرواح المحبين و المحبوبين و التفاف الساقين و التفاف اللام بالألف و معنى قوله وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ و التفاف المتضايفين و هذه كلها علوم الارتباطات رب و مربوب و إله و مألوه و قادر و مقدور و عالم و معلوم فهذه الخزانة تتضمن جميع العلوم فهذا قد ذكرنا جميع ما يحويه هذا المنزل من خزائن العلوم قال تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ غير أني تركت عند الدخول إلى هذا المنزل بيتا واحدا في دهليز هذا المنزل لا يفتح لكل أحد و قد فتح لي و دخلته و

عرفت ما فيه و هو يتضمن و يخزن فيه جميع مفاتيح الخزائن كلها التي تتضمنها هذه المنازل التي في هذا الكتاب و هو يحوي على أمور جليلة و للعارف به تحقق في إيجاد الكائنات عنه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و قد نبهنا على بعض ما في هذا المنزل من العلوم

(الباب الرابع و السبعون و مائتان في معرفة منزل الأجل المسمى من العالم الموسوي)

أتتك فتوح الكون بالبلد القفر مؤيدة بالعز و القسر و النصر

و بالليلة الغراء جاءت ركائب من العالم العلوي في كنف الغفر

فراجع إذا راجعت ربك وحده بتنزيه إيمان تولد عن ذكر

يراجعك من عرش و إن شاء من عمي بغير هواء حار في كونه فكري

قال تعالى ثُمَّ قَضَى أَجَلًا و هو نهاية عمر كل حي يقبل الموت وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ و هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الأولى و هو المعبر عنه بالبعث و لذلك قال تعالى ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ يعني فيه فإن الموت لا يمترون فيه فإنه مشهود لهم في كل حيوان مع الأنفاس و إنما وقعت المرية في البعث و هو الأجل المسمى المذكور و إنما لم يجعل أجل الموت مسمى لأن الله يقول وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ من في السَّماواتِ وَمن في الْأَرْضِ إِلَّا من شاءَ اللهُ فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون فأما أن يكونوا لكونهم على حقائق لا تقبل الموت فيكون استثناء منقطعا و إما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يسمعوا النفخ فلم يدركهم فلم يصعقوا فيكون استثناء متصلا فاعلم أيها السامع أن أهل الله إذا جذبهم الحق إليه سبحانه من مريد و مراد جعل في قلوبهم داعية إلى طلب سعادتهم فبحثوا عليها و فحصوا عنها و وجدوا في قلوبهم رقة و خشوعا و طلبا للسلامة مما الناس عليه من التكالب و التحاسد و التدابر و التنافر فإذا وفوا مكارم الأخلاق أو قاربوا ذلك وجدوا في أنفسهم داعية إلى الخلوات و الانفراد عن الناس فمنهم من أخذ في السياحة و لازم الجبال و الفلوات و منهم من كانت سياحته في البلاد كل ما أنس به أهل بلدة أو عرف فيها رحل عنها إلى غيرها و منهم من عزل في مسكنه بيتا و انفرد به و احتجب عن الناس كل ذلك ليقع له التفرد بالحق الذي دعاه إليه و الأنس به لا ليعلم و لا ليجد كونا من الأكوان من خرق عادة في ظاهر الحس أو في سره فلا يزال على كل ما ذكرناه إلى أن ينقدح له في نفسه لبعضهم أو في خياله لبعضهم أو من خارج لبعضهم من جانب الحق ما يحول بينه و بين نفسه و يستوحش من ذلك الوارد عليه و يطلب الأنس بالمخلوق في تلك الساعة فإذا سكت حكم الوارد عنه و عاد إلى حسه اشتاق إليه اشتياقا شديدا و استفرغ في محبة ذلك الوارد استفراغا عظيما و وجد حلاوته عند فقده و سرت اللذة في حسه و روحه و يأتيه في ذلك الوارد خطاب و تعريف بحاله أو بما يدعى إليه كإبراهيم بن أدهم حين نودي من قربوس سرجه ليس لهذا

خلقت و لا بهذا أمرت و آخر قيل له إن كنت تطلبني فقد فقدتني في أول قدم و آخر قيل له أنت عبدي فإن كان صاحب هذا الانقطاع من أصحاب الجبال و القفار جعل له الأنس في الحيوان و إن كان سائحا في البلدان جعل له الأنس في الحركة ما بين المدينتين و إن كان ممن لزم بيته جعل له الأنس في الروحانيات و كل هذا ابتلاء إلا أن يجعل الله له الأنس في الأرواح النورية الملكية فهذا يرجى فلاحه بل يتحقق و هي بشرى من الله سارعت إليه عناية منه به و ما عدا هذا فهو على خطر عظيم فليعمل في قطعه ثم إنه منهم من يظلم عليه الجو عند الوارد فيجد لذلك غما و ضيق صدر و عصرا في قلبه فليصبر فإنه يعقبه اتساع و انشراح ثم لا تزال الأرواح تلزمه في عالم خياله في أكثر حالاته و تظهر له في الحس في أوقات فلا يرمي بذلك و لا يزهد فيه و يتعمل في إزالة التعلق به و يقف مع الفائدة التي يأتيه بها فذلك المطلوب فإن سمع خطابا من وراء حجاب نفسه فليلق السمع و هو شهيد و يع ما يسمع فإن اقتضى الكلام جوابا على قدر فهمك فلتجب بقدر فهمك فإن رزقت العلم بذلك فهي العناية الكبرى و إن لم يقتض جوابا فلتحصل ما قيل لك في خزانة حفظك فإن له موطنا يحتاج إليه فيه و لا بد فيكون عندك بحكم الاستعداد لذلك الوقت فإن الله سبحانه يقول أعددت فإذا كان الحق مع نفوذ قدرته في الآن قد أعد أمور الأوقات ظهور أحكامها فالمخلوق أولى بهذا و قال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزائِنُهُ و إن هنا بمعنى ما فعم بها و بشيء و جعله مخزونا في خزائن غيبه عنا و لهذا قلنا إن الكون صادر من وجود و هو ما تحويه هذه الخزائن إلى وجود و هو ظهورها من هذه الخزائن لأنفسها بالنور الذي تكشف به نفسها فإنها في ظلمة الخزائن محجوبة عن رؤية ذاتها فهي في حال عدمها و قال وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ فما يتميز عنده إلا ما هو موجود له و لا يجري القدر إلا في عين مميزة عن غيرها و ليس هذا صفة المعدوم من كل وجه فدل ذلك كله على وجود الأعيان لله تعالى في حال اتصافها بالعدم لذاتها و هذا هو الوجود الأصلي الإضافي و العدم الإضافي فثبتت الأحوال للعالم و لكل ما سوى الله و أن الوجود ليس عين الموجود إلا في حق الحق سبحانه حتى لا يكون معلولا لوجوده فإنه لو كان معلولا لوجوده لكان حالا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فإذا خلص الإنسان بعد خروجه من ظلمة طبعه و هواه إلى نور عقله و هداه أربعين صباحا ظهر عنه مثل ما ظهر له و أخذ عنه مثل ما أخذ و تلك أول درجة الدينار الثالث و أول قيراط منه و لا يزال فيه حتى يجب عليه أن يطلب على من يأخذ عنه فإذا وجب عليه ذلك وجوبا شرعيا كفروض الأعيان كلها كان ذلك أول قيراط من الدينار الرابع و سمي رجلا عند ذلك و إن لم يحصل له هذا الوجوب فليس برجل فكمال الرجولية فيما ذكرناه و سواء كان ذكرا أو أنثى و أما الكمال الذاتي و هو غير كمال الرجولية فهو أن لا يتخلل عبوديته في نفسه ربانية بوجه من الوجوه فيكون وجودا في عين عدم و ثبوتا في عين نفي و لذلك أوجده الحق فكمال الرجولية عارض و كمال العبودة ذاتي فبين المقامين ما بين الكمالين و أما درجات منازل هذين الكمالين

فمعلومة عندنا حيث هي فدرجة الكمال الذاتي في نفس الحق و درجات الكمال العرضي في الجنان فلهؤلاء النور و لهؤلاء الأجور قال تعالى لَهُمْ أَجْرُهُمْ يعني من كمالهم العرضي و ما يستحق الأجر من كل أمر عرضي و لهم نُورُهُمْ من كمالهم الذاتي اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و تقول الرسل قاطبة و هم الكمل بلا خلاف إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ فإن ذلك المقام يعطي الأجر و لا بد فيقع التفاضل في الكمال العرضي و لا يقع في الكمال الذاتي قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ و لم يقل لهم درجات عند الله فجعلهم أعيان الدرجات لأنهم عين الكمال الذاتي و بالكمال العرضي لهم الدرجات الجنانية فاعلم ذلك جعلنا الله ممن جمع بين الكمالين فإن حرمنا الجمع فالله يجعلنا من أهل الكمال الذاتي بمنه و كرمه و أنا أرجو من الله إني قد حصلته تحصيلا لا يحال بي دونه بحسن ظني بربي فما أعلاه من مشهد فإذا حصل للعبد هذا الكمال العرضي و رأى الإجابة الكونية لندائه من غير طلب دليل و لا برهان علم قطعا إن الحق قد تجلى لقلوب عباده و أنه سبحانه قد رفع الوساطة في أمره بينه و بين قلوب عباده فإن أمره سبحانه برفع الوسائط لا يتصور أن يعصى لأنه بكن إذ كن لا تقال إلا لمن هو موصوف بلم يكن و ما هو موصوف بلم يكن ما يتصور منه إباية و إذا كان الأمر الإلهي بالوساطة فلا يكون بكن فإنها من خصائص الأمر العدمي الذي لا يكون بواسطة و إنما يكون الأمر بما يدل على الفعل فيؤمر بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة فيقال له أقم الصلاة و آت الزكاة فاشتق له من اسم الفعل اسم الأمر فيطيعه من شاء منهم و يعصيه من شاء منهم فإذا أطاعوه كما قد ذكرنا بهذا التجلي الإلهي لقلوب عباده الذي لا يحتاج فيه المأمور إلى دليل و لا برهان لوجود الإجابة من نفسه ضرورة لأن الضرورة إنما تصورت هنا لكون الإنسان لا يقدر على دفع ما تكون في نفسه فإن كن إنما تعلقت بما تكون في نفس الإنسان فكان الحكم لما تكون فيمن تكون فآمن و لا بد أو صلى و لا بد أو صام و لا بد على حسب ما تعطيه حقيقة الأمر الذي تعلق به كن و قد يرد أمر الواسطة و لا يرد الأمر الإلهي فلا يجد المخاطب آلة يفعل بها فيظهر كأنه عاص و إنما هو عاجز فاقد في الحقيقة لأنه ما تكون فيه ما أمر به أن يتكون عنه و الله الغني الحميد و اعلم أن الفتوح الإلهي الذي يتعلق بالكون مثل النصر على الأعداء و القهر لهم و الرحمة بالأولياء و العطف عليهم إنما هو من نتائج الرجولة لا من غيرها فإذا حصل هذا المقام و أكمل نشأته ناداه الحق في سره من كماله سبحانه لكمال العبد الذاتي فنزه ذات موجدة عن الكمال العرضي و هو الكمال الإلهي فإن الكمال الإلهي بالفعل فهو في نفوذ الاقتدار في المقدورات و نفوذ الإرادة في المرادات و ظهور أحكام الأسماء الإلهية و الكمال الذاتي للذات الغني المطلق عن هذا كله فيكون العبد في هذا المقام لا يشهد ذات موجدة من كونها موصوفة بالألوهة و إنما مشهده غناها عما تستحقه الألوهة من الآثار الكونية فيفتقر إليها افتقارا ذاتيا فهو في عبادته تلك صاحب عبادة ذاتية من غير اقتران أمر بها لأن الأمر إنما متعلقة الأمور العارضة لا الذاتية فلا يقال

للعبد كن عبدا فإنه عبد لذاته و إنما يقال له اعمل كذا أيها العبد و عمله أمر عرضي و العمل متعلق الأمر من العبد و قد يعمل و قد لا يعمل و هذا المنزل يعطي جميع ما ذكرناه و يكون تنزيهه لذات موجدة بما يستحقه من الثناء الذي يليق بالكمال الذاتي ثم إنه بما فيه من الكمال العرضي الذي هو كمال الرجولة قد يصد ر عنه الثناء بما يستحقه الإله عا رضا بعا رض و لكن لا بطريق التنزيه فإن طريق التنزيه إنما هو للذات كما قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ للكمال الذاتي وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ للكمال الإلهي لطلب المسموع و المبصر و كل طالب يستدعي مطلوبا و المستدعي فاقد لما استدعاه من أحوال هذا العبد و الله غني حميد فلسان الأدب أن يقال طلبك لك لا له و في هذا ينبغي أن يقال ما قيل

كتاب فيه ما فيه بديع في معانيه

إذا عاينت ما فيه رأيت الد ر يحويه

و هو هذا المنزل و هذا الكلام الذي سردناه و الكتاب الذي سطرناه ففيه ما فيه لسان الحقيقة يدل على إن الأمر فوق ما ذكر و سطر و ليس في قوة الترجمة عنه و العبا رة أكثر مما ظهر و الله أكبر من ذلك ثم ستر هذا اللسان الحقيقي بقوله بديع في معانيه فكأنه يقول في قوله ما فيه على طريق التعجب به و الفرح و لهذا نبه على ذلك بما ذكره في البيت الثاني ثم إن الثناء على الله في هذا المنزل خاصة إنما هو بما تستحقه الربوبية لما خصصتك به من الفضل على أبناء جنسك لا بما تستحقه بما فضلت به على غيرك و ما أنعمت به على سواك فإن هذا المنزل لا يتضمن مثل هذا الثناء فيستعين العبد في هذا المنزل على تنزيه الحق بثناء الربوبية على نفسها من جهة ما خصتك به ثم إن العبد بعد استفراغ طاقته في الثناء على ربه بربه من جهة نعمته عليه لاح له علم إلهي في فلاة نفسه عن يمين طريقه فعرف أنه قد زل عن طريق ينبغي أن يسلك أيضا عليها و هنا مسألة دقيقة و هي تختص بهذا المنزل و ذلك أنه لما قيد ثناءه على ربه بما خصه به ربه هل ذلك نقص في المعرفة أو في معرفته أو ليس في الوسع إلا ما وقع و إذا لم يكن في الوسع فقد أتى بكمال ما في الوسع و ذلك أنه إذا أثنى على ربه بما كان منه سبحانه لغير هذا العبد المثنى فلا يخلو إما أن يثني عليه بما تحققه علما في نفسه و لا يكون إلا كذلك فقد صا ر هو منعوتا بذلك العلم و إن لم تقم به تلك الأوصاف التي وقع بها الثناء على الغير فوصفه بالعلم بذلك ثناء منه على ربه بما خصه به من العلم بذلك و هو صفة إلهية فإن الحق سبحانه يثني على عبده بما ليس هو الحق عليه و لا هي صفته فالثناء على الله من ذلك وصفه سبحانه بالعلم بذلك و الخلق له فيثني على العبد بالطاعة و ليست من صفات الحق كذلك هذا العبد إذا أثنى على ربه بما أعطى لغيره فثناؤه على ربه بما أعطاه في نفسه هو ما حصل له من ربه من العلم بذلك فاذن فما أثنى على ربه إلا بما خصه به سواء أثنى على ربه بما أعطاه سبحانه

لغيره أو لم يذكر الغير و لا تعرض له فتحقق هذه المسألة فإنها من الحقائق و الحقائق لا تقبل التبديل و هذا المنزل من حصل فيه يعطيه ما ذكرناه فإذا لاح له ذلك العلم الذي ذكرناه ستره نظره إليه عما هو عليه و عرف أن ذلك العلم يدل على أمر غيبي ينبغي له أن يبقيه في غيبه و لا يظهره و يرجع من حال الخطاب بالمواجهة و الحضور إلى الخطاب بالغيبة فإنه أنزه لأن الحقائق تعطي أنك ما حضرت إلا معك فإن الأمر إذا أعطى للحاضر في حضوره مع من حضر أنه لا يتمكن أن يحضر معه الأعلى حد ما تعطيه مرتبتك فمعك حضرت لا معه فإنه ما تجلى لك منه إلا قد ر ما تعطيه مرتبتك فافهم ذلك تنتفع به و لا يغب هذا عنك في رجوعك إليه مما رجعت عنه لئلا تتخيل إنك رجعت إلى أعلى منك فإنك ما رجعت منك إلا إليك و الحق سبحانه لا يرجع إليك إلا بك لا به لأنه ليس في الوسع أن يطيقه مخلوق و لهذا تتنوع رجعاته و تختلف تجلياته و تكثر مظاهره و لا تتكرر و هو في نفسه منزه عن التكثر و التغير لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فيما ينسب إلى ذاته قال تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا فرجوع العباد إليه نتيجة رجوعه إليهم بإعطاء ما رجعوا به إليه فإذا رجعوا إليه ضاعف لهم الرجوع الإلهي الذي ينتجه رجوعهم إليه الذي هو في نفسه ينتجه رجوعه الأول إليهم فالرجوع الإلهي الأول رجوع عناية و تفضل و الرجوع الثاني الذي أنتجه رجوعهم إليه سبحانه في قوله من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا فمقدار الشبر من الذراع في الرجوع رجوع استحقاق يستحقه رجوعهم إليه و الشبر الثاني الذي به كمال الذراع من الرجوع رجوع منه لترجيح الوزن و الوصف بالفضل و الترغيب و التحضيض على معاملة الكريم فالرجوع الإلهي الثاني يتضمن أمرين رجوع الاستحقاق منه بمنزلة الجسد و رجوع المنة منه بمنزلة الروح للجسد الذي به حياته فإنه و إن كان الاستحقاق بما أوجبه الحق على نفسه فإن الحقيقة تعطي أن لا يستحق العبد شيئا على سيده فمن منته سبحانه على عبد إن أوجب له على نفسه ليأنس العبد بما أوجبه الحق عليه من طاعته ليسارع بأداء ما وجب عليه فإذا حصل العبد في هذا المقام فليس وراءه مرمى لرام و يعلم أن الله قد أراد أن ينقله من عالم شهادته إلى عالم غيبه ليكون له غيبه شهادة في موطن آخر غير هذا الموطن له حكم آخر و هو الموطن الذي تكون فيه المظاهر الإلهية و هو أوسع المواطن فلهذا عبر عن هذا المنزل بالأجل المسمى لأنه أجل البعث إليه من عالم الشهادة المقيد بالصورة التي لا تقبل التحول في الصور لكن تقبل التغيير و هو زوال عينها بغيرها لذلك الغيب الذي كانت به فيد بر الروح الغيبي صورة ذلك الغير فلهذا قلنا يقبل التغيير و لا يقبل التحويل فإن الحقائق لا تتبدل فانتقاله إلى موطن التحول في الصور يسمى أجلا مسمى أي معلوم النهاية و كان من المقام الموسوي دون غيره لأنه لم يرد في الخبر أنه عليه السلام رأى في إسرائه من جمع بين صورتين سوى موسى عليه السلام فرآه في السماء و كان بينهما ما كان و هو في قبره يصلي و النبي يراه صلى الله عليه و سلم عليهما في الحالتين معا و لا يقال في مثل هذا الكشف إن الآن لا يتسع لأمرين متعارضين في الشخص الواحد

فصحيح ما يقول و لكن أين الآن هنا إنما ذلك لمن تقيد بالزمان و تعين بالمكان فإذا كان الموجود لا يتقيد بالزمان و لا بالمكان فلا يستحيل هذا الوصف عليه و إذا فهمت ما أشرنا إليه لم يعارض ما ذهبنا إليه و ذكرناه كون الإسراء وقع بالليل و هو الزمان و كون موسى عليه السلام في القبر و السماء و هما المكان فإنك أنت تسلم من مذهبك إن الجسم لا يكون في مكانين و أنت تؤمن بهذا الحديث فإن كنت مؤمنا فقلد و إن كنت عالما فلا تعترض فإن العلم يمنعك و ليس لك الاختيار فإنه لا يختبر إلا الله و لا تتأول أن الذي في الأرض غير الذي في السماء فإن النبي عليه السلام ما قال رأيت روح موسى و لا جسد موسى و إنما قال رأيت موسى في السماء و معلوم أنه مدفون في الأرض و كذلك سائر من رآه من الأنبياء عليهم السلام فالمسمى موسى إن لم يكن عينه فالإخبار عنه كذب إنه موسى هذا و أنت القائل رأيتك البارحة في النوم و أنت تقول كذا و كذا و المرئي معلوم أنه كان في منزله على حالة غير الحال التي رآه عليها أو عليها و لكن في موطن آخر و لا تقول له رأيت غيرك ثم تنكر علينا مثل هذا و إنما تختلف الحضرات و المواطن و تختلف الأحوال و العين واحدة فهذا قد ذكرنا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل و سكتنا عن بيوته و خزائنه فما من منزل إلا و له بيوت و خزائن و أقفال و مفاتيح و لكن يطول ذكرها في كل منزل و ربما إذا بيناها يدعيها الكاذب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل علم إتيان المعاني في الصور و علم الفتوح و له باب قد تقدم و علم الوافدين على الحق و علم التنزيه و علم الستر و التجلي و علم الرجوع الإلهي على من يرجع هل يرجع على عباده أو على أسمائه

«الباب الخامس و السبعون و مائتان في معرفة منزل التبري من الأوثان من المقام الموسوي و هو من منازل الأمر السبعة»

منازل الأمر بالندا منازل ما لها انتها
يا أي يا أي لا تفارق فكونكم ما له انقضا
و أي أي يكون منه لوجهه بيننا رآء
عساكر للحروف جاءت يضيق عن حملها الفضاء
أرماحها كلها نجوم أيدها الأمر و القضاء
سفائن بحرها عميق قد مخرت ريحها رخاء
فلتلتزم يا أخي علما ضاق له الأرض و السماء

و لتترك الغير في عماه بمشهد ما هو العماء

اعلم أن الذلة و الافتقار لا تكون من الكون إلا لله تعالى فكل من تذلل و افتقر إلى غير الله تعالى و اعتمد عليه و سكن في كل أمره إليه فهو عابد وثن و ذلك المفتقر إليه يسمى وثنا و يسميه المفتقر إلها و ألطف الأوثان الهواء و أكثفها الحجارة و ما بينهما و لهذا قال المشركون لما دعوا إلى توحيد الإله في ألوهته أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ فالناس يحملون قوله إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ إنه من قول الكفار حيث دعاهم إلى توحيد إله و هم يعتقدون كثرتها و هو عندنا من قول الحق أو قول الرسول و أما قول الكفار فانتهى في قوله إِلهاً واحِداً و التعجب إنه يأول العقل يعلم الإنسان أن الإله لا يكون بجعل جاعل فإنه إله لنفسه و لهذا وقع التوبيخ بقوله تعالى أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ و الإله في ضرورة العقل لا يتأثر و قد كان هذا خشبة يلعب بها أو حجرا يستجمر به ثم أخذه و جعله إلها يذل و يفتقر إليه و يدعوه خوفا و طمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فوقع التعجب من ذلك ليعلم من حجب العقول عن إدراك ما هو لها بديهي و ضروري ذلك لتعلموا إن الأمور بيد الله و أن الحكم فيها لله و أن العقول لا تعقل بنفسها و إنما تعقل ما تعقله بما يلقي إليها ربها و خالقها و لهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل و من عقل محبوس في كن و من عقل طلع على مرآته صدا فلو كانت العقول تعقل لنفسها لما أنكرت توحيد موجدها في قوم و علمته من قوم و الحد و الحقيقة فيهما على السواء فلهذا جعلنا قوله تعالى إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ ليس من قول الكفار فاعلم يا أخي أن هذا المنزل هو منزل من منازل الستر و الكتمان و تقرير الألوهة في كل من عبد من دون الله لأنه ما عبد الحجر لعينه و إنما عبد من حيث نسبة الألوهة إليه و لهذا ذكرنا أنه من منازل الكتمان و الستر قال تعالى وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ من خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فما ذكروا قط إلا الألوهية و ما ذكروا لأشخاص و لكن لم يقبل الله منهم العذر بل قال إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ من دُونِ الله أي الذي انفرد بهذا الاسم حَصَبُ جَهَنَّمَ و هو قوله وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ و هو كل من دعاكم إلى عبادة نفسه أو عبدتموه و كان في وسعه أن ينهاكم عن ذلك فما نهاكم فمثل هؤلاء يكونون من حصب جهنم فالموحد يعبد الله من طريقين من طريق الذات من كونها تستحق وصف الألوهة و من طريق الألوهة فالسعيد الجامع بينهما لأن العابد مركب من حرف و معنى فالحرف للحرف و المعنى للمعنى فلذلك لم نعبد الذات معراة عن وصفها بالألوهية و لم تعبد الألوهية من غير نسبتها إلى موصوف بها فلم تقم العبادة إلا على ما تقتضيه حقيقة العبد و هو التركيب لا على ما تقتضيه حقيقة الحق و هو الأحدية و لهذا يكون القائل في عبادته وفاء لحق الله غير مصيب إذا أراد الذات فإن حقيقتها الأحدية و قد يمكن أن يصح قول من قال إنما أعبده وفاء لحق الربوبية لا لحقيقتها إذ كل حق له حقيقة فالحق من ذلك به تتعلق العبادة من العابد و الحقيقة هي الأحدية التي لا تتعلق و لا يتعلق بها و لهذا كانت

الألف في الوضع الإلهي بالخط العربي إذا تقدمت في الكلمة لا تتصل و لا يتصل بها و إذا تأخرت اتصل بها بعض الحروف ممن لا علم له بالأحدية المطلقة التي تستحقها هذه الذات إلا خمسة أحرف لا غير من جميع الحروف و هي الدال و الذال و الراء و الزاي و الواو و هي خمسة أحوال من اتصف بها عرف الأحدية و كانت عبادته ذاتية لم يقترن بها أمر و هي عبادة المعنى للمعنى فإن الأمر عبادة الحرف للحرف فلا يخطر لعابد المعنى فرق بين الذات و الألوهية و لا كثرة بل يرى عينا واحدة تستحق ما هو عليه هذا العارف من حيث معناه لا من حيث حرفه و هذا مقام الجلال و العظمة و أحدية العبد التي أعطته معرفة الأحدية الذاتية و التنزيه و الغني فهذه أحوال خمسة تدل عليها الحروف الخمسة التي لا تتصل بها الألف الواقعة في أواخر الكلم مثل جبيرا و عزيزا و أحدا و إذا و علوا فدلت الألف في أول الكلمة من عدم الاتصال على قوله كان الله و لا شيء معه و هو على ما عليه كان مع وجود الأشياء من عدم الاتصال كما لم تتصل الألف بالكلمة و دل عدم اتصال الحروف الخمسة بها في آخر الكلمة على حال معرفة مقام بعض العباد من العلماء بالله دون غيرهم حيث رفعوا النسبة بينهم و بين الله تعالى و أنهم مشاهدون لما ذكرناه من الجلال و العظمة و الأحدية و التنزيه و الغني و ما عدا هذه الطائفة جعلوا نسبة و رابطة بين الإله و المألوه و ما فرقوا بين المرتبة و الذات لما لم يعرفوا الله إلا من نفوسهم بحكم الدلالة لاستناد الممكن إلى المرجح فطلبوه و طلبهم و لهم من الحروف كل حرف اتصل بالألف في آخر الكلمة و لهؤلاء الأكابر أيضا قسم و حظ وافر في منزل هذه الحروف التي اتصلت من حيث حرفيتهم لا من حيث معناهم و هؤلائك جهلوا هذا القدر الفارق بينهم لكنهم ستروا ذلك عن العامة و انفردوا به عن أشكالهم يختص برحمته من يشاء و لأجل هذا قال الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق فإن هذا المقام يضر بمن ليس من أهله كما يضر رياح الورد بالجعل لأن الحال التي هم عليها لا تقبل هذا المقام و لا يقبلها فإذا رآهم الناس في العموم لم يعرفوهم لأنه ليس على حرفهم أمر ظاهر يتميز به عن العامة و إذا رآهم الناس في الخصوص كالفقهاء و أصحاب علم الكلام و حكماء الإسلام قالوا بتكفيرهم و إذا رآهم الحكماء الذين لم يتقيدوا بالشرائع المنزلة مثل الفلاسفة قالوا إن هؤلاء أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم و ضعفت عقولهم فلا يعرفهم سواهم و من اقتطعهم من خلقه إليه قال تعالى في المعنى وَ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و لهؤلاء حظ وافر في هذه الآية حيث جهلهم العام و الخاص و المسلم و غير المسلم فهم الضنائن المصانون بحجب الغيرة فلا يعرفهم إلا الحق و هل يعرف بعضهم بعضا فيه توقف و هم المطلوبون من العباد ألحقنا الله بهم و أرجو أن أكون منهم و أما تبري المسلم ممن استند إليه المشرك فليس تبرؤه إلا من النسبة و من المنسوب إليه لا من المنسوب فاجتمع المشرك و المسلم في المنسوب و افترقا في المنسوب إليه و النسبة و لهذا لم تضرب الجزية على المشرك و فرق بينه و بين الكفار من أهل الكتب المنزلة فإن

المشرك قادح في الحق و في الكون بشركه فلم يكن له مستند يعصمه من القتل لأنه قدح في التوحيد و في الرسل و الكفار من أهل الكتاب لم يقدحوا في التوحيد و لا في الكون أعني الرسل لكن قدحوا في رسول معين لهوى أو شبهة قائمة بنفوسهم أداهم ما قام بهم إلى جحود الحق ظلما و علوا مع اليقين به و إما لشبهة قامت بهم لم يثبت صدق صاحب الدعوى عندهم فلهذا كان لهم في الجملة مستند صحيح عندهم لا في نفس الأمر يعصمهم من القتل فضربت عليهم الجزية و تركوا على دينهم ليقيموه أو يقيموا بعضه على قدر ما يوفقون إليه و هنا نكتة لمن فهم إن دينهم مشروع لهم بشرعنا حيث قررهم عليه و لهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سمع أن الروم قد ظهرت على فارس يظهر السرور في وجهه مع كون الروم كافرين به صلى الله عليه و سلم و لكن الرسول لعلمه صلى الله عليه و سلم كان منصفا لأنه علم إن مستند الروم لمن استند إليه أهل الحق لأنهم أهل كتاب مؤمنون به لكنهم طرأت عليهم شبهة من تحريف أئمتهم ما أنزل عليهم حالت بينهم و بين الايمان و الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم أو بعمومها و كلامنا مع المنصف منهم من علمائهم فعذرهم الشرع لهذا القدر الذي علمه منهم و راعى فيهم جناب الحق تعالى حيث وحدوه و ما أشركوا به حين أشرك به فارس و عبدة الأوثان و قدحت في توحيد الإله و ما يستحقه من الأحدية و هكذا حال العارفين من أهل هذا المقام و أما قول رسول الله صلى الله عليه و سلم في أمره إيانا بمخالفة أهل الكتاب إنما هو في كونهم آمنوا ببعضه و كفروا ببعضه و أرادوا أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا فأمرنا بمخالفتهم في أمور من الأحكام معينة و فيما ذكرناه و لو أمرنا بمخالفتهم على الإطلاق لكنا مأمورين بخلاف ما أمرنا به من الايمان فلا تصح مخالفتهم على الإطلاق فهذا المراد بقوله صلى الله عليه و سلم خالفوا أهل الكتاب و اعلم أن كل مشرك كافر فإن المشرك باتباع هواه فيمن أشرك و اتخذه إلها و عدوله عن أحدية الإله يسترها عن النظر في الأدلة و الآيات المؤدية إلى توحيد الإله فسمي كافرا لذلك الستر ظاهرا و باطنا و سمي مشركا لكونه نسب الألوهية إلى غير الله مع الله فجعل لها نسبتين فأشرك فهذا الفرق بين المشرك و الكافر و أما الكافر الذي ليس بمشرك فهو موحد غير أنه كافر بالرسول و ببعض كتابه و كفره على وجهين الوجه الواحد أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله و الوجه الآخر أن يكون عالما برسول الله و بما جاء من عند الله أنه من عند الله و يستر ذلك عن العامة و المقلدة من أتباعه رغبة في الرئاسة و هو الذي أراد عليه السلام بقوله في كتابه إلى قيصر فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين يعني الأتباع و اعلم أن التأيه و النداء مؤذن بالبعد عن الحالة التي يدعوه إليها من يناديه من أجلها فيقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فلبعدهم مما أيه بهم أن يؤمنوا به لذلك أيه بهم فإن كانوا موصوفين في الحال بما دعاهم إليه فيتعلق البعد بالزمان المستقبل في حقهم أي اثبتوا على حالكم الذي ارتضاه الدين لكم في المستقبل كما قال يعقوب لبنيه وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ في حال حياتهم فأمرهم بالإسلام في المستقبل أي

بالثبوت عليه و الاستقبال بعيد عن زمان الحال فيكون التأيه أيضا بما هو موجود في الحال أن يكون باقيا في المستقبل قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و هم في حال الوفاء بعقد الايمان فإنه نعتهم في تأيهه بهم بالإيمان فكان البعد في العقود إذا قبلوها متى قبلوها و اعلم أن النداء الإلهي يعم المؤمن و الكافر و الطائع و العاصي و الأرواح و الروحانيين و لا يكون النداء إلا من الأسماء الإلهية ينادي الاسم الإلهي من حكم عليه اسم إلهي غيره إذا علم أنه قد انتهت مدة حكمه فيه فيأخذه هذا الاسم الذي ناداه كذلك دنيا و آخرة فجميع من سوى الله تعالى منادى يناديه اسم إلهي لحال كوني يطلبه به ليوصله إليه فإن أجاب سمي مطيعا و كان سعيدا و إن لم يجب سمي عاصيا و كان شقيا فإن قال قائل كيف يكون النداء من اسم إلهي و يقف الكون عن إجابته مع ضعفه و قبوله للاقتدار الإلهي قلنا لم تكن إبايته عن إجابته من حيث نفسه و حقيقته لأنه مقهور دائما و لكن لما كان تحت قهر اسم إلهي لم يتركه ذلك الاسم أن يجيب من ناداه فالتنازع وقع بين الأسماء الإلهية و هم أكفاء و الحكم لصاحب اليد و هو الاسم الذي هو في يده في وقت نداء الاسم الآخر فلهذا كان أقوى للحال فإن قلت فلما ذا يؤاخذ بالإباءة قلنا لأنه ادعى الإباية لنفسه و لم يضفها إلى الاسم الإلهي الذي هو تحت قهره فإن قلت فالأمر باق فإنه إنما أبي لقهر اسم إلهي كانت الإباية عنه في هذا المدعو قلنا صدقت و لكنه جهل ذلك فأخذ بجهله فإن الجهل له من نفسه فإن قلت فإن جهله من اسم إلهي حكم عليه قلنا الجهل أمر عدمي لا وجودي و الأسماء الإلهية تعطي الوجود ما تعطي العدم فالعدم للمدعو من نفسه و الجهل عدم العلم فلم يدر المعترض ما اعترض به و الأسماء الإلهية لا تعطي إلا الوجود فلم يلزم ما ذكرته و انقطع الاعتراض من هذا القائل بما ذكرناه و إذا ثبت أن النداء يعم فالمنادي به أيضا يعم و لكن نداء الحق لا يكون إلا بما يكون في إجابته السعادة للعبد و أما النداء بما يكون فيه الشقاوة للعبد فذلك ليس نداء الحق و النداء من صفة الكلام فكل فعل يفعله العبد ينقسم إلى أمرين إلى فعل فيه سعادة ذلك العبد و هو الذي يقترن به نداء الحق تعالى و فعل لا يقترن به سعادة العبد فليس عن نداء الحق لكنه عن إرادة الحق و خلقه لا عن ندائه و أمر شرعه و نفي السعادة فيه على قسمين الواحد أن يكون فعلا لا يقترن به شقاوة و لا سعادة أو يكون فعلا تقترن به شقاوة و الفعل الذي تقترن به الشقاوة على قسمين قسم تقترن به على الأبد و هي شقاوة الشرك و شقاوة لا تقترن به على الأبد و هو كل فعل لا يكون شركا و لا نداء للحق فيه البتة فهذا المنزل هو منزل النداء لا منزل الأفعال و سيأتي إن شاء الله منازل الأفعال و يشتبه على بعض العارفين هذا المنزل و إخوانه بمنزل الأفعال لكونه يرى النداء بالأفعال و ليس المنزل واحدا في ذلك بل النداء له منزل و الفعل له منزل و اعلم أن النداء على مراتب لكل مرتبة أداة معينة فالأدوات الهمزة و يا و أيا و هيأ و أي مسكنة الياء فأقربها الهمزة في الرتبة و أبعدها هيأ و النداء قد يصحبه التنبيه و قد لا يصحبه التنبيه فإذا كان النداء بأي فهو نكرة فلا بد من التنبيه لأن

النداء إنما يطلب التعريف و هو بنفس المنادي فلا بد أن يصحب هاء التنبيه لأي في النداء لأن التنبيه تعريف ثم يردف التنبيه باسم المنادي ليعرف المنادي أنه منادى دون غيره فإن كان اسمه ناقصا كالذين فلا بد له من صلة و هو الذي يصفه به ليتم به المقصود و لا بد من رابط بين هذه الصلة و الموصول ليعلم أنه المراد بذلك النداء و إن لم يردف باسم ناقص لم يحتج إلى ما ذكرناه فيقال يا أَيُّهَا النَّاسُ و أمثال هذا و أما إذا لم يقترن بالنداء أي فإن النداء يتصل باسم المنادي و قد يكون منادى منكورا مطولا مثل قوله تعالى يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ و مثل قوله يا عجبا قال الشاعر

يا عجبا لهذه الفليقه هل تذهبين القربالربيقة

و قد يكون منادى يعرف مثل يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ و لا يكون ما بعد النداء أبدا إلا منصوبا إما لفظا و إما معنى و لهذا عطف بالمنصوب على الموضع في قوله تعالى وَ الطَّيْرَ بالنصب عطفا على موضع يا جبال و إن كان مرفوعا في اللفظ فقد يراعي اللفظ في أوقات و لهذا قرئ أيضا و الطير بالرفع و لكل فصل من هذه الفصول حقائق إلهية لو لا التطويل لذكرناها فصلا فصلا فتركناها لمن يقف على كلامنا من العارفين كالتنبيه لهم على ما يتضمنه منزل النداء من المعاني الإلهية و أن الكون مرتبط بعضه ببعض ارتباط المعاني بالكلمات و ربما جعلوا الواو من أدوات النداء و لكن خصوها بنداء خاص لحال خاص بخلاف سائر الأدوات فخصوها بالانتداب فينادون الميت و أجبلاه و اسنداه و به يعذب الميت الملك يطعنه في خاصرته أن هكذا كنت و يقولون وا زيداه وا سلطاناه و لا بد في هذا النداء من إدخال الهاء هاء السكت في آخره لأنه ليس من شرط هذا النداء أن يقال بعده شيء فلهذا أدخل هاء السكت عليه فيكتفي به فيقول وا جبلاه وا حزناه و لا يحتاج إلى أمر آخر و إذا قلت يا زيد و ناديته بسائر حروف النداء من غير نداء الندبة فلا بد أن تذكر السبب الذي ناديته من أجله فتقول يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا فلا تكون هاء السكت إلا في نداء الندبة خاصة و أما النداء المرخم فإنهم يريدون به تسهيل الكلام ليخف على المنادي ليصل إلى المقصود مسرعا بماحذفه من الكلمة فإن الترخيم التسهيل و منه رخيم الدلال في وصف المعشوق المستحسن أي هو سهل و مثل الترخيم في المرخم هو أن تحذف الآخر من اسم المنادي فتقول إذا ناديت من اسمه حارث يا حار هلم فحذفت آخر الكلمة طلبا للتسهيل و لتعلم إن الأسماء و أسماء الأفعال على قسمين معرب و مبني فما تغير آخره بدخول العوامل سمي معربا و الإعراب التغيير يقال أعربت معدة الرجل إذا تغيرت و قد تغير هذا الاسم من حال إلى حال هذا بعض وجوه اشتقاقه من كونه سمي معربا و المبني هو كل اسم لفعل كان أو لغير فعل ثبت على صفة واحدة لفظه و لم يؤثر فيه دخول العوامل التي تحدث التغيير في العرب عليه فسمي مبنيا من البناء لثبوته و عدم قبوله للتغيير و هذا له باب في الصفة الثبوتية

للاله من كونه ذاتا و من ثبوت نسبة الألوهية إليه دائما و المعرب له باب في المعارف الإلهية من قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ فهذا الفرق بين المعرب و المبني فإذا رخم الاسم فقد ينتقل إعرابه إلى آخر ما يبقى من حروف الكلمة فتقول يا حار هلم بعد ما كانت الراء مكسورة نقل إليها حركة الثاء ليعرف السامع أنه قد حذف من الاسم حرف فإنه إنما يعرف المنادي اسمه إذا كان اسمه حارثا بالثاء فإذا حذف الثاء ربما يقول ما هو أنا فإذا نقل إلى الراء حركة الثاء علم أنه المقصود كذلك إذا نودي العبد باسم إلهي ربما يقع في نفسه أنه جدير بذلك الاسم فينقل وصف عبوديته إلى ذلك الاسم الإلهي الذي نودي به هذا العبد فيعرف أنه المقصود من كونه عبدا لاستصحاب الصفة له هذا إذا نقل و إذا لم ينقل حركة المحذوف من الاسم لما بقي و ترك على حاله كان القصد في ذلك قصدا آخر و هو ترك كل حق على حقيقته حتى لا يكون لكون أثر في كون و لا يظهر لكون خلعة على كون ليكون المنفرد بذلك هو الله تعالى فإن الضمة التي على الثاء من حارث هي لباسه فإذا خلعها على الراء في الترخيم فقد خلع كون على كون فربما قصده المخلوع عليه بالعبودية له و الثناء عليه و الخلع على الحقيقة إنما هو للمتكلم المنادي لا لحرف الثاء فالمنادي هو الذي خلع على الراء الرفع الذي كان لحرف الثاء لما أزال عينه من الوجود كخلع القطبية و الإمامة من الشخص الذي فقد عينه إلى الشخص الذي قام في ذلك المقام إذ كان الله هو الذي أقامه لا هذا الإمام الذي درج فهذا قد بينا في هذا المنزل بعض ما عندنا من أسراره ليقع التنبيه على ما فيه للطالب إن شاء الله تعالى وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و السبعون و مائتان في معرفة منزل الحوض و أسراره من المقام المحمدي»

الحوض منزل وصف الماء بالكدر ... و هي العلوم التي تختص بالبشر

فالماء في العين صاف ما به كدر ... و القعر يظهر ما فيه من الكدر

و علة الرنق كون الفكر ينتجه ... فاطلب من العلم ما يسمو عن الفكر

إن الخيال إذا جاءته قيدها ... بالفكر في عالم الأجساد و الصور

و الفكر من صورها وقتا يخلصها ... لكنه غير معصوم من الضرر

فاطلبه بالذكر لا بالفكر تحظ به ... منزها خالصا من شائب الغير

اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك و حسن سريرتك أن العلوم على قسمين موهوبة و هو قوله تعالى لِأَكُلُوا من فَوْقِهِمْ و هي نتيجة التقوى كما قال تعالى وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قال إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و قال الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ و مكتسبة و إليها الإشارة

بقوله تعالى وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ يشير إلى كدهم و اجتهادهم و هم أهل الاقتصاد و الضمير في أرجلهم يعود على الذين أكلوا من فوقهم و هم الذين أقاموا كتاب الله وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ من رَبِّهِمْ و هم المسارعون في الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ فمنهم من سبق بالخيرات و منهم من أقام الكتاب من رقدته فإن التأويل من العلماء أضجعه بعد ما كان قائما فجاء من وفقه الله فأقامه من رقدته أي نزهة عن تأويله و التعمل فيه بفكره فقام بعبادة ربه و سأله أن يوقفه على مراده من تلك الألفاظ التي حواها الكتاب و التعريف من المعاني المخلصة عن المواد فأعطاهم الله العلم غير مشوب قال تعالى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يعلمهم الحق ما يؤول إليه هذا اللفظ المنزل المرقوم و ما أودع فيه من المعاني من غير فكر فيه إذ كان الفكر في نفسه غير معصوم من الغلط في حق كل أحد و لهذا قال وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا يعني بالفكر فيما أنزلته بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى الأخذ منك علم ما أنزلته إلينا وَهَبْ لَنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فسأله من جهة الوهب لا من جهة الكسب و لهذا جعلنا الضمير يعود على الذين أكلوا من فوقهم يقول و من تحت أرجل هؤلاء أمم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ و هم أهل الكسب و هم الذين يتأولون كتاب الله و لا يقيمونه بالعمل الذي نزل إليه و لا يتأدبون في أخذه و هم على قسمين القليل منهم المقتصد في ذلك و هو الذي قارب الحق و قد يصيب الحق فيما تأوله بحكم الموافقة لا بحكم القطع فإنه ما يعلم مراد الله فيما أنزله على التعيين إلا بطريق الوهب و هو الإخبار الإلهي الذي يخاطب به الحق قلب العبد في سره بينه و بينه و من لم يقتصد في ذلك و تعمق في التأويل بحيث إنه لم يترك مناسبة بين اللفظ المنزل و المعنى أو قرر اللفظ على طريق التشبيه و لم يرد علم ذلك إلى الله فيه و هم الذين قال الله فيهم في الآية عينها وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ و أي سوء أعظم من هذا و هؤلاء هم القسم الثاني و لما شاهد الرسول هذا الأمر و قد بعث رحمة بما نزل به و رأى الكثير لم تصبه هذه الرحمة و أن علة ذلك إنما كان تأويلهم بالوجهين من التشبيه أو البعد عن مدلول اللفظ بالكلية تحير في التبليغ و توقف حتى يرى هل يوجب ذلك عليه ربه أم لا فأنزل الله تعالى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ و قيل له فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ و قيل له لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ فيما يجري منهم من خير و شر و قيل له إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ فعلم الرسول أن المراد منه التبليغ لا غير فبلغ صلى الله عليه و سلم و ما أخفى مما أمر بتبليغه شيئا أصلا فإنه معصوم محفوظ قطعا في التبليغ عن ربه ما أمر بتبليغه و ما خص به فهو فيه على ما يقتضيه نظره فالتقدير في الآية على التفسير وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ أمم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ و لهذا قال لنبيه وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ من فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ و قال ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فأشرف العلوم ما ناله العبد من طريق الوهب و إن كان الوهب يستدعيه استعداد الموهوب إليه بما اتصف به من الأعمال الزكية المشروعة و لكنه لما لم يكن ذلك شرطا في حصول هذا العلم لذلك تعالى هذا العلم عن الكسب فإن

بعض الأنبياء تحصل لهم النبوة من غير أن يكونوا على عمل مشروع يستعدون به إلى قبولها و بعضهم قد يكون على عمل مشروع فيكون ذلك عين الاستعداد فربما يتخيل من لا معرفة له أن ذلك الاستعداد لولاه ما حصلت النبوة فيتخيل أنها اكتساب و النبوة في نفسها اختصاص إلهي يعطيه لمن شاء من عباده و ما عنده خبر بشرع و لا غيره و لا يعرف من هو و لا بما هو الأمر عليه فلو كان الاستعداد ينتج هذا العلم لوجد ذلك في الأنبياء و لم يقع الأمر كذلك فإن النبوة غير مكتسبة بلا خلاف بين أهل الكشف من أهل الله و إن كان اختلف في ذلك أهل الفكر من العقلاء فذلك من أقوى الدلالات عندنا على إن الفكر يصيب العاقل به و يخطئ و لكن خطؤه أكثر من إصابته لأن له حدا يقف عنده فمتى ما وقف عند حده أصاب و لا بد و متى جاوز حده إلى ما هو لحكم قوة أخرى يعطاها بعض العبيد قد يخطئ و يصيب عصمنا الله و إياكم من غلطات الأفكار و جعلنا من الذاكرين المذكورين بفضله لا رب غيره و لنا فيما ذكرناه آنفا نظم كتبت به إلى بعض الإخوان سنة إحدى و ستمائة من مدينة الموصل في النبوة إنها اختصاص من الله تعالى و لذلك لا يشوب رائقها كدر

ألا إن الرسالة برزخية ... و لا يحتاج صاحبها لنية

إذا أعطت بنيته قواها ... تلقتها بقوتها البنية

و إن الاختصاص بها منوط ... كما دلت عليه الأشعرية

و هذا الحق ليس به خفاء ... فدع أحكام كتب فلسفيه

في أبيات كثيرة و لكن قصدنا إلى الأمر الذي يطلبه هذا الموضع منها و لتعلم إن سبب ظهور الأكدار إنما هو قرار الماء و سكونه لطلب الراحة من الحركة في غير موضعها و محلها و لذلك كنينا عن هذه الحالة بالحوض لأن فيه قرار الماء و سكونه و قد قلنا في باب الغزل و النسيب أصف نزاهة المعشوق في نفسه

روحت كل من أشب بها ... نقلة عن مراتب البشر

غيرة إن يشاب رائقها ... بالذي في الحياض من كدر

أريد أن المحب إذا تعشق من صفته هذه حكم عليه هذا المعشوق فنقله إليه و كساه من ملابسه فأخرجه عن الذي يقتضيه عالم الطبيعة من كدر الشبه إذا كان المعشوق علما و الشبهات و الحرام إذا كان المعشوق عملا و الشهوات الطبيعية إذا كان المعشوق روحا مجردا عن المواد و عن البشرية إذا كان المعشوق ملكا و عما سوى الله إذا كان المحبوب هو الله فالمحب الصادق من انتقل إلى صفة

المحبوب لا من أنزل المحبوب إلى صفته ألا ترى الحق سبحانه لما أحبنا نزل إلينا في ألطافه الخفية بما يناسبنا مما يتعالى جده و كبرياؤه عن ذلك فنزل إلى التبشبش بنا إذا جئنا إلى بيته نقصد مناجاته و إلى الفرح بتوبتنا و رجوعنا إليه من إعراضنا عنه و التعجب من عدم صبوة الشاب من الشاب الذي هو في محل حكم سلطانها و إن كان ذلك بتوفيقه و إلى نيابته عنا في جوعنا و عطشنا و مرضنا و إنزاله نفسه إلينا منزلتنا لما جاع بعض عبيده قال للآخرين جعت فلم تطعمني و لما عطش آخر من عباده قال سبحانه لعبد آخر ظمئت فلم تسقني و لما مرض آخر من عباده قال لآخر من عباده مرضت فلم تعدني فإذا سأله هؤلاء العبيد عن هذا كله يقول لهم أما إن فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده أما إنه جاع فلان فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي أما إنه عطش فلان فلو سقيته لوجدت ذلك عندي و الخبر صحيح فهذا من ثمرة المحبة حيث نزل إلينا فلهذا قلنا إن الصدق في المحبة يجعل المحب يتصف بصفة المحبوب و كذا العبد الصادق في محبته ربه يتخلق بأسمائه فيتخلق بالغنى عن غير الله و بالعز بالله تعالى و بالعطاء بيد الله تعالى و بالحفظ بعين الله تعالى و قد علم العلماء التخلق بأسماء الله و دونوا في ذلك الدواوين و سبب ذلك لما أحبوه اتصفوا بصفاته على حد ما يليق بهم ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ إن العلوم و أعني بها المعلومات إذا ظهرت بذواتها للعلم و أدركها العلم على ما هي عليه في ذواتها فذلك العلم الصحيح و الإدراك التام الذي لا شبهة فيه البتة و سواء كان ذلك المعلوم وجودا أو عدما أو نفيا أو إثباتا أو كثيفا أو لطيفا أو ربا أو مربوبا أو حرفا أو معنى أو جسما أو روحا أو مركبا أو مفردا أو ما أنتجه التركيب أو نسبة أو صفة أو موصوفا فمتى ما خرج شيء مما ذكرناه عن إن يبرز للعلم بذاته و برز له في غير صورته فبرز العدم له في صورة الوجود و بالعكس و النفي في صورة الإثبات و بالعكس و اللطيف في صورة الكثيف و بالعكس و الرب بصفة المربوب و المربوب بصفة الرب و المعاني في صور الأجسام كالعلم في صورة اللبن و الثبات في الدين في صورة القيد و الايمان في صورة العروة و الإسلام في صورة العمد و الأعمال في صور الأشخاص من الجمال و القبح فذلك هو الكدر الذي يلحق العلم فيحتاج من ظهر له هذا إلى قوة إلهية تعديه من هذه الصورة إلى المعنى الذي ظهر في هذه الصورة فيتعب و سبب ذلك حضرة الخيال و التمثل و القوة المفكرة و أصل ذلك هذا الجسم الطبيعي و هو المعبر عنه بالحوض في هذا المنزل و قعر هذا الحوض هو خزانة الخيال و كدر ماء هذا الحوض المستقر في قعره هو ما يخرجه الخيال و التخيل عن صورته فيطرأ التلبيس على الناظر بما ظهر له فما يدري أي معنى لبس هذه الصورة فيتحير و لا يتخلص له ذلك أبدا من نظره إلا بحكم الموافقة و هو على غير يقين محقق فيما أصاب من ذلك إلا بأخبار من الله و لهذا لما قام أبو بكر الصديق في هذا المقام و سأل تعبير الرؤيا و أمره النبي صلى الله عليه و سلم بتعبيرها فلما فرغ سأل النبي صلى الله عليه و سلم فيما عبره هل أصاب أو أخطأ فقال له رسول الله

صلى الله عليه و سلم أصبت بعضا و أخطأت بعضا فما علم الصديق إصابته للحق في ذلك من خطئه فلهذا قلنا إن المصيب في مثل هذا ليس على يقين فيما أصابه فلهذا جنح العارفون و امتنعوا أن يأخذوا العلم إلا من الله بطريق الوهب الذي طريقه في الأولياء الذكر لا الفكر فإن أعطوا المعاني مجردة و برزت لهم المعلومات بذواتها في صورها التي هي حقائقها فهو المقصود و إن أبرزها الحق لهم عند الذكر و هذا الطلب في غير صورها و حجب عنهم ذواتها أعطوا من القوة و النور النفوذ في تلك الصور إلى ما وراءها و هو الذي أريدت له هذه الصور و قيد بها فمشهوده على كل حال المعاني التي هي المقصود و هي في عالم الألفاظ و العبارات بمنزلة المنصوص و المحكم الذي لا إشكال فيه و لا تأويل و الآخر بمنزلة الظواهر التي تحمل المعاني المتعددة و ما يعرف الناظر مقصد المتكلم بها منها و اعلم أن هذه العلوم إذا أعطاها الله العبد في غير صورها و أعلمه ما أراد بها فوقف على عينها من تلك الصورة في تلك الصورة فهو المشبه بالحوض لأنه يدرك الماء و يدرك الكدر الذي في قعر الحوض و يلبس الماء و لا بد في ناظر العين لون ذلك الكدر حمرة كان أو صفرة أو ما كان من الألوان فتبصر الماء أحمر أو أصفر و غير ذلك من الألوان و لهذا قال الجنيد و قد سئل عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه و لما قبل الماء هذا اللون صار في العين مركبا من متلون و لون و هو في نفس الأمر شيء آخر فيعلم الماء و يعلم أن ذلك لون الوعاء كذلك التجليات في المظاهر الإلهية حيث كانت فأما العارف فيدركها دائما و التجلي له دائم و الفرقان عنده دائم فيعرف من تجلى و لما ذا تجلى و يختص الحق دون العالم بكيف تجلى لا يعلمه غير الله لا ملك و لا نبي فإن ذلك من خصائص الحق لأن الذات مجهولة في الأصل فعلم كيفية تجليها في المظاهر غير حاصل و لا مدرك لأحد من خلق الله هذا هو العلم الذي لا ينتج غيره فهو منقطع النسل لا عقب له و ما عدا هذا من العلوم فقد يكون العلم بالنظر فيه ينتج علما آخر و لا يكون إلا هكذا و هو الأكثر بل هو الذي بأيدي الناس فإن المقدمات إن لم يحصل لك العلم بها و بما ينتج منها مما لا ينتج و بالسبب الرابط بينهما فبعد حصول هذا العلم ينتج لك العلم بما أعطاه هذا التركيب الخاص و هو التناسل الذي يكون في العلوم بمنزلة التناسل الذي يكون في النبات و الحيوان و هذا هو تناسل المعاني و لهذا قبلت المعاني الصور الجسدية لأن الأجسام محل التوالد فإن قلت فالذي يكون من العلوم لا ينتج فكان ينبغي أن لا يقبل الصورة قلنا إنما قبل الصورة من كونه نتيجة عن منتج و نتاج و هو في نفسه عقيم لا ينتج أصلا كالعقيم الذي يكون في الحيوان مع كونه متولدا من غيره و لكن لا يولد له لأنه على صفة قامت به تقتضي له ذلك و لذلك جاء الحق في تنزيه نفسه عن الأمرين فقال لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ و هذا تنزيه الذات فلا تتعلق و لا يتعلق بها و النتاج إنما وقع و ظهر في المرتبة فطلب الرب المربوب و القادر المقدور فإن قلت فإذا كان الأمر على ما ذكرت في لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ فكانت المظاهر تبطل و هي موجودة فما جوابك قلنا المظاهر للمرتبة لا للذات فلا يعبد إلا من كونه إلها و لا

يتخلق بأسمائه و هي عين العبادة له إلا من كونه إلها و لا يفهم من مظاهره في مظاهره إلا كونه إلها فاعلم ذلك و لو كانت المظاهر تظهرها الذات من كونها ذاتا علمت و لو علمت أحيط بها و لو أحيط بها حدت و لو حدت انحصرت و لو انحصرت ملكت و ذات الحق تتعالى علوا كبيرا عن هذا كله فعلمنا أنه ليس بين الذات و بين هذه المظاهر نسبة يتعلق العلم بها من حيث نسبة المظهر إليها أصلا و إذا لم يحصل مثل هذا العلم في نفوس العلماء بالله و تعالى عن ذلك فأبعد و أبعد أن تعلم نسبة الذات إلى المظاهر فإن قلت إن النسبة واحدة و لكن لها طرفان من حيث الذات طرف و من حيث المظهر طرف قلنا ليس الأمر كما تظن في إن النسبة واحدة بين المتضايفين فإن نسبة الولد إلى الوالد نسبة بنوة و البنوة انفعال و نسبة الوالد إلى الولد نسبة أبوة و الأبوة فاعلية و أين أن يفعل من أن ينفعل هيهات فليست النسبة واحدة و لا لها طرفان أصلا فإنها غير معقولة الانقسام أعني هذه النسبة الخاصة و هو الطرف الذي جعلته أنت للنسبة بخيالك فذلك الطرف هو النسبة التي تذكر إذ الطرفان للشيء الموصوف بهما يؤذنان بقسمته و المعنى لا ينقسم فإنه غير مركب و الذي ينتجه هذا العلم المشبه بالحياض مناجاة الحق من جهة الصدر و هو مناجاتك إياه في صدورك عنه حين أمرك بالخروج إلى عباده بالتبليغ إن كنت رسولا و بالتثبيت إن كنت وارثا و هذه المناجاة لا تكون منه إليك إلا فيك لا في غيرك فمنك تعرفه لا من غيرك لأنك الحجاب الأقرب و الستر المسدل عليه و من كونك سترا و حجابا حددته فمعرفتك به في هذا الموطن عين عجزك عن معرفته و إن شئت قلت عين الجهل به و نريد بالجهل عدم العلم و أما الغير فحجاب أبعد بالنظر إليك فإن الله ما وصف نفسه إلا بالقرب إليك و هكذا قربه من غيرك إلى ذلك الغير كقربه إليك فوصفه بالقرب إليك أبعد بالنظر إلى غيرك إذا أراد العلم به منك كما أنت إذا أردت العلم به من غيرك قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فأثبت قربه إلى الأشياء و نفى العلم بكيفية قربه من الأشياء بقوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ فعم البصيرة و البصر إذ كان إدراك البصر في الباطن يسمى بصيرة و الذات واحدة و اختلف عليها المواطن فسمى في إدراك المحسوس بصرا و في إدراك المعاني بصيرة فالمدرك واحد العين فيهما و لما كان على الحوض الذي يكون في الدار الآخرة كؤوس كثيرة على عدد الشاربين منه و أن الماء في الإناء على صورة الإناء شكلا و لونا علمنا قطعا إن العلم بالله سبحانه على قدر نظرك و استعدادك و ما أنت عليه في نفسك فما اجتمع اثنان قط على علم واحد في الله من جميع الجهات لأنه ما اجتمع في اثنين قط مزاج واحد و لا يصح لأنه لا بد في الاثنين مما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد و لو لم يكن كذلك لم يصح أن يكونا اثنين فما عرف أحد من الحق سوى نفسه فإذا عامل من تجلى له بما عامله به و قد ثبت أن عمله يعود عليه لن ينال الله من ذلك شيء قال صلى الله عليه و سلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم فيكسوكم الحق من أعمالكم حللا على قدر ما حصنتموها و اعتنيتم بأصولها فمن لابس حريرا و من لابس مشاقة كتان و

قطن و ما بينهما فلا تلم إلا نفسك و لا تلم الحائك فما حاك لك إلا غزلك فإن قلت كيف تقول لن ينال الله من ذلك شيء و قد قال سبحانه يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ فلتعلم إن المراد بإثبات النيل هنا و عدم النيل في جانب الحق إن الله سبحانه ما يناله شيء من أعمال الخلق مما كلفهم العمل فيه نيل افتقار إليه و تزين به ليحصل له لذلك حالة لم يكن عليها و لكن يناله التقوى و هو أن تتخذوه وقاية مما أمركم أن تتقوه به على درجات التقوى و منازله فقد قال فَاتَّقُوا النَّارَ و اتَّقُوا الله و قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ فمعنى يَنالُهُ التَّقْوى أنه يتناولها منك ليلبسك إياها بيده تشريفا لك حيث خلع عليك بغير واسطة إذ لبسها غير المتقي من غير يد الحق و سواء كانت الخلعة من رفيع الثياب أو دنيئها فذلك راجع إليك فإنه ما ينال منك إلا ما أعطيته و إن جمع ذلك التقوى فإنه لا يأخذ شيئا سبحانه من غير المتقي فلهذا وصف نفسه بأن التقوى تناله من العباد و إنما وصف الحق سبحانه بأن التقوى تصيبه و اللحوم و الدماء لا تصيبه لما كانت الإصابة بحكم الاتفاق لا بحكم القصد أضاف النيل إلى المخلوق لأنه يتعالى أن يعلم فيقصد من حيث يعلم و لكن إنما يصاب بحكم الاتفاق مصادفة و الحق منزه أن يعلم الأشياء بحكم الإصابة فيكون علمه للأشياء اتفاقا فإذا ناله التقوى من المتقي و خدم بين يديه و جعل ذاته بين يديه مستسلما لما يفعله فيه فيخلع سبحانه عند ذلك من العلم على المتقي و من شأن هذا العلم أن يحصل من الله تعالى للعبد بكل وجه من وجوه العطاء حتى يأخذ كل آخذ منه بنصيب فمنهم من يأخذه من يد الكرم و منهم من يأخذه من يد الجود و منهم من يأخذه من يد السخاء و منهم من يأخذه من يد المنة و الطول إلا الإيثار فإنه ليس له يد في هذه الحضرة الإلهية إذ كان لا يعطي عن حاجة لكن الأسماء الإلهية لما كانت تريد ظهور أعيانها في وجود الكون و أحكامها يتخيل أن إعطاءها من حاجة إلى الأخذ عنها فتتنسم من هذا رائحة الإيثار و ليس بصحيح و إنما وقع في ذلك طائفة قد أعمى الله بصيرتهم و لذلك العارفون اتصفوا بأصناف العطاء في التخلق بالأسماء لا بالإيثار فإنهم في ذلك أمناء لا يؤثرون إذ لا يتصور الإيثار الحقيقي لا المجازي عندهم و العارف لا يقول أعطيتكم و إنما يقول أعطيتك لأنه لا يشترك اثنان في عطاء قط فلهذا يفرد و لا يجمع فالجمع في ذلك توسع في الخطاب و الحقيقة ما ذكرناه و للكلام في هذا المنزل مجال رحب لا يسعه الوقت وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

منازل الحوض و أسراره مراتب العلم و أنواره
و هو من العلم الذي لم يزل صفاؤه شيب بأكداره
محله الطبع الذي رنقه يلحقه القعر بإغباره

«الباب السابع و السبعون و مائتان في معرفة منزل التكذيب و البخل و أسراره من المقام الموسوي»

العلم علمان علم الدين في الصور الظاهرات من الأرواح في البشر

و علم حق بتحقيق يؤيده ما أودع الله في الآيات و السور

من كل ناظرة بالعين ناضرة فاللام ناظرة بالفاء في خبر

هذي منازل أنوار سباعية الخمس تخنس دون الشمس و القمر

منها ليظهر ما في الغيب من عجب فكل منزلة تسعى على قدر

إن الصفات التي جاء الكتاب بها تقدست على مجال العقل و الفكر

و كيف يدرك من لا شيء يشبهه من يأخذ العلم عن حس و عن نظر

فالعلم بالله عين الجهل فيه به و الجهل بالله عين العلم فاعتبر

و ليس في الكون معلوم سواه فما تقول يا أيها المغلوب عن حصر

إن الظهور إذا جاز الحدود خفا كذلك الأمر فانظر فيه و افتكر

اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك أن العلم بالجزاء عن نور الايمان لا عن نور العقل فإن ارتباط الجزاء بالأعمال في الدنيا و الآخرة لا يعلم إلا من طريق الايمان و الكشف فأما تسميتنا إياه علما أعني علم الايمان و إن كان عين التصديق بخبر المخبر فمثل هذا لا يكون علما لزواله لو رجع المخبر عنه تقديرا و حينئذ فله وجهان الواحد أن المؤمن يجده ضرورة في نفسه لو رام الانفكاك عنه لم يقدر على ذلك فهو عنده من العلوم الضرورية عند كل عقل عنده الايمان و الوجه الآخر أن الايمان له نور يكشف به ما وقع الإخبار به كما يكشف المدلول العقل بالنظر الصحيح في الدليل الشاد بل أكمل لأن العقل إن لم يستند في دليله و برهانه إلى العلوم الضرورية في ذلك و إلا فليس ببرهان عنده و لا هو علم و علم الايمان علم ضروري و هو مستند العقل في الحق المطلوب فالإنسان إذا سئل عن الجزاء من جهة علمه النظري لم يقل إنه جزاء و إنما اقتضت الحركة الفلكية وجود هذه الواقعة في عالم الكون و الفساد بحسب القابل لها منه و اتفق أيضا أنه كان قبل ذلك حركة أخرى اقتضت لهذا القابل من عالم الكون و الفساد وجود أمر ما ظهر منه فنوسب بين الواقعتين الأولى و الثانية بأمر عرضي أو أمر وضعي مقرر في نفوس العامة فسموا الواقعة الآخرة جزاء للواقعة الأولى لمن قامت به ليس غير ذلك فما يدرك تلك الرابطة إلا أهل الكشف الإلهي و إن أدركها أهل النظر العقلي لأنه قد يدرك الرابطة من كونها فعلا لا من كونها جزاء و لا سبيل إلى رفع ذلك جملة واحدة و أهل الكلام من علماء النظر يجوزون رفعها بنور عقولهم و صدقوا فإن نور العقل لا يتعدى قوته فيما يعطيه و نور

الايمان فوق ذلك يعطي أيضا بحسب قوته و ما جعل الله فيه مما لا يدركه العقل معرى عن الشرط فإن العقل يقول إن كان سبق العلم به فلا بد منه عقلا فأدخل الشرط و الايمان ليس كذلك فإنه عن كشف محقق لا مرية فيه ثم إن طائفة من العقلاء الذين ذكرناهم و هي التي أثبتت الفعل و لم تصدق أنه جزاء أنكروا ذلك دنيا و آخرة فأما دنيا فلما ذكرناه و أما آخرة فانقسموا في ذلك قسمين فطائفة منهم أثبتوا الآخرة على وجه يخالف وجه الايمان و هم الذين أنكروا الإعادة في الأجسام الطبيعية و طائفة نفت الآخرة جملة واحدة فأحرى الجزاء فأما الطائفة التي أثبتت الآخرة و أنكرت الجزاء فما أنكرت إلا الجزاء الحسي من نعيم الجنان و جعلت الجزاء الروحاني كون الأرواح لما فارقت تدبير أجسادها و تخلصت من أسر الطبيعة و كانت في هذه المدة قد اكتسبت من الأخلاق الكريمة و العلوم الإلهية و الروحانية هيأة حسنة ألحقتها بالرتبة الملكية فلما انفصلت عن الطبيعة انفصالا يسمى الموت التحقت بالملائكة و دام لها ذلك مؤبدا فكان ذلك الدوام لها في هذه الرتبة الملكية ثمرة جنتها مما حصلته في حال سجنها في تدبير جسمها الطبيعي فذلك المسمى جزاء في الشرع و ما ثم غيره و أهل الايمان بالله و ما جاء من عنده و هم أصحابنا و أهل الكشف منا أيضا الذين عملوا بنور الايمان قد جمعنا مع هؤلاء فيما ذكروه من الجزاء الروحاني للنفوس التعليمية و انفردنا عنهم بالإعادة في الأجسام الطبيعية على مزاج مخصوص يقتضي لها البقاء في دار الكرامة و الجزاء الحسي من اللباس و الزينة و الأكل و الشرب و النكاح و رفع الخبائث من منزل الجنان كالأمور المستقذرة طبعا و الأرواح النتنة طبعا و ذلك في حال السعداء و أما في حال الأشقياء فالإعادة أيضا لهم في الأجساد الطبيعية و لكن على مزاج يقارب مزاج الدنيا في الذهاب و الزوال بالعلل المنضجة للجلود المذهبة لأعيانها و إيجاد غيرها مع بقاء العين المعذبة بذلك فليست تشبه إعادة الأشقياء إعادة السعداء و إن اشتركا في الإعادة فمرض الأشقياء في دار الشقاء زمانة مؤبدة إلى غير نهاية مدة أعمارهم التي لا انقضاء لها كالزمانة التي كانت للزمني في الدنيا مدة أعمارهم و تعلم كل طائفة من هؤلاء أن بعض الذي هم فيه جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و إنما قلنا بالبعض لأن الجنان ثلاث جنة جزاء العمل و جنة ميراث و هي التي كان يستحقها المشرك لو آمن و جنة اختصاص غير هاتين و لا أدري جنة الاختصاص هل تعم أم هي لخصائص من عباد الله و الذين ما عملوا خيرا قط مشروعا فلهم جنة الميراث و لا أدري هل لهم جنة اختصاص أم لا كما قلنا و أما جنة الأعمال المشروعة من كونها مشروعة لا من كونها موجودة فليس لهم فيها نصيب فإنهم قد يكون منهم من فيه مكارم الأخلاق و لكن لم يعمل بها من كونها مشروعة فإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن الطائفة التي لم يحصل لها الايمان بعلم الجزاء يحرمون من العلوم الموهوبة قبول كل علم لا يقوم لهم فيه من نفوسهم ميزان من عمل عملوه فإذا جاءهم الفتح في خلواتهم و سطعت عليهم الأنوار الإلهية بالعلوم المقدسة عن الشوب القادح ينظرون ما كانوا عليه من الأعمال و ما كانوا عليه من الاستعداد

التعملي فيأخذون من تلك العلوم قد ر ما أعطتهم موازينهم و يقولون هذا من عِنْدِ الله و ما لم يدخل لهم في موازينهم من هذه العلوم دفعوا بها و هذا من أعجب الأمور الإلهية في حق هذه الطائفة أنها غير قائلة بعلم الجزاء و لا تأخذ من العلوم إلا ما أعطتها موازينهم من الأعمال و الاستعدادات التعملية و هذا نقيض ما بنى عليه الأمر عند أهل الطريق و هذا كشف خاص خص به أمثالنا لله الحمد على ذلك و أما نحن و من جرى مجرانا من أهل الطريق فلا نرمي بشيء مما يرد علينا من ذلك و لا ندفع به جملة واحدة سواء اقتضاه عملنا و استعدادنا التعملي أو لم يقتضه فإن الاقتضاء غير لازم عندنا في كل شيء بل أوجد الله ما يريد في أي محل يريد و لو نور الله بصائر هذه الطائفة التي ذكرناها لرأت و اتعظت بحالها فإنها لا تصدق بالجزاء و لا تقبل من العلوم إلا ما أعطاه ميزان الجزاء من نفوسهم و هم لا يشعرون و هو موضع حيرة كما إنا لا نرمي أيضا بشيء مما أعطانا الله على يد واسطة مذمومة كانت تلك الواسطة أو محمودة كما فعل سليمان عليه السلام أو بارتفاع الوسائط سواء كان ذلك منهيا عنه أو مأمورا به فإن الله قد أعطانا من القوة و علم السياسة بحيث نعلم كيف نأخذ و إذا أخذنا كيف نتصرف به و فيه و في أي محل نتصرف به و هذا مخصوص بأهل السماع من الحق دائما و هو طريقنا و عليه عمل أكابرنا و يحتاج إلى علم وافر و عقل حاضر و مشاهدة دائمة و عين لا تقبل النوم و لا تعرفه و تتحقق بذلك تحقيقا يسرى معها حسا و في حال نومها خيالا و في حال فنائها و غيبتها تحققا و هو مقام عزيز مخصوص بالإفراد منا و علم الأنبياء أكثره من هذه العلوم التي ليس لها مستند و لهذا كانت النبوة اختصاصا من الله لا يعمل و لا بتعمل و نحن ورثنا هذا المقام من عين المنة فحصلنا من العلوم التي لا مستند لها يطلبها ما عدا النبوة كثيرا تعرفها أسرارنا دون نفوسنا فلذلك لا يظهر علينا منها شيء فإنه لا تعلق لها بالكون قال تعالى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى فاختلف أصحابنا في هذه الأحوال الثلاثة و ما يشبهها هل هي استعدادات لما حصل من الإيواء و الهدى و الغنى أم ليست استعدادا و منا من قال لا يكون استعداد إلا عن تعمل فيه و هم الأكثرون و منهم من قال الاستعداد من أهل لتحصيل أمر ما سواء كان عن تعمل أو غير تعمل فالخلاف لفظي و هو الخلاف الذي ينسب إلى أهل هذه الطريقة و قد يكون الاستعداد معلوما للشخص الذي هو صاحبه إنه استعداد و قد لا يكون و التحقيق في ذلك ما نذكره و ذلك أن حقيقة الاستعداد ما هو الطلب أن يكون معد الأمر ما عظيم من الله يحصل له فهذا يسمى تعملا لأنه استفعال مثل استخراج و استطلاق و استرسال و أما كونه معدا لما حصل له فلا بد أن يكون في نفسه على ذلك لا بجعل جاعل و أخفاه العدم الممكن و العدم المحال فلو لا إن العدم الممكن هو معد في نفسه لقبول أثر المرجح ما كان له الترجيح إلى أحد الجانبين في وقت و ترجيح الجانب الآخر في وقت آخر و العدم المحال لو لا ما هو في نفسه معد لعدم قبول ما يضاد ما هو عليه في نفسه لقبله و كذلك من ثبت له الوجوب الوجودي

لذاته فهذا تحقيق المسألة في الاستعداد و الفرق بينه و بين الإعداد و الإعداد لا بد منه وجودي و عدمي و لا وجودي و لا عدمي كالنسب فهذا الفصل من هذا المنزل قد استوفيناه و بقي من فصوله ما نذكره و ذلك معرفة العلم الذي يطلبه الفقير بافتقاره و مسكنته ما هو و إذا حصل هل يقع له به الغني أم لا و هل إلى ذلك طريقة معلومة لقوم أم لا و هل العالمون بها يتعين عليهم إن يحرضوا الناس على سلوكها أم لا فاعلم إن الافتقار في كل ما سوى الله أمر ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه ذوقا و علما صحيحا إلا أنه تختلف مقاصده في تعيين ما يفتقر إليه هذا الفقير و ما هو المعنى الذي يفتقر إليه فيه فاعلم إن الفقر و المسكنة لما ثبت في العلم أنها صفة ذاتية كان متعلقها الذي افتقرت فيه طلبها استمرار كونها و استمرار النعيم لها على أكمل الوجوه بحيث إنه لا يتخلله النقيض فأهل هذه الطريقة لم يروا ذلك حالا و عقدا إلا من الله تعالى فافتقروا إليه في ذلك دون غيره سبحانه و لا يصح الافتقار لهم إليه في وجودهم لأنهم موجودون و إنما كان ذلك الافتقار منهم لوجودهم في حال عدمهم فلهذا أوجدهم فمتعلق الافتقار أبدا إنما هو العدم ليوجده لهم إذ بيده إيجاد ذلك و أما غيرنا فرأوا ذلك من الله عقدا لا حالا و هم المسلمون الأكثرون عالمهم و جاهلهم و من الناس من يرى ذلك من الله أصلا لا عقدا و لا حالا و هم القائلون بالعلل و المعلولات و هم أبعد الطوائف من الله و من الناس من لا يرى ذلك من الله لا أصلا و لا عقدا و لا حالا و هم المعطلة و ما من طائفة مما ذكرنا إلا و تجد الافتقار من ذاتها و من المحال أن يقع الغني من الله لأحد من هؤلاء الطوائف على الإطلاق أبدا و لكن قد يقع لهم الغني المقيد دائما لا ينفكون عنه و أما فرض الطريق إليه فهو ذاتي أيضا من حيث هو طريق و إنما الذي يتعلق به الاكتساب سلوك خاص في هذا الطريق لمن يفتقر إليه و إذا كان السلوك بهذه المثابة تعين التحريض عليه و تبيينه لمن جهله فمن عدل عن تبيينه لمن يستحقه و هو عالم به فهو صاحب حرمان و خذلان و قد نبه عليه السلام على مرتبة من مراتب ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار و السؤال قد يكون لفظا و حالا و المسئول عنه الذي تعلق به الوعيد لا بد أن يكون واجبا عليه السؤال عنه فلا بد أن يجب على العالم الجواب عنه و سؤالات الافتقار كلها بهذه المثابة قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله ففي هذا الخطاب تسمية الله بكل اسم هو لمن يفتقر إليه فيما يفتقر إليه فيه و هو من باب الغيرة الإلهية حتى لا يفتقر إلى غيره و الشرف فيه إلى العالم بذلك و في هذا الخطاب هجاء للناس حيث لم يعرفوا ذلك إلا بعد التعريف الإلهي في الخطاب الشرعي على ألسنة الرسل عليهم السلام و مع هذا أنكر ذلك خلق كثير و خصوه بأمور معينة يفتقر إليه فيها لا في كل الأمور من اللوازم التابعة للوجود التي تعرض مع الآنات للخلق و كان ينبغي لنا لو كنا متحققين بفهم هذه الآية أن نبكي بدل الدموع دما حيث جهلنا هذا الأمر من نفوسنا إلى أن وقع به التعريف الإلهي فكيف حال من أنكره و تأوله و خصصه فهذا قد بينا نبذة من الفصل الثاني المتعلق بهذا المنزل و أما الفصل

الثالث من فصول هذا المنزل فاعلم إن الله تعالى قد عرف عباده أن له حضرات معينة لأمور دعاهم إلى طلب دخولها و تحصيلها منه و جعلهم فقراء إليها فمن الناس من قبلها و من الناس من ردها جهلا بها فمنها حضرة المشاهدة و هي على منازل مختلفة و إن عمتها حضرة واحدة فمنهم من يشهده في الأشياء و منهم قبلها و منهم بعدها و منهم معها و منهم من يشهده عينها على اختلاف مقامات كثيرة فيها يعلمها أهل طريق الله أصحاب الذوق و الشرب و منها حضرة المكالمة و منها حضرة الكلام و منها حضرة السماع و منها حضرة التعليم و منها حضرة التكوين و غير ذلك فإنها كثيرة لا يتسع هذا التصنيف لذكرها فحضرة المكالمة من خصائص هذا المنزل فمن عدل عنها فقد حرم ما يتضمنه من المعارف الإلهية و الالتذاذ بالمحادثة الربانية و كان ممن قيل فيه ما يَأْتِيهِمْ مِن ذِكْرٍ مِن رَبِّهِمْ و من الرَّحْمنِ على حسب التجلي مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ و هي طائفة معينة و أخرى اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ فأهل طريقنا لم يشتغلوا عند ورود هذا الكلام بما يلهيهم عما يتضمنه من الفوائد فإن اقتضى جوابا أجابوا ربهم و إن اقتضى غير ذلك بادروا إلى فعل ما يقتضيه ذلك الخطاب و هم يسارقون النظر في تلك الحالة إلى المتكلم لتقر أعينهم بذلك كما تنعمت نفوسهم من حيث السماع غير أنهم لا يتحققون بالنظر في هذه الحال لمعرفتهم بأن مراد الحق فيهم فيها الفهم عنه فيما يكلمهم به فيخافون من النظر مع شوقهم أن يفنيهم عن الذي طولبوا به من الفهم فيكونون ممن آثروا حظوظ نفوسهم على ما أراده الحق منهم فهم في كلا الحالين عبيد فقراء غير أن الأدب في كل حضرة من هذه الحضرات الوفاء بما تستحقه الحضرة التي يقام العبد فيها و لمطلوبه حضرة أخرى هي غير هذه فلا يستعجل فيحرم وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ينوب عنه في الكلام و هو الترجمان قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ يريد على لسان الترجمان الذي هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فسمعت بعض الشيوخ يقول ما دام في بشريته فالكلام له من وراء حجاب و لكن إذا خرج عن بشريته ارتفع الحجاب و هذا الشيخ هو عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي المعروف بابن الكرة سمعته منه بمنزلة بتونس رحمه الله فأصاب فيه و أخطأ فأما إصابته فإثباته و تقريره للكلام من وراء الحجاب و إنه لم يجمع بينه و بين المشاهدة و أما خطؤه فقوله ارتفع الحجاب و لم يقيد و إنما يقال ارتفع حجاب بشريته و لا شك أن خلف حجاب بشريته حجبا أخر فقد يرتفع حجاب البشرية و يقع الكلام من الله لهذا العبد خلف حجاب آخر أعلاها من الحجب و أقربها إلى الله و أبعدها من المخلوق المظاهر الإلهية التي يقع فيها التجلي إذا كانت محدودة معتادة المشاهدة كظهور الملك في صورة رجل فيكلمه على الاعتدال للعادة و الحد و قد تجلى له و قد سد الأفق فغشي عليه لعدم المعتاد و إن وجد الحد فكيف بمن لم ير حدا و لا اعتاد فقد تكون المظاهر غير محدودة و لا معتادة و قد تكون محدودة لا معتادة و قد تكون محدودة معتادة و تختلف أحوال المشاهدين في كل حضرة منها فمن عدل عن حضرة المكالمة

فقد لحق بأهل الخسران و إن سعد و لكن بعد شقاء عظيم و إن من الناس من أصحاب الدعاوي في هذه الطريقة الذين قال الله فيهم وَ قَدْ خابَ مَن دَسَّاها حين أَفْلَحَ من زَكَّاها فيزعمون أنهم يكلمون الله في خلقه و يسمعون منه في خلقه و هو في نفسه مع نفسه ما عنده خبر من ربه لأنه لا يعرفه و لا يعرف كيف يسمع منه و لا ما يسمع منه فأصحاب الدعاوي في هذه الطريقة كالمنافقين في المسلمين فإنهم شاركوهم في الصورة الظاهرة و بانوا بالبواطن فهم معهم لا معه فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا من عِنْدِ اللهِ و هو و الله من عنده و لكن من غير الوجه الذي يزعمون و لهذا شقوا بما قالوه و إن كانوا لا يعتقدونه و سعد الآخر بقوله إنه من عند الله و اعتقاده ذلك على غير الوجه الذي يعطي الشقاء فالقول واحد و الحكم مختلف فسبحان من أخفى علمه عن قوم و أطلع عليه آخرين لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و لا يكون الأمر إلا هكذا فإنه هكذا وقع و لا يقع إلا ما علم أنه يقع كذا فإنه في نفس الأمر كذا لا يجوز خلافه و هنا عقدة لا يحلها إلا الكشف الاختصاصي لا تحلها العبارة و إذا فهمت هذا فاعلم أنه من آخر فصول هذا المنزل التعاون عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى فإنه يكون عنه علم شريف يتعلق بمعرفة الأسباب الموضوعة في العالم و إن رفعها عينا لا يصح إذا كان السبب علة فإن لم يكن علة فقد يصح رفع عينه مع بقاء لازمه لكن لا من حيث هو لازم له بل من حيث عين اللازم فهو لما هو لازم له على الطريقة المختصة لا يرتفع و هو من حيث عينه و إن كان لازما لغيره فيكون أثره لعينه فيوجد حكمه لعينه ففي الأسباب التي ترفع و يوجد اللازم يفعل لعينه كالغذاء المعتاد على الطريقة المختصة به يلازمه الشبع بالأكل منه و قد يكون الشبع من غير غذاء و لا أكل و مثل السبب العلي وجود اتصاف الذات بكونها شابعة لوجود الشبع فلو رفعت الشبع ارتفع كونه شابعا فمن الأسباب ما يصح رفعها و ما لا يصح و تقرير الكل في مكانه و على حده على ما قرره واضعه هو الأولى بالأكابر و ينفصلون عن العامة بالاعتماد فلا اعتماد للأكابر في شيء من الأشياء إذا وصفوا بالاعتماد إلا على الله فمن منع وجود الأسباب فقد منع ما قرر الحق وجوده فيلحق به الذم عند الطائفة العالية و هو نقص في المقام كمال في الحال محمود في السلوك مذموم في الغاية وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و السبعون و مائتان في معرفة منزل الألفة و أسراره من المقام الموسوي و المحمدي»

منزل الألفة لا يدخله غير موجود على صورته

فتراه عند ما تبصره نازلا فيه على سورته

حاكما فيه بما يعلمه جاريا فيه على سيرته

فاصطفاه الحق مرآة له فلهذا زاد في سورته

فنهاه الله أعلاما له أن ذاك النهي من غيرته

عند ما حجر ما كان له مطلقا نزه عن حيرته

أكل المنهي عنه فبدت رتبة الأكل في عورته

فدرى حين رآها إنها زلة جاءته من جيرته

لا يتألف اثنان إلا لمناسبة بينهما فمنزل الألفة هي النسبة الجامعة بين الحق و الخلق و هي الصورة التي خلق عليها الإنسان و لذلك لم يدع أحد من خلق الله الألوهية إلا الإنسان و من سواه ادعيت فيه و ما ادعاها قال فرعون أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى و ما في الخلق من يملك سوى الإنسان و ما سوى الإنسان من ملك و غيره لا يملك شيئا يقول تعالى في إثبات الملك للإنسان أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ و ما ثم موجود من يقر له بالعبودية إلا الإنسان فيقال هذا عبد فلان و لهذا شرع الله له العتق و رغبة فيه و جعل له ولاء العبد المعتق إذا مات عن غير وارث كما إن الورث لله من عباده قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها و ما ثم موجود يقبل التسمية بجميع الأسماء الإلهية إلا الإنسان و قد ندب إلى التخلق بها و لهذا أعطى الخلافة و النيابة و علم الأسماء كلها و كان آخر نشأة في العالم جامعة لحقائق العالم مما اختص الله بها ملكه كله و صورته و من نشأته أيضا الطبيعية القائمة من الأربع الطبائع مع القوة الناطقة التي اختص بها في طبيعته دون غيره مما خلق من الطبيعة كالصورة الإلهية القائمة على أربع الذي لا يعطي الدليل العقلي غيرها و هي الحياة و العلم و القدرة و الإرادة فبهذه صح إيجاد العالم له و كان هو إلها بها إذ لو جرد عن هذه النسب لما كان إلها للعالم و هو المثل المقرر في القرآن الذي لا يماثل في قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء فأثبت المثلية له بالإنسان تنزيها له تعالى أي إذا كان المثل المفروض لا يماثل فهو تعالى أبعد و أنزه أن يماثل و في السنة خلق آدم على صورته و نفى بهذه الآية أن يماثل هذا المثل و جعل له غيبا و شهادة و لما كان الإنسان بهذه المثابة كانت الألفة بينه و بين ربه فأحبه و أحبه و لهذا ورد أن السماء و الأرض يعني العلو و السفل ما وسعه و وسعه قلب المؤمن التقى الورع و هذا من صفة الإنسان لا من صفة الملك هذا و إن شورك الإنسان في كل ما ذكرناه إلا إن الإنسان امتاز عن الكل بالمجموع و بالصورة فاعلم هذا فلا تصح العبودية المحضة التي لا يشوبها ربوبية أصلا إلا للإنسان الكامل وحده و لا تصح ربوبية أصلا لا تشوبها عبودة بوجه من الوجوه إلا لله تعالى فالإنسان على صورة الحق من التنزيه و التقديس عن الشوب في حقيقته فهو المألوه المطلق و الحق سبحانه هو الإله المطلق و أعني بهذا كله الإنسان الكامل و ما ينفصل الإنسان الكامل عن غير الكامل إلا برقيقة واحدة و هي أن لا يشوب عبوديته ربوبية أصلا و لما كان للإنسان الكامل هذا المنصب العالي كان العين المقصودة من العالم وحده و ظهر هذا الكمال في آدم عليه السلام في قوله تعالى وَ

عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها فأكدها بالكل و هي لفظة تقتضي الإحاطة فشهد له الحق بذلك كما ظهر هذا الكمال في محمد صلى الله عليه و سلم أيضا بقوله فعلمت علم الأولين و الآخرين فدخل علم آدم في علمه فإنه من الأولين و ما جاء بالآخرين إلا لرفع الاحتمال الواقع عند السامع إذا لم يعرف ما أشرنا إليه من ذلك و هو صلى الله عليه و سلم قد أوتي جوامع الكلم بشهادته لنفسه و اختلف أصحابنا في أي المقامين أعلى من شهد له الحق أو من شهد لنفسه بالحق كيحيى و عيسى عليهما السلام فأما مذهبنا في ذلك فإن الشاهد لنفسه الصادق في شهادته أتم و أعلى و أحق لأنه ما شهد لنفسه إلا عن ذوق محقق بكماله فيما شهد لنفسه به مرتفعة شهادته تلك عن الاحتمال في الحال فقد فضل على من شهد له برفع الاحتمال و الذوق المحقق فهذا المقام أعلى و ليس من شأن المنصف الأديب العالم بطريق الله أن يتكلم في تفاضل الرجال و إن علم ذلك فيمنعه الأدب فلهذا قلنا الأديب و إنما يتكلم في تفاضل المقامات فيخرج عن العهدة في ذلك و يسلم له الحال عن المطالبة فيه إذ كانت المقامات ليس لها طلب و كان الطلب للموصوفين بها فالأديب حاله ما ذكرناه و هذا الذي ذكرناه كله يشهده من حصل في هذا المنزل و له من الحروف ألفة اللام بالألف و هو أول حرف مركب من الحروف فوحده الشكل فلم يعرف الألف من اللام فالحق بالمفردات فكأنهما حرف واحد لما تعذر الانفصال و لم يتميز شكل اللام فيه من شكل الألف فلم يدركه البصر فإن قيل إن السمع يدركه بقوله لا فليعلم إن اللام تحتمل الحركة و الألف لا تحتمل الحركة فلم يتمكن النطق بالألف فينطق باللام مشبعة الحركة لظهور الألف ليعلم أنه أراد لام الألف لا لام غيره من الحروف حتى يرقمه الراقم على صورته الخاصة به فلا تمتاز الألف من اللام لتمكن الألفة كذلك الإنسان إذا كان الحق سمعه و بصره كما ورد في الخبر يرتبط بالحق ارتباط اللام بالألف و لهذا تقدم في حروف شهادة التوحيد في لفظة لا إله إلا الله فنفى بحرف الألفة ألوهة كل إله أثبته الجاهل المشرك لغير الله فنفى ذلك بحرف يتضمن العبد و الرب فإنه يتضمن مدلول اللام و الألف كما قال عليه السلام آمنت بهذا أنا و أبو بكر و عمر فشركهما معه بنفسه في الايمان و لم يكونا حاضرين أو كانا فناب عنهما فلما شهد الحق لنفسه بالتوحيد شهد عنه و عن عبده بذلك فأتى بحرف لام ألف و لهذا سمي لام ألف و لم يقل لام الألف بالتعريف فسمي باسم الحرفين لئلا يتخيل السامع إذا جاء به معرفا إنه أراد الإضافة و ما أراد هذا الحرف المعين فجرى مجرى رامهرمز و بعلبك و لم يجر مجرى عبد الله و عبد الرحمن و لهذا اختلف في موضع الإعراب من بعلبك و رامهرمز و بلال آباد و لم يختلف في موضع الإعراب من عبد الله و عبد الرحمن لأن المسمى بذلك قصد به الإضافة و لا بد فمن أجرى هذه الأسماء مجرى الاسم المضاف جعل محل الإعراب آخر الاسم الأول و من أجراه مجرى زيد جعل محل الإعراب آخر الاسم الثاني كذلك وقع الاختلاف في حرف لام ألف إذا وقع في الخط في تعيين أي فخذ من هذا الحرف هو اللام و أي فخذ هو الألف و اختلفت

مراعاة الناس في ذلك فمن قاس الخط على اللفظ كان اللام عنده الذي يبتدئ به الكاتب سواء كان الفخذ المتقدم في الترتيب أو المتأخر و من لم يحمله على النطق به بقي على الخلاف و جعل له التخيير في ذلك فيجعل أي شيء أراد اللام من الفخذين و أي شيء أراد الألف إذ كان كل واحد منهما على صورة الآخر للالتفاف الذي أخرج اللام عن حقيقته كذلك الإنسان الكامل و الحق في الصورة التي تنزلت منزلة الالتفاف فإن نسبت الفعل إلى قدرة العبد كان لذلك وجه في الإخبار الإلهي و إن نسبت الفعل إلى الله كان لذلك وجه في الإخبار الإلهي و أما الأدلة العقلية فقد تعارضت عند العقلاء و إن كانت غير متعارضة في نفس الأمر و لكن عسر و تعذر على العقلاء تمييز الدليل من الشبهة و كذلك في الإخبار الإلهي يتعذر و كذلك في حقيقة العبد متعذر لتعلق الأمر به فلا يؤمر إلا من له قدرة على فعل ما يؤمر به و تمكن من ترك ما ينهى عنه فيعسر نفي الفعل عن المكلف الذي هو العبد لارتفاع حكمة الخطاب في ذلك و الإخبار الآخر و الوجه الآخر العقلي يعطي أن الفعل المنسوب إلى العبد إنما هو لله فقد تعارضا خبرا و عقلا و هذا موضع الحيرة و سبب وقوع الخلاف في هذه المسألة بين العقلاء في نظرهم في أدلتهم و بين أهل الأخبار في أدلتهم و لا يعرف ذلك إلا أهل الكشف خاصة من أهل الله و كون الإنسان على الصورة يطلب وجود الفعل له و التكليف يؤيده و الحس يشهد له فهو أقوى في الدلالة و لا يقدح فيه رجوع كل ذلك إلى الله بحكم الأصل فإنه لا ينافي هذا التقرير و لهذا ضعفت حجة القائلين بالكسب لا من كونهم قالوا بالكسب فإن هؤلاء أيضا يقولون به لأنه خبر شرعي و أمر عقلي يعلمه الإنسان من نفسه و إنما تضعف حجتهم في نفيهم الأثر عن القدرة الحادثة و بعد أن علمت هذا الفصل من منزل الألفة فلنشرع فيما يرجع إلى تحقيقه في غير هذا النمط مما يتضمنه على جهة الإفصاح عنه فاعلم إن هذا المنزل هو منزل سفر الأبدال السبعة المجتمعين المتألفين مع القبض الذي هم عليه بعضهم عن بعض و إنكار بعضهم على بعض مع وجود الصفاء فيما بينهم و لهم سفران في باب المعرفة سفر منهم إلى الإله في مظاهره و سفر آخر منهم أيضا إلى الذات فسفرهم إلى الإله من ربوبيتهم و سفرهم إلى الذات من ذواتهم فإذا أرادوا السفر إلى الذات قصدوا اليمن و إذا أرادوا السفر إلى الإله قصدوا الشام و بلاد الشمال و أي جهة قصدوا فإن استعدادهم على السواء في القدر الذي يحتاجون إليه و إن تنوع فإن الأغذية تتنوع بتنوع الجهات فلا يؤخذ من الزاد إلى كل جهة إلا ما يصلح مزاج المسافر إلى تلك الجهة لئلا يحول بينه و بين مقصده مرض للأهواء المختلفة في الجهات و أثرها في المزاج فلا بد أن يختلف الاستعداد على إن إقامتهم قليلة في السفرين و يعودون إلى مواطنهم فإذا قصدوا اليمن لم يقيموا فيه سوى أربعة و عشرين يوما يحصلون فيها مرادهم و يرجعون إلى سنة أخرى و إذا قصدوا الشمال لم يقيموا فيه إلا ستة أيام يحصلون فيها مرادهم و يرجعون إلى سنة أخرى و سفرهم روحاني لا جسماني فأما العلوم التي يستفيدونها في سفرهم إلى اليمن فعلوم الاصطلام و

علم السبحات من وراء الحجب علم ذوق و أما العلوم التي يستفيدونها في سفرهم إلى الشمال فعلوم زيادات اليقين بما يتجلى لهم و علم العبودية و القبض و ما تنتجه الخلوات علم ذوق و موطنهم الذي يستقرون فيه مكة فإن التنزل في روحانيتها أتم التنزل لأنها كما قال تعالى أُمَّ الْقُرى و قال يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ فعم و قال فيه رِزْقاً من لَدُنَّا فما أضافه إلى غيره فهي علوم وهب تحيا بها أرواحهم و لم يقل ذلك في غير مكة و لا تحصل هذه العلوم التي أشرنا إليها إلا لمن كان حاله الذلة و الافتقار و مقامه الجلال و القبض و الهيبة و الخوف فإذا كانت أوصاف العبد ما ذكرناه منحه الله العزة و الغني في حاله و الجمال و البسط و الأنس به و الرجاء في غيره لا في نفسه فإنه في حق نفسه من ربه في أمان لأنه قد بشر كما قال لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و بشارة الحق حق لا يدخلها نسخ فيؤمن بوجودها المكر و لكن إذا كان نصا و في هذا المنزل ذوق عجيب لا يكون في غيره و هو أنه إذا كنت في حال من الأحوال فإن الحق يهبك في تلك الحال علما من ذلك الحال لا تخرج عنه مثل الذي ينتقل من العلم بالشيء إلى معاينة ذلك الشيء فلم يحصل له إلا مزيد وضوح في عين واحدة كذلك هذا المنزل و هو منزل منه يعلم الجمع بين الضدين و هو وجود الضد في عين ضده و هذا العلم أقوى علم تعلم به الوحدانية لأنه يشاهد حالا لا يمكن أن يجهله إن عين الضد هو بنفسه عين ضده فيدرك الأحدية في الكثرة لا على طريقة أصحاب العدد فإن تلك طريقة متوهمة و هذا علم مشهود محقق و ممن تبرز في هذا المنزل المبارك أبو سعيد الخراز من المتقدمين و كنت أسمع ذلك عنه حتى دخلته بنفسي و حصل لي ما حصل فعرفت أنه الحق و أن الناس في إنكارهم ذلك على حق فإنهم ينكرونه عقلا و ليس في قوة العقل من حيث نظره أكثر من هذا و من أعطى ما في وسعه من حيث ما تقتضيه تلك الجهة فقد و في الأمر حقه و هذا الذي استقر عليه قدمنا و ثبت فلا ننكر على مدع ما يدعيه إلا الإنكار الذي أمرنا به فننكره شرعا و هذا الإنكار حقيقة أيضا لا نشهد إلا هيأة يجب الإنكار بها و فيها كما أنكرنا ذلك عقلا فللشرع قوة لا يتعدى بها ما تعطيه حقيقتها كما فعلنا في العقل و للذوق قوة نعاملها به أيضا كما عاملنا سائر ما نسب إليه القوي بحسب قوته فنحن مع الوقت فننكر مع العقل ما ينكره العقل لأن وقتنا العقل و لا ننكره كشفا و لا شرعا و ننكر مع الشرع ما ينكره الشرع لأن وقتنا الشرع و لا ننكره كشفا و لا عقلا و أما الكشف فلا ينكر شيئا بل يقرر كل شيء في رتبته فمن كان وقته الكشف أنكر عليه و لم ينكر هو على أحد و من كان وقته العقل أنكر و أنكر عليه و من كان وقته الشرع أنكر و أنكر عليه فاعلم ذلك

اعلم أن لهذا المنزل حالا لا يكون لغيره و هو أنه يعطي تحصيل هوية الأسماء الإلهية و هذا خلاف ما تعطيه حقيقة الهو فإن الهو من حقيقته أنه لا يتحصل و لا يشاهد أبدا إلا في هذا المشهد و المنزل فإن عين الظاهر فيه هو بنفسه عين الباطن غير أن هوية الحق لا تدخل في هذا المنزل و إنما قلنا ذلك في هوية الأسماء الإلهية من كون هويتها لا من أنانيتها و اعلم أن هذا المنزل إذا دخلته تجتمع فيه مع جماعة من

الرسل صلوات الله عليهم فتستفيد من ذوقهم الخاص بهم علوما لم تكن عندك فتكون لك كشفا كما كانت لهم ذوقا فيحصل لك منهم علم الأدلة و العلامات فلا يخفى عليك شيء في الأرض و لا في السماء إذا تجلى لك إلا تميزه و تعرفه حين يجهله غيرك ممن لم يحصل في هذا المنزل و هو علم كشف لأنك تشهده بالعلامة لا تراه من نفسك لأنه ليس بذوق لك و يحصل لك منهم علم القدم و هو علم عزيز به يكون ثباتك على ما يحصل لك من الأسرار و العلوم بعد انفصالك عن الحضرات التي يحصل لك فيها ما يحصل من العلم و الأسرار فكثير من الناس من نسي ما شاهده فإذا حصل له هذا العلم من هذا النبي يثبت فيه ثبات الأنبياء و يحصل لك منهم أيضا علم الشرائع في العالم و من أين مأخذها و كيف أخذت و لما ذا اختلفت في بعض الأحكام و فيما ذا اتفقت و اجتمعت حتى إن صاحب هذا الكشف لو لم يكن مؤيدا في كشفه لأدعى النبوة و لكن الله أيد أولياءه و عصمهم عن الغلط في دعوى ما ليس لهم لخروجهم عن حظوظ نفوسهم عند الخلق لكنهم لا يخرجون عن حظوظها عند الحق و لا يصح أن يطلب الحق للحق و إنما يطلب للحظ فإن فائدة الطلب التحصيل للمطلوب و الحق لا يحصل لأحد فلا يصح أن يكون مطلوبا لعالم فلم يبق إلا الحظ و من هذا العلم يداوي العشاق إذا أفرطت فيهم المحبة من هذه الحضرة يستخرج لهم دواء الراحة مما هم فيه من العذاب الذي يعطيه العشق من القلق و الكمد و الانزعاج و يحصل من مشاهدة هؤلاء الأنبياء أيضا علم ما يحتاج إليه نواب الحق في عباده من الرحمة و القهر و الشدة و اللين و ما يعاملون به الخلق و ما يعاملون به الحق و ما يعاملون به أنفسهم إذا كانوا نوابا فيستفيد هذا كله و إن لم يحصل له درجة النيابة في العامة و لكنه نائب الله في عالمه الخاص به الذي هو نفسه و أهله و ولده إن كان ذا أهل و ولد و يحصل له منهم السر الذي به يحيي الجاهل من موت جهله و ما يحيي الله به الموتى فإنه راجع إلى منزل الألفة لأن الحياة للشيء إنما تكون لتألفها به و نظرها إليه من اسمه الحي الذي ليس عن تأليف و يحصل أيضا علم الخلق التام في قوله مُخَلَّقَةٍ و لا يحصل له في هذا المنزل علم غير المخلقة و إنما يحصل ذلك لمن حصل من منزل آخر و في هذا المنزل يعلم من هؤلاء الأنبياء العلم التصوري و هو العلم بالمفردات التي لم تتركب و من هذا المنزل تلبس المعاني الصور فيصور المسائل العالم في نفسه ثم يبرزها إلى المتعلمين في أحسن صورة و هي المخلقة فإن أخطأ فمن غير هذا المنزل و من هذا المنزل يعلم سبب العشق الحاصل في العاشق ما هو و ما الرابطة بين العاشق و المعشوق حتى التف به على الاختصاص دون غيره و لما ذا يراه في عينه أجمل ممن هو أجمل منه في علمه و لما ذا يكون تحت سلطان المعشوق و إن كان عبده و لما ذا ينتقل الحكم على السيد للعبد إذا كان معشوقا له فيكون تحت أمره و نهيه لا يقدر في نفسه أن يتصور مخالفته فيما يأمره به عبده و كيف انتقلت السيادة إليه و انتقلت العبودية إلى الآخر السيد ظاهرة الحكم بالتصرف فيه و لما ذا يتخيل أنه يراه أعظم عنده من نفسه و أن سعادته في عبوديته و ذلته بين يديه مع أنه يحب

الرئاسة بالطبع و لما ذا أثر في طبعه و تتبين له قوة الأرواح على الطبع و أن العشق روحاني فرده إلى ما تقتضيه حقيقة الروح فإن الروح لا رياسة عنده في نفسه و لا يقبل الوصف بها و يعلم هل ينقسم العشق إلى طبع و روح أو هو من خصائص الروح أو هو من خصائص الطبع لوجوده من الحيوان و النبات و يعلم لما ذا كان العشق من الإنسان لجارية أو غلام بحيث أن يفنى فيه و يكون بهذه المثابة التي ذكرناها و لا يستفرغ هذا الاستفراغ في حب من ليس بإنسان من ذهب و فضة و عقار و عروض و غير ذلك و هو علم شريف و لما ذا يستفرغ مثل هذا الاستفراغ في محبة الحق وحده دون ما ذكرناه و يعلم هل محبته للحق جزئية أم كلية و معنى ذلك أنه هل أحبه بكله من حيث طبعه و روحه أو من حيث روحه فقط لأن الحب الطبيعي لا يليق أن يتعلق من المحب بذلك الجناب و هل لذلك الجناب مظهر يمكن أن يتعلق به الحب الطبيعي أم لا كل ذلك من خصائص علم هذا المنزل و مما يستفيد من علوم هذا المنزل علم الزمان و لما ذا يرجع هل لأمر وجودي أو لأمر عدمي و هل الليل و النهار زمان أو دليل على إن ثم زمانا و هل حدث الليل و النهار في زمان و من هذا المنزل يعلم ترتيب الهياكل الموضوعة لاستنزال الأرواح و صورها و أشكالها و بنائها و ما ينقش عليها و ما ينفعل عنها و كم مدتها بعد معرفته هل لها مدة أم لا و يعلم علم الحروف و النجوم من حيث خصائصها و طبائعها و تأثيراتها التي فطرها الله عليها و فيمن تؤثر و بما ذا تحتجب عن تأثيرها و إذا قيدت بما ذا يطلق من قيدته عن تقييدها و إذا أطلق بما ذا يقيد من إطلاقه و يعلم من هذا المنزل ما أردناه بقولنا

الحق ما بين مجهول و معروف فالناس ما بين متروك و مألوف

و الشأن ما بين وصاف و موصوف فالحال ما بين مقبول و مصروف

فهذا بعض ما يحويه هذا المنزل و هو كثير وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و السبعون و مائتان في معرفة منزل الاعتبار و أسراره من المقام المحمدي»

تجليه في الأفعال ليس بممكن لدينا و عند الغير ذلك جائز

و يحتج في ذاك الجواز بفعله وكيف يرى في الفعل و العبد عاجز

فمن قائل الحق في الكون ظاهر و من قائل الحق في المنع ناجز

و تحقيق هذا الأمر عجز و حيرة و لا ينجلي إلا لمن هو فائز

اعلم أن التجلي الذاتي ممنوع بلا خلاف بين أهل الحقائق في غير مظهر و التجلي في المظاهر و هو التجلي في صور المعتقدات كائن بلا خلاف و التجلي في المعقولات كائن بلا خلاف و هما تجلى الاعتبارات لأن هذه المظاهر سواء كانت صور المعقولات أو صور

المعتقدات فإنها جسور يعبر عليها بالعلم أي يعلم أن وراء هذه الصور أمر إلا يصح أن يشهد و لا إن يعلم و ليس وراء ذلك المعلوم الذي لا يشهد و لا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا و أما التجلي في الأفعال أعني نسبة ظهور الكائنات و المظاهر عن الذات التي تتكون عنها الكائنات و تظهر عنها المظاهر و هو قوله تعالى ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فالحق سبحانه قرر في اعتقادات قوم وقوع ذلك و قرر في اعتقادات قوم منع وقوع ذلك و هو سبحانه قد ذكرنا أنه يتجلى في صور المعتقدات فمن عرف أن أفعال نفسه و غيره مخلوقة لله مع أنه يشاهدها عن قدرته و يعلم أنها عن القدرة الإلهية مع أنه لا يشهد تعلق قدرته أو قدرة غيره بمقدوره حالة إيجاده و إبرازه من العدم إلى الوجود يمنع إن يتجلى الحق في الأفعال إلا على حد ما وقع هنا فمنع وقوع هذا التجلي و من عرف أن أفعال نفسه مخلوقة له لا للقدرة القديمة مع أنه أيضا لا يعرفها مشاهدة إلا حال وجودها و لا يرى صاحب هذا الاعتقاد إذا أنصف تعلق قدرته بإيجادها و إنما يشهد تعلق الجارحة بالحركة القائمة قال بوقوع هذا التجلي ففيه خلاف بين أهل هذا الشأن لا يرتفع دنيا و لا آخرة غير أن الدنيا تقتضي بحالها أن يتنازعوا في هذا الأمر و غيره و في الجنة لا نزاع في ذلك لأن كل واحد قد قرره الحق على اعتقاده و أبقى عليه و همه في تلك الدار أنه متجل له في أفعاله و أبقى على الآخر علمه أنه لا يتجلى في أفعاله مع حصول تجلى من أبقى عليه و همه لمن أبقى علمه عليه بالمنع فصاحب المنع يشاهد من الحق ما يشاهده من يقول بوقوع التجلي في الأفعال فيعرف ما يشهد في ذلك التجلي كما يعرف هنا من يعقل معقولاته الصادرة عنه و ذلك الآخر لا يعلم من الله هذا الذي يعلمه من يقول بالمنع فحصل من هذا أن الأمر مشكل فهو سبحانه المثبت لذلك و النافي له فيما خاطبنا به هنا في كتبه و على ألسنة رسله و قرره في أفكار النظار لتاخذه العقول على حد ما قرره في الأفكار من المنع لذلك أو وقوعه و هذا الحجاب لا يرتفع أبدا و التكليف محقق من حيث إن الأفعال مكتسبة بلا خلاف بين الطائفتين و إنما الخلاف في الإيجاد عن أي القدرتين كان قال تعالى و تبين لكم كيف فعلنا بهم و هو أقوى حجة للقائلين بالوقوع و هو أقوى حجة للقائلين بالمنع أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ فقرن الرؤية بإلى و جعل المرئي الكيف فيقول صاحب المنع لما لم نشهد هنا ذات الحق و هو يكيف مد الظل و لا رأيناه و إنما رأينا مد الظلال عن الأشخاص الكثيفة التي تحجب الأنوار أن تنبسط على الأماكن التي تمتد فيها ظلال هذه الأشخاص علمنا إن الرؤية في هذا الخطاب إنما متعلقها العلم بالكيف المشهود الذي ذكرناه و أن ذلك من الله سبحانه لا من غيره أي أنه لو أراد أن تكون الأشخاص الكثيفة منصوبة و الأنوار في جهة منها بمنع تلك الأشخاص انبساط النور على تلك الأماكن فيسمى منعها ظلالا أو يقبض تلك الظلال عن الانبساط على تلك الأماكن و لا يخلق فيها نورا آخر و لا ينبسط ذلك النور المحجوب على تلك الأماكن لما قصرت إرادته عن ذلك كما قال تعالى ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً و هو رجوع الظل إلى الشخص الممتد منه ببروز النور حتى يشهد

ذلك المكان فجعل المقبوض إنما كان قبضه إلى الله لا إلى الجدار و في الشاهد و ما تراه العين إن سبب انقباض الظل و تشميره إلى جهة الشخص الكثيف إنما هو بروز النور فما في المسائل الإلهية ما تقع فيها الحيرة أكثر و لا أعظم من مسألة الأفعال و لا سيما في تعلق الحمد و الذم بأفعال المخلوقين فيخرجها ذلك التعلق أن تكون أفعال المخلوقين لغير المخلوقين حال ظهورها عنهم و أفعال الله كلها حسنة في مذهب المخالف الذي ينفي الفعل عن المخلوق و يثبت الذم للفعل بلا خلاف و لا شك عنده في تعلق الذم بذلك الفعل من الله و سببه الكسب لما وقع مخالفا لحمد الله فيه مأمورا كان يفعله فلم يفعله أو منهيا عن فعله ففعله و هذا فيه ما فيه و في مثل هذه المسائل قلت

حيرة من حيرة صدرت ليت شعري ثم من لا يحار
أنا إن قلت أنا قال لا و هو إن قال أنا لا يعار
أنا مجبور و لا فعل لي و الذي أفعله باضطرار
و الذي أسند فعلي له ليس في أفعاله بالخيار
فإنا و هو على نقطة ثبتت ليس لها من قرار

فقد أوقفناك بما ذكرناه في هذا الباب على ما يزيدك حيرة فيه و بعد أن ذكرنا ما ذكرنا فاعلم أن هذا المنزل هو على الحقيقة منزل حيرة و مقام غيرة و من علوم هذا المنزل و هو داخل في باب الحيرة اتصاف العدم بالكينونة و هي تقتضيه و اتصاف الحق بجعل الموجودات في العدم و خلق العدم بحيث أن يقال فعل الفاعل لا شيء و لا شيء لا يكون فعلا و قد نسبه الحق إليه فقال إن يشأ يذهبكم أن يلحقكم بالعدم و يأت بخلق جديد فانظر كيف أضاف الإلحاق بالعدم إلى المشيئة و ليضفه إلى القدرة التي يقع الخلق و الجعل بها و الكتب الإلهية من هذا مشحونة و يحتوي عليها هذا المنزل و الصحيح في ذلك أن الموجودات إذا كانت كما قد ذكر لها أعيان ثابتة حال اتصافها بالعدم الذي هو للممكن لا للمحال فكما أبرزها للوجود و ألبسها حاله و عراها عن حال العدم فيسمى بذلك موجدا و تسمى هذه العين موجودة لا يبعد أن يردها إلى ما منه أخرجها و هي حالة العدم فيتصف الحق بأنه معدم لها و تتصف هي بأنها معدومة و لا يتعرض إلى العلم بأية صفة حصل ذلك فإن سألنا ألحقنا حصول الأمرين و الحالتين بالمشيئة و يسلم ذلك الخصمان و إذا سألنا عن إلحاق تلك العين بالوجود نسبنا ذلك إلى القدرة و المشيئة و يسلم الخصمان لنا ذلك فإذا فهمت ما أردناه فالحق الكل بالمشيئة و هو الأولى و الأوجه حتى تسلم من النزاع في صنف الخبر من ذلك حتى لا يتصور نزاع فيه من جميع الطوائف و من هذا الباب ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ أي أزاله عن أبصارهم و لكن لا يلزم من ذهابه عن أبصارهم الحاقة بالعدم لو لا إن المفهوم منه أن الله أعدم النور من أبصارهم وَتَرَكَهُمْ فِي

ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ و من علوم هذا المنزل بعث الحق تعالى الجماعة لأمر يقوم به الواحد منهم أعني من تلك الجماعة و من علوم هذا المنزل وجود العلم عن النظرة و الضربة و الرمية و كيف تقوم هذه الأمور مقام كلام العالم للمتعلم و ذوقنا من هذا الفن ذوق النظرة فاعلم أنه كما يتضمن النظر بنور الشمس جميع المرئيات على كثرتها و بعدها في غير زمان مطول بل عين زمان اللمحة زمان بسط النور على المبصرات عين زمان إدراك البصر لها عين زمان تعلق العلم بما أدركه البصر من غير ترتيب زماني و لا امتداد و إن كان الترتيب معقولا مثل ترتيب العلة و المعلول مع تساوقهما في الوجود كذلك اللحظة أو الضربة أو الرمية تتضمن العلوم التي أودع الله فيها فإذا وقعت من الضارب أو الرامي أو اللاحظ أدرك من العلم جميع ما في قوة تلك الضربة مثل ما أعطت اللحظة بنور الشمس جميع ما في قوة تلك اللحظة من المبصرات و ليس القصور من الضربة و غيرها فإنها تتضمن ما لا نهاية له من العلوم كما تشرق الشمس على أكثر مما يدركه البصر و إنما القصور في قلب المدرك مثل القصور في المبصر عن إدراك جميع ما أشرقت عليه الشمس و هذا كله في آن واحد إن كان المدرك ممن يتقيد بالزمان كالأرواح التي لا تتصف بالتحيز فتدرك ما تدركه في غير زمان مما يدرك في زمان و في غير زمان و لهذه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم إن الحق ضربه بيده بين كتفيه أو في ظهره فوجد برد الأنامل بين ثدييه أو في صدره فعلم علم الأولين و الآخرين فسبحان معلم من شاء بما شاء كيف شاء لا إله إلا هو العليم القدير و كذلك من هذا الباب لما رمى التراب في وجوه الأعداء يوم حنين فأصابت عيون القوم فانهزموا فانظر ما تضمنته تلك الرمية و ما تضمنته تلك الضربة و أما لنظرة فما رويتها عن أحد و لا سمعتها عن أحد لكني رأيتها من نفسي نظرت نظرة فعلمت ما تضمنته من العلوم و أعطيت نظرة فنظرت بها فعلمت بها من نظرت إليه من جميع ما تضمنته تلك النظرة من العلوم و هذا هو علم الأذواق و من هنا يعلم قول من قال يسمع بما به يبصر بما به يتكلم هذا مضى و أما فائدة ما يقوم به الواحد بما تبعث به الجماعة فللإنعام الإلهي بتلك الجماعة و عناية الحق بهم حيث جعل لهم نصيبا في ذلك الخير لا لقصور القدرة عن إبلاغ الواحد ذلك الأمر دون الجماعة إلا أن تكون حقائق النسب فإن ذلك ترتيب حقيقي لا وضعي كتقدم الحي على العالم و دخول المريد تحت إحاطة العالم و دخول القادر تحت إحاطة المريد فلا يقوم المريد بما يختص به القادر و لا يقوم العالم بما يختص به المريد و لا يقوم الحي بما يختص به العالم و لا يقوم العالم بما يختص به الحي و لا يقوم المريد بما يختص به العالم و لا يقوم القادر بما يختص به المريد و عين العالم هو عين الحي عين المريد عين القادر و عين الحياة هي عين العلم عين الإرادة عين القدرة و عين الحياة هي عين الحي عين العالم عين المريد عين القادر و كذلك ما بقي فالنسب مختلفة و العين واحدة و المعلوم صفة و حال و موصوف فالجمع في عين الوحدة مندرج حكما لا عينا فإنه ما ثم أعيان موجودة لهذا المجموع و إنما هي عين واحدة لها نسب مختلفة تبلغ ما بلغت فهذا هو

السريان الوجودي في الموجودات فهذا من قيام الواحد بما تقوم به الجماعة بين موجود و معقول فهذا المنزل يتضمن ما ذكرناه و من علوم هذا المنزل معرفة استحالات العناصر و المولدات بعضها إلى بعض بنسبة رابطة بين المستحيل و المستحال إليه فإن ارتفعت تلك النسبة الرابطة لم يستحل شيء إلى شيء فإنه منافر له من جميع الوجوه و لهذا كانت النسبة بين الرب و المربوب موجودة و بها كان ربا له و لم يكن بين المربوب و ذات الرب نسبة فلهذا لم يكن عن الذات شيء كما تقول أصحاب العلل و المعلولات فلا تتوجه الذات على إيجاد الأشياء من كونها ذاتا و إنما تتوجه على الأشياء من نسبة القدرة إليها و عدم المانع و ذلك مسمى الألوهة كذلك الطبائع رتبها الله ترتيبا عجيبا لأجل الاستحالات فجعل عنصر النار يليه الهواء و عنصر الهواء يليه الماء و عنصر الماء يليه التراب فبين الماء و النار منافرة طبيعية من جميع الوجوه و بين الهواء و التراب منافرة من جميع الوجوه طبيعية فجعل بينهما الوسائط لكونها ذات وجهين لكل واحد مما يلي الطرفين مناسبة خاصة فإذا أراد الحق أن يحيل الماء نارا و هو منافر طبعا أحاله أولا هواء ثم أحال ذلك الهواء نارا فما أحال الماء نارا حتى نقله إلى الهواء من أجل التناسب و كذلك جميع الاستحالات كلها في عالم الطبيعة و أما في الإلهيات فقد أشرنا إليه في هذه المسألة و في هذا الكتاب في وصف ذات المخلوق بصفة ذات الخالق و وصف ذات الخالق بصفة ذات المخلوق ثم تجرد ذات الخالق عما تقتضيه ذات المخلوق و تجرد ذات المخلوق عما تقتضيه ذات الخالق فلو لا النسبة الموجودة بين الرب و المربوب ما دل عليه و لا قبل الاتصاف بصفته لا هذا و لا هذا و بتلك النسبة كان الحق مكلفا عباده و آمرا و ناهيا و بها بعينها كان الخلق مكلفا مأمورا منهيا فحقق ما نبهناك عليه إن كنت ذا قلب و ألقيت السمع و أنت شهيد لما ذكرناه فإن لم تكن كذلك فاتك خير كثير و علم نافع جليل القدر لكنه عظيم الخطر إلا أن يعصم الله و مكر إلهي خفي في هذا المنزل صدر عن الاسم القاهر و القادر موجود من عالم الغيب في عالم الحس بيده حسام القهر صلتا يطلب به موجودا تعلق باسم رحماني مثل طلب موسى فرعون و طلب نمروذ و فراعنة الأنبياء للأنبياء عليهم السلام كل ذلك صفات تقوم للعارف في ظاهره و باطنه يكاشفها من نفسه فإذا صال رجال الاسم القاهر التجأ العارف إلى الاسم الباطن فشفع له عند القاهر فتبادر جماعة من الأسماء الإلهية من أجل الاسم الباطن تعظيما له لقربه من الهو و قاموا معه بالاسم القائم على الاسم الظاهر لبعد منزلته من الهو فأقام لهم الاسم من عالم الغيب جماعة في عالم البرزخ فإنه أشد قوة في التأثير من عالم الحس فإنه يؤثر في عالم الحس ما يؤثره الحس و الحس لا يقدر يؤثر في الخيال ألا ترى النائم يرى في الخيال إنه ينكح فينزل منه الماء في عالم الحس و يرى ما يفزعه فيتأثر لذلك جسم النائم بحركة أو صوت يصدر منه أو كلام مفهوم أو عرق لقوة سلطانه عليه و يظهر الخيال في صورة الحس ما ليس في نفسه بمحسوس و يلحقه بالحس و ليس في قوة الحس أن يرد المحسوس بعينه متخيلا فيحصل لهذا العارف علوم من عين تلك

الجماعة البرزخية يطلع بها على معرفة تلك الشبهة القادحة في سعادته لو ثبتت و مات عليها و لا بد في هذا المنزل من هذه الشبهة و هذه الأدلة (فصل) و اعلم أنه ما من منزل من المنازل و لا منازلة من المنازلات و لا مقام من المقامات و لا حال من الحالات إلا و بينهما برزخ يوقف العبد فيه يسمى الموقف و هو الذي تكلم منه صاحب المواقف محمد بن عبد الجبار النفري رحمه الله في كتابه المسمى بالمواقف الذي يقول فيه أوقفني الحق في موقف كذا فذلك الاسم الذي يضيفه إليه هو المنزل الذي ينتقل إليه أو المقام أو الحال أو المنازلة إلا قوله أوقفني في موقف وراء المواقف فذلك الموقف مسمى بغير اسم ما ينتقل إليه و هو الموقف الذي لا يكون بعده ما يناسب الأول و هو عند ما يريد الحق أن ينقله من المقام إلى الحال و من الحال إلى المقام و من المقام إلى المنزل و من المنزل إلى المنازلات أو من المنازلات إلى المقام و فائدة هذه المواقف أن العبد إذا أراد الحق أن ينقله من شيء إلى شيء يوقفه ما بين ما ينتقل عنه و بين ما ينتقل إليه فيعطيه آداب ما ينتقل إليه و يعلمه كيف يتأدب بما يستحقه ذلك الأمر الذي يستقبله فإن للحق آدابا لكل منزل و مقام و حال و منازلة إن لم يلزم الآداب الإلهية العبد فيها و إلا طرد و هو أن يجري فيها على ما يريده الحق من الظهور بتجليه في ذلك الأمر أو الحضرة من الإنكار أو التعريف فيعامل الحق بآداب ما تستحقه و قد ورد الخبر الصحيح في ذلك في تجليه سبحانه في موطن التلبيس و هو تجليه في غير صور الاعتقادات في حضرة الاعتقادات فلا يبقى أحد يقبله و لا يقربه بل يقولون إذا قال لهم أنا ربكم نعوذ بالله منك فالعارف في ذلك المقام يعرفه غير أنه قد علم منه بما أعلمه أنه لا يريد أن يعرفه في تلك الحضرة من كان هنا مقيد المعرفة بصورة خاصة يعبده فيها فمن أدب العارف أن يوافقهم في الإنكار و لكن لا يتلفظ بما تلفظوا به من الاستعاذة منه فإنه يعرفه فإذا قال لهم الحق في تلك الحضرة عند تلك النظرة هل كان بينكم و بينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم سبحانه في تلك العلامة مع اختلاف العلامات فإذا رأوها و هي الصورة التي كانوا يعبدونه فيها حينئذ اعترفوا به و وافقهم العارف بذلك في اعترافهم أدبا منه مع الله و حقيقة و أقر له بما أقرت الجماعة فهذه فائدة علم المواقف و ما ثم منزل و لا مقام كما قلنا إلا و بينهما موقف إلا منزلان أو حضرتان أو مقامان أو حالان أو منازلتان كيف شئت قل ليس بينهما موقف و سبب ذلك أنه أمر واحد غير أنه يتغير على السالك حاله فيه فيتخيل أنه قد انتقل إلى منزل آخر أو حضرة أخرى فيحار لكونه لم ير الحق أوقفه و التغيير عنده حاصل فلا يدري هل ذلك التغير الذي ظهر فيه هل هو من انتقاله في المنزل أو انتقاله عنه فإن كان هنالك عارف بالأمر عرفه و إن لم يكن له أستاذ بقي التلبيس فإنه من شأن هذا الأمر أن لا يوقفه الحق كما فعل معه فيما تقدم و كما يفعل معه فيما يستقبل فيخاف السالك من سوء الأدب في الحال الذي يظهر عليه هل يعامله بالأدب المتقدم أوله أدب آخر و هذا لمن أوقفه الحق من السالكين فإذا لم يوقفه الحق في موقف من هذه المواقف و لم يعطه الفصل بين ما ينتقل إليه و عنه كان عنده

الانتقالات في نفس المنزل الذي هو فيه فإنه ما ثم عند صاحب هذا الذوق إلا أمر واحد فيه تكون الانتقالات و هو كان حال المنذري صاحب المقامات و عليها بنى كتابه المعروف بالمقامات و أوصلها إلى مائة مقام في مقام واحد و هو المحبة فمثل هذا لا يقف و لا يتحير و لكن يفوته علم جليل من العلم بالله و صفاته المختصة بما ينتقل إليه فلا يعرف المناسبات من جانب الحق إلى هذا المنزل فيكون علمه علم إجمال قد تضمنه الأمر الأول عند دخوله إلى هذه الحضرات و يكون علم صاحب المواقف علم تفصيل و لكن يعفى عنه ما يفوته من الآداب إذا لم تقع منه و تجهل فيه و لا يؤثر في حاله بل يعطي الأمور على ما ينبغي و لكن لا يتنزل منزلة الواقف و لا يعرف ما فاته فيعرفه الواقف و هو لا يعرف الواقف فلهذا المنزل الذي نحن فيه موقف يجهل لا بل يحار فيه صاحب المواقف لأن المناسبة بين ما يعطيه الموقف الخاص به و بين هذا المنزل بعيدة مما بنى المنزل عليه و كذلك الذي يأتي بعده غير أن النازل فيه و إن كان حائرا فإنه يحصل له من الموقف في تلك الوقفة إذا ارتفعت المناسبة بين المنزل و الوقفة إن المناسبة ترجع بين الوقفة و النازل فيعرف ما تستحقه الحضرة من الآداب مع ارتفاع المناسبة فيشكر الله على ذلك فصاحب المواقف متعوب لكنه عالم كبير و الذي لا موقف له مستريح في سلوكه غير متعوب فيه و ربما إذا اجتمعا و رأى من لا موقف له حال من له المواقف ينكر عليه ما يراه فيه من المشقة و يتخيل أنه دونه في المرتبة فيأخذ عليه في ذلك و يعتبه فيها و يقول له الطريق أهون من هذا الذي أنت عليه و يتشيخ عليه و ذلك لجهله بالمواقف و أما صاحب المواقف فلا يجهله و لا ينكر عليه ما عامله به من سوء الأدب و يحمله فيه و لا يعرفه بحاله و لا بما فإنه من الطريق فإنه قد علم إن الله ما أراده بذلك و لا أهله فيقبل كلامه و غايته إن يقول له يا أخي سلم إلى حالي كما سلمت إليك حالك و يتركه و هذا الذي ينبهك عليه من أنفع ما يكون في هذا الطريق لما فيه من الحيرة و التلبيس فافهم وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثمانون و مائتان في معرفة منزل مالي و أسراره من المقام الموسوي»

قلت مالي فقال مالك عبدي قلت مالي فقال مالك عندي
قلت لما أضفته لي ملكا لم خصصته بقولك عندي
قال لما علمت أنك عندي كان ما تحت ملك عندك عندي
قلت إن كان عين إنك أني صح ما قلت إن عندك عندي
و كما قلت إن عندك عندي فلنقل نحن إن عندك عندي
و هو أولى فإن ذاتي ظرف و تعاليت أنت فالعند عندي

هذا منزل عال ليس بينه و بين موقفه مناسبة فترجع المناسبة إلى الواقف كما كان في المنزل الذي قبله من هذا المنزل قال يعقوب عليه السلام لبنيه وَما أُغْنِي عَنْكُمْ من الله من شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ و من هذا المنزل قال محمد صلى الله عليه و سلم و قد نزل عليه وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فوقف على الصفا و جاء الناس يهرعون إليه فقال لأكرم الناس عليه يا فاطمة بنت محمد انظري لنفسك لا أغنى عنك من الله شيئا و قال مثل هذه المقالة لجميع الأقربين و كان عمه أبو لهب حاضرا فنفخ في يده و قال ما حصل بأيدينا مما قاله شيء و صدق أبو لهب فإنه ما نفعه الله بإنذاره و لا أدخل قلبه منه شيئا لما أراد به من الشقاء فأنزل الله فيه تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ فإنه كان معتمدا على ماله فمن اعتمد على غير الله في أموره خسر و القائلون بالأسباب إذا اعتمدوا عليها و تركوا الاعتماد على الله لحقوا بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا و إذا أثبتوا الأسباب و اعتمدوا على الله و لم يتعدوا فيها منزلتها التي أنزلها الله فيها فأولئك الأكابر من رجال الله الذين لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله و أثبت لهم الحق الرجولة في هذا الموطن و من شهد له الحق بأمر فهو على حق في دعواه إذا ادعاه و من أثبت الأسباب بإثبات الحق و ركن إليها ركون الطبع و اضطرب عند فقدها في نفس الاعتماد على الله فذلك من متوسط الرجال و إذا وقع الاضطراب في النفس فإن أحس بالفقد و اضطرب المزاج فذلك من خصائص الرجال الأكابر و إن لم يضطرب المزاج و لم يحس بالفقد فذلك حال الاعتماد على الله و هو مقام المتوسطين أصحاب الأحوال و من هذا المنزل قيل للنبي صلى الله عليه و سلم في فتح مكة لما وقف بين يديه رجل ممن كان النبي صلى الله عليه و سلم يريد قتله فلما قضى حاجته منه و انصرف قال النبي صلى الله عليه و سلم لم تقتلوه حين وقف بين يدي فقال له أصحابه هلا أومأت إلينا بطرفك فقال صلى الله عليه و سلم ما كان لنبي أن تكون له خائنة عين و هي حالة لا يسلم منها و غاية إن يسلم منها من سلم في الشر و أما في الخير فإنهم ربما اتخذوها في الخير طريقا محمودة فيومئ الكبير في حق الحاضر إلى بعض من يمتثل أمره أن يجيء إليه بخلعة أو بمال يهبه لذلك الحاضر يكون ذلك إيماء بالعين لا تصريحا باللفظ من غير شعور من يومي في حقه بذلك الخير و لا يقع مثل هذا و إن كان خيرا من نبي و سببه أن لا تعتاده النفس فربما تستعمله في الشر لاستصحابها إياه في الخير إذ كانت النفس من طبعها أن تسترقها العادة و إنما سميت خائنة عين لأن الإفصاح عما في النفس إنما هو لصفة الكلام ليس هو من صفة العين و إن كان في قوة العين الإفصاح بما في النفس بالإشارة و لكن إنما لها النظر و الذي عندها من صفة الكلام إنما هو أمانة بيدها للكلام فإذا تصرفت في تلك الأمانة بالإيماء و الإشارة لمن تومئ إليه في أمر ما فقد خانت الكلام فيما أمنها عليه من ذلك فلهذا سميت خائِنَةَ الْأَعْيُنِ فوصفت بالخيانة و الخيانة التصرف في الأمانة فإن الأمانة ليست بملك لك و إنك مأمور بأدائها إلى أهلها فإذا اقتضى المنزل الأمر بخير و شر في حق شخص و في قوة العين الإفصاح عن ذلك لمن يشير إليه

به فعلمت إن ذلك صفة للكلام فلم تفعل و ردت تلك الأمانة إلى اللسان فنطق فقد أدت هذه العين الأمانة إلى أهلها و لم تخن فيها قال تعالى يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ أي يعلم أنها خيانة و كيف هي خيانة و لم يقل يعلم ما أشارت به الأعين و ما أومأت فإن المشار إليه يعلم ذلك فلا يكون مدحا و لكن لا يعلم كل أحد أنها خيانة إلا من أعلمه الله بذلك و قد أعلمنا بها فعلمناها فهي في الخير خيانة محمودة و في الشر خيانة مذمومة و ما زالت عن كونها خيانة في الحالين و بعد أن بينا لك هذا الأمر فتحفظ منها ما استطعت أن تفعلها مع الحضور فإنك لست بمعصوم فاستعمل الحضور عسى تفوز بهذا المقام فإن قلت قد أشارت من شهد لها بالكمال و منعت من الكلام و هي مريم إلى عيسى إن يسألوه عن شأنه قلنا بعد ذلك نالت الكمال لا في ذلك الوقت أ لا ترى زكريا قيل له آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً و الرمز ما يقع بالإشارة فإن الإشارة صريحة في الأمر المطلوب بل هي أقوى في التعريف من التلفظ باسم المشار إليه في مواطن يحتاج المتكلم فيها إلى قرينة حال حتى لو قال شخص لآخر كلم زيدا بكذا و كذا و زيد حاضر احتمل أن يفهم عنه السامع زيدا آخر غير هذا و المتكلم إنما أراد الحاضر فإذا ترك التلفظ باسمه و أشار إليه بيده أو بعينه فقال كلم هذا مشيرا إليه كان أفصح و أبعد من الإبهام و النكر و الحرف إنما هو لفظ مجمل يحتمل التوجيه فيه إلى أمور مثل ما رمز الشاعر في التعريف بالنار من غير إن يسميها فقال

و طائرة تطير بلا جناح و تأكل في المساء و في الصباح
و تمشي في الغصون لها صياح و هز في الحسام لدى الكفاح
تفر الأسد منها في الفيافي و تغلب للصوارم و الرماح
و تجلس بين أفخاذ العذارى و تكشف ما خفي تحت الوشاح
إذا ماتت تجارح والداها فترجع حية عند الجراح

يريد بالوالدين الزناد فهذا هو الرمز في النار و قال الآخر في العين فأحسن

و طائرة تطير بلا جناح تفوق الطائرين و ما تطير
إذا ما مسها الحجر استكنت و تنكر أن يلامسها الحرير

يريد بالحجر الإثمد و اعلم أنه من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع خانه ذلك الظن و ما أغنى عنه من الله شيئا قال تعالى إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً و قال في عباد تهم إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ فما نسب إليهم قط أنهم عبدوا غير الله إلا على طريق الظن لا على جهة العلم فإن ذلك في نفس الأمر ليس بعلم فمن هنا تعلم أن العلم سبب النجاة و إن شقي في الطريق فالمال إلى

النجاة فما أشرف مرتبة العلم و لهذا لم يأمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يطلب من الله تعالى الزيادة من شيء إلا من العلم فقال له وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فمن فهم ما أشرنا إليه علم أهل السعادة من أهل الشقاء و لم تؤثر فيه الأمور العرضية التي توجب الشقاء في الطريق فلو علم المشرك ما يستحقه الحق من نعوت الجلال لعلم أنه لا يستحق أن يشرك به و لو علم المشرك أن الذي جعله شريكا لا يستحق أن يوصف بالشركة لله في الوهته لما أشرك فما أخذ إلا بالجهل من الطرفين قال تعالى فَلا تَكُونَنَّ من الْجاهِلِينَ و قال إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ من الْجاهِلِينَ فلو اقتصر المشرك على الشركة في الفعل لا في الألوهة لكان في الأمر سعة فإن إضافة الأفعال إلى المخلوقين فيه إشكال و يعذر صاحبه فيمن هو ذو فعل فإذا أضافوا الأفعال إلى من يعلمون أنه ليس بفاعل فبالجهل أخذوا و به وقع التوبيخ فقيل لهم أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ و قال في حق ذي فعل وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى فنسب الإضلال لفرعون و ما نسبه إلى قومه فإنه عندهم ذو فعل و في نفس الأمر كذلك و قوله وَ ما هَدى أي ما بين لهم طريق الحق فإنه موضع لبس لكونه ذا أفعال فلو كان المعبود جمادا ما وقع اللبس فإن قيل فإن اتخذوا إلها من له فعل بالخاصية من جماد و نبات أ يعذرون قلنا لا يعذرون فإن خاصيته لا تكون سارية في كل شيء حتى تضاف إليه الأفعال كما تضاف إلى الله و بهذا القدر من الجهل أخذوا عبدة المخلوقين ذوي الأفعال كفرعون و غيره فإن القدرة التي له لا تزيد على قدرة العابد إياه فهي قاصرة عن سريانها في جميع الأفعال فإن القدرة الحادثة لا تخلق المتحيزات من أعيان الجواهر و الأجسام فعبدوا من لم يخلق أعيانهم و لهذا وبخهم بقوله تعالى أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ فإن قيل فإن أقدر أحد على جهة خرق العادة على خلق جوهر فعبده أحد لذلك هل يعذر أم لا قلنا لا يعذر فإنه يشهد أنه يقبل الحوادث و لا يخلو عنها و ما لا يخلو عن الحوادث يستحيل أن يتقدمها على الجملة و إذا لم يتقدم الحوادث على الجملة كان حادثا مثلها و من شأن الإله أن يكون أقدم من كل ما يحدث على الجملة فلا بد أن يكون الحادث متأخرا عنه بأي نسبة كان من نسب التأخر فلما فاته هذا القدر من العلم و كان جاهلا به لم يعذر و أخذ بذلك و أصله إنما كان الجهل بذلك فمن استند إلى معبود موضوع فإنما استند إليه بظنه لا بعلمه فلذلك أخذ به فشقي إلا أن يعطي المجهود من نفسه في نفي الشريك فلم يعط فكره و لا نظره و لا اجتهاده نفيه جملة واحدة و لم يبعث إليه رسول و لم تصل إليه دعوته فإن جماعة من أهل النظر قالوا بعذر من هذه حالته و هو مأجور في نفس الأمر مع أنه مخطئ و ليس بصاحب ظن بل هو قاطع لا عالم و القطع على الشيء لا يلزم أن يكون عن علم و ربما يستروح من قول الله تعالى وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به إن الله يعذره و لا شك أن المجتهد الذي أخطأ في اجتهاده في الأصول يقطع أنه على برهان فيما أداه إليه نظره و إن كان ليس ببرهان في نفس الأمر فقد يعذره الله تعالى لقطعه بذلك عن اجتهاده كما قطع الصاحب أنه رأى دحية و كان المرئي جبريل فهذا قاطع على غير علم فاجتهد

فأخطأ فإنه غير ذاكر لما نقصه من التقسيم فإنه لو قال إن لم يكن روحا تجسد و إلا فهو دحية بلا شك فتدبر ما قررناه في مثل هذا فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول في المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران و إن أخطأ فله أجر و لم يفصل بين الاجتهاد في الأصول و الفروع و قال تعالى وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا و يلحق بهذا الباب طوائف ممن أوجب أكثر العلماء عليهم العذاب و حكموا عليهم بالشقاء من غير دليل واضح يفيد العلم فأنزلوهم منازل الأشقياء بالظن و القطع على غير علم في نفس الأمر فالإله لا يكون بالحسبان فثبت بما ذكرناه أنه من ظن لم ينج من عذاب في الإله فإن قيل يقول الله أنا عند ظن عبدي بي قلنا له هو مذهبنا فإنه قال بي فقد أثبته و ما قال أنا عند ظن العبد بمن جعله إلها فمتعلق الظن كان عنده بالله فيما يظنه من سعادة أو شقاء فإنه عالم بالله صاحب ظن في مؤاخذته على الذنب أو العفو عنه و بعد أن تقرر هذا فلتعلم إن الجنة جنتان جنة حسية و جنة معنوية فالمحسوسة تتنعم بها الأرواح الحيوانية و النفوس الناطقة و الجنة المعنوية تتنعم بها النفوس الناطقة لا غير و هي جنة العلوم و المعارف ما ثم غيرهما و النار نار ان نار محسوسة و نار معنوية فالنار المحسوسة تتعذب بها النفوس الحيوانية و النفوس الناطقة و النار المعنوية تتعذب بها النفوس الناطقة لا غير و الفرق بين النعيمين و العذابين إن العذاب الحسي و النعيم الحسي يكون بالمباشرة للذي يكون عن مباشرته الألم القائم بالروح الحيواني و العذاب المعنوي لا يكون بمباشرة للنفوس الناطقة و إنما هو بما حصل لها من العلم بما فاتها من العمل و العلم المؤدي إلى سعادة الروح الحيواني الذي يتضمن سعادة النفس الناطقة و أما نار الفكر الذي يتعلق ألمه بالحس و بالنفس فهي نار معنوية فإن حصل العلم عنها أعقبها نعيم جنة معنوية و إن لم يحصل العلم عنها لم يزل صاحبها معذبا ما دام مفكرا و لا نعيم له معنوي و إذا زال الفكر عنه بأي وجه زال من غير حصول علم فذلك النعيم الذي تجده النفس إنما هو الراحة من فقد نار التفكر المسلط على قلبه فهي راحة حسية لا معنوية فاعلم ذلك و اعلم أن هذا المنزل يتضمن علم عقل ما ليس بحيوان في الإدراك الحس العادي عن الله تعالى ما يأمره به مثل قوله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها و قوله تعالى فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فجمعهما جمع من يعقل و أثبت لها ما أثبت للحي العالم السميع القادر و قوله تعالى عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ فأخبر أنها مسلطة و لا يقبل التسليط إلا من يعقل و أنها محرقة بالطبع فإنه لو لم تحرق بالطبع ما قبلت الإرسال على الكفار إذ لو كان الحرق فيها بغير الطبع لما تصورت منها المخالفة لأن المخالف إنما هو الاحتراق فهو أمر آخر يفتقر وجوده إلى إيجاد موجدة و الحق ما خاطب إلا النار و الإحراق عرض و العرض يفتقر إلى وجود في غير عين النار فإنه إن وجد في النار فإنه لا ينتقل إلى الجسم المسلط عليه النار لأن العرض لا ينتقل إذ لو انتقل لخلا عن المحل و قام بنفسه و العرض لا يقوم بنفسه فمن المحال تحريق الجسم المحرق بالنار فيكون خطاب النار بالإحراق

عبثا و قد وقع الخطاب على النار بالتسليط فعلى من وقع فبطل إن يكون الحق يتكلم بالعبث فكيف يخرج هذا الخطاب و على من يقع إذا لم يكن الإحراق للنار بالطبع و هكذا كل جماد و نبات و حيوان خوطب لا بد أن يكون حيا عاقلا قابلا لما يخاطب به من شأنه أن يعقل ما قيل له افعل قبولا ذاتيا تابعا لوجود عينه فهذا قد نبهتك على هذا النوع من الإدراك الذي يتضمنه هذا المنزل و اعلم أن جميع ما يحويه هذا المنزل من العلوم لا يوصل إليها إلا بالتعريف الإلهي بوساطة روحانية الأنبياء لهذا المكاشف و تلك الأرواح لا يعلمها من الله إلا بوسائط لغموضها و دقتها فمن جملة ما يحويه علم كسر المكسور إلى ما لا نهاية له و معلوم من طريق العقل إن المكسور محصور فهو متناه لنفسه فكيف يقبل الكسر إلى ما لا يتناهى و هذه مسألة تشبه بمسألة انقسام الجسم إلى ما لا نهاية له عقلا لا حسا عند الحكماء لإبطال إثبات الجوهر الفرد الذي تنتهي إليه قسمة الجسم في مذهب المتكلمين فمن هذا المنزل تعرف الحق عند من هو من هاتين الطائفتين و تطلع من هذا المنزل على علم قيام العذاب و حمله في غير أجسام المعذبين و عذاب المعذبين به مع كونه غير قائم بهم و هو من أشكل المسائل كيف يوجب المعنى حكمه لغير من قام به فتشبه أيضا هذه المسألة مسألة من يقول إن الله إذا أراد أن يمضي أمرا خلق إرادة لا في محل ثم أراد بها إمضاء ذلك الأمر فقد أوجب المعنى حكمه لمن لم يقم به عند مثبتي الصفات أعيانا لها أحكام و هم المتكلمون و الفرق بين هذه المسألة و بين مسألتنا أن العذاب محمول في أجسام و حكمه في أجسام أخر غير الأجسام القائم بها العذاب و العذاب المحمول في هذه الأجسام لا تتعذب به و هو قائم بها و هي متصفة به من كونها محلاله لا من كونها معذبة به و الوجه الجامع بين المسألتين وجود الحكم المضاف إلى المعنى في غير المحل الذي قام به ذلك المعنى و هل العلم مثل الإرادة في هذا الباب و غيره من الصفات أم لا فيقوم العلم بزيد و لا يعلم به زيد و يعلم به عمر و هذا محال عقلا و لكن هذا المنزل يحكم بوقوع ذلك فإن أردت تأنيس النفس لقبول ما أعطاه هذا المنزل في هذه المسألة فانظر ما أنت مجمع عليه مع أصحابك إن الحق سبحانه يتعالى عن الحلول في الأجسام فإن الإنسان إنما يبصر ببصره القائم بجارحة عينه في وجهه و يسمع بسمعه القائم بجارحة أذنه و يتكلم بالكلام الموجود في تحريك لسانه و تسكينه و شفتيه و مخارج حروفه من صدره إلى شفتيه ثم إن هذا الشخص يعمل بطاعة الله تعالى الزائدة على فرائضه من نوافل الخيرات فينتج له هذا العمل نفي سمعه و بصره و كلامه و جميع معانيه من بطش و سعي التي كانت توجب له أحكامها فكان ينطلق عليه من أحكامها سميع بصير متكلم إلى غير ذلك فصار يسمع بالله بعد ما كان يسمع بسمعه و يبصر بالله بعد ما كان يبصر ببصره مع العلم بأن الله يتقدس أن تكون الأشياء محلاله أو يكون هو محلا لها فقد سمع العبد بمن لم يقم به و أبصر بما لم يقم به و تكلم بما لم يقم به فكان الحق سمعه و بصره

و يده فهكذا وجود العذاب في المحال التي لم تقم بها الصفة التي يكون حكمها العذاب كما قد ثبت أن الصفة تعطي خلاف حكمها في المحل و أنت القائل به و لا فرق بين المسألتين و قد أنشد في ذلك صاحب محاسن المجالس

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم

منعم بعذاب معذب بنعيم

و أنشد أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى البسطامي يخاطب ربه عز و جل

أريدك لا أريدك للثواب و لكني أريدك للعقاب

و كل ما ربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فطلب اللذة في العذاب و هذا عكس الحقائق في العقل و لكن أهل الكشف و الذوق وجدوا أمورا أحالها العقل و إن كنا نعرف نحن ما قاله القائلان في شعرهما و من هذا الباب قال الله للنار كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً و النار لا تكون بردا في العقل إذ لو كانت بردا لبطلت الحقائق أن تكون حقائق فقد جاء الذوق في تجليه بخلاف ما يعطيه العقل و إن كنا نحن نعرف ما قاله الحق في ذلك و لمن خاطب به و لكن جئنا بذلك تأنيسا للمريد ليتحقق أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و أن قدرته مطلقة على إيجاد المحال لو شاء وجوده كما ذكره في كتابه عن نفسه ما هو محال في العقل بما يعطيه دليله فقال لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ فألحقه بدرجة الإمكان بالنسبة إلى المشيئة الإلهية و العقل قد دل على إن ذلك محال لا من كونه لم يرده فكانت هذه الآية أولها جرح جرح به العقل في صحة دليله ليبطله ثم داوى ذلك الجرح في آخر الآية بقوله سبحانه أي هو المنزه أن يكون لأحديته ثان غير أن في قوله القهار أسرارا من اعتبرها لمن يكون قهارا و جميع الأفعال إنما هي أحكام أسمائه في الكون فلا فعل لأحد إلا لله فالأفعال كلها من الاسم القادر و القاهر فما يقهر بالاسم القاهر إلا موجد ذلك الفعل في الكون و هو أثر القاهر فما قهر إلا نفسه و هو أثر الاسم القادر فما قهر إلا الاسم القادر و هو المشارك له في وجود العين فما قهر القاهر القادر إلا بالاسم القادر فالقادر نفسه قهر بالاسم القاهر إلا أن يكون القهر بالمنع لا بالإيجاد فيكون عند ذلك القهر مضافا إلى الاسم المريد و لكن ما يمنع إلا بالاسم القاهر للعين التي تهيأت لقبول الوجود فقهرتها المشيئة و أخرتها عن الوجود لأن لها الترجيح فقد حصلت لك بما أوردته من الأنس في قبول هذه المسألة ما فيه كفاية فيما تعطيه طريقة القوم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الثمانون و مائتان في معرفة منزل الضم و إقامة الواحد مقام الجماعة

من الحضرة المحمدية»

صلاة العصر ليس لها نظير لنظم الشمل فيها بالحبيب

هي الوسطى لأمر فيه دور محصلة على أمر عجيب

و ما للدور من وسط تراه و لا طرفين في علم اللبيب

فكيف الأمر فيه فدتك نفسي فخص العبد بالعلم الغريب

قال رب هذا المنزل إن الصلاة الوسطى أجرها مقرون إذا لم تصل في جماعة بأجر من وتر أهله و ماله و قد قال العدل عيسى عليه السلام قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء أي تصدقوا و إلى هنا انتهت معرفة هذا العدل و قال الصادق المؤتي جوامع الكلم رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها فيكون قلب العبد حيث ماله و إن حيثيته يد الرحمن و أين يد الرحمن من السماء فقد أجمع العدلان على إن المال له من القلب مكانة علية و أما الأهل من زوج و ولد فلا خفاء على ذي لب أنهم منوطون بالفؤاد فأما الزوجة فقد جعل الله بينها و بين بعلها المودة و الرحمة و السكون إليها و السكون صفة مطلوبة للأكابر و هي الطمأنينة قال إبراهيم بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي أي يسكن إلى الوجه الذي يحيي به الموتى و يتعين لي إذ الوجوه لذلك كثيرة فسكن إليه سكونا لا يشوبه تحير و لا تشويش يعني في معرفة الكيفية فانظر بما ذا قرن النبي صلى الله عليه و سلم من فاتته صلاة العصر و سبب ذلك أن أوائل أوقات الصلوات الأربع محدودة إلا العصر فإنها غير محدودة و إن قاربت الحد من غير تحقيق فقربت من التنزيه عن تقييد الحدود إذ كان المغرب محدودا بغروب الشمس و هو محقق محسوس و العشاء محدود أوله بمغيب الشفق و هو محقق محسوس أي شفق كان على الخلاف المعلوم فيه و الفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الأفق المستطير لا المستطيل و هو محقق محسوس و الظهر محدود بزوال الشمس و في ء الظل و هو محقق محسوس و لم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة فجعل النبي صلى الله عليه و سلم وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية و الحد الوارد في ذلك ما يكون في الظهور مثل سائر حدود أوقات الصلوات فعظم قدرها النبي صلى الله عليه و سلم للمناسبة في نفي تحقيق الحدود و كذلك حب المال و الأهل لا يضبطه حد يقول القائل في الولد

و إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

فأنزل الولد منزلة النفس و كما لا يفنى الإنسان في حبه نفسه للقرب المفرط الذي ما يكون مثله قرب إليه البتة كذلك لا يفنى الإنسان في حب ولده و لا ماله و لا أهله لأنه منوط بقلبه بمنزلة نفسه للقرب المفرط يخفى ذلك فيه فإن اتفق أن يطلق امرأته و قد كان حبه إياها كامنا فيه لا يظهر لإفراط القرب أخذه الشوق إليها و هام فيها و حن إليها لبعدها عن ذلك القرب المفرط لتعلق الشوق و الوجد بها و لهذا يفنى العاشق في معشوقه الأجنبي لأنه ليس له ذلك القرب الظاهر الذي يحول بينه و بين الاشتياق إليه و لقرب الحق من قلوب العارفين بالعلم المحقق الذوقي الذي وجدوه لهذا صحوا و لم يهيموا فيه هيمان المحبين لله من كونه تجلى لهم في جمال مطلق و تجليه للعلماء به في كمال مطلق و أين الكمال من الجمال فإن الأسماء في حق الكامل تتمانع فيؤدي ذلك التمانع إلى عدم تأثيرها فيمن هذه صفته فيبقى منزها عن التأثير مع الذات المطلقة التي لا تقيدها الأسماء و لا النعوت فيكون الكامل في غاية الصحو كالرسل و هم أكمل الطوائف لأن الكامل في غاية القرب يظهر به في كمال عبوديته مشاهدا كمال ذات موجدة و إذا تحققت ما قلناه علمت أين ذوقك من ذوق الرجال الكمل الذين اصطفاهم الله فيه و اختارهم منه و نزههم عنه فهم و هو كهو و هم فسماه الكامل منهم العصر لأنه ضم شيء إلى شيء لاستخراج مطلوب فضمت ذات عبد مطلق في عبوديته لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا بوجه من الوجوه من اسم إلهي بطلب الكون فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال للحق و العبد و هو كان المطلوب الذي له وجد العصر فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد سعدت و ألقيتك على مدرجة الكمال فارق فيها و لهذا المعنى الإشارة في نظمنا في أول الباب

صلاة العصر ليس لها نظير لضم الشمل فيها بالحبيب

و بعد أن أبنت لك مرتبة الكمال فلنبين لك من هذا المنزل قيام الواحد مقام الجماعة و هو عين الإنسان الكامل فإنه أكمل من عين مجموع العالم إذ كان نسخة من العالم حرفا بحرف و يزيد أنه على حقيقة لا تقبل التضاؤل حين قبلها أرفع الأرواح الملكية إسرافيل فإنه يتضاءل في كل يوم سبعين مرة حتى يكون كالوضع أو كما قال و التضاؤل لا يكون إلا عن رفعة سبقت و لا رفعة للعبد الكلي في عبوديته فإنه مسلوب الأوصاف فلو أنتج لذلك الروح المتضايل حال هذا العبد الكلي في عبوديته لما تكرر عليه التضاؤل فافهم ما أشرت به إليك و قد نبهتك بهذا الخبر أن هذا الملك من أعلم الخلق بالله و تكرار تضاؤله لتكرار التجلي و الحق لا يتجلى في صورة مرتين فيرى في كل تجل ما يؤديه إلى ذلك التضاؤل هذا هو العلم الصحيح الذي تعطيه معرفة الله ثم لتعلم إن الله خلق الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ للصورة التي خصه بها و هي التي أعطته هذه المنزلة فكان أحسن تقويم في حقه لا عن مفاضلة أفعل من كذا بل هو مثل قوله الله أكبر لا عن مفاضلة بل الحسن

المطلق للعبد الكامل كالكبرياء المطلق الذي للحق فهو أحسن تقويم لا من كذا كما هو الحق أكبر لا من كذا لا إله إلا هو و لا عبد إلا المصمت في عبودته فإن حاد العبد عن هذه المرتبة بوصف ما رباني و إن كان محمودا من صفة رحمانية و أمثالها فقد زال عن المرتبة التي خلق لها و حرم من الكمال و المعرفة بالله على قدر ما اتصف به من صفات الحق فليقلل أو يكثر و اعلم أن للإنسان حالتين حالة عقلية نفسية مجردة عن المادة و حالة عقلية نفسية مدبرة للمادة فإذا كان في حال تجريده عن نفسه و إن كان متلبسا بها حسا فهو على حالته في أحسن تقويم و إذا كان في حال لباسه المادة في نفسه كما هو في حسه فهو على حالته في خسر لا ربح في تجارته فيه فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ و هو قوله إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا فإذا قال الإنسان الكامل الله نطق بنطقه جميع العالم من كل ما سوى الله و نطقت بنطقه أسماء الله كلها المخزونة في علم غيبه و المستأثرة التي يخص الله تعالى بمعرفتها بعض عباده و المعلومة بأعيانها في جميع عباده فقامت تسبيحته مقام تسبيح ما ذكرته فأجره غَيْرُ مَمْنُونٍ و سنومئ إلى تحقيق هذا في المنزل التاسع و الثمانين و مائتين و بعد أن نبهتك على معرفة قيام التوحيد بالواحد القائم مقام الجماعة في الخير و الشر فإنه قال تعالى في هذا المقام في الخير و الشر من قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ من أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً و منزلتنا في هذا البيان لأصحابنا من أهل هذا الشأن و منزلة القابلين لما بيناه و غير القابلين ما أردف الله به هذه الآية من تعريف الأحوال فقال وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ فلنبين إيمان العصاة المعبر عنه بالتوبة و ما يلزمه و ذلك أن الايمان الأصلي هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها و هو شهادتهم له سبحانه بالوحدانية في الأخذ الميثاقي فكل مولود يولد على ذلك الميثاق و لكن لما حصل في حصر الطبيعة بهذا الجسم محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه و نسيها فافتقر إلى النظر في الأدلة على وحدانية خالقه إذا بلغ إلى الحالة التي يعطيها النظر و إن لم يبلغ هذا الحد فإن حكمه حكم و الدية فإن كانا مؤمنين أخذ بتوحيد الله تعالى منهم تقليدا و إن كانا على أي دين كان ألحق بهما فمن كان إيمانه تقليدا جزما كان أعصم و أوثق في إيمانه ممن أخذه عن الأدلة لما يتطرق إليها إن كان حاذقا فطنا قوي الفهم من الحيرة و الدخل في أدلته و إيراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم و لا ساق يعتمد عليها فيخاف عليه فإذا تقدم إيمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الأمة التي هو فيها فذلك الايمان هو عين إيمانه الميثاقي لا غيره و إنما حال بينه و بين العبد حجاب الشرك كالسحابة الحائلة بين البصر و الشمس فإذا انجلت ظهر الشمس للبصر كذلك ظهور الايمان للعبد عند ارتفاع الشرك إذ كان المشرك مقرا بوجود الحق فإن قلت فما حكم المعطل هل يكون إيمانه يوجد في الوقت أم حاله حال المشرك قلنا المعطل أقرب إلى الايمان من المشرك فإنه لا بد لكل إنسان أن يجد

نفسه مستندا في وجوده إلى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له ذلك هو الله فإن حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر من واحد كان في محل النظر في ذلك أو يقلد من يعتقد فيه من الموحدين فما ثم إيمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن فإن زال في حق المريد الشقاء فإنما تزول وحدانية المعبود لا وجوده و بالتوحيد تتعلق السعادة و بنفيه يتعلق الشقاء المؤبد و لهذا الإشارة بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا في الأخذ الميثاقي آمِنُوا لقول الرسول إليكم من عندنا فلو لا إن الايمان كان عندهم ما وصفوا به و أما نسبة الأعمال إلى هذا المنزل فهو على ما نقرره و ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم قال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق و مكارم الأخلاق أعمال و أحوال إضافية لأن الناس الذين هم محل مكارم الأخلاق على حالتين حر و عبد كما إن الأخلاق محمودة و هي التي تسمى مكارم الأخلاق و مذمومة و هي التي تسمى سفساف الأخلاق و الذين تصرف معهم مكارم الأخلاق و سفسافها اثنان و واحد فالواحد هو الله و الاثنان نفسك إذا جعلتها منك بمنزلة الأجنبي و غيرك و هو كل ما سوى الله و كل ما سوى الله على قسمين و أنت داخل فيهم عنصري و غير عنصري فالعنصري تصريف الخلق معه حسي و غير العنصري تصريف الخلق معه معنوي فالأعمال المعبر عنها بالأخلاق على قسمين صالح و هو مكارمها و غير صالح و هو سفسافها قال تعالى في القسم الواحد وَعَمِلَ صالِحاً و قال في الآخر عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فعلمه الأدب و إن من الأدب أن تسأل عن علم ما لا يعلم فإذا علم فإن كان من أهل الشفاعة و السؤال فيه سأل فيه و إن لم يكن لم يسأل فيه و لكن غلبت عليه رحمة الأبوة و هي شفقة طبيعية عنصرية فصرفها في غير موطنها فأعلمه الله أن ذلك من صفات الجاهلين و الجهل لا يكون معه خير كما إن العلم لا يكون معه شر فقول النبي صلى الله عليه و سلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق يريد أنه يعلم ما هي و كيف تصرف و أين تصرف فلتعلم إن المخاطبين بها كما ذكرنا لك حر و عبد فللعبد منها شرب و للحر منها شرب فإذا أضفت الخلق إلى الله تعالى فكل ما سوى الله عبد لله قال تعالى إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً و إذا أضفت الخلق بعضه إلى بعض فهو بين حر و عبد فأما حظ العبد من الأخلاق فاعلم إن السيد على الإطلاق قد أوجب و حرم فأمر و نهى و قد أباح فخير و قد رجح فندب و كره و ما ثم قسم سادس فكل عمل يتعلق به الوجوب من أمر من السيد الذي هو الله بعمل أو ندب إلى عمل فإن العمل به من مكارم الأخلاق مع الله و مع نفسك إن كان واجبا و إن كان مندوبا إليه فهو من مكارم الأخلاق مع نفسك فإن تضمن منفعة الغير ذلك العمل كان أيضا من مكارم الأخلاق مع غيرك و ترك هذا العمل إذا كان على هذا الحكم من سفساف الأخلاق و كل عمل يتعلق به التحريم أو الكراهة فالتقسيم فيه كالتقسيم في الواجب و المندوب إليه على ذلك الحد فترك ذلك العمل لاتصافه بالتحريم أو الكراهة من مكارم الأخلاق و عمله من سفساف الأخلاق و ترك العمل فيه عمل روحاني

لا جسماني لأنه ترك لا وجود له في العين و أما العمل الذي تعلق به التخيير و هو المباح فعمله من مكارم الأخلاق مع نفسك دنيا لا آخرة فإن اقترن مع العمل كونك عملته لكونه مباحا مشروعا كان من مكارم الأخلاق مع الله و مع نفسك دنيا و آخرة و كذلك حكمه في ترك المباح على هذا التقسيم سواء فجميع الأقسام تتعلق بالعبد و قسم المباح يتعلق بالحر و قسم المكروه و المندوب إليه يتعلق بالحر و فيه من روائح العبودية شمة لا حقيقة فهذا قد حصر لك هذا المنزل منازل الشقاء و السعادة و أبانها لك معينة أي عينت لك من أين تعلمها و هو معرفة الشرع الذي أنت عليه فإن كان الإنسان ممن لم تبلغه الدعوة فمكارم الأخلاق في حقه ما قررها العقل من وجود الغرض و الكمال و ملاءمة المزاج كشكر المنعم الذي هو من مكارم الأخلاق عقلا و شرعا و كفر النعمة من سفساف الأخلاق عقلا و شرعا و ما كلف اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها سواء بلغتها الدعوة أو لم تبلغها فإن للشرع في عملها حكما في نفس الأمر و يعفى عنه فيما أتته من سفساف الأخلاق حيث لم تبلغها الدعوة و العفو عن ذلك من مكارم الأخلاق الإلهية فالحق أولى بصفات الكرم من العبد بل هي له حقيقة و في العبد بعناية التوفيق و مما يتعلق بهذا المنزل من المكارم التعاون على شكر المنعم و التعاون على تلقي البلاء من المبلى بأن لا يستند في ارتفاع البلاء عنه إلا لمن أنزله به و هو الله تعالى فإن أنزله بالغير فهو من سفساف الأخلاق و إن أنزله بالله كان من مكارم الأخلاق و العبد في الحالتين طالب رفع البلاء عنه و البلاء عبارة عن وجوده و إحساسه بالألم لا غير و في هذا المقام يغلط كثير من أهل الطريق فيحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله فيما نزل بهم و الشبهة في ذلك لهم أنهم يقولون لا نعترض عليه فيما يجريه علينا فإنه يؤثر في حال الرضاء عنه فيقال لهم قد حصل مقام الرضاء بمجرد إحساسه و عدم طلب رفعه و ذلك حد الرضاء لا استصحابه فإن النفس كارهة لوجود الألم و لذا عبرنا عن البلاء بالألم لا بسببه و ينبغي للعبد أن يسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به لما يؤدي به إليه من كراهة فعل الله به و لا بد من كراهته طبعا لأن الألم يوجب حكمه لنفسه و الفعل في إنزاله إنما هو لله فيتضمن كراهة الألم كراهته طبعا لأن الألم يوجب حكمه وجوده و وجود الألم لم يكن لنفسه و إنما أوجده الله في هذا العبد فتتعلق الكراهة حالا و ضمنا بالجناب العزيز فلهذا وقع من الأكابر رب أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ و التعليم بالسؤال في أن لا يقع منه في المستقبل ما لم يقع في الحال بقوله قالوا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا به و يتعلق به من سوء الأدب مقاومة القهر الإلهي و مقاومة العبد السيد في أمر ما من سفساف الأخلاق إذ ليس ذلك من صفات العبودة فيستعين العبد إذا كان ضعيفا بأخيه المؤمن في ذلك و يجب على الآخر معونته بالتعليم و التعزية فإن المؤمن كثير بأخيه و إذا انفرد الإنسان بهمه عظم عليه و إذا وجد من يلقيه إليه ليقاسمه فيه و يستريح عليه و يخف عنه فأعانه الآخر بحسن الإصغاء إليه فيما يلقى إليه من همه و جوابه إياه بما يسره في ذلك و مشاركته بإظهار التألم لما ناله فذلك الصديق الصادق المعين كما قيل

صديقي من يقاسمني همومي ويرمي بالعداوة من رماني

و قال الآخر

إذا الحمل الثقيل تقسمته رقاب الخلق خف على الرقاب

فهذا قد بينا لك بعض ما يحويه هذا المنزل بالإجمال لا بالتفصيل مخافة التطويل فما تركنا منه شيئا و لا أعلمناك منه بشيء و هكذا فعلنا في كل منزل إن شاء الله تعالى وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثمانون و مائتان في معرفة منزل تزاور الموتى و أسراره من الحضرة الموسوية»

إذا جهلت أرواحنا علم ذاتها فذلك موت و الجسوم قبور

و إن علمت فالحشر فيها محقق وكان لها من أجل ذاك نشور

فما العلم إلا بين نور و ظلمة و كل كلام دون ذلك زور

اعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح الجسد الذي كانت به حياته الحسية و هو طارئ عليهما بعد ما كانا موصوفين بالاجتماع الذي هو علة الحياة فكذلك موت النفس بعدم العلم فإن قلت إن العلم بالله طارئ الذي هو حياة النفوس و الجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت و ما تقدمه علم قلنا إن العلم بالله سبق إلى نفس كل إنسان في الأخذ الميثاقي حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الأنفس الأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بالعلم بتوحيد الله و أحياها كلها بالعلم بوجود الله إذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا قال تعالى أَ وَمَن كَانَ مَيْتاً يعني بما كان الله قد قبض منه روح العلم بالله فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ فرد إليه علمه فحيي به كما ترد الأرواح إلى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث و قوله كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس و ما هو عين الحياة فالحياة الإقرار بالوجود أي بوجود الله و النور المجعول العلم بتوحيد الله و الظلمات الجهل بتوحيد الله و الموت الجهل بوجود الله و لهذا لم يذكر الله في الآية عنا في الأخذ الميثاقي إلا الإقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فيها فقال أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ف قالُوا بَلى فأقروا له بالربوبية أي أنه سيدهم و قد يكون العبد مملوكا لاثنين بحكم الشركة فأي سيد قال له أ لست بربك فلا بد أن يقول العبد بلى و يصدق فلهذا قلنا إن الإقرار إنما كان بوجود الله ربا له أي مالكا و سيدا و لهذا أردف الله في الآية حين قال فَأَحْيَيْناهُ فلم يكتف حتى قال وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ يريد العلم بتوحيد الله لا غيره فإنه العلم الذي يقع به الشرف له و السعادة و ما عدا هذا لا يقوم

مقامه في هذه المنزلة فتأمل ما قلناه فقد علمت أن ورود الموت على النفوس إنما كان عن حياة سابقة إذ الموت لا يرد إلا على حي و التفرق لا يكون إلا عن اجتماع و بعد أن علمت هذا فاعلم أنه من خصائص هذا المنزل أن علم الواحد بالكثرة يوجب له الجهل بنفسه لأن الكثرة مشهودة له و ذلك أن الروح لا يعقل نفسه إلا مع هذا الجسم محل الكم و الكثرة و لم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه غير منقسم و لا يعرف إنسانيته إلا بوجود الجسم معه و لهذا إذا سئل عن حده و حقيقته يقول جسم متغذ حساس ناطق هذا هو حقيقة الإنسان و حده الذاتي النفسي فيأخذ أبدا في حده إذا سئل عنه من كونه إنسانا هذه الكثرة فلا يعقل أحديته في ذاته و إنما يعقل أحدية الجنس لا الأحدية الحقيقية و الذي يحصل له بالاكتساب أنه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشفي و كذلك العلم بالله إنما متعلقة العلم بتوحيد الألوهة لمسمى الله لا توحيد الذات فإن الذات لا يصح أن تعلم أصلا فالعلم بتوحيد الله علم دليل فكري لا علم شهود كشفي فالعلم بالتوحيد لا يكون ذوقا أبدا و لا تعلق له إلا بالمراتب و أين التوحيد في الذات مع ما قد ورد من الصفات المعنوية و اختلاف الناس فيها و اختلاف أعيانها بالحد و الحقيقة و إن هذه ليست عين هذه هذا في العقل و في الشرع ثم انفرد التعريف الإلهي باليد و العين و القدم و الأصابع و غير ذلك و هذه كلها تنافي توحيد الذات و لا تنافي توحيد الألوهة و لهذا ورد التنازع في قوله عليه السلام إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما لأن أحدية المرتبة لا تقبل الثاني و لا تحمل الشركة لأن المطلوب الصلاح لا الفساد و الإيجاد لا الإعدام و قال تعالى لَوْ كَانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا فوحد الإله و ما قال لو كانت ذات الإله تنقسم لفسدتا ما تعرض لشيء من ذلك و إن الإله عند المتكلمين مجموع ذوات فإن الصفات أعيان زائدة موجودة قائمة بذات الحق و بالمجموع يكون إلها فأين التوحيد الذي يزعمونه و كذلك العقلاء من الفلاسفة الإله عندهم مجموع نسب فأين الوحدانية عندهم فإنهم يصفونه بالعلم و الحياة و اللذة و الابتهاج بكماله فالوحدة أمر يسمع و اسم على غير مسمى حقيقي إذا أنصفت فلا إله إلا الله الواحد في ألوهيته القهار للمنازعين له في ألوهيته من عباده و المزاحمين له في أفعاله و ما عدا هذين الصنفين فلهم الله الواحد الغفار و بعد أن علمت هذا فلا تحجبك هذه الكثرة عن توحيد الله تعالى و لكن بينت لك متعلق توحيدك و ما تعرضنا إلى الذات في عينها لأن الفكر فيها ممنوع شرعا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تتفكروا في ذات الله و قال تعالى وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ يعني أن تتفكروا فيها فتحكموا عليها بأمر أنها كذا و كذا و ما حجر الكلام في الألوهة و لا تدرك بفكر و مشاهدتها من حيث نفسها ممنوعة عند أهل الله و إنما لها مظاهر تظهر فيها بتلك المظاهر تتعلق رؤية العباد و قد وردت بها الشرائع و ما بأيدينا من العلم به إلا صفات تنزيه أو صفات أفعال و من زعم أن عنده علما بصفة نفسية ثبوتية فباطل زعمه فإنها كانت تحده و لا حد لذاته فهذا باب مغلق دون الكون لا يصح أن يفتح انفرد به الحق سبحانه و إذا كان الحق

على ما أخبر الرسول صلى الله عليه و سلم عن علمه بما علمه الله فقال اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فعنده أسماء لا يعلمها إلا هو هي راجعة إليه و قد منع باستئثاره أنه لا يعلمها أحدا من خلقه و أسماؤه ليست أعلاما و لا جوامد و إنما أسماؤه على طريق المحمدة و المدح و الثناء و لهذا كانت حسني لما يفهم من معانيها بخلاف الأسماء الأعلام التي لا تدل إلا على الأعيان المسماة بها خاصة لا على جهة المدح و لا جهة الذم و أعظمها عندنا الاسم الله الذي لا تقع فيه المشاركة فأين التوحيد مع هذا التعريف الذي يزعمه هذا الزاعم أنه قد حصل على علم التوحيد النفسي و إذا لم يشهد له شرع و لا عقل و لا كشف و ما ثم غير هؤلاء و هم عدول فكيف بك بما خرج عن هؤلاء فالزم ما كلفته من زيارة الموتى و هو اللحوق بهم و الانخراط في سلكهم و هو العجز عن إدراك الأمر على ما هو عليه و إنما نحن متصرفون في أفعال المقاربة و هي كاد و أخواتها فيقال كاد العروس يكون أميرا و ما هو أمير في نفس الأمر و كاد زيد يحج أي قارب الحج و قال تعالى إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها فوصفه بأنه ما رآها و لا قارب رؤيتها فإنه نفى القرب بدخول لم على يكاد و هو حرف نفي و جزم يدخل على الأفعال المضارعة للأسماء فينفيها و يتعلق بهذا المنزل علم الزجر و الردع لمن قال من الناس إنه قد علم ذات الحق أنه لا ينكشف له جهله بما زعم أنه عالم به إلا في الدار الآخرة فيعلم هناك أن الأمر على خلاف ما كان يعتقده من علمه و أنه لا يعلم دنيا و لا آخرة قال تعالى وَبَدا لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ فعم فبدا لكل طائفة تعتقد أمرا ما مما الأمر ليس عليه نفي ذلك المعتقد و ما تعرض في الآية بما انتفى ذلك هل بالعجز أو بمعرفة النقيض و كلا الأمرين كائن في الدار الآخرة كمن يقول بإنفاذ الوعيد لمن مات عاصيا على غير توبة فيغفر الله له يوم القيامة فقد بدا له من الله ما لم يكن يعلمه من التجاوز و زال علمه بالمؤاخذة فكل طائفة يبدو لها من الله بحسب مسألتها فلو كان العلم في نفس الأمر علم يقين لما تبدل و إنما هو حسبان و ظن قد احتجب عن صاحبه بصورة علم فهو يقول إنه يعلم و الحق يقول له تظن و تحسب و أين مقام من مقام فما كل أمر يعلم و لا كل أمر يجهل فاعلم العلماء من علم ما يعلم أنه يعلم و ما لا يعلم أنه لا يعلم قال صلى الله عليه و سلم لا أحصي ثناء عليك فقد علم أنه ثم أمر لا يحاط به و قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك أي أنه أدرك أن ثم أمرا يعجز عن إدراكه فهذا علم لا علم فيعلم الإنسان يوم القيامة عجز فكره عن إدراك ما حسب أنه أدركه غير أنه معذب بفكره بنار اصطلامه فإن حجة الشرع عليه قائمة إذ قد أبان له و أعرب عما ينبغي له أن يفكر فيه كما قال أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ من جِنَّةٍ أي أنه يوصل إلى معرفة الرسول بالدليل و بهذه الآية يستدل على أنه لا بد من أن ينصب الله تعالى على يد هذا الرسول دليلا يصدقه في دعواه و لو لم يكن كذلك ما صدق قوله أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا و لا تكون الفكرة إلا في دليل على صدقه إنه رسول من عند الله و الدليل هو المنظور فيه الموصل إلى المدلول فلولا ما

نصب الأدلة ما شرع للعقلاء التفكر و لا طالبهم و كذلك في معرفتهم به سبحانه فقال لما ذكر أمورا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فإذا تعدى بالفكر حده و فكر فيما لا ينبغي له أن يفكر فيه عذب يوم القيامة بنار فكره ثم إن الإنسان يشغله الفكر فيما لم يشرع له التفكر فيه عن شكر المنعم على النعم التي أنعم الله عليه بها فيكون صاحب عذابين عذاب الفكر فيما لا ينبغي و عذاب عدم الشكر على ما أنعم به عليه و لا نعمة أعظم من نعمة العلم و إن كانت نعم الله لا تحصى من حيث أسبابها الموجبة لها و إنما النعيم على الحقيقة وجود اللذة في نفس المنعم عليه بها عند أسباب كثيرة لا تحصى محصورة في أمرين في وجود ما تكون به اللذة و في عدم ما يكون بعدمه اللذة و هي أمور نسبية كوجود لذة خائف من عدو يتوقعه فيهلك ذلك العدو فيجد هذا من اللذة عند هلاكه ما لا يقدر قدرها و ذلك لوجود الأمن مما كان يحذره فالأسباب لا تحصى كثرة و اللذة واحدة و هي النعمة المحققة كما إن الألم هو العذاب المحقق و أسبابه لا تحصى فسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب و اعلم أن الزيارة مأخوذة من الزور و هو الميل فمن زار قوما فقد مال إليهم بنفسه فإن زارهم بمعناه فقد مال إليهم بقلبه و شهادة الزور الميل إلى الباطل عن الحق فزيارة الموتى الميل إليهم تعشقا لصفة الموت إن تحل به فإن الميت لا حكم له في نفسه و إنما هو في حكم من يتصرف فيه و لا يتصور من الميت منع و لا إباية و لا حمد و لا ذم و لا اعتراض بل هو مسلم تسليم حال ذاتي كذلك ينبغي لزائره إن يكون حاله مع الله حال الميت مع من يتصرف فيه و إذا بلغ إلى هذا المقام على الحد المشروع فيه لا على الإطلاق حينئذ يبلغ مبلغ الرجال و لا يكون موصوفا بهذه الصفة على الإطلاق إلا في معناه لا في حسه الظاهر و الباطن بل ينبغي له أن يكون حيا في أفعاله الظاهرة و الباطنة في الأمور التي تعلق بها النهي الإلهي و يكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل ذلك لا للمقضي وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الثمانون و مائتان في معرفة منزل القواصم و أسرارها من الحضرة المحمدية)

إذا كنت مشغوفا بحب المعاصم ... تذكر من الآيات آي القواصم

فإن لها عن ذاك زجرا و عصمة ... و أفلح من تحييه آي العواصم

و هذي أمور لم أنلها بفكرة ... و لكنها جاءت على يد قاسم

و يعطي إله الخلق عدلا و منة ... بقصمة قهار و عصمة عاصم

فكم بين شخص بالملائك ملحق ... و بين شخيص ملحق بالبهائم

اعلم أنه لما وصلت إلى هذا المنزل في وقت معراجي الذي عرج بي ليريني من آياته سبحانه ما شاء و معي الملك قرعت بابه فسمعت من خلف الباب قائلا يقول من ذا الذي يقرع باب هذا المنزل المجهول الذي لا يعرف إلا بتعريف الله فقال الملك عبد الحضرة عبدك محمد بن نور ففتح فدخلت فيه فعرفني الحق جميع ما فيه و لكن بعد سنين من شهودي إياه فكان ذلك شهودا صوريا من غير تعريف ثم بعد ذلك وقع التعريف به و لما عرفني بأنه منزل مجهول قصم ظهري و لما وقع التعريف به رأيته كله قواصم إلا أن يعصم الله مما رأيت فخفت فسكن الله روعي بما جلى لي فرأيت في هذا المنزل تحول الصور الحسية في الصور الجسمية كما يتشكل الروحانيون في الصور فتخيلت إن تلك الصور الأول ذهبت فحققت النظر فيها فلم أدركها حتى أعطيت القوة عليها فتحولت فأدركت المطلوب فإذا هو على نوعين في التحول النوع الواحد أن تعطي قوة تؤثر بها في عين الرائي ما شئته من الصور التي تحب أن تظهر له فيها فلا يراك إلا عليها و أنت في نفسك على صورتك ما تغيرت لا في جوهرك و لا في صورتك إلا أنه لا بد أن تحضر تلك الصورة التي تريد أن تظهر للرائي فيها في خيالك فيدركها بصر الرائي في خيالك كما تخيلتها و يحجبه ذلك النظر في الوقت عن إدراك صورتك المعهودة هذا طريق و طريقة أخرى يتضمنها هذا المنزل و ذلك أن الصورة التي أنت عليها عرض في جوهرك فيزيل الله ذلك العرض و يلبسك ما أردت أن تظهر به من صور الأعراض من حية أو أسد أو شخص آخر إنساني و جوهرك باق و روحك المدبر جوهرك على ما هو عليه من العقل و جميع القوي فالصورة صورة حيوان أو نبات أو جماد و العقل عقل إنسان و هو متمكن من النطق و الكلام فإن شاء تكلم و إن شاء لم يتكلم بأي لسان شاء الحق أن ينطقه به فحكمه حكم عين الصورة في المعهود و من هذا الباب يعرف نطق الجمادات و النبات و الحيوان و هي على صورها و تسمعها كنطق الإنسان كما إن الروح إذا تجسد في صورة البشر تكلم بكلام البشر لحكم الصورة عليه و ليس في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام غير الصورة التي يظهر فيها بخلاف الإنسان و هو في غير صورة الإنسان و هذا منزل الممسوخ من هذه الحضرة تمسخ الصورة الحسية في الدنيا و الآخرة و من هذا المنزل تمسخ البواطن فترى الصورة أناسا و في الباطن غير تلك الصورة من ملك أو شيطان بصورة حيوان مناسب لما هو باطنه عليه من كلب أو خنزير أو قرد أو أسد و كل ذلك يخالف ما تطلبه إنسانيته إما عال و إما دون و مسلخ البواطن قد كثر في هذا الزمان كما ظهر المسخ في الصورة الظاهرة في بني إسرائيل حين جعلهم الله قردة و خنازير و لا بد في آخر الزمان أن يظهر المسخ في هذه الأمة و لكن في اليهود منها لا في المسلمين فإن الايمان يحفظهم فما يمسخ من هذه الأمة إلا يهودي أو منافق يظهر الإسلام و يخفي اليهودية و إنما ألحقنا اليهود بهذه الأمة لأن أمة النبي ليست قبيلته و إنما أمته جميع من بعث إليهم و محمد صلى الله عليه و سلم بعث إلى الناس عامة فجميع الناس أمته من جميع الملل فمنهم من آمن و منهم من كفر و منهم من أسلم و أما دخول

الجن في دينه صلى الله عليه و سلم فكان دخولهم في دينه مثل ما كان دخول من لم يبعث إليه نبي في وقته في دين نبي وقته ثم إن ذلك النبي الذي ما بعث إليه إذا لم يكن ذلك الداخل ممن بعث إليه نبي آخر تجري أحكامه على من بعث إليه بما بعث به فإن لكل نبي شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً فهكذا كان إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه و سلم و أما ما ذكرناه من مسخ البواطن فقول النبي صلى الله عليه و سلم يخبر عن ربه في صفة قوم من أمته أنهم إخوان العلانية أعداء السريرة ألسنتهم أحلى من العسل و قلوبهم قلوب الذئاب يلبسون للناس جلود الضأن من اللين فهذا هو مسخ البواطن أن يكون قلبه قلب ذئب و صورته صورة إنسان فالله العاصم من هذه القواصم و طريقة أخرى في التحول في الصورة و هي أن تبقي صورة هذا الشخص على ما كانت عليه و يلبس نفسه صورة روحاني يجد ذلك الروحاني في أي صورة شاء هذا الشخص أن يظهر للرائي فيها و يغيب هذا الشخص في تلك الصورة و هي عليه كالهواء الحاف به فتقع عين الرائي على تلك الصورة الأسدية أو الكلبية أو القردية أو ما كانت كل ذلك بتقدير العزيز العليم و طريقة أخرى و هي أن يشكل الهواء الحاف به على أي صورة شاء و يكون الشخص باطن تلك الصورة فيقع الإدراك على تلك الصورة الهوائية المشكلة في الصورة التي أراد أن يظهر فيها و لكن إن وقع من تلك الصورة نطق فلا يقع إلا بلسانه المعروف عند الرائي فيسمع النعمة فيعرفها و يرى الصورة فينكرها لا يتمكن لمن هذه حالته أن يزول عن نغمته و هذه قوة الجن لمن يعرفهم فإنهم يظهرون فيما شاءوه من الصور و النغمة منهم نغمة جن لا يقدرون على أكثر من ذلك و من لا معرفة له بهذا القدر فلا معرفة له بالجن إلا إن ثم أقواما تلعب الجن بعقولهم فتخيل لهم في عيونهم صورا مثل ما يخيل الساحر الحبال في صورة حيات ساعية فيحسبون أنهم يرون الجن و ليسوا بجن و تكلمهم تلك الصور فيما يخيل إليهم و ليست الصور بمتكلمة بخلاف تجسد الجن في أنفسهم فمن عرف من العارفين نغمات كل طائفة عرف ما رأى و لم يطرأ عليه تلبيس فيما رآه و قد رأينا جماعة بالأندلس ممن يرون الجن من غير تشكل و في تشكلهم منهم فاطمة بنت ابن المثنى من أهل قرطبة و كانت عارفة بهم من غير تلبيس و رأيت طائفة بمدينة فاس ممن كانت الجن تخيل لهم صورا في أعينهم و تخاطبهم بما شاءوا لفتنتهم و ليسوا بجن و لا بشكل جن منهم أبو العباس الزقاق بمدينة فاس و كان قد لبس عليه الأمر في ذلك فكان يخيل إليه أن الأرواح الجنية تخاطبه و يقطع بذلك و سبب ذلك الجهل بنغمتهم فكان إذا قعد عندي و حضر مجلسي يبهت ثم يصف ما يرى فاعلم أنه يخيل له فكان يصل في ذلك إلى حد الملاعبة و المصاحبة و المحادثة و ربما يقع بينه و بين ذلك الذي شاهده مخاصمة في أمور و مناكرة فتضره الجن من طريق آخر و هو يتخيل أن تلك الصور منها صدر الضرر و غلب عليه ذلك رحمه الله و كان أبو العباس الدهان و جميع أصحابنا يشاهدون ذلك منه فمن عرف النغمات لم تلتبس عليه صورة أصلا و قليل من يعرف ذلك و يغترون بصدق ما يظهر من تلك الصور في أوقات فهذا قد بينا لك مراتب

التحول في الصور من هذا المنزل و فيه من هذا الظهور في الصور عجائب جمة تنهر العقول و أعظمها تغير المزاج إلى مزاج آخر مع بقاء الجوهر لا بد منه الحامل لهذه الصورة فإن لم يبق الجوهر فما تحول قط و لكن هذا جوهر آخر في صورته ما تبدل و لا هو ذلك كما إن زيدا ليس عمرا و من هذا المنزل أيضا وزن أبي بكر الصديق بالأمة فرجح هذا منزل حضرة الوزن بين المخلوقين من كل ما سوى الله و من عرف ما في هذا المنزل و شاهد حكمه و رفعت له موازين الخلق على ما وضعهم الله عليه من الحال و المقام عرف فضل الملائكة بعضهم على بعض و فضل الناس بعضهم على بعض و فضل الجن بعضهم على بعض و فضل الحيوان بعضه على بعض و فضل النبات بعضه على بعض و فضل الجماد بعضه على بعض و المفاضلة بين الملائكة و البشر و بين الجن و البشر و بين الجماد و النبات و البشر و يعرف مفاضلة كل جنس مع غير جنسه و من هنا يعرف فضل الحجر الأسود مع كونه جمادا و هو يمين الله فانظر هذه الرتبة و هو جماد و انظر في فرعون و أبي جهل و هو إنسان و من هذا المنزل إذا وقفت على هذه المفاضلات رأيت الجنة فيمن تسري من هؤلاء الأجناس و أنواع الأجناس و أنواع الأنواع إلى آخر درجة و هي أشخاص النوع الأخير و يشاهد أيضا سريان النار في الأجناس بين حر و زمهرير و في أنواع الأجناس و أنواع الأنواع حتى تنتهي إلى أشخاص النوع الأخير فتحكم على كل من تشاهده بما تشاهده فإنك إنما تشاهده بما له لا بوقته و هنا يقع تلبيس من حضرة خيالية في مقابلة هذه الحضرة فيشاهد ما يعطيه شاهد الوقت فيحكم عليه بالمال و هو تلبيس شيطاني من الصفة التي ذكرناها آنفا من كون الجن و الشياطين تخيل للناس صورا عنهم و عن غيرهم و ليس بحقيقة و هذه المسألة التبس الأمر فيها على أبي حامد الغزالي و غيره وممن التبس عليه الأمر في ذلك من الشيوخ الذين أدركناهم أبو أحمد بن سيد بون بوادي أشت فكان يقول هو و أمثاله إن الإنسان إنما يطرأ عليه التلبيس ما دام في عالم العناصر فإذا ارتقى عنها و فتحت له أبواب السماء عصم من التلبيس فإنه في عالم الحفظ و العصمة من المردة و الشياطين فكل ما يراه هنالك حق فلنبين لك الحق في ذلك ما هو و ذلك أن الذي ذهبت إليه هذه الطائفة القائلون بما حكيناه عنهم من رفع التلبيس فيما يرونه لكونهم في محال لا تدخلها الشياطين فهي محال مقدسة مطهرة كما وصفها الله و ذلك صحيح إن الأمر كما زعموه و لكن إذا كان المعراج فيها جسما و روحا كمعراج رسول الله صلى الله عليه و سلم و أما من عرج به بخاطره و روحانيته بغير انفصال موت بل بفناء أو قوة نظر يعطي إياها و جسده في بيته و هو غائب عنه بفناء أو حاضر معه لقوة هو عليها فلا بد من التلبيس إن لم يكن لهذا الشخص علامة إلهية بينه و بين الله يكون فيها عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فيما يراه و يشاهده و يخاطب به فإن كان له علامة يكون بها عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ و إلا فالتلبيس يحصل له و عدم القطع بالعلم في ذلك إن كان منصفا و قد يكون الذي شاهده حقا و يكون معصوما محفوظا في نفس الأمر و لكن لا علم له بذلك فإذا كان عَلى بَيِّنَةٍ من

رَبِهِ حينئذ يأمن التلبيس كما أمنته الأنبياء عليهم السلام فيما يلقى إليهم من الوحي في بيوتهم و ذلك أن الشيطان لا يزال مراقبا لحال هذا المريد المكاشف سواء كان من أهل العلامات أو لم يكن فإن له حرصا على الإغواء و التلبيس و لعلمه بأن الله قد يخذل عبده بعد عصمته مما يلقي إليه فيقول عسى و يعيش بالترجي و التوقع و إن عصم باطن الإنسان منه و رأى أنوار الملائكة قد حفت بهذا العبد انتقل إلى حسه فيظهر له في صورة الحس أمورا عسى يأخذه بها عما هو بسبيله مع الله في باطنه و هذا فعله مع كل معصوم محفوظ بأنوار الملائكة حسا في باطنه و أما إن كان معصوما في نفس الأمر و ليس على باطنه حفظة من الملائكة فإن الشيطان يأتي إلى قلبه و هذا الشخص بكونه معصوما في نفس الأمر بالبينة التي هو عليها من ربه لا يقبل منه ما يلقى إليه هذا إن لم يكن متبحرا في العلم و يكون صاحب مقام مقصور عليه و أما إن كان صاحب تمكين و تبحر في العلم الإلهي أخذ ذلك منه فإنه رسول من الله إليه فإن كان محمودا فقلب عينه في مجرد الأخذ حيث أخذه عن الله و لم يلتفت إلى الواسطة لعلمه بمحلها عند الله من الطرد و البعد فينقلب خاسئا حيث أراد أمرا فلم يتم له بل كان فيه زيادة سعادة لهذا الشخص و لكن من حرصه على الإغواء يعود إليه المرة بعد المرة و إن كان الذي أتاه به مذموما قلب عينه فصار محمودا في حقه بأن يصرفه على المصرف المرضى فينقلب خاسئا حيث أراد أمرا فلم يتم له بل كان فيه سعادة لهذا الشخص فإن كان حال هذا الشخص الأخذ من الأرض أقام له الشيطان أرضا ليأخذ منها فأما إن يرده خاسئا و يفرق بين الأرضين و إما أن يكون متبحرا فيشكر الله حيث أعطاه أيضا أرضا متخيلة كما أعطاه أرضا محسوسة و ينظر سر الله فيها و يأخذ منها ما أودع الله فيها من الأسرار التي لم تخطر ببال إبليس و يردها الله لهذا الشخص زيادة في ملكه و إن كان حاله السماء فإن الشيطان يقيم له سماء مثل السماء التي يأخذ منها و يدرج له من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما ذكرناه في معاملته له بالأرض و إن لم يكن في هذا المقام لبس عليه و تجرع تلك السموم القاتلة و لحق بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا و إن كان حاله في سدرة المنتهى أو في ملك من الملائكة جلى له صورة سدرة مثلها أو صورة مثل صورة ذلك الملك و تسمى له باسمه ثم ألقى إليه ما عرف أنه يلقى إليه من ذلك المقام الذي هو فيه ليلبس عليه فإن كان من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه و إن كان معصوما حفظ منه فيطرده و يرمي ما جاء به أو يأخذه من الله دونه و يشكر الله على ما أولاه و ما زاده ثم يرتقي هذا الشخص إلى حال هو أعلى فإن كان حاله العرش أو العماء أو الأسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان فإن كان من أهل التلبيس كان كما ذكرناه و إن لم يكن انقسم أمره إلى ما ذكرناه فقد أعلمتك أن الشيطان لا يجلي للشخص إلا على ما هي عليه حالته في صورة ذلك على السواء و على ما استقر في ذهنه مما قررته الشريعة ألا ترى ابن صياد لما أظهر له إبليسه العرش إذ كان حاله و أبصر ذلك العرش على البحر لأنه رأى الله تعالى يقول وَكانَ

عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فجلى له العرش على البحر و هو قاعد عليه يأخذ عنه ابن صياد و يتخيل أنه يأخذ عن الله فإن الله قد قال على ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ذا ترى قال أرى العرش قال أين قال على البحر فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك عرش إبليس و خبا له رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الدخان من القرآن فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ما خبأت لك فقال الدخ و الدخ هي لغة في الدخان فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم اخسأ فلن تعدو قدرك يعني إنك ممن لبس عليه الأمر فإنه صلى الله عليه و سلم ما خبا له إلا سورة الدخان و هي تحوي على الدخان و على غيره فما خبا له الدخان فأتاه باسم السورة لا بما خبا له و ما قال سورة الدخان و إنما قال الدخ و لم يأت في هذه السورة إلا الدخان لا الدخ و إن كان هو بعينه فلم يفرق ابن صياد بين سورة الدخان و بين الدخان فجهل فلهذا قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم اخسأ فلن تعدو قدرك حيث جاءه من هذه السورة بما يناسب إبليس الذي عرفه بذلك و هو أن الشيطان مخلوق من النار فما رأى من تلك الخبيئة إلا ما يناسبه و ما عرف أنها سورة الدخان فالقى إلى ابن الصياد في روعة هذا القدر و ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم تلفظ باسم السورة عند ما عينها في نفسه فسرقها الشيطان و اختطفها من لفظه و لو أضمرها رسول الله صلى الله عليه و سلم في نفسه ما عرفها إبليس فإنه ليس له على قلبه صلى الله عليه و سلم اطلاع و لا استشراف بخلاف قلب الولي و لهذا إن النبي معصوم من الوسوسة في حال نزول الوحي و في غيرها لا فرق ألا ترى الشيطان لما علم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم بهذه المثابة و العناية من الله في عصمة قلبه من استشراف إبليس عليه جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه و غرضه أن يحول بينه و بين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فإنه يحسده بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه و سلم إلى خلف و لم يقطع صلاته و أخبر بذلك أصحابه و أما الولي فقد يلقى إليه في قلبه و قد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع أن يلبس عليه حاله كما ذكرناه فمن كان على بينة من ربه فقد سعد و ارتفع الإشكال و لا بد للبينة التي يكون عليها أن تكون بينة له و إن لم تكن بينة فلا يقدر أن يحكم بها فإنه قد تكون علامة لا بينة فيتخيل إن العلامة هي البينة و ليس كذلك فإن العلامة إذا لم تكن بينة و هو التحقق بها و بها يقطع النبيون و الأولياء فيما يرد عليهم من الله و لقد أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي و هو من الفقراء الصادقين من أنظفهم ثوبا و أحسنهم عبارة قال لي جمع بيني و بين الشيخ رغيب الرحبي مجلس و كان من العارفين غير أنه لم يبلغ فيما نقل إلينا مبلغ العارفين المكملين في شغلهم أنه قال له عن رجل الوقت إنه رأى خلعة قد خرجت له من الحضرة و قد أعطى علامة في ذلك الرجل و إلى الآن فما رآه لأنه لم ير تلك العلامة فقال له أبو البدر رضي الله عن جميعهم يا شيخ ألم تر بعد ذلك رجالا كثيرة فقال له نعم قال و كانوا من الأكابر قال نعم و

لكن ما رأيت تلك العلامة في واحد منهم فقال له أبو البدر و ما يدريك أن واحدا من أولئك الرجال الذين رأيتهم كان هو المقصود بتلك الخلعة و تغرب عليك حتى لا تعرفه فقال له رغيب قد يكون ذلك فهذا صاحب علامة و لكن ما هو على بينة في علامته فإن العلامة إنما هي في الباطن لا تزول عنه و هو الذي يكون بها على بينة من ربه في نفسه فإذا جعلت له العلامة في غيره كان ذلك الغير حاكما لها إن شاء ظهر له فيها و إن شاء لم يظهر فلذلك قال رغيب ما قال في العلامة و لم يبين من كان محل العلامة هل هو أو ذلك الرجل فلما أقر بوقوع ما قال له أبو البدر في الدخول عليه في علامته علمنا قطعا إذا صدقنا رغيبا في دعواه أن العلامة كانت في غيره فإنه ما هو عَلَى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فعلامته فيه ما يكون في غيره فلذلك قد يمكن أن يصح ما قال أبو البدر أن يكون الرجل قد دخل عليه فيمن رأى من الرجال و تغرب عليه فاعتراض أبي البدر على هذا العارف اعتراض صحيح محرر في الطريق و إقرار رغيب في ذلك إقرار صادق يدل على صدق دعواه إلا أنه قد يكون هذا الشيخ ممن ليس على بينة و قد يكون من أهل البينة إذ لم يقع في دعواه لفظ البينة و عدل إلى العلامة التي يدخلها الاشتراك و أما الشيخ أبو السعود ابن الشبل شيخ أبي البدر المذكور فالموصوف من أحواله أنه كان على بينة من ربه إلا أنه كان أعقل أهل زمانه و لولا ما حكى عنه أبو البدر المذكور أنه انتهر شخصا في ذكر عبد القادر بغيظ لا بسكون و هدو و عرفه إنه يعرف عبد القادر كيف كان حاله في أهله و حاله في قبره لكان عبدا محضا و لكن عاش بعد هذا فقد يمكن أنه صار عبدا محضا لأنه لم ينتهر هذا الشخص لكونه أتى أمرا محرما في الشرع و إنما وصف أحوال عبد القادر و عظم منزلته فلو أنه وقع في محظور شرعي و انتهره و غضب عليه لم يخرجه ذلك عن إن يكون عبدا محضا فسبحان من أعطى أبا السعود ما أعطاه فلقد كان واحد زمانه في شأنه نعم لو كان هذا الذاكر تلميذا له لتعين عليه انتهاره إياه لأن انتهاره من تربيته فإن كان من تلامذته فذلك الانتهار لا يخرجه عن عبوديته فإن كان ذلك الانتهار من أبي السعود عن أمر إلهي خوطب به في نفسه لمصلحة الوقت في حق من كان أو لغيرة من الله على مقام قد أساء هذا المتكلم فيه الأدب فانتهاره ذلك مما يحقق عبوديته لا يخرجه عنها و هذا هو الظن بحال أبي السعود لا الذي ذكرناه أولا و إنما ذكرنا ذلك و هذا و ما بينهما لنستوفي الكلام على المقام بما يقتضيه من الوجوه على كمالها فلا بد أن يكون هذا الشيخ على واحد منها و لم يحكم عليه بواحد منها فأفدنا الواقف على هذا الكتاب معرفة هذا المقام و أحواله و إن الله ما أخبرني بحال من أحوال أبي السعود حتى نلحقه بمنزلته و الله أعلم أي ذلك كان إلا أني أقطع أن ميزانه بين الشيوخ كان راجحا نفعنا الله بمحبته و بمحبة أهل الله و قد أوردنا من هذا المنزل بعض ما يحوبه من القواصم فإنها كلها مخوفة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الثمانون و مائتان في معرفة منزل المجاراة الشريفة

تجارت جياد الفكر في حلبة الفهم تحصل في ذاك التجاري من العلم

بأسرار ذوق لا تنال براحة تعالت عن الحال المكيف و الكم

أغار على جيش الظلام صباحها فأسفر عن شمسي وأعلن عن كتمي

و أورى زناد الفكر نارا تولدت من الضرب بالروح المولد عن جسم

فقمت على ساق الثناء ممجدا فجاءت بشارات المعارف بالختم

فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره و خصصني بالأخذ عنه و بالفهم

من هذا الباب قوله تعالى أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ و الناطق الذي يقوم للذاكرين في قلوبهم و ما هو بحكمهم من دوام الذكر الذي يكونون عليه من غير إن يتخلله فترة فيسمعون ناطقا في قلوبهم يذكر الله فيهم و هم سكوت أو في حديث من أحاديث النفوس و ما يعرفون من ينطق فيهم فذلك الناطق هو القائل لموسى صلى الله عليه و سلم إنني أنا الله لا إله إلا أنا و يسمى هذا النطق نطق القلب و هو الناطق عندهم و طائفة تقول إنه ملك خلقه الله من ذكره الذي كان عليه و أسكنه فيه ينوب عن هذا العبد في ذكره في أوقات غفلاته المتخللة بالذكر فإن استمرت غفلاته و ترك الذكر فقد هذا الناطق و من الناس من يرى فيه إن الحق أسمعه نطق قلبه الذي في صدره الذي هو عليه دائما خرق عادة كرامة لهذا الشخص من الله حيث أسمعه نطق قلبه ليزيد إيمانا بنطق جوارحه كما قال لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ بما جاء من نطق جوارحهم في آخر الزمان و في الدار الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذه بما فعل أهله و حتى يكلم الرجل عذبة سوطه و قال الله تعالى وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بما كانُوا يَكْسِبُونَ و قال وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ و قال هؤلاء يوم القيامة لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا فقالت الجلود أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ و من زاد على مرتبة هذا الذاكر الذي سمع نطق قلبه بسمعه أسمعه الله نطق جسده كله بل نطق جميع الجمادات و النباتات و الحيوانات فأما الحيوانات فقد يسمع نطقها و يفهم ما تقول بغير طريق الذكر بل بخاصية لحم حيوان أو مرقة لحمه يطلع آكله أو شارب مرقته على غيوب ما يحدث الله في العالم من الحوادث الجزئية و العامة و يسمع و يفهم ما تنطق به جميع الحيوانات و قد رأيت من رأى من أكل من لحم هذا الحيوان و شرب من مرقته فكانت له هذه الحالة فكان من رآها منه يتعجب و يكون هذا الحيوان في البرية التي بين مكة و العراق لكن خارجا عن طريق

الركب بأيام في غيضة عظيمة و شكل هذا الحيوان شكل امرأة تتكلم باللسان العربي يخرج إليها عرب تلك البرية و هم قبيلة معروفة في كل سنة يوما معلوما يأتون إلى تلك الغيضة بأيديهم الرماح فيقفون على أفواه سكك تلك الغيضة و تدخل طائفة منهم في الغيضة يتفرقون فيها بالصياح و يلحون في الطلب على هذا الحيوان لينفروه فيخرج هذا الحيوان عند ذلك هاربا شاردا أما على بعض تلك الأفواه فإن تمكن منه الواقف على تلك السكة طعنة بالرمح فقتله و إن فاته و توغل في البرية رجعوا إلى مثل ذلك اليوم من السنة المستقبلة هكذا في كل عام فإذا ظفروا به قطعوه و قسموا لحمه على الحي كله و طبخ كل واحد منهم قطعته و أكلها و شرب مرقتها و أطعم منها من شاء من أهله و بيته و إن كان عندهم غريب ممن قد انقطع من الركب و تاه و حصل عندهم و صادف ذلك اليوم منعوه من أكل لحمها أو شرب مرقتها إلا أن يتناوله بسرقة من غير علم منهم فإن علموا به استفرغوه جبرا بالقيء المفرط فينقص فعل ذلك اللحم منه و لا يذهب بالكلية و يبقى عليه بقية من علم الغيوب فسبحان من أخفى علم ما أودعه في مخلوقاته عن بعض مخلوقاته لا إله إلا هو العليم الحكيم و كل ما ذكره من ذكره في معنى هذا الناطق و حقيقته فصحيح فإنه قد يكون هذا الناطق عين قلبه و قد يكون ملكا يخلق من ذكره و قد يكون روحا يستلزمه و قد يكون ما أومأنا إليه و الفرقان بين ما أومأنا إليه و بين ما قاله غيرنا في تعيينه أنه يحادثه و يخاطبه بما شاء من التعريفات الإلهية و الكونية أي بما يتعلق بمعرفة الله و بما يتعلق بالمخلوقين إذا استمر على ذكره و دام على طاعة ربه و هو الذي قال لصاحب المواقف ما حكاه عنه في مواقفه من القول إن لم يكن هو رحمه الله قد نبه على مراتب علوم فقال لي و قلت له فإن بعض العارفين قد يفعل هذا إذ لم يروا قائلا في الوجود غير الله حالا و لفظا و كله علم محقق غير أنه إذا كان تعبيرا عن مراتب علوم فيتوهم السامع منه إذا قال صاحب هذا المقام قال لي و قلت له إن الحق يكلمه فإن سأله السامع عرفه بالأمر فإنهم أهل صدق إذا كان السائل مؤمنا بما يقوله أهل طريق الله فإن كان مترددا في إيمانه بذلك فإنه يسكت عنه في ذلك إن كان ممن لا تلزمه طاعته شرعا فإن كان ممن تلزمه طاعته شرعا و ليست عنده أهلية لذلك قال له إنما هي عبارات أحوال و نطق حال لا نطق مقال كما تقول الأرض للوتد لم تشقني فيقول لها الوتد سل من يدقني يعني الدقاق الذي يدق به الوتد و هذا لسان حال معلوم يضرب مثلا معروفا بين الناس ثم لتعلم بعد أن بينت لك هذا أن المسارع إلى الخيرات السابق لها إن كان يريد المشاهد الإلهية و العلوم الربانية فليكثر سهر الليل و ليكثر فيه الجمعية دائما فإن لاحت له أنوار متفرقة يتخللها ظلمة ما بين كل نور و نور و لا يكون لتلك الأنوار بقاء تكون سريعة الذهاب فتلك أول علامات القبول و الفتح فلا يزال تظهر له تلك الأنوار الشريفة بالمجاهدات و المسارعة فيها و إليها إلى أن يطلع له نور أعظم فإنه يكشف به الموانع التي تمنع الناس من نيل هذه العلوم و يكشف أسرارا في مقاماتها ليس فيه منها شيء و لا هو موصوف بها فيكشف له عن أعماله التي

كان عليها من أذكاره و رياضاته و مجاهداته قد أنشأها الله خلقا روحانيا فتسابق إلى أخذ تلك الأسرار كما يسبق هو بها فيأخذها و تكسو عاملها بها جزاء وفاقا له حيث كان سببا لوجود أعيان ذلك الخلق الذين هم عين أفعاله البدنية من نطق و حركة و كان الحضور أرواح تلك الصور العملية فيتصف العامل عند ذلك بالعلم بتلك العلوم و الأسرار هكذا يشاهدها إذا أشهدها و قد يجد تلك العلوم من خلف حجاب الغيب و لا يطلع على الأمر كيف كان و هو كما ذكرنا قال القائل

جيش إذا عطس الصباح على العدي كانت إغارة خيله تشميتا

و يشاهد موافقات بين صورتك العلوم و بين صور هذه الأعمال من أجل انتظار الأذن الإلهي في ذلك فإن كان العامل ممن قد أراد الله أن يفتح له في الدنيا في حصول هذه الأسرار و رد الأذن الإلهي بذلك ففتح على هذا العامل في باطنه بعلوم شتى فيقال فلان قد فتح عليه و إن كان الله يريد أن يخبأ له ذلك إلى الدار الآخرة لمصلحة يراه له في منع ذلك لم تمكن صور الأعمال من خلع تلك العلوم على العامل لكن تلبسها الأعمال إلى أن ينقلب العامل إلى الدار الآخرة فيجدها مخبوءة له في أعماله فيلبسها خلعا إلهية فيقال في هذا العامل في الدنيا إنه ما فتح له مع كثرة عمله و يتعجب المتعجبون من ذلك لأنهم يتخيلون أن الفتح أمر لازم و كذلك هو أمر لازم تطلبه الأعمال و تناله و لكن متى يكون ذلك صفة للعامل هل في الدنيا أو في الآخرة ذلك إلى الله فإذا رأيت عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك و لم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن تراه على صورتك من العمل فلا تتهم فإنه مدخر لك و اطرح عن نفسك التهمة في ذلك فلا تتهم و لا تجعل نفسك من أهل التهم و قل كما قلت في ذلك

ما أنا من أهل التهم و لا أنا ممن اتهم
و إنني إن قلت لا أقول من بعد نعم
ولا أقول عكس ذا فإنني بحر خضم
و إنني ابن حاتم بيت السماح والكرم
فكم لنا مآثر منصوبة مثل العلم
ليهتدي بضوئها في عرب و في عجم
معلومة مشهورة مذكورة بكل فم
محبوبة مشكورة سارية و كم و كم

و ما أحسن قول القائل في مثل ما قلت

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

و هذا من الكرم الإلهي أنه جعل مانعا في مقابلة الوعيد و إنفاذه و هو العفو و التجاوز و لم يجعل للوعد بالخير مانعا من اسم إلهي و إذا كانت حالة العبد من الكرم بهذه المثابة فالجناب الإلهي أحق بهذه الصفة و إنما نبهت على إنني ابن حاتم من أجل الكرم الذي جبلت عليه ولي فيه الأصل المؤثل مثل ما قيل إن الجياد على أعراقها تجري و الأعراق هي الأصول جمع عرق و هو الأصل في لسان العرب و اعلم أن العارفين يعاملون المواطن بحسب ما تقتضيه و غير العارفين ليس كذلك فالعارف إن أظهر للناس ما منحه به ربه من المعارف و الأسرار لا يظهر ذلك إلا من أجل ربه لا على طريق الفخر على أبناء جنسه فحاشاه من ذلك كما قال صلى الله عليه و سلم حين أمر أن يعرف الناس بمنزلته أنا سيد ولد آدم هذا الذي قيل له قل ثم قال من نفسه و لا فخر يقول إني ما قصدت بهذا الكلام الفخر و لكن عرفتكم بالمقام الإلهي عن الأذن و أما إذا كان تعريف العارف منزلته للناس عن غير أمر إلهي و لا إذن رباني فإنه هوى نفس بتأويل ظهر لهو هي زلة وقعت منه ينبغي له أن يتعوذ بالله من شرها فإن الموطن الدنياوي لا يقتضي الفتح و لا التعريف بالمقام إلا للأنبياء خاصة إذا أرسلوا و أما الأولياء فحصرتهم العبودية المحضة فهم في ستر مقامهم و حالهم لربهم لا لأنفسهم أي من أجل ربهم و إنهم حاضرون في ذلك مع ربهم و إن كان العارف من حيث إنسانيته و نفسه محبا في الثناء عليه بمنزلته من سيده ليظهر بذلك الشفوف على أبناء جنسه و هو معذور فأي فخر أعظم من الفخر بالله و لكن العبد الخالص له الدين الخالص و الدين الخالص هو ما يجازيه به ربه من ثنائه عليه بلسان الحق و كلامه لا بلسان المخلوقين فهو يحب الثناء من الله ليعلم بإعلام الله إياه أنه ما أخل بشيء مما يقتضيه مقام العبودية أو يستحقه مقام الربوبية ليكون من نفسه على بصيرة فقد أحب ما تقتضيه إنسانيته و نفسه من حب الثناء و لكن من الله لا من المخلوق و لا من نفسه على نفسه عند المخلوقين فإنه على غير بصيرة فيه و لا إذن من ربه في ذلك كما أنه يحب المال لما يستلزمه من الغني عن الافتقار إلى المخلوقين فمن كان غناه بربه فهو ماله إذ المال ليس محبوبا لنفسه و لا لادخاره من غير توهم رفع الحاجة بوجوده فاعلم ذلك فجميع النفوس محبة للمال في الظاهر و هو الغني في المعنى فبأي شيء وقع الغني في نفس العبد فهو المال المحبوب عنده بل لكل نفس و في ذلك قلت

بالمال ينقاد كل صعب من عالم الأرض و السماء

فحبسه عالم حجاب لم يعرفوا لذة العطاء

و منها أعني من هذه القصيدة

لا تحسب المال ما تراه من عسجد مشرق لرائي

بل هو ما كنت يا بنى به غنيا عن السواء

فكن برب العلي غنيا و عامل الحق بالوفاء

و من هذا المنزل تعلم يا بنى ما أكنته القلوب من الأمور و ما يجري فيها من الخواطر و ما تحدث به نفوسها على طريق الإحصاء لها فيما مضى حتى إن المتحقق بهذا المنزل يعرف من الشخص جميع ما تضمنه قلبه و ما تعلقت به إرادته من حين ولادته و حركته لطلب الثدي إلى حين جلوسه بين يديه مما لا يعرفه ذلك الشخص من نفسه لصغره و لما طرأ عليه من النسيان و عدم الالتفات لكل ما يطرأ في قلبه و ما تحدثه به نفسه لقدم الزمان فيعرفه صاحب هذا المنزل منه معرفة صحيحة لا يشك و لا يرتاب فيها لا من نفسه و لا من كل من هو بين يديه أو حاضر في خاطره و هو حال يطرأ على العبد و هذا المنزل قد سمعنا من أحوال أبي السعود بن الشبل أنه كان له حدثنا صاحبنا أبو البدر رحمه الله أن الشيخ عبد القادر ذكر بين يدي أبي السعود و أطنب في ذكره و الثناء عليه و كان القائل قصد به تعريف الشيخ أبي السعود و الحاضرين بمنزلة عبد القادر و أفرط فقال له الشيخ أبو السعود كم تقول أنت تحب أن تعرفنا بمنزلة عبد القادر كالمتهر له و الله إني لا عرف حال عبد القادر كيف كان مع أهله و كيف هو الآن في قبره و هذا لا يعلم إلا من هذا المنزل و لكن لا يحصل له هذا التحصيل الكامل إلا في الرجوع من الحق إلى رؤية المخلوقين بعين الله و تأييده لا بعينه و قوته و من هذا المنزل أيضا يعلم كم حشر يحشر فيه الإنسان فاعلم إن الروح الإنساني أوجده الله حين أوجده مدبرا لصورة طبيعية حسية له سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان فأول صورة لبستها الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه ثم إنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية و حبس بها في رابع شهر من تكوين صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته فإذا مات حشر إلى صورة أخرى من حين موته إلى وقت سؤاله فإذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلى جسده الموصوف بالموت فيحيا به و يؤخذ بأسماع الناس و أبصارهم عن حياته بذلك الروح إلا من خصه الله تعالى بالكشف على ذلك من نبي أو ولي من الثقلين و أما سائر الحيوان فإنهم يشاهدون حياته و ما هو فيه عينا ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة هي عين البرزخ و النوم و الموت في ذلك على السواء إلى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة و يحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا إن كان بقي عليه سؤال فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة و المسئول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله

حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار و أهل النار كلهم مسئولون فإذا دخلوا الجنة و استقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية و بادروا حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية فإذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة و في كل صورة ينسى صورته التي كان عليها و يرجع حكمه لي حكم الصورة التي انتقل إليها و حشر فيها فإذا دخل سوق الجنة و رأى ما فيه من الصور فأية صورة رآها و استحسنها حشر فيها فلا يزال في الجنة دائما يحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الإلهي فكما لا يتكرر عليه صور التجلي كذلك يحتاج هذا المتجلي له أن يقابل كل صورة تتجلى له بصورة أخرى تنار إليه في تجليه فلا يزال يحشر في الصور دائما يأخذها من سوق الجنة و لا يقبل من تلك الصور التي في السوق و لا يستحسن منها إلا ما يناسب صورة التجلي الذي يكون له في المستقبل لأن تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي فاعلم هذا فإنه من لباب المعرفة الإلهية و لو تفطنت لعرفت أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس في صورة الحال التي أنت عليها و لكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة و إن كنت تحس بانتقالك في أحوالك التي عليها تتصرف في ظاهرك و باطنك و لكن لا تعلم أنها صور لروحك تدخل فيها في كل آن و تحشر فيها و يبصرها العارفون صورا صحيحة ثابتة ظاهرة العين و هذا المنزل منزل الخبرة و المهيمن عليه الاسم الرب و هذه الصور إنما تطلبها الخبرة لإقامة الحجة عليها في موطن التكليف فالعارف يقدم قيامته في موطن التكليف التي يؤول إليها جميع الناس فيزن على نفسه أعماله و يحاسب نفسه هنا قبل الانتقال و قد حرض الشرع على ذلك فقال حاسبوا أنفسكم قبل إن تحاسبوا و لنا فيه مشهد عظيم عايناه و انتفعنا بهذه المحاسبة فيه فلم تعد علينا في الموطن الذي يحاسب الناس فيه و ما أخذت هذا المقام إلا من شيخنا أبي عبد الله بن الجاهد و أبي عبد الله بن قسوم بإشبيلية فإنه كان حالهما و زدت على ابن قسوم في ذلك بمحاسبة نفسي بالخواطر و كان الشيخ لا يحاسب نفسه إلا على الأفعال و الأقوال لا غير و هذا القدر كاف في التعريف بما يتضمنه هذا المنزل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ قيل لي قل في آخر كل منزل سبحانك اللهم و بحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك

«الباب الخامس و الثمانون و مائتان في معرفة منزل مناجاة الجماد و من حصل فيه حصل من الحضرة المحمدية و الموسوية نصفها»

تناجيني العناصر مفصحات بما فيها من العلم الغريب

فاعلم عند ذاك شفوف جسمي على نفسي و عقلي من قريب

فيا قومي علوم الكشف تعلو بما تعطي على علم القلوب

فإن العقل ليس له مجال بميدان المشاهد و الغيوب

فكم للفكر من خطأ و عجز و كم للعين من نظر مصيب

و لو لا العين لم يظهر لعقل دليل واضح عند اللبيب

أما قولنا و كم للعين من نظر مصيب فإنما جئنا به صنعة شعرية لما قلنا قبل في صد ر البيت و إنما المذهب الصحيح إن العين لا تخطئ أبدا لا هي و لا جميع الحواس فإن إدراك الحواس الأشياء إدراك ذاتي و لا تؤثر العلل الظاهرة العارضة في الذاتيات و إدراك العقل على قسمين إدراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطئ و إدراك غير ذاتي و هو ما يد ركه بالآلة التي هي الفكر و بالآلة التي هي الحس فالخيال يقلد الحس فيما يعطيه و الفكر ينظر في الخيال فيجد الأمور مفردات فيحب أن ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات إلى بعض فقد يخطئ في النسبة الأمر على ما هو عليه و قد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ و يصيب فالعقل مقلد و لهذا اتصف بالخطإ و لما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا إلى الطريقة التي لا لبس فيها ليأخذوا الأشياء عن عين اليقين ليتصفوا بالعلم اليقيني فإن الجاهل قد يتصف بالعلم فيما جهله و لا يتصف باليقين و لهذا جاز أن يضاف العلم إلى اليقين و ليس من إضافة الشيء إلى نفسه لا لفظا و لا معنى فأما اللفظ فإن لفظة اليقين ما هي لفظة العلم فجازت الإضافة و من طريق المعنى إن اليقين عبارة عن استقرار العلم في النفس و الاستقرار ما هو عين المستقر بل الاستقرار صفة للمستقر و هي حقيقة معنوية لا نفسية فليست عين نفس العلم فجازت الإضافة و إنما قلنا إن الجاهل قد يتصف بالعلم فيما هو جاهل به فهو قوله تعالى فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ من الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى فذكر اعلم في الصنفين إنما شرحنا بهذا الكلام ما قلناه في شعرنا فهو يتضمن شرح ما في هذا المنزل فلهذا أوردناه فلنرجع لي ما يعطيه هذا المنزل فنقول و الله المؤيد اعلم أن من هذا المنزل تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه و سلم و من هذا المنزل أكله كتف الشاة و من هذا المنزل حبه جبل أحد و من هذا المنزل سلم عليه الحجر و منه يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب و يابس و منه هرب الحجر بثوب موسى عليه السلام حتى أبصرت بنو إسرائيل عورته بريئة مما نسبوا إليه فقال فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً و منه قالت السموات و الأرض لما تعلق بهما الأمر الإلهي أَتَيْنا طائِعِينَ و لما كان طلب حمل الأمانة عرضا لا أمرا لهذا أبت القبول لعلمها أنها تقع في الخطر فلا تدري ما يؤول إليه أمرها في ذلك و حكم هذا المنزل في الشرع واسع فلنذكر بتأييد الله بعض ما يتضمنه هذا المنزل إن شاء الله تعالى فأول علم يتضمنه هذا المنزل علم الحركات المعقولة و المحسوسة فاعلم إن الحركات و هي المعاني التي تكون عنها الانتقالات و اختلف أصحابنا فيها هل هي ذوات

موجودة في عينها أم هي نسب و هي عندنا نسب و هذه النسب تعطي من الأحكام بحسب ما تنسب إليه فلها نسبة في المتحيزات تخالف نسبتها في غير المتحيزات و نسبة في الأجسام تخالف نسبتها في الجواهر و ما من موجود إلا و لها فيه نسبة خاصة و إن كانت نسبة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل و هو موصوف سبحانه بأنه على عرشه مستو بالمعنى الذي أراده وَهُوَ سبحانه مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ كما يليق به و هو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ إلينا و هو تعالى في العماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فهذا كله يدلك على ما يراد بالانتقالات فقد يكون ظهور حكم صفة على صفة و قد يكون الانتقال من حال إلى حال و قد يكون من حيز إلى حيز و قد يكون من مكان إلى مكان و قد يكون من منزلة إلى منزلة فقد أعلمتك أن الانتقال سار في جميع الموجودات على ما تستحقه ذواتها فتختلف كيفيات النسب و كله راجع إلى حكم الحركة و من هذا الباب قوله تعالى سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ثم لتعلم بعد أن قررنا هذا أن الحركة في المتحركات على قسمين طبيعية و هي كالنمو في الناميات و عرضية و العرضية اختيارية و غير اختيارية فالاختيارية لا توجد إلا في الحيوان و غير الاختيارية تكون في الحيوان و غيره و قسرية و هي التي تقع من غير المتحرك سواء اقتضاها طبعه أو لم يقتضها طبعه فالجماد و النبات الحركة القسرية فيه لا يقتضيها طبعه و غير الجماد تكون فيه على خلاف ما يقتضيه اختياره و قد يكون المحرك من جنس المحرك و قد لا يكون و قد تكون الحركة قسرية عن حركة قسرية و قد تكون لا عن حركة قسرية فالأولى كتحريك الرياح الأغصان و الثانية رمى الإنسان الحجر علوا في الهواء و يدق الكلام في هذه المسألة و يخفى فإنها مسألة عظيمة القدر و ما هي من العقول ببال و لها تعلق بباب التولد مثل حركة الخاتم لحركة الإصبع و حركة الكم لحركة اليد و للحركة سلطان عظيم حكمها مشهود في الأجسام و لوازمها و معقول في المعاني و ما لا يعرف حده فلها السريان الأتم في الموجودات و أول حكم لها في كل ما سوى الله خروج الأعيان و انتقالها من حالة العدم إلى حالة الوجود و لا يصح استقرار من موجود أصلا فإن الاستقرار سكون و السكون عدم الحركة فافهم و بعد أن تقرر هذا فإن الحركة التي في هذا المنزل التبس على الناس أمرها فما عرفوا هل هي طبيعية أو قسرية أو طبيعية قسرية أو طبيعية لا قسرية أو قسرية لا طبيعية و إنما تصور الخلاف ممن لم يشهد هذا المنزل و لا دخل فيه و هي عندنا حركة طبيعية اختيارية لإظهار أسرار عن أمر إلهي و اختلفوا في السبب الموجب لهذه الحركة هل السبب سبب الحميات أو سببها عالم الأنفاس أو لا سبب لها إلا الأمر الإلهي فاعلم إن الأمر في ذلك وجود الأمر الإلهي في عالم الأنفاس فتوجه على هذا الكون فحركه فقبل الحركة بطبعه كتوجه الهواء على الأشجار ليحركها بهبوبه فالمشاهد يرى حركة الأغصان لهبوب الرياح و العلم يرى أنها لو لا ما أخلت الأغصان أحيازها لم تجد الرياح حيث تهب فلها الحكم فيها بوجه و ليس لها الحكم

فيها بوجه و كان المقصود من تحريك الهواء الأشجار إزالة الأبخرة الفاسدة عنها لئلا تودع فيها ما يوجب العلل و الأمراض في العالم إذا تغذت به تلك الأشجار فيأكلها الحيوان أو تفسد هي في نفسها بتغذيها بذلك فكان هبوب الرياح لمصالح العالم حيث يطرد الوخم عنه و يصفي الجو فتكون الحياة طيبة فالريح سبب مقصود غير مؤثر في مسببه و إنما الأثر في ذلك لناصب الأسباب و جاعلها حجابا عنه ليتبين الفضل بين الخلائق في المعرفة بالله و يتميز من أشرك ممن وحد فالمشرك جاهل على الإطلاق فإن الشركة في مثل هذا الأمر لا تصح بوجه من الوجوه فإن إيجاد الفعل لا يكون بالشركة و لهذا لم تلتحق المعتزلة بالمشركين فإنهم وحدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء و إنما أضافوا الفعل إليهم عقلا و صدقهم الشرع في ذلك و الأشاعرة وحدوا فعل الممكنات كلها من غير تقسيم لله عقلا و ساعدهم الشرع على ذلك لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب فكانت حجج المعتزلة فيه أقوى في الظاهر و ما ذهبت إليه الأشاعرة في ذلك أقوى عند أهل الكشف من أهل الله و كلا الطائفتين صاحب توحيد و المشرك إنما جهلناه لكون الموجود لا يتصف إلا بإيجاد واحد و القدرة ليس لها في الأعيان إلا الإيجاد فلا يكون الموجود موجودا بوجودين فلا يصح أن يكون الوجود عن تعلق قدرتين فإن كل واحدة منهما إنما تعطي الوجود للموجود فإذا أعطته الواحدة منهما وجوده فما للأخرى فيه من أثر فبطل إذا حققت الشركة في الفعل و لهذا هو غير مؤثر في العقائد فالمشرك الخاسر المشروع مقته هو من أضاف ما يستحقه الإله إلى غير الله فعبده على أنه إله فكأنه جعله شريكا في المرتبة كاشتراك السلطانين في معنى السلطنة و إن كان هذا لا يحكم في ملك هذا و لكن كل واحد منهما سلطان حقيقة و بعد أن عرفت ما يتعلق من العلم بالحركة على قدر ما أعطاه الوقت من التعريف بذلك فلنبين من هذا المنزل لم وجدت هذه الحركة الخاصة فاعلم أنها وجدت لإظهار ما خفي في الغيب من الأخبار التي يثقل كونها على الخلق كما قال تعالى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و قال في شأن الساعة ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و ذلك أن الغيب إذا ثقل عليه الأمر و ضاق عنه و لم يتسع له استراح على عالم الشهادة فتنفس الغيب تنفس الحامل المثقل فأبرز في عالم الشهادة ما كان ثقل عليه حمله و هو في المعنى كما يثقل على الإنسان كتم سره و حمل همه إذا لم يجد من يستريح عليه من إخوانه فإذا وجد أخا يبث إليه من همه الذي هو فيه و ثقل عليه ما يجد في بثه له راحة بما أخذه منه صاحبه فكأنه قاسمه فيه فخف عليه فإن كان ما وقع له به الهم تحت قدرة من يبثه إليه من إخوانه فقضى حاجته أزال ذلك الثقل عنه بالكلية فمثل هذا هو الثقل الذي يكون في الغيب فيستريح على الشهادة و سبب ذلك كونه ليس له إنما هو أمانة عنده للشهادة و إذا كان المطلوب من ذلك الأمر الشهادة فإنما هو عند الغيب أمانة فيكون الغيب مكلفا بحفظها و أدائها في وقتها إلى الشهادة فبالضرورة يثقل عليه ألا ترى إلى قول الله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَ

حَمَلَهَا الْإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً يعني لنفسه جَهُولًا يعني بقدرها فهي ثقيلة في المعنى و إن كانت خفيفة في التحمل فكانت السموات و الأرض و الجبال في هذه المسألة اعلم من الإنسان و لم تكن في الحقيقة اعلم و إنما الإنسان لما كان مخلوقا على الصورة الإلهية و كان مجموع العالم اغتر بنفسه و بما أعطاه الله من القوة بما ذكرناه فهان عليه حملها ثم إنه رأى الحق قد أهله للخلافة من غير عرض عليه مقامها فتحقق إن الأهلية فيه موجودة و لم تقو السموات على الانفراد و لا الأرض على الانفراد و لا الجبال على الانفراد قوة جمعية الإنسان فلهذا فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها و ما علم الإنسان ما يطرأ عليه من العوارض في حملها فسمى بذلك العارض خائنا فإنه مجبول على الطمع و الكسل و ما قبلها إلا من كونه عجولا فلو فسح الحق له في الزمان حتى يفكر في نفسه و ينظر في ذاته و في عوارضه لبان له قدر ما عرض عليه فكان يأبى ذلك كما أبته السماء و غيرها ممن عرضت عليه و لقد روينا فيما رويناه عن الحسن البصري أن رجلا قدم من سفر فقصد دار الحسن فلما خرج إليه الحسن قال له إني قدمت من مدينة كذا و حملني فلان صديقك السلام عليك فهو يسلم عليك فقال له الحسن متى قدمت قال الساعة قال هل مشيت إلى بيتك قبل إن تأتيني قال لا هذا دخولي على حالتي إليك لأؤدي أمانتك قال يا هذا أما إنك لو مشيت إلى بيتك قبل أن تأتيني و مت مت خائنا فالعاقل من لا يعد و لا يحمل أمانة و حكم الأمانة إنما هي لمن توصل إليه لا لمن يحملك إياها قال تعالى إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها و لا شك و لا خفاء أنه في طبع كل شيء القلق مما يثقل عليه حتى يخرجه عنه لكونه ليس له ما ثقل عليه و إنما هو أمر زائد فإذا كان ذلك الأمر له زال ذلك الثقل و فرح به حيث صار ملكه و ظهرت له سيادته عليه ألا ترى أن الإنسان إذا أودعت عنده مالا كيف يجد ثقله عليه و يتكلف حفظه و صيانته فإذا قال له رب المال قد وهبته لك و أخرجته عن ملكي و خرجت عنه كيف يرجع حمل ذلك المال عنده خفيفا و يسر به سرورا عظيما و يعظم قدر ذلك الواهب في نفسه كذلك العبد أوصاف الحق عنده أمانة لا يزال العارف بكونها أمانة عنده تثقل عليه بمراقبته كيف يتصرف بها و أين يصرفها و يخاف أن يتصرف فيها تصرف الملاك فإذا ثقل عليه ذلك ردها إلى صاحبها و بقي ملتذا خفيفا بعبوديته التي هي ملك له بل هي حقيقته إذ الزائد عليه قد زال عنه و حصل له الثناء الإلهي بأداء أمانته سالمة فقد أفلح من لم يتعد قدره كما يقال في المثل ما هلك امرؤ عرف قدره و من هذا المنزل يعلم متعلق الاستفهام حيث كان و ذلك أن الاستفهام لا يكون إلا مع عدم العلم في نفس الأمر أو مع إظهار عدم العلم لتقرير المستفهم من استفهمه على ما استفهمه مع علم المستفهم بذلك فيقول المستفهم أي شيء عندك و مالك ضربت فلانا فعلة الاستفهام عن الأمور عدم العلم و الباعث على الاستفهام يختلف باختلاف المستفهم فإن كان عالما بما استفهم عنه فالمقصود به إعلام الغير حيث ظنوا و قالوا خلاف ما هو الأمر عليه مثل قوله تعالى لعيسى عليه السلام أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ

أُمِّي إِلٰهَيْنِ من دُونِ اللهِ بحضور من نسب إليه ذلك من العابدين له من النصارى فتبرأ عيسى بحضورهم من هذه النسبة فيقول سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ فكان المقصود توبيخ من عبده من أمته و جعله إلها فقد وقع في الصورة صورة الاستفهام و هو في الحقيقة توبيخ و مثل هذا في صناعة العربية إذا أعربوه في الاصطلاح يعربونه همزة تقرير و إنكار لا استفهام و إن قالوا فيه همزة استفهام و المراد به الإنكار فلهم في إعراب مثل هذا طريقتان فينبغي للعبد أن لا يظهر بصفة تؤديه إلى أن يستفهم عنه فيها ربه لما تعطيه رائحة الاستفهام في المستفهم من نفي العلم و ذلك الجناب مقدس منزه عن هذا فاحذر من هذا المقام و لا تعصم من مثل هذا إلا بأن تكون عبوديتك حاكمة عليك ظاهرة فيك على كل حال فإن استفهمك الحق عن شيء فيكون ذلك ابتداء منه لا سبب لك فيه و هو سبحانه لا يحكم عليه شيء فإنه إن شاء استفهم و إن شاء لم يستفهم مع نسبة العلم إليه تعالى فيما يستفهم عنه لا بد من ذلك و للاستفهام أدوات مثل ما و أي و الهمزة فيخص هذا المنزل من الأدوات بما خاصة دون من و غيرها من الأدوات ليس لغيرها من أدوات الاستفهام في هذا المنزل دخول و ما وقفت إلى الآن على سبب اختصاص هذا المنزل بها دون غيرها و هي في الحكم فيمن تدخل عليه حكم من و الهمزة فإنها تدخل على الأسماء و الأفعال و الحروف و ما ثم إلا هذه الثلاث مراتب فعمت فكان لهذا المنزل عموم الاستفهام و لا يصح أن يظهر في هذا المنزل على هذه الحالة إلا أداة ما لأن معانيه تطلبها و قد يستفهم بالإشارة و من هذا المنزل إفشاء الأسرار و خفي الغيوب لطلب المواطن لها فيعلم الإنسان من هذا المنزل المواطن التي ينبغي أن يبدي فيها مما عنده من الغيوب و يعرف أن موطن الدنيا لا يقتضي ذلك و لهذا لم يظهر من ذلك على الملامية شيء و أعني بالغيوب هنا كل غيب لا يطلبه الموطن و أما الغيوب التي يطلبها كل موطن فلا بد أن يخرج غيب كل موطن في موطنه إلى الشهادة و هذا حال الملامية إلا أن يقترن بإبراز ذلك أمر إلهي و لا يقترن به أمر قط إلا أن يطلبه حال ما من الأحوال و أما من غير حال تطلبه فلا و لهذا جهل الناس مقادير أهل الله تعالى عند الله و بهذا سموا أمناء فإذا اقتضى الموطن إبراز غيبه فالعارف أول من يبادر إلى ذلك و يسارع فيه و إن لم يفعل كان غاشا خائنا لا يصلح لشيء فإن سبق بإظهاره غيره تعين عليه ذلك الوقت إخفاؤه و أن لا يطلع أحد من الخلق على ما عنده فيه إذ قد ناب غيره فيه منابه فلم يبق لهذا العارف في إظهار ذلك منه إلا حظ نفس لا غير و هذا ليس من شأن خصائص الحق و أهله فإن جاءه وحي من الله بذلك مع أنه قد ظهر على يد غيره فليبادر لأمر الله فيه و ليظهره و يكون فيه كالمؤيد للأول و اعلم أنه ما من جنس من أجناس المخلوقين إلا و قد أوحي إليه من ملك و جن و إنسان و حيوان و نبات و جماد فذكر من الحيوان النحل و من الجماد السماء و الأرض و إن كان الكل عندنا أحياء و لكن نجري على المعهود المتعارف في الحس الغالب و قال تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قال وَإِنْ من أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها

نَذِيرٌ و قال وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا و قال لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ من السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا و قال وَ ما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ أي بلحنهم و الوحي على ضروب شتى و يتضمنه هذا المنزل فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال و هو الوحي في النوم فالمتلقى خيال و النازل كذلك و الوحي كذلك و منه ما يكون خيالا في حس على ذي حس و منه ما يكون معنى يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلق حس و لا خيال بمن نزل به و قد يكون كتابة و يقع كثيرا للأولياء و به كان يوحى لأبي عبد الله قضيب البان و لأبي زكريا البجائي بالمعرة بدير النقرة و لتقى بن مخلد تلميذ أحمد بن حنبل صاحب المسند و لكن كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة و مما يتضمن هذا المنزل خلق الأعراض صورا ذوات قائمة متحيزة في رأى العين فاعلم أن الإنسان إذا جاء الله به إليه جمعه عليه جمعية لا تفرقة فيها حتى يهبه الله تعالى في ذلك ما يريد أن يهبه مما سبق في علمه فإذا خرج عن ذلك المشهد و عن تلك الحالة حرج بما حصل له و كان قد حصل له أمرا كليا مجملا غير مفصل فيبدو له عند الخروج مفصل الأعيان لكل جزء منه صورة تخصه فيخرج عن حال جمعيته إلى حال تفرقته فتبادر صور الأعمال إليه دفعة واحدة و تتعلق كل صورة منها بمن كان أصلا في وجودها فأما له و إما عليه فتتعلق بعينه صور نظره و بإذنه صور تعلق سمعه و كذلك سائر حواسه في ظاهره و يتعلق بباطنه صور أعمال باطنه من أعمال فكره و خياله و سائر قواه الباطنة فيه فإن كانت الصور العملية توجب فرحا فرح بذلك و بضده و إن كانت صور الأعمال توجب حزنا و غما كان الإنسان بحسب ما توجبه الصورة فإن كان من صورة ما يوجب هذا و يوجب هذا كان فرح الجزء الذي له صورة العمل المفرح فرحا من حيثيته لا من حيث النفس المكلفة فيتنعم ذلك الجزء الإنساني بقدر ذلك و يحزن الجزء الآخر بصورة عمله أيضا و النفس في هذه الحالة تفرح بحكم التبعية لفرح هذا و تحزن بحكم التبعية لحزن هذا في حال واحدة بإقبالين مختلفين كما كانت تسمع في حال النظر في حال البطش في حال السعي في حال اللمس في حال الشم في حال الطعم و لا يشغلها واحد عن الباقي مع أحدية المدرك كذلك ينعم من طريق و يحزن من طريق فهو الفرح المحزون و هو الرابح المغبون إلى أن يدخل الجنة و هذا من أعجب المشاهد و قليل واجده في هذه الدار من أهل الطريق لعدم كشفهم و تحققهم و قلة علمهم بذلك وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و الثمانون و مائتان في معرفة منزل من قيل له كن فأبى فلم يكن من الحضرة المحمدية)

شمس الفناء بدت في كاف تكويني لعلمها أنها بالنور تفنيني

و قد أشارت و لم أعلم إشارتها بأن في ذلك الإيماء تعنيني

فكنت واو العين العلم ظاهرة خفية العين بين الكاف و النون

فصلت في اللوح أسرارا متوجة قد كان أجملها الرحمن في النون

من هذا المنزل قيدت جزءا سميته الفناء في المشاهدة فلنذكر الآن ما يتضمنه هذا المنزل على ما يحوي عليه من الأصول فإن البسط فيه يطول فاعلم أن مظهر هذا المنزل اسمه النور و لكن الأنوار على قسمين نور ما له شعاع و نور شعشعاني فالنور الشعشعاني إن وقع فيه التجلي ذهب بالأبصار و هو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قيل له يا رسول الله هل رأيت ربك فقال صلى الله عليه و سلم نوراني أراه يقول نور كيف أراه يريد النور الشعشعاني فإن تلك الأشعة تذهب بالأبصار و تمنع من إدراك من تنشق منه تلك الأشعة و هو أيضا الذي أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله إن لله سبعين حجابا من نور و ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه و السبحات هنا هي أنوار حقيقته فإن وجه الشيء حقيقته و أما النور الذي لا شعاع له فهو النور الذي يكون فيه التجلي و لا شعاع له و لا يتعدى ضوؤه نفسه و يدركه المبصر في غاية الجلاء و الوضوح بلا شك و تبقي الحضرة التي يكون فيها هذا الذي كشفت له في غاية من الوضوح لا يغيب عنه منها شيء في غاية الصفاء و في هذا التجلي يقول النبي صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فمن بعض ما يريد بهذا التشبيه الذي وقع بالرؤية إدراك ذات القمر لضعف أشعة القمر أن يمنع البصر من إدراك ذاته و الصحيح في ذلك أنه يريد به إذا كسف ليلة بدره فإنه عند ذلك يدرك البصر ذات القمر التي لا تقبل الزيادة و لا النقصان فهو إدراك محقق لذات القمر ثم قال في نفس الحديث أو كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب و في ذلك الوقت يكون نورها أقوى فتظهر الأشياء كلها بها فيدرك البصر كلما وقع عليه من الأشياء إدراكه حين كشفت له هذه الشمس و إذا أراد أن يحقق النظر إلى ذات الشمس في هذه الحالة لا يقدر فأوقع التشبيه أن هذا التجلي ليس يمنع أن يرى الناس بعضهم بعضا أي لا يفنى فلهذا أوقع التشبيه برؤية القمر ليلة البدر و برؤية الشمس و ما اقتصر على واحد منهما و أكد البقاء في هذا المشهد بقوله لا تضارون و لا تضامون من الضيم و الضم الذي هو المزاحمة و من الضير و الإضرار و لما دخلت هذا المنزل وقع لي فيه التجلي في النور الذي لا شعاع له فرأيته علما و رأيت نفسي به و رأيت جميع الأشياء بنفسي و بما تحمله الأشياء في ذواتها من الأنوار التي تعطيها حقائقهم لا من نور زائد على ذلك فرأيت مشهدا عظيما حسيا لا عقليا و صورة حقية لا معنى ظهر في هذا التجلي اتساع الصغير لدخول الكبير فيه مع بقاء الصغير على صغره و الكبير على كبره كالجمل يلج في سَمِّ الْخِياطِ يشاهد ذلك حسا لا خيالا و قد وسعه و لا تدري كيف و لا تنكر ما تراه فسبحان من تعالى عن إدراك ما تكيفه العقول و فضل إدراك البصر عليها لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فأظهر عجز العقول

بهذا التجلي الذي أظهر به قوة الأبصار و فضلها على العقول و أظهر في تجليه في النور الشعشعاني عجز الأبصار و قوة العقول و فضلها على الأبصار ليتصف الكل بالعجز و ينفرد الحق بالكمال الذاتي فمن عاين هذا المنزل يرى من العجائب و الآيات ما لا يمكن أن يحويه غيره و أول هذا المنزل عند دخولك فيه ترى نفسك مظهرا للحق فإذا رأيته تحقق من نفسك أنه ليس هو و هو آخر هذا المنزل فيتضمن أوله هو مشاهدة و يخاطبك في هذا التجلي بأنه ليس هو فإنه من التجليات التي لا تفني عين المشاهدة فتجمع بين الرؤية و الخطاب و آخر هذا المنزل يتضمن الهو و هو في الغيب من غير رؤية و هو متعلق نظر العقل فأول هذا المنزل بصري و آخره عقلي و ما بينهما و هذا منزل يتضمن أيضا ما نذكره فاعلم إن الأسرار التي يمنحها الحق عبده من أهل هذه الطريقة على قسمين منها أسرار تعطيك بذاتها إن تظهرها في الأكوان من غير حرج في ذلك عليك و لا تحتاج في إظهارها للغير إلى إذن إلهي و أسرار لا تعطيك بذاتها هذا الحكم و هي على قسمين قسم منها تحتاج في إظهاره إلى إذن إلهي فإن أظهرته عن غير إذن قوبلت و وقع الحرج و الجناح عليك في إظهاره و قد وقع لي مثل هذا و لكن بحمد الله قوبلت بالعتاب لا بالعقاب رحمة من الله بي و عناية و أسرار أخر لا يعطيها الحق لأحد بواسطة فلو طلبت الأذن فيها إذا أطلعك الحق عليها أن توصلها ما أذن لك فإنها أذواق لا تعرفها من غيرك بمجرد العبارة عنها فإنها مما ينفرد الحق بإيصالها من الحق إلى العبد كما يفعل بالأحوال فلو رام أحد أن يعبر عن الشوق الذي يجده إلى من اشتاق إليه ما أطاق ذلك و لا وصل إلى فهم الآخر منه شيء إلا أن يقوم الشوق به مثل ما قام بصاحبه فيعرف عند ذلك حقيقة مسمى هذا اللفظ و كذلك ما في معناه و كلذة الجماع التي حرمها العنين لا يتمكن لمن قامت به أن يوصلها بالتعريف إلى العنين و كذلك كل علم يتعلق بالحواس لا يمكن للعقل أن يصل إلى معرفته بنفسه و لا بالعبارة عنه إلا أن يحس به الآخر فالذي يختص بهذا المنزل معرفة الأسرار التي يتوقف إظهارها ممن قامت به و أعطيته على الأذن الإلهي و معرفة الأسرار الإلهية المستورة خلف حجاب الصور التي لا تظهر إلا لمن كان على بينة من ربه في ذلك فإذا شهدت البينة لها عند العبد قبلها فلا يحتاج إلى شاهد مثل ما يحتاج في غيرها فإذا حصل العبد في هذا المقام و وهبه الحق من هذه الأسرار وهب تجل و اطلع على أمور غامضة من العلم بالله سترها في نفسه و كتمها عن غيره وفاء بحق الأمانة و حفظها و معرفة بقدرها و منزلتها و يطلع على هذه الأسرار معنا من ينسب بعض الأفعال إلى غير الله من المعتزلة و الفلاسفة و أهل الشرك الذين عبدوا غير الله مع عبادة الله فقد ينفردون في أوقات مع الله دون الشريك و ذلك في أوقات الضرورات المهلكة التي يقطعون فيها إن آلهتهم لا تغني عنهم فيها شيئا فيلجئون إلى الله في رفعها فمن تلك الحقيقة المستورة فيهم في حال لا يكون فيه تحت اضطرار حسي من ذلك الوجه ينالون هذه الأسرار و إن كانوا أشقياء فإن نيلهم إياها مما يزيد في شقاوتهم حيث عرفوا من بيده الاقتدار و عدلوا عنه و

عملوا لغيره مما نصبوه بأيديهم و أيدي من هو من جنسهم إلها و ظهر لهم عجزه و تمادوا على غيهم كما قال تعالى فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ و اعلم أن بينة الله في عباده على قسمين القسم الواحد هو البينة الحقيقية و هو قوله تعالى أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ يعني في نفسه و أما من تقام له البينة في غيره فقد يمكن أن يقبلها و يمكن أن لا يقبلها و الذي يقبلها إن قبلها تقليد ألم تكن في حقه آية بينة و لا تنفعه و إنما يكون التقليد فيما يجيء به الرسول من الأحكام لا من البينات و الشواهد على صدقه و إن لم يقبلها تقليدا فما قبلها إلا أن يكون هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في إن تلك آية بينة على صدق دعوى من ظهرت على يديه فيما ادعاه فعلمت من هذا أن الشيء لا ينفعك إلا إذا كان فيك و لا يضرك إلا إذا كان فيك و لهذا نقول في كثير من كلامنا إن حقيقة العذاب هو وجود الألم فيك لا أسبابه سواء وقعت الأسباب فيك أو في غيرك فلا تقول في الأشياء إلا أن تقوم لك منك و أقلها أن يقوم بك التصديق بما يتحقق به أهل طريق لله بأنه حق و إن لم تذقه و لا تخالفهم فتكون على بينة من ربك و لا بد في كونهم صادقين و بتلك البينة التي أنت عليها توافقهم في ذلك فأنت منهم في مشرب من مشاربهم فإنهم أيضا ممن يوافق بعضهم بعضا فيما يتحققون به في الوقت و إن كان لا يدرك هذا ذوقا ما أدركه صاحبه فيقر له به و يسلمه له و لا ينكره لارتفاع التهمة و مجالسة هؤلاء الأقوام لغير المؤمن بهم خطر عظيم و خسران مبين كما قال بعض السادة و أظنه رويما من قعد معهم و خالفهم في شيء مما يتحققون به في سرائرهم نزع الله نور الايمان من قلبه فلا يزال الإنسان على الحالة التي هو عليها حتى يقوم له الشاهد بالخروج عنها فمن كان في حالة الكتم كتم و من كان في حالة الإظهار أظهر و أفشى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا من هؤلاء الفرق فالله يجعلنا و إياكم ممن هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فإن تلاه شاهد فحسن و مزيد طمأنينة و تقوية للنفس فيما هي بسبيله و إن لم يكن ذلك ففي كونه على بينة من ربه كفاية فإن الشاهد إن لم يكن فيه المشهود له على بينة أنه صادق فيما يشهد له به و إلا فلا يقبله في باطنه كالشاهد مع صاحب الدعوى إذا كان في دعواه محقا فهو على بينة في نفسه من ربه إنه صادق و لكن الحاكم يطالبه بالشاهد فإذا شهد الشاهد له علم المشهود له أنه صادق في شهادته ببينته التي هو عليها إنه على حق في دعواه و إن كان المدعي ليس بصادق في دعواه فهو على بينة من نفسه و من ربه إنه غير صادق فيما ادعاه فإذا طلبه الحاكم بالشاهد فأتى بشاهد زور فشهد له أنه صادق في دعواه فالمدعي على بينة من نفسه و من ربه إن ذلك الشاهد الذي شهد له زور و شهد بالباطل و لا يقبله في نفسه و إن قبله الحاكم فأول ما يتجرح شاهد الزور عند من شهد له بما يعلم المشهود له أن الأمر على خلاف ما شهد له به فلهذا قلنا إن الشاهد لا نلتزمه إذ كنا لا نقبله و لا نتحقق صدقه و لا كذبه إلا حتى يكون في ذلك على بينة من الله فاعلم ذلك و اعلم بعد أن تقرر هذا أن الأمر الذي كنى عنه الحق بأنه بينة لك من عنده هو سفير من الله إلى قلبك من خفي غيوبه مختص بك من حضرة الخطاب الإلهي و التعريف

من الله أنه من عنده فخذ به و انظر ما يقبله فاقبله و ما يدل عليه فاعتمد عليه و ما ينفيه فانفه كما يفعل صاحب الفكر في دليله غير إن صاحب الفكر قد يتخذ دليلا ما ليس بدليل في نفس الأمر و قد يتخذ دليلا ما هو دليل في نفس الأمر و لكن بالنظر إلى قوة العقل فقد أعطى ما في قوته فلا يكون أبدا من حيث هو عقل إلا إن ذلك دليل و هو دليل و صاحب البينة من ربه على نور من الله و صراط مستقيم لا يعلم الأشياء بها إلا على ما تكون عليه الأشياء لا يقبل الشبه إلا شبها ذوقا من صورته لا يتمكن له أن يلبس فيها عليه بخلاف أصحاب الأفكار و الذي يعطيه هذا السفير منه ما يعطيه ما هو مختص به و منه ما يعطيه ما هو مطلوب له و لغيره و منه ما هو مطلوب لغيره و لا يعطيه ما ليس له و لا لغيره و مما يعطيه ما هو له مقيم و ما ليس له بمقيم فالمقيم كالمقامات و غير المقيم كالأحوال ثم إن أصحاب هذا المقام يتفرقون فيه و يتنوعون على نوعين منهم من يعصم من تأثير هواه و منهم من لا يعصم من تأثير هواه فيه مع أن كل واحد من الطائفتين على علم محقق فبينتهم التي هم عليها أنه معصوم و أن هواه ليس له عليه سبيل و أنه غير معصوم و أن هواه قد أثر فيه لما سبق في علم الله فيه و هل ينفعه هذا العلم عند الله في سعادته أم لا فعندنا إنه نافع و عند غيرنا إنه غير نافع و إنما وقع الخلاف في مثل هذه المسألة بوجود الكشف عند الواجد و عدم الكشف عند المخالف مع الاستناد إلى أمر معارض إما عقلي و إما سمعي ثم إن الله تعالى أمر عباده بالإقامة على ما خلقهم له من الذلة و الافتقار إليه ببواطنهم عامة و بظواهرهم على طريقة مخصوصة بينها لهم الشارع و هي جميع الأفعال المقربة إلى الله سواء اقترنت بها في الصورة الظاهرة عزة أو ذلة و ربوبية أو عبودية بخلاف الباطن فإن الباطن يجري على الأمر المحقق الذي هو في نفسه عليه و الظاهر يجري على ما تقتضيه المصلحة في الوقت بك أو بغيرك فإن ظهر ربوبية و عزة في ظاهر العبد العارف كما ذكرناه لمصلحته فإن الميل في الباطن إلى الذلة و العبودية موجود عنده و هو المعتمد عليه و ذلك عارض و لا سيما في موطن التكليف و من هذا المنزل ينشئ العبد الأعمال صورا قائمة يكون فيها خلاقا بالفعل و لكن مما يقع له به السعادة عند الله فلا يزال ينشئ تلك الصورة حتى يراها قائمة بين يديه حسا ينظر إليها و يفرح بها و جميع ما يظهر من تلك الصورة مما تقتضيه السعادة فإنما هو لمنشئ هذه الصورة و هو هذا العبد فهي له كرأس المال و ما يكون عنها كالأرباح و الأرباح إنما تعود منفعتها على رب المال لا على نفس المال و من هذا المنزل أيضا يظهر الجود الذاتي الذي لا يمكن دفعه لا اختيار للعبد فيه فيعطي من نفسه لربه ما سأله فيه إن يعطيه مما لو لم يسأله فيه لأعطاه إياه و هذا من كرم الله حيث علم أنه لا بد أن يعطيه ذلك لأنه أمر تقتضيه ذاتك فسألك في ذلك أن يجازيك على امتثال أمره في ذلك كما سألك فيما يمكن أن تعطيه و فيما يمكن أن تأباه فأجرى هذا مجرى هذا جودا منه و ليقوم جزاء ما أعطيته عن أمره مما هو عطاء ذاتي في مقابلة ما منعته و خالفت فيه أمره مما ليس هو عطاء ذاتيا بل إمكانيا و هي جميع الأعمال المشروعة فلهذا

أمرك بما لا يمكنك الانفكاك عنه كما لا يمكن للسراج أن يمنع ضوءه و لكن يتصور أن يقال له أعط الأبصار ضوءك ليدركوا به الأشياء فتجازي من حيث ذلك و ذلك أن تعلم أن حضرة كن تتضمن روحا و جسما و قد يرتبطان و قد لا يرتبطان فإذا ارتبطا كان هذا الجسم حيا على هذه الصورة من الكاف و الواو و النون و إذا كان حيا انفعل عنه ما يتوجه عليه لارتباط الروح به و هو الأذن الإلهي كالنفخ من عيسى عليه السلام في الطائر مقارنا للاذن الإلهي الذي هو النفخ الإلهي فاندرج النفخ الإذني الإلهي الذي به حيي الطائر و ارتبط روحه في النفخ الجسماني القائم بعيسى فإذا وجد جسم كن من غير ارتباط الروح به لم يكن عنه شيء أصلا إذ الميت لا يضاف إليه فعل أصلا و لا يقوم لعقل فيه شبهة بخلاف الحي و الصورة الجسمية فيهما واحدة و إذا انفرد روح كن دون جسميته انفعلت عنه الأشياء و من جملة الأشياء جسمية كن الذي هو في عالم الحروف فإذا علمت ما أوضحناه لك في هذا الكلام وقفت على أمر عظيم من قوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ذلك الأمر و لا بد و يقول الحق سبحانه لعباده في كلامه العزيز أَقِيمُوا الصَّلاةَ و اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا و جاهِدُوا و لا يقع شيء من ذلك لأنه قال لهم اخلقوا و ليس من شأنهم أن يخلقوا فتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت ميتة يحرم عليهم استعمالها فإذا تعلق الأذن الإلهي الذي هو كن الحية بإيجاد عين الجهاد أو الرباط أو الصلاة أو أي شيء كان من أفعال العباد تكون في حين التوجه علينا و ليس من شأن الأفعال أن تقوم بنفسها فكانت الصلاة تظهر في غير مصل و الصيام في غير صائم و الجهاد في غير مجاهد و هو لا يصح فلا بد من ظهورها في المجاهد و المصلي و غير ذلك فإذا ظهرت فيه نسب الله الفعل إليه و جازاه عليه منة منه و فضلا لأنه ما ظهر عين الصلاة إلا في المصلي فلو لم ينسب الفعل إليه لكان قد حافى الخطاب و التكليف و مباهتة للحس و كان لا يوثق بالحس في شيء فحسم الله هذا الأمر بما نسب من هذه الأفعال لمن أظهرها فيه و أضافها إليه و أمرهم بها و ليس خلقها لهم وإنما ذلك إلى الله تعالى فانظر ما أعجب هذا الأمر مع ما يتضمنه من التناقض المحقق و الايمان بالطريقتين المتناقضتين فيه واجب و الاطلاع عليه من باب الكشف مع وجود الايمان به تأييد عظيم و قوة لمن أعطى ذلك فإن في هذا الموطن زل كثير من أهل الكشف و هو قوله و أضله الله على علم و العلم كان لا ينبغي أن يصاحبه الضلال و لا يستلزمه و هنا قد وجد فيه ذلك فلا يخلو إما أن ضل بعلم أو لا بعلم و الأمر فيه إشكال ثم إن هذا المنزل يتضمن الجزاء على الأعمال يعني جزاء من ذكرناه في هذا المنزل من الكاتمين لأسرار الحق الذين أمنهم الله عليها مما لا يظهرونها إلا عن إذن إلهي و من ذكرنا من الطوائف معهم فجزاؤهم الجلال و العظمة و الهيبة و في الدنيا الخوف و القبض و الوحشة و في الأحوال الاصطلام و في المحبة الغليل و الاشتياق و الشوق و الكمد و الخشية و التحقق بذلك في كل موطن بحسب ذلك الموطن من الدوام و عدم الدوام إلا أنه في ظهور كونه لا يتخلله غفلة و لا فترة أصلا فإذا زال

المقام زال الحال لزواله هذا جزاء من حفظ الأمانة و لم يظهرها إلا بأمر الله و جزاء من أظهرها بإذن الله الإقامة في جوار الله من اسمه الرب لا غيره من الأسماء و معرفة العلوم التي تتعلق بمن هو تحت حيطته و دون منزلته لا بمن هو فوقه و إن هذه الحالة لهم دائمة و المقام لهم دائم في الدنيا و الآخرة و لهم الجمال و الأنس و من الأحوال الرضاء و من المحبة الوصلة و التعانق و الالتذاذ بثم المحبوب و ضمه و من خصائص هذا المنزل إن صاحبه لا يبذل المجهود من نفسه في أعماله بل أعماله دون قوته و طاقته و يقبل الله منه ذلك فإنه ممن اتقى الله حَقَّ تُقاتِهِ ما هو ممن اتقى الله استطاعته و صاحب هذا المقام لا يتصور منه أن يطلب من الحق ما لم يعطه مما هو جائز أن يحصل له و يمنعه من ذلك الحياء من الله حيث لم يبذل المجهود من نفسه فيما كلفه من الأعمال على جهة الندب فهو قانع بما أعطاه ربه و لا يجد حسرة فوت لما فإنه مع علمه بما فاته لأن حاله الالتذاذ في ذلك الوقت بما هو فيه من النعيم و قد بينا أصول هذا المنزل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثمانون و مائتان في معرفة منزل التجلي الصمداني و أسراره من الحضرة المحمدية»

شخص الزمان له نفس تدبره غيدا معطرة من عالم الأمر

جيم و عين وفاء من منازلها جاءت به رسله في محكم الذكر

لها صلاتان من علم الغيوب و ما للظهر و العصر ذاك الفخر و الفجر

من أراد أن يقف على ما تضمنه هذا المنزل في التجلي الصمداني الذي هو خاص به من المعارف و الحقائق و الأسرار الضيائية و غيرها فليطالعه في باب القلب من كتاب مواقع النجوم لنا في علم هذا الطريق فلنذكر في هذا المنزل ما سوى ذلك مخافة التطويل فاعلم إن لهذا المنزل الإنابة و ممن تحقق بها أبو يزيد البسطامي و هي الجمعية الذاتية و لا تكون للعارف من الله إلا عن شهود محقق من خلف حجاب مظهر بشرى و اعلم أن القوم قد اصطلحوا على ألفاظ لمعان قرروها في نفوسهم يخاطبون بها بعضهم بعضا كما فعلت كل طائفة فيما تنتحله من العلوم كالنحويين و أصحاب العدد و المهندسين و الأطباء و المتكلمين و الفقهاء و غيرهم فمما اصطلحت عليه هذه الطائفة الهوية و الإنية و الأنانية لأغراض في نفوسهم فهذا المنزل من ذلك منزل الأنانة فالإنية هي عبارة عن الحقيقة من حيث الأحدية و الأنانية التي هنا عبارة عن الحقيقة الأحدية التي هي عين الجمع فهذا منزل من منازل الغيوب لا ظهور له في الشهادة لكن المنازل التي في الغيب على ضربين منازل يكون عنها آثار في الشهادة يستدل بتلك الآثار عليها و إن كانت غيبا سواء ورد بذلك التعريف الإلهي أو لم

يرد من حيث الخطاب و منازل لا يكون عنها في الشهادة أثر فلا تعرف إلا من طريق التعريف الإلهي و لا تتحقق تحقق منازل الآثار و هذه الأنانية من المنازل التي لها آثار في عالم الشهادة و الملكوت و آثارها مختلفة و تتقيد باختلاف آثارها و إن كانت في نفسها مطلقة فتارة تتقيد باسم ضمير مثلها في الرتبة فتحتاج إلى تقييد آخر مثل قوله تعالى إنا أوحينا إليك فإنا و النون من أوحينا على مرتبة واحدة من حيث أحدية حقيقة الجمعية و التقييد لأنا الوحي و التقييد للنون من أوحينا ما يذكره بعده من قرآن أو روح أو غير ذلك و تارة لا يتقيد باسم ضمير مثل قولهم إنا بنى فلان و كما قيل

نحن بنى ضبة إذ جد الوهل الموت أحلى عندنا من العسل

و ما وقفت على مثل هذا في القرآن فكنا نستشهد به و إنما استشهدت بهذا و إن لم يكن قرآنا فإنه من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم و الذي تقيدت به في هذا المنزل الإنزال الإلهي لا التنزيل على العارفين من عباده إما بما أجراه في خلقه أو بما يجريه في خلقه و إنزاله على قسمين قسم يكون الإنزال على جهة التعريف بمكانة ما يجريه في خلقه أو ما أجراهو مرتبته فيكون تنزله على قلب لعبد من الغيب في الغيب من عين واحد إلى عين واحد لا يقبل التفصيل و القسم الآخر يكون تنزله على قلب العبد و هو مشغول في تدبير هيكله و طبيعته لا يأخذه عن ذلك و ذلك الإنزال من عين جمع إلى عين جمع ليفصل ما نزل عليه لخلقه مما أجراه الله أو يحكيه حكى لنا عن جماعة منهم أبو البدر عن شيخنا عبد القادر رحمه الله أنه قال إن السنة تأتيني إذا دخلت فتخبرني بما يكون فيها و يحدث و كذلك الشهر و الجمعة و اليوم و كذلك كان الشيخ أبو يعزى أبو النور ببلاد المغرب كان إذا دخل رمضان جاءه يعلمه بما قبل فيه من العمل و ممن قبل و يقبل و إنما قيدته هنا في حق شيخنا أبي يعزى برمضان لأن صاحبنا أبا زيد الرقراقي الأصولي أخبرني بشهادة هذا في شهر رمضان إذ كان هذا المخبر عنده في ذلك الوقت فرأى رمضان قد جاءه مخبرا بما ذكرناه فلا تعرف منازل الأكوان عند الله من طريق التعريف الإلهي و العناية بهذا المقرب إلا بتعريف الله عباده في أسرارهم بما يلقيه فيها من نفث روح في روع مثل ما كانت الملائكة تنزل على الأنبياء عليهم السلام بذلك و اعلم أن المراتب التي يكون الخلق عليها متفاضلة في كل جنس فالرسل يفضل بعضهم بعضا و الأنبياء يفضل بعضهم بعضا و المحققون يفضل بعضهم بعضا و العارفون يفضل بعضهم بعضا و هكذا إلى أصحاب الصنائع العملية فهذا المنزل يفضل غيره في التجليات الإلهية المشبه رؤيتها برؤية القمر و الشمس بألفي تجل و ثمان تجليات منطوية مندرجة في الألفين المذكورين غير أن هذه الثمانية لها خصوص وصف يظهر في تجلى المقامات الذي هو مائة و ستة و ستون تجليا فعند ذلك يظهر سلطان هذه الثمانية من التجليات و يعطي من المعارف ما شاء الله أن يعطي و أما الألفان فهي تجليات سريعة الزوال مكثها قليل و لا تعطي علما عاما و أما

المائة و الستة و الستون فتعطي من العلوم العامة السارية في الموجودات و بقائها و ما يكون عنها و بسببها علما عاما مجردا خالصا ثابتا لا يتزلزل و لا يشتبه و إن كان حكمه ينتقل منه و فيه و لا يخرج عنه و اختلف أصحابنا هل ثم تجل في هذه التجليات يتصف بالنقص من حيث الصورة التي يتجلى فيها إذا كانت صورة طبيعية و الطبائع رباعية فيكون التجلي الناقص في الصورة الطبيعية في وقت في العنصر الناري فيكون غير كامل في نفسه و لكن يعطي بحسب ما يعطيه عنصره لا يزيد عليه فإذا كان في تجل آخر انضاف إلى تلك الصورة العنصر الثاني إلى أن يكمل العناصر في أربع تجليات فيقع التجلي في العنصر الرابع بكمال الصورة الطبيعية على صورة مكملة فيلحق بإخوانه من التجليات و الأمر عندنا ليس كذلك و لا يصح أن يكون هناك تجل ينقص أو يزيد و إنما هذا الشخص القائل بهذا ظهرت له حالته في عين التجلي فتخيل أن النقص في التجلي و كان النقص فيه ثم اتفق أنه لما تجلى له التجلي الثاني رأى تلك الصورة التي كان عليها في نفسه قد زاد فيها ما لم يكن و النقص و الزيادة فيه فحكم على التجلي بذلك و اعلم أن الأرواح النورية المسخرة لا المدبرة تنزل على قلوب العارفين كما قلناه بالأوامر و الشئون الإلهية و الخيرات بحسب ما يريده الحق بهذا العبد فترقيه بما نزلت به إليه ترقية و تخليصا إلى الحجاب الأقرب من الحجب البعيدة إلى أن يتولاه الله بارتفاع الوسائط غير إن هذا القلب إذا فارقته التنزلات الروحية التي يشترك فيها أهل هذه الطريقة و الحكماء العاملون على تصفية النفوس و تخليصها من كدر الطبع و قبل أن يتولى الحق أمره بارتفاع الوسائط يمكث معرى عن الأمرين مثل الوقفة بين المقامين و مثل النومة العامة بين الحس و الخيال و هو مقام الحيرة لهذا القلب فإن الذي كان يأنس إليه و يأخذ عنه قد فقده و الذي يأتي إليه ما رآه بعد فيبقى حائرا و لقد أخبرني صاحبي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأنصاري القرطبي و فقه الله عن شيخنا أبي زكريا الحسنى ببجاية قال أخبرني غير واحد من أصحابه و ممن حضر موته أن الشيخ خرج إلى الناس و كان في المسجد الجامع معتكفا في شهر رمضان و قد غير لباسه الذي كان عليه و قد ظهر فيه التغير فقال لهم ادعوا لي فإني قد فقدت الذي كان عندي و لم يكن بعد قد حصل له شيء مما يأتي و حار في أمره فطلب من الناس الدعاء له فإنه لم يكن من أهل الأذواق الإلهية لغلبة الفقه عليه ما تخلص له الأمر ثم عاد إلى خلوته فأبطأ عليهم خروجه فدخلوا عليه فإذا هو مسجى قد فارق الدنيا فأشار إليهم بتغيير لباسه إن الذي كان يلبسه قد جرد عنه و الحيرة و الافتقار إلى دعاء الإخوان دلت على أنه ما كان الحق تولى أمره الذي أومأنا إليه ففرحت له بذلك لعل الله يكون قد تولاه قبل موته بلحظة فقبضه إليه و هو عنده و حال العارف في هذه الحيرة و الوقفة التضرع و الابتهال إلى الله بالافتقار و الخشوع المستعمل في إن يتجلى له حكم توليه إياه بارتفاع الوسائط من الوجه الخاص الذي بين كل موجود و بين ربه الذي لا يعرفه كل عارف و من هذا المنزل يعرف ما ينزل الحق من المعارف على قلوب عباده بإنزال الأرواح إليها قال تعالى يُلْقِي الرُّوحَ من

أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ . . . أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا و لم يقل هو فكان الروح هو الملقي من عند الله إلى قلوب عباده و يكون أمر الله هو الذي ألقاه و يكون ذلك الروح صورة قوله لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ فارتفعت الوساطة في هذا المنزل إذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح و كان الملقي هو الله لا غيره فهذا الروح ليس عين الملك و إنما هو عين المالكة فافهم فمثل هذا الروح لا تعرفه الملائكة لأنه ليس من جنسها فإنه روح غير محمول ليس نورانيا و الملك روح في نور و هذا الذوق لنا و لسائر الأنبياء و أما الملائكة فقد يكونون ممن اختص بهم الرسل و هو قوله تعالى نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ فهو رسول الرسول و أما تنزل الأرواح الملكية على قلوب العباد فإنهم لا ينزلون إلا بأمر الله الرب و ليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالإنزال و إنما يلقي إليهم ما لا يليق بمقامهم في صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون إن الله قد أراد منهم الإنزال و النزول بما وجدوه في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم و أن ذلك الوحي من خصائص البشر و يشاهدون صورة المنزل عليه في الصور التي عندهم تسبيحها يا من أظهر الجميل و ستر القبيح للستور التي تسدل و ترفع فيعرفون من تلك الصور من هو صاحبها في الأرض فينزلون عليه و يلقون إليه ما ألقى إليهم فيعبر عن ذلك الملقي بالشرع و الوحي فإن كان منسوبا إلى الله بحكم الصفة سمي قرآنا و فرقانا و توراة و زبورا و إنجيلا و صحفا و إن كان منسوبا إلى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمي حديثا و خبرا و رأيا و سنة و قد ينزلون أيضا بالأمر الإلهي من حضرة الخطاب و كلا الوجهين من التنزل يتضمنه قول جبريل لمحمد صلى الله عليه و سلم لما قال له الحق أن يقرله لنبيه صلى الله عليه و سلم عن ربه و لهذا جعله من القرآن و هو حكاية الله عن جبريل و جبريل هو الذي نزل به و ما أخرجه نزوله به و الحكاية عنه عن إن يكون قرآنا فكان جبريل يحكي عن الله تعالى ما حكى الله تعالى عن جبريل أن لو قال لمحمد صلى الله عليه و سلم ذلك لقاله له على هذا الحد في عالم الشهادة و هو قوله وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بَيْنَ ذلِكَ وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد عليهما السلام و هم أعيان ثابتة في حال عدمهم و خطابا تهم أعيان ثابتة في حال عدمهم له فهو الإشارة إليه بقوله نَسِيًّا فكانت الحكاية أمرا محققا عن وجود لله محقق لا يتصف بالحدوث ثم حدث الوجود لتلك الأعيان فأخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق و لم تشهده لعدم وجودها في عينها روى عن الزهري أنه حدث عن شخص من الثقات حديثا أو حدث عنه فقال المحدث عنه لا أعلم هذا الحديث و لا أنا منه على يقين و لكن أنت عندي ثقة فرواه عنه عن نفسه و قال حدثني فلان عني و قال إني قلت له حدثني فلان و اتصل الإسناد فتنبه لهذه المسألة في طريق الرواية و مما يتضمن هذا المنزل فضل العلم المستور على العلم المشهور و العلم المستور هو على ضربين ضرب منه لم يضمن في الشهادة صور كلمات و ضرب ضمن صور كلمات فمثل العلم المضمن صور كلمات و هو مستور عن إن يتعلق به معرفة عارف على القطع إلا بأخبار إلهي

فهو علم ما تشابه من القرآن الذي لا يعلم تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله فهذا من العلوم المستورة و لكن لا يعرف من صور الكلمات في أي وجه هو مستور فيه و العلم الثاني المستور هو الذي لم يكن له صورة يحتجب بها من صور الكلمات و فضل مثل هذا العلم و منزلته مجهولة يعلمها الله و من أعلمه الله و قد يصادف الإنسان العمل بما يقتضيه ذلك العلم و هو لا يعرف ذلك حتى ينتقل إلى الدار الآخرة فيجد ثمرة عمله مرتبطة بمنزلة ذلك العلم المستور فيعلمه عند ذلك ومما يتعلق بهذا الباب إنزال الهو منزلة الشاهد مع بقاء الهو في عينه منزها و لا يكون الهو ينزل أبدا إلا في صور مدركة بالحس إما في الحس و إما في الخيال و يسمى بالهو في حال ظهور الصورة ليعلم أن الهو روح تلك الصورة و مدلولها فيعلم إن تلك الصورة لا يعلم معناها إلا الله كما قال تعالى وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ و من كان عند الهو كان بحيث الهو و الهو غيب و الذي يكون عنده غيب و إذا كان غيبا عند غيب فلا تعلمه الشهادة و إنما يعلمه الغيب فلا يعلم ما في الغيب إلا من هو غيب فمن حيث الصور ينسب إلى الغيب الظرفية فإذا ارتفعت الصور زال الغيب لأن الحجاب قد ارتفع فلا يتصف بالغيب و لا بالشهادة لأن الشهادة لا تنفك عن الصور و قد قلنا لا صورة فقد قلنا لا شهادة و الصورة تجعل ذلك الأمر غيبا و قد قلنا بزوال الصورة فقد رفعنا حكم الغيب عن ذلك الأمر فلا غيب و لا شهادة و في هذا المنزل من العجائب و الأسرار ما لو أظهرناه لتوقفت عقول أكثر علماء هذه الطريقة السليمة عن قبول مثلها و من هذا المنزل يتلقى ملك الموت آجال الناس و اختلف أهل الكشف في آجال الحيوان و في آجال كل ما سوى الإنسان هل هذا المنزل منزل علمها أم لا و هل لما عدا الحيوان آجال أم لا فاعلم إن الله تعالى جعل لكل صورة في العالم أجلا تنتهي إليه في الدنيا و الآخرة إلا الأعيان القابلة للصور فإنه لا أجل لها بل لها منذ خلقها الله الدوام و البقاء قال تعالى كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى و قال ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ فجاء بكل و هي تقتضي الإحاطة و العموم و قد قلنا إن الأعيان القابلة للصور لا أجل لها فبما ذا خرجت من حكم كل قلنا ما خرجت و إنما الأجل الذي للعين إنما هو ارتباطها بصورة من الصور التي تقبلها فهي تنتهي في القبول لها إلى أجل مسمى و هو انقضاء زمان تلك الصورة فإذا وصل الأجل المعلوم عند الله في هذا الارتباط انعدمت الصورة و قبل العين صورة أخرى فقد جرت الأعيان إلى أجل مسمى في قبول صورة ما كما جرت الصورة إلى أجل مسمى في ثبوتها لتلك العين الذي كان محل ظهورها فقد عم الكل الأجل المسمى فقد قدر الله لكل شيء أجلا في أمر ما ينتهي إليه ثم ينتقل إلى حالة أخرى يجري فيها أيضا إلى أجل مسمى فإن الله خلاق على الدوام مع الأنفاس فمن الأشياء ما يكون مدة بقائه زمان وجوده و ينتهي إلى أجله في الزمان الثاني من زمان وجوده و هي أقصر مدة في العالم و فعل الله ذلك ليصح الافتقار مع الأنفاس من الأعيان إلى الله تعالى فلو بقيت زمانين فصاعدا لاتصفت بالغنى عن الله في تلك المدة و هذه مسألة لا يقول بها أحد إلا أهل الكشف المحقق منا و الأشاعرة من

المتكلمين و موضع الإجماع من الكل في هذه المسألة التي لا يقدرون على إنكارها الحركة إلا طائفتين من يجعل الحركة نسبة لا وجود لها و هو الباقلاني من المتكلمين و أصحاب الكمون و الظهور القائلون به و إن قال القائلون بالكمون و الظهور بذلك فإنهم تحت حيطة كل بهذا المذهب فإنه قد جرى في كمونه إلى أجل مسمى و هو زمان ظهوره فقد انقضت مدة كمونه و جرى في ظهوره إلى أجل مسمى و هو زمان كمونه فقد انقضت مدة ظهوره و لا يلزم من جريانهم إلى الأجل أن المراد عدمهم بل يجوز أن يكون له العدم و يجوز أن يكون الانتقال مع بقاء العين الموصوفة بالجري و يجوز أن يكون منه أجل يعدمه و منه ما يكون له أجل بانتقاله يعدمه و هو الذي نذهب إليه و نقول به و اعلم أن لله في هذا المنزل أرواحا من الملائكة بأيديهم من الخيرات و النعيم الدائم ما لا يدري مقداره إلا الله تعالى قد وكلهم الله على ذلك و جعلهم حفظة عليه و خزانا لأصحابه من الأناسي يؤدون ذلك إليه في الوقت الذي قد قرر لهم الحق ذلك و عينه لهم بالحال التي ينتقل ذلك العبد السعيد إليها و كذلك له ملائكة خزنة بالنقيض أيضا معدة لإنسان آخر يؤدون ذلك إليه في الوقت الذي قرره الحق لهم بالحال التي ينتقل إليها ذلك العبد الشقي كل ذلك بتقدير العزيز العليم و اعلم أنه ما من كلمة يتكلم بها العبد إلا و يخلق الله من تلك الكلمة ملكا فإن كانت خيرا كان ملك رحمة و إن كانت شرا كان ملك نقمة فإن تاب إلى الله و تلفظ بتوبته خلق الله من تلك اللفظة ملك رحمة و خلع من المعنى الذي دل عليه ذلك اللفظ بالتوبة الذي قام بقلب التائب على ذلك الملك الذي كان خلقه من كلمة الشر خلعة رحمة و واخى بينه و بين الملك الذي خلقه من كلمة التوبة و هو قوله تبت إلى الله فإن كانت التوبة عامة خلع على كل ملك نقمة كان مخلوقا لذلك العبد من كلمات شره خلع رحمة و جعل مصاحبا لملك المخلوق من لفظة توبته فإنه إذا قال العبد تبت إليك من كل شيء لا يرضيك كان في هذا اللفظ من الخير جمعية كل شيء من الشر فخلق من هذا اللفظ ملائكة كثيرة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فإن الإنسان أعطى لفظا يدل على الإفراد و أعطى لفظا يدل على الاثنين و أعطى لفظا يدل على الكثرة فلفظة كل تدل على الكثرة فعلم إن قوله تبت إلى الله من كل شيء إنه تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا كما تقول زيدون تريد بذلك زيد و زيد و زيد هذا أقله إلى ما لا يتناهى كثرة و كذلك لفظة زيود في جمع التكسير فلهذا خلق الله من كلمة الجمع ملائكة بعدد ما تعمه تلك الكلمة و إنما قلنا بأن الملائكة المخلوقة من كلمة الشر يخلع عليها خلع الخير و ترجع ملائكة رحمة في حق هذا التائب و يصاحب بينها و بين الملائكة المخلوقة من لفظ التوبة عن ذلك الشر فإن الكشف أعطى ذلك و صدقه الوحي المنزل بقول الله تعالى في هذا الصنف ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فجعل التبديل في عين السيئة و هو ما ذكرناه و لقد أخبرني عبد الكريم بن وحشي المصري و كان من الرجال بمكة رحمه الله سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال لي ركبت البحر من جدة نطلب الديار المصرية فلما مخرنا جئنا ليلة و نحن نجري في وسط

البحر و قد نام أهل المركب فإذا شخص من الجماعة قد قام يريد قضاء الحاجة فزلقت رجله و وقع في البحر و أخذته الأمواج فسكت الرائس و ما تكلم و كانت الريح طيبة فما شعر رائس المركب إلا و الرجل يجيء على وجه الماء حتى دخل المركب و صحبته طائر كبير فلما وصل إلى المركب طار الطائر و نزل بجامور الصاري على رأس القرية ثم رآه قد مد منقاره إلى إذن ذلك الرجل كأنه يكلمه ثم طار فلم يقل له الرائس شيئا حتى إذا كان في وقت آخر من النهار أخذه الرائس و أكرمه و سأله الدعاء فقال له الرجل ما أنا من القوم الذين يسأل منهم الدعاء فقال له الربان رأيتك البارحة و ما جرى منك فقال يا أخي ليس الأمر كما ظننت و لكني لما وقعت في البحر و أخذتني الأمواج تيقنت بالهلاك و علمت إن الاستغاثة بكم لا تفيد فقلت ذلك تقدير العزيز العليم مستسلما لقضاء الله فما شعرت إلا و طائر قد قبض علي و أقامني من بين الأمواج و حملني على موج البحر إلى أن أدخلني المركب كما رأيت فتعجبت من صنع الله و بقيت أتطلع إلى الطائر و أقول يا ليت شعري من يكون هذا الطائر الذي جعله الله سبب نجاتي و حياتي فمد الطائر منقاره من أعلى الصاري إلى أذني و قال لي أنا كلمتك ذِلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ و به سميت فكان اسم ذلك الطائر ذِلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فهذا مما أشرنا إليه من خلق الله الملائكة من الكلمات و تلك الكلمات تكون أسماءهم و بها يتميزون و بها يدعون كانت ما كانت و يختص بهذا المنزل علوم كثيرة و تجليات يطول الكلام فيها و يكفي هذا القدر وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثمانون و مائتان في معرفة منزل التلاوة الأولى من الحضرة الموسوية»

كن للاله كبسم الله للبشر ... من اسمه الرب رب الروح و الصور

فالخلق و الأمر و التكوين أجمعه ... له فلا فرق بين العقل و الحجر

كالزاهد المتعالي في غناه به ... فلا يميز بين العين و المدر

و العارف المتعالي في نزاهته ... له التميز بين العين و البصر

إذ الرجوع إلى التحقيق شيمة من ... يرى المنازل في الأعلام و السور

أول ما أمر الله به عبده الجمع و هو الأدب و هو مشتق من المأدبة و هو الاجتماع على الطعام كذلك الأدب عبارة عن جماع الخير كله قال صلى الله عليه و سلم إن الله أدبني أي جمع في جميع الخيرات لأنه قال فحسن أدبي أي جعلني محلا لكل حسن فقيل للإنسان اجمع الخيرات فإن الله جعل في الدنيا عبده عاملا جابيا يجبي له سبحانه جميع ما رسم له فهو في الدنيا يجمع ذلك فما خلقه الله إلا للجمع فإن جمع ما أمر بجمعه و جباه كان سعيدا و وهبه الحق جميع ما جباه و أنعم عليه فكانت أجرته عين ما جمعه مع الثناء الإلهي الحسن عليه

بالأمانة و العدل و عدم الظلم و الخيانة و إن كان عبد سوء خان في أمانته فأعطاها غير أهلها و جمع ما لم يؤمر بجمعه مما نهي عنه إن يدخل فيه نفسه و ترك جمع ما أمر بجمعه فلما انقلب إلى سيده و حصل في ديوان المحاسبة و قعد أهل الديوان يحاسبونه و رأى شدة الهول في حسابه و حساب غيره و رأى الأمناء الذين جبوا على حد ما رسم لهم قد سعدوا و آمنوا كثر عليه الغم و الحزن فمنهم من عفي عنه و خلى سبيله لشفاعة شافع و منهم من لم يكن له شفيع فعذب و عصر فمن عرف ما خلق له و عمل عليه استراح راحة الأبد مع أنه في نفسه في زمان جبايته على حذر و خطر و إن كان هذا فأحسن ما جمعه الإنسان في حياته العلم بالله و التخلق بأسمائه و الوقوف عند ما تقتضيه عبوديته و أن يوفي ما تستحقه مرتبة سيده من امتثال أوامره و منزل هذا الأمر من الأسماء الإلهية الاسم الرب و قد نعت الله سبحانه هذا الاسم بالعظمة و الكرم و العلو في مواضع من كتابه العزيز و ذكر ما جعل تحت حكمه و بيده من الأمور و جعل للباء في هذا المنزل سلطانا عظيما حيث جعلها واسطة بين الله و عبده فإن الله تعالى قال لعبده سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فأمره بتنزيهه فقال له العبد مقالة حال بما نسبحه فقال فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ أي لا تنزهه إلا بأسمائه لا بشيء من أكوانه و أسماؤه لا تعرف إلا منه عندنا و إن كانت هذه المسألة مسألة خلاف بين علماء الرسوم فإذا لم تعرف أسماؤه إلا منه و لا ينزه إلا بها فكان العبد ناب مناب الحق في الثناء عليه بما أثنى هو على نفسه لا بما أحدثه العبد من نظره و أي شرف أعظم من شرف من ناب مناب الحق في الثناء عليه و المعرفة به فكان الحق استخلف عبده عليه في هذه الرتبة فلو إن المثنى على الله بأسمائه يعرف قدر هذه المنزلة التي أنزله الله فيها لفنى عن وجوده فرحا بما هو عليه ثم لا يخلو العبد في هذا الثناء إما أن يثني على الله بأسماء التنزيه أو بأسماء الأفعال فالمتقدم عندنا من جهة الكشف أن تبتدئ بأسماء التنزيه و بالنظر العقلي بأسماء الأفعال فلا بد من مشاهدة المفعولات فأول مفعول أشاهده الأقرب إلي و هو نفسي فأثنى عليه بأسماء فعله بي و في و كلما رمت أن أنتقل من نفسي إلى غيري اطلعت على حادث آخر أحدثه في نفسي بطلب يطلب مني الثناء عليه به فلا أزال كذلك أبد الأبد دنيا و آخرة و لا يكون إلا هكذا فانظر ما يبقى علي من منازل الثناء على الله من مشاهدة ما سواى من المخلوقين و هذا المشهد يطلب لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك و لهذا التتميم قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك و بعد الفراغ مني و من المخلوقين حينئذ أشرع في الثناء عليه بأسماء التنزيه و الفراغ من نفسي محال فالوصول إلى مشاهدة الأكوان بالفراغ من الأكوان محال فالوصول إلى أسماء التنزيه محال فإذا رأيت أحدا من العامة أو ممن يدعي المعرفة بالله يثني على الله بأسماء التنزيه على طريق المشاهدة أو بأسماء الأفعال من حيث ما هي متعلقة بغيره فاعلم أنه ما عرف نفسه و لا شاهدها و لا أحس بآثار الحق فيه و من عمي عن نفسه التي هي أقرب إليه فهو على الحقيقة عن غيره أعمى و أضل سبيلا قال تعالى وَ

من كانَ في هذِهِ أَعْمى يعني في الدنيا و سماها دنيا لأنها أقرب إلينا من الآخرة قال تعالى إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا يريد القريبة وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى يعني البعيدة فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا ثم لتعلم أنك من جملة أسمائه بل من أكملها اسما حتى إن بعض الشيوخ و هو أبو يزيد البسطامي سأله بعض الناس عن اسم الله الأعظم فقال أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم أسماء الله كلها عظيمة فاصدق و خذ أي اسم إلهي شئت و لقيت الشيخ أبا أحمد بن سيد بون بمرسية و سأله إنسان عن اسم الله الأعظم فرماه بحصاة يشير إليه إنك اسم الله الأعظم و ذلك أن الأسماء وضعت للدلالة فقد يمكن فيها الاشتراك و أنت أدل دليل على الله و أكبره فلك إن تسبحه بك فإن قلت و هكذا في جميع الأكوان قلنا نعم إلا إنك أكمل دليل عليه و أعظمه من جميع الأكوان لكونه سبحانه خلقك على صورته و جمع لك بين يديه و لم يقل ذلك عن غيرك من الموجودات فإن قلت فقد وصف نفسه بالعظمة قلنا و قد وصفك بالعظمة و ندبك إلى تعظيمه فقال وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها من تَقْوَى الْقُلُوبِ و أنت أعظم الشعائر فيتضمن قوله تعالى فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ إن تنزهه بوجودك و بالنظر في ذاتك فتطلع على ما أخفاه فيك من قرة أعين فأنت اسمه العظيم و من كونك على صورته ثبتت العلاقة بينك و بينه فقال يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ و المحبة علاقة بين المحب و المحبوب و لم يجعلها إلا في المؤمنين من عباده و لا خفاء إن الشكل يألف شكله و هو الإنسان الكامل الذي لا يماثل في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لك حرف لام ألف من الصورة فإنه يلتبس على الناظر أي الفخذين هو اللام و أيهما هو الألف للمشابهة في لآ تداخل كل واحد منهما على صاحبه و لهذا كان لام الألف من جملة الحروف و إن كان مركبا من ذاتين موجودتين في العلم غير مفترقتين في الشكل و لهذا وقع الإشكال في أفعالنا لنا أو لله فلا يتخلص في ذلك دليل يعول عليه فالألف لها الأحدية في المرتبة و الأول من العدد و اللام لها المرتبة الثالثة من أول مراتب العقد و الثلاثة هي أول الأفراد فقد ظهر التناسب بين الأحد و الفرد من حيث الوترية فهو أول في الأحدية و الإنسان الكامل أول في الفردية فاعلم ذلك و لهذا جاء في نشأة الإنسان أنه علقة من العلاقة و العلقية في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في الفردية المناسبة له من جهة اللام في مراتب العدد قال تعالى خَلَقْنَا الْإِنْسانَ من سُلالَةٍ من طِينٍ و هذه أول مرتبة ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ هدى ثانية ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً و هي المرتبة الفردية و لها الجمع و الإنسان محل الجمع لصورة الحضرة الإلهية و لصورة العالم الكبير و لهذا كان الإنسان وجوده بين الحق و العالم الكبير و انفصل جميع المولدات ما سوى الإنسان عن وجود الإنسان بأن جميع المولدات ما عداه موجودون عن العالم فهو عن أم بغير أب كوجود عيسى بن مريم صلوات الله عليه و إنما نبهناك على هذا لئلا تقول إن جميع المولدات وجدوا بين الله و العالم و ما كان الأمر كذلك و إلا فلا فائدة لقوله خلق آدم على صورته و لو كانت الصورة ما يتوهمه بعض أصحابنا بل شيوخنا من كونه ذاتا و سبع صفات فإن ذلك ليس بصحيح فإن الحيوان معلوم أن له ذاتا و أنه حي

عالم مريد قادر متكلم سميع بصير فكان يبطل اختصاص الإنسان بالصورة و إنما جاءت على جهة التشريف له فلم يبق إلا أن تكون الصورة غير ما ذكروه فإن منعت العلم عن الحيوان كابرت الحس فإن الحيوان مفطور على العلم و أنه يوحى إليه كما قال وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ فإن نا زعت في الكلام قلنا لك كلامه من جنس ما يليق بمزاجه و أما المكاشف فلا يحتاج معه إلى هذا فإنه يرى ما نرى و يعلم ما نعلم فإن قلت فكلامنا هو الحقيقة قلنا فالكلام الذي تثبته لنفسك إن أردت به الأصوات و الحروف المركبة فكلام الله عندك على خلاف هذا ليس بصوت و لا حرف إن كنت أشعريا و إن كنت معتزليا فالكلام لمن خلقه و إن كان الكلام عندك عبارة عن كلام النفس فذلك موجود في الحيوان فصوت السنور إذا طلب ما يأكل خلاف صوته إذا طلب ما ينكح فقد أعرب بصوته عما حدثته به نفسه فإن قلت إن ذلك الذي في النفس إرادة و ليس بكلام قلنا و كذلك الإنسان الذي في نفسه إرادة و ليس بكلام فإن قلت ما استدل به أبو إسحاق الأسفراييني الأستاذ من حديث النفس بما مضى و ما مضى لا يكون مرادا إذن فليست إرادة أعني ذلك الذي في النفس قلنا ذلك هو العلم بما قد مضى و التبس عليك و لا دليل لهم على كلام النفس أوضح من هذا و هو مدخول كما رأيت فخرج من هذا أن قوله صلى الله عليه و سلم على صورته لا يريد ما ذكره أصحابنا من الذات و الصفات و كل الجماعة على ذلك فابحث على هذا الكنز حتى يفتح الله عليك به كما فتح به على من شاء من خلقه في قوله يُلْقِي الرُّوحَ مِن أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ مِن عِبادِهِ ومما يختص به هذا المنزل من العلوم أيضا إن الله لما خلق العقل الأول أعطاه من العلم ما حصل له به الشرف على من هو دونه و مع هذا ما قال فيه إنه مخلوق على الصورة مع أنه مفعول إبداعي كما هي النفس مفعول انبعاثي فلما خلق الله الإنسان الكامل أعطاه مرتبة العقل الأول و علمه ما لم يعلمه العقل من الحقيقة الصورية التي هي الوجه الخاص له من جانب الحق و بها زاد على جميع المخلوقات و بها كان المقصود من العالم فلم تظهر صورة موجود إلا بالإنسان و العقل الأول على عظمه جزء من الصورة و كل موجود مما عدا الإنسان إنما هو في البعضية و لهذا ما طغى أحد من الخلائق ما طغى الإنسان و علا في وجوده فادعى الربوبية و أكبر العصاة إبليس و هو الذي يقول إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ عند ما يكفر الإنسان إذا وسوس في صدره بالكفر و ما ادعى قط الربوبية و إنما تكبر على آدم لا على الله فلو لا كمال الصورة في الإنسان ما ادعى الربوبية فطوبى لمن كان على صورة تقتضي له هذه المنزلة من العلو و لم تؤثر فيه و لا أخرجته من عبوديته فتلك العصمة التي حبانا الله بالحظ الوافر منها في وقتنا هذا فالله يبقيها علينا فيما بقي من عمرنا إلى أن نقبض عليها أنا و جميع إخواننا و محبينا بمنه لا رب غيره و من هذا المنزل تعرف عقوبة من لم يعرف قدره و جاز حده و احتجب بالصورة عما أراد الحق منه في خلقه بما أخبر به في شريعته فقال وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ثم لتعلم إن علم القربة في هذا المنزل من وقف عليه و شاهده كان على بينة من ربه

فيما يتقرب إليه به و هو ما نبهناك عليه و مما يتضمنه هذا المنزل خاصة علم الجمع بين التقدير و الإيجاد و لا تجد ذلك في منزل من المنا زل مفصلا لا واسطة بينهما إذ كان التقدير يتقدم الإيجاد في نفس الأمر في عالم الزمان و لهذا قيل و بعض الناس يخلق ثم لا يفري فاعلم أنه لم يكن في الأزل شيء يقد ر به ما يكون في الأبد إلا الهو فأ راد الهو أن يرى نفسه رؤية كمالية تكون لها و يزول في حقه حكم الهو فنظر في الأعيان الثابتة فلم ير عينا يعطي النظر إليها هذه الرتبة الأنانة إلا عين الإنسان الكامل فقد رها عليه و قا بلها به فوافقت إلا حقيقة واحدة نقصت عنه و هي وجودها لنفسها فأوجدها لنفسها فتطا بقت الصور تان من جميع الوجوه و قد كان قد ر تلك العين على كل ما أوجده قبل وجود الإنسان من عقل و نفس و هباء و جسم و فلك و عنصر و مولد فلم يعط شيء منها ر تبة كمالية إلا الوجود الإنساني و سماه إنسانا لأنه آنس الرتبة الكمالية فوقع بما ر آه الإنس له فسماه إنسانا مثل عمران فالألف و النون فيه زائد تان في اللسان العربي فإن قلت فلما ذا ينصرف و عمران لا ينصرف قلنا في عمران علتان و هما اللتان منعتاه من الصرف و هما الزيادة و التعريف أعني تعريف العلمية و الإنسان ليس كذلك فإن فيه علة واحدة و هي الزيادة و ما لفظ الإنسان للإنسان اسم علم و إنما تعريفه إذا سمي بآدم فلما سمي بآدم لم ينصرف للتعريف و الوزن و إنما سمي باسم معلول بعلة تمنعه من الصرف الذي هو التصرف في جميع المراتب ليعلم في صورته الإلهية أنه مقهور ممنوع عبد ذليل مفتقر إذ كانت الصورة الإلهية تعطيه التصرف في جميع المراتب و لهذا سمي بإنسان فرفع و خفض و نصب و ما ثم في الأسماء مرتبة أخرى فهو إنسان من حيث الصورة و منها يتصرف في المراتب كلها و منع الصرف من حيث هو في قبضة موجدة ملك يبقيه ما شاء و يعدمه إن شاء فبالصورة نال الخلافة و التصريف و اسم الإنسانية فمن إنسانيته ثبت أنه غير يؤنس به و من الخلافة ثبت أنه عبد فقير ما له قوة من استخلفه بل الخلافة خلعت عليه يزيلها متى شاء و يجعلها على غيره كما قد وقع و لهذا قال تعالى هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ و هي محل الخفض إذ الخفض لا يليق بالجناب العالي فلهذا أقام له نائبا فيه ليعلم أنه عبد فلو استخلف الإنسان في السماء مع وجوده على الصورة لم يشاهد عبوديته في رفعته للصورة و المكان و المكانة فربما طغى و لو طغى ما وقع الأنس به و لهذا من زاحم قصم قال الله الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نا زعني واحدا منهما قصمته فالعبد صغير في كبرياء الحق فإن هذا الكبرياء الإلهي ألبسه الصغار و هو حقير في عظمة الحق فإن هذه العظمة الإلهية ألبسته الحقارة فالصغار رداء العبد و الحقارة إزاره فمن نا زعه من الأناسي واحدة منهما أي طلب مشاركته فيهما عصم لا قصم و رحم ما حرم و لهذا خلق فتأمل أيها الإنسان لم سماك إنسانا و تأمل لم سماك خليفة و تأمل لم سماك آدم في أول صورة ظهرت و لا تتعد ما تعطيه حقيقة هذه الأسماء و لا تغب عنك فتكون من المفلحين و لهذا ختم الاستخلاف الكامل باسم منصرف و هو محمد صلى الله عليه و سلم ليجبر به ما منع آدم من التصريف فإنه ما منع

إلا لعلة قامت به و هو أول في هذا النوع فعصم باسم غير منصرف ليعلم أنه تحت الحجر مقهور لا ينصرف و لا يتصرف إلا فيما حد له ثم بعد ذلك أعطى التصريف جماعة من الخلفاء كنوح و شيث و شعيب و صالح و محمد و هود و لوط و غيرهم لأنه أمن بالأول وقوع ما كان يحذر ثم إنه تخلل هؤلاء الخلفاء أسماء لا تنصرف كإدريس و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و سليمان و داود تنبيها للإنسان إذا سلك طريق الله ثم عاد بعد قطع الأسباب و الاعتماد على الله إلى القول بالأسباب و الوقوف عندها لكون الحق وضعها و ربط الأمور بها و حاله الاعتماد على الله و الطبع من عادته الألفة و يسرق صاحبه إلى الركون لمألوفه كما قلنا لأنه إنسان يأنس بمألوفه فربما يتخلله اعتماد على السبب فيضعف اعتماده على الله تعالى فيتفقد نفسه بقطع الأسباب وقتا بعد وقت كما فعل الله بأسماء الخلائف وقتا دعاهم باسم يقتضي لهم التصريف و وقتا دعاهم باسم يمنعهم التصريف تعليما لهم لئلا يقعوا في محظور محذور قال تعالى عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ فلهذا كانت هذه الأسماء التي تمنع الصرف في بعض الخلفاء و أما الذين أعطوا التصريف فهم على قسمين منهم من أعطى التصريف ظاهرا و معنى و هو التصريف الكامل فلهم الاسم الكامل مثل محمد و صالح و شعيب و كل اسم منصرف ظاهر لواحد من هؤلاء الخلفاء و القسم الآخر أعطى التصريف معنى لا ظاهرا فليست له علة تمنعه من الصرف في المعنى و كان آخره حرف علة منعه ذلك الحرف من التصرف في الظاهر فكان مقصورا و سمي ذلك الاسم مقصورا كموسى و عيسى و يحيى فقصروا على المعنى دون الظاهر و سميت هذه بالمقصورة أي قصرت عن درجة التصرف في الظاهر و حبست عنه و منه حور مقصورات في الخيام و إنما قصر من قصر منهم صيانة لا سجنا فصانوا مثل هؤلاء كما صين من لم ينصرف من الأسماء عناية ثم إن الله تعالى لما أراد أن لا يحجبهم عنهم طبا في حقهم لما يعلم ما تقتضيه هذه النشأة من العلل إذ كان الكمال لا يطاق حكمه إلا بالعناية الإلهية فكان من العناية الإلهية بهم إن أجرى عليهم الأسماء النواقص ليعلموا أنهم في مرتبة النقص و هو كمالهم عن الكمال الإلهي فقال وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ به يعني محمدا صلى الله عليه و سلم فكنى عنه بالذي جاء بالصدق و الذي من الأسماء النواقص و لما علم إن العبد المقرب يتألم بظهور نقصه و يخاف من الحاقة بالعدم و رجوعه إلى أصله آنسه سبحانه من باب اللطف و الكرم فسمى سبحانه نفسه بالأسماء النواقص فقال هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ و قال هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ من السَّماءِ و ليس في القرآن لله تعالى أكثر من الأسماء النواقص فكان ذلك تأمينا للخلفاء فإنهم قاطعون بأن الحق ليس له مرتبة النقص و لا يقبلها و مع ذلك قد جرت عليه الأسماء النواقص فلو أثرت الأسماء لذاتها في المسمى لأثرت في الله و هي غير مؤثرة فيه إذا فنرجو أنها لا تؤثر فينا تأثير العدم و لكن كمالنا في أن تؤثر فينا تأثير وقوفنا مع عجزنا و

فقرنا و هذا الباب الذي فتحناه علينا في هذا المنزل باب واسع لا يتسع الوقت لا يراد بعض ما يعطيه فليكف هذا القدر منه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر التاسع عشر من الفتوح المكي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

«الباب التاسع و الثمانون و مائتان في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدمه علم من الحضرة الموسوية»

العلم بالله تزيين و تحلية والعلم بالفكر تشبيه و تضليل
والعلم بالفكر إجمال و مغلطة و العلم بالله تحقيق و تفصيل
و العلم بالفكر أعلام مجردة و العلم بالله تحويل و تبديل
فلا تغرنك أقوال مزخرفة فإن مدلولها جهل و تعليل
فالفيلسوف يرى نفي الإله بما تعطيه علته و ذاك تعطيل
و الأشعري يرى عينا مكثرة و ذاك علم و لكن فيه تمثيل

الأمية عندنا لا تنافي حفظ القرآن و لا حفظ الأخبار النبوية و لكن الأمية عندنا من لم يتصرف بنظره الفكري و حكمه العقلي في استخراج ما تحوي عليه من المعاني و الأسرار و ما تعطيه من الأدلة العقلية في العلم بالإلهيات و ما تعطيه للمجتهدين من الأدلة الفقهية و القياسات و التعليلات في الأحكام الشرعية فإذا سلم القلب من علم النظر الفكري شرعا و عقلا كان أميا و كان قابلا للفتح الإلهي على أكمل ما يكون بسرعة دون بطء و يرزق من العلم اللدني في كل شيء ما لا يعرف قدر ذلك إلا نبي أو من ذاقه من الأولياء و به تكمل درجة الايمان و نشأته و يقف بهذا العلم على إصابة الأفكار و غلطاتها و بأي نسبة ينسب إليها الصحة و السقم و كل ذلك من الله و يعلم مع حكمه بالباطل أنه لا باطل في الوجود إذ كان كل ما دخل في الوجود من عين و حكم لله تعالى لا لغيره فلا عبث و لا باطل في عين و لا حكم إذ لا فعل إلا لله و لا فاعل إلا الله و لا حكم إلا لله و لا حاكم إلا الله فمن تقدمه العلم بما ذكرناه فبعيد إن يحصل له من العلم اللدني الإلهي ما يحصل للأمي منا الذي ما تقدمه ما ذكرناه فإن الموازين العقلية و ظواهر الموازين الاجتهادية في الفقهاء ترد كثيرا مما ذكرناه إذ كان الأمر جله و معظمه فوق طور العقل و ميزانه لا يعمل هنالك و فوق ميزان المجتهدين من الفقهاء لا فوق الفقه فإن ذلك عين الفقه الصحيح و العلم الصريح و في قصة موسى و الخضر دليل قوي على ما ذكرناه فكيف حال الفقيه و أين الأينية و ما شاكلها التي نسبها الشارع و الكشف إلى الإله من الموازين النظرية و البراهين العقلية على زعم العقل و حكم المجتهد فالرحمة التي يعطيها الله عبده أن يحول بينه و بين العلم النظري و الحكم الاجتهادي من جهة نفسه حتى يكون الله يحابيه بذلك في الفتح الإلهي و العلم الذي يعطيه من

لدنه قال تعالى في حق عبده خضر عَبْداً من عِبادِنا فأضافه إلى نون الجمع آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا بنون الجمع وَعَلَّمْناهُ بنون الجمع من لَدُنَّا بنون الجمع عِلْماً أي جمع له في هذا الفتح العلم الظاهر و الباطن و علم السر و العلانية و علم الحكم و الحكمة و علم العقل و الوضع و علم الأدلة و الشبه و من أعطى العلم العام و أمر بالتصرف فيه كالأنبياء و من شاء الله من الأولياء أنكر عليه و لم ينكر هذا الشخص على أحد ما يأتي به من العلوم و إن حكم بخلافه و لكن يعرف موطنه و أين يحكم به فيعطي البصر حقه في حكمه و سائر الحواس و يعطي العقل حكمه و سائر القوي المعنوية و يعطي النسب الإلهية و الفتح الإلهي حكمهم فبهذا يزيد العالم الإلهي على غيره و هوالبصيرة التي نزل القرآن بها في قوله تعالى أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ من اتَّبَعَنِي و هو تتميم قوله تعالى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ فهو النبي الأمي الذي يدعو على بصيرة مع أميته و الأميون هم الذين يدعون معه إلى الله على بصيرة فهم التابعون له في الحكم إذ كان رأس الجماعة و المجتهد و صاحب الفكر لا يكون أبدا على بصيرة فيما يحكم به فأما المجتهد فقد يحكم اليوم في نازلة شرعية بحكم فإذا كان في غد لاح له أمر آخر أبان له خطأ ما حكم به بالأمس في النازلة فرجع عنه و حكم اليوم بما ظهر له و يمضي الشارع حكمه في الأول و الآخر و يحرم عليه الخروج عما أعطاه الدليل في اجتهاده في ذلك الوقت فلو كان على بصيرة لما حكم بالخطإ في النظر الأول بخلاف حكم النبي فإن ذلك صحيح أعني الحكم الأول ثم رفع الله ذلك الحكم بنقيضه و سمي ذلك نسخا و أين النسخ من الخطاء فالنسخ يكون مع البصيرة و الخطاء لا يكون مع البصيرة و كذلك صاحب العقل و هو واقع من جماعة من العقلاء إذا نظروا و استوفوا في نظرهم الدليل و عثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر أو يقوم لهم خصم من طائفة أخرى كمعتزلي و أشعري أو برهمي أو فيلسوف بأمر آخر يناقض دليله الذي كان يقطع به و يقدح فيه فينظر فيه فيرى إن ذلك الأول كان خطأ و أنه ما استوفى أركان دليله و أنه أخل بالميزان في ذلك و لم يشعر و أين هذا من البصيرة و لما ذا لا يقع له هذا في ضرورات العقل فالبصيرة في الحكم لأهل هذا الشأن مثل الضروريات للعقول فمثل هذا العلم ينبغي للإنسان أن يفرح به حكي عن أبي حامد الغزالي المترجم عن أهل هذه الطريقة بعض ما كانوا يتحققون به قال لما أردت أن انخرط في سلكهم و آخذ مأخذهم و أغرف من البحر الذي اغترفوا منه خلوت بنفسي و اعتزلت عن نظري و فكري و شغلت نفسي بالذكر فانقدح لي من العلم ما لم يكن عندي ففرحت بذلك و قلت إنه قد حصل لي ما حصل للقوم فتأملت فيه فإذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه قبل ذلك فعلمت أنه بعد ما خلص لي فعدت إلى خلوتي و استعملت ما استعمله القوم فوجدت مثل الذي وجدت أولا و أوضح و أسنى فسررت فتأملت فإذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه و ما خلص لي عاودت ذلك مرارا و الحال الحال فتميزت عن سائر النظار أصحاب الأفكار بهذا القدر و لم ألحق بدرجة القوم في ذلك و علمت أن الكتابة على المحو

ليست كالكتابة على غير المحو أ لا ترى الأشجار منها ما يتقدم ثمره زهره و هو كمرتبة علماء النظر إذا دخلوا طريق الله كالفقيه و المتكلم و منه ما لا يتقدم ثمره زهره و هو الأمي الذي لم يتقدم علمه اللدني علم ظاهر فكري فيأتيه ذلك بأسهل الوجوه و سبب ذلك أنه لما كان لا فاعل إلا الله و جاء هذا الفقيه و المتكلم إلى الحضرة الإلهية بميزانهما ليزنوا على الله و ما عرفوا إن الله تعالى ما أعطاهم تلك الموازين إلا ليزنوا بها لله لا على الله فحرموا الأدب و من حرم الأدب عوقب بالجهل بالعلم اللدني الفتحي فلم يكن على بصيرة من أمره فإن كان وافر العقل علم من أين أصيب فمنهم من دخل و ترك ميزانه على الباب حتى إذا خرج أخذه ليزن به لله و هذا أحسن حالا ممن دخل به على الله و لكن قلبه متعلق بما تركه إذ كان في نفسه الرجوع إليه فحرم من الحق المطلوب بقدر ما تعلق به خاطره فيما تركه للالتفات الذي له إليه و أحسن من هذا حالا من كسر ميزانه فإن كان خشبا أحرقه و إن كان مما يذوب أذابه أو برده حتى يزول كونه ميزانا و إن بقي عين جوهره فلا يبالي و هذا عزيز جدا ما سمعنا أن أحدا فعله فإن فرضنا و ليس بمحال إن الله قوى بعض عباده حتى فعل مثل هذا كما ذكر أبو حامد الغزالي عن نفسه أنه بقي أربعين يوما حائرا و هذا خطر ليس حال الأمي على هذا فإن الأمي يدخل إلى الله مؤمنا و هذه الحال التي ذكرها أبو حامد ليست حال القوم و إنما هي حالة من لم يكن على شريعة فأراد إن يعرف ما ثم فسأل فدل على طريق القوم فدخل ليعرف الحق بتعريف الله فهذا أيضا طاهر المحل و أبو حامد كان محله مشغولا بالحيرة فلم يقو قوة هذا في قبول ما يرد به الفتح الإلهي فإذا اتفق على التقدير أن يفتح على مثل هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة أبصر فيما يفتح له به تلك الموازين التي أذهبها فيعجب من ذلك فلما خرج خرج بها فوزن بها لله لا عليه كما فعلته الأنبياء عليهم السلام فهو لا يرد شيئا و لا يضع شيئا في غير ميزانه و ارتفع الغلط و الشك و عرف معنى قوله وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فجعلها موازين كثيرة ليزن بكل ميزان ما وضع له و لما وزن المتكلم بميزان عقله ما هو خارج عن العقل لكونه وراء طوره و هو النسب الإلهية لم يقبله ميزانه و رمى به و كفر به و تخيل أنه ما ثم حق إلا ما دخل في ميزانه و المجتهد الفقيه وزن حكم الشرع بميزان نظره كالشافعي المذهب مثلا أراد أن يزن بميزانه تحليل النبيذ الذي قبله ميزان أبي حنيفة فرمى به ميزان الشافعي فحرمه و قال أخطأ أبو حنيفة و لم يكن ينبغي للشافعي المذهب مثلا أن يقول مثل هذا دون تقييد و قد علم إن الشرع قد تعبد كل مجتهد بما أداه إليه اجتهاده و حرم عليه العدول عن دليله فما وفى الصنعة حقها و أخطأ الميزان العام الذي يشمل حكم الشريعة على الإطلاق و هو الذي استند إليه علماء الشريعة بلا خلاف في أصول الأدلة و في فروع الأحكام فأما في الأصول فالمثبتون القياس دليلا أداهم إلى ذلك اجتهادهم المشروع لهم و قد علم المخالف لهم من الظاهرية أن كل مجتهد متعبد بما أعطاه اجتهاده و لكن يقول فيهم إنهم أخطئوا في إثباتهم القياس دليلا و ليس للظاهرية تخطئة ما قرره الشرع حكما

فيثبت القياس دليلا شرعا و يثبت نفي القياس أن يكون دليلا شرعا و أما في الفروع فكعلي رضي الله عنه الذي يرى نكاح الربيبة إذا لم تكن في الحجر و إن دخل بأمها لعدم وجود الشرطين معا و إنه بوجودهما تحرم الربيبة يعني بالمجموع و المخالف لا يرى ذلك فالميزان العام يمضي حكم كل واحد منهما و لكن العامل بالميزان العام قليل لعدم الإنصاف فقد بينا في هذا الفصل سبب الحرمان الذي حكم على الفقهاء العقلاء النظار فلم يلجوا باب هذا العلم الشريف الإحاطي الذي يسلم لكل طائفة ما هي عليه سواء قادهم ذلك إلى السعادة أو إلى الشقاء و لا يسلم له أحد طريقه سوى من ذاق ما ذاقوه و آمن به كما قال أبو يزيد إذا رأيتم من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة و يسلم لهم ما يتحققون به فقولوا له يدعو لكم فإنه مجاب الدعوة و كيف لا يكون مجاب الدعوة و المسلم في بحبوحة الحضرة و لكن لا يعرف أنه فيها لجهله بها فالله يجعلنا ممن جعل له نورا من النور الذي يَهْدِي به من يَشاءُ من عِبادِهِ حتى يهدي به إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما في السَّماواتِ وَما في الْأَرْضِ من الموازين و الصراطات أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و ترجع قال تعالى في معرض الامتنان منه على رسوله صلى الله عليه و سلم وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا و هو قوله يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ . . . ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ و هو عروا المحل عن كل ما يشغله عن قبول ما أوحي به إليه وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً يعني هذا المنزل نَهْدِي به من نَشاءُ من عِبادِنا فجاء بمن و هي نكرة في الدلالة مختصة عنده ببعض عباده من نبي أو ولي و إنك لتهدي بذلك النور الذي هديتك به فإن كان هذا العبد نبيا فهو شرع و إن كان وليا فهو تأييد لشرع النبي و حكمه أمر مشروع مجهول عند بعض المؤمنين به إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ في حق النبي طريق السعادة و العلم و في حق الولي طريق العلم لما جهل من الأمر المشروع فيما يتضمنه من الحكمة قال تعالى يُؤْتِي الْحِكْمَةَ من يَشاءُ وَمن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً لا يقال فيه قليل ثم قال وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ و اللب نور في العقل كالدهن في اللوز و الزيتون و التذكر لا يكون إلا عن علم منسي فتنبه لما حررناه في هذه الآيات تسعد إن شاء الله تعالى و بعد أن أبنت لك عن مرتبة هذا العلم من هذا المنزل فلنبين أصل هذا العلم و مادة بقائه و حجاب مادته و بما ذا يوصل إلى ذلك بتأييد الله و توفيقه فاعلم إن أصل هذا العلم الإلهي هو المقام الذي ينتهي إليه العارفون و هو أن لا مقام كما وقعت به الإشارة بقوله تعالى يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ و هذا المقام لا يتقيد بصفة أصلا و قد نبه عليه أبو يزيد البسطامي رحمه الله لما قيل له كيف أصبحت فقال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي فالصباح للشروق و المساء للغروب و الشروق للظهور و عالم الملك و الشهادة و الغروب للستر و عالم الغيب و الملكوت فالعارف في هذا المقام كالزيتونة المباركة التي لا هي شرقية و لا غربية فلا يحكم على هذا المقام وصف و لا يتقيد به و هو حظه من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فالمقام الذي بهذه المثابة هو أصل هذا العلم و بين هذا

الأصل و هذا العلم مراتب فالأصل هو الثبات على التنزيه عن قبول الوصف و الميل إلى حال دون حال ثم ينتج هذا الثبات صورة يتصف بها العارف لها ظاهر و لها باطن فالباطن منها لا يصل إليه إلا بعد المجاهدة البدنية و الرياضة النفسية فإذا وصل إلى سر هذا الباطن و هو علم خاص هو لهذا العلم المطلوب كالدهن للسراج و العلم كالسراج فلا يظهر لهذا العلم ثمرة إلا في العلماء به كما لا يظهر للدهن حكم إلا في السراج القائم بالفتيلة و هنا يقع له اكتساب الأوصاف التي نزهنا الأصل عنها في ذلك المقام و في هذا المقام نصفه بها من أجلنا لا من أجله فهذا الوصف للآثار لا له كان الله و لا شيء معه و سيأتي الكلام على هذا الأصل في الباب الخمسين و ثلاثمائة من هذا الكتاب و مما يتضمنه هذا المنزل علم خلق الأجسام الطبيعية و أن أصلها من النور و لذلك إذا عرف الإنسان كيف يصفي جميع الأجسام الكثيفة الظلمانية أبرزها شفافة للنورية التي هي أصلها مثل الزجاج إذا خلص من كدورة رملة يعود شفافا و جلى الأحجار من هذا الباب و معادن البلور و المها و إنما كان ذلك لأن أصل الموجودات كلها الله من اسمه نُورُ السَّماواتِ و هي ما علا وَالْأَرْضِ و هي ما سفل فتأمل في إضافته النور إلى السموات و الأرض و لو لا النورية التي في الأجسام الكثيفة ما صح للمكاشف أن يكشف ما خلف الجدران و ما تحت الأرض و ما فوق السموات و لو لا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الأولياء الجدران و لا كان قيام الميت في قبره و التراب عليه أو التابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده و إن كان الله قد أخذ بأبصارنا عنه و يكشفه المكاشف منا و قد ورد في ذلك أخبار كثيرة و حكايات عن الصالحين و لهذا ما ترى جسما قط خلقه الله و بقي على أصل خلقته مستقيما قط ما يكون أبدا إلا مائلا للاستدارة لا من جماد و لا من نبات و لا من حيوان و لا سماء و لا أرض و لا جبل و لا ورق و لا حجر و سبب ذلك ميلة إلى أصله و هو النور فأول موجود العقل و هو القلم و هو نور إلهي إبداعي و أوجد عنه النفس و هو اللوح المحفوظ و هي دون العقل في النورية للواسطة التي بينها و بين الله و ما زالت الأشياء تكثف حتى انتهت إلى الأركان و المولدات و بما كان لكل موجود وجه خاص إلى موجدة به كان سريان النور فيه و بما كان له وجه إلى سببه به كان فيه من الظلمة و الكثافة ما فيه فتأمل إن كنت عاقلا فلهذا كان الأمر كلما نزل أظلم و أكثف فأين منزلة العقل من منزلة الأرض كم بينهما من الوسائط ثم لتعلم إن جسم الإنسان آخر مولد فهو آخر الأولاد مركب من حَمَإٍ مَسْنُونٍ صَلْصالٍ و هو كما رأيت مائل إلى الاستدارة و إن كانت له الحركة المستقيمة دون البهائم و النبات و فيه من الأنوار المعنوية و الحسية و الزجاجية ما فيه مما لا تجده في غيره من المولدات بما أعطاه الله من القوي الروحانية فما قبلها إلا بالنورية التي فيه فهي المناسبة لقبول هذه الإدراكات و لهذا قال تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فاعلم إن النور مبطون في الظلمة فلو لا النور ما كانت الظلمة و لم يقل نسلخ منه النور إذ لو أخذ منه النور لانعدم وجود الظلام إن

كان أخذ عدم و إن كان أخذ انتقال تبعه حيث ينتقل إذ هو عين ذاته و النهار من بعض الأنوار المتولدة عن شروق الشمس فلو لا إن للظلمة نورا ذاتيا لها ما صح أن تكون ظرفا للنهار و لا صح أن تدرك و هي مدركة و لا يدرك الشيء إن لم يكن فيه نور يدرك به من ذاته و هو عين وجوده و استعداده بقبول إدراك الأبصار بما فيها من الأنوار له و اختص الإدراك بالعين عادة و إنما الإدراك في نفسه إنما هو لكل شيء فكل شيء يدرك بنفسه و بكل شيء ألا ترى الرسول صلى الله عليه و سلم كيف كان يدرك من خلف ظهره كما كان يدرك من أمامه و لم يحجبه كثافة عظم الرأس و عروقه و عظامه و عصبه و مخه غير إن الله أعطى الظلمة و الكثافة الأمانة فهي تستر ما تحوي عليه و لهذا لا تظهر ما فيها فإذا ظهر فيكون خرق عادة لقوة إلهية أعطاها الله بعض الأشخاص و إذا أمر من أودع الأمانة من أودعها أن يظهرها لمن شاءه المودع و هو الحق تعالى فله أن يؤديها إليه فلا أمين مثل الأجسام المظلمة على ما تنطوي عليه من الأنوار و قد نبه الله على أمانتهم بذكر بعضهم في قوله وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ فسماه أمينا و هو أرض ذو جدران و أسوار و تراب و طين و لبن فوصفه بالأمانة و أقسم به كما أقسم بغيره تعظيما لمخلوقات الله و تعليما لنا أن نعظم خالقها و نعظمها بتعظيم الله إياها لا من جهة القسم بها فإنه لا يجوز لنا أن نقسم بها و من أقسم بغير الله كان مخالفا أمر الله و هي مسألة فيها خلاف بين علماء الرسوم مشهور أعني القسم بغير الله فكلما اعوجت الأجسام كانت أقرب إلى الأصل الذي هو الاستدارة فإن أول شكل قبل الجسم الأول الاستدارة فكان فلكا و لما كان ما تحته عنه كان مثله و ما بعد عنه كان قريبا منه و لو لم تكن الطبيعة نورا في أصلها لما وجدت بين النفس الكلية و بين الهيولى الكل و الهيولى الذي هو الهباء أول ما ظهر الظلام بوجودها فهو جوهر مظلم فيه ظهرت الأجسام الشفافة و غيرها فكل ظلام في العالم من جوهر الهباء الذي هو الهيولى و بما هي في أصلها من النور قبلت جميع الصور النورية للمناسبة فانتفت ظلمتها بنور صورها فإن الصورة أظهرتها فنسبت إلى الطبع الظلمة في اصطلاح العقلاء و عندنا ليست الظلمة عبارة عن شيء سوى الغيب إذ الغيب لا يدرك بالحس و لا يدرك به و الظلمة تدرك و لا يدرك بها فلو لا إن الظلمة نور ما صح أن تدرك و لو كانت غيبا ما صح أن تشهد فالغيب لا يعلمه إلا هو و هذه كلها مفاتيح الغيب و لكن لا يعلم كونها مفاتح إلا الله يقول تعالى وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ و إن كانت موجودة بيننا لكن لا نعلم أنها مفاتح للغيب و إذا علمنا بالأخبار أنها مفاتح لا نعلم الغيب حتى نفتحه بها فهذا بمنزلة من وجد مفتاح بيت و لا يعرف البيت الذي يفتحه به عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً ثم لتعلم بعد ما عرفتك بسريان النور في الأشياء أن الخلق بين شقي و سعيد فبسريان النور في جميع الموجودات كثيفها و لطيفها المظلمة و غير المظلمة أقرت الموجودات كلها بوجود الصانع لها بلا شك و لا ريب و بما له الغيب المطلق لا تعلم ذاته من طريق الثبوت لكن تنزه عما يليق بالمحدثات كما أن الغيب يعلم أن ثم غيبا و لكن لا

يعلم ما فيه و لا ما هو فإذا وردت الأخبار الإلهية على ألسنة الروحانيين و نقلتها إلى الرسل و نقلتها الرسل عليهم السلام إلينا فمن آمن بها و ترك فكره خلف ظهره و قبلها بصفة القبول التي في عقله و صدق المخبر فيما أتاه به فإن اقتضى عملا زائدا على التصديق به عمله فذلك المعبر عنه بالسعيد و هو مما أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ و له الجزاء بما وعده به من الخير في دار القرار و النعيم الدائم الذي لا يجري إلى أجل مسمى فينقطع بحلول أجله من حيث الجملة حكما إلهيا لا يتبدل و لا ينخرم و لا ينتسخ و من لم يؤمن بها و جعل فكره الفاسد أمامه و اقتدى به و رد الأخبار النبوية إما بتكذيب الأصل و إما بالتأويل الفاسد فإن كذب المخبر بما أتاه به و لم يعمل بمقتضى ما قيل له إن اقتضى ذلك عملا زائدا على التصديق به فذلك المعبر عنه بالشقي و هو من جهة ما فيه من الظلمة كما آمن السعيد من جهة ما فيه من النور و له الجزاء بما أوعده إن كذب من الشر في دار البوار و عدم القرار لوجود العذاب الدائم الذي لا يجري إلى أجل مسمى و إن كان له أجل في نفس الأمر من حيث الجملة حكما إلهيا عدلا كما كان في السعيد فضلا لا يتبدل و لا ينخرم و لا ينتسخ و في هذا خلاف بين أهل الكشف و هي مسألة عظيمة بين علماء الرسوم من المؤمنين و بين أهل الكشف و كذلك أيضا بين أهل الكشف فيها الخلاف هل يتسرمد العذاب عليهم إلى ما لا نهاية له أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء فينتهي العذاب فيهم إلى أجل مسمى و اتفقوا في عدم الخروج منها و إنهم بها ماكثون إلى ما لا نهاية له فإن لكل واحدة من الدارين ملؤها و تتنوع عليهم أسباب الآلام ظاهرا لا بد من ذلك و هم يجدون في ذلك لذة في أنفسهم بالخلاف المتقدم باطنا بعد ما يأخذ الألم منهم جزاء العقوبة حدثني عبد الله المروروري في جماعة غيره عن أبي مدين إمام الجماعة أنه قال يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله و أهل النار بعدل الله و ينزلون فيهما بالأعمال و يخلدون فيهما بالنيات و هذا كشف صحيح و كلام حر عليه حشمة فيأخذ جزاء العقوبة الألم موازيا لمدة المعمر في الشرك في الدنيا فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في النار بحيث إنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة المزاج الذي ركبهم الله فيه فهم يتلذذون بما هم فيه من نار و زمهرير و ما فيها من لدغ الحيات و العقارب كما يلتذ أهل الجنة بالظلال و النور و لثم الحور الحسان لأن مزاجهم يقضي بذلك ألا ترى الجعل في الدنيا هو على مزاج يتضرر بريح الورد و يلتذ بالنتن كذلك من خلق على مزاجه و قد وقع في الدنيا أمزجة على هذا شاهدناها فما ثم مزاج في العالم إلا و له لذة بالمناسب و عدم لذة بالمنافر ألا ترى المحرور يتألم بريح المسك فاللذات تابعة للملائم و الآلام لعدم الملائم فهذا الأمر محقق في نفسه لا ينكره عاقل و إنما الشأن هل أهل النار على هذا المزاج بهذه المثابة بعد فراغ المدة أم لا أو هم على مزاج يقتضي لهم الإحساس بالآلام للأشياء المؤلمة و النقل الصحيح الصريح النص الذي لا إشكال فيه إذا وجد مفيدا للعلم يحكم به بلا شك ف الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و إن كنت لا أجهل الأمر في ذلك و لكن لا يلزم الإفصاح عنه فإن الإفصاح عنه لا يرفع الخلاف من العالم و بعض أهل

الكشف قال إنهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى فيها أحد من الناس البتة و تبقي أبوابها تصفق و ينبت فيها الجرجير و يخلق الله لها أهلا يملؤها بهم من مزاجها كما يخلق السمك في الماء و عالم الهواء في الهواء و عالم في بطن الأرض لا حياة لهم إلا فيها كالخلد فإذا حصل على ظهر الأرض مات فالغم الذي لنا في ذلك الغم حياتهم فالسمك إذا خرج إلى الهواء مات و كان في الهواء غمه فينطفي فيه نور حياته و الإنسان و الحيوان البري إذا غرق في الماء هلك و كان في الماء غمه ينطفي به نور حياته و ثم حيوان يرى بحري يعيش هنا و يعيش هنا كالتماسح و إنسان الماء و كلبه و بعض الطيور و هذا كله بالطبع و المزاج الذي ركبه الله عليه و قد ذكرنا في هذا المنزل ما فيه كفاية و استوفينا أصوله بعون الله و الهامة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التسعون و مائتان في معرفة منزل تقرير النعم من الحضرة الموسوية»

بالقول نشرح ذات القول فاعتبروا ... في شرح ما هو في التحقيق مشروح

أن الأسامي للمعنى مفاتيح ... و في العبارات تعديل و تجريح

لا يحصل الشوق للملقى إليه إذا ... ما لم يكن منك للإلقاء تلويح

فاكشف معارف أهل الله في حجب ... لا يحكمنك تبيين و تصريح

و أنطق بما تغتذي به النفوس و لا ... تنطق بما يغتذي بعلمه الروح

فالروح يكتم ما يلقى إليه كما ... تبدي النفوس الذي تجري به الريح

إن النفوس بما تهواه ناطقة ... و الروح إن زل بالتصريح مجروح

اعلم أيدك الله و إيانا أن المنعم إذا أبطل نعمته بالمن و الأذى لا يكون مشكورا عند الله على ذلك و إن شكره المنعم عليه لمعرفته بذله و فقره إليه فمن مكارم الأخلاق أن لا يمن المنعم بما أنعم به على المنعم عليه و لا سيما مع شكره على ذلك فإذا احتاج المنعم عليه لأمر و أظهر الذلة و الافتقار إلى المنعم في طلب ذلك الأمر الذي مست الحاجة فيه إليه و ذلك الأمر عند المنعم عليه في النعمة التي أنعم بها المنعم عليه فللمنعم عند ذلك أن يعرفه بما أنعم به عليه و يقرره على ذلك و أن الذي طلب منه موجود في نفس نعمته فلما ذا يفتقر في غيره موضع الافتقار حينئذ يجوز للمنعم أن يذكر للمنعم عليه نعمته عليه كرجل وهب رجلا ألف دينار إنعاما عليه ثم رآه يفتقر إلى ثوب يلبسه و مركب يركبه و أهل يأنس إليه و قد نسي أو جهل إن إرادة المنعم فيما أنعم به عليه إن ينال جميع ما سأله من تلك النعمة فللمنعم عند ذلك أن يعرفه بأن جميع ما تسألني فيه تصل إليه بما وهبتك إياه من المال فلما ذا تستعجل الذلة ففي مثل هذا الموطن يجب

التقرير بالنعم على وجه التعليم و التنبيه لا على المن و الأذى إلا إن من مكارم الأخلاق إذا قرره على ما أنعم به عليه إن لا يخيب سؤاله إما بعطاء في الوقت و إما بوعد فيبسطه بعد انقباضه لما حصل عنده من الخجل تخلقا إلهيا فاعلم إن هذا المنزل يتضمن تقرير النعم على ما ذكرت لك و يتضمن علم التشريح الذي تعرفه الأطباء من أهل الحكمة و التشريح الإلهي التي تتضمنه الصورة التي اختص بها هذا الشخص الإنساني من كونه مخلوقا على صورة العالم و على صورة الحق فعلم تشريحه من جانب العالم علمك بما فيه من حقائق الأكوان كلها علوها و سفلها طيبها و خبيثها نورها و ظلمتها على التفصيل و قد تكلم في هذا العلم أبو حامد و غيره و بينه فهذا هو علم التشريح في طريقنا و أما علم التشريح الثاني فهو إن تعلم ما في هذه الصورة الإنسانية من الأسماء الإلهية و النسب الربانية و يعلم هذا من يعرف التخلق بالأسماء و ما ينتجه التخلق بها من المعارف الإلهية و هذا أيضا قد تكلم فيه رجال الله في شرح أسماء الله كأبي حامد الغزالي و أبي الحكم عبد السلام بن برجان الإشبيلي و أبي بكر بن عبد الله المغافري و أبي القاسم القشيري و يتضمن هذا المنزل التكليف و رفعه من حيث ما فيه من المشقة لا من حيث ترك العمل فاعلم إن الله تعالى أمر عباده بالإيمان به و بما أنزل عليهم على أيدي رسله و جعل مع الايمان إلزاما من المعاني أمرهم الله تعالى أن يحملوها كلها في بواطنهم حملا معنويا و جعل محلها القلوب و عين أمورا عملية أنزلها على ظواهرهم و حملها جوارحهم مما فيه كلفة حسية من عمل الأيدي و الأرجل و مما لا يعمل إلا بالأبدان كالصلاة و الجهاد و مما لا كلفة فيه حسية كغض البصر عن المحرمات و النظر في الآيات ليؤدي ذلك النظر إلى الاعتبار و تنزيه السمع عن سماع الغيبة و الإصغاء إلى الحديث الحسن فمثل هذا لا كلفة فيه حسية و إنما كلفته نفسية فإن فيها ترك الغرض و هو مما يشق على النفس و إذا أقيمت هذه الحضرة التي في هذا المنزل ممثلة في صور حسية يقام له توابيت على يمينه و توابيت على يساره فالتوابيت التي على يمينه مملوءة درا و ياقوتا و أحجارا نفيسة و حللا و مسكا و طيبا و منها توابيت كبار و صغار و قيل له لا بد لك من حمل هذا إلى موضع معين إلى دار حسنة و روضة مورقة و قيل له إذا أوصلت هذه الأحمال إلى هذه الروضة كان أجرك عليها و على ما آلمك من ثقلها ما تحوي عليه هذه التوابيت كلها و لك هذه الدار التي وصلتها بجميع ما تحوي عليه من الملك و هي خمسة أنواع من التوابيت منها توابيت الأمر الواجب و توابيت الأمر المندوب و توابيت الأمر المبيح من حيث الايمان به و توابيت النهي الواجب و توابيت النهي المكروه و من هذه التوابيت ما يختص بك و منها توابيت تتعلق بغيرك و كلفت أنت حملها فكل خطاب شرعي يختص بذاتك لا تتعدى بالعمل فيه إلى غيرك فهو المختص بك و كل خطاب شرعي يختص بذاتك و تتعدى في العمل به إلى غيرك فذلك الذي يتعلق بغيرك و كلفت أنت حمله كالسعي على العيال و تعليم الجاهل و إرشاد الضال و النصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فهذه توابيت أصحاب اليمين فكما

حملت ما هو لك و لغيرك في الدنيا كان لك أجرك و أجر غيرك في الآخرة و لا ينقص الغير من أجره شيئا إن كان مؤمنا و إن لم يكن مؤمنا مثل التكليف الذي يتعلق بك في معاملة أهل الذمة فلك أجرهم لو كانوا مؤمنين و لا أجر لهم و لهذا قيد النبي صلى الله عليه و سلم هذا الأمر بالعمل فقال من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة فالمؤمن لا ينقصه من أجره الأخروي شيء و الذمي يعطى أجره في الدنيا إما بمنفعة معجلة أو دفع مضرة معجلة يكون ذلك لهذا العامل في الآخرة محققا و قد يجمع له بين الدنيا و الآخرة فيرى العامل ما تحمل تلك التوابيت من الأشياء النفيسة و مالها و قد حصل له البشرى بأنها له ملك إذا حملها بحيث يفنى في حبها و التعشق بها فيهون عليه حملها و يخف لحمل الهمة إياها فلا يجد فيها مشقة و هو حال تلذذه بالأذى و بما يحسن لأهل الذمة و آخر ينظر إلى ثقلها و هو المؤمن الذي لا كشف عنده إلا مجرد تصديق الخبر فيجدها ثقيلة المحمل فمنهم من يحملها بمشقة و كلفة لغلبة التصديق بما فيها و للحرص الشديد و الطمع في أخذها و ملكها لكون الآمر يحملها قال له هي لك في أجر حملك و منهم من ثقلت عليه فأخرج منها جملة طرحها في الأرض ليخف عنه الثقل الذي يجده فلما خف حمله ببعض ما طرح منها حمل ما بقي و كلما طرحه من ذلك عاد ذلك المطروح حديدا و رصاصا و نحاسا و زيد في التوابيت التي على شماله و التوابيت التي أقيمت له على شماله كلها مملوءة حديدا و نحاسا و قطرانا و آنكا و شبه ذلك مما يثقل و تكره رائحته و قيل له هذه التوابيت يحملها على ظهرك على ترتيب ما قررناه في توابيت اليمين و توصلها إلى دار ذات لهب و زمهرير و ما تحوي عليه هذه التوابيت ملكك و هذا قوله تعالى وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ و قوله صلى الله عليه و سلم من سن سنة سيئة فله وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة و إن لم يحضر للمكاشف في هذا المنزل صورا نزلت على قلبه معاني مجردة عن المواد و عرف تفاصيلها و الحق كل شيء منها بمقامه و محله و لم يجد لذلك كلفة و لا مشقة لأنه لا غرض له مع إرادة سيده منه فهو في عالم الانفساح و الانشراح و إن ضعفت أجسامهم عن حمل بعض ما كلفوه فقد أمر أن لا يحمل إلا وسع نفسه النفس هنا عبارة عن إكمال الحس لأن النفس المعنوية لا كلفة عليها إلا إذا كانت صاحبة غرض فكلفت بما لا غرض لها فيه فلهذا لم يعذر الإنسان من حيث نفسه و يعذر من حيث حسه لخروج ذلك عن طاقته في المعهود و يتعلق بهذا المنزل طرف من العلم بنشء الملائكة و إنهم من عالم الطبيعة مخلوقون مثل الأناسي غير إنهم ألطف كما إن الجن ألطف من الإنسان مع كونهم من نار من مارجها و النار من عالم الطبيعة و مع هذا فهم روحانيون يتشكلون و يتمثلون فلو كانت الطبيعة لا تقبل ذلك لما قبله عالم الجن و كيف ينكر ذلك و معلوم قطعا إن الإنسان من عالم الطبيعة الكثيفة و فيه منها خزانة الخيال في مقدم دماغه يتخيل بها ما شاء من المحالات فكيف من الممكنات فكذلك الملائكة عليهم السلام من عالم الطبيعة و هم عمار الأفلاك و السموات و قد عرفك الله أنه اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ و جعل أهلها منها و هو قوله وَ أَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و لا خلاف إن الدخان من الطبيعة و إن كانت الملائكة أجساما نورية كما إن الجن أجسام نارية و لو لم يكن النور طبيعيا لما وصف بالإحراق كما توصف النار بالتجفيف و الذهاب بالرطوبات و هذا كله من صفات الطبيعة ثم إن الله قد أخبر عن الملإ الأعلى أنهم يختصمون و الخصام من الطبيعة لأنها مجموع أضداد و المنازعة و المخالفة هي عين الخصام و لا يكون إلا بين الضدين و من هذا الباب قولهم أَ تَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ هذا من طبيعتهم و غيرتهم على الجناب الإلهي فلو وقفوا مع روحانيتهم لم يقولوا مثل هذا حين قال لهم اللهُ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً بل كان جوابهم من حيث ما فيهم من السر الإلهي أن يقولوا ذلك إليك سبحانك تفعل ما تريد و نحن العبيد تحت أمرك بالطاعة لمن أمرتنا بطاعته فبالذي وقع من الإنسان من الفساد و غيره مما يقتضيه عالم الطبع به بعينه وقع الاعتراض من الملائكة فرأوه في غيرهم و لم يروه في نفوسهم و ذلك لما قررناه من أن التعشق بالغرض يحول بين صاحبه و بين فعل ما ينبغي له أن يفعله و لهذا قال لهم الله تعالى إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ثم أراهم الله شرفه عليهم بما خصه به من علم الأسماء الإلهية التي خلق المشار إليهم بها و جهلتها الملائكة فكأنه يقول سبحانه أجعل علمي حيث شئت من خلقي أكرمه بذلك فمن هنا تعلم ما ذكرناه و سيأتي العلم بهذا الأمر محققا مستوفى في منزله الخاص به فإن علوم هذه المنازل على قسمين منها علوم مختصة بالمنزل لا توجد في غيره و منها علوم يكون منها في كل منزل طرف و اعلم أن القلب و إن كان محل السعة الإلهية فإن الصدر محل السعة القلبية إذ كان إنما سمي صدرا لصدوره و لهذا قال وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ فإن القلب في حال الورود يضيق لما يقتضيه من الجلال و الهيبة و ما يعطيه القرب الإلهي و التجلي و إذا صدر اتسع و انفسح لأنه كون و هو صادر إلى الكون فينفسح للمناسبة و تتسع أشعة نوره بانبساطها على الأكوان و يبتهج بكونه خص بهذا التعريف الإلهي على أبناء جنسه و لهذا إذا عرض له عارض يقبضه في غير محل القبض ينبهه الحق يذكره ما أنعم الله به عليه ليتذكر النعمة الإلهية عليه فيحول بينه و بين ما كان عليه من الضيق فهو في الظاهر من إلهي و في المعنى رحمة بهذا القلب فمن هنا يقرر الحق عبده على ما منّ به عليه فإن قلت فإن الله قد ذكر أنه يمن على عباده قلنا إنما جاء هذا لما امتنوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم بإسلامهم فقال الله له قل لهم يا محمد بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ أي إذا دخلتم في حضرة المن فالمن لله لا لكم فهو من علم التطابق لم يقصد به المن فما كان الله ليقول في المن ما قال و يكون منه كما قال صلى الله عليه و سلم ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم و ما كان الله ليدلكم على مكارم الأخلاق من العفو و الصفح و يفعل معكم خلافه فإذا وقع منكم من سفساف الأخلاق ما وقع رد الحق سبحانه أعمالكم عليكم لا أنه عاملكم بها من نفسه و إنما أعمالكم لم تتعداكم فلله المنة التي هي النعمة و الامتنان الذي هو إعطاء المنة لا المن سبحانه و

تعالى و إذا أراد الله تعالى رفعة عبده عند خلقه ذكر لعباده منزلته عنده إما بالتعريف و إما بأن يظهر على يده و في حاله ما لا يمكن أن يكون إلا للمقرب من عباده فتنطلق له الألسنة و تنطق بعلو مرتبته عند سيده مثل فتحه صلى الله عليه و سلم باب الشفاعة يوم القيامة الذي اختص به على سائر الرسل و الأنبياء فيعلو مناره في ذلك الموطن على كل أحد و هنالك تطلب الرئاسة و العلو و أما في الدنيا فلا يبالي العارف كيف أصبح و لا أمسى عند الناس لأنهم في محل الحجاب و هو في موطن التكليف فكل إنسان مشغول بنفسه مطلوب بأداء ما كلف به من العمل و مما يتضمن هذا المنزل علم التنكير و هو التجلي العام و علم التعريف و هو التجلي الخاص و هو مندرج في العام كالاسم الرب إذا تجلى فيه الحق لعباده فإنه تجل عام و إذا تجلى في مثل قوله فَوَ رَبِّكَ فهو تجل خاص و إن كانت التجليات من الربوبية و لكن بينهما تباين فإن الحال التي لك مع الملك في مجلس العامة ليس هو الحال التي لك معه إذا انفردت به فلهذا مقام و علم خاص و لهذا مقام و علم خاص و التجلي العام أكثر علما و أنفع و التجلي الخاص أعظم قربة اعلم أن أصل الأمور كلها المعرفة عندنا و النكرة عرض طارئ فإذا عرض وقع الإبهام و الإشكال فالعارف من عرفه في حال التنكير فهو نكرة في العموم و عند هذا هو معرفة في النكرة إذا قال القائل كلمت اليوم رجلا فرجل هنا نكرة و هو عند من كلمه معرفة بالتعيين في حال الحكم عليه بالنكرة فالذي يشاهد العارف من الحق في حال النكرة و الإنكار من العالم هو عين المعرفة عنده لكونه أبقاه على الإطلاق الذي يستحقه في حال تقيده به العقائد فيجهله العامة في التنكير و هو مقام عظيم الفائدة للعارفين و اعلم أن العارف في هذا المنزل لا يتمكن له أن يسأل الحق في أمر إلا من الوجه الأخص لا من الوجه الأعم و لا يصح له سؤال الحق في أمر هو فيه لأنه شغل عما يستحقه ذلك الأمر من الأدب فإذا وفاه حقه حسا كان مما يتعلق بالعبادات البدنية أو معنى كان مما يتعلق بالعبادات القلبية و أراد الحق أن ينقله من تلك العبادة لم يعرف العارف مراد الحق فيه لأي مرتبة ينقله هل ينقله إلى واجب آخر أو مندوب أو مباح أو مكروه أو محظور فيبقى واقفا بين المقام الذي فرغ منه و بين الأمر الذي إليه في علم الله ينتقل فعند ذلك يأتيه رسول من الله مظهر في سره يقول له إن الله قد أمرك أن تتضرع إليه و ترغبه و تسأله في هذا الأمر الذي ينقلك إليه إن كانت بقيت لك حياة فليكن من الواجبات و هو المراد فإن لم يكن فمن المندوبات فإن لم تسبق العناية بالإجابة فمن المباحات فإن لم يكن و رأيت لوائح تبرق إليك من خلف حجاب الخذلان و تعلم أنك تنتقل إلى محظور أو مكروه فاسأل من الله الحضور معه في ذلك الأمر الذي تنتقل إليه و أسأله أن يجعل فيك من الكراهة لذلك الأمر و لا يحول بينك و بين معرفتك بأنه شيء يسوءك فعله و أن العلم الإلهي لا يتبدل فيك بوقوعه منك حتى أنه إذا وقع منك و أنت على هذه الحالة لم يبق حكم للمعصية فيك جملة و كان الحكم في ذلك للقدر فإذا توجهت العقوبة على من هذه حالته لما تطلبه المخالفة من وجه من وجوهها توجه العفو و الغفور و الرحيم و هم

الأسماء التي تطلبها المخالفة ويعتضدون بالأسماء التي تطلبها الكراهة التي كانت فيك لذلك الفعل والايمان بالقدر السابق فيها ويد الله مع الجماعة فتكون الغلبة والحكم لهؤلاء الأسماء التي تعطيه السعادة والخير مع وقوع المعصية وتكون معصيته بحضوره فيها مع الله حية ذات روح إلهي يستغفر له إلى يوم القيامة ويبدل الله سيئها حسنا كما بدل عقوبتها مثوبة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الحادي والتسعون ومائتان في معرفة منزل صدر الزمان وهو الفلك الرابع من الحضرة المحمدية»

أقسمت بالدهر أن الدهر ليس له ... عين ولكنه للعقل معقول

فإن حلفت به فاحلف على عدم ... لا في وجود فإن الحنث تعطيل

واعلم بأن الذي لا أم تؤنسه ... ولا أب هو في الأحكام مبتول

إلا الذي رقيت فيه معارفه ... وكان عنه فذاك الشخص مقبول

كما الذي تاه في بحر وليس له ... هاد فذلك بالأهواء معلول

وإن تقلت إلى فقر بغير غنى ... فإنكم لدليل العقل مدلول

اعلم وفق الله الولي الحميم أن لكل شيء صدرا ومعرفته في هذا الطريق من أرفع العلوم والمعارف إذ كان العالم وكل جنس على صورة الإنسان وهو آخر موجود وكان الإنسان وحده على الصورة الإلهية في ظاهره وباطنه وقد جعل الله له صدرا فما بين الحق والإنسان الذي له الآخرية وللحق الأولية صدور لا يعلم عددها إلا الله فلنعين منها بعض ما يصل إليه فهمك وما يمكن أن يقبله عقلك ونسكت عما لا يصل إليه فهمك ولا يقبله عقلك فلنبتدئ أولا بالأعلى وننزل إلى آخر درجة فنقول إن الصدر في الرتبة الثانية من كل صورة سواء كانت الصورة جنسية أو نوعية أو شخصية فصدر الواجبات الحياة الأزلية المنعوت بها الحق عز وجل وصدر الأسماء المؤثرة العالم وصدر صفات التنزيه نفي المثلية وصدر الأبنيات العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء وصدر الوجود الممكنات وصدر الموجودات العقل الأول وصدر الدهر ما بين الأزل والأبد وصدر الزمان زمان قبول الهيولى للصورة وصدر الطبيعة كيفية الجسم الأول وصدر الكيفيات تعلق القدرة بالإيجاد وصدر الكميات تقسيم المعاني وصدر الأفلاك الكرسي وصدر العناصر الماء وصدر الليل مغيب الشفق الأحمر وصدر النهار إشراق الشمس لا شروقها وصدر المولدات الحيوان وصدر الإنسان معروف وصدر الأمة زمان إدريس وصدر هذه الأمة القرن الأول وصدر الدنيا وجود آدم وصدر الأيام يوم الإثنين وصدر الآخرة البعث وصدر البرزخ النوم وصدر النار الموبق وصدر الجنة النزول في المنازل منها وصدر العذاب والنعيم رؤية أسبابهما وصدر

الدين فلان رسول الله و اعلم أن لكل صد ر قلبا فما دام القلب في الصد ر فهو أعمى لأن الصد ر حجاب عليه فإذا أراد الله أن يجعله بصيرا خرج عن صد ره فرأى فالأسباب صدور الموجودات و الموجودات كالقلوب فما دام الموجود ناظرا إلى السبب الذي صد ر عنه كان أعمى عن شهود الله الذي أوجده فإذا أراد الله أن يجعله بصيرا ترك النظر إلى السبب الذي أوجده الله عنده و نظر من الوجه الخاص الذي من ربه إليه في إيجاده جعله الله بصيرا فالأسباب كلها ظلمات على عيون المسببات و فيها هلك من هلك من الناس فالعا رفون يثبتونها و لا يشهدونها و يعطونها حقها و لا يعبدونها و ما سوى العا رفين يعاملونها بالعكس يعبدونها و لا يعطون حقها بل يغصبونها فيما تستحقه من العبودية التي هي حقها و يشهدونها و لا يثبتونها فما تسمع أحدا من الناس إلا و هو يقول ما ثم إلا الله و ينفي الأسباب فإذا أخذته بقوله أو نزلت به نا زلة شاهد السبب و عمي عمن أثبته و كفر به و آمن بما نفاه فإذا اتفق لبعض الناس أن تلك النا زلة ما ا رتفعت بهذا السبب الذي استند إليه و انقطعت به الأسباب حينئذ يكفر بها و يرجع إلى الله خالق الأسباب فلم يد ر بما ذا كفر و لا بما به آمن و لم يد ر ما معنى السبب و لا غيره إذ لو علم إن السبب لا يصح إلا أن يكون عنه المسبب لعلم أن السبب الذي استند إليه في رفعه لهذه النا زلة لم يكن سببها بوجه من الوجوه إذ لو كان سببها لرفعها و إنما كان ذلك السبب في منعه رفع النا زلة سببا في رجوعه إلى الله في رفعها فلم يزل في المعنى تحت تأثير الأسباب فإن الأسباب محال رفعها و كيف يرفع العبد ما أثبته الله ليس له ذلك و لكن الجهل عم الناس فأعماهم و حيرهم و ما هداهم وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ بالروح الموحى من أمر الله ف يَهْدِي به من يَشاءُ من عِبادِهِ فقد أثبت الهداية بالروح و هذا وضع السبب في العالم فالوقوف عند الأسباب لا ينافي الاعتماد على الله و لهذا جعل سبحانه الأسباب مسببات لأسباب غيرها من الأدنى حتى ينتهي فيها إلى الله سبحانه فهو السبب الأول لا عن سبب كان به نعم سبب الكون المرتبة لا الذات و سبب المرتبة الكون فسبب الكون في الإيجاد المرتبة و سبب المرتبة في المعرفة الكون فافهم فلما أضاء النها ر للحركة وقعت الولادة للأشياء بها بها فظهرت الأعيان في عالم الحس غالبا و هبت الرياح في البحا ر فتلاطمت الأمواج و جرت السفن و رمت البحا ر ما فيها لتلاطم الأمواج و لما أظلم الليل للسكون سكنت الرياح و سكنت الأمواج و أمسك البحر ما فيه غالبا و ظهرت الولادة في البرزخ فكانت الأحلام و رؤيا المبشرات و المفزعات كالصورة القبيحة و الجميلة في صور المولدات في الحس من الأفعال و النشآت و أغلب وقوع هذا في صد ر الليل و في صد ر النها ر لأن الرياح لا تهب إلا بعد طلوع الشمس حينئذ تكون الرياح كما إن رياح النصر لا تهب إلا في صد ر العشي و هو بعد الزوال و لهذا يستحب فيه القتال و لما كان الليل محلا للسكون و المسامرة و لا يبيت شخص إلا مع من يحبه و يسكن إليه غالبا و لا يسامر إلا من يأنس به لذلك كان الليل أصل المودة و الرحمة حتى إن الذين تعذبهم الملوك لا

تعذبهم إلا بالنهار غالبا و أما الليل فلا لأن المعذب يتعذب بالليل إذا عذب للسهر و عدم النوم و الذي يلحقه فالليل زمان السكون و الراحة و المعذب لا يريد أن يعذب نفسه فيترك العذاب إلى النهار الذي هو محل الحركة فأصل الود و المحبة موجود من الليل و ضده موجود بالنهار ثم إن الغيبة أعني غيبة المحبوب عن المحب غيبة تعليم و تأديب لما تعطيه المحبة فإن المحب إذا كان صادقا في دعواه و ابتلاه الله بغيبة محبوبه ظهرت منه الحركة الشوقية إلى مشاهدته فيصدق دعواه في محبته فيعظم منزلته و تتضاعف جائزته من التنعيم بمحبوبه فإن اللذة التي يجدها عند اللقاء أعظم من لذة الاستصحاب كحلاوة ورود الأمن على الخائف لا يقوي قوتها حلاوة الأمن المستصحب فهو يزيد به تضاعف النعيم و لهذا أهل الجنة في نعيم متجدد مع الأنفاس في جميع حواسهم و معانيهم و تجليهم فهم في طرب دائمون فلهذا نعيمهم أعظم النعيم لتوقع الفراق و توهم عدم المصاحبة و لجهل الإنسان بهذه المرتبة يطلب الاستصحاب و العالم يطلب استصحاب تجديد النعيم و الفرق بين النعيمين حتى يقع الالتذاذ بنعيم جديد كما هو في نفس الأمر و إن لم يعرفه كل إنسان و لا شاهدته كل عين و لا عقل فهو متجدد مع الآنات في نفس الأمر و للجهل القائم بهذا الشخص لعدم مشاهدته التجديد في النعيم يقع الملل فلو ارتفع عنه هذا الجهل ارتفع الملل من العالم فالملل أقوى دليل على جهل الإنسان بالله في حفظ وجوده عليه و تجديد آلائه مع الأنفاس فالله يحققنا بالكشف الأتم و المشهد الأعم فما أشرف عين اليقين و ما أسعد صاحب مشاهدة الأمور على ما هي عليه و لكن راعى الله سبحانه بهذا الجهل أصحاب الهموم فهو رحمة في حقهم فإنهم لو شاهدوا تحديدا لهم في كل زمان فرد لم يزل عذابه كبيرا عندهم و آلامه متضاعفة فلما حيل بينهم و بين هذه المشاهدة و تخيلوا أن الهم الأول هو الذي استصحبهم لم يقم عندهم مقام فجأته في الفعل و هان عليهم حمله للاستصحاب الذي تخيلوه رحمة من الله بهم و تخفيفا عنهم إلا في جهنم فإن أهلها مع الأنفاس يشاهدون تجديد العذاب و كلامنا إنما هو في هذه الدار الدنيا محل الحجاب إلا للعارفين فإن لهم مقام الآخرة في الدنيا فلهم الكشف و المشاهدة و هما أمران يعطيهما عين اليقين و هو أتم مدارك العلم فالعلم الحاصل عن العين له أعظم اللذات في المعلومات المستلذة فهم في الآخرة حكما و في الدنيا حسا و هم في الآخرة مكانة و في الدنيا مكانا ثم يتصل لهم ذلك بالآخرة من القبر إلى الجنة و ما بينهما من منازل الآخرة و هو قوله تعالى لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و هي ما هم فيه من مشاهدة ما ذكرناه وَفِي الْآخِرَةِ من القبر إلى الجنة فهو نعيم متصل فهذا نعيم العارفين و ليس لغيرهم هذا النعيم الدائم ثم إن الحق سبحانه و تعالى في هذا المنزل أمر عبده المعتنى به أن يكون مع خلقه كما كان الحق معه في مثل هذا المشهد و كل ما يؤدي إلى سعادتهم و ذلك بالنصيحة و التبليغ ليس بيده من الأمر غير هذا فللعارف إيضاح هذا الطريق الموصل إلى هذا المقام و الإفصاح عنه و ليس بيده إعطاء هذا المقام فإن ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ فلما بلغ قيل له فَإِنَّما

عَلَيْكَ الْبَلاغُ لَيسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ و ما أحسن قوله في الحقائق وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فإن العلم أنما يتعلق بالمعلوم على ما هو المعلوم عليه و قال لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ فوظيفة الرسل و الورثة من العلماء إنما هي التبليغ بالبيان و الإفصاح لا غير ذلك و جزاهم جزاء من أعطى و وهب و الدال على الخير كفاعل الخير فإن الدلالة على الخير من الخير فيتضمن هذا المنزل من علم الاستناد و المستند إليه أعظم الاستنادات و هو الاستناد الإلهي و هو استناد الأسماء الإلهية إلى محال وجود آثارها لتعيين مراتبها و استناد المحال إلى الأسماء الإلهية لظهور أعيانها فهذا أعلى الاستنادات و أعلى المستندات إليها و قد رمينا بك على الطريق فأدرج عليه نازلا و صاعدا و من هنا يعرف ما تخبط فيه الناس من تفضيل الفقر على الغني و الغني على الفقر و الخوض في هذه المسألة من الفضول الذي في العالم و الجهل القائم به فإن الحالات تختلف و المنازل تختلف و كل حالة كمالها في وجود عينها فالله يقول أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما تركت هذه الآية لأحد طريقا إلى الخوض في الفضول لمن فهمها و تحقق بها غير إن الفضول أيضا من خلق الله فقد أعطى الله الفضول خلقه ثُمَّ هَدى أي بين أن من قام به الفضول فهو المعبر عنه بالمشتغل بما لا يعنيه و جهله بالأمر الذي يعنيه و الفقر في عينه كامل الخلق لا قدم له في الغني و الغني في حاله كامل الخلق لا قدم له في الفقر و لو تداخلت الأمور لكان الفقر عين الغني و الغني عين الفقر إذ كان كل واحد منهما من مقومات صاحبه و الضد لا يكون عين الضد و إن اجتمعا في أمر ما فلا يجتمع الغني و الفقر أبدا فليس للفقر منزلة عند الله في وجوده و ليس للغني منزلة عند العبد في وجوده فكما لا يقال الله أفضل من الخلق أو الخلق كذلك لا يقال الغني أفضل من الفقر أو الفقر أفضل من الغني فالفقر صفة الخلق و الغني صفة الحق و المفاضلة لا تصح إلا فيمن يجمعهما جنس واحد و لا جامع بين الحق و الخلق فلا مفاضلة بين الغني و الفقر قال تعالى في الغني فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قال في الفقر يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فمن قال بعد علمه بهذا الغني أفضل من الفقر أم الفقر أفضل كمن قال من أفضل الله أم الخلق و كفى بهذا جهلا من قائله و أما الذي بأيدي الناس الذي يسمونه غني فكيف يكون غني و أنت فقير إليه غير مستغن في غناك عن غناك فغناك عين فقرك و هذا على الحقيقة لا يسمى غنى فكيف تقع المفاضلة ما بين ما له وجود حقيقي و هو الفقر و بين ما ليس له وجود حقيقي و هو غناك و إذا سمي الإنسان غنيا فهو عبارة عن وجود السبب المؤثر عنده فيما له فيه غرض في الوقت فيكون بذلك السبب غنيا فيما يفتقر إليه لوجوده به فهو الفقير الذاتي في غناه العرضي و إذا لم يكن عنده وجود السبب المؤثر فيما افتقر إليه سمي فقيرا من غير غنى فالفقر له في الحالين معا لأن ذاته له في الحالين معا و الأمر إذا كان على هذا فطلب المفاضلة جهل بين الوصف الحقيقي و الإضافي العرضي و مما يتضمنه هذا المنزل ما يلزم العالم و المتعلم و السائل و المسئول فلنبين من ذلك طرفا لمسيس الحاجة إليه فإنه يقع

من الناس في غالب الأوقات و ذلك أن الجاهل إذا جاء ليسأل العالم في أمر لا يعلمه من الوجه الذي يسأل عنه و يعلم منه قد ر الوجه الذي دعاه إلى السؤال عنه كمن سمع حسا من خلف حجاب فيعلم قطعا إن خلف الحجاب أمرا لا يد ري ما هو أو لا يد ري محل ذلك الحس و لعله ليس خلف ذلك الستر فيسأل من يعلم محل ذلك الستر هل خلفه ما يمكن أن يحس أم لا و إذا كان فما هو فيتصور السؤال من السائل عما لا يعلم لوجه ما معلوم عنده يتضمن ما لا يعلم إلا بعد السؤال عنه و على هذا المقام أورد بعض النظا ر أشكالا و بهذا القد ر ينفصل عن ذلك الإشكال و ليس كتابنا مما قصد به النسب الفكرية النظرية و إنما هو موضوع للعلوم الوهبية الكشفية فجرت العادة عند العلماء القاصرين عما ذكرناه أن المتعلم السائل إذا جاء ليسأل العالم عن أمر لا يعلمه فإن كانت المسألة بالنظر إلى حالة السائل عظيمة قال له لا تسأل عما لا يعنيك و هذا ليس قد رك و تقصر عن فهم الجواب على هذا السؤال و ليس الأمر كذلك عندنا و لا في نفس الأمر و إنما القصور في المسئول حيث لم يعلم الوجه الذي تحتمله تلك المسألة بالنظر إلى هذا السائل فيعلمه به ليحصل له الفائدة فيما سأل عنه و يستر عنه الوجوه التي فيها مما لا يحتمله عقله و لا يبلغ إليه فهمه فيسر السائل بجواب العالم و يصير عالما بتلك المسألة من ذلك الوجه و هو وجه صحيح إن فات علمه للعالم الفهم الفطن فقد فاته من المسألة بقد ر ذلك الوجه فاستوى الفهم الفطن مع الفدم في عدم استيعاب وجوه تلك المسألة فما سأل سائل قط في مسألة ليس فيه أهلية لقبول جواب عنها و لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذا الباب في تأديب الصحابة ما يتأدب به في ذلك و ذلك أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بين ظهراني أصحابه فقال يا رسول الله إني أسألك عن ثياب أهل الجنة أ خلق تخلق أم نسيج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال أ تضحكون أن جاهلا سأل عالما يا هذا الرجل إنها تشقق عنها ثمر الجنة فأجابه بما أ رضاه و علم أصحابه الأدب مع السائل فأ زال خجله و انقلب عالما فرحا و قال الله تعالى وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ فعمم و إن كان المقصود في سبب نزولها السؤال في العلم لأنه تعليم لحال سابق كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هو قوله وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى أي حائرا فأبان لك عن الأمر فأما السائل إذا جاءك يسألك فإنما هو بمنزلتك حين كنت ضالا فلا تنهره كما لم أنهرك و بين له كما بينت لك كما قال له تعليما لحال سبق له في قوله أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى فلم يذلك و لا طردك بالقهر ليتمك و كسرك فأما اليتيم إذا وجد ته فلا تقهره و الطف به و آوه و أحسن إليه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله أدبني فحسن تأديبي فينبغي لنا أن نتبع الآداب الإلهية التي أدب الله سبحانه بها أنبياءه مثل هذا و مثل قوله لنوح إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ من الْجاهِلِينَ فرفق به في قوله أعظك لشيخوخته و كبر سنه و مخاطبة الشيوخ لها حد و وصف معلوم و مخاطبات الشباب لها حد معلوم و قال في حق محمد رسوله صلى الله عليه و سلم فَلا تَكُونَنَّ من الْجاهِلِينَ فأين ذلك

اللطف من هذا القهر فذلك لضعف الشيخوخة و ذا القوة الشباب و أين مرتبة الخمسين سنة من رتبة خمسمائة و أزيد فوقع الخطاب على الحالات في أول الرسل و هو نوح و في آخرهم و هو محمد صلى الله عليه وسلم و على جميع الأنبياء و من الآداب الإلهية كل ما ورد في القرآن من افعل كذا و لا تفعل كذا فانظره في القرآن تحط بالأدب الإلهي فاستعمله توفق إن شاء الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و التسعون و مائتان في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب و عالم الشهادة من الحضرة الموسوية»

الليل يستر ما في الغيب من عجب و الشمس تظهر ما الأظلام يستره
و الشخص إن كان أنثى ليس يذكره حتى إذا جاءت الأخرى تذكره
و الجود أصل و ضد الجود ليس بذي أصل و لكن عين الجود تظهره
لا شيء يغنيك غير الله فارض به ربا و لا تك ممن ظل يضمره
و قم به علما في رأس رابية و إن شهدت هلالا فهو يبدره
و إن دعاك الهوى يوما لمنقصة فإن داعيه عن ذاك يزجره
عطاؤه منه أولى و آخرة و ليس عن عوض كذاك أذكره
إن الجزاء وفاق لا على عوض فإن يكن عوض فلست أوثره

سلام عليكم و رحمة الله و بركاته اعلموا يا إخواننا أن هذا المنزل من أعظم المنازل قدرا هو منزل النكاح الغيبي و هو نكاح المعاني و الأرواح و يختص بهذا المنزل علم التجلي الإلهي المشبه بالشمس ليس دونها سحاب دون التجلي القمري البدري و هو قوله صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر و ليس لهذا التجلي مدخل في هذا المنزل و كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب و هذا المنزل منزله و من هنا يعرف و هو مظهر إلهي عجيب و من هذا المنزل يعرف الجود المقيد بالخوف و الجزاء و مرتبة الصدق و إن قبح و مرتبة الكذب و إن حسن و الغني المكتسب و هو الغني العرضي و علامات السعادة و علامات الشقاء و خيبة المعتمد على الأمور التي قد نصبها الله للاعتماد عليها و لما ذا يخيب صاحبها مع كون الحق نصبها لهذا و أهلها لها و علم الإفصاح عن درجات التقريب الإلهي من حضرة اللسن و معرفة المقام الذي تتألف فيه الضرتان و تتحابان و معرفة الاصطلام اللازم و صفة من أعطى مقام هذا الاصطلام من المقربين من أمثالهم ممن لم يعطه و الجود بما يجده العارف من كل شيء مما لا يجب عليه و هو خلق الجود

الإلهي و هل يكون الحق عوضا ينال بعمل خاص أم لا و لنبين إن شاء الله حقائق هذا المنزل فصلا فصلا إيماء و تلويحا فإنه يطول و الله المؤيد لا رب غيره فمن ذلك النكاح الغيبي المنتج قال تعالى وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ و قال تعالى وَأَنْزَلَ من السَّمَاءِ ماءً فَأَخْرَجَ به من الثَّمَرَاتِ و قال جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً و قد تقدم الكلام على هذا الفصل في فصل المعارف من هذا الكتاب في باب الآباء العلويات و الأمهات السفليات فلينظر هنالك و لنذكر في هذا المنزل ما يتعلق به و هو أن المعاني تنكح الأجسام نكاحا غيبيا معنويا فيتولد بينهما أحكامهما و ذلك حجاب على اليد الإلهية الغيبية التي ما من شأنها أن تدرك و من ذلك جميع الصور الظاهرة في الهباء الهباء لها كالمرأة و الصور لها كالبعل و لا يوجد عنهما إلا أعيانهما و هذا من أعجب الأسرار أن يكون الولد عين الأب و الأم لمن هو لهما ولد و الأب و الأم عين الولد لمن هما له أبوان و هو الذي أشار إليه الحلاج رحمه الله في قوله ولدت أمي أباها و لا يكون الوالد عين الولد لمن هو له والد و هو له ولد إلا في هذا النكاح و من هذا الباب قوله كُنْ و هي كلمة أمر التكوين و قال في عيسى إنه كلمة الله و في الموجودات إنها كلمات الله و ما له كلمة في الموجودات إلا كن و هي عين الموجود فإنه الكلمة و توجهها على العيون الثابتة فالأعين لها كالأم فظهرت الكلمات و هو وجود تلك الأعيان عن هذا النكاح الغيبي و كان الولد بينهما عينهما ليس غيرهما و هذا ألطف من الأمر الأول فإن الولد هنا عين كلمة الحضرة فكن عين المكون و هو منسوب إلى الله و الأول في الدرجة الثانية فإنه منسوب إلى الهباء و الصورة و هذا النكاح مدرج فيه فافهم فقد رميت بك على الطريق فالجسمانيات كلها أولاد عن نكاح غيبي و الأجسام كلها منها ما هو عن نكاح غيبي و منها ما هو عن نكاح غيبي مدرج في نكاح حسي كنكاح الرياح و المياه و الحيوانات و النبات و المعادن و ما يتولد في الأجسام العنصرية لا الأجسام الطبيعية فإن العالم الملكي لا يتولد عنه من جنسه شيء إلا أن يكون أبا في وقت لأم عنصرية بما يلقى إليها فما ينتج فذلك الولد بينهما قد يخلق ملكا و هو المعبر عنه بلمة الملك و هو ما يلقيه إلى النفس الإنسانية فيتولد بينهما تسبيحة أو تهليلة تخرج نفسا من المسبح و المهلل فينفتح في عين ذلك النفس و جوهره صورة ملكية يكون ذلك الملك الملقي أباها و النفس أمها فترتقي تلك الصورة إلى أبيها و تلازمه بالاستغفار لأمه التي هي النفس الإنسانية إلى يوم القيامة و من هنا يحكم في الشريعة للوالد بأخذ ولده عن أمه إذا ميز و عقل بلا خلاف فإن هذا الملك يخلق عاقلا و من أعجب الأنكحة الإعدام و لهذا اختلف فيه أهل الكشف فالله سبحانه علقه بالمشيئة فقال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و علق الاقتدار بإيجاد قوم آخرين فقال وَيَأْتِ بِآخَرِينَ و كان الله على ذلك و لم يقل ذينك على التثنية فكانت الإشارة من حيث أحديتها للأقرب و هو الذي أتى به و من هذا الباب إرسال الريح العقيم فإنها لإزالة أعيان الصور الظاهرة عن التأليف لا أعيان الجواهر فما أنتجت وجودا فنسب إليها العقم و نفي عنها أن تكون لاقحة فهذا نكاح لمجرد الشهوة لا لوجود الولد

كنكاح أهل الجنة فما يكون عن كل شهوة كيان و لا بد وجود عيني لنفسه و من هنا وقع الخلاف بين أهل الكشف فمن كشف رجوع أعيان الصور التي كانت موجودة إلى كونها ثابتة غير موجودة قال بأن الريح العقيم قد أتت في حضرة الثبوت ما كان قد خرج عنها و هو مشهود للحق و به تعلقت المشيئة بقوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أي يرد كم إلى الحالة التي كنتم موصوفين فيها بالعدم و إنما كان هذا عقما لأنه لم يظهر عنه وجود العين لنفسه و إن كان ظاهرا مشهودا لخالقه و من لم يشهد رجوع أعيان الصور الموجودة إلى العدم عند توجه المشيئة أو هبوب الريح العقيم قال إن ذلك لا ينتج شيئا فإن الإيجاد للاقتدار لا للمشيئة فقط و للريح اللاقحة لا للعقيم إذ لو ظهر شيء وجودي عنها لم تكن عقيما فهذا سبب الخلاف بين أهل الكشف فمتعلق النافي عين الوجود و متعلق المثبت عين الثبوت فما تواردا على شيء واحد فلا خلاف في الحقيقة إذ كان هذا الطريق عند المحققين منا لا يتصور فيه خلاف إلا أن يكون مثل هذا و هذا خلاف لفظي فإذا فسر كل واحد ما أراده بذلك اللفظ ارتفع الخلاف و يكفي ما أومأنا إليه و من هذا المنزل التجلي الشمسي لما وقع التشبه عند علماء الرسوم في رفع الشك عن الرائي في المرئي بالشمس و القمر ليلة البدر و هو من بعض الوجوه المقصودة في هذا الحديث و لكن عرف المحققون زائدا على هذا أن المظهرين مختلفان و أن التجلي المشبه بالقمر ليلة البدر مظهر خاص لأنه قال ليلة البدر و لم يقل في إبداره فأضافه إلى الليلة فإني أشاهده بدرا مع وجود الشمس بالنهار فما أضافه إلى الليلة إلا لأمر عرفه المحققون و ليس هذا منزل الكلام عليه و لكن هذا المنزل يتضمن منزل التجلي في الشمس فإن الحق يتعالى عند المحققين أن يتجلى في صورة واحدة مرتين أو لشخصين فلا تكرار في أمر عند الحق للإطلاق الذي هو عليه و الاتساع الإلهي و التكرار مؤد إلى الضيق و التقييد فاعلم إن التجلي الشمسي أي المشبه بالشمس هو يسمى عندنا التجلي الأوسع و هو التجلي الذي لا يفنى الإنسان عن رؤية نفسه فيه و قد أومأنا إليه في أول هذا الكتاب في باب الأرض التي خلقت من بقية الطينة الآدمية و هذا التجلي مظهر ذاتي عجيب و نسب التجلي فيه إلى معلوله لا إلى علته مع ظهور العلة في معلولها عينا محققة مجهولة الكيفية كظهور الشمس في النهار مع كون النهار معلولا عن ظهور الشمس و نور السراج عن السراج المنبسط في زوايا الكون فمثل هذا يسمى شهود العلة و معلولها معا فكل تجل لا يغنيك عنك فهو بهذه المثابة و إنما سمي أوسع لأن المشاهد يعم رؤيته المتجلي و المتجلي فيه و له و غير الأوسع لا تشاهد غيره لا نفسك و لا غيرك و لا تعلم شهودك و لا ما أنت فيه حتى تعود إليك و يقع الحجاب فلو قرع الحجاب كان ذلك التجلي مقيدا ضيقا إذ قيده الحجاب و الأوسع يظهر في الحجاب و في غير الحجاب و يفرق الشاهد بين الصورتين و لهذا يقال فيهم ردوهم إلى قصورهم للاشارة إلى عجزهم أي يحبسون فيه و هنا بحور تحوي على أنواع من نفيس الجواهر لا يدركها إلا كل غواص واسع النفس عاشق في الغيب فقد بينت لك المقصود من هذا التجلي الذي يحويه

هذا المنزل و فوائده لا تحصى لو ذهبنا نذكرها ما وسعها ديوان فإن له التأييد في العالم العلوي في الدنيا و له التأييد في العالم الأخروي السفلي و ما ثم تجل يجمع فيما يكون عنه بين الضدين من ألم و لذة إلا هذا التجلي و هو كتجلي المحبوب للمحب يعانق غيره و يقبله فهو من نظره في لذة و من نظره في ألم و من هذا المنزل معرفة الجود المقيد بالخوف و الجزاء و مرتبة الصدق و إن قبح و مرتبة الكذب و إن حسن و الغني المكتسب و هو الغني العرضي و علامات السعادة و علامات الشقاء و اعلم أن أسباب العطاء تختلف فمنهم من يعطي للعوض و يسمى شراء و بيعا ففيه من الجود إن المشتري قد أنعمت عليه من كونك بائعا ماله غرض عظيم في تحصيله و قد أعطاك هو ما هو مستغن عنه فكل واحد منهما قد جاد على صاحبه بإيصاله إليه ما كان له غرض في تحصيله إذ كان له منع ذلك فبهذا القدر يلحق بباب الجود من جهة المعطي له اسم مفعول لا من جهة المعطي اسم فاعل و قد يعطي الإنسان من هذا الباب خوفا على عرضه أو حلول آلام حسية تحل به فكأنه يشتري الثناء الحسن و العافية و الأمن بذلك العطاء فهو كالأول و الفرق بينهما إن الذي اشترى به في الأول هو مما يمكن أن يكون له فيه غرض و هذا لا يمكن أن يكون له في الألم و إزالة العافية و الأمن غرض أصلا و من يقول بخلاف هذا من أصحابنا إن كان محققا كأبي يزيد في قوله

وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فقد أبان عن مقصوده و هو اللذة و هو ما قلناه و ذهبنا إليه و إن لم يكن محققا فما هو من أصل طريقنا بالمعنى و إن ظهر بالصورة فلا كلام لنا معه و منهم من يعطي للانعام و غير ذلك و ليس من هذا المنزل إلا ما ذكرناه خاصة و من هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه و سلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فأمرنا بمحبته لإنعامه و إحسانه و هل يكون منه سبحانه في حق العباد أمر وجودي يخرج عن الإنعام بوجه من الوجوه اختلف أصحابنا في ذلك فمنهم من رأى أن الإنعام فيه عين وجوده و لا يلتفت إلى الأغراض المتعلقة مما يعطيه حكم هذا الموجود المنعم عليه بالوجود فإنه قد أنعم على الألم بوجود عينه و إن كان من يتألم به لا يوافق غرضه فهو نعمة الله على نفسه و لو توقف الأمر على عموم النعمة على الكل بالعين الواحدة ما كان شيء أصلا فإن الحقائق تأبى ذلك فإذا له في كل وجود نعمة فمن كان مقامه الإيثار يصدق في غرضه بزهده إذا قام به حكم الألم أن يشكر الله على ما أنعم به على الألم من وجود عينه بعد أن لم يكن إيثار الجناب الله على غرضه حيث ظهر في الملك من يساعده على تعظيم الله و شكره لأنه يشاهد شكر الألم لله تعالى على إيجاد عينه فأعظم شفيع يكون لمن هذه حاله عند الله الألم من الموجودات و الاسم المبلى و المسقم من الإلهيات فيكون نتيجة تلك الشفاعة وجود اللذة و رحلة الألم إما بزوال السبب أو ببقائه فيكون خرق عادة و هذا من أعظم الخلق الذي يشرف به الإنسان و أما إيثاره في هذا

لإرادة الله فلا يدري أحد ما يحصل له من اسمه المريد من الخير إلا الله الذي خصه بهذه الحال الشريفة فهذا هو الصدق مع الله في المعاملة و إن قبح فإنه لو نزل ذلك الألم بغيره فلا بد أن تصحبه هذه الحالة و قبيح عليه في حق الغير أن يراه يشكر الله على ما قام بذلك الغير من الألم و لا سيما إن كان محبوبا له أو نبيا أو رسولا و بما ينتجه هذا المقام من وجود العافية في ذلك الغير ستر القبح الذي كان لبسه هذا المحقق و أما من ترك العطاء في مثل هذا الموطن الذي ذكرناه فأنت تعرف مما بيناه لك ما سبب ذلك الترك و ما المشهود لهذا التارك في وقت الترك فإنه يندرج علم ذلك كله فيما قررناه فابحث عنه فإنه يطول إن أوردناه و قد أعطيناك المفتاح و عينا لك قفله فافتح ما شئته من ذلك و أما الغني المكتسب في هذا الباب فهو حكمه فإن الإنسان إذا استغنى عن الغير كان دليلا على جهله بالحقائق إذ كان الغير لا أثر له فيه فقد علق غناه بغير متعلق و إن استغنى عن الله تعالى فأجهل و أجهل فإنه خرج بهذا الوصف عن العلم المحقق و عن الإسلام فلا أخسر منه لأنه لا أجهل منه فالاستغناء لا يصح حقيقة فإذا أضيف الغني إلى أحد فهي إضافة عرضية لا ذاتية و لهذا هو الاسم الغني للحق تعالى وصف سلبي سلب عنه الافتقار إلى العالم و من افتقر إلى شيء لم يستغن عنه البتة فالاستغناء على الحقيقة إنما هو بالأسباب من حيث النسب أي من حيث إنها نسب فكل نسبة أذهبت عنك ضدها فهي الحاكمة عليك و هل تسمى بغني أم لا فلك النظر فيها بحسب ما تعطيك حقيقة تلك النسبة فإن كانت أغنتك عن غيرها فهي غنى و أنت غني بها و إن لم تغنك فما هي غنى و لا أنت غني بها فالشبع مثلا بمجرد حقيقته لا يقال فيه إنك قد استغنيت به عن الجوع من حيث حقيقة الجوع لأن الجوع ليس مطلوبا لك حتى تستغني بالشبع عنه و لكن إن كان الجوع إذا قام بك أعطاك من الصفاء و الرقة و اللطافة و التحقق بالعبودة و الافتقار ما يعطيه حقيقته فأنت طالب له غير مستغن عنه فإن أعطاك الشبع ما أعطاك الجوع من كل ما ذكرناه فقد استغنيت بالشبع عن الجوع إذ الجوع ليس مطلوبا لنفسه و إنما هو مطلوب لما ذكرناه فإذا وجدنا ذلك في ضده فلا حاجة لنا به إذ الطبع يرده كما إن الطبع يوجده و لذلك كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتعوذ من الجوع و يقول إنه بئس الضجيع و ذلك لأنه أيضا و إن أعطى ما ذكرناه و لكن لا يقطع أن يكون افتقاره ذلك إلى الله بل قد يكون لغير الله فلذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه إنه بئس الضجيع في العموم فإن شيوخ الطريق يقولون لو بيع الجوع في السوق لزم المريد أن يشتريه و من نظر منهم إلى ما نظره النبي صلى الله عليه و سلم جعله من أغاليط أهل الطريق كأبي عبد الرحمن السلمي إذ عمل أوراقا فيما غلطت فيه الصوفية و هو مذهبنا و للجوع حد و مقدار و هو الجوع المحقق بخلاف الجوع المتخيل فما وقعت الاستعاذة النبوية إلا من الجوع المحقق فإنه يكون به الإنسان عاصيا للشرع ظالما لنفسه إذا كان اختيارا و لهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يجوع قط إلا اضطرارا و هو حال العلماء بالله لأنهم من صفتهم العدل و قد أبنت لك ما فيه كفاية

فإنه تلويح يغني عن التصريح و أما أعمال السعادة فعلاماتها أن يستعمل الإنسان في الحضور مع الله في جميع حركاته و ممكناته و أن تكون مشاهدة نسبة الأفعال إلى الله تعالى من حيث الإيجاد و الارتباط المحمود منها و أما الارتباط المذموم منها فإن نسبه إلى الله فقد أساء الأدب و جهل علم التكليف و بمن تعلق و من المكلف الذي قيل له افعل إذ لو لم يكن للمكلف نسبة إلى الفعل بوجه ما لما قيل له افعل و كانت الشريعة كلها عبثا و هي حق في نفسها فلا بد أن يكون للعبد نسبة صحيحة إلى الفعل من تلك النسبة قيل له افعل و ليس متعلقها الإرادة كالقائلين بالكسب و إنما هو سبب اقتداري لطيف مدرج في الاقتدار الإلهي الذي يعطيه الذليل كاندراج نور الكواكب في نور الشمس فتعلم بالدليل أن للكواكب نورا منبسطا على الأرض لكن ما ندركه حسا لسلطان نور الشمس كما يعطي الحس في أفعال العباد إن الفعل لهم حسا و شرعا و أن الاقتدار الإلهي مندرج فيه يدركه العقل و لا يدركه الحس كاندراج نور الشمس في نور الكواكب فإن نور الكواكب هو عين نور الشمس و الكواكب لها مجلى فالنور كله الشمس و الحس يجعل النور للكواكب فيقول قد اندرج نور الكواكب في نور الشمس و على الحقيقة ما ثم إلا نور الشمس فاندرج نوره في نفسه إذ لم يكن ثم نور غيره و المرائي و إن كان لها أثر فليس ذلك من نورها و إنما النور يكون له أثر من كونه بلا واسطة في الكون و يكون له أثر آخر في مرآة تجليه بحكم يخالف حكمه من غير تلك الواسطة فنور الشمس إذا تجلى في البدر يعطي من الحكم ما لا يعطيه من الحكم بغير البدر لا شك في ذلك كذلك الاقتدار الإلهي إذا تجلى في العبيد فظهرت الأفعال عن الخلق فهو و إن كان بالاقتدار الإلهي و لكن يختلف الحكم لأنه بوساطة هذا المجلى الذي كان مثل المرآة لتجليه و كما ينسب النور الشمسي إلى البدر في الحس و الفعل لنور البدر و هو للشمس فكذلك ينسب الفعل للخلق في الحس و الفعل إنما هو لله في نفس الأمر و لاختلاف الأثر تغير الحكم النوري في الأشياء فكان ما يعطيه النور بوساطة البدر خلاف ما يعطيه بنفسه بلا واسطة كذلك يختلف الحكم في أفعال العباد و من هنا يعرف التكليف على من توجه و بمن تعلق و كما تعلم عقلا إن القمر في نفسه ليس فيه من نور الشمس شيء و أن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها و إنما كان لها مجلى و أن الصفة لا تفارق موصوفها و الاسم مسماه كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء و لا حل فيه و إنما هو مجلى له خاصة و مظهر له و كما ينسب نور الشمس إلى البدر كذلك ينسب الاقتدار إلى الخلق حسا و الحال الحال و إذا كان الأمر بين الشمس و البدر بهذه المثابة مع الخفاء و إنه لا يعلم ذلك كل أحد فما ظنك بالأمر الإلهي في هذه المسألة مع الخلق أخفى و أخفى فمن وقف على هذا العلم فهو من أعلى علامات السعادة و فقد مثل هذا من علامات الشقاء و أريد بهذا سعادة الأرواح و شقاوتها المعنوية و إنما السعادة الحسية و الشقاوة فعلاماتهما الأعمال المشروعة بشروطها و هو الإخلاص قال تعالى أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ و قال وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ و يكفي هذا القدر من

العلامات مجملا و الله الموفق لا رب غيره و أما خيبة المعتمد على الأمور التي نصبها الله للاعتماد عليها و لما ذا يخيب صاحبها مع كون الحق نصبها لهذا الأمر و أهلها له فاعلم أيها الأخ الولي أن الأمور التي نصبها الحق للاعتماد عليها ما خرجت عنه و لكن جعلها هذا الخائب أربابا من دون الله فاعتمد عليها لذواتها لا على من جعلها فاضربه الجهل كما ذكرناه آنفا فالآثار الظاهرة عن نور الشمس في مرآة البدر إذا نظر فيه الناظر و اعتمد على الشمس في ذلك من حيث هذا المجلى الخاص الذي ربط الله الأثر به فهذا لا يخيب فاته أعطى الأمر حقه و هذا لا ينكسف البدر في حقه أبدا و الذي يخيب هو الذي ينكسف البدر في حقه فيبقى في ظلمة جهله مع وجود ذات المرآة القمرية فيكون هذا الخائب مع ذلك المظهر في الظلمات فإن القمر قد حجب في حق هذا الشخص الذي كان يعتمد عليه إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ من دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ و هي الظلمة فإن الظلمة جهنم و أية ظلمة و أي جهنم أعظم من الجهل و بها شبه الله في قوله أَوْ كَظُلُماتٍ فقال ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ و هو جهل على جهل و هو من جهل و لا يعلم أنه جهل فنفى عنه إن يقارب رؤية يده فكيف إن يراها و أدخل اليد هنا دون غيرها لأنها محل وجود الاقتدار و بها يقع الإيجاد أي إذا أخرج اقتداره ليراه لم يقارب رؤيته لظلمة الجهل لأنه لو رآه لرآه عين الاقتدار الإلهي أ لا تراه إذا أخرجه في النور الذي هو العلم رأى يده و هو اقتداره فعلم إن الاقتدار الكوني هو اقتدار الحق لارتفاع الظلمات المتراكمة التي كانت بعضها فوق بعض و لهذا وقع التشبيه بأشد الظلمات فإن ظلمة الجو تقترن معها ظلمة البحر تقترن معها ظلمة الموج تقترن معها ظلمة تراكم الموج تقترن معها ظلمة السحاب التي تحجب أنوار الكواكب فلا يبقى للنور ظهور لا في عينه و لا في مجلى من مجاليه فظلمة الليل ظلمة الطبع و ظلمة البحر ظلمة الجهل و هو فقد العلم و ظلمة الفكر ظلمة الموج و ظلمة الموج المتراكم ظلمة تداخل الأفكار في الشبه و ظلمة السحاب ظلمة الكفر فمن جمع هذه الظلمات فقد خسر خسرانا مبينا و هذه حالة المعطلة لا غيرهم و أما ما يتضمنه هذا المنزل من علم الإفصاح عن درجات القرب الإلهي من حضرة اللسن فاعلم أن ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله الذي أمرنا بالإيمان بمحكمه و متشابهه و لنقبل جميع ما جاء به فإن ناولنا شيئا من ذلك على أنه مراد المتكلم به في نفس الأمر زال عنا درجة الايمان فإن الدليل حكم على الخير فيعطل حكم الايمان و جاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل أما القطع منك بأن هذا الذي أعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما أفصح به فهو عين الجهل و فقد العلم الصحيح و إن صادف العلم و قد زال عنك الايمان و السعادة مرتبطة بالإيمان و بالعلم الصحيح عن علم و العلم الصحيح هو الذي يبقى معه الايمان فعلى العارف أن يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى في خلقه كنيابة القمر عن الشمس في إيصال النور فالأنبياء المرسلون عليهم السلام هم التراجمة عن الحق و الورثة على درجتهم بما يعطيهم الله من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب و سنة فهذا هو علم

الإفصاح مختصر و أما علم تألف الضرتين فاعلم إن أبا سعيد الخراز قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين و تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ أي هو أول من عين ما هو آخر و ظاهر من حيث ما هو باطن لأن الحيثية في حقه واحدة و كل ضدين ضرتان و هذا لا يدرك من قوة العقل فإن قوة العقل لا تعطيه و إنما يدرك هذا من المقام الذي وراء طور العقل الذي كان من ذلك الطور أعطى الواجبات وجوبها و الجايزات جوازها و المستحيلات إحالتها و الأحديات أحديتها فهو الذي جعل الواحد واحدا كما جعل الواجب واجبا بإعطائه الوجوب و ليس في قوة العقل إدراك ما ذكرناه من حيث فكره فهذا علم صحيح إلهي لا عقلي فإذا اجتمع الضدان في العلم الإلهي فقد تألفت الضرتان و تحابا إذ كانا لعين واحدة فتدبر هذا الفصل بنور الايمان لا بنور العقل فإنه مردود عقلا غير مقبول و كما لم يكن في قوة البصر أن يدرك المعقولات و لم يتعد حده كذلك العقل ليس في قوته إن يدرك ما يعطيه البصر بذاته من غير واسطة البصر فإذا عجزت قوة العقل أن تستقل بعلم المبصرات من حيث ما هي مبصرات و هي مخلوقة و قوة البصر مخلوقة فمن له بإدراك ما يخرج عن طوره إلى ما هو أعلى في نسبته إلى الحق و قد عجز عن إدراك ما خرج عن طوره إلى ما هو أنزل درجة و هو الحس في زعمه و من افتقر إلى مخلوق مثله في أمر فهو إلى الخالق أفقر و يكفي هذه الإشارة فيما يعرفه العارفون من ذلك و أما معرفة الاصطلام اللازم و صفة من أعطى مقام هذا الاصطلام من المقربين من أمثالهم ممن لم يعطه فاعلم أن الاصطلام نار ترد على قلوب المحبين تحرق كل شيء تجده ما سوى المحبوب و قد تذهب في أوقات بصورة المحبوب من نفس المحب و هو الوقت الذي يطلب المحب أن يتخيل محبوبه فلا يقدر على تخيله و لا يقيم صورته لقوة سلطان حرقة لهيب نار الحب فيقال فيه في ذلك الحال مصطلم و هو الذي أراد القائل بقوله

أودع فؤادي حرقا أودع ذاتك توذى أنت في أضلعي

وارم سهام الحب أو كفها أنت بما ترمي مصاب معي

موقعها القلب و أنت الذي مسكنه بذاك الموضع

و من هذه الحال قال قيس بن الملوح مجنون بنى عامر صاحب ليلى و كان قد جاءته ليلى و هو مصطلم يأخذ الجليد و يلقيه على صدره فيذيبه من ساعته حرارة الفؤاد و هو يصيح ليلى ليلى طلبا لها لفقد صورتها من خياله فناداته يا قيس أنا مطلوبك أنا ليلى فلم يكن لها في نفسه صورة متخيلة يعرفها بها إلا أنه لما سمع منها اسمها قال لها إليك عني فإن حبك شغلني عنك فهذا حال الاصطلام و هو نعت لازم للحضرة الإلهية مؤثر و لكل اسم إلهي مشهود فيه جمال الحق يحول بين العبد و بين تكييف الحق و يذهب بكل صورة يضبطها أو يتخيلها و لهذا قال صلى الله عليه و سلم ألظوا يا ذا الجلال و الإكرام من الإلظاظ و هو المثابرة و قرن الجلال بالإكرام و ما ورد الجلال قط في

النبويات إلا و الإكرام مصاحب له ليبقى رسم العبد و لا يذهب بعينه فالجلال الذي هو جلال الجمال يكسوك الهيبة فتهاب المقام و هو الذي يجده المحب و العارف في نفسه من تعظيم المحبوب فيؤثر جنابه على كل شيء فإكرام الله به أنه يؤثره على كل شيء و ثم اصطلام يزول في الوقت و هو ما يرد على القلب من مشاهدة المحبوب في صورة الخيال فما دام هذا الخيال دام اصطلامه و الجلال يمحو هذه الصورة من النفس غيرة من تقييده بصورة و له الإطلاق فيزول اصطلام تلك الصورة المقيدة بزوالها و يبقى الاصطلام اللازم الذي هو أثر الجلال في النفس فيرى المحب يكذب الصورة المتخيلة في نفسه التي تقول له أنا محبوبك و يعرض عنها إجلالا لمحبوبه أن يقيده لمعرفته بأن محبوبه لا يتقيد فلهذا يحترق في نفسه حيث يريد أو يتمنى أن يضبط ما لا ينضبط لينعم به و لهذا كان العلم أشرف من المحبة و به أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم أن يسأله الزيادة منه لأنه عين الولاية الإلهية به يتولى الله عباده و به يكرمهم و به يعرفون أنه لا يعرف و أما المحب إذا لم يكن عارفا فهو يخلق في نفسه صورة يهيم فيها و يعشقها فما عبد و لا اشتاق إلا لمن هو تحت حيطته و لا يزيله عن هذا المقام إلا المعرفة فحيرة العارف في الجناب الإلهي أعظم الحيرات لأنه خارج عن الحصر و التقييد

تفرقت الظباء على خداش فما يدري خداش ما يصيد

فله جميع الصور و ما له صورة تقيده و لهذا كان يقول صلى الله عليه و سلم اللهم زدني فيك تحيرا لأنه المقام الأعلى و المنظر الأجلى و المكانة الزلفى و المظهر الأزهى و الطريقة المثلى و من هذه الحضرة صدر الإنذار فعدم القرار و حل البوار بساحة الكفار فلم يبق ستر و لا حجاب إلا مزقه و خرقه هذا المشهد الأسنى فإن الستر يقيد المستور و الحجاب يحد المحجوب و لا حد لذاته و لا تقييد لجلاله فكيف يستره شيء أو تغيب له عين تَجْرِي بِأَعْيُننا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ فمن قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فقد صدق لأنه ما ثم موجود لا يغيب له عين و لا يحصره أين إلا الله فجميع الصور الحسية و المعنوية مظاهره فهو الناطق من كل صورة لا في كل صورة و هو المنظور بكل عين و هو المسموع بكل سمع و هو الذي لم يسمع له كلام فيعقل و لا نظر إليه بصر فيحد و لا كان له مظهر فيتقيد فالهو له لازم لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَمْحُوا و هو عين ما يمحو قال وَيُثْبِتُ و هو عين ما يثبت ف لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في هذا الحكم و به شهد له العلم الصحيح الموهوب فعلم الدليل ينفيه إذ لم يكن بيده منه و لا له تعلق بسوى صفات السلب و التنزيه و علم الكشف يثبته و يبقيه و لا يبد و له مظهرا لا و يراه فيه و العلمان صحيحان فهو لكل قوة مدركة بحسبها ليعرفها أنها ما زالت عن منصبها و أنها لم تحصل بيدها من العلم بالله إلا ما هي عليه في نفسها فذاتها عرفت و نفسها وصفت فخرج عن التقييد و الحدود بظهوره فيها ليكون هو المعبود فقد قضى أن لا يعبد إلا إياه فكانت الأصنام و الأوثان مظاهر له في زعم الكفار فأطلقوا عليها اسم الإله فما عبدوا إلا الإله و هو الذي دل عليه ذلك المظهر فقضى

حوائجهم و سقاهم و عاقبهم إذ لم يحترموا ذلك الجناب الإلهي في هذه الصورة الجمادية فهم الأشقياء و إن أصابوا أو لم يعبدوا إلا الله فانظر إلى هذا السريان الوجودي في هذه المظاهر كيف سعد به قوم و شقي به آخرون قال بعضهم كل ما تخيلته في نفسك أو صوره وهمك فالله بخلاف ذلك فصدق و كذب و أظهر و حجب و قال الآخر لا يكون الحق مدلولا لدليل و لا معقولا للعقول لا تحصله العقول بأفكارها و لا تستنزله المعارف بأذكارها فإذا ذكر فبه يذكر و به يفكر و يعقل فهو عقل العقلاء و فكرة المفكرين و ذكر الذاكرين و دليل الدالين لو خرج عن شيء لم يكن و لو كان في شيء لم يكن فهذا قد أبنت لك ما أثره الاصطلام اللازم و أن العلماء هم المقربون الذين أدركوا هذا المشهد الأحمى و هذه المعرفة العظمى و من سواهم فقد نصب له علامة يعبدها و حقيقة يشهدها و هي ما انطوى عليه اعتقاده لدليل قام عنده أو قلد صاحب دليل فهو عند نفسه قد ظفر بمطلوبه و اعتكف على معبوده و سكن إليه و استراح من الحيرة و كفر بما ناقض ما عنده و كفر بلا شك غيره ممن اعتقد غير معتقده فلهذا يكفر بعضهم ببعض و يلعن بعضهم بعضا دنيا و آخرة و العالم المحقق لما هو الأمر في عينه يتفرج في ذاته و في العالم ظاهره و باطنه فهو العين المصيبة و هو المثل المنزه المنصوص عليه الذي نفى الحق أن يماثل أو يقابل بقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء فالكاف كاف الصفة ما هي زائدة كما يرى بعضهم فبعض العلماء يرى في ذلك أن لو فرض له مثل لم يماثل ذلك المثل فأحرى إن يماثل هو في نفسه و عند بعضهم نفي المثل عن المثل المحقق الذي ذكرناه سئل الجنيد عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه فأثبت الماء و الإناء فأثبت الحرف و المعنى و الإدراك و نفى الإدراك ففرق و جمع فنعم ما قال و بعد أن أبنت لك عن مرتبة الاصطلام اللازم فلنبين لك ما بقي من هذا المنزل و هو العلم بالجود الإلهي الخارج عن الوجوب و هل يكون الحق عوضا ينال بعمل خاص أم لا فاعلم إن لله جودا مقيدا وجودا مطلقا فإنه سبحانه قد قيد بعض جوده بالوجود فقال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أي أوجب و فرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص و هو أنه من عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته و هو عوض عن هذا العمل الخاص و التوبة و الإصلاح من الجود المطلق فجلب جوده بجوده فما حكم عليه سواه و لا قيده غيره و العبد بين الجودين عرض زائل و عرض ماثل قال سهل بن عبد الله عالمنا و امامنا لقيت إبليس فعرفته و عرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي و قلت له و علا بيننا الكلام و طال النزاع بحيث إن وقفت و وقف و حرت و حار فكان من آخر ما قال لي يا سهل الله عز و جل يقول وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فعم و لا يخفى عليك إني شيء بلا شك لأن لفظة كل تقتضي الإحاطة و العموم و شيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال سهل فو الله لقد أخرسني و حيرني بلطافة سياقه و ظفره بمثل هذه الآية و فهم منها ما لم نفهم و علم منها و من دلالتها ما لم نعلم فبقيت حائرا

متفكرا و أخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى فيها فَسَأَكْتُبُها الآية سررت و تخيلت أني قد ظفرت بحجة و ظهرت عليه بما يقصم ظهره و قلت له يا ملعون إن الله قد قيدها بنعوت مخصوصة يخرجها من ذلك العموم فقال فَسَأَكْتُبُها فتبسم إبليس و قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل هذا المبلغ و لا ظننت إنك ها هنا أ لست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته قال سهل فرجعت إلى نفسي و غصصت بريقي و أقام الماء في حلقي و و الله ما وجدت جوابا و لا سددت في وجهه بابا و علمت أنه طمع في مطمع و انصرف و انصرفت و و الله ما أدري بعد هذا ما يكون فإن الله سبحانه ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك بأمد ينتهي أو بأمد لا ينتهي فاعلم يا أخي أني تتبعت ما حكي عن إبليس من الحجج فما رأيت أقصر منه حجة و لا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكى عنه سهل ابن عبد الله تعجبت و علمت أنه قد علم علما لا جهل فيه فهو أستاذ سهل في هذه المسألة و أما نحن فما أخذناها إلا من الله فما لإبليس علينا منة في هذه المسألة بحمد الله و لا غيرها و كذا أرجو فيما بقي من عمرنا و هي مسألة أصل لا مسألة فرع فإبليس ينتظر رحمة الله إن تناله من عين المنة و الجود المطلق الذي به أوجب على نفسه سبحانه ما أوجب و به تاب على من تاب و أصلح فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ عن التقييد في التقييد فلا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه فالعارف كذلك في جوده لا يتقيد و لا يعطي واجبا يجب عليه فإن وجوب العطاء إنما سببه الملك و لا ملك للعارف مع الله فالمال الذي بيد العارف هو لله ليس له و الزكاة تجب في عين المال على رب المال و لا رب له سواه سبحانه فقد أوجب على نفسه أن يخرج من هذا المال مقدارا معينا هو حق لطائفة من خلقه أوجبه لهم على نفسه في هذا المال الذي بيد العارف فيخرج العارف من هذا المال حق تلك الطائفة نيابة عن رب المال كما يخرج الوصي عن اليتيم بحكم الوكالة فإنه وليه و من هذا الباب زلت طائفة في كشفها لهذا المقام فلم تؤد زكاة ما بيدها من المال و رأيت منهم جماعة مع كونهم يخرجون ما هو أكثر من الزكاة و لا يزكونه و يقولون إن الله تعالى لا يجب عليه شيء و هذا المال لله ليس لي و يدي فيه عارية و أنا في هذه المسألة حنفي المذهب فكما لا يجب على ولي اليتيم إخراج الزكاة عن اليتيم لأن اليتيم لا تجب عليه الزكاة في ماله لأنه المخاطب فلا أزكيه فقد بينت لك وفقك الله الجود الإلهي و تقسيمه و أما هل يكون الحق عوضا لعمل خاص أم لا فاعلم إن مالك بن أنس رضي الله عنه يقول في الرجل يعطي الرجل هدية ثم إن المعطى له لا يكافئه فيطلبه بالمكافاة عند الحاكم فللحاكم إن يفصل عليه الأمر لما فيه من الإجمال ليترتب الحكم على التعيين فيقول له حين أعطيته هذه الهدية ما ابتغيت بها هل ابتغيت بها جزاء من الجنة أو معاوضة في الدنيا أو ابتغيت بها وجه الله فإن قال الخصم ابتغيت بها الأجر في الآخرة من الجنة أو المعاوضة في الدنيا حكم على المعطي إياه برد عين ما أخذه منه إن كانت عينه باقية و إن كانت العين قد

ذهبت حكم له بالقيمة على الخلاف في ذلك هل تعتبر القيمة في الشيء في زمان العطاء أو في زمان القضاء و إن قال إنما أعطيتها ابتغاء وجه الله لم يحكم له بشيء في ذلك و قال ليس بيد صاحبك ما قصدته بهديتك فمن وجه أثبته عوضا عنها فيما يظهر فإنه لم يصرح مالك بأكثر من هذا و من وجه ينفي أن يكون عوضا فإنه لا يماثله في القدر شيء من مخلوقاته و الكل نعمته غير أنه المعاوضة على الله لهذا المعطي في الدار الآخرة مما يناسب هديته فإن زاد على ذلك فمن باب المنة و قد قيل

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض

و التحقيق في هذه المسألة أن الحق من حيث ذاته و وجوده لا يقاومه شيء و لا يصح أن يراد و لا يطلب لذاته و إنما يطلب الطالب و يريد المريد معرفته أو مشاهدته أو رؤيته و هذا كله منه ليس هو عينه و إذا كان منه لا عينه فقد يصح أن يكون عوضا فيكون عمله في الدنيا الذي هو الحضور مع الله في قوله اعبد الله كأنك تراه فيكون هذا العمل جزاؤه عند الله رؤيته و هي أرفع المنازل فهي للحاضر هنا في عمله جزاء و هي لغير الحاضر زيادة و منة فهو عند هذا ليس عوضا و هو عند الآخر عوض فيكون الحضور في الدنيا من الجود المطلق من عين المنة و تكون الرؤية من الجود المقيد جزاء بما أوجبه على نفسه فمن جوده شهدت جوده فما خرج عنه شيء و لا أوجب مخلوق عليه شيئا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فإذا أعطى العبد ابتداء لغيره لا جزاء يستحقه ذلك الغير فيكون هذا المعطي لأجل ذلك الاستحقاق تحت قيد الحق فيكون عطاه مثل هذا لا عن استحقاق لا يطلب بذلك إلا وجه الله سواء طلبه بنيته أو لم يطلبه فإن حالة العطاء المبتدأ يعطي ذلك فإنه اتصف فيه بصفة الحق من الجود المطلق حيث لم يكن عطاؤه جزاء و لما كان حاله هذا فكما إن الله تعالى يطلب الجزاء على ما امتن به من النعم على عباده و هو الشكر عليها و معرفة النعم منه و يجازي هو على ذلك الشكر و على تلك المعرفة كذلك يعطى هذا العبد المنعم على غيره ابتداء إطلاق لسان المنعم عليه بالشكر و الثناء عليه ثم يتولى الله جزاءه به لا بالجنة حتى اتصف بهذا العطاء بصفته تعالى فهذا قد أبنت محتملات ما يتضمنه هذا المنزل وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و التسعون و مائتان في معرفة منزل سبب وجود عالم الشهادة

و سبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية»

إذا ما الشمس كان لها شعاع فذاك النور من قبلي أتاها

إذا ما الموت حل بكل نفس فذاك الموت من رب براها

إذا ما جنة المأوى تجلت مزينة إلينا في حلاها

نعمنا بالرياح لما حوته من الطيب الممسك في شذاها

و إن طمست نجوم في سماء فذاك الطمس أورثها زهاها

و إن دخلت نفوس في نفوس فإن دخولها فيها مناها

و عمار القفار لها شرود من الصيد الذي يفنى ذماها

و لو أن الرسول يرى نفوسا ترد رسالتيه لما أتاها

و لو عرضت عليه الحجب عما يجيء به المنازع ما أباها

و لو أن الجواري سابحات إلى أمد لحقق منتهاها

و لو أن الليالي مرسلات غدائرها لما شقوا دجاها

و لو أن الصباح يرى وجوها منورة الجوانب من ضحاها

لأخجله و مات بها عزاما و هيمه و تيمه هواها

و لو أن الهلال يكون بدرا لأربعة و عشر ما تلاها

و لو أن البحار تكون ماء فراتا لم يلذ به سواها

و لو أن الأراضي ذات سطح لما قال المهيمن قد دحاها

و أظهر فبه زينة كل شيء و أخفى حكمة فيه ثراها

و لو أن الديار بها أنيس لكان أنيسها رب بناها

و لكن لا يصح الأنس عندي بذات ما لها صفة تراها

و لو أن العوالي في سفال لكان سفالها أعلى ذراها

و لو أن الرواسي شامخات لكان شموخها ممن علاها

و لكن الشموخ لها مقام به رب البرية قد حباها

و لو أن الصحيفة قيدت من يقيدها لري و قد محاها

و لو أن الجحيم تكون نارا بلا برد مشيت على هواها

و لكن العذاب وجود ضد تراه النفس ذوقا في جناها
و لو أن المحبة ذات شخص لا ضعف شوقها منها قواها
و لو نظر المشرع حين تخلو بمن تهواه شرعا ما نهاها
و لو أن السماء بلا نجوم لنورها قليل من سناها
و لو أن الرياح جرت رخاء لزعزعها و أفقدها رخاها
و لو أن المياه تغور غورا لاحيا العالمين ندا يداها
و لو أن السحاب حمت حياها عن الكفار أغناهم حياها
و لو أن الجبال تسير سيرا لكان سماؤها منها ثراها
و لو أن العيون ترى سناها بلا حجب لحل بها عماها
و لو أن الملوك تراك عينا إذا أقبلتم حلت حباها
و لو نطق الكتاب بكل حمد على أحد من الدنيا عناها
و لو أن المغير يغير صبحا عليها في الفلاة لما سباها
و يثبت في مواقف مهلكات لقوتها إذا أمر دهاها
لقد أقسمت بالسبع المثاني و من سور الحروف بعين طاها
لقد أبصرت عين الشمس تخفى عن الأبصار إذ تعطي نداها
فتبصر جوها بيدي سحابا و تبصر أرضها تزهو رباها
و تظهر حسنها لعمي عيون و يخفى طرفها عنا عناها
و لما قيل قد رحلت و غابت و قد تركت خليفتها أخاها
أجبت رسولها لما أتاني ليسأل أن تكلمني شفاها
فقلت الستر أولى بي لأني رأيت فناء عيني في فناها
فما رحلت لبغض كان منها و لكن كان عن حاد حداها

إجابته لأمر و اعتناء به جود المهيمن قد حذاها

فصار الكل مفتقرا إليها و صار الكون يرغب في حداها

فكم من حفرة قد كنت فيها و لولاها لملت على شفاها

لعلة شهوة لو أن عيسى تؤيده الأساة لما شفاها

و كم من طعمة أكلت بحرص لشهوتها و لم تبلغ أناها

و كم من شهوة نظرت إلينا و نلناها عصمنا من أذاها

و لم تك نفسنا يوما نوتها و كان العقل قد أخفى نواها

مخافة أن تطالبه نفوس بها و العقل يحذر من جفاها

و لا خطرت له يوما ببال و لا حكمت عليه و لا نواها

و لكن الشريعة أثبتتها إلى أهل السعادة في خساها

فنالوها و لم تعقب حجابا و صانهم المهيمن عن زكاها

اعلم أيدنا الله و إياك أن هذه القصيدة و كل قصيدة في أول كل باب من هذا الكتاب ليس المقصود منها إجمال ما يأتي مفصلا في نثر الباب و الكلام عليه بل الشعر في نفسه من جملة شرح ذلك الباب فلا يتكرر في الكلام الذي يأتي بعد الشعر فلينظر الشعر في شرح الباب كما ينظر النثر من الكلام عليه ففي الشعر من مسائل ذلك الباب ما ليس في الكلام عليه بطريق النثر و هي مسائل مفردات تستقل كل مسألة في الغالب بنفسها إلا أن يكون بين المسألتين رابط فيطلب بعضها بعضا كالإنسان فإنه يطلب الكلام في الحيوان بما فيه من الإحساس و يطلب النبات بما فيه من النمو و الغذاء و يطلب الجماد بما فيه مما لا يحس كالأظفار و الشعر فيتعلق بالنبات لنموها و يتعلق بالجماد لعدم إحساسها و ما في الوجود شيء أصلا لا يكون بينه و بين شيء آخر ارتباط أصلا حتى بين الرب و المربوب فإن المخلوق يطلب الخالق و الخالق يطلب المخلوق و لذا كان العلم من العالم على صورة المعلوم و خرج المعلوم على صورة العلم و إن لم يكن كذلك فمن أين يقع التعلق فلا تصح المنافرة من جميع الوجوه أصلا فلا بد أن تتداخل المسائل للارتباط الذاتي الذي في الوجود بين الأشياء كلها فافهم ما أشرت به إليك في هذا الارتباط فإنه ينبئ عن أمر عظيم إن لم تتحققه زلت بك قدم الغرور في مهواة من التلف فإنه من هنا تعرف ما معنى قول من قال بحدوث العالم و من قال بقدم العالم مع الإجماع من الطائفتين بأنه ممكن و إن كل جزء منه حادث و ليس له مرتبة واجب

الوجود بنفسه و إنما هو عند بعضهم واجب الوجود بغيره إما لذات الموجد عند بعضهم و إما لسبق العلم بوجوده عند آخرين و لو لا صحة الارتباط الذي أشرنا إليه لما صح أن يكون العالم أصلا و هو كائن فالارتباط كائن و المنافرة و عدم المنافرة من وجه آخر فكل حقيقة إلهية لها حكم في العالم ليس للأخرى و هي نسب فنسبة العالم إلى حقيقة العلم غير نسبته إلى حقيقة القدرة فحكم العلم فيه لا مناسبة بينه و بين المقدور و إنما مناسبته بينه و بين المعلوم و الأمر من كونه معلوما يغاير كونه مقدورا فإذا نظرته على هذا النسق قلت لا مناسبة بين الله و بين عباده و إذا نظرت بالعين الأخرى أثبت النسبة فإنها موجودة في الكل فاحكم بحسب ما تراه و ما يغلب عليك في الوقت و إذا تبينت الحقائق لذي عينين فليقل ما حد له الشرع أن يقول و لا يقل بعقله فإن إطلاق الألفاظ منها ما هو محجور علينا مع صحة المعنى و منها ما هو مباح لنا مطلقا مع فساد المعنى طلاق نسبة الظرفية لمن لا يقبل الظرفية و كنسبة استفادة العلم لمن لا يستفيد علما فالإطلاق مشروع و الوجه المنافي معقول كما حجر إطلاق نسبة الولد و أدخله تحت حكم لو و كما حجر تبديل القول الإلهي في قوله ما يبدل القول لدي و أدخله تحت لو و لا يدخل تحت لو إلا الممكن و العقل يدل على الإحالة في الولد دلالة عقلية و يدل على الإمكان في هداية الناس أجمعين دلالة عقلية و يدل على إحالة هداية الناس أجمعين لما سبق في العلم من الاختلاف دلالة عقلية و تدل لفظة لو على أنه مخير في نفسه إن شاء شاء أمرا ما و إن شاء لم يشأ ذلك الأمر و هذا ورد به الإخبار الإلهي و يحيله العقل و قد أمرنا الله بالعلم به و جعل الآيات دلائل لأولي الألباب و لكن لما هي دلائل عليه خاصة فلا يخلو الأمر في أمره إيانا بالعلم به هل نسلك في ذلك دلالة الشارع و الوقوف عند إخباره تقليدا أو نسلك طريقة النظر فيكون معقولا أو نأخذه من دلالة العقل ما يثبت به عندنا كونه إلها و نأخذ من دلالة الشرع ما نضيفه إلى هذا الإله من الأسماء و الأحكام فنكون مأمورين في العلم به سبحانه شرعا و عقلا و هو الصحيح فإن الشرع لا يثبت إلا بالعقل و لو لم يكن كذلك لقال كل أحد في الحق ما شاء مما تحيله العقول و ما لا تحيله و هم قد فعلوا ذلك مع الايمان بالشرع و دخلوا بالتأويل في أمور لا حاجة لهم بها و لو استغنوا عنها لم يطالبهم العقل بذلك و لا سألهم الشرع عن ترك ذلك بل يسألهم الشرع عن فعل ذلك و هم فيه على خطر و لا حجة على ساكت إلا إذا وجب عليه الكلام فيما سكت فيه و قد اندرج في هذا الكلام جميع ما ذكرناه في القصيدة التي في أول الباب فإنه جميع ما عدد فيها من الأمور تطلب حقائق إلهية تستند إليها و تنافر حقائق إلهية فمما يتضمن هذا المنزل تجلى الحجاب بين كشفين و تجلى الكشف بين حجابين و ما في المنازل منزل يتضمن هذا الضرب من التجلي إلا هذا المنزل فإن التجلي المنفرد في المظهر من غير بينية يعطي ما لا يعطيه في البينية و التجلي المفرد الذاتي في غير المظهر يعطي ما لا يعطيه في البينية و هذا التجلي الواقع في البينية يعطي الحصر بين أمرين و كل محصور محدود بمن حصره و هذا أعجب المعارف في هذا الطريق أن

يكون التجلي الذاتي الذي له الإطلاق محصورا فهو كما يقال عن القاعد في حال قعوده إنه قائم فظاهر الأمر أنه لا يتصور فسبحان من تنزه عن الأضداد و قبلتها أوصافه قال صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة فإن كان أراد النهار بهذا اللفظ فقد عم التجليات الذاتية و إن اختلفت في حكم التجلي كاختلاف صفة تنزيهه باسمه الغني عن الفقر و صفة تنزيهه بالأحدية عن الشريك بقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ كذلك التجليات الذاتية البصرية مثل هذه التجليات الذاتية العقلية و إن كان أراد بالظهيرة وقتا معينا في النهار و هو الأظهر في المعنى المحقق و اللفظ و عليه أولى أن يحمل هذا القول فإن النهار كله تجل ذاتي لأن الشمس فيه ظاهرة بذاتها فإن النهار جلاها للابصار و إن كان النهار معلولا عنها فظهرت بذاتها من أول شروقها إلى حال غروبها و لها تجل و حكم في كل دقيقة يعرفها من يعرفها و يجهلها من يجهلها و الذي يعرف الكل من ذلك ما امتد زمانه فيفرقون ما بين حكمها في طلوعها و شروقها و حكمها في إشراقها و حكمها في ضحاها و حكمها في زوالها و هو أول غشيها و حكمها في عصرها و حكمها في قبض ضوئها و قلة سلطانه عما كان عليه فيما يقابله من أول النهار و صدره و حكمها عند سقوطها و لكل تجل و إن كان ذاتيا حكم ليس للآخر فما عدا الطرفين فهو تجل ذاتي بين تجليين ذاتيين إلا الطرفين فهو تجل ذاتي عقيب تجل حجابي و الطرف الآخر تجل ذاتي يعقبه تجل حجابي فهو تجل ذاتي بين تجل ذاتي و حجابي و قد رمينا بك على الطريق فافهم من حالات تغير الأحكام الشمسية في هذه الآنات و وقوع التشبيه منها في آن معين و هو الظهيرة و حالة الصحو و عدم السحاب بينها و بين الرائي و خذ أنت في الآنات الباقية آثار التجلي الذاتي فاعلم إن النور المنبسط على الأرض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية إلا بنور البصر المدرك لذلك فإذا اجتمعت العينان عين الشمس و عين البصر استنارت المبصرات و قيل قد انبسط الشمس عليها و لذلك يزول ذلك الإشراق بوجود السحاب الحائل لأن العين فارقت هذه العين الأخرى بوجود السحاب و هي مسألة في غاية الغموض لأني أقول لو أن الشمس في جو السماء و ما في العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع منبسط في الأرض أصلا فإن نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير به غيره فوجود أبصارنا و وجود الشمس معا أظهر النور المنبسط ألا ترى الألوان تنقلب في الجسم الواحد المتلون بالخضرة مثلا أو الحمرة إذا اختلفت منك كيفيات النظر إليه من الاستقامات و الانحرافات كيف يعطيك ألوانا مختلفة محسوسة تدركها ببصرك لا وجود لها في الجسم المنظور إليه في الشمس و لا تقدر تنكر ذلك و لا سيما إذا كان الجسم المنظور إليه في الشمس فقد أدركت ما لا وجود له حقيقة بل نسبة كذلك النور المنبسط على الأرض و كتقلب الحرباء في لون ما تكون عليه من الأجسام على التدريج شيئا بعد شيء ما هي مثل المرآة تقبل الصورة بسرعة و لا هي جسم صقيل و إدراك تقلبها في الألوان محسوس مع علمك بأن تلك الألوان لا وجود لها في

ذلك الجسم الذي أنت ناظر إليه و لا في أعيانها في علمك كذلك العالم مدرك لله في حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الإلهي فيه ففيض الوجود العيني إنما وقع على تلك المرئيات لله في حال عدمها فمن نظر إلى وجود تعلق رؤية العالم في حال عدمه و إنها رؤية حقيقية لا شك فيها و هو المسمى بالعالم و لا يتصف الحق بأنه لم يكن يراه ثم رآه بل لم يزل يراه فمن قال بالقدم فمن هنا قال و من نظر إلى وجود العالم في عينه لنفسه و لم يكن له هذه الحالة في حال رؤية الحق إياه قال بحدوثه و من هنا تعلم أن علة رؤية الرائي الأشياء ليس هو لكونها موجودة كما ذهب إليه من ذهب من الأشاعرة و إنما وجه الحق في ذلك إنما هو استعداد المرئي لأن يرى سواء كان موجودا أو معدوما فإن الرؤية تتعلق به و أما غير الأشاعرة من المعتزلة فإنها اشترطت في الرؤية البصرية أمورا زائدة على هذا تابعة للوجود و لهذا صرفت الرؤية إلى العلم خاصة فأما تجلى الذات بين تجليين حجابيين فلا بد أن يظهر في ذلك التجلي الذاتي من صور الحجابين أمر للرائي فيكون ذلك التجلي له كالمرآة يقابل بها صورتين فيرى الحجابين بنور ذلك التجلي الذاتي في مرآة الذات كما تشهد الفقر في حال تنزيهك الحق عنه سبحانه الغني الحميد و إن لم يكن الأمر كذلك فكيف تنزهه عما ليس بمشهود لك عقلا فهكذا صورة الحجاب في الذات عند التجلي و أوضح من هذا فلا يمكن فإذا أدرك العارف صورة هذين الحجابين أو صورة الحجاب و التجلي الذاتي الذي هذا التجلي الذاتي الآخر بينهما أو أدرك التجليين الذاتيين في مجلى الحجاب الواقع بينهما فليكن ذكره و عمله بحسب ما تعطيه تلك الصورتان في ذلك المجلى و العلة في أنه لا يدرك أبدا في التجلي أي تجل كان إلا صورتين لا بد منهما لكون الواحد يستحيل أن يشهد في أحديته و لما كان الإنسان لا تصح له الأحدية و هو في الرتبة الثانية من الوجود فله الشفعية لهذا لا يشاهد في التجلي إلا الصورتين الذي هو المجلى بينهما فلا يرى الرائي من الحق أبدا حيث رآه إلا نفسه فهذا التجلي يعرفك بنفسك و بنفسه فإن كان التجلي بين حجابين كانت الصورتان عملا إن كان في الدنيا فيكون عمل تكليف مشروع و إن كان في الآخرة فيكون عمل نعيم في منكوح أو ملبوس أو مأكول أو مشروب أو تفرج بحديث أو كل ذلك أو ما أشبه ذلك بحسب الحجاب و لهذا إذا رجع الناس من التجلي في الدار الآخرة يرجعون بتلك الصورة و يرون ملكهم بتلك الصورة و بها يقع النعيم و يظهر أن النعيم متعلقة الأشياء و ليس كذلك و إنما متعلق النعيم وجود الأشياء أو إدراكها على تلك الصور الحجابية التي أدركها في المجلى الذاتي و إن كان التجلي تجليا حجابيا بين تجليين ذاتيين كتجلي القمر بين الضحى و الظهيرة و تجلى الليل بين نهارين كانت الصورتان في ذلك المجلى الحجابي علما لا عملا و لكن من علوم التنزيه فتتحلى به النفس و تنعم به النعيم المعنوي و تلك جنتها المناسبة لها فافهم و إن كان التجلي الذاتي بين تجل حجابي و ذاتي كانت الصورتان صورة علم لا صورة عمل فالتجلي الذاتي في الذاتي صورة علم تنزيه لا غير و صورة التجلي الحجابي فيه صورة علم تشبيه

و هو تخلق العبد بالأسماء الإلهية و ظهوره في ملكه بالصفات الربانية و في هذا المقام يكون المخلوق خالقا و يظهر بأحكام جميع الأسماء الإلهية و هذه مرتبة الخلافة و النيابة عن الحق في الملك و به يكون التحكم له في الموجودات بالفعل بالهمة و المباشرة و القول فأما الهمة فإنه يريد الشيء فيتمثل المراد بين يديه على ما أراده من غير زيادة و لا نقصان و أما القول فإنه يقول لما أراده كُنْ فَيَكُونُ ذلك المراد أو يباشره بنفسه إن كان عملا كمباشرة عيسى الطين في خلق الطائر و تصويره طائرا و هو قوله لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ فللإنسان في كل حضرة إلهية نصيب لمن عقل و عرف و إن كان التجلي الحجابي بين تجل حجابي و ذاتي فالتجلي الحجابي في الحجابي علم ارتباطه بالحق من حيث ما هو دليل عليه و كونه سببا عنه و أنه على صورته و نسبة الشبه به و أما صورة التجلي الذاتي في الحجابي فهو علم تجلى الحق في صفات المخلوق من الفرح و التعجب و التبشبش و اليد و القدم و العين و الناجذ و اليدين و القبضة و اليمين و القسم للمخلوق بالمخلوقين و بنفسه و اتصافه بحجب النور و الظلم و بحصر سبحانه المحرقة خلف تلك الحجب النورية و الظلمية و قد حصرت لك مقام التجليات في أربع و ليس ثم غيرها أصلا و لما أعطت الحقيقة في التجليات الإلهية إنها لا تكون إلا في هذه الأربع في العالم كانت الموجودات كلها على التربيع في أصلها الذي ترجع إليه فكل موجود لا بد أن يكون في علمه علم تنزيه أو علم تشبيه و في عمله إما في عمل صناعي أو عمل فكري روحاني و لا تخلو من هذه الأربعة الأقسام و كذا الطبيعة أعطت بذاتها لحكم هذه التجليات فإن الموجودات إنما خرجت على صورة هذه التجليات فكانت الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة و هي في كل جسم بكمالها غير أنه قد تكون في الجسم على التساوي في القوة و هو سبب بقاء ذلك الجسم و قد لا تكون في الجسم على السواء في القوة فتكون العلل لذلك الجسم مستصحبة و حالات الأمراض تنقلب عليه بحسب غلبة بعضها على بعض فإن أفرطت كان الموت و إفراطها منها فإن السبب الموجب لإفراطها إنما وقع منها بمأكول يأكله الإنسان أو الحيوان فما يكون الغالب في ذلك المأكول أو المباشر يزيد في كمية ما يناسبه من الجسم إن كان حارا قوي الحرارة و إن كان باردا قوي البرودة و كذلك ما بقي ثم إنه لما ألف بين هذه الأربعة لم يظهر إلا أربعا و لا قبلت إلا أربعة وجوه فإن حقائق تلك التجليات الأربعة أعطت أن لا تأتلف من هذه الأربع إلا وزنها في العدد و لهذا كانت منها المنافرة من جميع الوجوه و المناسبة كما ذكرناه في الإلهيات في أول هذا الباب و تلك الحقيقة الإلهية حكمت على العالم أن يكون بتلك المثابة إذ كان المعلوم على صورة العلم و علمه ذاته فافهم فالمنافرة كالحرارة و البرودة و كذلك الرطوبة و اليبوسة فلذلك لا تجتمع الحرارة و البرودة و لا الرطوبة و اليبوسة في حكم أبدا و أوجد الله العناصر أربعة عن تأليف هذه الطبائع فكان النار عن الحرارة و اليبوسة ثم لم يجعل ما يليه ما ينافره من جميع الوجوه بل جعل إليه ما يناسبه من وجه و إن فارقه من وجه فكان الهواء له جارا بما يناسبه من الحرارة و إن نافره

بالرطوبة فإن للوساطة أثرا و حكما لجمعها بين الطرفين فقويت على المنافرة لهما فالهواء حار رطب فبما هو حار يستحيل إلى النار بالمناسب و غلب الوساطة و بما هو رطب يستحيل إلى الماء بالمناسب ثم جاور الهواء من الطرف الأسفل الماء فقبل الهواء جوار النار للحرارة و قبل جوار الماء للرطوبة و إن نافره بالبرودة كما نافره الهواء بالحرارة و كذلك جاور بين التراب و بين الماء للبرودة الجامعة لمجاورتهما فما ظهر عنها إلا أربعة لذلك الأصل و كذلك الجسم الحيواني المولد جعل أثر النار فيه الصفراء و أثر الهواء الدم و أثر الماء البلغم و أثر التراب السوداء فركب الجسم على أربع طبائع و كذلك القوي الأربعة الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة و كذلك قرن السعادة و الشقاء بالأربعة باليمين و الشمال و الخلف و الأمام لأن الفوقية لا يمشي الجسم فيها بطبعه و التحتية لا يمشي فيها الروح بطبعه و الإنسان و الحيوان مركب منهما فما جعلت سعادته و شقاوته إلا فيما يقبله طبعه في روحه و جسمه و هي الجهات الأربع و بها خوطب و منها دخل عليه إبليس فقال ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ و لم يقل من فوقهم و لا من تحتهم لما ذكرناه فإبليس ما جاءه إلا من الجهات التي تؤثر في سعادته إن سمع منه و قبل ما يدعوه إليه و في شقاوته إن لم يسمع منه و لم يقبل ما دعاه إليه فسبحان العليم الحكيم مرتب الأشياء مراتبها و هكذا فعل العالم الجسماني العلوي فجعل البروج التي جعل الأحكام عنها في العالم على أربع نارية و ترابية و هوائية و مائية و كذلك جعل أمهات المطالب أربعة هل و ما و لم و كيف و كذلك أمهات الأسماء المؤثرة في العالم و هو العالم و المريد و القادر و القائل فعلمه بكونه يكون في وقت كذا على حالة كذا دون ذلك لا يمكن فهذا العلم علق الإرادة بتعين ذلك الحال فالقائل علق القدرة بإيجاد تلك العين فعلم فأراد و قال فقدر فظهرت الأعيان عن هذه الأربعة فالحرارة للعلم و اليبوسة للإرادة و البرودة للقول و الرطوبة للقدرة فللحرارة التسخين و لليبوسة التجفيف و للرطوبة التليين و للبرودة التبريد قال تعالى و لا رطب و لا يابس فذكر المنفعلين دون الفاعلين لدلالتهما على من كانا منفعلين عنهما و هما الحرارة انفعل عنها اليبوسة و كذلك البرودة انفعل عنها الرطوبة فانظر ما أعطته هذه التجليات بحصرها فيما ذكرناه و كذلك العالم سعيد مطلق و شقي مطلق و شقي ينتقل إلى سعادة و سعيد ينتقل إلى شقاوة فانحصرت الحالات في أربع و منه الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ و ما ثم خامس و هذه نعوت نسبته مع العالم و مراتب العدد أربعة لا خامس لها و هي الآحاد و العشرات و المئات و الآلاف ثم يقع التركيب و تركيبها كتركيب الطبائع لوجود الأركان سواء و اعلم يا أخي أنه ليلة تقييدي لبقية هذا المنزل من بركاته رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد استلقى على ظهره و هو يقول ينبغي للعبد أن يرى عظمة الله في كل شيء حتى في المسح على الخفين و لباس القفازين و كنت أرى في رجليه صلى الله عليه و سلم نعلين أسودين جديدين و في يديه قفازين و كأنه يشير إلي مسرورا بما وضعته في هذا المنزل من العلم بما يستحقه جلال الله ثم يقول

ما دام البدر طالعا فالنفوس في البساتين نائمة و في جواسقها آمنة فإذا كان الظلام و لم يطلع البدر خيف من اللصوص فينبغي إن يدخل الإنسان المدينة حذرا من اللصوص فكنت أفهم عنه من هذا الكلام أنه يريد أن النفوس إذا كان شهود الحق غالبا عليها محققة به و فيه عند من يدخل بساتين معرفة الله و الكلام في جلاله على ضروبه و كثرة فنونه فشبه الحق بالبدر و شبه ما تحويه البساتين من ضروب الفواكه بما تحوي عليه الحضرة الإلهية من معارف الأسماء الإلهية و صفات الجلال و التعظيم و فهمت منه في المنام من قوله إذا غاب البدر و ذلك شهود الحق في الأشياء و الحضور معه و النية الخالصة فيه كان ظلام الجهل و الغفلة عن الله و الخطاء و خيف من اللصوص يريد الشبه المضلة الطارئة لأصحاب النظر الفكري و أصحاب الكشف الصوري فذكر ذلك خوفا على النفوس إذا اشتدت في الكلام على ما يستحقه جناب الحق فليدخل المدينة يريد فليتحصن من ذلك بالشرع الظاهر و ليلزم الجماعة و هم أهل البلد فإن يد الله مع الجماعة ثم رأيته صلى الله عليه و سلم يتقلق قلقا عظيما بجميع أعضائه لعظيم ما هو فيه من السرور بما يتضمنه هذا المنزل من المعرفة و كانتا في الليل و البدر طالع حتى كان منه في النهار أرى البدر يضيء في كبد السماء و قائل يقول لمير رسول الله صلى الله عليه و سلم في قلق عظيم لما يرد عليه من الله و يشهده و استيقظت فقيدت الرؤيا في هذا المنزل و استبشرت بما رأيته لله الحمد على ذلك و يتضمن هذا المنزل علوما جمة و ما من منزل إلا و يحتمل ما يحوي عليه من المعارف مجلدات كثيرة فقلت لأصحابي في هذه الليلة إنما أجعل من المنزل بعض ما يحوي عليه من المعارف مسألة من مسائله فسألني بعض أصحابي قال إذا كان الأمر على هذا فنبهنا على عدد ما يحويه من المسائل بذكر رءوس أصولها خاصة لنعرفها من غير تفصيل مخافة التطويل فقلت إن شاء الله ربما أفعل ذلك فبما بقي علينا من هذه المنازل في هذا الكتاب فكانت على هذه الليلة ليلة مباركة فاعلم إن هذا المنزل يتضمن علم التجلي في النجوم على كثرتها في كل نجم منها في آن واحد برؤية واحدة و علم تداخل التجليات و علم تجلى التابع و المتبوع و هل يحصل للتابع ذوق من تجلى المتبوع أم لا فإن المتبوع إنما جاء يدعو إلى الله ما جاء يدعو إلى نفسه فقال تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ و قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فجعل للتابع نصيبا في الدعاء إلى الله فكل علم يستقل به الإنسان من كونه عاقلا لا يحتاج فيه إلى غيره من رسول و لا دل عليه كالعلم بتوحيد الله و ما يجب له و كذلك ما يحصل له من الفيض الإلهي في الكشف في خلواته و طهارة نفسه بمكارم الأخلاق فمثل هذا يكون له من التجلي مثل ما للمتبوع لأنه ليس بتابع إنما هو ذو بصيرة إما لدليل عقل سار أو لكشف محقق هو فيه مثل المتبوع و كل إنسان ما له هذا المقام و كان الذي عنده من العلم بالله أخذه إيمانا من المتبوع و مشى عليه و يكون ذلك العلم مما لا يمكن أن يحصل إلا على طريقة الرسول صلى الله عليه و سلم و هو علم التقرب إلى الله

من كونه قربة لا من كونه علما و كذلك الأعمال البدنية و القلبية على طريق القربة لا تعلم إلا من المتبوع فإذا كان التجلي في هذا المقام لصاحب هذا العلم فلا يلحق فيه التابع المتبوع أبدا فهو للمتبوع تجل شمسي و هو للتابع تجل قمري و نجومي فاعلم ذلك و مما يتضمنه هذا المنزل تجلى الحق لأهل الشقاء في غير الاسم الرب مع أن الله ما جعل الحجاب إلا في يومئذ مخصوصا و في اسم الرب المضاف إليهم لا في إطلاق الاسم فهم في الحجاب في زمان مختص من اسم مضاف خاص بهم فلا يمنع تجليه في هذا الاسم الخاص لهم في غير ذلك الزمان و في اسم الرب المطلق و في غيره من الأسماء قال تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ فأضافه إليهم يومئذ لَمَحْجُوبُونَ فجعله زمانا معينا فافهم و يتضمن هذا المنزل أنه ليس كل تجل يقع به النعيم و أن النعيم بالتجلي إنما يقع للمحبين المشتاقين الذين وفوا بشروط المحبة و يتضمن هذا المنزل بطون عالم الشهادة في الغيب فيرجع ما كان شهادة غيبا و ما كان غيبا شهادة و هكذا ذهب إليه بعض العارفين في نشأة الآخرة إن الأجسام تكون مبطونة في الأرواح و أن الأرواح تكون لها ظروفا ظاهرة بعكس ما هي في الدنيا فيكون الظاهر في الدار الآخرة و الحكم للروح لا للجسم و لهذا يتحولون في أية صورة شاءوا لغلبة الروحية عليهم و غيبية الجسم فيها كما هم اليوم عندنا الملائكة و عالم الأرواح يظهرون في أية صورة شاءوا و من منازل أصحاب الكشف الذين أنكروا حشر الأجسام فإنهم أبصروا في كشفهم الأمر الواقع في الدار الآخرة و رأوا أرواحا تتحول في الصور كما يريدون و غيب عنهم ما تحوي عليه تلك الأرواح من الجسمية كما غاب عنهم في هذه الدار في البشر الروحانية المبطونة في الأجسام فكانت الأجسام قبورا لها و في الآخرة بالعكس الأرواح قبور الأجسام فلهذا أنكروا ذلك و الكشف التام الذي فزنا به و أصحابنا هنا و في الآخرة إنا كشفنا الأرواح هنا و غلب الأجسام الطبيعية عليها في الصورة الظاهرة فلا يرى من الأرواح في ظاهر الأجسام إلا آثارها و لولا الموت و النوم ما عرف غير المكاشف إن ثم أمرا زائدا على ما يشاهده في الظاهر و مع وجود الموت و السكون و ظهور الجسم عريا عما كان له من الآثار ذهبت طائفة إلى هذا المذهب و هم الحشيشية فما رأت أن ثم خلف هذه الصورة الظاهرة شيئا أصلا فكيف بهؤلاء لو لم يكن موت في العالم و يتضمن هذا المنزل معرفة العالم العلوي و ترتيب صورته في تركيبه و إنه على خلاف ما يذكره أصحاب علم الهيئة و إن كان ما قالوه يعطيه الدليل و يجوز أن يكون الله يرتبه على ذلك و لكن ما فعل مع أنه يعطي هذا الترتيب ما يعطيه ما ذهب إليه أصحاب علم الهيئة و يتضمن علم ما أودع الله في العالم السفلي في ترتيبه من الأمور و يتضمن معرفة المكلفين و من أين كلفت و ما يحركهم و يتضمن علم القربات و يتضمن علم سبب قصم الجبابرة المتكبرين على الله و يتضمن إلحاق الحيوان بالإنسان في العلم بالله و يتضمن علم العواقب و ما آل كل عالم فقد ذكرت رءوس و مسائله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و التسعون و مائتان في معرفة المنزل المحمدي المكي من الحضرة الموسوية»

حرم الله قلب كل نبي و كذا قيل قلب كل ولي

ورثوه و ورثوه بينهم في علوم و في مقام علي

فإذا ما نسبت للشرع علما فاطلب العلم في حروف الروي

و بحار لها معارف نور في شريف محقق و دني

و نبي مطهر و رسول و فقير ممردك و غني

و نعيم مرتب في علو و عذاب مقسم في ركي

اعلم أن هذا المنزل يتضمن علم مرتبة العالم عند الله بجملته و هل العدم له مرتبة عند الله يتعين تعظيمه من أجلها أم لا و هل من خلق من أهل الشقاء المغضوب عليه له مرتبة تعظيم عند الله أم لا و هل التعظيم الإلهي له أثر في المعظم بحيث أن يسعد به أم لا و ما سبب تعظيم الله العالم و هل لمن عظم العالم من الخلق صفة يعرف بها أم لا و ما الأسماء الإلهية التي تضاف إلى المخلوقين في مذهب من يقول ما أقسم الله قط إلا بنفسه لكن أضمره تارة و أظهره في موطن آخر ليعلم أنه مضمر فيما لم يذكر و جميع ما يتعلق بهذا الفن يتضمنه هذا المنزل إن ذكرناها على التفصيل طال الكلام و مما يتضمن هذا المنزل علم خلق الإنسان من العالم و هل الحيوان مشارك له في هذا الخلق أم هو خصيص به و لم خص بهذا الضرب من الخلق و إن كان يشاركه الحيوان فيه فلم عين الإنسان بالذكر وحده و لما ذا ذكرت لفظة الإنسان في القرآن حيثما ذكرت و نيط بذكرها إما الذم و إما الضعف و النقص و إن ذكر بمدح أعقبه الذم منوطا به فالذم كقوله إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ و الضعف و النقص مثل قوله خَلَقْنَا الْإِنْسانَ من سُلالَةٍ من طِينٍ و قوله لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ و الذم العاقب للمدح كقوله لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هذا مدح ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ هذا ذم و يتضمن علم مال أصحاب الدعاوي التي تعطيها رعونة الأنفس و يتضمن تقرير النعم الحسية و المعنوية و يتضمن التخلق بالأسماء و يتضمن علم القوة التي أعطيها الإنسان و أن لها أثرا و في ذلك رد على الأشاعرة و تقوية للمعتزلة في إضافة الأفعال إلى المكلفين و يتضمن علم ما يقع فيه التعاون و يتضمن علم مال عرف الدليل و تركه لهوى نفسه فهذا جميع رءوس ما يتضمنه هذا المنزل من المسائل و هي تتشعب إلى ما لا يحصى كثرة إلا عن مشقة كبيرة فأما مرتبة العالم عند الله بجملته فاعلم إن الله تعالى ما خلق العالم لحاجة كانت له إليه و إنما خلقه دليلا على معرفته ليكمل بذلك ما نقص من مرتبة الوجود و مرتبة المعرفة فلم يرجع إليه سبحانه من خلقه وصف كمال لم يكن عليه بل له الكمال

على الإطلاق و لا أيضا كان العالم في خلقه مطلوبا لنفسه لأنه ما طرأ عليه من خلقه صفة كمال بل له النقص الكامل على الإطلاق سواءخلق أو لم يخلق بل كان المقصود ما ذكرناه مرتبة الوجود و مرتبة المعرفة أن تكمل بوجود العالم و ما خلق الله فيه من العلم بالله لما أعطاه التقسيم العقلي فإن وصف العالم بالتعظيم فمن حيث نصب دليلا على معرفة الله و أن به كملت مرتبة الوجود و مرتبة المعرفة و الدليل يشرف بشرف مدلوله و لما كان العلم و الوجود أمرين يوصف بهما الحق تعالى كان لهما الشرف التام فشرف العالم لدلالته على ما هو شريف فإن قال القائل كان يقع هذا بجوهر فرد يخلقه في العالم إن كان المقصود الدلالة قلنا صدقت و ذلك أردنا إلا أن لله تعالى نسبا و وجوها و حقائق لا نهاية لها و إن رجعت إلى عين واحدة فإن النسب لا تتصف بالوجود فيدخلها التناهي فلو كان كما أشرت إليه لكان الكمال للوجود و المعرفة بما يدل عليه ذلك المخلوق الواحد فلا يعرف من الحق إلا ما تعطيه تلك النسبة الخاصة و قد قلنا إن النسب لا تتناهى فخلق الممكنات لا تتناهى فالخلق على الدوام دنيا و آخرة فالمعرفة تحدث على الدوام دنيا و آخرة و لذا أمر بطلب الزيادة من العلم أ تراه أمره بطلب الزيادة من العلم بالأكوان لا و الله ما أمر إلا بالزيادة من العلم بالله بالنظر فيما يحدثه من الكون فيعطيه ذلك الكون عن أية نسبة إلهية ظهر و لهذا نبه صلى الله عليه و سلم القلوب بقوله في دعائه اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك و الأسماء نسب إلهية و الغيب لا نهاية له فلا بد من الخلق على الدوام و العالم من المخلوقين لا بد أن يكون علمه متناهيا في كل حال أو زمان و أن يكون قابلا في كل نفس لعلم ليس عنده محدث متعلق بالله أو بمخلوق يدل على الله ذلك العلم فافهم فإن قال القائل فالأجناس محصورة بما دل عليه العقل في تقسيمه و كل ما يخلق مما لا يتناهى داخل في هذا التقسيم العقلي إذ هو تقسيم دخل فيه وجود الحق قلنا التقسيم صحيح في العقل و ما تعطيه قوته كما أنه لو قسم البصر المبصرات لقسمها بما تعطيه قوته و كذلك السمع و جميع كل قوة تعطي بحسبها و لكن ما يدل ذلك على حصر المخلوقات فإنها قسمت على قدر ما تعطي قوتها و ما من قوة تعطي أمرا و تحصر القسمة فيه إلا و يخرج عن قسمتها ما لا تعطيه قوتها فقوة السمع تقسم المسموعات و متعلقها الكلام و الأصوات لا غير فقد خرج عنها المبصرات كلها و المطعومات و المشمومات و الملموسات و غيرها و كذلك أيضا العقل لما أعطى بقوته ما أعطى لم يدل ذلك على أنه ما ثم أمور إلهية لا تعطي العلم بتفاصيلها و حقائقها قوة العقل و إن دخلت في تقسيمه من وجه فقد خرجت عنه من وجوه و جائز أن يخلق الله في عبده قوة أخرى تعطي ما لا تعطيه قوة العقل فيرد المحال واجبا و الواجب محالا و الجائز كذلك فمن جهل ما تقتضيه الحضرة الإلهية من السعة بعدم التكرار في الخلق و التجليات لم يقل مثل هذا القول و لا اعترض بمثل هذا الاعتراض فإن قال لا بد أن يكون ما خلق تحت حكم العقل و داخلا في تقسيمه إما تحت قسمة النفي أو الإثبات قلنا صدقت ما

تمنع أن يكون ما يعلم مما كان لا يعلم إما في قسم النفي أو الإثبات و لكن ما يدخل تحت ذلك النفي أو الإثبات هل يعطي ما يعطي النفي من العلم أو يعطي ما يعطي الإثبات من العلم أو يعطي أمرا آخر فإن النفي قد أعطى من العلم بالله ما أعطى من حيث ما هو نفي لا من حيث ما هو تحت دلالته من المنفيات التي لا نهاية لها و إن الإثبات قد أعطى من العلم بالله ما أعطى من حيث ما هو إثبات لا من حيث ما تحت دلالته من المثبتين فإذا الإيجاد مستمر و العلم فينا يحدث بحدوث الإيجاد و المعلوم الذي تعلق به العلم من ذلك الدليل الخاص ليس هو المعلوم الآخر فهو معلوم لله لا للعالم فكملت مرتبة ذلك العلم بوجوده في هذا العالم الكوني و كملت مرتبة الوجود الخاص بهذا الموجود بظهور عينه و الذي يعطيه كل موجود من العلم الذوقي لا يعطيه الآخر و لقد يجد الإنسان من نفسه تفرقة ذوقية في أكله تفاحة واحدة في كل عضة يعض منها إلى أن يفرغ من أكلها ذوقا لا يجده إلا في تلك العضة خاصة و التفاحة واحدة و يجد فرقانا حسيا في كل أكلة منها و إن لم يقدر يترجم عنها و من تحقق ما ذكرناه يعلم أن الأمر خارج عن طور كل قوة موجودة كانت تلك القوة عقلا أو غيره فسبحان من تعلق علمه بما لا يتناهى من المعلومات لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قال تعالى وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ من عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ و قد بين لك في هذه الآية أن العقل و غيره ما أعطاه الله من العلم إلا ما شاء وَلا يُحِيطُونَ به عِلْماً و لذا قال وَعَنَتِ الْوُجُوهُ عقيب قوله وَلا يُحِيطُونَ به عِلْماً أي إذا عرفوا أنهم لا يحيطون به علما خضعوا و ذلوا و طلبوا الزيادة من العلم فيما لا علم لهم به منه و الوجوه هنا أعيان الذوات و حقائق الموجودات إذ وجه كل شيء ذاته و كل ما خلق الله من العالم فإنما خلقه الله على كماله في نفسه فذلك الكمال وجهه قال تعالى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فقد أكمله ثُمَّ هَدى فأعطى الهدى أيضا الذي هو البيان هنا خلقه فأبان الأمر بعبيده على أكمل وجوهه عقلا و شرعا ما أبهم و لا رمز و لا لغز إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ و لو لا البيان ما فصل بين المتشابه و المحكم ليعلم أن المتشابه لا يعلمه إلا الله و المحكم يتعلق به علمنا فلو لم ينزل المتشابه لنعلم أنه متشابه لكوننا نرى فيه وجها يشبه أن يكون وصفا للمخلوق و يشبه أن يكون وصفا للخالق فلا يعلم معنى ذلك المتشابه إلا الله فلو لم ينزل المتشابه لم يعلم أن ثم في علم الله ما يكون متشابها و هذا غاية البيان حيث أبان لنا أن ثم ما يعلم و ثم ما لا يعلمه إلا الله و قد يمكن أن يعلمه الله من يشاء من خلقه بأي وجه شاء أن يعلمه و مما يتضمن هذا المنزل العلم بالأقسام الإلهية التي وردت في الشرائع المتقدمة و المتأخرة لما أقسم و إذا أقسم بمن أقسم هل بنفسه أو بمخلوقاته أو بهذا وقتا و بهذا وقتا آخر مثل قوله تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا فأقسم بالله و كقوله فَوَ رَبِّكَ فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ و كقوله وَالذَّارِياتِ وَالْمُرْسَلاتِ وَالصَّافَّاتِ وَالنَّجْمِ وَالشَّمْسِ و غير ذلك من المخلوقين الذين أقامهم في الظاهر مقام أسمائه فإن كان أضمر فما أضمر من الأسماء و على كل حال فلها شرف عظيم بإضافتها إليه سواء أظهر الاسم أو لم يظهر و القسم العام فَلا أُقْسِمُ بما

تُبْصِرُونَ وَما لا تُبْصِرُونَ فدخل في هذا القسم من الموجودات جميع الأشياء و دخل فيه العدم و المعدومات و هو قوله وَما لا تُبْصِرُونَ و ما تبصرونه في الحال و المستقبل و المستقبل معدوم فللأشياء نسبة إلى الشرف و التعظيم و كذلك العدم فأما شرف العدم المطلق فإنه يدل على الوجود المطلق فعظم من حيث الدلالة و هو مما يجري على ألسنة الناس و قد نظم ذلك فقيل و بضدها تتميز الأشياء فالعدم ميز الوجود و الوجود ميز العدم و أما شرف العدم المقيد فإنه على صفة تقبل الوجود و الوجود في نفسه شريف و لهذا هو من أوصاف الحق فقد شرف على العدم المطلق بوجه قبوله للوجود فله دلالتان على الحق دلالة في حال عدمه و دلالة في حال وجوده و شرف العدم المطلق على المقيد بوجه و هو أنه من تعظيمه لله و قوة دلالته إنه ما قبل الوجود و بقي على أصله في عينه غيرة على الجناب الإلهي أن يشركه في صفة الوجود فينطلق عليه من الاسم ما ينطلق على الله و لما كان نفس الأمر على هذا شرع الحق للموجودات التسبيح و هو التنزيه و هو أن يوصف بأنه لا يتعلق به صفات المحدثين و التنزيه وصف عدمي فشرف سبحانه لعدم المطلق بأن وصف به نفسه فقال سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ تشريفا للعدم لهذا القصد المحقق منه في تعظيم الله فإنه أعرف بما يستحقه الله من المعدوم المقيد فإنه له صفة الأزل في عدمه كما للحق صفة الأزل في وجوده و هو وصف الحق بنفي الأولية و هي وصف العدم بنفي الوجود عنه لذاته فلم يعرف الله مما سوى الله أعظم معرفة من العدم المطلق و لما كان للعدم هذا الشرف و كان الدعوى و المشاركة للموجودات لهذا قيل لنا وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً أي و لم تك موجودا فكن معي في حال وجودك من عدم الاعتراض في الحكم و التسليم لجاري الأقدار كما كنت في حال عدمك فجعل شرف الإنسان رجوعه في وجوده إلى حال عدمه فلو لا شرف العدم بما ذكرناه ما نبه الحق الموجود المخلوق على الرجوع إلى تلك الحالة في الحكم لا في العين و لا يقدر على هذا الوصف من الرجوع إلى العدم بالحكم مع الوجود العيني إلا من عرف من أين جاء و ما يراد منه و ما خلق له فقد تبين لك من شرف العدم المطلق ما فيه كفاية و هذه مسألة أغفلها الناس و لم يعقلوها عن الله حين ذكرها و لما تبين أن الشرف للموجودات و المعدومات إنما كان من حيث الدلالة وجب تعظيمها فقال تعالى وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها من تَقْوَى الْقُلُوبِ و الشعائر هي الإعلام فهي الدلالات فمن عظمها فهو تقي في جميع تقلباته فإن القلوب من التقليب و ما قال سبحانه إن ذلك من تقوى النفوس و لا من تقوى الأرواح و لكن قال من تَقْوَى الْقُلُوبِ لأن الإنسان يتقلب في الحالات مع الأنفاس و هو إيجاد المعدومات مع الأنفاس وَمن يَتَّقِ اللهَ في كل تقلب يتقلب فيه فهو غاية ما طلب الله من الإنسان و لا يناله إلا الأقوياء الكمل من الخلق لأن الشعور بهذا التقلب عزيز و لهذا قال شَعائِرَ اللهِ أي هي تشعر بما تدل عليه و ما تكون شعائر إلا في حق من يشعر بها و من لا يشعر بها و هم أكثر الخلق فلا يعظمها فإذا لا يعظمها إلا من قصد الله في جميع توجهاته و تصرفاته كلها و لهذا ما ذكرها

الله إلا في الحج الذي هو تكرار القصد و لما كان القصد لا يخلو عنه إنسان كان ذكر الشعائر في آية الحج و ذكر المناسك و هي متعددة أي في كل قصد فكان سبب القسم بالأشياء طلب التعظيم من الخلق للأشياء حتى لا يهملوا شيئا من الأشياء الدلالة على الله سواء كان ذلك الدليل سعيدا أو شقيا و عدما أو وجودا أي ذلك كان و إن كان القصد الإلهي بالقسم نفسه لا الأشياء بل المقصود الأمران معا و هو الصحيح فاعلم أنه ليس المراد بهذا القصد الآخر إلا التعظيم لنا و التعريف فذكر الأشياء و أضمر الأسماء الإلهية لتدل الأشياء على ما يريده من الأسماء الإلهية فما تخرج عن الدلالة و شرفها فقال وَالسَّمَاءِ وَما بَناها أي و باني السماء وَالْأَرْضِ وَما طَحاها أي و باسط الأرض وَالنَّجْمِ إِذا هَوى أي و مسقط النجم فاختلفت الأشياء فاختلفت النسب فاختلفت الأسماء و تعينت المختصة بهذا الكون المذكور فعلم من الله ما ينبغي أن يطلق عليه من الأسماء في المعنى فيما أضمر و في اللفظ فيما أطلق إذ لو أراد إطلاق ما أضمره عليه لأظهره كما أظهره في قوله فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ فجاء بالاسم الرب بالنسبة الخاصة المتعلقة بالسماء خاصة و اسم الأرض مضمر لأنه للرب نسبة خاصة في الأرض ليست في السماء و لذلك لم يتماثلا بل السماء مغايرة للأرض لاختلاف النسب فنسبة الرب لخلق السماء مغايرة للنسبة الربانية لخلق الأرض و لو لا وجود الواو في قوله و الأرض الذي يعطي التشريك لقلنا باختلاف الاسم الرب لاختلاف النسبة و لكن الواو منعت و القرآن نزل باللسان العربي و الواو في اللسان في هذا الباب إذا ذكر الأول و لم يذكر في المعطوف عليه حكم آخر دلت على التشريك فإذا قلت قام زيد و عمر و فلا يريد القائل إذا وقف على هذا من غير قاطع عرضي مثل انقطاع النفس بسعلة تطرأ عليه أو شغل يشغله عن تمام تلفظه في مراده فهو للتشريك و لا بد فيما ذكر فالقاطع منعه أن يقول و عمر و خارج أو يقول و عمر و أبوه قاعد فهذه الواو واو الابتداء و الحال لا واو العطف فإذا قال قام زيد و خرج عمرو فهذه واو العطف أعني عطف جملة على جملة لا واو التشريك فلهذا جعلنا الواو في قوله و الأرض للتشريك في الاسم الإلهي المذكور الذي هو المعطوف عليه و كان الإضمار في النسبة التي يقع فيها التغاير فافهم فإنه من دقيق المعرفة بالله و اعلم أنه لما رأى بعض العارفين تعظيم هذه الأمور مشروعا ألحق كل ما سوى الله بالسعادة التي هي في حق أصحاب الأغراض من المخلوقين وصولهم إلى أغراضهم التي تخلق لهم في الحال فلم يبق صاحب هذا النظر أحدا في العذاب الذي هو الألم فإنه مكروه لذاته و إن عمروا النار فإن لهم فيها نعيما ذوقيا لا يعرفه غيرهم فإنه لكل واحدة من الدارين ملؤها فأخبر الله أنه يملؤها و يخلد فيها مؤبدا و لكن ما ثم نص بتسرمد العذاب الذي هو الألم لا الحركات السببية في وجود الألم في العادة بالمزاج الخاص المحس للألم فقد نرى الضرب و القطع و الحرق في الوجود ظاهرا و لكن لا يلزم عن تلك الأفعال ألم و لا بد و قد شاهدنا هذا من نفوسنا في هذا الطريق و هذا من شرف الطريق و فيه يقول أصحابنا ليس العجب من ورد في بستان فإنه

المعتاد و إنما العجب من ورد في وسط النار لأنه غير معتاد يريد أنه ليس العجب ممن يجد اللذة في المعتاد و إنما العجب ممن يجد اللذة في غير السبب المعتاد و هو كان مطلوب أبي يزيد في قوله سوى ملذوذ وجدي بالعذاب و لهذا سمي عذابا لأنه يعذب في حال ما عند قوم ما لمزاج يطلبه و إذا كان الحق يأمر بتعظيم كل ما سواه مما هو مضاف إليه و ما ثم إلا ما هو مضاف إليه إما نصا أو عقلا فبعيد إن يتسرمد عليه العذاب الذي هو الألم و قد كان الله و لا شيء معه و لم يرجع إليه وصف لم يكن عليه مما أوجده و خلقه فكذلك هو و يكون و إنما قلنا هذا من أجل من يقول بنفي اسم من الأسماء الإلهية لا أثر له قلنا و إن لم يكن له أثر فليس كماله بوجود الأثر عنه فإن العين واحدة فافهم ذلك و هذه مسألة من أشكل المسائل في هذا الطريق و الله يقول إن رحمته سبقت غضبه يريد أن حكمه برحمة عباده سبق غضبه عليهم و لا يظهر السبق في نفس الشأو فإنه قد يكون الفرس واسع النفس بطيء الحركة و الآخر ضيق النفس سريع الحركة و الشأو طويل فلا يزال الواسع النفس و إن أبطأ في الحضر يدخل على الضيق النفس حتى يزيد عليه و يتركه خلفه فلا يحكم بالسبق إلا في آخر الشأو فمن حاز قصب السبق فهو السابق و لهذا يطول في المسابقة بين الخيل في المسافة و هو مشروع في معرض التنبيه على هذا المقام و آخر المسافة هو الذي ينتهي إليه الحكم بالسبق و الرحمة سبقت غضب الله على خلقه فهي تحوز العالم في الدارين بكرم الله و ما ذلك على الله بعزيز و إن كانوا في النار فلهم فيها نعيم فإنهم ليسوا منها بمخرجين و يصدق قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي و يصدق قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ من الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ و يصدق قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و قد أظهرت أمرا في هذه المسألة لم يكن باختياري و لكن حق القول الإلهي بإظهاره فكنت فيه كالمجبور في اختياره و الله ينفع به من يشاء لا إله إلا هو و هذا القدر كاف من علم هذا المنزل وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و التسعون و مائتان في معرفة منزل الأعداد المشرفة من الحضرة المحمدية)

تفجرت الأنهار من ذات أحجار وغاصت بأرضي في خزائن أسراري
فعشر من العلم اللدني ظاهر و ما كتمت منه فتسعة أعشار
تطالبني نفسي بمثنى وجودها و يطلبني و ترى المصاب بأوتار
فحصنت نفسي في مدينة سيد بناها من الماء المركب و النار
فلم ير حصن مثله في ارتفاعه تحصنت فيه خلف سبعة أسوار
مكانتها ما بين ذل و عزة يعاملني فيها على حد مقداري

إلى أن يكون النفخ في صور حسه إلى صور تخييل ببرزخ أغياري

و يبقى دوام الأمر فيه مخلدا إلى أن يكون البعث من قبر أفكاري

فأشهده علما و عينا و حالة بمشهد أنوار و مشهد أسراري

منوعة تلك المظاهر عندنا برؤية أفكار و رؤية أبصار

فهرست ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم و ذلك علم اللوائح و هي مقدمات الذوق و هي منزلة عجيبة لا تقبل الغفلة و النسيان و فيه علم دخول التأنيث في العدد و هو مذكر و فيه علم المانية من أين ضلت و ما وجه الحق الذي عندها حتى قادها إلى هذا الاعتقاد و هل لها عذر مقبول في ذلك يوم القيامة أم لا و فيه علم الدخول و هو طلب الأوتار و لما ذا تطلب و لمن يرجع فضلها و هل المغصوب على نفسه بالقتل هل يرضى بذلك أم لا ولاية حكمة جعل ذلك للولي و هل إذا عفا الولي عن الدم هل يسقط حق المقتول يوم القيامة أم مثل الحوالة في الدين إذا قبلها صاحب الحق لم يبق له رجوع على الأول إن أعسر المرجوع إليه عنه بعد رضاء صاحب الدين بالحوالة و فيه علم قرار الغيب حتى لا يشهد و لما ذا يقر و فيه علم الغيب الذي يجب أن يشهد و طلبه لذلك من الله و فيه علم العقل و مرتبة صاحبه و فيه علم الاعتبار و فيه علم الانتقال في الأحوال و المقامات و فيه علم الكيفيات و الكميات و فيه علم التعالي و لما ذا يؤدي و إنه مخصوص بأهل البلادة دون الأذكياء و فيه علم الصلاح و الفساد و فيه علم ما يترتب على الأعمال سواء وقع التكليف أو لم يقع و فيه من أين أخذ علم أهل النجوم الحاكمون بها الواقفون على ما أودع الله فيها من الأحكام من العلوم الإلهية و شرفه على سائر العلوم و ذكر الحيوان الذي إذا أكل أعلاه أعطى بالخاصية لمن أكله علم النجوم و إذا أكل وسطه أعطى علم النبات و إذا أكل عجزه و هو ما يلي ذنبه أعطى علم المياه المغيبة في الأرض فيعرف إذا أتى أرضا لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها و هذا الحيوان حية ليست بالكبيرة و لا بالصغيرة لا يوجد إلا بأحواز شلب من غرب الأندلس و كان قد وقع بها عندنا عبد الله بن عبدون كاتب أمير المسلمين فقطع رأسها و ذنبها بسكين ذي شعبتين في ضربة واحدة و قسمها ثلاث قطع و كانوا ثلاثة إخوة فأكل عبد الله أعلاها فكان في علم القضاء بالنجوم آية من غير مطالعة كتاب أو توقيف إمام و أكل أخوه عبد المجيد الوسط منها فكان آية في علم النبات و خواصه و تركيباته من غير مطالعة كتاب و لا توقيف أخبرني ولده المنجنيقي بذلك بقونية و أكل الأخ الثالث القطعة الاخيرة التي تلي الذنب منها فكان آية في استخراج المياه من جوف الأرض فسبحان من أودع أسراره في خلقه و فيه علم الفرق في خرق العوائد بين الكرامة و الاستدراج و فيه علم السبب الذي أوجب أن يحب العالم الحيواني الإنساني غير الله و سبب الحب أمران النسبة و الإحسان و النسبة إلى الله أقرب فإنه

مخلوق على الصورة و الإحسان من الله فهو المنعم عليه بإيجاد عينه ثم لكل ما هو فيه فكيف يحب غيره و يفنى فيه و فيه علم الآخرة و ما يتعلق بها من حين وقوف الناس على الجسر دون الظلمة إلى أن يدخلوا منا زلهم من الشقاء و السعادة فهذا جميع ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم قد نبهتك عليها لترتفع الهمة إلى طلبها فلنذكر منها مسألة أو أكثر على قدر ما يتسع الكلام مع الاختصار دون الإطالة و الإكثار فأقول وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ اعلم أن الله لما خلق الأرواح الملكية المهيمة و هم الذين لا علم لهم بغير الله لا يعلمون أن الله خلق شيئا سواهم و هم الكروبيون المقربون المعتكفون المفردون المأخوذون عن أنفسهم بما أشهدهم الحق من جلاله اختص منهم المسمى بالعقل الأول و الأفراد منا على مقامهم فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك فلا يشهدون سوى الحق و هم خارجون عن حكم القطب الذي هو الإمام و هو واحد منهم و لكنه يكون مادته من العقل الأول الذي هو أول موجود من عالم التدوين و التسطير و هو الموجود الإبداعي ثم بعد ذلك من غير بعدية زمان انبعث عن هذا العقل موجود انبعاثي و هو النفس و هو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل كائن في هذه الدار إلى يوم القيامة و ذلك علم الله في خلقه و هو دون القلم الذي هو العقل في النورية و المرتبة الضيائية فهو كالزمردة الخضراء لانبعاث الجوهر الهبائي الذي في قوة هذه النفس فانبعث عن النفس الجوهر الهبائي و هو جوهر مظلم لا نور فيه و جعل الله مرتبة الطبيعة بين النفس و الهباء مرتبة معقولة لا موجودة ثم بما أعطى الله من وضع الأسباب و الحكم و رتب في العالم من وجود الأنوار و الظلم لما يقتضيه الظاهر و الباطن كما جعل الابتداء في الأشياء و الانتهاء في مقاديرها بأجل معلوم و ذلك إلى غير نهاية فما ثم إلا ابتداءات و انتهاءات دائمة من اسميه الأول و الآخر فعن تينك الحقيقتين كان الابتداء و الانتهاء دائما فالكون جديد دائما فالبقاء السرمدي في التكوين فأعطى لهذه النفس لما ذكرناه قوة عملية عن تلك القوة أوجد الله سبحانه بضرب من التجلي الجسم الكل صورة في الجوهر الهبائي و ما من موجود خلقه الله عند سبب إلا بتجل إلهي خاص لذلك الموجود لا يعرفه السبب فيتكون هذا الموجود عن ذلك التجلي الإلهي و التوجه الرباني عند توجه السبب لا عن السبب و لو لا ذلك لم يكن ذلك الموجود و هو قوله سبحانه و تعالى فينفخ فيه فلم يكن للسبب غير النفخ فيكون طائرا بإذن الله فالطائر إنما كان لتوجه أمر الله عليه بالكون و هو قوله تعالى كُنْ بالأمر الذي يليق بجلاله فلما أوجد هذا الجسم الأول لزمه الشكل إذ كانت الأشكال من لوازم الأجسام فأول شكل ظهر في الجسم الشكل المستدير و هو أفضل الأشكال و هو للاشكال بمنزلة الألف للحروف يعم جميع الأشكال كما إن حرف الألف يعم جميع الحروف بمروره هواء من الصدر على مخارجه إلى أن يجوز الشفتين فهو يظهر ذوات الحروف في المخارج فإذا وقف في الصدر ظهر حرف الهاء و الهمزة في أعيانهما عن حرف الألف فإذا انتقل من الصدر إلى الحلق و وقف في مراتب معينة في الحلق أظهر في ذلك الوقوف وجود الحاء المهملة ثم

العين المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الغين المعجمة ثم القاف المعقودة ثم الكاف و أما القاف التي هي غير معقودة فهي حرف بين حرفين بين الكاف و القاف المعقودة ما هي كاف خالصة و لا قاف خالصة و لهذا ينكرها أهل اللسان فأما شيوخنا في القراءة فإنهم لا يعقدون القاف و يزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم و شيوخهم عن شيوخهم في الأداء إلى أن وصلوا إلى العرب أهل ذلك اللسان و هم الصحابة إلى النبي صلى الله عليه و سلم كل ذلك أداء و أما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبني فهم فإني رأيتهم يعقدون القاف و هكذا جميع العرب فما أدري من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها في القرآن و هكذا حديث سائر الحروف إلى آخرها و هو الواو و ليس وراء الواو مرتبة لحرف أصلا و ليس للاشكال في الأجسام حد ينتهي إليه يوقف عنده لأنه تابع للعدد و العدد في نفسه غير متناه فكذلك الأشكال فأول شكل ظهر بعد الاستدارة المثلث و من المثلث المتساوي الأضلاع و الزوايا تمشي الأشكال في المجسمات إلى غير نهاية و أفضل الأشكال و أحكمها المسدس و كلما اتسع الجسم و عظم قبل الكثير من الأشكال ثم أمسك الله الصورة الجسمية في الهباء بما أعطته الطبيعة من مرتبتها التي جعلناها بين النفس و الهباء و لو لم يكن هنالك مرتبتها لما ظهر الجسم في هذا الجوهر و لا كان له فيه ثبوت فكانت الطبيعة للنفس كالآلة للصانع التي يفتح بها الصور الصناعية في المواد فظهر الجسم الكل في هذا الجوهر عن النفس بآلة الحرارة و ظهرت الحياة فيه بمصاحبة الحرارة الرطوبة و ثبتت صورته في الهباء بالبرودة و اليبوسة و جعله أعني هذا الجسم الكري على هيأة السرير و خلق له حملة أربعة بالفعل ما دامت الدنيا و أربعة أخر بالقوة يجمع بين هؤلاء الأربعة و الأربعة الآخر يوم القيامة فيكون المجموع ثمانية و سماه العرش و جعله معدن الرحمة فاستوى عليه باسمه الرحمن و جعله محيطا بجميع ما يحوي عليه من الملك متحيزا يقبل الاتصال و الانفصال و عمر الأينية الظرفية المكانية و كان مرتبة ما فوقه بينه و بين العماء الذي ما فوقه هواء و ما تحته هواء و هو للاسم الرب و الله هو الاسم الجامع المهيمن على جميع الأسماء الإلهية فصفته المهيمنية و توحدت الكلمة في العرش فهي أول الموجودات التي قبلها عالم الأجسام ثم أوجد جسما آخر في جوهر هذا الهباء فإن جوهر هذا الهباء هو الذي عمر الخلأ فكل ما ظهر من الصور المتحيزة الجسمية و الجسمانية فهذا الجوهر هو القابل لها و إنما قلنا هذا لئلا يتخيل أن الكرسي صورة في العرش و ليس كذلك و إنما هو صورة أخرى في الهباء قبلها كما قبل صورة العرش على حد واحد و لكن بنسب مختلفة فسمى هذا الموجود الآخر كرسيا و دلى إليه القدمين من العرش فانفلقت الرحمة انفلاق الحب فتنوعت الرحمة في الصفة إلى إطلاق و تقييد فظهرت الرحمة المقيدة و هي القدم الواحدة و تيمزت الرحمة المطلقة بظهور هذه القدم الأخرى فظهر في هذه القدم انقسام الكلمة الواحدة العرشية التي لم يظهر لها انقسام في العرش إلى خبر و حكم و انقسم الحكم إلى أمر و نهي و انقسم الأمر إلى وجوب

وندب وإباحة وانقسم النهي إلى حظر وكراهة وانقسم الخبر إلى هذه الأقسام وزيادة من استفهام وتقرير ودعاء وإنكار وقصص وتعليم فتنوعت الألسن وظهرت الملاحن في الكرسي فظهر تفصيل النغمات التي كانت مجملة في العرش فهو أول طرب ظهر في عالم الأجسام من السماع ومن هنالك سرى في عالم الأفلاك والسموات والأركان والمولدات ثم أوجد الحق أيضا جسما آخر مستديرا دون الكرسي في الرتبة وجعله مستديرا فلكيا غير مكوكب قدر فيه سبحانه أثنى عشر تقديرا مقادير معينة سمي كل مقدار منها باسم لم يسم به الآخر وهي المعروفة بالبروج وأظهر منها سلطان الطبيعة فجعل منها ثلاثة من اجتماع الحرارة واليبوسة وجعل أحكامها مختلفة وإن كانت على طبيعة واحدة ولكن المكان المعين من هذا الفلك لما اختلف اختلفت أحكامها من ذلك الوجه وبما هي على طبيعة واحدة من الحر واليبس اتفقت أحكامها فتعمل بالاتفاق من وجه وبالاختلاف من وجه ولهذا ظهر عنها الكون والفساد والتغيير والاستحالات ولست أعني بالفساد الشرور المعتادة عندنا هنا وإنما أعني بالفساد زوال نظم مخصوص يقال فيه فسد ذلك النظام أي زال كما تأكل التفاحة أو تشقها بالسكين إلى أقسام فقد فسد نظامها فذهبت تلك الصورة بظهور صورة أخرى فيها وعن هذا الفلك يتكون جميع ما في الجنة وعنه يكون الشهوة لأهلها وهو عرش التكوين ثم إن الله تعالى أوجد في جوف هذا الفلك الأطلس الذي هو محل لهذه الطبائع التي هي آلة النفس العملية فلكا آخر في جوهر الهباء كما ذكرنا وبالتجلي الإلهي كما ذكرنا إذ لا يكون التكوين الإله سبحانه وهذا الفلك هو فلك الكواكب الثابتة والمنازل التي يقدر بها تقسيم البروج المقدرة في الأطلس إذ كان الأطلس متشابه الأجزاء وهي ثمانية وعشرون منزلة وهي النطح والبطين والثريا والدبران والهنعة والهقعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبايا والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرساء فهذه ثمان وعشرون منزلة معروفة مسماة يحكم لها بطبائع البروج وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ولهذا الفلك المكوكب أعني فلك المنازل قطع في الفلك الأطلس فلك البروج وجعل لكل تقدير في فلك البروج منزلتين وثلث من المنازل المذكورة ولمنازله وجميع كواكبه سباحة في أفلاك لها بطيئة لا يحس بها البصر إلا بعد آلاف من السنين كما ذكر عن أهرام مصر أنها بنيت والنسر في الأسد وهو اليوم في الجدي ونحن في سنة أربع وثلاثين وستمائة ثم أوجد على سطح هذا الفلك المكوكب الجنة بما فيها بطالع الأسد وهو برج ثابت فلهذا كان لها الدوام فإن أصحاب هذا الفن قد سموا هذه البروج بالأسماء التي ذكرناها ونعتوها بأمور على حسب ما أطلعهم الله عليه من آثارها العجيبة في حركاتها فعرفوا منها الثابت والمنقلب وذا الجسدين وغير ذلك وإلى

الفلك الأطلس ينتهي علم أهل الإرصاد و على الحقيقة إنما ينتهي إلى الكوكب فإن حركات الكواكب و الكواكب تعين أفلاكها و لو لا ذلك ما عرف عددها و أما الفلك الأطلس فما استدلوا عليه من حيث أدركوه حسا كما أدركوا أفلاك لكواكب و إنما علموا إن هذه الأفلاك لا تقطع إلا في أمر وجودي فلكي مثلها فأثبتوه عقلا لا حسا و سموه أطلس لكونه لا كوكب فيه يعينه للحس و يبطل عليهم هذا الدليل بحركة أقصى الأفلاك فإن حركتها موجودة و لا تقطع في شيء عندهم أصلا فما يدريك يا صاحب الرصد لعل هذا الفلك المكوكب يقطع في لا شيء و الحكماء لم يمنعوا أن يكون فوق الفلك الأطلس أفلاك أخر إلا أن الراصد لم يبلغ إليها لأنه ما ثم ما يدل عليها بل هي في حكم الجواز عندهم لكن قالوا إن كان هنالك فلك فلا بد أن يكون له نفس و عقل و مع ذلك لا بد من الانتهاء و من هذا الفلك وقع الخلاف بيننا و بين الحكماء من الفلاسفة في ترتيب التكوين و ما نازعونا فيما فوق الأطلس الذي هو الكرسي و العرش و قالوا بالجواز فيه فترتيب الأمر عندنا بعد الفلك المكوكب و لم يكن مكوكبا عند خلقه و إنما ظهرت الكواكب بعد هذا فيه و في غيره من السموات فيها كانت حركة ما ذكرناه من هذه الأفلاك الموجودة الأربعة التي كملت فيها الطبيعة و ظهر سلطانها حسا بعد ما كان معقولا فإن المعاني هي أصل الأشياء فهي في أنفسها معان معقولة غيبية ثم تظهر في حضرة الحس محسوسة و في حضرة الخيال متخيلة و هي هي إلا أنها تنقلب في كل حضرة بحسبها كالحرباء تقبل الألوان التي تكون عليها فأول ما أوجد الأرض و هي نهاية الخلأ و هو أقصى الكثائف و الظلم و هو نازل إلى الآن دائما و الخلأ لا نهاية له فإنه امتداد متوهم لا في جسم فالعالم كله بأسره نازل أبدا في طلب المركز و هذا الطلب طلب معرفة و مركزه هو الذي يستقر عليه أمره فلا يكون له بعد ذلك طلب و هذا غير كائن فنزوله للطلب دائم مستمر و هو المعبر عنه بطلب الحق فالحق هو مطلوبه و أثر فيه هذا الطلب التجلي الذي حصل له تعشق به فهو يطلبه بحركة عشقية و هكذا سائر المتحركات إنما حركتها المحبة و العشق لا يصح إلا هذا و من لا يعشق ذلك التجلي و هو المنعوت بالجمال و الجمال معشوق لذاته و لو لا ما تجلى سبحانه في صورة الجمال لما ظهر العالم فكان خروج العالم إلى الوجود بذلك العشق صل حركته عشقية و استمر الحال فحركة العالم دائمة لا نهاية لها و لو كان ثم أمر ينتهي إليه يسمى المركز يكون إليه النهاية لسكن العالم بعضه على بعض بالضرورة و بطلت الحركة فبطل الإمداد فادى ذلك إلى فناء العالم و ذهاب عينه و الأمر على خلاف هذا و إنما الناس و أكثر الخلق لا يشعرون بحركة العالم و لأنه بكله متحرك فيبقى الترتيب المشهود من البعد و القرب على حاله فلهذا الشهود يتخيلون سكون الأرض حول المركز ثم أوجد ركن الماء و هو كان الموجود الأول من الأركان و إنما ذكرنا الأرض مقدمة من أجل السفل و الماء كان أول العناصر فما كثف منه كان أرضا و ما سخف منه كان هواء ثم ما سخف منه كان نارا و هو كرة الأثير فأصل العناصر عندنا الماء و وافقنا على ذلك بعض الناس

من النظار في هذا الفن لكن مستندنا الكشف فيما ندعيه من هذا و غيره من العلوم و قد تكون تلك العلوم مما تدرك بالنظر الفكري فمن أصاب في نظره وافق أهل الكشف و من أخطأ في نظره خالف أهل الكشف و الحكماء في هذه المسألة على ستة مذاهب خمسة منها خطأ و الواحد منها صواب و هو الذي وافق الكشف و التعريف الإلهي لأهل خطابه من ملك و نبي و ولي و كان وجود هذه العناصر ببرج السرطان و ما من برج إلا و قد جعل له الله مدة في الولاية معلومة مع المشاركة لغيره في مدته فلجميعها مدة معلومة عندنا نسميها أعني الجملة عمر العالم فإذا انتهت المدد عاد الأمر ابتداء على حاله من الدوام فلا عدم يلحقه أبدا من حيث جوهره و لا يبقى صورة أبدا زمانين فالخلق لا يزال و الأعيان قابلة للخلع عنها و عليها فالعالم في كل نفس من حيث الصورة في خلق جديد لا تكرار فيه فلو شاهدته لرأيت أمرا عظيما يهولك منظره و يورثك خوفا على جوهر ذاتك و لو لا ما يؤيد الله أهل الكشف بالعلم لتاهوا خوفا فلما حصلت العناصر و هي الأركان الأربعة محلا مهيئا أنوثيا لقبول التناسل و الولادة و ظهرت الاحتراقات من عنصر النار في رطوبات الهواء و الماء صعد منها دخان يطلب الأعظم الذي هو الفلك الأعلى الأقصى فوجد فلك الكواكب يمنعه من الرقي إلى الفلك الأعلى فعاد ذلك الدخان يتموج بعضه في بعض متراكم فريق ففتق الله رتقه بسبع سماوات ثم إنه تطايرت الشرر من كرة الأثير في ذلك الدخان فقبلت من السموات و من الفلك المكوكب أماكن فيها رطوبات طبيعية فتعلقت بها تلك الشرر فانقدت تلك الأماكن لما فيها من الرطوبات فحدثت الكواكب فأضاء الجو كما يضيء البيت بالسراج ألا ترى القادح للزناد يعلق الشرر الحراق بما فيه من الرطوبة فيتقد فيكون منه المصباح و لهذا قال تعالى و جعلنا الشمس سراجا يضيء به العالم و تبصر به الأشياء التي كان يسترها الظلام فحدث الليل و النهار بحدوث كوكب الشمس و الأرض فالليل ظلمة الأرض الحجابية عن انبساط نور الشمس و الكواكب عندنا كلها مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم و القمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره و ذلك النور الذي ينسب إليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الأبصار منه فالقمر مجلى الشمس و ليس فيه من نور الشمس لا قليل و لا كثير ثم إن الله رتب في كل فلك و سماء عالما من جنس طبيعة ذلك الفلك سماهم ملائكة على مقامات فطرهم الله عليها من التسبيح و التهليل و كل ثناء على الله تعالى و جعل منهم ملائكة مسخرين لمصالح ما يخلقه في عالم العناصر من المولدات و هي ثلاثة عوالم طبيعية و يسرى في كل عالم مولد من هذه الثلاثة من النفس الكلية صاحبة الآلات أرواح هي نفوس هذه المولدات بها تعلم خالقها و منشئها و بها سرت الحياة فيها كلها و بها خاطبها الحق و كلفها و هو رسول الحق إليها وداع كل شخص منه إلى ربه فما بطنت حياته سمي جمادا و نباتا و انفصل هذان المولدان و تميزا بالنمو و الغذاء فقيل في النامي منه نبات و في غير النامي جماد و ما ظهرت حياته و حسه سمي حيوانا و الكل قد

عمته الحياة فنطق بالثناء على خالقه من حيث لا نسمع و علمهم الله الأمور بالفطرة من حيث لا نعلم فلم يبق رطب و لا يابس و لا حار و لا بارد و لا جماد و لا نبات و لا حيوان إلا و هو مسبح لله تعالى بلسان خاص بذلك الجنس و خلق الجان من لهب النار و الإنسان مما قيل لنا و نفخ الأرواح في الكل و قدر الأقوات التي هي الأغذية لهذه المولدات من الإنس و الجن و الحيوان البحري و البري و الهوائي وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها بما أودع الله في حركات هذه الكواكب و اقترانا تها و هبوطها و صعودها في بيوت نحوسها و سعودها و عن حركا تها و حركات ما فوقها من الأفلاك حدثت المولدات و عن حركات الأفلاك الأربعة حدثت الأركان و هذا خلاف ما ذهب إليه غير أهل الكشف من المتكلمين في هذا الشأن فأودع الله في خزائن هذه الكواكب التي في الأفلاك علوم ما يكون من الآثار في العالم العنصري من التقليب و التغيير فهي أسرار إلهية قد جعل الله لها أهلا يعرفون ذلك و لكن لا على العلم بل على التقريب و الأمر في نفسه صحيح غير إن الناظر من أهل هذا الشأن قد لا يستوفي النظر حقه لأمر فإنه من غفلة أو غلط في عدد و مقدار لم يشعر بذلك فيحكم فيخطئ فوقع الخطاء من نظره لا من نفس الأمر و قد يوافق النظر العلم فيقع ما يقوله و لكن ما هو على بصيرة فيه من حيث تعيين مسألة بعينها و هذا العلم لا تفي الأعمار بإدراكه فيعلم أصله من النبوات فكان أول من شرع في تعليم الناس هذا العلم إدريس عليه السلام عن الله فأعلمه ما أوحى في كل سماء و ما جعل في حركة كل كوكب و بين له اقترانات الكواكب و مقادير الاقترانات و ما يحدث عنها من الأمور المختلفة بحسب الأقاليم و أمزجة القوابل و مساقط نطفه في أشخاص الحيوان فيكون القرآن واحدا و يكون أثره في العالم العنصري مختلفا بحسب الإقليم و ما يعطيه طبيعته فشروطه كثيرة يعلمها أهل ذلك الشأن فلما أعطتهم الأنبياء الموازين و علمتهم المقادير علموا ما يحدث الله من الأمور و الشئون في الزمان البعيد و عن الزمان البعيد الذي لو وكلهم الله فيه إلى نفوسهم بالحكم المعتاد حتى يتكرر ذلك عليهم تكرارا يوجب القطع عادة و رب أمر لا يظهر تكراره الذي يوجب القطع الظني به إلا بعد آلاف من السنين فهذا كان سبب التعريف الإلهي على السنة الأنبياء عليهم السلام فأعلمت الناس بما أوحى الله إليها ما أمن الله عليها هذه الكواكب المسخرة من الحوادث و لو عرف الجهال المنكرون هذا العلم قوله تعالى وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ لما قالوا شيئا مما قالوه فما علموا تسخيرها و إنها كما قال تعالى وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا كما سخر الرياح و البحار و الفلك هكذا سخر الكواكب و هل في هذه المسخرات من الكواكب و الأفلاك و الرياح و البحار و الدواب و كل مسخر عالم بما هو له مسخر أم لا هذا لا يعرفه إلا أهل طريقنا خاصة حكى القشيري أن رجلا رأى شخصا راكبا على حمار و هو يضرب رأس الحمار فنهاه عن ذلك فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب فمن عرف الجزاء كيف لا يعرف ما سخر له و قد رأينا من مثل هذا كثيرا من

الجمادات و الحيوانات و قد طال الكلام و هذا القدر كاف في معرفة ترتيب العالم الذي هو أحد أقسام ما يحتوي عليه هذا المنزل من العلوم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و التسعون و مائتان في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة

إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة من الحضرة الموسوية»

غشيت منازلا لمقام صدق لها في قلب نازلها خشوع

و نار الاصطلام لها وقود إذا ما ابتز خلعتها الضجيع

و أغذية العلوم تزيد حرصا ولا يذهب لها عطش و جوع

و لو طعم الوجود لمات جوعا و يحييه الخريف أو الربيع

بخلق ثم صلب في سطوح يجليها لرفعتها الرفيع

فعلم من تشاء بغير قهر عسى وقتا يكون له رجوع

يريد في البيت الخامس قوله تعالى أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ يريد الاعتبار في ذلك اعلم وفقنا الله و إياك أن درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج إلا و يقابله درك من النار و ذلك أن الأمر و النهي لا يخلو الإنسان إما أن يعمل بالأمر أو لا يعمل فإن همل به كانت له درجة في الجنة معينة لذلك العمل خاصة و في موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الإنسان درك في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة في الجنة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك من النار فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك قال تعالى فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ فالاطلاع على الشيء من أعلى إلى أسفل و السواء حد الموازنة على الاعتدال فما رآه إلا في ذلك الدرك الذي في موازنة درجته فإن العمل الذي نال به هذا الشخص تلك الدرجة تركه هذا الشخص الآخر الذي كان قرينه في الدنيا بعينه فانظر إلى هذا العدل الإلهي ما أحسنه و هما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الكهف المضروب بهما المثل و هو قوله تعالى وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ إلى آخر الآيات في قصتهما في الدنيا و ذكر في الصافات حديثهما في الآخرة في قوله تعالى قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ و فيها ذكر المعاتبة و في قوله تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ لما اطلع عليه فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ و هو قوله ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً و ورد في الأخبار الإلهية الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن

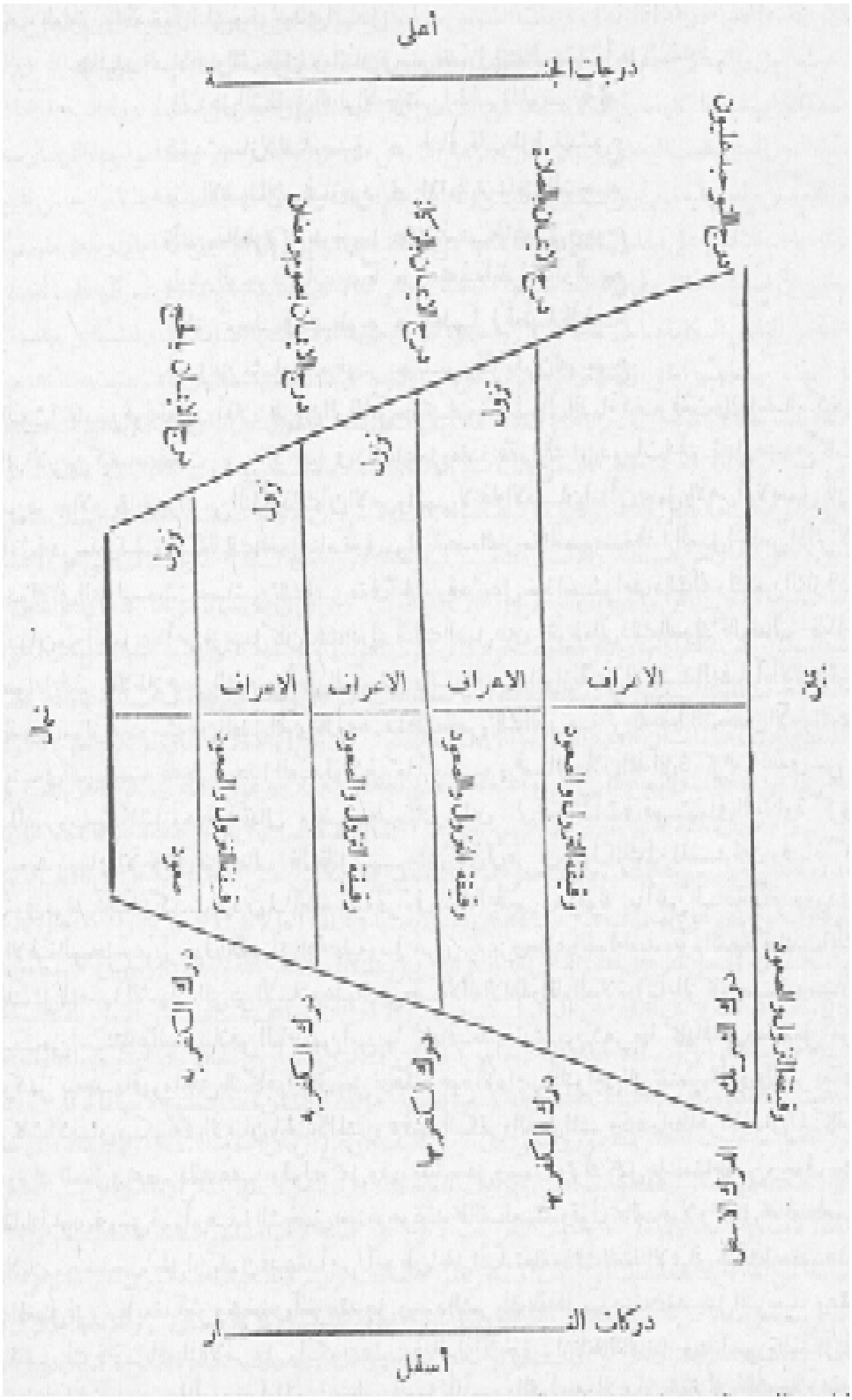

ربه عز و جل فيما

يقوله لعبده يوم القيامة أ فظننت إنك ملاقي فلنمثل لك منها الأمهات التي بنى الإسلام عليها و هي خمسة لا إله إلا الله و إقام الصلاة و

إيتاء الزكاة و صيام رمضان و حِجُّ الْبَيْتِ من اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا فمن الناس من آمن بها كلها فسعد و منهم من كفر بها كلها فشقي و منهم من آمن ببعضها و كفر ببعضها فهو ملحق بالكافر إلحاق حق و هكذا جميع الأوامر و النواهي التي تقتضيها فروع الشريعة في جميع حركات الإنسان و سكونه في الايمان بالحكم المشروع فيها و الكفر و العمل المشروع فيها بظاهر الإنسان المكلف و باطنه و ترك العمل و يحصر ذلك عقد و قول و عمل و في مقابلته حل و صمت و ترك عمل هذه مقابلة من وجه في حق قوم و مقابلة أخرى في حق قوم أو هذا الشخص بعينه و هو عقد مخالف لعقد و قول يخالف قولا و عمل مخالف لعمل إذ كان لا يلزم من صاحب الحل أن يكون قد عقد أمرا آخر فإن الحل إنما متعلقة ذلك العقد الإيماني بذلك المعقود عليه فأسقطه المعطل فلم يرتبط بعقد آخر و شخص آخر عقد على وجود الشريك لله فحل من عنقه عقد حبل التوحيد و عقد حبل التشريك فلهذا فصلنا الأمر على ما يكون عليه في الدار الآخرة موازنا لحالة الدنيا و هذا صورة الشكل في الأمهات و عليها نأخذ جميع المأمور بها و المنهي عنها من العمل بالمأمور و القول به و الايمان به و ترك ذلك حلا و عقدا في الكل أو في البعض و كذلك المنهي عنها من العمل به و القول به و العقد عليه و ترك ذلك حلا و عقدا للكل و البعض صورة درج الجنة و درك النار و الأعراف و هو السور الذي باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ من قِبَلِهِ الْعَذابُ و الرقائق النازلة و الصاعدة وضعناها لك لتتصورها في ذهنك إن كنت بعيد الفهم و الله المعين لا رب غيره

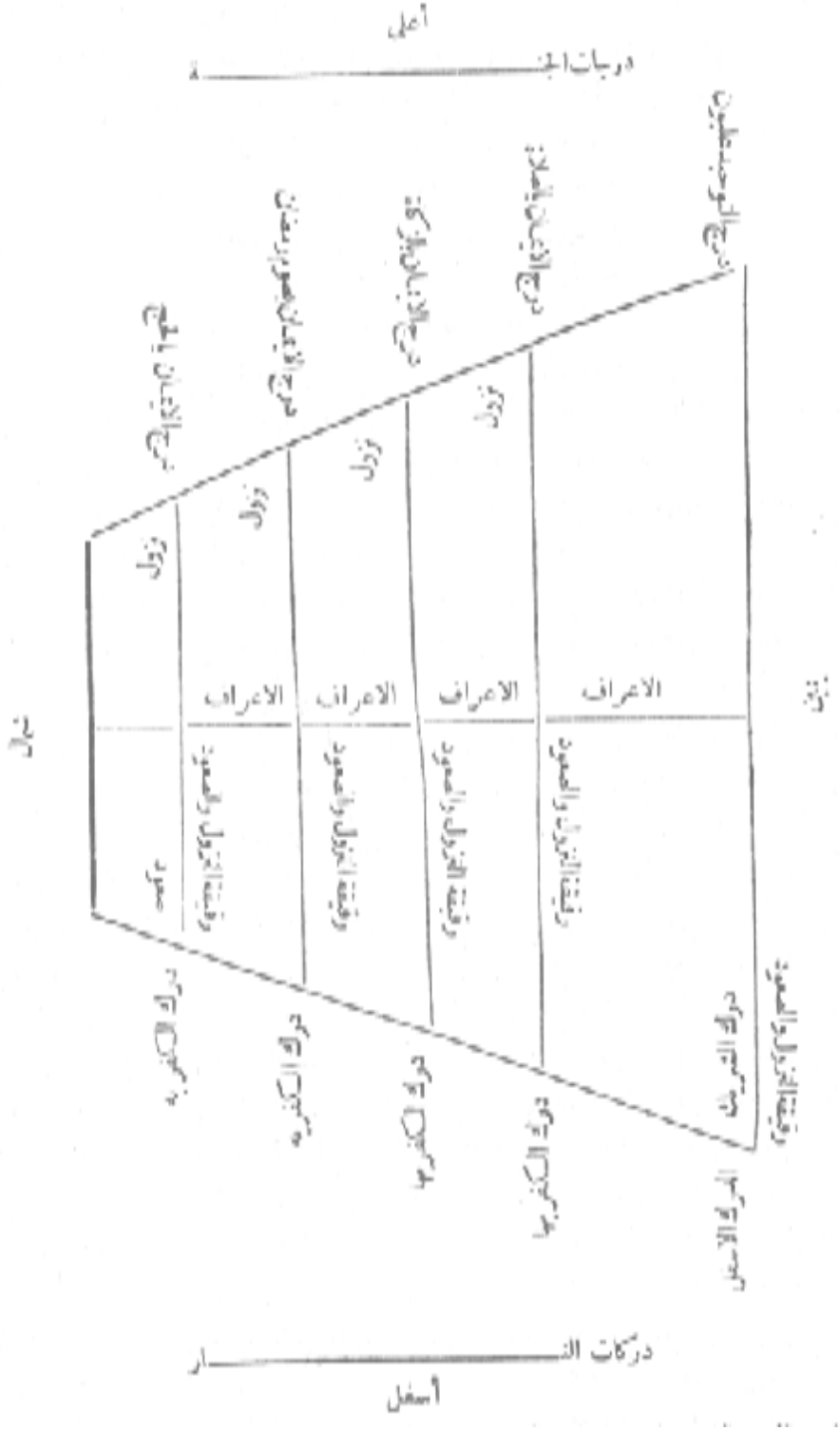

وهكذا درج العمل بالأمر والنهي ودرك ترك العمل بهما ودرج القول بالأمر والنهي ودرك تركهما عقدا وحلاكلا وبعضا وهكذا مناسبات الجزاء كلها لا تختل قال الله عز وجل وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وقال قالُوا (إِنَّا مَعَكُمْ) إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وقال إِنْ

تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ و قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا من الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ و قال في الجزاء فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا من الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ثم بين فقال هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ فعم بالألف و اللام و رد الفعل عليهم و قال تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ و لهذا سمي جَزاءً وِفاقاً و لو لم يكن الأمر كذلك لما كان جزاء و قد ورد في المتكبرين أنهم يحشرون كأمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم صغارا لهم و ذلة و لتكبرهم على أوامر الله فالجنة خير لا شر فيها و النار شر لا خير فيها فجميع علم المشرك و عمله و قوله الذي لو كان موحدا جوزي عليه في الجنة بحسبه يعطي ذلك الجزاء للموحد الجاهل بذلك الأمر و العلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول و الجزاء عليه الذي لو كان مشركا لحصل له في النار يعطي لذلك المشرك الذي لا حظ له في الجنة فإذا رأى المشرك ما كان يستحقه لو كان سعيدا يقول يا رب هذا لي فأين جزاء عملي الذي هذا جزاؤه فإن الأعمال بمكارم الأخلاق و التحريض عليها الذي هو القول يقتضي جزاء حسنا وقع ممن وقع فيقول الله له لما عملت كذا و يذكر له ما عمل من مكارم الأخلاق و القول بها و العمل بمواقعها قد جازيتك على ذلك بما أنعمت به عليك من كذا و كذا فيقرر عليه جميع ما أنعمه عليه جزاء لا نعمة في خلقه المبتدأة التي ليست بجزاء فيزنها المشرك هنالك بما قد كشف الله من علم الموازنة فيقول صدقت فيقول الله له فما نقصتك من جزائك شيئا و الشرك قطع بك عن دخول دار الكرامة فتنزل فيها على موازنة هذه الأعمال و لكن أنزل على درجات تلك الأعمال فإن صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدار فهذا هو من الميراث الذي بين أهل الجنة و أهل النار و نذكر الكلام في هذا الفصل في باب الجنة و النار من هذا الكتاب فهذا هو الانتقال الذي بين أهل السعادة و أهل الشقاء فإن المؤمن هنا في عبادة و العبادة تعطيه الخشوع و الذلة و الكافر في عزة و فرحة فإذا كان في هذا اليوم يخلع عز الكافر و سروره و فرحه على المؤمن و يخلع ذل المؤمن و خشوعه الذي كان لباسه في عبادته في الدنيا على الكافر يوم القيامة قال تعالى خاشِعِينَ من الذُّلِّ يَنْظُرُونَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ فإن هذا النظر هو حال الذليل لا يقدر يرفع رأسه من القهر و ذلك الخشوع من الكافر يوم القيامة و الذلة و النظر المنكسر الذي لا يرفع بسببه رأسه إنما هو لله تعالى خوفا منه و هذا كان حال المؤمن في الدنيا لخوفه من الله ف ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ حيث يرى الإنسان صفة عزه و سروره و فرحه على غيره و يرى ذل غيره و غمه و حزنه على نفسه فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ و يتضمن هذا المنزل من العلوم علم سؤال الحق عباده السعداء عن مراتب الأشقياء بأي اسم يسأل و علم المناسبات و علم ما تعطيه الأفكار و علم الكيفيات و هو على ضربين ضرب منه لا يعرف إلا بالذوق و ضرب منه يدرك بالفكر و هو من باب التوسع في الخطاب لا من باب التحقق فإن التحقق بعلم الكيفيات إنما هو ذوق و لقد نبهني الولد العزيز العارف شمس الدين إسماعيل بن سودكين التوري على أمر كان عندي محققا من غير الوجه الذي نبهنا عليه هذا الولد ذكرناه في باب الحروف من

هذا الكتاب و هو التجلي في الفعل هل يصح أو لا يصح فوقتا كنت أنفيه بوجه و وقتا كنت أثبته بوجه يقتضيه و يطلبه التكليف إذ كان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم عليم يقول اعمل و افعل لمن يعلم أنه لا يعمل و لا يفعل إذ لا قدرة له عليه و قد ثبت الأمر الإلهي بالعمل للعبد مثل أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ و اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَ رابِطُوا و جاهِدُوا فلا بد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل فيه يسمى به فاعلا و عاملا و إذا كان هذا فبهذا القدر من النسبة يقع التجلي فيه فبهذا الطريق كنت أثبته و هو طريق مرضي في غاية الوضوح يدل أن القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك و رأيت حجة المخالف واهية في غاية من الضعف و الاختلال فلما كان يوما فاوضني في هذه المسألة هذا الولد إسماعيل أبو سودكين المذكور فقال لي و أي دليل أقوى على نسبة الفعل إلى العبد و إضافته إليه و التجلي فيه إذ كان من صفته من كون الحق خلق الإنسان على صورته فلو جرد عنه الفعل لما صح أن يكون على صورته و لما قبل التخلق بالأسماء و قد صح عندكم و عند أهل الطريق بلا خلاف إن الإنسان مخلوق على السورة و قد صح التخلق بالأسماء فلم يقدر أحد أن يعرف ما دخل علي من السرور بهذا التنبيه فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحق تعالى لم يقض الله للاستاذ أن يناله إلا من هذا التلميذ كما نعلم قطعا أنه قد يفتح للإنسان الكبير في أمر يسأله عنه بعض العامة مما لا قدر له في العلم و لا قدم و يكون صادق التوجه في هذا العلم المسئول عنه فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق السائل علم تلك المسألة و لم تكن عنده قبل ذلك عناية من الله بالسائل و تضمنت عناية الله بالسائل إن حصل للمسئول علما لم يكن عنده و من راقب قلبه يجد ما ذكرناه فالحمد لله الذي استفدنا من أولادنا مثل ما استفاده شيوخنا منا أمورا كانت أشكلت عليهم و يتضمن هذا المنزل علم التبليغ عن الله إلى خلقه من رسول و نبي و وارث و يتضمن علم السياسة في التعليم بباب اللطف من حيث لا يشعر المطلوب بذلك و يتضمن علم الجزاء المطلق و المقيد فالمطلق مجازاة العبد ربه مثل الشكر على المنعم و مجازاة الله العبد مثل المزيد فيما وقع عليه الشكر من العبد و المجازاة المقيدة هي جزاء الله العبد في الدار الآخرة فإنها ليست بدار تكليف قال تعالى وَأَوْفُوا بِعَهْدِي في موطن التكليف و هو الدنيا أُوفِ بِعَهْدِكُمْ في الدارين معا دنيا و آخرة و هذا القدر كاف في هذا الباب إن شاء الله تعالى وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و التسعون و مائتان في معرفة منزل ثناء تسوية الطينة الإنسية في المقام الأعلى من الحضرة المحمدية»

تنزه أيها الخلق المسوي على صفة المسوي بالسواء

و لا تنظر إلى ما حال منه و جاء به الرسول من السماء

فإن خفت الرجاء أيدت فيه بما تعطيه مأمنة الرجاء

سليمانية وقفت أمامي أقيم بها رخاء من رخاء

وقفت على الصفا أعنو لسر إلهي بمنزلة الصفاء

و عانقت الغزالة في سناها لا علو فوق منزلة السهاء

و جاوزت العقول بغير حد وخضت حيا النفوس على حياء

قال الله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فما من صورة في العالم و ما في العالم إلا صور إلا و هي مسبحة خالقها بحمد مخصوص ألهمها إياه و ما من صورة في العالم تفسد إلا و عين فسادها ظهور صورة أخرى في تلك الجواهر عينها مسبحة لله تعالى حتى لا يخلو الكون كله عن تسبيح خالقه فتسبحه أعيان أجزاء تلك الصورة بما يليق بتلك الصورة و الصور التي في العالم كلها نسب و أحوال لا موجودة و لا معدومة و إن كانت مشهودة من وجه ما فليست بمشهودة من وجه آخر و عين زمان فناء تلك الصور عين زمان وجود تلك الصور أي عين فسادها هو عين الأخرى لا أنه بعد الفساد تحدث الأخرى و اعلم إذا علمت هذا أن العالم كله ما عدا الإنس و الجان مستوفى الكشف لما غاب عن الإحساس البشري فلا يشاهد أحد من الجن و الإنس ذلك الغيب إلا في وقت خرق العوائد لكرامة يكرمه الله بها أو خاصية أمر ما من الأمور التي تعطي كشف الغيوب كما إن كل جماد و نبات و حيوان في العالم كله و في عالم الإنسان و الجن و أجسام الملائكة و الأفلاك و كل صورة يدبرها روح محسوسا كان ذلك التدبير فيمن ظهرت حياته أو غير محسوس فيمن بطنت حياته كأعضاء الإنسان و جلوده و ما أشبه ذلك كل هؤلاء في محل كشف الغيوب الإلهية المستورة عن الأرواح المدبرة لهذه الأجسام من ملك و إنس و جن لا غير فإنها محجوبة عن إدراك هذا الغيب الإلهي إلا بخرق عادة في بعضهم أو في كلهم و قد عرفت أن الحجر و الحيوان و النبات عرف من هذا الباب نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و هو من الغيوب الإلهية فيجهل كل روح مثل هذا إلا أن يعرفه الله به إلا من ذكرناهم فإنهم يعرفونه بالفطرة التي فطرهم الله عليها إذا ظهر ناداهم الحق به في ذواتهم باسمه و إذا حضر بعينه أخبرني يوسف ابن يخلف الكومي من أكبر من لقيناه في هذا الطريق سنة ست و ثمانين و خمسمائة رحمه الله قال أخبرني موسى السرداني و كان من الأبدال المحمولين قال لما مشيت أنا و رفيقي إلى الجبل المسمى قاف و هو جبل محيط بالبحر المحيط بالأرض و قد خلق الله حية على شاطئ ذلك البحر بين البحر و الجبل دارت بجسمها بالبحر المحيط إلى أن اجتمع رأسها بذنبها فوقفنا عندها فقال لي صاحبي سلم عليها فإنها ترد عليك قال موسى فسلمت عليها فقالت و عليك السلام و رحمة الله و بركاته ثم قالت لي كيف حال الشيخ أبي مدين و كان أبو مدين ببجاية في ذلك الوقت فقلت لها تركته في عافية و ما علمك به فتعجبت و قالت و هل على وجه

الأرض أحد لا يحبه وجهها إنه و الله مذ اتخذه الله وليا نادى به في ذواتنا و أنزل محبته إلى الأرض في قلوبنا فما من حجر و لا مدر و لا شجر و لا حيوان إلا و هو يعرفه و يحبه فقلت لها و الله لقد ثم أناس يريدون قتله لجهلهم به و بغضهم فيه فقالت ما علمت إن أحدا يكون على هذه الحال فيمن أحبه الله فهذا من ذلك الباب و منه شهادة الأيدي و الأرجل و الجلود و الأفواه و الألسنة التي هي في نظرنا خرس هي ناطقة في نفس الأمر فكل مخلوق ما عدا بنى آدم في مقام الخشوع و التواضع إلا الإنسان فإنه يدعي الكبرياء و العزة و الجبروت على الله تبارك و تعالى و أما الجن فتدعى ذلك على من دونها في زعمها من المخلوقين كاستكبار إبليس من حيث نشأته على آدم عليه السلام و لذا قال أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً لأنه رأى عنصر النار أشرف من عنصر التراب و قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي من نارٍ وَ خَلَقْتَهُ من طِينٍ فلم يتكبر على الله عز و جل فاختص الإنسان وحده من سائر المخلوقات بهذه الصفة فلما حصلت مثل هذه الدعوى في الوجود و تحققت من المدعي في نفسه و فيمن اعتقد ذلك فيه مثل فرعون و من استخف من قومه جعل الله في الوجود أفعل من كذا بمعنى المفاضلة كالمقرر لتلك الدعوى و المثبت لها فقال الله أكبر فأتى بلفظة افعل و قال صلى الله عليه و سلم الله أعلى و أجل فأتى بأفعل فكل افعل من كذا المنعوت به جلال الله فسببه مشاركة الدعوى في تلك الصفة لكن منها محمود و مذموم فالمذموم ما ادعاه فرعون و المحمود مثل قوله تعالى عن نفسه إنه أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأتى بأفعل و أثنى على الرحماء من عباده بأن جعل نفسه أرحم منهم بخلقه و أما تقريره العام فإن الرحمة منهم حقيقة أوجدها فيهم فتراحموا بها و أوجد الكبرياء في الإنسان بالصورة فتكبر به فإن قلت إذا ورد أفعل فليس هو المقصود به أفعل من قلنا فالله يقول أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و هو هنا افعل من بلا شك و كذلك في حق الإنسان لما قال تعالى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فكل موجود فهو على التقويم الذي يعطيه خلقه و قال في الإنسان إنه خلقه في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ أي التقويم الذي خلقه عليه أفضل من كل تقويم و ما صحت له هذه الصفة التي فضل بها على غيره إلا بكونه خلقه الله على صورته فإن قلت فهذا التغيير الذي يطرأ على الإنسان في نفسه و صورة الحق لا تقبل التغيير قلنا الله يقول في هذا المقام سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قال صلى الله عليه و سلم فرغ ربك و قال يتجلى في أدنى صورة ثم يتحول عند إنكارهم إلى الصورة التي عرفوه فيها بالعلامة التي يعرفونها فقد أضاف إلى نفسه هذا المقام و هو العلي عن مقام التغيير بذاته و التبديل و لكن التجليات في المظاهر الإلهية على قدر العقائد التي تحدث للمخلوقين مع الآنات تسمى بهذا المقام و إذا كان الأمر على ما ذكرناه و كذلك هو فيصح ما ذكرناه و يرتفع الاعتراض الوهمي تعالى الله علوا كبيرا و مما يتضمن هذا المنزل من العلوم علم أسماء الأسماء و أن لها من الحرمة ما للمسمى بأسمائها فالحروف المرقومة في الصحف أعيان كلام يفهم منها كلام الله الذي هو موصوف به و لما ذا يرجع ذلك الوصف علم آخر اختلف الناس فيه و لا

حاجة لنا في الخوض في ذلك فالحق سبحانه من كونه متكلما يذكر نفسه بأسمائه بحسب ما ينسب إليه الكلام الذي لا تكليف نسبته و لتلك الأسماء أسماء عندنا في لغة كل متكلم فيسمى بلغة العرب الاسم الذي سمي به نفسه من كونه متكلما الله و بالفارسية خداي و بالحبشية واق و بلسان الفرنج كربطور و هكذا بكل لسان فهذه أسماء تلك الأسماء و تعددت لتعدد النسب فهي معظمة في كل طائفة من حيث ما تدل عليه و لهذا نهينا عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو و هو خط أيدينا أو اوراق مرقومة بأيدي المحدثات بمداد مركب من عفص و زاج فلولا هذه الدلالة لما وقع التعظيم لها و لا الحقارة و لهذا يقال كلام قبيح و كلام حسن في عرف العادة و في عرف الشرع و أمثال ذلك و سببه مدلول هذه الألفاظ في الاصطلاح و الوضع و هذا علم شريف لا يدركه سوى أهل الكشف على ما هو الأمر عليه فليس بأيدينا سوى أسماء الأسماء فإذا وقع التنزيه لأسماء الأسماء فتنزيه العبد الكامل أولى بالحرمة لأجل الصورة و لا سيما الوجه إذ كان الوجه أشرف ما في ظاهر الإنسان لكونه حضرة جميع القوي الباطنة و الظاهرة و وجه كل شيء ذاته مر رسول الله صلى الله عليه و سلم على رجل و هو يضرب وجه غلام له فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم اتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته و هو محل الإقبال على الله دون غيره من الجهات فهي الجهة العظمى و من علوم هذا المنزل العلم بالفرق بين الخلق و التقدير فالتقدير متعلق الاسم المدبر و المفصل لا غيرهما من الأسماء و قد قال يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ و كلا الاسمين تحت حيطة الاسم العالم و لا دخول للاسم القادر في هذه الحضرة فإن هذه الأسماء الثلاثة راجعة إلى ذات الحق و لا يكون الحق مقدورا لنفسه فلا حكم للاسم القادر هنا فالاسم المقدر هو المعتبر في هذه المرتبة و الخلق يطلب الاسم القادر عقلا و يطلب الاسم القائل كشفا و شرعا و إنما قلنا كشفا ليفرق في ذلك بين الولي و النبي لأن كل واحد من هذين الرجلين يقول بهذا بخلاف ما يعطيه النظر الفكري للعقل بدليله فكما تميز الاسم القادر من المقدر لفظا و معنى كذلك تميز الخلق من التقدير لفظا و معنى فبالتقدير يقع البيان في صور الموجودات على اختلاف ذواتها حسية كانت أو معنوية من عالم الحروف الرقمية أو اللفظية أو الفكرية و من عالم الأعيان القائمة بأنفسها و من عالم الأعيان التي لا تقوم بأنفسها و يدخل في ذلك عالم النسب فبما في هذه الأعيان من التسوية لذوات أشخاصها في عالم الغيب و الشهادة يكون خلقا و لا يدخل في هذا عالم النسب لأنها ليست أعيانا وجودية و لا تتصف بالعدم المطلق لكونها معقولة و بما فيها كلها من التمييز الذي يتضمنه أعيانها عقلا كان أو حسا يكون للتقدير لا للخلق فإذا ظهر عين ما ذكرناه من كل عالم للحس أو للعقل عن الاسم الخالق أو المدبر المفصل و المقدر علق نفع بعضه ببعض فنفعت الأعيان بعضها بعضا و دعاهم الحق إليه من خلف ستر هذه الأعيان عند توجه بعضها لبعض بالمنافع فيدعو كل صورة من كل صورة إليه فمنا من يشعر فيعرف من دعاه و منا من يلتبس عليه ذلك و لا يعرف كيف الأمر و يجد في نفسه قوة

الفرقان و لا يبدو له وجه الفرقان و منا من لا يلتبس عليه ذلك و يكون أعمى مكفوف البصر أكمه فيقول ما ثم إلا ما نشاهد و هي أعيان هذه الصور فنحن ثلاثة أصناف صنف سليم النظر حديد الطرف و صنف قام به غشاء في عينيه فلا يتحقق الصور مع معرفته أن ثم أمر أما و لكن لا يحقق صورته و منا من هو أكمه ما أبصر شيئا قط فهو مستريح الخاطر و ما ثم صنف رابع و تختلف منافع هذه الصور باختلاف القوابل و السائلين و كل سائل يسأل بحسب حاجته و عرضه و قد يكون ضروريا و قد لا يكون و على الحقيقة ما ثم إلا ضروري و لهذا يتعين العطاء فإن السائل ما يسأل إلا لغرض أحوجه ذلك الغرض إلى السؤال فالغرض هو السائل و اللسان بالحال أو بالمقال هو المترجم عن ذلك الغرض و ليس لذلك الغرض حياة إلا بتحصيل ما سأل فيه فإن لم ينله هلك فكان المانع له مما سأل فيه كان سبب زوال صورته من العالم فنقص بمنعه صورة من العالم كانت مسبحة لله تعالى و المحقق يريد أنه لو زاد و لا ينقص و الأغراض قد تكون مذمومة و إذا مكنت مما تطلبه وقع الإنسان في محظور أشد من قتل هذا الغرض بما منع من سؤاله و كيف التخلص في هذه المسألة فاعلم أنه لا يخاطب بقضاء الأغراض على الإطلاق من هو مقيد معقول في قبضة عقل التكليف و إنما هذا المقام لأصحاب الأحوال المغلوب على عقولهم فإن قلت فالحفظ أحسن كما قال الإمام في وله الشبلي حين قيل له إنه يرد في أوقات الصلوات فإذا فرغ حكم عليه حال الوله و حال بينه و بين عقله الذي يعطيه الصحو فقال الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب و لم يضف إليه الذنب و لكن يتعلق به لسان الذنب من حيث الصورة عند من لا يعرفه و هو في نفس الأمر غير مذنب قال بعض أصحابنا فلو لا إن التنزه عن جريان لسان الذنب أولى و أعظم لما حمد الله على ذلك هذا الإمام قلنا ليس الأمر كما زعمت و أن هذا الإمام خاف على من لم يبلغ هذه الرتبة أن يظهر بها و هو غير محقق بها فيخطئ فيقع في الذنب و لهم الشفقة على العالم و أما أن يكون من طريق الأفضلية و كيف يكون ذلك و قد أطلق سبحانه ألسنة عباده عليه و على رسله بالذم و السب فلصاحب هذا الوله فيمن ذكرنا أسوة و عز فليس في ذلك فضل عندنا و مما يتضمن هذا المنزل علم الرحمة التي أبطنها الله في النسيان الموجود في العالم و إنه لو لم يكن لعظم الأمر و شق و فيما يقع فيه التذكر كفاية و أصل هذا وضع الحجاب بين العالم و بين الله في موطن التكليف إذ كانت المعاصي و المخالفات مقدرة في علم الله فلا بد من وقوعها من العبد ضرورة فلو وقعت مع التجلي و الكشف لكان مبالغة في قلة الحياء من الله حيث يشهده و يراه و القدر حاكم بالوقوع فاحتجب رحمة بالخلق لعظيم المصاب ألا تراهم في الأمور المدبرة بالعقل الجارية على السداد العقلي إذا أراد الله إمضاء قضائه و قدره في أمر ما أخفى في ذلك الأمر حكمته و علمه الذي أجراه له مما لا يقتضيه نظر العقل فإذا أمضاه رد عليهم عقولهم ليعلموا أن الله قد رحمهم بزوال العقل في ذلك الحين لرفع المطالبة قال صلى الله عليه و سلم إن الله إذا أراد

نفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه و قدره ردها عليهم ليعتبروا وقال صلى الله عليه و سلم رفع عن أمتي الخطاء و النسيان فلا يؤاخذهم الله به في الدنيا و لا في الآخرة فأما في الآخرة فمجمع عليه من الكل و أما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب و اختلفوا في الحكم و كذلك في الخطاء على قدر ما شرع الشارع في أشخاص المسائل فمن أفطر ناسيا في رمضان فطائفة أوجبت القضاء عليه مع رفع الإثم و قوم لم يوجبوا القضاء عليه مع ارتفاع الإثم أيضا فإن الله أطعمه و سقاه هذا قول الشارع فيه فهذا من الرحمة المبطونة فيه أعني في النسيان و كذلك ما نسي من القرآن و لم يتذكر فينقل إلينا فيكون زيادة علينا في التكليف فرحم عباده بذلك و قد كان صلى الله عليه و سلم يقول اتركوني ما تركتكم و قال لو قلت نعم للسائل عن الحج في كل عام لوجبت و كانت الأحكام تحدث بحدوث السؤال عن النوازل فكان غرض النبي صلى الله عليه و سلم حين علم ذلك أن يمتنع الناس عن السؤال و يجرون مع طبعهم حتى يكون الحق هو الذي يتولى من تنزيل الأحكام ما شاء فكانت الواجبات و المحظورات تقل و تبقي الكثرة في قبيل المباحات التي لا يتعلق بها أجر و لا وزر فأبت النفوس قبول ذلك و أن تقف عند الأحكام المنصوص عليها فأثبتت لها عللا و جعلتها مقصودة للشارع و طردتها و ألحقت المسكوت عنه في الحكم بالمنطوق به بعلة جامعة بينهما اقتضاها نظر الجاعل المجتهد و لو لم يفعل لبقي المسكوت عنه على أصله من الإباحة و العافية فكثرت الأحكام بالتعليل و طرد العلة و القياس و الرأي و الاستحسان وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا و لكن بحمد الله جعل الله في ذلك رحمة أخرى لنا لو لا إن الفقهاء حجرت هذه الرحمة على العامة بإلزامهم إياها مذهب شخص معين لم يعينه الله و لا رسوله و لا دل عليه ظاهر كتاب و لا سنة صحيحة و لا ضعيفة و منعوه أن يطلب رخصة في نازلته في مذهب عالم آخر اقتضاه اجتهاده و شددوا في ذلك و قالوا هذا يفضي إلى التلاعب بالدين و تخيلوا أن ذلك دين و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم إن الله تصدق عليكم فأقبلوا صدقته فالرخص مما تصدق الله بها على عباده و قد أجمعنا على تقرير حكم المجتهد و على تقليد العامي له في ذلك الحكم لأنه عنده عن دليل شرعي سواء كان صاحب قياس أو غير قائل به فتلك الرخصة التي رآها الشافعي في مذهبه على ما اقتضاه دليله قد قررها الشرع فيمنع المفتي من المالكية المالكي المذهب أن يأخذ برخصة الشافعي التي تعبده بها الشارع و إنما أضفناها إلى الشارع لأن الشرع قررها بمنعه مما يقتضيه الدليل في الأخذ به بأمر لا يقتضيه الدليل الذي لا أصل له و هو ربط الرجل نفسه بمذهب خاص لا يعدل عنه إلى غيره و يحجر عليه ما لم يحجر الشرع عليه و هذا من أعظم الطوام و أشق المكلف على عباد الله فالذي وسع الشرع بتقرير حكم المجتهدين من هذه الأمة ضيقه عوام الفقهاء و أما الأئمة مثل أبي حنيفة و مالك و أحمد بن حنبل و الشافعي فحاشاهم من هذا ما فعله واحد منهم قط و لا نقل عنهم إنهم قالوا لأحد اقتصر علينا و لا قلدني فيما

أفتيتك به بل المنقول عنهم خلاف هذا رضي الله عنهم ومما يتضمنه هذا المنزل الفرق بين تعلق علمه سبحانه بما يسره العبد في نفسه و بين ما يبديه ويظهره و هل يرجع ذلك إلى نسبة واحدة أو نسبتين و يتعلق بهذا الباب ما يريده الحق بقوله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فها تان حالتان في الذكر و العلم فاعلم إن للحق سبحانه غيبا و مظهرا فبما هو غيب له الاسم الباطن و هو ذكره عبده في نفسه و علمه بما يسره و مع ذلك الاسم يكون سر العبد الذي يعلمه الحق و ذكر النفس الذي يذكر العبد به ربه و بما له المظهر من الاسم الظاهر و هو ذكره تعالى عبده في ملأ من ملائكته أو ملأ الأسماء الإلهية و علمه بما يبديه العبد في عالم الشهادة و مع ذلك الاسم يكون علانية العبد التي يعلمها الحق و ذكر العلانية التي يذكر العبد به ربه و أما العلم بما هو أخفى من السر فهو ما لا يعلمه إلا الله وحده لا علم لهذا العبد به و لا يمكن أن يعلمه إلا الله و هو علمه بنفسه و ما عدا هذا العلم فهو إما علم سره أو علم علانية فمتعلق العلم ثلاثة أشياء الجهر و السر و ما هو أخفى من السر و متعلق الذكر أمران ذكر الملإ و هو نوعان ملأ الأسماء و ملأ الملائكة و الأمر الآخر ذكر النفس فتساوي الذكر مع العلم في التقسيم و مما يتضمن هذا المنزل كون الإنسان قد أودع الله فيه علم كل شيء ثم حال بينه و بين أن يدرك ما عنده مما أودع الله فيه و ما هو الإنسان مخصوص بهذا وحده بل العالم كله على هذا و هو من الأسرار الإلهية التي ينكرها العقل و يحيلها جملة واحدة و قربها من الذوات الجاهلة في حال علمها قرب الحق من عبده و هو قوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ و قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و مع هذا القرب لا يدرك و لا يعرف إلا تقليدا و لو لا إخباره ما دل عليه عقل و هكذا جميع ما لا يتناهى من المعلومات التي بعلمها هي كلها في الإنسان و في العالم بهذه المثابة من القرب و هو لا يعلم ما فيه حتى يكشف له عنه مع الآنات و لا يصح فيه الكشف دفعة واحدة لأنه يقتضي الحصر و قد قلنا إنه لا يتناهى فليس يعلم الأشياء بعد شيء إلى ما لا يتناهى و هذا من أعجب الأسرار الإلهية أن يدخل في وجود العبد ما لا يتناهى كما دخل في علم الحق ما لا يتناهى من المعلومات و علمه عين ذاته و الفرق بين تعلق علم الحق بما لا يتناهى و بين أن يودع الحق في قلب العبد ما لا يتناهى إن الحق يعلم ما في نفسه و ما في نفس عبده تعيينا و تفصيلا و العبد لا يعلم ذلك إلا مجملا و ليس في علم الحق بالأشياء إجمال مع علمه بالإجمال من حيث إن الإجمال معلوم للعبد من نفسه و من غيره فكل ما يعلمه الإنسان دائما و كل موجود فإنما هو تذكر على الحقيقة و تجديد ما نسيه و يحكم هذا المنزل على إن العبد أقامه الحق في وقت ما في مقام تعلق علمه بما لا يتناهى و ليس بمحال عندنا و إنما المحال دخول ما لا يتناهى في الوجود لا تعلق العلم به ثم إن الخلق أنساهم الله ذلك كما أنساهم شهادتهم بالربوبية في أخذ الميثاق مع كونه قد وقع و عرفنا ذلك بالأخبار الإلهي فعلم الإنسان دائما إنما هو تذكر فمنا من إذا ذكر تذكر أنه قد كان علم ذلك المعلوم و نسيه كذي النون المصري و

منا من لا يتذكر ذلك مع إيمانه به أنه قد كان يشهد بذلك و يكون في حقه ابتداء علم و لو لا أنه عنده ما قبله من الذي أعلمه و لكن لا شعور له بذلك و لا يعلمه إلا من نور الله بصيرته و هو مخصوص بمن حاله الخشية مع الأنفاس و هو مقام عزيز لأنه لا يكون إلا لمن يستصحبه التجلي دائما و يتضمن هذا المنزل مسائل ذي النون المشهورة و هي إيجاد المحال العقلي بالنسب الإلهية و يتضمن علم المفاضلة بين المتنافرين من جميع الوجوه و يتضمن أن كل جوهر في العالم يجمع كل حقيقة في العالم كما إن كل اسم إلهي مسمى بجميع الأسماء الإلهية و ذلك قوله تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و هذا العلم خاصة انفردت به دون الجماعة في علمي فلا أدري هل عثر عليه غيري و كوشف به أم لا من جنس المؤمنين أهل الولاية لا جنس الأنبياء و أما في الأسماء الإلهية فقد قال به أبو القسم بن قسي في خلع النعلين له فرحم الله عبدا بلغه إن أحدا قال بهذه المسألة عن نفسه كما فعلت أنا أو عن غيره فيلحقها بكتابي هذا في هذا الموضع استشهاد إلي فيما ادعيته فإني أحب الموافقة و أن لا أنفرد بشيء دون أصحابي وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و التسعون و مائتان في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرة المحمدية»

زهر المعارف من زهر الرياضات و زهر روضك من زهر السموات
فللجسوم علوم ليس يشبهها علم النفوس لأسباب و آفات
حقائق الحق لا تخفى مداركها لأن إدراكها للذات بالذات
و ما سواها فإدراك بواسطة بما يراه من أعلام و آيات
هزل الأكابر جد عن مشاهدة في طيه عندهم مكر الكرامات
إمهالهم ليس إهمالا لعلمهم بأن ذلك مربوط بأوقات
إن الرجال و إن حققت نسبتهم إلى أب واحد أولاد علات
إن قلت هم فهم أو قلت لا فهم لكونهم بين آلام و لذات
لأنه ليس تفنيهم مظاهره و هي المعبر عنها بالستارات

اعلم وفقك الله أن شيخنا أبا العباس العريبي كان ممن تحقق بهذا المنزل و فاوضناه فيه مرارا فكانت قدمه فيه راسخة رحمه الله و اعلم أن هذا المنزل قد جمع بين المشقة الشديدة و الأمور التي لا تنال إلا بالقهر الشديد و الآفات المانعة عن إدراك المطلوب و بين الرفق و

ارتفاع الآفات و الوصول إلى المطلوب بالراحة المستلذة المعشوقة للنفوس و ما بين هاتين الصفتين شدائد عظام فأول علم يتضمن هذا المنزل علم الخروج عن الطبع فاعلم إن الحركات منها طبيعية و منها قسرية فلا تتخيل أن الحركة الطبيعية تعطي لذة و الحركة القسرية تعطي ألما لخروجك عن الطبع قد يكون الأمر كذلك و قد يكون على النقيض فلو وقع الإنسان من علو عظيم لكان نزوله إلى الأرض عن حركة طبيعية و لكن إذا وصل إلى الأرض ربما تكسرت أعضاؤه و تضاعفت آلامه و سببه الاضطراب الذاتي و عدم موافقة الاختيار الذي تطلبه ربانيته المودعة فيه التي قيل له اخرج عنها فما فعل و الحركة القسرية هي أن يعرج به فيرى من الآيات و الفرح و الانفساحات و التنزه على قدر ما علت به تلك الحركة القسرية التي أخرجته عن طبعه و اضطراره و وافقته في اختياره فلا تفرح بكل ما يقتضيه الطبع فإنه أيضا ما قبل الحركة القسرية إلا بطبعه فالطبع لا يفارقه حكمه في الحركتين و اعلم أن الصفات التي جبل عليها الإنسان لا تتبدل فإنها ذاتية له في هذه النشأة الدنيا و المزاج الخاص من الجبن و الشح و الحسد و الحرص و النميمة و التكبر و الغلظة و طلب القهر و أمثال هذا و لما لم يتجه تبدلها بين الله لها مصارف صرفها إليها حكما مشروعا فإن صرفت إليها أحكام هذه الصفات سعدت و نالت الدرجات فجبنت عن إتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة و شحت بدينها و حسدت منفق المال و طالب العلم و حرصت على الخير وسعت بين الناس بإيصال الخير فنمت به كما تنم الروضة بما فيها من الأزهار الطيبة الريح و تكبرت بالله على من تكبر على أمر الله و أغلظت القول و الفعل في المواطن التي تعلم أن ذلك في مرضاة الله و طلبت القهر على من ناوى الحق و قاواه فلم تزل هذه النفس عن صفاتها و صرفتها في المصارف التي يحمدها عليها ربها و ملائكته و رسله فالشرع ما جاء إلا بما يساعده الطبع فلا أدري من أين ينال الإنسان المشقة و ما حجر عليه ما يقتضيه طبعه من هذه الصفات بتبيين المصارف فما هلك الناس إلا بسلطان الأغراض فإنه الذي أدخل الألم عليهم و المكروه فلو أن الإنسان يصرف غرضه إلى ما أراده له خالقه لاستراح قيل لأبي يزيد ما تريد قال أريد أن لا أريد أي اجعلني مريد الكل ما تريد حتى لا يكون إلا ما يريد الحق سبحانه فما يريد بعباده إلا اليسر و لا يريد بهم العسر و يريد لهم الخير و ليس إليه الشر كما ورد في الخبر الصحيح و الخير كله في يديك و الشر ليس إليك و إن كان الكل من عند الله بحكم الأصل و لما كان خروج الإنسان عن إن يكون مريدا محالا و إنه أول ما كان يقدح ذلك في الطاعات فيفعلها من غير نية مشروعة فلا تكون طاعة و إنما طلب أبو يزيد الخروج عن الأغراض النفسية التي لا توافق مرضاة الحق عز و جل و اعلم أن المشي في الظلمة بغير سراج و ضوء في طريق كثيرة المهالك و الحفر و الأوحال و المهاوي و الحشرات المؤذية التي لا يتقى شيء من هذا كله إلا أن يكون الماشي فيها بضوء يرى به حيث يجعل قدمه و يجتنب به ما ينبغي أن يجتنب مما يضره من مهواة يهوى فيها أو مهلك يحصل فيه أو حية تلدغه و ليس له ضوء سوى

نور الشرع الذي قال فيه تعالى نُوراً نَهْدِي به من نَشاءُ من عِبادِنا و قال وَ من لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ من نُورٍ و قال نُورٌ عَلى نُورٍ فإذا اجتمع نور الشرع مع نور بصر التوفيق و الهداية بان الطريق بالنورين فلو كان نور واحد لما ظهر له ضوء و لا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس و لكن الأعمى لا يبصره كذلك من أعمى الله بصيرته لم يد ركه فلم يؤمن به و لو كان نور عين البصيرة موجودا و لم يظهر للشرع نور بحيث أن يجتمع النوران فيحدث الضوء في الطريق لما رأى صاحب نور البصيرة كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها و لا أين تنتهي به من غير دليل و موقف فهذا الشخص الماشي في هذه الطريق إن لم يحفظ سراجه من الأهواء إن تطفئه بهبوبها و إلا هبت عليه رياح زعازع فأطفأت سراجه و ذهب نوره و هو كل ريح يؤثر في نور توحيده و إيمانه فإن هبت ريح لينة تميل لسان سراجه و تحيره حتى يتحير عليه الضوء في مشاهدة للطريق فتلك الريح كمتابعة الهوى في فروع الشريعة و هي المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان و لا تقدح في توحيده و إيمانه فلقد خلقنا لأمر عظيم و لكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد و قاسينا هذه المكاره حصلنا على أمر عظيم و هو سعادة الأبد التي لا شقاء فيها و مما يتضمن هذا المنزل علم الوقت الذي يصحبه فيه القرينان من الملك و الشيطان فاعلم إن الإنسان إذا خلقه الله في أمة لم يبعث فيها رسول لم يقترن به ملك و لا شيطان و يبقى يتصرف بحكم طبعه ناصيته بيد ربه خاصة فكل ما يمشي فيه في ذلك الوقت فهو على صراط مستقيم فإن ربه على صراط مستقيم قال تعالى ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فإذا بعث فيهم رسول أو خلق في أمة فيهم رسول لزمه من حين ولادته قرينان ملك و شيطان من حين يولد لأجل وجود الشرع و أعطى كل واحد من القرينين لمة يهمزه و يقبضه بها و لا تقل إن المولود غير مكلف فلما ذا يقرن به هذان القرينان فاعلم إن الله ما جعل له هذين القرينين في حق المولود و إنما ذلك من أجل مرتبة والديه أو من كان فيهمزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيئا مما يكره فساده أبوه أو غيره فتكون تلك الحركة من المولود الغير مكلف سببا مثيرا في الغير ضجرا و تسخطا كراهة لفعل الله فيتعلق به الإثم فلهذا يقرن به الشيطان لا لنفسه و كذلك الملك و هو كل حركة تطرأ من المولود مما تثير في نفس الغير أمرا موجبا للشر أو للخير فإن كان شرا فمن الشيطان و إن كان خيرا فمن الملك و ليس للصبي الصغير قط حركة نفسية و لا ربانية حتى يد ركه و إن لم يكن في أمه لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته إلى أن يموت ما لم يرسل إليه رسول أو يدخل هو في دين إلهي يتقيد به أي دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع حينئذ يوكل به القرينان إذ لم يكن للعقل أن يشرع القربات و إن كان على مكارم الأخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع التي يد ركها العقل و لكن لا يحكم عليها بحكم أصلا يقطع به على الله و ليس له حكم في إثبات الآخرة و لا نفيها لكن هو متمكن بعقله من النظر في إثبات موجدة و لمن يستند في وجوده و ما ينبغي أن يكون عليه موجدة من الصفات و ما ينبغي

أن يعظه به من نعوت الجلال لكن لا على جهة المنزلة الأخراوية عنده و لا يعرف بعقله ما يصير إليه بعد الموت و لا يدري هذا المدبر لبدنه ما هو و لا أين يذهب من الميت إذا مات و لو لا إن الأمر من آدم كان ابتداؤه بالنبوة فأخبر بما هنالك ففطنت العقول حيث أعلمت مال هذه النفوس فذلك الذي حرضها على البحث و النظر في ذلك و حشر النفوس بعد الموت إلى أين يكون و كيف يجمع و صورة ما ينتقل به و إليه و هل تنتقل مدبرة لمواد أخر أو تتجرد عن المادة و هل كان لها وجود قبل تسوية البدن في التكوين أم حدثت بحدوث البدن و وقفوا على حكم تأثيرات في العالم فراقبوا الأفلاك و حركات الكواكب و رأوا حدوث الآثار عند تلك الحركات عن تكرار فعلموا إن ثم نسبة بين هذا الأثر و تلك الحركات و أما ما لم تدرك الأعمار تكراره فذلك بإعلام النبي عليه السلام الذي كان في زمانهم أتاهم بما أعلمه الله و أطلعه على ما اختزنه في تلك الحركات العلوية من الآثار العنصرية و أعلمهم حكمها في الدنيا و الآخرة و ليس مثل هذا كله من مدركات العقول من غير موقف فلو لا التعريف الإلهي في هذه الدار و الدار الآخرة ما عرف أحد شيئا مما هنالك و اعلم أن كل مخلوق ما سوى الإنس و الجان مفطورون على تعظيم الحق و التسبيح بحمده و كذلك أعضاء جسد الإنس و الجان كلها و لكن لا على جهة التقريب و ابتغاء المنزلة العظمى بل التسبيح لهم كالأنفاس في المتنفسين لما تستحقه الذات و هكذا يكون تسبيح الإنس و الجان في الجنة و النار لا على طريق القربة و لا ينتج لهم قربة بل كل واحد منهم على مقام معلوم فتصير العبادة طبيعية تقتضيها حقائقهم و يرتفع التكليف و لا يتصور منهم مخالفة لأمر الله إذا ورد عليهم و لا يبقى هنالك نهي أصلا بعد قوله لأهل النار اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ و كلامنا إذا نزل الناس منازلهم في كل دار و غلقت الأبواب و استقرت الداران بأهلها الذين هم أهلها و ارتفع شأن أرض الحشر و عادت كلها نارا و صار كل ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى منتهى أسفل سافلين دارا واحدة تسمى جهنم تحوي على حرور و زمهرير و بينهما برازخ يكون فيها التكوينات في الجلود التي يقع فيها التبديل عند الإنضاج خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ يريد المدة التي كانت الأرض عليها من يوم خلقها الله إلى يوم التبديل و كانت العرب التي نزل القرآن بلسانها تطلق هذه اللفظة و نريد بها التأبيد و هي منقطعة بالخبر الإلهي و تعريف النبي صلى الله عليه و سلم إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ بما يرزقون في النار من اللذة و النعيم بها إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و في الجنة خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ من حيث جوهرهما لا من حيث صورتهما و لهذا قال عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ أي غير مقطوع و يقع الاستثناء في قوله إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ من زوال صورتهما إذ كانت السماء سماء و الأرض أرضا فإنا نعلم أن جوهر السماء هو جوهر الدخان و تبدلت عليه الصور فالجوهر الذي قبل صورة الدخان هو الذي قبل صورة السماء كما قبل جوهر الطين و الحجر صورة البيت فإذا تهدم البيت و يبس الطين ذهبت صورة البيت و الطين و بقي عين الجوهر و كذلك العالم كله بالجوهر

واحد و بالصور يختلف فاعلم ذلك فيكون الاستثناء في حق أهل النار لمدة عذابهم و يكون الاستثناء في حق أهل الجنة على معنى إلا أن يشاء ربك و قد شاء أن لا يخرجهم فهم لا يخرجون فإن الله ما شاء ذلك بقوله عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ و لم يقل في أهل النار عذابا غير مجذوذ فافهم فإن الخبر الصحيح المتواتر قد ورد فقال تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ و وصف السماء بأنها تصير كالدهان و وصفها بالانشقاق و إنها تمور و قال تعالى فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ أي مثل الدهن الأحمر في اللون و السيلان فهذا كله إخبار عن ذهاب الصورة لا ذهاب الجوهر و مما يتضمن هذا المنزل علم ما أراد الله من الإنسان أن يشتغل به في حال اعتباره و تفكره لما يؤديه ذلك النظر إليه من المعرفة بخالقه لا بربه فإنه لكل اسم من أسماء الله في العالم دليل خاص لا يدل على غيره من حيث هو دليل عليه و من هنا تعلم أن الأرض خلقت من تموج الماء حتى أزبد فكان ذلك الزبد عين الأرض لأنه انتقل من المائية إلى الزبدية و في الزبد يكون الأرض و هذا هو السبب في اختراق الصالحين لها و جلوس الميت في قبره مع ردم الأرض عليه و حكم كل ما خلق منها حكمها و حكمها حكم الزبد و حكم الزبد حكم الماء و الماء يقبل الخرق و تحرك الأشياء فيه فيجري حكم هذا الأصل في جميع ما وجد عنه سواء كثف كالأرض أو سخف كالهواء و النار لكن النار للماء بمنزلة ولد الولد و الأرض للماء بمنزلة الولد و الهواء و الزبد للماء بمنزلة أولاد الصلب فالماء لهما أب و هو للنار جد من جهة الهواء و للأرض جد من جهة الزبد فبين خلق آدم و الماء وجود التراب الزبد فهو ولد ولد الولد من حيث كثافته و كذلك بما فيه من النار و بما فيه من الهواء هو ولد الولد و أما خلق حواء فبينها و بين الأصل ثلاثة آدم و التراب و الزبد فهي أبعد من الأصل و أما خلق بنى آدم فهم أقرب إلى الأصل من آدم فإنهم مخلوقون من الماء فهم من الماء مثل الزبد فهم أولاد الماء لصلبه و الزبد أخ لبني آدم و هو جد لآدم و أب للأرض فبنو آدم أعمام للأرض فتكون منزلة آدم من بنيه منزلة ابن الأخ من عم أبيه و يكون بنو آدم من آدم بمنزلة عم أبيه فهم أولاده و هو ولد ابن أخيهم فهم في الإسناد من هذا الوجه أقرب إلى السبب الأول و هو الجد الأعلى إلا بما في آدم من الماء الذي صار به التراب طينا ففيه إلحاق بولد الصلب بمنزلة من نكح امرأة و هي حامل من غيره فسقى زرع غيره فله فيه بما حصل له من ذلك السقي نصيب و أما خلق عيسى عليه السلام فبينه و بين الماء أمه و حواء و آدم و الأرض و الزبد إلا من وجه آخر فهو يشبهنا و قليل من يعثر عليه و قد نبه الله على ما أومأنا إليه بقوله فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا لما أراد الله فسرت اللذة بالنظر إليه بعد ما استعاذت منه و عرفها أنه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتأهبت لقبول الولد فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها إلى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه و ينكر ذلك الطبيعيون و يقولون إنه لا يتكون من ماء المرأة شيء و ذلك ليس بصحيح و هو عندنا إن الإنسان يتكون من ماء الرجل و من ماء المرأة و قد ثبت عن

النبي صلى الله عليه و سلم الذي لا ينطق عن الهوى أنه قال إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرا و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثا و في رواية سبق بدل علا فقد جاء بالضمير المثنى في أذكرا و أنثا و قد قلنا في كتاب النكاح لنا في هذا الفصل إن المرأة و الرجل إذا لم يسبق أحدهما صاحبه في إنزال الماء و أنزلا معا بحيث أن يختلطا و لا يعلو أحد الماءين على الآخر فإنه من أجل تلك الحالة إذا وقعت على تلك الصورة يخلق الله الخنثى فيجمع بين الذكورة و الأنوثة فإن كانا على السواء من جميع الجهات و الاعتدال من غير انحراف ماء من أحدهما كان الخنثى يحيض من فرجه و يمني من ذكره فيعطي الولد و يقبل الولد ممن ينكحه و قد روى أنه رؤي رجل و معه ولدان أحدهما من صلبه و الآخر من بطنه و إن انحرف الماء عن الاعتدال و لم يبلغ مبلغ العلو على الآخر كان الحكم للمنحرف إلى العلو فإن كان ماء المرأة حاض الخنثى و لم يمن و إن كان ماء الرجل أمنى و لم يحض فسبحان القدير الخلاق العليم و هذا من أعجب البرازخ في الحيوان ذلك لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و يكفي علم هذا القدر من هذا المنزل فإنه يتضمن مسائل كثيرة أكثرها في تولد العالم الطبيعي بين حركات الأفلاك و توجهاتها و توجهات كواكبها بأشعة النور و بين قبول العناصر و المولدات لآثار تلك الأنوار فيظهر من تلك الأحكام إيجاد الأعيان و المراتب و الأحوال و هذا علم كبير طويل و يتعلق بهذا المنزل علم الابتلاء في غير موطن التكليف و يتضمن علم الديوان الإلهي و يتضمن علم وجوب الكلمة الإلهية التي لا تتبدل و يتضمن علم أنه ما في العالم باطل و لا عبث و إنه حق كله بما فيه من الحق و الباطل و يتضمن لما ذا أخر الله غالبا العقوبات إلى الدار الآخرة في حق الأكثرين و عجلها في حق آخرين و هو المعبر عنه بإنفاذ الوعيد و هو خبر و الخبر الذي لا يتضمن حكما لا يدخله النسخ فقد ينفذ ما أوعد به لمن خالفه لأنه لم يخص بإنفاذه دارا من دار بل قال في الدنيا لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا و هو من جملة إنفاذ الوعيد فالذاهبون إلى القول بإنفاذ الوعيد مصيبون و لكن إنفاذه حيث يعينه الحق تعالى فإذا أنفذه في الدنيا بمرض و ألم نفسي أو حسي يدخله على هذا المستحق بالوعيد كان ذلك سترا له عن عقوبة الآخرة فهو المعبر عن ذلك هنا بالمغفرة أي لا يؤاخذ بها في الآخرة و هذه أحوال أكثر السعداء و السعداء الذين لا تهمهم النار و لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ الذين فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ و لهذا عظم ابتلاء النفوس و البلاء المحسوس في الأمثال من الناس كالأنبياء و الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ من النَّاسِ من رد الحق في وجوههم و ما يسمعون من الكفرة مما يتأذون به في نفوسهم و قد أخبر الله بذلك و كذلك ما سلط عليهم من القتل و الضرب كل ذلك من إنفاذ الوعيد لخطرات و حركات تقتضيها البشرية و الطبع مما لا يليق بالمنصب الذي هم فيه لكن هو لائق بالبشر و من هنا يعرف قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه و سلم لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ فقد قرر الذنب و أوقع المغفرة و أفهم من ذلك عباده أنه لا يعاقبهم في الآخرة و ما علق المغفرة بالدنيا لما فيها من الآلام و

الأمراض النفسية و الحسية و هو عين إنفاذ الوعيد في حقهم و يصح قول المعتزلي في هذه المسألة مسألة إيلام البريء فإن الأشعري يجوز ذلك على الله و لكن ما كل جائز واقع و كل ما يحتجون به على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل و الانفصال عنه سهل و ليس هذا الكتاب موضع إيراد هذا العلم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و التسعون و مائتان في معرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السرياني في الحضرة المرادية المحمدية»

إن البروج منازل لمنازل قد هيئت للسبعة الأنوار

فإذا مشت بالعدل في أفلاكها تبدو لعينك أعين الأغيار

فالحق يجري في المنازل حكمه و الكون في الأكوار و الأدوار

و الخلق من تحت المنازل ظاهر و الأمر من فوق المنازل جاري

فيقال في لغة الكيان بأنه أمر تصرفه يد الأقدار

و الكف و القلم العلي مخطط في اللوح ما يبدو من الأسرار

اعلم وفقنا الله و إياك أن هذا المنزل من أعظم المنازل الذي تخافه الشياطين النارية لقوة سلطانه عليهم و هو منزل عال يتضمن علوما جمة اعلم أن الروح الإنساني لما خلقه الله خلقه كاملا بالغا عاقلا عارفا مؤمنا بتوحيد الله مقرا بربوبيته و هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة و أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الأغلب و هو وجود الأبوين فإنه قد يكون يتيما فالذي يربيه هو له بمنزلة أبويه فالروح ليس له كمية فيقبل الزيادة في جوهر ذاته بل هو جوهر فرد لا يجوز أن يكون مركبا إذ لو كان كذلك لجاز أن يقوم بجزء منه علم بأمر ما و بالجزء الآخر جهل بذلك الأمر عينه فيكون الإنسان عالما بما هو به جاهل و هذا محال فتركيبه في جوهره محال فإذا كان هكذا فلا يقبل الزيادة و لا النقصان كما يقبله الجسم لعدم التركيب و لو لا ما هو عاقل بذاته و هو عقل لنفسه ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه بذلك إذ لا يخاطب الحق إلا من يعقل عنه خطابه هذا هو حقيقة الإنسان في نفسه ثم إن الله تعالى جعل له في الجسم الذي جعله الله له ملكا و استوى عليه جعل فيه قوى و آلات حسية و معنوية و قيل له خذ العلوم منها و صرفها على حد كذا و كذا و جعلت له هذه الآلات على مراتب فالقوى المعنوية كلها قوى كاملة إلا قوة الخيال فإنها خلقت ضعيفة و القوة الحساسة و جعلت هاتان القوتان تابعة للجسم فكلما نما الجسم و كبر و زادت كميته كلما تقوى حسه و خياله إذ كانت جميع القوي لا تأخذ الأشياء إلا من الخيال و هي قوة هيولانية قابلة لجميع ما يعطيها الحس من الصور و قابلة لما تفتح فيها

القوة المصورة من الصور التي تركبها من أمور موجودة قد أمسكها الخيال من القوة الحساسة و ليس في القوي من يشبه الهيولى في قبول الصور إلا الخيال فإذا تقوى الخيال حينئذ وجد الفكر حيث يتصرف و يظهر سلطانه و الوهم كذلك و العقل كذلك و القوة الحافظة كذلك فلم تكن لطيفة الإنسان من حيث ذاتها مدركة لما تعطيها هذه القوي إلا بوساطتها فلو اتفق أن تعطيها هذه القوي المعلومات من أول ما يظهر الولد في عالم الحس قبلها الروح الإنساني قبولا ذاتيا ألا ترى أن الله قد خرق العادة في بعض الناس في ذلك و هو ما ذكر من صبي يوسف حين شهد له بالبراءة و كلام عيسى عليه السلام حين شهد بالبراءة و صبي جريج حين شهد له بالبراءة هذا سبب تأخير التكليف عن الروح الإنساني إلى الحلم الذي هو حد كمال هذه القوي في علم الله فلم يبق عند ذلك عذر للروح الإنساني في التخلف عن النظر و العمل بما كلفه ربه و أول درجات التكليف إذ كان ابن سبع سنين إلى أن يبلغ الحلم و قد اعتبر الله فعل الصبي في غير زمان تكليفه لو قتل لم يقم عليه الحد و حبس إلى أن يبلغ و يقتل بمن قتل في صباه إلا أن يعفو ولي الدم فقد آخذه الله بما لم يعمله في زمان تكليفه و القصد من هذا التمهيد ليقع الأنس بما نورده من عذاب المؤمن فإن الإنسان كما قلنا خلق مؤمنا و إن ألحقناهم بآبائهم في دفنهم في قبورهم معهم و رقهم إذا ملكناهم بطريق الإلحاق لا بطريق الاستحقاق تشريفا و تبيينا لعلو مرتبة ظهور الايمان الذي في الآباء و كما أن الكفر عارض كان الاسترقاق عارضا أيضا و الأصل الحرية و الايمان فمن إنفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به وجود التكليف و هو أول العذاب لقيام الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا نفسيا مؤلما و هو عقوبة ما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الأفعال التي تطرأ بين الصبيان من الأذى و الشتم و الضرب على طريق التعدي و كل خير يفعله الصبي يكتب له و قد قرر ذلك الشارع حين رفعت امرأة إليه صلى الله عليه و سلم صبيا صغيرا و هو في الحج فقالت له يا رسول الله ألهذا حج فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم نعم له حج و لك أجر و ذلك أن لها أجر المعونة التي لا يقدر الصبي عليها و قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الصبي إذا حج قبل بلوغ التكليف ثم مات قبل البلوغ كتب الله له ذلك الحج عن فريضته و كذلك العبد إذا حج عبدا ثم مات قبل العتق و هذا الحديث و إن كان قد تكلم فيه من طريق إسناده فإن الحديث الصحيح يعضده و قد ورد في الصحيح أن الله يقول يوم القيامة في حق العبد يأتي بما فرض الله عليه ناقصا قد انتقص منه شيئا أن يكمل له من تطوعه ما نقص من ذلك فقد أقام التطوع مقام الفرض و هو هذا بعينه لأن حج غير المكلف به ليس هو فرض عليه قال صلى الله عليه و سلم عن الله تعالى في الحديث الصحيح إنه أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال صلى الله عليه و سلم ثم تؤخذ الأعمال على

ذاكم أي فيفعل في الزكاة و الصوم و الحج مثل ما فعل في الصلاة سواء فلو لم يعتبر الشرع ذلك لم يحكم بهذا و كل ما يفعله الصبي في غير بلوغ زمان التكليف معتبر في الشرع في الخير و في الشر غير إن الكرم الإلهي جازاه بالخير المعمول في هذا الزمان في الدار الآخرة و ادخر له ذلك و أما الشر فلم يدخر له في الآخرة منه شيئا بل جازاه به في الدنيا من آلام حسية و نفسية تطرأ على الصبيان و هي موجودة لا يقدر أحد على إنكارها و هي عقوبات و عذاب لأمور تطرأ من الصبيان يعرف هذا القدر أهل طريقنا حكمة أوقفهم الحق عليها و هي في حق المؤمنين كما قلنا عذاب أوجب لهم الكفارة و في حق الكفار إذا أدركوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ و عوقبوا في الآخرة و قد كانوا عذبوا في الدنيا و هم صغار مثل ما تعذب المؤمنون في حال صغرهم فذلك قوله تعالى زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذابِ يعني الذي عذبوا به في الدنيا و ما شاكل هذا فإن هذا نص في تضاعف العذاب على مراتبه الذي هو واحد من ذلك و من عذاب المؤمنين ما سلط الله عليهم من أصحاب الأهواء و الكفار من الأسر و العذاب و الاسترقاق و القتل في الدنيا كل هذا تكفير لهفوات و مزلات نفسية و حسية على قدر ما وقع منهم و ما يقع هذا من الكفار بالمؤمنين إلا لأجل إيمانهم قال تعالى يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا فإن و ما بعدها بتأويل المصدر كأنه يقول يخرجون الرسول و إياكم من أجل إيمانكم و قال تعالى وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا و عليه يخرج تخليد من قتل مؤمنا متعمدا أي قصد قتله لإيمانه و مما يتضمن هذا المنزل علم الابتلاء و ليس ذلك إلا لله قال تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ و قال عز و جل أيضا لِيَبْلُوَكُمْ و ليس للمؤمن أن يبتلي المؤمن إلا بأمر إلهي فيكون الابتلاء لله تعالى و منه لا منهم مثل قوله تعالى فَامْتَحِنُوهُنَّ فالله أمر بذلك فامتثل العبد أمر سيده كالسلطان يأمر بعذاب شخص فيتولى عذابه من أمر بتعذيبه و إن كان شفيقا عليه و لكن أمر السلطان واجب أن يمتثل للمرتبة لما يقتضيه من الهيبة فالابتلاء لا يكون إلا لله و كل من ابتلى أحدا من المؤمنين بغير أمر إلهي فإن الله يؤاخذه على ذلك و بهذا المقام انفرد الاسم الخبير و هو من أعجب أحكام الأسماء لأن الخبرة إنما جاءت لاستفادة علم المخبر المختبر و هنا في الجناب الإلهي العلم محقق بما يكون من هذا المختبر اسم مفعول فلا يستفيد علما المختبر اسم فاعل فيظهر أنه لا حكم لهذا الاسم و كان الأولى به العبد لجهله بما يكون من المختبر اسم مفعول و العبد ممنوع من الاختيار إلا بأمر إلهي فقد يسمى الله تعالى بما يستحقه العبد فحكمه في جناب الحق إفادة العلم للمختبر في نفسه بهذا الاختبار لإقامة الحجة عليه و له فلهذا لا يلحق الخبير بصفة العلم كما ألحقه أبو حامد و الأسفرايني و أكثر الناس و لو كان كما زعموا لكان نقصا و إنما أوقعهم في ذلك قوله تعالى حَتَّى نَعْلَمَ و هو حجة عليهم إن لو كان الأمر على ظاهره فإن الاختبار سبب في تحصيل العلم ما هو نفس العلم و بالخبرة سمي خبيرا فإذا حصل العلم سمي عالما في ذلك الحال و غاية من نزه مثل ابن الخطيب و غيره في قوله حَتَّى نَعْلَمَ تعلق العلم بهذه الحالة و تعلق العلم محدث و لا يؤدي إلى حدوث العلم فبقي العلم

على حاله من الوصف بالقدم و إن حدث التعلق فهذا منتهى غايتهم في التنزيه و يقولون لو تعلق العلم بما من شأنه إنه سيكون كائنا أو قد كان فقد علم الشيء على خلاف ما هو به و كذلك لو علم ما هو كائن قد كان أو سيكون أو علم ما كان هو كائن أو سيكون لكان هذا كله جهلا و الله يتعالى عن ذلك فأدخلوا على الله الزمان من حيث لا يشعرون و التقدم في الأشياء و التأخر و ما علموا إن الله تعالى يشهد الأشياء و يعلمها على ما هي عليه في أنفسها و الأزمنة التي لها من جملة معلوماته مستلزمة لها و أحوالها و أمكنتها إن كانت لها و محالها إن كانت ممن يطلب المحال و أحيازها كل ذلك مشهود للحق في غير زمان لا يتصف بالتقدم و لا بالتأخر و لا بالآن الذي هو حد الزمانين و لهذا لم يرد مع قوله صلى الله عليه و سلم عن ربه كان الله و لا شيء معه و أتى بكان و هي حرف وجودي لا بفعل و لم يقل و هو الآن فإن الآن نص في وجود الزمان فلو جعله ظرفا لهوية الباري تعالى لدخل تحت ظرفية الزمان بخلاف كان فإن لفظ كان من الكون و هو عين الوجود فكأنه يقول الله موجود و لا شيء معه في وجوده فما هي من الألفاظ التي ينجر معها الزمان إلا بحكم التوهم و لهذا لا ينبغي أن يقال كان فعل ماض في إعرابه على طريقة النحويين و قد بوب عليها الزجاجي و سماها بالحرف الذي يرفع الاسم و ينصب الخبر و لم يجعلها فعلا فينجر معها الزمان الماضي و الحال و المستقبل و بهذا القدر المتوهم الذي يتخيل في هذه الصيغة التي هي كان و يكون و سيكون من الزمان أشبهت الفعل الصحيح الذي هو قام و يقوم و سيقوم و جعلوا قائما مثل كائن فأجروها مجرى الأفعال من هذا الوجه و إذا كان أمرها على هذا فيطلق من الوجه الذي لا يقبل به ظرفية الزمان على الله تعالى و هو قوله وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً و كانَ اللهُ شاكِراً عَلِيماً و ما أطلق عليه الآن لما ذكرناه لأنه نص في الزمان اسم علم له و معناه الظرف كما جاء الاستواء على العرش بلفظ العرش و لفظ الاستواء و ما هو نص في ظرفية المكان بخلاف اسم لفظة المكان فإنه نص بالوضع في ظرفيته و المتمكن في المكان نص فيه فعدل إلى الاستواء و العرش ليسوغ التأويل الذي يليق بالجناب العالي لمن يتأول و لا بد و الأولى التسليم لله فيما قاله ورد ذلك إلى علمه سبحانه بما أراده في هذا الخطاب و نفى التشبيه المفهوم منه بقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على زيادة الكاف أو فرض المثل إذ كان لا يستحيل فرض المحال و مما يتضمن هذا المنزل علم العالم العلوي المختص بالفلك الأطلس خاصة و من عمارة و ما تسبيحهم و ما يتعلق به عمن يأخذ و لمن يعطي و من يتلقى منه و العطاء الذاتي و هو عطاء العلة و العطاء الإرادي و هو عطاء الاختيار و معرفة الآخرة و معرفة ما يحصل من التجلي في نفس العبد و تأثير الضعيف في القوي و ما تؤدي إليه الأغراض و الأهواء الربانية السارية في العالم التي يدعيها كل أحد من الحيوان الإنسان و غيره و معرفة الصلاح الذي تسأله الأنبياء من الله و التصديق الإنساني خاصة و لمن يصدق و بما ذا يصدق و ما ذا يرد و هل يلزمه التصديق بما يحيله دليل العقل و ما منزلته عند الله و أين ينتهي بصاحبه و هل المؤمنون فيه على السواء أو يتفاضلون

و هل يقبل الزيادة و النقص أو هل ينقص في وقت عند قيام شبهة على ما وقع به التصديق و هل إذا قام به النقص في مسألة من مسائل الايمان هل يسرى ذلك النقص في الايمان كله أو يؤثر في زواله بالكلية أو هو مقصور على ما وقعت عليه الشبهة و معرفة سرعة الأخذ الإلهي ما سببها فإنه لما أطلعني الله تعالى على إنزال هذه الآية بالإنزال الذي يرد على أمثالنا ممن ليس بنبي فإن القرآن و كل كلام ينزل على التالين و المتكلمين في حال تلاوتهم و كلامهم و لولا ذلك ما تلوا و لا تكلموا و هنا لطائف إلهية لمن نظر فقيل لي اقرأ قلت و ما أقرأ فقيل لي اقرأ وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ فقرأت هذه الآية على ما كنت أحفظها فقيل لي لما وصلت إلى قوله تعالى إِنَّ أَخْذَهُ قيل لي قل بك فقلت ما هو في القرآن و لا نزل كذا فقيل لي لا تقل هكذا بل هكذا هو و كذا نزل قل بك و شدد علي فقرأت إن أخذه بك أليم شديد فطلبت معنى ذلك فأقيم لي شخص كنت أعرفه و كان قد افترى علي فقيل لي هذا مأخوذ بك أي بسببك فاقرأ إن أخذه بك أليم شديد و هو ممدود بين يدي فلما فرغ ذلك التنزيل استدعيت بالشخص و قلت له ما رأيت فتأفف علي و أظهر التوبة و خرج عني و هو على حاله من الفرية فلم يكمل الشهر حتى قتله الله بحجر شدخ رأسه و ما أخذ القاتل من ثيابه و لا فرسه و لا ماله شيئا فشاع الخبر و انتهى إلى السلطان و قرروا عند السلطان إني كنت سبب قتله فما التفت السلطان فلما كان بعد ثلاث سنين جاء القاتل و اعترف بين يدي السلطان بقتله فسأله ما سبب ذلك فقال ما له سبب و لا فعل معي قبيحا إلا أني مررت عليه و هو نائم في خربة و لجام فرسه في يده فزين لي قتله فعمدت إلى حجر كبير فاقتلعته و وازنت رأسه و رميت عليه الحجر فما تحرك و لا أخذت له شيئا و ما طمعت في شيء من ذلك و لا اكترثت فقتله السلطان به و بعث إلى الخبر بذلك و هذا من أعجب التنزلات وجود مثل هذه الزيادة فيعرف العارف من هذا المنزل من أين صدرت و ما اسمها و ما منزلتها من كلام الحق فإن الأخبار النبوية المروية عن الله لا تسمى قرآنا مع أنها من كلام الله و يتضمن هذا المنزل علم بدء الخلق و إعادته و كيفية إعادته فإن أهل الكشف اختلفوا في الكيفية فذهب ابن قسي إلى كيفية انفرد بها و ذهب الآخرون إلى غير ذلك على اختلاف بينهم و كذلك اختلف فيه علماء النظر الفكري و يتضمن علم المحبة الإلهية و ثبوتها و علم الستور التي بين المحبوبين و بين ما يؤدي لو وقع من غيرهم إلى عقوبتهم كما قيل

و إذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت ملاحته بكل شفيع

و علم العرش و عددها و صفاتها و علم الإرادة المضافة إليه و ما تأثيرها في حال العارفين و هل هي من نعوت الجلال أو من نعوت الجمال و يتضمن علم الاعتبار و يتضمن علم الوعيد من أي اسم هو و يتضمن علم النفس الكلية و لما ذا لا يلحقها التغيير و ما شرف القرآن على غيره من الكتب و الصحف و الأخبار المروية عن الله مع أن ذلك كله كلام الله و ينجر مع هذا العلم في نفس القرآن شرف آية

الكرسي على سائر آي القرآن بالسيادة و يس بالقلبية و إذا زلزلت بقيامها مقام نصف القرآن و سورة الكافرون مقام ربع القرآن و كذلك إذا جاء نصر الله و سورة الإخلاص مقام ثلث القرآن و يس مقام القرآن عشر مرار و لما ذا يرجع ذلك و من هو الموصوف بهذا الفضل هل الدليل أو المدلول أو الناظر في الدليل و يكفي هذا القدر من هذا المنزل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(انتهى الجزء الثاني من كتاب الفتوحات المكية بحمد الله و عونه و حسن توفيقه و يتلوه

المجلد الثالث أوله الباب الموفي ثلاثمائة)